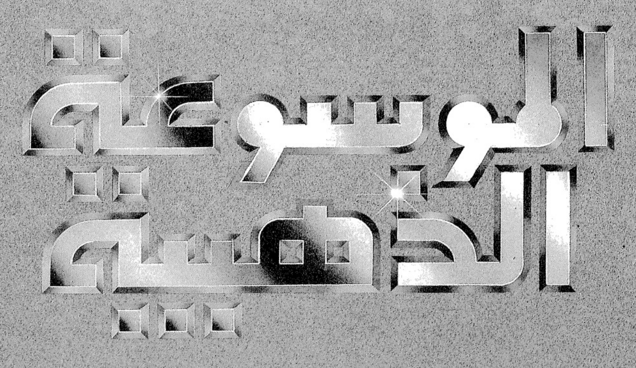
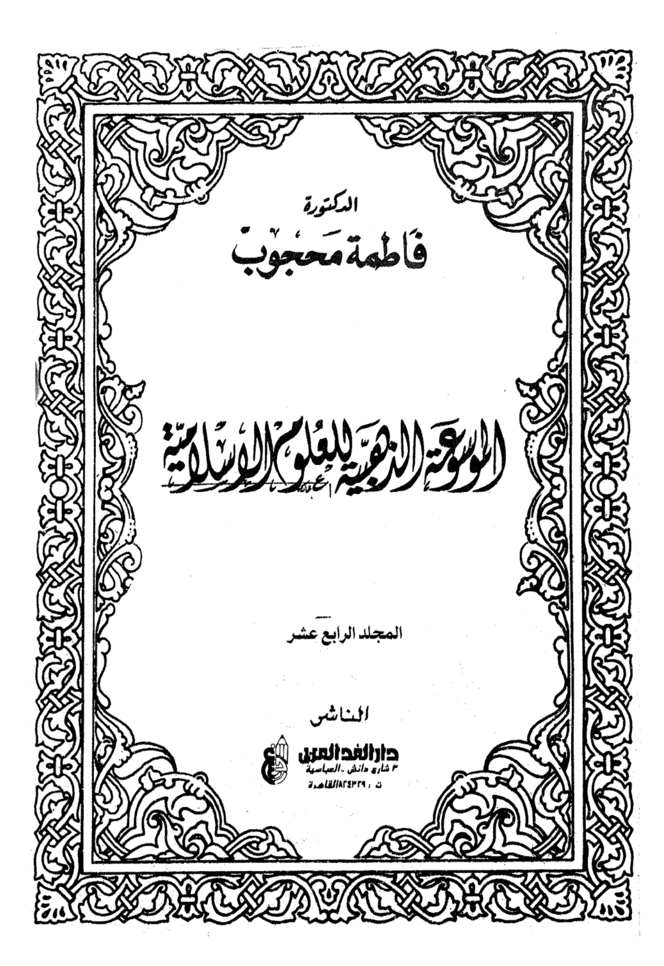
الدكتورة: فاطمة محجوب



الموسوعة الذهبية

للعلـــــوم الإســـــلامية





الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد الرابع عشر

الناشر

دار الغد العربي

٣ شارع دانش ـ العباسية

ت : ٨٢٤٣٢٩ القاهرة

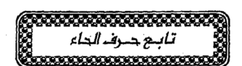
حقـوق الطبـع والنشـر محفـوظـة
للناشــــر

الناشـــر

دار الغـــد العربي
للطباعة والنشر والتــوزيع

٣ ش دانش ـ العباسية ـ عبده باشا ـ القاهرة
الإدارة: ٢٨٥٦١٢٢ / ٨٢٤٣٢٩ / ٢٨٤٣١١٥
فاكس: ٤٨٢٤٣٢٩
جمهوريـة مصر العربيـة

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية



تابع حرف الحاء

*** حسن أغا الأزرقطلى (سبيل -) :**

قال عنه على مبارك :

هو بشارع تحت الربع على يسار الذاهب من باب الخرق طالبا باب زويلة . أنشأه حسن أغا الأزرقطلى وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن المجيد، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين وألف وشعائرهما مقامة من ريع وقفهما بنظر بنت الواقف .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧٠ ، ١٧١) .

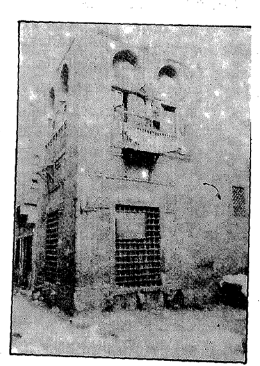
*** حسن أغا كوكليان (سبيل وكتاب -) (١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م) أثر ٢٤٣ :**

يقع بسويقة العزى بشارع سوق السلاح بالقرب من مدرسة سودن من زادة . وهو سبيل مستقل ، يعلوه كتاب ، وذو شباكين للتسبيل .

أنشأه حسن أغا كوكليان فى عام ١١٠٦ هـ حسبما ورد باللوحة التأسيسية بالواجهة الجنوبية والتى قرأها Van Ber- chem) كالآتى : -

« أنشأ هذا السبيل الخليل وفوقه المكتب الجميل حسبة لله تعالى الأمير الكبير حسن أغا كوكليان ، ووافق تاريخه اسمه الخليل (الأصح أنها « الجليل ») ظاهر سنة ١١٠٦ هـ »

والسبيل ذو واجهتين حرتين على الشارع بينهما عمود ناصية مدمج وهما متشابهتان ، إحداهما هى الواجهة الجنوبية (لوحة ٦٧) التى يتوسطها شباك للتسبيل ذو مصبعات نحاسية يتقدمها لوح رخامى لوضع الكيزان ...



لوحة (٦٧)

واجهتا سبيل حسن أغا كوكليان الجنوبية والغربية. بشارع سوق السلاح. أثر ٢٤٣.



لوحة (٦٨)

الواجهة الجنوبية لسبيل حسن أغا كوكليان بشارع سوق السلاح. أثر ٢٤٣. ويتضح فيها فتحة تزويد الصهريج بالماء.

والتكوين العام للسبيل : عبارة عن دهليز يلى باب الدخول السالف الذكر، يؤدى يمينا إلى سلم صاعد للكتاب ويسارا إلى حجرة ملحقة تتقدم حجرة التسبيل ، بها فوهة الصهريج، يليها حجرة التسبيل التى تأخذ الشكل المربع ، بضلعيها الجنوبى، والغربى دخلتان لشباكى التسبيل، بأرضية كل منهما حوض مربع رخامى مخصص للشرب وبصدر الحجرة يوجد دخلة الشاذروان التى تحتوى على لوح السلسبيل الرخامى ذات الزخرفة التقليدية البارزة .

أما عن أرضية الحجرة فمفروشة بالألواح الرخامية التى تكون فى وسطها دوائر متماسة ، تحصر فيما بينها أشكال هندسية ونجوم منفذة بالرخام الخردة المختلف الألوان .

أما عن جدران هذه الحجرة فقد كانت مغطاة بوزرة رخامية فى جزئها السفلى ما زالت بعض أجزائها باقية . والذى يؤكد أنها من عصر الإنشاء وليست مستحدثة ما ورد بالوثيقة حيث تذكر « ... المكمل الصهريج المذكور بالرخام الملون والوزرة ... » .

فضلا عن ذلك فسقف حجرة التسبيل ، عبارة عن براطيم خشبية تحصر فيما بينها مربوعات ومستطيلات ، كما أنه مُلمَّع بأنواع الدهانات، ويجمع فى زخرفته بين الطابع المحلي والعثمانى (سبقه فى ذلك سبيل يوسف أغا الحبشى) معا، حيث الأطباق النجمية وأشكال النجوم وأنصافها

على يسار هذا الشباك وإلى أسفل نجد فتحة معقودة ـ مسدودة حاليا ـ مخصصة لتزويد الصهريج بالماء (لوحة ٦٨) كما يعلو الشباك نفيس عليه بلاطات خزفية (قاشانى) ، وعقد عاتق ، يعلوه لوحة تأسيسية ــ سبق ذكرها ـ هذا ويوجد على جانبى تلك اللوحة والعقد العاتق مناطق مربعة ومستطيلة بها زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ونجوم وأشكال سداسية محفورة فى الحجر.

تنتهى هذه الواجهة من أعلى بواجهة الكتاب وهى عبارة عن بائكة من عقدين على شكل حدوة الفرس يرتكزان على عمود أوسط مثمن .

غير أن هذه الواجهة كان يتوجها رفرف خشبى ـ اندثر حاليا ـ ما زالت بقايا كوابيله تدل عليه .

بالإضافة إلى ذلك يوجد على يسار الواجهة الجنوبية باب الدخول للسبيل والكتاب وهو مستطيل الشكل يعلوه عتب عاتق ومحاط بجفوت لاعبة .

بالإضافة إلى عناصر ذات طابع عثمانى متمثلة فى الأفرع النباتية التى تخرج منها زهور القرنفل والرمان وذلك فى البراطيم الخشبية ، أما فى المربوعات فتوجد أشكال دائرية من أربعة فصوص بداخلها ويحيط بها أفرع نباتية تخرج منها زهور الورد المحورة .

أما عن الكتَّاب : فيأخذ شكل حجرة التسبيل ولكنه حاليا مجدد تماما نظرا لانشغاله بالسكان .

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ـ د. محمود حامد الحسينى / ١٩٢ ، ١٩٣) .

* **حسن أفندى (بن عبد الله) (ــ ١٢٠٥ هـ) :**

من الخطاطين . ذكره الجبرتى فى وفيات سنة ١٢٠٥ وقال عنه : ومات الجناب المكرم المبجل المعظم جامع المعارف وحاوى اللطائف الأمير حسن أفندى بن عبد الله ، الملقب بالرشيدى ، الرومى الأصل ، مولى على أغا بشير دار السعادة ، المكتب المصرى ، اشتراه سيده صغيرا ، وهذبه ودربه وشغله بالخط فاجتهد فيه ، وجوده على عبد الله الأنيس ، وكان ليوم إجازته محفل نفيس ، جمع فيه المرءوس والرئيس ، ثم زوجه ابنته وجعله خليفته ولم يزل فى حال حياة سيده معتكفا على المشق والتسويد ، معتنيا بالتحرير والتجويد إلى أن فاق أهل عصره فى الجودة فى الفن ، وجمع كل مستحسن ولما توفى شيخ المكتبين المرحوم إسماعيل الوهبى جعل المُتَرْجَم شيخا باتفاق منهم ... وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق جمع فيه ما يتعلق بفنهم مع ذكر أسانيدهم وهو غريب فى بابه ... ولم يزل شيخا ومتكلما على جماعة الخطاطين والكتاب ، وعميدهم الذى يشار إليه عند الأرباب ، نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب . وأما نسخ الدلائل فكثرتها لا تدخل تحت الحساب ، إلى أن طافت به المنية طواف الوداع ، ونثرت عقد ذلك الاجتماع . وبموته انقرض نظام هذا الفن .

(تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ٢ / ١١٦ ، ١١٧) .

* **حسن أفندى كاتب عزبان (سبيل وكتاب ـ) (١١١٣ هـ / ١٧٠١م) أثر ٤٠٥ :**

يقع بشارع درب الحصر ، وهو مستقل غير ملحق بأبنية أخرى ويعلوه كتَّاب ، كما أنه ذو شباك واحد للتسبيل .

وأنشأه الأمير حسن كتخدا عزبان بن المرحوم الأمير خليل جوربجى عزبان فى عام ١١١٣ هـ حسبما ورد بالنص التأسيسى على الواجهة الجنوبية الشرقية للسبيل والذى يقرأ كالآتى : ـ

« أنشأ هذا السبيل المبارك الفقير إلى رحمة ربى العلى حسن أفندى كاتب عزبان سنة ١١١٣ هـ » .

والسبيل ذو واجهة واحدة تفتح على شارع درب الحصر بشباك للتسبيل مغشى بمصبعات نحاسية ، ضاع الجزء السفلى منها ، وسد الآن بالحجارة خوفا من ضياع باقى التغشية . يعلو واجهة السبيل اللوحة التأسيسية السالفة الذكر ، هذا ونجد على يسار شباك التسبيل كتلة الدخول للسبيل والكتاب .

أما عن التكوين العام للسبيل : عبارة عن مدخل مستطيل يؤدى إلى دهليز يأخذ فى الضيق كلما اتجه إلى الداخل ، ويفتح يسارا بباب على حجرة التسبيل ، ثم يستمر فى الامتداد ليؤدى يسارا خلف حجرة التسبيل إلى ملاحق خلفية ، ويمينا إلى باب الصعود للكتاب . (هذه الملاحق تفتح بباب أيضا على حجرة التسبيل ، ومن المرجح أنها كانت تحتوى على فوهة الصهريج وحاصل الماء ، إلا أنها الآن لا تحتوى على شىء) .

أما عن حجرة التسبيل فهى مستطيلة الشكل ضلعها الأصغر يطل على الشارع بدخلة شباك التسبيل ، يقابله دخلة الشاذروان التى تمتد إلى أسفل السقف مباشرة وإلى اليسار منها دخلة أخرى أقل فى الارتفاع ، كما يوجد إلى اليمين باب يصل الملاحق بحجرة التسبيل . والسبيل . هنا فى تكوينه يذكرنا بتخطيط سبيل على أغا دار السعادة .

وأرضيته حاليا من البلاط الحديث ، إلا أن الوثيقة تذكر أنها كانت من الرخام الملون .

أما السقف فهو خشبى مسطح محمول على ثلاثة فلوق خشبية خالية من الزخرفة ولكن الوثيقة تذكر أن السبيل كان «مسقفا نقيا» .

وإذا كان السبيل بهذه الحالة، فالكتاب فى حالة أسوأ حيث نجد سلم الصعود إليه متهدما، ويتم الوصول له من منزل مجاور للواجهة الجنوبية الشرقية، كما أنه مجدد تماما، وذلك لانشغاله حاليا بسكنى بعض الأسر (الأسبلة العثمانية / ١٩٧، ١٩٨).

وقد ذكره على مبارك تحت عنوان «سبيل حسن كتخدا» وجعل تاريخ الإنشاء سنة ١١١٢ هـ، وقال عنه :

هو بدرب الحصر أنشأه حسن كتخدا عزبان، وأنشأ فوقه مكتبا فى سنة اثنتى عشرة ومائة وألف، وبهذا السبيل شباك من النحاس بأعلاه لوح رخام فيه تاريخ الإنشاء، وبالمكتب عمود رخام وشباكان وشعائره معطلة ونظره لمحمد القنيلى (الخطط ٦ / ١٧١).

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ـ د. محمود حامد الحسينى / ١٩٧، ١٩٨، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧١).

*** حسن الانتهاء :**

حسن الانتهاء هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سمى براعة المقطع كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبرية شامل

(قواعد اللغة العربية / ١٣٧).

ويذكر صاحب مختصر تلخيص المفتاح «حسن الانتهاء» آخر المواضع الثلاثة التى ينبغى على المتكلم أن يتأنق فيها (انظر مادة «التأنق أو التأنيق م ٨ / ٣٩٩، ٤٠٠) وصاغه نظما الحافظ جلال الدين السيوطى فى منظومته على مختصر تلخيص المفتاح، الموسوعة بشرح عقود الجمان فقال :

وإن يجىء فى الانتهاء مؤذن
بختمه فهو البليغ الأحسن

هذا آخر المواضع التى يجب التأنق فيها لأنه آخر ما يعيه السامع ويرسم فى الذهن فإن كان حسنا تلقاه السمع واستلذه وجبر ماوقع فيما سبقه من تقصير وإلا فبالعكس، وربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق، مثاله قوله :

وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى
وأنت بما أملت فيك جدير
فإن تولنى منك الجميل فأهله
وإلا فإنى عاذر وشكور

وأحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف ألبتة كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبرية شامل

* * *

وسور القرآن فى ابتدائها
وفى خلوصها وفى انتهائها
واردة أبلغ وجه وأجل
وكيف لا وهو كلام الله جل
ومن لها أمعن فى التأمل
بأن له كل خفى وجلى

(شر عقود الجمان / ١٧٥).

ومما ذكره صاحب مختصر تلخيص المفتاح ولم يرد فى نظم السيوطى قوله : وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية :

إن كان بين صروف الدهر من رحم
موصولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك اللاتى نصرت بها
وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بنى الأصفر الممراض كاسمهم
صفر الوجوه وجَلتْ أوجه العرب

وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام كقوله :

فلا حطت لك الهيجاء سرجا
ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

(قواعد اللغة العربية ـ حفنى ناصف وزملائه / ١٣٧، وشرح عقود

الجمان للحافظ جلال الدين السيوطى / ١٧٥ ، والإيضاح فى علوم البلاغة . مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى / ٢٤٤) .

*** أبو الحسن الأندقانى :**

قال عنه الإمام الداودى :

محمد بن أبى بكر أحمد الإسفراينى أبو الحسن الأندقانى الصوفى . توطن قزوين ، وأعقب بها ، وكان له قبول عند الأكابر والعوام ، وحظ من التفسير والحديث والفقه والخلاق ، وكتب بخطه الكثير من كل فن لحرصه على الجمع ، وروى « صحيح البخارى » كما روى « غريب الحديث » لأبى عبيد الكاتب ، وروى « تنبيه الغافلين » ، و «مسند الشهاب » للقضاعى ، وسمع بقزوين « صحيح مسلم » من الأستاذ إبراهيم الشحاذى سنة ست وعشرين وخمسمائة .

له ترجمة فى : تاريخ قزوين ١ / ٧٥ .

(طبقات المفسرين للداودى بتحقيق على محمد عمر ٢ / ٩٠) .

*** حسن الأنور (سيدى ـ) (ـ ١٦٨ هـ) :**

ابن السيد زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ويوجد مشهده على يمين الداخل إلى مصر القديمة من جهة سور القاهرة فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص . أمه أم ولد ، حدثوا عنه أنه كان تقيا ورعا مجاب الدعوة ، وكان إماما عظيما عالما من كبار أهل البيت معدودا من التابعين .

وكان أبوه « زيد الأبلج » ـ رضى الله عنه ـ جليل القدر كريم الطبع يتولى صدقات رسول الله ﷺ ، وكان يقصده الناس فيبرهم ويكرمهم ، ويفد إليه الشعراء فيمدحونه وينالون عطاءه ، فكان ذلك سببا فى كتابة « سليمان بن عبد الملك » إلى عامله بالمدينة : أما بعد ، فإذا جاءك كتابى هذا فاعزل «زيد بن الحسن » عن صدقات رسول الله ـ ﷺ ـ وادفعها إلى رجل سماه من ذوى قرابته ، ولكن « عمر بن عبد العزيز » حينما تولى الخلافة رده عليها . ومن الشعر الذى امتدح به قول محمد بن بشر الخارجى :

وزيد ربيع الناس فى كل شتوة
إذا اختلفت أبراقها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنه
سراج الدجى قد قارنتها سعودها

وحينما مات بكى عليه الناس كثيرا ورثاه الشعراء ومن ذلك قول قدامة بن موسى الجمحى :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه
فقد كان معروف هناك وجود

وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى
به وهو محمود الفعال حميد

جاء فى نور الأبصار أن « أبا جعفر المنصور » ولى « حسن الأنور » المدينة وقربه وأكرمه ، وكان قد انتهت إليه رئاسة بنى « الحسن » ومدحه الشعراء . جاءه شاعر يوما فمدحه بقصيدة أولها :

*** الله فرد وابن زيد فرد ***

فغضب « الحسن » وقال له : هلا قلت : الله فرد وابن زيد عبد ؟ ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض . وهذا يدل على تواضعه .

ومن الشعر الذى امتدح به الحسن ما يرويه زهر الآداب : كان « أبو عاصم الأسلمى » قد هجا « الحسن بن زيد» فلما ولى المدينة أتاه متنكرا فى زى الأعراب ، فقال :

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد
وتشهد لى بصفين القبور

قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو الحسن تعاديها الدهور

قبور لو بأحمد أو على
يلوذ مجيرها حمى المجير

هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير

فقال « الحسن »: من أنت ؟ قال : أنا الأسلمى قال : أدن حياك الله وبسط له رداءه وأجلسه عليه وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وكان لكرمه يطمع فيه الطامعون . حدث الحصرى قال : أتى « الغاضرى » المتطفل يوما « الحسن بن زيد » فقال : جعلت فداك ، إنى عصيت الله ورسوله ، قال : بئس ما صنعت ، وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله ﷺ قال : لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، وأنا أطعت امرأتى فاشتريت غلاما فهرب قال « الحسن » : فاختر واحدة من ثلاث : أن شئت فثمن الغلام . قال : بأبى أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها . قال : أعرض عليك الخصلتين . قال : لا . حسبى هذه .

وفى أثناء ولايته على المدينة أحسن إلى رجل فقير وقربه يقال له : ابن أبى ذئب حتى كثر ماله ، وقدمه إلى « المنصور» ولكن هذا الرجل قابل الإحسان بالإساءة ، فتحدث فى شأن «الحسن » أمام « المنصور » حتى غيره عليه فتنكر له «المنصور » وعزله ، ثم بعد فترة تبين للمنصور كذب ما أخبره به أبن أبى ذئب فرد « الحسن » إلى عمله وأحسن صلته ودفع إليه أمواله التى كان قد صادرها . وأبى « الحسن » بعد ذلك أن يعاقب الرجل، بل أمده بمال عظيم وكافأه بهدية عظيمة . وتلك شنشنة أهل البيت وعادتهم دائما فى مقابلة الإساءة بالإحسان . ويقال إن الذى رد إلى « الحسن » اعتباره «المهدى» وليس « المنصور » وكان ذلك فى اعتذار طويل قدمه إليه .

وقد أعقب « الحسن » من الذرية الكثير من الأبناء البررة ، وهم كما يسميهم الأستاذ صلاح عزام : أبو القاسم ومحمد وعلى وإبراهيم وزبير وعبد الله ويحيى وإسماعيل وأسماء وأم كلثوم ونفيسة وكلهم من أم سلمة ، وهى زينب ابنة الحسن عمه ابن الحسن بن على بن أبى طالب • وقد تزوجت «نفيسة» من إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين —رضى الله عنهم جمعيا .

وكان « الحسن » شغوفا بنفيسه جدا إلى حد أنها كانت شغله الشاغل فى أيام معتقله على عهد المنصور ، فكان يسأل عنها ويوصى بها ويتابع ما حفظت من كتاب الله وعلوم دينها .

يقول « الشبلنجى» فى نور الأبصار نقلا عن كتاب : «مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » أن الإمام حسن الأنور قدم إلى مصر ومعه ابنته السيدة نفيسة ، ومن المعروف أن دخول السيدة نفيسة مصر كان حوالى سنة ١٩٣ هـ وكان ذلك فى ولاية الأمير « جانم حسن بن البجباج» أو الأمير جانم بن هرثمة ابن أعين وهما الواليان على مصر بالتعاقب فى نحو هذا التاريخ المشار اليه نقلا عن ابن إياس .

ويذكر ابن إياس فى تاريخه أن السيدة نفيسة دخلت مصر مع أبيها الأمير حسن فى بعض الأقوال . وفى مختصر التذكرة للشعرانى يقول بعد حديثه عن مشهد «على زين العابدين » والسيد « زين » : وبالقرب منهما مما يلى جامع القرافة قبر الإمام « حسن » أخى زين العابدين والد السيدة نفيسة . كما هو مكتوب فى عمود رخام موضوع على رأس القبر. وقوله : أخو زين العابدين . لعله يقصد الأخوة الروحية وإلا فهما ابنا عم .

ويقال : إن الإمام « زيد الأبلج » والد الإمام « حسن الأنوار» كان يأخذ بيد ولده « الحسن » ويدخل إلى قبر النبى ـ ﷺ ـ ويقول : يا سيدى يا رسول الله ، هذا ولدى الحسن أنا عنه راض، ثم يرجع وينصرف، فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى المصطفى ـ ﷺ ـ يقول له : يا زيد ، إنى راض عن ولدى الحسن برضاك عنه ، والحق راض عنه برضاى عنه .

ويقال أيضا : إن الإمام «حسن الأنور » حينما ولدت له السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ كان يأخذ بيدها إلى قبر النبى ـ ﷺ ـ ويقول : يا سيدى يا رسول الله أنا راض عن ابنتك نفيسة ، فرأى فى المنام أن النبى ـ ﷺ ـ يقول له يا حسن أنا راض عن ابنتك نفيسة والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى .

وفى الطريق إلى مسجد السيدة سكينة ـ رضى الله عنها ـ بعد مسجد ابن طولون يوجد على يمين السالك زاوية يقال : إنها تضم رفات الإمام محمد الأنور شقيق الإمام حسن الأنور ومكتوب على بابها هذا البيت :

مسجـــــد حل فيــــه نجل لـــــزيـــــد

ذلـك الأنــــــــور الأجـل محمـــــــــد

ويذكر « الشبلنجى » أن والدهما مدفون بجوار مدفن ابنه حسن الأنور، ويستدل على ذلك بوجود حجر عتيق شرقى مقام السيد حسن الأنور مرقوم عليه نسب زيد، ثم يقول ومن شك فى ذلك فليذهب إلى هناك ليعلم ذلك بالمعاينة .

وعلى ساحل النيل فى مصر القديمة تجاه جزيرة الروضة يحدث « السخاوى » عن قبر يوجد يحمل اسم الشريف « أبى عبد الله محمد بن الحسن بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب » ـ رضى الله عنهم ، وقد توفى سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وقد انفرد عن أولاد الشريف الميمون بن حمزة بالدفن . أما بقيتهم ففى قرافة مصر فى أماكن متفرقة .

ويعرف هذا الشريف بكنيته التى اشتهر بها « أبى الشفقة » وسبب هذه الكنية أن النيل كان قد توقف فى بعض السنين ، فشق ذلك عليه وعلى أهل مصر، فأخذ يسعى على الشاطئ ويبكى ويدعو الله بالفيضان ، واهتم بهذا الأمر اهتماما زائدا فصار يسأل أهل العلم ومن له معرفة بالتاريخ عن الكتاب الذى أرسله عمر بن الخطاب مع حاطب بن أبى بلتعة بن أسعد إلى المقوقس، فدلوه عليه ، فأخذه ووضعه إلى جانبه، فرأى فى ليلة الإمام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول له : يا أبا الشفقة قم وألق الكتاب فى النيل فقام وألقاه ، فكانت أخصب سنة على أهل مصر. فلما مات دفن قريبا من البحر، واشتهر عند المصريين بساعى البحر . وربما يرجع سبب اهتمامه بكتاب عمر بن الخطاب إلى أن النيل كان قد توقف بعد فتح مصر ـ وكان من عادتهم أن يلقوا به جارية كل عام فأبطل عمرو هذه العادة ـ فكتب إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بتوقف النيل حتى ضج المصريون فأرسل إليه عمر بطاقة أمره بأن يلقيها فى النيل كتب فيها : من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك . فألقى عمرو البطاقة فى النيل فجرى بإذن الله تعالى (خطط المقريزى ١ / ١٠٦) .

فأراد الشريف أبو الشفقة أن يلتمس آثار عمر ليستأنس بها فى دعائه إلى الله بفيضان النيل فحقق الله ظنه .

(نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشبلنجى / ١٩٤ ، ١٩٥ ، وأهل البيت فى مصر ـ الشيخ عبد الحفيظ فرغلى / ٨٠ـ ٨٦) .

انظر : حسن الأنور (مسجد سيدى ـ) .

*** حسن الأنور (مسجد سيدى ـ) :**

قال عنه زكى مبارك : مسجد سيدى حسن الأنور .

هذا المسجد بقرب العيون التى فوقها مجرى الماء السلطانى الواصل إلى القلعة فيما بينها وبين جامع عمرو ، وقريب من فم الخليج فى وسط منازل صغيرة مسكونة بالفقراء وقبور كثيرة . وهو مقام الشعائر ، وله ميضأة ومرافق وبئر، وكان مهجورا متخربا فجدد وعمر فى سنة ثمانين ومائتين وألف على يد ناظره الشيخ أبى زيد إسماعيل كما هو مرقوم بأعلى بابه الغربى ، وبه ضريح والد السيدة نفيسة رضى الله عنها سيدى حسن المذكور، عليه قبة جديدة ، وتحت تابوته حجر من الرخام مكتوب فيه اسم سيدى حسن الأنور رضى الله عنه ، وبجوار هذا الضريح ضريحان : أحدهما لسيدى زيد الأبلج واسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته ، والآخر لسيدى جعفر، وليس له إيراد وإنما يصرف عليه من الأوقاف العمومية ، وبجوار ميضأته شجرتان من اللبخ ونخلات . ويقال : إن هذا الجامع فى طرف من محل الجامع الجديد الناصرى الذى قال المقريزى فى خططه أنه بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد، عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وانتهت عمارته سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ، وأقيمت فيه الجمعة حينئذ . وله أربعة أبواب ، وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا، وذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع

العمل، وما برح من أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله انتهى .

ثم زالت آثاره بالكلية، وقيل إنه كان في محل السبع السواقى ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج التى تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة . ويدل للأول ما اشتهر أن الفرنساوية زمن دخولهم مصر وجدوا هناك كثيرا من العمد الرخام الضخمة وأحجارا ونحو ذلك .

وفى خطط المقريزى أن سيدى حسن والد السيدة نفسية هو الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، كان له من الأولاد: القاسم، ومحمد، وعلى، وإبراهيم، وزيد، وعبيد الله، ويحيى، وإسماعيل، وإسحاق، وأم كلثوم، ونفيسة. وكان سيدى حسن والى المدينة البنوية من قبل أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور، وكان فاضلا أديبا عالما، وأمه أم ولد، توفى أبوه وهو غلام وترك عليه دينا وهو أربعة آلاف دينا؛ فحلف الحسن ولده أن لا يظل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله ﷺ أو بيت رجل يكلمه فى حاجة حتى يقضى دين أبيه، فوفاه بعد ذلك. ويقال: إنه كان مجاب الدعوة ممدوحا، وإن شخصا وشى به إلى أبى جعفر المنصور أنه يريد الخلافة لنفسه، فإنه كان قد انتهت إليه رياسة بنى حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله . ثم ظهر له كذب الناقل عنه فمن عليه ورده إلى المدينة مكرما ، فلما قدمها بعث إلى الذى وشى به بهدية ولم يعاتبه على ما كان منه انتهى.

وذكر ابن خلكان خلافا فى قبر سيدى حسن هذا ، فقيل: إنه بمصر لكنه غير مشهور . وقيل : إنه توفى ببغداد ودفن فى مقبرة الخيزران . والصحيح أنه مات بالحاجر، وكان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور، وأقام بالولاية خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شىء له وحبسه ببغداد، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور، وولى المهدى فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شىء ذهب له . ولم يزل معه، فلما حج المهدى كان فى حملته ، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك، وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وصلى عليه على بن المهدى. والحاجر على خمسة أميال من المدينة انتهى .

وفى إسعاف الراغبين للشيخ الصبان قال الشعرانى فى مننه : أخبرنى سيدى على الخواص رضى الله عنه أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريبا من جامع القراء، بين مجراة القلعة وجامع عمرو ، وقد أشهر هذه التربة وبنى عليها قبة جليلة حضرة عبد الرحمن كتخدا - أحسن الله إليه وأسبل سرادقات لطفه عليه انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٨٢ ، ١٨٣) .

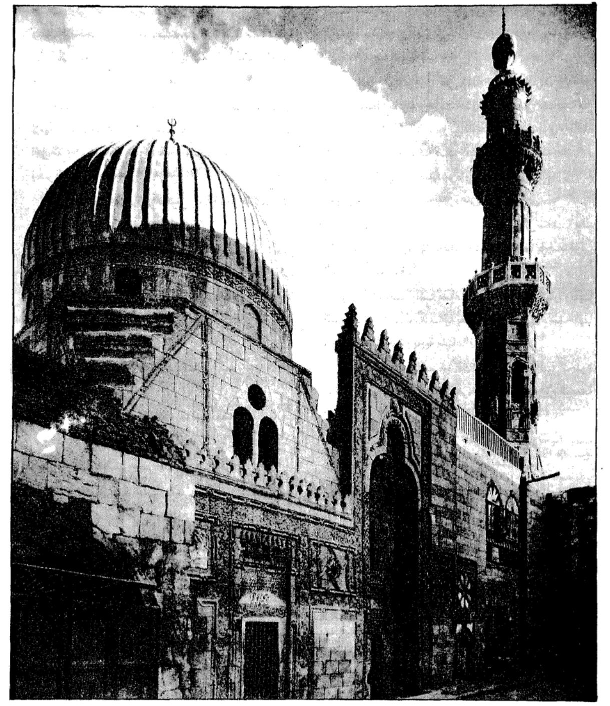
*** حسن باشا طاهر (مسجد -) (١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) أثر ٢١٠ :**

بعد وفاة محمد باشا طاهر الذى كان قائم مقام لوالى مصر، عنى حسن باشا طاهر وأخوه عابدين بك - وكانا من الشخصيات البارزة فى عصر محمد على الكبير - ببناء القبة التى دفن فيها ، وأنشأ بجوارها مسجدا ألحقا به سبيلاً وكتاباً .

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة فى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . ويعد هذا المسجد من المساجد القيمة بالنسبة لمساجد عصره إذا استثنينا مسجد المغفور له محمد على باشا المنشأ بعده. فالوجهة القبلية تشتمل على القبة والباب الرئيسى والمنارة والسبيل والكتّاب، والقبة بنيت بالحجر إلى نهاية الرقبة المنقوشة وأركانها مدرجة، ثم بالطوب وبها تضليع بسيط، ومكتوب على عتب شباكها : «لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٢٢٤ » ؛ يعلوه نفيس من القاشانى ثم نقوش ومقرنصات ، ويكتنف الشباك مربعات حليا بجفوت يتوسط أحدهما مفروكة ودائرة مفرغة .

وباب المسجد عقده مداينى مخوص يسترعى النظر فيه العمد الصغيرة المفرغة المكتنفة لشباكه الصغير ، والمعروفة عند المعماريين « بثلاثة وليه » ومكتوب على عتبه : « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى أفندينا حسن باشا طاهر والأمير عبدين بيك طاهر غفر الله لهم فى سنة أربع وعشرين ومائتين وألف . ويعلوه نفيس من القاشانى ونقوش مورقة .

وعلى يمين الباب سبيل بصنبورين مكتوب عليه ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ [الإنسان : ٢١] يعلوه مربع بداخله مثمن كسيت أضلاعه بالقاشانى، يجاوره سبيل



مسجد حسن باشا طاهر
١٢٢٤هـ (١٨٠٩ م)

وكتاب ، وفى الطرف الشرقى المنارة ، وهى مكونة من دورتين ومبنية بالحجر ، ولها مقرنصات متقنة الصناعة متنوعة الأشكال وشقق درابزين الدورة الأولى مفرغة بأشكال زخرفية متنوعة وتنتهى من أعلى بترس أسفل الخوذة .

وامتياز هذه المنارة غير مقصور على رشاقتها فحسب بل لأنها خالفت طرز المنارات العثمانية الأسطوانية ذات المسلة التى شاع إنشاؤها فى هذه الحقبة . وأنشئت على طرز منارات مصر المملوكية .

وقد حليت الوجهة بإفريز منقوش بزخارف مورقة كما نقش وجه حوض السبيل .

وتقوم القبة على يسار الداخل من الباب ، وقد حلى وجهها بالنقوش والقاشانى والمقرنصات ، ومكتوب على عتب بابها ما نصه : « هذا مقام الأربعين والنازل بجوارهم أفندينا باشا طاهر ، والأمير يوسف بيك رحمهم الله تعالى أجمعين سنه ١٢٢٤ » .

ويوسف بك مدفون مع طاهر باشا فى قبر واحد بداخل هذه القبة ومكتوب عليه :

وزيـــر مصـــر لـــلالــــه لقـــد مضى

لا اعتـــراض لحكـم مـــولا قـــاهــر

عليــه رضـــا الـــرحمن قلت مـــؤرخـا

فى جنـــة الفـــردوس محمـــد طـــاهـــر

١٢١٨

وعلى شاهد آخر : « هذا قبر المرحوم يوسف بيك طاهر توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ... شعبان سنة ١٢٢٣ »

كما توجد مقبرة أخرى مكتوب عليها : « هذا قبر المرحوم إبراهيم بيك ابن أمير اللواء طالب بيك توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ٢ شهر جماد آخر سنة ١٢٢٩ » وبها تابوت خشبى باسم الأربعين .

وأمام القبة وعلى يمين الداخل باب المسجد ، يصعد إليه ببضع درجات على يمينه باب السبيل ، وقد فرشت أرضيته برخام دقيق ، وبه حوض رخامى مستدير من قطعة واحدة وسقفه محلى برسوم وزهور ملونة ، ومكتوب على باب المسجد ما نصه : « وكان الفراغ من بنائه ونشوه فى شهر ذى الحجة المبارك من شهور سنة ألف ومايتين أربعة وعشرون من الهجرة الشريفة النبوية سنة ١٢٢٤ » .

ويشتمل من الداخل على ستة عمد من الرخام تحمل سقفا يتوسطه منور ، وحليت جدرانه من أعلى بشبابيك من الجص والزجاج الملون . وزين عقد محرابه الحجرى وطاقيته بالزخارف ، كما تعلوه قبة صغيرة منقوشة بها شبابيك جصية ، وله منبر خشبى بابه مستدير ، وبطرفه البحرى الغربى دكة المبلغ ، محمولة على الجدار وعلى عمود رخامى .

وملحق بالمسجد من الجهة البحرية مصلى سقفها قائم على عمود رخامى ، لها محراب منحرف ، كما يوجد غربى المدفن حديقة صغيرة .

وقد أنشأ حسن باشا طاهر تجاه الجامع عمارة وقفها للصرف على المسجد باقية بعض دورها وهدم مدخلها وتخلف منه لوحة تاريخية مثبتة بالقبة ونصها :

« وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم حسن باشا طاهر ، حرر ذلك فى يوم الجمعة المبارك ٢٩ خلت من شهر رجب الفرد سنة ١٢٣٨ » .

وكذلك نقل إلى دار الآثار العربية لوحة تاريخية كانت تعلو ربع شيخو بشارع الركبية رقم ٥٣ ونصها :

« وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر يوم الجمعة المبارك فى ٢٩ خلت من شهر رجب سنة ١٢٣٨ من هجرة من له العز والشرف » .

(تاريخ المساجد الأثرية - حسن عبد الوهاب / ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ٢ / ١٢٨) .

*** الحسن البصرى (٢١ - ١١٠ هـ) :**

هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن بن يسار البصرى . من سادات التابعين وكبرائهم ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه . قال ابن سعد فى طبقاته : كان جامعا عالما رفيعا فقيها ، حجة ، مأمونا ، عابدا ، ناسكا ، كثير العلم ، فصيحا ، جميلا ، وسيما ، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من

خلافة عمر بن الخطاب (٢١ هـ) ونشأ فى وادى القرى واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية ، ثم استقر فى البصرة . ولما سئل نفر من المشهود لهم بالفضل ، أمثال ابن سيرين والشعبى عن استخلاف يزيد ، لم يجرؤ واحد منهم على الإدلاء برأيه ، أما الحسن فقد جهر بمخالفته لذلك . وقد عظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف فى الحق لومة لائم. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه . قال أبو عمرو ابن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج ابن يوسف الثقفى، فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ، وقال الإمام الغزالى : « كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء ، وأقربهم هديا من الصحابة ، وكان غاية فى الفصاحة ، تتصبب الحكمة من فيه » . أخباره كثيرة ، وله كلمات سائرة . توفى بالبصرة فى مستهل رجب سنة ١١٠ هـ .

(كتاب الوفيات / ١٠٩ ، ١١٠) .

قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشى ، عن أبى موسى الأشعرى ، وعلى أبى العالية ، عن أُبى بن كعب ، وزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب . وروى عنه أبو عمرو بن العلاء ، وسلام الطويل ، وعاصم الجحدرى، وعيسى الثقفى وغيرهم . قال فيه الإمام الشافعى : لو أشاء أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته ، ومناقبه فى الزهد والورع أكثر من أن تحصر (القراءات الشاذة / ١٣ ، ١٤) .

وننقل لك فيما يلى عظة بالغة للإمام حسن البصرى هى الشاهد على فصاحته التى وصفه بها كل من أبى عمرو بن العلاء، والإمام الغزالى ، والإمام الشافعى، وهو ما أوردناه آنفا ، كما أنها شاهد على زهده وورعه ، والله تعالى يقول : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات : ٥٥] .

قال الإمام الحسن البصرى :

يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . يا ابن آدم، إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه ، الثواء ههنا قليل، والبقاء هناك طويل . أمتكم آخر الأمم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون ؟ المعاينة ؟ فكأن قد . هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها ، وبقيت الأعمال قلائد فى أعناق بنى آدم فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبى بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم . من رأى محمدا ﷺ فقد رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه . فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء، علام تعرجون ، أتيتم ورب الكعبة . قد أسرع بخياركم وانتم كل يوم ترذلون ، فماذا تنتظرون ؟ إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا ﷺ على علم منه ، اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منها قوتا وبلغة، ثم قال ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] فرغب أقوام عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له ربه ، فأبعدهم الله وسحقهم .

يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك ؟ واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . رحم الله رجلا نظر فتفكر، وتفكر فاعتبر، وأبصر فصبر ، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا ؟ فذهب الجزع بقلوبهم ، ولم يدركوا ما طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكر قوله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾[الإسراء : ١٣ ، ١٤] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ، خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ، فليس الصفو ما عاد كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا . دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم ، ظهر الجفاء، وقلت العلماء وعفت السنة ، وشاعت البدعة ، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين ، وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواما كانوا لحسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ،

وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها ، مالى أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسا؟ ذهب الناس وبقى النسناس، لو تكاشفتم ما تدافنتم ، تهاديتم الأطباق، ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله امرءا أهدى إلينا مساوينا . أعدوا الجواب فإنكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ، ولكنه أخذه من قبل ربه، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ، ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، الإيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى، ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

وكان إذا قرأ ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قال : عم ألهاكم ؟ عن دار الخلود، وجنة لا تبيد، هذا ، والله فضح القوم ، وهتك الستر وأبدى العوار، تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفا ، وتمنع فى حق الله درهما ؟ ستعلم يا لكع . الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد لجمه الخوف ، وقومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف ، وشرده الخوف، فأذعن بالجزية ، وسمح بالضريبة وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون. فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ، قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته ؟

وكان يقول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب، وراجع من قريب ، رحم الله رجلا واعظ أخاه وأهله فقال : يا أهلى ، صلاتكم صلاتكم ، زكاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، إخوانكم إخوانكم ، مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم . فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ [مريم : ٥٥] يا ابن آدم ، كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك ؟ وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس ؟

وكان يقول : لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد فى نفسه عيبا آخر ينبغى له أن يصلحه . فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه .

وكان يقول : رحم الله عبدا كسب طيبا، وأنفق قصدا، وقدم فضلا ، وجهوا هذا الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ، ويؤثرون بالفضل . ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا ، فإياكم وهذه السبل المتفرقة التى جماعها الضلالة ، وميعادها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل ، فقيام على أطرافهم ، يفترشون خدودهم ، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سرتهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن آدم ، إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك ، وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئا من الحق رياء ، ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها . وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة فى علمهم ، فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم ، وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يوارى عنى غناه، ويبدى لى فقره، ويغلق دونى بابه ، ويمنعنى ما عنده ، وأدع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، مؤمن مهتم ، وعلج أغتم ، وأعرابى لا فقه له ، ومنافق مكذب ، ودنياوى

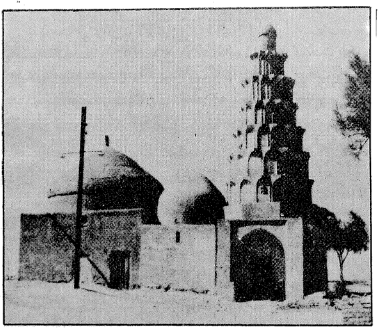
متـرف . نعق بهم ناعـق فاتبعـوه ، فـراش نار، وذبـان طمع . والذى نفس الحسن بيـده ما أصبح فى هـذه القريـة مؤمن إلا أصبح مهموما رزينا ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس مـا داموا فى عـافية مستـورون ، فإذا نـزل بهم بلاء صـاروا إلى حقائقهم : فصار المـؤمن إلى إيمانه ، والمنافـق إلى نفاقه . أى قوم ، إن نعمـة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسـارعوا إلى ربكم فإنـه ليس لمؤمن راحـة دون الجنة ، ولا يـزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه .

وقال الحسن فى يوم فطـر ، وقد رأى الناس وهيآتهم : إن الله تبارك وتعـالى جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقـون فيه بطاعتـه إلى مرضاتـه ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخـرون فخابوا ، فـالعجب من الضاحك الـلاعب فى اليـــوم الـــذى يفـــوز فيـــه المحسنـــون، ويخســـر فيـــه المبطلـون. أما والله لـو إن كشف الغطـاء لشغل محسن بـإحسـانـه ومسىء بإســاءتـه ، عن تـرجيل شعر، أو تجديد ثوب (البيان والتبيين ٣/ ٤٥٠ـ٤٥٤) .

وقـــد تـــوفى الإمـــام الحسن البصرى بمـدينة البصـرة كما سبق القـــول ، وفيمـــا يلـى الـــوصف المعمـارى لمقبرتـه التى دفن بهـا والتى دعيت بـاسمـه . ومـا تـزال هذه المقبرة مستخدمة للدفن :

يقوم مرقد الحسن البصرى بمقبرة بلـدة الزبير فى محافظة البصرة .

يتألف الضريـح من أكثر من غرفـة يظهر أنها شيدت فى أوقـات مختلفـة وأهمهـا تلك التى تضم القبـر وتمثل طـراز المشـاهـد العـراقيـة فى النصف الثـانى من القـرن السـابع الهجرى، والنصف الثانى من القـرن الثالث عشر الميلادى . والغرفة مربعة الشكـل طول ضلعها ٣ أمتـار من الداخل ويقع مدخلها فى الضلع الشرقى ، ويتكون من باب مستطيل يتوسط الضلع يتقدمه بروز بنائى بعرض الضلع يتألف من عقد مدبب مطول مـؤطر بنطـاق أو حافـة شكلها مستطيل تبـرز قليلا عن مستوى العقـد . والبناء كلـه مشيد بـالطابـوق والجص ويعلو هذه الغـرفة رقبة مثمنـة تؤشر مـرحلة تحـويل المربع إلى دائرة لتجلس عليهـا القبـة . وتتـابع صفـوف من المقـرنصـات من الداخل والخـارج وخالية من الـزخارف سواء كـانت جصية أم منقوشة على الطابوق . وتنتهى صفوف المقرنصات أو الحنايا ذات العقود المدببة بشكل نجمة ثمانية تتربع عليها قاعدة رقبة طويلة نسبيا تنتهى برأس مقبب نصف كروى مدبب قليلا .



لوحة ٦٢ : مرقد الحسن البصرى

وقبة هذا البناء من الخارج ذات طابع مميز فهى تتألف من ستة صفوف من مقرنصات ذوات عقـود مدببة وبطون مسطحة وتبرز العقـود هنا إلى الإمام بميـلان [بميل] واضح نراه ولأول مرة فى تشكيلـة المقرنصات التى تختلف هنا عن نظـائرها فى قبة محمد الدرى وقبة زمـرد خاتون ففى هاتين التربتين جعلت الـرؤوس المدببـة المـائلة إلى الإمـام للجـدران الفاصلـة بين

مقرنصات كل صف من الصفوف لا للحنايا نفسها ، كما جعلت بطون مقرنصات القبتين منتفخة بخلاف مقرنصات قبة مرقد البصرى فهى شبه مستوية تقريبا (لوح ٦٢) ومرقد الحسن البصرى خال من الكتابات التذكارية التى قد تساعد فى تأشير تاريخ العمارة . وليس هناك إشارات تاريخية إلى من قام ببنائه وتاريخ ذلك اللهم إلا إشارة واحدة تفيد أن المرقد تهدم وأعيد بناؤه بعد أن دالت دولة العباسيين . وليس أمامنا من سبيل سوى فحص هيكله وعناصره المعمارية مما يرجع للوهلة الأولى أنه يرجع إلى الربع الثالث من القرن السابع الهجرى (الربع الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى) (العمارات العربية الإسلامية ٢ / ١١١ - ١١٤) .

له ترجمة فى : « وفيات الأعيان » ١ / ٣٥٤ - ٣٥٦ ، و« شذرات الذهب » ١ / ١٣٨ - ١٣٩ ، و « دائرة المعارف الإسلامية » ٧ / ٣٨١ - ٣٨٢ ، و « حلية الأولياء » ٢ / ١٣١ - ١٦٠ ، و « الفهرست » / ١٨٣ ، و « الحسن البصرى » لإحسان عباس ، و « ميزان الاعتدال » ١ / ٢٥٤ وما بعدها ، والأعلام ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ١٠٩ ، ١١٠ وهامش ١ للمحقق ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - الشيخ عبد الفتاح القاضى / ١٣ ، ١٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ - حققه وقدم له المحامى فوزى عطوى ٣ / ٤٥٠ - ٤٥٤ ، والعمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١١١ - ١١٤ . انظر أيضا .

« الإمام الحسن البصرى ونهجه فى النسخ والقراءات القرآنية » - د. محمد على الحسن . مجلة منار الإسلام . العدد الرابع ، السنة الرابعة عشرة غرة ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٨٨ م / ٦ - ١٣) .

*** أبو الحسن البكرى (٨٩٩ - ٩٥٢ هـ / ١٤٩٣ - ١٥٤٥ م) :**

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق ، أبو الحسن البكرى الصديقى (الأعلام ٧ / ٥٧) قال عنه على مبارك :

فى جانب يمين الداخل إلى دهليز قبة الشافعى مكان دفن فيه الشيخ أبو الحسن تاج العارفين البكرى شيخ الإسلام الفقيه المفسر المحدث الصوفى كان عظيم الشأن واضح البرهان أخذ العلوم عن جمع من الأعيان منهم شيخ الإسلام زكريا وبرهان الدين بن أبى شريف ودرس بالجامع الأزهر فى التفسير والتصوف . وله تصانيف كثيرة منها : تفاسير ثلاثة أصغر وأوسط وأكبر ، وشروح على المنهاج ثلاثة كذلك ، وشروح على الإرشاد ثلاثة كذلك ، وعدة متون فى الفقه ، وعدة رسائل فى التصوف وغير ذلك . توفى سنة نيف وعشرين وتسعمائة ذكره المناوى فى الطبقات . (الخطط التوفيقية ٥ / ٧٠)

وقال عنه الزركلى : مفسر ، متصوف ، مصرى ، من علماء الشافعية . مولده ووفاته بالقاهرة . كان يقيم عاما بمصر وعاما بمكة . من كتبه « تسهيل السبيل » فى تفسير القرآن ، ويسمى « تفسير البكرى » و « شرح العباب » للمزجّد ، فقه ، و « شرح منهاج النووى » و « تحفة واهب المواهب فى بيان المقامات والمراتب » مخطوط فى المكتبة العباسية بالبصرة ، تصوف ، و « الدرة المكللة فى فتح مكة المبجلة » نظم ، و « عقد الجواهر البهية » فى الصلاة على خير البرية ، و « إرشاد الزائرين لحبيب رب العالمين » وغيرها (الأعلام ٧ / ٥٧) .

وقد ذكره الإمام الشعرانى فى طبقاته من بين من أدركهم وحظى بصحبتهم من غير أن يقرأ عليهم شيئا وقال عنه :

الشيخ الفقيه الصوفى المحدث ، نادرة الزمان الشيخ أبو الحسن البكرى رضى الله عنه ، أخذ العلوم عن جماعة من مشايخ الإسلام ، والتصوف عن الشيخ رضى الدين الغزى ، وتبحر فى علوم الشريعة من تفسير وحديث ، وغير ذلك .

وكان رضى الله عنه إذا تكلم فى علم منها كأنه بحر زاخر ، لا يكاد السامع يتحصل من كلامه على شيء ينقله عنه لوسعه إلا إن كتبه فى قرطاس وأخبرنى بلفظه ونحن بالمطاف أنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق ، وقال : أنا أكتم ذلك عن الأقران خوفا من الفتنة ، وسبب ذلك كما وقع للجلال السيوطى رحمه الله تعالى ، هذا لفظه .

وكانت مدة اشتغاله على الأشياخ مدة سنتين ، ثم جاءه الفتح من الله تعالى واشتغل بالتأليف ، ولم يزل على ذلك إلى

أن مات ، وهو أول من حج فى محفة ثم تبعه الناس ، وقد عاشرته من حين كان بلا لحية ، فما رأيت عليه شيئا يشينه فى دينه ، بل تربى فى نزاهة وعفة وطاعة وعزة نفس على أهل الدنيا ، لم يزل قط فى تحصيل معاشه لغيره ، بل كانت الدنيا تأتيه وهى راغمة ، وذلك كمال على كمال .

وحججت معه مرة فما رأيت أوسع أخلاقا منه ، ولا أكثر صدقة فى السر والعلانية ، فكان لا يعطى أحدا شيئا نهارا إلا نادرا ، وأكثر صدقته ليلا ، وكان له الإقبال العظيم عند الخاص والعام فى مصر والحجاز وشاع ذكره فى أقطار الأرض كالشام والروم واليمن والتكرور والمغرب مع صغر سنه رضى الله تعالى عنه .

وكانت له كرامات كثيرة وخوارق وكشوفات فما قاله أو وعده لا يخطئ وترجمه الناس بالقطبية العظمى .

وكان له النظم الشائع فى علم التوحيد ، وأطلعنى مرة على تائية عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخوله فى طريق القوم ، ثم غسلها وقال : إن أهل زماننا لا يحتملون سماعها ، لقلة صدقهم فى طلب الطريق ، وأوصافه الحسنة تضيق عنها الدفاتر (الطبقات الصغرى / ٧٨ ، ٧٩) .

ومن شعر الشيخ أبى الحسن ، وهى قصيدة مشهورة :

بوجودكم تتجمل الأوقات
وبجودكم تتنزل الأقوات

وبسركم تطوى الركائب سيرها
وبنشركم تتعطر النسمات

وبذكركم تطوى أحاديث العلى
وبفضلكم تتلى لنا الآيات

وبشكركم تتحدث الركبان والبـ
ـلدان والعمران والفلوات

وبرسمكم ينشا السحاب وباسمكم
يمحى العقاب وتغفر الزلات

أنتم معانى الكائنات فأينما
أنتم حللتم حلت البركات

لله ما أحلى قديم حديثكم
ذاك الذى هو للقلوب حياة

تحيى قلوب العارفين بذكركم
والجاهلون قلوبهم أموات

غنى الزمان بذكركم متهللا
فرحا فكل جهاته نغمات

طرب الوجود على لذيذ سماعكم
فكأنما نسماته نايات

رقت معانيكم فحار أولو النهى
واستعجمت برموزها الكلمات

وبدا سناء صباحكم فقلوبنا
كزجاجة وصدورنا المشكاة

وقع النداء لنا ألست بربكم
قلنا بلى وأجابت الذرّات

شهد الشهود وأثبت القاضى على
إشهادكم وتسجل الإثبات

وعلى قديم العهد نحن إلى اللقا
هيهات أن تتحول الحالات

جعل التعاون بيننا من ذلك الـ
ـعهد القديم وضمننا الميقات

ما فى الحمى إلا محب جمالكم
حتى حمام الأيك والأثلات

إن كان للأيام أعياد الهنا
أنتم لنا الأعياد والجمعات

فكلامكم من معدن الوحى الذى
ظهرت على إثباته الآيات

واها على أحوال قوم أعرضوا
عن بابكم كم فاتهم خيرات

وحياتكم من فاته من أنسكم
وقت فكل العمر منه فوات

ومن احتمى يوما بغير حماكم
حلت به الآفات والهلكات
لفقيدكم تجرى الكنوز من الثرى
وبعبدكم تتضامن السادات
يا نائمين تيقظوا من نومكم
لم يبق من قرب الحبيب سبات
يا معرضين عن الكريم تعرضوا
فلربكم فى دهركم نفحات
خلُّوا الغرور فكل شيء هالك
لا شك إلا الله والطاعات
أين الجبابرة الفراعنة التى
ضاقت لعظم جيوشها الفلوات
أين الملوك السالفون ومدحهم
أين البنود السود والرايات
بل أين ذو القرنين من دانت له
الآفاق والبلدان والظلمات
أين المعارف أين إخوان الصفا
والأخوة الأنساب والأخوات
جز فى ديارهم وسائل عنهم
يخبرك أنهم جميعا ماتوا
لله كم تحت الثرى من أمَّة
راحت وملء فؤادها حسرات
كانوا وكانت فى الحمى أوقاتهم
ماتوا وماتت معهم الأوقات
يبكى الزمان عليهم متأسفا
وتفيض من أجفانه العبرات
بالأمس كانوا فى المنازل كلهم
واليوم هم تحت التراب رفات
ثم الصلاة على النبى وآله
ما دامت الأزمان والساعات

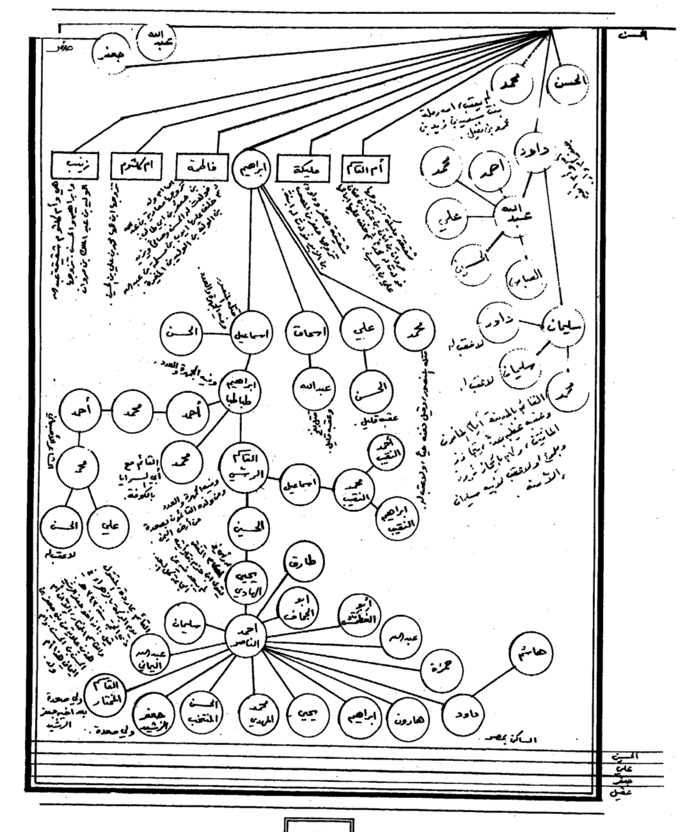
قال الشيخ نجم الدين الغزى :

قرأت بخط الشيخ المحدث العلامة نجم الدين الغيطى المصرى وأخبرنا عنه شيخنا العلامة نور الدين محمود البيلونى الحلبى إجازة أن الشيخ أبا الحسن البكرى توفى فى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وكانت جنازته مشهورة ودفن بجوار الإمام الشافعى (الكواكب السائرة ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧) .

(الأعلام للزركلى ٧ / ٥٧ ، والخطط التوفيقية الجديدة - إعداد متولى خليل عوض الله ٥ / ٧٠ ، والطبقات الصغرى للإمام أبى المواهب عبد الوهاب الشعرانى - تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٧٨ ، ٧٩ ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى - حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٢ / ١٩٦ ، ١٩٧) .

* الحسن بن الحسن (— ٩٧ هـ) :

هو الإمام الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنه وعنهم وهو المثنى كان جليلا مهابا فاضلا ورعا زاهدا وكان يلى صدقات أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالمدينة . يحكى أنهساير الحجاج بالمدينة والحجاج إذ ذاك أميرها فقال له الحجاج : يا حسن أدخل معك عمك فى النظر على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك . فقال له الحسن : لا أغير شرطا شرطه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ولا أدخل فى صدقاته من لم يدخله . فقال الحجاج أنا أدخله معك قهرا. فأمسك الحسن عنه ثم ما كان إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصدا عبد الملك بن مروان . فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحيى ابن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال له . ما جاء بك فأخبره بخبره مع الحجاج فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم أدخل أنت وتكلم واذكر قصتك فسترى ما أفعل معك وينفعك الله به عنده . فدخل يحى ابن أم الحكم ثم دخل الحسن بن الحسن فلما جلس رحب به عبد الملك وأحسن مسائلته وكان الحسن قد أسرع إليه المشيب . فقال له ابن مروان قد أسرع بك المشيب يا أبا محمد فبدر يحيى بن أم الحكم وقال وما يمنعه يا أمير المؤمنين شيبته أمانى أهل العراق يقود إليه الركب بعد الركب فى كل سنة يمنونه الخلافة ، فقال له الحسن بئس الله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت


الحسن
الحسن
محمد
عبد الله
جعفر
زينب
ام كلثوم
فاطمة
ابراهيم
مليكة
أم القاسم
داود
أحمد
محمد
عبد الله
علي
العباس
سليمان
داود
سليمان
محمد
اسماعيل
الحسن
اسحاق
علي
محمد
ابراهيم طباطبا
عبدالله
الحسن
أحمد
محمد
أحمد
محمد
علي
الحسن
محمد
القاسم الرسي
اسماعيل
محمد النقيب
أحمد النقيب
ابراهيم النقيب
الحسين
يحيى الهادي
طارق
أحمد الناصر
سليمان
عبدالله
حمزة
هاشم
داود
هارون
ابراهيم
يحيى
محمد المهدي
الحسن المنتخب
جعفر الرشيد
القاسم المختار
الحسن
علي
جعفر
عقيل

ولكنا أهل بيت يسرع إلينا المشيب وعبد الملك يسمع كلامه فأقبل عبد الملك على الحسن وقال له : لا عليك هلم حاجتك يا أبا محمد . فأخبره بقول الحجاج له فقال عبد الملك ليس ذلك له وكتب للحجاج كتابا يهدده فيه ويمنعه من ذلك ، ووصل الحسن بأحسن صلة وأجازه بأحسن جائزة وقابله بأحسن مقابلة وجهزه راجعا إلى المدينة على أحسن حال . وبعد أن خرج الحسن من عنده قصد يحيى بن أم الحكم إلى منزله فقال له كيف رأيت ما فعلت معك . قال والله إني عاتب عليك فيما فعلت ... فقال إنها لك والله ما ألوتك نفعا ولا ذخرت عنك جهدا . ولولا كلمتى هذه ما هابك ولا قضى لك حاجة واحدة فاعرف لى ذلك .

ويروى أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة فقال اختر يا بنى إحداهما فتردد فقال له الحسين رضى الله عنه قد اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أكثرهم شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فتزوجها منه ، وحضر الحسن بن الحسن مع عمه رضى الله عنه بطف بكر بلاء فلما قتل عمه الحسين رضى الله عنه وأسر الباقون من أهله وأسر من جملتهم الحسن بن الحسن جاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأيدى وقال والله لا يوصل إليه أذى ، مات الحسن بن الحسن رضى الله عنه وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد حى وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم ابن محمد . ولما مات الحسن رضى الله عنه ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين فسطاطا على قبره وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت رضى الله عنها تشبه حور العين لجمالها فلما انتهى العام قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوّضوه سمعت قائلا يقول هل وجدوا ما فقدوا فأجابه الآخر بل يئسوا من وجوده فانصرفوا . وقبض الحسن بن الحسن رضى الله عنهما ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع (منهل الصفا / ٧٨ ـ ٨٠ ـ ونور الابصار / ١٢٤ , ١٢٥)

قال صاحب الرياض المستطابة : مات المثنى (وهو الحسن بن الحسن) سنة سبع وتسعين وله بضع وخمسون سنه ، وله من الولد ستة محمد وعبد الله وإبراهيم وحسن وجعفر وداود ، ومن الإناث خمس زينب وأم كلثوم وفاطمة ومليكة وأم القاسم (الرياض المستطابة / ٢٩٠) .

وقال الشيخ سيد الشبلنجى رحمه الله : وأعقب الحسن ابن الحسن خمسة رجال : عبد الله المحض ، وإبراهيم القمر ، والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، وداود ، وجعفر وأمهما أم ولد تدعى حبيبة ، كذا فى بحر الأنساب (نور الأبصار / ١٢٥) .

(نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجى / ١٢٤ ، ١٢٥ ومنهل الصفا ـ السيد محمود أبو الفيض المتوفى / ٧٨ ـ ٨٠ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٢٩٠) .

ملاحظة : صورة التشخير المصاحبة لهذه المادة مأخوذة من كتاب « قلائد الذهب فى جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ـ تقديم وتعليق وتشجير كامل سلمان الجبورى / ٣٧ .

*** الحسن بن حى :**

انظر : ابن حى .

*** الحسن بن الخطير (— ٥٩٨ هـ) :**

ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه :

الحسن بن الخطير أبو على النعمانى الفارسى . كان فقيها حنفيا عالما بالتفسير والحساب والهيئة والطب ، مبرزا فى النحو واللغة والعروض والأدب والتاريخ ، ألف تفسيرا ، وشرح الجمع بين الصحيحين للحميدى ، وكتابا فى اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار . أقام بالقاهرة مدة يدرس إلى أن مات بها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وكان يقول : قد انتحلت مذهب أبى حنيفة ، وأنتصر له فيما وافق اجتهادى .

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٣١٤) .

*** الحسن بن زياد :**

انظر : اللؤلؤى .

*** الحسن بن زيد (٨٣ ـ ١٦٨ هـ / ٧٠٢ ـ ٧٨٤ م):**

الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أبو محمد ، أمير المدينة ووالد السيدة نفيسة . كان من الأشراف النابهين ، شيخ بنى هاشم فى زمانه . استعمله المنصور على

المدينة خمس سنين ، ثم عزله . وخافه على نفسه فحبسه ببغداد . فلما ولى المهدى أخرجه ، واستبقاه معه . مولده فى المدينة ووفاته بالحاجر (على خمسة أميال منها) فى طريقه إلى الحج مع المهدى .

(الأعلام ٢ / ١٩١) .

*** الحسن بن سوار :**

أدرجه ظهير الدين البيهقى فى الحكماء .

وفى طبقات الأطباء : الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام ، وفى تاريخ الحكماء : الحسن بن سوار بن بابا بهرام ، وكذلك ورد نسبه فى ابن نديم . وأورده ظهير الدين البيهقى تحت عنوان « الحكيم أبو الخير الحسن بن بابا بن سوار بن بهنام وقال عنه :

كان بغدادى المولد وقد حمل إلى خوارزم ثم لما استولى السلطان محمود بن سبكتكين على خوارزم حمله إلى غزنة ، وعرض عليه الإسلام فأبى ، وعمره جاوز المائة .

فمر يوما بمكتب فيه معلم حسن الصوت يقرأ سورة ﴿الٓمٓ * أحسب الناس﴾ [العنكبوت : ١ ، ٢] فوقف وبكى ساعة ومر ، فرأى فى هذه الليلة فى منامه النبى عليه السلام وهو يقول له : يا أبا الخير مثلك مع كمال علمك يقبح أن تنكر نبوتى . فأسلم أبو الخير فى منامه على يد رسول اللهﷺ .

فلما انتبه من منامه أظهر الإسلام ، وتعلم الفقه على كبر سنه ، وحفظ القرآن ، وحسن إسلامه .

وقد حكم له أبو الريحان المنجم بنكبة قاطعة ، فدعاه السلطان محمود يوما ، لعارض عرض له ، وبعث إليه مركوبه ، فمر على سوق الخفافين فنفرت دابته ، وأهلكت أبا الخير . وتمام قصته وقصة ابنه أبى على بن أبى الخير مذكور فى تاريخ آل سبكتكين . وقد صنف ذلك التاريخ أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى الكاتب .

وقال أبو على بن سينا فى بعض كتبه : فأما أبو الخير فليس من عداد هؤلاء ولعل الله يرزقنا لقاءه فيكون إما إفادة وإما استفادة .

وبعض الناسخين يكتب فأما أبو نصر وهذا غلط عظيم ، لأن أبا نصر الفارابى مات قبل ولادة أبى على بثلاثين سنة .

وقد أفرد السلطان محمود للحكيم أبى الخير ناحية يقال ناحية خمار ، ونسب أبو الخير إلى تلك الناحية . ، وقيل له أبو الخير خمار ، تمييزا بينه وبين أبى الخير صاحب البريد بقصدار (ناحية مشهورة قرب غزنة وقد وردت كثيرا فى تاريخ العتبى) وقد سها من قال هو أبو الخير الخمار .

وله تصانيف كثيرة فى أجزاء العلوم الحكمية ورأيت له (رسالة) إلى الوزير الأمين أبى سعيد فيها كلمات نافعة شافية .

وقيل لأبى الخير بقراط الثانى وحق له ذلك فإن النبى عليه السلام سماه فى منامه عالما .

وسئل أبو الخير حين كان نصرانيا عما يأكل ويشرب كل يوم فقال : المدققة والمرققة والملبقة والمروقة .

وله تصانيف لطيفة فى تدبير المشايخ عجيب جدا .

ومما نقل عنه : أحسن القول ما وافق الحق .

من طلب ما فى أيدى الناس حقروه ومن صنع خيرا أو شرا فبنفسه ابتدأ .

المتمسك بالغرور كالمقتبس من ضوء البرق الخاطف .

(تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى - عنى بتحقيقه ونشره محمد كرد على / ٢٦-٢٨) .

*** أبو الحسن بن الصائغ الدينورى (- ٣٣٠ هـ) :**

من الطبقة الثالثة للصوفية وهو أبو الحسن على بن محمد ابن سهل بن الصائغ الدينورى ، كان من كبار المشايخ . أقام بمصر ومات بها .

قال السلمى :

سمعت أبا عثمان المغربى يقول : « لم أر فيمن رأيت من المشايخ أنور من أبى يعقوب النهرجورى ، ولا أكبر همة من أبى الحسن بن الصائغ الدينورى .

سألت الشيخ أبا عثمان : هل كان أبو الحسن من السالكين ؟ فقال : « كان من العاملين المخلصين فى المعاملة » .

توفى بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

سئل عن صفة المريد ، فقال : صفته ما قال الله عز وجل : ﴿ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ [التوبة : ١١٨] .

من توالت عليه هموم الدنيا فليذكر هما لا يزول ، ليستريح منها .

وسئل : ما الذى يجب على الإخوان إذا اجتمعوا ؟ فقال : التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر . قال الله تعالى : ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ٣] .

ينبغى للمريد أن يترك الدنيا مرتين : يتركها مرة بنضارتها ونعيمها ، وألوان مطاعمها ومشاربها ، وجميع ما فيها . ثم إذا عرف بترك الدنيا ويبجل ويكرم بها ، فينبغى أن يستر إذ ذاك حاله بالإقبال على أهلها ، لئلا يكون ذكره فى ترك الدنيا ذنبا هو أعظم من الإقبال على الدنيا وطلبها ، أو فتنة أعظم منها .

من فساد الطبع التمنى والأمل .

كان بعض مشايخنا يقول من تعرض لمحبته جاءته المحن والبلايا بالأوقار (أى الأحمال الثقيلة) .

محبتك لنفسك هى التى تهلكها .

وسئل : ما المعرفة ؟ فقال : رؤية المنة فى كل الأحوال ، والعجز عن أداء شكر النعم من كل الوجوه ، والتبرى من الحول والقوة فى كل شىء .

الأحوال كالبروق ، فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملاءمة الطبع .

وسئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، فقال : كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين ، وهو ذو مثل ، على صفات من لا يشاهد الدنيا ، ولا يعاين ، ولا مثل له ولا نظير !؟ (طبقات الصوفية ـ/ ٧٥ ، ٧٦) .

وقد ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٣١ هـ وقال عنه :

أبو الحسن على بن محمد بن سهل الدينورى الصائغ الزاهد .

قال فى العبر : (٢ / ٢٢٧) أحد المشايخ الكبار ، توفى بمصر فى رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ومن كلامه : من أيقن أنه لفترة فما له يبخل بنفسه .

قال ابن كثير : ومن كراماته أن رئى يصلى بالصحراء فى شدة الحر، ونسر قد نشر جناحيه يظله من الحر .

وحكى صاحب المرآة أنه أنكر على تكين أمير مصر شيئا ـ وكان تكين ظالما ـ فسيره تكين إلى القدس ، فلما وصل القدس ، قال : كأنى بالبائس ـ يعنى تكين ـ وقد جىء به فى تابوت إلى هنا ، فإذا دنى من الباب عثر البغل ووقع التابوت، فبال عليه البغل . فلم نلبث إلا مدة يسيرة ، وإذا بقائل يقول : قد وصل تكين ، وهو ميت فى تابوت ، فلما وصل إلى الباب عثر البغل فى المكان الذى أشار إليه الدينورى ، فوقع التابوت وغفل عنه المكارى ، فبال عليه البغل ، وخرج الدينورى ، فقال للتابوت : جئت بالبائس إلى المكان الذى نفانا إليه ! ثم ركب الدينورى ، وعاد إلى مصر ، فمات بها ، ودفن بالقرافة (حسن المحاضرة ١ / ٥١٣ ، ٩٤) .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧٥ ، ٧٦ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥١٣ ، ٥١٤) .

*** الحسن بن الصباح (٤٢٨ ـ ٥١٨ هـ / ١٠٣٧ ـ ١١٢٤ م) :**

أدرجه الزركلى تحت عنوان « ابن الصباح الإسماعيلى » وقال عنه :

الحسن بن الصباح بن على الإسماعيلى : داهية شجاع ، عالم بالهندسة والحساب والنجوم . قيل إنه يمانى الأصل ، من حمير مولده فى مرو. تتلمذ لأحمد بن عطاش (من أعيان الباطنية فى عهد ملكشاه السلجوقى) ثم كان مقدم الإسماعيلية بأصبهان ، ورحل منها ، وطاف البلاد فدخل مصر وأكرمه المستنصر الفاطمى وأعطاه مالا وأمره بأن يدعو الناس إلى إمامته . فعاد إلى الشام والجزيره وديار بكر والروم، ورجع إلى خراسان ، ودخل كاشغر وما وراء النهر ، داعيا إلى المستنصر . ثم استولى على قلعة ألموت (Alamout من نواحى قزوين) وطرد صاحبها (سنة ٤٨٣ هـ) وضم إليها عدة

قلاع ، واستقر إلى أن توفى فيها . قال الذهبى فيه : «صاحب الدعوة النزارية ، وجد أصحاب قلعة ألموت . كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم » وفى تاريخ العراق : الإسماعيلية أصحاب حسن الصباح تدعى نحلتهم بالنزارية ، ومن بقاياهم اليوم ـ فى عصرنا الحاضر ـ الأغاخانية فى الهند ، ومن كتبهم المعروفة « روضة التسليم » و « مطيع المؤمنين » و « الهداية الآمرية » و « حقيقة الدين » و « الفلك الدوار » أقول: يسمى الأوربيون أصحاب « الحسن » هذا «أسَّاسَّان» Assassins ويذكرون أنهم فرقة من الإسماعيلية برزت فى الحروب الصليبية ، بقيادة الحسن بن الصباح ، فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (أواخر الخامس للهجرة) وأن كلمة « أساسان » أصلها « حشاشون » وفى كتابهم من يطلق هذا الاسم على الإسماعيليين جميعا . (الأعلام ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤) .

قيل إن الحسن أراد أن يكون أتباعه له طوع أمره فأغراهم بتدخين الحشيش ، ولما أفرطوا فى ذلك عرفوا بالحشاشين كما عرفوا بالفدائيين لاستهانتهم بالأخطار فى سبيل تنفيذ ما يعتزمون (تاريخ الفرق الإسلامية/ ٥٨) .

(الأعلام ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤ عن الكامل لابن الأثير حوادث ٤٩٤ وما بعدها وتاريخ العلويين / ٢٧٣ وميزان الاعتدال ١ / ٢٣٢ وابن الوردى ٢ / ١٣ ، وصبح الأعشى ١ / ١٢١ ، وتاريخ العراق / ٣ الملحق الثانى ٦ ، وتاريخ الفرق الإسلامية ـ أحمد مجاهد مصباح ومحمود محمد زيادة / ٥٨ .

انظر مادة الإسماعيلية فى م ٤ / ٦٠١ .

*** الحسن بن عبد الله الجذامى :**

من قضاة الأندلس . قال عنه النباهى :

وأما الحسن بن عبد الله الجذامى المالقى ، فهو أول قضاة الدولة العامرية بكورة رية ، حسبما حكاه ابن أبى الفياض ونقله غيره ـ وكان ـ رحمه الله ! ـ فقيها ، نبيها فطنا ، متفننا ، بصيرا بمذاهب العلماء ، نفاعا للفقهاء ، شديدا على أهل الأهواء ، رفيقا بالضعفاء ، سكن بقرطبة مع أبيه ، إذ كان له بها مال وأصهار، وتردد إليها . وصحب فيها ، أيام قراءته محمد بن أبى عامر وغيره من أهلها ، وأخذ عن أشياخها . وأصله من رية . من العرب الشأميين ، النازلين بها عند الفتح . واختص سلفه منهم بسكنى مالقة : وهى إحدى مدائن الكورة ؛ وحد عمالتها فى القديم ، من جهة الشرق، الحمة ، حيث الماء السخن العجيب الغريب ؛ ومن ناحية الغرب، حصن الورد ، المعروف الآن بمنت ميور، القريب من مربلة ؛ ومن جهة الجوف ، وادى شنيل ، حيث حصن بنى بشير ، والرنيسول ، ثم الأرض المعروفة بالخنوس، إلى قرية جلسيانة القريبة من استبة إلى حوز موورور قال القاضى أبو عبد الله بن عسكر ، صدر كتابه الذى وصف فيه مالقة : أما الاسم المنطلق على جميع الكورة فرية ؛ وأظنها اسما عجميا . «والرى » عندهم الملك ونحوه ؛ وبهذا الاسم توجد فى كتب الأعاجم . وكان ابن الحسن المتقدم الذكر من أصحاب المنصور ، الملازمين له فى أسفاره ، لم يختلف عنه فى غزواته إلى بلد ، مدة حياته ، معقودا له على جند بلده ، معظما فى قطره ، مرجوعا إلى نظره ؛ وكان كثير البدار إلى ملاقاة العدو بنفسه . وكان هجيراه عند القتال . قول رسول الله ﷺ : « لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا »

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير من رواية مسلم وأبى داود عن أبى هريرة وقال عنه : حديث صحيح .

واستشهد ـ رحمه الله ـ فى غزوة جربيرة المشهورة ، فى جملة من استشهد من المسلمين ؛ وكانوا نحو ثمانمائة فارس: قتل فيهم رؤساء العسكر ، مثل يحيى بن مطرف ، وقاسم بن منصور ، والكثير من وجوه الناس . ثم نصر الله جنده وعسكره؛ فحسن الظن وحقق الرجاء، ومنح عباده الظفر ، بعد اليأس منه ، قال أحمد بن سعيد : وذلك برأى رآه المنصور بن أبى عامر . وهو أن عهد وشدد فى نقل المحلة إلى ربوة مشرفة ، أشرف منها على جميع النصارى ؛ فلما رأى الناس شخصه فى أعلاها ، وعلموا مكانه ، رجحوا ظنونهم ، مع ما ألقى الله تعالى فى قلوب الروم من الرعب ، وأن المسلمين فى قوة ، والمدد يأتيهم ، والأجناد تتكافل عليهم ؛

فانهزموا وتفرقوا ؛ وتبعهم المسلمون نحو عشرة أميال واستولوا على محلتهم . وعند ذلك كتب المنصور كتابه المشهور إلى من فر عنه من جنود ، يو بخهم .

ومن فصوله ما نصه : « وكثيرا ما فرط من قولكم ، وسبق من عزمهم ، أنكم تجهلون قتال المعاقل والحصون ، وتشتاقون ملاقاة الرجال على العجول . فحين جاءكم شانجه بالأمنية ، وقاتلكم بالشرطية ، وظهرت لكم رعلة الطائفة النصرانية ، أنكرتم ما عرفتم ، ونفرتم ما ألفتم ، حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل ، وأجفلتم إجفال الرئال عن المقتنصين ! فألحقتم العار بأنفسكم ، بعد اختيارى لكم ؛ وطرقتم الشر على أعناقكم ، وضيعتم حرماتكم ، وأحضرتم ذمتكم ؛ فلا نعمتى رعيتم ، ولا تزيينى حفظتم ، ولا وجوهكم أبقيتم ، ولا غضب الله ورسوله اتقيتم ! فقد قال الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾ [الأنفال : ٤٥] وقال : ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾ [الأنفال : ١٦] ففيم ولم كان انحيازكم ؟ أشكا فى وعد ربكم ؟ أم خورا فى أصل طبعكم ؟ أم عجزا عن دفع باطلهم بحقكم ؟ ما كان إلا لسفه أحلامكم وسوء نظركم فى عاقبة أموركم ! يا أحلام الأطفال ، وأخلاق الرجال ! أنجوتم إلى دار الفناء ، التى لا تنقطع همومها ولا ترتفع غمومها ؟ وتركتم النزوع إلى دار البقاء ، التى لا ينصرم نعيمها لولا رجال من الله صدقوا ، فرفضوا عنكم العار بجلادهم وحرروا رقابكم من الذل بجهادهم ، وبذلوا فى الله ما بذلوه بحكم القرآن ، والرعاية لذمم الدين والسلطان ، لبرئت من جماعتكم ، وأوجبت المؤاخذة على كافتكم ، وخرجت الإمامة والأمة عن عهدتكم ، ونصحت المسلمين فى الاستبدال منكم بغيركم ! ولن أعدم من الله العلى العظيم عاجل نصر وحسن عقبى لعباده المخلصين ، وأوليائه المتقين ! فلا بد أن ينصر دينه بما شاء ﴿ **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ [التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩] .

وخلف القاضى بن الحسن بعد وفاته ، فى مكان يتولاه ، أخوه أحمد بن عبد الله بن الحسن . قال عياض ، وقد ذكره فى « مداركه » : سمع من قاسم بن أصبغ وغيره . واستقضى بكورة رية إلى أن توفى . وكان مشاورا . وكتب عنه فيما قيل . توفى فى آخر سنة ٣٩٢ .

(تاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبى الحسن بن عبد الله بن أبى الحسن النباهى المالقى الأندلسى / ٨٢ - ٨٤) .

*** الحسن بن عثمان الزيادى (١٦٠ - ٢٤٢ هـ / ٧٧٦ - ٨٥٨ م) :**

أجمل الكلام عليه صاحب الفهرست وذكر وفاته سنة ٢٤٣ هـ فقال : هو أبو حسان الحسن بن عثمان الزيادى ، يروى عن الهيثم بن عدى وغيره ، وكان قاضيا فاضلا أديبا ناسبا جوادا كريما يعمل الكتب وتعمل له . وكانت له خزانة حسنة كبيرة ، وأخذ عنه الناس ، ومات هو والحسن بن على ابن أبى الجعد فى وقت واحد سنة ثلاث وأربعين ومائتين وله سبع وثمانون سنة وأشهر . وله من الكتب كتاب معانى عروة ابن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأمهات (الفهرست / ١٦٠) .

وللدكتور المشهدانى بحث عن الحسن بن عثمان الزيادى ، حياته ومكانته العلمية ، ننقل لك بعضا منه فيما يلى .

موارد دراسة الحسن الزيادى .

لقد ترجم للحسن بن عثمان الزيادى عدد من المؤرخين ، وعلماء الجرح والتعديل ، ويتباين حجم تلك المعلومات التى تتحدث عن ترجمته بين الإسهاب والإطناب ، كما تتباين من ناحية نوعيتها خاصة وأنها وردت فى مصادر متنوعة متباينة ، فى زمن تدوينها أيضا .

ومن أقدم الذين ترجموا له ، ابن أبى حاتم الرازى (ت / ٣٢٧ هـ) وابن النديم (ت ، ٣٧٧ هـ) ، والتنوخى (ت ، ٣٨٤ هـ) والخطيب البغدادى (ت ، ٤٦٣ هـ) والسمعانى (ت ، ٥٦٢ هـ) وابن عساكر (ت ، ٥٧١ هـ) والحموى (ت ، ٦٢٦ هـ) وابن الأثير (ت ، ٦٣٠ هـ) وشمس الدين الذهبى (ت ، ٧٤٨ هـ) وابن كثير (ت ، ٧٧٤ هـ) وابن العماد الحنبلى (ت ، ١٠٨٩) وكتب عنه من المحدثين ، الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين .

اسمه ونسبه ، ولادته ووفاته :

هو أبو حسان الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان البغدادى ، القاضى وعرف بالزيادى لكون جده تزوج أم ولد كانت لزياد ابن أبيه وقال ابن عساكر : « وليس هو من سلالة زياد ابن أبيه ... » .

ولد أبو حسان الزيادى سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م ، وتوفى فى شهر رجب سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٨ م ، وبذلك عاش ٨٩ سنة وأشهرا (فى الفهرست ٨٧ سنة) .

شيوخه وتلاميذه :

روى الحسن بن عثمان الزيادى عن عدد من الشيوخ وبالأخص من الكوفة والبصرة ، ويبدو أنه زار الشام وذلك من خلال روايته عن عدد من المشايخ هناك وبالأخص فى مدينة (دمشق) .

ولقد أكد الحموى روايته بالشام عن عدد من المشايخ ، عندما قال : « سمع بدمشق عدة من شيوخه » .

أما أبرز شيوخه الذين روى عنهم فى الكوفة ، والبصرة ، وواسط ، والشام ، فيمكن عرضهم كما يأتى :

١ ـ أبوه عثمان الزيادى :

أكد ابن أبى حاتم روايته عنه .

٢ ـ أبو بكر بن أبى الدنيا .

أكد ابن أبى حاتم روايته عنه ، فى حين روى هو عن الحسن بن حماد الزيادى ، كما أكد ذلك الحموى ، والذهبى ، وابن كثير .

٣ ـ شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفى الكوفى الكاتب ، وهو مقبول ، وأكد الخطيب البغدادى ، والحموى ، والذهبى ، سماعه عنه .

٤ ـ هارون بن عمر الدمشقى ، أكد ياقوت الحموى روايته عنه .

٥ ـ محمد بن إسحاق بن بلال بن أبى الدرداء ، أكد الحموى روايته عنه .

٦ ـ عمر بن سعيد الكوفى (ت ، بعد ١٠٠) وهو ثقة ، وأكد الحموى روايته عنه .

٧ ـ معروف بن عبد الله الخياط أبو الخطاب الدمشقى (ت ، بعد ١٣٠) وهو ضعيف ، وأكد الحموى روايته عنه .

٨ ـ حماد بن زيد بن درهم الأزدى البصرى (ت ، ١٧٩) وهو ثقة ثبت وأكد الحموى ، وابن العماد الحنبلى سماعه عنه .

٩ ـ إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى الزرقى (ت ، ١٨٠) وهو ثقة ثبت ، وأكد الخطيب البغدادى ، والذهبى سماعه عنه .

١٠ ـ الوليد بن محمد الموقرى البلقاوى الشامى (ت ، ١٨٢) وهو ضعيف ، وأكد الحموى روايته عنه .

١١ ـ هشيم بن بشير الواسطى (ت ، ١٨٣) وهو ثقة ثبت ، وأكد الخطيب البغداد ، والحموى ، والذهبى سماعه عنه .

١٢ ـ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهرى المدنى نزيل بغداد (ت ، ١٨٥) وهو ثقة حجة ، وأكد الخطيب البغدادى ، والذهبى سماعه عنه .

١٣ ـ عباد بن العوام بن عمر الواسطى (ت ، ١٨٥) وهو ثقة وأكد الخطيب روايته عنه .

١٤ ـ جرير من عبد الحميد الضبى الكوفى (ت ١٨٨) وهو ثقة صحيح الكتاب ، وأكد الخطيب البغدادى ، والحموى ، والذهبى سماعه عنه .

١٥ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصرى المعروف بابن عُلَيَّة (ت ، ١٩٣) وهو ثقة حافظ ، وأكد الخطيب البغدادى سماعه عنه .

١٦ ـ الوليد بن مسلم الدمشقى (ت ، ١٩٥) وهو ثقة ، وأكد الخطيب البغدادى ، والذهبى ، وابن كثير روايته عنه ، فى حين أكد الحموى سماعه عنه بدمشق .

١٧ ـ سفيان بن عيينة الهلالى الكوفى (ت ، ١٩٨) وهو ثقة ، حافظ فقيه إمام حجة ، وأكد الحموى سماعه عنه .

١٨ ـ عمر بن عبد الواحد السلمى الدمشقى (ت ، ٢٠٠) وهو ثقة ، وأكد الحموى روايته عنه .

١٩ ـ سعيد بن زكريا القرشى المدائنى (ت ، ٢٠٠ هـ) وهو صدوق ، وأكد الخطيب البغدادى روايته عنه .

٢٠ ـ سليمان بن داود ، أبو داود الطيالسى البصرى (ت

٢٠٤) وهو ثقة حافظ ، وأكد الخطيب البغدادي ، والحموي روايته عنه .

٢١ ـ محمد بن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت، ٢٠٧) وهو ثقة في التاريخ، متروك في الحديث مع سعة علمه . وأكد الخطيب البغدادي، والذهبي، وابن كثير سماعه عنه، وقال الحموي عن الحسن بن عثمان الزيادي : « كان من أعيان أصحاب الواقدي » .

٢٢ ـ الهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت ، ٢٠٩) وهو ضعيف ، وأكد ابن النديم ، والحموي روايته عنه .

٢٣ ـ يحيى بن أبي زائدة الكوفي (ت، ٢٨٣) وهو ثقة متقن، وأكد الخطيب البغدادي ، والذهبي ، سماعه عنه .

٢٤ ـ معتمر بن سليمان التيمي البصري (ت، ٢٨٧) وهو ثقة، وأكد الخطيب البغداد روايته عنه .

٢٥ ـ شعيب بن إسحاق الدمشقي (ت ٢٨٩) وهو ثقة ، وأكد الخطيب والحموي روايته عنه .

٢٦ ـ وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي (ت، ٢٩٧) وهو ثقة حافظ عابد ، وأكد الخطيب البغدادي، والحموي ، وابن كثير، روايته عنه .

أما فيما يتعلق بتلاميذه، فلقد روى عنه عدد كبير من الرواة لعل من أبرزهم :

إسحاق بن الحسن الحربي، حيث أكد الخطيب، والذهبي، والحموي روايته عنه ، ومحمد بن محمد الباغندي، والذي أكد الخطيب البغدادي، والحموي ، والذهبي روايته عنه . ومن تلاميذه أحمد بن الحسين الصوفي الصغير، والذي أكد الخطيب، والذهبي روايته عنه ، وكذلك أبو محمد سليمان بن داود بن كثير، الذي أكد الخطيب والذهبي روايته عنه، وكذلك محمد بن يونس أبو العباس الكديمي، وأكد الخطيب، والحموي، والذهبي، روايته عنه، وكذلك علي بن عبد الله الفرغاني الحافظ، والذي أكد ابن كثير روايته عنه .

توثيقه :

لقد أشاد المؤرخون والعلماء بالحسن بن عثمان الزيادي، ولعل من أبرزهم التنوخي (ت، ٣٨٤ هـ) الذي أشاد به ، وبفقهه، وعلمه بالحديث، وقال عنه ابن النديم (ت، ٣٨٥ هـ) : « كان قاضيا فاضلا ... جوادا كريما ... » ويعد الخطيب البغدادي (ت، ٤٦٣ هـ) من أبرز الذين أشادوا بالحسن الزيادي، حيث قال عنه : « كان أحد العلماء الأفاضل ، ومن أهل المعرفة والثقة والأمانة ... وكان صالحا دينا فهما، وكانت له معرفة جيدة بأيام الناس ... وكان كريما واسعا مفضالا وقال ياقوت الحموي (ت، ٦٢٦ هـ) : « كان أديبا فاضلا نسابة إخباريا جوادا كريما سمحا ، وأشاد بعلمه الذهبي (ت، ٧٤٨هـ) . فقال : « الإمام العلامة الحافظ مؤرخ العصر » وقال أيضا : « وكان رئيسا محتشما جوادا ممدحا كبير الشأن»، وأضاف : « ... وكان ثقة إخباريا مصنفا كثير الاطلاع » وقال المؤرخ ابن كثير (ت، ٧٧٤ هـ) : « كان صالحا ديّنا ... » وأشاد به ابن العماد الحنبلي (ت، ١٠٨٩ هـ) فقال : « وكان إماما ثقة إخباريا مصنفا كثير الاطلاع » وأكد ابن العماد منزلته ومكانته العلمية عندما أشار إلى أن الإمام الشافعي نزل عليه ببغداد عند زيارته لها .

وبذلك يتبين لنا صدق الحسن بن عثمان الزيادي وثقته في ميدان الرواية التاريخية، وهذا مما يؤكد قيمة وأهمية الروايات التاريخية التي أوردها، ويؤكد كونه مصدرا مهما لعدد كبير من المؤرخين الذين اعتمدوا عليه في رواياتهم .

مؤلفاته :

كان الحسن بن عثمان الزيادي من بين المؤرخين الذين صنفوا عدة كتب، وبالأخص في حقل اختصاصهم، ولذلك قال عنه ابن النديم، والحموي: « وكان الزيادي يصنف الكتب ، ... وكانت له خزانة كتب حسنة كثيرة ، وله عدة كتب ... » وقال الخطيب البغدادي، وابن كثير: « ... قد عمل الكتب » ، أما الذهبي وابن العماد الحنبلي فقالا : «وكان ... مصنفا كثير الاطلاع » .

إن أبرز مؤلفاته كانت في ميدان التاريخ ، حيث كان له منهج خاص به ، قال الخطيب البغدادي » : « ... وكانت له معرفة بأيام الناس » وكان أبو حسان الزيادي يردد ما قاله حسان بن زيد ما نصه : « لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ سنة كم ولدت ؟ فإذا أقر بمولده عرفنا

صدقه من كذبه ! قال أبو حسان : فأخذت في التاريخ فأنا أعلمه من ستين سنة » .

ومن أبرز كتبه :

١ ـ له « تاريخ حسن » ذكره الخطيب البغدادي، وابن عساكر .

٢ ـ « التاريخ على السنين » ذكره الخطيب البغدادي، والسمعاني وابن كثير .

٣ ـ « المغازي » ذكره ابن النديم ، ولعله رواه عن شيخه الوليد بن مسلم الدمشقي (ت، ١٩٥ هـ) والذي تتلمذه عليه وسمع منه ، والذي كان له كتاب « المغازي » أيضا .

قالت المؤلفة : في نسختي من كتاب الفهرست ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت. لم يرد ذكر كتاب «المغازي» المشار إليه أعلاه .

٤ ـ « عروة بن الزبير » ذكره ابن النديم ، والحموي .

٥ ـ « الآباء والأمهات » ذكره ابن النديم ، والحموي .

٦ ـ « طبقات الشعراء » ذكره ابن النديم ، والحموي .

٧ ـ « ألقاب الشعراء » ذكره ابن النديم ، والحموي .

وبذلك يكون الحسن بن عثمان الزيادي قد ساهم من خلال كتبه بتقديم معلومات تاريخية من خلال اطلاعنا على مروياته في المصادر التاريخية العربية ، وبذلك قدم خدمة جليلة لمدرسة التاريخ العربي ، ولمحتواها الفكري والتاريخي .

(« الحسن بن عثمان » ١٩٦ ـ ١٩٩) .

(الفهرست لابن النديم / ١٦٠ ، و « الحسن بن عثمان الزيادي » ـ د. محمد جاسم حمادي المشهداني . مجلة المؤرخ العربي . تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب / ١٩٦ ـ ١٩٩) .

*** الحسن بن علي رضى الله عنه (٣ - ٥٠ هـ / ٦٢٤ - ٦٧٠ م) :**

الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين ، وآخرهم ، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية (الأعلام ٢ / ١٩٩) .

الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما تكرر ذكره هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين عليها السلام . ولد في المدينة المنورة في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة روى عن النبي صل الله عليه وآله وسلم أحاديث وروت عنه عائشة رضى الله عنها . وروى عنه جماعات من التابعين منهم ابنه الحسن بن الحسن وأبو الحواري بالحاء المهملة ربيعة بن سنان والشعبي وأبو وائل وابن سيرين وآخرون . توفي بالمدينة مسموما سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين . ودفن بالبقيع وقبره فيه مشهور صلى عليه سعيد بن العاصي .

وكان الحسن رضى الله عنه شبيها بالنبي ﷺ سماه النبي ﷺ الحسن وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعرة فضة وهو خامس أهل الكساء قال أبو أحمد العسكري سماه النبي ﷺ الحسن وكناه أبا محمد قال ولم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية ثم روى عن ابن الأعرابي عن المفضل قال إن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمي بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين . قال قلت له فالذين باليمن ؟ قال ذاك حسن بإسكان السين وحسن بفتح الحاء وكسر السين .

أرضعته أم الفضل امرأة العباس مع ابنها قثم بن العباس ونقلوا أن الحسن رضى الله عنه حج حجات ماشيا وقال إني أستحيي من الله تعالى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته . وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات فتصدق بنصفه حتى كان يتصدق بنعل ويمسك نعلا وخرج من ماله كله مرتين وكان حليما كريما ورعا دعاه ورعه وحلمه إلى أن ترك الدنيا والخلافة لله تعالى وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان رضى الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٨) .

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان، قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سمت العرب بهما في الجاهلية .

ولد الحسن رضى الله عنه في نصف رمضان سنة ثلاث من

الهجرة، وروى له عن النبى ﷺ أحاديث ، وروت عنه عائشة رضى الله عنها وخلائق من التابعين : منهم ابنه الحسن ، وأبو الحوراء ربيعة بن سنان ، والشعبى ، وأبو وائل ، وابن سيرين.

وكان شبيها بالنبى ﷺ، سماه النبى ﷺ الحسن ، وعق عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء .

قال أبو أحمد العسكرى : لم يكن هذا الاسم يعرف فى الجاهلية .

وقال المفضل : إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبى ﷺ ابنيه الحسن والحسين .

وأخرج البخارى عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على .

وأخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن على على عاتقه وهو يقول : « اللهم إنى أحبه فأحبه » .

وأخرج البخارى عن أبى بكرة قال : سمعت النبى ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « هما ريحانتاى من الدنيا » يعنى الحسن والحسين .

وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى، قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

وأخرج الترمذى عن أسامة بن زيد ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين على وركيه فقال : « هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وأخرج عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ : أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبى ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقيه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ! فقال رسول الله ﷺ : « ونعم الراكب هو » .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال : أشبه أهل النبى ﷺ به وأحبهم إليه الحسن بن على ، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال : ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وأخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله ﷺ يدلع لسانه للحسن بن على، فإذا رأى الصبى حمرة اللسان يهش إليه .

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال : قام الحسن بن على يخطب ، فقام رجل من أزد شنوأة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه فى حبوته وهو يقول : « من أحبنى فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب » ولولا كرامة رسول الله ﷺ ما حدثت به أحدا (تاريخ الخلفاء / ١٨٨ ، ١٨٩) .

وقال معاوية يوما وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم : أخبرونى بأكرم الناس أبا وأما وعما وعمة وخالا وخالة وجدا وجدة ، فقال مالك بن عجلان : وأومأ إلى الحسن بن على عليهما السلام ، فقال ها هو ذا، أبوه على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وجدته خديجة بنت خويلد وجده رسول الله ﷺ، وعمه جعفر الطيار فى الجنة وعمته أم هانئ بنت أبى طالب، فسكت القوم ونهض الحسن ، فقام رجل من بنى سهم وقال : أنت أمرت ابن عجلان على مقالته ، فقال ابن عجلان : ما قلت إلا حقا وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته ، بنو هاشم أنضركم عودا وأوراكم زندا كذلك يا معاوية ؟ فقال معاوية : اللهم نعم (محاضرة الأبرار ١ / ٣٩٠) .

وولى الخلافة بعد قتل أبيه على رضى الله عنه وكان قتل على لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وبايعه أكثر من أربعين ألفا كانوا بايعوا أباه وبقى نحو سبعة أشهر

خليفة بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ثم سار إليه معاوية من الشام وسار هو إلى معاوية ولما تقاربا (فى موضع يقال له « مسكن » بناحية من الأنبار ، علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرى فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة بعده وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان أيام أبيه وغير ذلك من القواعد فأجابه معاوية إلى ما طلب فاصطلحا على ذلك وظهرت المعجزة النبوية فى قوله ﷺ للحسن « أن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » قيل كان صلحهما لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . وقيل فى شهر ربيع الآخر وقيل فى نصف جمادى الأول من السنة المذكورة وكان وصى إلى أخيه الحسين رضى الله عنهما (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، والأعلام ٢ / ٢٠٠) وسمى هذا العام « عام الجماعة » لاجتماع كلمة المسلمين فيه (الأعلام ١ / ٢٠٠) .

روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن البراء قال « رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه » وفى صحيح البخارى عن أسامة « قال كان النبى ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول اللهم أنى أرحمهما فأرحمهما » وفى صحيح البخارى عن أبى بكرة قال « سمعت النبى ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال « لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن على رضى الله عنهما» وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى ﷺ « هما ريحانتاى من الدنيا » يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما . وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال أبو بكر رضى الله عنه « ارقبوا محمدًا فى أهل بيته » وفى صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ « وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب ثم قال « وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى » وعن أسامة بن زيد قال « طرقت النبى ﷺ ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شىء قلت ما هذا فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » رواه الترمذى وقال حديث حسن ومناقبه رضى الله عنه كثيرة مشهورة (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٩) .

كان الحسن رضى الله عنه سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة ، جوادا ممدوحا ، يكره الفتن والسيف ، وكان يجيز الرجال الواحد بمائة ألف (تاريخ الخلفاء / ١٩٠) ، وكان فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة (الأعلام ٢ / ١٩٩) .

أخرج ابن سعد على عليٍّ بن زيد بن جدعان قال : خرج الحسن من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إنه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا ، ويعطى خفا ويمسك خفا .

وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال : قيل للحسن بن على : إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ! أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له ، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء (تاريخ الخلفاء / ١٩٠ ، ١٩١) .

ومن كلام الإمام الحسن رضى الله عنه أنه سئل رضى الله عنه عن الصمت فقال ستر للعى وزين اللعقل وصيانه للعرض وفاعله فى راحة وجليسه فى أمن ولا أدب لمن لا عقل له ولا شدة لمن لا همة له ولا حياء لمن لا دين له . وقال رضى الله عنه هلاك الناس من ثلاث الكبر والحرص والحسد فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس والحرص هلاك النفس وبه أخرج آدم من الجنة والحسد رائد الشر وبه قتل قابيل أخاه هابيل . وقال رضى الله عنه دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يجود بنفسه فجزعت عليه فقال لى يا حسن لا تجزع فقلت يا أبى كيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة فقال يا بنى : احفظ عنى خصالا أربعا إن حفظتهن نلت بهن النجاة : « لا غنى أكثر من العقل ، ولا فقر مثل

الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألذ من حسن الخلق . واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكثر من مروءة الإعطاء وتمام البيعة خير من ابتدائها » .

ومن مكارمه رضى الله عنه :

أنه لما مات الحسن مسموما سأله أخوه الحسين ليخبره عن من فعل به هذا فلم يخبره وقال إن كان الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وإن كان غير ذلك فلا يؤخذ بى برىء وتوفى بالمدينة خامس ربيع الأول سنة خمسين ودفن بالبقيع ولما توفى رضى الله عنه ارتجت المدينة صياحا فلا تلقى إلا باكيا وقام أبو هريرة فى مسجد المصطفى ﷺ وبكى ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ وابنه فابكوه وعن أنس بن مالك قال شهدنا يوم مات الحسن ودفناه بالبقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان .

ولما حضرته الوفاة قال أخرجوا فراشى إلى الصحن فأخرجوه فقال اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنها أعز الأنفس على ثم قال للحسين ادفنونى عند أبى يعنى المصطفى ﷺ ولكن الناس سراع إلى الفتنة فإن خفتم فتنة فلا تسفكوا دما فادفنونى فى مقابر المسلمين . ثم قال للحسين : يا أخى إن آباك استشرف لهذا الأمر (الخلافة) فصرفه الله عنه وليها أبو بكر عمره كله ، فلما مات استشرف إليها فصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى لا تعدوه فصرفت عنه فوليها عثمان، ثم لما قتل بويع أبوك ثم توزع الأمر حتى جرد السيف فما صفت له . وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا آل البيت بين النبوة والخلافة فلا يستخفنك سفهاء الكوفة .

فلما توفى انتهى الحسين إلى قبر النبى ﷺ وقال احفروا ههنا فمنعه سعيد بن العاص فجعل عبد الله بن جعفر يقول للحسين يا ابن عم ألم تسمع إلى عهد أخيك أذكرك بالله أن لا تسفك الدماء وادفن أخاك إلى جنب أمه فإنه عهد إليك بذلك فأخذ الحسين بذلك وفعل وهو مجتهد مثاب وإلى الله المآب (منهل الصفا / ٦٢ ـ ٦٤) .

وحب رسول الله ﷺ للحسن والحسين معروف مشهور ومما يذكر أنه كان ﷺ حين يلاعبهما يطأطأ لهما فيركبان على ظهره، وفى ذلك يقول السيد الحميرى فى قصيدة طويلة مشهورة :

أتى حسنا وحسين الرسولُ ... وقد برزا ضحوةً يلعبان

وضَّمهُما ثم فداهما ... وكانا لديه بذاك المكان

وطأطأ تحتهما عاتقيه ... فنعم المطيةُ والراكبان

(راجع طبقات الشعراء / ٣٥) .

يقول الزركلى : مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . وولد له أحد عشر ابنا . وبنت واحدة (يأتى الكلام على أولاده فيما بعد) وإليه نسبة الحسنيين كافة ، وكان نقش خاتمه : « الله أكبر وبه أستعين » (الأعلام ٢ / ٢٠٠) ، وفى محاضرة الأبرار (١ / ١٣٤) : كان نقش خاتمة العزة لله عز وجل وحده » .

قالت المؤلفة : أوردنا فى مادة « الأختام الإسلامية » م ٣ / ٩٥ هذين النقشين ونقشا ثالثا هو « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » .

كاتبه عبد الله بن أبى رافع (محاضرة الأبرار ١ / ١٣٤) .

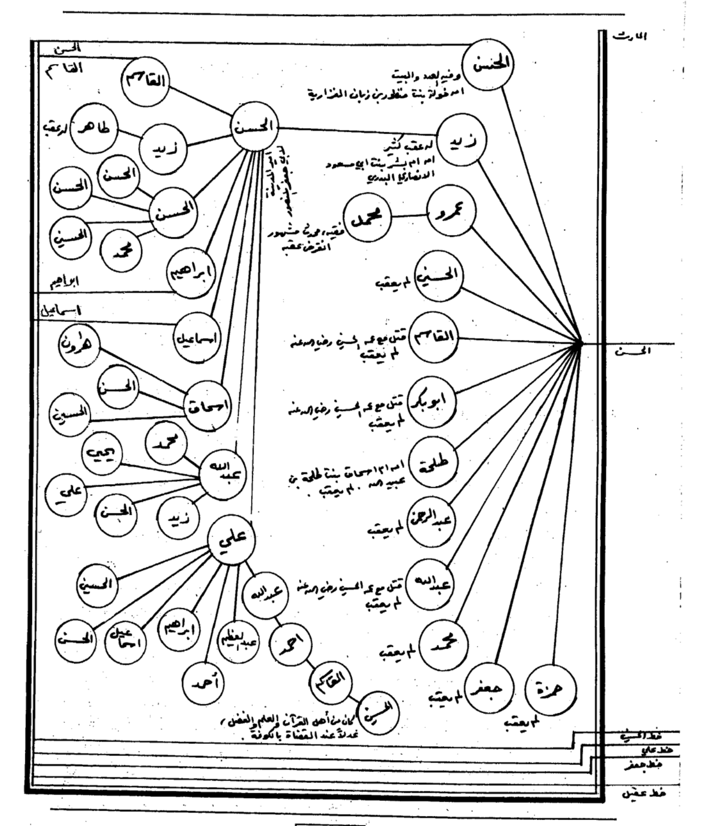
أما عن خلافة الحسن رضى الله عنه فقد جاء هذان البيتان فى قصيدة الإمام السيوطى الجامعة فى أسماء الخلفاء ووفياتهم ، فقال بعد ذكر مقتل على كرم الله وجهه :

ثم ابنه السبط نصف العام ثم أتى ... بنو أمية يبغون الوغى زمرا

فسلم الأمر فى إحدى ، لرغبته ... عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا

(تاريخ الخلفاء / ٥١٧) .

وأما عن أبناء الحسن رضى الله عنه فقد أحصاهم النسابة ابن عنبة ويوضحهم التشجير التالى لكامل سلمان الجبورى :


الحارث
الحسن
وفيه العدد والبيت
امه خولة بنت منظور بن زبان الفزارية
زيد
له عقب كثير
امه ام بشر بنت ابي مسعود الانصاري البدري
عمرو
محمد
فقيه، محدث مشهور
انقرض عقبه
الحسين
لم يعقب
القاسم
قتل مع عمه الحسين رضي الله عنه
لم يعقب
ابو بكر
قتل مع عمه الحسين رضي الله عنه
لم يعقب
طلحة
امه ام اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله . لم يعقب .
عبد الرحمن
لم يعقب
عبد الله
قتل مع عمه الحسين رضي الله عنه
لم يعقب
محمد
لم يعقب
جعفر
لم يعقب
حمزة
لم يعقب
الحسن
القاسم
زيد
طاهر
لا عقب
الحسن
الحسين
محمد
ابراهيم
اسماعيل
اسحاق
هارون
عبد الله
يحيى
علي
الحسن
زيد
علي
الحسين
الحسن
اسماعيل
ابراهيم
عبد العظيم
عبد الله
احمد
القاسم
الحسن
كان من أهل القرآن والعلم والفضل، عدلاً عند القضاة بالكوفة .
خط الحسين
خط علي
خط جعفر
خط عقيل

قال ابن عنبة :

وولد أبو محمد الحسن - فى رواية شيخ الشرف العبيدلى - ستة عشر ولدا منهم خمس بنات وأحد عشر ذكرا ، هم زيد والحسن المثنى والحسين وطلحة وإسماعيل وعبد الله وحمزة ويعقوب وعبد الرحمن وأبو بكر وعمر . وقال الموضح النسابة : عبد الله هو أبو بكر. وزاد و (القاسم) وهى زيادة صحيحة .

وأما البنات فهن أم الحسين (الخير) رملة ، وأم الحسن وفاطمة وأم سلمة وأم عبد الله [كذا] وزاد « الموضح » رقية فهن فى روايته ست بنات ، وجملة أولاده فى روايته سبعة عشر وقال أبو نصر البخارى : أولد الحسن بن على ثلاثة عشر ذكرا وست بنات . أعقب من ولد الحسن أربعة زيد، والحسن ، والحسين الأثرم ، وعمر إلا أن الحسين الأثرم وعمر انقرضا سريعا وبقى عقب الحسن من رجلين لا غير زيد والحسن المثنى فعقب الحسنين اثنا عشر سبطا ستة من ولد الحسن رضى الله عنه وستة من ولد الحسين رضى الله عنه وقد روى عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال : « سيكون من ولدى عدد نقباء بنى إسرائيل » ونظم ذلك بعض الشعراء فقال :

فموسى بلا عقب وأحمد معقب
وناهيك بالعقب الكرام الأعاظم

فستة أسباط الحسين ، وستة
من الحسن الهادى ؛ وكل لفاطم

(عمدة الطالب / ٦٨ ، ٦٩).

وقال الشيخ سيد الشبلنجى عن وفاته وأولاده :

توفى لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين وقيل تسع وأربعين وقيل غير ذلك من الهجرة وصلى عليه سعيد بن العاص فإنه كان واليا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد وكان عمره سبعا وأربعين سنة وكانت مدة خلافته منهم ستة أشهر وخمسة أيام وأما أولاده فقال ابن الخشاب أحد عشر ابنا وبنت واحدة وهم عبد الله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبد الله وعبد الرحمن وأحمد وإسماعيل والحسين وعقيل والبنت اسمها فاطمة وكنيتها أم الحسن وهى أم محمد الباقر بن على وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان فى الإرشاد أولاد الحسن بن على رضى الله عنهم خمسة عشر ولدا ما بين ذكر وأنثى وهم زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبى مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدى عمهم الحسين بن على بطف كربلاء وعبد الرحمن أمه أم ولد والحسين الملقب بالأثرم وأخوه طلحة وأخته فاطمة أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى : قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد .

ويقول الشيخ الشبلنجى رحمه الله عن أخلاق الحسن رضى الله عنه وكلامه ومروياته وكاتبه ومناقبه بادئا بتنبيهين :

الأول : قيل للحسن رضى الله عنه : لأى شىء نراك لا ترد سائلا وإن كنت على فاقة فقال إنى لله سائل وفيه راغب وأنا أستحى أن أكون سائلا وأرد سائلا وإن الله تعالى عودنى عادة عودنى أن يفيض نعمه على وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة يمنعنى العادة وأنشد يقول :

إذا ما أتانى سائل قلت مرحبا
بمن فضله فرض على معجل

ومن فضله فضل على كل فاضل
وأفضل أيام الفتى حين يسئل

الثانى : كان ذات يوم جالسا فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئا من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البر فقال ماذا تدلنى عليه فقال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير فقال حفظنى إياها قال قل له الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك فذهب إلى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة وقال له بالله عليك أكلامك هذا قال لا بل كلام فلان

فقال صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى كذا فى الكنز المدفون ...

ومروياته من الأحاديث ثلاثة عشر حديثا، هكذا فى المسامرات ، وكاتبه عبد الله بن أبى رافع .

وقد أورد القاضى النعمان فى أرجوزته الموسومة بالأرجوزة المختارة ، قصة تولى الحسن بن على رضى الله عنه الخلافة ، ثم خلعه نفسه ، ثم وفاته مسموما (كما ذكرت معظم المصادر) ، وننقل لك هذا الجزء من الأرجوزة فيما يلى ، مع ملاحظة أننا قد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص .

يقول الناظم :

١٧١٧ *وكان قد أوصى على إذ ظعن*
بالناس فيما روى إلى الحسن

١٧١٨ *فقام بالأمر على التقدم*
من بعده ، وقتل ابن ملجم

١٧١٩ *وبايع الناس له بالكوفه*
فحل فيهم مدة معروفه

١٧٢٠ *ثم دعى الناس إلى المسير*
إلى ابن هند وإلى التشمير

١٧٢١ *لحربه وقدَّم ابن سعد*
قيسا فسار نحوه فى جند

١٧٢٢ *حتى إذا ولى ابن سعد تبعه*
بنفسه قيل ومن كان معه

١٧٢٣ *حتى إذا انتهى إلى المدائن*
قام عليه كل غاو خائن

١٧٢٤ *من جمع أهل الكوفة الأراذل*
ففتك القوم به عن عاجل

١٧٢٥ *وطعنوه قيل فى وركيه*
وانتزعوا الرداء عن كتفيه

١٧٢٦ *وجذبوا بساطه من تحته*
وأظهروا عصيانه فى وقته

١٧٢٧ *وخلعوا طاعته وانصرفوا*
عن المسير معه ووقفوا

١٧٢٨ *جبنا عن الضراب والطعان*
والضيم لا يدفع بالجبان

١٧٢٩ *فبلغ الأمر إلى ابن حرب*
وكان من مسيره فى كرب

١٧٣٠ *فأرسل الرسل إليه يعلمه*
بأنه يحفظه ويكرمه

١٧٣١ *وينتهى من حقه ما يعرفه*
لخوفه من أمره يستعطفه

١٧٣٢ *فحمد الله على الأمان*
لما تمادى القوم فى العصيان

١٧٣٣ *وصار للأمر الذى قد ينكره*
إذ لم يجد من قومه من ينصره

١٧٣٤ *وسلموا إلى ابن هند أمرهم*
وسرهم من أمره ما ضرهم

١٧٣٥ *فانفرد الحسن مع أصحابه*
وكلهم من أمره لما به

١٧٣٦ *فاجتمعوا بأسرهم إليه*
وعرضوا أنفسهم عليه

١٧٣٧ *وهم قليل فى كثير الجهل*
فلم ير اعتراضهم للقتل

١٧٣٨ *وسار سيرة الوصى الفاضل*
أبيه فى أصحابه القلائل

١٧٣٩ *وعادت الطاعة فى استتار*
منهم له خوفا من الأشرار

١٧٤٠ *فلم يزل وهو لهم إمام*
لو أظهر القيام فيهم قاموا

١٧٤١ *قد نصبوه فى استتار رأسا*
يدعون فى السر إليه الناسا

١٧٤٢ وكـــان قـــد أوصى إلى أخيـــه
دون بنيـــــه وبنــي أبيـــــه

١٧٤٣ أعنى الحسين وهـــو والى عهـــده
وهـــو إمـــام قـــومـــه من بعـــده

١٧٤٤ عـــرف ذاك كل من قـــد تـــابعـــه
وكـل من شـــايعـــه وبـــايعـــه

١٧٤٥ فلـم يـــــزل وأمـــــره معمًّى
حتى إذا انتهى إليـــــه سمَّـــــا

١٧٤٦ فمـــات صلّى منـــزل الآيـــات
عليـــه في المحيـــا وفي الممـــات

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى ١ / ١٥٨ ـ ١٦٠ ، وتاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد / ١٨٨ ـــ ١٩١ ، ٥١٧ ، ومحاظرة الأبرار للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ١ / ٣٩٠ ، ١٠٢ ، ومنهل الصفا في تحقيق الوفا والود لآل بيت المصطفى ـــ السيد محمود أبو الفيض المنوفى / ٦٢ ـــ ٦٤ ، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب للنسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد ابن على الحسنى المعروف بابن عنبة / ٦٨ ، ٦٩ ، ونور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجى / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والأرجوزة المختارة للقاضى النعمان ـ تحقيق وتعليق إسماعيل قربان حسين پوناوالا / ١٧٨ ـ ١٨٠) .

انظر أيضا الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٢٩٠ ـ ٣٠٥) .

*** الحسن بن محمد ابن الحنفية (ـــ ١٠٠ أو ٩٩ هـ):**

الحسن بن محمد ابن الحنفية مذكور في المختصر في المتعة هو أبو محمد الحسن بن محمد بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم القرشي الهاشمى المدنى التابعى سمع سلمة ابن الأكوع وجابر بن عبد الله الصحابيين وسمع أباه وغيره من التابعين روى عنه عمرو بن دينار والزهرى وآخرون واتفقوا على توثيقه روى له البخارى ومسلم . توفى سنة مائة أو تسع وتسعين رحمه الله .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٦٠) .

*** الحسن بن مسعود اليوسى (ـــ ١١١١ هـ / ـــ ١٧٠٠ م) :**

نسبه وشيوخه وتلاميذه :

الحسن بن مسعود اليوسى الملقب بنور الدين المكنى بأبى على الفقيه المتأدب صدر مشايخ المغرب على الإطلاق أخذ عن الشيخ محمد بن ناصر وعبد الملك التجمعونى وعبد القادر الفاسى وجماعة وأخذ عنه ما لا يحصى كثرة منهم أحمد بن مبارك وأبو سالم العياشى وأبو الحسن النورى وأبو عبد الله التازى تولى التدريس بفاس .

مصنفاته ووفاته :

ألف تآليف كثيرة منها زهر الأكم في الأمثال والحكم ، وحاشية على شرح السنوسى ، وقانون أحكام العلم والمحاضرات وله في الأصول الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع لم يتمه ، وله تقييد رد فيه على القرافى في تقسيم كلام الله إلى قديم وحادث .

توفى بفاس سنة ١١١١ هـ واليوسى نسبة إلى بنى يوس من قبائل البربر .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين ـــ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣/ ١١٨) .

*** الحسن بن مسلم :**

الحسن بن مسلم مذكور في المختصر في عدة الرجعة هو الحسن بن مسلم بن يناق بمثناة تحت مفتوحة ثم نون مشددة ثم ألف ثم قاف المكى سمع طاووسا ومجاهدا وسعيد بن جبير وغيرهم . وروى عنه حميد الطويل وعمرو بن مرة والحكم وسليمان التيمى وهؤلاء تابعيون وليس هو تابعيا وهذا من رواية الكبار عن الصغار وروى عنه أيضا ابن جريج وغيره من المتأخرين واتفقوا على توثيقه روى له البخارى ومسلم توفى قبل أبيه مسلم وقبل طاووس .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦١) .

*** حسن البنا (١٣٢٤ـ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ـ١٩٤٩ م) :**

هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ، مؤسس جمعية « الإخوان المسلمون » بمصر وصاحب دعوتهم ، ومنظم جماعتهم (الأعلام ٢ / ١٨٣) .

ولد حسن البنا في المحمودية بمصر في ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٠٦ ميلادية ١٣٢٤ هجرية ، ونشأ في بيت عريق في العلم والدين . كان والده عالما في الحديث ، وله مصنفات كثيرة في هذا الباب (أفردنا له مادة بعنوان « أحمد عبد الرحمن البنا » في م ٢ / ٦٧٤ - ٦٧٨ فانظرها في موضعها) وكان منذ الصغر يداوم على قيام الليل وصيام الإثنين والخميس ، وحفظ نصف القرآن صغيرا ، ثم أتمه عندما بلغ الحلم . وقد ألف وهو طالب جمعية في المدرسة أسماها جمعية محاربة المنكرات .

وتخرج من الثانوية ، وكان ترتيبه الخامس بين جميع طلبة مصر . ودخل دار العلوم . وتقدم لامتحانها النهائي يحفظ ١٨ ألف بيت شعر ومثلها من النثر . وتخرج من دار العلوم عام ١٩٢٧ بتفوق لا نظير له ، إذ كان الأول في دار العلوم .

تعين البنا مدرسا في إحدى مدارس الإسماعيلية حيث تجثم القوات البريطانية ولا يبدو على الإسماعيلية سوى الطراز الأوروبي . فكأنها حي من أحياء لندن . ومعظم أهلها عمال مع شركة السويس البريطانية .

كان البنا يرى الإنجليز وقد أذلوا الشعب المصري . ويشاهد العمال كأنهم عبيد لهم .

ويرى الإباحية والفساد والتحلل يستشري في العالم الإسلامي وبخاصة بعد إسقاط الخلافة على يد أتاتورك سنة ١٩٢٤ ويرى الغربيين جادين في اجتثاث الإسلام من جذوره وإقصائه من الوجود والشهود . يرى هذا كله فتتمزق أحشاؤه كمدا . ويذوب قلبه أسى ، ويحدث البنا عن هذه الفترة فيقول :

(يعلم الله كم من الليالي كنا نقضيها : نستعرض حال الأمة ، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها ، ونحلل العلل والأدواء ، ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء) واتصل البنا ببعض من توسم فيهم الخير . وتعاهد هو وخمسة منهم على تكوين نواة العمل الإسلامي . وحتى لا يخرجوا باسم جديد فقد سموا أنفسهم باسم المسلمين ، فقالوا نحن « إخوان مسلمون » .

(الموسوعة الحركية م ١ / ٥٣ ، ٥٤) وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٧ هـ / إبريل ١٩٢٨ م (الموسوعة الميسرة / ٢٣) واختار لنفسه لقب « المرشد العام » .

(الأعلام ٢ / ١٨٤) .

و « الإخوان المسلمون » هي كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة ، نادت بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسنة ، داعية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة ، وقد وقفت متصدية لموجة المد العلماني في المنطقة العربية والإسلامية (الموسوعة الميسرة / ٢٣) .

وقد بدأت الدعوة في الإسماعيلية فأقاموا بها أول دار « للإخوان » وبادروا إلى إعلان « الدعوة » بالدروس والمحاضرات والنشرات ، وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى . ثم كان يوجه بعض ثقاته في رحلات . فما عتم أن أصبح له في كل بلد سعى إليه دار ، و « دار الإسماعيلية » مركز قيادة الدعوة . ولم يقتصر على دعوة الرجال ، فأنشأ في الإسماعيلية « معهد أمهات المسلمين » لتربية البنات تربية دينية صالحة ، ونقل « مدرسا » إلى القاهرة في عام ١٩٣٢ فانتقل معه « المركز العام ومقر القيادة » ولقي فيها إقبالا على دعوته وعظم أمر « الإخوان » وناهز عددهم نصف مليون .

وكان الأستاذ حسن البنا يعرف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة ، بأنه « عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون » وأنشأ بالقاهرة جريدة « الإخوان المسلمين » يومية فكانت منبره الكتابي إلى جانب منابره الخطابية (الأعلام ٢ / ١٨٤) .

ففي عام ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م تم إصدار جريدة « الإخوان المسلمون » الأسبوعية واختير الأستاذ محب الدين الخطيب (١٣٠٣ - ١٣٨٩ هـ) (١٨٨٦ - ١٩٦٩ م) مديرا لها ثم صدرت النذير في ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ ، ثم الشهاب ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م ... وتتالت المجلات والجرائد الإخوانية .

ثم تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١ م من مائة عضو اختارهم الأستاذ البنا بنفسه .

وقد شارك الإخوان فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث دخلوا بقوات خاصة بهم وشاهدت ربى فلسطين وجبالها نماذج فريدة ما شاهدتها من قبل - أناسا يحبون الموت على الحياة ، ولقنوا اليهود دروسا قاسية ، وذاقوا منهم الويلات ، (الموسوعة الميسرة / ٢٤ ، والموسوعة الحركية / ٥٤) .

وقد سجل ذلك بالتفصيل الأستاذ كامل الشريف فى كتابه « الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين » .

وفى ٨ نوفمبر ١٩٤٨ م أصدر محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء المصرى آنذاك قراره بحل جماعة الأخوان المسلمين ومصادرة أموالها واعتقال أبرز قيادتها .

وفى ديسمبر ١٩٤٨ م اغتيل النقراشى واتهم الإخوان بقتله (الموسوعة الميسرة / ٢٤) .

ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز « جمعية الشبان المسلمين » فى القاهرة ، ليلا ، فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) .

فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا فجُرح البنا ونقل إلى المستشفى لإسعافه ولم يجد من يضمد جراحه ، فتوفى بعد ساعتين (الأعلام ٢ / ١٨٤) .

لقد كان الشيخ حسن البنا رحمه الله خطيبا فياضا ، ينحو منحى الوعظ والإرشاد فى خطبه ، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه ، منظما ، يعلم فى هدوء ، ويبنى فى اطمئنان . له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم « مذكرات الدعوة والداعية » (الأعلام ٢ / ١٨٤) ومن آثاره أيضا : أحاديث الجمعة ، المأثورات ، مجموعة الرسائل وهى : دعوتنا إلى أى شىء ندعو الناس ، نحو النور ، المؤتمر الخامس ، إلى الشباب ، الإخوان تحت راية القرآن ، دعوتنا فى طور جديد ، بين الأمس واليوم ، رسالة الجهاد رسالة التعاليم ، نظام الأسر ، العقائد ، نظام الحكم ، النظام الاقتصادى (الموسوعة الحركية / ٥٧) وكتب فى سيرته « روح وريحان من حياة داع ودعوة » ، مطبوع ، لأحمد أنس الحجاجى (الأعلام ٢ / ١٨٤) .

أما عن جمعية « الإخوان المسلمون » بعد استشهاد الشيخ حسن البنا ففى عام ١٩٥٠ م اختير الأستاذ حسن الهضيبى (١٣٠٦ أو ١٣٠٨ — ١٣٩٣ هـ) (١٨٩١ — ١٩٧٣ م) ، مرشدا للإخوان ، وهو واحد من كبار رجال القضاء المصرى ، وقد اعتقل عددا من المرات ، وصدر ضده عام ١٩٥٤ م حكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد ، وأفرج عنه آخر مرة سنة ١٩٧١ م .

وبعد وفاة الأستاذ الهضيبى اختير عمر التلمسانى (١٩٠٤ - ١٩٨٦ م) مرشدا عاما ، وسلك بالإخوان طريقا بجنبهم المصادمات مع الحكومات ، وكرر دائما أن الدعوة ينبغى أن تعمل بالحكمة وأن تنبذ العنف والتطرف .

وبعد وفاة الأستاذ التلمسانى اختير محمد حامد أبو النصر مرشدا عاما ، وسار على طريقة الأستاذ التلمسانى وأسلوبه .

وهناك عدد من الشخصيات الإخوانية التى ظهرت خارج مصر نذكر منها :

١ - الشيخ محمد محمود الصواف والذى كان مؤسسا ومراقبا عاما للإخوان المسلمين فى العراق، له عدد من المؤلفات، وقد كان له دور نشط فى نشر الإسلام فى إفريقيا بعد هجرته من العراق سنة ١٩٥٩ م واستقراره فى مكة المكرمة .

٢ - الدكتور مصطفى السباعى (١٣٣٤ — ١٣٨٤ هـ) (١٩١٥ - ١٩٦٤ م) أول مراقب عام للإخوان المسلمين فى سوريا ، نال درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩ م ، قاد كتائب الإخوان إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ م كما رشح نفسه نائبا عن دمشق عام ١٩٤٩ م ، كان خطيبا مفوها لا يبارى، أسس كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٤ م وكان أول عميد لها ، له العديد من المؤلفات منها « السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى » ، « المرأة بين الفقه والقانون » ، « قانون الأحوال الشخصية » .

٣ - تأسست جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٩٤٥ م وكان أول رئيس لها الشيخ عبد اللطيف أبو قورة الذى قاد كتيبة الإخوان فى الأردن إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ م .

ـ فى ٢٦ / ١١ / ١٩٥٣ م انتخب الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المولود عام ١٩١٩ م مراقبا عاما للإخوان بالأردن وهو يحمل ثلاث شهادات علمية .

الأفكار والمعتقدات :

ـ يتصف فهم الإخوان للإسلام بالشمولية وعدم اقتصاره على جانب دون جانب آخر .

ـ حرص الإخوان على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية .

ـ يقول حسن البنا عن هذه الدعوة « إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » .

ـ يؤكد البنا بأن سمات حركة الإخوان هى :

١ ـ البعد عن مواطن الخلاف .

٢ ـ البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء .

٣ ـ البعد عن الأحزاب والهيئات .

٤ ـ العناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات .

٥ ـ إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات .

٦ ـ شدة الإقبال من الشباب .

٧ ـ سرعة الانتشار فى القرى والبلاد .

ـ ويذكر أن أخص خصائص الإخوان هى :

● أنها ربانية : لأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا أن يتقرب الناس إلى ربهم .

● وأنها عالمية : لأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها إخوة أصلهم واحد وأبوهم واحد ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل .

● وأنها إسلامية : لأنها تنتسب إلى الإسلام .

ـ ويقرر الأستاذ البنا أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هى :

١ ـ إصلاح نفسه حتى يكون قوى الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادرا على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة .

٢ ـ وتكوين البيت المسلم بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية .

٣ ـ إرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات .

٤ ـ تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى غير إسلامى ، سياسى أو اقتصادى أو روحى ...

ـ يقسم الأستاذ البنا مراحل الدعوة إلى ثلاث :

١ ـ التعريف .

٢ ـ التكوين .

٣ ـ التنفيذ .

ـ يقول الأستاذ البنا فى رسالة التعاليم : « أركان بيعتنا عشر فاحفظوها : الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » ثم يأخذ فى شرح كل ركن من هذه الأركان ثم يقول بعدها :

« أيها الأخ الصادق : هذا مجمل لدعوتك وبيان موجز لفكرتك ، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات: الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شرعتنا ، والجهاد سبيلنا ، والشهادة أمنيتنا . وأن تجمع مظاهرها فى خمس كلمات أخرى : البساطة ، والتلاوة ، والصلاة ، والجندية ، والخلق » .

ـ شعار الإخوان : سيفان متقاطعان يحيطان بمصحف شريف ، واللفظة القرآنية ﴿ وأعدوا ﴾ وثلاث كلمات هى : حق، قوة ، حرية .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ أخذ الإخوان عن الدعوة السلفية التأكيد على ضرورة البحث عن الدليل وأهمية العودة إلى المنبعين الرئيسيين الكتاب والسنة والتحرز من كل نوع من أنواع الشرك وصولا إلى كمال التوحيد .

- تأثرت دعوتهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدعوة السنوسية ودعوة السيد رشيد رضا وأغلب هذه الدعوات امتداد لمدرسة ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م والمستمدة من مدرسة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

- أخذ الإخوان عن التصوف ما فيه من دعوة إلى تربية النفس وتهذيبها والرقى بها على ما كان عليه أوائل المتصوفة من صحة فى العقيدة وترك ونبذ للبدع والشطحات والاستكانة والسلبية .

- لقد جمع البنا المفاهيم السابقة فى دعوته وأضاف إليها ما فرضته عليه ظروف العصر والبيئة من وقوف أمام التيارات التى أخذت تسرى فى مصر بخاصة وفى المنطقة بعامة .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- بدأت الحركة فى الإسماعيلية ثم انتقلت إلى القاهرة ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر ، وقد بلغ عدد شعب الإخوان فى أواخر الأربعينات فى مصر (٣٠٠٠) شعبة ضمت أعدادا كبيرة من الأعضاء .

- انتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوى فى سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان وغيرها ... كما أن لها أتباعا فى معظم أنحاء العالم اليوم .

(الموسوعة الميسرة / ٢٣ - ٢٩) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٨٤ وجاء فى هامش (١) : عن روح وريحان وتقويم دار العلوم ٤٧٠ ، والصحف المصرية ٨ / ١١ / ١٩٤٩ ، وانظر بها أسماء قاتليه وما عوقبوا به ، ولا سيما جريدة القاهرة ٢ أغسطس ١٩٥٤ ومذكرات المؤلف . وفى مصادر الدراسة ٢ / ٢٠٩ - ٢١٢ مراجع أخرى لترجمته ولما كتب عنه انتهى ما جاء بهامش الأعلام ، والموسوعة الحركية . تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجرى - إعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية بإشراف فتحى يكن . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م / ٥٣ - ٥٧ ، والموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامى . الرياض ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م / ٢٣ - ٢٩) .

*** حسن البيان :**

من أنواع البديع المعنوى . يقول السيوطى :

حسن البيان زاده المصباح وذكره أصحاب البديعيات تبعا له قال : وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة قال : ويكون مع الإيجاز والإطناب . قال فى الإيضاح : وهذا تخليط لأنه وظيفة علم البيان محسن ذاتى والبديع وظيفته البحث عن المحسن الخارجى .

(شرح عقود الجمان / ١٤٠) .

(أفاد منه ابن أبى الإصبع وأورده بين أبواب البديع فى كتابه « بدائع القرآن » معتمدا فيما يبدو على ما قال الرمانى فى النكت) .

قال ابن أبى الإصبع (بدائع القرآن ٧٤ - ب) :

« حسن البيان إما أن يكون بالأسماء والصفات المفردة وإما بهما مؤتلفة ، ودلالة الأول متناهية ودلالة الثانى غير متناهية ... غير أن البيان فيه الأقبح والأحسن ، والوسائط بين هذين الطرفين ، فالأقبح كبيان « باقل » وقد سئل عن ثمن ظبى كان معه ، فأراد أن يقول أحد عشر ، فأدركه العى ففرق أصابع يديه وأطلع لسانه ، فأفلت الظبى . وهذا أقبح بيان مع أنه قد بالغ فى الإفهام ، لكونه أخرج تعريف العدد من السماع إلى العيان ، لكنه بيان ناقص لتخصيص البصر دون السمع ، وصناعة البيان يجب أن يكون المستحسن منها ما يختص بالسمع فإنها مختصة بالكلام والعبارة دون الإشارة ... وبيان الكتاب العزيز وكل بيان بليغ فصيح من الأحسن دون الأقبح ودون الوسائط البعيدة من البلاغة والقريبة ، وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث ينقسم أيضا ثلاثة أقسام : أحسن وأقبح وأوسط بالنسبة .

حقيقة حسن البيان إخراج المعنى فى أحسن الصور الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها . فإنه عين البلاغة . وقد تأتى العبارة عنه عن طريق الإيجاز ، وقد تأتى عن طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه الحال ، والإطناب بلاغة والإسهاب عى ... وقد أتى بيان الكتاب العزيز من الطريقين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كم

تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٧] وكقوله تعالى ـ وقد أراد أن يبين عن الوعد ـ : ﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾ [الدخان : ٥١] وكقوله عز وجل ـ وقد أراد أن يبين الوعيد ـ ﴿ إن يَومَ الفَصْلِ ميقاتُهم أجمَعِين ﴾ [الدخان : ٤٠] وكقوله في الاحتجاج القاطع للخصم : ﴿ وضَرب لنَا مثلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال من يُحيي العِظَامَ وهي رَمِيم قُل يُحْيِيهَا الذي أنْشَأهَا أول مرة ، وهو بِكُلِّ خَلْق عليم ﴾ [يس : ٧٨ ، ٧٩] وكقوله تبارك وتعالى وقد أراد أن يبين عن التحسير ﴿ ولنْ ينفَعَكُم اليومَ إذْ ظَلَمتُم أنَّكم في العَذَاب مُشْتَرِكُون ﴾ [الزخرف : ٣٩] وكقوله تعالى ـ وقَدْ أرادَ أن يبين عن العدل ـ : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذِبُون ﴾ [الأنعام : ٢٨] وأمثال هذه المواضع كثيرة .

(شرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٤٠ ، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها الأستاذ محمد خلف أحمد، ود. محمد زغلول سلام / ١٩٤) .

*** حسن الترجمان (مكتبة) :**

من مكتبات الأسر المقدسية في القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . أسس هذه المكتبة حسن الترجمان الصالح فعُني بجمع كل ما وقع تحت يده من مخطوط ومطبوع حتى بلغ ما جمعه ثلاثة آلاف مجلد بينها تسعمائة مخطوط .

(معاهد العلم في بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلي / ٣٩١)

*** حسن التعليل:**

التعليل : علَّله بطعام وحديث ونحوهما : شغله بهما ، يقال : فلان يُعلل نفسه بتعلة : وتعلل به أي تلهى به .

التعليل هو حسن التعليل ، وقد ذكر ابن سنان الاستدلال بالتعليل ولم يعرِّفه (سر الفصاحة / ٣٢٧) . وتحدث عبد القاهر عن التخييل ، ويفهم من كلامه أنه يريد به حسن التعليل فقد قال : « وجملة الحديث الذي أريد بالتخييل هنا ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه » (أسرار البلاغة / ٢٥٣) .

وسماه الرازي « حسن التعليل » وقال : « هو أن يذكر وصفان أحدهما لعلة الآخر ويكون الغرض ذكرهما جميعا » (نهاية الإيجاز / ١١٦) كقول القائل :

فإن غادر الغدران في صحن وجنتي
فلا غرو منه لم يزل وابلا يهمي

وقال الحلبي والنويري : « هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو أربعة أضرب ، لأن الصفة إما ثابتة قصد بيان علتها أو غير ثابتة أريد إثباتها » (حسن التوسل / ٢٢٣ ، ونهاية الأرب ٧ / ١١٥) .

فالأولى : أن لا يظهر لها في العادة علة كقول المتنبي :

لم يحك نائلك السحاب وإنما
حُمَّت به فصبيبها الرحضاء

أو تظهر لها علة كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن
يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره .

الثانية : إما ممكنة كقول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت فينا إساءته
نجى حذارك إنساني من الغرق

فإن استحسان إساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر . أو غير ممكنة كقول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته
لما رأيت عليها عقد منتطق

وألحق به ما بني على الشك كقول أبي تمام :

ربا شفعت ريح الصبا لرياضها
إلى المُزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غُيِّبن تحتها
حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وذهب إلى ذلك القزويني في التعريف والتقسيم وإلحاق ما بني على الشك به (الإيضاح / ٣٦٧ والتلخيص / ٣٧٥) وتبعه شراح تلخيصه والسيوطي والمدني .

وعقد بعض البلاغيين فصلا باسم « التعليل » ، وقد قال المصري : « هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول » (تحرير التحبير ٣٠٩ وبديع القرآن / ١٠٩) كقوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ [الأنفال : ٦٨] فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب . ومنه قول البحتري :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن
أذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو العلة في شكوى الشاعر الزمان

ونقل ابن الأثير الحلبي تعريف المصري والآية الكريمة ، وقال ابن مالك : « التعليل أن تقصد إلى حكم فتراه مستبعدا لكونه قريبا أو عجيبا أو لطيفا أو نحو ذلك فتأتي على سبيل التطرف بصفة مناسبة للتعليل فتدعي كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه . فإن إثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه » (المصباح / ١١٠) .

وذكر العلوي تعريف ابن مالك وقسمه إلى نوعين (الطراز ٣ / ١٣٨) .

الأول : أن يأتي التعليل صريحا إما باللام كقول ابن رشيق يعلل قوله ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » .

فقال في معنى ذلك :

سألت الأرض لِمْ جعلت مصلّى
ولِم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لأني
حويت لكل إنسان حبيبا

ولقد أحسن في الاستخراج وألطف في التعليل ، فلأجل ما قاله كان ذلك علة في كونها طهورا ومسجدا .

قال المؤلفة : الحديث الشريف المذكور أعلاه أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة لداود عن أبي ذر وقال عنه : حديث ضعيف . بيد أن الإمام السيوطي أخرج حديثا آخر يزيد في ألفاظه وهو « جُعلت لي كل أرض طيبة مسجدا وطهورا » لأحمد في مسنده والضياء عن أنس وقال عنه : حديث صحيح .

الثاني : أن لا يكون التعليل صريحا في اللفظ وإنما يؤخذ من جهة السياق والنظم والمعنى كقول بعض الشعراء ، ولعله مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت منا إساءته
نجى حذارك إنساني من الغرق

فلقد أبدع فيما قاله وأراد أن الواشي مذموم لا محالة لما يفعله من القبيح لكن العلة في حسن إساءته وهو أنه يخاف على محبوبته من وشايته فامتنع دمع عينه من أجل الخوف فسلم إنسان عينه من أن يغرق بدموعه لما كان خائفا مذعورا من الوشاية ، فلا وجه لتعليل حسن الوشاة إلا هذا .

وقال الزركشي إن ذكر الشيء معللا أبلغ من ذكره بلا علة لوجهين :

أحدهما : أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول .

الثاني : أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها .

وغالب التعليل في القرآن الكريم هو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن العلة .

وتختلف نظرة الزركشي عن الآخرين في التعليل فهو يريد التعليل الحقيقي ولذلك تحدث عن الطرق الدالة على العلة كالتصريح بلفظ الحكم أو الإتيان بـ « كي » أو ذكر المفعول له ، أو الإتيان بـ « أن » وغير ذلك . ويريد البلاغيون به حسن التعليل الذي لا يقوم على علة حقيقية في أغلب الأحيان ، ويبدو أن اتجاه الزركشي لم يؤثر في البلاغيين كثيرا ، فالحموي عاد إلى ما قاله المصري وابن مالك (خزانة الأدب / ٤١٦)غير أن السيوطي أوجز ما قاله الزركشي إيجازا لا يوضح المسألة (معترك ١ / ٣٧٢ ، الإتقان ٢ / ٧٥) ولعل سبب عودته إلى ذلك اتصال موضوعه بالقرآن الكريم (المعجم ٢ / ٢٩٨ - ٣٠١) .

وعن حسن التعليل جاءت هذه الأبيات في منظومة الشيخ معروف النودهي الموسومة بغيث الربيع في علم البديع وقد

رقمنا الأبيات لكى يسهل الرجوع إليها وأتبعناها بالشرح .
يقول الناظم :

١ مـا بـرقت سحـابـة وأسبلت
إلا بأن قـد فـرحت إذ ظللت

٢ من قبل بعث سيد الأنـام
لـذاك أبـدت حسن الابتسـام

٣ لو لم يفض من كفه الما ما غدا
من ورده الشبم رىٌّ للصـدا

٤ يستحسن الفاقـة صاحب الغنى
ليبتغى نـوالـه فيأمنـا

٥ فقـرا بما قـد نال من نـوالـه
وكـان يخشى من ذهـاب مالـه

٦ فـالفقـر إذ أوصلـه إلى غنى
يـدوم لا يفنى غـدا مستحسنـا

٧ للبـدر فى مـرآه لـلأعـلام
بـالانشقـاق أثـر انثـلام

وإليك شرح الأبيات :

البيت ١ : الغريب بورقت : أى لمعت . أسبلت : أى أمطرت . ظللت : أى صنعت له ظلا تحميه من الشمس .

المعنى : لم تلمح السحابة وما أمطرت إلا فرحا بكونها فى يوم من الأيام قد ظللت الرسول (ﷺ) أى أن سبب البرق والمطر هو ذلك الفرح .

الشاهد : وجود حسن التعليل القسم الأول منه وهو الذى يكون الوصف فيه ثابتا خفى العلة وموضع الشاهد قوله (ما برقت إلا بأن فرحت) ومعلوم أن وصف البريق للسحب ثابت والعلة فيه خفية حيث لم يعرف فى ذلك الوقت سبب البرق لذلك علله الناظم بعلة مناسبة غير حقيقية حصل بها تقوية للمقصود من المدح وحدث بسببها معنى لطيف وذلك أنه جعل علة لمعان السحابة بالبرق كونها فرحت بأنها ظللت النبى (ﷺ) فأظهرت علامات السرور والفرحة فتبسمت ومعلوم أن هذه العلة ليست هى العلة فى الواقع .

وفيه اقتباس : من قصة « ميسرة » عبد خديجة عندما ذهب الرسول قبل البعثة إلى الشام وما شاهده ميسرة من علامات ومنها تظليل السحابة للرسول فى يوم قائظ ، وإلى هذا أشار الناظم قدس سره فى البيت اللاحق بقوله : من قبل بعث إلخ .

وهذا زيادة من الناظم على الأصل إذ عبارته لم تحتو على هذا فهو قال : لم تبرق السحب إلا أنها فرحت إذ ظللته فأبدت حسن مبتسم .

البيت ٣ : الغريب : ورده : الوِرد بكسر الواو النصيب من الماء .

الشبم : بفتح الشين وكسر الباء البارد . رى : الرى ضد العطش . الصدى : العطش الشديد .

المعنى : يقول : لولا أن الماء نبع من بين أصابعه (ﷺ) ما روى بشربه الأنام فبيركة نبعه من تلك البنان حصل به رى الظمآن .

الشاهد : فيه حسن التعليل النوع الثانى وهو الوصف الثابت الظاهر العلة وذلك أن العلة الظاهرة فى أن الماء يروى العطشان هى ما جعل الله فيه من الرطوبة والبرودة المقابلتين لما فى العطش من اليبوسة والحرارة والناظم علل ذلك بعلة مناسبة غير حقيقية وهى أن ذلك لكون الماء نبع من أصابعه (ﷺ) وأنت ترى ما فى هذه العلة من اللطف وكثرة المدح .

البيت ٤ : وفيه اقتباس من حديث نبع الماء من أصابعه (ﷺ) وهو مشهور .

الغريب : يستحسن : أى يعده حسنا . الفاقة : الفقر والحاجة نواله : النوال العطاء . الإعراب : الفاقة : مفعول به مقدم .

صاحب : فاعل مؤخر . فيأمنا : فاعله مستتر لصاحب الغنى .

البيت ٥ : الإعراب : فقرا : مفعول به ليأمنا فى البيت السابق .

البيت ٦ : الإعراب : فالفقر : مبتدأ . يدوم : الجملة فى موضع النعت لغنى . غدا : خبر المبتدأ .

المعنى العام للأبيات الثلاثة (٤ ـ ٦) :

يقول كان الحال فى زمن الرسول (ﷺ) أن أى فقير كان يأتى للرسول ويطلب منه عطاءه يصبح غنيا طول حياته ويأمن الفقر طول زمانه فكان الأغنياء الذين كانوا يحرصون على مالهم يتمنون الفقر ليذهبوا للرسول ويطلبوا منه العطاء ليأمنوا الفقر طول حياتهم فعلة استحسانهم للفقر هى أن الفقر الموصل إلى الغنى الدائم الغير الفانى يستحسنه كل إنسان .

الشاهد : حسن التعليل من القسم الثالث وهو الوصف الغير الثابت الممكن وموضع الشاهد (يستحسن الفاقة صاحب الغنى) لأن استحسان الفقر ليس صفة ثابتة مع إمكانه وقد علل الناظم استحسان الفقر بأن الغنى خائف على ذهاب ماله فيتمنى أن يحصل له الفقر ليسأل النبى (ﷺ) فينال من إحسانه ما يأمن به من الفقر فإذا كان الفقر موصلا إلى الغنى الذى لا يفنى كان مستحسنا .

البيت ٧ : الغريب: للبدر : البدر : القمر الممتلئ نورا . فى مرآه : أى فى منظره يقال امرأة حسنة المرأى والمرآة كما يقال حسنة المنظر والمنظرة . للإعلام : أى الإخبار ، أثر: يعنى به الأثر الذى بالبدر وهو السوار الذى يرى فيه . انثلام : الانثلام : مصدر انثلم الشىء إذا انكسر حرفه أى جانبه .

الإعراب : للبدر : خبر للمبتدأ مقدم . أثر : مبتدأ مؤخر وهو مضاف وأصل الجملة هكذا للبدر أثر انثلام فى مرآه ليعلمنا بالانشقاق الذى جرى له فى زمن الرسول (ﷺ) (الأعمال الكاملة ق ٤ / ٤٣٩ ـ ٤٤١) .

(معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ــ د. أحمد مطلوب ٢ / ٢٩٨ ــ ٣٠١ ، وتلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن القزوينى . المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ١٢٥ ، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى ـ دراسة وتحقيق السيد محمود أحمد وزملائه . المجموعة البلاغية ق ٤ / ٤٣٩ ـ ٤٤١) .

قالت المؤلفة : أوردنا لك التعليل كما جاء فى القرآن الكريم وذلك فى مادة « التعليل » فى م ١٠ / ٢٢ ــ ٢٦ فانظرها فى موضعها .

* **حسن التنبه فى التشبه :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم ٩٠٣٠ .

كتاب كبير فى قسمين الأول : فيمن يجب التشبه بهم وفى اكتساب مكارم الأخلاق وذكر فيه جميع الأخلاق الحسنة والثانى : فيما ورد من النهى عن التشبه بهم وذكر مساوئ الأخلاق بحيث لم يدع موضوعا إلا طرقه وذكر محاسنه ومساوئه وهو أجمع كتاب فى هذا الموضوع .

المؤلف : أبو المكارم نجم الدين محمد بن محمد الغزى العامرى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ١٠٦١ هـ/ ١٦٥١ م .

الجزء الأول أوله : الحمد لله الذى بحمده يحسن الابتداء ... أما بعد فيقول العبد ... هذا كتاب كريم تطمئن إليه قلوب الأتقياء ...

آخره : باب النهى عن التشبه بفرعون وهو أول من خضب بالسواد . روى الديلمى وابن النجار ...

الخط نسخ معتاد، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : المؤلف .

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومعلق عليها ، وعليها تملكات كثيرة .

نسخة ثانية الجزء الأول فقط .

الرقم ٤٠٥٤

أولها : كالسابقة .

آخرها : فائدة ينبغى لمن طلب من الدنيا شيئا من الله تعالى من ولد أو زوجة أو مالاً ...

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة على المؤلف من وقف أسعد باشا والى سورية .

نسخة ثانية الجزء الأول فقط قطعة منه .

الرقم ٨٥٨٥ .

أوله : مخروم عن الإمام الشافعي الرضى قوله لا تقل ... وروى ابن أبى الدنيا فى المداراة عن أيوب السختياني قال لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عما فى أيدى الناس ...

آخره : نقل ابن عطاء الله فى اللطائف عن بعض العارفين أنه قال : إن لله عبادا كلما اشتبه بظله الوقت كلما قويت أنوار قلوبهم ...

الخط نسخ معتاد : الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف .

الجزء الثاني فقط :

الرقم ٣٨٩٠ .

يبتدئ بـ رسالة ومعارف قائدة لمن طلب من الدنيا شيئا .

آخره : شعر أوله .

يـــا رب إن اجتهـــادى
علـى كمـــال التـأسـى

آخر الشعر :

يـــا رب حقـق رجـــائى
واجمـل بـــذكـــرك إنسى

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ : ١٠٤١ هـ

نسخة ثالثة تكون الجزء الثاني فقط :

الرقم ٨٥٨٦ .

أوله : أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص عن بلال ابن سعد قال لا تكن وليا لله فى العلانية وعدوا له فى السريرة ومعناه لا تلبس بأوصاف الأولياء ظاهرا ...

آخره : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومصححة .

نسخة رابعة تكون الجزء الثالث .

الرقم ٣٢٧٧ ، أدب ١٠٧ .

أوله : باب التشبه بالنبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

آخره : شعر أوله :

يـــا رب إن اجتهـــادى
علـى كمـــال التـأسـى

آخر السطر :

والحمـــد لله ربـى
مـــا ازدان طـــرسى بنفسى

هذا تمام القسم الأول .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

الجزء الرابع من الكتاب نفسه .

الرقم ٣٢٧٨، أدب ١٠٨ .

القسم الثاني من الكتاب فى النهى عن التشبه بمن ورد النهى عن التشبه بهم ... قال تعالى ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين ... ﴾[يونس : ١٠٤ ، ١٠٥] .

آخره : وقد روى الدينورى فى المجالسة عن القاسم بن محمد ... أنه سمع رجلا يقول : ما أجرأ فلان على الله فقال القاسم : إن ابن آدم أهون وأخفض من أن يكون جريئا على الله ولكن قل ما أقل معرفته بالله وكذلك الاحتراز ... أصله الجهل بالله والجهل بعذابه .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

الجزء الخامس النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٧٩ ، أدب ١٠٩ .

أوله : النهى عن التشبه بفرعون ...

آخره : أخرج الإمام مالك فى الموطأ عن عائشة رضى الله

عنها أن النبى ﷺ قال « أردت أن أنهى عن الغيلة ثم ذكرت أن الروم وفارسا يفعلونه فلا يضرهم » ليس فيه أنه من النبى ﷺ ترك النهى عنها ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

الجزء السادس من النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٨٠ ، أدب ١١٠ .

يبتدئ : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية .

آخره : فإن قلت : ما معنى قوله ﷺ « من سعادة المرء أن يشبه أباه » أخرجه الحاكم فى مناقب الشافعى رضى الله عنه عن أنس . قلت : على وجهه الأول أن معناه أن يشبهه فى الصورة والخلقة لئلا يطعن فى نسبه ...

والثانى أن يشبه أباه فيما به السعادة من الإيمان ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الغزولى الكاتب .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٤١ هـ .

ملاحظات : عليه خط المؤلف وتصحيحه .

الجزء السابع من النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٨١ ، أدب ١١١ .

تبتدئ بـ : النهى عن التشبه بالبهائم والسباع والطير ...

آخره : وروى سعيد بن منصور فى الصلاة وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يسلم من صلاته قال : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ الآية ورواه الخطيب فى حديثه .

قال مؤلفه : هذا آخر كتاب حس التنبه .

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الغزولى الكاتب .

تاريخ النسخ : الخميس ١٤ ربيع الثانى سنة ١٠٤٢ هـ

ملاحظات : نسخة قيمة مقابلة على نسخة المؤلف ومراجعة عليه ، وعليها خطه ، ومن رقم ٦١٦ ـ ٦٢٠ المتقدم تكون نسخة كاملة ينقصها الجزء الأول والثانى ويجب أن تكون من سبعة أجزاء .

مصادر عن الكتاب : المنتخب من فهرس الحديث ص ٣٦٨ ، الأعلام ٧ / ٢٩٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١١ / ٢٨٨ .

قال واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الكتاب : رأيت نسخة كاملة بمجلدين بخط المؤلف مبيضته وعليها تعليقات نفيسة وهذه النسخة فى مكتبة الأستاذ الفاضل فخر الدين الحسنى حفيد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤١ ـ ٤٤٧) .

*** حسن التوسل إلى صناعة الترسل :**

أحد مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٣٢٦٥٦ .

لأبى الثناء محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحلبى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م .

الأول : (الحمد لله جاعل الإنسان مخبوءا تحت اللسان ...) .

وضعه المؤلف لمن يرغب تعلم كتابة الإنشاء ، ويشتمل على فن البديع والمكاتبات ووصف الحصون والحروب .

نسخة نفيسة ، كتبت بخط النسخ الجيد سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م .

٣٠٧ ص ١٨,٥ × ١٣,٥ سم ١٧ سم

معجم المؤلفين ١٢ / ١٦٧ ، الأعلام ٧ / ١٧٢ ، فهرس دار الكتب ٣ / ٨٤ (ذكرت وفاة المؤلف فى فهرس دار الكتب سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) .

طبعت أكثر من مرة ، آخرها بتحقيق د. أكرم عثمان ببغداد سنة ١٩٨٠ م .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٤٤ ، ١٤٥ .

انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٦٦ وفيه فى العنوان « فى صناعة » بدلا من « إلى صناعة ») .

توجد منه نسخة فى مكتبة الحرم المكى وأخرى فى دار الكتب الوطنية - طهران (مجلة معهد المخطوطات العربية م ١ جـ ١ ، رمضان ١٣٧٤ هـ - مايو ١٩٥٥ / ١٥٥ ، و م ٤ جـ ١ / ٢٠) .

* **حسن جلبى (٨٤٠-٨٨٦ هـ / ١٣٣٩-١٤٨١ م) :**

نسبه وشيوخه وتلاميذه :

حسن جلبى بن محمد شاه شمس الدين الفنارى الفقيه الحنفى الأصولى النحوى البيانى المفسر ولد سنة ٨٤٠ هـ ببلاد الروم ونشأ بها واشتغل على مـلاّ فخر الدين وملا طوسى وملاّ خسرو حتى برع واشتهر أمره فكان عالما فاضلا جامعا محققا مدققا نحويا بصيرا بالمعانى والبيان واقفا على الفروع والأصول وتفسير القرآن صالحا متدينا وقد حج سنة ٨٧٠ هـ وقدم القاهرة سنة ٨٨٠ هـ فقرأ مغنى اللبيب فى النحو على رجل مغربى كان خبيرًا بخبايا هذا الكتاب وقرأ صحيح البخارى على بعض تلامذة ابن حجر العسقلانى وعاد إلى بلاده فنشر العلم وقد تولى التدريس بالمدرسة الحلبية بأدرنة كما تولى التدريس بمدرسة أزنيق وغيرهما .

مصنفاته ووفاته :

من مصنفاته حواشيه على التلويح فى الأصول وحواشيه على شرح التلخيص والمطول فى علوم البلاغة وحواشيه على شرح المواقف وحواشيه على تفسير البيضاوى وكلها مملوءة بالتحقيقات والتدقيقات .

توفى رحمه الله ببروسا سنة ٨٨٦ هـ .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٥٥) .

* **الحسن الخالص :**

انظر : الحسن العسكرى .

* **حُسنُ الخلق :**

الشعبة السابعة والخمسون من شعب الإيمان التى أحصاها الإمام البيهقى فقال :

من شعب الإيمان حُسنُ الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع لقوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[القلم : ٤] وقوله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾[آل عمران : ١٣٤] .

ولحديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشا ولا متفحشا ؛ وقال « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » وفى رواية : « إن من أحبكم إلىّ أحسنكم أخلاقا » .

ولحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين أيضا أنها قالت : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » .

وبه أنبأنا أبو بكر البيهقى قال : ومعنى حسن الخلق سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال . وقد يكون ذلك فى ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس وهو فى ذات الله عز وجل أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه يفعل ما فرض عليه طيب النفس به سلسا نحوه وينتهى عما حُرِّم عليه راضيا به غير متضجر منه ويرغب فى نوافل الخير ويترك كثيرا من المباح لوجهه تعالى وتقدس ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشرا لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به وهو فى المعاملات بين الناس أن يكون سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفى ما يجب لغيره عليه منها فإن مرض ولم يعد أو قدم من سفر فلم يزر أو سلم فلم يرد عليه أو ضاف فلم يكرم أو شفع فلم يجب أو أحسن فلم يشكر أو دخل على قوم فلم يمكن أو تكلم فلم ينصت له أو استأذن على صديق فلم يؤذن له أو خطب فلم يزوج أو استمهل الدين فلم يمهل أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك ولم يغضب ولم يعاقب ولم يتنكر من حاله حال ، ولم يستشعر فى نفسه أنه قد جفى وأوحش وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله بل يضمر أنه لا يعتد بشىء من ذلك ويقابل كلا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر

والتقوى وأشبه بمـا يحمد ويرضى ثم يكون فى إيفـاء ما يكون عليه كهو فى حفـظ ما يكون له فإذا مرض أخـوه المسلم عاده وإن جاء فى شفاعة شفَّعه ، وإن استمهله فى قضاء دين أمهله وإن احتاج منه إلى معونته أعانه و إن استسمحه فى بيع سمح له ولا ينظر إلى أن الـذى يعامله كيف كانت معاملتـه إياه فيما خلا وكيف يعامل الناس إنما يتخذ الأحسن إماما لنفسه فينحو نحوه ولا يخـالفه والخلق الحسن قـد يكون غـريزة وقـد يكون مكتسبا .

وإنما يصح اكتسـابه ممن كـان فى غريـزته أمثل منـه فهو يضم باكتسـابه إليه مـا يتممه ومعلوم فى العـادات أن ذا الرأى يـزداد بمجـالسـة أولى الأحـلام والنهى رأيـا وأن العـالم يـزداد بمخالطة العلمـاء علما ، وكذلك الصالح والعـاقل بمجالسة الصلحاء والعقلاء فلا ينكـر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجـالسة أولى الأخـلاق الحسنة وبالله التـوفيق (شعب الإيمان / ٩٢ـ٩٥) .

قال الله تعـالى ﴿ خـذ العفو وأْمـر بـالعرف وأعـرض عن الجاهلين ﴾ [الأعـراف : ١٩٩] وقال تعـالى ﴿ ولا تستـوى الحسنة ولا السيئة ادفع بـالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] روى الشيخان عن عبد الله بن عمـرو رضى الله عنهما قـال لم يكن رسول الله ﷺ فـاحشـا ولا متفحشا وكـان يقـول إن من خيـاركم أحسنكم أخلاقـا .

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » .

وروى الشيخـان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنـه قال « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى قال «لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب » .

وروى مسلم عن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا قـال قـال رسول الله ﷺ « لأشج عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة ». وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهـد فى سبيل الله وما نيل منه شىء قط فينتقم من صـاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى .

وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بـرد نجرانى غليظ الحاشية فأدركـه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديـدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت به حـاشية البرد من شدة جبذته ثم قـال يا محمد مر لى من مـال الله الذى عنـدك فالتفت إليـه فضحك ثم أمر لـه بعطاء .

وروى الشيخـان عن ابن مسعود رضـى الله عنه قـال كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيـا من الأنبيـاء ضربـه قومـه فأدموه وهـو يمسح الدم عن وجهـه ويقول اللهم اغفـر لقومى فإنهم لا يعلمون .

وروى الشيخان عن أبى هـريرة رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال : ليـس الشديـد بالصرعـة إنما الشـديد الـذى يملك نفسه عند الغضب (مختصر رياض الصالحين / ٢٥٠ـ٢٥٣) .

ويصف الحكيم الترمـذى صاحب الخلق ، ويتكلم على أصـول الأخلاق ، وعلى مكـارم الأخلاق ، وكلـه مما ينـدرج تحت « حسن الخلـق » وننقلـه لك فيمـا يلى وقـد وضعنـا تعليقـات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . قـال الحكيم الترمذى :

مثل صاحب الأخلاق مثل ملك له خـزانة وقواد ومملكة ، فإن كانت الخـزانة قليلـة كنوزها ، وكـورته صغيـرة (الكورة : المـدينـة والصقع) ضـاق بـه هـؤلاء القـواد ، وقـال بعضهم لبعض : هـذا ملك له اسم الخـزانـة والكنوز ، وليس لكنـوزه مـادة يجرى علينـا ويغنينا حتى نتخـذ عدة للعـدو الذى هـو بمرصد منـا ومن ملكنا هذا ، وليست له مملكـة فسيحة ننتشر فيها ، فيأخـذ كل قائد منا ناحيـة من المملكة ، فيتملك على أهل نـاحيته ، وقـوة الملوك فـى الخزائن الجمـة ، وبالكنـوز والجـوهر والقـواد ، وحسن التـدبير فى هـذين ، فيـدبر أمـره وأمورنـا بحسن ما عنـده من الكياسة ، فيـدر علينا كنـوزه وقتا وقتا ، وشهرا شهـرا ، ويعد جواهره للنوائب العظـام ، فلا نرى

هـا هنـا عـدة ولا فسحـة ؛ فتعـالـوا ننتقل عن هـذا إلى ملك لمملكته فسحة ومنتشر، نتسع فى نواحيها ، ونعمل للقيادة ، فيعود الجند إلى ملك له كنـوز جمة ، ولكنوزه مادة من غلات المملكة ، فله كنوز وأمصار (الأمصار : جمع مصر، والمصر كل كورة يقسم فيهـا الفيىء والصدقـات) وقرى وبـر وبحر ، كملك الهند والروم والعرب ، ما نصنع بهذا الضعيف العاجز؟ يطلبون ملكـا بتلك الصفة ، ولا يثبتون مع هذا ، فـالملك هو القلب ، وخـزانتـه فى جـوف القلب ، فيـه كنـوز المعـرفـة ، وجـواهـر العلم بـالله ، والعقـل وزيـره ، والصـدر فسحتـه ، وسـاحتـه ومملكته ؛ والأخلاق قواده ، والأركـان رعيته ، وهى الجـواهر السبع ؛ فهـؤلاء القواد قـد أحدقـوا بالقلب فى هـذا الصدر، وأطافوا بباب القلب بين عينـى الفؤاد فإن الفؤاد هو ما ظهر من القلب ، والقلب ما بطن ، والقلب بعضن فى بعض ، والعين على الفؤاد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ [النجم : ١١] (أى لم يكـذب قلب محمد ﷺ ليلـة المعراج ، وذلك أن الله تعالى جعـل بصره فى فؤاده حتى رأى ربـه تعالى ، وجعل الله تلك رؤيـة (القرطبى / ١٧ ـ ٩٢) وقال الزمخشرى فى الكشاف (٢ / ٤١٦) : مـا كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصـره من صورة جبريـل عليه السلام ؛ أى مـا قال فؤاده لما رآه : لم أعرفك ، ولو قـال ذلك كاذبا ؛ لأنه عرفه ، يعنى أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ما رآه حق) .

وقول رسـول الله ﷺ: أتاكم أهل اليمن ألين قلـوبا ، وأرق أفئدة فوصف القلب باللين ، والفؤاد بالرقة (صحيح مسلم / ٧٢ ، وفى النهـاية : أرق قلوبـا ، أى ألين وأقبل للمـوعظة ، والمراد بالرقة ضد القسوة) .

فالأخلاق فى الصدر قواد الملك ، قيام بين عينى الفؤاد ، والعقل شعاعه ، يشرق بين عينى الفؤاد ، ويدبر أمر القلب . والنفس فى الجوف رابضـة فى مكان مظـانها ، والهـوى بباب النفس يتلهب ويتلظى بين يـدى بصيرة النفس ، فإذا خطـرت الخـاطـرة فى الصدر بين عينـى الفؤاد نظـر العقل ؛ فإن رآهـا حسنة وأمرا رشيدا قدر ودبـر ماذا يراد ؟ وكم يراد ؟ ومتى يراد ؟ وإلى متى يراد ؟ وإن رآهـا سيئة وغيا نفاها (أى أبعـدها) عن الصدر ؛ ففى هذا الوقت للنفس منازعة مع القلب وللهوى مع العقل .

فى هـذه الخاطـرة النفس تشتهى ، والهوى يـزعج النفس ويشجعهـا ، والعـدو يـزين بمنى ويغـرى ، فإذا جـاء مـدد الأخلاق بطلت زينـة العدو وأمانيه ، وانكشف غـروره ، وارتد الهوى قهقـرى إلى معـدن مهنته ، وجـاء مدد الكنـوز : كنوز المعرفة ، ومـد الملك يده إلى جوهر الخـزانة فانمحقت (أى انمحت) الخاطـرة وأسبابهـا ، ومعتملها ، وجنودهـا وطليعة الخاطرة النفـس العدو إذا كانت خاطرة غـى ، وإن كان رشدا كانت طليعتـه الخاطرة الحـق ، فعز هذا الملك ومنعتـه وقوام مملكتـه بهذه الكنـوز والقواد ، وكـذلك عز القلب ، ومنعتـه بكنوز المعرفة بالله تعالى ، وجواهر العلم بالله تعالى ، وبهذه الأخلاق التى أحدقت بالقلب بين عينى الفؤاد .

أصول الأخلاق :

فالأخلاق أصولها فى الطبع ، ومـادتها من المعرفة والعلم بالله تعالى ، ومعتملها فى الصدر .

فالموحدون هذه صفتهم ، والكفـار أخلاقهم أصولها فى الطبع ، ومعتملهـا فى الصـدر ، ومـادتهـا فى الفـرح بمـدح الناس، وطلب العلو والشرف والذكر ؛ قال الله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ [القصص : ٨٣] .

فـالمـؤمنـون تخلقوا بخلق الله تعـالى ، وتـواضعـوا بـه لله تعالى، وأرادوا به وجه الله ، وتقربوا به إلى الله تعالى ، وتحببوا به إلى الله .

والكفار تخلقـوا بذلك الخلق ؛ فتكبـروا على الله تعالى ، فجاوزوا بها الحـدود، ولم يضعوها مواضعها بحقـه ، وتقربوا إلى الخلق ، وتحببـوا بـه إلى أهل العـلائق ، وتصنعـوا بـه ، واتخذوا جاها .

والأخلاق لها سلطان ؛ فإذا وجـد الخلق تفسحا ساح فى فسحتـه ، فجاوز الحـدود فى أمـوره، فصـار مسرفا مضيعـا للحق، وقد استمر به الهوى والنفس .

والمـؤمن يتخلق بذلك الخلق ، فإذا تفسح الخلق عقلـه (أى منعه) العقل عن المجاوزة ، ومنعـه عن التعدى ؛ ولهذا سمى عقـلا ؛ لأنه عقلـه عن الجهل ، ورده إلى العلم الـذى علمه الله تعالى ، وكان الله تعالى أعلم بذلك الأمر ، كم يراد؟ وإلى متى يـراد ؟ وبأى مقدار ؟ وإلـى متى ؟ فوكل بـه العقل حتى يهديه لذلك .

ألا تـرى إلى قـول الله عـز وجل ، حيث سألـوا رسـول الله ﷺ: كم تنفق من هـذا المـال الـذى حث الله تعـالى على إنفاقه ، وعظم فيه الثواب ؟ فنزلت قول الله تعالى : **﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾**[البقرة : ٢١٩] .

والعفـو : هو الفضل ، أى مـا فضل من نفسك وعيـالك الذين تعولهم .

وقال رسول الله ﷺ : « ابدأ بمن تعـول ، وخير الصدقة ما كـان عن ظهر غنى » (أى مـا كـان عفوا قـد فضل عن غنى ، وقيل : أراد ما فضل عن العيال) .

وقال رجل : يـا رسول الله ، عنـدى دينار ، مـا أصنع به؟ قال : أنفقـه على نفسك . قال : عنـدى آخر . قـال : أنفقه على عيالك ووالـدتك . قال : عندى آخر . قـال : أنفقه فى سبيل الله تعالى ؛ وذلك أدناهن .

فمن تخلق بالسخاوة ، فاستمـر به طبعه، وأعلنته نفسه ، وملك به هـواه ، وزين له عدوه ، وذهب فأنفق على أبـاعده، وترك أقاربه . ، وعال من لم تلزمه عيالته ، وضيع عياله ، فهذا فعل من أراد بـذلك الخلـق علـوا فى الأرض ، وتصنعـا عنـد الخلق .

فالعقل يكشف عن هذا الغيب ، وما هو أدق من هذا .

الأسخياء والأجواد :

روى سليمـــان بن الحـــارث البصـــرى : عن أبى هـــلال الراسبى عن حميد بن هلال ، قال : تفاخر رجلان : رجل من بنى هاشم ورجل من بنى أمية ، فقـال هذا : قومى أسخى من قومك . وقال ذاك : بل قومى أسخى من قومك . فقال : سل فى قـومك ، وأسأل فى قـومى ؛ فـافترقـا على ذلك ؛ فسأل الأموى عشرة من قومه ، فأعطوه عشرة آلاف ، وجاء الهاشمى إلى عبـد الله بن عباس رضى الله عنهمـا ، فسأله فأعطـاه مائة ألف ، ثم أتى الحسن بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال : هل أتيت أحدا قبلى ؟ قال : نعـم عبد الله بن عباس رضى الله عنهمـا ، وأعطانى مـائة ألف ، فأعطاه الحسن رضى الله عنـه مائة ألف وثلاثين ألفا ، ثم أتى الحسين رضى الله عنه فسأله، فقال : هل أتيـت أحدا قبلى ؟ قال : أخـاك الحسن بن على رضى الله عنهما فأعطـانى مائة ألف وثلاثين ألفا ، فقـال : لو أتيتنى قبل أن تأتيـه لأعطيتك أكثر مـن ذلك ، ولكن لم أكن لأزيد على سيدى ؛ فأعطاه مائة ألف وثلاثين ألفا .

فهـذه سخـــاوة مستمـرة فى الطبع والنفس ، قـــد منعهـا العقل، فزين هذا العقل من الحسين بن على رضى الله عنهم .

فـالكفـار كانـوا يتفـاخـرون ، ويباهـى أحدهم صـاحبه بالأخلاق وأفعاله ، ويمارى حتى يتعادوا من أجله .

مكارم الأخلاق :

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما أتانا سبايا طيئ تكلمت فيه جارية جميلة نسيت جمالها لما رأيت من فصاحتهـا ، فقالت : يـا محمد ، إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العـرب، فإنى ابنة سرة قـومى ، كان أبى يفك العانى (أى الأسير) ويحمى الذمار (الـذمار : ما يلزمه حفظه ورعـايته) ويقرى الضيف ويشبع الجـائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم الطائى .

فقال رسول الله ﷺ: يا جاريـة ، هذه صفة المؤمن حقا ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق .

فقـام أبو بـردة رضى الله عنه ، فقـال : يا رسـول الله ، الله يحب مكارم الأخـلاق ؟ فقال : يا أبـا بردة ، لا يـدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق .

حدثنا الجارود ، أخبرنا بن هارون ، عن المسعودى ، عن القاسم ، قـال : قال عبـد الله : تجد الـرجل فظا (أى سيىء الخلق) فإذا بحثتـه وجدت سـريـرته الإيمـان ، وتجده حلـو الخلائق ، فإذا بحثته لم تجد فيه من الإيمان شيئا ، ومن شاء الله جمع له حلاوة الدين وحلاوة الخلق .

الفظاظة ضد الكرم :

والفظاظة : ضد الكرم ، فمن كانت له فظاظة غلظ قلبه والكرم لين القلب وانقياده بمنزلة شجر الكرم أينما قدته انقاد ؛ ولذلك سمى جنة العنب كرما .

وكذلك ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال « لا تقولوا للعنب كرما ، إنما الكرم قلب المؤمن » (فى الفائق (٢ / ٤٠٧) : « لا تسموا العنب الكرم ، فإنما الكرم الرجل المسلم » قال الزمخشرى : أراد أن يقرر ويشدد ما فى قوله عز وجل : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ بطريقة أنيقة ومسلك لطيف ورمز خلوب : فبصر أن هذا النوع من غير الأناسى المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بألاتؤهلوه لهذه التسمية ولا تطلقوها عليه ، ولا تسلموها له ، غيرة للمسلم التقى ورباً به أن يشارك فيما سماه الله به ، واختصه بأن جعله صفته ، فضلا أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم ؛ وتعترفوا له بذلك ، وليس الغرض حقيقة النهى عن تسمية العنب كرما ، ولكن الرمز إلى هذا المعنى) .

وذلك لأنه لان ورطُب بالرحمة التى حلت به من الله تعالى . وانقاد لعبوديته ، والكافر كز (أى منقبض بخيل) قاسى القلب ، يابس كالصخر ؛ لأن رحمة الله لم تنله فيبسته حرارة النفس وشهواتها . وقواه التجبر والكبر ، فيبس وكز ؛ فإن كان فيه بعض هذه الأخلاق المحمودة فاستعملها ، فبجوهريته استعمل ، لا بمعرفة الله تعالى ، فيجاوز الحدود حتى أفرط وضيع ، وشان (أى عاب) ما حسن منه (الأمثال من الكتاب والسنة / ٧٣ ـ ٨٢) .

وفى تناوله لموضوع أدب النفس يتكلم الإمام الماوردى على حسن الخلق فيقول :

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى اختار لكم الإسلام دينا فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما » وقال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدوإ الداء ؟ قالوا بلى قال : الخلق الدنى واللسان البذى . قال بعض الحكماء : من ساء خلقه ضاق رزقه ، وعلة هذا القول ظاهرة.

وقال بعض البلغاء : الحسن الخلق من نفسه فى راحة والناس منه فى سلامة ، والسيء الخلق الناس منه فى بلاء وهو من نفسه فى عناء . وقال بعض الحكماء : عاشر أهلك بأحسن أخلاقك فإن الثواء فيهم قليل . وقال بعض الشعراء :

إذا لم تتسع أخلاق قوم ... تضيق بهم فسيحات البلاد

إذا ما المرء لم يخلق لبيبا ... فليس اللب عن قدم الولاد

فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار » . وقال بعض الحكماء : من سعة الأخلاق كنوز الأرزاق . وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الأصفياء المسعدين وقلة الأعداء المجحفين ولذلك قال النبى ﷺ : « أحبكم إلى أحسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة . وقد بين رسول الله ﷺ هذه الأوصاف فقال : « أهل الجنة كل هين لين سهل طلق » ولما ذكرنا من هذه الأوصاف حدود مقدرة ومواضع مستحقة كما قال الشاعر :

أصفو وأكدُرُ أحيانا لمختبرى ... وليس مستحسنا صفو بلا كدر

وليس يريد بالكدر البذاء وشراسة الخلق فإن ذلك ذم لا يستحسن وعيب لا يرتضى وإنما يريد الكف والإنقباض فى موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدود مقدرة ومواضع مستحقة فإن تجاوز بها الحد صارت ملقا وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والملق ذل والنفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا أثر مشكور . وقد روى حكيم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وروى مكحول عن أبى هريرة قال : قال

رسول الله ﷺ : « لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون وجيها عند الله تعالى » وقال سعيد بن عروة : لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر أحب إلى من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين . وقال الشاعر :

خل النفاق لأهله
وعليك فالتمس الطريقا
وارغب بنفسك أن ترى
إلا عدوا أو صديقا

وقال إبراهيم بن محمد

وكم من صديق وده بلسانه
خؤن بظهر الغيب لا يتلعثم
يضاحكني عجبا إذا ما لقيته
ويقذعني منه إذا غبت أسهم
كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا
وفي غيبه إن غاب صاب وعلقم

وربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة (الوطاء : السهولة واللين) والطلاقة عبوسا . فمن أسباب ذلك الولاية التي تحدث في الأخلاق تغيرا وعلى الخلطاء تنكرا إما من لؤم طبع وإما من ضيق صدر . وقد قيل : من تاه في ولايته ذل في عزله وقيل : ذل العزل يضحك من تيه الولاية . ومنها العزل فقد يسوء منه الخلق ويضيق به الصدر إما لشدة أسف أو لقلة صبر . حكى حميد الطويل : أن عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه وقال : إني وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام .

ومنها الغنى فقد تتغير به أخلاق اللئم وتسوء طرائقه أشرا . وقد قيل : من نال استطال وأنشد الرياشي .

غضبان يعلم أن المال ساق له
ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كرام الناس يسألني
فأكرم الناس من كان له ورق

(الورق : بكسر الراء : الفضة مضروبة أو غير مضروبة ، وبفتح الراء : المال من دراهم و إبل وغير ذلك) .

وقال بعض الشعراء :

لئن تكن الدنيا أنالتك ثروة
فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الأثراء منك خلائقا
من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وبحسب ما أفسده الغنى كذلك يصلحه الفقر ، وكتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج أن أهل الشام قد التاثوا عليه فكتب إليه أن اقطع عنهم الأرزاق ففعل فساءت حالهم فاجتمعوا إليه فقالوا : أقلنا فكتب إلى الحجاج فيهم فكتب إليه إن كنت آنست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى . واعلم أن الفقر جند الله الأكبر يذل به كل جبار عنيد تتكبر . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لولا أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت » .

ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الاستكانة أو أسفا على فائت الغنى . ولذلك قال النبي ﷺ : « كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر » .

وقال أبو تمام الطائي :

وأعجب حالات ابن آدم خَلقُهُ
يضل إذا فكرت في كُنهه الفكر
فيفرح بالشيء القليل بقاؤه
ويجزع مما صار وهو له ذخر

وربما تسلى من هذه الحالة بالأماني و إن قل صدقها فقد قيل : قلما تصدق الأمنية ولكن قد يعتاض بها سلوة من هم أو مسرة برجاء وقد قال أبو العتاهية :

حرِّك مُناك إذا اغتممـ
ـت فإنهن مراوح

وقال آخر

إذا تمنيت بت الليل مغتبطا
إن المنى رأس أموال المفاليس

ومنها الهموم التى تذهل اللب وتشغل القلب فلا تتبع الاحتمال . ولا تقوى على صبر. وقد قيل : الهم كالسم . وقال بعض الأدباء : الحزن كالداء المخزون فى فؤاد المحزون وقال بعض الشعراء :

همومك بالعيش مقرونة ... فما تقطع العيش إلا بهم

إذا تم أمر بدا نقصه ... ترقَّب زوالا إذا قيل تم

إذا كنت فى نعمة فارعها ... فإن المعاصى تزيل النعم

وحام عليها بشكر الإله ... فإن الإله سريع النقم

حلاوة دنياك مسمومة ... فما تأكل الشهد إلا بسُم

فكم قدَر دب فى مهلة ... فلم يعلم الناس حتى هجم

ومنها الأمراض التى يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الأخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال . وقد قال المتنبى :

آلة العيش صحة وشباب ... فإذا وليا عن المرء ولى

أبدا تسترد ما تهب الدنـ ... ـيا فياليت جودها كان بخلا

ومنها علو السن وحدوث الهرم لتأثيره فى الجسد كذلك يكون تأثيره فى أخلاق النفس فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من أثقال فكذلك تعجز النفس عن أثقال ما كنت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه . وقال منصور النميرى :

ما كنت أوفى شبابى كنه عزته ... حتى مضى فإذا الدنيا له تبع

أصبحت لم تطعمى ثكل الشباب ولم ... تشجى لغصته فالعذر لا يقع

ما كان أقصر أيام الشباب وما ... أبقى حلاوة ذكراه التى تدع

ما واجه الشيب من عين وإن رمقت ... إلا لها نبوة عنه ومرتدع

قد كدت تقضى على فوت الشباب أسىً ... لولا يعزيك أن العمر منقطع

فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عاما . وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذى تنفر منه النفس فتحدث نفورا عن المبغض فيؤل إلى سوء خلق يخصه دون غيره فإذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالضد .

(أدب الدنيا والدين ط / ٢١٦ ـ ٢٢٠ ، ط ٢٩٢ ـ ٢٩٧) .

ونختتم بما أورده الإمام ابن قدامة فى فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق . قال رحمه الله :

واعلم : أن الناس قد تكلموا فى حسن الخلق متعرضين لثمرته لا لحقيقته ، ولم يستوعبوا جميع ثمراته ، بل ذكر كل منهم ما حضر فى ذهنه ، وكشف الحقيقة فى ذلك أن يقال : كثيرا ما يستعمل حسن الخُلق مع الخَلق ، فيقال : فلان حسن بالخَلق والخُلق ، أى حسن الظاهر والباطن ، فالمراد بالخَلق : الصورة الظاهرة ، والمراد بالخُلق : الصورة الباطنة ، وذلك أن الإنسان مركب من جسد ونفس .

فالجسد مدرك بالبصر ، والنفس مدركة بالبصيرة ، ولكل واحدة منهما هيئة وصورة إما جميلة أو قبيحة ، والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى أمره فقال : ﴿ **إنى خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى** ﴾ [ص: ٧١ ، ٧٢] فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح منسوب إليه سبحانه وتعالى ، فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر

وروية ، فإن كانت الأفعال جميلة سميت خلقا حسنا ، وإن كانت قبيحة سميت خلقا سيئا .

وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة فاستثقل الرياضة ، أن الأخلاق لا يتصور تغييرها ، كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر.

والجواب : أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، وكيف تنكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشى يستأنس، والكلب يعلم ترك الأكل، والفرس تُعَلَّم حسن المشى وجودة الانقياد ، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح ، وبعضها مستصعبة .

وأما خيال من اعتقد أن ما فى الجبلة لا يتغير ، فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية ، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط ، وأما قمعها بالكلية فلا ، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية فى الجبلة ، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان . أو شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بالكلية ، لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه . وقد قال الله تعالى : ﴿ أشداء على الكفار ﴾ [الفتح : ٢٩] ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب ، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، ولم يقل : الفاقدين الغيظ .

وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والتقلل، قال الله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] إلا أن الشيخ المرشد للمريد إذا رأى له ميلا إلى الغضب والشهوة، حسن أن يبالغ فى ذمهما على الإطلاق ليرده إلى التوسط ، ومما يدل على أن المراد من الرياضة الاعتدال أن السخاء خلق مطلوب شرعا ، وهو وسط بين طرفى التقتير والتبذير وقد أثنى الله عليه بقوله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

واعلم أن هذا الاعتدال . تارة يحصل بكمال الفطرة منحة من الخلق، فكم من صبى يخلق صادقا سخيا حليما ، وتارة يحصل بالاكتساب ، وذلك بالرياضة ، وهى حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب، فمن أراد تحصيل خلق الجود، فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعا له .

وكذلك من أراد التواضع تكلف أفعال المتواضعين ، وكذلك جميع الأخلاق المحمودة فإن للعادة أثرا فى ذلك ، كما أن من أراد أن يكون كاتبا تعاطى فعل الكتابة ، أو فقيها تعاطى فعل الفقهاء من التكرار، حتى ينعطف على قلبه صفة الفقه ، إلا أنه لا ينبغى أن يطلب تأثير ذلك فى يومين أو ثلاثة، وإنما يؤثر مع الدوام ، كما لا يطلب فى النمو علو القامة فى يومين أو ثلاثة . وللدوام تأثير عظيم .

وكما لا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعات ، فإن دوامها يؤثر، وكذلك لا يستهان بقليل الذنوب .

وكما أن تعاطى أسباب الفضائل يؤثر فى النفس ويغير طبعها ، فكذلك مساكنة الكسل أيضا يصير عادة ، فيحرم بسببه كل خير .

وقد تكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير ، فإن الطبع لص يسرق الخير والشر.

قلت : ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »

(مختصر منهاج القاصدين / ١٥٢ ، ١٥٣) .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٩٢ ـ ٩٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى / ٢٥٠ ـ ٢٥٣ ، والأمثال عن الكتاب والسنة لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى ـ تحقيق على محمد البجاوى . دار التراث . القاهرة د. ت / ٧٣ ـ ٨٢ ، وأدب الدنيا والدين ط المطبعة الأميرية / ٢١٦ ـ ٢٢٠ ، وط الدار المصرية اللبنانية ـ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر / ٢٩٢ ـ ٢٩٧ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٥٢ ، ١٥٣ . انظر أيضا المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية م ١ / ٣٩٢ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ١٥٢ ، ١٥٣) .

*** حسن رضا (١٢٦٥ ـ ١٣٣٨ هـ / ١٨٤٩ ـ ١٩٢٠ م)**

من الخطاطين . حسن رضا بن أحمد نظيف أفندى ولد



سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م فى جهة أسكدار نال تعليمه فى مدرسة قبطان باشا ثم مدرسة حافظ مغيب أفندى . وكانت بدايته فى الخط فى هاتين المدرستين ، ثم أخذ دروسا على يد صوحى حسين أفندى ويحيى أفندى .

بعد وفاة والده انتمى إلى فريق الموسيقى الهمايونى (السلطانية) وتعلم فيها حسن الخط على يد شفيق بك (الثلث والنسخ) وبعد ذلك أخذ فنون الخط عن قاضى عسكر (عزت أفندى) .

عمل إماما فى نفس المدرسة المذكورة بعد تخرجه ثم معلما لحسن الخط ، وعند افتتاح مدرسة الخطاطين فى استانبول فى ٣١ مارس سنة ١٩١٤ عين فيها معلما لخطوط النسخ والثلث والريحانى .

انفصل عن العمل لمرض أصاب عينيه وفى ٢ مارس سنة ١٩٢٠ م (١٣٣٨ هـ) انتقل إلى رحمة الله تعالى (ذكر أن وفاته سنة ١٣١٧ و ١٣٣٦ . انظر مصور الخط ص ٣٥٣ . ناجى المصرف) .

إن عدد ما كتبه الشيخ حسن رضا من المصاحف الشريفة ثمانية عشر مصحفا بمختلف الحجوم ، وبصورة أجزاء متفرقة (مجلة الرسالة الإسلامية . العدد ١٣٤ و ١٣٥ السنة ١٣ ، مقالة عبد الله عبد المجيد السفوى : « الخطاط حسن رضا والمصاحف التى كتبها ») .

ومن تلاميذه الخطاط مصطفى حليم وعبد القادر توفيق .

(نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ملاحظة الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب بدائع الخط العربى لناجى زين الدين المصرف ، شكل ٢٩٧ ص ٣٣١ وجاء عنوانها كما يلى : صفحة نموذجية لتسويد حروف مفردة ومركبة بخط ثلث موزونة بمعيار النقط كتبها الحاج حسن رضا سنة ١٣١٨ هـ .

*** أبو الحسن السجلماسى (- ١٠٥٧ هـ / - ١٦٤٧ م) :**

على بن عبد الواحد بن محمد بن سراج المكنى بأبى الحسن الجزائرى الأنصارى يرتفع فى نسبه إلى سعد بن عبادة نشأ بسجلماسة وأقام بمصر مدة واستقر بفاس أخذ عن أئمة أهل فاس منهم أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن على بن طاهر الحسنى ، وأبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدلائى ، والشهاب المقرى وغيرهم وكان إماما حافظا محدثا متقنا نصب مفتيا فى الجبل الأخضر بفاس وأخذ عنه أبو مهدى عيسى الثعالبى وأبو عبد الله الموهوب وأحمد بن عبد الواحد وغيرهم .

له مؤلفات عدة منها : شرح التحفة ، ونظم السيرة النبوية ، وعقد الجواهر فى نظم النظائر ، واليواقيت الثمينة فى الفقه ، ومسالك الوصول فى مدارك الأصول . وله نظم فى علوم عدة .

توفى بالجزائر سنة ١٠٥٧ هـ .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣/ ٩٥) .

*** أبو الحسن الشاذلى (٥٩١ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٥ - ١٢٥٨ م) :**

قطب صوفى كبير، أسس الطريقة الشاذلية ، التى تفرعت منها نحو ١٥ طريقة صوفية ، كالوفائية ، والجزولية . تتلمذ فى التصوف على أصحاب الجنيد ، وعلى عبد السلام بن مشيش .

جاء نسبه فى طبقات الأولياء لابن الملقن بأنه على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلى الشاذلى، نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية ، الضرير الزاهد ، نزيل الإسكندرية ، وشيخ الطائفة الشاذلية . وقد انتسب - فى بعض مصنفاته - إلى الحسن بن على بن أبى طالب فقال بعد يوسف المذكور - بن يوشع بن برد بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب . وتوقف فيه اهـ .

وجاء نسبه فى نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجى على النحو التالى ، وقد ذكر ولادته كانت سنة ٥٥١ هـ :

نقل ابن عباد نسبه من كتاب اللطيفة المرضية فى شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبى سليمان داود السكندرى بقوله هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدى العلوى الحسنى الفاطمى أبو الحسن على الشاذلى بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن

حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد ابن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم اهـ وفيه أنه لم يكن من أولاد الحسن بن على من اسمه محمد له عقب وإن الذى أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اهـ فصوابه محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب اللهم إلا أن يقال أن ولد الابن ابن قال بعضهم على أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية قرب تونس .

وقد ذكره البدر العينى فى وفيات سنة ٦٥٦ هـ وقال عنه :

الشيخ العارف أبو الحسن على بن عبد الله ، من ولد الحسن بن على بن أبى طالب ، الشاذلى الضرير .

مات بصحراء عيذاب وهو قاصد الحجاز، ودفن بحُمَيْثَرا حيث توفى .

وكان أحد المشايخ المشهورين بمعرفة الطريق ، وله فى ذلك كلام كثير، وتصانيف معروفة (انظر هدية العارفين ١ / ٧٠٩) ، ونسبته إلى شاذلة قرية بإفريقية ورد منها إلى الإسكندرية وسكنها ، وحج مرارا، وصحبته جماعة فانتفعوا بصحبته ، وله حزب يقرأه الناس مشتمل على أدعية مباركة ولطائف حسنة يتبرك بقراءته (عقد الجمان ١ / ١٩٢ ـ ١٩٣) .

كما ذكره ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ فى وفيات سنة ٦٥٦ .

وجاءت ترجمته على النحو التالى :

وهو أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم ابن هرمز الشاذلى المغربى : رأس الطريقة الشاذلية ، من المتصوفة قال الصفدى : وهو رجل كبير القدر ، كثير الكلام، عالى المقام ، له نظم ونثر ، فيه متشابهات وعبارات، يتكلف له فى الاعتذار عنها . ولد سنة ٥٩١ هـ فى قرية غمارة من قرى الجمهورية التونسية ، وتفقه وتصوف بتونس ، وسكن شاذلة فنسب إليها . وقد انتسب فى بعض مصنفاته إلى على بن أبى طالب ، قال الحافظ الذهبى : «هذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت ، وكان الأولى تركه » .

وكان ضريرًا ، ورحل إلى المشرق فحج ودخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية توفى بصحراء عيذاب ، قاصدا الحج ، فدفن هناك (كتاب الوفيات / ٣٢٣ وهامش ١) .

ويضيف الزركلى قوله : نشأ فى بنى زرويل (قرب شفشاون) ... وطلب « الكيمياء » فى ابتداء أمره ، ثم تركها ثم إلى بلاد المشرق فحج ودخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية (الأعلام ٤ / ٣٠٥) .

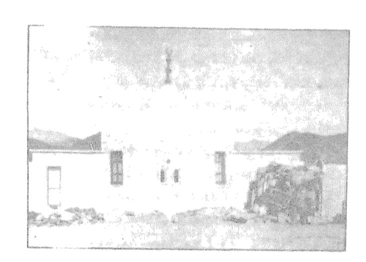
كما ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية وقال عنه :

الشيخ أبو الحسن الشاذلى شيخ الطائفة الشاذلية هو الشريف تقى الدين على بن عبد الله بن عبد الجبار قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد : ما رأيت أعرف بالله من الشاذلى .

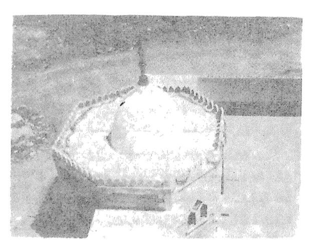
وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : منشؤه بالغرب الأقصى ، ومبدأ ظهوره بشاذلة ، وله السياحات الكثيرة ، والمنازلات الجليلة ، والعلوم الكثيرة ، لم يدخل فى طريق الله حتى كان يعد المناظرة فى العلوم الظاهرة ، وعلوم جمة ، جاء فى هذا الطريق بالعجب العجاب ، وشرح من علم الحقيقة الأطناب ، ووسع للسالكين الركاب . وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يحضر مجلسه ، ويسمع كلامه . قال الشيخ تاج الدين : أخبرنى والدى قال : دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، فسمعته يقول : والله لقد يسألوننى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب ، فأرى الجواب مسطرا فى الدواة والحصير والحائط مات فى ذى القعدة سنة ست وخمسين وستمائة بصحراء عيذاب متوجها إلى مكة (حسن المحاضرة ١ / ٥٢٠) .

قال ابن الملقن : كان أبو الحسن الشاذلى كبير المقدار ، عالى المقام ، له نظم ونثر ومتشابهات ، وعبارات فيها رموز ، صحب الشيخ نجم الدين بن الأصفهانى نزيل الحرم . ومن أصحابه الشيخ أبو العباس المرسى .

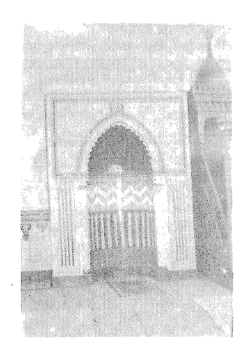
حج مرات ، ومات بصحراء عيذاب ، فدفن هناك ، فى أول ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ .



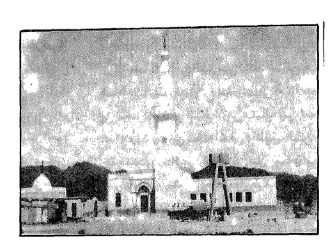
لوحة (١٤٢) ضريح سيدى أبى الحسن القديم بحميثرى قرب عيذاب



لوحة (١٤٣) قبة ضريح سيدى أبى الحسن الشاذلى القديمة



لوحة (١٤٤) محراب مسجد سيدى أبى الحسن الشاذلى الجديد



وتكلم فيه القبارى ، وقد انتصب بعض الحنابلة إلى حربه ، فرد عليهم ، وما هو من حزبه ا هـ (طبقات الأولياء / ٤٥٩)

وكتب عنه صاحب نور الأبصار يقول :

نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار فى الفضائل طيره وحمد فى الطريق سراه وسيره نظم فرفق ولطف وتكلم على الناس فقرط الآذان وشنف وطاف وجال ولقى الرجال وقدم الإسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلى رضى الله عنه ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية وسيرته النبوية وكان يقرأ ابن عطية والشفاء وأخذ عنه العز ابن عبد السلام وله أجزاء محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك فقال : أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فإنى استقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية انتهى قال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتى فإذا النداء يا على قد استجبنا لك وكان يقول قيل لى ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس عبد العظيم المنذرى وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان رضى الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبد السلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذرى وابن الصلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشفاء ويمشون بين يديه إذا خرج ...

وحج مرارا . قال ابن دقيق العيد ، ما رأيت أعرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه يقدم عليكم مغربى زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه فدخل الإسكندرية فآذوه فظهرت كرامات أوجبت اعتقاده رضى الله عنه قال الشعرانى فى خاتمة المنن حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يقول لا يكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع :

شماتة الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء ، فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به .

ثم يذكر صاحب نور الأبصار وصية الشاذلى الجامعة فارجع إلى المصدر إن شئت الاستزاده فى طبعة دار الغد العربى ٤٣٧ ـ ٤٤٠ .

وقد ذكره الأستاذ عبد الله التليدى فى تراجمه لبعض مشاهير أولياء المغرب وقال عنه : ذلك القطب الكبير والغوث الشهير شيخ الطريقة الشاذلية وإمامها أبو الحسن سيدى على ابن عبد الله بن الجبار ، ينتمى نسبه إلى سيدى عمر بن مولاى إدريس المثنى بن مولاى إدريس الأكبر دفين زرهون وفاتح المغرب (أوردنا ترجمته تحت عنوان « إدريس عبد الله » فى م ٣ / ٣٧٠ ـ ٣٧٣ من هذه الموسوعة فانظرها فى موضعها) .

ولد أبو الحسن بقبيلة الأخماس الغمارية بقريه بنى زرويل بقرية اشتنواغل ، ولا يزال البيت الذى ولد فيه محفوظا متبركا بـه إلى الآن (وقد أنجبت هـذه القبيلة عـدة شخصيات كبيـرة كالإمام على بن عبد الحق أبى الحسن الصغير صاحب التقييد على المدونة والعارف بالله سيدى محمد بن سعادة ، والعارف سيدى عبد الوارث اليصلوتى ، والعـارف بالله سيـدى أحمد أقطران ، والعـارف سيدى عبد الله الهبطى ، والعـارف سيدى يوسف التليدى وغيرهم من الأكابر . والأخماس : من عمالة شفشاون تكتنفهـا عدة قبـائل : فشرقـا بنو خـالد الغمـارية ، وشمالا بنو سجيل ، وغربا بنو يوسف ، وجنوبا اغزاوة ، وهذه القبيلة تمتاز كجاراتها بأشجار الزيتون والتين وكثرة المعز) .

نشأ ببلدته وحفظ القرآن ، وطلب العلم ، ورحل إلى فاس فقرأ على كبار علماء وقته حتى أصبـح من كبار علماء الظاهر بحيث كان يعد للمنـاظرة فى العلوم الظاهـرة ، ثم تاقت نفسه لعبادة الله عز وجل فتزهد وتنسك وجاهد نفسه وراضها صياما وقياما وتلاوة وذكرا ، وساح وجال ، ولزم الخلوة والانقطاع عن النـاس . أخذ أولا طـريقة القـوم على وجـه التبرك بفـاس عن الشيخ ولى الله سيدى محمد بن حرازم ابن الشيخ سيدى على ابن حـرازم ، ثـم جعل يطلب القطب فبلغ بـه المطـاف إلى العـراق ، فـاجتمع بـالعارف أبى الفتح الـواسطى فقـال لـه : تطلب القطب بالعـراق وهو فى بلادك ارجع إلى بـلادك تجده فرجع إلى المغرب فـاجتمع بمولانا عبد السـلام ، وعندما أراد مغادرتـه أوصاه بوصـايا نافعـة : ... وأخبره بما سيقع لـه وأنه سيسكن مصـر ، وعين له بعض من يأخـذ عنه ، ثم انصـرف متوجها للديار الشرقية فمر فى طريقه على تونس وأقام بها مدة بشاذلـة ، ثم أوذى من طرف بعض أمرائها فـرحل إلى مصر ، وسكن الإسكندرية ، وحج مرارا .

وأخذ عنه أكابر أئمة الإسلام ، ومن أبرزهم وأشهرهم وارث سـره العارف الكبيـر سيدى أبـو العبـاس المرسى ، والعـارف مكين الـدين الأسمر، وسلطـان العلماء العـز بن عبد السـلام رضى الله تعالى عنهم ، وكـان معاصرا لابن العـربى الحاتمى وأبى الحسن الششترى وابن سبعين وقطب الـدين القسطلانى والحافظ عبـد العظيم المنذرى ، والقرطبى المفسـر، وغيرهم من الأكابر .

تـرجمـه كثيـر من المـؤرخين (كمـا سيأتى بعـد) وأفـرده جماعة بالتأليف ومن أجمع مـا وضع فى حياته وأخباره كتاب أبى الحسن الشاذلى لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود [رحمه الله] ، وقـد ذكر ابن عطـاء الله فى « لطائف المنن » كثيـرا من أخباره وكلامه ومناقبه وكراماته وأثنى عليه جماعة من الأكابر ، وحلوه بأوسمـه رائقة ، ووصفـوه بالقطبانيـة الكبرى فـذكر ابن عطاء فى اللطائف أن الشيخ العراف مكين الدين الأسمر أخبره فقال : حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيبخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ محيى الدين بن سراقة ، والشيخ محيى الدين الأخيمى ، والشيخ أبو الحسن الشـاذلى ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وهـم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صـامت إلى أن فرغ كـلامهم فقال الأسمر : يـا سيدى نـريد أن نسمع منك . فقال : أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم .

فقالوا : لا بد أن نسمع منك . قال : فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بـالأسرار العجيبـة ، والعلوم الجليلة ، فقـام الشيخ عـز الدين وخـرج من صدر الخيمـة وفارق مـوضعه وقـال : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله ا هـ .

وبالجملـة فأبو الحسن الشاذلى رضى الله تعـالى عنه من أفراد هـذه الأمة وأكابر أقطـابها ، ويعتبر المحور الـذى تدور عليه الطـرق الشاذليـة المنتشرة فى العـالم الإسلامـى ، ويعد المجدد لطريق التصوف فى القرن السابع الهجرى والناشر لها والداعى إليها ، وقد ترك بعده وخلف وراءه أئمة كبارا للتصوف والصـوفية لـو لم يكون منهـم إلا سيدى أبـو العباس المـرسى لكان كافيا ، فكيف بغيره من العباقرة والأعلام (المطرب / ١٢٦ ـ ١٢٨) .

ومـن كرامـات الشيـخ أبـى الحسن الشاذلـى ما نقـله ابـن بطوطة فى رحلته قال : أخبرنى الشيخ ياقوت العرشى عن شيخه أبى العباس المـرسى : أن أبا الحسن كان يحج فى كل سنة ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ، ويجاور بمكة شهر رجب ومـا بعـده إلى انقضاء الحـج ، ويزور القبـر الشـريف

ويعود على الدرب الكبير إلى بلده ؛ فلما كان فى بعض السنين (وهى آخر سنة خرج فيها) قال لخادمه : استصحب فأسا وقفة وحنوطا (الحنوط طيب يخلط للميت خاصة) وما يجهز به الميت ، فقال له الخادم : ولماذا يا سيدى ؟ فقال له : فى حميثرا سوف ترى ؛ وحميثرا فى صعيد مصر فى صحراء عيذاب ؛ وبها عين ماء زعاق (الزعاق : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه) وهى كثيرة الضباع . فلما بلغا حميثرا، اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين ، وقبضه الله عز وجل فى آخر سجدة من صلاته ، ودفن هناك . وقد زرت قبره ، رضى الله عنه اهـ (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ١٧ ونور الأبصار / ٤٤١) .

ولأبى الحسن الشاذلى الأوراد المسماة « حزب الشاذلى » ، وللشيخ تقى الدين بن تيمية مصنف فى الرد على ما قاله فى حزبه ، و « الأمين » رسالة فى آداب التصوف رتبها على أبواب ، و « السر الجليل فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل » (كتاب الوفيات / ٣٢٣) ونزهة القلوب .

وبغية المطلوب ، مخطوط فى شستربتى (١ / ٦٩) ولأحمد بن محمد بن عياد كتاب « المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية » مطبوع ، فى سيرته (الأعلام ٤ / ٣٠٥) .

توفى سيدى أبو الحسن الشاذلى بصحراء عيذاب بمصر فى طريقه للحج سنة ست وخمسين وستمائة كما سبق القول ، ولا يزال ضريحه موجودا إلى الآن ، وقد جدد بناؤه مع غرف للزوار فى هذا العصر على يد بعض المصريين (المطرب / ١٣٠ ، ١٣١) .

وقد ورد فى رحلتى ابن جبير وابن بطوطة وفى الخطط المقريزية ، أن عيذاب كان فرضة (ميناء) على بحر القلزم ، وأنه لا عمارة فيها ، ولكنها كانت من أشهر المراسى فى البحار ، تأتى إليها سفن اليمن والحبشة والهند ، وكانت طريق الحج المصرى ، يسير إليها الحجاج . عن طريق قوص ، ثم يركبون منها إلى جدة ، وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى سنة يتوجهون إلى الحجاز عن طريق عيذاب ، ثم أبطل استعمال هذا الطريق فى سنة ٧٦٦ هـ وقد اندثرت عيذاب منذ القرن العاشر الهجرى وتلاشى طريقها ، وتحول عنها الحجاج والقوافل التى كانت تسير بين عيذاب وقوص إلى طريق السويس ، فالعقبة ، فالساحل الشرقى للبحر الأحمر إلى جدة .

ويصف ابن جبير طريق الحج من قوص إلى عيذاب فيقول : المقصد عن قوص إلى عيذاب على طريقين : أحدهما يعرف بطريق العبدين وهو أقصر ، أما الطريق الآخر فيعرف بالحميثرى ، وهو الطريق الذى سلكه شيخنا أبو الحسن فى رحلته الأخيرة إلى البلاد الحجازية حيث وافته المنية سنة ٦٥٦ ودفن بمنزلة حميثرى .

ويتكون ضريح سيدنا أبى الحسن الشاذلى القديم من مبنى مثمن الشكل بكل ضلع من أضلاعه السبعة نافذة ، واحدة مستطيلة والثانية على شكل قمارى (أى فتحتان معقودتان تعلوهما دائرة أو معين) وهكذا بالتناوب ، أما الضلع الثامن فيوجد به مدخل الضريح . ويتوسط الضريح ثمانية أعمدة تقوم فوقها قبة مرتفعة تعلوها قبة مدببة . وقد غطى الجزء المحصور بين القبة والمثمن الخارجى سقف مسطح ، كما زخرف أعلى جدران المثمن بشرافات مسننة . وفى جنوب الضريح أقامت وزارة الأوقاف الآن مسجدا ووصلت بينه وبين مدخل الضريح بممر مسقوف . وقد زودت المسجد بميضأة ودورة للمياه كما أقامت فى الجهة الجنوبية والغربية من المسجد مدرسة لتحفيظ القرآن وسكنا لشيخ المسجد والقائم بالتدريس فى المدرسة (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ / ٢٦٥ ـ ٢٦٧) .

له ترجمة فى : هدية العارفين ١ / ٧٠٩ ، الوافى بالوفيات ١٢ / ٩٢ ، ٩٣ ، طبقات الشعرانى ٢ / ٥ ـ ١٥ ، جامع الكرامات العلية / ١٥ ـ ٥٨ ، مناقب أبى الحسن الشاذلى للفاسى؛ على سالم عمار : أبو الحسن الشاذلى دائرة المعارف الإسلامية : الشاذلى؛ كشف الظنون / ٤٠٤ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، إيضاح المكنون ١ / ٥٥٩ ، ٢ / ٩٧ ، ٢٦٤ ، مجلة العالم الإسلامى (بالإنجليزية) السنة الثانية عشرة / ٢٥٧ ـ ٢٧٩ ، معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، شذرات

الذهب ٥ / ٢٧٨ ؛ لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، لابن عطاء السكندرى ؛ نفحات الأنس / ٥٦٧ ـ ٥٧٠ ؛ الكواكب الدرية ؛ جامع كرامات الأولياء ٢ / ١٧٥ ـ ١٧٧ ؛ أبو الحسن الشاذلى للدكتور عبد الحليم محمود؛ المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية لأحمد بن محمد بن عياد ؛ نكت الهيمان / ٢١٣ ، العبر ج ٥ وفيات سنه ٦٥٦ هـ (كتاب الوفيات / ٣٢٣) .

(نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشبلنجى ط مكتبة الجمهورية القاهرة / ٢٤٣ ـ ٢٤٨ ، وط دار الغد العربى . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٨ / ٤٣٤ ـ ٤٣٦ ، وعقد الجمان لبدر الدين محمود العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ١٩٢ ، ١٩٣ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٢٣ وهامش ١ للمحقق، والأعلام للزركلى ٤ / ٣٠٥ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٢٠ ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ـ حققه وخرجه نور الدين شريبة / ٤٥٩ ، والمطرب بذكر بعض مشاهير أولياء المغرب ـ عبد الله التليدى / ١٢٦ ـ ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ومهذب رحلة ابن بطوطة ـ أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولى . المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤ ، ١ / ١٧ ، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٢ / ٢٦٥ ـ ٢٦٧) .

انظر : حزب البر ، الشاذلية (الطريقة ـ) .

*** حسن الشطى (١٢٠٥ـ١٢٧٤ هـ / ١٧٩٠ـ١٨٥٨ م) :**

نسبه ونشأته :

حسن بن عمر بن معروف الشطى الفقيه الحنبلى الفرضى الهندسى ولد سنة ١٢٠٥ هـ بدمشق وأصله من بغداد ورحل أهله إلى الشام ونزلوا بدمشق وهناك نشأ المترجم له فتعلم القرآن والعلوم ولازم العلماء وتخرج بهم ولم يزل يستزيد حتى عرف بين الناس بالتفوق والتبحر فقصدوه لأخذ العلم عنه ولم يشغله التدريس عن التصنيف .

مؤلفاته ووفاته :

من مؤلفاته شرح زوائد الغاية وشرح عقيدة السفارينى ، وبسط الراحة فى مسائل المساحة ، ورسائل فى البسملة الشريفة وفسخ النكاح والتقليد والتلفيق فى الأصول .

توفى رحمه الله سنة ١٢٧٤ هـ .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٥٣) .

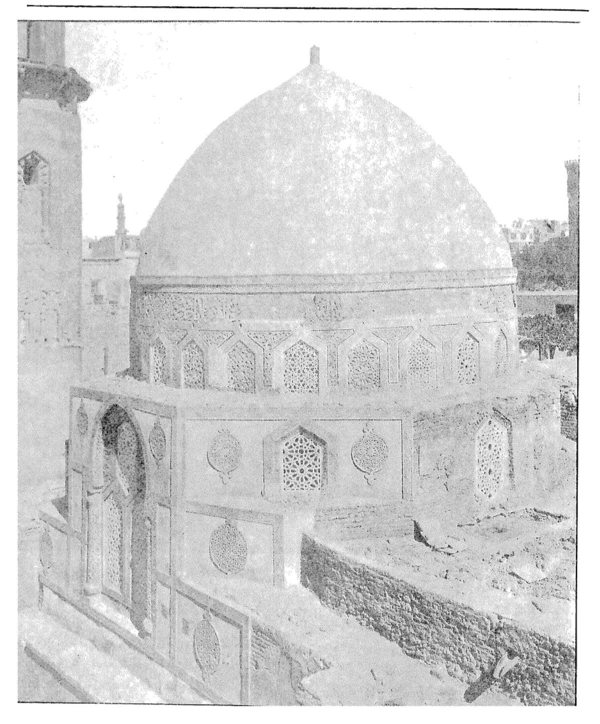
*** حسن صدقة (المدرسة السعدية ، مدرسة وقبة سنقر السعدى) (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) : أثر ٢٦٣ .**

تقع هذه القبة بشارع السيوفية وكانت ضمن المدرسة السعدية التى أنشأها الأمير شمس الدين سنقر السعدى أحد أمراء الناصر محمد بن قلاون سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) وقد سميت بقبة حسن صدقة بالنسبة إلى الشيخ حسن صدقة المدفون بها .

ولم يبق من هذه المدرسة سوى المدخل والقبة والمنارة . فالمدخل يقع فى طرف وجهة القبة يغطيه مقرنص من ثلاث حطات فوقه طاقية العقد وأسفله شباك على كل من جانبيه ثلاثة أعمدة رخامية صغيرة وتغطيه مقرنصات جميلة . وأسفل الشباك إطار زخرفى يحيط بعتب الباب الملبس بالرخام الأحمر والأبيض . هذا ويعلو المدخل زخارف جصية مفرغة غاية فى الدقة والجمال شأنها شأن الزخارف الجصية التى تحلى رقبة القبة وقاعدتها ، وهى أهم ما امتاز به هذا الأثر .

ووجهة القبة من أسفل بها صفتان تنتهيان بمقرنصات بكل منهما شباك يعلوه عتب يزدان بزخارف هندسية ذات أطباق نجمية يعلوه عقد مزرر، وبكل وجهة من وجهات منطقة الانتقال من المربع إلى الدائرة صفة معقودة بزخارف جميلة وعلى جانبيها عمودان حليا بزخارف دقيقة وبها ثلاثة شبابيك اثنان منها بعقد مثلث يعلوهما شباك مسدس كانت جميعها مملوءة بزخارف جصية مفرغة وإلى جانبى الصفة طبقان زخرفيان مستديران ، هذا ويحيط بدائر القبة أعلى هذه المنطقة نطاق زخرفى جميل يشتمل على طراز مكتوب به بالخط المملوكى المزهر آيات قرانية أسفله شبابيك جصية مفرغة يحيط بها زخارف جصية .

وتقوم المنارة على يسار المدخل وقد أنشئت على طراز المآذن التى شيدت فى هذه الحقبة من الزمن (أواخر القرن السابع وأوائل الثامن ـ أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع



قبة حسن صدقة
٧١٥ هـ (١٣١٥ م)

القبة من الخارج



القبة من الداخل

ضريح حسن صدقة
٧١٥ هـ (١٣١٥م)

عشر) وهى تتكون من بدن مربع تحلى وجهاته صفف معقودة وينتهى بدورة المؤذن التى يعلوها مثمن به ثمانى فتحات ذات عقود مورقة داخل صفف تغطيها عقود مخوصة ويعلو المثمن طبقتان من المقرنص المتعدد الحطات يعلوهما قبة مضلعة .

والقبة من الداخل محمولة فى الأركان على مقرنصات مكونة من ثلاث حطات بمنتصف الحطة الأولى من كل منها شباك ذو عقد مثلث مثل الشبابيك المجاورة له والسابق الإشارة إليها وأسفل هذه المقرنصات طراز مكتوب يحيط بالمربع .

ويقع المحراب فى منتصف الحائط الشرقى للقبة ، ويحيط به طراز مكتوب به أدعية وبنهايته تاريخ القبة مكتوبا بالأرقام (٧٢١ هـ) وبالقبة تابوت مكتوب به اسم منشىء المدرسة وتاريخ الإنشاء (٧١٥ هـ) كما تضم القبة رفات الشيخ حسن صدقة .

(مساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٥٥ ، ٥٦) .

* **أبو الحسن الصُّغَيِّر (-٧١٩ هـ / -١٣١٩ م) :**

ذكره تحت هـذا الاسم صاحب فهرس مخطوطات خزانة القرويين وقال عنه :

أبو الحسن الصغير على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى المشهور بأبى الحسن الصغير بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة التحتية عرِّف به ابن الخطيب فى الإحاطة وأثنى عليه حفظا وتفننا وتولى القضاء بفاس فحمدت سيرته وظهر فضله توفى عام تسعة عشر وسبعمائة وفى مسند الفقه من المنح البادية أن سيدى عبد العزيز القروى هو صاحب التقييد المنسوب لأبى الحسن الصغير وهو أحسن التقاييد وأصحها ـ انظر بقية ترجمته فى الديباج المذهب ص ٢٠٤ (فهرس المخطوطات ٢ / ٤١٢) .

وقد أدرجه صاحب الأعلام تحت اسم « الصُّغَيِّر » وقال عنه : على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى ، أبو الحسن ، المعروف بالصُّغَيِّر ، قاض معمر ، من كبار المفتين فى المغرب . ولاه السلطان « أبو الربيع » القضاء بفاس فحسنت سيرته . وكان يدرِّس بجامع الأجدع فيها . له « التقييد على المدونة » مخطوط خمسة أجزاء ، فى الصادقية بتونس ، باسم « شرح تهذيب المدونة » ، فى فقه المالكية ، و « فتاوى وتقييدات » قيدها عنه تلاميذه ، وأبرزت تأليفا . عاش أكثر من مائة عام (الأعلام ٤ / ٣٣٤) .

(فهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢ / ٤١٢ ، والأعلام للزركلى ٤ / ٣٣٤ ، وانظر ما جاء بهامش ٣ من مراجع) .

* **حسن الصنيع شرح مليح البديع :**

من مخطوطات المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا
OP. 1496

جاء بيانه كما يلى :

مجلدة تضم القسمين الأول والثانى من الكتاب .

تأليف : على بن حسن بن بدر الدين البدرى الغزى الشافعى .

كتاب كبير تناول فيه الغزى شرح القصيدة المسماة « مليح البديع فى مديح الشفيع » للشيخ عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ للهجرة ، وجعله شرحا مبسوطا . بدأه بمقدمة ذكر فيها اتصاله بالشيخ النابلسى وسبب اختياره هذه القصيدة للاضطلاع بشرحها ، ثم أورد فى مقدمته ثبتا بأسماء الكتب التى اعتمدها مصادر ومراجع فى شرحه كخزانة الأدب للبغدادى . وقد حفل شرحه هذا بأنباذ كثيرة من النحو وطرائف أدبية كثيرة ، وضم فيه أشعارا وأخبارا وقضايا بلاغية ومسائل عروضية وغير ذلك مما يحتاج إليه توجيه شرحه .

وقسمه ثلاثة أقسام تضم هذه المجلدة منها قسمين .

أولهما : ويقع فى ١٢٥ ورقة .

والثانى : يقع فى ٣٧٨ ورقة .

وجاء فى آخر الثانى ما نصه : « يتلوه القسم الثالث وبه يتم الكتاب » .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى ما اشتمل عليه من أخبار كثيرة وتراجم لأدباء ونحاة وشعراء ، ، وما فيه من شعر ونصوص جمعها من مصادر متعددة ربما ضاع كثير منها .

أوله بعد البسملة والحمدلة : « وبعد فقد سبق فى العلم القديم ما اقتضته حكمة العزيز الحكيم ... » .

آخره : « تمت الجملة الأولى من القسم الثانى من الكتاب المسمى ... وتتلوها الجملة الثانية وبها يتم الكتاب » .

نسخة المجلدة تامة بحالة حسنة فرغ من كتابتها سنة ١١٣٢ هـ فهى إن لم تكن بخط المؤلف فلا بد أن تكون فى حياته ، فلم يذكر اسم ناسخ لها . خطها نسخ دقيق الحروف ، وعناوين المسائل بخط متميز .

(٥٠٣) ق (٢١,٥ × ١٥,٥ سم) (١٤ × ٩ سم) المسطرة (٢٧ س) .

المصادر : إيضاح المكنون ٢ / ٥٥٣ ، وذيل بروكلمان ٢ / ٤٧٦ .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

* **حسن الصنيعة فى ضمان الوديعة :**

للشيخ تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة (كشف ١ / ٦٦٧) .

* **حسن الصوت فى التلاوة :**

أفرد الإمام النووى فصلا فى كتابه « التبيان » فى استحباب طلب القراءة الطيبة من حسن الصوت جاء فيه ما يلى :

اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرءوا وهم يستمعون ، وهذا متفق على استحبابه ، وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ ؛ فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ «اقرأ على القرآن فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال إنى أحب أن أسمعه من غيرى، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [النساء : ٤١] قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان » رواه البخارى ومسلم . وروى الدارمى وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ عنده القرآن ، والآثار فى هذا كثيرة معروفة ، وقد مات جماعات من الصالحين بسبب قراءة من سألوه القراءة ، والله أعلم ، وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبى ﷺ ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من القرآن . ثم إنه ينبغى للقارئ فى هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويناسبه ، وأن تكون قراءته فى آيات الرجاء والخوف والمواعظ والتزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة والتأهب لها وقصر الأمل ومكارم الأخلاق .

(التبيان فى علوم القرآن للإمام النووى / ٧٨ ، ٧٩) .

* **حسن الطويل (١٢٥١ - ١٣١٧ هـ)**

حسن بن أحمدبن على ، أبو محمد الطويل ، فاضل مصرى مالكى (الأعلام ٢ / ١٨٣) . ممن نهضوا بالتصحيح من رجال الأزهر الشريف (الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ١ / ١٣٤) ترجم له ترجمة مستفيضة تلميذه العلامة أحمد تيمور باشا(انظر ترجمته تحت عنوان « تيمور باشا (أحمد) فى م ١١ / ١٩٩ - ٢٠٤) ذاكرا صلته به ، وما يدين له به من فضل فقال عنه :

الإمام العلامة ، شيخ الشيوخ ، وأستاذ الأستاذين، وأحد من تفرد فى مصر بالبراعة فى المعقول والمنقول ، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلو النفس ، والتأدب بآداب الشرع والتمسك بالكمالات .

وهو حسن الطويل بن أحمد الطويل بن على ، أبو محمد ولد بمنية شهالة إحدى قرى المنوفية ، حوالى سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبى خطوة . وذكر الشيخ بشير الظافر فى كتابه اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة ، أنه ولد سنة ١٢٥٦ ، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها ، ثم انتقل إلى طندتا [طنطا] وهو صغير، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الأحمدى نحو سنتين أو ثلاث، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر، فقرأ على شيوخ العصر، مثل الشيخ محمد عليش المالكى فى الفقه والحساب وغيرهما وعلى الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، والشيخ إبراهيم السقاء ، والشيخ محمد الأشمونى، والشيخ محمد الأنبابى، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، فظهرت عليه النجابة ، وابتدأ فى حضور السعد، وكان من دأبه فى أول أمره معاكسة المشايخ فى الدروس بكثرة الأسئلة والمناقشات، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر، وسبب ذلك أن أبناء العمد وأقاربهم طلبوا للدخول فى الجندية بقانون وضع لذلك أمر به سعيد باشا والى مصر ، ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم .

تجنيده بأمر سعيد باشا :

وجند مع من جند فصار واحدا منهم ، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم فى التفريط فى الفروض ، فكان يواظب على الصلوات والأوراد ، وكان الوالى يكره من الجند من يصلى ، وحدث أن المترجم جاءه من شيخه الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى كتاب فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل صلاة ، رجاء أن تفرج كربه وتخلصه من الجندية ، فوقع الكتاب فى أيديهم ، وعدُّوه لذلك مذنبا ، وكان عقاب المذنبين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم فى السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة ، فكان المترجم

يشتغل فى هذه الأعمال بهمة رائدة تأديبا لنفسه ، لأنه ظن ما وقع له عقابا على جراءته على مشايخه ، وكان سعيد باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة ، والعاصين المذنبين بالنماردة ، فغضب مرة على النماردة وأمر بطردهم من الجيش ، فخرجوا منه إلا أنهم بقوا تابعين له ، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ، وخرج المترجم معهم ، فأقام بقريته مدة ، وكان قبل ذلك يجتمع على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق فرأى أن يسافر إليه فسافر إلى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال منية ابن الخصيب ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق .

فراره :

ثم طلب إلى الجندية مرة ثانية فذهب إليه أبوه ليحضره وأراد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع أبيه إلى قريته فوجدهم أهملوا طلبه ، فحمد الله وأراد والده إبقاءه معه فى القرية خوفا من أن يعود إلى الصعيد ، فضاق المترجم بهذا الأمر وخرج من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئا ، فمشى على قدميه يبيت فى كل بلدة تصادفه حتى وصل إلى القاهرة ، ودخلها من جهة باب الحديد فاشترى بما معه شيئا أكله ، وذهب إلى الأزهر فصادف الشيخ محمد السقارى فى طريقه ، فلما رأى المترجم أسرع إليه وهش له ، وأخبره أنه يطلبه من مدة . ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهرا لا يتكلف شيئا من عنده ، وكان مراد السقارى نظم قصيدة يمدح بها أحد الأمراء ، فنظمها له وأخذ السقارى عليها أربعين دينارًا جائزة . ولما انقضى الشهر حف الله المترجم بعنايته ، فطلبه الشيخ حسن العدوى لتصحيح البخارى ، وكان شرع فى طبعه فانتفع بأجر التصحيح . ثم طلب إلى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة ، وامتحنه فأعجب به ، وكاد يطير فرحا وقال عنه هذا جوهرة خفيت عنا ، واستخدمه فى الحال للتصحيح بهذا الديوان ، وسعى له حتى محوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه .

ثقافة شاملة :

وكان المترجم فى هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به ، مع القيام بالتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهل للتدريس فدرس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه فى شوال سنة ١٢٨٣ وابتدأ فيه بالقراءة فى الأزهرية . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر ، بل بحث ونقب ، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الأفغانى فتلقى عنه العلوم الحكمية ، وبرع فيها ، وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى ، ونظر فى الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية ، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر ، وطالع كتب اللغة والأدب ، ونظم الشعر السهل ، وكتب الترسل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علما إلا ويسعى إليه ويتلقاه عنه كائنا من كان ، حتى صار نسيج وحده ، وقريع دهره ، فى سائر العلوم مع بعد النظر فى السياسة ، وسعة العقل ، وسلامة العقيدة ، وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات فى الدين .

مشاهير تلاميذه :

وقد قرأ عليه فى الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين ، فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة ، والشيخ محمد عبده ، والسيد أحمد الشريف ، وإبراهيم بك اللقانى ، والشيخ محمد راضى البولينى ، ممن قرأ عليه فى الطبقة الأولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ محمد الغرينى ، والشيخ عبد الرحمن قراعه ، وقرأ عليه أيضا الشيخ محمد بخيت ، والشيخ داغر ، والشيخ محمد المغربى ، والشيخ أحمد الزرقانى ، وغيرهم ممن لا يحصون ، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ راضى البولينى ، والشيخ عبد الرحمن فودة ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، فكانوا يقرأون عليه فى داره دروسا غير الدروس الأزهرية ، وصحبوه ولازموه فانتفعوا به فى دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه .

ثم نقل إلى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها ، ولما مات الشيخ زين المرصفى مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ ، وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثانى جعل المترجَم مفتشا ثانيا . ثم نقل مدرسا بمدرسة دار العلوم ، فعم الانتفاع به ، وتخرج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة المتخرجين

فى هـذه المدرسة كـالشيخ الفاضل حسن منصـور ، والشيخ محمـد المهـدى ، والشيخ محمد الخضـرى ، والشيخ عبـد الوهاب النجار وغيرهم من أفاضل الوقت .

وفاته :

وبقى فى هذه المدرسة إلى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا فى الامتحـان قبل الأجازة المـدرسية كـالعادة ، فلمـا كانت ليلـة السبت ١٧ صفر سهر كعادته . ثم ذهب لداره معافى ليس به شىء ، واستيقظ فتـوضأ وصلـى الصبح . ثم طلب الإفطـار والقهوة ، وأخذته غفوة كان فيها القضاء المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليـوم إلا والنعاة ينعـونه والمـؤذنون يؤذنـون على المآذن كـالعادة فى موت كبار العلمـاء ، وأم داره شيخ الأزهر الشريف الشيخ عبد الرحمـن الشربينى ، والشيخ محمد عبده المفتى ، وجميع العلماء والفضلاء ، وكبـار نظارة المعارف ، وتـلاميـذه من الأزهـر ودار العلوم ، وشيعت جنـازتـه تشييعـا سنيا ، فصلوا عليه فى الأزهر ودفنـوه بمقابر المجاورين رحمه الله وغفر لـه عدد حسناتـه ويضيف أحمد تيمـور قائلا : ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الـدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعـا به مع قلة إجادته فيه ، فقال لى عند ما أراد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان ، وقد قربت الأجـازة ، وصدرى ضيق فى هذه الأيام من الناس ، ونفسى تجنح للعزلة ، فهل تعرف لى مكانا أقضى فيه بعض أيام بعيدا عنهم ؟ فقلت يا سيدى إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسـافر معـا إلى ضيعتنا التى بقـويسنا فنخلـوا فيها بكتـاب نقـرؤه ، فقـال نعم الـرأى هـذا ، وسأستصحب معى ولدى حسنا ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقلـه الله إلى جواره ويسـر لـه العزلـة ، ولكن فى دار قـراره ، فأصبت فيه مصيبة لم أصبها فى بعيـد ولا قريب ، لما كان له علىَّ من الفضل ولـو لم يكن لـه علىَّ سوى تصحيح العقيـدة وتأديبى بآداب الحنيفية السمحاء لكفى .

الأستاذ يرشد :

أما سبب اجتمـاعى به وقراءتى عليـه ، فإنى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا فى سن العشرين ، وقـد علق بالعقيدة شىء من آثار التـربية بهذه المدارس إلا أنى كنت مـولعا من الصغر بالإسـلام ومحاسنه ، والمطالعـة فى السيرة النبويـة ، ومناقب الأصحـاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدرى لأشياء ، وينقبض من أشياء تعـرض لى فيها شبهـات . ثم كنت أعـرض ما يظهـر لى من مكـارم الشريعـة ومقاصـدهـا على ما عليـه الناس من البـدع والمحدثات التى تمسكوا بها ، وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصرت أتردد على كثير من العلماء وغيرهم ، لعلى أجـد عندهم مفرجا فأراهم أحـرص من العامة على هذه الخـزعبلات ، حتى كدت أحكم بأنهـا من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين ، فإمـا أن يكون الدين دين خـرافات وخزعبـلات تنفر منها الطباع السليمـة ، وإما أن يكون مـا نراه حقا ، ولكن يمنعنـا من قبوله إلحـاد تأصل فى النفس . حتى أرشدنى بعض الأصحاب للمترجـم ، فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفروننى منـه حتى بالغ بعضهم عامله الله بما يستحق ورماه بالزندقة ، فقلت إذا كنت لم أجد طلبتى عنـد من تسمـونهم بـالصلاح والـورع ، فلعلى أصيبهـا عنـد الزنادقـة . ثم سعيت فى الاجتماع به ، وسألتـه القراءة عليه ، والاهتـداء بهديـه ، فقـرأت عليـه العلوم العـربيـة والمنطق ، وأعدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة . ثم قرأت طرفا من الحكمـة فى شرح الـدوانى على هيـاكل النور للسهـروردى ، وشـرح رســالـة الـزوراء وغيـر ذلك . ولمـا رآنى مجـدا فى التحصيل ، قـرر لى درسا ثـانيا بعـد العشاء كنـا نقرأ فيـه كتب الأدب ونحوها ، وأنا فى كل هذه المدة أستوضح منه ما أشكل على فيحله لى ، فكـان اجتماعى به ومصاحبتى إيـاه من أكبر نعم الله علىَّ فى دينى ، وكثيرا ما كان يغضب منى ويؤنبنى إذا رأى منى تهاونا فى الصلاة .

وكان من عـاداته الخـروج إلى الريف كل خميس تـرويحا للنفس فكـان يذهب إلى الأميـريـة من ضواحى القـاهرة عنـد تلميـذه الشيخ عبـد الـرحمن فـودة فيقضـى عنـده الخميس والجمعة ويعـود يوم السبت فلما عرفتـه صار يذهب للأميـرية بعض الأخمسة ويسافر فى بعضها إلى ضيعتنا التى بقويسنا أو إلى حلوان حينمـا نسكن بها شتاء ، فكنت أقضى معـه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال حتى فى حالة المشى والتنزه كنت

أحمل الكتاب معى وأسمعه فيه فيقرر لى المسائل ونحن سائران .

كان متصوفا :

وكان رحمه الله سنى العقيدة ، صوفى المشرب ، لا يحيد عن الشرع قيد أصبع ، آخذًا بمذهب الإمام ابن تيمية فى مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى ، منكرًا على المبتدعة أشد إنكار ، آية من آيات الله فى معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين ، متضلعا من الحديث ، متحصنا بالشريعة فى كل علم يقرؤه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات ، وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية ، فكان أمره فى ذلك عجبا وشأنه فيه مستغربا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومع انحراف العلماء عنه لإنكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه ، فإنهم كانوا مقرين بفضله ، وكثيرا ما كانوا يحتاجون إليه فى معرفة أسرار الشريعة ، وحل مشكلاتها والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى أو المرتدين .

أخلاقه ومساعيه :

أما أخلاقه فزهد غريب ، وعلو نفس عن الدنايا ، وبعد عن الرياء ؛ وتواضع مع كل إنسان ، وسذاجة فى المطعم والملبس والمسكن ، لا ينفق على نفسه من مرتبه إلا القليل ويتصدق بالباقى فى الخفاء ؛ فلما مات قام الصراخ فى دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل ، كان يعولهم فى كل شهر بما فضل من نفقته ، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه وأخصهم به إلا بعد موته .

وكان كثير الاشتغال بأمور المسلمين ، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر فى مشارق الأرض ومغاربها ، منتظرا فرجا يأتيهم ، ولطفا من الله يحفهم ، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين ، تقوى على جمع شملهم ؛ ولذلك لما قام المهدى بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد السودانية ، أحسن المترجم فيه الظن وقام بنصرته بقلبه ولسانه ، حتى اضطر الإنكليز أن يسيّروا وراءه عينا يخبرهم بحركاته وسكناته ، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه لولا أن سلمه الله .

ولمداومة اشتغاله بالإقراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفا ، غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقيه من الدروس ، وكان يدرس التفسير بمدرسة دار العلوم ، شرع فى جمع ذلك فى كتاب سماه « عنوان البيان » لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦ ، أى قبل وفاته بسنة . (أعيان القرن الرابع عشر / ١٠٣ - ١١٣) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٨٣ ، والأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة - د. محمد كامل الفقى ١ / ١٣٤ ، وأعيان القرن الرابع عشر للعلامة أحمد تيمور / ١٠٣ - ١١٣) .

*** حسن الظن بالله سبحانه وتعالى :**

حسن الظن بالله سبحانه وتعالى : للشيخ أبى بكر عبد الله ابن محمد بن عبيد القرشى الشافعى المعروف بابن أبى الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ إحدى وثمانين ومائتين وهو مختصر محذوف الأسانيد أوله الحمد لله وسلام على عباده ... إلخ .

(كشف ١ / ٦٦٧) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وقد أدرج تحت عنوان « حسن الظن بالله عز وجل » وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٩٥٩٥ .

كتاب فى حسن الظن بالله وما ورد فى ذلك من الأخبار والقصص رواية أبى الحسن على بن بشر المعدل عنه .

المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن قيس القرشى الأموى المعروف بابن أبى الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م

أوله : أنبأنا أبو الفضل جعفر بن أبى البركات الهمدانى المقرئ رحمه الله إجازة ... سند المؤلف إلى حكيم بن جعفر قال : مات لمضر ابن كانت فيه خلال تكره ، فحزن عليه مضر حزنا شديدا فقلت : هذا من مثلك كثير تحزن على ولد أرجو أن يكون ذلك ذخرا ...

آخره : حدثنا عبد الله عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «لله مائة رحمة وإنما أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون » .

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : سنة ٧٩١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة مراجعة ومقابلة عليها تملكات تختلف ترتيبها عن المطبوعة .

مصادر عن الكتاب : بروكلمان الترجمة العربية ٣ / ١٣٢ ، د. صلاح الدين المنجد معجم مصنفات ابن أبى الدنيا ص ٨ رقم ٥٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٦ / ١٣١ ، تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن مجموعة رسائل ابن أبى الدنيا سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م وهو ثالث الرسائل ص ٣٩ طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

بعض نسخ الكتاب : الأحمدية بحلب ــ مجلة المجمع العلمى بدمشق ١٠ / ٥٧٧ ، المحمودية بالمدينة المنورة ١٢٤ مجاميع (فهرس المخطوطات ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٧ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

*** حسن عبد الوهاب (١٣١٧ - ١٣٨٦ هـ / ١٨٩٩ - ١٩٦٧ م) :**

قال عنه صاحب الأعلام : حسن عبد الوهاب المصرى ، عالم بالآثار الإسلامية . عمل فى ابتدائه مصورا فى لجنة حفظ الآثار الإسلامية بالقاهرة . وسافر إلى البلدان العربية ودرس عمائرها الأثرية . وعين مفتشا للآثار العربية . وأنشأ مكتبة خاصة احتوت على نوادر فى موضوعها . واختير عضوا فى المجمع العلمى المصرى ، والجمعية التاريخية المصرية والمجلس الأعلى للآداب والفنون . له عدة كشوف وأبحاث ومؤلفات ، أهمها « مساجد القاهرة » جزءان ، و « ميدان صلاح الدين و ما حوله من الآثار » و « تخطيط القاهرة » و« بين الآثار الإسلامية » رسالة ، وكلها مطبوعة (الأعلام ٢ / ١٩٨).

وله أيضا كتاب « تاريخ المساجد الأثرية » وسيأتى الكلام عليه فيما بعد .

وفى تصديره المستفيض لهذا الكتاب يعدد الأستاذ أحمد صليحة مآثر حسن عبد الوهاب فى مجال الآثار الإسلامية كشفا وتأليفا وتصويبا مما ننقله لك فيما يلى : ... بعد أن عين حسن عبد الوهاب كبيرا لمفتشى الآثار الإسلامية فى القاهرة ، ظل حتى وفاته فى سنة ١٩٦٧ مخلصا لعمله ، الذى أوقف عليه حياته ، فتعددت مؤلفاته ومكتشفاته الأثرية وكان منها :

محراب المعز لدين الله بالجامع الأزهر وكشف شرفاته الفاطمية .

تابوت المشهد الحسينى .

اسم مهندس مدرسة السلطان حسن « محمد بن بيليك المحسنى » .

فسيفساء مذهبة فى قبة الصالح نجم الدين الأيوبية .

مشكاوتيان من الزجاج المكتوب والمنقوش بالميناء ترجعان إلى العصر المملوكى فى قبة مسجد أبو النجا بفوه .

شباك من النحاس مكفت بالذهب والفضة عليه اسم الملك المظفر فى مسجد شيخو.

قطع كثيرة من مشكوات زجاجية مشغولة ومكتوبة بالميناء فى مسجد برقوق بالنحاسين .

مصحف شريف مكتوب فى القرن السادس الهجرى وعليه اسم كاتبه ومذهبه .

قبة أبى تراب الفاطمية بالعباسية .

قبة جمال الدين (القرن السادس عشر الميلادى) .

المساهمة فى كشف باب التوفيق الفاطمى .

تصويب عدد من تواريخ الأماكن الأثرية وأهمها :

قبة بدر الجمالى الفاطمية ، وقاعة الدردير الفاطمية ، وقبة يونس الدوادر المملوكية .

وقد أصدر العديد من الكتب الهامة منها :

بين الآثار الإسلامية . نشر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

الآثار الإسلامية بمصر . نشر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

العمارة فى عصر محمد على .

تاريخ الشرطة فى العصر الإسلامى .

دليل الطالب لآثار القاهرة .

العمارة الإسلامية فى مصر .

إدارة حفظ الآثار العربية رسالتها فى رعاية الآثار الإسلامية .

رمضان ... عناية المسلمين بهذا الشهر وتقاليدهم فيه .

اشتراكه فى كتابة تاريخ ووصف جامع الزيتون [الزيتونة] بتونس . (نشر فى الجزء الأول من كتاب العمارة الإسلامية للدكتور كريسويل) .

مسجد السلطان حسن وما حوله من الآثار بميدان صلاح الدين والقلعة .

هذا فضلا عن الكثير من المحاضرات والبحوث القيمة ومنها :

مميزات العمارة الإسلامية . محاضرة ألقيت فى مؤتمر الآثار ببغداد سنة ١٩٤٧ .

الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية .

محاضرة القيت فى مؤتمر الآثار ببغداد سنة ١٩٥٧ .

خانقاه فرج بن برقوق وما حولها من آثار صحراء قايتباى .

محاضرة ألقيت فى مؤتمر الآثار بالرباط سنة ١٩٥٩ .

العمارة العثمانية فى مصر . بحث ألقى فى مؤتمر المستشرقين بتركيا سنة ١٩٥١ .

بين خيال الظل والسينما . بحث ألقى فى مؤتمر السينما والثقافة فى بيروت سنة ١٩٦٢ .

توقيعات الصناع على الآثار الإسلامية . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

طراز العمارة فى الريف . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

الآثار المنقولة والمنتحلة . ألقيت بالمجمع العلمى المصرى .

وحدة الفن فى العمارة الإسلامية والقبطية . ألقيت فى المعهد اليوسابى .

التأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر . ألقيت فى الحلقة الدراسية الأولى للتاريخ والآثار التى نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

ومن مقالاته :

سلسلة عن أثر المرأة فى العمارة الإسلامية . نشرت فى مجلة الهندسة .

القشانى فى الآثار الإسلامية بمصر . نشرت فى مجلة الهندسة .

سلسلة عن بعض الآثار المغبونة مثل رباط أحمد بن سليمان ومدرسة أبو بكر مزهر ومسجد أمام السلحدار وفن التصوير عند العرب .

اشترك فى كتابة تاريخ ووصف قصر الحمراء بغرناطة .

سلسلة عن العمارة الإسلامية (البناء بالطوب فى العصر الإسلامى) وأثر الفنون فى الحياة الإسلامية . نشرت فى مجلة العمارة .

بحثان عن علاقة مصر بالسودان فى العصر الإسلامى والإسكندرية فى العصر الإسلامى . نشر فى مجلة الكتاب .

فتوح الذوق فى الفنون (خصائص العمارة الإسلامية) نشر فى عدد خاص من مجلة الأزهر .

الأميرة فاطمة إسماعيل واضعة دعامة الجامعة المصرية . نشر فى مجلة الشهر .

الأفراح المشهورة فى العصر الإسلامى . حقوق المرأة فى الإسلام .

الآثار المصرية على أوراق النقد . نشر فى مجلة الإيماج .

فى كراسات التاريخ بالفرنسية . دار ابن لقمان بالمنصورة جامع عمرو بن العاص .

القاهرة : نشأتها وتطورها من العصر الفاطمى إلى العصر الحديث . نشر فى المجلة التاريخية المصرية . المساجد وأثرها فى التربية والتعليم . مكافحة المنكرات فى تاريخ مصر الة المرأة فى الإسلام . تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى.دور الفروسية فى العصر الإسلامى . أبحاث نشرت فى مجلة لواء

الإسلام.الجامع الأموى بدمشق . بغداد وآثارها الإسلامية . الآثار الإسلامية بالعراق . التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية بمصر . المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية . أبحاث نشرت فى مجلة القاهرة .

تاريخ وشرح العصر العربى بالمتحف . موجود بدليل الحضارة .

تاريخ البريد فى العصر الإسلامى . تاريخ الصيد ومواسمه فى مصر .

تونس الخضراء . عبر الجبرتى . مصايف القاهرة . الأزبكية .

الفنون والصناعات الإسلامية فى مصر . العيد الألفى للقاهرة .

قلعة قايتباى بالإسكندرية . الإسكندرية تاريخها وآثارها .

الإسكندرية ونهضتها العلمية . قلعة صلاح الدين بالقاهرة .

التراث الأندلسى المجيد والروابط الثقافية بين مصر والأندلس .

رشيد : ماضيها وحاضرها . مفخرة رشيد فى جلاء الإنجليز عنها .

تاريخ الأرمن فى مصر ومنشآتهم المعمارية . حوانيت الأزهار فى العصر الإسلامى .

دار ابن لقمان وموقعة المنصورة . مسجد النبى دانيال والبحث عن قبر الإسكندر . تاريخ ثلاثين مسجدا . نشرت تباعا فى شهر رمضان سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٥ م .

اشترك فى إخراج عدد الأهرام فى ٧٥ سنة من ١٨٧٦ حتى سنة ١٩٥٠ .

كذلك اشترك فى إخراج العدد الخاص بالقاهرة فى ألف سنة .

★ ★ ★

ومن هنا نرى أن معظم إسهامات ذلك العالم العبقرى الفذ جاءت فى صورة محاضرات ومقالات أكثر منها فى شكل الكتاب ، الأمر الذى قد يعرض هذا التراث إلى الفقدان والضياع مثلما ضاعت مكتبته العلمية الثمينة التى وجدت طريقها إلى إحدى البلدان العربية البعيدة وأصبح من العسير على الباحثين الاطلاع على ذخائرها وكنوزها ، والأمر يتطلب منا السعى إلى جمع هذه الدراسات القيمة وإعادة إصدارها فى مجلد أو سلسلة من الكتب تتيح للباحث المعاصر الاستفادة منها .

وعلى رأس مؤلفاته يأتى هذا الكتاب الهام « تاريخ المساجد الأثرية » الذى لعبت الأهواء السياسية دورها فى حجبه عن الظهور لفترة طويلة ، رغم قلة المراجع العربية الهامة عن التراث المعمارى الفنى للحضارة الإسلامية .

(تاريخ المساجد الأثرية / ١ - ٤) .

قالت المؤلفة : كتاب تاريخ المساجد الأثرية هذا هو الذى عندى طبع الهيئة المصرية العامة ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٩٨ ، وتاريخ المساجد الأثرية - حسن عبد الوهاب / ١ - ٤) .

*** الحسن العسكرى (٢٣٢ - ٢٦٠ هـ / ٨٤٦ - ٨٧٣ م) :**

ترجم له صاحب الأعلام تحت عنوان « الحسن الخالص » فقال عنه : الحسن بن على الهادى بن محمد الجواد الحسينى الهاشمى ، أبو محمد ، الإمام الحادى عشر عند الإمامية (انظر الرسم المصاحب لمادة « الإمامية » فى ٦ / ٥١ من هذه الموسوعة) . ولد سنة ٢٣٢ فى المدينة ، وانتقل مع أبيه . « الهادى » إلى سامراء (فى العراق) وكان اسمها «مدينة العسكر » فقيل له العسكرى - كأبيه - نسبة لها . وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه . وكان على سنن سلفه الصالح تقى ونسكا وعبادة .

وتوفى بسامراء (الأعلام ٢ / ٢٠٠) .

ونسبه صاحب نور الأبصار فقال : الحسن الخالص بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . ثم يعدد مناقبه وكراماته : مما ننقل بعضه فيما يلى :

أمه أم ولد يقال لها حديث وقيل سوسن (وكنيته) أبو محمد وألقابه الخالص والسراج والعسكرى (صفته) بين السمرة والبياض (شاعره) ابن الرومى (بوابه) عثمان بن سعد (نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات والأرض (معاصره) المعتز والمهتدى والمعتمد . ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة .

(ومناقبه) رضى الله عنه كثيرة ففى درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبى يبكى والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له أشترى لك ما تلعب به فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقال له فلماذا خلقنا قال للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك فقال من قوله تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون : ١١٥] ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضى الله عنه مغشيا عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك فقال إليك عنى يا بهلول إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإنى أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم .

كراماته : الأولى : وهى جامعة لكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفرى قال كنت فى الحبس الذى فى الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمرى وفلان وفلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن ابن على العسكرى وأخوه جعفر فحففنا بأبى محمد وكان المتولى الحبس صالح بن يوسف الحاجب وكان معنا فى الحبس رجل أعجمى فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سرا لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبر فيها بما تقولون فيه وهى معه فى ثيابه يريد الحيلة فى إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره قال أبو هاشم فما تمالكنا أن تحاملنا جميعا على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه فى ثيابه وهو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه وحذرناه وكان الحسن يصوم فى السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه قال أبو هاشم فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامى فجاء لى بكعك فذهبت إلى مكان خال فى الحبس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسى مع الجماعة ولم يشعر بى أحد فلما رآنى تبسم وقال أفطرت فخجلت فقال لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه وقال عزمت عليك أن تفطر ثلاثا فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث ...

الثانية : عن على بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى ابن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لى يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معى كتاب فيه تاريخ ولادتى فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال : هل رزقت ولدا قلت لا فقال اللهم ارزقه ولدا يكون له عضدا فنعم العضد الولد ثم أنشد :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته
إن الذليل الذى ليست له عضد

فقلت يا سيدى وأنت لك ولد فقال إنى والله سيكون لى ولد يملأ الأرض قسطا وعدلا وأما الآن فلا .

الثالثة : عن إسماعيل بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم قال قعدت لأبى محمد الحسن على باب داره حتى خرج فقمت فى وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت أنى لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه فقال تقسم وقد دفنت مائتى دينار وليس قولى هذا دفعا لك عن العطية أعطه يا غلام ما معك فأعطانى مائة دينار فشكرت له ووليت فقال ما أخوفنى أن تفقد المائتى دينار أحوج ما تكون إليها فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هى فى مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها فى مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك على فوجدت ابنا لى قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفدها ولم أحصل منها على شىء وكان كما قال الرابعة

عن محمد بن حمزة الدورى قال كتبت على يدى أبى هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخيا لأبى محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لى بالغنى وكنت قد أملقت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثا سواك وهى واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك بالاقتصاد وإياك والإسراف فورد على المال والخبر بموت ابن عمى كما قال عن أيام قلائل وزال عنى الفقر وأديت حق الله تعالى فيه وبررت إخوتى وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل مبذرا (فائدة) عن أبى هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول إن فى الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف فحمدت الله فى نفسى وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إلى وقال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وعنه أيضا قال سمعت أبا محمد يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

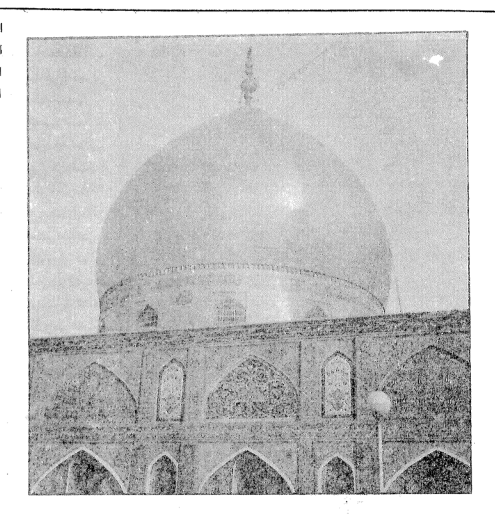
فى الكلام على وفاته وولده رضى الله عنه : فى الفصول المهمة : ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صيحة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته فكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبى عيسى ابن المتوكل ليصلى عليه فصلى عليه ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى وكانت وفاة أبى محمد الحسن بن على فى يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وخلف من الولد ابنه محمدا (نور الأبصار / ٢٩٤ـ ٢٩٧) .

وفيما يلى الوصف المعمارى لضريح الإمام الحسن العسكرى فى سامراء بالعراق ، ويسمونه « الروضة العسكرية » :

الروضة العسكرية فى سامراء :

تضم هذه الروضة ضريح الإمامين على الهادى والحسن العسكرى ، والمعروف أن الإمام على الهادى قد توفى عام ٢٥٤ هـ ـ ٨٦٨ م ودفن داره فى قرية عسكره وعندما توفى ابنه الحسن العسكرى عام ٢٦٠ هـ ـ ٨٧٣ م دفن إلى جواره ، وبعد أن هجرت مدينة سر من رأى ، أخذ البناء يتسع حول مدفن الإمامين وزاد البناء باستمرار بحيث أصبحت قرية العسكر نواة لمدينة سامراء الجديدة ، وتذكر كتب التاريخ أن أول من اهتم بمرقد العسكريين الأمير ناصر الدولة الحمدانى الذى أمر بإقامة بناء عام ٣٣٥ هـ / ٩٤٤ م ويستشف من أخبار البناء هذا أنه كان يتألف من غرفة ذات جدران ضخمة عليها قبة ، وصادف أن احترقت أبنية الحضرة العسكرية فأمر الخليفة

لوح ١٢٠: الروضة العسكرية وجامع المهدي

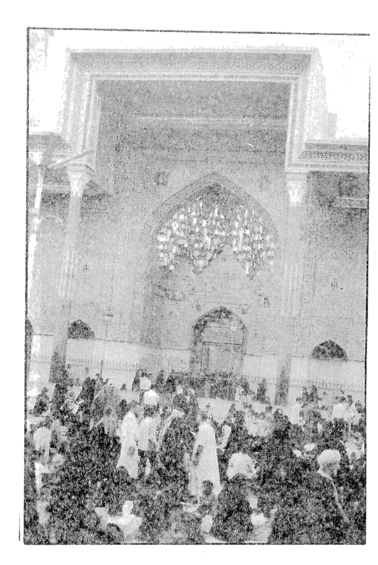


لوح ١٢١ : قبة الحضرة العسكرية

العباسى المشهور المستنصر بالله بتجديدها واهتم بسرداب الغيبة أيضا ومثل بقية أبنية الروضات والمشاهد تعرضت الروضة العسكرية إلى ترميمات وتجديدات وإضافات وتوسيعات متعددة ومتتالية ، وقد أثرت هذه العمليات على طابع معالمها الأصلية ومظهرها الأول وتم إدخال عناصر معمارية وزخرفية تعكس ماساد وازدهر فى كل مرحلة من مراحل التطوير .

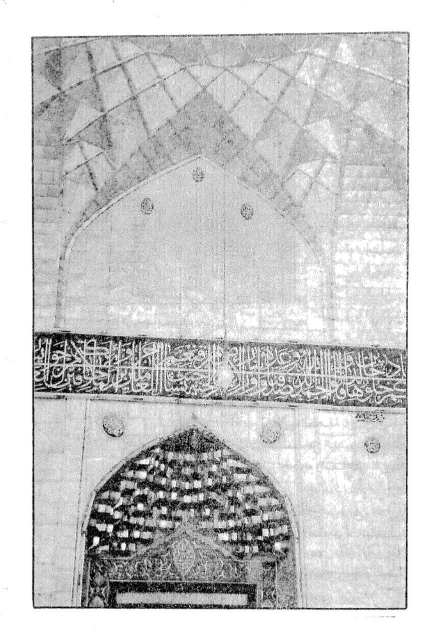
شيد بناء الروضة الحالى عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وتم فيما بعد تذهيب القبة عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) يجاور الروضة هذه جامع المهدى . ويقوم الجامع فوق سرداب الغيبة الذى يزعم أن الإمام المهدى قد غاب فيه . وتذكر كتب التاريخ إن الخليفة العباسى المشهور الناصر لدين الله قد أمر ببناء هذا الجامع وتعمير سرداب الغيبة عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) ومازال مشبك سرداب الغيبة يحمل تاريخ التعمير إلى يومنا هذا ، وأمر الخليفة المستنصر بالله العباسى أيضا بتجديد الجامع ، والسرداب ، ولكننا لا نعرف حصرا نوع التجديدات أو أماكنها فى الجامع وبالإضافة إلى ذلك رمم الجامع وجدد عدة مرات فى فترات لاحقة كما يكشف البناء الحالى عن ذلك ، والمعروف أن الباب أو المدخل الرئيسى قد بنى فى عام ١٢٠٠ هـ إلى المصلى الشتوى فى هذا الجامع (لوح ١٢٠) تتوسط الروضة العسكرية بلدة سامراء الآن ، وتشغل مساحة أرض مربعة الشكل طول ضلعها ١١٥ م وتتألف من حضرة ضخمة تلتصق بالجدار الشمالى للروضة ، ويحيط بها صحن فسيح من جهات ثلاث ويسور هذا الصحن جدار ضخم يتألف من أواوين ومداخل ويفصل بين الصحن والطرق والأسواق والدور المجاورة للروضة . تخطيط الروضة العسكرية يشبه وإلى حد

كبير تخطيط الروضة الحيدرية ، ولا يقتصر التشابه على التخطيط حسب [فحسب] بل يمتد إلى التكوين المعمارى والعناصر المعمارية والزخرفية أيضا . والحضرة العسكرية مستطيلة الشكل وتواجه جدرانها الجهات الأربع - يبلغ طول ضلعها ٤٣ مترا من الشمال إلى الجنوب و٣٨ مترا من الشرق إلى الغرب ومن الخارج وتتكون الحضرة من غرفة مربعة تضم قبرى الإمام على الهادى والإمام الحسن العسكرى وتتوسط الحضرة ، وهذه الغرفة مربعة الشكل طول ضلعها ١٥ مترا من الخارج وتتسم بجدرانها الضخمة المتينة والتى ترتفع بحدود عشرة أمتار عن مستوى أرضية الغرفة ، واتبع المعمار أو المهندس عين الطريقة المستخدمة فى تشييد جدران الحضرة الحيدرية والكاظمية وهى استغلال سمك الجدران لفتح حنايا وأواين فيها غرضها الأساسى الاقتصاد فى المواد البنائية ، وبموجب ذلك هناك عدد من الحنايا والأواوين فى جدران غرفة الضريح تنفتح على الرواق فقط وبأعداد متناسبة مع تلك التى تطل على الرواق من الجهات المقابلة ، وتحمل جدران غرفة الضريح هذه قبة بصلية ضخمة ذات رقبة أسطوانية طويلة نسبيا وتتخللها عدة نوافذ ذات عقود مدببة منفرجة مثل معظم عقود الروضة العسكرية ، وقبة الحضرة العسكرية غير مزدوجة ويبلغ قطرها ١٥ مترا ، وهى مثل قبة الروضة الحيدرية مطلية بالذهب (لوح ١٢١) وتتصل غرفة الضريح بالرواق الذى يدور حولها بأربعة أبواب ومنافذ تتوسط الجدران فيها ، ويدور حول الغرفة هذه رواق مستطيل بعرض أربعة أمتار وترتفع جدرانه بارتفاع جدران غرفة الضريح ، وعرض جدران الرواق هذا أربعة أمتار أيضا وتنفتح فيه حنايا وأواين تطل على الداخل ، وكما ذكرنا إما من الخارج فتتألف جدران الرواق من حنايا بطابقين تخترق الصف الأسفل منها نوافذ وأبواب ، ويتألف سقفه من أقبية وعقود وقباب صغيرة ذات نوافذ .



لوح: ١٢٢ : ايوان الذهب في الحضرة العسكرية

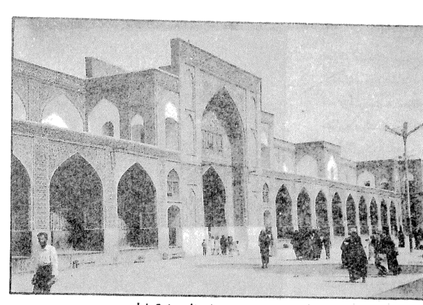
السابقة ، يختلف عن بقية الجدران حيث يتوسطه إيوان ضخم مرتفع يدعى بإيوان الذهب، وقد طليت أجواء واسعة منه ومقرنصاته العنقودية بألواح مطلية بالذهب ، ويشبه هذا الإيوان إيوان الذهب فى الحضرة الحيدرية (لوح ١٢٢) ويتوسط هذا الإيوان الباب الرئيسى الذى يقع على الخط المحورى للروضة والذى يربط بين المدخل الخارجى ومدخل الحضرة ، وتقوم فى ركنى الجدار الجنوبى هذا مئذنتان أسطوانيتان رشيقتان نسبيا ، ولكل منهما حوض يستند على أكثر من صف من المقرنصات ، وكسيت أبدانهما بطابوق مزجج وقراميد قاشانية مصفوفة بطريقة فنية نتجت عنها تشكيلات زخرفية جميلة وتطوق الأبدان عند قاعدتيهما ونهايتهما أنطقة ذات تشكيلات زخرفية رائعة، وكانت الرقاب مغطاة أيضا بقراميد قاشانية وطابوق مزجج (لوح ١٢٣) ولكن وقبل سنوات أزيلت هذه الكسوة وأبدلت بألواح معدنية مطلية بالذهب ، وتتقدم جدار إيوان الذهب سقيفة شبيهة بسقيفة الحضرة العباسية



لوح ١٢٥: تشكيلات زخرفية تزين الحضرة من الداخل:

والحسينية ويبلغ عرضها مع الحضرة العسكرية عشرة أمتار ، وغطيت وجوه جدران الحضرة من الخارج عدا الحنايا والنوافذ بقراميد قاشانية تتصف بجمال تشكيلاتها وتنوع ورقة ألوانها وتناسق أشكالها الزخرفية فهى تتألف من تشكيلات نبتية

والدخول إلى الحضرة يكون عن طريق خمسة أبواب ، يتوسط الرئيسى منها جدار القبلة أو الجدار الجنوبى ، ويقع اثنان منها فى كل من الجدارين الشرقى والغربى ، وتصميم جدار الحضرة الجنوبى ، وكما هو الأمر فى أغلب المشاهد



لوح ١٢٧ : مدخل الروضة الجنوبي

وزهرية وهندسية وكتابات ، ويتوج الجدران هذه نطاق من كتابات لآيات قرآنية رسمت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة .

شغلت أغلب حنايا أواوين الحضرة من الداخل بمقرنصات عنقودية وكسيت جدرانها بأروع التشكيلات الزخرفية ويسور المرقدين الشريفين صندوق مشبك ضخم معمول من الفضة بأدق صنعة وأجمل مظهر وأرضية الحضرة وجدرانها مكسوة إلى ارتفاع مترين بمرمر إيطالى أخضر مجزع ، ويؤطر هذه الكسوة من أعلى شريط من كتابات جميلة يدور مع العقود والإواوين ، وكسيت بقية الواجهات وزخارفها وباطن القبة ورقبتها بقطع المرايا والقراميد القاشانية الرائعة وألواح الذهب ويطوق رقبة القبة عند قاعدتها ونهايتها نطاق من كتابات جميلة لآيات قرآنية (لوح ١٢٥) والأبواب فى هذه الحضرة مغشاة أيضا بالذهب والمينا وأروعها إيوان الذهب .

وصحن الروضة العسكرية فسيح يحيط بالحضرة من جهات ثلاث ، وطول ضلع الصحن ٧٧ مترا وعرضه ٨٥ / ٤٠ مترا ويحيط بهذا الصحن جدار مرتفع يتألف من جملة أواوين وبطايق واحد يبلغ عددها ٦٢ إيوانا وتطل على الصحن بعقود مدببة منفرجة ، ويتوسط الجدار الجنوبية فى هذا السور مدخل ضخم مرتفع مغطى بقراميد قاشانية ذات تشكيلات زخرفية جميلة (لوح ١٢٧) ويتوسط إيوان هذا البناء الباب الرئيسى الذى يقابل باب إيوان الذهب ، وقد تم قبيل سنوات وبعد تحرير الجدار الغربى من الأبنية الملصقة به فتح باب فيه يتوسط إيوانا ضخما يشبه إيوان المدخل الرئيسى ، وكسيت واجهات جدران أواوين السور وأجزاء واسعة منه بقراميد قاشانية جميلة .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٠٠ وما جاء بهامش ٢ من مراجع ، وقد أورده تحت عنوان « الحسن الخالص » ، ونور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار للشبلنجى ، ط دار الغد العربى / ٢٩٤ ــ ٢٩٧ ، والعمارات العربية الإسلامية فى العراق ــ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١٩٦ - ٢٠٥ . انظر أيضا .

منهل الصفا - السيد محمود أبو الفيض المنوفى / ١١١) .

*** حسن العطار (١١٩٠ - ١٢٥٠ هـ / ١٧٧٦ - ١٨٣٥ م) :**

الشيخ السادس عشر من شيوخ الأزهر الشريف ، تولى مشيخة الأزهر عام ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م (الأزهر فى ألف عام / ١١٩) فى الأعلام ٢ / ٢٢٠ تولى سنة ١٢٤٦ هـ)

أصله مغربى ولكنه ولد بالقاهرة سنة ١١٨٢ هـ (فى الأعلام

٢ / ٢٢٠ سنة ١١٩٠، وفى الأزهر فى ألف عام/ ١١٩ سنة ١١٨٠) كان أبوه عطارا واراد أن يعاونه ولده فى حانوته لكنه مال لطلب العلم فتركه أبوه وكان ذا حافظة قوية وشغف بالعلم وخاصة لما راى أترابه يروحون ويغدون للأزهر وفى زمن قصير أجازه أساتذته للتدريس والفتوى ولم يقنع بالعلوم الدينية بل أقبل على العلوم العصرية ودرس الفلك والهندسة وكان حاد البصر يقرأ أدق الخطوط

حسن بن محمد العطّار :

عن « مجموعة » له. كلها بخطه. عندي. يقرأ البيت الأول : « والى يطوف بشمس كاسة قمر تلثّم في نواسه » ويقرأ نهاية البيت الخامس « سيف القراسه » وفي البيت ١٨ « نظم منشي النظم » وصدر البيت ٢٤ « لم يلتبس من شكله » وعجز البيت ٢٥ « لكأنه باني » وعجز البيت الأخير « والى يطوف .. »

فى ضوء القمر أو الشموع الضعيفة ولا يترك الكتاب حتى يستوعبه وكان كثير الاستعارة وبذلك استوعب علوم عصره وامتدحه رفاعة الطهطاوى واعتبره سابقا لعصره .

وله هوامش على كتب الطب غاية فى الروعة وأتقن الرصد للنجوم ودرس التشريح فكان موسوعة علمية واتصل بعلماء الحملة الفرنسية وأتقن الفرنسية ودرس علومهم الحديثة رغم أنه فر عند مجىء الحملة إلى أسيوط وعانى من الفقر والاضطراب ومرض الطاعون الذى اجتاح أسيوط .

وكتب فى ذلك إلى (العلامة الجبرتى) رسالة غاية فى الأهمية ووصف الطاعون وأعراضه وآراءه فى مقاومته .

وعاد للقاهرة بعد أن استقر الأمن وكان يرى فى مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر مكسبا علميا وبركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية وبهذا جمع الشيخ بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ورحل كثيرا إلى الخارج وأجاد عدة لغات منها التركية والفرنسية والألبانية وزار كثيرا من أوطان العرب وكان فى كل بلد يلقى محاضراته ويقبل عليه العلماء وكان شاعرا مجيدا وكاتبا عميقا ولهذا أسندت إليه (جريدة الوقائع المصرية) فرأس تحريرها وأعلن آراءه ودعا إلى إدخال العلوم الحديثة وجلاء التراث العربى ، وحث على الرجوع إلى أمهات الكتب وعدم الاكتفاء بالحواشى والمتون (ومنه تلقى رفاعة الطهطاوى) الذى أسهم فى نقل مصر من عصر التخلف إلى عصر النهضة والاحتكاك بالثقافات العالمية وكان شعار الشيخ العطار (إن بلادنا يجب أن تتغير أحوالها وتتجدد بها المعارف) وهو الذى وجه تلميذه « رفاعة الطهطاوى » لتسجيل كل ما تقع عليه عينه فى فرنسا وأن يستجلب معه كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب وهو الذى شجعه على الترجمة وتأسيس مدرسة الألسن .

وعالج علم الجغرافيا معالجة جديدة واهتم بالخرائط واستفاد من خبرة علماء الحملة وأكب على عيون الكتب المهجورة وبسطها لطلابه وبدأ أول خطوة فى « فن الفهرسة » بحيث يعود الطلاب إلى المراجع القديمة بسهولة .

وكان خلية دائبة يدرس ويصنف المؤلفات ويشرح الكتب ودفع طلابه إلى الخروج من التراكيب اللغوية العقيمة وتحرير الكتابة من قيود الصنعة التى شاعت فى عصور الانحطاط ، ورغم طغيان محمد على فقد كان يجله ويستشيره وأطلق يده فى النهضة العلمية ففتح الأبواب للعلوم الحديثة وأشرف على إنشاء المدارس المتعددة (ثم ولاه مشيخة الأزهر) سنة ١٢٤٦هـ . وجدد فى الشعر العربى وفتح الطريق أمام شعراء النهضة (كالبارودى وشوقى وحافظ) وأراد الرحيل إلى مكة ولكن طلابه تعلقوا به وهددوا بترك الدراسة حتى رضخ لهم وبقى فى مصر .

من مصنفاته :

- حاشية العطار على الجواهر المنتظمات فى عقود المقولات .
- حاشية العطار على التهذيب للإمام الخبيصى (شرح على تهذيب المنطق والكلام) .
- حاشية العطار على شرح إيساغوجى فى المنطق (وكان من أهم الكتب) .
- حاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية .
- حاشية العطار على كتاب نيل السعادات فى علم المقولات .
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه .
- رسالة فى علم الكلام .
- حاشية العطار على شرح الكتاب المسمى « بموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب » .
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه .
- حاشية فى علم الكلام .
- حاشية العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد .
- حاشية (فى النحو) .
- شرح السمرقندية فى (علم البيان) .
- منظومة العطار فى علم النحو .
- إنشاء العطار فى المراسلات والمخاطبات والتوثيقات .
- ديوان العطار (ويجمع مئات القصائد) .
- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس .
- رسالة فى كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط وهو علم الرصد .
- جمع وترتيب وشرح ديوان ابن سهل الأندلسى .

- شرح كتاب الكامل للمبرد .

- نبذة في علم الجراحة .

ولقى ربه سنة ١٢٥٠ هـ (شيوخ الأزهر / ٢٣ ، ٢٤ والفتح المبين / ١٤٦ ، والأعلام ٢ / ٢٢٠) .

والشيخ العطار يعتبر مصلحا فى مصاف جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، وكان ثائرا لتطوير الأزهر لدرجة أثرت فى تلاميذه من بعده ، فلقد سبق الكثيرين من المصلحين للأزهر ، ووضع بذرة الإصلاح الثقافى فى عهده لتتلقفها الأجيال من بعده ، ولقد كان من تلاميذه رفاعة الطهطاوى .

ونرى من تهافته على المعرفة وتعلقه بها أن كتب فى حاشيته على « شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع » : «أن من تأمل ما سطرناه وما ذكر من التصدى لتراجم الأئمة الأعلام ، علم أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم فى العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم ، وإحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى فى كتب المخالفين والعقائد والفروع يدل على ذلك النقل عنهم فى كتبهم ، والتصدى لدفع شبههم ، وأعجب من ذلك تجاوزهم إلى النظر فى كتب غير أهل الإسلام » .

والشيخ العطار - لا شك - كانت لديه نزعة إلى التعلم ، والاطلاع على العلوم العصرية التى كانت فى عصره ، فلقد ذكر لنا فى كتاب له تجربة أجراها عندما وضع قارورة مقلوبة فوق سطح الماء ، وشاهد تأثير الضغط الهوائى على سطحه - وتأثيره فى عملية التوتر السطحى ولقد عبر عن هذه التجربة بأنها « عقليات لا برهانيات » .

والشيخ حسن العطار كان يهوى مع الموسيقى عدة فنون (الأزهر فى ألف عام / ١٢٠ ، ١٢١) .

وكان يحسن عمل المزاول الليلية والنهارية (الأعلام ٢ / ٢٢٠) .

وكان له هوامش على كتاب « تقديم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة » ولقد كان الشيخ العطار كما يقول عنه تلميذه رفاعة الطهطاوى : يطلع على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها ، وكان له ولع بسائر المعارف البشرية ، مع غاية الديانة والصيانة ، وله بعض تآليف فى الطب وغيره زيادة على تآليفه المشهورة ، فلقد تشبث من الآن فصاعدا نجباء أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية ففازوا بدرجة الكمال .

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ٢٣ ، ٢٤ ، والأعلام للزركلى ٢ / ٢٢٠ وقد أورده تحت اسم « العطار » والأزهر فى ألف عام د. أحمد محمد عوف / ١٢٠ ، ١٢١) .

انظر كتاب « حسن العطار » لمحمد عبد الغنى حسن فى سلسلة نوابغ الفكر العربى . دار المعارف . مصر سنة ١٩٦٨ (التراجم والسير - محمد عبد الغنى حسن / ٥٣) .

*** أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى (- ٣٧١ هـ) :**

من الطبقة الخامسة للصوفية قال عنه عبد الرحمن السلمى : هو أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى ، بصرى الأصل . سكن بغداد ، وكان شيخ العراق ولسانها ، لم نر فيما رأينا من المشايخ أتم حالا منه ، ولا أحسن لسانا منه ، ولا أعلى كلاما .

كان أوحد المشايخ ولسان الوقت ، وكان أوحد فى طريقته ، من أجل المشايخ وأظرفهم وألطفهم له لسان فى التوحيد يختص هو به ، ومقام فى التفريد والتجريد مسلم له ، لم يشاركه فيه أحد بعده .

وهو أستاذ العراقيين ، وبه تأدب من تأدب منهم صحب أبا بكر الشبلى ، وغيره من المشايخ مات ببغداد فى يوم الجمعة فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

- الصوفى لا ينزعج فى انزعاجه ، ولا يقر فى قراره .

- آدم فى محله كان محلا للعلل ، فخوطب على حسب العلل . ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ [طه : ١١٨] وإلا فما مقام المجاورة مما يؤثر فيه الجوع والعرى ! .

- علمنا الذى نحن فيه يوجب إنكار كل معلوم مرسوم ، ومحو كل معلوم معلول .

- لا أحد أقل قدرا ممن يشتغل بالفضائل فيقدم ذا ويؤخر ذا . فى الدنيا يكون ناسا بناس مع ناس ، وفى الآخرة : ﴿ولكم

فيها ما تشتهى أنفسكم ﴾ [فصلت : ٣١] مع المطاعم والمشارب والمناكح ، ليت الجنة على قفا أهلها ، لعلنا إذا نجونا منها ومن طالبيها تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته ، وبدأنا بأنواع مباره ، بل لو عرفناه ما شاهدنا سواه .

ــ دعونى وبلائى ، هاتوا ما لكم ، ألستم من أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، ثم أمره بأمر فخالفه ؟ إذا كان أول الدن درديا كيف يكون آخره ؟ .

ــ من ادعى فى شىء من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين .

ـ نظرت فى ذل كل ذى ذل فزاد ذلى على ذلهم ، ونظرت فى عز كل ذى عز فزاد عزى على عزهم . ثم قرأ : **﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾** [فاطر : ١٠] .

ــ الصوفى الذى لا يوجد بعد عدمه ، ولا يعدم بعد وجوده .

ـ الصوفى وجده وجوده ، وصفاته حجابه .

ـ الصوفى إن وجد جحد، وإن تجلى كشف .

ـ الخوف من الله علة وحجاب ، لأنه إذا كان خوفى منه لا يزيل مراده فى ، ورجائى لا يوصلنى إلى مرادى منه ، فقد تعطل عندى حكم الخوف والرجاء للمتحققين . وأما أرباب الرسوم والعلوم فعليهم واجب التزام الأدب .

ـ ربط الكل بالحدود ، وقطع طريق الحق عن الكل ، فلا ترى إلا واقفا مع نفسه أو مع رسمه ، لبينونة القدم أن لم يلحقه شىء من الحوادث ، إذا زفرت جهنم زفرة فإن الكل يقول . نفسى نفسى ! . والأجل الأدنى يرجع إلى حد الشفقة ، فيقول : أمتى أمتى ! . فلا يبقى فى أحد نفس بلا علة ، فيقول : ربى ربى ! ليعلم أن محل الحوادث لا يخلو عن العلل .

ـ هو أعز من أن يعز على سواه ، وأعز من أن يذل له غيره ، وأعز من أن يذل لغيره ، بل هو أذل ماله لماله ، وعزز ماله على ماله ، وليس لمن أعز معنى عز به ، ولا لمن أذل معنى ذل به ، بل هو أظهر الجميع ، ورسم بأنهم عزوا وذلوا ، وذلك هو العز الذى لا يرام .

ــ ضاقت على أوقاتى وأنفاسى ، فلست أستروح إلا أن تذكر أنفاس جرت منى بأنس البسط بصفاء الود ، مصونة عن شوب الأكدار، وأنشد هذا البيت :

إن دهرا يلف شملى بسلمى
لزمان يهم بالإحسان

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ١٢٠ ـ ١٢١) .

*** أبو الحسن على بن بندار الصيرفى (-٣٥٩ هـ) :**

من الطبقة الخامسة للصوفية ، وهو أبو الحسن على بن بندار بن الحسين الصيرفى . من جلة مشايخ نيسابور . ورزق من رؤية المشايخ وصحبتهم ما لم يرزق غيره . صحب بنيسابور أبا عثمان ومحفوظا ، وبسمرقند محمد بن الفضل ، وببلخ محمد بن حامد ، وبجوزجان أبا على، وبالرى يوسف ابن الحسين ، وببغداد الجنيد بن محمد ورويما وسمنون ، وأبا العباس بن عطاء ، وأبا محمد الحريرى ، وبالشام طاهرا المقدسى ، وأبا عبد الله بن الجلاء ، وأبا عمرو الدمشقى ، وبمصر أبا بكر المصرى والزقاق ، وأبا على الروذبارى . وكتب الحديث الكثير ، ورواه ، وكان ثقة .

مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

أسند الحديث :

عن عائشة أن النبى ﷺ قال : « نعم الإدام الخل » .

ومن كلامه :

ـ سئل : ما التصوف ؟ فقال : إسقاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا .

ـ فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله .

ـ دار أسست على البلوى بلا بلوى محال .

ـ يا بنى ، إياك والخلاف على الخلق ، فمن رضى الله به عبدا فارض به أخا .

ـ إياك والاشتغال بالخلق ، فقد عدم عليهم الربح اليوم .

ـ ورأى مرة فى يد ابنه كتابا فقال له : ما هذا ؟

فقال : كتاب « المعرفة » . فقال : ألم تكن المعرفة فى القلوب ؟ فقد صارت فى الكتب ! .

ـ ليس الفقير من يظهر فقره ، إنما الفقير من يكتم فقره ، ويأنس به ويفرح .

ـ زمان يذكر فيه بالصلاح ، زمان لا يرجى فيه صلاح .

ـ كنت يوما أماشى أبا عبد الله محمد بن خفيف فقال لى : تقدم يا أبا الحسن . فقلت : بأى عذر ؟ قال : بأنك لقيت الجنيد وما لقيته .

ـ ثوب أستجيز فيه الصلاة أكره أن أبدله للقاء الناس بخير منه .

ـ وقال لبعض أصحابه : إلى أين ؟ فقال : أخرج إلى النزهة . فقال : من عدم الأنس من حاله لم يزده التنزه إلا وحشة .

ـ الحق أمر عظيم يطلبه الخلق ، إنما الحق يطرح الدنيا والآخرة .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ١٢٣ ـ ١٢٤) .

* **حسن فتحى (١٣١٧ ـ ١٤١٠ هـ / ١٩٠٠ ـ ١٩٨٩ م) :**

شيخ المعماريين العالميين كما يسمونه ، المهندس المصرى العبقرى حسن فتحى ، مؤلف كتاب « الهندسة للفقير » وصاحب نظرية هندسية تفى بالحاجات الأساسية لأكثر من ثمانمائة مليون من سكان العالم الذين لا يجدون المسكن المناسب ، وبالمواد المناسبة (المجال / ٢٢) وهو من مواليد الإسكندرية . ولد فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٣١٧ هـ / ٢٣ مارس ١٩٠٠ م .

قالت المؤلفة : التاريخ الهجرى لمولده المذكور أعلاه وهو ١٣١٧ حصلت عليه من مركز المعلومات بمؤسسة الأهرام ، ولكن بالرجوع إلى مادة « التقويم الهجرى » فى م ١٠ / ٢٩٥ من هذه الموسوعة وجدت أن ما يقابل ١٩٠٠ م هو ١٣١٨ هـ ولعل سبب ذلك اختلاف الشهور .

أتم دراسته بمدرسة الهندسة عام ١٩٢٦ ، ثم عين أستاذا لقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٣٠ ثم رئيسا لقسم العمارة قبل إحالته إلى المعاش (الشرق الأوسط ١٤ وفى عالم البناء العدد ٥٣ ، يناير ١٩٨٥ ص ١١ : حصل على شهادة التعليم المعمارى مؤسس على قواعد وأسس مدرسة الفنون الجميلة) .

تعرفه الأوساط العلمية المتقدمة فى أنحاء العالم من خلال تجربته الأصيلة فى قرية القرنة بمنطقة البر الغربى ، فى مواجهة الأقصر ، التى وصفها فى كتابه الفريد « العمارة للفقراء » كنموذج لسياسة الإنشاء والتعمير ، التى يمكن للعالم الثالث أن يطبقها ويتغلب بها على كثير من العيوب والمصاعب التى تواجه الإسكان الحديث .

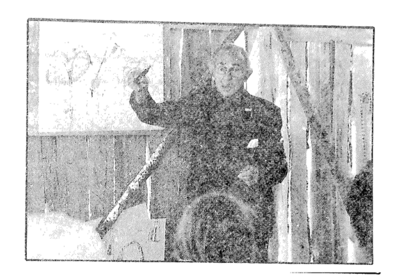
وخلاصة هذه السياسة أن الفقراء ، وهم الغالبية العظمى من سكان العالم الثالث ، لن يستطيعوا الحصول على مساكن صحية ملائمة إلا إذا شيدت من مواد البيئة الطبيعية نفسها ، لا من المواد المصنعة الباهظة التكاليف ، وإلا إذا روعيت فيها أيضا ، فى المحل الأول ، الظروف الطبيعية لهذه البيئة ، والحاجات الاجتماعية والاقتصادية لأهلها ، التى لا معدى عنها فضلا عن ضرورة الاهتمام بعناصر الجمال .

ترفض هذه النظرية استعارة العمارة الغربية ، لأنها تتنافر مع تراثنا الحضارى وحياتنا المعاصرة ، وتتمسك بتلك العمارة التى صاغتها البيئة فى تاريخها الطويل ، لسلامة ماهيتها الهندسية ، وتنمية اتجاهاتها التى تجاوبت مع الحاجات الأساسية للإنسان ، ومضت بها فى طريق الحياة .

ولم يتوصل حسن فتحى إلى وضع هذه النظرية إلا بعد تفهم الخلفية الفكرية للمنطقة العربية التى يقيم فيها أبنيته ، وبفضل حسه الدقيق بالوضع الاجتماعى والاقتصادى للسكان ، وأهدافه القريبة والبعيدة (العمارة الإنسانية / ٢٦ ، ٢٧)

وكانت قرية « باريس » بالواحات المصرية أول منشآت حسن فتحى (الشرق الأوسط / ١٤) .

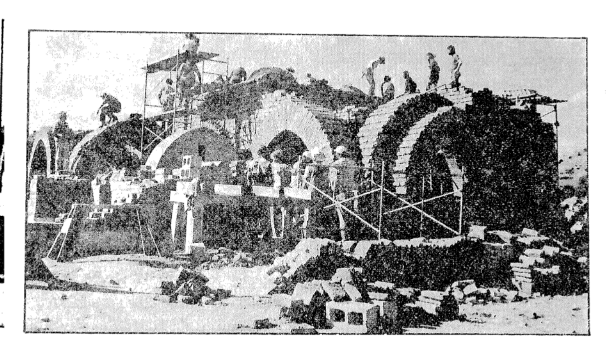
كتبت عنه صحيفة « ذى سمشونيان أسوشييت » تقول : هو مهندس ذو شهرة عالمية ، موقر فى جميع أنحاء العالم . وهو مشهور . بكتابه : « الهندسة للفقير » الذى يعالج تجربة ضخمة قام بها ، وهى قرية القرنة ، قرب الأقصر ...



حسن فتحي يحاضر حول اساليبه الهندسية

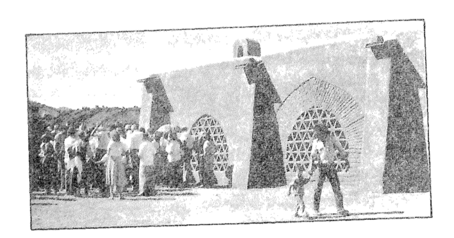
ونظريات الدكتور فتحى ، التى يدرسها طلاب العلم بعناية فى كل مكان ، تركز على الاقتراب من الطبيعة ، واستخدام مواد البيئة الطبيعية . وهو يشدد على أن هندسة أمة ما هى إلا انعكاس لثقافتها وبيئتها ، « فكل الظروف لها هندستها » (المجال / ٢٥) .

لقد ابتدع المهندس حسن فتحى للغة البناء



منظر عام للمبنى المشيد بكامله من الطوب اللبن .

مفردات جديدة وبسيطة ، مستغلاً خامات البيئة ومستفيدا من الخصائص الإيروديناميكية للعمارة فى تهيئة مناخ المبنى الذى يصممه فنجده يبحث عن الطوب الرملى لبناء مساكن فى البيئة الصحراوية ويزودها بالمشروبيات لكسر حدة الضوء

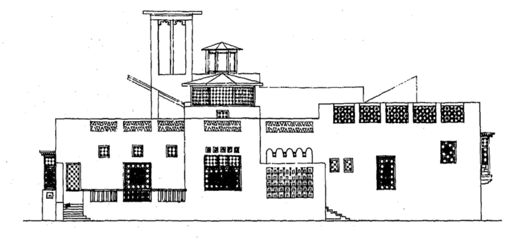


الى اعلى : زوار احتشدوا امام المسجد في ابيكيو بولاية نيومكسيكو يوم تدشينه بتاريخ ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٨١ . لاحظ كيف بني الطوب ، المصنوع باليد ، حول النافذة اليمنى ليشكل عقدا شعاعيا جميلا .

باريس بالواحات والتى قام ببنائها لم تتعد ١١ ألف جنيه ، لنقف على قلة التكلفة والتى تتيح لكل مواطن أن يكون له مسكن .

(الشرق الأوسط / ١٤) .

وهو فنان وشاعر، نالت محاولاته فى تكامل أساليب البناء المحلية مع التصميم الحديث ، شهرة عالمية . ومن أقواله



ڤيلا نصيف فى جدة ، ١٩٧٣

والقباب الدائرة لخلق مناخ رائع داخل المبنى ، ونجده يبنى منازل من الطوب اللبن (الطوب الطينى) فى الريف حيث امكانات البيئة توفر هذا ويكفى أن نعرف أيضا أن تكلفة قرية

المشهورة : « لا يمكننا العودة إلى الوراء ، يجب علينا أن نستعيد الهندسة القديمة ، ثم نتحرك إلى الأمام . علينا أن

نطبق العلم الحديث فى تقييم هندستنا . بعد استبعاد الطارئ فى الأسلوب ، والأحداث الزمنية التى لا علاقة لها بالثقافة » (المجال / ٢٥) .

وقد فهمته وقدرته دول العالم وعلى رأسها أمريكا التى دعته لبناء قرى كاملة فى ولايتى أريزونا ونيومكسكو، ودرست أربع وأربعون جامعة فى أمريكا منهجه المعمارى وطريقته المتطورة فى البناء المصرى الأصيل ، فضلا عن جامعات الدول الإسكندنافية التى تقوم بتدريس منهجه حتى الآن (الشرق الأوسط / ١٤) .

وهو مصمم القرية المسلمة « دار الإسلام » فى نيومكسكو بالولايات المتحدة . وقصة بناء هذه القرية بدأت بطرح فكرة تأسيس مركز إسلامى فى الولايات المتحدة أدت إلى إنشاء مؤسسة سعودية لا تبغى الربح سميت « دار الإسلام » هدفها الإشراف على بناء قرية مسلمة ، وجمع الأموال اللازمة لذلك وقد اختير لها موقع فى سهل مرتفع مشرف على نهر شاما ، وعلى بعد أربعين ميلا شمال غربى مدينة « سانتافى » بولاية نيومكسكو ، فتم شراء ألف فدان قيمتها ١,٣ مليون دولار .

والموقع يقع على خط عرض ٣٦ شمالا ، مما يجعله مشابها لكثير من الدول الإسلامية من حيث تضاريس الأرض والمناخ ، ولسكان هذه المنطقة تاريخ طويل من البناء بالطوب اللبن ، ولا يزالون يفعلون حتى اليوم . ومدينة «سانتافى » نفسها مشهورة فى العالم أجمع بهندسة مبانيها التى تعتمد على الأشكال الوطنية المستوحاة من الهنود الأميركيين ، ومن المستوطنين الأسبان ، الذين استوحوها بدورهم من مصادر عربية وإسلامية فى عهد الأندلس .

وعهدت المؤسسة إلى الدكتور حسن فتحى مؤلف «الهندسة للفقير » كما سبق القول ـ لتحقيق هذا الحلم .

وخطط الدكتور فتحى القرية ، وزار الولايات المتحدة صحبة اثنين من البنائين الإسوانيين . وكانت أول خطوة هى بناء قلب القرية ، وهو المسجد ، وبنى المسجد بطريقته الخاصة التى تعتمد على مواد البيئة وهى الطين ، وأسلوب البناء الذى يعتمد على القباب والعقود .

والواقع أن أى مسافر من الشرق الأوسط يزور المنطقة ، لا يشعر بالغربة فى نيومكسيكو ، ومعظم المشتركين فى العمل من أبناء الشرق الأوسط لاحظوا أن المكان يشبه المغرب ومصر والحجاز وأفغانستان . العنصر الوحيد الناقص كان منظر القباب والعقود التقليدية الموجودة فى الشرق .

وجاء الدكتور فتحى ليغرس هذا « النبات » الجديد كجزء من عملية التهجين التى تميز الكثير مما يجرى فى الولايات المتحدة ، حيث تلتقى عدة حضارات وتختلط . وقال الدكتور فتحى : « خط الواجب مستقيم وخط الجمال منحن» وهى ملاحظة شاعرية تحوى مفتاح واحدة من أعتى مشاكل هندسة وبناء منازل الفقراء . فالبيت العصرى يستلزم ما قيمته تسعة آلاف دولار من الخشب ، وفى عام ١٩٩٠ سوف ترتفع هذه التكلفة إلى ٣٦ ألف دولار . وفى بيئة تمكن من الحصول من الأرض نفسها على مواد البناء (مثل الطوب اللبن ، والطين، والرمل ، والحصى) ليس من الصعب على الإنسان أن يقيم جدران بيته . والصعوبة الحقيقية والتكاليف الكبيرة ، تحدث عندما يبدأ فى بناء السقف ، عندئذ عليه أن يشترى الأخشاب أو الأسمنت والحديد ، أو العوارض الخشبية أو الحديدية حتى يكمل البناء .

لكن استخدام الأسلوب الذى طوره الدكتور فتحى من أسلوب البنائين النوبيين فى صعيد مصر ، يمكن من إقامة السقف باستخدام العقود والقباب بنفس الطوب اللبن الذى استخدم فى بناء الجدران وهذه القباب والعقود لا تحتاج إلى قوالب خشبية . ومن ثم يمكن توفير تكاليفها ، فضلا عن توفير الوقت اللازم لإقامة وتحريك هذه القوالب . ويقول الدكتور فتحى « كلما كان البناء رخيصا كلما زادت الحاجة إلى الفن لماذا نظن أن الفقراء لا يعيشون عيشة أفضل من الأثرياء إلا إذا عاشوا فى صناديق من الأسمنت المسلح ؟ والمسألة ليست مسالة بناء أربعة جدران فوقها قبة ، بل عليك أن تعالج الهندسية الداخلية » .

والمفارقة أن زيارة الدكتور فتحى جاءت فى وقت كادت الدول العربية والإسلامية فيه أن تهمل تماما استخدام هندسة

البناء بالطوب معتبرين ذلك من مخلفات الماضى أو أنها مخصصة لاستخدام القرويين الفقراء . وأصبحت هندسة الشرق الأوسط الحديثة خليطا من الأشكال معظمها نسخ متكررة من الهندسة الغربية المعاصرة مع بعض عقود لإعطائها اللمسة الإسلامية أو العربية . يحدث هذا فى نفس الوقت الذى تشهد فيه المنطقة الواقعة فى جنوب غرب الولايات المتحدة ازدهار فى أسلوب البناء بالطوب اللبن . وقانون المبانى فى سنتافى يشترط أن تتشابه كل المبانى مع هذا الطراز المحلى ، وألا يتعدى ارتفاع اى مبنى ثلاثة طوابق . والضواحى النموذجية حول مدن البوكيرك . ونيومكسيكو ، وتوسكان ، وفونيكس بولاية إيرزونا . وبالم سبرنغز بولاية كاليفورنيا ، بنيت كلها من الطوب اللبن .

ويشترك علماء التربة ، ومهندسو الطاقة الشمسية ، والمهندسون المصممون ، فى بحوث مستفيضة لتطوير واستخدام هندسة الطوب اللبن ، وألف عدد متزايد من الكتب عن الموضوع ، فضلا عن صحيفة تسمى « اللبن اليوم » مخصصة كلها لعمليات البناء بالطوب اللبن .

وفى موقع الإسلام ، أقام المهندس حسن فتحى ورشة جعلها تجربة عملية لهذا النوع من البناء . وأحاط عدد ممن جذبهم حب الاستطلاع بالمهندس المصرى وعامليه ، من بينهم مطلعون ومسؤولون من مصلحة الإسكان والتطوير الحضرى بالحكومة الفيدرالية الأميركية ، وهم عازمون على التعلم . ليس بالمشاهدة فقط ، بل أيضا بممارسة العمل فى بناء المسجد بأيديهم ، وتنافست فرق من البنائين للاستفادة من مدة بقاء البنائين النوبيين ، لمعرفة طريقة بناء الطوب الذى يبدو أنه يتحدى الجاذبية ، وشهد الدكتور فتحى بأنه لم يزر مكانا زاد الحماس فيه لقبول أفكاره وأساليبه كهذا المكان وربما بعد انتشار هذه المبانى فى جنوب الغرب الأمريكى ، يصبح الأفق مرصعا بالخطوط الرشيقة للقباب والعقود ، ومن ثم يدخل عنصر جديد فى مفردات لغة المهندسين المحليين والبنائين .

ودار الإسلام مجموعة معظمها من المسلمين الأميركيين يعملون فى تخطيط وبناء هذه القرية المسلمة فى الولايات المتحدة . وأحد الأسباب الرئيسية لزيارة الدكتور فتحى ، بالإضافة إلى الندوة العملية والورشة ، هو دارسة المنطقة حتى يمكنه البدء فى عمل تخطيط للقرية . ومعروف أنه سبق أن خطط بعض القرى ، غالبا على المستوى الحكومى . ولديه خبرة وتجربة واسعين ، ليس فقط بالإسكان ، بل أيضا بالمدارس الداخلية منها والخارجية ، وبيوت الضيافة ، ودور المؤتمرات والندوات ، ومناطق الصناعة الخفيفة ، والبيوت الريفية ، ودور الترفيه والإدارة .

ويجرى تخطيط القرية على مراحل ، المرحلة الأولى لإيواء خمسين أسرة تتزايد حتى تصل إلى مئة أسرة خلال عشر سنوات ، وأكثر من ثلث الأرض الواقعة على ضفتى نهر شاما مخصص للزراعة التى يرجى أن توفر معظم الغذاء اللازم للقرية . وسيوفر الغذاء أيضا من منتجات الألبان . وذلك بتربية المواشى والأغنام والدواجن والنحل ، وبستان للفاكهة والكروم ، ويرجو المؤسسون أن ينشأ فى المكان مجتمع إسلامى يمد جذوره فى المنطقة ويبقى ويتكاثر على مر السنين .

والنظرية الرئيسية فى اتجاه الدكتور فتحى فى البناء هى أن « الهندسة فن اجتماعى لا فردى » .

وتبعا لذلك . سيكون أول عمل لمؤسسة دار الإسلام هو إقامة مصنع للطوب سيكون أول صناعة تقام فى القرية وتوفر العمل لعدة أسر ، وتوفر مخزونا يستخدم محليا ويعرض للبيع . ثم تبدأ الهندسة « الاجتماعية » كما يصفها الدكتور فتحى فى كتاب « الهندسة للفقراء » فى خطين متكاملين .

الخط الأول : هو الخط التعاونى ، حيث يتبادل الناس العمل بغرض الإسكان لأن كل جار حين يساعد فى بناء بيت ، يكون له الحق فى أن يساعده الآخرون ، وهو بذلك يفتح حسابا فى « بنك العمل » فالبيت أساسا إنتاج اجتماعى فرجل واحد لا يمكنه أن يبنى بيتا واحدا لكن مائة رجل يستطيعون بسهولة بناء مائة بيت » .

والخط الثانى هو « التدريب أثناء العمل » لأنه « إذا كان

سكان القرية هم الذين سوف يبنونها فلا بد إذا من منحهم المهارات اللازمة ، ومهما كان الحماس الذى يولده النظام التعاونى فإنه سوف يكون قليل الفائدة إذا لم يعرف الناس كيف يبنون وعدد العمال المهرة الذين يحتاج إليهم بناء قرية . كبير لدرجة أن استخدام عمال من الخارج سوف يرفع التكلفة ارتفاعا كبيرا . ونحن فى حاجة إلى وسيلة لتعليم مبادئ البناء العملى ، حتى يستطيع ابن القرية أن يساهم فى بناء بيته وقريته .

وأحد أهداف مشروع دار الإسلام هو خلق بيئة تحافظ وترعى الأشكال التقليدية للحياة الإسلامية ومعنى هذا ليس تعليم القرآن والسنة فقط ، بل أيضا أسلوب وشكل حياة المسلمين خلال الأربعة عشر قرنا منذ ظهور الإسلام . هذه التقاليد هى التى طورت شكل ونمط البيوت التى يعيش فيها الناس ، وقررت علاقات بعضهم ببعض ، وبعد كل بيت من المسجد والسوق ، والأضواء والظلال وكيف تتكون الجيرة ، والعلاقة بين الأماكن العامة والخاصة ، وأسلوب تجميل المبانى ، وتحركات الرجال والنساء ، وعموما كل الشروط التى توفر التكامل بين القيم الروحية والحاجات العملية ، وهى مميزات وعبقرية الهندسة الإسلامية الأصيلة وحينما تدخل فى الحساب قيم مثل الخصوصية ، خاصة خصوصية رؤية أعضائه من النساء ، والجمال بلا غطرسة ، وهو الجمال الذى يؤدى إلى بساطة المظهر الخارجي ، وجمال وزخرفة الداخل ، والتكامل الناشىء عن الجدران المشتركة واتصال المجموعات السكنية والممرات التى تميز تكاثف المبانى ، تتكون أشكال تحترم القيم الإنسانية . وهذا مختلف تماما عن الأنماط الحالية التى تجرى على أساس ميكانيكى ، وهى الأنماط التى تبعد الإنسان عن معادلة الحياة والعيش . والنتيجة أن معظم مشروعات التخطيط المعاصرة مثالية بالنسبة للآلات ، ولكنها أقل من مثالية بالنسبة للآدميين .

وكما يقول الدكتور فتحى فى مقارنة الأشكال التقليدية بالأشكال المعاصرة . « الهندسة الإسلامية تبدأ بالداخل . ثم تتحرك إلى الخارج ووظيفة الفراغ أساسية . والشكل الخارجى يجب أن يعبر عن القوى العاملة فى الداخل . فى المنزل العربى تتلاقى الفراغات المختلفة كنغم موسيقى . والنغمات الموسيقية ينبغى أن تتناسق حتى تصبح موسيقى لا مجرد أصوات وضوضاء والهندسة الإسلامية مستمدة من منطق الفراغات لا الجدران . المبانى العالية فكرة بسيطة للسذج أى نوع من الحياة يمكن أن يوجده تكديس ألف شخص الواحد فوق الآخر ؟ اعتقد أنه توجد شروط مادية تشجع على المواجهة الإنسانية ليست المصاعد واحدا منها : المبانى المرتفعة تؤدى إلى الخوف لا الصداقة . وبعد ارتفاع معين . تفقد إنسانيتك » .

أحد الطرق التى يأمل الدكتور فتحى أن تحل مشكل التفاوت بين قيم التقاليد والأساليب . والنظريات الحديثة ، وهو من خلال رعاية مؤسسة أقامها مع آخرين باسم « المعهد الدولى للتكنولوجيا المناسبة » أحد فروع هذه المؤسسة سيكون فى دار الإسلام بالولايات المتحدة . وفى مقدمة أهداف المؤسسة أنه « منذ العصور السحيقة ، تفاعل الإنسان مع البيئة ، مستخدما ملكاته لتطوير أساليب وتكنولوجيات ، سواء لصنع الخبز أو صنع الطوب ، فى توازن مع الطبيعة وانسجام مع البيئة وكان ما خلقه طبيعيا ، وجاء من نفس المواد التى توفرها البيئة التى يعيش فيها الناس . وحينما تعلم الناس أن يعالجوا الطمى ، والحجر ، والمعادن ، والخشب ، غاصوا فى خصائصها الذاتية التى خلقها الله ، وأدت هذه الأساليب إلى التعبير عن آمالهم نحو التناسق مع الخالق .

« ومع تقدم الثورة الصناعية ، انمحت الأساليب الموروثة والمهارات اليدوية المكتسبة ، وفقدت فى عالم النسيان . وقللت الآلات الميكانيكية العالية الطاقة من إسهام الإنسان الشخصى فى صنع الأشياء . وبناء الهياكل ، وزراعة الغذاء ونحن نشاهد حولنا الآن مظاهر الاضطراب الاقتصادى والسياسى الناتج عن ذلك . وكان يمكن تحاشى الكثير من المعاناة ، لو لم يحرم الناس من فرصة سد حاجاتهم من واقع مهاراتهم اليدوية وإنتاج الجمال ، الذى امتازت به الملايين حل محله التصنيع ـ حتى للقمح والخبز لقد أفسدت الثورة

الصناعية الفطرة الإلهية للإنسانية ونحن فى حاجة عميقة لإعادة تقييم العلاقة بين الإنسان وما خلقه الله » .

فى مقال نشره مؤخرا العالم المسلم المشهور الدكتور سيد حسين نصر بعنوان « الإنسان والعالم » ، وضح الانقسام بين الاتجاهات التقليدية والحديثة قائلا « الإنسان التقليدى عرف على وجه اليقين من أين جاء ، ولماذا يعيش ، وإلى أين يذهب ويوضح القرآن هذا اليقين فى قوله تعالى ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ [البقرة : ١٥٦] وعموما فإن الإنسان الحديث لا يعرف من أين جاء ، وإلى أين يذهب ، ومن ثم لا يعرف لماذا يعيش » .

والإجابة على هذا السؤال . ومفتاح تقييم علاقة الإنسان بما خلقه الله ، موجود فى القرآن ، حيث الآية ٣٠ من سورة البقرة تقول : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ هذا الخليفة خلق من طين : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون** ﴾ [الحجر : ٢٨] هذه إذا هى العلاقة بين الطين والخليفة . وحينما يبدأ الإنسان فى تقييم موقفه باعتباره خليفة الله على الأرض فقط ، تتضح العلاقة الحيوية بمصدر الكائنات جميعا ، ويصبح التوازن الذى يمثله المجتمع التقليدى ممكنا مرة أخرى .

هذه هى الأفكار التى يلمح إليها الدكتور فتحى عندما يقول إن المبدأ الأساسى لعمله هو : « المحبة والبناء ، لا الكراهية والتدمير » وهو فى النهاية جوهر التعليم الإسلامى للتوحيد ، الذى يوفر الفهم الحيوى لحالة محتملة من الكيان ، يكتسب فيها كل نشاط إنسانى بُعده الأسمى ، ومن ثم يصبح كل شىء مقدسا ﴿ **سبح لله ما فى السموات والأرض** ﴾ [الحديد : ١] .

من الطين خلق الإنسان بروح من الله ، ورفع إلى أسمى مراتب المسئولية بالنسبة لحياته وحياة الأرض . هذه إذا هى الآية التى نسترشد بها فى بناء بيوتنا وملاجئنا أيضا من الأرض ، لنجعلها تنسجم مع الكون الإلهى الذى نعيش فيه . ﴿ **وفى الأرض آيات للموقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [الذاريات : ٢٠ ، ٢١] .

وقد تم تدشين المرحلة الأولى من القرية [عام ١٩٨١] فى احتفال أقيم بمناسبة الانتهاء من بناء المسجد ووضع حجر الأساس لمبنى المدرسة الإسلامية ، التى ستدرس العلوم الإسلامية باللغتين العربية والإنكليزية .

وكان المهندس حسن فتحى الذى وضع حجر الأساس للمسجد وأشرف على التدريب على بنائه من الطوب اللبن ، حاضرا (المجال / ٢٢ - ٢٥) .

وقد نال حسن فتحى أرفع الأوسمة فى عهد جمال عبد الناصر ، فقد حاز جائزة الدولة التشجيعية فى مصر سنة ١٩٥٩ ، والجائزة التقديرية سنة ١٩٦٩ ، كما حصل على جائزة بول هوفمان . للتنمية حيث يعد من القلائل الذين اهتموا بالفقراء فى العالم فصمموا لهم أحدث المنازل وأجملها بأقل التكاليف وهذا هو محور برنامج التنمية الذى يمنح الجائزة والتابع للأمم المتحدة ... كما نال الجائزة العالمية للسلام من الأمم المتحدة للبناء للفقراء أيضا .

وفى ديسمبر ١٩٨٠ نال الجائزة الأولى لمؤسسة أغاخان ، وقالت اللجنة التى منحته الجائزة : إن أعمال حسن فتحى وتعاليمه المبكرة ، كشفت عن النواة التى ازدهرت منها أعماله اللاحقة ، إن التزامه بالعمل لصالح الفقير ، وذوقه الجمالى الذى يسترعى النظر قادا محاولاته فى شبابه لتحسين مساكن العمال فى مزرعة أبيه ، وأدت فيما بعد إلى نضج تعبيره عن أفكاره كما تجسدت فى قرية القرنة الجديدة . وكمؤيد لأسلوب البناء البلدى ، أثبت أن الهياكل الرشيقة المشيدة من الطوب اللبن ، يمكن أن يكون بناؤها اقتصاديا ، ومتفقا بشكل يدعو إلى الإعجاب مع المناخ ، لقد علمنا حسن فتحى قيمة البيئة الوطنية وجعلنا نرى أن الدروس التى ينبغى تعلمها هى دروس حديثة ، لقد كان تأثيره عالميا . (المجال / ٢٥) .

كما حصل على جوائز من جامعه لدزان ، وأكاديمية الفنون البلجيكية ، وجائزة بلزان ، وهو أول من حصل على الميدالية الذهبية للاتحاد الدولى للمعماريين على مستوى العالم سنة ١٩٨٤ (الشرق الأوسط / ١٤) .

وقد جاء عن جائزة حسن فتحى العـالمية لعمارة الفقراء ما يلى :

عنـدما كـرس حسن فتحى حياتـه لتعميق مفهوم عمـارة الفقـراء ... ببعديهـا المعمارى والإنسـانى ... وعندمـا أسبغ جهوده على البحث والتطبيق حتى استطاع تكوين مادة علمية تطبيقية تدرس فى المنـاهج المعمارية بالعديـد من جامعات العالم ... إنما كان يهدف إلـى إرساء القواعد ... ووضع اللبنة الأولى فى بناء باب واسع عسى أن يلج منه الملايين من فقراء العالم ... ليسلكـوا طريقهم إلى الراحة ... والأمـان ... وهما أدنى متطلبات العمارة فى جميع أنحـاء العالم ... وفى جميع العصور .

ومن هـذا المضمون ... خصصت جمعيـة إحياء التـراث التخطيطى والمعمـارى جـائزة ... تحمل اسم المعمـارى الـراحل حسن فتحى ... سعيا إلى تفجير الطاقـات الفكريـة والفنية لدى المخططين والمعماريين والحرفيين والمؤسسات العلمية والفنيـة والأفراد المهتمين بهذه الـرسالـة فى كل أرجاء العالم ... لتقديم أفضل إنتاجهم لخدمة هذه الفئة المهضومة من فقراء العـالم ... بيئيا وعمرانيا ... كما تهـدف الجائزة إلى زيـادة الوعى لـدى المسئولين عن أعمـال الإنشاء والتعميـر والتعليم المعمـارى والتخطيطى والأنشطـة العمليـة والمهنيـة والأفراد والجمعيـات الخيرية بهذه الـدعوة الإنسانيـة وبذلك تأخـذ الجـائزة اتجاهـا انسـانيـا خـاصـا يحتـاج إلى الإدارك بالمسئولية الاجتماعية والحضـارية قبل فقراء العالم . وهذا ما كـان يـدعو إليـه المعمـارى الـراحل حسن فتحى ويعمل فى سبيله إلى آخر لحظات حياته .

وعندما خصصت هذه الجائزة تقرر منحها لأحسن الأعمال أو البحـوث أو المشـروعـات المعمـاريـة أو التخطيطيـة التى تصمم بهدف الارتقاء بالبيئة العمرانية للفئات محدودة الدخل وتقرر منـح هذه الجائزة مـرة كل عاميـن فى شهر مـارس وهو الشهر الذى ولد فيه المعمارى الراحل حسن فتحى .

(عالم البناء . العدد (١٣٠ / ٢٤) حسن فتحى العالمية / ٢٤).

والمهنـدس حسن فتحى كـان يـرأس المعهـد الـدولى للتكنولوجيا المناسبة بالقاهرة ، كما كان عضواً فخريا بالمعهد الأمريكى للمهندسين (١٩٧٦) (المجال / ٢٥) .

وكانت منظمة اليونسكو قد قررت إنتاج فيلم وثائقى قصير عن المهندس حسن فتحى رحمه الله ، يقوم بإخراجه المخرج اللبنـانى برهـان علويـة ، الذى حضـر إلى القاهـرة ، والتقى بالمهنـدس المعمارى فى بيت الفنانين بالقلعـة (يأتى الكلام عليه فيما بعد) تمهيدا للبدء فى إعداد الفيلم .

وكل هذا التقدير يرجع إلى أنـه صاحب نظرية فى العمارة الإنسانية ، طبقها فى قرية القرنة جنوب وادى النيل - كما سبق القـول - وصـاغها بـاللغة الفـرنسية فى كتـاب « قريـة القرنـة - العمـارة للفقـراء » الـذى تـرجم إلى أكثـر من لغـة ليس بينهـا العـربية ، وتـدرس فى الجـامعـات الأوربيـة كنموذج متقـدم للعمارة الريفية فى دول العالم الثالث (العمارة الإنسـانية / ٥٠ ، ٣٥) .

ولتفـانيـه فى حب العمـارة الإسـلاميـة جعل حسن فتحى منزلـه بحارة اللبـانة بحى القلعـة العتيق مثلا حيـا لطموحـاته محافظا فى كل ركن من أركانـه على روح التراث فنجد الموقد من العصر المملوكى والمدفـأة بالخشب ونافخ الكير والأرض مغطاة بسجاد يدوى عربى متناثر عليها وسائد والموبيليا قليلة ذات طراز إسلامى من الخشب الأسود اللون ...

والشىء نفسه فى منزله (رحاب) فى طريق سقارة والمبنى من الطـوب الرملـى وذى القباب الـدائريـة والمشربيـات ... (الشرق الأوسط / ١٤) .

قالت المؤلفة : هذا الذى أشير إليه بأنه منزل حسن فتحى هو فى الواقع منزل على لبيب (آخر القرن ١٢ هـ / آخر القرن ١٨ م . أثـر رقم ٤٩٧) ويعـرف أيضا بـدار الفنـانين ، حيث استأجـر الفنـانـون ، ومنهم المهنـدس حسن فتحى غـرفهـا وأدوارها واتخـذوها مراسم لهم . وهـو يقع بدرب اللبـانة إلى الشمال من مسجد قانيباى الرماح (أمير آخور) بمنطقة القلعة وقد قمت بزيارتـه يوم الأحد ٢٠ مايو ١٩٨٤ ، والطريق الذى سلكتـه بـدأ من مسجد قـانيبـاى الـرمـاح المواجـه لمسجـد الرفاعى ، وعند نهايته انحـرفت يسارا لأجد المنزل على اليسار

وقد كانت تجرى فيه أعمال الترميم آنذاك فلم أستطع الصعود إلى طبقاته ، واكتفيت بدخول الفناء الأول للاستطلاع ، وشاهدت بعض الفنانين عاكفين على أعمالهم بجوار النوافذ المطلة على هذا الفناء ، وسنفرد لهذا المنزل مادة خاصة بعنوان « على لبيب (منزل -) » فى حرف العين إن شاء الله تعالى .

لقد عاش حسن فتحى رحمه الله واشتغل فى فترة تزايد سكانى مفرط ، وتطور تكنولوجى محدود . تأمل وتفحص طوال حياته العملية المشاكل التى يسببها تعدد المصالح والاستخدامات نتيجة للتكنولوجيا الجديدة ، وافتقاد التجديد فى المهارات التقليدية ، وكذلك تواجد الفقر والرخاء فى تصميم المأوى للإنسان . ومن قلب هذه المشاكل بحث الجذور الثقافية للبناء ، وحث المعماريين والفنانين والجمعيات على الاشتراك معا فى بناء مساكنهم . وهذا الجهد فى البحث عن مدلول ثقافى لا يوضح الدروس المستفادة من التكنولوجيا القديمة والتقليدية فحسب ، ولكن يوضح أيضا الصفات الروحية التى أضافت أهمية كبرى للإنسان فى منشأته الثقافية والاجتماعية .

وتتعدد الدروس المستفادة من حسن فتحى ، ولكن أهمها هو تفانيه فى مهنة العمارة بكل جوانبها . وكلما استخدم المعماريون التكنولوجيا الحديثة وطوروها مستقبلا كلما توصلوا إلى الأسس والمبادئ الأساسية التى طبقها حسن فتحى خلال حياة عملية مثالية (عالم البناء ، العدد ٥٣ / ١١) .

له مؤلفات ومقالات ومحاضرات عديدة فى بلاده وفى الخارج ، عن أسلوبه الذى يهدف إلى إحياء الهندسة الإسلامية التقليدية وتطويرها ، ومن محاضراته « العمارة العربية بالشرق الأوسط » ألقاها فى جامعة بيروت العربية ٢٩ نيسان ١٨٧١ .

قالت المؤلفة : من بين مؤلفاته كتاب عندى بعنوان «المنزل العربى فى الوسط الحضرى » وهو محاضرة عربية ألقاها فى جامعه اسكس فى ٣ نوفمبر ١٩٧٠ وهى المحاضرة العربية الرابعة لشركة كاريراس ، طبع لونجمانز لجامعة اسكس ، و « العمارة العربية بالشرق الأوسط » وهى محاضرة بجامعة بيروت العربية ، ٢٩ نيسان ١٩٧١ (القيم الجمالية / ٣٤٣) وقد ذكر له الدكتور ثروت عكاشة فى ثبت الهوامش رقم ٥١ « القاعة العربية فى المنازل القاهرية » من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - إبريل ١٩٦٩ . ألفية القاهرة . وزارة الثقافة . مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ .

توفى رحمه الله فى ٢ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ / ٣١ نوفمبر ١٩٨٩ م .

(« قرية مسلمة فى نيومكسكو » - عبد الله نور الدين دوركى . المجال العدد (١٢٩) صفر ١٤٠٢ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨١ / ٢٢ - ٢٥ ، والشرق الأوسط . السنة الحادية عشرة ، العدد ٣٥٥٠ الأربعاء ٥ محرم ١٤٠٩ هـ - ١٧ أغسطس ١٩٨٨ م / ١٤ ، وعالم البناء العدد (٥٣) ١٤٠٥ هـ - يناير ١٩٨٥ / ١١ ، والعمارة الإنسانية للمهندس. حسن فتحى - نبيل فرج مكتبة الأنجلو المصرية د.ت / ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣ ، وعالم البناء . العدد (١٣٠) ١٤١٢ هـ - مايو ١٩٩٢ م / ٢٤ ، والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ٣٤٣ ، ٣٤٤) .

*** حسن قائمى بابا السرائى :**

أدرجه الخانجى بين شعراء البوسنة حماها الله ، وقال عنه :

حسن قائمى بابا السرائى البوسنوى : ولد فى بلدة «سراى» وارتحل فى صغره إلى مدينة صوفيا فلازم الشيخ مصلح الدين من بلدة « أوزيجه » وكان شيخ الطريقة الخلوتية ومكث عنده حتى أجازه للإرشاد ، ثم رجع إلى بلد ولادته ، ولكنه تصادم مع أهل العلم فأنكروا عليه كلامه فذهب إلى بلدة « أزوورنيق » فمكث بها إلى أن توفى سنة إحدى وتسعين وألف وبنى الناس على قبره تربة ، وكان ممن أولع بعلم الجفر.

(علم الجفر : علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم ...

وقد أوردناه لك تحت عنوان « الجفر والجامعة (علم -) فى م ١٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ فانظره فى موضعه) .

وألف كتابا منظوما سماه « بالواردات » ملأه بالأخبار عما يأتى من انكسار دولة وقيام أخرى ، وغلبة جيش وانهزام آخر ،

وفتح بلدة وضياع آخر [أخرى] وغير ذلك ، وكل ذلك يستخرج بحساب مخصوص . وقد كان بعض بسطاء الناس أقبلوا على كتابه يستخرجون منه الأخبار الغيبية فإذا رأوها كذبت قالوا : غلطنا فى الحساب . وللمترجم أيضا أشعار باللغة البوسنوية .

(وذكر محمد طاهر البروسوى أن له ديوان شعر مرتبا قال ويفهم منه أنه كان قادرى الطريقة هذا وقد عرفت أن شيخه خلوتى) .

(المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجى ، هدية مجلة الأزهر . ذو الحجة ١٤١٢ هـ / ١٠٤ ، ١٠٥) .

*** حسن كافى الأقحصارى :**

انظر : الأقحصارى .

*** حسن المآل فى عد مناقب الآل :**

انظر : وسيلة المآل فى عد مناقب الآل .

*** الحسن المثنى :**

انظر : الحسن بن الحسن .

*** حسن المجاز بضبط علاقات المجاز :**

انظر : المجاز .

*** أبو الحسن الكندى (٥٠٠ - ٥٦٥ هـ / ١١٠٦ - ١١٦٩ م) :**

من الخطاطين . وهو أبو الحسن على بن ثروان بن زيد بن الحسن الكندى ، وهو ابن عم تاج الدين أبى اليمن الكندى . أصله من الخابور .

ولد ببغداد ونشأ بها ، وقرأ الأدب على الشيخ أبى منصور الجواليقى وعلى غيره من كبار علماء الأدب واللغة .

وسمع الحديث الشريف من أبى البركات هبة الله البخارى ، وأبى القاسم السمرقندى . وهو الذى أفاد ابن عمه تاج الدين وأحضره مجالس مشايخ الأدب ورغبه فى ذلك وحثّه عليه من صغره .

انتقل أبو الحسن من بغداد إلى دمشق ، وسكنها ، واستفاد منه الناس ، وتقدم عند الأمراء ، واتصل بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وصار من أخصائه . وكان يكتب خطًّا جيدا بديعا ، يشبه خط شيخه أبى منصور الجواليقى . وقد كتب نسخة من كتاب الحماسة بخطه البديع فى غاية الإتقان والنفاسة .

وكان مشهودا له بالفضل والمعرفة بين العلماء ، وكان أديبا كاملا ، وله شعر حسن ، ومنه قوله وقد كتبه على باب أحد أصدقائه :

حضر الكندى فعناكم فلم
يركُم من بعد كدٍّ وتعب
لو رآكم لتجلى همُّه
وانثنى عنكم بحسن المنقلب

توفى أبو الحسن فى دمشق سنة خمس وستين وخمسمائة ودفن هناك .

(جمهرة الخطاطين البغداديين - وليد الأعظمى / ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

*** حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة :**

من مؤلفات الحافظ جلال الدين السيوطى ، فى جزأين ، وهو تاريخ للبلاد المصرية والقاهرة عاصمتها ، مع بعض فصول إضافية فى النظم المملوكية وأساليبها وطبقات العلماء والأصلاء والصوفية فى مصر (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٤) .

والكتاب يضم أخبار مصر منذ القدم حتى عصر المؤلف فيذكر المواضع والأحاديث التى وقع فيها ذكر مصر ثم ما أورده المؤلفون من أخبار مصر بقصد الكشف عن حياة مصر العلمية والأدبية .

ويصف السيوطى فى الجزء الأول من كتابه إقليم مصر ومن نزل بها من أولاد آدم ، ومن ملكها قبل الطوفان وبعده ، ومن دخلها من الأنبياء وأخبار الصديقين والسحرة الذين آمنوا بموسى .

ويذكر بعد ذلك عجائبها وخاصة الأهرام ومنارة الإسكندرية وعجائبها . ثم دخول العرب مصر فى خلافة عمر وبناء المسجد الجامع والدور والحمامات ، ومن دخلها من الصحابة بعد ذلك ، ويأخذ بعد ذلك فى الترجمة لمشاهير من كان بمصر من الأئمة المجتهدين وحفاظ الحديث ونقاده

وفقهاء الشافعية و المالكية والحنفية والحنابلة ، وكذلك أئمة القراءات والنحو واللغة والحكماء والأطباء والمنجميين والوعاظ والقصاص والمؤرخين والشعراء والأدباء ، ويترجم لنفسه مع هؤلاء .

أما الجزء الثانى فيتناول فيه جلال الدين السيوطى أمراء مصر منذ أن فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد ، ثم بنو أيوب ، ثم من قام بها من الخلفاء العباسيين .

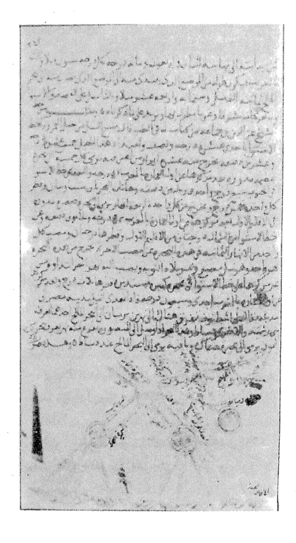
ويذكر قضاة مصر ووزرائها وكتّاب السر، ويتحدث عن مساجد مصر ، وأمهات المدارس .

ثم يتحدث عن أمور متفرقة ، فيذكر الحوادث الغريبة بمصر ، وحمام الرسائل ، والزى والكتابة على التقاليد والمعاملة ولطائف مصر ، والنيل وجزيرة الروضة والمقابر والخليج وبركة الحبيس .

ويختتم الكتاب بالحديث عن الأزهار والفواكه الموجودة بمصر ، وما جاء فيها من أشعار .

فكتاب حسن المحاضرة كتاب فى تاريخ وجغرافية مصر إلى جانب ما فيه من دراسات اجتماعية (فى مصادر التراث العربى / ٢٣٣ ـ ٢٣٥) .

وقد كتبه السيوطى فى عصر السلطان قايتباى ، واعتمد فى تأليفه على ثمانية وعشرين مؤلفا عدَّدها فى مقدمته ، وقد لخص ذلك عن آثار المتقدمين ، ولا سيما ابن عبد الحكم والكندى والقضاعى (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٤ ، ٢١٥) ومن هذه التآليف المتنوعة فى التاريخ وعلوم الهيئة وكتب التراجم وكتب الأدب واللغة والفقه التى ذكرها :



• ـ صفحة من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .

فتوح مصر لابن عبد الحكم ـ فضائل مصر للكندى ـ تاريخ مصر لابن ميسر ـ الخطط للمقريزى ـ المسالك لابن فضل الله العمرى ـ مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارى ـ تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزى ـ الإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ـ طبقات الحفاظ للذهبى طبقات الشعراء للذهبى ـ طبقات الشافعية للسبكى ـ تاريخ الإسلام للذهبى ـ البداية والنهاية لابن كثير ـ الطالع السعيد فى أخبار الصعيد للكمال الأدفوى ـ سجع الهديل فى أخبار النيل لأحمد بن يوسف التيفاشى ـ ثمار الأوراق لابن حجة ، وغيرها الملاحظ على السيوطى دقته وأمانته فى نسبة المنقول إلى قائله وفى الاعتراف بجهد السابقين . هذا وقد طبع الكتاب طبعة سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبعة أخرى سنة ١٣٢١ هـ وإن كانت الطبعتان فى حاجة إلى إعادة تحقيق لطبعة جديدة سليمة (فى مصادر التراث العربى / ٢٣٥) .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم طبع دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م ، وقد عدد المحقق طبعات الكتاب فى مقدمته ص ٥ ، ٦ .

وهو من أفضل كتب السيوطى . وبدأه بذكر المواضع التى وقع فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

كما أنه من أهم مراجع تاريخ مصر وأعلامها .

أما غرضه من تأليف هذا الكتاب فقد ذكره فى مقدمته حيث قال :

هذا كتاب : سميته حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

أوردت فيه فوائد سنية ، وغرائب مستعذبة مرضية ، تصلح لمسامرة الجليس وتكون للوحيد نعم الأنيس ... (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٥) .

يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى :

لجلال الدين السيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ، المتوفى سنة ٩١١ هـ (بروكلمن ٢ / ١٥٧ وملحق ٢ / ١٩٦) .

أوله : « الحمد لله رب العالمين الذى فاوت بين العباد ، وفضل بعض خلقه على بعض حتى فى الأمكنة والبلاد » .

وآخره :

كأنه بيض دجاج وقد

لطخها الكاتب بالزعفران

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ٢٢٢ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرا تمت كتابة سنة ٩٧٤ هـ على يد أحمد المحلى .

[الزاوية الحمزاوية ٧٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ ٢ ق ٤ / ١٥٢ ، ١٥٣) .

كما توجد خمس نسخة مخطوطة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى :

النسخة الأولى : الرقم ٩٨٧٠

الأول : « الحمد لله الذى فاوت بين العباد وفضل بعض خلقه على بعض حتى فى الأمكنة والبلاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد ... » .

وهو كتاب فى تأريخ مصر لخصه المؤلف من ثمانية وعشرين كتابا ذكر فيه أخبار الأنبياء والملوك والحكماء الذين دخلوا مصر ثم ذكر الأهرام والإسكندرية وفتح المسلمين لمصر ومن دخلها من الصحابة والتابعين . بعد ذلك ذكر مبانيها من مدارس وجوامع وغيرها .

نسخة نفيسة ترقى للقرن العاشر الهجرى / القرن السادس عشر الميلادى ولعلها كتبت فى حياة المؤلف الورقتان الأولى والأخيرة كتبتا بخط أحدث من الأصل . وفى الصفحة ٢٤٢ من هذه النسخة رسمت خارطة للبحيرات والأنهار أحدث من أصل المخطوط .

القياس ٥٤٠ ٢٦ × ١٧,٥ سم ٢٧ س

معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨

★ ★ ★

نسخة أخرى .

الرقم ١٨٤٨ .

جيدة الخط كتبها بقلم النسخ يوسف بن محمد الوكيل الملوى فى ٨ ذى الحجة سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م تملكها على الترجمان .

القياس ٥٨٠ ص ٢٧,٥ × ١٧,٥ سم ٢٣ س

نسخة أخرى

الرقم ٧٣٩٨

كتبت بقلم النسخ الجيد بالمدادين الأسود والأحمر ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى القرن السابع عشر الميلادى ناقصة قليلا من الأول والآخر .

القياس ٥٠٢ ص ٣٠,٥ × ٢٠ سم ٢٣ س

نسخة أخرى

الرقم ٩٨٠٩

كتبها بخط النسخ محمد بن محمد الزيدى القرشى سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م عليها حواش وشروح فى آخرها فائدة

عن زيارة محمد بن مراد خان لمصر سنة ١٠٢٠ هـ/ ١٦١١ م ناقصة قليلا من الأول .

القياس ٣٧٨ ص ٢١ × ١٦ سم ٢٥ س

نسخة أخرى .

الرقم ٨٩٥١/ ٤

تتضمن قسما من الكتاب تنتهى بفتح مصر ترقى للقرن العاشر / الهجرى السادس عشر الميلادى عليها قراءة لعبد المعبود بن عثمان بن عبد الرحمن سنة ٩٩٩ هـ/ ١٥٩٠ م

القياس ٥٩ ص ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم ٢٧ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٥٨ ـ ١٦٠) .

وله ترجمة بالتركية فى مخطوط بدار الكتب القومية بعنوان « ترجمه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » ترجمه أحمد بن سليمان الحنفى .

وترجمه المترجم إلى التركية لوالى مصر عبد الرحمن باشا .

أول الترجمة ـ حمد وشكر أولسون سكا خالق كون ومكان ... أما بعد ، سبب ترجمة كتاب بعناية الملك الوهاب يعنى أول وزير عاليشان ... محافظ مصر عبد الرحمن باشا ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد ، بقلم فارسى عادى ، بدون تاريخ ، فى ٥٦ ورقة ، مسطرتها ٢٧ سطرا ، فى ٢٧ × ١٦,٥ سم .

بآخرها وقفة الكاتب .

(١٢٨ ـ م تاريخ تركى)

وقد قام بترجمة هذا الكتاب إلى التركية أيضا يوسف بن محمد ميلوى (وكيل زاده) (فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ١٩٦) .

وإليك نماذج من كتاب حسن المحاضرة :

(١) فى ذكر البشارة بوفاء النيل :

جرت العادة كل سنة إذا أوفى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بذلك إلى البلاد لتطمئن قلوب العباد ، وهذه عادة قديمة ، إذ لم يزل كُتَّاب الإنشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة . فمن إنشاء القاضى الفاضل فى وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين بن أيوب :

نعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من أضوئها بزوغا ، وأفضاها سبوغا ، وأصفاها ينبوعا ، وأمدها بحر مواهب ، وأضمنها حسن عواقب . النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويفيضها مَدُّه وجَزْره ، ويروى النبات غمره ، ويحيى مطلعه الحيوان ، وثمرات الأرض صنوان وغير صنوان .

وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا ، فأسفر وجه الأرض وإن كان تنقب ، وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب . ورأينا الإبانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ، ووفت بالرزق المضمون ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [النحل : ٧٩] و [النمل : ٨٦] و [العنكبوت : ٢٤] و [الروم : ٣٧] و[الزمر : ٥٢] .

(٢) فى ذكر جزيرة الروضة :

ذكر جزيرة مصر ، وهى المسماة الآن بالروضة ، قال المقريزى : اعلم أن الروضة تطلق فى زماننا على الجزيرة التى بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة ، وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة ، وجزيرة مصر ، ثم قيل لها : جزيرة الحصن . وعرفت الروضة من زمن الأفضل ابن أمير الجيوش . إلى اليوم انتهى .

وقال ابن المتوج فى كتابه « إيقاظ المتغفل ، واتعاظ المتأمل » : إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبحر النيل حائز لها ودائر عليها . وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها

ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة، فلما طال حصارها وهرب الروم منها ضرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها .

واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون فى سنة ثلاثمائة وستين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل.

وقال المقريزى : اعلم أن الجزيرة التى هى الآن فى بحر النيل كلها حادثة فى الإسلام ما عدا الجزيرة التى تعرف اليوم

بالروضة تجاه مدينة مصر، فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى أرض مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتى فتحه الله عنوة على المسلمين ، كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر، لم يبلغنى إلى الآن متى حدثت ، وأما غيرها من الجزائر كلها فقد تجددت بعد فتح مصر .

وإلى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لما فتح الله على المسلمين النصر ، وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط » .

(٣) فى ذكر من كان بمصر من المؤرخين :

... أبو الحسن على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغرناطى الأديب الإخبارى الشهير ، صاحب التصانيف الأدبية، ولد بغرناطة سنة عشر وستمائة ، وأخذ عن الشلوبين وغيره ، وجال فى الأقطار ، ودخل مصر والشام وبغداد، وألَّف : المغرب فى حلى المغرب . والمشرق فى حلى المشرق ، والطالع السعيد فى تاريخ بلده ، مات بتونس سنة خمسة وثمانين وستمائة .

ـ الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار، صاحب التاريخ المسمى بزبدة الفكرة ، من أحد عشر مجلدا ، والتفسير . مات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

ـ ابن المتوج تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج ابن صالح الزبيرى ، أحد العدول بمصر ولد بها فى ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وستمائة وسمع وحدث ، وألف تاريخ مصر، سماه : إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل . روى عنه البدر بن جماعة ، مات بمصر فى المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة » (فى مصادر التراث العربى / ٢٣٧ ـ ٢٣٩) .

(صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة / ٢١٤ ، ٢١٥ ، وفى مصادر التراث العربى ـ د. السعيد الدرقى / ٢٣٣ ـ ٢٣٩ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٢ ، ١٥٣ ، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٨ ـ ١٦٠ ، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ ، ١ / ١٩٦ . انظر أيضا كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٧) .

* حسن (مدرسة السلطان ـ) (٧٥٧ ـ ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ ـ ١٣٦٣ م)

أثر ١٣٣ :

مدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين تجاه قلعة الجبل ، ويطلق عليها أيضا اسم « مسجد ومدرسة السلطان حسن » .

السلطان حسن ـ السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون ولد فى سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) . وسمى أولا قمارى ، ولما ولى ملك مصر اختار اسم حسن فعرف به ، ولى الملك فى ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (ديسمبر سنة ١٣٤٧م) . وعمره ثلاث عشرة سنة . ولصغره ناب عنه فى إدارة شئون الدولة الأمير بيبغا روس نائب السلطنة ، وأنعم على الأمير منج اليوسفى وعين فى الوزارة والأستادارية .

وفى سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) . أثبت القضاة أنه بلغ سن الرشد وقبض على الأميرين منجك وبيغا روس ، مما دعا الأمراء إلى التآمر عليه وإقصائه عن الملك فى ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . واعتقاله فى الدور السلطانية وتعيين أخيه الملك الصالح صالح (تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٥ ، والخطط التوفيقية ٤ / ١٧٤) وظل فى معتقله مشتغلا بالعلم حتى أعيد إلى السلطنة مرة أخرى فى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) وظل متربعا فى دست الحكم إلى أن قتل سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) (مساجد مصر ١ / ٦٨) .

وفى الثانى من شهر شوال سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) أعيد الناصر حسن إلى ملك مصر فاستبد بالمملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد فى الحكم ، فبالغ فى أسباب الطمع إلى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) حيث تزايد سلطانه وكثرت مماليكه . وأهدى إليه بعض ملوك اليمن خيمة غريبة الشكل تتكون من قاعة وحمام محلاة بالنقوش .

ومن أجل تغير الجو فى مصر خرج مع حاشيته إلى ضواحى الجيزة فأقام بها ثلاثة أشهر . وفى هذه الفترة اشتدت الفتنة بينه وبين الأمير يلبغا الخاصكى ، وحاول السلطان حسن الفتك به فلم يوفق ، فهاجمه يلبغا فى القلعة فهرب السلطان حسن ، ثم قبض عليه وعلى من معه جهة المطرية ،

وذلك فى جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) وهنا يقول أغلب المؤرخين : كان هذا آخر العهد به ، وقيل : إنه خنق وألقى فى البحر ولم يعرف له قبر .

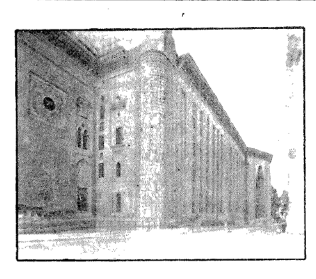
ويقول المقريزى : إنه دفن فى مصطبة كان يركب عليها من داره بقلعة الكبش . كما قيل : إنه دفن بكيمان مصر وأخفى قبره . وتبعه فى الأخذ برواية دفنه فى مصطبة داره ابن أبى الفلاح المؤرخ .

كان رحمه الله ملكا حازما شجاعا منزها عن كثير من نقائص المماليك . وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من أبناء الأسر ويعينهم فى حاشيته .

مدرسة السلطان حسن يصفها الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله فيقول : إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجبا بمدرسة السلطان حسن التى لا يعادلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ؛ فقد جُمعت شتى الفنون فيها .

ويعرف موقعها قديما بسوق الخيل ، وكان به قصر من أجل القصور، أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) لسكنى الأمير يلبغا اليحياوى . وقد بقى هذا القصر حتى هدمه الملك الناصر حسن وبنى محله هذه المدرسة (تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦) وقيل إن المدرسة أقيمت مكان قصرين للأميرين يلبغا اليحياوى ، والطنبغا الماردانى بعد هدمهما وابتدأ العمل بها عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦م ، واستمر لمدة ثلاث سنوات دون توقف (القاهرة الإسلامية / ٧) .

وفى كتاب وقفيته المحفوظة فى خزانة الدفاتر المصرية المؤرخة فى رجب الحرام سنة ستين وسبعمائة المحفوظة بالدفترخانة المصرية ما ملخصه : أن هذا الجامع أصله مكان كان بسوق الخيل على يمنة السالك من سويقة العزى طالبا سوق الخيل ، وعلى يسرة السالك من سوق الخيل طالبا سويقة العزى . وخلط به قطعة بجواره بها بئر ساقية ، ويحيط بذلك المكان وبالقطعة الأرض وبالساقية حدود أربعة ، القبلى : إلى الطريق المسلوك إلى سوق الخيل ، وفيه شبابيك



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

القبة والمدرستين . والبحرى : إلى « اسطبل منجك » ويتوصل منه إلى البئر المعروفة بالبغالة . والشرقى : إلى الطريق المسلوك منها إلى سوق الخيل وغير ذلك ، وفيه البوابة والسلم والشبابيك . والغربى : إلى الطريق المسلوك منها إلى حدرة البقر، وهو شارع السيوفية وسوق الخيل ، وهو المعروف بالرميلة سابقا ، ويعرف الآن بميدان محمد على وغير ذلك ، وبعضه إلى المجرى التى يصل منها الماء إلى الاصطبل السلطانى (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٧٥) .

ففى سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) بدأ هذا السلطان فى بنائها وعنى بها عناية شديدة واستمرت العمارة جارية فيها مدة حياته ، وكان يصرف عليها بسخاء عظم .

ونسب الطواشى مقبل الشامى إلى السلطان حسن أنه قال : « لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » وليس بمستبعد أن يقول هذا ؛ فالبناء شامخ يدل على العظمة والجبروت وعلى المقدرة الفنية ، كما ينم عن كثرة النفقات .

وقد ابتكر مهندسه فى هذا البناء الضخم زخارف دقيقة وكتابات ونقوشا ونحاسا مكفتا آية فى الحسن والبهاء .

ويصفه المقريزى المؤرخ بقوله : « فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكى هذا الجامع وقبته التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها» (المقريزى ٢ / ٣١٦ ، وتاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦) .

ويصفه على مبارك بقوله :

وفى هذا الجامع عجائب من البنيان ، منها أن ذرع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها . ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع (انظر مادة إيوان كسرى وصورتى الإيوان فى م ٦ / ٣٠٢ ـ ٣٠٤) ومنها القبة العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها، ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ، ومنها البوابة العظيمة ، ومنها المدارس الأربعة التى بدور قاعة الجامع ، إلى غير ذلك (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٧٤) .

وقد أجمع على هذا الرأى جميع المؤرخين والرحالة الذين زاروها ، فيقول عنها ابن تغرى بردى « إن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بناء بنى فى الإسلام » (منتخبات من حوادث الدهور ، الفصل الثانى ص ٢١٩) .

ويقول عنها غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ما ملخصه : « ليس لها نظير فى الدنيا ؛ فقد حكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بعمارتها طلب مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسته ـ ولم يعمر أعلى منها ـ فعمرت وعُمِّر بها أربع منارات وقيل : ثلاث فى ارتفاع المدرسة أيضا ؛ ثم هدم بعض المنارات واستمرت الآن على اثنتين ، وهى عجيبة من عجائب الدنيا » (زبدة الممالك / ٣١) .

ووصفها السلطان سليم وقد زارها سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) بقوله : هذا حصار عظيم .

ويقول الورثيلانى الرحالة المغربى ـ وقد زار مصر فى القرن الثانى عشر الهجرى ، (الثامن عشر الميلادى) ـ : « إنه مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى فخامة البناء ونباهته ، وارتفاعه وإحكامه ، واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة ، تصفق الرياح فى أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل فى شواهق الجبال . وفى أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى ؛ وفيها نقوش عجيبة » (الرحلة الورثيلانية / ٢٦٥) .

ويصفه عبد الغنى النابلسى ـــ وقد زاره سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) فيقول ـ : « إن هذا الجامع من أعظم الجوامع على شكل القاعة العظيمة ، ونظرنا إلى إيوانه القبلى الذى فيه المنبر والمحراب فإذا هو إيوان كبير عظيم » (الحقيقة والمجاز / ١٠٣) .

وقد أحصى هرتس باشا أقوال الرحالة والمؤرخين الأجانب فى هذا المسجد فنقتطف منها ما يأتى : بيترو دى لافالليه سنة ١٦١٦ م : « وتجاه القلعة جامع لم أر أجمل منه منظرا ، ولا أبدع منه شكلا . وأحسن ما راقنى منه قبته وشكلها الغريب التى لم أشاهد مثلها ، فإنك بينما تراها ضيقة من الأسفل تتسع فى عينك كلما تعلو ثم تأخذ فى الضيق على هيئة بيضة الدجاج » (تاريخ جامع السلطان حسن / ١٥ ، ١٦) .

مسيو تيڤنو ـــ وقد جاء مصر سنة ١٦٥٧ م ووصفه فى رحلته ببلاد الشرق ص ٢٦٦ :

« هذا الجامع متقن البناء عظيم الارتفاع وكله مبنى بحجر الآلة » .

كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية : « إنه جامع جميل بل من أجمل مبانى القاهرة بل الدولة المصرية بأسرها » . وقد بالغ واضع هذا الفصل فى ضخامة قبته وارتفاع منارتيه ، وذكر الكتابات المنقوشة على جدرانه فقال : « إنها ملونة بألوان شتى . وأشار إلى المصابيح الجميلة المعلقة فى عقود إيوانه وفى قبة التربة ... » .

وقد عنى حضرة الأستاذ الجليل مسيو جاستون ڤييت مدير دار الآثار العربية بجمع طائفة كثيرة من تلك الآراء فى بحثه الذى نشره تحت عنوان جامع السلطان حسن ، وأبدأ بفقرات من وصفه له : « وقد يكون فى وصف الجامع وصفا مسهبا ما يدعو إلى السآمة والملل وبالرغم من أن الجزئيات تشترك فى إبراز الكليات . ولكن هذا الأثر بحاجة إلى قلم بليغ وأسلوب شاعرى حتى يمكن إبراز دقائقه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه

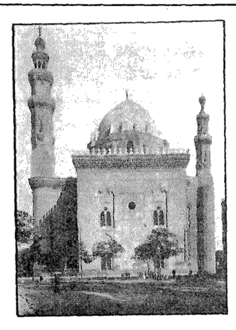
القارئ قاصرا على هذه الجزئيات فحسب ، وإن كانت بعض هذه الجزئيات غاية فى الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء . والفنان فى هذا الجامع لم يوجه همه إلى الزخرفة كعامل جوهرى فى العمارة بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها للكل فأدت أغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذى يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وجمالها . وأثره قوى فى نفوسنا إذ له خصائصه التى لا يشترك معه فيها غيره . إن جامع السلطان حسن هو العمل العظيم فى الإسلام الذى روعى فى تشييده متانة البناء ، فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربى من أن الزمن هو الذى يقاوم قوة هذه المبانى الضخمة . ولا ريب فى أن البناء العالمى الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الإسلام وقوته وعظمته مقررة معترف بها » .

وقال إيبرس « إن كل ما نراه فى الجامع مركب فى مكانه تركيبا هادئا منسجما ؛ فإذا أمعنت النظر فى زخارف إيوان القبلة وقاعة القبر جزءا جزءا أحسست إحساس الرضا . فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بارعة » .

وكتب جومار فى كتاب وصف مصر : « إنه من أجل مبانى القاهرة والإسلام ، ويستحق أن يكون فى الرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبته العالية ، وارتفاع مئذنتيه وعظم اتساعه وفخامة وكثرة زخارفه التى تكسو الأرضية والحيطان فى أوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة ، كما أن حشوات الخشب والبرونز التى تكسو الأبواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرا فنيا » .

وكتب عنه المصور لينوار : « أن جامع السلطان حسن المملوكى يشرف على القاهرة كلها ، وأسلوب بنائه من أرقى الأساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ؛ ولذا يعد أجمل جامع فى الشرق كله بلا نزاع » .

وقال آرثرونيه : « إن العبقرية هى التى أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسية فبث فيها روحا من عنده ؛ فلكل زخرفة فى جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى » .



مسجد السلطان حسن
(٧٥٧-٧٦٤هـ/١٣٥٦-١٣٦٣م)

تصميم المدرسة ـ وقد وضع تصميمها على طريقة التعامد (Cruciform) التى تشتمل على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف وكان المقرر فى مشروع بنائها أربع منارات فرغ من بناء ثلاث : منها اثنتان تكتنفان القبة بالوجهة الشرقية ، والثالثة كانت على الكتف الأيمن للباب العمومى ، وقد سقطت يوم السبت ٦ ربيع الآخر سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) (المقريزى ٢ / ٣١٦) فأبطل السلطان حسن بناء المنارة الرابعة التى كان مقررا لها الكتف الأيسر للباب المذكور ، واكتفى بالمنارتين .

(تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦ ـ ١٦٨) .

وتعتبر مئذنة السلطان حسن القديمة أجمل الأمثلة للمآذن التى أنشئت فى عهد دولة المماليك البحرية وقد تمت طريقة تحويل مربع القاعدة إلى المثمن الأوسط بطريقة المثلثات بوضع قواعدها إلى أعلى ورؤوسها إلى أسفل ـ وبكل واجهة تجويف معقود به فتحة مستطيلة يكتنفها عمودان متصلان صغيران . والشرفة الجميلة التى تفصل هذا الدور المثمن القطاع عن المثمن العلوى محمولة على صفوف من المقرنصات ـ والمثمن الثانى العلو أقل ارتفاعا وقطاعه أصغر

من السفلى وتزخرف أضلاعه الصماء أشرطة أفقية من الرخام الملون ـ وينتهى هذا المثمن الأخير أيضا بشرفة محمولة على المقرنصات ويعلو الأخيرة سقيفة مثمنة محمولة على أعمدة رفيعة من الرخام ويتوجها كورنيش بارز من المقرنصات بقمته نهاية منتفخة (العمارة الإسلامية فى مصر / ٩٠، ٩١).

وفى شهر جمادى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) قتل السلطان حسن، وكانت المدرسة كاملة عدا بعض أعمال تكميلية أتمها من بعده الطواشى بشير الجمدار .

أعمال بشير الجمدار ـ قد قام الطواشى بشير بأعمال تكميلية كثيرة بهذه المدرسة دون أن يتمها أيضًا . منها أعمال الرخام بالوزرات والأرضيات، ولذلك نراها بسيطة ويدخل فيها الكسوة الرخامية لأبواب المدارس بالصحن، ولذلك يقرأ على كل منها ما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن أبن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة» . (مع ذكر المذهب المخصصة له المدرسة : المذهب الشافعي أو المذهب الحنفى إلخ) ويسترعى النظر فيها مزرَّراتها وتطعيم القاشانى والنفيس المكتوب فيه لفظ الجلالة .

كما أتم قبة الفسقية بالصحن سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م)، وهى قبة خشبية أقيمت على ثمانية عمد رخامية وكتب بدائرها آية الكرسى وتاريخ الفراغ منها سنة ست وستين وسبعمائة .

وعمل المصراعان النحاس للباب الكبير الموجود الآن فى جامع المؤيد ؛ إذ يقرأ عليهما ما نصه : «أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالى حسن أبن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى سنة أربع وستين وسبعمائة» .

كما أتم بناء القبة الكبيرة وكتب بإفريزها آية الكرسى، ثم : «وكان الفراغ من هذه القبة، المباركة فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة» . والمرجح أنه لم يتمم بناء القبة، كما كان مقررًا لها، ببناء عظيم يتناسب مع الجدران الضخمة التى أعدت لحملها، بل أقامها من الخشب وغطاها بألواح من الرصاص . وعلى ذلك تكون هذه رابع قبة خشبية كبيرة فى مصر؛ إذ الأولى قبة الإمام الشافعى، ثم قبة مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى، فقبة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين .

هذه هى أعمال بشير الجمدار ـ أما الزخارف وبقية أعمال الرخام بالوجهات فقد تركها دون أن يتممها كما تركها السلطان حسن .

غير أن وفاة السلطان حسن قبل إجراء باقى الأعمال التكميلية ليس معناه أن المدرسة لم تفتتح فى حياته، فقد احتفل السلطان حسن بافتتاحها وصلى بها الجمعة وأنعم على البنائين والمهندسين، وأقيمت بها الدروس فى حياته أيضًا . كما حرر لها وقفية مؤرخة فى شهر رجب سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م)، ورصد عليها وعلى غيرها عقارات وأراضى تغل للصرف عليها، وعين بها الموظفين والقراء، وفرشها وعلق بها الثريات والمشكاوات الجميلة، وعين لها إمامًا .

وصف المدرسة ـ إن المطلع على رسم هذه المدرسة يرى فى وضعها بعض ازورار، بل يصعب عليه تحديد شكلها . وغاية ما ينتهى إليه الوصف أنه شكل كثير الأضلاع . وتبلغ مساحتها ٧٩٠٦ متر مربع، إذ امتداد أكبر طول ١٥٠ مترا، وأطول عرض ٦٨,٠ مترا، ولها أربع وجهات : شرقية وبها القبة ومنارتان أقدمهما القبلية ؛ ويبلغ ارتفاعها عن صحن الجامع ٨١,٦٠، وبحرية وقد سقطت سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) وجددت فى عمارة إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ .

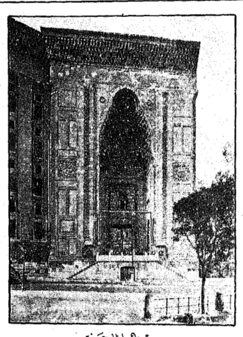
وقد حليت أعتاب شبابيك القبة بمقرنصات وعقود غريبة، كما طعمت بأشرطة من القاشانى . وحليت نواصيها بعمد من الحجر ظريفة بها كتابات كوفية . ويتجلى منظرها من ميدان صلاح الدين ومن أعلى القلعة .

وأخرى قبلية بها شبابيك مدرستى الحنابلة والحنفية، وغربية وتحتها دورة المياه، وأمامها الساقية التى كانت توصل المياه إلى المدارس وإلى المسجد بواسطة مجراة على كوابيل بالوجهة القبلية . وبحرية ويبلغ ارتفاعها عند الباب ٣٧,٧٠

وهى الوجهة العمومية ، وبطرفها الغربى الباب العمومى ، وهذا الباب طرفة أثرية ؛ فقد حلى من جانبيه بالزخارف المتنوعة الممتدة إلى أعلى . وأكثرها لم يتم إلى الآن . كما أن أجزاء كثيرة فى الباب والوجهات كان مزمعًا تلبيسها بالرخام ولم يتم . ويكتنف هذا المدخل حنيتان برأسيهما مقرنصات لبستا بالرخام الأخضر بأشكال هندسية وكتب أعلاهما بالخط الكوفى المزهر قوله تعالى : ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينا * ليغفر لك الله**﴾ [الفتح : ١ ، ٢] ، يعلوهما تربيعتان كتب على إحداهما بالكوفى المربع «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وبالأخرى : «أبو بكر ـ عمر ـ عثمان ـ على» وقد كان لهذا الباب مصراعان من الخشب مغشيان بالنحاس من أنفس الأبواب النحاسية ، نقلهما السلطان المؤيد شيخ إلى مسجده بالسكرية سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦م) . ويغطى هذا الباب مجموعة كبيرة من المقرنصات رأينا هرتس باشا يأخذ على مهندسها بعض الهفوات فى وضعها . ويحلى نهاية الوجهات مقرنصات بارتفاع ستة مداميك، وبرزت بمقدار ٤٠ ,١ أضيفت إليها شرفة مورقة فى وقت ما قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالتها من الوجهة البحرية .

ويقرر هرتس باشا أن زخارف هذا الباب الكثيرة لا نظير لها فى الديار المصرية ، وأن أمثالها كثيرة الوجد فى آثار آل سلجوق التى تمتاز الأبواب فيها عن باقى البناء بكثرة زخارفها .

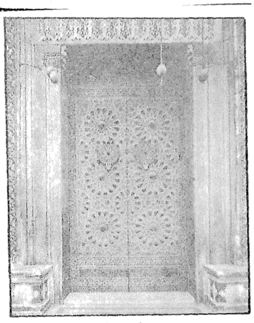
وهذا الباب يؤدى إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات يتوسطها قبة ملبّسة بالحجر الأحمر، وبصدر هذا المدخل مسطبة حلى صدرها بالرخام الملون الملبس فى الرخام الأبيض؛ وشباك من الجص ودوائر ومستطيلات زخرفية دقت فى الحجر لا تقل دقة عن الأويمة فى الخشب أو الجص، ومن هذا المدخل يتوصل إلى سلم ذى خمس درجات يؤدى إلى دهليز معقود ينثنى دفعة واحدة إلى اليسار وينتهى إلى صحن كبير مفروش بالرخام الملون مساحته ٣٤,٦٠ متر فى ٣٢,٠٠ مترًا ، يتوسطه فسقية تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة مكتوب بدائرها آية الكرسى وتاريخ الفراغ منها ، وبها تاريخ عمارة أجريت بها



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

سنة ١٠٨٨هـ (١٦٧٧ م) ، (تاريخ المساجد الأثرية/ ١٦٦ ـ ١٧٢) . وفى كل ركن من أركان الصحن الأربعة ، يؤدى باب إلى إحدى المدارس الأربع ، والتى كانت كل واحدة منها مخصصة لتدريس أحد المذاهب . وأكبر هذه المدارس هى المدرسة الحنفية ، التى تقع فى الجهة الجنوبية ، وتبلغ مساحتها ٨٩٨ مترًا مربعًا ، أما المدارس الثلاث الأخرى الشافعية والمالكية والحنبلية ، فهى فى الثلاثة أركان الباقية من الصحن (القاهرة الإسلامية/ ٨) .

وحول الصحن إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو إيوان كبير لا نظير له فى سعته وارتفاعه ، إذ تبلغ فتحته ١٩,٢٠ ، يحيط به إفريز نادر من الجص مكتوب عليه بالخط الكوفى المزهر ما نصه : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**فوزًا عظيمًا**﴾ [الفتح : ١ ـ ٥]، ويتخلل الكتابة زخارف دقيقة ، ويتوسطه دكة من الرخام يلفت النظر فيها تلبيس عمد الرخام الملون فى نواصيها ، وبصدره المحراب المغشى بالرخام الملون والمحلى بزخارف مورقة تتخللها عناقيد العنب ويجاور المحراب منبر من الرخام له باب من النحاس



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ (١٣٥٦-١٣٦٣م)

المفرغ، (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٢) يعتبر من النماذج الفريدة للمنابر الرخامية (القاهرة الإسلامية/ ٩) ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى قبة الضريح خلف المحراب أحدهما قبلى مغشى بالنحاس المكفت بالذهب وعليه اسم السلطان حسن، والآخر فقدت كسوته . وعلى جانبى المحراب لوحتان مكتوب عليهما : «جدد هذا المكان المبارك حُسن أغا خزيندار ـ الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢ » (تاريخ المساجد الأثرية/ ١٧٢) .

وجدران الضريح مكسوة بالرخام الملون، بارتفاع ثمانية أمتار، يعلوه إطار من الخشب، يبلغ عرضه ثلاثة أمتار، محلى بكتابات نسخية يأتى بيانها بعد (القاهرة الإسلامية/ ٩) .

والقبة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٢١,٠٠ مترًا، وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨,٠٠ مترًا ، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة، ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار، يعلوها إفريز خشبى به كتابة بارزة نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية .

وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة وصلى الله على محمد» . يعلو ذلك شبابيك ودوائر جصية ومقرنصات خشبية محلاة بزخارف ملونة ومذهبة وغطاء القبة الحالى ليس هو القديم، فقد كانت القبة خشبية مكسوة بالرصاص .

وقد زار مصر السائح بيترودى لاڤالليه وكتب رحلته سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) . ومن وصفه للقبة يعتبر طرازها كطراز القباب السمرقندية؛ كذلك ذكر بريس دفين أن القبة سقطت سنة ١٠٧١ هـ (١٦٦١ م)، وكانت أعظم ارتفاعا، وباطنها حافل بالنقوش. وقد جددها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧١م)، وهى محاطة من الخارج بدعامات أسطوانية الشكل، ويتوسط القبة تركيبة من الرخام صنعت لتكون قبرًا للسلطان حسن، كتب عليها أنها أنشئت سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته . ولكن السلطان حسنًا لم يدفن فيها كما شرحناه فى ترجمته ودفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى فى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦م) . وابنه إسماعيل وقد أودع بهذه القبة كرسى المصحف المكون من حشوات سن وأبنوس وخشب دقت بالأويمة الدقيقة وهو يعد أقدم كرسى مصحف عثر عليه بمصر (تاريخ الآثار الإسلامية/ ١٧٢، ١٧٣، والقاهرة الإسلامية/ ٩) .

ووضع القبة خارجًا عن سمت جدار المحراب وخارجًا عن المسجد يعتبر وضعًا شاذًّا سبقه فيه المشهد الحسينى، ونسج على منواله فيما بعد فى مساجد أمير حسين والمحمودية والتى برمق بمصر وبعض مساجد الوجه البحرى. ويتدلى من عقود الإيوانات مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية مشغولة بالمينا وعليها اسم السلطان حسن، وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٣٤ مصباحًا مع ثريتين من النحاس بدار الآثار العربية إحداهما باسم الأمير قوصون .

وبمناسبة الثريات النحاسية (التنانير) الخاصة بالمسجد أذكر أن الملك المؤيد شيخ . كان نقل إحداهما إلى مسجده مع الباب النحاسى .

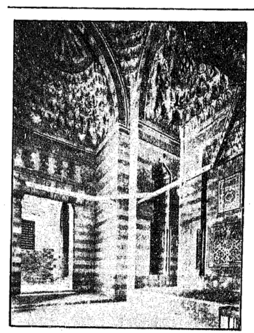
ويحيط بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة محدقة بالجامع الكبير ، أكبرها المدرسة الحنفية التى تقع فى الجهة الجنوبية ، إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ مترًا ، ويبلغ عمق إيوانها ١٩,٢٠ مترًا ، وتشتمل على العديد من روائع الفن الإسلامى . فجدرانها مكسوة بالرخام والأحجار الملونة . وأعلاها إطار من الزخارف الجصية ، بداخله كتابة بالخط الكوفى المزهر ، عبارة عن آيات من القرآن الكريم ، تتخللها زخارف نباتيه دقيقة ، أما المدارس الثلاث الأخرى الشافعية والمالكية والحنبلية ، فهى فى الثلاثة أركان الباقية من الصحن . ويتكون كل منها من إيوان وصحن تتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الوجهات (تاريخ المساجد الأثرية/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، والقاهرة الإسلامية/ ٨ ، ٩) .

وقد نقش على كل باب من أبواب المدارس الأربع النص التالى : «بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك ، فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة» ، ثم ذكر المذهب الذى خُصصت له المدرسة بعد ذلك (القاهرة الإسلامية/ ٩) .

وباق فى اثنتين منها طراز جصى مكتوب بالخط الكوفى على مثال الإيوان الشرقى ، أحدهما فى مدرسة المالكية . ومكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [الحج : ٤١]** اللهم أكثر الخير وأتبع العطا نسألك وأنت خير مسئول دوام دولة من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الأعظم الما ... والمساكين ... يته ... فى عقبه ... » .

نظام المدارس : وقد قرر السلطان حسن لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات نثبتها فيما يلى : (الخطط الجديدة ٤ / ٨٤ ، ٨٥) .

قرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب ،



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ(١٣٥٦-١٣٦٣م)

من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون ، وعين مدرسا لتفسير القرآن ، وعين معه ثلاثين طالبا عهد إلى بعضهم أن يقوموا بعمل الملاحظة ، وعين مدرسا للحديث النبوى ، ومقرئا لقراءة الحديث ، وثلاثين طالبا يحضرون يوميا عهد إلى بعضهم أن يقوموا بوظيفة النقيب والبعض الآخر يقوم بوظيفة داع للسلطان عقب الدروس . ثم عين بالإيوان القبلى بالجامع شيخا عالما مفتيا ، ورتب معه مقرئا مجيدا للقراءة على أن يحضر أربعة أيام من كل أسبوع ، منها يوم الجمعة ؛ فيقرأ المقرئ ما تيسر من القرآن وما تيسر من الحديث الشريف ، وعين مدرسا حافظا لكتاب الله عالما بالقراءات السبع ليجلس كل يوم ما بين صلاة الصبح والزوال بالإيوان القبلى ، وقارئا آخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده ، ثم عين اثنين لمراقبة الحضور والغياب ، أحدهما بالليل والآخر بالنهار . وأعد مكتبة عين لها أمينا ، وألحق بالمدرسة مكتبين بمدرسيهما لتعليم الأيتام القرآن والخط ، وقرر لهم الكسوة والطعام ؛ فكان إذا أتم اليتيم القرآن حفظا يعطى خمسين درهما ويمنح مؤدبه خمسين درهما مكافأة له .

وعين طبيبين مسلمين أحدهما باطنى والآخر للعيون ، يحضركل منهما كل يوم بالمسجد ليداوى من يحتاج علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب طبيبا ثالثا جراحا . وقد أرصد فى وقفيته مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين . وقيمة ما يصرف لهم من المأكل كل ليلة جمعة وما يصرف لهم فى الأعياد .

المدرسة كقلعة ـ لوقوع هذه المدرسة أمام قلعة الجبل اتخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن أنفسهم أمامها ؛ فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الأمراء وغيرهم إلى أعلى مدرسة السلطان حسن ويضربون القلعة . ففى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) نصبت مكحلة (أى مدفع) أعلى المدرسة رمى بها على باب السلسلة فهرب المماليك . ولما تكررت هذه الحوادث أمر السلطان الظاهر برقوق فى ٨ صفر سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) بهدم السلم الموصل إلى سطح المدرسة وسد ما وراء الباب النحاسى الكبير ، ثم فتح شباك من شبابيك المدرسة يوصل إلى داخلها .

وفى شهر رمضان سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) صُرح بالأذان فى المنارتين وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الذى أخذه المؤيد شيخ .

ولما عاد الأمراء إلى مهاجمة القلعة من منارة المدرسة أمر السلطان أبو سعيد جقمق بهدم السلالم الموصلة إلى المنارات ، وذلك فى سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .

وفى ٢٩ ذى الحجة سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) عهد السلطان أبو النصر إينال إلى المهندسين بفحص المنارة القبلية للمدرسة خوفا من حدوث خلل بها . وبفحصها تبين لهم سلامتها ، ولكن تبين أن رصاص القبة به ثغرات من كثرة إصابتها بالمكاحل فى أيام الحروب ، واعوجاج هلالها فرفع وبقيت القبة بدونه .

وفى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) كانت موقعة اقبردى ؛ فحاصر القلعة وضربها من أعلى المدرسة بمكحلة أصاب أول حجر منها باب السلسلة ، فقوبل الاعتداء بمثله وصوبت المكحلة المعروفة بالمجنونة إلى من فى مدرسة السلطان حسن فأصاب المدفع شباك المدرسة فقتل ثلاثة من المماليك . ونهبت بسط المدرسة وقناديلها ورخامها .

وفى سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) جدد الأمير طومانباى الدوادار الثانى جدران المدرسة وأصلح ما تلف منها ، وأقيمت الخطبة بها بعد أن كانت معطلة نحو عشرة أشهر .

وفى سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) هدم الأشرف جان بلاط جزءا بسيطا خلف محراب القبة بصعوبة ثم أوقف الهدم .

ولما ولى ملك مصر الملك العادل طومانباى أمر بترميم جميع ما فسد من جدران مدرسة السلطان حسن فى مدة محاصرة القلعة .

ولما زار مصر الرحالة المغربى الورثيلانى سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) وجد جدارا كبيرا مهدوما من المسجد وكان العمل جاريا فى رفع أنقاضه . وبعودته من الحج بعد سنة ونصف سنة وجدهم قد فرغوا من ترميمه . ولعل هذه العمارة لإصلاح ما هدمه جان بلاط ، أو من أثر المعركة التى قتل فيها أحد عشر أميرا فى بيت محمد بك الدفتردار سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦م) وتسبب عنها سد الباب الكبير مرة ثانية لمدة ٥١ سنة ؛ إلى سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م) حيث أصلح المسجد سليم أغا وفتح بابه وأزال الدكاكين التى أحدثت بأسفله ؛ وبنى له سلالم ومصطبة جديدة .

ومن هذه الحوادث نرى كيف كافحت هذه المدرسة وصمدت أمام تلك التقلبات وبقيت محتفظة بكيانها أكثر من القلعة .

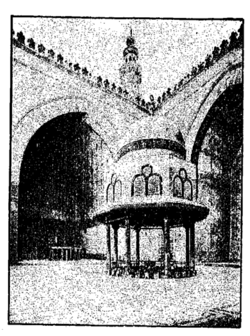
ملحقات الجامع ـ وقد اتخذت خلف الدركاة والإيوان الغربى أبنية فرعية ؛ الدور الأرضى منها يشتمل على دورة مياه فسيحة مساحتها ٤١٢ مترًا وتركت الجهة الوسطى من هذا المكان مكشوفة لتجديد الهواء ودخول الضوء .

وتنخفض أرضية هذه الجهة عن أرضية الجامع بستة أمتار ونصف متر . ويتوصل إليها من باب فى غاية الجمال ، وفى وسطها ميضأة من الرخام الأبيض ، وعلى امتداد جدران هذا المكان مرافق ومنافع متنوعة ، ومن ملحقات الجامع أيضا الساقية ، وهى فى الزاوية القبلية الغربية .

المهندس ـ وأخذ المرحوم « هرتس باشا » على مهندس السلطان حسن اتخاذه مقرنصات مقلوبة لتحلية قواعد الأعمدة . ومنها استنتج أن المهندس أجنبى عن هذه البلاد، وعلق على ذلك بقوله : « ولكن أنى لنا العلم ببلده وهو لم يترك لنا اسمه ولا أثره ؛ ولذلك جعلنا جميعا متشوقين لمعرفته» .

واستطرد فقال : « ولم يذكر أحد من المؤرخين ـ حتى ولا المقريزى الذى يكثر الكلام على الآثار ـ اسم هذا المهندس، كما أننا لم نعثر على شىء يتضمنه فى الكتابات الكثيرة المنقوشة على جدران الجامع ؛ ولذلك تضطرنا الحال إلى معاودة البحث فى عمله عن أثر يدلنا عليه ، أو إشارة تهدينا إليه بالتأمل فى كيفية تصميم دقائق البناء وكيفية توقيعها . وللوصول إلى هذه الغاية جعلنا الدعامة الصغرى المركبة على أحد وجوه كتف الباب محل نظرنا فدلتنا على أن المهندس ـ لعدم استطاعته تدوين اسمه فى عمله ـ اكتفى بنسبة الفخر إلى وطنه فأشار إليه إشارة لبيب فى ركن صغير . وهى إشارة تخفى على العامة ، ولكنها كافية لأن يهتدى بها من كان بسر الأحجار عليما .

وبيان ذلك أن هذه الدعامة ترى عليها ستة سطوح بعضها فوق بعض متعاقبة بين صغير وكبير، وكلها محلاة برسوم بارزة أما الكبار فرسومها متشابهة أو تكاد تكون كذلك ؛ فإن فى جميعها أقواسا ستينية مرتكزة على زوج من العمد الصغيرة ، وهذه الأقواس ـ وإن لم يكن فيها ما يستوقف النظر خلاف كون الرسومات الزهرية النباتية التى فى السطح الباطن جلية البيان ـ فإن العمد تسترعى النظر بأبدانها المهندمة الدالة على أنها من طراز قديم عن الطراز العربى . أما الرسومات المنقوشة فى السطوح الصغير فأغرب من ذلك ؛ إذ قد مثل فى الأسفل منها بيت صغيرة ذو طبقتين سطحه على شكل جملون وبجانبه بناءان أعلى منه ، ومن الباطن بناء آخر له باب وعدة نوافذ ، وفى السطح الذى يليه كنيسة ، وطبقة أرضية عالية لها باب ينتهى عاليه بشكل جملون ، وعليها طبقة أخرى أقل منها فى الأهمية ومتخذة قاعدة لقبة يزيد حجمها عن نصف كرة ، وهى ترتكز على قاعدة مخروطة .



مسجد السلطان حسن
٧٥٧-٧٦٤هـ(١٣٥٦-١٣٦٣م)

واستخلص من هذا الوصف مستنتجا ان المهندس وضع هذه الدقائق فى الرسم ليكشف بها عن جنسيته ، ورجح أن المهندس بيزنطى تلقى أصول الطرز الإسلامى فى أحد البلاد السلجوقية ، مما مكنه من تصميم بناء فائق فى بابه مثل جامع السلطان حسن . وهو رأى يؤيده ما كان من الروابط والعلاقات المستمرة بين بيزنطة وملوك بنى سلجوق .

وإن الغموض الذى أحاط بالفنان الذى أبدع هذه المدرسة أحاط غيره من بقية المنشآت المعمارية فى مصر . ولكن عبقرية هذا الفنان كانت حافزة دائما لمعرفته ؛ لأنه شاد بناء عظيما لم يسبق ولم يلحق .

وفى هذا الصدد كتب الأستاذ الجليل مسيو جاستون ڤييت عند بحثه لهذه المدرسة : أن جامع السلطان حسن عمل عظيم خالد ، ولكن شخصية الفنان العبقرى الذى ابتدعه يكتنفها الظلام .

يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله : وفى يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ـ أثناء اشتغالى بمراجعة كتابات الجامع لنشرها مع أستاذى الجليل مسيو ڤييت ضمن مجموعة الكتابات التاريخية الجارى نشرها ـ عثرت فى المدرسة

الحنفية على اسم المهندس مكتوبا فى طرازها الجصى بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إن المتقين فى جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما فى صدورهم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**وما هم منها بمخرجين**﴾ [الحجر : ٤٥ - ٤٨] اللهم يا دائم لا يفنا [يفنى] يا من نعمه لا تحصا [تُحصى] أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين ببقاء من أيدت به الإسلام والمسلمين وأحييت ... ... حسن ابن مولانا السلطان الـ ... ... عنه على ما وليته وخلد فى ذريته كتبه تحمو [تحمى] دولته . وشاد عمارته محمد ابن [بن] بيليك المحسنى .

وكِتْبة تحمو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته) وقد كتب تحمو بدلا من تحمى ـ ومثل هذا الخطأ وقع فى نفس الكتابة ؛ فقد كتب : « يا دائم لا يفنا يا من نعمه لا تحصا » بالألف بدل الياء .

والمعروف أن السلطان حسنا ، حينما شرع فى عمارة مدرسته ، أشرف عليها مهندسين ومشيدين (ملاحظى عمارة) فإذا وجدنا اسم ابن بيليك بجانب اسم السلطان حسن فلا شك أنه لأكبر مهندس فيهم ، خصوصا إذا عرفنا أنه من البيوتات الكبيرة الذين اصطفاهم السلطان حسن وقربهم ، منه ، وكان من أمراء الألوف .

ومن تتبع تراجم أسرة ابن بيليك ـ وقد نشأت هذه الأسرة فى عصر المنصور قلاوون ، وتقلب أفراد أسرتها فى وظائف الدولة فى عهد هذه الأسرة ، وكثير منهم تسمى بمحمد ـ وجدنا المؤرخين يخلطون فيهم . وآخرهم محمد بن بيليك الذين خلطوا ترجمته بترجمة أبيه . وكل ما عرفناه عنه أنه كان من أمراء الألوف ومن أولاد الناس ، وأنه وقف بجانب السلطان حسن فى محنته مع يلبغا . ولم نقف على بقية ترجمته ولا سنة وفاته .

ولا ضير علينا فى عدم العثور على نعته بالمهندس فى الفقرات الصغيرة التى بين أيدينا من ترجمته ؛ لأن كثيرا من المهندسين لم يكونوا محترفين للهندسة ، بل اشتغل بها ملوك وأمراء وعلماء ، كما اشتغلوا بغيرها من الفنون والصناعات . والشواهد كثيرة . فقد ثبت أن الناصر محمد بن قلاوون هندس بنفسه قصر الأمير يلبغا البحياوى وقد كان قصرا عظيما ، وأن الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون كان مغرما بالصناعات وأجاد صناعة الزجاج وغيرها ، وأن الأمير قطلوبك ابن قرا سنقر أحد أمراء الطبلخاناه كان مهندسا للرى . فقد عمر قناة بالقدس واستقدمه الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر ليعهد إليه بمشروع عمل قناة للماء من بركة الحبش .

وأن العلامة أحمد بن على بن إبراهيم الغسانى الأسوانى المصرى كان عالما كاتبا شاعرا مؤرخا مهندسا ، وأن الأمير سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى وزير الديار المصرية كان خبيرا بالسياسة والعمارة . وهو الذى نفذ منشآت المنصور قلاوون .

هذا عدا الكثير من الملوك والوزراء والأمراء الذين اشتغلوا بكثير من العلوم ونبغوا فيها .

ولدينا مسألة طريفة تعزز أن ابن بيليك هو المهندس . ذلك أن كلمة بيليك التركية معناها بالعربية سعد .

وقد كتب المؤرخون أن السلطان حسنا لما صلى صلاة الجمعة فى المسجد لافتتاحه أنعم على البنائين والمهندسين ، كما كافأ الفعلة لكل واحد عشرة دنانير؛ فأنشد الشاعر ابن نباتة المصرى مقطوعة فى المعنى ضمنها اسم المهندس فقال :

مليك التقى هُنيتَ بالجامع الذى
وجدت إلى مبناه سعدا موافقا

وشعراء هذا العصر من دأبهم تضمين الأسماء فى شعرهم ؛ فنجد أن هذا الشاعر قد هنأ الملك الكامل شعبان بملك مصر بأبيات منها :

طلعة سلطاننا تبدّت
بكامل السعد فى الطلوع
فاعجب لها كيف منه أبدت
هلال شعبان فى ربيع

وإذا لم يكن محمد بن بيليك هذا مهندسا فذا لما استطاع بناء هذه المدرسة وما أذن له بوضع اسمه بجانب اسم السلطان ، ولا لهج الشعراء باسمه مع اسم السلطان .

وقد قيض الله لهذه المدرسة لجنة حفظ الآثار فبذلت فى إصلاحها مجهودا جبارا فأكملت بناء منارتيها وأصلحت جدرانها ورخامها ونجارتها وأرضيتها حتى أعادت إليها رونقها، بعد أن صرفت عليها ٤٠ ألف جنيه .

وانتهت هذه الأعمال فى منتصف سنة ١٩١٥ تحت إشراف المهندس الكبير هرتس باشا كبير مهندسيها ، وصاحب الفضل فى تعمير الكثير من الآثار الإسلامية بمصر اهـ . (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٣ ـ ١٨١) .

هذا وقد قامت هيئة الآثار المصرية التابعة لوزارة الثقافة بترميم شامل لهذا الأثر الجليل فى ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ م ، وقد شمل الترميمي ما يأتى :

أولا : الترميم المعمارى .

أ ـ دركاة المدخل .

ب ـ صحن المسجد .

جـ ـ المدارس .

د ـ إيوان القبلة .

هـ ـ الضريح .

و ـ الأخشاب والنحاس والرخام .

ثالثا : أعمال الكهرباء

رابعا : خدمات سياحية :

أقيمت حديقة متحفية فى الجهة الشمالية الغربية للمسجد، وزينت بعدد من القطع الأثرية ، ووضعت نافورة فى وسطها ومقاعد لاستراحة الزوار ، مع عمل دورات مياه سياحية لخدمتهم . كما تم إنشاء بيت للهدايا وغرفة للتذاكر ـ انظر تفاصيل هذا كله فى المرجع (القاهر الإسلامية . مساجد ميدان صلاح الدين / ٧ ـ ١٦) .

(تاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ١٦٥ ـ ١٨١ ، والقاهرة الإسلامية ، مساجد ميدان صلاح الدين وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية / ٧ ـ ١٦ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٦٨ ، والعمارة الإسلامية فى مصر ـ د. كمال الدين سامح / ٩٠ ، ٩١ ، .

انظر أيضا الفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ١٩٦ ـ ١٩٩ ، ودليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ـ محمود أحمد / ١٣٥ ـ ١٤٢ .

*** الحسن المراكشي (القرن ١٣ م) :**

أدرجه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله فى « عصر الطوسى » وهو الذى يشتمل على علماء القرن الثالث عشر للميلاد وقال عنه :

هو « أبو على الحسن بن على بن عمر المراكشى » من علماء المغرب الذين ظهروا فى مراكش فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، واشتهروا فى الفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، وعمل الساعات الشمسية .

له : « رسالة تلخيص العمل فى رؤية الهلال » .

ـ « كتاب جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات » يقول عنه صاحب « كشف الظنون » : « ... وهو أعظم ما صنف فى هذا الفن ؛ أوله : أما بعد حمدا لله والصلاة على محمد : ... رتبه على أربعة فنون :

الأول : فى الحساب ، وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلا .

الثانى : فى وضع الآلات . وهو يشتمل على سبعة أقسام .

الثالث : فى العمل بالآلات وهو يشتمل على خمسة عشر بابا .

الرابع : فى مطارحات يحصل بها الدربة والقوة على الاستنباط . وهو يشتمل على أربعة أبواب فى كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة ... » (كشف ١ / ٣٨٤ فى نسخة المؤلف) .

ويظهر من كتابه هذا ؛ أنه اعتمد على مؤلفات «الخوارزمى» و « البتانى » و « الفرغانى » و « أبى الوفاء » و«البيرونى» و « ابن سينا » و « الزرقالى» و « جابر بن الأفلح»، فى الفلك والرياضيات .

وفى الكتاب بحوث فى المثلثات ، وأدخل فيها الجيب، والجيب تمام ، و السهم Versed Sine

وبين أن : حا (٩٠ - س) = جتا س .

وأن : حا (س - ٩٠) = — جتا س .

وعمل أيضـا الجـداول للجيب (لكل نصـف درجـة) . وكذلك جداول للسهم . وأورد تفصيـلات عن أكثر من ٢٤٠ نجمـا لسنـة ٦٢٢ هـ . وفيـه أيضـا حلـول (بطـريق الـرسم والتخطيط) لبعض المسائل الفلكية .

ويقـول « سـارطـون » : إن « كتـاب الجـامع » من أحسن الكتب ، وفيه بحوث نفيسة فى المثلثات ، والساعة الشمسية المتنوعة (مقـدمـة لتـاريخ العلم ٢ / ٦٢٣) ويعتـرف « سيديـو » بفضل « المـراكشى » فى تصحيحـات العـرب الجغـرافيـة . فيقـول : « ... وأمـا طـول البحـر المتـوسط الـذى جعلـه «بطلميوس» ٦٢ درجة ، ثم جعله العرب فى كتاب رسم الأرض ٥٤ درجـة ، فقـد قدر بعـد ذلك بـ ٤٢ درجة ، غيـر أننـا لم نستفـد من ذلك الرصـد بخلاف مـا عمله « أبـو على الحسن المـراكشى » المشهـور سنـة ١٢٣٠ م ، من التصحيح المهم الذى كان به كتابه من أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيا ... » (خلاصة تاريخ العرب / ٢٢٣ ، ٢٣٠) .

وكـذلك جـدد « المـراكشى » فى خـارطـة المغـرب التى رسمت فى الزمن الأول ، بخلاف غيره من الذين نقلوا الخارطة على ما هى عليه من الغلط .

ويقول « سيديو » أيضا : ـ

« ... وأبو على الحسن المهنـدس الفلكى له كتـاب ـ أى الجـامع ـ بـه أول استعمـال الخطوط الـدالـة على الساعـات المتسـاويـة ، فإن اليـونـان لم يستعملـوهـا قط . وقط فصل صناعـة الخطوط الدالة على السـاعات الزمنية المسمـاة أيضا بـالساعـات القديمـة ، والمتفاضلـة ، واليهوديـة . واستعمل خواص القطوع المخروطية فى وصف أقواس البروج الفلكية ، وحسب خطوط المعـادلة ، ومحـاور تلك المنحنيات لمعـرفة عرض محل الشمس وانحـرافها ، وارتفاع الـربع الميقاتى » خلاصة تاريخ العرب / ٢٢٣ ، ٢٣٠) .

وترجم « إمانويل سيديـو » : « كتاب الجامع » الذى سبق ذكره ، ونشـر ابنه « لـويس أميلى سيديو » التـرجمة المـذكورة فيما بعد ١٨٣٤ هـ ـ ١٨٣٦ م .

كما نشر « كـارادى قو Carra De Vaux » ، فصلا من «كتاب الجامع » يفصل فيه الاسطرلاب .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤١٦ ، ٤١٧ . انظـر أيضـا معجم العلمـاء العـرب ـــ بـاقـر أمين الـورد المحامى ، راجعه الأستاذ كوركيس عواد ١ / ١٢٣) .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة لكتاب أبى الحسن المراكشى« جامع المبادئ والغايات فـى علم الميقات » المذكور أعلاه ، وذلك فى م ١١ / ٥٧٨ ـ ٥٨٢ مصحوبـة بصورتى مخطوطين ص ٥٧٩ و ٥٨٠ فانظرها فى موضعها .

*** أبو الحسن المزين (٣٢٨ هـ) :**

من الطبقـة الرابعـة للصـوفية ، وهـو أبـو الحسن على بن محمد المزين ، من أهل بغداد ، صحب الجنيد ، وسهل بن عبـد الله ومـن فى طبقتهمـا من البغـداديين ، وأقـام بمكـة مجاورا ، ومات بها . قال عنه الإمام عبد الرحمن السلمى :

وكان من أورع المشايخ وأحسنهم حـالا ، توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

ـ الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

ـ وسئل عن المعرفة ، فقال : أنت تعرف الله تعالى بكمال الربوبيـة ، وتعرف نفسك بالعبودية . وتعلم أن الله تعالى أول كل شىء ، وبه يقوم كل شىء، وإليه مصير كل شىء ، وعليه رزق كل شىء .

ـ الطرق إلى الله تعالى تعالى بعدد النجوم ، وأنا مفتقر إلى طريق واحد فلا أجده .

ـ من طلب الطريق إليه بنفسـه تاه فى أول قدم ، ومن أريد بـه الخيـر دل على الطـريـق ، وأعين على بلـوغ المقصـد ، فطـوبى لمن كـان قصده إلـى ربه ، دون عـرض من أعـراض الأكوان .

- من استغنى بالله أحوج الخلق إليه ، ومن افتقر إلى الله ، وصح فقره إليه بملازمة آدابه ، أغناه الله عن كل ما سواه .

- وكان يوما بالتنعيم ، يريد أن يحرم بعمرة ، فأخذ يبكى طول طريقه وينشد :

أنافعى دمعى فأبكيك
هيهات ! مالى مطمع فيك !

فلم يزل كذلك حتى بلغ باب مكة .

- متى ظهرت الآخرة فنيت فيها الدنيا ، ومتى ظهر ذكر الله فنيت فيه الدنيا والآخرة ، فإذا تحققت الأذكار فنى العبد وذكره وبقى المذكور بصفاته .

- للقلوب خواطر يشوبها شيء من الهوى ، لكن العقول المقرونة بالتوفيق تزجر عنها وتنهى .

- وسئل عن التوحيد ، فقال : أن توحد الله بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة ، وتوحده بالرجوع إليه فى كل ما لك وعليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه ، فالله تعالى بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه ، باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاته حدثا .

- ورئى يوما متفكرا ، ثم اغرورقت عيناه ، فقيل له : ما لك أيها الشيخ ؟ فقال : ذكرت أيام تقطعى فى إرادتى ، وقطعى المنازل يوما فيوما ، وخدمتى لأولئك السادة من أصحابى ، وتذكرت ما أنا فيه ، من الفترة عن شريف الأحوال . وأنشأ يقول :

منازل كنت تهواها وتألفها
أيام أنت على الأيام منصور

- المعجب بعمله مستدرج ، والمستحسن لشيء من أحواله ممكور به ، والذى يظن أنه موصول فهو مغرور ، وأحسن العبيد حالا من كان محمولا فى أفعاله وأحواله ، لا يشاهد غير واحد ، ولا يأنس إلا به ، ولا يشتاق إلا إليه .

- وسئل عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يسكن إلى مضمون الله له ، ويزعجه دخول الأرفاق عليه ، من أى وجه كان .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى - يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٩٣ ، ٩٤) .

*** حسن مصطفى مأمون (١٨٩٤م/١٩٧٣م) :**

الشيخ الثامن والثلاثون من شيوخ الأزهر الشريف .

ولد بالقاهرة فى سنة ١٨٩٤ وكان والده شيخا لمسجد الفتح بقصر عابدين الذى يصلى فيه الملك وحفظ القرآن الكريم واتجه إلى المعهد الدينى ثم مدرسة القضاء الشرعى وتخرج سنة ١٩١٨ وأتقن اللغة الفرنسية .

فى سنة ١٩١٩ عين موظفا قضائيا بمحكمة الزقازيق الشرعية ثم انتقل لمحكمة القاهرة الشرعية سنة ١٩٢٠ ورقى بعد ذلك إلى قاض وتنقل بين عدة محاكم إلى أن ارتقى إلى منصب قاض عام ١٩٣٩ ثم صدر مرسوم ملكى بتعيينه قاضيا لقضاة السودان سنة ١٩٤١ .

وكانت له مواقف وطنية أغضبت الإنجليز ثم تمت ترقيته إلى عضو بالمحكمة الشرعية العليا سنة ١٩٤٧ ثم عين مفتيا سنة ١٩٥٥ ثم عين شيخا للأزهر سنة ١٩٦٤ .

وظل حريصا على إلقاء دروسه على طلاب قسم التخصص بكلية الشريعة .

وكان عالما فقيها وقاضيا نزيها .

وأشرف على إصدار الموسوعة الفقهية الكبرى وكتب بعض موادها .

ومات سنة ١٩٧٣ م .

وقد وقف من الاستعمار مواقف كريمة فناهضه فى السودان وقاوم قيام دولة إسرائيل وشارك فى مقاومة الاحتلال وناشد (الملك السنوسى) ألا يسمح بإقامة قواعد استعمارية عسكرية على أرضه لأنها خنجر مصوب لمصر ولما دبرت إسرائيل حرق المسجد الأقصى وجه الإمام نداء لكل المسلمين يدعو فيه للجهاد .

وأصدر مجموعة من الفتاوى القيمة نقى بها الإسلام من البدع والخرافات .

من مصنفاته :

١ ـ الفتاوى .

٢ ـ دراسات وأبحاث فقهية متنوعة نشرها أو راجعها .

٣ ـ السيرة العطرة .

٤ ـ الجهاد فى الإسلام .

٥ ـ تفسير لقصار السور .

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ٤٥) .

* **أبو الحسن المقدسى (٦١٧ - ٦٩٩ هـ / ١٢٢٠ - ١٢٩٩ م) :**

ذكر فى الخطاطين البغداديين .

وهو أبو الحسن على ابن العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير المقدسى النابلسى الصالحى الحنبلى . ولد سنة ٦١٧ هـ وقيل قبل ذلك . وسمع من البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسى والحسين بن المبارك ابن الزبيدى ، وعلم الدين على بن محمود ، وسمع من أبى المنجا عبد الله بن اللتى جزء أبى الجهم .

وسمع من الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى ومن أبى صادق الحسن بن صباح ومكرم بن محمد ابن أبى الصقر ومحمد بن غسان وأبى موسى عبد الله بن عبد الغنى ، وأبى حمزة أحمد بن عمر ابن أبى عمر بن قدامة والفخر محمد بن إبراهيم الإربلى وجعفر بن على الهمدانى وأبى الحسن على بن هبة الله بن الحميرى .

وقدم بغداد فسمع بها من أبى إسحاق إبراهيم بن عثمان الكاشغرى والمؤتمن يحيى بن أبى السعود نصر بن القميرة .

وحدث ببغداد وسمع منه أبو العلاء محمود بن أبى بكر الفرضى .

وكان ابن عبد الدائم شيخا ثقة جليلا زاهدا . وقد حرر القرآن الكريم بخطه البديع الحسن ونسخ بخطه كثيرا . وكان قليل الرواية .

ثم رحل إلى بعلبك ، وسكن فيها وصحب الشيخ الفقيه محمد بن أحمد اليونينى وخدمه . ثم قصد البصرة وعاد بعدها إلى الشام . وحدَّث عنه المحدث نجم الدين إسماعيل ابن الخباز فى حياة والده .

وكان ابن عبد الدائم دائم التلاوة للقرآن الكريم . وأقعد فى آخر عمره . وتوفى شهيدا على أيدى التتار فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة .

(جمهرة الخطاطين البغداديين - وليد الأعظمى ٢ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، عن العبر للذهبى ٥ / ٤٠١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٨٠ ، وشذرات الذهب ٥ / ٤٥١ ، والقلائد الجوهرية ٢ / ٢٨٨ ومنتخب المختار ص ١٣٤) .

* **حسن المقصد فى عمل المولد :**

قال عنه حاجى خليفة :

حسن المقصد فى عمل المولد : للجلال السيوطى أورده فى حاويه وذكر فيه اجتماع الناس فى مبدأ أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما وقع فى مولده (كشف ١ / ٦٦٧) .

وفيما يلى ما جاء بهذه الرسالة . يقول الحافظ جلال الدين السيوطى بعد البسملة :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوى فى شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع ؟ وهل هو محمود أو مذموم ؟ وهل يثاب فاعله أو لا ؟

والجواب عندى أن أصل عمل المولد الذى هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبى ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ، وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين على بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة وهو الذى عمَّر الجامع المظفرى بسفح قاسيون ، قال ابن كثير فى تاريخه : كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مثواه ، قال : وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلدا فى المولد النبوى سماه التنوير فى مولد البشير النذير

فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته فى الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة .

وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : حكى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد أنه عد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوى وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ، قال وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلثمائة ألف دينار وكانت له دار ضيافة للوافدين من أى جهة على أى صفة فكان يصرف على هذه الدار فى كل سنة مائة ألف دينار وكان يستفك من الفرنج فى كل سنة أسارى بمائتى ألف دينار وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز فى كل سنة ثلاثين ألف دينار هذا كله سوى صدقات السر، وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كرباس غليظ لا يساوى خمسة دراهم قالت فعاتبته فى ذلك فقال لبسى ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقى خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير والمسكين .

وقال ابن خلكان فى ترجمة الحافظ أبى الخطاب بن دحية : كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز باربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتنى بالمولد النبوى فعمل له كتاب التنوير فى مولد البشير النذير وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار قال : وقد سمعناه على السلطان فى ستة مجالس فى سنة خمس وعشرين وستمائة انتهى .

وقد ادعى الشيخ تاج الدين عمر بن على اللخمى السكندرى المشهور بالفا كهانى من متأخرى المالكية أن عمل المولد مذمومة وألف فى ذلك كتابا سماه المورد فى الكلام على عمل المولد وأنا أسوقه هنا برمته وأتكلم عليه حرفا حرفا .

قال رحمه الله : الحمد لله الذى هدانا لاتباع سيد المرسلين وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين ويسر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع فى الدين ، أحمده على ما مَنَّ به من أنوار اليقين وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل فى الشرع أو هو بدعة وحدث فى الدين ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا والإيضاح عنه معينا فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب إجماعا ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت وهذا جوابى عنه بين يدى الله تعالى إن عنه سئلت ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما وحينئذ يكون الكلام فيه فى فصلين والتفرقة بين حالين .

أحدهما أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يجاوزون فى ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة إذ لم يفعله أحد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام سرج الأزمنة وزين الأمكنة .

والثانى أن تدخله الجناية وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشىء ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء أخذ المال بالحياء كأخذه

بالسيف لا سيما إن انضاف إلى ذلك شىء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات إما مختلطات بهن أو مشرفات والرقص والتطريب فى الإنشاد والخروج فى التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر : ١٤] وهذا الذى لا يختلف فى تحريمه اثنان ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات فإنا لله وإنا إليه راجعون بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ ، ولله در شيخنا القشيرى حيث يقول فيما أجازناه :

قد عرف المنكر واستنكر الـ
ـمعروف فى أيامنا الصعبه
وصار أهل العلم فى وهدة
وصار أهل الجهل فى رتبه
حادوا عن الحق فما للذى
ساروا به فيما مضى نسبه
فقلت للأبرار أهل التقى
والدين لما اشتدت الكربه
لا تنكروا أحوالكم قد أتت
نوبتكم فى زمن الغربه

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب ، هذا مع أن الشهر الذى ولد فيه ﷺ ـ وهو ربيع الأول ـ هو بعينه الشهر الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه ، وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول .

هذا جميع ما أورده الفاكهانى فى كتابه المذكور ، وأقول : أما قوله لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة فيقال عليه نفى العلم لا يلزم منه نفى الوجود ، وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر أصلا من السنة واستخرجت له أنا أصلا ثانيا وسيأتى ذكرها بعد هذا ، وقوله : بل هو بدعة أحدثها البطالون إلى قوله ولا العلماء المتدينون يقال عليه قد تقدم أنه أحدثه ملك عادل عالم وقصد به التقرب إلى الله تعالى وحضر عنده فيه العلماء والصلحاء من غير نكير منهم وارتضاه ابن دحية وصنف له من أجله كتابا فهؤلاء علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه ، وقوله ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع يقال عليه : إن الطلب فى المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين الآتى ذكرهما ، وقوله ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين كلام غير مسلم لأن البدعة لم تنحصر فى الحرام والمكروه بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات البدعة فى الشرع هى إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله ﷺ وهى منقسمة إلى حسنة وقبيحة، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى القواعد البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال : والطريق فى ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة فإذا دخلت فى قواعد الإيجاب فهى واجبة أو فى قواعد التحريم فهى محرمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة ، وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة إلى أن قال : وللبدع المندوبة أمثلة ، منها إحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد فى العصر الأول ، ومنها التراويح والكلام فى دقائق التصوف وفى الجدل، ومنها المحافل للاستدلال فى المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى (جاء فى هامش (١) التعليق التالى :

هذا التقسيم لم يسبق إليه العز بن عبد السلام لأنه أول من قسم البدعة وهو خرق للإجماع قبله وفى إيراده إحداث الربط والمدارس من البدع الممدوحة غير مسلم لأن هذا من الشرع انظر الاعتصام) .

وروى البيهقى بإسناده فى مناقب الشافعى عن الشافعى قال : المحدثات من الأمور ضربان ، أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة ، والثانى ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، وهذه محدثة غير مذمومة ، وقد قال عمر رضى الله عنه فى

قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه يعنى أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى - هذا آخر كلام الشافعى ، فعرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين ولا جائز أن تكون مباحا إلى قوله : وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة إلى آخره لأن هذا القسم مما أحدث وليس فيه مخالفه لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع فهى غير مذمومة كما فى عبارة الشافعى وهو من الإحسان الذى لم يعهد فى العصر الأول فإن إطعام الطعام الخالى عن اقتراف الآثام إحسان فهو من البدع المندوبة كما فى عبارة ابن عبد السلام ، وقوله : والثانى إلى آخره هو كلام صحيح فى نفسه غير أن التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التى ضمت إليه لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد بل لو وقع مثل هذه الأمور فى الاجتماع لصلاة الجمعة مثلا لكانت قبيحة شنيعة ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة كما هو واضح ، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع فى ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح فهل يتصور ذم الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التى قرنت بها ؟ كلا بل نقول أصل الاجتماع لصلاة التراويح سُنة وقربة وما ضم إليها من هذه الأمور قبيح وشنيع وكذلك نقول أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة وما ضم إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع ، وقوله مع أن الشهر الذى ولد فيه إلى آخر جوابه أن يقال أولا : أن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا والشريعة حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب ، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهى إظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن فى هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته وقد قال ابن رجب فى كتاب اللطائف فى ذم الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لأجل قتل الحسين لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف ممن هو دونهم .

وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج فى كتابه المدخل على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا ، وحاصله مدح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر ، وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات ، وأنا أسوق كلامه فصلا فصلا قال :

فصل فى المولد : ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ما يفعلونه فى شهر ربيع الأول من المولد وقد احتوى ذلك على بدع ومحرمات جملة فمن ذلك استعمالهم المغانى ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع ومضوا فى ذلك على العوائد الذميمة فى كونهم يشتغلون فى أكثر الأزمنة التى فضلها الله تعالى وعظمها ببدع ومحرمات ولا شك أن السماع فى غير هذه الليلة فيه ما فيه فكيف به إذا انضم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذى فضله الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبى الكريم فآلة الطرب والسماع أى نسبة بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذى من الله علينا فيه بسيد الأولين والآخرين فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير شكرا للمولى على ما أولانا به من هذه النعم العظيمة وإن كان النبى ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئا من العبادات وما ذاك إلا لرحمته ﷺ بأمته ورفقه بهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمته رحمة منه بهم لكن أشار عليه السلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذى سأله عن صوم يوم الاثنين : « ذاك يوم ولدت فيه » فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى ولد فيه فينبغى أن نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة . وهذا منها لقوله عليه السلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » « آدم فمن دونه تحت لوائى » وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصها الله به من العبادات التى تفعل فيها لما قد علم أن الأمكنة والأزمنة لا تشرف لذاتها وإنما يحصل لها التشريف بما خصت به من المعانى فانظر إلى ما خص الله به هذا الشهر الشريف ويوم الإثنين ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه ﷺ ولد فيه ؟ فعلى هذا ينبغى إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به اتباعا له ﷺ فى كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات ألا ترى إلى قول بن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس

بالخير وكان أجود ما يكون فى رمضان » فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا فإن قال قائل : قد التزم عليه الصلاة والسلام فى الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد علم ولم يلتزم فى هذا الشهر ما التزمه فى غيره فالجواب أن ذلك لما علم من عادته الكريمة أنه يريد التخفيف عن أمته سيما فيما كان يخصه ألا ترى إلى أنه عليه السلام حرم المدينة مثل ما حرم إبراهيم مكة ومع ذلك لم يشرع فى قتل صيده ولا فى قطع شجره الجزاء تخفيفا على أمته ورحمة بهم فكان ينظر إلى ما هو من جهته ، وإن كان فاضلا فى نفسه فيتركه للتخفيف عنهم فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه ويكره له تعظيما لهذا الشهر الشريف وإن كان ذلك مطلوبا فى غيره إلا أنه فى هذا الشهر أكثر احتراما كما يتأكد فى شهر رمضان وفى الأشهر الحرم فيترك الحدث فى الدين ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغى وقد ارتكب بعضهم فى هذا الزمان ضد هذا المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة وغيرهما وياليتهم عملوا المغانى ليس إلا بل يزعم بعضهم أنه يتأدب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالتهوك والطرق المهيجة لطرب النفوس وهذا فيه وجوه من المفاسد ...

وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع فإن خلا منه وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط لأن ذلك زيادة فى الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع فيسعنا ما وسعهم انتهى .

وحاصل ما ذكره أنه لم يذم المولد بل ذم ما يحتوى عليه من المحرمات والمنكرات وأول كلامه صريح فى أنه ينبغى أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو عمل المولد الذى استحسناه فإنه ليس فيه شىء سوى قراءة القرآن وإطعام الطعام وذلك خير وبر وقربة ، وأما قوله آخر إنه بدعة فإما أن يكون مناقضا لما تقدم أو يحمل على أنه بدعة حسنة كما تقدم تقريره فى صدر الكتاب أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله فهو بدعة بنفس نيته فقط وبقوله ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوى به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه وهذا إذا حقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه لأنه حث فيه على زيادة فعل البر وما ذكر على وجه الشكر لله تعالى إذ أوجد هذا الشهر الشريف سيد المرسلين ﷺ وهذا هو معنى نية المولد فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولا وأما مجرد فعل البر وما ذكر معه من غير نية أصلا فإنه لا يكاد يتصور ولو تصور لم يكن عبادة ولا ثواب فيه إذ لا عمل إلا بنية ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبى الكريم فى هذا الشهر الشريف وهذا معنى نية المولد فهى نية مستحسنة بلا شك فتأمل :

ثم قال ابن الحاج : ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم ولكن له فضة عند الناس متفرقة كان قد أعطاها فى بعض الأفراح أو المواسم ويريد أن يستردها ويستحيى أن يطلبها بذاته فيعمل المولد حتى يكون ذلك سببا لأخذ ما اجتمع له عند الناس وهذا فيه وجوه من المفاسد ، منها أنه يتصف بصفة النفاق وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغى به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضة ، ومنهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم أو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له وهذا أيضا فيه من المفاسد ما لا يخفى انتهى ، وهذا أيضا من نمط ما تقدم ذكره وهو أن الذم فيه إنما حصل من عدم النية الصالحة لا من أصل عمل المولد .

وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى فى عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا قال : وقد ظهر لى تخرجها على أصل ثابت وهو ماثبت فى

الصحيحين من أن النبى ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به فى يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة ، و الشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى نبى الرحمة فى ذلك اليوم وعلى هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى فى يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد فى أى يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه ، فهذا ما يتعلق بأصل عمله .

وأما ما يعمل فيه فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شىء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة ، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغى أن يقال ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضى السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى انتهى .

قلت : وقد ظهر لى تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه فى سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات ، ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزرى قال فى كتابه المسمى عرف التعريف بالمولد الشريف ما نصه : قد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك ؟ فقال : فى النار إلا أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعى ماء بقدر هذا — وأشار لرأس أصبعه — وأن ذلك بإعتاقى لثويبة عند ما بشرتنى بولادة النبى ﷺ وبإرضاعها له ، فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى ﷺ به فما حال المسلم الموحد من أمة النبى ﷺ يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته ﷺ لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم .

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه المسمى مورد الصادى فى مولد الهادى : قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار فى مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبى ﷺ ثم أنشد :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه
وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الإثنين دائما
يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره
بأحمد مسرورا ومات موحدا

قال الكمال الأدفوى فى الطالع السعيد : حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتى المالكى نزيل قوص أحد العلماء العاملين كان يجوز بالمكتب فى اليوم الذى فيه ولد النبى ﷺ فيقول يا فقيه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فيصرفنا ، وهذا منه دليل على تقريره وعدم إنكاره وهذا الرجل كان فقيها مالكيا متفننا فى علوم متورعا أخذ عنه أبو حيان وغيره ومات سنة خمس وتسعين وستمائة .

فائدة : قال ابن الحاج : فإن قيل : ما الحكمة فى كونه عليه الصلاة والسلام خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول ويوم الاثنين ولم يكن فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر ولا فى الأشهر الحرم ولا فى ليلة النصف من شعبان ولا فى يوم الجمعة وليلتها ؟ فالجواب من أربعة أوجه :

الأول ما ورد فى الحديث من أن الله خلق الشجر يوم الإثنين وفى ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التى يمتد به بنو آدم ويحيون وتطيب بها نفوسهم .

الثانى أن فى لفظة ربيع إشارة وتفاؤلا حسنا بالنسبة إلى اشتقاقه وقد قال أبو عبد الرحمن الصقلى لكل إنسان من اسمه نصيب .

الثالث : أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها وشريعته أعدل الشرائع وأسمحها .

الرابع : أن الحكيم سبحانه أراد أن يشرف به الزمان الذى ولد فيه فلو ولد فى الأوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها تم الكتاب ولله الحمد والمنة : (الحاوى ١ / ١٨٩ - ١٩٧) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٧ ، والحاوى للفتاوى للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٨٩ - ١٩٧) .

*** الحسن (من الحديث) :**

إليك أولا هذه التعاريف الموجزة عن الحديث الحسن كما وردت فى المعجم :

الترمذى : هو ما لا يكون فى إسناده متهم ولا يكون شاذا ويروى من غير وجه نحوه .

- الخطابى : هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله .

- أبو الفرج ابن الجوزى : الحسن ما به ضعف قريب يحتمل .

- ابن دقيق العيد : الحسن كل حديث خال عن العلل ، وفى سنده المتصل مستور له به شاهد أو مشهور قاصر عن درجة الإتقان .

- ابن الصلاح : هو قسمان :

أحدهما : ما لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق أهليته ، وليس مغفلا كثير الخطأ ، ولا ظهر منه سبب مُفَسِّق ، ويكون متن الحديث معروفا برواية مثله أو نحوه من وجه آخر .

الثانى : أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجة الصحيح لقصوره فى الحفظ والإتقان ، هو مرتفع عن حال من يعد تفرده منكرا .

الجرجانى (فى التعريفات) ، والأحمد نكرى : الحسن من الحديث أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة الحديث الصحيح لكونه قاصرا فى الحفظ والوثوق ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من دونه .

- الطيبى : الحسن مسند من قرب من درجة الثقة ، أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه وسلم من شذوذ وعلة .

- ابن حجر : الصحيح ما نقله عدل تام الضبط متصل السند غير معل ولا شاذ ؛ فإن خف الضبط فهو الحسن لذاته .

- السخاوى : هو الذى اتصل سنده بالصدوق الضابط المتقن غير تامهما ، أو بالضعيف بما عدا الكذاب إذا اعتضد مع خلوهما عن الشذوذ والعلة .

- الجرجانى (فى رسالته) : الحسن هو مسند من قرب من درجة الثقة أو مرسل ثقة وروى كلاهما من وجه وسلم من شذوذ وعلة .

- الكافيجى : هو الذى يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة مع قصور فى حفظه وإتقانه ، أو مستور الحال ، مع ألا يكون كثير الخطأ ولا متهما بالكذب بحيث لا يكون فيه علة قادحة ولا إنكار وشذوذ يضر .

- تقى الدين الشمنى : الحسن خبر متصل قل ضبط راويه العدل وارتفع عن حال من بعد تفرده منكرا ، وليس بشاذ ولا معلل .

حسن الحديث : من ألفاظ التعديل . انظر : (الجرح والتعديل) (معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣١ ، ٣٢) .

وإليك تفصيل ذلك . قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

الحسن بفتحتين نعت من الحسن فمعانيه كمعانيه وأما المحدثون فقد اختلفوا فى تفسيره فقال الخطابى الحسن ما عرف مخرجه واشتهر رجاله أى الموضع الذى يخرج منه الحديث وهو كونه شاميا أو عربيا أو عراقيا أو مكيا أو كوفيا أو نحو ذلك وكان الحديث من رواية راو قد اشتهر برواية أهل بلدة كقتادة فى البصريين فإن حديث البصريين إذا جاء عن قتادة كان مخرجه معروفا بخلافه عن غيرهم وذلك كناية عن الاتصال إذا المرسل والمنقطع والمعضل لعدم ظهور رجالها لا يعلم مخرج الحديث منها . والمراد بالشهرة الشهرة بالعدالة والضبط قال ابن دقيق العيد : ليس فى عبارة الخطابى

كثير تلخيص وأيضا فالصحيح ما عرف مخرجه فيدخل الصحيح فى حد الحسن قيل المراد شهرة رجاله بالعدالة والضبط المنحط عن الصحيح . وقال ابن الجوزى الحسن ما فيه ضعف قريب محتمل واعترض ابن دقيق العيد على هذا الحد أيضا بأنه ليس مضبوطا يتميز به القدر المحتمل عن غيره و إذا اضطرب هذا الوصف لم يحصل التعريف المميز عن الحقيقة وقال الترمذى : الحسن : الحديث الذى يروى من غير وجه نحوه ولا يكون فى إسناده راو متهم بالكذب ولا يكون شاذا وهو يشتمل على ما إذا كان بعض رواته مسيئ الحفظ ممن وصف بالغلط والخطأ غير الفاحش أو مستورا لم ينقل فيه جرح ولا تعديل وكذا إذا نقل فيه ولم يترجح أحدهما على الآخر أو مدلسا بالعُنْعَنة لعدم منافاتها نفى اشتراط الكذب وأيضا يشتمل الصحيح فإن أكثره كذلك وأيضا يرد على قوله ويروى من غير وجه نحوه الغريب الحسن فإنه لم يرو من وجه آخر قيل أراد الترمذى بقوله غير متهم أنه بلغ فى العدالة إلى غاية لا يتهم فيها بكذب بخلاف الصحيح فإنه لا يكفى فيه ذلك بل لا بد من الضبط وأراد بقوله ويروى من غيره وجه نحوه أنه لا يكون منكرا يخالف رواية الثقات فلذلك قال ونحوه ولم يقل ويروى هو أو مثله ولذلك يقول فى أحاديث كثيرة حسن غريب ، وقيل إن الترمذى يقول فى بعض الأحاديث حسن وفى بعضها صحيح وفى بعضها غريب وفى بعضها حسن صحيح وفى بعضها حسن غريب وفى بعضها صحيح غريب وفى بعضها حسن صحيح غريب وتعريفه هذا إنما وقع على الأول فقط . وقيل فى خلاصة الخلاصة : الحسن على الأصح حديث رواه القريب من الثقة بسند متصل إلى المنتهى أو رواه ثقة بسند غير متصل وكلاهما مروى بغير هذا السند وسالم عن الشذوذ والعلة فخرج الصحيح من النوع الأول بالقرب من الثقة ومن النوع الثانى بعدم الاتصال إذ يشترط فى الصحيح ثبوت الوثوق واتصال الإسناد وخرج الضعيف منهما بقوله وكلاهما مروى إلخ فإن تكثر الرواة يخرجه من الضعف إلى الحسن ؛ وأما التقييد بالاتصال فى الأول وبالوثوق فى الثانى فلإخراج ما لم يتصل عن الأول وما لم يكن مرويا من الثقة عن الثانى وإن كانا مرويين من غير وجه فإن كثرة الرواة لن تخرج غير المتصل المروى عن غير الثقة عن الضعيف إذا لم ينجبر بمجردها ضعفه وخرج الشاذ والعليل بما خرج من الصحيح وما يرد على التعريف شيئ إلا الحسن الفرد .

والحسن حجة كالصحيح ولكن دونه لأن شرائط الصحيح معتبرة فيه إلا أن العدالة فى الصحيح يجب أن تكون ظاهرة والإتقان بإسناده كاملا وليس ذلك شرطا فى الحسن وأما إذا روى من وجه فيلحق فى القوة إلى الصحيح لاعتضاده بالجهتين بخلاف الضعيف فإنه لم يكن حجة ولم ينجبر بتعدد الطرق ضعفه لكذب راويه أو فسقه انتهى وفى شرح النخبة وشرحه خبر الواحد بنقل عدل خفيف الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الحسن لذاته أى لا بشىء خارج والحسن بشىء خارج ويسمى بالحسن لغيره هو الذى يكون حسنه بسبب الاعتضاد نحو حديث الراوى المستور إذا تعددت طرقه وكذلك كل ما كان ضعفه بسوء حفظ راويه كعاصم بن عبد الله العدوى فإنه مع صدقه كان مسيىء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ بحيث ضعفه الأئمة فإذا توبع ارتقى حديثه إلى الحسن والمراد بخفيف الضبط فى تعريف الحسن لذاته أن يكون الراوى متأخرا عن درجة الحافظ الضابط تأخرا يسيرا غير فاحش لم يبلغ إلى مرتبة الراوى الضعيف الفاحش الخطأ وفوائد القيود تعلم فى لفظ الصحة فى فصل الحاء من باب الصاد والحسن لذاته مشارك للصحيح فى الاحتجاج به ولذا أدرجه طائفة منهم فى الصحيح وإن كان دونه فى القوة انتهى . وظاهر هذا يدل على أن إطلاق الحسن على الحسن لذاته والحسن لا لذاته بطريق الاشتراك اللفظى فائدة لو قيل هذا حديث حسن الإسناد أو صحيحه فهو دون قولهم حديث صحيح أو حديث حسن لأنه قد يصح ويحسن الإسناد لاتصاله وثقة رواته وضبطهم دون المتن لشذوذ أو علة وأما قولهم حسن صحيح فللتردد الحاصل من المجتهد فى الناقل أى حسن قوم باعتبار وصفه صحيح عند قوم باعتبار وضعه فهذا دون ما قيل فيه صحيح فقط لعدم التردد هناك وهذا حديث يحصل من الناقل التفرد بتلك الرواية بأن لا يكون الحديث ذا سندين وإن لم يحصل التفرد فباعتبار إسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن فهو فوق ما قيل فيه صحيح فقط إذا كان فردا لأن كثرة الطرق تقوى .

(كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٨٦ـ٣٨٨) .

وقال الإمام المقدسي :

بيان الحديث الحسن

ذكر ماهيته

قال العلامة الطيبي : « الحسن مسند من قرب من درجة الثقة ، أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه ، وسلم من شذوذ وعلة » وهذا الحد أجمع الحدود التي نقلت في الحسن وأضبطها ، وإنما سمي حسنا لحسن الظن براويه » .

بيان الحسن لذاته ولغيره

اعلم : أن ما عرفناه أولا هو الحسن لذاته ؛ قال ابن الصلاح : « الحسن لذاته أن تشتهر رواته بالصدق ، ولم يصلوا في الحفظ رتبة رجال الصحيح ؛ والحسن لغيره أن يكون في الإسناد مستور لم تتحقق أهليته ، غير مُغفَّل ، ولا كثير الخطأ في روايته ، ولا متهم بتعمد الكذب فيها ، ولا ينسب إلى مفسق آخر ، واعتضد بمتابع أو شاهد ؛ فأصله ضعيف ، وإنما طرأ عليه الحسن بالعاضد الذي عضده فاحتمل لوجود العاضد ، ولولاه لاستمرت صفة الضعف فيه ، ولاستمر على عدم الاحتجاج به » كذا في فتح المغيث (السخاوي شرح ألفية العراقي في الحديث / ١١ ، الهند ، دلهي ، طبع حجر) .

ترقي الحسن لذاته إلى الصحيح بتعدد طرقه

اعلم : أن الحسن إذا روي من وجه آخر ، ترقَّى من الحسن إلى الصحيح ، لقوته من الجهتين ، فيعتضد أحدهما بالآخر ؛ وذلك لأن الراوي في الحسن متأخر عن درجة الحافظ الضابط مع كونه مشهورا بالصدق والستر ، فإذا روي حديثه من غير وجه ولو وجها واحدا قوي بالمتابعة وزال ما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظ راويه ، فارتفع حديثه من درجة الحسن إلى الصحيح . قال السيد الشريف : « ونعني بالترقي أنه ملحق في القوة بالصحيح ، لا أنه عينه » .

بيان أول من شهرَ الحسن

قال الإمام النووي في التقريب وشارحه السيوطي : « كتاب الترمذي أصل في معرفة الحسن وهو الذي شهره ، وأكثر من ذكره وإن وجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله » .

وقال الإمام تقي الدين بن تيمية قدس سره في بعض فتاويه : « أول من عرف أنه قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، أبو عيسى الترمذي ، ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله ؛ وقد بين أبو عيسى مراده بذلك ، فذكر أن الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيهم متهم بالكذب ، ولم يكن شاذا . وهو دون الصحيح الذي عرف عدالة ناقليه وضبطهم » وقال : « الضعيف الذي عرف أن ناقله متهم بالكذب ، رديء الحفظ ، فإنه إذا رواه المجهول ، خيف أن يكون كاذبا ، أو سيء الحفظ ؛ فإذا وافقه آخر لم يأخذ عنه ، عرف أنه لم يتعمد كذبه واتفاق الاثنين على لفظ واحد طويل قد يكون ممتنعا ، وقد يكون بعيدا ؛ ولما كان تجويز اتفاقهما في ذلك ممكنا ، نزل من درجة الصحيح » . ثم قال تقي الدين قدس سره : « وأما من قبل الترمذي من العلماء فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثي ، لكن كانوا يقسمونه إلى صحيح وضعيف والضعيف كان عندهم نوعان : ضعيف ضعفا لا يمتنع العمل به ، وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي ، وضعيف ضعفا يوجب تركه ؛ وهو الواهي .

معنى قول الترمذي « حسن صحيح » .

للعلماء في ملحظ الترمذي بهذه العبارة وجوه نقلها السيوطي في التدريب (٥٢ ، ٥٣) قالوا : « العبارة المذكورة مما استشكل ، لأن الحسن قاصر عن الصحيح ، فكيف يجتمع إثبات القصور ونفيه في حديث واحد ؟ وأجاب ابن دقيق العيد : بأن الحسن لا يشترط فيه القصور عن الصحة إلا حيث انفرد الحسن ، أما إذا ارتفع إلى درجة الصحة فالحسن حاصل لا محالة تبعا للصحة ، لأن وجود الدرجة العليا وهي الحفظ والإتقان ، لا ينافي وجود الدنيا كالصدق ، فيصح أن يقال : حسن ، باعتبار الصفة الدنيا ، صحيح باعتبار العليا ويلزم على هذا أن كل صحيح حسن . وقد سبقه إلى نحو ذلك ابن المواق ، قال الحافظ ابن حجر : وشبه ذلك قولهم في الراوي صدوق فقط ، وصدوق ضابط ، فإن الأول قاصر

عن درجة رجال الصحيح ، والثانى منهم فكما أن الجمع بينهما لا يضر ولا يشكل ، فكذلك الجمع بين الصحة والحسن » انتهى .

الجواب عن جمع الترمذى بين الحسن والغرابة على اصطلاحه

قد أنكر بعض الناس على الإمام الترمذى تحديده للحسن بما حُدَّ به من كونه يروى من غير وجه ، لقوله فى بعض الأحاديث : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . والغريب الذى انفرد به الواحد . وأجاب الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة : « بأن الترمذى لم يعرف الحسن مطلقا ، وإنما عرفه بنوع خاص منه وقع فى كتابه ، وهو ما يقول فيه : حسن من غير صفة أخرى . وذلك أنه يقول فى بعض الأحاديث : حسن ، وفى بعضها : صحيح ، وفى بعضها : غريب ، وفى بعضها : حسن صحيح ، وفى بعضها : حسن غريب ؛ وفى بعضها : صحيح غريب ؛ وفى بعضها حسن صحيح غريب وتعريفه إنما وقع على الأول فقط ؛ وعبارته ترشد إلى ذلك حيث قال فى آخر كتابه : « وما قلنا فى كتابنا : حديث حسن ، فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا ، إذ كل حديث يروى ، لا يكون راويه متهما بكذب ويروى من غير وجه نحو ذلك ، ولا يكون شاذا ، فهو عندنا : حديث حسن » ؛ فعرف بهذا أنه إنما عرف الذى يقول فيه : حسن فقط . أما ما يقول فيه : حسن صحيح ، أو حسن غريب ، أو حسن صحيح غريب ، فلم يعرج على تعريف ما يقول فيه : صحيح فقط ، أو : غريب فقط وكأنه ترك ذلك ، استغناء لشهرته عند أهل الفن . واقتصر على تعريف ما يقول فيه فى كتابه : حسن فقط ، إما لغموضه وإما لأنه اصطلاح جديد ولذلك قيده بقوله : « عندنا » ولم ينسبه إلى أهل الحديث كما فعل الخطابى » انتهى .

وقال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية فى فتوى له : «الذين طعنوا على الترمذى لم يفهموا مراده فى كثير مما قاله . فإن أهل الحديث قد يقولون : « هذا الحديث غريب » أى : من هذا الوجه . وقد يصرحون بذلك فيقولون : غريب من هذا الوجه ؛ فيكون الحديث عندهم صحيحا معروفا من طريق واحد . فإذا روى من طريق آخر ، كان غريبا من ذلك الوجه ، وإن كان المتن صحيحا معروفا . فالترمذى إذا قال : حسن غريب ، قد يعنى به أنه غريب من ذلك الطريق ، لكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن » انتهى (انظر ما ورد فى ألفية السيوطى عن ذلك ، ويأتى فيما بعد) .

مناقشة الترمذى فى بعض ما يصححه أو يحسنه

قال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية : « بعض ما يصححه الترمذى ، ينازعه غيره فيه ، كما قد ينازعونه فى بعض ما يضعفه ويحسنه ؛ فقد يضعف حديثا ويصححه البخارى ، كحديث ابن مسعود لما قال له النبى ﷺ : « ابغنى أحجارًا أستنفض بهن ؛ قال : فأتيته بحجرين وروثة ؛ قال : فأخذ الحجرين وترك الروثة وقال : إنها رجس » (فى البخارى هى من حديث أبى هريرة فى كتاب الوضوء) فإن هذا اختلف فيه على أبى إسحاق السبيعى ، فجعل الترمذى هذا الاختلاف علة ، ورجح روايته له عن أبى عبيدة عن أبيه ، وهو لم يسمع من أبيه ؛ وأما البخارى فصححه من طريق أخرى ، لأن أبا إسحاق ، كان الحديث يكون عنده عن جماعة ، يرويه عن هذا تارة ، وعن هذا تارة ، كما كان الزهرى يروى الحديث تارة عن سعيد بن المسيب ، وتارة عن أبى سلمة ، وتارة يجمعهما ؛ فمن لا يعرفه ، فيحدِّث به تارة عن هذا ، وتارة عن هذا ، يظن بعض الناس أن ذلك غلط ، وكلاهما صحيح ، وهذا باب يطول وصفه » .

بيان أن الحسن على مراتب

نبه الأئمة على أن الحديث الحسن على مراتب كالصحيح . قال الحافظ الذهبى : « فأعلى مراتبه : بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ؛ وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وابن إسحاق عن التيمى ، وأمثال ذلك مما قيل فيه إنه صحيح ؛ وهو أدنى مراتب الصحيح ثم بعد ذلك ما اختلف فى تحسينه وضعفه ، كحديث الحارث بن عبد الله ، وعاصم ابن ضمرة وحجاج بن أرطاة ونحوهم » .

بيان كون الحسن حجة فى الأحكام

قال الأئمة : « الحسن كالصحيح فى الاحتجاج به ، وإن كان دونه فى القوة ، ولهذا أدرجه طائفة من نوع الصحيح ، كالحاكم ، وابن حبان ، و ابن خزيمة ، مع قولهم بأنه دون الصحيح المبين أولا » .

وقال السخاوى فى « الفتح » (أى فى كتابه « فتح المغيث») : « منهم من يدرج الحسن فى الصحيح لاشتراكهما فى الاحتجاج ، بل نقل ابن تيمية إجماعهم إلا الترمذى خاصة عليه » .

قال الخطابى : « على الحسن مدار أكثر الحديث ، لأن غالب الأحاديث لا تبلغ رتبة الصحيح ، وعمل به عامة الفقهاء ، وقبله أكثر العلماء ، وشدد بعض أهل الحديث ، فرد بكل علة ، قادحة كانت أم لا ، كما روى عن ابن أبى حاتم أنه قال : سألت أبى عن حديث فقال : « إسناده حسن» فقلت : « يحتج به ؟ » فقال : « لا ! » انتهى .

والصواب مع الجمهور لما بيَّنه الخطابى ؛ هذا فى الحسن لذاته وأما الحسن لغيره فيلحق بذلك فى الاحتجاج لكن فيما طرقه عند قوم .

قبول زيادة راوى الصحيح والحسن

قال الحافظ ابن حجر فى « النخبة » وشرحها : « وزيادة راويهما ـ أى الصحيح والحسن ـ مقبولة ما لم تقع منافية لرواية من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة ؛ لأن الزيادة إما أن تكون لا تنافى بينها وبين رواية من لم يذكرها ، فهذه تقبل مطلقا ، لأنها فى حكم الحديث المستقل ، الذى ينفرد به الثقة ، ولا يرويه عن شيخه غيره ؛ وإما أن تكون منافية ، بحيث يلزم من قبولها رد الرواية الأخرى ، فهذه التى يقع الترجيح بينها وبين معارضها ، فيقبل الراجح ، ويرد المرجوح ، واشتهر عن جمع من العلماء القول بقبول الزيادة مطلقا من غير تفصيل ، ولا يتأتى ذلك على طريق المحدثين الذين يشترطون فى الصحيح أن لا يكون شاذا ، ثم يفسرون الشذوذ بمخالفة الثقة من هو أوثق منه ، والعجب ممن أغفل ذلك ، مع اعترافه باشتراط انتفاء الشذوذ فى حد الحديث الصحيح وكذا الحسن ؛ والمنقول عن أئمة الحديث المتقدمين ، كعبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى القطان ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى ، والبخارى ، وأبى زرعة ، وأبى حاتم ، والنسائى ، والدارقطنى ، وغيرهم ، اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة وغيرها ؛ ولا يعرف عن أحد منهم إطلاق قبول الزيادة » انتهى

بيان ألقاب للحديث تشمل الصحيح والحسن

وهى الجيد والقوى والصالح والمعروف

والمحفوظ والمجود والثابت والمقبول

هذه الألفاظ مستعملة عند أهل الحديث فى الخبر المقبول ، والفرق بينهما أن الجودة قد يعبَّر بها عن الصحة ، فيتساوى حينئذ الجيد والصحيح ، إلا أن المحقق منهم ، لا يعدل عن الصحيح إلى جيد إلا لنكتة كأن يرتقى الحديث عنده عن الحسن لذاته ويتردد فى بلوغه الصحيح ، فالوصف به حينئذ أنزل رتبة من الوصف بصحيح وكذا القوى . وأما الصالح فيشمل الصحيح والحسن ، لصلاحيتهما للاحتجاج ؛ ويستعمل أيضا فى ضعيف يصلح للاعتبار .

وأما المعروف ، فهو مقابل المنكر ، والمحفوظ مقابل الشاذ .

والمجود والثابت ، يشملان الصحيح والحسن » كذا فى «التدريب » (تدريب الراوى شرح التقريب للنووى / ٥٨) وقد عرف الحافظ ابن حجر المقبول فى شرح النخبة بالذى يجب العمل به عند الجمهور، والمراد بالذى لم يرجح صدق المخبر به (قواعد التحديث / ١٠٥ ـ ١١١) .

وقد صاغ هذا كله نظما الحافظ زين الدين العراقى فى ألفيته فقال عن الحديث الحسن باعتباره النوع الثانى من أنواع الأحاديث :

والحسن المعروف مخرجا وقد — اشتهرت رجاله بذاك حد

حمد وقال الترمذى : ما سلم — من الشذوذ مع راو ما اتهم

بكذب ، ولم يكن فردا ورد — قلت : وقد حسَّن بعض ما انفرد

وقيل : ما ضعف قريب محتمل — فيه ، وما بكل ذا حد حصل

قد بان لى فيه بإمعان النظر — أن له قسمين كل قد ذكر

قسما ، وزاد كونه ما عُلِّلا
ولا بنكر أو شذوذ شملا
والفقهاء كلهم يستعمله
والعلماء الجل منهم يقبله
وهو بأقسام الصحيح ملحق
حُجيَّة ، وإن يكن لا يُلحق
فإن يقل : يحتج بالضعيف
فقل : إذا كان من الموصوف
رواته بسوء حفظ يجبر
بكونه من غير وجه يُذكر
وإن يكن لكذب أو شذا
أو قوى الضعف فلم يجبر ذا
ألا ترى المرسل حيث أُسندا
أو أرسلوا كما يجيء اعتضدا
والحسن : المشهور بالعداله
والصدق راويه ، إذا أتى له
طرق أخرى نحوها من الطرق
صحّحته كمتن « لولا أن أشق »
إذ تابعوا محمد بن عمرو
عليه فارتقى الصحيح يجري
قال : ومن مظنة للحسن
جمع أبي داود ، أي في السنن
فإنه قال : ذكرت فيه
ما صح أو قارب أو يحكيه
وما به وهن شديد قلته
وحيث لا ، فصالح خرّجته
فما به ولم يصحح وسكت
عليه عنده له الحسن ثبت
وابن رشيد قال وهو متجه
قد يبلغ الصحة عند مخرجه

وللإمام اليعمري إنما
قول أبي داود يحكي مسلما
حيث يقول : جملة الصحيح لا
توجد عند مالك والنبلا
فاحتاج أن ينزل في الإسناد
إلى يزيد بن أبي زياد
ونحوه ، وإن يكن ذو السبق
قد فاته أدرك باسم الصدق
هلاَّ قضى على كتاب مسلم
بما قضى عليه بالتحكم
والبغوي إذ قسّم المصابحا
إلى الصحاح والحسان جانحا
أن الحسان ما رووه في السنن
رد عليه إذ بها غير الحسن
كان أبو داود أقوى ما وجد
يرويه والضعيف حيث لا يجد
في الباب غيره ، فذاك عنده
من رأي أقوى قاله ابن منده
والنسائي يخرج من لم يجمعوا
عليه تركا مذهب متسع
ومن عليها أطلق الصحيحا
فقد أتى تساهلا صريحا
ودونها في رتبة ما جعلا
على المسانيد فيدعى الجفلا
كمسند الطيالسي وأحمدا
وعدُّه للدارمي انتُقدا
والحكم للإسناد بالصحة أو
بالحُسن دون الحكم للمتن رأوا
واقبله إن أطلقه من يعتمد
ولم يعقِّبه بضعف ينتقد

واستُشكل الحسن مع الصحة في
متن ، فإن لفظاً يرد فقل صف
به الضعيف ، أو يرد ما يختلف
سنده ، فكيف إن فرد وصف
ولأبي الفتح في الاقتراح
أن انفراد الحسن ذو اصطلاح
وإن يكن صح فليس يلتبس
كل صحيح حسن لا ينعكس
وأوردوا ما صح من أفراد
حيث اشترطنا غير ما إسناد

(نفائس / ١٧٢ ـ ١٧٤) .

كما نظمه الحافظ جلال الدين السيوطي في ألفيته ، مع ملاحظة أن ما جاء بين قوسين فهو من زيادات السيوطي على ألفية العراقي .

وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص . قال الحافظ السيوطي :

٧٥ - المرتضى في حده ما اتصلا
بنقل عدل قل ضبطه ولا
٧٦ - شذّ ولا علل (وليرتب
مراتبا) والاحتجاج يجتبي
٧٧ - ألفُقهاء وجُلُّ أهل العلم
فإن أتى من طرق أخرى ينمي
٧٨ - إلى الصحيح ، أي لغيره ، كما
يرقى إلى الحسن الذي قد وسما
٧٩ - ضعفا لسوء الحفظ (أو إرسال أو
تدليس أو جهالة) إذا رأوا
٨٠ - مجيئه من جهة أخرى ، وما
كان لفسق أو يرى متهما
٨١ - (يرقى عن الإنكار بالتعدد
بل ربما يصير كالذي بدي
٨٢ - والكتب الأربع ثمّت السُّنن
للدارقطني من مظنات الحسن)
٨٣ - قال أبو داود عن كتابه
ذكرت ما صح وما يشابه
٨٤ - وما به وهن أقُل وحيث لا
فصالح ، فابن الصلاح جعلا
٨٥ - ما لم يضعفه ولا صح حسن
لديه (مع جواز أنه وهن)
٨٦ - فإن يقل : قد يبلغ الصحة له
(قلنا : احتياطا حسنا قد جعله)
٨٧ - فإن يقل : فمسلم يقول : لا
يجمع جملة الصحيح النبلا
٨٨ - فاحتاج أن ينزل للمصدق
وإن يكن في حفظه لا يرتقي
٨٩ - هلا قضى في الطبقات الثانيه
بالحسن مثل ما قضى في الماضيه؟
٩٠ - أجب بأن مسلما فيه شرط
ما صح فامنع أن لذي الحسن يحط)
٩١ - فإن يقل : في السنن الصحاح مع
ضعيفها ، والبغوي قد جمع
٩٢ - مصابحا وجعل الحسان ما
في سنن (قلنا : اصطلاح ينتمي)
٩٣ - يروي أبو داود أقوى ما وجد
ثم الضعيف حيث غيره فقد
٩٤ - والنسائي من لم يكونوا اتفقوا
تركا له (والآخرون ألحقوا
٩٥ - بالخمسة ابن ماجه ، قيل : ومن
مَاز بهم فإن فيهم وهن)
٩٦ - تساهل الذي عليها أطلقا
صحيحة (والدارمي والمنتقى)

٩٧ - *ودونهـا مسـانـد (والمعتلى*
منهـا الـذى لأحمـد والحنظلى)

ثم يورد السيوطى تحت عنوان « مسألـة » أجوبـة عن قول الترمذى : « حسن صحيح » فيقول :

٩٨ - *الحكـم بـالصحـة والحسن على*
متـن رواه التـرمـذى واستشكـلا

٩٩ - *فقيـل : يعنى اللغـوى ، ويلـزم*
وصـف الضعيف ، وهـو نكـر لهـم

١٠٠ - *وقيل : بـاعتبـار تعـدد السنـد*
وفيـه شىء ، حيث وصف مـا انفـرد

١٠١ - *وقيل : مـا تلقـاه يحـوى العليـا*
فـذاك حـاو أبـدا للـدنيـا

١٠٢ - *كـل صحيـح حسـن لا ينعكـس*
(وقيـل : هـذا حيث رأى يلتبس

١٠٣ - *وصـاحب النخبـة : ذا إن انفـرد*
إسنـاده ، والشـان حيث ذو عـدد)

١٠٤ - *وقـد بـدا لى فيـه معنيـان*
لم يـوجـدا لأهـل هـذا الشـان :

١٠٥ - *أى حسن لـذاتـه صحيـح*
لغيـره، لمـا بـدا التـرجيـح

١٠٦ - *أو حسن علـى الـذى بـه يُحـد*
وهـو أصح مـا هنـاك قـد ورد

١٠٧ - *والحُكم بـالصحـة لـلإسنـاد*
والحسـن دون المتـن للنقـاد

١٠٨ - *(لعلـة أو لشـذوذ) واحكـم*
للمتـن إن أطلـق ذو حفـظ نمـى

١٠٩ - *(وللقبـول يطلقـون جيـدا*
والثـابت الصـالح والمجـودا

١١٠ - *وهـذه بين الصحيح والحسن*
وقـربـوا مشبَّهـات من حسن

١١١ - *وهل يخص بـالصحيح الثـابت*
أو يشمل الحسن ؟ نـزاع ثـابت)

وإليك شرح العلامة الشيخ أحمـد محمد شاكر رحمه الله على بعض الأبيات :

البيت ٨١ : أمـا إذا كـان ضعف الحديث لسـوء حفظ الـراوى أو نحو ذلك فإنـه يـرقى إلى درجة الحسن أو الصحة بتعدد طـرقه إن كانت كـذلك . وأما إذا كـان ضعف الحديث لفسق الراوى أو اتهـامه بالكـذب ثم جاء من طـرق أخرى من هـذا النوع ، فإنـه لا يرقـى إلى الحسن ، بل يزداد ضعفـا إلى ضعف ، إذ أن تفرد المتهمين بالكذب أو المجروحين فى عد التهم بحـديث لا يرويـه غيرهم يـرجح عند البـاحث المحقق التهمة ، ويؤيـد ضعف روايتهم . وبذلك يتبين خطأ المؤلف هنا وخطؤه فى كثير من كتبه فى الحكم على أحاديث ضعاف بالترقى إلى الحسن مع هذه العلة القوية .

البيت ٨٤ : اختصر الحـافظ عبد العظيم المنـذرى سنن أبى داود ، وتكلم على أحـاديثهـا وأبـان عن ضعف الضعيف منهـا مما لـم يبينه أبـو داود ، ولـذلك قال كثير من العلمـاء بالحـديث : إن ماسكت عنـه أبو داود والمنذرى فهـو صالح للاحتجـاج ، وهذا لا بأس بـه ، ومع ذلك فقد فـاتهما بعض الأحـاديث لم يذكـرا عنهـا ضعفا ، فعلى المنصف أن يـدقق النظـر ويحتـاط فى تصحيح الأحـاديث . والتـوفيق من الله سبحانه .

البيت ٩٢ : ألف البغوى كتاب « مصـابيح السنة » وجعل كل باب منه قسمين : الصحاح والحسان ، وأراد بالصحاح ما فى الصحيحين أو أحـدهما ، وبالحسـان ما فى أحـد السنن الأربعة ، وقد اعترضوا عليه فى صنيعه هذا ، لأنه اصطلاح لا يعـرف عند أهل الحـديث ، فإن فى السنن الصحيح والحسن والضعيف . وأجاب عنه المؤلف هنا بأن هذا اصطلاح خاص لـه ولكن ضعف الجواب ظـاهر ، لأن هـذا الاصطلاح يـوهم الناظر فى كتـابه بأن ما سماه من الحسـان ينطبق عليه تعريف الحسن عند المحدثين .

البيت ٩٦ : أما الدارمى فإنـه يريد به كتـاب السنن للإمام

أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، وقد اشتهر باسم « مسند الدارمى » وأظن ذلك خطأ ، وأن المسند كتاب آخر له لم يوجد . وسنن الدارمى كتاب جيد ، طبع فى الهند مرارا ، قال الحافظ ابن حجر : « ليس دون السنن فى الرتبة ، بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه ، فإنه أمثل منه بكثير » .

وأما المنتقى فهو للإمام أبى محمد عبد الله بن على بن الجارود النيسابورى ، وهو كتاب جيد أيضا ، وقد طبع فى الهند سنة ١٣٠٩ هـ ، ولو جعل سادس الكتب السنة ، بدلا من ابن ماجه ـ لكان أقرب إلى الصواب .

البيت ٩٧ : يريد مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند الإمام إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه ، والثانى منهما لم يطبع ، ويوجد منه قطعة محفوظة أوراقها ٣٠٦ فى دار الكتب المصرية . وأما مسند الإمام أحمد فإنه مطبوع .

البيت ١٠٦ : يعلق الشيخ أحمد محمد شاكر على هذه المسألة برمتها فيقول رحمه الله :

الذى أراه أن كل هذه الأجوبة عن قول الترمذى : « حسن صحيح » عقب أحاديث كثيرة فى سننه ـــ : فيها تكلف ظاهر قيد له باصطلاح لعله لم يتقيد به ، وما أظنه يريد بهذا إلا تأكيد صحة الحديث : بالترقى به من الحسن إلى الصحة . والله أعلم بالصواب (ألفية السيوطى فى علم الحديث / ١٥ ـ ١٩) .

ومن النظم أيضا ما أورده الإمام البيقونى فى منظومته الموسومة بالبيقونية ، حيث يقول عن الحديث الحسن ، البيت الخامس :

والحسن المعروف طرقا وغدت

رجاله لا كالصحيح اشتهرت

واستدرك الشيخ عبد الستار على الناظم هذا فقال :

والحسن الخفيف ضبطا إذا غدت

رجاله لا كالصحيح اشتهرت

(التعليقات الأثرية / ١١) .

(مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣١ ، ٣٢ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمى ـــ تحقيق محمد بهجة البيطار ، تقدم محمد رشيد رضا / ١٠٥ ـ ١١١ ، ونفائس ـ بتحقيق وتعليق محمد حامد الفقى ، و ألفية مصطلح الحديث للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى / ١٧٢ ـ ١٧٤ ، وألفية السيوطى فى علم الحديث ـ بتصحيح وشرح فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاكر / ١٥ ـ ١٩ ، والتعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية لطه بن محمد البيقونى ـ قدم لها وعلق عليها على حسن على عبد الحميد / ١١ انظر أيضا الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ـ أحمد محمد شاكر / ٣٧ ـ ٤٤ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القمى النيسابورى ـ تحقيق إبراهيم على سالم / ٢٢ ، والمختصر فى أصول الحديث للإمام أبى الحسن الجرجانى ـ تحقيق المستشار د. فؤاد عبد المنعم أحمد / ٤٣ ـ ٤٧) .

*** حسن النجفى (ـ ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م) :**

حسن بن جعفر النجفى من فقهاء الشيعة الإمامية . ولد بالحلة بالعراق ونشأ بها ثم سكن النجف وفيها كان نشاطه العلمى واشتهاره ونبوغه وإنتاجه . وكان تشيُّعه واعتناقه مذهب الإمامية (انظر مادة « الإمامية » فى م ٦ / ٥٠ ـ ٥٢) ناشئا عن بيئته التى عاش فيها والوسط الذى درج فيه ، فإن النجف مكان بظهر الكوفة ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والمترجم له من أئمة الشيعة الذين جدوا فى ترويجها بالدعوة والتأليف .

من مؤلفاته كتاب فى الفقه كبير الحجم جمع فيه الأحكام التى أداه إليها بحثه واجتهاده وجدُّه ، وكتاب العمل ، وكتاب شرح به أصول كشف الغطاء .

توفى رحمه الله فى الوباء الذى انتشر فى تلك الربوع سنة ١٢٦٢ هـ بالنجف ودفن بها .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـــ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٥٠ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ١٨٦ وقد أدرجه تحت اسم « النجفى ») .

*** حسن نظمى دده البوسنوى (ـ ١١٢٥ هـ) :**

من علماء البوسنة حماها الله . ولد حسن نظمى دده

البوسنوى فى مدينة « سراى » وأخذ العلم والتصوف عن «توكلى دده » وحضر دروسه فى « المثنوى » ثم رحل إلى استانبول فأخذ إجازة الإرشاد ثم سافر إلى « قونيه » وزار قبر جلال الدين الرومى ، ثم توجه إلى مصر ، فلما وصلها عُيِّن بها شيخا للطريقة المولوية فقضى بقية عمره فى تدريس المثنوى ، ووعظ الناس ، ثم رجع إلى استانبول لشغل ظهر له ، فأدركته الوفاة بها سنة خمس وعشرين ومائة وألف وله أشعار باللغة التركية ذكر أمثلة منها شيخى زاده فى ذيله .

(المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجى / ١٠٧ ، ١٠٨) .

*** حسن الهضيبى (١٣٠٨-١٣٩٣ هـ / ١٨٩١-١٩٧٣ م) :**

ولد حسن الهضيبى فى عرب الصوالحة مركز شبين القناطر سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩١ ميلادية .

قرأ القرآن فى كتاب القرية .

التحق بعدها بالأزهر لما كان يلوح فيه من روح دينية وتقى مبكر .

ثم تحول إلى المدرسة المدنية حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٧ .

التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١١ .

التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها عام ١٩١٥ .

قضى فترة التمرين بالمحاماة فى القاهرة حيث تدرج محاميا .

عمل فى حقل المحاماة فى مركز « شبين القناطر » لفترة قصيرة ، ورحل منها إلى سوهاج لأول مرة فى حياته دون سابق علم بها ودون أن يعرفه فيها أحد ، وبقى فيها حتى عام ١٩٢٤ حيث التحق بسلك القضاء .

كان أول عمله بالقضاء فى « قنا » وانتقل إلى « نجع حمادى » عام ١٩٢٥ ثم إلى « المنصورة » عام ١٩٣٠ ، وبقى فى « المنيا » سنة واحدة ، ثم انتقل إلى أسيوط فالزقازيق فالجيزة عام ١٩٣٣ حيث استقر سكنه بعدها بالقاهرة .

تدرج فى مناصب القضاء ، فكان مدير إدارة النيابات ، فرئيس التفتيش القضائى ، فمستشارا بمحكمة النقض (الموسوعة الحركية / ٢٨٩) .

ويؤثر عنه أنه عندما حلف اليمين القانونية أمام ملك مصر، لم ينحن كما كان العرف واقتدى به آخرون ، ولما اغتيل زعيم الإخوان الشيخ حسن البنا رحمه الله عام ١٩٤٩ اتجهت الأنظار إلى الهضيبى واختير خلفا له سنة ١٩٥١ (الأعلام ٢ / ٢٢٥) .

اعتقل للمرة الأولى مع إخوانه فى ١٣ يناير ١٩٥٣ ، وأفرج عنه فى شهر مارس من نفس العام .

اعتقل للمرة الثانية أواخر عام ١٩٥٤ حيث حوكم وصدر عليه الحكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد .

نقل بعد عام من السجن إلى الإقامة الجبرية لإصابته بالذبحة ولكبر سنه .

رفعت عنه الإقامة الجبرية عام ١٩٦١ .

أعيد اعتقاله يوم ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٦٥ فى الإسكندرية وحوكم بإحياء التنظيم ، وصدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات على الرغم من أنه قد جاوز السبعين ، أخرج لمدة خمسة عشر يوما إلى المستشفى ثم إلى داره ، ثم أعيد لإتمام مدة سجنه .

مددت مدة السجن بعد انتهاء المدة حتى تاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٧١ حيث تم الإفراج عنه (الموسوعة الحركية / ٢٩٠) فأقام منزويا فى داره بالقاهرة إلى أن توفى (الأعلام ٢ / ٢٢٥) .

انتقل إلى رحمة ربه تعالى فى الساعة السابعة صباح يوم الخميس ١٤ شوال ١٣٩٣ الموافق ١١ نوفمبر « تشرين الثانى» ١٩٧٣ .

من آثاره :

ـ دعاة لا قضاة .

ـ الإسلام والداعية (مجموعة كتابات جمعها أسعد سيد أحمد) (الموسوعة الحركية / ٢٩٠ـ ٢٩٥) .

(الموسوعة الحركية ـ بإشراف فتحى يكن / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، والأعلام للزركلى ٢ / ٢٢٥ وقد أدرجه تحت اسم « الهضيبى ») .

*** الحسن والحسين رضى الله عنهما :**

١ ـ عن البراء رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ، والحسن على عاتقه ، يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه » أخرجه الشيخان والترمذى .

٢ ـ وفى رواية للترمذى : « أن النبى ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال : اللهم إنى أحبهما فأحبهما » .

٣ ـ وعن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال : « صلى أبو بكر رضى الله عنه صلاة العصر ثم خرج يمشى ومعه على ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان ، فحمله على عاتقه وقال : بأبى ، شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى . وعلى رضى الله عنه يضحك » أخرجه البخارى .

٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « سئل النبى ﷺ ، أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : الحسن والحسين ، وكان يقول لفاطمة : ادعى لى ابنىَّ فيشمهما ويضمهما إليه رضى الله عنهما » أخرجه الترمذى .

٥ ـ وعن يعلى بن مرة قال : « قال رسول الله ﷺ : حسين منى وأنا من حسين ، أحب الله تعالى من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » أخرجه الترمذى .

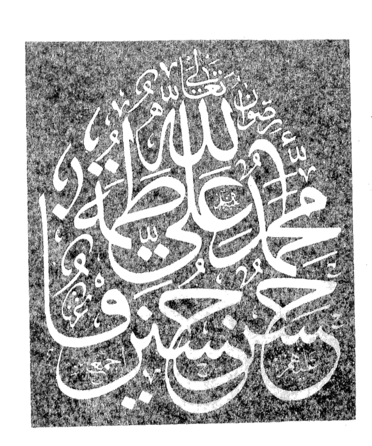
(السبط) ولد الولد ، وأسباط بنى إسرائيل أولاد يعقوب وهم فيهم كالقبائل فى العرب ، وقد جعل النبى ﷺ : حسينا واحدا من أولاد الأنبياء .

٦ ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » أخرجه الترمذى وصححه (تيسير الوصول ٣ / ٢٤١) .

قال الحافظ السيوطى : حديث « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

أخرجه أحمد والترمذى عن أبى سعيد .

والترمذى عن حذيفة بن اليمان .



والطبرانى عن عمر بن الخطاب وعلى وجابر بن عبد الله والحسين بن على وأسامة بن زيد والبراء بن عازب وقرة بن إياس ومالك بن الحويرث وأبى هريرة .

وابن عدى عن ابن عمر وابن مسعود وأنس .

وابن عساكر عن بريدة وابن عباس (الأزهار المتناثرة / ٧١) .

٧ ـ وعن عبد الله بن شداد عن أبيه رضى الله عنه قال

«خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا ، فتقدم النبى ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها قال أبى فرفعت رأسى فإذا الصبى على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودى . فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قيل يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك . قال : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » أخرجه النسائى .

٨ ـ وعن سلمى امرأة من الأنصار قالت : « دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وهى تبكى فقلت : ما يبكيك . قالت : رأيت الآن رسول الله ﷺ فى المنام وعلى رأسه ولحيته التراب . فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفا » أخرجه الترمذى .

٩ ـ وعن عمارة بن عمير قال : « لما جىء برأس عبيد الله ابن زياد وأصحابه نُضِّدت رؤوسهم فى المسجد فى الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت ، فجعلت تخلل الرؤوس حتى دخلت فى منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت ثم عادت فدخلت فيه ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . أخرجه الترمذى وصححه .

نضدت : أى جعل بعضها فوق بعض مرتبا (تيسير الوصول ٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢) .

ومن المقتطفات التى أوردها الأستاذ الحاج أحمد بن شقرون من كتاب العلامة سيدى محمد كنون (بالجيم المغربية) قوله :

قد اشتهر على الألسنة أن الحسنين رضى الله عنهما توأمان ، وليس الأمر كذلك ، فإن سيدنا الحسن ، ولد فى نصف رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ، على الأصح ومات سنة خمسين ، على ما عليه الأكثر ، وسيدنا الحسين ، ولد لخمس خلون من شعبان ، سنة أربع على الأصح ، علقت به مولاتنا فاطمة رضى الله عنها بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة ، ولم يكن بينهما إلا طهر واحد (« اللؤلؤ المكنون » / ٦٠) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « بدائع الخط العربى » ـ ناجى زين الدين المصرف / ٢٠٨ .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر . صفر ١٤٠٩ هـ / ٧١ ، و « اللؤلؤ المكنون من بحر العلامة سيدى محمد كنون » ـ الحاج أحمد بن شقرون . مجلة الإحياء التى تصدرها رابطة علماء المغرب . م ٦ جـ ٢ . محرم ـ جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ ـ نوفمبر ـ إبريل ١٩٨٧ م / ٦٠ .

انظر أيضا المحدثون فى مصر والأزهر ـ أ . د الحسينى هاشم ، و أ . د أحمد عمر هاشم / ٢٢٥ ، وفضائل الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى / ١٩ ـ ٢١) .

انظر : الحسن بن على رضى الله عنه ، الحسين بن على رضى الله عنه .

*** الحُسْن والقبح :**

الحسن بالضم وسكون السين يطلق فى عرف العلماء على ثلاثة معان لا أزيد وكذا ضد الحسن وهو الفتح :

الأول : كون الشىء ملائما للطبع وضده القبح بمعنى كونه منافرا له فما كان ملائما للطبع حسن كالحلو، وما كان منافرا قبيح كالمر وما ليس شيئا منهما فليس بحسن ولا قبيح كأفعال الله تعالى لتنزهه عن الغرض وفسرها البعض بموافقة الغرض ومخالفته فما وافق الغرض حسن وما خالفه قبيح وما ليس كذلك فليس حسنا ولا قبيحا وقد يعبر عنهما باشتماله على المصلحة والمفسدة فما فيه مصلحة حسن وما فيه مفسدة قبيح وما ليس كذلك فليس حسنا ولا قبيحا ومآل العبارات الثلاث واحد فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه وملائم لطبعه لميله إليه بسبب اعتقاد النفع والمخالف له مفسدة له غير ملائم لطبعه وليس المراد بالطبع المزاج حتى يرد أن الموافق للغرض قد يكون منافرا للطبع كالدواء الكرية للمريض بل الطبيعة الإنسانية الجالبة للمنافع والدافعة للمضار :

والثاني كون الشيء صفة كمال وضده القبح وهو كونه صفة نقصان فما يكون صفة كمال كالعلم حسن وما يكون صفة نقصان كالجهل قبيح . وبالنظر إلى هذا فسره الصوفية بجمعية الكمالات في ذات واحدة وهذا لا يكون إلا في ذات الحق سبحانه كما وقع في بعض الرسائل .

والثالث : كون الشئ متعلق المدح وضده القبح بمعنى كونه متعلق الذم فما تعلق به المدح يسمى حسنا وما تعلق به الذم يسمى قبيحا وما لا يتعلق به شيء منهما فهو خارج عنهما وهذا يشتمل أفعال الله تعالى أيضا ولو أريد تخصيصه بأفعال العباد قيل الحسن كون الشيء متعلق المدح عاجلا والثواب آجلا أي في الآخرة والقبح كونه متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فالطاعة حسنة والمعصية قبيحة و المباح والمكروه وأفعال بعض غير المكلفين مثل المجنون والبهائم واسطة بينهما . وأما فعل الصبي فقد يكون حسنا كالواجب والمندوب وقد يكون واسطة هذا وكذا الحاصل عند من فسر الحسن بما أمر به والقبيح بما نهى عنه فإنه أيضا مختص بأفعال العباد راجع إلى الأول لأن هذا تفسير الأشعري الذاهب إلى كون الحسن والقبح شرعيين إلا أن الحسن على هذا هو الواجب والمندوب والقبح هو الحرام وأما المباح والمكروه وفعل غير المكلف كالصبيان والمجانين والبهائم فواسطة بينهما إذ لا أمر ولا نهي هناك .

وقال صدر الشريعة : الأمر أعم من أن يكون للإيجاب أو للإباحة أو للندب فالمباح حسن وفيه أن المباح ليس بمأمور به عنده فكيف يدخل في الحسن وقيل الحسن ما لا حرج في فعله والقبيح ما فيه حرج فعلى هذا المباح وفعل غير المكلف حسن إذ لا حرج في الفعل والقبيح هو الحرام لا غير وأما المكروه فلا حرج في فعله فينبغي أن يكون حسنا اللهم إلا أن يقال عدم لحوق المدح الذمي في الترك حرج في الفعل فيكون قبيحا والحرج إن فسر باستحقاق الذم يكون هذا التفسير راجعا إلى الأول إلا أنه لا تتصور الواسطة بينهما حينئذ وإن فسر باستحقاق الذم شرعا يكون راجعا إلى تفسير الأشعري إلا أنه لا تتصور الواسطة حينئذ أيضا ويكون فعل الله تعالى حسنا بعد ورود الشرع وقبله إذ لا حرج فيه مطلقا و إما على تفسير من قال الحسن ما أمر الشارع بالثناء على فاعله والقبيح ما أمر بذم فاعله فإنما يكون حسنا بعد ورود الشرع لأنه تعالى أمر بالثناء على فاعله لا قبله إذ لا أمر حينئذ اللهم إلا أن يقال الأمر قديم ورد أو لم يرد وهذا التفسير راجع إلى تفسير الأشعري أيضا كما لا يخفى .

اعلم أن فعل العبد قبل ورود الشرع حسن بمعنى ما لا حرج فيه وواسطة بينهما على تفسير الأشعري وهذا التفسير الأخير، وأما بعد ورود الشرع فهو إما حسن أو قبيح أو واسطة على جميع التفاسير وبعض المعتزلة عرف الحسن بما يمدح على فعله شرعا أو عقلا والقبيح بما يذم عليه فاعله ولا شك أنه مساو للتعريف الأول إلا أن يبني التعريف الأول على مذهب الأشعري .

وبعضهم عرَّف الحسن بما يكون للقادر العالم بحاله أن يفعله والقبيح بما ليس للقادر العالم بحاله أن يفعله . القادر احتراز عن فعل العاجز و المضطر فإنه لا يوصف بحسن ولا قبيح وقيد العالم ليخرج عنه فعل المجنون والمحرمات الصادرة عمن لم يبلغه دعوة نبي أو عمن هو قريب العهد بالإسلام والمراد بقوله أن يفعله أن يكون الإقدام عليه ملائما للعقل وقس عليه القبيح فالحسن على هذا يشتمل الواجب والمندوب والمباح والقبيح يشتمل الحرام والمكروه وهو أيضا راجع إلى الأول وبالجملة فمرجع الجميع إلى أمر واحد وهو أن القبيح ما يتعلق به الذم والحسن ما ليس كذلك أو ما يتعلق به المدح فتدبر ولا تكن ممن يتوهم من اختلاف العبارات اختلاف المعبرات من أن المعاني للحسن والقبيح أزيد من الثلاثة .

اعلم أن الحسن والقبح بالمعنيين الأولين يثبتان بالعقل اتفاقا من الأشاعرة والمعتزلة وأما بالمعنى الثالث فقد اختلفوا فيه وحاصل الاختلاف أن الأشعرية وبعض الحنفية يقولون إنه ما أمر به فحسن وما نهى عنه فقبيح فالحسن والقبح من آثار الأمر والنهي وبالضرورة لا يمكن إدراكه قبل الشرع أصلا وغيرهم يقولون إن حسن فأمر به وقبيح فنهى عنه

فالحسن والقبيح ثابتان للمأمور به والمنهى عنه فى ـ أنفسهما قبل ورود الشرع والأمر والنهى يـدلان عليه دلالة المقتضى على المقتضِى.

ثم المعتـزلـة يقـولـون إن جميـع المأمـورات بهـا حسنـة والمنهيـات عنهـا قبيحـة فى أنفسهـا والعقل يحكم بـالحسن والقبح إجمـالا وقد يطلع على تفصيل ذلك إمـا بالضـرورة أو بـالنظر وقـد لا يطلع . وكثير مـن الحنفية يقـولون بـالتفصيل فبعض المأمـورات والمنهيـات حسنهـا وقبحهـا فى أنفسهـا وبعضها بالأمر والنهى هذا هو المذكور فى أكثر الكتب . وفى الكشف نقلا عن القـواطع أن أكثر الحنفيـة والمعتزلـة متفقون على القول بـالتفصيل هذا كله خـلاصة ما فى شـرح المواقف والعضدى وحواشيه والتلويح وحاشيته للمولوى عبد الحكيم

فائدة : قال المعتزلة ما تـدرك جهة حسنه أو قبحه بالعقل من الأفعال الغير الاضطرارية ينقسم إلى الأقسام الخمسة لأنه إن اشتمل تـركـه على منفعـة فـواجب وإن اشتمل فعلـه على مفسـدة فحرام وإلا فإن اشتمل فعلـه على مصلحة فمنـدوب وإن اشتمل تركه على مصلحة فمكروه وإلا أى وإن لم يشتمل شيىء من طـرفيه على مفسـدة ولا مصلحة فمبـاح وأما مـا لا تـدرك جهة حسنـه أو قبحـه بالعقل فـلا يحكم فيـه قبل ورود الشرع بحكم خاص تفصيلى فى فعل وإما على سبيل الإجمال فى جميع تلك الأفعـال فقيل بـالحظر أى الحـرمـة والإباحـة والتوقف وبالجملة فإذا لوحظت خصوصيات تلك الأفعال لم يحكم فيهـا بحكم خاص وأمـا إذا لـوحظت بهذا العنـوان أى بكونهـا مما لا يدرك العقل جهـة حسنها وقبحهـا فيحكم فيها بالاختـلاف المذكور وهذا الحكم كـالحكم بأن كل مؤمن فى الجنة وكل كافر فى النار مع التـوقف فى المعين منهما فاندفع ما قيل عـدم إدراك الجهة يقتضى التوقف فكيف قيل بـالحظر والإباحـة .

وأما الأشاعرة فلما حكموا بأن الحاكم بالحسن والقبح هو الشرع لا العقل فـلا تثبت الأحكام الخمسة المذكـورة عندهم للأفعال قبل ورود الشرع كذا فى شرح المواقف .

فائدة : المأمـور به فى صفة الحسن نـوعان حسن لمعنى فى نفسـه ويسمى حسنـا لعينه أيضـا وحسن لمعنى فى غيـره ويسمى حسنا لغيره ومن الحسن لغيره نوع يسمى بالجامع وهو ما يكون حسنـا لحسن فى شرطه بعد مـا كان حسنا لمعنى فى نفسه أو لغيره وهى القدرة التى بها يتمكن العبد من أداء ما لزمه فإن وجـوب أداء العبـادة يتوقف علـى القدرة كتـوقف وجـوب السعى على وجوب الجمعة فصار حسنـا لغيره مع كونه حسنا لذاته (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٨٤ ـ ٣٨٦) .

وفى منـاقشته للعقيدة عنـد ابن القيم ، وهـو محور كتـابه النفيس، يتناول الأستاذ الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين مـوضوع الحسن والقبح ، أو الحسن والقبيح ، فيـذكر مواقف علمـاء الكلام، ثم مـوقف ابن القيم ، مما ننقلـه لك فيما يلى يقول المؤلف :

سادسا : ابن القيم والحسن والقبيح :

ما الحسن وما القبيح ؟ الاصطـلاحات فى الحسن والقبح ثلاثة :

مـوقف علمـاء الكـلام من الحسن والقبيح : مـوقف المعتزلة . موقف الأشاعرة موقف الماتريدية . موقف ابن القيم وموافقته الماتريدية أدلة ابن القيم على مذهبه ، تعقيب .

ما الحسن وما القبيح :

الحسن من أفعال العباد ما يكون متعلق المدح فى العاجل والثواب فى الآجل ويقع برضاء الله تعالى .

والقبيح مـا يكـون متعلق الـذم فى العـاجل والعقـاب فى الآجل، ولا يرضى عنه الله كالكفر، قال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾[الزمر : ٧] .

الاصطلاحات فى الحسن والقبح ثلاثة :

وهنـاك اصطـلاحـات ثـلاثـة فى إطـلاق لفظ الحسن والقبيح : ـ

الاصطـلاح الأول : الأفعـال تنقسم إلى مـا يـوافق غـرض الفـاعل، وإلى مـا يخـالفه وإلى مـا لا يـوافق ولا يخـالف ، فالمـوافق يسمى حسنا ، والمخالف يسمى قبيحـا ، والثالث يسمى عبثـا ، ولم يرض الغـزالى عن هـذا الاصطلاح وقـال : «وعلى هذا الاصطـلاح إذا كان الفعل موافقا لشخص مخـالفا لآخر فهـو حسن فى حق من وافقه قبيح فى حق من خـالفه ؛ حتى أن قتل الملك الكبير يكـون حسنا فى حق أعـدائه قبيحا فى حق أوليـائه ، فإطـلاق اسم الحسن والقبح على الأفعـال

عند هؤلاء كإطلاقه على الصور ، فمن مال طبعه إلى صورة أو صوت شخص قضى بحسنه ، ومن نفر طبعه عن شخص استقبحه ، فالحسن والقبح عند هؤلاء عبارة عن الموافقة والمنافرة ، وهما أمران إضافيان ، لا كالسواد والبياض ، إذ لا يتصور أن يكون الشيء أسود فى حق زيد ، وأبيض فى حق عمرو » (المستصفى للغزالى ١ / ٥٦) .

الاصطلاح الثانى : إطلاق الحسن على ما حسنه الشرع بالثناء على فاعله ، فيكون فعل الله تعالى حسنا فى كل حال خالف الغرض ، أو وافقه ، يكون المأمور به شرعا ندبا كان أو إيجابا حسنا ، والمباح لا يكون حسنا .

الاصطلاح الثالث : إطلاق الحسن على كل ما لفاعله أن يفعله ، فيكون المباح حسنا مع المأمورات ، وفعل الله يكون حسنا على كل حال (المستصفى للغزالى ١ / ٥٦) .

موقف علماء الكلام من الحسن والقبيح :

من المسائل التى شغلت الأذهان ، ودرست فى علم الكلام مسألة الحُسن والقبح ، وقد أثارها المعتزلة ، وجروا فيها شوطا بعيدا ، ومن المحتم قبل بيان موقف ابن القيم منها أن نشير إلى رأى المعتزلة ثم الأشعرية ، ثم الماتريدية ثم نعقب عليها برأى ابن القيم مع مقارنته بكل من هذه الآراء :

موقف المعتزلة :

أما المعتزلة فيرون أن الحسن والقبح ذاتيان فى الأفعال ، فالصدق والشجاعة والكرم ، والعفة الحسن فيها ذاتى ، والكذب ، والجبن ، والبخل القبح فيها ذاتى بمعنى أن حسنها يرجع إلى صفة فيها وقبحها يرجع إلى صفة فيها ، والشرع يأمر بالفعل لما فيه من حسن ، وينهى عنه لما فيه من قبح ، فأمره بالمحافظة على الأنفس والأعراض والأموال لما فى كل منها من حسن ، ونهيه عن القتل والسرقة لما فى كل منها من قبح ، فصفة الحسن ثابتة فى الفعل ، والعقل يستحسن الفعل لصفة الحسن التى فيه ، والشرع يأمر به لهذه الصفة ، وصفة القبح ثابتة فى الفعل القبيح ، والعقل يدرك هذه الصفة ، فيستقبحه ، والشرع ينهى عنه لهذه الصفة ، وقد رتب المعتزلة على هذا أن الإنسان مكلف قبل الشرع بما دل عليه العقل كشكر المنعم ، ومكلف بمكارم الأخلاق ، ولو لم يصل إليه شرع . قال الشهرستانى : وقال أهل العدل : «المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح » .

(الملل والنحل ١ / ٥٣ والمراد بأهل العدل : المعتزلة ومذهبهم قائم على أصول خمسة : « التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد بنوا على التوحيد استحالة رؤية الله ؛ لأنها تقتضى الجسمية والجهة وأن الصفات ليست شيئا غير الذات . وإلا تعدد القدماء ، وأن القرآن مخلوق ؛ لأنهم نفوا صفة الكلام عن الله . والمراد بالعدل أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد بل العباد يخلقون أفعالهم بقدرة أودعها الله فيهم ليتم التكليف ، وأن الله لا يأمر إلا بما أراد ، ولا ينهى إلا عما كره . وأما الوعد والوعيد فهو مجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته ، وأما المنزلة بين المنزلتين فهى للفاسق فهو ليس مؤمنا لأنه لم يجمع خصال الخير ، وليس كافرا لأنه يشهد بالله ، ويقوم بأعمال الخير ، وإذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهما واجبان على المؤمنين نشرا لدعوة الإسلام . انظر الانتصار لأبى الحسين الخياط ، ومقالات الإسلاميين للأشعرى ، والملل والنحل للشهرستانى ١ / ٥٥ ، ٥٦ ومروج الذهب للمسعودى ٢ / ١٩٠ ، ١٩١) .

وممن نادى بهذه النظرية من المعتزلة أبو الهذيل العلاف ، فقد أوجب على العقل معرفة الله والإقدام على الحسن والقبيح ولو لم يرد بهما شرع قال الشهرستانى معددا القواعد التى أخذ بها أبو الهذيل : « السابعة قوله فى الفكر قبل ورود السمع إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر ، وإن قصر فى المعرفة استوجب العقوبة أبدا ، ويعلم أيضا حسن الحسن ، وقبح القبيح فيجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل والإعراض عن القبيح كالكذب والجور » (الملل والنحل ١ / ٦٥) .

وقال ابن القيم : « والمعتزلة تقول : قبحها والعقاب عليها ثابتان بالعقل » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧) . وأقوى ما تمسك به المعتزلة من الأدلة على هذه النظرية أن الناس قبل الشرع كانت

تتحاكم إلى العقل ، وكانوا يستعينون فى أحكامهم بما فى الأشياء من حسن وقبح ذاتيين ، فإنقاذ الغرقى ، وتخليص الهلكى حسن ولو لم يرد به شرع ، والظلم والبخل قبيحان ولو لم يرد بهما شرع (ضحى الإسلام ٣ / ٤٨) .

موقف الأشاعرة :

أما الأشاعرة فيرون أن الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله ، والقبيح ما ورد الشرع بذم فاعله ، فالحسن يتبع أمر الشرع والقبح يتبع نهيه ، فهم ينفون الحسن والقبح الذاتيين ، والأفعال حسنة لأمر الله بها وقبيحة لنهيه عنها ، وهذا الأمر والنهى يثبتان الحسن والقبح فى الأفعال أما المعتزلة فيرون أن الأمر والنهى يخبر عن الحسن والقبح ولا يثبت واحدة منهما (ضحى الإسلام ٣ / ٤٩) .

قال صاحب فواتح الرحموت فى شرحه مسلم الثبوت :

« فعند الأشاعرة التابعين للشيخ أبى الحسن الأشعرى المعدودين من جملة أهل السنة أيضا شرعى ، أى يجعله إياه متصفا بهما فقط لا غير من غير حكمة وصلوح للفعل فما أمر به الشارع حسن ، وما نهى عنه قبيح ؛ ولو انعكس الأمر أى أمر الشارع لانعكس الأمر أى أمر الحسن والقبح فيصير ما كان حسنا قبيحا وبالعكس » (فواتح الرحموت ١ / ٢٥ ، والمراد بجعله إياه « أى يجعل الله العمل متصفا بالحسن والقبح) .

قال ابن القيم : « فالنفاة يقولون : ليست فى ذاتها قبيحة وقبحها والعقاب عليهما إنما ينشآن بالشرع » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧ ، الطبعة الأولى بمطبعة المنار سنة ١٣٣١) .

وقد أبطل الأشعرية ما تمسك به المعتزلة من استحسان واستقباح قبل الشرع بأن كلا من الاستحسان والاستقباح يرجع إلى شرائع سابقة أو عادات مألوفة ، فلو خلق إنسان كامل العقل تام الفطرة دون أن يتخلق بأخلاق قوم ويتأدب بآداب الأبوين ، ولا تربى تربية الشرع ، ولا تعلم من معلم ، ثم عرض عليه أمران : أحدهما : أن الاثنين أكبر من الواحد ، والثانى : أن الكذب قبيح لم يتوقف فى الأول ، وتوقف فى الثانى ، وهذا يدل على أن الاستحسان والاستقباح يرجعان إلى عادات الناس من تسمية ما ينفعهم حسنا وما يضرهم قبيحا » (ضحى الإسلام ٣ / ٤٩ ، ٥٠) .

موقف الماتريدية :

أما الماتريدية فيرون أن الحسن والقبح عقليان أى يدرك العقل حسن الحسن وقبح القبيح ، وهم فى هذا يتفقون مع المعتزلة ، ويخالفون الأشعرية النفاة للحسن والقبح الذاتيين ، ويخالفون المعتزلة فى قولهم بتوقف الثواب والعقاب على الشرع ، إذ المعتزلة يقولون : « إن الثواب والعقاب عقليان يجبان بالعقل قبل ورود الشرع » .

قال صاحب فواتح الرحموت : « وعندنا معشر الماتريدية والصوفية ، الكرام من أهل السنة معظم والجماعة وعند المعتزلة عقلى أى لا يتوقف على الشرع ، لكن عندنا من متأخرى الماتريدية لا يستلزم هذا الحسن والقبح حكما من الله سبحانه فى العبد ، بل يصير موجبا لاستحقاق الحكم من الحكيم الذى لا يرجح المرجوح ، فالحاكم هو الله تعالى ، والكاشف هو الشرع فما لم يحكم الله تعالى بإرسال الرسل وإنزال الخطاب ليس هناك حكم أصلا ، فلا يعاقب بترك الأحكام فى زمان الفترة ومن هاهنا اشترطنا بلوغ الدعوة فى تعلق التكليف فالكافر الذى لم تبلغه الدعوة غير مكلف بالإيمان أيضا ، ولا يؤاخذ بكفره فى الآخرة » (فواتح الرحموت على مسلم الثبوت ١ / ٢٥ ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٢هـ) .

فهذا يفيد أن الحسن والقبح عندهم عقليان ، وأن الثواب والعقاب شرعيان ، وهذا ما يراه ابن القيم كما يظهر فيما يأتى :

موقف ابن القيم :

أما ابن القيم فلم يرض عن مسلك المعتزلة ، لأنهم رتبوا الثواب والعقاب على الحسن والقبح عقلا ، ولم يرتبوه على أمر الشرع ، ونهيه ، ولم يرض عن مسلك الأشعرية النافين للحسن والقبح العقليين ، فلم يعجبه ترتب الثواب والعقاب على الحسن والقبح العقليين ، كما لم يعجبه نفى الحسن والقبح عن طريق العقل ، وهو ما ذهب إليه الأشعرية ، وقد أبطل هذا الاتجاه فى كتبه « مفتاح دار السعادة » و « مدارج السالكين » و « شفاء العليل » و « تحفة النازلين بجوار رب العالمين » وقد تحاشى النقص الذى وجد فى كل من الاتجاهين وكان رأيه يعتمد على أمرين :

أولا : الحسن والقبح فى الأفعال عقليان يُدْرِكهما العقل، والله فطر عباده على استحسان الصدق ، والعدل ، والعفة ، والإحسان ، ومقابلة النعم بالشكر وفطرهم على استقباح أضدادها ، وبذا سلم من الطعن الذى وُجِّه إلى الأشعرية .

ثانيا : الثواب والعقاب شرعيان يتوقفان على أمر الشارع ، ونهيه، ولا يجبان عن طريق العقل كما ذهب المعتزلة .

قال ابن القيم : « والحق الذى لا يجد التناقض إليه السبيل أن الأفعال فى نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضارة ، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهى ، وقبل ورود الأمر والنهى لا يكون العمل القبيح موجبا للعقاب مع قبحه فى نفسه ، بل هو فى غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والأوثان ، والكذب ، والزنى ، والظلم والفواحش كلها قبيحة فى ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧) .

وقال : « فإن الله سبحانه إنما أقام الحجة على العباد برسله قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ فهذا صريح بأن الحجة إنما قامت بالرسل وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة ، وهذا يدل على أنه لا يعذبهم قبل مجىء الرسل إليهم ؛ لأن الحجة حينئذ لم تقم عليهم ، فالصواب فى المسألة إثبات الحسن والقبح عقلا ونفى التعذيب على ذلك إلا بعد بعثة الرسل ، فالحسن العقلى لا يستلزم الثواب وإنما يستلزمه اتباع المرسلين ، والقبح العقلى لا يستلزم التعذيب وإنما تستلزمه مخالفة المرسلين » (مفتاح السعادة ٢ / ٤٢) .

من هذا ترى أن ابن القيم يتفق مع الماتريدية فالثواب والعقاب عندهم شرعى كما هما عند ابن القيم .

أدلته على مذهبه :

ولم يفت ابن القيم أن يستدل على مذهبه فى مسألة الحسن والقبح ، وقد اتخذ من القرآن مادة للتدليل على شطرى دعواه قال : « وقد دل القرآن على أنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل ، وأن الفعل فى نفسه حسن وقبيح ، ونحن نبين دلالته على الأمرين : أما الأول ففى قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الإسراء : ١٥] وفى قوله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء : ١٦٥] وفى قوله تعالى : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ﴾ [الملك : ٨ ، ٩] فلن يسألوهم عن مخالفتهم للعقل ، بل للنُّذر ، وبذلك دخلوا النار ، وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ثم قال فى الأنعام بعدها : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ [الأنعام : ١٣١] وعلى أحد القولين وهو أن يكون المعنى لم يهلكهم بظلمهم قبل إرسال الرسل ، فتكون الآية دالة على الأصلين : أن أفعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة ، وأنه لا يعاقبهم عليه إلا بعد الإرسال ، وتكون هذه الآية فى دلالتها على الأمرين نظير الآية التى فى القصص : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ [القصص : ٤٧] فهذا يدل على أن ما قدمت أيديهم سبب لنزول المصيبة بهم ، ولولا قبحه لم يكن سببا ، لكن امتنع إصابة المصيبة لانتفاء شرطها : وهو عدم مجىء الرسول إليهم ، فمنذ جاء الرسول انعقد السبب، ووجد الشرط ، فأصابهم سيئات ما عملوا ، وأما الأمر الثانى وهو دلالته على أن الفعل فى نفسه حسن وقبيح فكثير جدا كقوله تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربى بالقسط ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قل إنما حرَّم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨ ـ ٣٣] فأخبر سبحانه أن فعلهم فاحشة قبل نهيه عنه وأمره بأخذ الزينة .

وقال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢] دل على أنه طيب قبل التحريم وأن وصف الطيب فيه مانع من تحريمه ، فتحريمه مناف للحكمة ... فالظلم ظلم فى نفسه قبل النهى وبعده ، والقبيح قبيح فى نفسه قبل النهى وبعده ، والفاحشة كذلك ، وكذلك الشرك ، لا أن هذه الحقائق صارت بالشرع

كذلك ، نعم الشارع كساها بنهيه عنها قبحا إلى قبحها فكان قبحها فى ذاتها ، وازدادت قبحا عند العقل بنهى الرب تعالى عنها ، وذمه لها ، وإخباره ببغضها وبغض فاعلها ، كما أن العدل ، والصدق والتوحيد ومقابلة نعم المنعم بالثناء والشكر حسن فى نفسه ، وازداد حسنا إلى حسنه بأمر الرب به ، وثنائه على فاعله ، وإخباره بمحبته ذلك ومحبته فاعليه ، بل من أعلام نبوة محمد ﷺ أنه يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ؛ ولهذا قيل لبعض الأعراب وقد أسلم لما عرف دعوته ﷺ : «عن أى شيء أسلمت ؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله ؟ قال : ما أمر بشيء فقال العقل : ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شيء فقال العقل : ليته أمر به ، ولا أحل شيئا فقال العقل : ليته حرّمه ، ولا حرم شيئا فقال العقل : ليته أباحه » .

فانظر إلى هذا الأعرابى ، وصحة عقله ، وفطرته ، وقوة إيمانه ، واستدلاله على صحة دعوته بمطابقة أمره لكل ما هو حسن فى العقل ، ومطابقة نهيه لما هو قبيح فى العقل ، وكذلك مطابقة تحليله وتحريمه ، ولو كانت جهة الحسن والقبح والطيب والخبث مجرد تعلق الأمر والنهى والإباحة والتحريم به لم يحسن منه هذا الجواب ، ولكان بمنزلة أن يقول : « وجدته يأمر، وينهى ويبيح ،ويحرم وأى دليل فى هذا ؟ » .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ [النحل : ٩٠] .

تعقيب :

يبدو مما تقدم أن ما ذهب إليه ابن القيم يوافق تماما ما ذهب إليه الماتريدية فهو ليس بدعا فى هذا الرأى كما يبدو ، وأنه قد سلم مما يمكن أن يتوجه إلى المعتزلة والأشعرية من طعن فمذهبه جمع بين الحسن من كل منهما فكان مذهبا وسطا يخرج من بين فرث ودم لبنا كما قال هو عنه ، وبيان ذلك أن المعتزلة أعطوا العقل سلطة واسعة النطاق بقولهم بتوقف الثواب والعقاب عقلا على الحسن والقبح العقليين غافلين عن الحدود التى يجب أن يقف العقل عندها ، فإذا جاز له أن يحكم بالحسن والقبح فلا يجوز له أن يتجاوز هذه الدائرة ، فيحكم بالثواب والعقاب فإنها جزاء من الله للعبد على عمله ، وما كان بين الله والعباد لا يجوز للعقل التدخل فيه ، وإن وقع المعتزلة فى هذا الخطأ فقد وقع الأشعرية فيما لا يقل عنه ، وذلك أنهم اعتبروا الحسن والقبح والثواب والعقاب شرعيين فأصابوا فى الشطر الثانى ، وأخطأوا فى الشطر الأول ، وذلك أنهم بهذا أهملوا العقل إهمالا تاما إذ حرموه من الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ، وهذا يخالف ما نحسه فى نفوسنا من التفرقة بين الحسن والقبيح دون توقف على أحكام الشرع ، ومن يرجع إلى تاريخ الأمة العربية يجد أنهم كانوا يستحسنون الشجاعة ، والكرم ، وحماية المستجير، والدفاع عن العشيرة بمحض عقولهم قبل أن يأتى الرسول إليهم .

وبعد هذا العرض الموجز نرى أن مذهب ابن القيم - دون تحيز - قد سلم من الطعن فقد أعطى العقل حقه ، ولكنه أوقفه عند حده ، إذ لم يعتبره أهلا للحكم بالثواب والعقاب، وإنما مرد ذلك إلى الشرع (ابن قيم الجوزية / ٣٨١-٣٩١) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٨٤-٣٨٦ ، وابن قيم الجوزية ، عصره ومنهجه وآراؤه فى الفقه والعقائد والتصوف - د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ٣٨١-٣٩١) .

*** أبو الحسن اليزيدى (٥٠٥-٥٧١ هـ) :**

أحد الذين تولوا مشيخة مدرسة الإمام أبى حنيفة ببغداد . وهو أبو الحسن مسعود بن الحسين بن سعد القاضى اليزيدى .

ولد سنة ٥٠٥ هـ . وكان من الفقهاء المعدودين الكبار على مذهب الإمام أبى حنيفة ، كما أنه من المدرسين الثقات واشتغل بالقضاء والإفتاء ، وذاع صيته وانتشر فضله وقد ولى التدريس بمدرسة الإمام أبى حنيفة بالمشهد سنة ٥٦٥ هـ وعين مدرسا فى مدرسة السلطان ، ثم سافر إلى الموصل ، فأقام فيها يدرس هناك ، وينوب فى القضاء .

وتوفى بالموصل فى جمادى الآخرة سنة ٥٧١ هـ .

(مدرسة الإمام أبى حنيفة - وليد الأعظمى / ٥٥) .

*** أبو الحسنات اللكنوى (١٢٦٤-١٣٠٤ هـ / ١٨٤٧-١٨٨٦ م) :**

محمد عبد الحى ابن الشيخ الحافظ محمد عبد الحليم

ابن محمد أمين اللكنوى الفقيه الحنفى الأصولى ويكنى المترجَم له بأبى الحسنات ولد رحمه الله فى بلدة باندة فى أواخر ذى القعدة سنة ١٢٦٤ هـ وكان والده مدرسا بها وشرع فى حفظ القرآن وهو ابن خمس سنين وانتهى من حفظه فى العاشرة من عمره وتعلم الخط أثناء حفظ القرآن وقرأ بعض كتب الفارسية وشرع فى تعلم العلم وهو فى الحادية عشرة ولما بلغ السابعة عشرة كان ملما بكثير من العلوم الدينية والعربية وكان لوالده فضل كبير فى تثقيفه وتعليمه كما تلقى على الأستاذ محمد نعمة الله من علماء الهند المعروفين ومنذ ذلك الحين أخذ يدرس ويصنف وقد حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة مرتين مرة مع والده سنة ١٢٧٩ ومرة أخرى سنة ١٢٩٢ هـ .

كان رحمه الله معنيا بالتأليف وقد بلغت مؤلفاته أربعمائة وأربعين كتابا منها آكام النفائس فى أداء الأذكار بلسان فارس فى الأصول ، والآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة فى الحديث ، وإمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام ، فى الفقه ، وتحفة الأخيار فى إحياء سنة سيد الأبرار ، فى الحديث ، والتعليق العجيب على متن التهذيب فى المنطق ، والفوائد البهية فى تراجم الحنفية . توفى رحمه الله سنة ١٣٠٤ هـ (الفتح المبين ٣/ ١٥٨) .

وقد ذكره الكتانى فيمن ألفوا كتبا فى علم المصطلح وذكر شرحه لمختصر الجرجانى فى علوم الحديث الذى سماه «ظفر الأمانى فى مختصر الجرجانى » (الرسالة المستطرفة / ١٦٢) .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٥٨ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٦٢) .

*** حسنة الأيام :**

من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من الوزراء والقضاة ومن فى معناهم . والحسنة خلاف السيئة ، والمراد أن الأيام أحسنت بالامتنان به ويصلح اللقب لكل من له ماض فى الكتابة وهو بعيد المأخذ . وورد اللقب فى بعض الدساتير عن نائب الشام فى ألقاب بعض كتاب السر العلماء .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٦ ، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٢) .

*** الحسنة والسيئة :**

قال الإمام ابن الجوزى : وهما فى القرآن على ستة أوجه :

أحدها : الحسنة التوحيد والسيئة الشرك ، ومنه فى النمل : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكُبَّت وجوههم فى النار ﴾ [النمل : ٨٩ ، ٩٠] وفى القصص : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ [القصص : ٨٤] .

والثانى : الحسنة النصر والغنيمة ، والسيئة القتل والهزيمة ، ومنه فى آل عمران ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وفى النساء ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [النساء : ٧٩] .

والثالث : الحسنة المطر والخصب ، والسيئة قحط المطر والجدب، ومنه فى الأعراف ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيَّروا بموسى ومن معه ﴾ [الأعراف : ١٣١] وفيها ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ [الأعراف : ٩٩] وفيها ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

والرابع : الحسنة العافية والسيئة البلاء والعذاب ، ومنه فى الرعد ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ [الرعد : ٦]

والخامس : الحسنة قول المعروف والسيئة قول المنكر ، ومنه فى القصص ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ [القصص : ٥٤] وفى حم السجدة (أو فصلت) ﴿ ادفع بالتى هى أحسن﴾[فصلت : ٣٤] .

والسادس : الحسنة فعل نوع من الخير والسيئة فعل نوع من الشر، ومنه فى الأنعام ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾[الأنعام : ١٦٠] .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩٧ ، ٩٨ . انظر أيضا الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ط دار الغد العربى م ٤ / ٢١١) .

*** الحُسنى :**

قال ابن القاسم : الحسنى كلمة مستغنى عن وصفها

ونعتهـا ، لأن العـرب تـوقعها الخلـة المحبـوبـة ، والخصلـة المرغـوب فيها ، فكـان الذى يعلمه العـرب من علمها أمـرها يغنى عن نعتها .

والحسنى فى القرآن على ستة أوجه :

أحـدهـا : الجنـة ، ومنـه فى يـونس ﴿ للـذين أحسنـوا الحسنى ﴾ [يـونس : ٢٦] ، وفـى الأنبياء ﴿ سبقت لهم منا الحسنى ﴾ [الأنبيـاء : ١٠١] وفى النجم ﴿ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾[النجم : ٣١] .

والثانى : البنـون ، ومنه فى النحل ﴿ أن لهم الحسنـى ﴾ [النحل : ٦٢] .

والثالث : الخير ، ومنه فى براءة ﴿ إن أردنا إلا الحسنى ﴾ [التوبة : ١٠٧] .

والـرابع : العليـا ، ومنـه فى الأعـراف ﴿ ولله الأسمـاء الحسنى﴾[الأعراف : ١٨٠] .

والخـامس : الخلف ، ومنـه فـى الليل ﴿ وصـدَّق بالحسنى﴾[الليل : ٦] .

والسادس : البـر ، ومنه فـى الأحقاف ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر للإمام ابن الجـوزى - تحقيق ودراسة محمـد السيد الصفطاوى ، ود. فؤاد عبـد المنعم أحمد / ٧٩-٩٦) .

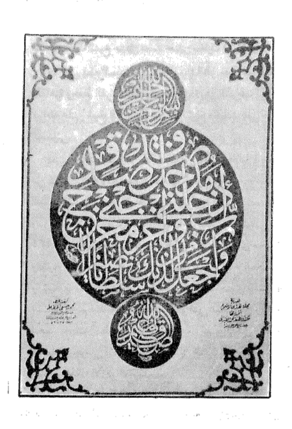
*** حسنى الخطاط (-١٣١٩هـ) :**

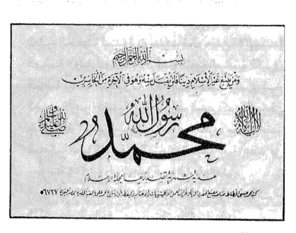
محمـد حسنى الخطاط دمشقى ، سـورى الأصل ، تلقى الخط عن المرحوم يوسف رسـا . وحضر إلى مصر واستوطنها منذ سنة ١٩١٢ م . اشتغل حسنى بالخط اشتغالا تاما إلى أن نبغ فيه ونال شهـرة واسعة ، كما اشترك فى التـدريس بمدرسة تحسين الخطوط بـالقاهرة فى بدء إنشـائها سنة ١٩٢١ ، كما اشتهـر حسنى من الكتـابة الخطيـة فى الصحف إلى جـانب معاصريه مثل سيد إبراهيم ، ونجيب هواوينى ، ومحمد على معمار زاده . . يمكن اعتباره نهاية سلسلة عباقرة الخط فى مصر

ملاحظـة : الصورتـان المصاحبتـان لهذه المـادة كنماذج لأعمـال حسنى الخطـاط أخـذتـا من كتـاب «بـدائع الخط العربى» - ناجى زين الدين المصرف ص ٢٠٥ ، ٢٧١ .

(نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٣) .

وهذه اللوحات نماذج من خطه :





* **حسنين محمد مخلوف (- ١٤١٠ هـ / ١٨٩٠ - ١٩٩٠) :**

فضيلة الإمام الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف العدوى مفتى مصر الأسبق وابن وكيل الأزهر سابقا : أسرته من « بنى عدى » - مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر (« فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف » / ٥٦٦) .

ولد فى يوم السبت ٦ من مايو ١٨٩٠ م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم بصحن الأزهر الشريف ثم جوَّد قراءته على شيخ القراء فى عهده الشيخ محمد على خلف الحسينى .

وفى الحادية عشرة من عمره التحق بالأزهر طالبا ، وتلقى عن كبار الشيوخ وكان منهم المغفور له والده المرحوم العلامة الجليل الشيخ « محمد حسنين مخلوف » العدوى المالكى وكيل الأزهر الشريف ومدير المعاهد الدينية المتوفى سنة ١٩٣٥ م - والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد الهادى مخلوف والشيخ على إدريس العدوى والشيخ عبد الفتاح المكاوى والشيخ محمد الطوخى والشيخ يوسف الدجوى والشيخ عبد الحكم عطا والشيخ محمد راضى البحراوى والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ أحمد نصر الفذى والشيخ محمد البيجرمى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى وغيرهم من مشاهير علماء الأزهر الشريف .

ولما أتم دراسة العلوم الأزهرية وتلقى علم الحساب والجبر بمسجد المؤيد وأكمل دراسته بجد واجتهاد التحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت فى ذلك الوقت تابعة للأزهر ، ودرس فيها العلوم الشرعية ومختلف العلوم الحديثة لمدة أربع سنوات نال بعدها « الشهادة العالمية » وقد أدى الامتحان أمام اللجنة العالمية الكبرى المؤلفة برئاسة المغفور له الإمام الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر وعضوية المغفور لهم السيد بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ عبد الكريم سلمان عضو المحكمة العليا الشرعية ونال شهادة العالمية بتفوق عظيم فى يونيو سنة ١٩١٤ م ولم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين .

وأخذ يلقى دروسه العلمية فى الأزهر متبرعا فقرأ شرح الملوى على السلم فى علم المنطق وكتاب الوليدية فى آداب البحث وكتاب المقولات الحكيمة فى علم الفلسفة بحاشية



والده عليها وكتاب ابن مسكويه فى علم الأخلاق . واستمر فى ذلك إلى أن عين قاضيا شرعيا فى شهر يونيو سنة ١٩١٦ م وما زال يرقى فى القضاء من درجة إلى درجة حتى عين رئيسا لمحكمة الإسكندرية الشرعية سنة ١٩٤١ م ثم رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة العدل « الحقانية » آنئذ وقد سبق اختياره سنة ١٩٢٨ م مفتشا للمحاكم الشرعية بوزارة الحقانية وتوثقت الصلة بينه وبين وزيرها « على ما هر باشا » ونهض بأعباء التفتيش والمشاركة فى المشروعات الإصلاحية الهامة بالوزارة ومنها إصلاح « قانون المحاكم الشرعية » وقوانين «المجالس الحسبية » وندب فى ذلك الوقت لتدريس الشريعة الإسلامية فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات . وفى أكتوبر سنه ١٩٤٤ عين نائبا للمحكمة العليا الشرعية وهو المنصب الذى كان يجب أن يشغله من وقت طويل (المحدثون فى مصر والأزهر / ٤٤٣ ، ٤٤٤) .

وعين عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر ١٩٤٨ م ، ثم

عضوا بمجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م .

كما كان عضوا مؤسسا برابطة العالم الإسلامي ...

وكان عمل الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف بالإفتاء أوضح ما تميز به تاريخه العلمي، فقد تصدى للإفتاء العام عندما خلا هذا المنصب بانتهاء مدة الشيخ عبد المجيد سليم، فصدر قرار ملكي بتعيين الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مفتيا للديار المصرية، وكان ذلك في الثالث من شهر ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الموافق ٥ من يناير ١٩٤٦ م وظل بالمنصب حتى ٢٠ من رجب ١٣٦٩ هـ الموافق ٧ من مايو ١٩٥٠ م تاريخ انتهاء مدة خدمته القانونية، فاشتغل بإلقاء الدروس بالمشهد الحسيني إلى أن أعيد مفتيا للديار المصرية مرة ثانية في مارس ١٩٥٢ م وحتى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٤ م .

وبعدها عمل رئيسا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف لفترة طويلة (« مفتي مصر الأسبق » / ٥٦٧) .

وأخذ بعد ذلك في متابعة مجهوده العلمي بإلقاء الدروس العلمية الشرعية بالمشهد الحسيني يوميا - كما سبق القول - ويصدر الفتاوى في جريدة منبر الشرق في باب الإفتاء الذى أنشأه خصيصا لهذا الغرض صاحب الجريدة المرحوم الشيخ على الغاياتي فكان في ذلك نفع كبير للمسلمين في سائر البلاد الإسلامية وتم طبعها في جزئين « فتاوى شرعية وبحوث إسلامية » .

كما اختير عضوا تأسيسيا برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان من مؤسسي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة واشترك في إعداد الكثير من البحوث والاجتماعات بها (المحدثون في مصر والأزهر / ٤٤٤) .

يقول فضيلة الشيخ محمد حسام الدين في ترجمته له :

ولقد كرم هذا الشيخ فمنح كسوة التشريفة العلمية مرتين : الأولى وهو رئيس لمحكمة طنطا، والثانية وهو مفتي الديار المصرية .

ولقد أصدر الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مؤلفات عديدة أغلبها رسائل لطيفة : ومن أهمها :

- كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » .
- صفوة البيان لمعاني القرآن .
- آداب تلاوة القرآن وسماعه .
- شرح عدة الحصن الحصين للإمام ابن الجزري .
- شرح نصيحة الإخوان للإمام ابن طاهر الحضرمي .
- شرح الحكم للإمام عبد الله بن علوى الحداد الحضرمي .
- رسالة الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية .
- رسالة : التفسير والمفسرون .
- أحكام الشريعة الإسلامية في بدع المآتم وما ينفع الموتى من أعمال الأحياء .
- رسالة في أحكام الميراث .
- مجموعة الفتاوى .
- رسالة الأخلاق الإسلامية .
- شفاء الصدور الحرجة شرح قصيدة المنفردة .

ومنها :

- شرح جالية الكدر بنظم أسماء أهل بدر .
- شرح المدحة النبوية للأستاذ أبو الوفا (الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي) .
- رسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد .
- رسالة في تعاليم الشيعة الإسماعيلية .
- شرح لمعة الإسرار للإمام الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي
- رسالة في أخطار المعاصي والآثام ووجوب التوبة منها .
- رسالة في فضل تلاوة القرآن العظيم .
- رسالة في شرح أسماء الله الحسنى .
- رسالة في تفسير سورة القدر .
- أدعية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية .
- نفحات زكية من السيرة النبوية .
- شرح تشطير البردة للشيخ الشرقاوي .
- شرح مشكاة الأنوار في أوصاف المختار .
- شرح البيقونية في مصطلح الحديث .

ومما يلفت النظر أن أهم مؤلفات هذا العالم الجليل صدرت بعد الإحالة إلى المعاش، ولم يخلص منها للفقه، وعلم الفروع إلا رسالة : « أحكام الشريعة الإسلامية في بدع المآتم » ...

ورسالة فى الميراث ، ومجموعة الفتاوى .

وفيما عدا هذه الرسائل فإن جملة مؤلفاته ، تتعلق بالقرآن الكريم ، أو بالتصوف ، والمدائح النبوية ، والأخلاق ، ثم العقائد ، ومصطلح الحديث .

وكانت كتبه فى تفسير القرآن الكريم أشهر كتبه على الإطلاق . وأوضح هذه المؤلفات كتابان :

الأول : « كلمات القرآن : تفسير وبيان » .

وقد صدرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٥٦ م بالقاهرة ، ثم أعاد الشيخ مراجعته وطبعه ثلاث مرات : إحداها بمكة المكرمة ، وكانت المراجعة والطبعة الأخيرة لهذا الكتاب فى يناير سنة ١٩٦٥ م بالقاهرة .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦ وقد ذكر المؤلف ــ رحمه الله ــ فى نهاية الكتاب ص ٤٤٣ أنها الطبعة الثامنة وأنة تمت مراجعتها فى شهر المحرم سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م .

وقد كتب فى مقدمته : « أما بعد » فهذا تفسير لما يحتاج إلى التفسير والبيان من كلمات القرآن ، يوضح معانيها ، ويعين على فهم الآيات التى هى فيها ، وضعت فيها الكلمات على ترتيب الآيات فى السور، وعن يمين كل كلمة رقم آيتها ، وعن يسارها تفسيرها فى دقة وإيجاز .

ثم شرح الشيخ مقصده بالتفسير فى هذا الكتاب فقال : «فسرنا كلمات القرآن بالمعانى المرادة منها فى الآيات ، وقد تكون المعانى حقيقية ، وقد تكون مجازية أو كنائية » ...

ومعنى هذا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ أراد بالكتاب تجلية المقاصد فى التعبير القرآنى ، سواء كانت هذه المقاصد مستفادة بدلالة المفرد فى ذاته ، أو بدلالته فى نظمه فى سياق الآية ، أو بدلالة قرينة خارجية لم يشملها النظم القرآنى .

وفى هذا تقريب لمعانى القرآن الكريم من جمهرة قراء عصرنا المتعجل ، وإيراد لها فى معانيها الشرعية ، لا معانيها الوضعية اللغوية ، التى لا تقصد شرعا فى الكثير الغالب من الدلالات القرآنية .

وأما الكتاب الثانى فهو : « صفوة البيان لمعانى القرآن » وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بالمملكة العربية السعودية ، ثم طبعته دولة الإمارات العربية المتحدة فى احتفالاتها بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م . وجعلته للإهداء مجانا ومنحة للمسلمين .

وقد جاء فى كلمة الوزارة مقدمة للكتاب / (الطبعة الأولى) « ولما كان من أهداف الوزارة نشر علم كتاب الله بين الناس ليتفقهوا فى دينهم ، ولتستنير بصائرهم ، فقد رأت إعادة طبع هذا الكتاب النافع ، فاستأذنت الشيخ الفاضل ـ حفظه الله » فأذن ـ جزاه الله خيرا ـ بذلك مجانا ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلبا للأجر والمثوبة ... أهـ .

وقد جعل الشيخ رحمه الله كتابه الأول أساسا للتفسير فى كتابه الثانى : قال : « بدأت بشرح مفردات القرآن شرحا وافيا على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة ، أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التى انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدت الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصدت ، وإن لم تشتمل على غريب القرآن ، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به ، واكتمل من الجميع هذا التفسير الذى سميته : « صفوة البيان لمعانى القرآن » ...

هذا : وقد بدت ثقافة الشيخ واضحة بهذا الكتاب فقد التزم فى بيان مقاصد الآيات فى مسائل العقيدة بما عليه السلف والأشاعرة عموما وفى إيجاز مقبول . لكنه كان يتوسع فى بيان الأحكام الفقهية بما تتجلى به مواهبه وملكاته العظيمة فى هذا العلم .

ومثلا : لو استعرضنا شيئا مما كتبه الشيخ فى جانب العقائد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ [البقرة : ٢٦] .

ألفيناه يقول : ﴿ **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما** ﴾ أى ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة فى نظركم . كالبعوض والذباب ، والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق ...

وفى الآية إشعار بصحة نسبة الحياء إليه تعالى ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه

وكيفيته إلى الله تعالى ، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات . واختاره الألوسى .

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمه ، وهو ترك ضرب الأمثال بها ، لأن الاستحياء من الحياء ، وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب ، ويذم به ، أو هو انقباض النفس عن القبائح ، وهذا المعنى محال فى حقه تعالى . فيصرف اللفظ إلى لازم معناه . وهو الترك ... اهـ .

ومن الواضح أن الشيخ - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية - أخذ أولا بمذهب السلف بإمرار نسبة الحياء إلى الله تعالى على ما ورد عليه النص ، مع تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ...

ثم أورد بعد ذلك رأى من يتجه إلى التأويل فى مثل هذه الصفات من خلف الأشاعرة بصرف اللفظ عن ظاهر معناه ، وإرادة لازمه - فيكون المراد بقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ « أن الله لا يترك ضرب الأمثال بمثل هذه المخلوقات » .

وشرح الشيخ أسباب الميل إلى هذا التأويل بقوله : لأن الاستحياء من الحياء وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب ويذم إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا . ثم قال : «وهذا محال فى حقه تعالى ، فيصرف اللفظ إلى لازم معناه »

ومعلوم أن التفويض مذهب السلف وأن الأشعرى - رحمه الله - لزم فى كتابه « الإبانة » مذهب التفويض . وأنه فى كتابه «اللمع » مال إلى إعمال العقل فى غير شطط ، لكنه لم يتناول مسألة الصفات فى هذا الكتاب إلا من طرف بعيد .

وهذا لا ينفى أن كثيرا من تلاميذ الأشعرى ، من أمثال أبى المعالى الجوينى ، وأبى بكر الباقلانى ، وغيرهما ثم من بعدهم من الخلف . من مثل ابن دقيق العيد وغيره مالوا أحيانا إلى تغليب جانب التأويل فى غير إسراف ، رغبة منهم فى كمال التنزيه لله سبحانه وتعالى .

وفى الحق أن الأشعرى كان أقرب إلى تفويض السلف منه إلى منحى التأويل ، وهذا واضح من جداله مع المعتزلة والجهمية ، ورفضه تأويل آيات الاستواء على العرش ، واحتجاجه فى كتاب « الإبانة » لمبدأ التفويض ، واستشهاده لهذا المذهب بكثير من الآيات التى تتحدث عن الجهة ، كقوله سبحانه : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ [السجدة : ٥] ﴿ **أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾ [الملك : ١٦] ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ [النحل : ٥٠] إلى غير هذه الآيات .

وهكذا نجد شيخنا الشيخ مخلوف ملتزما فى تفسيره بمذهب السلف فى التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشاعرة فى التنزيه والتأويل . بل وإنه ليتابع أيضا مذهب الأشاعرة فى غير هذا الجانب من المسائل العقدية .

ففى مثل ما كتبه تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ [البقرة : ٢٦] قال : الفسق الخروج عن الطاعة ، ويقع بالقليل والكثير من الذنوب . ولكن تعورف فيما كان كثيرا . وهو أعم من الكفر . فيقال للعاصى : فاسق ، وللكافر فاسق لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة ، والإضلال خلق فعل الضلال فى العبد ، كما أن الاهتداء خلق الاهتداء فيه ... انتهى ...

فقد فسر الفسق هنا بأنه : « الخروج عن الطاعة » وأنه «يقع بالقليل والكثير من الذنوب » .

ولم يفسره بأنه منزلة بين الإيمان والكفر - على ما قالت به المعتزلة فى مرتكب الكبيرة . قال الأشعرى فى « اللمع » : «كان الناس قبل واصل بن عطاء رئيس المعتزلة على مقالتين : منهم خوارج يكفرون مرتكبى الكبائر ، ومنهم أهل استقامة يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ولم يقل منهم قائل : إنه ليس بمؤمن ولا كافر قبل حدوث واصل بن عطاء .

وأيضا فإن الشيخ أى فضيلة الشيخ مخلوف عندما فسر قوله تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ قال : الإضلال خلق فعل الضلال فى العبد كما أن الهداية خلق الاهتداء فيه . انتهى ... وهكذا يتابع الشيخ مذهب الأشاعرة فى خلق أفعال العباد ... (مفتى مصر السابق / ٥٦٨ - ٥٧١) .

وفى التمثيل لمنحى التفويض ، ومنحى التأويل فى الصفات ، وقد أخذ بهما الشيخ معا ، نذكر تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات** ﴾ [البقرة : ٢٩] .

قال الشيخ : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ علا إليها وارتفع من غير تكييف ، ولا تحديد ولا تشبيه ، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات وقد سئل مالك ـ رضى الله عنه ـ عن الاستواء على العرش فقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

ثم قال الشيخ : أو المعنى : أقبل وعمد إلى خلقها بإرادته انتهى .

هذه فقرات مما كتبه الشيخ « رحمه الله » فى تفسيره ، تكشف عن منهجه فى تناول المسائل العقدية على مذهب الأشاعرة ، وتوضح مأخذه بخطة التأويل التنزيهى ، إلى جانب التفويض الورع فى الصفات .

وأما إيضاح الشيخ للأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية ، فقد بدت فيه ملكته الفقهية بارعة متمكنة ، وهو ملتزم دائما برأى جمهور الفقهاء ، لا يميل إلى رأى ضعيف ، فإذا اختلف آراء الفقهاء ذكر كل رأى منها ونسبه إلى صاحبه .

هذا : مع الإيجاز وسهولة التعبير ، والحسم بالرأى فى الموضوع ، وعلى سبيل المثال ما ورد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] قال : حاضرو المسجد الحرام : هم أهل مكة ، وأهل الحِل الذين منازلهم داخل المواقيت ، أو هم أهل مكة خاصة . أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة .

وإلى الأول ذهب الحنفية ، وإلى الثانى المالكية ، وإلى الثالث أحمد والشافعى ـ رحمهما الله ـ وتفصيل الأدلة فى الفروع . انتهى .

وفى تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

قال : ﴿ لا تأكلوا الربا ... ﴾ نهى عن تعاطى الربا ، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائدة الربوية ، فقوله : ﴿ أضعافا مضاعفة ﴾ ليس لتقييد النهى به بل هو بيان لما كانوا عليه فى الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدى إلى استئصال المال . وقد حرم الله أصل الربا ومضاعفته ... انتهى

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور : ٣] ـ خلص الشيخ إلى فهم فى غاية الدقة وجميل الاستنباط ، . لقد خلص فى تفسير الآية إلى آراء مقنعة ، وخرج بها عن الحشد الكبير من الآراء التى تمتلىء بها كتب التفسير توجيها لأحكام هذه الآية ، وبخاصة ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ قال الشيخ رحمه الله : ﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية ﴾ نزلت لزجر المؤمنين عن نكاح الزانيات ، بعد زجرهم عن الزنا ، أى أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء اللاتى على خلاف صفته ، وإنما يرغب فى نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا ترغب غالبا فى نكاح الصلحاء من الرجال بل تنفر منهم ، وإنما ترغب فيمن هو من شكلها من الفسقة والمشركين : لأن المشاكلة علة الألفة ، والمخالفة سبب للنفرة ، وهو كقولهم : لا يفعل الخير إلا تقى ، فإنه جار مجرى الغالب ، وقد يفعله من ليس بتقى ، و ﴿ حرم ذلك على المؤمنين ﴾ تحريم تنزيه وعبر عنه بالتحريم مبالغة فى الزجر، أو حرم عليهم ما فى ضمن عقده من المفاسد كالتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة ، والطعن فى النسب وغير ذلك ، فلا تكون الحرمة راجعة إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزوانى والزانيات باطلا للإجماع على صحته . وأما نكاح المشرك والمشركة ، فإن كانت الآية نزلت قبل تحريمه ـ وقد حرم بعد الحديبية ـ فالأمر ظاهر ، وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمته مستندة إلى أدلة أخرى » ... أ هـ .

هذا السمت العام للتفسير فى كتاب « صفوة البيان لمعانى القرآن » يجعل له شأنا ومقاما حسنا بين كتب التفسير بعامة ، ويفتح له باب السبق بين المؤلفات المنشأة فى عصرنا بصفة خاصة .

فتياه :

أما فتيا الشيخ فكانت أبرز أعماله ، وكان عمله بالقضاء مجالا من مجالات الفتيا والرأى ، بيد أن القضاء يتميز بأن له قوة النفاذ والإلزام . على ما هو مقرر ...

والسمت العام لفتيا الشيخ سمت بارز فقد جمعت فتياه سعة الفقه والإحاطة بوجوه الرأى ، مع دقة استخراج الحكم ، ولطيف الملمح ، وحسن الاستدلال .

لكنا نلمح فى فتواه مع هذا كله أنه كان شديد الاحتياط ، قوى الحذر لا يميل إلى تبرير مستحدثات الأمور ، أو مستوردات الوقائع والسلوك .

وقد اخترت له بعضا من الفتاوى ــ على ضخامة تراثه الفقهى ـ منها ما يتعلق بالوقف . ومن سمت هذا النوع من الفتوى أنه ينبىء عن عمق الرأى لديه ، وحسن التعليل ، ووجاهة الترجيح ، وحريته ، ما لم تستظل الواقعة بقانون ، فإذا استظلت بقانون أعمل الشيخ فيها نصوص هذا القانون ووقف عن الترجيح بين الآراء .

ولقد كان التصرف فى بعض المال بالوقف شائعا معبرا عن اتجاه اجتماعى إسلامى وبخاصة فى العهد العثمانى .

وعلى حد تعبير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى مقدمته لمجموعات فتاوى الوقف الصادرة عن دار الإفتاء . قال : «وكان الوقف وجها من أوجه التعاون على البر، وتحصين الثروات العقارية ، ولما تعاقبت القوانين بعد صدور القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بإلغاء الوقف على غير الخيرات انكمشت سبل البر فلم نعد نسمع أن أحدا قد أوقف وقوفا على المساجد أو المستشفيات أو الملاجىء أو المدارس أو تحفيظ القرآن ، بل ولقد تبددت وقوف كثيرة كانت مددا للدعوة الإسلامية ، وعونا لطلاب العلم بالأزهر ومعاهده ، وغير هذا من طرق البر » أ . هـ .

ولقد كانت الفتاوى فى مواد الوقف غزيرة . وبخاصة فيما يتصل ببعض شروط الواقفين ، وفيما يتعلق بالتصرف فى الأعيان التى تخربت أو انعدم ريعها .

وكانت الفتوى محكومة بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة ، ثم خضعت لأحكام القوانين بداية بالقانون الصادر برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ لأحكام الوقف .

وقد سئل الشيخ ــ رحمه الله ــ عن مال وقف على ملء صهريج معد لخزن الماء العذب ، لسقيا الناس ، وعلى عمارته ومرمته ، وعلى منزل موقوف على ذرية الواقف ، فإذا انقرضت الذرية كان ريع الوقف مصروفا للخيرات ، وتبين من السؤال أن هذا الوقف ليس له حجة ، وأن الصهريج قد اندثر واستغنى عنه ، وأن المنزل قد هدم وبيعت أنقاضه .

(الفتوى مسجلة برقم ٦٨ ـ م ٦٨ ص ١٢٩ فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ بدار الإفتاء) .

فأجاب :

إن الصهريج وما وقف على ملئه وعمارته ومرمته وقف خيرى صحيح ، وإن لم يصرح فى الإشهاد بجهة البر الدائمة التى يصرف إليها ريعه مالا ، إذ قد جرى العرف على أن من وقف وقفا كهذا يريد تأبيده كما فى الوقف على المسجد المعين ــ وأما المنزل فلا شبهة فى أنه وقف أهلى ، وإقرار الواقف فى حجته بأن الملاليح (يقصد الملاحات) المذكورة وقف عليه وعلى الصهريج إقرار معتبر شرعا ، فتكون هذه الملاليح موقوفة عليهما بالسوية ، وبتهدم الصهريج واستغناء الناس عنه بعد موت الواقف يبقى مكانه وقفا إلى الأبد على قول أبى يوسف الذى اخترناه للفتوى فى هذه الحادثة ، وهو أولى من قول محمد بعودته إلى ملك الواقف إن كان حيا وورثته إن كان ميتا .

وبناء على ذلك يصرف ما وقف على الصهريج إلى أقرب جهة بر إليه عند أبى يوسف كالمساجد أو المستشفيات أو نحوها ولكن بعد صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ تطبق عليه المادة ١٩ منه التى تقضى بصرفه بإذن المحكمة على من يكون محتاجا من ذرية الواقف ووالديه بقدر كفايته ، ثم إلى المحتاج من أقاربه كذلك . ثم إلى الأولى من جهات البر حتى صدور القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣ بتعديل المصارف الخيرية الذى نشر بالوقائع المصرية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٥٣ ، ومن حين العمل به تطبق أحكامه ، ويجوز بإذن المحكمة استبدال أرض هذا الصهريج بما هو أنفع للخيرات » انتهى .

وهكذا أخذ الشيخ بقول أبى يوسف مبقيا وقف الصهريج خيريا إلى الأبد ، ورجحه على قول محمد بعودته إلى ملك الواقف أو ورثته بعد أن تهدم ، أخذ الشيخ بقول أبى يوسف فى الفترة التى سبقت صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بأحكام الوقف وأما الفترة التى تلت صدور هذا القانون فقد أعمل فيها ما تقضى به نصوصه أخذا بقول محمد بن الحسن ...(« مفتى مصر السابق ») / ٦٨٢ ـ ٦٨٥) .

وهناك فتوى أخرى ... فقد ورد سؤال من السيد المحترم

مدير عـام قسم التشريع لوزارة الشئون البلدية والقـروية بكتاب سرى خاص طلبا لبيان حكم الشريعة فى إحراق جثث الموتى من المسلمين فى حالة الأوبئة ، وفى حالة الوصية بذلك .

(فتوى مسجلة بـرقم ـ س ٧٠ ـ م ٤٤١ ـ ٢٩ يوليـة سنة ١٩٥٣ م) .

ومما يلاحظ أن صاحب هـذا الاستفتاء تـذرع له بحـال الأوبئة أو الوصية . وربما كان هذا من باب الاستدراج للفتوى للانتقال عن الإلف الإسلامى ولو لمسافة خطوة واحدة ، فقد درج الكثير على محاولة نقل المجتمع عن ثـوابته واجتهـدوا لتغيير تقاليده ، وما يقف عنده من حدود .

ولقد أجاب الشيخ على هذه الفتوى فى ثبات حاسم قطع السبيل على كل تطلع لإحداث تغيير فى المفاهيم الاجتماعية التى تساندها أحكام الإسلام . قال الشيخ رحمه الله :

أنه لا خلاف بيـن المسلمين فى أن للإنسان حرمـة وكرامة حيا وميتا كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ [الإسراء : ٧٠] ومن كرامته بعد مـوته دفنه فى اللحد أو القبر بـالكيفية المسنـونة التى بينهـا النبى ـ ﷺ ـ فيما ورد عنـه من السنن الصحيحـة ودرج عليهـا أصحـابـه والتـابعـون وسـائر المسلمين إلى الآن ـ فـلا يجـوز بحـال إحـراق جثث مـوتى المسلمين ، ولـو أوصى إنسان بـذلك فوصيتـه باطلـة لا نفاذ لها ، ولم يعرف الإحراق للجثث إلا فى تقاليد المجوس ، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما يصنعون مما لا يوافق شريعتنا الغراء والله تعالى أعلم .

ولعل الشيخ يريد ما جاء بمخالفة المشركين فيما يصنعون وقولـه ﷺ فيما رواه الشيخـان : (خالفـوا المشركيـن : أحفوا الشوارب ، وأوفروا اللحى) .

ولقد تذرع السائل فى هذه المسألة بافتراض وجود الوباء ، وافتراض وجود الـوصية رغبة منه فى استدراج الفتوى لـلإباحة على طرائق الفلسفة المادية .

لكن الشيخ ـ رحمه الله ـ سد عليه منافذه ، وأفاد بأن « أمر المسلمين على ما سنه النبى ﷺ من سنن صحيحة ، وعلى ما درج عليه أصحـابه والتـابعون ، وسـائر المسلمين إلى الآن . فلو أوصى إنسان بغيـر هذه السنن كانت وصيته بـاطلة لا نفاذ لها » اهـ .

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد حسـام الدين : إن فى تراث الشيخ كثيـرا من المفـاخـر والمـآثـر ينبغـى أن يلتفت إليهـا الدارسون ...

وحسب الشيخ فضلا ونعمة أن يسر الله حيـاته : طفولة ، ويفاعة وشبابا ، وكهولة مباركة مثمرة لخدمة الإسلام .

وتقـديرا لهـذا منح جائزة الملـك فيصل العالميـة لخدمـة الإسلام لعام ١٤٠٣ هـ .

وكذلك منحته مصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٢ م .

والشيخ فى فضله وذخـائر تراثه العلمى ، وإنـابته إلى الله جدير بالتكريم والإجلال .

ثم مضى الشيخ إلى رحمة ربه فى يـوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبـارك سنة ١٤١٠ هـ ـ المـوافق للخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٩٠ م .

يجـزل الله مثـوبتـه ، ويتقبل جهـاده وعملـه وينفـع بـه المسلمين ، ويجزيه عما خدم به القرآن والإسلام خيرا ، آمين اهـ . (« مفتى مصر الأسبق » / ٧٦٦ـ٧٦٨) .

(« مفتى مصر الأسبق فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف » ـ فضيلة الشيخ محمـد حسام الديـن . مجلة الأزهر . الجـزء الخامس ، السنة الثالثة والستون ، جمادى الأولى ١٤١١ هـ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٠ / ٥٦٦ ـ ٥٧١ ، والجزء السادس ، السنة الثالثة والستون ، جمادى الآخرة ١٤١١ هـ ـ ديسمبر ـ ينـاير ١٩٩١ م / ٦٨٢ ـ ٦٨٥ ، والجـزء السـابع ، السنة الثالثة والستون ، رجب ١٤١١ هـ ـ يناير ـ فبراير ١٩٩١ م / ٧٦٦ ـ ٧٦٨ ، والمحـدثون فى مصـر والأزهـر ـ أ . د . الحسينى هـاشم و أ . د . أحمد عمـر هاشم / ٤٤٣ ، ٤٤٤ . انظـر أيضا « رحم الله شيخنـا فضيلة الأستاذ حسنين محمد مخلوف ـ د . على أحمد الخطيب . مجلة الأزهر . الجزء العاشر ، السنة الثانية والستون ، شوال ١٤١٠ هـ ـ مايو ١٩٩٠ م / ٩٨١ ـ ٩٨٥ ، ١٠٧٠) .

* **الحسنية (مدرسة ـ) (قبل ٧٦٢ هـ) :**

إحدى مـدارس القدس الشـريف أعاده الله ديـار إسلام . وتقع بباب الأسباط فى الجهة الشمالية من المسجد الأقصى .

تنسب المـدرسـة الحسنيـة إلـى واقفهـا شـاهين الحسنى الطواشى المتوفى سنة ٨١٥ هـ ، كمـا يذكر السخاوى وأما ما ذكره مجيـر الدين الحنبلى حيث قـال : « والظاهـر أن واقفها توفى قبل انبرام أمرها ، والله أعلم » فإنه غير صحيح .

وأما تاريخ وقفها فكان حوالى سنة ٧٦٢ هـ ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلى أن واقفها « من دولة الملك الناصر حسن ، المتوفى فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وقد بنيت المدرسة فى عهده ، وبهذا تكون هذه المدرسة قد بنيت قبل سنة ٧٦٢ هـ . وأضاف مجير الدين « أنه لم يطلع على كتاب وقف لها ، ولم يتحقق من أمرها ، ولكنه أخبر بوقفها » (الأنس الجليل ٢ / ٤٠) .

ولا شك أن هذه المدرسة قد قامت بدورها فى الحركة الفكرية فى بيت المقدس . ولعل واقفها رتب الوظائف فيها . وقد ذكر أنه كان يتولى نظر الخانقاه البيبرسية . فهل صنع بالحسنية مثل ما كان عليه الأمر بالبيبرسية ؟

ذكر مجير الدين الحنبلى أنه « لم يكن لها حكم المدارس فى النظام والشعائر ، وإنما صارت منزلا تتخذ للسكن » (الأنس الجليل ٢ / ٤٠ ، ٤١) وهذا لا يعنى أنها كانت كذلك منذ إنشائها فلعلها أصبحت كما تحدث عنها مجير الدين فى عهده (٨٦٠ ـ ٩٢٨ هـ) ومن المرجح أنها كانت تقوم بدورها قبل ذلك . وهى دارسة الآن .

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ٧٢ ، ٧٣) .

* **الحسنية (مدرسة —) (٨٣٧ هـ) :**

إحدى مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . وقد سبق الكلام على مدرسة تحمل نفس الاسم وتقع بباب الأسباط وقد أنشئت سنة ٧٦٢ هـ . أما هذه المدرسة التى نحن بصددها فتقع بباب الناظر ، غربى الحرم ، فوق رباط علاء الدين البصير ، وهى واقعة بجوار المدرسة المنجكية ، وقد أنشئت سنة ٨٣٧ هـ .

يقول عنها الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى ، وعن دورها فى الحركة الفكرية فى بيت المقدس :

تنسب المدرسة الحسنية إلى واقفها الأمير حسام الدين أبى محمد الحسن بن محمد بن عبد الله الشهير بالكشكلى الحنفى المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وقد عمرها فى سنة ٨٣٧ هـ ووقف عليها أوقافا ، ورتب فيها وظائف من التصوف وغيره . وكان تاريخ وقفها فى الأول من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومن الجدير بالإشارة أن الأمير حسام الدين كان يتولى نظر الحرمين الشريفين ، ونيابة السلطنة بالقدس الشريف .

ذكر السخاوى أنه « لما بنى الأمير حسن الكشكلى مدرسة بالمسجد الأقصى بعد سنة خمس وثلاثين وثمانمائة » قرر ابن أبى الوفاء شيخا لمدرسته هذه ، فتولى مشيختها ، والتدريس فيها ، وسكن فيها كذلك (الضوء اللامع ١١ / ٨٥) وقد قرره فيها فى سنة ٨٣٨ هـ ، أو بعد ذلك فى أغلب الظن .

وأما شيخها هذا ، فهو الشيخ تقى الدين أبو بكر بن محمد بن على بن أحمد ... الحسينى المقدسى الشافعى الوفائى المعروف بابن أبى الوفاء ، وهو مقدسى المولد والنشأة ، فقد ولد فى بيت المقدس فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وقيل ٧٩٣ هـ ونشأ ، وتلقى تعليمه فيه ، فقرأ القرآن ، وتلاه تجويدا ، وممن قرأ عليهم شمس الدين الجزرى شيخ الصلاحية آنذاك . وسمع الحديث على عدد من العلماء من أمثال شمس الدين الجزرى ، وشمس الدين القلقشندى ، وشمس الدين الديرى ، وغيرهم . ومما سمعه صحيح مسلم ، وغيره من كتب الحديث .

ودرس الفقه ، فحفظ كتبا فيه ، مثل كتاب « المنهاج » للإمام محيى الدين النووى ، وكتاب « التنبيه » فى فروع الشافعية للشيخ أبى إسحاق الشيرازى . ثم بحث فى الكتابين



بوابة المدرسة الحسنية

المذكورين على زين الدين عبد المؤمن الحلبي ، وشهاب الدين بن الهائم ، فقد بحث في المنهاج على أولهما ، وبحث في التنبيه على ثانيهما .

ودرس العربية ، فقد حفظ كتبا فيها مثل كتاب « ملحة الإعراب » للحريري . وبعض ألفية النحو لابن مالك . وبحث في النحو على شهاب الدين بن الهائم في هذين الكتابين ، كما بحث عليه كتاب « السماط » في النحو . وهو كتاب صنفه ابن الهائم نفسه .

وسلك طريق التصوف ، وأخذه عن عدد من المتصوفة من أمثال والده . وزين الدين الحافي الحنفي ، وعبد الهادي بن عبد الله البسطامي ، (وهو تقي الدين أو زين الدين عبد الهادي بن عبد الله بن خليل الأسد آبادي الأصل ، المقدسي ، نزيل القاهرة ، ويعرف كأبيه بالبسطامي .

نشأ في بيت المقدس ، وأخذ عن عدد من العلماء فيها ، فقد سمع الحديث ورحل ، ورافق ابن حجر العسقلاني في السماع . قدم القاهرة ، واجتمع عليه فيها أتباع أبيه . استوطن القاهرة .

وذكر السخاوي أنه سمع من نظم البسطامي هذا في بيت المقدس ، وأنه رافقه في بعض السماع على بعض المشايخ ، توفي في سنة ٨٣٩ هـ ، ولم يبلغ الثلاثين من عمره .

انظر : الضوء اللامع ٥ / ٩١ ـ ٩٢) ، كما درس طريق التصوف أيضا على يوسف الصفدي (وهو الشيخ يوسف بن إبراهيم بن أحمد الصفدي . ذكر السخاوي أنه كان شيخا حسنا معتقدا ، وله كلام على طريقة الصوفية) وعلى غيرهم . وقرأ كتبا في التصوف ، فقد قرأ كتاب « آداب المريدين » للشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ، على زين الدين الحافي ، وقرأ في كتاب « إحياء علوم الدين » للغزالي ، على برهان الدين المزي ، وباحثه فيه . وقرأ غالبه ثانية على يوسف الصفدي . وقرأ كتبا أخرى مثل كتاب « عوارف المعارف » لشهاب الدين عمر بن عبد الله السهروردي ، وكتاب « شمس المعارف » للشيخ أحمد البوني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ .

(وهو تقي الدين أحمد بن علي بن يوسف البوني القرشي ، متصوف ، مغربي الأصل ، وينسب إلى بونة بالمغرب . توفي بالقاهرة . وله مصنفات كثيرة) .

وكتاب « اللباب » ، وهو لباب إحياء علوم الدين للشيخ أحمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ ، وغيرها . وقد قرأ هذه الكتب كلها على الشيخ يوسف الصفدي ، في بيت المقدس . وذكر أن ابن أبي الوفاء أراد قراءة كتب ابن عربي ، فاستشار شيخه يوسف الصفدي فأشار عليه بعدم قراءتها ، ثم استشار شيخه زين الدين الحافي ، فوافق الحافي ما ذهب إليه الصفدي ... وصار ابن أبي الوفاء شيخ الصوفية في بيت المقدس ، ووصف بأنه « أمثل المتصوفة » في زمانه وقد «انتهت إليه رياسة الفقراء بالقدس الشريف » ، وكان شيخ الوفائية فيها .

ورحل ابن أبي الوفاء إلى بلاد عديدة ، طالبا العلم ، فقد توجه إلى الخليل ، والشام ، وحلب ، وبعلبك ، والقاهرة ، وسمع في كل منها .

هكذا كان ابن أبي الوفاء من كبار العلماء في بيت المقدس عندما تولى مشيخة المدرسة الحسنية هذه ، ولا شك أنه أقرأ فيها في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتصوف وقد عني بالفقة ، والحديث ، والتصوف عناية كبيرة ، ودرس كتبا في كل موضوع من هذه الموضوعات ، ولعله درس الكتب التي كان معنيا بها في دراسته ، وأخذ عنه العديدون من طالبي العلم ، فقد ذكر السخاوي أنه قد « أخذ عنه جماعة من أهل بلده ، والقادمين إليها » . وقد اجتمع به السخاوي نفسه ، وأخذ عنه جزءا ، وأملى عليه نسبه وكان ابن أبي الوفاء صاحب قدرة على إبداء ما في نفسه بعبارة حسنة ، غالبا سجع .

وقد استمر ابن أبي الوفاء مشتغلا بالتدريس والتصوف ، في بيت المقدس ، إلى أن توفي في سنة ٨٥٩ هـ .

ومن الجدير بالإشارة أن ابن أبي الوفاء ، لم يقتصر دوره على المجال الفكري ، فقد كان المرجع إليه في الأمور المعضلة في القدس وبلادها ، وقد عمل على « تخليص المظالم من النواب وسائر الظلمة » ، وكان يحظى بمكانة كبيرة عند الملوك وغيرهم . واشتهر ابن أبي الوفاء ، فكان «شيخ القدس ، ومقصد زواره ، وملجأ ذوي الضرورات فيه ، وصار له أتباع ومريدون ، وزوايا ، وخلفاء في كل بلد » .

ثم خلفه في مشيخة هذه المدرسة ابنه تاج الدين أبو الوفا محمد ، فقد ذكر السخاوي أن تاج الدين « خلف أباه في

المشيخة ببيت المقدس ، فصار شيخ الزاوية الوفائية ، والمدرسة الحسنية .

وكان تاج الدين قد أقام بالقاهرة ، وأخذ فيها عن المناوى، وحصل على إذن منه .

وذكر السخاوى أن تاج الدين سمع معه ومع غيره فى بيت المقدس ، على عدد من العلماء ، ومنهم والده . وتقى الدين القلقشندى ، وغيرهما . وأضاف السخاوى أنه اجتمع وتاج الدين بالقاهرة .

وقد أصبح إماما عالما ، وقد صنف فى التصوف ، ونظم شعرا .

ولا شك أن تاج الدين درَّس الفقه ، والتصوف ، وغيرهما بالمدرسة الحسنية . واستمر كذلك إلى أن توفى فى سنة ٨٩١ هـ عن عمر يبلغ خمسين عاما (المدارس فى بيت المقدس / ١٢٤ ـ ١٢٧) .

نلاحظ من هذا أن المدرسة الحسنية عاشت فترة طويلة ربما قاربت أربعة قرون . لكنها بعد ذلك درست كغيرها وتحولت إلى دار سكن (يقطنها جماعة من آل البديرى) وفى هذا القرن الأخير ضم قسم من مبناها إلى المدرسة المنجكية لتصبح المدرستان مقرا للمجلس الإسلامى الأعلى ثم من بعده مقرا لرئيس الهيئة العلمية الإسلامية ودائرة الأوقاف فى القدس ومفتى القدس أما القسم الآخر فهو دار سكن (معاهد العلم فى بيت المقدس / ٢١٥ والمدارس فى بيت المقدس / ١٢٩) .

واستمرت المدرسة الحسنية تقوم بدورها فى الحركة الفكرية حتى أواخر العصر المملوكى ، بل استمرت تقوم به بعد ذلك ، فقد ذكر أنه تولى مشيختها بعض العلماء فى القرن الثانى الهجرى (المدارس فى بيت المقدس ٢ / ١٢٩) .

ويورد الدكتور كامل جميل العسلى نص وقفية المدرسة فيقول :

وفيما يلى نص وقفية المدرسة ما وجدناها فى سجل الأراضى باستانبول رقم ٥٢٢ ص ١٨ :

وقف مدرسة حسام الدين محمد الحسن بن ناصرى محمد بالقدس الشريف .

الشروط بعد العمارة :

الشيخ وشروطه الإمامة بالمدرسة ... لتلقين كتاب الله . له خبز كل يوم بالرطل القدسى رطل ومن الدبس فى كل شهر رطل ونصف وعليه أن يحضر بعد صلاة العصر وظيفة التصوف وصحبته الفقراء القاطنون بالخلاوى وغيرهم عشر فقراء أفاقية لكل واحد منهم باليوم ربع رطل خبز وثلث درهم وعشر [وعشرة] أنفار صوفية لكل واحد منهم خبز فى اليوم نصف رطل أحدهم خادم وهو الفراش له فى الشهر ثلاثون درهم والآخر بواب له فى الشهر ثلاثون درهما والثالث [فقيه] للأيتام له فى الشهر ثلاثون درهما وعدة الأيتام عشرة من أيتام المسلمين [يقرأون] فى القبة فى الجدار القبلى لكل منهم ربع رطل خبز وفى كل شهر سبع [سبعة] دراهم ونصف يلقن القاطنين والقاصرين ما يتيسر له تلقينهم من كتاب الله تعالى فى اليوم خبز نصف رطل فى الشهر ثلاثون درهما ، للشعالة فى الشهر ثلاثون درهما ...

الناظر علوفته فى الشهر مائة درهم وهو شيخ المدرسة المذكورة بمشاركة شيخ الصلاحية . وعلى شيخ المدرسة المذكورة ومن معه من الفقراء الأفاقية والصوفية والشايل والعامل وكاتب الغيبة والأيتام ومؤدبهم والمعيدين يجتمعون صبح كل جمعة من كل أسبوع بالمدرسة المذكورة ويقرأون سورة الكهف ويس والواقعة وتبارك ويختمون قراءتهم بالدعاء ...

ويهدون ذلك للواقف ثم شرط الواقف أربعة من حفاظ كتاب الله تعالى يقرأون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب برواق باب الناظر ويهدون ثواب ذلك للواقف وزوجاته وأخيه . ويصرف لرئيس القراء فى كل شهر تسع [تسعة] دراهم وللثلاثة الباقين أحد وعشرون درهما ويصرف أيضا لكل نفر من الأفاقية فى كل يوم أوقية واحدة من الخبز ويزاد على ما عين له فى كل شهر عشرون درهما . وشرط على البواب الاستقاء على الصهريج بالمدرسة و ... المسقاة منها وتنظيفها وتنوير القناديل بباب المدرسة والدركاة والمستوضأ بما له من المعلوم المقرر له وشرط أن يقبض من معلوم المصدر شيخ

الأفاقية فى كل شهر خمسة عشر درهما ويصرف له بقية المعلوم وهو خمسة عشر درهما مع ما له من ... المقرر فإن تعذر الصرف المذكور أولا وآخرا قدم العمارة ثم جراية المستحقين ... التنور ومعلوم مؤدب الأيتام والفقراء الأفاقية والبواب ...

فإن فضل بعد ذلك شيء صرف من الناظر فى موسمى رجب وشعبان فى كل سنة ثمن حلو لتفرقته بالمدرسة وفى عيدى الفطر والأضحى وطعام يفرق بالمدرسة فى كل سنة مايتا درهم ، فإن تعذر الصرف إلى من عينه أولا وآخرا يصرف على الفقراء والمساكين بالقدس الشريف على ما يراه الناظر .

تاريخ الوقفية ٩٣٨ ؟

قرية	قرية	قرية
دير دبوان تابع	كفر طوبى تابع	عنب تابع
قدس	قدس	قدس شريف
١٢ ط (= قيراط)	٨ ط	١٦ ط
قرية	مزرعة	قرية ؟
... تابع	مالحة الكبرى	تابع خليل
قدس	تابع قدس	١٢ ط
٦ ط	تماما	

(معاهد العلم فى بيت المقدس / ٢١٥ ، ٢١٦) .

(المدارس فى بيت المقدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى - د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ١٢٤ - ١٢٩ ، ومعاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٢١٥ ، ٢١٦) .

* **حسونة النواوى (١٢٥٥ - ١٣٤٣) هـ :**

فضيلة الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى الشيخ الثالث والعشرون من شيوخ الأزهر الشريف .

ولد بقرية (نواى) من أعمال ملوى محافظة أسيوط سنة ١٢٥٥ هـ وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر وحضر دروسه على العلماء الكبار كالشيخ الانبابى والشيخ البحرى والشيخ الأسيوطى وعمل أستاذا بدار العلوم ومدرسة الحقوق ثم ألف كتابا هاما هو سلم المسترشدين فى أحكام الفقه والدين أوضح فيه المشكلات الفقهية وتقرر تدريسه بكل المدارس

ولما مرض الشيخ الانبابى انتدب للقيام بشئون الأزهر سنة ١٣١١ هـ وعين فى لجنة خماسية كان من أعضائها الشيخ محمد عبده والشيخ سليمان العبد والشيخ أبو الفضل الجيزاوى للبحث فى إصلاح الأزهر سنة ١٣١٢ ثم عين شيخا للأزهر سنة ١٣١٣ هـ ثم أخذ الإفتاء أيضاء سنة ١٣١٥ وانتخب عضوا فى المجلس العالى بالمحكمة الشرعية إلى أن عزل من مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧ هـ وتولاها ابن عمه (الشيخ عبد الرحمن النواوى) لأنه عارض إصلاح المحاكم الشرعية ... وعرض على مجلس شورى القوانين اقتراح بندب قاضيين مدنيين من محكمة الاستئناف الأهلية ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا فى الحكم فوقف ضد هذا الاقتراح وأشيع أن الحكومة تريد هدم الشريعة وحاول الخديوى أن يقنع الشيخ بقبول هذا الاقتراح فرفض فتم عزله وبعد محاولة تعيين نحو ستة فى منصب المشيخة لم يستقروا فى المنصب عاد الشيخ حسونة إلى مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٤ هـ لكنه آثر ترك المنصب بعد قليل لاختلاف الأحوال واستقال سنة ١٣٢٧ هـ حتى لقى ربه سنة ١٣٤٣ هـ .

وفى عهده صدر قانون شامل بإصلاح الأزهر نظمت بمقتضاه إدارته وأجهزته ، وفى عهده أيضا تم جمع مكتبات الأزهر والمساجد الأخرى فى مكتبة واحدة وساعده الشيخ محمد عبده فى كل محاولات الإصلاح .

من مصنفاته :

- غير كتاب « سلم المسترشدين » الذى سبقت الإشارة إليه .
- قانون تنظيم الأزهر .

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ٢٨ ، ٢٩ انظر أيضا أعيان القرن الرابع عشر الهجرى لأحمد تيمور / ٤٣ - ٤٩) .

* **الحسيب :**

الحسيب من أسماء الله الحسنى (انظر هذه المادة فى م ٤ / ٤٧١ - ٤٨١) ويشرحه حجة الإسلام الغزالى فيقول :

هو الكافى ، وهو الذى من كان له حسبه ، والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه .

وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره ؛ فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفى لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده .

وليس فى الوجود شىء هو وحده كاف لشىء إلا الله تعالى ؛ فإنه وحده كاف لكل شىء لا لبعض الأشياء ... أى هو وحده كاف يتحصل به وجود الأشياء ، ويدوم به وجودها ، ويكمل به وجودها .

ولاتظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس وغير ذلك ـــ فقد احتجت إلى غيره ولم يكن هو حسبك ؛ فإنه هو الذى كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماء ... فهو حسبك .

ولا تظنن أن الطفل الذى يحتاج إلى أمه ترضعه وتتعهده ـ فليس الله حسيبه وكافيه ؛ بل الله كفاه إذ خلق أمه ، وخلق اللبن فى ثديها ، وخلق له الهداية إلى التقامه ، وخلق الشفقة والمودة فى قلب الأم حتى مكنته من الالتقام ودعته إليه وحملته عليه . فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب ، والله وحده هو المنفرد بخلقها لأجله .

ولو قيل لك : إن الأم وحدها كافية للطفل وهى حسبه ـ لصدقت به ولم تقل : إنها لا تكفيه لأنه يحتاج إلى اللبن ، فمن أين تكفيه الأم إذا لم يكن لبن ؟ ولكنك تقول : نعم يحتاج إلى اللبن ولكن اللبن أيضا من الأم فليس محتاجا إلى غير الأم . فاعلم أن اللبن ليس من الأم ، بل هو والأم من الله ومن فضله وجوده .

فهو وحده حسب كل أحد ، وليس فى الوجود شىء وحده هو حسب شىء سواه ، بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى .

تنبيه : ليس للعبد مدخل فى هذا الوصف إلا بنوع من المجاز بعيد وبالإضافة إلى بادئ الرأى وسابق الظن العامى .

أما كونه مجازا : فهو أنه إن كان كافيا لطفله فى القيام بتعهده أو لتلميذه فى تعليمه حتى لم يفتقر إلى الاستعانة بغيره ـ كان واسطة فى الكفاية ولم يكن كافيا ؛ لأن الله تعالى هو الكافى ؛ إذ لا قوام له بنفسه ، ولا كفاية له بنفسه ... فكيف يكون هو كفاية غيره ؟

وأما كونه بالإضافة إلى سابق الظن : فهو أنه وإن قدر أنه مستقل بالكفاية وليس بواسطة فهو وحده لا يكفى إذ يحتاج إلى محل قابل لفعله وكفايته . هذا أقل الأمور . فالقلب الذى هو محل العلم لا بد منه أولا ليكون هو كافيا فى التعليم . والمعدة التى هى مستقر الطعام لا بد منها ليكون هو كافيا بإيصال الطعام إلى بدنه . هذا مع ما يحتاج إليه من أمور كثيرة لا يحصيها ولا يدخل شىء منها فى اختياره . وأقل درجات الفعل حاجته إلى فاعل وقابل ، فالفاعل لا يكون دون القابل أصلا ، وإنما صح هذا فى حق الله تعالى لأنه خالق الفعل وخالق المحل القابل وخالق شرائط قبوله وما يكتنفه .

ولكن بادى الرأى ربما سبق إلى الفاعل ويخطر بالبال غيره فينظر أن الفاعل حسبه وحده وليس كذلك .

نعم الحظ الذى منه للعبد أن يكون الله وحده حسبه بالإضافة إلى همته وإرادته وهو أنه لا يريد إلا الله ولا يريد الجنة ولا يشغل قلبه بالنار ليحذر منها ، بل يكون مستغرق الهم بالله وحده . وإذا كاشفه بجلاله قال : ذلك حسبى فلست أريد غيره ولا أبالى فإننى غيره أو لم يفت (المقصد الأسنى / ١٠٢ ، ١٠٣) .

أما الإمام الفخر الرازى فيقول فى تفسير اسمه تعالى «الحسيب» :

قال تعالى : ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ [النساء : ٦] وفى تفسيره وجوه .

الأول : أنه الكافى فعيل بمعنى مفعل ، كقولك أليم بمعنى مؤلم ، تقوله العرب نزلت بفلان فأكرمنى ، وأحسبنى أى أعطانى ما كفانى ، حتى قلت حسبى ومنه قوله تعالى ﴿يأيها النبى حسبك الله ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

واعلم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالله ، فإنه ليس فى الوجود إلا هو ومخلوقاته ؛ فكل كفاية حصلت فإنما حصلت إما به أو بشىء من مخلوقاته ؛ وكل كفاية حصلت بمخلوقاته فهى فى الحقيقة إنما حصلت به . لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى خلقها وأعدها لجهات الحاجات وإلا لما حصلت تلك الكفاية ، وكان الكافى فى الحقيقة هو الله .

فإن قيل : فإذا كان الكافى هو الله سبحانه وتعالى . فلم قال : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾

[الأنفال : ٦٤] ؟ فإذا كان هو كافيا فأى حاجة إلى من اتبعه من المؤمنين .

قلنا : نقل عن ابن عباس أنه قال : معنى الآية الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين : وهو تفسير حسن .

الوجه الثانى : أن الحسيب بمعنى المحاسب كالنديم بمعنى المنادم . والجليس بمعنى المجالس . قال تعالى : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ [الإسراء : ١٤] أى محاسبا . فإن الله تعالى يحاسب خلقه يوم القيامة قال عليه الصلاه والسلام : « إن الله تعالى يدخل الجنة سبعين ألفا من هذه الأمة بغير حساب وإن عكاشة منهم ، وإن كل واحد يشفع فى سبعين ألفا » .

ومنهم من يحاسبه حسابا يسيرا وهم المؤمنون الصالحون ومصيرهم إلى نعيم أبدى لا يزول . ومنهم من يحاسبه حسابا شديدا على النقير والقطمير وهم الكفار المجرمون ؛ فيكون مرجعهم إلى الجحيم .

واعلم أن محاسبة الله للعبيد تذكيرهم بما عملوا فى الدنيا من الحسنات والسيئات وتعريف جزاء أعمالهم من الثواب والعقاب . فيرجع ذلك أيضا إلى صفات الفعل .

الوجه الثالث : أن الحسيب بمعنى الشريف . والحسب الشرف . والحسيب الشريف الذى له خصال الشرف ، فعلى هذا الحسب لله بمعنى أن صفات المجد والشرف ونعوت الكمال والجلال ليست إلا لـه (يأتى الكلام على لقب الحسيب فيما بعد)

وأما حظ العبد : فإن فسرناه بالكافى فهو أن يجتهد العبد فى أن يصير سببا فى الظاهر لكفاية حاجات المحتاجين . وإن فسرناه بالمحاسب فنصيب العبد منه ما قاله عليه الصلاة والسلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وإن فسرناه بالشرف فشرف العبد ليس إلا فى معرفة الله وطاعته .

وأما المشايخ فقالوا : الحسيب من يعد عليك أنفاسك . ويصرف بفضله عنك بأسك .

وقيل الحسيب الذى يرجى خيره ، ويؤمن شره .

وقيل : هو الذى يكفى بفضله ، ويصرف الآفات بطوله .

وقيل : هو الذى إذا رفعت إليه الحوائج قضاها . وإذا حكم بقضية أبرمها وأمضاها (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٦٨ - ٢٧٠) .

والحسيب من الحسب ، والحسب : الكرم والشرف الثابت فى الآباء وقيل هو الشرف فى الفعل وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة . ولو أن البعض يقرر أن الحسب قد يكون فى الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف . وهذا اللقب فخرى يطلق على الشرفاء من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها والحسيبى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٠٦) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٢ ، ١٠٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازى ، وهو الكتاب المسمى « لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٦٨ - ٢٧٠ ، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٠٦ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ١٣ ولسان العرب مادة « حسب ») .

*** ابن الحسين :**

من علماء المسلمين فى الرياضيات وهو « أبو جعفر محمد بن الحسين » ظهر فى القرن الحادى عشر للميلاد ، اشتغل بالرياضيات وكان له فيها ولع خاص .

كتب بعض رسائل فى : « خواص المثلث القائم الزاوية » .

وفى « كيفية إيجاد الوسط التناسبى بين خطين معلومين بطرق هندسية » .

وكذلك حل المعادلة الآتية :

$$س^{٢} ± حـ = ص^{٢}$$

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٣٤٠) .

*** حسين الأجميرى (الأمير -) (- ٦٠٧ هـ) :**

الأمير حسين الأجميرى ، عربى من السادة الحسينية ، أحد أمراء العرب فى الهند .

الأميـر السيـد الشـريـف حسين بن أبى عبـد الله الحسينى المشهدى ـ أحـد الرجال المعروفين بـالفضل والصلاح ، ولاه السلطان شهاب الدين الغورى أميرا على بلدة (أجمير) حين ملكها فلم يـزل بها إلى أن مات ، وأسلم على يـده خلق كثير من الـوثنيين فسخط عليه عبـاد الأصنام وقتلوه ، وكـان يحب العلمـاء والصلحـاء وخـاصـة الشيـخ معين الـدين حسن السجزى ، وكان صاحبه مدة حيـاته بتلك المدينة وكان يلقب (جنك سوار) معناه راكب الفرس .

قتل فى عـاشـر رجب سنـة سبع وستمائة كمـا فى كتـاب أخبار الأصفياء .

(ملوك وأمـراء العرب فى شبـه القارة الهنـدية ـ يونس الشيخ إبـراهيم السامرائى / ٥١) .

* **أبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب (ـ ٣٥٠ هـ) :**

من أهل أصبهـان وفضلائهـا ، ومن أصحاب الـرسائل ، وكان معاصرا لحمزة بن الحسن الأصبهانى ، وله من الكتب : كتاب الاختيـار من الرسائل ، لم يسبق إلى مثله ، كتـاب فقر البلغـاء ، كتـاب الحلى والثيـاب ، كتـاب المنطق ، كتـاب الهجـاء ، وتـوفى سنـة ٣٥٠ هـ ، وكـان بين حمـزة وبينـه محادثات شفوية . (راجع مقدمة ديوان أبى نواس / ١٧ والتنبيه على حدوث التصحيف / ١٦٨) .

(الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهانى ـ حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش ١ / ١٦) .

* **حسين باشا البلغرادى (٩٥٨ ـ ١٠٢٣ هـ) :**

من شعراء البوسنة حماها الله . قال عنه الخانجى :

(حسين باشا البلغرادى) ترجمه صاحب (خلاصة الأثر) فقال : حسين باشا بن رستم المعـروف بـ (باشا زاده الرومى) نزيل مصـر ، واحد الدهـر على الإطلاق المحقق الفهـامة ، ورأس الفضلاء فى وقته ، رأيت خبره فـى كثير من التحريرات والمجـاميع وذكـره الشيخ مـديـن القـوصـونى ، وقـال ـ فى ترجمته : مولده ببلغراد فى يـوم الأربعاء ثانى عشر شوال وكان ذلك فى أوائل فصـل الخـريف من سنـة ثمـان وخمسين وتسعمـائة وقـدم إلى مصـر فى سنة سبع وسبعين وتسعمـائة وحج منها إلى بيت الله الحـرام ، ثم رجع إلى البلاد الـرومية ، وعاد إلى مصر ثانيا وأقام بها ، وكان والده من موالى السلطان سليمـان ، ثم إنه لم يـزل ينتقل فى الولايـات حتى صار أميـر الأمراء بـ « طمشوار » و « بودين » وكانت وفاته بها .

وأما والدته فهى بنت إياس باشا الذى كان رأس الوزراء فى دولـة السلطان سليم ، وكـان من موالـى السلطان بـايزيـد بن محمـد ، وأخذ صـاحـب التـرجمـة من جماعـة من المـوالى العظام بالديار الرومية منهم :

المـولى يحيى الـذى كان متقـاعـدا عن إحدى المـدارس الثمـان ، وكان أخـا للسلطـان سليمـان من الـرضاع ، وكـان السلطان المـذكور يعظمـه ويزوره أحيـانا ، ويقبل شفـاعته ، ومنهم :

المولى عبد الغنى ، ومنهم :

المولى محمد بن بستان المفتى ، ومنهم :

المولى فضيل بن المفتى علاء الدين الحمالى ، ومنهم :

المولى محمد بن أخى ، ومنهم :

المولى أبو السعود المفتى العمادى صاحب التفسير .

وصار ملازما بمـدرسة السلطان سليم الأول بقسطنطينية ، ثم ترك ذلك وعزم على الإقامة بمصر ، وطلب من السلطان أن يعين له من بيت المال ما يكفيه هو ومن معه من العيال ، من الدراهم والغـلال ، فعين له ذلك ، ثم قدم إلى مصـر ، وأقام بهـا بالعـزة والاحترام مع الإحسـان والشفاعـات فى العلوفـات والجرايات للخاص والعام ، وأنشأ بيتا متسعا مطلا على «بركة الفيل » (مكـان بالقاهـرة لا زال يحمل هذا الاسم قـريب من حى السيـدة زينب) ، جعلـه محـلا للجلوس فيـه للـواردين عليه .

قـال صـاحـب الخـلاصة : ورأيت لـه تـرجمـة فى بعض المجاميع وأظنها من إنشاء بعض المصريين قال فيه ـ بعد ذكر اسمه وشهـرته : غـرة جبهة الـزمان ، وواسطـة عقد الفضـائل المزدى بعقود الجمـان ، جر على هامة المجـرة ذيله ، وأنار بقمر فضله ليله ، فأصبح وهو عزيز مصره ، والفاخر ذو التاج المحجب فى قصره ، أجـرى بمصر نيله ، فأخجل نيلهـا وما زال مانح الفضائل والفواصل ومنيلها .

وأما أدبـه : فمادة البراعـة والإحسان ، القاصـر عن نظمه ونثـره سحبان ، ومـا بـرحت كواكب فضلـه مشـرقة لائحـة ، وسواكـب أفضالـه غادية ورائحـة ، حتى وافته بـأجله وفـاته ، وعفت آثاره وبكت عليه عفاته .

قال المحبى : وأثبت له من شعره مـا كتب به إلى القاضى محمد بن دراز المكى قوله :

علـى ألمعى شـــاقنى بخيــالــــه
ســلام يحـاكى منــه طيب خصـالـــه
عشقت ومــا أبصــرتـــه غيـــر أننى
سمعت من الحـاكين وصف كمـــالــه

وكتب إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدى :

عنـدى لـودك ـــ فـاعلم ـــ ذاك ميثـاق
وللتملـى بمـــــرأى منك أشتــــاق
وللحلـــول بـأرض أنت ســاكنهـــا
قلبى بحــادى الشـــوق ينســـاق

وقال المحبى : وظفرت له بقصيدة أثبتها له فى ترجمته فى كتابى « النفحة » (اسمه نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة » زيل بها على » ريحانة الألباء » للشهاب الخفاجى) ومطلعها :

أراك تـــــروم المجـــد ثم تســاهـل
وزاملـــة العمـــر اليسيـــر تنـــاقـل

وهى قصيـدة لا بأس بهـا ، فـارجع إليهـا فـى الكتـاب المذكـور ، وكانـت وفاته بمصـر فى آخر يـوم الجمعة ثـالث رجب سنة ثلاث وعشرين وألف ودفـن يوم السبت بالقرب من قبر القاضى بكار رحمه الله تعالى ا هـ .

وقال المحبى ــ فى النفحة (ونقلنـاه من نسخة مخطـوطة منها) : حسين بن رستم المعروف بـ « بـاشا زاده » نزيل مصر صنديد بطل . ومنطيق غير ذى خطأ أو خطل ، نهجه مستقيم والدهـر بمثله عقيـم ، بِشِيَم اقتضاهـا جده وأورثـه أياهـا أبوه وجده ، ومفخرة يتـوشح بردائها ، ومأثرة يتـرشح لابتدائها إلى أخـلاق ألطف من نعمـة الـوصال ، وأرق من نسمـة الشمـال تهديها البكور والآصال ... إلخ .

وله أخبار نشرت أعلام إفـادتها فى كل نادى ، وأشعار لها لفصاحتهـا عند قس الإيادى أيـادى ، فمنها قولـه من قصيـدة كتب بها إلى « المفتى سعد الدين » يمدحه بها ومطلعها :

أراك تـــــروم المجـــد ثم تســاهـل
وزاملـــة العمـــر اليسيـــر تنـــاقـل
ونفسك زادت زمعهـــا لا نــــزوعهـــا
وتغفـل عمـــــا خلفتـك الأوائل

(المختـار من الجـوهـر الأسنى فـى تـراجم علمـاء وشعـراء بـوسنـة للخـانجى هـدية مجلـة الأزهر . ذو الحجـة ١٤١٢ هـ / ١٠٨ ــ ١١٢ ــ رئيس التحرير د . على أحمد الخطيب وقـد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص) .

*** حسين باشا (جامع ـ) (١٢٨٨ هـ) :**

قال عنه على مبارك :

هذا المسجد داخل حارة شق الثعبان بين مسجد الخلوتى ومسجد رحبة عابديـن ، وكان يعرف أولا بمسجد القمرى . . ولمـا وهى جدده الأميـر حسين باشـا أبو أصبع فنسب إليـه ، وجاء فى غاية الحسن والبهجة ، وبه أربعة أعمدة من الرخام ، وبـه منبـر جميل ودكـة ، وأرضـه مبلطـة بـالحجـر ، وسقفـه بالخشب النقى ، وبأعـلاه قبة من الزجاج الملـون ، ومكتوب على بـابه تـاريخ إنشائه سنـة ثمـان وثمانين ومـائتين وألف . ومنافعه تامة وشعائره مقامة من أوقافه اهـ .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) .

*** أبو الحسين البصرى (ــ ٤٣٦ هـ / ــ ١٠٤٤ م) :**

محمد بن علـى الطيب ، أبو الحسين ، البصـرى ، أحد أئمة المعتـزلة ولـد فى البصرة وسكن بغـداد وتوفى بهـا . قال الخطيب البغدادى : « لـه تصانيف وشهـرة بالذكـاء والديـانة على بدعتـه » من كتبه « المعتمـد فى أصول الفقـه » جزءان ، و«تصفح الأدلــة » ، و « غــرر الأدلـة » و « شــرح الأصـــول الخمسة» كلهـا فى الأصول ، وكتاب فى « الإمامـة » و « شرح أسماء الطبيعى » .

(الأعلام للزركلى ٦ / ٢٧٥ ، وانظر مصادره فى هامش ٣) .

*** حسين بك آلاى بكى زاده (ـ ١١٠٢ هـ) :**

من شعراء البوسنة حماها الله . قال عنه الخانجى :

حسين بك آلاى بكى زاده المتخلص بـ « ميرى » وسمـاه محمد طاهر باسم حسين . أصله من بوسنة ، وولد فى بلـدة

« بودين » وسلك طريق التعلم ، فأخذ عن علماء استانبول وجد واجتهد إلى أن صار مدرسا ، فدرس فى مدارس عديدة وكان مدرسا فى مدينة « سراى » وبها توفى سنة اثنتين ومائة وألف ، وكان لعلمه وحسن سيرته محترما بين الأكابر والأصاغر ، وكان شاعرا ماهرا باللغة التركية له أشعار كثيرة مدونة فى ديوان مستقل ، وذكر « شيخى زاده » منها مثالا .

(المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنة للخانجى . هدية مجلة الأزهر . ذو الحجة ١٤١٢ هـ ـ رئيس التحرير د. على أحمد الخطيب / ١١٤) .

*** أم حسين بك (سبيل ـ) (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) :**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه :

هو بشارع جامع البنات بين قنطرة الموسكى وقنطرة الأمير حسين . أنشأته المرحومة والدة حسين بيك نجل العزيز محمد على فى سنة سبعين ومائتين وألف ، وهو فى غاية الحسن أرضه مفروشة بالرخام وواجهته من الرخام أيضا وبه ثلاث مزملات بشبابيك نحاس أصفر وعلى بابه هذه الأبيات :

لأم حسين شهرة بمحاسن
من الخير ذكراها تدوم مدى الدهر
لقد أنفقت فيها احتسابا وأخلفت
فيارب نولها الكثير من البر
على باب خير جاء تاريخه سنا
بها حسنات أجرها سرمدا برى

وهو عامر إلى الآن ويصرف عليه من ريع وقفه بمعرفة ديوان الأوقاف اهـ . (الخطط التوفيقية الجديدة ٣ / ٧٦ و ٦ / ١٦٩)

وقد أورده الأستاذ جمال الغيطانى فى قائمة أسبلة القاهرة كما هى اليوم فقال إنه يقع بشارع بين النهدين أمام مسجد عبد الغنى الفخرى (قاهريات / ٣٦) .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٣ / ٧٦ و ٦ / ١٦٩) وقاهريات ـ جمال الغيطانى . مكتبة مدبولى . القاهرة ١٩٨٤ / ٣٦) .

*** أم حسين بك (سبيل ـ) (١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م) :**

يقول الأستاذ جمال الغيطانى إن هذا السبيل وسبيل أم عباس الذى يقع بشارع الصليبة هما آخر سبيلين تم بناؤهما فى القاهرة وإنه يقع فى نهاية شارع الجمهورية قرب نهايته من ناحية ميدان رمسيس ، أنشىء عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م ، وبعده لم يقم فى القاهرة سبيل آخر .

كما أورده فى قائمة أسبلة القاهرة كما هى اليوم وقال عنه إنه يقع بالقرب من ميدان رمسيس (أولاد عنان) وإنه يمتاز عن الأسبلة الأخرى برشاقة عمده وانسجامها مع الكتَّاب الذى يعلوه وبجمال نقوشه .

(قاهريات ـ جمال الغيطانى / ٢٨ ، ٣٧) .

*** حسين البكرامى [البلكرامى] (الأمير ـ) (١٢٦٠ ـ ١٣٤٤ هـ) :**

عربى من السادة الحسينية فى شبه القارة الهندية .

الأمير الفاضل السيد حسين بن كرامة حسين الحسينى الواسطى البلكرامى أحد مشاهير الهند .

ولد بمدينة « كيا » بفتح الكاف سنة ١٢٦٠ هـ وطلب من صغر سنه وقرأ العلوم العربية مدة ثم دخل المدرسة الإنكليزية بمدينة (بهاكلبور) ثم فى المدرسة الإنكليزية بمدينة (عظيم آباد) وحصل على شهادتها بامتياز سنة ١٢٨٠ هـ فأراد والده أن يوظفه فى الوظائف الحكومية ولم يرض بها لاشتغاله بالعلم فتولى التدريس فى « المدرسة الكلية » بمدينة « لكهنو » مع إكبابه على مطالعة الكتب وحفظ نوادرها . وتعلم العلوم العربية ، ولم يزل مجدا فى ذلك حتى اشتهر فضله فى العلم مع معرفته اللغتين العربية والإنكليزية . وطار صيته فى الآفاق فاستقدمه ، نواب متخار الملك الوزير الكبير إلى حيدر آباد وقربه إلى نفسه ورقاه درجة بعد درجة حتى صار سكرتيرا لصاحب الدكن وناظرا على المدارس كلها ، وفى سنة ١٣٠١ هـ لقبه بـ « عماد الدولة » وفى سنة ١٣٠٤ هـ لقبه بـ « عماد الملك » حتى أحيل على التقاعد .

وسافر إلى لندن وصار عضوا خاصا فى مجلس وزير الهند فأقام بها مدة ثم رجع إلى حيدر آباد وسكن بها ، ولما ولى الوزارة بحيدر آباد « يوسف على بن لائق على بن مختار الملك » جعله مستشارا للوزير وبقى بهذا المنصب نحو سنتين ثم اعتزل عنها .

وتفرغ لترجمة القرآن الكريم إلى الإنكليزية ، وخلال ذلك ضعف بصره وانحرفت صحته فلم يكمل منها إلا ستة عشر جزءا ، توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة ١٣٤٤ هـ .

كان السيد حسين نادرة عصره فى معرفة اللغات العربية

والإنكليزية والفرنسية مطلعا على الأدب العربى والشعر الجاهلى ويحفظ الكثير منه عاكفا على المطالعة شغوفا بجمع الكتب النادرة مولعا بالبحوث العلمية ، يحب العلم والعلماء .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٦ ، ٤٧) .

*** حسين بن أحمد الأشعرى :**

عربى من ذرية الصحابى أبى موسى الأشعرى فى شبه القارة الهندية .

الأمير الكبير عين الملك فخر الدين الحسين بن شرف الملك رضى الدين أبى بكر أحمد الأشعرى ، أحد أجواد الدنيا . من ذرية الصحابى أبى موسى الأشعرى .

استوزره السلطان ناصر الدين قباجه ملك السند فخدمه من سنة اثنتين وستمائة إلى سنة خمس وعشرين وستمائة . ولما هلك ناصر الدين وملك بلاده شمس الدين الأيتتمش الدهلوى التحق به فاستوزره لولده ركن الدين فيروز شاه .

وكان فاضلا كبيرا محبا لأهل العلم محسنا إليهم صنف له نور الدين محمد بن محمد العوفى كتابه « لباب الألباب » سنة سبع عشرة وستمائة (ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥٠) .

*** أبو الحسين بن بشران (٣٢٨ - ٤١٥ هـ / ٩٤٠ - ١٠٢٤ م) :**

على بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموى أبو الحسين البغدادى المعدل ، من رجال الحديث . مولده ووفاته ببغداد من آثاره « الفوائد » مخطوط ، جزء منه ، فى دار الكتب بمصر (الأعلام ٤ / ٣٢٧) .

ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فيمن ألّف أجزاء حديثية فقال :

وجزء أبى الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران السكرى البغدادى المعدل الثقة أحد شيوخ البيهقى المتوفى سنة خمس عشرة وأربعمائة عن سبع وثمانين سنة (الرسالة المستطرفة / ٦٦) .

(الأعلام للزركلى ٤ / ٣٢٧ وقد أدرجه تحت اسم « ابن بشران » ، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٦٦) .

*** أبو الحسين بن بنان :**

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسين بن بنان ، وهو من جلة مشايخ مصر . صحب أبا سعيد الخراز ، وإليه ينتمى ، وكان يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق له ، مات فى التيه (شبه جزيرة سيناء) .

ومن كلامه :

ـ الناس يعطشون فى البرارى ، وأنا عطشان على شط النيل .

ـ كل صوفى يكون هم الرزق قائما فى قلبه ، فلزوم العمل أقرب له إلى الله ، وعلامة ركون القلب والسكون إلى الله أن يكون قويا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه وفقده إياها ، ويكون بما فى يد الله أقوى وأوثق منه بما فى يده .

ـ اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام .

ـ الحرية أن يكون السر حرا إلا من عبودية سيده ، يصح له بذلك العبودية للحق ، والحرية عن الخلق .

ـ ذكر الله باللسان يورث الدرجات ، وذكره بالقلب يورث القربات .

ـ الوحدة جليس الصديقين .

ـ آثار المحبة إذا بدت ، ورياحها إذا هاجت ، أماتت قوما وأحيت قوما ، وأفنت أسرارا وأبقت أسرارا ، تؤثر آثارا مختلفة ، وتبدى سرائر مكنونة ، وتكشف عن أحوال مستترة .

ـ لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٩٥) .

*** أبو الحسين بن السراج (٥٦٠ - ٦٥٧ هـ) :**

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٦٥٧ هـ وأن عمره كان يقرب من مائة سنة ، كما ذكره باسم أبى الحسن .

وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصارى ، أبو الحسين بن السراج . فقيه مالكى ، محدث ، من أهل إشبيلية ، ولد سنة ٥٦٠ هـ ، وأخذ عنه كبار العلماء فى بلده ، وأجاز له غيرهم . خرج من إشبيلية بخروج أهلها عند تغلب الإفرنج عليها فى رمضان سنة ٦٤٦ هـ ، وأجاز

البحر إلى سبتة وأقام بها قليلا ، ثم انتقل إلى بجاية سنة ٦٤٧ هـ واستوطنها إلى أن توفى يوم الأحد لسبع مضين من صفر سنة ٦٥٧ هـ . قال المراكشى : « وكان سريا فاضلا من بيت خير ودين ونباهة ، راوية مسندا ثقة فيما يحدث به ، صحيح السماع صدوقا ، عمر طويلا وأسن حتى كان آخر الرواة بالسماع عن أكثر الأكابر من شيوخه » .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٢٣ ـ ٣٢٤ وهامش ٣ للمحقق) .

*** الحسين بن على رضى الله عنه (٤ـ ٦١ هـ / ٦٢٥ ـ ٦٨٠ م) :**

سيدنا الحسين ، أبو الشهداء ، الذى ورد فى فضله من الأحاديث الشريفة والآثار الكريمة ما يجل عن الحصر . وهو الحسين بن على بن عبد مناف أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف أبو عبد الله بن أبى الحسن الهاشمى القرشى ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وأحد سيدى شباب أهل الجنه ، ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة ، وقيل ولد لست سنين وأربعة أشهر من الهجرة ، وشهد صفين مع أبيه على عليه السلام وكان أميرا على القلب يومئذ ، وهم همدان .

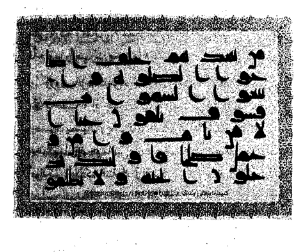
وغزا القسطنطينية فى الجيش الذى كان يزيد بن معاوية أميره ، فقد اجتاز بحلب فى طريقه من دمشق إليه .

حدث عن جده رسول الله ﷺ ، وعن أبيه على بن أبى طالب وأمه فاطمة عليهما السلام .

روى عنه ابنه على بن الحسين زين العابدين وابنه عبد الله ابن الحسين وابنتاه فاطمة وسكينة وابن أخيه زيد بن الحسن ابن على ، وأبو هريرة ، و طلحة بن عبيد الله العقيلى ، وعامر الشعبى وعكرمة مولى ابن عباس وعبيد بن حسين ، وشعيب ابن خالد ويوسف الصباغ ، وزياد بن شابور ، وحميد بن سلم ، وسنان بن أبى سنان الدئلى ، ومحمد بن الصائغ ، وهمام بن غالب الفرزدق ، وعبد الله بن سليمان بن نافع مولى بنى هاشم ، والعيزار بن حريث ، وأبو سعد الميثمى وأبو هشام وأبو خازم الأشجعى ، والمطلب بن عبد الله بن حنطب وعبيد الله بن أبى يزيد وبشير بن غالب (الحسين بن على / ٢١)

يقول الشيخ الشبلنجى فى موجز آخر :

ولد الحسين رضى الله عنه بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة وهكذا صح النقل فى ذلك وحنكه ﷺ بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعق عنه بكبش وقال لأمه احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن وكنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه الرشيد والطيب والزكى والوفى والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط وأشهرها الزكى وأعلاها رتبة ما لقبه به ﷺ فى قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال حسين سبط من الأسباط وكان الحسين رضى الله عنه أشبه الخلق بالنبى ﷺ من سرته إلى كعبه وشاعره يحيى بن الحكم وجماعة غيره وبوابه أسعد الهجرى ونقش خاتمه لكل أجل كتاب (فى الأعلام ٢ / ٢٤٣ : نقش خاتمه « الله بالغ أمره ») ومعاصره يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومروياته من الأحاديث ثمانية .



صفحة من المصحف المنسوب خطه إلى الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المستشهد سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م ، تتضمن الآيتين ٥٩ ، ٦٠ من سورة مريم . الأصل محفوظ فى المشهد الرضوى .

وهذه نبذة من الأحاديث الواردة فى حقه : أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامرى أن النبى ﷺ قال « حسين منى وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة وفى لفظ إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على وروى خيثمة ابن سليمان عن أبى هريرة أن النبى ﷺ جلس فى المسجد فقال أين لكع فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره فجعل أصابعه فى لحية رسول الله ﷺ ففتح رسول الله ﷺ فمه أي الحسين فأدخل فاه فى فيه ثم قال اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أبى هريرة قال رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسن كما يمتص الرجل الثمرة (نور الأبصار / ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : طرقت النبى ﷺ ذات ليلة فى بعض الحاجة ، فخرج النبى ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدرى ما هو ، فلما فرغت من حاجتى قلت : ما هذا الذى أنت مشتمل عليه ؟ فكشفه ؛ فإذا الحسن والحسين على وركيه ! فقال : « هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وروى بالإسناد عن بريدة رضى الله عنه أنه قال : كان النبى ﷺ يخطبنا ، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [التغابن : ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » .

وروى بالإسناد إلى عمر بن أبى سلمة ربيب النبى ﷺ قال : نزلت هذه الآية على النبى ﷺ : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ فى بيت أم سلمة . فدعا النبى ﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلىٌّ خلف ظهره . ثم قال : « هؤلاء أهل بيتى ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك ، أنت إلى خير (الحسين ابن على / ٧٦) .

فضائله :

وفضائله رضى الله عنه وفضائل أمه وأبيه وأخيه الحسن وأخته وذريته رضى الله عنهم أشهر من أن تذكر ، والآثار الواردة فيهم لا تحصى ، وقد ورد أن الحسين رضى الله عنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وروى أيضا أن أخاه الحسن كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وجمع بعضهم بين الروايتين بأن الحسن رضى الله عنه أشبه الناس بالنبى ﷺ من جهة أعلاه ، والحسين أشبه الناس به ﷺ من جهة أسفله ، وهو أول من سمى بالحسين ، وكذا أخوه أول من سمى بالحسن ، وأما أمهما السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - فكانت أشبه الناس برسول الله ﷺ فى السمت والهدى - كما فى رواية حسنها الترمذى - ما رأيت أحدا أشبه سمتا ولا هديا ولا حديثا برسول الله ﷺ من فاطمة وفى قيامها وقعودها رضى الله عنها .

كان شجاعا مقداما من حين كان طفلا ، ووردت فى حقه آثار كثيرة تدل على مزيد فضله ، منها قول النبى ﷺ : «حسين منى وأنا من حسين ، اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط » وقوله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على » وقوله ﷺ : « اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه » .

ورأى ابن عمر الحسين مقبلا فقال : هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وجاء رجل إلى الحسن يستعين به فوجده معتكفا فى خلوة فاعتذر إليه فذهب إلى الحسين فاستعان به فقضى حاجته ، وقال : لقضاء حاجة فى الله عز وجل أحب إلى من اعتكافى شهرا (الخطط التوفيقية الجديدة ٤) ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٤) .

قال الإمام أحمد : حدثنا تليد بن سليمان كوفى ثنا أبو الحجاف عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : « نظر النبى ﷺ إلى على والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم » تفرد بهما الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن يزيد

ابن أبى زياد عن أبى نعيم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى وغيره عن يزيد بن أبى زياد ، وقال : حسن صحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس ابن الربيع عن أبى المقدام عبد الرحمن الأزرق عن على قال : « دخل رسول الله ﷺ وأنا نائم ، فاستسقى الحسن أو الحسين، فقام رسول الله ﷺ إلى شاة لنا كى يحلبها فدرَّت فجاءه الآخر فنحاه ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ، ولكنه استسقى قبله ، ثم قال : إنى وإياك وهذين وهذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة » رواه أحمد .

قال أبو عبد الله العجلى أنا يونس بن بكير نا ابن إسحاق حدثنى والدى إسحاق بن يسار أخبرنى شيخ من بنى سعد بن بكر قال : قدم على ابن عم لى من أهل البادية فقال : إن ابن أخ لى أصاب دما عمدا فطلبت إلى أهل الدم أن يقبلوا منى العقل ففعلوا فأسلمتنى عشيرتى وأبوا أن يحملوا معى وقالوا : إنما نحمل الخطأ فأما العمد فلا . فقد قدمت ألتمس المعونة من هذا الحى من قريش . فأمرت لى بخزيرة فصنعت فغذيناه منها . ثم قلت له : انطلق بنا إلى خير القوم وسيدهم ابن بنت رسول الله - ﷺ - الحسين بن على - رضى الله عنه - فخرجنا نلتمسه فى بيته لم نجده فخرجنا فلقيناه بالبلاط فقلت : عندك الرجل . فاستوقفناه فوقف واستند إلى الجدار فقلت : يا بن بنت رسول الله ، إن ابن أخ لى أصاب دما - فقص قصته - وقدمت أستعين هذا الحى من قريش على ديته فرأيت أن أبدأ بك . فقال : والله الذى نفس حسين بيده ، ما أصبح فى بيتى دينار ولا درهم وما غدوت إلى السوق إلا لألتمس العينة فى بعض نفقاتنا وما لا بد منه ولكنى أراك رجلا جلدا وقد حان حصاد مالى بذى المروة عين يحّنس فاخرج إليها فقم عليها بعماله ثم احصد ودق وبع فإنها مودية عنك ولا تسأل أحدا شيئا ، فقال : أفعل ، بأبى وأمى . وكتب إلى قيِّمه : انظر فلان ابن فلان فخل بينه وبين حصاد أرضك فإنى قد أعطيته إياه فخرج فحصدها فباع منها بعشرين ألف درهم فأدى اثنى عشر ألفا واستفضل ثمانية آلاف .

فقال المقنع مقنع الأنصارى يبكى حسينا حين قتل :

كان إذا شب له ناره ... يرفعها بالسند الماثل

كيما يراها قابس مرمل ... أو فرد قوم ليس بالآهل

مفارغ الشيزى على بابه ... مثل حياض النعم الناهل

لا تستری شفرا على مثله ... فى الناس من حاف ولا ناعل

ابن النبى المرسل المصطفى ... وابن ابن عم المصطفى الفاضل

(مكارم الأخلاق / ١٣٨ ، ١٣٩) .

وقال محمد بن سعد : أخبرنى يعلى بن عبيد ثنا عبد الله ابن الوليد الرصافى عن عبد الله بن عبيد الله بن عُميرة ، قال : حج الحسين بن على خمسا وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد بين يديه (استشهاد الحسين / ١٣٧ - ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣) .

قالوا : وكان الحسين رضى الله عنه فاضلا كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٣) وينسب إليه رضى الله عنه كثير من الحسينيين ، وله عدة أحاديث فى كتب السنة ، وله فضائل كثيرة ، وصنفت فى سيرته ومناقبه عدة كتب (مرجع العلوم الإسلامية / ٥٥) .

كلامه :

ومن كلامه رضى الله عنه : اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا من تلك النعم فتعود نقما ، واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعقب أجرا فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار . ومن كلامه رضى الله عنه : من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا .

والتزم يوما ركن الكعبة وقال : إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة

بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم (الخطط التوفيقية ٤ / ١٩٤) .

ومن كلامه الذى يبين منهجه فى الحياة ما يرويه العقاد عنه فى أثناء توديعه لأبى ذر ـ وقد نفاه عثمان من المدينة الى الربذة : ـ « يا عماه ، إن الله قادر أن يغير ما قد ترى ، والله كل يوم فى شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، وما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا» (أهل البيت فى مصر / ٤١ ، ٤٢) .

شعره :

من الأشعار التى رويت عنه ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما :

إغن عن المخلوق بالخالق
تسد على الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله
فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه
فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه
زلت به النعلان من حالق

وعن الأعمش أن الحسين بن على قال :

كلما زيد صاحب المال مالا
زيد فى همه وفى الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيـ
ـش ويا دار كل فان وبالى
ليس يصفو لزاهد طلب الزهـ
ـد إذا كان مثقلا بالعيال

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغنى أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

ناديت سكان القبور فأسكتوا
وأجابنى عن صمتهم تُرب الحصا
قالت أتدرى ما فعلت بساكنى
مزقت لحمهم وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم ترابا بعد ما
كانت تأذى باليسير من القذا
أما العظام فإننى مزقتها
حتى تباينت المفاصل والشوا
قطّعت ذا زاد من هذا كذا
فتركتها رمما يطوف بها البلا

(استشهاد الحسين / ١٤٦) ، وفى الحسين بن على / ٥٥ ورد صدر البيت الأخير هكذا :

* قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا *

كما ورد فى البيت الذى قبله لفظ « فرقتها » موضع «مزقتها» .

وأنشد بعضهم للحسين رضى الله عنه :

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة
فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت
فقتل فى سبيل الله أفضل
وإن كانت الأرزاق شيئا مقدرا
فقلة سعى المرء فى الكسب أجمل
وإن كانت الأموال للترك جمعت
فما بال متروك به المرء يبخل

(الحسين بن على / ٥٤ ، وقد وردت الأبيات بتغيير طفيف فى استشهاد الحسين / ١٤٧) .

ولما التقى الجيشان فى كربلاء وفر عنه أكثر أصحابه أنشد يقول :

أنا ابن على الخير من آل هاشم
كفانا بهذا مفخرا حين أفخر

وجـــــدى رســـــول الله أكـــــرم من مشـى
ونحن ســــراج الله فـى الأرض يـــزهـــر
وفـــــاطمـــــة أمى ســـــلالـــة أحمــــد
وعمـى يــــدعى ذا الجنـــاحين جعفـــر
وفينـــا كتـــاب الله ينــــزل صـــادقـــا
وفينـا الهـــدى والـوحى والخيـر يــذكـر

ومن شعره أيضا قوله :

إذا استنصـــر المـــرء امـــرأ لاثذا بـــه
فنـــاصــــره والخـــاذلـــون ســـواء
أنـــا ابـن الـــذى قـــد تعلمـــون مكـــانـــه
وليس على الحق المبيـــن جفــــــــاء
أليس رســـــول الله جـــــدى ووالـــــدى
أنـــا البــــدران غطى النجـــوم خفــــاء
ألم ينــــزل القـــرآن حـــول بيـــوتنـــا
صبـــاحـــا ومـن بعـــد الصبـــاح مســـاء

(منهل الصفا / ٦٥ ، ٦٦) .

أولاده :

جاء فى الخطط التوفيقية :

ورزق الحسين من الأولاد خمســة وهم : على الأكبـر ، وعلى الأصغـر ولـه العقب ، وجعفـر ، وفـاطمـة ، وسكينـة المدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة رضى الله عنها ، كذا قال المناوى والشعرانى ، وزاد الشعرانى أن عليا الأصغـر هو زين العابـدين . وقال كثيرون : أولاده ستة ، وزادوا عبـد الله . فأما على الأكبر فقاتل بين يدى أبيه حتى قتل ، وأما زين العابدين فكان مريضا بكربلاء ، وأما جعفر فمات فى حياة أبيه دارجا ، وأما عبـد الله فجاءه سهم وهـو طفل فقتله بكـربلاء ، وقيل : كان لـه من الذكـور ستة ، ومن الإناث ثـلاث ، فأما الـذكور فعلى الأكبـر ، وعلى الأوسط وهـو زيـن العـابـدين ، وعلى الأصغر ، ومحمـد ، وعبد الله ، وجعفـر ثم ذكـر أن المقتول طفـلا بكربـلاء وهو على الأصغـر ، وأن عبد الله قتل مع أبيـه شهيدا (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٨) .

وقال صاحب الرياض المستطابة :

وخلّف الحسين رضى الله عنه ستة بنين وثلاث بنات . أما البنـون فعلى الأكبـر واستشهد مع أبيـه ، وعلى الأصغـر زين العـابـدين ـــ ومنهم من يـزعم أنـه الأكبـر ـــ والعقب من ولـد الحسين فى ذريته . وعبد الله استشهد مع أبيه أيضا ، ومحمد وجعفـر . وأما البنـات فزينب وسكينـة وفاطمـة ... رضى الله عنهم .

ثم قال فى موضع آخر :

وأمـا أولاد الحسين فقـد قـدمنـا أنهم تسعـة إلا أن العقب منهم فى زين العابدين على بن الحسين ، وكان رضى الله عنه نهاية فى العلم غاية فى العبادة . وكان له فى اليوم والليلة أوراد لا يطيق القيـام بها جمـاعـة من النـاس ، وله فى ذلك أخبـار واسعة ... قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أفضل منه ، مات سنة ثـلاث وتسعين . ولم يبق علـى وجـه الأرض حسينى إلا من نسلـه ، وكان أولاده يـدنـون من العشرة ، بـرع بـالفضل منهم خمسـة ، منهم محمد البـاقر وهـو أكبـرهم ، وكان لـه فضل واسع ، ومات بالمدينة سنة بضع عشرة ومائة . ومنهم زيد بن على صاحب المذهب ، وله مناقب عديدة وتصانيف مفيدة ، وكان قـد قام بالخـلافة فقتله جنـد هشام بن عبـد الملك سنة إحـدى وعشـرين ومـائة . وكـان مـولـده سنـة ثمـانين وقبـره بخراسـان . ثم قام بعـده ولده يحيى بن زيـد فقتله أيضـا جند هشام وقبـره بالجـورجان من بـلاد العجم . ولم يعقب . ومن أولاد زيـد عيسى ومحمـد والحسن ، ولـم يـدع أحـدهم الخلافة . وعقيب قتله زالت دولـة الأمويين على يد أبى مسلم الخراسانى داعية العباسيين . واستقبل أهل البيت أيضا محنة أخرى على يد العبـاسيين . ومنهم عبد الله وعمر والحسين لم يدَّع أحد منهم الخلافة إلا ما سبق من خبر زيد وابنه رضى الله عنهم . وأما أولاد الباقر فعدة ، وبرع فى الفضل منهم والرواية والحفظ والدراية جعفـر الصادق مرة بالمدينة ومـرة بالعراق . ودعاه النفس الزكية إلى الخروج معـه فاعتذر بكبر السن وجهز معه ولديـه عبد الله وموسى . ومات الصادق وعبـد الله ، وكانا من حفاظ الحـديث . ومات الصادق سنة ثمـان وأربعين بعد المائة رضـى الله عنه ورحمه ، وخلف تسعـة من الولـد أنجب منهم خمسـة : إسمـــاعيل ومـات قبل أبيـــه ، وإليـه ينسب الإسماعيلية وزعمـت أن منتظرها بعده ولـده محمد . وعبد الله

ومحمد وموسى وإسحاق ... وكان هؤلاء أهل فضل ودراية ، وقام منهم بالخلافة محمد بن جعفر . بويع له بالحجاز ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ، وله علم واسع وكرامات ظاهرة قبض عليه المأمون فلم يزل عنده حتى توفى ، وقبره ببلاد العجم . وأما موسى بن جعفر ويعرف بالكاظم فلم يقم بالإمامة ولا ادعاها مع تأهله لها . ولما رآه الرشيد العباسى قد استجمع الخصال مع كثرة المال سجنه حتى مات سنة ثلاث وثمانين بعد المائة ، ويقال مات بالسم . وزعمت فرقة من الإسماعيلية وهى الرافضة أنه حى ؛ وخلّف من الولد نحو ثلاثين ما بين ذكر وأنثى أنجب منهم أحمد وعلى ، وكان على أفضلهما ، وهو المسمى بالرضا . ولما ظهر فضله كلفه المأمون أن يبايع له فبايع ثم نفاه إلى بلاد العجم ومات سنة ثلاث ومائتين ولم يستكمل الخمسين ، ولم يعلم أحد من أولاد الرضا كان له شأن ودعا الناس إلى طاعته ، والله أعلم .

(الرياض المستطابة / ٢٨٩ ، ٢٩٢ ـ ٢٩٤) .

أخواته :

وأخواته رضى الله عنه ثمانية وثلاثون ، منهم الذكور عشرون ، والإناث ثمانى عشرة على خلاف فى ذلك ، منهم أشقاؤه خمسة : الحسن ، والمحَسِّن بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة ، وزينب ، وأم كلثوم ، ورقية . والذين أعقبوا من الذكور خمسة : هو ، والحسن ، ومحمد ابن الحنفية ، والعباس ابن الكابية ، وعمرو ابن التغلبية .

(الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٩) .

خروجه إلى العراق واستشهاده .

كانت إقامة الحسين رضى الله عنه بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهده وبقى معه إلى أن قُتل ، ثم مع أخيه إلى أن انفصل ، فرجع إلى المدينة ، واستمر بها إلى أن مات معاوية (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٤) . وكان معاوية قد نقض شرط الحسن بن على (انظر ترجمته) بعد موته وبايع لابنه يزيد . وامتنع الحسين من بيعته ، وأعمل معاوية الحيلة حتى أوهم الناس أنه بايعه وبقى على ذلك حتى مات . وأراده يزيد على البيعة وكتب بذلك إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان عامله على المدينة فلم يبايعه وخرج إلى مكة (عمدة الطالب / ١٩١) .

وينبئنا التاريخ بعد ذلك عن مأساة كربلاء التى هزت قلوب المسلمين ، ولا يزال الحزن عليها حتى اليوم (انظر مادة أدب بكاء آل البيت) وقبل أن يسرد صاحب الفخرى وصفا موجزا لهذه المأساة يسوق هذه المقدمة فيقول :

هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما لها واستفظاعا . فإنها قضية لم يجر فى الإسلام أعظم فحشا منها ولعمرى إن قتل أمير المؤمنين رضى الله عنه هو الطامة الكبرى ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات . فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشىء منها ولا تقبّل الله منه صرفا ولا عدلا وجعله من الأخسرين ﴿ **أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾ [الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] ونص الآية ١٠٣ : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا** ﴾ وجملة ما جرى فى ذلك أن يزيد لعنه الله (يأتى الكلام على مسألة لعن يزيد) لما بويع لم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضى الله عنه والنفر الذى حذره أبوه منهم . فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وهو يومئذ أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة عليهم فاستدعاهم فحضر الحسين عنده . فأخبره بموت معاوية رضى الله عنه ، ودعاه إلى البيعة فقال له الحسين رضى الله عنه « مثلى لا يبايع سرا ولكن إذا اجتمع الناس نظرنا ونظرت » ثم خرج الحسين من عنده وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصدا مكة متأبيا من بيعة يزيد آنفا من الانخراط فى زمره رعيته . فلما استقر بمكة اتصل بأهل الكوفة تأبيه من بيعة يزيد وكانوا يكرهون بنى أمية خصوصا يزيد لقبح سيرته ومجاهرته بالمعاصى واشتهاره بالقبائح . فراسلوا الحسين وكتبوا إليه الكتب يدعونه إلى قدوم الكوفة ويبذلون له النصرة على بنى أمية . واجتمعوا وتحالفوا على ذلك وتابعوا الكتب إليه فى هذا المعنى . فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه . فلما وصل إلى الكوفة فشا الخبر إلى عبيد الله بن زياد ،

لعنه الله وأحله دار الخزى ، وكان يزيد قد أمَّره على الكوفة حين بلغه مراسلة أهلها الحسين عليه السلام . وكان مسلم قد التجأ إلى دار هانئ بن عروة رضى الله عنه وكان من أشرف أهل الكوفة ، فاستدعاه عبيد الله بن زياد وطلبه منه فأبى ، فضرب وجهه بالقضيب فهشمه ، ثم أحضر مسلم بن عقيل رضى الله عنهما فضربت عنقه فوق القصر فهوى رأسه واتبع جثته رأسه .
وأما هانئ فأخرج إلى السوق فضربت عنقه ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

(طويل)

وإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى
إلى هانئٍ فى السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوى من طمار قتيل

(الطمر : الثوب الخلق البالى ، الجمع : أطمار . المعجم الوجيز / ٣٩٤) .

ثم إن الحسين رضى الله عنه خرج من مكة متوجها إلى الكوفة ، وهو لا يعلم بحال مسلم ، فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر وحذروه فلم يرجع ، وصمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس ، فأرسل ابن زياد إليه عسكرا أميره عمر بن سعد بن أبى وقاص ، فقاتل الحسين وأصحابه حين التقى الجمعان قتالا لم يشاهد أحد مثله ، حتى فنى أصحابه وبقى هو وخاصته ، فقاتلوا أشد قتال رآه الناس ، ثم قتل الحسين قتلة شنيعة ، ولقد ظهر منه من الصبر والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بآداب الحرب والبلاغة ، ومن أهله وأصحابه رضى الله عنهم من النصر له والمواساة بالنفس وكراهية الحياة بعده والمقاتلة بين يديه عن بصيرة ما لم يشاهد مثله ، ووقع النهب والسبى فى عسكره وذراريه رضى الله عنهم ، ثم حمل النساء ورأسه صلوات الله عليه إلى يزيد بن معاوية بدمشق ، فجعل ينكت ثنايا الحسين بالقضيب ، ثم رد نساءه إلى المدينة .

وكان قتل الحسين فى يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين ١ هـ .

(الفخرى / ١٠٦ ، ١٠٧) وهو العاشر من المحرم ، والذى يعتبر يوم حزن وكآبة عند المسلمين جميعا الذين تألموا لاستشهاده ، ويسمى عام الحزن ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من أصحابه مبارزة فيهم الحسن بن يزيد لأنه بارز وقتل مع الحسين ثم قتل جميع بنيه إلا عليا المسمى بزين العابدين فإنه كان مريضا فأخذ أسيرا بعد قتل أبيه وقتل أكثر إخوة الحسين وبنى أعمامه .

يا عين ابكى بعبرة وعويل
واندبى إن ندبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب على
قد أصيبوا وتسعة لعقيل

(التذكرة للقرطبى / ٦٥٦) .

قالت المؤلفة : أورد ابن الآبار البيتين بلفظ « عينى ابكى » فى البيت الأول ، كما أورد البيت الثانى كما يلى (درر السمط / ١٠٥)

ستة كلهم لصلب على
قد أصيبوا وخمسة لعقيل

وروى أنه لما قدم برأس الحسين وأصحابه إلى الشام فقد خالد بن عفران وكان أحد الزهاد العباد أياما فسئل عن ذلك فقال : أما ترون ما نزل بنا ثم أنشا يقول :

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد
متزملا بدمائه تزميلا
وكأنما بك يا بن بنت محمد
قتلوا جهارا عامدين رسولا
قتلوك عطشانا ولم يترقبوا
فى قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قُتلت وإنما
قتلوا بك التكبير والتهليلا

(الرياض المستطابة / ٢٨٩) .

قال الإمام جعفر الصادق وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة واختلفوا فيمن قتله فقال يحيى بن معين أهل الكوفة يقولون إن الذى قتل الحسين عمر بن سعد

ابن أبى وقاص قال يحيى وكان إبراهيم بن سعيد يروى فيه حديثا أنه لم يقتله عمر بن سعد وقال ابن عبد البر إنما نسب قتل الحسين إلى عمر بن سعد لأنه كان الأمير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين وأمَّر عليهم عمر بن سعد ووعد أنه يوليه الرى إن ظفر بالحسين وقتله وكان فى تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن وكان سليمان بن قنة يقول إن دم الحسين اشترك فيه جماعة ولعلهم من ذكرنا من أهل مصر واليمن وقيل قتله سنان بن أويس النخعى وقال مصعب النسابة الثقة قتل الحسين بن على سنان ابن أبى سنان النخعى وهو جد شريك القاضى ويصدق ذلك قول الشاعر :

وأى رزيــــة عــــدلت حسينــــا

غـــداة تبيــــره كفـــا سنـــــان

وقال خليفة بن خياط الذى ولى قتل الحسين هو شمر بن ذى الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير فحز رأسه وأتى به إلى عبيد الله بن زياد وقال :

أوقـــر ركـــابى فضـــة وذهبـــا

إنـى قتلـت الملـك المحجبــــا

قتلـت خيـــر النــــاس أمـــا وأبـــا

وخيـــرهـم إذ ينسبــــوه نسبـــا

اهـ . ذكره ابن عبد البر.

(فى الخطط التوفيقية ٤ / ١٩٧ : إذ يذكرون نسبا).

وقال غيره تولى حمل الرأس بشر بن مالك ودخل به على ابن زياد وهو يقول هذا الشعر فغضب ابن زياد من قوله وقال فإذا علمت أنه كذلك فلم قتلته والله لا نلت منى خيرا أبدا ولألحقنك به ثم قدمه فضرب عنقه وقال بعضهم إن يزيد بن معاوية هو الذى قتل قاتل الحسين .

وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله ﷺ نصف النهر أشعث أغبر ومعه قارورة فيها دم يتتبعه من الأرض ويلتقطه فيها فقلت يا رسول الله ما هذا فقال هذا دم الحسين أو أصحابه لم أزل ألتقطه من الأرض منذ اليوم قال عمار بن ياسر فحفظنا ذلك اليوم فوجدنا الحسين قد قتل ذلك اليوم .

قال الإمام القرطبى وهذا سند صحيح لا مطعن فيه قال ابن عباس وساق القوم حرم رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم كما تساق الأسارى حتى إذا بلغوهم إلى الكوفة خرج الناس وجعلوا ينظرون اليهم وكان فى الأسارى يومئذ على بن الحسين رضى الله عنهما وكان شديد المرض قد جمعت يداه إلى عنقه وزينب بنت على من فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وفاطمة وسكينة بنتا الحسين وساق الفسقة معهم رءوس القتلى وكان محمد ابن الحنفية رضى الله عنه يقول قتل مع الحسين بن على ستة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول قتل مع الحسين بن على ستة عشر رجلا وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا (التذكرة للقرطبى / ٦٥٦-٦٥٨) .

وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة ، وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين ، قتله إبراهيم بن الأشتر فى الحرب وبعث برأسه إلى المختار بن أبى عبيد ، وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى على بن الحسين ، ونصب فى المسجد بدل نصب رأس الحسين .

وقد روى أن جبريل أخبر النبى ﷺ بأن الحسين يقتل ، وأراه الأرض التى يقتل بها . وفى رواية أنها كربلاء ، وفى أخرى أنها أرض الطَّفّ ، وفى بعض الروايات أنه يقتل بشاطىء الفرات . ولا تعارض بينها لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهى من بلاد كربلاء .

وورد من طريق أراه عن على رضى الله عنه عن المصطفى ﷺ أنه قال : قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا . وروى : أول من يبدِّل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد . وروى أيضا : لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد .

وقد أجمعوا على فسقه ، وقال الإمام أحمد بكفره ، وأجاز قوم من العلماء لعنه بخصوص اسمه ، وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز إذ حقيقة اللعن الطرد من رحمة الله ، ولا يكون

إلا لمن علم موته على الكفر كأبى جهل وأضرابه ، وأما لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو أجازه أو رضى به من غير تسمية فمتفق على جوازه . وعن إبراهيم النخعى أنه قال : لو كنت ممن قاتل الحسين رضى الله عنه ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه المصطفى ﷺ . وعن الزهرى : لم يبق أحد ممن حضر قتل الحسين إلا عوقب فى الدنيا قبل الآخرة ، أما بالقتل أو سواد الوجه أو تغير الخلقة أو زوال الملك فى مدة يسيرة . وذكر ابن الأنبارى أن السيدة زينب بنت الإمام على رضى الله عنهما لما قتل أخوها الحسين رضى الله عنه أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد فرقتكم
منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم
أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

(الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨) .

قالت المؤلفة : ذكر الإمام الشعرانى أنها السيدة سكينة أخت الحسين رضى الله عنهما (مختصر تذكرة القرطبى / ٢٤٢) وورد البيت الثانى بلفظ « مفتقدى » بدلا من «فرقتكم» ، وبلفظ « ضرجوا » بدلا من « خضبوا » .

وروى أنه قتل بسبب زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل سبعون ألفا وقتل بسبب الحسين سبعمائة ألف أو كما قال اهـ (مختصر تذكرة القرطبى / ٢٤٢) .

وعن الانتقام من قتلة الحسين رضى الله عنه يقول الإمام القرطبى :

وقد قتل الله تعالى قاتل الحسين المسمى شمر أشد قتلة وقاسى حزنا طويلا وألقى رأسه المذموم فى الموضع الذى كان ألقى فيه رأس الحسين رضى الله عنه وذلك بعد قتله الحسين بستة أعوام وبعث المختار به إلى المدينة فوضع بين يدى بنى الحسين رضى الله عنهم وكذلك ضربت أعناق عمر بن سعد وأصحابه وماتوا شر قتلة وقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول لو لم يكن على قاتل الحسين من الإثم والمقت إلا إغضاب رسول الله ﷺ لكان فى ذلك كفاية ثم إنه رضى الله عنه يحلف ويقول والله لو أنه كان لى فى دم الحسين مدخل وخيرت بين دخول الجنة والنار لاخترت النار خوفا من أن يرانى رسول الله ﷺ فى الجنة فينظر إلى نظرة غضب اهـ .

وروى الترمذى عن عمارة بن عمر قال لما جئ برأس عبيد الله بن زياد وألقيت تلك الرؤوس فى رحبة المسجد صار كل من دخل يقول خاب عبيد الله وأصحابه وخسروا دنياهم وآخرتهم ثم تباكى الناس حتى انتحبوا من البكاء على الحسين وأولاده وأصحابه فبينما الناس كذلك إذ جاءت حية سوداء فدخلت فى منخرى عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فغابت ثم جاءت فدخلت منخريه ثانيا حتى فعلت ذلك ثلاث مرات من بين تلك الرؤوس يقولون قد خاب عبيد الله وأصحابه وخسروا .

(قال العلماء) وكان ذلك مكافأة له على ما فعل برأس الحسين وهى من علامات العذاب الظاهر الذى حل به فضلا عن العذاب الباطن ثم إن الله تعالى سلط المختار على أصحاب عبيد الله كلهم فقتلهم شر قتلة حتى أوردهم النار / تذكرة القرطبى ٦٦٠ ، ٦٦١) واستضيم المسلمون فى قتل الحسين وشيعته استضامة عظيمة حتى كأنهم لم تصبهم مصيبة قبلها وسمى ذلك العام عام الحزن .

(الرياض المستطابة / ٢٨٧) .

وكان اليوم الذى قتل فيه الحسين رضى الله عنه يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة قال ابن الصباغ ودفن بأرض كربلاء بالعراق ومشهده رضى الله عنه بها معروف يزار من جميع الآفاق (يأتى الكلام عليه فى مادة « الحسين (المشهد- بكربلاء » فانظره فى موضعه) . وكانت عدة القتلى التى حملت رؤوسها إلى عبيد الله بن زياد صحبة رأس الحسين رضى الله عنه سبعين ودفن أهل العامرية وهم قوم من بنى عامر من بنى أسد الحسين وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين بعد قتلهم بيوم (نور الأبصار / ٢٣٣) وقد حزن الناس على الحسين كثيرا ، رضى الله عنه ، وأكثروا فيه المراثى (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٣) ونورد لك بعضا منها فيما بعد .

قال الحافظ ابن كثير عن قبر الحسين رضى الله عنه :

وأما قبر الحسين رضى الله عنه ، فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه فى مشهد على بمكان من الطف عند نهر كربلاء ، فيقال : إن ذلك المشهد مبنى على قبره . فالله أعلم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر ، وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين .

وذكر هشام بن الكلبى أن الماء أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره ، نضب الماء بعد أربعين يوما . فجاء أعرابى من بنى أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى ؛ وقال بأبى أنت وأمى ما كان أطيبك وأطيب تربتك !! ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر

(استشهاد الحسين / ١٣٤) .

قال عنه ابن الأبار : تناولته الأيمان وتناقلته الركبان، تسير به تسيل ، فجثمانه حيث الفرات ، وجمجمته حيث النيل (يعنى كربلاء والقاهرة) :

يا بعد مصرع جثة من رأسها
رأس بمصر وجثة بالرخج

الرخج : قرية قرب بغداد (درر السمط / ١١٢) .

تحقيق مقر الرأس الشريف .

يقول على مبارك فى خططه :

ثم إن التواريخ مشحونة بذكر سيرة الحسين بن على رضى الله عنهما وسبب نقل الرأس الشريف إلى القاهرة وكيف كان ذلك ، فكل ذلك مشهور غنى عن البيان ، لكن حيث كان هذا المشهد القاهرى إنما هو للرأس الشريف منفصلا عن الجثة ، ناسب أن نذكر طرفا ملخصا مما ذكروه فى ذلك فنقول : قال المقريزى فى خططه - نقلا عن الفاضل بن ميسر: إن الأفضل بن أمير الجيوش لما ملك القدس دخل عسقلان، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله فى سفط إلى أجل دار بها ، وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الرأس الشريف على صدره وسعى ماشيا إلى أن أحله فى مقره، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . وقيل : إن مشهد عسقلان بناه أمير الجيوش وكمله ابنه الأفضل ،ثم حمل الرأس الشريف من عسقلان إلى القاهرة ، وكان وصوله إليها يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، والذى وصل به من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها، والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها، وحل فى القصر فى العاشر من جمادى المذكورة .

ويذكر أن الرأس الشريف لما أخرج من مشهد عسقلان وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريح المسك ، فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل إلى الكافورى ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة ، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء عند القبر الإبل والغنم ، ويكثرون النوح ، ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

ويقول العالم الأثرى حسن عبد الوهاب رحمه الله :

وهنا تضاربت الأقوال : فمن قائل بأمر تجهيز الرأس إلى المدينة ودفنه بها . وقيل : إنه أعيد إلى الجسد بعد أربعين يوما ودفن معه بكربلاء . ومن قائل إنه دفن عند باب الفراديس بدمشق . وهناك رواية أخرى أن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقى بها حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) فحمل الرأس فى ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه فى مقابر المسلمين . وقيل : إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس . والله أعلم ما صنع به . ويروى أن الرأس نقل فى وقت ما إلى عسقلان . وبقى بها غير مشتهر إلى أن زارها بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، فأرشد إلى مكانه فأخرجه وأنشأ عليه مشهدا كبيرا . وزعم بعضهم أن أبا مسلم الخراسانى : لما استولى على دمشق نقل الرأس منها إلى مرو، فدفن بها فى دار الإمارة ثم بنى عليه رباطا .

وبجانب هذه الروايات المتضاربة وجدت فى الأقطار الإسلامية مشاهد متعددة باسم الإمام الحسين أذكر منها :

مشهد مرو ـــ على فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا : إن فيه رأس الحسين بن على رضى الله عنه .

مشهد حلب ـ وفى حلب مشهد الحسين ؛ وهو فى وسط جبل جوشن ، بنى فى أيام الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين .

مشهد دمشق ـ المشهد الحسينى بدمشق بصحن المسجد الأموى ؛ وكتب عنه كثير من المؤرخين ، وعاينه خليل الظاهرى لما دخل دمشق سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) . وكتب عنه ابن فضل الله العمرى ما نصه « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفى خارجه مكان الرأس على ما ذكروا . وقد جاء فى أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن » .

قالت المؤلفة : قمنا بزيارته مرتين فى دمشق : الأولى فى ٣ صفر ١٤١٢ هـ / ٣ أغسطس ١٩٩١ م ، والثانية فى ١٣ ربيع الأول ١٤١٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٩٩٣ م .

مشهد عسقلان ـ ذكره أيضا ابن فضل الله بقوله : « كان رأسه بها ، فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون الرأس إلى القاهرة ، ودفن بها فى المشهد المعروف بها على زعم من قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق ، والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان » .

هذا جزء من تضارب أقوال المؤرخين . وفى الوقت نفسه توجد لهم أقوال تناقض بعض هذه الروايات فنرى المسعودى ينقض عن غير قصد رواية دفن الرأس بالبقيع . إذ يقول بمناسبة دفن الحسن بن على ببقيع الغرقد مع أمه ـ وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها : « الحمد لله مبيد الأمم ومحيى الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين والحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن الحسين بن على ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين » .

فلو كان الإمام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم .

وقد أورد هذه الأقوال أيضا ابن كثير المؤرخ ، وناقش رواية إحضار الرأس إلى مصر ولم يأخذ بها .

وناقش هذه الأقوال عمر بن أبى المعالى أسعد بن عمار ابن سعد بن عمار رحمه الله فى كتابه « الفاصل بين الصدق المبين فى مقر رأس الحسين » ووهنها وضعفها ورجح أنه بالمدينة حتى كاد يبلغ به مبلغ القطع فقال ما معناه : أما قولهم : إنه كان فى خزائن بنى أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وإن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدا . لأن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان . والذى فتح دمشق هو عبد الله بن على بن عباس . فكيف يتصور أن ينقله ؟ أو يمكن من ينقله إلى مولاهم بخراسان ؟ ولو أنه ظفر به فى خزائن بنى أمية لأظهره للناس ، ليزدادوا لبنى أمية بغضا .

وأيضا فقد ولى العبد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وبعيد أنه كان يترك رأس ابن بنت رسول الله ﷺ فى خزائن السلاح ولم يواره .

وقولهم إنه كان بالمدينة عند أمه ـ قاله محمد بن سعد فى طبقاته ، وابن أبى الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمى خطيب خوارزم .

وأما قولهم إنه كان بعسقلان ، فلا يوجد فى تاريخ من التواريخ أنه نقل إلى عسقلان ، ولا إلى مصر . ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم تكن بها الشيعة علوية .

أوردت هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر . ولما كانت عسقلان هى قنطرة وصول الرأس إلى القاهرة ، فإنى أورد أقوال من أخذ بها من المؤرخين .

فممن أخذ بها ابن المؤرخ ، وخلط بين بدر الجمالى وابنه الأفضل شاهنشاه فى بناء مشهد عسقلان ، ولكنه قال : وكان حمل الرأس إلى القاهرة ووصوله إليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

أما القلقشندى فإنه يقرر نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .

وأيضا إبراهيم بن وصيف شاه ، وسبط بن الجوزى ـــ فقد ذكر الأول أن الرأس نقل من عسقلان إلى مصر سنة ٥٤٩ هـ . وذكر الثانى أنه نقل سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

واعترف بمشهد الرأس ابن المأمون المؤرخ . فذكر فى حوادث سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) أن الآمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلا ذهبيا له سلسلة فضية .

وأخذ ابن إياس برواية مشهد عسقلان ونقل الرأس إلى

مصر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، وزاد عليها أنه نقل إلى ثلاث أماكن قبل أن يحضر إلى القاهرة .

أما المقريزى عميد مؤرخى مصر . فقد كان لبقا كيسا أمام هـذا التضارب ، وعبر تعبيرا جميلا يبعث على الارتياح إذ يقول :

« ولحفظة الآثار ، وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هـذه البركات مشاهدة مرئية ، وهى بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية » .

ثم ذكر رواية وجود الرأس بعسقلان نقلا عن ابن عبد الظاهر . وأن المشهد هناك بناه أمير الجيوش بدر الجمالى ، وأتمه ابنه الأفضل شاهنشاه . وأنه لما خيف من سقوط عسقلان فى أيدى الفرنج نقل الرأس إلى القاهرة .

ورواية وجود الرأس فى عسقلان معززة بنص تاريخى منقوش على المنبر الذى كان موجودا فى مشهد الرأس بعسقلان .

(عسقلان مدينة بفلسطين فى التوراة عسقلون . استولى الفرنج عليها سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ومكثوا بها ٣٥ سنة ، واستخلصها منهم السلطان صلاح الدين ، ثم خربها فى سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) مخافة استيلائهم عليها مرة أخرى) .

ولما خيف من سقوطها فى أيدى الفرنج نقل الرأس الشريف إلى مصر، ونقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس، وهو باق به إلى الآن .

وهو منبر فخم ، جميع حشواته الخشبية مدقوقة بالأويمة الدقيقة وهو غاية فى الدقة والجمال ومكتوب على قوائمه :

« الحمد لله وحده لا شريك لـه محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطهرة [الطاهرة] سبحان من أقام لموالينا الأئمة نسبهما مجدا ورفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين ... ربها فضلا عظيما وعناية . وكان من معجزه تعالى إظهاره رأس مولانا الإمام الشهيد أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون لعنهم الله ستروه فيه إعفاء لنوره الذى وعد تعالى آية لإظهاره لعنة الله على الظالمين وأباد الله تجاذبه به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين (به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشراح صدور شيعته المؤمنين) الذين علم صفاء ضمائرهم فى الولاء والدين وإنجاز الحجة على العالمين ورزق الله على فتى مولانا وسيدنا معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبا النجم بدر المستنصرى إظهاره فى أيامه فاستخرجه من مكانه وخصه بإجلاله وتكريم مقامه وتقدم بانشاء هذا المنبر بزسم المشهد الشريف الذى أنشأه ودفن فيه هـذا الرأس فى أشرف محلة قبلة الأمير وصلاة المتقبلين وشفيع المستشفعين والزائرين وبناه من أسه إلى علوه وابتاع له الأملاك وحبس منافعها على عمارته وسدنته وجماله لليوم وما بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وأنفق على جميع ذلك من فضل ما آتاه الله من حل ماله وخالص ما ملكه ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه واتباع رضوانه وإعلان شرف هذا الإمام ونشر أعلامه بقوله تعالى ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ [التوبة : ١٨] وقال النبى ﷺ : « خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين» ويجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيمه وتشريفه والنظر فى مصالحه وعمارة ما يحتاجه فى أوانه وتطهيره . وكان إنشاء هذا المنبر فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة » .

ومكتوب على باب المنبر ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة

المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بثغر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهما فى شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة » .

ولما زار الإمام الهروى الرحالة ثغر عسقلان سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) قال : وبعسقلان مشهد الحسين كان رأسه به . فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة ، وذلك سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) وذكره القزوينى أيضا ووصفه بأنه مشهد عظيم . وتابعه ابن الطولونى الحنفى المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) بقوله : «وبعسقلان مشهد الحسين كان به رأسه ، فلما أخذها الفرنج نقله المسلمون إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ » (تاريخ المساجد الأثرية / ٧٩ / ٨٣)

وعن الرأس الشريف يقول الإمام القرطبى :

واختلف الناس فى موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد فروى الحافظ أبو العلاء الهمدانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة مع أقوام من موالى بنى هاشم وضم إليهم جماعة من موالى أبى سفيان وبعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا وقد أمر لهم بها وكان الذى تلقى رأس الحسين بالمدينة حين قدموا بها عمر بن سعيد وهو إذ ذاك عامل على المدينة ليزيد فقال عمر : وددت أنه لم يبعث به إلىَّ ثم أمر عمر بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها . قال الإمام القرطبى وهذا أصح ما قيل فيه وبه قال الزبير بن بكار الذى هو أعلم بالأنساب .

وقال الإمامية إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما قال القرطبى رحمه الله تعالى وما ذكر من أنه دفن بعسقلان فى المشهد المعروف بها أو بالقاهرة فهو شىء باطل لا يصح اهـ .

ويعلق الإمام الشعرانى على قول الإمام القرطبى هذا فيقول :

قلت قد ثبت أن طلائع بن رزيك الذى بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل فى نقلها [نقله] نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره فتلقاه من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس هو وعسكره والرأس فى برنس حرير أخضر فى القبر الذى هو فى المشهد موضوعة على كرسى من خشب الأبانوس ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب كما أخبرنى بذلك خادم المشهد .

ومما وقع لى أننى قلت لسيدى الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى مفتى المسلمين رضى الله عنه أترى أن تزور معنا رأس الحسين فى المشهد بخان الخليلى فقال إنه لم يثبت كون الرأس هناك فقلت له نزوره بالنية على تقدير صحة ذلك فقال نعم فلما دخلنا مقصورته بالمشهد قلت للشيخ اجلس مراقبا بقلبك الرأس فجلس متخيلا لها فى ذهنه فحصل له ثقل رأس فنام فرأى نقيبا مشدود الوسط قد خرج من القبر فما زال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله إن الشيخ شهاب الدين بن الشلبى وعبد الوهاب الشعرانى يزوران رأس ولدك الحسين فقال ﷺ تقبل منهما اهـ .

فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه وقال آمنت وصدقت بأن الرأس هنا وحكى الواقعة ولم يزل يزوره حتى مات فزر يا أخى هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف فقول الإمام القرطبى رحمه الله تعالى إن دفن الرأس فى مصر باطل صحيح فى أيام القرطبى فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رزيك بعد موت القرطبى فافهم والله تعالى أعلم (مختصر تذكرة القرطبى / ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

ثم إنه جاء فى كتاب « العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد» أن المرحوم عبد الرحمن كتخدا لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسينى قيل له : إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ، ونزل الأستاذ الجوهرى الشافعى والأستاذ الشيخ الملوى المالكى وكانا من كبار العلماء العاملين ، وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه ، وهو كرسى من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستار من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله

الرأس الشريف ، فانبنى على إخبارهما تحقيق هذا المشهد ، وبنى المسجد والمشهد ، وأوقف عليه أوقافا يصرف المسجد من ريعها (أهل البيت فى مصر / ٤٧ ، ٤٨)

وعن الرأس الشريف يقول الحافظ ابن كثير ، وهو ممن أنكروا وجوده فى المشهد الحسينى كما سبق القول :

ـ وأما رأس الحسين رضى الله عنه ، فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير ، أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندى أن الأول أشهر فالله أعلم .

ـ ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو ابن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع .

ـ وذكر ابن أبى الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح ـ وهما ضعيفان ـ أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى .

ـ وذكر ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة ريا حاضنة يزيد ابن معاوية ، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه ، تمثل بشعر ابن الزبعرى يعنى قوله :

ليت أشياخى ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ، ثم وضع فى خزائن السلام ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جىء به إليه ، وقد بقى عظما أبيض فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه فى مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوِّدة ـ يعنى بنى العباس ـ نبشوه وأخذوه معهم .

ـ وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة . والله أعلم .

ـ وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذى يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسمائة .

ـ وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء ، فى دولتهم فى حدود سنة أربعمائة .

ـ قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاءوا برأس فوضعوه فى مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم ، واعتقدوا ذلك ، والله أعلم (استشهاد الحسين / ١٣٥ ، ١٣٦) .

وممن أنكروا وجود الرأس الشريف فى مصر أو فى الشام شيخ الإسلام ابن تيمية فى جوابه على عدد من الأسئلة وردت إليه وهى :

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على تحقيق الحق المبين وإخماد شغب المبطلين : فى المشهد المنسوب إلى الحسين رضى الله عنه بمدينة القاهرة : هل هو صحيح أم لا ؟

وهل حمل رأس الحسين إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، أم حمل إلى المدينة من جهة العراق ؟

وهل لما يذكره بعض الناس من جهة المشهد الذى كان بعسقلان من صحة أم لا ؟ .

ومن ذكر أمر رأس الحسين ، ونقله إلى المدينة النبوية دون الشام ومصر ؟ .

ومن جزم من العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن مشهد عسقلان ومشهد القاهرة مكذوب ، وليس بصحيح ؟

وليبسطوا القول فى ذلك ، لأجل مسيس الضرورة والحاجة إليه ، مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى (رأس الحسين / ١٥٣)

المراثى :

وقد أكثر الناس فى سيدنا الحسين المراثى حزنا عليه ، وأوردنا ثلاثة نماذج منها فى مادة « أدب بكاء آل البيت » م ٣ / ٢٩٠ ، ٢٩١ . ونبدأ المراثى هنا بقول منصور النميرى من قصيدة له :

تقتل ذرية النبى ويرجون خلود الجنات للقاتل

ويلك يـا قـاتل الحسين لقـد
بـؤت بحمل ينـوء بـالحـامل
أي حبـاء حبـوت أحمـد في
حضـرتـه مـن حـرارة الثـاكل
بـاي وجـه تلقى النبي وقـد
دخلت في قتلـه مع الـداخل
هلـم فـاطلب غـدا شفـاعتـه
أو لا فـرد حـوضـه مع النـاهل
مـا الشك عنـدي في حـال قـاتلـه
لكنني قـد أشك في الخـاذل
نفسي فـداء الحسين يـوم غـدا
إلى المنـايـا غـدو لا قـافل
ذلك يـوم أخنى بشفـرتـه
على سنـام الإسـلام والكـاهل
حتـى متـى أنـت تعجليـن : ألا
تنـزل بـالقـوم نقمـة العـاجل
لا يعجـل الله إن عجلـت ومـا
ربك عمـا تـريـن بـالغـافل
وعـازلي أنني أحب بني
أحمـد فـالتُّـرب في فـم العـاذل
قـد دنت مـا دينكـم عليـه فمـا
وصلـت مـن دينكـم إلى طـائل
دينكـم جفـوة النبي ومـا الـ
ـجافي لآل النبي كـالـواصل

وفي درر السمط يبـدأ عجـز البيـت الثاني بلفظ « فئت » موضع « بؤت » كما ورد البيت الخامس على النحو التالي :

تعـال غـدا واطلب شفـاعتـه
وانهض فـرد حـوضـه مع النـاهل

كما ورد عجز البيت السادس بدون لفظ « قد » (درر السمط / ١١٥ ، عن الأغاني ، دار الفكر ١٢ / ٢٤) .

ويلخص ابن الآبار مأساة كربلاء وآثارها على المسلمين فيقول : أية فتنة عمياء وداهية دهياء ، لا تقوم بها النوادب ، ولا تبلغ معشارها النوائب ! طاشت لها النهى وطارت ، وأفلت شهب الدجا وغارت . لولاها ما دخل ذل على العرب ، ولا ألف صيد الصقر بالخرب (الخرب : طائر الحباري ، والمعنى أن الوضيع قهر الشريف) وقصف النبع بالغرب ، فانظر إلى ذوي الاستبصار ، خضّع الرقاب نواكس الأبصار (درر السمط / ١١٤) .

عن ابن عائشة قال : وقف سليمان بن قتة بمصارع الحسين وأصحابه بكربلاء فاتكأ على قوسه وجعل يبكي ويقول :

إن قتيـل الطـف مـن آل هـاشـم
أذل رقـابـا من قـريش فـذلـت
مـررت على أبيـات آل محمـد
فلـم أرهـا أمثـالهـا يـوم حُلَّت
فـلا يبعـد الله الـديـار وأهلهـا
وإن أصبحـت منهـم بـرغمي تخلَّت
ألـم تـر أن الأرض أمست مـريضـة
لفقـد حسين والبـلاد اقشعـرت
وكـانـوا رجـاء ثم عـادوا رزيـة
لقـد عظمت تلك الـرزايـا وجلت

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني قال : أنشدنا محمد بن محمد الدهقان الإمام بجامع بلخ ، قال : أنشدت لسليمان بن قتة :

مـررت إلى أبيـات آل محمـد
فلـم أرهـا أمثـالهـا يـوم حُلَّت
فـلا يبعـد الله الـديـار وأهلهـا
وإن أصبحـت منهـم بـرغمي تخلت
ألا إن قتلى الطـف مـن آل هـاشـم
أذلـت رقـاب المسلمين فـذلـت

وكـانـوا غيـاثـا ثم أضحـوا رزيـة
لقـد عظمت تلك الـرزايـا وجلّت

(الحسين بن على / ١٢٧ ، ١٢٨) .

وقال قبلها كما يرويه ابن الأثير فى أسد الغابة :

ألم تـر أن الأرض أضحت مـريضـة
لفقـد حسين والبـلاد اقشعـرت
وقـد أعـولت تبكى السمـاء لفقـده
وأنجمهـا نـاحت عليـه وصلت

(أهل البيت فى مصر / ٤٨) .

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد السمعانى قال : سمعت أبا السعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب الواسطى بالنعمانية . مذاكرة من حفظه ـ يقول : سمعت القاضى أبا يوسف عبد السلام بن محمد القزوينى يقول : اجتمعت ـ يعنى ـ بأبى العلاء أحمد ابن عبد الله ابن سليمان المعرى .

فجرى بيننا كلام ، فقال أبو العلاء : ما سمعت فى مراثى الحسين بن على رضى الله عنهما مرثية تكتب ، قال : فقلت له : قد قال رجل من فلاحى بلدنا أبياتا يعجز عنها شيخ تنوخ فقال لى : أنشدنيها ، فأنشدته :

رأس ابن بنت محمـد ووصيـه
للمسلمين على قنـاة يـرفع
والمسلمـون بمنظـر وبمسمع
لا جـازع فيهم ولا متفجع
كحلت بمنظـرك العيـون عمـايـة
وأصـمّ رزؤك كـل أذن تسمـع
أيقظت أجفـانـا وكنت أنمتهـا
وأنمت عينـا لم تكن بك تهجع
مـا روضـة إلا تمنت أنهـا لك
تـربـة ولخطّ قبـرك مضجع

فقال أبو العلاء : والله ما سمعت أرق من هذا .

قال ابن العديم : قد رثى الحسين رضوان الله عليه بأشعار كثيرة لو بسطت يدى إلى إيراد جملة منها لطال ذكرها ، وامتنع حصرها (الحسين بن على / ١٢٩ ، ١٣٠) .

وللشاعر دعبل الخزاعى مرثية بليغة أوردنا لك بعضا من أبياتها فى مادة « أدب بكاء آل البيت » م ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ فانظرها فى موضعها .

ويسجل القاضى النعمان أحداث مأساة كربلاء فى أرجوزته الجامعة المعروفة بالأرجوزة المختارة ، وننقل هنا الجزء الخاص بالإمام الحسين رضى الله عنه ، كما نتبعها بشرح بعض الألفاظ ، وقد أبقينا على أرقام الأبيات كما وردت فى النص ، قال الناظم :

١٧٤٧ - وقـام بعـد الحسن الحسين
فلم تـزل لهم عليـه عين
١٧٤٨ - تـرعى لهم أحـوالـه وتنظـره
فى كل مـا يسـره ويجهـره
١٧٤٩ - وشـردوا شيعتـه عن بـابـه
وأظهـروا الطلب فى أصحـابـه
١٧٥٠ - ليمنعـوه كل مـا يـريـد
وكـان قـد وليهم يـزيـد
١٧٥١ - فأظهـر الفسـوق والمعـاصى
وكـان بـالحجـاز عنـه قـاصى
١٧٥٢ - ومكـره يبلغـه ويلحقـه
وعينـه بمـا يخـاف تـرمقـه
١٧٥٣ - ولم يكن هنـاك من قـد يـدفعـه
عنـه إذا هـم بـه أو يمنعـه
١٧٥٤ - وكـان بـالعـراق من أتبـاعـه
أكثـر مـا يـرجـوه من أشيـاعـه
١٧٥٥ - فسـار فيمن معـه إليهم
فقطعـوا بكـربـلا عليهم
١٧٥٦ - فى عسكـر ليس لهم تنـاهى
أرسلـه الغـاوى عبيـد الله
١٧٥٧ - يقـدمـه فى البيض والـدلاص
عمـرو بن سعـد بن أبى وقـاص

١٧٥٨ - فجــاء مثل السيل حين يــأتي
فحــال بين القــوم والفــرات
١٧٥٩ - وإذ رأى الحسين مــا قــد رابــه
نــاشــدهم بــالله والقــرابــه
١٧٦٠ - وجــده وأمــه الصــديقــه
وبعلهــا أن يــنذروا طــريقــه
١٧٦١ - وجـاء في الـوعظ وفي التحـذير
لهـم بقــول جــامع كثيــر
١٧٦٢ - فلم يــزدهم ذاك إلا حنقــا
ومنعــوا المــاء وســدوا الطــرقــا
١٧٦٣ - حتى إذا أجهــده حــر العطش
وقــد تغطى بــالهجيــر وافتــرش
١٧٦٤ - حرارة الـرمضاء ، نادى : ويلكم
أرى الكــلاب في الفــرات حــولكم
١٧٦٥ - تلـغ في المــاء وتمنعــونــا
وقــد لغينــا ، ويلكم فــاسقــونــا
١٧٦٦ - قــالــوا : لــه : لست تنـال المـاءا
حتى تنــال كفك السمــاءا
١٧٦٧ - قــال : فمــا تــرون في الأطفــال
وســائر النســاء والعيــال
١٧٦٨ - بني عليٍّ وبنــات فــاطمــه
عيــونهم لــذاك تهمي ســاجمــه
١٧٦٩ - فهل لكم أن تتــركــوا المــاء لهم
فــإنكم قــد تعلمــون فضلهم
١٧٧٠ - فإن تــروني عنــدكم عــدوكم
فشفعــوا في ولــدي نبيكم
١٧٧١ - فلم يــروا جــوابــه وشــدوا
عليــه ، فــاستعــد واستعــدوا
١٧٧٢ - فثبتــوا أصحــابــه تكــرمــا
من بعــد أن قــد علمــوا وعَلِمــا
١٧٧٣ بأنهم في عــدد الأمــوات
لمــا رأوا من كثــرة العــداة
١٧٧٤ - فلم ينــالــوا منهم قتيــلا
حتى شفى من العــدى الغليــلا
١٧٧٥ - واستشهــدوا كلهم من بعــد مــا
قــد قتلــوا أضعــافهم تقحمــا
١٧٧٦ - واستشهــد الحسين صلى ربــه
عليــه لمــا أن تــولى صحبــه
١٧٧٧ - مع ستــة كــانــوا أصيبــوا فيــه
بــالقتل أيضــا من بني أبيــه
١٧٧٨ - وتسعــة لعمــه العقيل
لهفي لــذلك الــدم المطلــول
١٧٧٩ - وأقبلــوا بــرأســه مع نسـوتــه
ومع بنيــه ونســاء إخــوتــه
١٧٨٠ - حــواســرا يبكينــه سبــايــا
على جمــال فــوقهــا الــولايــا
١٧٨١ - ووجهــوا بهم على البــريــد
حتى أتــوا بهم إلى يــزيــد
١٧٨٢ - فكيف لم يمت على المكــان
من كــان في شيء من الإيمــان
١٧٨٣ - أم كيف لا تهمي العيــون بــالــدم
ولم يــذب فــؤاد كل مسلم
١٧٨٤ - وقــد بكتــه أفق السمــاء
فــأمطــرت قطــرا من الــدمــاء
١٧٨٥ - وحــزن البــدر لــه فــانكسفــا
ونــاحت الجن عليــه أسفــا
١٧٨٦ - فيــا لتسكــاب دمــوع عيني
إذا ذكــرت مصــرع الحسين

(الأرجوزة المختارة / ١٨٠ - ١٨٤).

وفيما يلى شرح بعض الألفـاظ

البيت ١٧٥١ : قاصى : قصا المكـان يقصو قُصُوًّا : بعد فهو قصى .

البيت ١٧٥٢ : تـرمقه : رمـق : رمقه يـرمقـه رمقا : نظـر إليه ، ورمقته ببصرى ورامقته إذا أتبعته بصرك تتعهده وتنظر إليه وترقبه .

البيت : ١٧٥٤ : أشياعه : شيعه ، الجمع شيع وأشياع .

البيـت ١٧٥٧ : البيـض : الأبيـض : السيـف والجمـع البيض .

الـدلاص : اللين البــراق . يقـال : درع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع لفظ واحد .

البيت ١٧٦٣ : الهجير : الهاجـرة ، والهاجـرة : نصف النهـار عنـد زوال الشمس مع الظهـر أو من عنـد زوالهـا إلى العصـر لأن الناس يسكنـون فى بيـوتهم كأنهم قـد تهاجـروا ، وشدة الحر والجمع هواجر .

البيت ١٧٦٥ : تلغ ، لغينـا : ولغ الكلـب فى الإنـاء يلغ ولوغا أى شرب ما فيه بأطراف لسانه .

البيت ١٧٦٨ : تهمى : همى المـاء والدمع يهمى هميًـا وهميانا : سـال . ساجمة : سَجم الدمع سُجومـا وسجاما : قطر .

البيت ١٧٧٥ : تقحُّمـا : قحم فى الأمـر قحومـا : رمى بنفسه فيـه من غير روية وتقحيم النفس فى الشىء : إدخـالها فيه من غير روية .

البيت ١٧٧٧ : مع ستـة كـانـوا أصيبوا فيـه : هم عبـاس وعثمان وجعفر وعبـد الله أمهم أمن البنين ، وأبو بكر بن على أمه ليلى بنت مسعود ، ومحمد الأصغر بن على أمه أم ولد .

البيت ١٧٧٨ : وتسعـة لعمـه العقيـل : هم مسلم وعبـد الـرحمن وعبـد الله ، وجعفـر وعبـد الله بن مسلم ومحمـد بن مسلم .

قالت المؤلفة : لم يذكر الشـارح سوى ستة كما أنه لم يرد فى عمدة الطالب (٣٢ ـ ٣٥) شىء عن ذلك .

البيت ١٧٧٨ : الدم المطلول : أطل دمـه وطله الله وأطله أهدره ، وطل دمه فهو مطلول .

البيت ١٧٨٠ : حواسرا : الحاسـر من لا مِغفر له ولا درع ولا جُنة له .

البيت ١٧٨٦ : فيـا لتسكاب دموع عينى : سكبـت الماء سكبا أى صببتـه . وماء مسكوب أى يجـرى على وجه الأرض من غير حفـر . وسكب الماء بنفسه سكوبـا وتسكابا (الأرجوزة المختارة / ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة لابن العديم ـ حققه وقدم له د. سهيل زكـار / ٢١ ، ٧٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ونـور الأبصـار فى منـاقب آل بيت النبـى المختـار للشيخ سيـد الشبلنجى . ط دار الغـد العربى / ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٣ ، والخطط التـوفيقية الجـديدة لعلى بـاشا مبـارك ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٩٠ ، واستشهـاد الحسين للإمام الحافظ ابن كثير / ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٣٤ ، وتهـذيب الأسمـاء واللغـات لـلإمـام النـووى ١ / ١٦٣ ، ومرجع العلوم الإسلاميـة ـ د. محمد الزحيلى / ٥٥ ، وأهل البيت فى مصـر ـ الشيخ عبـد الحفيظ فرغلى / ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ومكارم الأخلاق للحافظ ابن أبى الدنيا ـ تحقيق ا وتعليق مجدى السيد إبراهيم / ١٣٨ ، ١٣٩ ، منهل الصفا فى تحقيق الـوفا والود لآل بيت المصطفى ـ السيـد محمـود أبو الفيض المنـوفى / ٦٥ ، ٦٦ ، والريـاض المستطابـة لـلإمام يحيى بن أبى بكر العـامرى اليمنى ٢٨٩ ، ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، ٢٨٧ ، وعمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب لابن عنبة / ١٩١ ، والفخرى فى الآداب السلطـانيه والـدول الإسلاميـة لمحمـد بن طباطبـا المعروف بـابن الطقطقى ـ راجعها ونقحها محمـد عوض بك إبراهيم والأستاذ الشيخ على الجارم / ١٠٦ ، ١٠٧ ، والتـذكرة فى أحوال المـوتى وأمور الآخرة لـلإمام القرطبى ـ حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٦٥٦ ـ ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ومختصـر تـذكـرة القـرطبى للقطب الصمـدانـى الإمـام الشعرانى / ٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ودرر السمط فى خبر السبط لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بـن أبى بكر القضاعى المعروف بابـن الأبار ـ تحقيق د. عـز الـدين مـوسى ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، وتـاريخ المساجد الأثرية حسن عبد الوهاب / ٧٩ ـ ٨٣ ، ورأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبوع فى كتاب استشهاد الحسين للإمام الحافظ ابن كثير ـ تقديم د. محمد جميل غـازى/ ١٥٣ ، والأرجـوزه المختـارة للقاضى النعمـان ـ

تحقيق إسماعيل قربان حسين يوناوالا / ١٨٠ ـ ١٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ . انظر أيضا الحسن والحسين ـ أحمد الشهاوى سعد شرف الدين . مطبعة التأليف ١٩٧٨ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٥٩ ـ ١٦١)

انظر : آل البيت ، أدب بكاء آل البيت ، التوابون ، الحسينى (المشهد ـ بالقاهرة) ، الحسين (المشهد ـ بكربلاء) .

*** أبو الحسن بن هند الفارسى :**

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسين على بن هند الفارسى القرشى . من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم . صحب جعفرا الحذاء ، ومن فوقه من المشايخ بفارس ، وصحب أيضا الجنيد وعمر المكى ، ومن فى طبقتهم . وكان له الأحوال العالية والمقامات الزكية .

ومن كلامه :

ـ ليس حكم ما وصفنا حكم ما نازلنا .

ـ المتمسك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام الآفات ، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شىء من أمور دينه ودنياه ، بل يجرى فى أوقاته على المشاهدة لا على الغفلة ، يأخذ أشياء من معدنها ، ويضعها فى معدنها .

ـ استرح مع الله ، ولا تسترح عن الله ، فإن من استراح مع الله نجا ، ومن استراح عن الله هلك . والاستراحة مع الله تروّح القلب بذكره ، والاستراحة عن الله مداومة الغفلة .

ـ أصول الخيرات أربعة : السخاء ، والتواضع ، والنسك ، وحسن الخلق .

ـ أصل كل خير ملازمة الأدب فى جميع الأحوال والأعمال .

ـ عمارة القلب فى أربعة أشياء : فى العلم ، والتقوى ، والطاعة ، وذكر الله . وخرابه من أربعة أشياء : فى الجهل ، والمعصية ، والاغترار ، وطول الغفلة .

ـ دم على الصفاء إن كنت تطمع فى الوفاء .

ـ الاستقامة تقوِّم العبيد فى أحوالهم ، لا الأحوال تقوِّمهم .

ـ من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر ، أوقع حرمته فى قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوبهم ، فلا تراه إلا ممقوتا ، وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله لأن النبى ﷺ قال : « من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » .

ـ حسن الخلق على معان ثلاثة : مع الله بترك الشكوى ، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس ، ومع الخلق بالبر والحلم .

ـ القلوب أوعية وظروف ، وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات : فقلوب الأولياء أوعية المعرفة ، وقلوب العارفين أوعية المحبة ، وقلوب المحبين أوعية الشوق ، وأوعية المشتاقين أوعية الأنس . ولكل من هذه الأحوال آداب ، من لم يستعملها فى أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة .

ـ اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال ، فإنه ملجأ الكل ، فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٩٧ ، ٩٨) .

*** الحسين (حىْ.) :**

سمى كذلك نسبة لوجود مسجد الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو يبعد عن الجامع الأزهر بخطوات قليلة حيث لا يفصلهما سوى ميدان واسع .

وأهم مميزات الحى وآثاره الهامة :

ـ شارع الموسكى ، وهو شارع تجارى كبير جدا ـ مواز لشارع الأزهر ، وعلى جانبيه محال ودكاكين حتى ميدان العتبة

ـ حى خان الخليلى ... يوجد بين ميدان العتبة وشارع المعز وشارع الموسكى وهذا المكان كان عبارة عن مقابر للفاطميين ، تسمى « جبانة الزعفرانة » ، وأمر السلطان «برقوق» بنقل المقابر إلى مكان آخر ... ونفذ الأمر الأمير «الخليلى» الذى بنى لنفسه بيتا ليبيت فيه التجار والمسافرون فسمى الحى باسمه .

ومن أهم آثاره : المسافرخانة ، وكان فى الأصل فندقا ثم أصبح مرسما للفنانين ، وبه غرف كثيرة على الطراز الإسلامى وبه مشربيات وأبواب وشبابيك ، وبنى السلطان الغورى «خان

الخليلى » من جديد ، واشتهر خان الخليلى ببيع التحف المصرية الجميلة فرعونية كانت أو عربية ، وتشتهر بأنها مطعمة بالصدف والمشغولات النحاسية والمسابح والفضيات والملابس وهى منطقة جذب سياحى . ورغم ضيق شوارعها وحواريها إلا أنها تزخر بمحلات بيع التحف الثمينة الغالية والنادرة .

ـ أهم آثار الحى ... هو مسجد سيدنا الحسين الذى يحيط به ثلاثة شوارع وميدان الحسين . ولقد استشهد سيدنا الحسين فى معركة كربلاء بالعراق ، وله مسجد هناك ، وجاء رأسه الشريف للقاهرة ليدفن بالمسجد ، وهو مسجد رائع وجميل وآية من آيات الروعة والجمال ويضم المسجد بعض الآثار النبوية . والمسجد تم تجديده فى عهد الفاطميين ولم يعد باقيا من المسجد القديم سوى الباب الأخضر .

(موسوعة محافظات ـ مصر القاهرة والجيزة جمهورية مصر العربية . وزارة الإعلام . الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٨ / ١٦) .

انظر : الأزهر (حى ـ) ، الحسين بن على رضى الله عنه .

*** أبو الحسن الصوفى (٢٩١ - ٣٧٦ هـ / ٩٠٣ - ٩٨٦ م) :**

قال عنه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله :

هو أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفى الرازى

كان الصوفى من أفاضل المنجمين ، ومصنفى الكتب الجليلة فى الفلك ولد « بالرى » سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ، وتوفى سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م .

اتصل « بعضد الدولة » من سلاطين الدولة البويهية ، وكان محل احترامه وإجلاله وتقديره .

« وكان عضد الدولة إذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول : معلمى فى النحو ؛ « أبو على الفارسى الفسوى » ، ومعلمى فى حل الزيج ؛ « الشريف بن الأعلم » ، ومعلمى فى الكواكب الثابتة وأماكنها وسيرها ؛ « الصوفى » ... » (ابن القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء / ١٥٢) واعترف « للصوفى » « ابن النديم »و « ابن القفطى » وغيرهما .

وقال ابن العبرى المؤرخ : « كان الصوفى فاضلا نبيها نبيلا» ، كما اعترف علماء الإفرنج بقيمة مؤلفاته فى الفلك، ودقة وصفه لنجوم السماء مما يساعد على فهم التطورات التى تطرأ على النجوم .

وقد قال « سارطون » . ـ « إن الصوفى من أعظم فلكى الإسلام » (« سارطون » : مقدمة لتاريخ العلم مجلد ١ / ٦٦٥) .

« كتاب الكواكب الثابتة (مصورا) » (انظر الصورة المصاحبة لهذه المادة) « كتاب الأرجوزة فى الكواكب الثابتة (مصورا) » .

« كتاب التذكرة » .

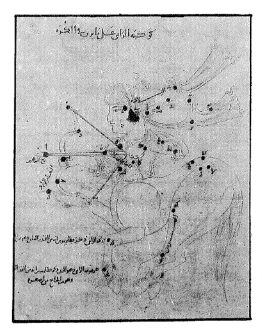
« كتاب مطارح الشعاعات » .

وفى مكتبات أوربا والأسكوريال ، وباريس ، وأكسفورد وكوبنهاجن ، وبطرسبورج نسخ من بعض هذه المؤلفات .

وفى سنة ١٨٧٤ م نشر « شيلرب » الفلكى الدينماركى . ترجمة فرنسية لكتابين عربيين من كتب « الصوفى » :

أحدهما : فى المكتبة الملكية « بكوبنهاجن » ، والثانى : فى « بطرسبورغ » وقد نشر « ألاردغور » فى إحدى المجلات الإنكليزية ، مقالا عن « كتاب الصوفى فى الكواكب الثابتة » جاء فيه :

« إن الصوفى « بنى كتابه على كتاب بطلميوس ـ المجسطى » وأنه لم يكتف بمتابعته ، بل رصد « الصوفى »



النجوم جميعا نجما نجما ، وعين أماكنها وأقدارها بدقة تثير إعجابه .

وقد اكتفى عند البحث فى أماكنها بإصلاحها بالنسبة إلى مبادرة الاعتدالين ، واعتمد فى الأقدار على رصده ، وهو يذكر قدر الكواكب بحسب « بطلميوس » ، إذا كان مخالفا للقدر الذى ظهر له ، ومن هنا كان ـ ولا يزال ـ لكتابه فائدة عظمى فى الاستدلال على تفسير أقدار النجوم من عصر «بطلميوس » أو « هبرخس » ، إلى عصر « الصوفى » ثم إلى العصر الحاضر ، ولم يكتف « الصوفى » بذلك كله ، بل قابل بين أقدار بعض الكواكب .

ويقول « ألاردغور » : وأكثر الأقدار التى أوردها «الصوفى» ، مثل أقدارها المعتمد عليها الآن فى أزياج «أجلندر » و « هيس » ، ولو خالفت أقدار « المجسطى » .

ومما تمتاز به أرصاد « الصوفى » : أنه لم يذكر لون الشعرى العبور مع أن « بطلميوس » و « هبرخس » قالا : إن لونها ضارب إلى الحمرة ، فكأن احمرارها كان قد زال فى أيامه ، وصار لونها كما هو الآن .

وقد بين الأستاذ « سى » الفلكى : أن لون الشعرى كان أحمر فى الأزمنة الغابرة ، وقال « سنكا » : إنها كانت أشد حمرة من المريخ .

ويتابع المستر « ألاردغور » مقاله ، فيقول : بأن «الصوفى» يقول إن لون الغول أحمر ، وهو الآن أبيض . ولذلك فلونه أو لون تابعه قد تغير عن عصر « الصوفى » إلى الآن . وذكر السديم الذى بالمرأة المسلسلة ، ولم يذكره أحد فى أوربا قبل سنة ١٦١٢ م ، حين ذكره « سمعان ماريوس » . أما « الصوفى » فيذكره كشىء مشاهد فى عصره .

وتكلم « الصوفى » عن مبادرة الاعتدالين فقال : إن «بطلميوس » وأسلافه راقبوا حركة دائرة البروج فوجدوها درجة كل مئة سنة . أما هو فوجدها درجة كل ٦٦ سنة . وهى الآن درجة كل ٧١ سنة ونصف سنة .

وعلل استخدام منجمى العرب لمنازل القمر باعتمادهم على الشهر القمرى ، وقال : إن كثيرين يحسبون عدد النجوم الثابتة ١٠٢٥ ، والحقيقة أن عدد النجوم الظاهرة أكثر من ذلك ، والنجوم الخفية أكثر من أن تحصى ، وعد ١٠٢٢ من النجوم ، ٣٦٠ منها فى الصور الشمالية ، و٣٤٦ فى دائرة البروج ، و ٣١٦ فى الصور الجنوبية .

وأخيرا يقول « ألاردغور » : إن كتاب « الصوفى » أصح من كتاب « بطلميوس » ، وزيجه أصح زيج وصل إلينا من كتب القدماء (المقتطف م ٣٣ / ٦٠) .

ويقول « سارطون » : (مقدمة لتاريخ العلم ١ / ٦٦٦) إن كتاب « الصوفى » فى الكواكب الثابتة ، أحد الكتب الرئيسية الثلاثة التى اشتهرت فى علم الفلك عند المسلمين . أما الكتابان الآخران ، فأحدهما : « لابن يونس » ، والآخر : «لألغ بك » .

ويمتاز « كتاب الكواكب الثابتة » فى رسومه الملونة للأبراج وبقية الصور السماوية ، وقد مثلها على هيئة الأناسى والحيوانات . فمنها : ما هو بصورة كهل فى يده اليسرى قضيب أو صولجان ، وعلى رأسه قلنسوة وعمامة فوقها تاج .

ومنها : ما هو على صورة رجل فى يده اليمنى عصا ، أو رجل مد يديه ؛ إحداهما إلى مجموعة من الجمع ، والثانية : إلى مجموعة أخرى .

ومنها أيضا : ما هو على صورة امرأة جالسة على كرسى له قائمة كقائمة المنبر .

وكذلك منها : ما هو على صورة دب صغير قائم الذنب ، أو صورة الأسد ، أو الظباء ، أو التنين ، وغير ذلك مما يطول الكلام فيه .

ومن رغب فى الاستزادة ، فليرجع إلى الفصل الأخير من كتاب « بسائط علم الفلك للدكتور يعقوب صروف » وفيه بحث مفصل عن وصف صور السماء ، مأخوذة عن نسخة من « كتاب الصوفى » وغيره ، محفوظة بدار الكتب المصرية فى القاهرة .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٢٢٣ ـ ٢٢٦ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٣ / ٣١٩) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة هى صورة

مخطـوط كتـاب « الكـواكب الثـابتــة » ، وهـو من أقــدم المخطـوطـات الإسلاميـة التى بقيت حتى اليـوم . وقـد نسخ المخطوط ورسم صـوره فى سنة ١٠٠٩ ـ ١٠١٠ م رجل يقال إنه ابن المؤلف ، ونـرى فيه « كوكبة الـرامى » يمثلها « قنطور » وهو كائن خرافى نصفه رجل ونصفه فرس ، يمسك بيده قوسا مزدوجا (أو قوسـا آسيويا) كما يكون محفورا أو مـرسوما على سطح الكرة السماوية .

* **حسين المدنى (١٨٧٩ - ١٩٥٧ م) :**

مولانا حسيـن أحمد المدنى ، أحد زعماء الهنـد البارزين فى السياسة والـدين معا وكان صاحب صـوت مسموع وكلمة مطاعة فى الشئون السياسية والدينية على السواء فى شبه القارة الهندية ...

كان شيخا للحديث فى مدرسة دار العلوم بديوبند ، وهى مدرسـة أنشأها جلـة من علماء الهنـد المسلمين أمثال الشيخ محمد قاسم النانتوى والشيخ رشيـد أحمد الكنوكوهى والشيخ أمـداد الله ، وهؤلاء وأمثـالهم هم الأساتـذة الذين تخـرج على أيديهم مولانـا حسين المدنى وغيره من عظمـاء العلماء الهنود أمثال الشيخ محمود الحسن والشيخ محمد أشرف .

كـان يـرى أن الدين واستقـلال الـوطن وعـزته ــ فى نظـر الإسلام ـ مرتبط بعضه ببعض ولا يجوز لمسلم أن يسكت على الاحتلال الأجنبى لبلاده ، وينعزل عن الحركة الوطنية .

كانت آراؤه الثورية التحررية ، سببا فى اضطهاده ، ثم فى سجنه ونفيه ، وقد اعتقل منفيا فى مالطة ثلاث سنوات ...

رأس جمعيـة علمــاء الهنـد ، إلى جــانب منصب شيخ الحديث فى دار العلوم .

يقول عنه بعض مؤرخيه :

« تعتبـر حياة العـالم الـوطنى الفذ الشيخ حسين المـدنى نمـوذجا حيـا للعالم الفـاهم الذى يعـرف مكانتـه ورسالتـه ، ويـدرك حق ربه وحق وطنـه وأمته من كـافة النـواحى الروحيـة والتعليمية والسياسية والوطنية .

لقد كانت حياته جهادا موصولا وكفاحا دائما وأسوة حسنة لمن يـريـد أن يعـرف الطـريق إلى خـدمـة الـدين والـوطن والناس ...

كـان ميلاده فى السـادس من أكتوبـر سنة ١٨٧٩ وكانت وفاتـه فى الخـامس من ديسمبر سنـة ١٩٥٧ فى منـزله بجـوار مدرسة دار العلـوم بديوبند حيث دفن قريبـا من المعهد الذى شع منه نوره على المسلمين فى الهند .

رحمه الله ورضى عنه ...

(« مـولانا حسين أحمـد المـدنى » ــ العـوضى الـوكيل . الـوعى الإسـلامى . السنة الخامسة . العـدد ٥٨ شـوال ١٣٨٩ هـــ ١٠ ديسمبـر (كانون أول) ١٩٦٩ م / ١٠٠) .

* **حسين المرصفى (- ١٣٠٧ هـ / - ١٨٨٩ م) :**

حسين بن أحمـد بن حسين المـرصفى ، أديب محاضـر أزهرى مصـرى ، ضريـر . تولى التـدريس بالأزهـر ، ثم كان أستاذا لـلأدب العربـى وتاريخه فـى دار العلوم بـالقاهـرة سنة ١٢٨٨ هـ . وتعلـم اللغة الفرنسيـة . له « الكلم الثمـان » فى الأمة والـوطن والحكومـة والعدل والظلم والسيـاسة والحـرية والتربية ، و « زهرة الـرسائل » ، و « دليل المسترشد ، فى فن الإنشاء » ثلاثة أجزاء ، و « الوسيلة الأدبية فى العلوم العربية » مجلدان ، وهو مجموع محاضراته فى دار العلوم .

قالـت المؤلفة : النسخـة التى عنـدى من كتاب الـوسيلة الأدبية ـ حققها وقدم لها الدكتـور عبد العزيز الدسوقى ، طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢ ، ويقع فى جزءين .

نسبته إلى مـرصفى (من قرى القليوبية بمصـر) ولمحمد عبد الجواد كتاب « الحسين بن أحمد المرصفى الأستاذ الأول للعلوم الأدبيـه بدار العلـوم » مطبوع ، جاء فيـه وصف «دليل المسترشد » (الأعلام ٢ / ٢٣٢) .

قـالت المؤلفـة : للدكتـور عبد العـزيز الـدسوقى كتـاب «حسين المرصفى » سلسلـة نقاد الأدب (٢) الهيئة المصـرية العامة للكتاب ١٩٩٠ ، وهو عندى .

(الأعـلام للـزركلى ٢ / ٢٣٢ عن آداب شيخـو ٢ / ٨٠ وأعـلام من الشرق والغـرب / ٦٧ ــ ٨١ ، وعصر إسمـاعيل لعبـد الرحمن الـرافعى / ٢٦٩ ومعجم المطبوعات/ ١٧٣٥ ، وقد أدرجه تحت اسم « المرصفى »)

*** أبو الحسين الوراق النيسابورى (ـ قبل ٣٢٠ هـ) :**

من الطبقة الثالثة للصوفية ، وهو أبو الحسين محمد بن سعد الوراق ، وهو من كبار مشايخ نيسابور، ومن قدماء أصحاب أبى عثمان ، وله كلام على سنن كلام أبى عثمان . وكان عالما بعلوم الظاهر ، ويتكلم فى دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال .

مات قبل العشرين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

ـ الكرم فى العفو ألا تذكر جناية صاحبك بعد أن عفوت عنه .

ـ اللئيم لا يوفق فى ذكرى الحى الذى لا يموت ، والعيش الهنئ مع الله لا غير .

ـ لا يصل العبد إلى الله إلا بالله ، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم فى شرائعه ، ومن جعل الطريق إلى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد ، ومن وصل اتصل، وما رجع من رجع من الطريق إلا من الإشفاق على النفس وطلب الراحة ، لأن الطريق إلى الله صعب لمن لم يدخل فيه بوجد غالب وشوق مزعج ، فيهون عليه إذ ذاك حمل الأثقال ، وركوب الأهوال ، فإذا انقادت له النفس على ذلك ، وهان عليه ما يلقى فى طلب المحبوب سهل الله عليه سبيل الوصول .

ـ أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى . فإن منه يتشعب جميع الخيرات ، وأسباب القربة والتقرب ، وأصل التقوى والإخلاص ، وحقيقته التخلى عن كل شيء إلا ممن إليه تقواك .

ـ الصدق استقامة الطريق فى الدين ، واتباع السنة فى الشرع .

ـ الشهوة أغلب سلطان على النفس ، ولا يزيلها إلا الخوف المزعج .

ـ اليقين ثمرة التوحيد ، فمن صفا فى التوحيد صفا له اليقين .

ـ من لم يفن عن نفسه وسره ورؤية الخلق لا يحيا سره لمشاهدة الخيرات والمنن .

ـ مخافة خوف القطيعة أذبلت نفوس المحبين ، وأحرقت أكباد العارفين ، وأسهرت ليل العابدين ، وأظمأت نهار الزاهدين ، وأكثرت بكاء التائبين ، ونغصت حياة الخائفين .

ـ التوكل استواء الحال عند العدم والوجود ، وسكون النفس عند مجارى المقدور .

ـ علامة محبة الله تعالى متابعة حبيبه ﷺ .

ـ أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثانى الوفاء ، والثالث الشكر ، والرابع الصبر ، والخامس الرضا .

ـ فى رؤية النفس نسيان منن الله تعالى عليك .

ـ أنفع العلم العلم بأمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، وأعلى العلوم العلم بالله وصفاته وأسمائه .

ـ الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة إليهم حمق ، والسكون إليهم عجز ، والاعتماد عليهم وهن ، والثقة بهم ضياع . وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره ، وتوكله عليه ، وصان سره عن النظر إليهم ، وظاهره عن الاعتماد عليهم .

ـ من غض بصره عن محرم أورثه الله تعالى بذلك حكمة على لسانه ، ينتفع بها سامعوه ، ومن غض بصره عن شبهة نور الله قلبه بنور يهتدى به إلى طرق مرضاته .

ـ من أسكن نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ، ومن طمع فى شيء ذل ، وبذله هلك وقديما قيل :

أتطمع فى ليلى ، وتعلم أنما
يقطع أعناق الرجال المطامع ؟

ـ لا يصل العبد إلى شيء من التقوى وعليه بقية من الزهد والورع ، والتقوى مقرونة بالراحة قال الله تعالى ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾ [الطلاق : ٢] .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧١ ـ ٧٢) .

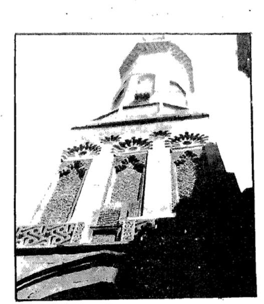
*** الحسينى (المشهد ـ بالقاهرة) (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) أثر ٢٨ :**

نبدأ الكلام على هذا المشهد الجليل بما أورده عنه على باشا مبارك صاحب الخطط التوفيقية ، ووصفه لما كان عليه المشهد فى زمانه ، مما يتيح لنا مقارنته بما كان عليه آنذاك ،

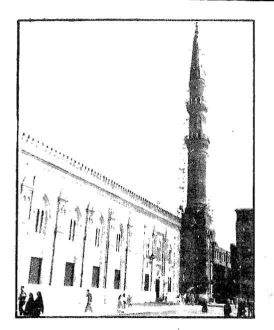
وما هـو عليه الآن بعد الترميم الأخير الـذى تم سنة ١٩٨٥ .

يقول على مبارك .

هذا الجامع فى ثُمْنِ الجمـالية ، بالقاهرة المعـزية ، قرب جـامع الأزهـر ، فيما بينـه وبين قصـر الشـوك ، بجوار خـان الخليلى . أنشىء حيث مشهد رأس الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى أنشأه لـه الفاطميون سنة تسع وأربعين وخمسمـائة على يـد الصـالـح طـلائع بن رزيك فى خلافة الفـائز بنصر الله ، وهو جامع كبير شهير عـامر ، مقام الشعائر من لدن إنشائه إلى اليوم بالأذان والجمعة والجماعات وتـلاوة القـرآن ودروس العلم الشـرعى والـزوار والأذكـار ليـلا ونهارا، ولا يـدانيه فى ذلك مشهـد فى سائر القطـر ، ولا يزال كذلك إن شـاء الله تعالى ، فهـو الحرم المصـرى ، والمشهد الحسينى ، المنفـرد بـالـمزايـا السنيـة ، والأنـوار الحسيـة والمعنـوية ، ولعظيم وقعـه ونفعـه ، وكثرة احتفـاله وجمعـه ، وتعدد نفحاتـه ، وتزايد بركاته ، اعتنى الأكـابر والأمراء فى كل عصر بعمارته وزخرفته وتحليته ، وإعـلاء شأنه وفرشه بالفرش النفيسة ، وتنـويره بالشموع والـزيوت الطيبة فى قنـاديل البلور ونجفـاتـه ، ورتبـوا لـه فـوق الكفـايـة من الأئمـة والمـؤذنين



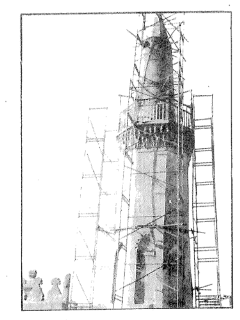
المنارة القديمة أعلى الباب الأخضر



الواجهة الجنوبية الغربية للمسجد – أثناء الترميم .

والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين والوقادين والسقائين ونحـو ذلك ، وجعلوا للضـريح خـدمة تخصـه ، ورتبوا قـراء للقرآن والـدلائل والتوسلات ، ووقفـوا عليه أوقافـا جمة يبلغ إيرادها الآن نحو ألف جنيه فى السنة ، ولزيادة المحافظة على نظافته واحترامه ترى على كل باب من أبوابه جمعا من البوابين للغلق والفتح ، ولهم رفـوف من الخشب أو الجـريد يضعـون عليهـا نعال الـداخلين ، ويمنعـون الدخـول بأعـواد الدخـان ونحوها .

وآخر من عمـره قبل عمارة الخـديو إسماعيل هـذه الأمير عبد الـرحمن كتخدا فإنه فى سنـة خمس وسبعين ومائة وألف أجرى فيه عمـارة عظيمة وزاد فى تحسينة ورونقه ، وكـانت به عمد من الرخام الأبيض ، وكان فـى جانبه الأيمن إيوان كبير، وعن شمـال المحـراب ركبـة مـن البنـاء فيهـا قبـور لبعض الصالحيـن يعرف بعضهم بالأميـن ، وهناك قبر الشيـخ أحمد الملوانـى شيخ السادة المـالكية ، وكانـت حنفيته فى مكـانها اليوم ، وميضأته أقـل من عشر فى عشر ، ومرافقـه قليلة ، وله منارتان ، وصهريج فوقه سبيل . وكان المرحوم عباس باشا فى

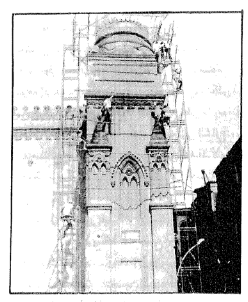


المئذنة القديمة – أثناء الترميم .

ولايته على ديار مصر قد عزم على توسعته والزيادة فى تحسينه ـ على عادته من الاعتناء بعمارة مشاهد أهل البيت ـ فاشترى الأملاك التى بجواره وهدمها وشرع فى البناء فوضع الأساس ، ثم اخترمته المنية فبطلت العمارة .

وبقيت الأرض براحا إلى أن اشتراها مصطفى بيك العنانى، وعمرها لنفسه رباعا وفنادق للاستغلال ويقال إنه وجد بها كنزا عظيما خلف قبة المشهد الحسينى .

ولما أخذ الخديو إسماعيل باشا بزمام ولاية الديار المصرية سنة تسع وسبعين ومائتين وألف أمر بتجديده وتوسعته وتوسعة رحابه وطرقه ، لما رأى من أهميته وازدحام الناس عليه وضيقه بهم ، لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فج على العربات والخيل والبغال والحمير حتى تزدحم أبوابه وطرقه ، فيضر ذلك بالمارة خصوصا أزمان المواسم ، ففتح بجواره شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلول البرقية وندبنى لعمل رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن ، فبذلت الهمة فى ذلك وامتحنت الجامع وما حوله من الأماكن ، وعملت له الرسم اللائق بعظيم شأنه ، بحيث لو وضع عليه لكان مبرأ من العيوب ، مع الاتساع العظيم داخلا وخارجا ، إذ جعلته منفصلا من كل جهة عن المساكن بشوارع وميادين رحيبة وجعلت شكله قائم الزوايا ، وجعلت حدَّه الأيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجداران واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ، ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع ، وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذى به محرابها بحيث يكون الجداران واحدا ، والحد الرابع الذى يلى خان الخليلى هو الذى له الآن ، وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن للجامع ـ أعنى فى محل الإيوان القديم بجوار عمارة العنانى ـ وتكون عن يمين ذلك المطهرة والأخلية / والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العنانى ، فيكون الجامع آمنا من انعكاس روائح الأخلية إليه كما هو الشأن فى وضع الأخلية ، وفى هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجا عن الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب ، داخلا فى الصحن فى جهته اليسرى ، وجعلت للضريح بابا إلى الجامع ، وبابا إلى الصحن ، وبابا على شارع الباب الأخضر لزيارة النساء ، وجعلت سعة الشارع فى غربيه وشرقيه نحو ثلاثين مترا ، وفى بحريه نحو أربعين ، فلما قدمته له وقع منه موقع الاستحسان



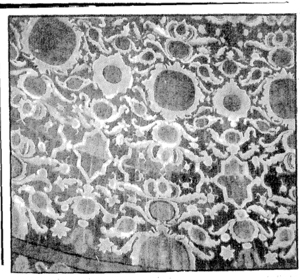
أعمال التنظيف الميكانيكى للمنارة الغربية .



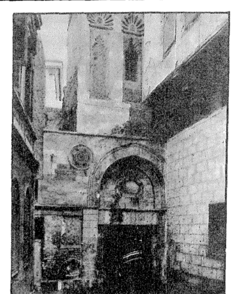
باب حجرة المخلفات النبوية الشريفة .

ورآه موافقا لمرامه ، فأحضر الأمير راتب باشا الكبير رحمه الله ـ وهو يومئذ ناظر ديوان الأوقاف المصرية ـ وأمره بإجراء العمارة على هذا الرسم ، والتزم زاده الله توفيقا بما يلزم له من الرخام ونحوه من ماله ، ثم شرعوا فى هدمه فهدم جميعه ما عدا القبة والضريح الشريف ، وشرعوا فى بنائه وذلك فى الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف . وفى ثمان وعشرين من شهر شعبان سنة تسعين تم جميعه إلا المنارة فتمت سنة خمس وتسعين ، لكن لم يجر المرحوم راتب باشا فى وضع هذا الجامع على ما رسمنا زاعما أن هذا الرسم يلزمه خروج بعض الجامع إلى الشارع ، مع أنه لا يلزم ذلك عند التأمل فى الرسم ، على أنه قد لا يكون مانع شرعا من توسعة الشارع من الجامع ، ففى حاشية العلامة ابن عابدين على الدر المختار فى باب الوقف والمعتمد الذى عليه المتون أنه يجوز عند الضرورة ، وتسقط حرمة المرور فيه للضرورة ، لكن لا يسقط عنه جميع أحكام المسجد ، فلا يجوز فيه المرور لجنب وحائض ودواب إلى آخر ما بينه فيه اهـ ملخصا . لكنه لم ير لتحسين الوضع أهمية ولا قانونا يرجع إليه ، بل اتبع آثاره القديمة وأقام جدرانه على أصولها تقريبا ، واعتمد على ما يخطر ببال المباشرين والمعمارية مع ما استحسنه من رسمنا ، كإزالة بناء القبور التى كانت عن شمال القبلة ، وأدخلها فى الجامع واشترى دورا كنا نبهنا عليها فوسع بها الصحن ، وبنى الجامع كما ترى غير قائم الزوايا فإن ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر ، وكذا الضلعان الآخران غير متساويين ، فأوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة ، بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبله كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين ، وصار الجامع مع سعته وارتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء ، ولسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الارتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف . ومن العجيب أن منحنيات قواصر الأساطين جاءت على شكل مخالف لأشكال المنحنيات الهندسية ، إلى غير ذلك من الأسقام .

ولما تقلدت نظر الأوقاف ، وجدت ثلاثة أضلاعه قد تمت وارتفع أساس الرابع وتمت أضلاع الصحن ، ووجدت الرأى ضالا عن محل وضع المرافق ، والمساكن متصلة به من جهتى القبلة والشمال ليس بينهما إلا ممر ضيق ، فأسفت على ما فات هذا الحرم من المحاسن ، وأعملت الفكر فى رسم يرجى به إصلاح بعض ما أساءت أيدى الأنظار ،



الزخارف على الألواح الخشبية المغلفة لباطن القبة .



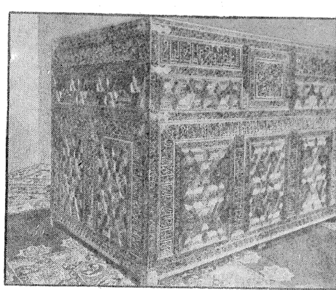
الباب الأخضر ٥٤٩ هـ (١١٥٤/٥٥م) وقاعدة المئذنة ٦٣٤هـ (١٢٣٧م)

المشهد الحسيني ٥٤٩ هـ (١١٥٤/٥٥م)

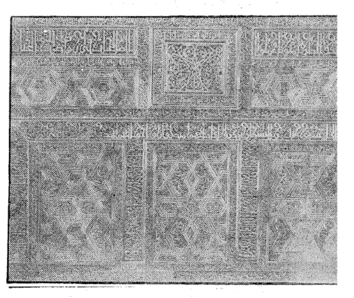
واشتريت فى هاتين الجهتين دورا تجعل فى محلها الميضأة والمرافق والطرق والميدان الموجود الآن ، وقد تعسر جعل المنافع عن يمين الجامع إذ وجدتُ العنانى قد بنى ذلك الموضع لنفسه رباعا ، ولم يرض بإعطاء شىء منها إلا بأضعاف قيمتها ، ثم انفصلت عن الأوقاف فتمموا المنافع على ما هى عليه الآن ، ولم يتبعوا فيها أيضا جميع ما رسمته ولا تحروا قانونا حسنا ، وكل هذا مع كثرة ما صرف على عمارة هذا الجامع مما لا يدخل تحت الحسبان ، فقد صرف عليه من خزينة الأوقاف سبعة آلاف ألف قرش وثمانمائة وستون ألف قرش ومائة واثنان وخمسون قرشا وواحد وعشرون نصفا فضة عملة ديوانية ، غير ما تبرع به الخديو إسماعيل من خزينة ماله الخاص به ، فقد أرسل إلى دار السلطنة فأحضر جميع عمد الرخام التى به وبالصحن والميضأة وهى تنيف عن ستين عمودا بجلساتها ، فلو أنه وضع على قوانين الرسوم الهندسية لجاء فريدا فى محاسن الجوامع والمشاهد :

يــــريــــد العبــــد أن يعطى منــــاه
ويــأبــى الله إلا مــــــــا أرادا

ثم إن جميع بناء هذا الجامع بالحجر الفص النحيت، وله إلى جهة خان الخليلى ثلاثة أبواب مبنية بالرخام الأبيض كأعتابها ، ويكتنف كل باب عمودان من الرخام ، ومثلها الباب الأخضر الذى بجوار القبة عند الباب المعروف بباب المتولى ، يقولون : إن القطب يدخل منه كل يوم لزيارة الضريح الشريف . ويدعو الزائرون عنده كثيرا ، كما يقولون : إن سيدى أحمد البدوى يأتى للزيارة فيقف عند العمود الذى بجوار المنبر أمام باب القبة ، ويسمونه بعمود السيد البدوى ويقبلونه ويدعون عنده ويقرؤون الفاتحة ، وله باب إلى عمارة العنانى غير مستعمل ، وباب بين الميضأة والساقية غير باب الميضأة ، وبالجامع منبر خشب بديع مطلى بالليقة الذهبية ، وهو منبر جامع أزبك الذى كان عند العتبة الخضراء بالأزبكية نقل إليه بعد تخربه ، وفى مؤخره دكة تبليغ كبيرة وبداخله أربعة وأربعون عمودا عليها بوائك حاملة للسقف ، وهو من الخشب المتقن الصنعة المنقوش باللازورد والليقة الذهبية ، وفى وسط السقف ثلاثة مناور مرتفعة البناء مسقوفة كذلك ، وبها نحو ثلاثين شباكا صغيرة عليها شبابيك من ألواح الزجاج ، وبأربع جدران الجامع والصحن نحو ثلاثين شباكا عليها شبابيك من النحاس المطلى بالليقة الذهبية ، يعلوها فى الجهة البحرية شبابيك صغيرة دوائرها من الرخام ، وفى الجامع بجدار الضريح باب خزانة البسط ونحوها ، وصحنه مكشوف الوسط وبدائره أربع بوائك مسقوفة على اثنى عشر عمودا ، وميضأته أكثر من عشر فى عشر مسقوفة على أربعة أعمدة من الرخام ، ويفصلها من الأخلية طرقة ضيقة ، وله أحد وعشرون بيت خلاء ومصنعان للحموم ، وساقية قديمة كانوا قد استغنوا عنها بحسب إجراء ماء النيل إلى المطهرة بمواسير من الرصاص واستعمل كذلك نحو ثلاث سنين ، ثم رأوا أن ماء النيل يسرع إليه التغير دون ماء الآبار فأصلحوها واستعملوها للميضأة والأخلية ، وله منارتان إحداهما بجوار القبة وهى قديمة قصيرة ، والأخرى فى مؤخره تجاه خان الخليلى ذات حسن وارتفاع ، جددت مع الجامع وتم بناؤها سنة خمس وتسعين ومائتين وألف . وفى وسط الجامع تحت المنور الكبير نجفة كبيرة معلقة بسلسلة بالسقف وحولها ثمان نجفات صغار، وأما القبة فباقية على بنائها القديم ، وهى كبيرة كروية منقوش باطن أعلاها بالليقة الذهبية ، وجدرانها من الحجر الجيد النحيت مكسوة بالرخام الملون إلى أكثر من قلامتين وبها محراب يكتنفه عمودان من حجر السماق ،



التابوت الخشبى . أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)



التابوت الخشبى . أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)

وحلقتان من الحديد تحتهما كرسيان من الرخام الجيد برسم الشمعدانات، وعلى الضريح الشريف مقصورة من النحاس الأصفر الجيد الصنعة بابها منها وفيه حلقتان من النحاس يحركهما بعض الزائرين وينشد هذا البيت :

لن يخيب اليوم من رجائك من حرك من دون بابك الحلقه

ويعلوها قبة صغيرة من الخشب ، وبجانبها الأيسر دكة خشب برسم الشمعدانات ، وعلى القبر الشريف تركيبة عليها تابوت من الأبنوس مكسو بالإستبرق الأحمر المزركش، مخيشا بالأصفر والأخضر ومغطى بكشامير الفرمش، وعليه عمامة من الحرير الأخضر عليها كشمير فرمش أيضا ، وبجوانبه أربعة عساكر من الفضة ، وبداخل المقصورة شبكة من سلوك الحديد لزيادة الحفظ ولا تفتح إلا لمقتض أكيد كإبدال الكسوة أو تنظيفها ، وبدائر المقصورة والقبة ألواح فيها الخطوط المذهبة من الخط الثلث والكوفى ، ومنها ما هو لبعض الملوك العثمانية ، ولها باب إلى الباب الأخضر ، وبابان إلى الجامع على كل منهما ضفتان من الخشب الجيد المصفح بصفائح الفضة المنقوشة ، وبكل ضفة حلقة حلة من الفضة ، وبأعلى الباب الذى يلى المنبر ما صورته : الشفاء فى تربته ، والإجابة تحت قبته ، والأئمة فى ذريته أو عترته ، وبأعلى الذى يليه ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور** ﴾ [الشورى : ٢٣] . وبينهما شباكان كبيران عليهما شباكان من النحاس الأصفر، وعلى الجميع ستائر الجوخ الأخضر ، وفوق ذلك ألواح فيها آيات قرآنية وأحاديث نبوية بالخط الثلث المذهب . وللقبة إمام غير إمام الجامع ، وخدمة يتعهدونها على الدوام ، وهناك صندوق النذور يجلس عنده شيخهم ، ويعرف بشيخ القبة وشيخ الصندوق وأمينه . فيحفظ ما يضعه به الزائرون من النذور والهدايا والصدقات ليفرق بينهم كل شهر مثلا على حسب ما اصطلحوا عليه من القسمة ، وذلك غير ما هو لهم من مرتب الأوقاف ، وهكذا سائر الأضرحة الشهيرة كضريح السيدة زينب ، والسيدة نفيسة ، والإمام الشافعى ، وغيرهم رضى الله عنهم .

وحضرة هذا المشهد الشريف كل ليلة ثلاثاء ، يجتمع فيها مشاهير القراء من عصر يوم الإثنين إلى الصبح ، فيفتتح القراءة شيخهم بالترتيل ثم الذى يليه ، وهم يستمعون

محافظين على أحكام التجويد إلى آخر القرآن وفى أول الليل يجتمع أهل دلائل الخيرات فيقرؤونها مجتمعين بصوت مرتفع ، وفى وقت العشاء تنشد المدائح والتوسلات وكذا بعد الفجر ويختمون بعد طلوع الشمس بالأدعية وإنشاد الموشحات وآخر البردة بالألحان والتطريب حتى تكون لهم ضجة عظيمة تخلط على المصلين والقارئين ، وقبل الختم تفرق عليهم الجرايات المرتبة من ديوان الأوقاف وغيره ، ويزدحم الزوار تلك الليلة ويومها ، ويمتلىء المشهد من النساء قبيل الظهر فلذا تطوى البسط يومئذ (الخطط ٤ / ١٨٤ - ١٨٨) .

ثم يقول على مبارك فى موضع آخر :

ثم إن هذا الجامع عند حفر أساسات أساطينه فى هذه العمارة الأخيرة ، وجدت به أبنية كثيرة مقبية بهيئة قبور ، فلا بد أن ذلك من قبور الفاطميين ، فإنها كانت فى محل خان الخليلى ممتدة إلى هذا المشهد .

قال السخاوى فى كتاب المزارات : إن المدرسة التى بجانب المشهد الحسينى جعل بها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب تدريسا ووقف لها وقفا ، ولما وزر معين الدين بن حمويه فوض إليه الأمر بالمشهد ، فجمع أوقافا وبنى به إيوانا للتدريس وبيوتا للفقهاء العلوية .

والمقبرة التى كانت إلى جانب هذا المشهد كبيرة تسمى تربة الزعفران والتربة المعزية (الخطط ٤ / ٢٠١) .

ويسوق لنا على مبارك (ت ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م) وصفا طريفا لاحتفال المصريين فى زمانه بمولد مولانا الحسين رضى الله عنه ، وذلك بالمشهد الحسينى ؛ وكذلك سائر الاحتفالات الدينية التى كانت تقام فيه فيقول :

ومولده السنوى فى ربيع الثانى يستغرق أغلب الشهر ، ويوقد فى الليلة كثير من القناديل والشموع ، ويصرف فى الليلة الواحدة نحو عشرين جنيها فى الشمع والزيت والقهوة والشربات والمآكل فى بعض الليالى ، ويعطى المنشدون والقراء وأهل الدلائل والأشاير والخدمة ونحو ذلك ، فأولا يبتدأ بخزينة الوقف فيصرف منها على ثلاث ليال ، ثم للخديو إسماعيل باشا ليلة يصرف فيها جميع ما يلزم لها مع التوسعة ، ثم لابن أخيه الأمير إبراهيم باشا ليلة كذلك ، ثم لغيرهم من أعيان مصر كالسادات الوفائية ، والشيخ الجوهرى ، ومحمود بيك عبد المعطى ، والسيد ياسين شيخ سجادة الرفاعية ، ثم لبعض أعيان الوجه البحرى كالشيخ أبى حشيش من ناحية مرصفة ، والشيخ عبد الرحمن السيسى من ناحية الهياتم بالغربية ، فلكل واحد من هؤلاء وغيرهم ليلة يلتزم كفايتها ، وبعضهم جعل لها وقفا يصرف عليها كل سنة من ريعه .

ومن أول المولد ينعقد مجلس القراء داخل القبة كل ليلة من وقت العصر إلى آخر الليل فيقرؤون كل ليلة ختمة كاملة ، ثم تنعقد مجالس أخر من قراء طندتا وغيرهم فى بعض أنحاء الجامع ، وقرب آخره تكثر المقارىء ومجالس الأذكار ، ويكون أكثر المأكول هناك الفول النابت والخبز ، حتى فى آخر ليلة يكون عند كل عمود تقريبا مقرأة فيها سحارات الفول والخبز والمخلل والزيتون ونحو ذلك ومناقد القهوة والشربات ، فيتعفش المسجد وتطوى منه الحصر ، وفى الليلة الكبيرة تزين الأسواق القريبة منه وتوقد الوقدات الكثيرة بالشموع والزيوت على هيئات شتى ، ويصل ذلك إلى قرب باب النصر وباب الفتوح وخارج باب زويلة ، وتكثر الولائم وختمات القرآن وأنواع السماع فى الدور والخانات والأزقة ، ويوسع الناس على عيالهم بأنواع الحلاوة والفواكه ، ثم تعمل ليلة داخل الجامع تعرف باليتيمة ، تكثر فيها الشربات ونحوها ، وربما يعقبها ليال أخر لبعض المحبين .

ومن أول المولد تنتصب أنواع الملاعب فى الشارع إلى قرب تلول البرقية ، كأرجوز والمنجنيق والطبل والحاوى ، إلا أن ذلك قليل بالنسبة لغيره من الموالد لكونه داخل البلد ، وأعظم ما يكون الاحتفال بهذا المشهد فى شهر رمضان ، فإنه يغص بالناس كل يوم من قبيل العصر إلى الغروب ، وكل ليلة من سدس الليل الأخير إلى الصبح ، ففى وقت العصر يكون به حلق العلم والوعظ والقرآن وكثير من الكتب المعرضة للبيع ونحو ذلك ، وفى وقت السحر يكون به التهجد وتلاوة القرآن ، واستماعة من شيخ من كبار القراء مرتب لقراءة سورة طه على كرسى فى وسط الجامع ، وكذا يغص بأهله فى ليلة المعراج ،

فى ليلة نصف شعبان ، وليلتى العيد ويوم عاشوراء ، ويوم المولد النبوى ، فينعقد فيه يومئذ مجلس يقرأ فيه مولد النبى ﷺ ويحضره عزيز مصر والعلماء والأكابر ، ويبخر الجامع بالعود وماء الورد ونحو ذلك .

وفى شهر شوال تحمل إليه كسوة الكعبة الشريفة بموكب ، فتخاط فيه وتحمل منه بموكب ، إلى غير ذلك من العوائد الجليلة التى تعمل فيه ، ولم يزل هذا المشهد من وقت إنشائه عامرا مبجلا مجللا محتفلاً به ، ولا يزال كذلك إلى ما شاء الله تعالى، كيف وهو مشهد من لولا جده لم تخلق الدنيا من العدم .

قال ابن عبد الظاهر : إن الصالح طلائع بن رزيك كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج ، وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا : لا يكون ذلك إلا عندنا . فبنوا له هذا المكان ونقلوا الرخام إليه ، وذلك فى خلافة الفائز على يد الصالح بن رزيك سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ولما ملك السلطان الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء ، وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلفه الضريح .

فلما وزر معين الدين بن حسين ابن شيخ الشيوخ بن حمويه وصار إليه أمر هذا المشهد بعد إخوته ، جمع من أوقافه ما بنى به إيوان التدريس وبيوت الفقهاء العلوية خاصة .

وفى سنة بضع وأربعين وستمائة فى الأيام الصالحية احترق هذا المشهد ، بسبب أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئا فسقطت منه شعلة ، فوقف الأمير جمال الدين بنفسه حتى طفىء وفى هذا المعنى :

قالوا تعصب للحسين ولم يزل ... بالنفس للهول المخوف معرضا

حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح الـ ... ـمسود من تلك المخاوف أبيضا

أرضى الإله بما أتى فكأنه ... بين الأنام بنعله موسى الرضا

قال : ولحفظة الآثار ما إذا طولع وقف منه على المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهى بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية .

وقال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم : ومن جملة مبانيه الميضأة قريبا من مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه بالقاهرة ، والمسجد والساقية ، ووقف عليها أراضى قريبا من الخندق ظاهر القاهرة ، ووقفها دار جار. ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنته ، وجد فيه شىء من الطلسم لا يعلم لأى شىء هو ، فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم أمه انتهى ـ المقريزى .

وفى رحلة ابن جبير التى صنفها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة عقيب رحلته الأولى : إن من مشاهد القاهرة المشهد العظيم حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضة مدفون تحت الأرض ، قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ، ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها فى أنوار فضة خالصة ، ومنها مذهبة ، وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا ، فى مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسنا وجمالا ، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون ، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون . والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التأنق والغرابة ، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة [المذكورة] وشمالها بنيان على تلك الصفة ، وأستار الديباج البديعة الصنعة معلقة على الجميع . ومن أعجب ما شاهدناه فى الدخول إلى هذا المسجد حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل ، شديد السواد والبصيص ، يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصقل .

والناس منكبة على استلام هذا القبر الشريف والطواف حوله مزدحمين عليه ، داعين باكين متوسلين إلى الله تعالى ببركة التربة المقدسة ، وبالجملة ، فما أظن فى الوجود كله مصنعا أحفل منه ، ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع منه ، قدس الله العضو الكريم الذى فيه بمنه وكرمه انتهى (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٨٣ ـ ١٩٢) .

قالت المؤلفة : هذه الفقرة الأخيرة وردت فى نسختى من رحلة ابن جبير (ط عبد الحميد أحمد مصطفى . القاهرة د. ت / ٣٧)

على النحو التالى : وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم بـه وانكبابهم عليـه وتمسحهم بالكسـوة التى عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التـربة المقـدسة ومتضـرعين بما يـذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظـم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركة ذلك المشهـد الكريم وإنما وقع الإلمام بنبـذة من صفته مستدلا على ما وراء ذلك إذ لا ينبغى لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز وبالجملة لاأظن فى الوجود كله مصنعا أحفل منه ولامرأى من البناء أعجب ولا أبدع قدس الله العضو الكريم الذى فيه بمنه وكرمه (رحلة ابن جبير / ٣٧) .

ويمضى على مبـارك فيقـول : وفى تـاريخ الجبـرتى : إن الأمير حسن كتخدا عـزبان الجلفى وسع المشهد الحسينى ، واشترى عـدة أماكـن بماله وأضـافها إليـه ووسعه ، وصنـع له تابوتا من آبنوس مطعما بالصدف مضببا بالفضة ، وجعل عليه سـترا من الحريـر المزركش بـالمخيش ، ولما تممـوا صناعتـه وضعه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال ، على جوانبه أربع عسـاكر من الفضـة مطليات بالـذهب ، ومشت أمـامه طائفـة الرفـاعية بطبـولهم وأعلامهم ، وبيـن أيديهم المبـاخر الفضة وبخور العود والعنبر وقماقم مـاء الورد يرشون منها على الناس ، وساروا بهذه الهيئـة حتى وصلوا المشهد ووضع ذلك الستر على المقام .

وكـان الجلفى إنسـانـا خيـرا له بـر ومعـروف وصـدقـات وإحسان ، وكان حسن الاعتقاد مات سنة أربع وعشرين ومائة وألف انتهى .

وفى كتـاب إسعاف الـراغبين فى أهل البيت الطاهـرين ، للشيخ محمـد الصبان : إن هذا المشهـد الحسينى القـاهرى جدده الأميـر الكبير عبـد الرحمن كتخـدا سنة خمس وسبعين ومـائة وألف ، وذكـر قبل ذلك أن أصحاب السيـر والتـواريخ اختلفوا فى رأس الحسين فى أى موضع دفن ، فقيل : إنه دفن بعسقلان ثم نقله الصالح طـلائع وزير الفاطميين إلى مصر ، وبنى عليه هذا المشهد وأنفق على نقله مالا جزيلا . ومال قوم ـ منهم الـزبير بن بكار والعـلاء الهمدانى ـ إلى أنه حمل إلى أهله فكفن ودفن بالبقيع عنـد قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفـن بكربلاء بعد أربعين يوما من المقتل ، واعتمد القرطبى الثانى . والـذى عليه طائفة من الصـوفية أنـه بالمشهـد القـاهرى . وذكـر بعض أهل الكشف والشهود أنـه دفن مع الجثة بكربـلاء ثم ظهر الـرأس بعد ذلك بالمشهـد القاهرى ، لأن حكم الحال فى البـرزخ حكم إنسان تدلى فى تيـار جارف فيطف بعـد ذلك فى مكان آخـر ، فلما كان الرأس منفصلا طف فى هذا المحل من المشهد .

وفى كتاب مشارف الأنـوار ، فى فوز أهل الاعتبار، للشيخ حسن العدوى الحمـزاوى ، قال العـلامة الأجهـورى : الذى تـواتـر عن أهل الكشـف ، أن الـرأس الشـريف فى مشهـده القاهـرى بلا شك ، لوجود هـذه الروحانية والأنـوار التى تبهر العقول . قال الشيخ عبـد الفتاح الشهير بالـرسام الشافعى فى رسـالة لـه تسمى نـور العين عن النجم الغيطى ، عن الشمس اللقانى ، عن أبى المواهب التونسى ، أن الغوث الجامع يأتى كل يوم ثلاثاء فيزور هذا المشهد .

وفى مختصر التذكرة للشعرانى ، أنه قد ثبت أن طلائع بن رزيك ـ الذى بنى المشهد الحسينى بالقاهرة ـ نقل الرأس إلى هذا المشهـد وبذل فى ذلك نحو أربعين ألف دينـار ، وخرج هو وعسكـره فتلقاه من خارج مصـر حافيا مكشـوف الرأس ، وهو فى برنس حرير أخضر فى القبر الذى فى المشهد ، على كرسى من خشب الآبنـوس، مفروش هنـاك نحو نصف أردب من الطيب . قـال : كما أخبـرنى بذلك خادم المشهـد . وقول القرطبى « إن دفن الرأس الشريف فى مصر باطل» صحيح فى أيام القرطبى ، فإن الرأس إنما نقل إلى مصر بعد موت القرطبى انتهى .

قال الحفنى فى رسالته : كان بعض العارفين يهيم فى مقام الحسين وأنشد فقال :

منـــــزل كمـل الإلـــــه سنـــــاه
تتـــــوارى البـــــدور عنـــــد لقــــاه
خصـــه ربنـــا بمـــا شـــاء فـى الأر
ض تعـــالى من فـى السمـــاء إلــــه
صــانـــه زانـــه حمـــاه وقبـــاه
وكســـــاه بمنـــــه ورضـــــاه
أن غــــدا مسكنــــا لغـــرة آل الـــ
ـــبيت من تم قــــدره وعــــلاه

الإمـــام الحسين أشـــرف مـــولى
أيـــد الـــذين ســـره ووقـــاه
مـــدحتـــه آى الكتـــاب وجـــاءت
سنـــة الهـــاشمى طـــرز حـــلاه

وينبغى زيارة هذا المشهد العظيم ؛ فإن صاحبه باب تفريج الكروب ، وبه تزول الخطوب ، ومن الاستغاثات به ما أنشده سيدى محمد جلبى محشى العزية ـ الشهير بابن الست ـ هذه الأبيات :

أيحـــوم حـــول من التجـــا لكمـــو أذى
أو يشتكـى ضيمـــا وأنتـم ســـادتـــه
حـــاشـــا يـــرد من انتمـى لجنـــابكم
يـــا آل أحمـــد أو تســـر شـــوامتـــه
لكـم السيـــادة مـن ألست بـــربكـم
ولكـم نطـــاق العـــز دارت هـــالتـــه
هـل ثم بـــاب للنبـى ســـواكمـــو
من غيـــركـم من ذا الـــورى ريحـــانتـــه
تبـــا لطـــرف لا يشـــاهـــد مشهـــدا
يحـــوى الحسيـن وتستلمـــه ســـلامتـــه
فـــالـــزم رحـــابـــا ضـم سبط محمـــد
مـــا أمَّـــه راج وعيقت حـــاجتـــه

انتهى (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ١٩٢ ، ١٩٣) .

وفيما يلى ما أورده العالم الأثرى حسن عبد الوهاب عن المشهد الحسينى :

قال رحمه الله :

كان نقل الرأس الشريف من عسقلان ووصوله إلى القاهرة فى يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ولما وصل إلى مصر حمل فى سرداب إلى قصر الزمرد . ثم دفن فى قبة المشهد الذى أنشىء خصيصا له سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤م) .

ولما ولى ملك السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) أنشأ مدارس للمذاهب الأربعة ؛ منها مدرسة بجوار هذا المشهد ، غلب عليها اسم المشهد ، وقرر بها مدرسين وعهد بالإشراف عليها إلى الفقيه البهائى الدمشقى ، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلف الضريح .

وهذا الوصف يجعلنى أعتبر أن المسجد الحالى حل محل تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .

وقد عاين المشهد والمدرسة فى مبدأ الدولة الأيوبية الرحالة ابن جبير أثناء رحلته من بلاد الأندلس قاصدا الحج سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، ووصفه مشوقا بقوله : (ذكرناه آنفا) .

وفى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) بدأ أبو القاسم بن يحيى ابن ناصر السكرى المعروف بالزرزور بإنشاء منارة على باب المشهد ، أتمها ابنه سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) ، وهى المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق الباب المعروف بالباب الأخضر . والباقى منها قاعدتها المربعة وعليها لوحتان تذكريتان نصهما :

« ... الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وستة مائة عفا الله عنه » .

وعلى الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا إلى الله ورفعا لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل الله منه . وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور. وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » .

وممن عنى بالمشهد وزاد فيه العلامة معين الدين ابن شيخ الشيوخ ، وزير الصالح نجم الدين . فقد ألحق به إيوانا وبيوتا للفقهاء .

وفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) حصل حريق بالمشهد ، فلم يلبث أن أصلح . ولذلك لما زاره الرحالة ابن بطوطة ، الذى زار مصر حوالى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) وصفه بقوله :

« ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن على عليهما السلام . وعليه رباط ضخم عجيب البناء على خشب أبوابه حلق الفضة وصفائحها وهو موفى الحق من الإجلال والتعظيم » .

وتابعه خالد البلوى الرحالة المغربى ، الذى زار مصر سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م)، فوصفه بوصف خلاب ، اقتبسه من وصف ابن جبير . .

وممن عنى بالمشهد وأصلحه وزخرفه والى مصر من قبل الدولة العثمانية السيد محمد باشا الشريف ، الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ - ١٠٠٦ هـ (١٥٩٥ - ١٥٩٧ م) .

كذلك عنى به الأمير حسن كتخذا عزبان الجلفى المتوفى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) فإنه وسع المشهد وزاد فيه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعم بالصدف والفضة . وجعل عليه سترا من حرير مزركش ، نقله إليه باحتفال كبير .

وفى سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) طلب من الشيخ عبد الله الشبراوى أن ينظم أبياتا من الشعر لتكتب على باب الإمام الحسين ، وأخرى على المقصورة فأنشأ برسم ما يكتب على الباب الأول من الخارج :

يا كرام الأنام يا آل طه
ما على من يهيم فيكم ملام
بابكم كعبة الهدى وحماكم
منهل فيه للأنام ازدحام
باب فضل لما سما أرخوه
من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه
وصلاة منى لكم وسلام

وفى سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وأثبت تاريخ عمارته على عتب رخامى نصه :

« مسجد للحسين أصل المعالى
لا يضاهيه فى البقاع علاء
فيه فضل الرحمن للعبد نادى
زر وأرخ لك الهنا والرضاء »

وفى سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) قام بعمارات وزيادات فيه السيد على أبو الأنوار ، وأثبت تاريخ عمارته بالباب البحرى للقبة . وهو باب مكسو بالرخام المنقوش وله مصراعان مكسوان بالنحاس . وبتواشيح الباب دوائر كتب فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله - الإمام على - الإمام الحسين - الإمام الحسن - ويعلوه عتبان كتب على أحدهما :

أنشا على أبو الأنوار سيدنا
بابا لسبط رسول الله ذى الرشد
وحسن إشراق نور الله أرخه
باب حماه عظيم الجاه والمدد

عناية الأسرة العلوية بالمشهد - عزم على توسيع هذا المسجد عباس باشا الأول ، فاشترى الأملاك اللازمة لذلك وهدمها وشرع فى البناء ثم توفى إلى رحمة الله تعالى .

وفى سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) أمر المغفور له الخديو إسماعيل باشا بتجديده والزيادة فيه ، فوضعت المشروعات اللازمة وفتح شارع السكة الجديدة وروعى فى التصميم الجديد ترك القبة على حالها فلم يتناولها التجديد . ونقل إليه منبرا جميلا كان فى جامع أزبك من ططخ بالأزبكية . وكذلك أمر الخديو إسماعيل بشراء العمد الرخامية من استامبول على حسابه الخاص .

وقد تم بناء المسجد سنة ١٢٩٠ هـ . ومنارته سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٣ - ١٨٧٨ م) ، وأمر بعمل ستر مزركش له سنة ١٢٩٠ - ١٢٩٢ هـ . وقد انتقد تصميمه المرحوم على باشا مبارك وله كل الحق .

وفى سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) كسى المحراب بالقاشانى المغربى عبد الواحد التازى وكتب عليه آيات من القرآن ما نصه : « اللهم كن برحمتك خير مجازى لمنشئه عبد الواحد التازى سنة ١٣٠٣ هـ » .

وفى سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) أمر المغفور له الخديو عباس حلمى الثانى بإعادة نقوش القبة ، وفتح نوافذ جديدة بها مع المحافظة على كتاباتها ونصوصها التاريخية .

وقد أمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، بعمل ستر جديد

له، أنجز عمله فى عصر الملك (الصالح) فاروق الأول . وقد بلغت نفقاته ٧٠٠٠ جنيه .

وفى عهد الملك فاروق الأول أصلحت أرضية القبة ، وأخرج التابوت الخشبى النادر وتم إصلاحه :

ما تخلف من المشهد القديم ـ لم يبق من المشهد الفاطمى سوى أحد أبوابه وهو المعروف بالباب الأخضر ، وهو باب مبنى بالحجر على يساره دائرة مفرغة بزخارف ، وتعلوه بقايا شرفة جميلة .

وقد تخلف من المنارة الأيوبية التى أنشأها فوق هذا الباب أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ، القسم الأسفل منها ، وهو المربع الحافل بالزخارف الجصية النادرة ، وتاريخ إنشائها . وهى منارة حلى وجه قاعدتها المربعة بمستطيلات ، شحنت بالزخارف الجصية يلحظ فيها التأثيرات الأندلسية .

أما القبة ؛ فالمرجح أن قسمها العلوى ، هو ومثمن المنارة من أثر عمارة المرحوم عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) ، وأيضا مصاريعها المكسوة بصفائح الفضة .

أما مربعها الأسفل ، فقد كسيت وجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بالصدف . وكذلك محيطها الداخلى ، مؤزر بالرخام ، والأجزاء الدقيقة منه المطعمة بالصدف ترجع إلى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) والأجزاء العلويه من دوائر وتواشيح ترجع إلى العصر العثمانى ، ولعلها عملت ضمن أعمال النقش والتذهيب التى أجريت بها سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) .

تابوت المشهد الحسينى ـ وأهم ما بقى من المشهد القديم، التابوت الخشبى الذى كان محتجبا تحت المقصورة، وهو تابوت يزرى بالذهب والفضة ، ظل هذا التابوت محتجبا عن الأنظار نحو ثمانية قرون ، لم يسعد برؤياه سوى المرحوم السيد محمود الببلاوى ، شيخ المسجد الحسينى فى كتابه « التاريخ الحسينى » سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) وسماحة السيد محمد الببلاوى ، لعلاقتهما الوثيقة بالمشهد ، وكذلك عاينه السيد محمد عرفة وكيل مشيخة المسجد ، ومعه المرحوم المعلم محمد سيور النجار، ولكن لم تكتحل به عين أحد من الأثريين (تاريخ المدارس الأثرية / ٨٣ ـ ٨٧ ، ومساجد مصر ١ / ٣٣) إلى أن كانت سنة ١٩٣٩ حيث أمر الملك فاروق الأول بإصلاح أرضية القبة وفرشها بالرخام ، فانتهزت إدارة حفظ الآثار العربية هذه الفرصة للتحقق من وجود هذا التابوت ، ولما وجدته وعاينته تبين لها أنه تحفة رائعة جديرة بالحفظ والصيانة ، فرفعته من مكانه وأصلحته ثم نقلته إلى دار الآثار العربية ليعرض بها فى ٢٢ يناير ١٩٤٥ (مساجد مصر ١ / ٣٤ ، وتاريخ المساجد الأثرية / ٨٨)

والحجرة التى وجد بها التابوت ، هى أسفل أرضية القبة الحالية وتشغل جزءا منها طوله ٥,٢٦ ، مقسمة إلى قسمين : القسم الخارجى ٢,٣٨ ، ويهبط إليه من فتحتين بأرضية القبة مقاس كل منهما ٠,٦٠ × ٠,٤٥ .

والقسم الداخلى به فتحة مشروعة فى الجدار الفاصل بينهما ، مقاسها ٢,٦٠ بها تركيبة حجرية لصق الجدار الشرقى ، مغطاة بلوح رخامى ، أحيطت بها ثلاثة أجناب التابوت الخشبى .

ومن فحص التابوت ، تبين أنه قاصر على الأجناب الثلاثة ولا رابع لها مما يعزز أنه عمل لهذا الوضع ومقاسه ١,٨٥ × ١,٣٢ × ١,٣٥ وهو مصنوع من خشب ساج هندى مكون من جنب ورأسين ، ومقسم إلى مستطيلات رأسية وأفقية ، يحيط بها ويفصلها بعضها عن بعض إطارات مكتوبة بالخطين الكوفى المزهر والبسيط ، والنسخ الأيوبى . وهذه المستطيلات تحتوى على حشوات نجمية ، ومسدسة ، محفور بها زخارف نباتية مورقة ، تنوعت أشكالها فى جميع التابوت .

وقد أحيطت الحشوات المسدسة بقوائم وأفاريز كتب فيها بالخط الكوفى البسيط كلمات منها : « الملك لله » ، «وما توفيقى إلا بالله » ، « وثقتى بالله » « نصر من الله وفتح قريب » و « الملك لله » ، « العزة لله » ، « التوفيق بالله » ، و « وما بكم من نعمة فمن الله » .

وقد روعى فى اختيار الآيات القرآنية ما يناسب تابوت جثمان طاهر من فرع الدوحة المحمدية ، فيقرأ مما هو مكتوب على الوجه بالسطر العلوى بالخط الكوفى البسيط :

« بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل

البيت إنه حميد مجيد . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

ومكتوب بالسطر السفلى بالقوائم المحيطة بالمستطيلات المكتوبة والمنقوشة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ [البقرة : ٢٥٥] بالخط النسخ الأيوبى ، وقوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ [النور : ٣٥] .

ومكتوب بالخط الكوفى حول المصراع المربع الأوسط : «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ [الزمر : ٧٤] .

والقسم الأسفل من هذا الجنب مقسم إلى ثلاثة مستطيلات ، مكتوب حولها بالخطين الكوفى والنسخ الأيوبى . فمما هو مكتوب بالخط الكوفى المزهر « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة » ﴾ [الأعراف : ٢٠١ - ٢٠٣] .

ومما هو مكتوب على الجنب الأيمن للتابوت بالخط الكوفى الصغير البسيط بالسطر العلوى . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك﴾ [البينة : ٧ ، ٨] .

ومكتوب بالخط الكوفى الكبير المزهر : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ [هود : ٧٣]

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسدسة والنجمية بالخط النسخ الأيوبى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٦] .

ومكتوب بالخط الكوفى الكبير المزهر حول المستطيلين بالجزء الأسفل منه قوله تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١] .

ومكتوب بالخط النسخ بالقوائم المحيطة به قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران : ١١٠ - ١٣٤] .

ومما هو مكتوب بالجنب الأيسر للتابوت بالخط الكوفى الصغير البسيط : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ مستقرا ومقاما ﴾ [الفرقان : ٧٤ - ٧٦] .

ومكتوب بالخط الكوفى الكبير قوله تعالى : ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا ﴾ [الشورى : ٢٢ ، ٢٣] .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسدسة والنجمية وبالخط النسخ الأيوبى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فإن الله غنى عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٦٨ - ٩٧] .

ومكتوب بالخط الكوفى المزهر حول المستطيلين :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] إلى قوله تعالى : ﴿ أولئك هم خير البرية * جزاؤهم ﴾ [البينة : ٧ ، ٨] .

وإن أبرع وصف لهذا التابوت لا يفيه حقه ، فقد تنوعت أشكال الحشوات وزخارفها تنوعا دل على عبقرية الصانع ، كما تنوعت أشكال الخط الكوفى .

ومن وصف أبى جبير الرحالة ، نفهم أن التابوت كان تحت الأرض منذ إنشاء المشهد .

وقد فحصت هذا التابوت ، وقرأت جميع كتاباته فإذا هى آيات من القرآن الكريم لا أثر معها لنصوص تاريخية . ولكن دقة الزخارف وطرازها ؛ وقاعدة كتابة الخطين الكوفى

والنسخى ، واجتماع أحدهما بالآخر يضعانه ضمن مصنوعات الدولة الأيوبية .

وكذلك مقارنته بشبيهه تابوت الإمام الشافعى تدل على أنه معاصر له ، بل تجعلنى أرجح أنهما صنعا فى عصر واحد وبيد صانع واحد . وتاريخ عمل تابوت الشافعى سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م)، أى فى دولة ملك مصر صلاح الدين الأيوبى .

وبما أنه ثبت أن لصلاح الدين صلة وعناية بالمشهد الحسينى ، إذ أنشأ مدرسة بجواره، فنرجح أنه أمر بصنع هذا التابوت ، كما أمر بصنع تابوت الإمام الشافعى ولم يكتب اسمه على كليهما .

و إذا ثبت ذلك نكون قد اهتدينا إلى اسم صانعه أيضا ، وهو النجار البارع الذى صنع تابوت الشافعى ، واسمه عبيد النجار المعروف بابن معالى .

المخلفات النبوية ـ هذه المخلفات مودعة فى حجرة أنشئت خصيصا لها عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، مجاورة للقبة من الجهة القبلية ، ويتوصل لها من بابين أحدهما فى جدارها الغربى والآخر فى جدارها البحرى ، وقد كتب على جدرانها ما نصه : ... ...

تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية الشريفة على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة ومرودين ، وقطعة من القضيب الشريف (العصا الشريفة) وشعرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى : أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، والأخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه ... أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا الخديوى المعظم عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه وكان انتهاؤه فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣١١ هجرية .

وللآثار النبوية بمصر أخبار تتسلسل فى التواريخ ، وتتنقل بالباحث من زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى مكان ، حتى تصل به إلى هذا المكان . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع ، ثم اشتراها الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن حنا (بكسر الحاء) ونقلها إلى مصر وبنى لها رباطا على نيل مصر وهو باق إلى الآن ، ومعروف برباط الآثار جهة أثر النبى . وكانت مكونة من قطعة من الحربة الصغيرة ومرود وملقط .

انظر مادة الآثار النبوية فى المسجد الحسينى بالقاهرة م ١ / ١٢٧ ـ ١٢٩ من هذه الموسوعة .

ولما زار ابن بطوطة هذا الرباط وصف هذه الآثار . وزاد عليها مصحف أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

وقد بقيت هذه الآثار فى هذا الرباط حتى أتم السلطان الغورى بناء قبته بالغورية سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) ، فاستصدر فتوى بنقل الآثار التى كانت بالرباط ، ونقل المصحف العثمانى إلى مدرسته ، ونقل إليها أيضا الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب وهى التى كانت بخانقاه بكتمر .

وزاد ابن إياس أثرا آخر ، فقد ذكر فى حوادث سنة ٩٢٦هـ (١٥١٩ م) ، حينما توقف النيل عن الوفاء ، أنه أحضر من الآثار الشريفة القميص من القبة الغورية ، ووضع فى فسقية المقياس وغسلوه فى الماء الذى بها ، وتضرعوا إلى الله تعالى بطلب الزيادة .

ثم رؤى نقلها من قبة الغورى ، فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) إلى المسجد الزينبى ، ثم إلى القلعة . وقد أمر الخديو توفيق باشا بنقلها إلى المشهد الحسينى ، فأحضرها من ديوان الأوقاف عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) إلى قصر عابدين وأمر أن تحفظ فى شقق من الديباج الأخضر ، مطرزة بسلوك من فضة مذهبة . ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد ، يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) احتفالا فخما سار فيه العلماء والوزراء إلى أن وصلوا بها إلى المسجد .

وفى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) تم بناء الحجرة التى أنشئت خصيصا لها فأودعت بها . وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة ، وأخبرنى السيد محمد عرفة أنه ضمت إليها شعرة مهداة من السيدة خديجة هانم كريمة المغفور له أحمد طلعت باشا الكبير .

وبمناسبة الشعرات الشريفة ، أقول : إنه كان يوجد بمصر وغيرها ، شعرات نسبت إلى النبى ﷺ . استقصاها المرحوم أحمد تيمور باشا فى بحثه الشيق عن الآثار النبوية الذى نشر منه فصولا ممتعة فى مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ .

انظر مادة « الآثار النبوية فى م ١ / ١٢١ ـ ١٢٧ من هذه الموسوعة» .

أما المصحف المنسوب إلى سيدنا على فلعله أحد اثنين :

المصحف الذى كان موجودا فى جامع عمرو بن العاص حتى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) وعنى به الآمر بأحكام الله ، أو الذى كان فى رباط الآثار . ولم تثبت نسبته إليه لأسباب فنية وتاريخية . وكذلك المصحف الثانى المنسوب إلى سيدنا عثمان ، قد عرفنا مصدره فقد كان بالمدرسة التى أنشأها القاضى الفاضل سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ، بدرب ملوخيا (حارة قصر الشوك) بالقرب من المشهد الحسينى ، وبقى إلى أن استحوذ عليه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى .

وهو مصحف كبير تجاوزت أوراقه الألف . ومكتوب على رق بالخط الكوفى البسيط الخالى من الإعجام والشكل . ولكل صفحة منه اثنا عشر سطرا . وقد حليت رءوس السور بأفريز زخرفى ، يتكون من دوائر محاطة بنقوش . ومنها ما هو على شكل سلسلة . وهى زخارف بسيطة تدل على بداءتها . ويلاحظ أن آخره ، ابتداء من قوله تعالى : ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ [المسد : ٤] مكتوب بخط كوفى أحدث من خطه .

ومن قاعدة خطه ، وبساطة زخارفه ، أرجح أنه مكتوب فى نهاية القرن الثانى الهجرى أو أول القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . وأوله مهلهل وعلى حافاته احمرار يزعمون أنه دم عثمان ، وهو زعم غير صحيح .

ولهذا المصحف صندوق من الخشب المغلق بجلد ، مخرم بأشكال هندسية منكرة بالذهب . وله مفصلات مذهبة عليها اسم السلطان الغورى بما نصه : « برسم المصحف الشريف العثمانى السلطان ـ الملك الأشرف قانصوه الغورى »

وعلى أحد وجهيه ما نصه : « جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذى من إذا حلف به صادقا نجا وكان له من كل ضيق مخرجا . ومن حلف به فاجرا كف وهان وأصبح فى ذل ومقت وخذلان بخط من رتب سوره وآياته وأجزاءه ومن ختمه فى كل ركعة من صلاته وبه اقتدى من سماه نبينا بالأمين ذى النورين زوج بنتيه ورفيقه فى الدارين من استحيت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى كان الله له وتجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت تقبل الله ذلك منة عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعد دولته بمحمد وآله » .

ويلاحظ فى هذه الكتابة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى كان ...) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتاب . مما يؤكد أن القائم بعمل هذا الصندوق غيره ولعله السلطان قايتباى وأن السلطان الغورى أصلحه وعمل المفصلات ثم غيَّر فى الكتابة وكتب اسمه عليه .

أما الزعم بأنه مصحف عثمان فهو زعم منقوض لأسباب كثيرة . أهمها قاعدة الخط والزخرف فانها لا تتفق والقرن الأول وأيضا فإن نسبة مصحف عثمان لازمت كثيرا من المصاحف الموجودة فى قرطبة وفى بلاد المغرب . وفى الشام والحجاز تراجع أخبارها فى المراجع المذيلة بها هذه الصفحة ، ولم يثبت أن عثمان رضى الله عنه كتب بخطه مصحفا .

ولذلك نستطيع الجزم مطمئنين بأن هذا المصحف غير مصحف عثمان رضى الله عنه .

(المراجع المذيلة بها هذه الصفحة هى بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس / ٣٤ ، وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية / ٢٣ ، وزبدة كشف الممالك / ٤٥ ، ونفح الطيب ١ / ٣٥٦ ، والرحلة الحجازية / ٢٤٨ ، ومسالك الأبصار ١ / ١٩٥ ، والمقريزى ٢ / ٢٥٥) (تاريخ المساجد الأثرية / ٨٣ـ٩٣) .

ويشتمل المسجد على خمسة صفوف من العقود المحمولة على أعمدة رخامية ، ومحرابه من الخردة الدقيقة التى اتخذت قطعها الصغيرة من القاشانى الملون بدلا من الرخام ، وهو مصنوع سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) وبجانبه منبر من الخشب يجاوره بابان يؤديان إلى القبة ، وثالث يؤدى إلى حجرة المخلفات التى بنيت سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) حيث أودعت فيها المخلفات النبوية .

والمسجد مبنى بالحجر الأحمر على الطراز الغوطى ، أما منارته التى تقع فى الركن الغربى القبلى فقد بنيت على نمط المآذن العثمانية فهى اسطوانية الشكل ولها دورتان وتنتهى بمخروط . وللمشهد ثلاثة أبواب بالوجهة الغربية ، وباب بالوجهة القبلية وآخر بالوجهة البحرية يؤدى إلى صحن به مكان الوضوء .

(مساجد مصر ١ / ٣٣) .

قبة المشهد :

المشهد ويعنى مبنى قد دفن به شهيد ويشمل كل العناصر المعمارية من جدران ومنطقة انتقال وطاقية وكل هذه العناصر يطلق عليها اسم القبة أو الضريح .

وتتميز قبة وضريح الإمام الحسين (رضى الله عنه) عن معظم القباب المقامة فى العمائر الإسلامية وذلك من حيث اختلاف أبعاد واتجاهات الحوائط الحاملة للقبة ، الأمر الذي جعلها ليست مربعة تماما ولكنها أقرب إلى الاستطالة - تبلغ أبعادها ١٠,٨٥ × ١١,٦٠ مترا ، أما طاقية القبة فهى أقرب إلى الشكل البيضاوى .

وتختلف سمك حوائط الضريح عن بعضها فبينما تبلغ فى بعضها ثمانين سنتميترا يبلغ سمك البعض الآخر مترين ، وترتفع القبة عن سطح الأرض بحوالى إحدى وعشرين مترا ويبلغ قطرها اثنى عشر مترا تقريبا .

وقد بنيت جميع حوائط الضريح بالأحجار الجيرية (من محاجر المقطم) بالتبادل مع الطوب الأحمر ومن المرجح أنها ترجع للعصر العثمانى وقد ملئت داخل الجدران بحشو من الدبش ومونة القصرمل .

وقد كسيت جدران القبة حتى ارتفاع طاقية المحراب بأشرطة من الرخام والفسيفساء الرخامية التى تشكل زخارف هندسية ويتوسط حائط القبلة المحراب ويكتنفه عامودان من الرخام الأحمر (السنحائى) ويحتوى باطن المحراب على زخارف هندسية وأشرطة من الرخام ويوجد بجدران القبة خمسة أبواب بابان بالحائط الشمالى الشرقى يؤديان إلى حجرة الحريم وباب بالحائط الجنوبى الغربى يؤدى إلى حجرة المخلفات النبوية الشريفة ، وبابان بالضلع الشمالى الغربى يؤديان إلى المسجد . وفى أعلى الجدران شباكان يطلان على المسجد ويتقدم حائط القبلة عقد نصف دائرى يرتكز على كتفين على جانبى الحائط .

أما جدران القبة العلوية من الداخل فهى مزخرفة برسوم نباتية متنوعة الألوان قوامها فروع وأوراق وزهور وتتخللها أشرطة كتابية من آيات قرآنية وأبيات من الشعر .

وقد أكد عالم الآثار الإسلامية الأستاذ كريزويل أثرية المشهد الحسينى بأكمله بعد أن قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية مؤكدا ما جاء فى تاريخ الجبرتى والخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك وهى جميعها مضمون قرار التسجيل الصادر عن لجنة حفظ الآثار العربية فى قرارها رقم ٤٤ بالكراسة رقم ٥ لعام ١٨٨٧ - ١٨٨٨ م حيث ضمن عداد الآثار الإسلامية منذ ذلك الوقت وكانت اللجنة مشكلة برئاسة محمد حمدى باشا مدير عموم الأوقاف وعضوية : مصطفى باشا فهمى ناظر الحربية ومحمد باشا شاكر وكيل الدائرة السنية وتيجران باشا وكيل نظارة الخارجية وإسماعيل باشا الفلكى رئيس مدرسة المهندسخانة ومسيو إيدجارفينسينت مستشار المالية ومسيو كولينى سكوت مونجريف وكيل نظارة الأشغال العمومية وآخرين .

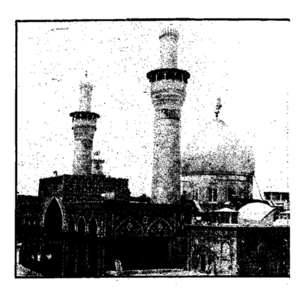
وقد أعملت مقومات الزمن والتلوث آثارها السلبية فى قبة المشهد - حيث لم تتناوله أعمال الترميم منذ عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) - فأسندت وزارة الأوقاف عملية ترميم المشهد الحسينى لإحدى شركات المقاولات تحت إشراف هيئة الآثار .

وقد أجرى الترميم المعمارى والدقيق للقبة والمنارة والباب الأخضر فى عام ١٩٨٥ (القاهرة الإسلامية / ١٠ ، ١١ ، ١٤) .

وقد نشرت صحيفة الأهرام فى عددها الصادر فى الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٢ خبرا تحت عنوان « قبة الحسين عادت من جديد » ، ومما جاء فيه ما يلى :

ارتفعت أمس قبة الحسين فوق موقعها الأصلى أعلى المشهد الحسينى ... وذلك فى احتفال شعبى ورسمى مهيب وقد قام برفع القبة التى تزن ٢٨ (ثمانية وعشرين) طنا أحد الأوناش العملاقة ، ثم بدأ خبراء هيئة الآثار المصرية فى عملية تركيب القبة التى استغرقت ٣٠ (ثلاثين) دقيقة ... وعقب الانتهاء من تركيب القبة أعلن بدء عملية الترميم الدقيق التى تشمل تركيب القبة الأثرية المصنوعة من الخشب بداخل القبة المعدنية ، وعمل التكسيات الرخامية للمشهد ،

الحسينى وتركيب الشرائط الكتابيه للآيات القرآنية تمهيدا لافتتاح « المشهد » رسميا فى ٧ يناير القادم (١٩٨٦) مع بدء الليلة الكبيرة لمولد شهيد كربلاء وحفيد رسول الله ﷺ اهـ .



لوح ٨٣ : قبة الروضة الحسينية

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ١٨٣ ـ ١٩٣ ، ورحلة ابن جبير ط عبد الحميد أحمد مصطفى / ٣٧ ، وتاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ٨٣ ـ ٩٣ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٣٣ ، والقاهرة الإسلامية . المشهد الحسينى . وزارة الثقافة . هيئة الآثار المصرية ـ ١٩٨٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، والأهرام ، الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ ١٢ ديسمبر ١٩٨٥ م / ١٢) .

انظر : الآثار النبوية ، الآثار النبوية فى المسجد الحسينى ، بالقاهرة ، الحسينى (المشهد ـ بكربلاء) .

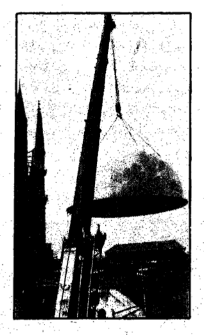
*** الحسينى (المشهد ـ بكربلاء) :**

قال عنه زكى مبارك دون أن يشاهده :

وللإمام الحسين رضى الله عنه بمدينة كربلاء مقام ، جليل ، ومشهد جميل . أخبر بعض من رآه من الأعاجم أن قبته مكسوة بصفائح الذهب ، ومقصورته من الذهب المكلل بالألماس ، وعليها سلسلة من الذهب معلقة بالقبة ، بطرفيها قطعة ياقوت مدلاة على التابوت كبيضة النعامة ، وحول المقصورة سبعة وعشرون شمعدانا من الذهب مكللة باليواقيت ، كل واحد كقامة الإنسان طولا ، وله خزانة اجتمع فيها سنة إحدى وستين ومائتين وألف اثنان وثلاثون مليونا من الطمان ، والطمان يساوى نصف جنيه إنجليزى ، وله جامع بقدر جامع ابن طولون الذى بمصر ، فيه جم غفير من طلبة العلم ، ولهم مرتبات كافية ويأكلون من المطبخ الحسينى اهـ (الخطط التوفيقية ٤ / ١٨٩) .

وقد أسعدنا الحظ بزيارة هذا المشهد الجليل يوم الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٨٤ ، فى رحلة إلى كل من النجف وكربلاء نظمها اتحاد المرأة العراقية . وفيما يلى وصف للمشهد ويسمونه الروضة الحسينية أو الحضرة الحسينية .

تقع الروضة الحسينية فى المنطقة المعروفة بالحاير فى



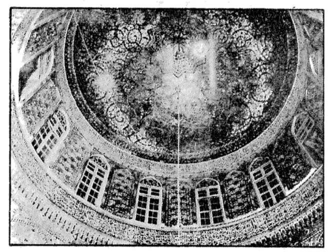
القبة المعدنية اثناء تركيبها

مدينة كربلاء وتضم بالإضافة إلى رفات الحسين رضى الله عنه رفات سبعة عشر من شهداء واقعة كربلاء المشهورة . والمعروف أنه تم تأسيس عمارة على قبور الشهداء عام ٦٥ هـ (٦٨٤ م) ويظهر أن عدة تجديدات ، وإصلاحات وترميمات قد أجريت على العمارة فى عهود متلاحقة ، أما العمارة

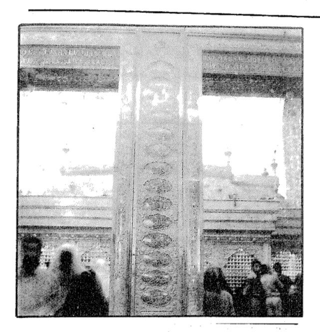
الحالية فهى ما أمر به السلطان أويس الجلائرى عام ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقد استغرق البناء حوالى ١١ عاما حيث أكملت عام ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) واهتم الصفويون بمشهد الحسين ابن على رضى الله عنه وبذلوا الأموال الطائلة لتزيينه وطلاء قبته ومئذنته وأبوابه بالذهب والفضة والمرايا والمينا . وكان ذلك عام ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) كما تم توسيع الصحن وبناء برج ساعة . وساهم العثمانيون فى تجديده وإضافة مبانٍ ومرافق جديدة إليه فقد أمر سليمان القانونى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) بتجديد القبة والمئذنتين .

وتشغل أبنية الروضة الحسينية مساحة أرض مستطيلة طول ضلعها من الشمال إلى الجنوب ١٢٥ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٩٥ مترا من الخارج . وتتكون من أبنية الحضرة الضريح وصحن واسع نسبيا يحيط بهذه الأبنية من جميع الجهات ، وبناء يسور الصحن ويفصل الروضة عما يجاورها من أسواق ودور سكن . وتخطيط أبنية هذه العمارة يشكل النموذج أو المثال لعدد من عمارات من ذات نوع هذه العمارة ويعتبر صيغة متقدمة فى هذا المجال إذا ما قورنت مع تخطيط الحضرة القادرية وجامع أبى حنيفة وإذا ما اعتبر هذا التخطيط أصيلا أى يعود إلى عهد السلطان أويس الجلائرى فإنه أكمل تخطيط يمثل طرازا ساد فى تخطيط عدد من أبنية العتبات المقدسة اللاحقة .

وبناء الروضة متين مشيد بطابوق وجص ومكسو بأروع



لوح ٨٥: قبة الروضة الحسينية من الداخل



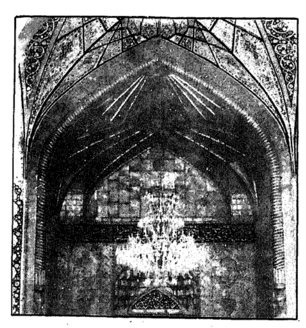
لوح ٨٦: صندوق الحضرة الحسينية

التحليات الزخرفية المعمولة من ذهب ومرايا وقراميد مزججة ومينا ، وتحتل أبنية الحضرة قلب العمارة وشكلها مستطيل وأبعادها ٥٥ × ٤٠ مترا يتوسط قبر الحسين غرفة القلب فى هذه البناية وتقوم فوق هذه الغرفة قبة مرتفعة تتربع على أربع دعامات ضخمة مستطيلة (٣,٥٠ × ٢,٥٠ مترا) وترتفع قمة القبة بحدود ٢٧ مترا عن مستوى سطح الأرض . والقبة بصلية الشكل ذات رقبة طويلة تتخللها نوافذ ذوات عقود مدببة ، وقد طليت القبة والرقبة بالذهب عدا نطاق يتوج الرقبة مشغول بكتابات جميلة من آيات قرآنية خطت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة (لوح ٨٣) ومن الداخل توصل الدعامات عقود مدببة حيث تشكل أربعة أبواب توصل بين غرفة القبر ، وما يحيط بها من أروقة وتشغل الدعامات من الداخل حنايا جدارية تطل على القبر من الأركان ، وهناك حنايا مرحلة الانتقال من الشكل المربع إلى الوضع المثمن لتهيئة قاعدة مناسبة للقبة شغلت هذه الحنايا جميعا بمقرنصات عنقودية بارزة دقيقة فى تكوينها وجميلة فى مظهرها حيث كسيت كوشات العقود وبطونها ، بمرايا غاية فى الجودة والإتقان تمتد نقوش التحلية فتشغل ما بين النوافذ ولكنها هنا مطرقة بنطاقين من كتابات من آيات قرآنية على نمط النطاق الخارجى ،

يقع النطاق الأول ، عند قاعدة الرقبة تحت خط النوافذ مباشرة، ويتوج الثانى الرقبة . وأروع ما فى غرفة القبر هو التشكيلات الزخرفية الحلزونية التى تشغل القبة من الداخل ومغطاة بالمرايا (لوح ٨٥) .

ومما يزيد فى جمال غرفة القبر من الداخل الصندوق الفضى الذى يغلف القبر، ويعتبر من أجمل ما أنتجته أيدى صناع هذا النوع من الصناديق . وهذا الصندوق مشهور برمانات ذهبية ترتفع فى أركانه الأربعة ، ويبلغ قطر كل منها ٥٠ سم (٨٦) والمعروف أن هذا الصندوق يغلف صندوقين أحدهما معمول من خشب مطعَّم بعاج وثانيهما مصنوع من الفولاذ .

يحيط غرفة القبر ومن ثلاث جهات رواق عريض نسبيا مصمم بطريقة بحيث يكون القسم الشمالى منه بهيئة مسجد تقام فيه الصلوات ، حيث يتقدمه قبر الشهيد الحسين . وتبلغ مساحة المسجد هذا ٢٥ × ١٠ أمتار . ويتصل عند منتصف جداره الشمالى بالرواق الآخر أو الرواق الثانى . ويتناظر الرواق الشرقى مع الرواق الغربى تقريبا ، ويتصل كل منهما بالرواق الثانى بباب ذى عقد مدبب وسقوف هذه الأروقة مقبية ومحلاة بعقود وحنايا مشغولة بمقرنصات عنقودية بمرايا يحيط الرواق الثانى الذى يبلغ عرضه أربعة أمتار، كما سبق ذكره ، من أبنية من الجهات الأربع وهو أضيق من الرواق الداخلى . والدخول إلى هذا الرواق يكون من الصحن ببابين من الجهة الشرقية ، ومثلهما من الجهة الغربية وباب رئيسى من الجهة الجنوبية . وجدران الرواق هذا سميكة جدا من الخارج يتخللها عدد من الغرف والأواوين ينفتح قسم منها إلى الداخل، ويطل القسم الآخر على الصحن من الجهات الشرقية والغربية والشمالية . أما الجهة الجنوبية فتفتح غرفها من الخارج على الطارمة الواسعة التى تتقدم هذا القسم من الحضرة . ومن الجهة الجنوبية يرتفع سقف هذه الطارمة بمستوى أعلى من بقية أجزاء هذا البناء عدا القبة والمئذنتين ، ويستند على أعمدة خشبية ضخمة جدا ذات تيجان جميلة وهذه الطارمة مستطيلة عمقها ٦ أمتار وعرضها ٢٠ مترا، يتوسط هذه الطارمة إيوان مرتفع يؤدى إلى الرواق الثانى ومنه إلى القبر مباشرة ، ويعرف هذا الإيوان بإيوان الذهب حيث

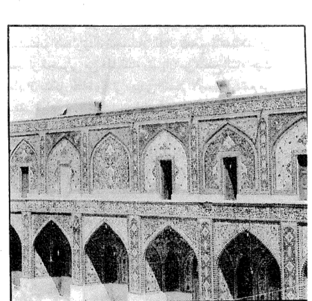


لوح ٨٨: إيوان مدخل الحضرة الحسينية الرئيس.

تغطى المقرنصات العنقودية التى تشغل حنية عقده بالذهب وكذلك جوانبه (لوح ٨٨) .

وتحيط بهذا الإيوان وعلى مسافة معينة من فتحته الخارجية المئذنتان الاسطوانيتان الجميلتان اللتان تندمج قاعدتاهما فى الجدار الجنوبى من هذا البناء وتبرزان من سطح البناء حيث تظهران بشكل متناظر على جانبى القسم الأوسط المرتفع من سقف الطارمة ومتقدمتان بتناظر أيضا على قبة الضريح . ويغلف كل من المئذنتين ألواح ذهبية تمتد إلى المقرنصات التى يستند عليها الحوض والرقبة ورأسها . وتتميز هاتان المئذنتان بوجود سقف للحوض، فهى تستند من الخارج على عدد من أعمدة رشيقة ترتكز على حافة الحوض، وتنتهى كل من المئذنتين برأس مضلع بصلى الشكل يتناسب وشكل القبة الرئيسة (لوح ٨٣) . زينت الجدران الخارجية لهذه الأبنية بتشكيلات زخرفية غاية فى الدقة والإتقان ، وتتألف من أشكال نباتية وهندسية وزهرية وكتابات من آيات قرآنية . وأروع ما فيها ذلك النطاق الذى يتوج الجدران من الخارج ، وتشغله كتابات نقشت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة وتناظر رقة الألوان وتدرجاتها وانسجامها وروعة التنسيق

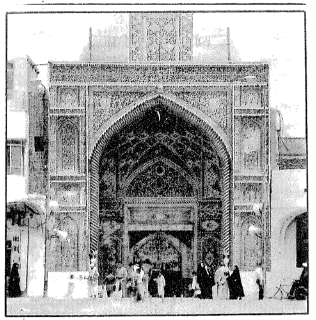
بين هـذه التشكيلات المتنوعـة . وصحن الـروضة الحسينيـة واسع تفصلـه عن الشوارع التى تحيط بـالعمارة مجموعـة من الأبنيـة تضـم تكايـا ومسـاجـد وغـرفا عـديدة لـرواد الحسين ، وتختـرق هـذه الأبنيـة عدد من المـداخل أشهـرهـا المـدخل المعروف ببـاب القبلة الـذى يتوسط أبنية هذه الجهـة ، ويقع على الخط المحـورى لبـاب إيوان الـذهب ، ومـدخل بـاب القبلة هـذا إيوان ضخم مرتفع زينت واجهتـه بقراميد قاشـانية رائعة (لوح ٩٠) وهناك عشرة مداخل أخرى تتوزع فى جدران هـذه المـرافق من الجهـات الأخـرى أشهـرهـا بـاب قـاضى الحاجات الـذى يقع فى الجدار الشرقى وتنفتح على الصحن سلسلة من غرف صغيـرة عددها ٦٥ يتصدر كـل منها إيوان ، ومعظم هذه الغرف استخدمت كمـدافن ويستخدم قسم منها لطلبـة العلـوم الـدينيـة ورواد الحسين . وعقـود أواوين هـذه الغرف مـدببة وقد زينت وجوه الجـدران المطلة على الصحن وجوانب الأواوين وسقوفها ، بأجمل القراميد القاشانية التى لا تقل من حيث التقنيـة والجمـال عـن تلك التى تـزين جـدران البنـايـة الرئيسيـة من الخارج (لـوح ٩١) ومن بين أبنية هـذه المـرافـق مـدرسـة تشغل القسـم الشمـالى من هـذه الأبنيـة



لوح ٩١: أواوين بعض الغرف التي تحيط بصحن الروضة الحسينية.

ويتوسطها إيـوان ضخم تبلغ أبعاده من الداخل ١٠ × ٧ أمتار ويقع المسجـد فى الجدار الشـرقى ، وكانت لـه مئذنـة تعرف بمئذنة العبد ، هـدمت عام ١٩٣٥ . والمعرفـو أن أمين الدين مرجان قد أمر ببنائها عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م .

تتميز عمارة الروضة الحسينية بسمات ومظاهر قلما نجدها مجتمعـة فى عمارات المشـاهد والتـرب السـابقة . فهى نقلـة نوعيـة فى تخطيطها حيث جعل المـرقد والمسجـد وما يحيط بهمـا من أروقـة فى قلب المسـاحـة أو المكان الـذى تشغلـه



لوح ٩٠: باب القبلة حي الروضة الحسينية.

العمـارة . وكما سنـرى أن هذه الصيغـة مقلـدة فى المشاهـد اللاحقـة ، وهى فى الأساس خروج على صيغ الطـراز الحيرى فى التخطيط . وكـان هذا الطراز هـو السائد فى معظـم الأبنية الدينية والمدنية قبل سقوط بغداد عام ١٢٥٨ م .

والحقيقة أن الطراز الجديد فى تخطيط المشاهد يرجع إلى القرن الـرابع عشر الميـلادى ، وقد تبلـورت معالمـه فى العهد الإيلخانى والجـلائرى فى العراق ، وصاحَب هـذا التطور فى التخطيط تطـور واضح فى العناصـر المعمـاريـة ، وأبرز هـذه العناصـر زوج من المآذن ترتفع على جـانبى إيوان ضخم يقع فى نهـاية المـدخل الرئيسى إلى المـرقد . وهـذه السمة غيـر موجودة فى العمارات السابقة خصوصا المساجد والمشاهد ، وهى ترجع أيضا إلى الفترة الإيلخـانية والجلائرية وتتسم مآذن

هـذه الفترة بأنهـا غليظة وتجلس أحـواضها على صفـوف من مقرنصات جميلة ومعقدة . والاهتمام الكبير بضخامة المدخل هو أحد السمات المظهريـة التى اتسم بها ذلك العصر بصورة عامة .

والقبة البصلية هى أيضـا أحد العناصر المعمـارية المهمة فى هذه الروضة ، وتعتبر ضخامة إيوان المدخل سمة معمارية أخرى جديدة فى تلك الفترة . أمـا المقرنصات العنقودية فهى وبدون شك إحـدى أهم مميزات هذه العمـارة . واستخدمت المقرنصات هنا لا لتسند ثقل قاعدة بل كعنصر زخرفى، الغاية منـه زيادة فى ضخـامـة الحنايـا فى الأواوين وحنـايا الأركـان وغيرها ، ولا يعنى هذا أن المقرنصات لم تستخدم فى الروضة الحسينية لغرض إسناد أبنية تبـرز عن مستوى وجوه الجدران . أما السمـات الزخرفية الأخـرى مثل تغطية مساحـات كبيرة من وجوه الجـدران الداخليـة والخارجية بمـرايا وقراميـد قاشـانية وذهب ، فإنها عن عصر لاحق لفترة إنشاء العمارة ، وهى كما ذكرنا من إضافات القرن السادس عشر الميلادى والغرض منها زيادة فى أبهة المظهر و إشراقه .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢ / ١٤١ـ١٥٦) .

انظر : الحسينى (المشهد ـ) بالقاهرة .

* **الحسينية :**

انظر : النَّجَّارية .

* **ابن الحَشَّاء (ـ نحو ٦٤٧ هـ / ـ نحو ١٢٥٠ م) :**

أحمد بن محمـد أبو جعفر ، ابن الحشّـاء ، فقيه حكيم . كان معاصرًا لأبى زكريا الحفصى بتونس . وبإشارته صنف ابن الحشاء كتابـه « مفيد العلوم » مخطوط فى خزانة الـرباط الرقم (٩٥٥ د) وهـو معجم مختصـر غـزيـر الفـائدة ، فى أسمـاء العقـاقيـر الطبيـة وأعضـاء الإنســان ، والأمـراض ، وبعض الحيوانـات البرية والبحـرية ، ويسمى أيضا « تفسيـر الألفاظ الطبية واللغوية الواقعـة فى كتاب الطب المنصورى لأبى بكر الرازى .

(الأعلام للزركلى/ ١ / ٢١٩) وما جاء بهامش (٢) من مراجع) .

* **الحشاشون :**

أوردت الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة بيانـا تفصيليا لهذه الطائفـة ننقله لك فيما يلى ، عمـلا بمبدأ كشف الضلال والمضلين :

التعريف :

الحشاشون : طـائفة إسماعيلية فـاطمية نزارية مشـرقية ، انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء من نسلـه ، أسسها الحسن بن الصباح الـذى اتخذ من قلعة « آلموت » مركزا لنشر دعوته وترسيخ أركان دولته .

وقد تميزت هذه الطائفـة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسيـة ودينية متعصبـة وكلمة الحشـاشين (ASSASSIN) دخلت بأشكال مختلفة فى الاستخدام الأوروبى بمعنى القتل خلسة أو غدرا أو بمعنى القاتل المحترف المأجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ ـ الحسن بن الصباح :

ـ ولد بالرى عام ٤٣٠ هـ ونشأ نشأة شيعية ثم اتخذ الطريقة الإسماعيلية الفاطمية وعمره (١٧) سنة ، وفى عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ذهب إلى إمامـه المستنصر بالله حاجـا ، وعاد بعد ذلك لينشـر الدعـوة فى فـارس، وقـد احتل عددا من القـلاع أهمها قلعة آلموت (٤٨٣ هـ) التى اتخذها عاصمة لدولته .

ــ فى عهـده مـات الإمـام المستنصـر بـالله (٤٨٧ هــ / ١٠٩٤م) وقـام الوزيـر بدر الجمـالى بقتل ولى العهـد والابن الأكبر « نـزار » لينقل الإمامـة إلى الابن الأصغر « المستعلى » الذى كان فى نفس الوقت ابـن أخت الوزير . وبذلك انشقت الفاطمية إلى نزارية مشرقية ، ومستعلية مغربية .

ـ أخذ الحسين بن الصبـاح يدعو إلى إمامة نـزار ، مدعيا بأن الإمامة قد انتقلت إلى حفيد لنزار أحضر سرا إلى « آلموت» وأنه طفل جرى تهريبه من مصر إلى فارس، أو أن محظية لنزار كانت حـاملا منه أخذت إلى آلـموت حيث وضعت حملها . وبقى أمر هذا الإمام الجديد طى الكتمان والسرية .

ــ توفى الحسن الصبـاح عام (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) من غير سليل لأنه كان قد أقدم على قتل ولديه أثناء حياته .

٢ ـ كيـابزرك آميد : حكم من ٥١٨ هـ / ١١٢٤م إلى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م :

كان أول أمره قائدا لقلعة « لامـاسار » لمدة عشرين سنة ،

وخـلال فتـرة حكمـه دخل فى عـدة معـارك مع جيرانـه السلاجقـة ، كما أنـه كان أكثر تسامحـا وسياسـة من الحسن الصباح .

٣ ـ محمـد بن كيـابزرك آميـد : حكم من سنـة ٥٣ هـ / ١١٣٨ م إلى سنة ١١٦٢ م :

كـان يهتم بالـدعاية للإمـام ، كما كـان يفرض الاحتـرام الخارجي للفـرائض الإسلاميـة ، فقد أقدم علـى قتل كثير من أتباعه ممن اعتقدوا بإمامة ابنه وطرد وعذب آخرين .

٤ ـ الحسـن الثانى بن محمـد : حكمه من ١١٦٢ م إلى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦م :

أعلن فى شهـر رمضـان ٥٥٩ هـ قيـام القيـامـة ، وأنهى الشريعة ، وأسقط التكاليف وأباح الإفطار ، ثم أقدم بعد ذلك على خطوة أخطـر وذلك بأن ادعى بأنه من النـاحية الظاهـرية حفيـد لكيابـزرك ولكنه فى الحقيقـة إمـام العصر وابن الإمـام السابق من نسل نزار .

٥ ـ محمـد الثـانى بـن الحسن الثـانى : من ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م إلى ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م :

طـور نظريـة القيـامة ورسخهـا ، وقـد ساعـده على ذلك انحلال سلطنة السلاجقة فى عهـده وضعفهم وظهور التركمان وبداية التوسع التركى .

٦ ـ جـلال الدين الحسن الثـالث بن محمد الثـانى : من ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م إلى ١٢٢١ م :

رفض عقائد آبـائه فى القيامة، ولعنهم وكفـرهم ، وأحرق كتبهم وجاهر بإسلامه ، وقام بوصل حباله مع العالم الإسلامى فقـد أرسل إلى الخليفـة العبـاسى النـاصـر لـدين الله وإلى السلطان السلجـوقى خـوارزم شاه والملوك والأمـراء يؤكـد لهم صدق دعوته إلى التعاليم الإسلامية ، ففرحت البلاد الإسلامية بذلك وصار أتباعه يعرفون بالمسلمين الجدد .

٧ ـ محمـد الثـالث بن الحسن الثـالث (وبعض الكتب تسميه عـلاء الدين محمود) : كان حكمـه من سنة ١١٢١ م إلى سنة ١١٢٥ م :

خلف أبـاه وعمره (٩) سنوات ، وظل وزيـر أبيه حـاكما لآلموت ، وقد عـاد الناس فى عهده إلى المحـرمات وارتكاب الخطـايا والإلحـاد . حكم الصبى خمس أو ست سنـوات ثم أصيب بلوثة عقلية ، فانتشرت السرقة واللصوصية وقطع الطرق والاعتداءات .

٨ ـ ركن الدين خورشاه : ١٢٥٥ / ١٢٥٨ م :

قـاد هـولاكـو حملـة سنـة ١٢٥٦ م وكـان هـدفـه قـلاع الإسمـاعيليـة ، ومـا زال يتقـدم حتى استسلم لـه ركن الـدين وسلمه قلعـة آلموت سنة ٦٥٤ هـ وأربعين قلعـة وحصنا كلها سـويت بالأرض ، فـاستقبلـه هـولاكو بتـرحـاب وزوَّجه فتـاة مغـولية، وفى عـام ١٢٥٨ م انتهى منـه بقتلـه غيلة ، وبـذلك انتهت دولة الحشاشين سياسيا فى فارس .

٩ ـ شمس الدين محمد بن ركن الدين :

تقول روايـات الإسماعيليين بأن ركن الدين قـد أخفى ابنه شمس الدين محمد الذى هـرب من بطش هولاكو متنكرا إلى جهة ما بجنـوب القوقاز ، ثم استقر فى قـرية « أنجودا » على الطـريق بين أصفهـان وهمدان . وبقى فيهـا إلى أن مـات فى النصف الأول من القرن الثـامن للهجرة وكان من عقبـه سلسلة من الأئمـة فى القرن التـاسع عشـر ومنهم ظهـرت أغاخـان . انقسم الحشاشون بعد شمس الدين إلى قسمين :

ـ بعضهم نادى بإمامة محمد شاه واعترفوا به وبالأئمة من نسلـه حتى انقطعـت سلسلتهم فى منتصف القـرن العـاشـر الهجـرى وكـان آخرهم الإمـام ظـاهـر شاه الثـالث المعـروف (بالـدكنى) والذى هـاجر إلى الهند وتـوفى هناك حـوالى سنة ٩٥٠ هـ وانقطع هـذا الفرع على الرغم من وجود أتبـاع له إلى الآن فى مصياف والقدموس بسوريا .

ـ وأصحاب الفرع الثانى اعتقدوا بإمامة قاسم شاه ، وهؤلاء يشكلون العدد الأكبـر من هذه الطائفة وقد هـاجروا إلى أعالى نهر جيحون .

الحشاشون فى بلاد الشام :

ـ ظهـر لهم فى بـلاد الشـام عـدد من القـادة مثل بهـرام الاستراباذى، والداعى إسماعيل الفارسى، وقـد استفادوا من استمالة رضوان بن تتش والى حلب إلى مذهبهم فوفد إليها عدد كبير من إسماعيلية فارس مما قوى شوكتهم فى بلاد الشام .

ــ أبرز شخصية هو شيخ الجبل سنان بن سليمان بن محمود المعروف برشيد الدين الذى نشأ فى البصرة ، وتلقى علومه فى قلعة آلموت وكان زميلا لولى العهد الحسن بن محمد الذى أمره بالرحيل إلى بلاد الشام عندما صار الأمر إليه

ـ انتقل إلى بلاد الشام وجمع الإسماعيلية حوله وصار لهم نفوذ وسلطان ، واعترف الناس بإمامته غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بآلموت وقد كان شخصا مخيفا وهم يذكرونه على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق .

ـ امتلكوا عددا من القلاع ، وقاوموا الزنكيين ، وحاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبى عدة مرات .

ـ خلفه أمراء ضعاف مما سهل إنهاءهم والقضاء عليهم على يد الظاهر بيبرس .

ــ من قلاعهم فى بلاد الشام : قلعة بانياس، حصن قدموس، حصن مصياف، الكهف ، الخوابى ، المنيقة ، القليعة .

الأفكار والمعتقدات :

١ ـ تلتقى معتقداتهم مع معتقدات الإسماعيلية عامة من حيث ضرورة وجود إمام معصوم ومنصوص عليه على أن يكون الابن الأكبر للإمام السابق .

٢ ــ كل الذين ظهروا من قادة الحشاشين إنما يمثلون الحجة والداعية للإمام المستور باستثناء الحسن الثانى وابنه فقد ادعيا بأنهما إمامان من نسل نزار.

٣ ـ إمام الحشاشين بالشام رشيد الدين سنان بن سليمان قال بفكرة التناسخ فضلا عن عقائد الإسماعيلية التى يؤمنون بها ، كما ادعى أنه يعلم الغيب .

٤ ـ الحسن الثانى بن محمد : أعلن قيام القيامة ، وألغى الشريعة ، وأسقط التكاليف .

٥ ـ الحج لديهم ظاهره إلى البيت الحرام وحقيقته إلى إمام الزمان ظاهرا أو مستورا .

٦ ــ كان شعارهم فى بعض مراحلهم « لا حقيقة فى الوجود وكل أمر مباح » .

٧ ــ كانت وسيلتهم الاغتيال المنظم ، وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء والإيمان بكل ما يلقى إليهم ، وعندما يشتد ساعدهم يدربونهم على الأسلحة المعروفة ولا سيما الخناجر، ويعلمونهم الاختفاء والسرية وأن يقتل الفدائى نفسه قبل أن يبوح بكلمة واحدة من أسرارهم . وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التى أفزعوا بها العالم الإسلامى آنذاك .

٨ ـ كانوا يمتنعون فى سلسلة من القلاع والحصون ، فلم يتركوا مكانا مشرفا إلا أقاموا عليه حصنا ، ولم يتركوا قلعة إلا ووضعوا نصب أعينهم احتلالها .

٩ ـ يقول عنهم المؤرخ كمال الدين بن العديم : فى عام ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م : « انخرط سكان جبل السماق فى الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين ، واختلط الرجال والنساء فى حفلات الشراب ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته ، وارتدت النساء ملابس الرجال ، وأعلن أحدهم بأن سنانا هو ربه » .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ أصولهم البعيدة شيعية ثم إسماعيلية .

ـ بموت الإمام المستنصر بالله أخذوا يدعون إلى إمامية ابنه الأكبر نزار الذى قتل هو وابنه قبل تسلمه الإمامة .

ـ فكرة تربية الفدائيين نقلها الحسن بن الصباح عن إمامه المستنصر عندما كان فى زيارته .

ــ كان القتل والاغتيال وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم ونشر الخوف فى قلوب أعدائهم .

ــ فكرة التناسخ التى دعا إليها رشيد الدين مأخوذة عن النصيرية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ــ انطلقت دعوتهم من كرمان ويزد إلى أواسط إيران وأصفهان ثم خوزستان ثم هضبة الديلم واستقرت فى قلعة آلموت ، وشرقا وصلوا مازندران ثم إلى قزوين واحتلوا منطقة رودبار ولاماسار وكوهستان ... واحتلوا كثيرا من القلاع وامتدوا إلى نهر جيحون .

ـ وصلت دعوتهم إلى سوريا ، وامتلكوا القلاع والحصون على طول البلاد وعرضها ومن قلاعهم بانياس ومصياف والقدموس والكهف والخوابي وسلمية .

ـ كان زوالهم في إيران على يد هولاكو المغولي وفي سوريا على يد الظاهر بيبرس .

ـ لهم أتباع إلى الآن في إيران وسوريا والهند وفي أجزاء من أواسط روسيا السوفيتية .

(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م / ٢٠٣ ـ ٢٠٨) .

*** الحشر :**

الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ، وروى « النساء لا يحشرن » أي لا يخرجن إلى الغزو ، ويقال ذلك في الإنسان وفي غيره ، يقال حشرت السنة مال بني فلان أي أزالته عنهم ولا يقال الحشر إلا في الجماعة قال الله تعالى : ﴿ **وابعث في المدائن حاشرين** ﴾ [الشعراء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ **والطير محشورة** ﴾ [صَ : ١٩] وقال عز وجل : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ [التكوير : ٥] وقال تعالى ﴿ **لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ [الحشر: ٢] ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ [النمل : ١٧] وقال تعالى في صفة القيامة : ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء** ﴾ [الأحقاف : ٦] ﴿**فسيحشرهم إليه جميعا** ﴾ [النساء : ١٧٢] ﴿**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ [الكهف : ٤٧] وسمى يوم القيامة يوم الحشر كما سمى يوم البعث ويوم النشر، ورجل حشر الأذنين أي في أذنه انتشار وحدة (المفردات في غريب القرآن / ١١٩ ، ١٢٠) .

والحشر هو سوقهم جميعا إلى الموقف بعد بعثهم من قبورهم ، ولا فرق في ذلك بين من يجازى كالإنس والجن ومن لا يجازى كالبهائم والطيور .

وذهبت طائفة : إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى .

وأما السقط فإن ألقى بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه كأهل الجنة وإن ألقى قبل نفخ الروح كان كبقية الأجسام يحشر ثم يكون ترابا .

ومراتب الناس في الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهو المتقي ومنهم الماشي على رجليه وهو قليل العمل ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر .

والحشر : ثابت بالكتاب والسنة والإجماع مع كونه من الممكنات فهو حق ومنكره كافر قال تعالى : ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا *ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا**﴾ وقال : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون* من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم* وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ وقال : ﴿ **يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير**﴾ وأنواع الحشر أربعة : أحدها ما ذكر .

والثاني سوق الناس من الموقف إلى الجنة أو النار.

والثالث إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام .

والرابع سوق الناس إلى الحشر قرب قيام الساعة (مذكرة التوحيد ٤ / ٢٩ ، ٣٠) .

ويجيب الحافظ السيوطي على أسئلة تتصل بالحشر نسوقها لك فيما يلي :

مسألة ــ قوله ﷺ : « يحشر الناس حفاة عراة » هل هو على عمومه بدليل قوله : « فيكون أول من يكسى إبراهيم » أو هو مخصوص بغير الأنبياء ؟

الجواب ـ هو مخصوص وليس على عمومه فقد نص البيهقي على أن بعض الناس يحشر عاريا وبعضهم يحشر في أكفانه وحمل على ذلك قوله ﷺ : « يبعث الميت في ثيابه التي يموت فيها » رواه أبو داود ، وابن حبان ، والحاكم ، وقول معاذ بن جبل : « أحسنوا أكفان موتاكم فإن الناس يحشرون في أكفانهم » رواه ابن أبي الدنيا ، وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن الخطاب مثله ، وهذان الموقوفان لهما حكم الرفع . ونص القرطبي على أن حديث الحشر عراة مخصوص بغير الشهداء وأن حديث أبي داود ونحوه في الشهداء، وأخرج الدينوري في المجالسة عن الحسن قال : يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد ، وإذا خص من الحديث الشهداء أو أهل الزهد فالأنبياء من باب أولى .

مسألة ـ أحاديث الحشر عراة عارضها أحاديث أخر صرح

فيها بأن الناس يحشرون فى أكفانهم ، واختلف العلماء فى ذلك ، فمنهم من سلك مسلك الترجيح فرجح أحاديث الحشر فى الأكفان على أحاديث الحشر عراة وهذا رأى القليل، والأكثرون سلكوا مسلك الجمع فجمعوا بين الأحاديث بأن أحاديث الحشر فى الأكفان خاصة بالشهداء وأحاديث الحشر عراة فى غيرهم ـ هكذا نقله القرطبى ـ وجمع البيهقى بأن بعض الناس يحشر عاريا وبعضهم يحشر فى أكفانه ولم يعين شهداء ولا غيرهم ، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد ، والنسائى ، والحاكم وصححه، والبيهقى عن أبى ذر قال : حدثنى الصادق المصدوق ﷺ أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج : فوج طاعمين كاسين راكبين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وله شاهد من حديث أبى هريرة أخرجه أبو داود ، والترمذى، ومن حديث معاوية بن حيدة أخرجه أحمد . والترمذى . والنسائى وفى المجالسة للدينورى عن الحسن قال : يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد وهذا له حكم المرفوع المرسل .

مسألة :

: ما قول حبر بحر أفكاره — أبدى عجيبا عم فى عصره

وفاض منه أنهرا بالهدى — فى سائر الأقطار من دره

تأليفه صاغ لنا عسجدا — عاطره قد ضاع فى نشره

حكى لنظم الدر فى جيده — وحاز السبك فى نثره

فى الطفل إن مات صغيرا فهل — يحشر فى الأخرى على عمره

وفى جنان الخلد يبقى كذا — أو بعد حشر زيد فى قدره

وهل له فى الحور من زوجة — ينكحها ما القول فى أمره ؟

وأمر ولدان حكاهم لنا — رب العلا الرحمن فى ذكره

أمن بنى آدم أم خلقهم — كالحور يا من فاق فى دهره

لكم علوم أعجزت من مضى — ومن بقى قد صار فى فكره

وسلموا أن الذى نلتمو — منحة رب العرش من سره

يثيبكم جنَّاته مثل ما — بذلتم الإجهاد فى نصره

الجواب :

الحمد لله على يسره — وأشكر الهادى على نشره

الطفل يأتى مثل ما قد مضى — فى خلقه والقدر فى حشره

وعندما يدخل جناته — يزداد كالبالغ فى قدره

وكم له فى الخلد من زوجة — من بشر والحور فى قصره

والحور والولدان جنس سوى — ليسوا بنى آدم فاستقره

(الحاوى ٢ / ١٩٦ ـ ١٩٨) .

والإيمان بحشر الناس هو الشعبة الثامنة من شعب الإيمان كما بينها الإمام البيهقى إذ يقول :

الإيمان بحشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى الموقف لقوله تعالى : ﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [المطففين : ٤ ـ ٦] ولحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى صحيح مسلم : يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه (أى فى عرقه) (مختصر شعب الإيمان / ١٧) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٩ ، ١٢٠ ، ومذكرة التوحيد ـ حسن السيد متولى ٤ / ٢٩ ، ٣٠ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٩٦ ـ ١٩٨ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار

القزوينى / ١٧ . انظر أيضا التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى ـ حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٢٣٥ ـ ٢٤٩ ، وقد بسط القرطبى الكلام فيه فانظره فى موضعه إن شئت الاستزادة ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

* **الحشر (سورة -) :**

السورة رقم ٥٩ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف مدنية وعدد آياتها أربع وعشرون اتفاقا ورءوس آياتها الحكيم (١) الأبصٰر (٢) النار (٣) العقاب (٤) الفٰسقين (٥) قدير (٦) العقاب (٧) الصٰدقون (٨) المفلحون (٩) رحيم (١٠) لكٰذبون (١١) لاينصرون (١٢) لا يفقهون (١٣) لا يعقلون (١٤) أليم (١٥) العٰلمين (١٦) الظٰلمين (١٧) تعملون (١٨) الفٰسقون (١٩) الفائزون (٢٠) يتفكرون (٢١) الرحيم (٢٢) يُشركون (٢٣) الحكيم (٢٤)

وفيها من مشبه الفاصلة المتروك خمسة مواضع (١) لم يحتسبوا (٢) وأيدى المؤمنين (٣) ولا ركاب (٤) أحدا أبدا (٥) بينهم شديد .

(سعادة الدارين / ٧٣) .

ويجمل الإمام الفيروزابادى خصائص سورة الحشر فى البصيرة التاسعة والخمسين من بصائره ، وقد ذكرها باسم سبَّح ... الحشر، فيقول:

السورة مدنية بالاتفاق . آياتها أربع وعشرون . كلماتها أربعمائة وخمس وأربعون . حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة . فواصل آياتها (من بر) على الباء آيتان : العقاب فى موضعين . سميت سورة الحشر ؛ لقوله تعالى : ﴿لأول الحشر﴾ [الحشر : ٢] .

معظم مقصود السورة : الخبر عن جلاء بنى النضير ، وقسم الغنائم ، وتفصيل حال المهاجرين والأنصار ، والشكاية من المنافقين فى واقعة قريظة ، وذكر برصيصاء العابد، والنظر إلى العواقب، وتأثير نزول القرآن ، وذكر أسماء الحق تعالى وصفاته ، وبيان أن جملة الخلائق فى تسبيحه وتقديسه فى قوله تعالى : ﴿ الأسماء الحسنى ﴾ إلى آخر السورة [الحشر : ٢٤] . ليس فيها منسوخ .

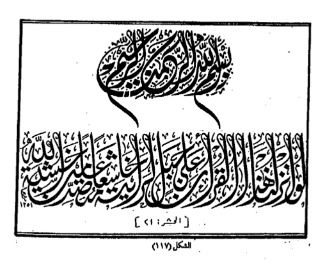
المتشابهات :

قوله تعالى : ﴿ وما أفاء الله ﴾ [٦] وبعده : ﴿ ما أفاء الله﴾ [٧] بغير واو ؛ لأن الأول معطوف على قوله : ﴿ ما قطعتم ﴾ [٥] والثانى استئناف ليس له به تعلق . وقول من قال: إنه بدل من الأول مزيف عند أكثر المفسرين .

قوله : ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ [١٣] وبعده : ﴿قوم لا يعقلون ﴾ [١٤] لأن الأول متصل بقوله تعالى : ﴿لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ [١٣] لأنهم يرون الظاهر ، ولا يفقهون على ما استتر عليهم ، والفقه معرفة ظاهر الشيء وغامضه بسرعة فطنة ، فنفى عنهم ذلك ، والثانى متصل بقوله تعالى : ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ [١٤] أى لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ، ولم يتفرقوا.

فضل السورة

فيه أحاديث منكرة ، منها حديث أُبَىٍّ : من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ، ولا نار ، ولا عرش ، ولا كرسى ، ولا حجاب ، ولا السمٰوات السبع ، والأرضون السبع ، والهوام ، والريح ، والطير ، والشجر ، والدواب ، والجبال والشمس ، والقمر ، والملائكة ـ إلا صلوا عليه . فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا ، وحديث على : يا على من قرأها قال الله عز وجل له يوم القيامة : عبدى استظل بظل عرشى ، وكل من



الشكل (١١٧)

ثمـار جنتي حتى أفـرغ إليك . فـإذا فـرغ الله عـز وجل من حسـاب الخـلائق وجهـه إلى الجنـة ، فيتعجب منـه أهل الموقف . وله بكل آية قرأها مثل ثواب إسحاق و إبراهيم (بصائر ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩) .

وعن حكمة وقوع سـورة الحشر بعد سورة المجـادلة يقول الإمام السيـوطى : آخر سورة المجـادلة نزل فيمن قُتل أقـرباؤه من الصحابة يوم بدر (وهـو قوله تعالى : ﴿ **أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ [٢٢] . وقيل هم : أبـو عبيدة قتل أباه يوم بدر، وأبو بكر هم بقتل ولده عبد الرحمن ، ومصعب بن عمير قتل أخـاه عبيدا ، وعمـر قتل قـريبا لـه ، وحمزة وعلى وعبيـدة بن الحارث قتلوا عقبة وشيبة والـوليد بن عتبة . طبقات ابن سعد ٣ / ١ / ٣٠٠) .

وأول الحشـر نـازل فى غزوة بنى النضيـر ، وهى عقبهـا ، وذلك نوع من المنـاسبة والـربط وفى آخر تلك : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى** ﴾ [٢١] وفى أول هذه : ﴿ **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب** ﴾ [٢] .

وفى آخـر تلك ذكـر من حـاد الله ورسولـه [٢٢] وفى أول هـذه ذكر من شـاق الله ورسولـه [٤] (تنـاسق الـدرر / ١٢٢ ، ١٢٣) .

أما عن الأسماء التى أبهمت فى هذه السورة فقد أورد الإمام السهيلى ما يلى :

قوله عز وجل : ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا** ﴾ [٢] هم بنو النضير حين أجلاهم النبـى ﷺ من حصونهم المجاورة له إلى خيبر ثم أجلاهم عمر بعـد ذلك إلى تيماء وأريحاء وذلك بكفرهم ونقض عهـدهم وهى من بلاد الشـام وذلك حين بلغه الخبر عن النبى ﷺ « لا يبقين دينان فى جزيرة العرب » ﴿ **لأول الحشر** ﴾ وآخر الحشر حين تحشر النار الناس إلى الشام عند قيام الساعة وقد روى أنهم قالـوا إلى أين تخرجنا يا محمد إلى الحشر . ذكـره بكر بن العـلاء القشيرى يـريد أن الشـام إليها يحشر النـاس وكان بنو النضيـر وقريظة وبنـو قينقاع فى وسط أرض العرب من الحجاز وإن كـانوا يهودا والسبب فى ذلك أن بنى إسـرائيل كـانت تغير عليهم العمـاليق من أرض الحجـاز وكان [وكـانت] منازلهم يثرب والجحفة إلى مكـة فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام فوجه إليهم جيشا وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلـوا وتركوا منهم ابن ملكهم كان غلاما حسنا فرقوا لـه ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات فقالت بنو إسرائيل لهم قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا أنرجع إلى البلاد التى غلبنا عليها فنكـون بها فرجعوا إلى يثرب فاستوطنوها وتنـاسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم إلى الإسـلام . ذكر هذا الخبر أبو الفرج الأصفهانى .

وقـريظة والنضيـر يقـال لهما الكـاهنـان وقد نسبهمـا ابن إسحاق إلى هـارون عليه السلام ونسبتهم إلى هـارون صحيحة لأن النبى ﷺ قال لصفية ووجدها تبكى لكلمة قيلت لها فقال لهـا أبوك هـارون عليـه السلام وعمك مـوسى وبعلك محمـد والحديـث معروف مشهـور وهو أطول مـن هذا وأمـا الحصون فأسمـاؤها فى السيـر منهـا : الـوطيح ، والنطاة ، وسـلالم ، والكتيبة ، وغيره ممن قد سماه ابن إسحاق وغيره .

(الوطيح : حصن من حصون خيبر، وهو أعظمها .

ونطاة : حصن بخيبر.

والسلالم : حصن بخيبر، كان من أحصنها وآخرها : فتحا على رسول الله ﷺ.

والكتيبة : هو حصن من حصـون خيبر، لما قسمت خيبر كان القسم على نطاة والشق والكتيبة ، فكانت نطاة والشق فى سهـام المسلمين وكـانت الكتيبـة خمس الله وسهم النبى ﷺ وسهم ذوى القـربى واليتـامـى والمسـاكين وطُعم أزواج النبى وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح) .

(التعريف والإعلام / ١٦٥ ، ١٦٦) .

وقال الإمـام السيوطى : ﴿ **لأول الحشـر** ﴾ [٢] قال ابن عباس : هو الشأم .أخرجه ابن أبى حاتم ﴿ **من أهل القرى** ﴾ [٧] : قال مقاتل : يعنى قريظـة والنضير وخيبر . أخرجه ابن أبى حاتم ﴿ **إذ قال للإنسان اكفر** ﴾ [١٣٦] : هو بـرصيصا العابد ذكره ابن كثير (مفحمات الأقران / ١٠٧) .

ويشـرح الإمام السيـوطى أسباب نـزول بعض آيات سـورة

الحشر فيقول ، مع ملاحظة أن الحرف « ك » يرمز إلى زيادات السيوطى على الواحدى :

أخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين ، قال : لا ، ولكن تكفونهم المؤنة وتقاسمونهم الثمرة والأرض أرضكم ، قالوا رضينا ، فأنزل الله ﴿ والذين تبوءوا الدار ﴾ [٩]

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله أصابنى الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال ألاَ رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله . فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله ؛ فذهب إلى أهله ؛ فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا .

قالت والله ما عندى إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئى السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت .

ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ .

فقال : لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة ، فأنزل الله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [٩] .

وأخرج مسدد فى مسنده وابن المنذر عن أبى المتوكل الناجى أن رجلا من المسلمين فذكر نحوه ، وفيه أن الرجل الذى أضاف ثابت بن قيس بن شماس ، فنزلت فيه هذه الآية .

وأخرج الواحدى من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك ، فنزلت ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [٩] .

ك ، وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال : أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون ، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، فنزلت هذه الآية فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم ﴾ [١١] (أسباب النزول للسيوطى / ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

ويوضح الإمام الرازى ما يمكن أن يوهم بوجود تناقض بين بعض آيات هذه السورة ، وذلك بطريقة « فإن قيل ـــ قلنا » ، وهو كما يلى :

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ [٩] والإيمان ليس مكانا يتبوأ لأن معنى التبوء اتخاذ المكان منزلا ؟

قلنا : فيه إضمار تقديره : وأخلصوا الإيمان كقول الشاعر:

* علفتها تبنا وماء باردا *

أى وسقيتها ماء باردا .

الثانى : أنه على ظاهره بغير إضمار ولكنه مجاز ، فمعناه أنهم جعلوا الإيمان مستقرا وموطنا لتمكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما جعلوا دار الهجرة كذلك وهى المدينة .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ ولئن نصروهم ﴾ [١٢] بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم وحرف الشرط إنما يدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه .

قلنا : معناه : ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى للنبى ﷺ : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ [الزمر : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] والله تعالى كما يعلم ما يكون قبل كونه ، فهو يعلم مالا يكون أن لو كان كيف يكون .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى للمؤمنين : ﴿ لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ [١٣] أى فى صدور المنافقين أو اليهود على اختلاف القولين ، وظاهره لأنتم أشد خوفا من الله ، فإن كان « من » متعلقا بأشد لزم ثبوت الخوف لله تعالى كما تقول : زيد أشد خوفا فى الدار من عمرو، وذلك محال ، وإن كان من الله متعلقا بالخوف فأين الذى فضل عليه المخاطبون ، وأيضا فإن الآية تقتضى إثبات زيادة الخوف للمؤمنين ، وليس المراد ذلك باتفاق المفسرين ؟

قلنا : رهبة مصدر رهب مبنيا لما لم يسم فاعله ، فكأنه قيل أشد مرهوبية ، يعنى أنكم فى صدورهم أهيب من الله فيها ، كذا فسره ابن عباس رضى الله عنهما ونظيره قولك : زيد أشد ضربا فى الدار من عمرو ، يعنى مضروبية .

فإن قيل : كيف يستقيم التفضيل بأشـدية الرهبـة مع أنهم كانوا لا يرهبون الله ، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر ؟

قلنا : معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم ، وكانوا يظهـرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله تعالى .

فإن قيل : كيف قـال إبليس ﴿ إنى أخـاف الله ﴾ وهو لا يخاف الله تعالى لأنه لو خافه لما خالفه ثم أضل عبيده ؟

قلنا : قد سبق هذا السؤال وجوابه فى سورة الأنفال .

فإن قيل مـا فائدة تنكيـر النفس والغـد فى قـوله تعـالى : ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾[١٨] ؟

قلنـا أما تنكيـر النفس فلاستقـلال الأنفس النـواظر فيمـا قدمت للآخرة كأنه قال : ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ، وأين تلك النفس . وأما تنكيـر الغد فلعظمته وإبهام أمره كـأنه قال لغد لا يعرف كنهه لعظمه .

فإن قيل : كيف قال تعالى ﴿ لغد ﴾ وأراد به يوم القيامة ، والغد عبارة عن يوم بينه وبيننا ليلة واحدة ؟

قلنا : الغـد له مفهـومان : أحـدهما مـا ذكرتم . والثـانى مطلق الزمان المستقبل ، ومنه قول الشاعر :

وأعلـم مـــا فـى اليـــوم و الأمـس قبلـــه
ولكننـى عن علـم مـــا فـى غـــد عمـى

وأراد بـه مطلق الـزمان المستقبل كمـا أراد بـالأمس مطلق الزمان الماضى ، فصار لكل واحـد منهما مفهومان ، ويؤيده أيضا قوله تعالى ﴿ كأن لم تغن بـالأمس ﴾[يـونس : ٢٤] وقيل إنمـا أطلق على يوم القيـامة اسم الغـد تقريبـا له كقـوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة ﴾[القمـر : ١] وقولـه تعـالى : ﴿وما أمـر الساعة إلا كلمح البصر أو هـو أقرب ﴾[النحل : ٧٧] وكأنـه تعالى قـال : إن يوم القيـامة لقربـه يشبه مـا ليس بينكم وبينه إلا ليلة واحدة ، ولهـذا روى عن النبى ﷺ أنه قال «عمل لليلة صبيحتها يـوم القيامة » قالـوا أراد بتلك الليلة ليلة الموت .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾[٢١] ؟

قيل : معناه : أنـه سبحانه لو جعل فى جبل على قسـاوته تمييـزا كمـا جعل فى الإنسان ثـم أنزل عليـه القـرآن ، لتشقق خشية من الله تعالى وخوفا أن لا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن . والمقصود تـوبيخ الإنسان على قسوة قلبـه وقلة خشوعـه عند تلاوة القرآن ، وإعراضه عن تدبر قوارعه وزواجره .

فإن قيل : ما الفرق بين ﴿ الخالق ﴾ و ﴿ البارئ ﴾ [٢٤] حتى عطف تعالى أحدهما على الآخر ؟

قلنا : الخالق هو المقدر لما يوجده ، والبارئ هو المميز بعضه عن بعض بـالأشكال المختلفة . وقيل الخـالق المبدئ والبارئ المعيد (مسـائل الرازى وأجوبتهـا / ٣٣٩ ــ ٣٤٢ والأنمـوذج الجليل ٦/ ٤٧٨ ــ ٤٨١) .

أما من حيث النسخ فقد سبق أن ذكرنا فى بداية هذه المادة نقلا عن الفيـروزابادى فى بصائره أنـه لا يوجـد نسخ فى سورة الحشر، ويوضح الإمام ابن الجوزى ذلك فيقول :

قوله تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ﴾ [٧] اختلف العلمـاء فى المراد بهـذا الفىء على قولين :

الأول : أنـه الغنيمـة التى يأخـذها المسلمـون من أمـوال الكفار عنوة وكـانت فى بدء الإسلام للذين سمـاهم الله هاهنا دون الغـالبين المـوجفين عليهـا ثم نسخ بقـولـه تعـالى فى الأنفال : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شىء ﴾[الأنفال : ٤١] هذا قول قتادة ويزيد بن رومان فى آخرين .

أخبرنا إسماعيل بن أحمـد، قال : أبنا عمر بن عبيد الله ، قال : أبنا ابـن بشران ، قال : أبنا إسحاق بـن أحمد ، قال : أبنـا عبد الله بـن أحمد ، قـال : حـدثنى أبى قـال : بنا عبـد الصمد عن همام عن قتادة ﴿ ما أفاء الله على رسـوله من أهل القرى فللـه وللرسول ولذى القـربى و اليتامى ﴾ الآية ، قال : كان الفىء بين هؤلاء فنسختها الآية التى فى الأنفال ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ﴾ .

قال أحمد : وبنا معاوية بن عمرو ، قال : أبنا أبو إسحاق عن شريك عن جـابر، عن مجاهد وعكـرمة ، قالا : نسخت سورة الأنفال سـورة الحشر قال أحمد : وبنـا وكيع ، قال : بنا

إسرائيل عن جابر عن مجاهد ، وعكرمة قالا : كانت الأنفال لله وللرسول ، فنسختها : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول) .

والثاني : أن هذا الفيء ما أخذ من أموال المشركين مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، كالصلح والجزية والعشور ومال من مات منهم في دار الإسلام ولا وارث له ، فهذا كان يقسم في زمان رسول الله ﷺ خمسة أخماس فأربعة لرسول الله يفعل بها ما يشاء والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية . واختلف العلماء فيما يصنع بسهم الرسول ﷺ بعد وفاته ، فقال قوم : هو للخليفة بعده ، وقال قوم : يصرف في المصالح فعلى هذا تكون هذه الآية مبينة لحكم الفيء والتي في الأنفال مبينة لحكم الغنيمة فلا يتوجه نسخ .

أخبرنا ابن ناصر ، قال : أبنا على بن الحسين بن أيوب قال : أبنا ابن شاذان ، قال : أبنا أبو بكر النجاد . قال : أبنا أبو داود السجستاني ، قال : أبنا أحمد بن محمد ، قال : سمعت على بن الحسين ، يقول : روى لنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت آية الفيء في آية الغنائم ، قال أحمد بن شبويه هذا أشبه من قول قتادة ، وسورة الحشر نزلت بعد الأنفال بسنة فمحال أن ينسخ ما قبل ما بعد . قال أبو داود : وبنا خشيش بن أصرم ، قال بنا يحيى بن حسان ، قال : بنا محمد بن راشد ، قال : بنا ليث بن أبي رقية ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد ، أن سبيل الخمس سبيل الفيء (نواسخ القرآن / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

ويقسم حجة الإسلام الغزالي آيات القرآن الكريم إلى جواهر ودرر، فيعرّف الجواهر بأنها تلك الآيات التي وردت في ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة ، وهو القسم العلمي . وأما الدرر فهي ما ورد فيه بيان الصراط المستقيم والحث عليه وهو القسم العملي .

فمن الجواهر في سورة الحشر أربع آيات :

قوله : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضرب بها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [٢١ - ٢٤] .

ومن الدرر آيتان :

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ [١٨، ١٩] .

(جواهر القرآن ودرره / ١١٦ ، ١٦٧) .

أما من حيث رسم المصحف بالنسبة لسورة الحشر فقد ذكر الإمام أبو عمرو الداني ما يلي :

١ - حذف الألف بعد واو الجمع في ﴿ تبوءو ﴾ [٩] و﴿ جاءو ﴾ [١٠] .

٢ - رسم الواو صورة للهمزة على مراد الاتصال أو التسهيل في ﴿ جزاؤا ﴾ [١٧] وذكر الخوارزمي ما يأتي :

٣ - ﴿ يأولى ﴾ [٢] بألف واحدة .

٤ - ﴿ كي لا ﴾ [٧] مقطوع .

(المقنع / ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ وموجز كتاب التقريب / ٨٧) .

وأما بالنسبة لأنواع الوقف وهي التام ، والكافي ، والحسن ، والقبيح بالنسبة لسورة الحشر فيبينها الإمام الداني على النحو التالي :

﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ [١] تام ﴿ لأول الحشر ﴾ [٢] كاف ومثله ﴿ أن يخرجوا ﴾ ، ومثله ﴿ في قلوبهم الرعب ﴾ ﴿ يا أولى الأبصار ﴾ أكفى مما قبله ﴿ شاقوا الله ورسوله ﴾ [٤] كاف ﴿ شديد العقاب ﴾ تام . ﴿ على من يشاء ﴾ [٦] كاف ومثله ﴿ بين الأغنياء منكم ﴾ [٧] ﴿ فانتهوا ﴾ كاف إن كان ﴿ واتقوا الله ﴾ نسقا عليه ، وإن كان مبتدأ ، فهو تام . وتمام الآية ﴿ وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ﴾ فقوله تعالى ﴿ واتقوا الله ﴾ إما نسق فيكون الوقف على ﴿ فانتهوا ﴾ كافيا وإما استئناف كلام جديد فيكون تاما) ﴿ بهم خصاصة ﴾ [٩] تام ،

والفواصل قبل وبعد كافية ﴿ غلا للذين آمنوا ﴾ [١٠] كاف ﴿رحيم ﴾ تام، ومثله ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ ﴿ لننصرنكم ﴾ [١١] كاف ﴿ أو من وراء جدر ﴾ [١٤] تام ﴿ وقلوبهم شتى ﴾ كاف ومثله ﴿ وبال أمرهم ﴾ [١٥] ومثله ﴿ خالدين فيها ﴾ [١٧] وقال الأخفش ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ﴾ [١٥] تمام الكلام ، أى حديثا ، قال ثم قال الله ﴿ ذاقوا وبال أمرهم ﴾ ﴿وذلك جزاء الظالمين ﴾ [١٧] تام ، ومثله ﴿ وأصحاب الجنة ﴾ [٢٠] الأول ، ومثله ﴿ الفائزون ﴾ ومثله ﴿ يتفكرون ﴾ [٢١] وكذلك الفواصل إلى آخر السورة ﴿ من خشية الله ﴾ [٢١] تام ﴿ المتكبر ﴾ [٢٣] كاف، ومثله ﴿ الأسماء الحسنى ﴾ [٢٤] ومثله ﴿ والأرض ﴾ .

(المكتفى / ٣٤٩) .

وأما من حيث القراءات السبع كما أوردها ابن مجاهد فهى كما يلى :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ يخربون بيوتهم ﴾ [٢] .

قرأ أبو عمرو وحده : ﴿ يخرِّبون بيوتهم ﴾ مشددة .

وقرأ الباقون : ﴿ يخرِبون﴾ خفيفة .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ أو من ورآء جدر ﴾ [١٤] .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (أو من ورآء جدار) بألف .

وقرأ الباقون : ﴿ جدرٍ ﴾ جماعة .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ إنى أخاف الله ﴾ [١٦] .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : (إنىَ أخاف) بفتح الياء وأسكنها الباقون (كتاب السبعة فى القراءات / ٦٣٢) .

وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى رحمه الله :

وفى رسلى اليا يخربون الثقيل (حـ) ـز
ومع دولة أنث يكون بخلف (لـ) ـلا
وكسر جدار ضم والفتح واقصروا
(ذ)وى (أ) سوة إنى بياء توصلا

(متن حرز الأمانى / ١٨٦) .

ومن حيث القراءات العشر : قرأ أبو جعفر (كى لا تكون) [٧] بالتاء ، (دولة) بالرفع ، وقرأ الباقون ﴿ يكون ﴾ بالياء، ﴿دولة ﴾ بالنصب(المبسوط فى القراءات العشر / ٤٣٣) .

أما عن القراءات الشاذة فى سورة الحشر فقد أوردها ابن خالويه فى « مختصر فى شواذ القرآن » / ١٥٤ ، ١٥٥ ، وابن جنى فى « المحتسب » ٢ / ٤١١ ، والشيخ عبد الفتاح القاضى فى « القراءات الشاذة » / ٨٩ ويمكنك الرجوع إلى هذه المصادر إن شئت .

(سعادة الدارين فى بيان وعد آى معجز الثقلين ـ محمد بن على بن خلف الشهير بالحداد / ٧٣ ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزآبادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٢٢ ، ١٢٣ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص ، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القاسم السهيلى / ١٦٥ ـ ١٦٧ ، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن للعلامة جلال الدين السيوطى ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البغا / ١٠٧ ، وأسباب النزول للسيوطى أيضا ـ تحقيق وتعليق قرنى أبى عميرة / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٣٩ ـ ٣٤٢ ، وهو نفسه بعنوان « الأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيل ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ونخبة من علماء مجلة الأزهر . هدية مجلة الأزهر . رجب ١٤١٠ هـ / ٤٧٨ ـ ٤٨١ ونواسخ القرآن للحافظ ابن الجوزى / ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وجواهر القرآن ودرره لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى / ١١٦ ، ١٦٧ والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار لأبى عمرو الدانى ـ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ ، وموجز كتاب التقريب فى رسم المصحف العثمانى ليوسف بن محمود الخوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٨٧ ، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٤٩ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ٦٣٢ ، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى للإمام الشاطبى ، ومعه كتاب تقريب النفع فى القراءات السبع ـ الشيخ على محمد الضباع / ١٨٦ ، والمبسوط فى القراءات العشر لابن مهران الأصبهانى ـ تحقيق سبيع حمزة حاكى / ٤٣٣ . انظر أيضا أسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء الكرمانى ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٩١ ، وألفية التفسير ـ

حسين على دحلى / ٦١ ، ٦٢ ، وأسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى / ٢٧٨ ــ ٢٨١ ، وإبراز المعانى من حرز الأمانى للإمام أبى شامة / ٦٩٩ ، ومختصر فى شواذ القرآن عن كتاب البديع لابن خالويه / ١٥٤، ١٥٥ ، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغه العرب ــ عبد الفتاح القاضى / ٨٩ ، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى - بتحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢ / ٤١١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١ / ١٨٠ ، ١٨١) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب موسوعة الخطوط العربية وزخارفها ــ معروف زريق / ٢١٥ شكل ١١٧ .

*** الحشو :**

قال صاحب اللسان : حشو البيت من الشعر : أجزاؤه غير عروضه وضربه ، وهو من ذلك . والحشو من الكلام : الفضل الذى لا يعتمد عليه (اللسان ١٠ / ٨٩١) .

وقال صاحب فقه اللغة فى فصل فى الحشو :

العرب تقيم حشو الكلام مقام الصلة والزيادة وتجريه فى نظام الكلمة وهو على ثلاثة أضرب ضرب منها ردئ مذموم كقول الشاعر :

صدودكم والديار دانية
أهدى لرأسى ومفرقى شيبا

فقوله مفرقى مع ذكر الرأس حشو بغيض . وكقول الآخر :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ
نصيب ولا حظ تمنى زوالها

والنصيب والحظ بمعنى واحد : وأما الضرب الأوسط فكقول امرئ القيس :

ألا هل أتاها والحوادث جمة
بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

فقوله والحوادث جمة حشو مستغنى عنه ولكن لا بأس به فى موضعه .

(فى كتب اللغة بيقر هلك وفسد ومشى كالمتكبر وخرج إلى حيث لا يدرى وخرج من الشام إلى العراق وهاجر من أرض إلى أرض) .

وكقول النابغة :

لعمرى وما عمرى على بهين
لقد نطقت بطلا علىَّ الأقارع

فقوله وما عمرى على بهين حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ وتأكيد المراد .

وأما الضرب الثالث فهو الحشو والحسن اللطيف كقول عوف بن محلم :

ان الثمانين وبلغتها
قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو مستغنى عنه فى نظم الكلام ولكنه حسن فى مكانه وأوقع فى المعنى المقصود . وكان ابن عباد يسمى هذا الحشو حشو اللوزينج لأن حشو اللوزينج خير من خبزته . ومن هذا الضرب قول طرفة .

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها حشو ولكن ما لحسنه نهاية . ومن ذلك قول عدى بن زيد لأبيه زيد وعدى فى حبس النعمان :

فلو كنت الأسير ولا تكنه
إذن علمت معد ما أقول

فقوله ولا تكنه حشو لا يخفى حسنه وبراعته . ومن ذلك قول البحترى :

إن السحاب أخاك جاد بمثل ما
جادت يداك لو انه لم يضرر

فقوله أخاك حشو ولكن ما لحسنه غاية . ومن ذلك قول ابن المعتز :

إن يحيى لا زال يحيا صديقى
وخليلى من دون هذى الأنام

فقوله لا زال يحيا حشو يربى على حشو اللوزينج . ومن ذلك قول أبى الطيب المتنبى :

ويحتقــر الــــدنيــــا احتقـــار مجـــرب
يـــرى كل مـــا فيهـــا وحــاشــاه فــانيـــا

فقولـه وحاشاه حشـو يجمع الحسن والطيب . ومن ذلك قول ابن عباد :

قـل لأبـى القـــــــاسـم إن جيتـــــــه
هنيـت مـــــــا أعطيـت هنيتـــــــه
كـل جمـــــــــال فـــــــائق رائق
أنـت بـــــرغم البـــدر أوتيتـــــه

فقوله بـرغم البدر حشو يقطر منـه ماء الظرف . ومن ذلك قول أبي محمد الخازن الأصبهاني رحمه الله للصاحب :

فايه طربة للعفو إن الكريم وأنت معناه طروب

فقوله وأنت معناه حشو يعجز الوصف عن حسنه وحلاوته (فقه اللغة / ٢٦٠_٢٦٢) .

وقال صـاحب العمدة في الحشـو وفضول الكـلام ، وهو يمدنا بمزيد من الأمثلة :

وسماه قـوم الاتكاء ، وذلك أن يكـون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كـان ذلك في القافيـة فهو استدعـاء ، وقد يأتي فـي حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه : كالذى تقدم من التتميم ، والالتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكر آنفا .

من ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلا :

صببنــــا عليهــــا ظــــالمين سيـــاطنـــا
فطــــارت بهــــا أيـــــد ســــراع وأرجل

فقوله « ظالمين » حشو أقـام به الوزن ، وبالغ في المعنى أشـد مبالغـة من جهتـه ، حتى علمنا ضـرورة أن إتيـانه بهـذه اللفظة التي هي حشو في ظاهـر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتتميم ...

وقال الفرزدق :

ستـأتيك منـى ــــ إن بقيت ــــ قصـــائد
يقصــــر عـن تحبيـــــرهـــا كـل قـــائل

فقوله « إن بقيت » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائدا ، وهوشبيـه بالالتفـات من جهة ، وبـالاحتراس مـن جهة أخـرى ، فما كـان هكـذا فهو الجيـد ، وليس بحشـو إلا على المجاز ، أو بعد أن ينعت بالجودة والحسن ، أو يضاف إليه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .

وقد أتى العتابي بما فيه كفاية حيث يقول :

إن حشـــــو الكـــلام من لكنـــة المـــر
ء وإيجـــــــازه مـن التقـــــــويـم

فجعل الحشو لكنة ، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنـة ، وإنما أراد مـا لا حاجـة إليه ولا منفعـة ، كقول أبـي صفوان الأسدى يذكر بازيا :

تـــرى الطيـــر والـــوحش من خـــوفـــه
حـــواجـــر منـــه إذا مـــا اغتـــدى

فقوله « منـه » بعد قوله « من خوفه » حشـو لا فائدة فيه ، ولا معنى له ، وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة :

خــذهــا ابنـة الفكـر المهــذب فـى الــدجى
والليـل أســـود حـــالك الجلبـــــاب

فقـوله « الـدجى » حشو ؛ لأن في القسيم الثـاني ما يـدل عليـه من زيادة استعـارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسيم الأول حشو كان القسيم الثاني بأثره فضلة .

وقال أبو الطيب في نحو من ذلك :

إذا اعتـل سيف الـــدولـــة اعتلت الأرض
ومن فـــوقهـــا والبأس والكـــرم المحض

فقوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنس والجن جميعـا ، والبأس والكرم جميعـا ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى : ﴿ **فيهما فاكهة ونخل ورمان** ﴾ [الرحمن : ٦٨] فأعـاد ذكرهمـا وهما من الفـاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى : ﴿ **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** ﴾ [البقرة : ٩٨] فإن هذا سائغ وليس بحشو حينئذ .

ومن الحشو قول الكلحبه اليربوعي :

إذا المـــرء لـم يغش الكـــريهـــة أوشكت
حبـــال الهـــوينـــا بـــالفتـى أن تقطعـــا

فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد تقدم ، إلا أن يريد فى قوله بالفتى الزراية والأطنوزة فإنه يحتمل .

(الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفى آخره زاى - وهو السخرية ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز - بالفتح وتشديد النون - قال صاحب المختار : « وأظنه مولدا أو معربا » .

وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير :

يقول : أرى زيدا وقد كان معدما
أراه لعمرى قد تمول واقتنى

فقوله « أراه لعمرى » حشو واستراحة يستغنى عنها بقوله «أرى زيدا» .

ومما يكثر به حشو الكلام « أضحى ، وبات ، وظل ، وغدا ، وقد ، ويوما » وأشباهها ، وكان أبو تمام كثيرا ما يأتى بها ، ويكره للشاعر استعمال « ذا ، وذى ، والذى ، وهو ، وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب مولعا بها ، مكثرا منها فى شعره ، حتى حمله حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة فى قوله :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو
عقمت بمولد نسلها حواء

وكذلك يكره للشاعر قوله فى شعره « حقا » إلا أن تقع له موقعها فى قول الأخطل :

فأقسم المجد حقا لا يحالفهم
حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فإن قوله ههنا « حقا » زاد المعنى حسنا وتوكيدا ظاهرا .

ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى قوله لابن المعتز :

ولو قبلت فى حادث الدهر فدية
لقلنا على التحقيق نحن فداؤه

فقوله « على التحقيق » حشو مليح فيه زيادة فائدة .

ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفادا ، وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم .

قضى لها الله حين صورها الـ
ـخالق أن لا يكنها سدف

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم الله تعالى قد تقدم .

ووجدت الحذاق يعيبون قول ابن الحدادية - وهى أمه ، واسمه قيس بن منقذ :

إن الفؤاد قد أمسى هائما كلفا
قد شفه ذكر سلمى اليوم فانتكسا

لحشوه بـ « ـقد » فى موضعين من البيت ثم بـ « ـأمسى » وبـ « ـاليوم » على تناقضهما وعاب الحاتمى على الأعشى قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شاته
فأصبت حبة قلبها وطحالها

لأن تكرير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا تعسف من الحاتمى لأن قلبه غير قلبها ؛ فإنما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته فى أكثر النسخ « حبة قلبه وطحالها » وهو غلط ، ومن ههنا عابه فيما أظن ، ومن الناس من روى «فرميت غفلة عينه عن شاته» وهى رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبى العيال الهذلى قوله :

ذكرت أخى فعاودنى
صداع الرأس والوصب

لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ، وعلى جميل قوله :

وما ذكرتك النفس يا بثن مرة
من الدهر إلا كادت النفس تتلف

فتكرير « النفس » ليس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل - بالفاء - وزعم قوم أنه بالعين كأنهم يجعلونه اعوجاجا من قولهم : ناب أعصل ، وجعله آخرون بالعين وضاد معجمة ، كأن عندهم من : تعضل الولد ، إذا عسر خروجه واعترض فى الرحم ،

وظاهر البيت الذى أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل - بالفاء - وهو قول دريد بن الصمة :

وبلّغ نميرا إن عرضت ابن عامر
وأى أخ فى النائبات وطالب

ويجرى هذا المجرى قول أبى الطيب ، بل هو أقبح منه :

حملت إليه من لسانى حديقة
سقاها الحيا سقى الرياض السحائب

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ، وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق » من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها .

(العمدة ٢ / ٦٩ - ٧٢) .

وقال صاحب كشاف اصطلاح الفنون :

الحشو بالفتح وسكون الشين المعجمة فى اللغة بمعنى درميان افتاده زائد وشتران خرد ومردم فرومايه كما فى كنز اللغات وعند النحاة هو الصلة فى اللباب القضية التى بها يتم الموصول تسمى صلة وحشواه وعند أهل العروض والشعراء هو الركن الأوسط من المصراع كما فى رسالة قطب الدين السرخسى وعروض سيفى وعند أهل المعانى هو أن يكون اللفظ زائدا لا لفائدة بحيث يكون الزائد متعينا فبقيد لالفائدة خرج الإطناب وبقيد التعين خرج التطويل الذى سماه صاحب جامع الصنائع بالحشو القبيح . وهو قسمان لأن ذلك الزائد إما أن يكون مفسدا للمعنى أو لا يكون فالحشو المفسد كلفظ الندى فى بيت أبى الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى
وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

أى المنية يعنى لا فضيلة فى الدنيا للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت وهذا يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء فإن الشجاع إذا تيقن بالخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوف الهلاك وكذا الصابر إذا تيقن بالدوام وبزوال الحوادث والشدائد هان عليه الصبر على المكروه لوثوقه بالخلاص عليه بخلاف العطاء فإن الخلود يزيد فى الحاجة إلى المال فيزيد فضل العطاء مع الخلود .

أقول قوله : والندى ليس بحشو كما زعموا لأن المال مخلوق لوقاية النفس عن الهلاك لأنه يتوسل به إلى دفع الجوع الذى يفضى إلى الهلاك ، لأن البدن بسبب اشتغال الحرارة الغريزية يتحلل ويتجفف فلو لم يصل إليه بدل ما يتحلل من المأكولات والمشروبات يشرف على الهلاك بل يهلك ، وأيضا يتشبث بالمال إلى رفع الأمراض التى توصل إلى الإفناء لو لم يصل إليه الدواء فلا جرم أن المال وسيلة البقاء فإذا علم الجواد أنه يحتاج إلى المال فى الحال وفى المآل ومع هذا يجود به على الأغيار كان فى غاية الفضل كما مدح الله تعالى الذين يبذلون أموالهم مع احتياجهم إليها بقوله ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ [الحشر : ٩] فلو لم يكن الموت والردى لم يكن فضل للجود والندى . والحشو الغير المفسد للمعنى كلفظ قبله فى قول زهير بن أبى سلمى :

فأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكننى عن علم ما فى غد عمى

فقوله « قبله » صفة الأمس بتقدير الكائن قبله وهو الوصف للتأكيد وهو حشو إذ لا فائدة فى التأكيد فيه بخلاف أبصرته بعينى وسمعته بأذنى وضربته بيدى فإنه يدفع التجوز بالإبصار والسماع عن العلم بلا شبهة وبالضرب عن الأمر به فهذه إنما تقال فى مقام افتقر إلى التأكيد ومثل هذا وقع فى التنزيل نحو ﴿ **فويل لهم مما كتبت أيديهم** ﴾ [البقرة : ٧٩] ونحو ﴿**يقولون بأفواهم ما ليس فى قلوبهم** ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ونحو ﴿ **ما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ [الأنعام : ٣٨] هذا كله خلاصة ما فى المطول والأطول .

ثم يقول صاحب كشاف اصطلاحات الفنون عن الحشو فى العروض :

الحشو فى العروض وهو الأجزاء المذكورة بين الصدر

والعروض وبين الابتداء والضرب من البيت مثلا إذ كان البيت مركبا من مفاعيلن ثمانى مرات فمفاعيلن الأول صدر والثانى والثالث حشو والرابع عروض والخامس ابتداء والسادس والسابع حشو والثامن ضرب وإذا كان مركبا من مفاعيلن أربع مرات فمفاعيلن الأول صدر، والثانى عروض، والثالث ابتداء، والرابع ضرب، فلا يوجد فيه الحشو هكذا فى رسالة السيد الجرجانى (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٨٩١، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى/ ٢٦٠ - ٢٦٢، والعمدة لابن رشيق - حققه وفصّله وعلّق على حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ٢/ ٦٩ - ٧٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٩٥، ٣٩٦).

*** الحشوية:**

الحشوية بسكون الشين وفتحها وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة قال السبكى فى شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد سموا بذلك لأنهم كانوا فى حلقة الحسن البصرى فوجدهم يتكلمون كلاما فقال ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم والجسم حشو فعلى هذا القياس فيه الحشوية بسكون الشين نسبة إلى الحشو.

وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث فى آيات الصفات التى يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد ويفوضون التأويل إلى الله وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف انتهى. وقيل طائفة يجوّزون أن يخاطبنا الله بالمهمل ويطلقون الحشو على الدين فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهما حشو أى واسطة بين الله ورسوله وبين الناس كذا ذكر الخفاجى فى سورة البقرة فى حاشية البيضاوى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ٣٨] (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٣٩٦، ٣٩٧).

والحشوية إحدى طائفتى المشبهة، وهما الرافضة من الشيعة، والحشوية من أهل الحديث الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التى تشعر بالتشبيه، وهذه الطائفة يمثلها عبد الله ابن محمد بن كلاب، ولقد كان تمسكهم فى تشبيههم بأحاديث موضوعة ومدسوسة على الدين الإسلامى، أو بالظاهر من بعض الآيات والأحاديث (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ ١٠٠).

وقال الشهرستانى فى معرض كلامه على المشبهة:

غير أن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل: الهاشميين من الشيعة. ومثل مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمى وغيرهم من الحشوية قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض، إما روحانية، وإما جسمانية. ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن.

وأما مشبهة الحشوية؛ فحكى الأشعرى عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمى: - أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة. وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض.

وحكى الكعبى عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية فى دار الدنيا، وأن يزوره ويزورهم.

وحكى عن داود الجواربى أنه قال:

وقال: إن معبوده جسم، ولحم، ودم. وله جوارح وأعضاء من يد، ورجل، ورأس، ولسان، وعينين، وأذنين. ومع ذلك جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحوم، ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه شيئا من المخلوقات، ولا يشبهه شىء ...

وأما ما ورد فى التنزيل من الاستواء، والوجه واليدين، والجنب، والمجىء، والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد فى الأخبار من الصورة وغيرها فى قوله عليه الصلاة والسلام: « خلق آدم على صورة الرحمن » وقوله

«حتى يضع الجبار قدمه فى النار» وقوله «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» وقوله «خمَّر طينة آدم بيده أربعين صباحا» وقوله «وضع يده أو كفه على كتفى» وقوله «حتى وجدت برد أنامله على كتفى» إلى غير ذلك؛ أجروها على ما يتعارف فى صفات الأجسام.

وزادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبى عليه الصلاة والسلام، وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وإن العرش لتئط من تحته كأطيط الرحل الحديد، وإنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع (يئط: يرسل صوتا من ثقل ما يحمل).

وروى المشبهة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لقينى ربى فصافحنى وكافحنى، ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أنامله» (الملل والنحل ١/ ١٠٥، ١٠٦).

وفى قصيدته النونية الجامعة يهاجم الإمام ابن القيم أولئك الذين لقبوا أهل الحديث بالحشوية، ويبين أنهم هم أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب فيقول:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحى من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشوا فى الوجو ... د وفضلة فى أمة الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفى السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان

ظن الحمير بأن فى للظرف والر ... حمن محوى بظرف مكان

والله لم يسمع ندا من فرقة ... قالته فى زمن من الأزمان

لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبا لذى البهتان

بل قولهم إن السموات العلى ... فى كف خالق هذه الأكوان

حقا كخردلة ترى فى كف ... ممسكها تعالى الله ذو السلطان

أترونه المحصور بعد أم السما ... يا قومنا ارتدعوا عن العدوان

كم ذا مشبهة وكم حشوية ... فالبهت لا يخفى على الرحمن

يا قوم إن كان الكتاب ... وسنة المختار حشوا فاشهدوا ببيان

أنا بحمد إلهنا حشوية ... صرف بلا جحد ولا كتمان

تدرون من سمّت شيوخكم بهذا ... الاسم فى الماضى من الأزمان

سمّى به ابن عبيد عبد الله ذا ... ك ابن الخليفة طارد الشيطان

فورثتم عمرا كما ورثوا ... لعبد الله أنى يستوى الإرثان

تدرون من أولى بهذا الاسم ... وهو مناسب أحواله بوزان

من قد حشا الأوراق والأذهان من ... بدع تخالف موجب القرآن

هذا هو الحشوىُّ لا أهل الحد ... يث أئمة الإسلام والإيمان

وردوا عذاب مناهل السنن التى ... ليست زبالة هذه الأذهان

(متن القصيدتين النونية والميمية / ١٠١، ١٠٢).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٩٦، ٣٩٧، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى. ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين-

طـه عبـد الـرءوف سعـد ومصطفى الهـوارى / ١٠٠ ، والملل والنحل للشهـرستـانى ـ تحقيـق محمـد سيـد كيـلانى ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ومتن القصيدتين النونية والميمية للعلامة ابن القيم / ١٠١ ، ١٠٢) .

*** الحشيش :**

سئل شيخ الإســلام ابن تيميـة فيمن يأكـل الحشيش مـا يجب عليه ؟

فأجاب رحمه الله قائلا :

الحمد لله . هذه الحشيشة الصلبة حـرام سواء أسكر منها أو لم يسكـر، والسكـر منها حـرام بـاتفـاق المسلمين ، ومن استحل ذلك وزعم أنـه حـلال فإنه يستتـاب ، فإن تـاب وإلا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين وأما إن اعتقد ذلك قربة وقال هى لقيمـة الذكر والفكر ، وتحرك العزم الساكن إلى أشـرف الأماكن ، وتنفع فى الطـريق ، فهو أعظم وأكبر ، فإن هذا من جنس دين النصارى الذين يتقربون بشرب الخمر ، ومن جنس من يعتقـد الفواحش قربة وطـاعة قال الله تعالى **﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾** [الأعـراف : ٢٨] ومن كـان يستحل ذلك جاهـلا وقـد سمع بعض الفقهاء يقول :

حــــرمـــــوهـــــا مـن غيــــر عقل ونقـل
وحــــرام تحــــريم غيــــر الحـــــرام

فإنـه مـا يعرف الله ورسـولـه وأنهـا محـرمة والسكـر منهـا حرام ، بـالإجماع ، وإذا عرف ذلك ولم يقر بتحـريم ذلك فإنه يكون كـافرا مرتدا كمـا تقدم ، وكل ما يغيب العقل فإنـه حرام وإن لم تحصل بـه نشـوة ولا طـرب ، فإن تغيُّب العقل حـرام بإجمـاع المسلمين ، وأمـا تعاطى البنج الـذى لم يسكـر ولم يغيب العقل ففيه التعـذير وأمـا المحققون من الفقهـاء فعلموا أنهـا مسكـرة ، وإنمـا يتنـاولها الفجـار لمـا فيهـا من النشـوة والطـرب، فهى تجـامع الشـارب المسكـر فى ذلك والخمـر توجب الحركـة والخصومة وهذه توجب الفتور والـذلة . وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهـوة وما توجبه من الديانة مما هى من شـر الشراب المسكر وإنما حدثت فى النـاس بحدوث التتـار، وعلى تناول القليل منهـا والكثير حـد الشرب ثمانون سوطا أو أربعون ، إذا كان مسلما يعتقد تحريم المسكـر ويغيب العقل ، وتنـازع الفقهاء فى نجـاستهـا على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها ليست نجسة .

والثانى : أن مائعها نجس وإن جامدها طاهر .

والثالث : وهـو صحيح أنها نجسة كالخمـر ، فهذه تشبه العذرة وذلك يشبه البول وكلاهما من الخبائث التى حرمها الله ورسوله ، ومن ظهر منه أكل الحشيشة فهو بمنزلة من ظهر منه شرب الخمر وشر منه من بعض الـوجوه ويهجر ويعاقب على ذلك .

كما يعاقب هذا للوعيد الوارد فى الخمر ، مثل قوله ﷺ : « لعن الله الخمر وشاربهـا وساقيها وبائعها ومبتاعهـا وحاملها وآكل ثمنها » .

قالت المـؤلفة : هـذا الحديث الشـريف أخرجـه الحافظ السيوطى فى الجـامع الصغير بلفظ « لعن الله الخمر وشـاربها وسـاقيها وبـائعها ومبتـاعها وعـاصرهـا ومعتصرهـا وحاملهـا والمحمولـة إليه وآكل ثمنها » من روايـة أبى داود والحاكم عن ابن عمر وقال عنه حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ١٢٩) .

ومثل قوله « من شرب الخمـر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ، فإن تـاب تاب الله عليه فإن عاد وشـربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ، فإن تاب تاب الله عليه ، وإن عاد فشربها فى الثـالثـة أو الـرابعة كـان حقـا على الله أن يسقيـه من طينـة الخبال » وهى عصارة أهل النار .

وقد ثبت فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال « كل مسكر حرام » وسئل عن هذه الأشـربة وكان قد أوتى جـوامع الكلم فقال ﷺ «كل مسكر حرام » .

وسئل أيضـا مـا يجب على آكل الحشيشـة ومن ادعى أن أكلها جائز حلال مباح .

فأجاب رحمه الله قائلا : أكل هـذه الحشيشة الصلبة حرام وهى من أخبث الخبـائث المحرمـة وسواء أكل منهـا قليلا أو

كثيرا ، لكن الكثير المسكر منها حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهودى والنصرانى ، وسواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الفكر والذكر ، وأنها تحرك العزم الساكن إلى أشرف الأماكن وأنهم كذلك يستعملونها وقد كان بعض السلف ظن أن الخمر تباح للخاصة متأولا قوله تعالى : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا**﴾ [المائدة : ٩٣]

فلما رفع أمرهم إلى عمر بن الخطاب وتشاور الصحابة فيهم اتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على الاستحلال قتلوا ، وهكذا حشيشة العشب من اعتقد تحريمها وتناولها فإنه يجلد الحد ثمانين سوطا أو أربعين ، وهذا هو الصواب .

وقد توقف بعض الفقهاء فى الجلد ، ولأنه ظن أنها مزيلة للعقل غير مسكرة كالبنج ونحوه مما يغطى العقل من غير سكر ، فإن جميع ذلك حرام باتفاق المسلمين إن كان مسكرا ففيه جلد الخمر ، وإن لم يكن مسكرا ففيه التعزير بما دون ذلك . ومن اعتقد حل ذلك كفر وقتل (انظر مادة « التعزير » م ٩ / ٦٠٢ _ ٦٠٧ من هذه الموسوعة) .

والصحيح أن الحشيشة مسكرة كالشراب فإن آكليها ينشون بها ، ويكثرون تناولها بخلاف البنج وغيره ، فإنه لا ينشى ولا يشتهى ، وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحد . وما لا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير، والحشيشة مما يشتهيها آكلوها ويمتنعون عن تركها ، ونصوص التحريم فى الكتاب والسنة على من يتناولها كما يتناول غير ذلك ، وإنما ظهر فى الناس أكلها قريبا من نحو ظهور التتار، فإنها خرجت وخرج معها سيف التتار .

وسئل أيضا : هل يجوز لآكل الحشيشة أن يؤم الناس ؟ وهل للجماعة إذا علموا ذلك أن يصلوا خلفه وهل يجوز لناظر المكان عزله أم لا ؟

فأجاب رحمه الله : لا يجوز أن يولى الإمامة بالناس من يأكل الحشيشة أو يفعل شيئا من المنكرات المحرمة مع إمكان توليه من هو خير منه ، كيف وفى الحديث « من ملك رجلا عملا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » وفى حديث آخر « إذا أَمَّ الرجل القوم وفيهم من هو خير منه لم يزالوا فى شقاء » .

وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنا » فأمر النبى ﷺ بتقدم الأفضل فى العلم والكتاب والسنة ، ثم الأسبق إلى العمل الصالح بنفسه ، ثم بفعل الله تعالى .

وفى سنن أبى داود وغيره أن رجلا من الأنصار كان يصلى بقوم إماما فبصق فى القبلة فأمرهم النبى ﷺ أن يعزلوه عن الإمامة ولا يصلوا خلفه ، فجاء إلى النبى ﷺ فسأل هل أمرهم بعزله : فقال : نعم إنك أذيت الله ورسوله . فإذا كان قد أمر بعزله عن الإمامة لأجل إتيانه فى الصلاة ببصاقة إلى القبلة فكيف بالمصر على أكل الحشيشة ، لا سيما إن كان مستحلا لذلك كفر بلا نزاع وأما احتجاج المعارض لما ذكر من قوله تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر فهذا غلط فيه لوجوه .

أحدها : أن هذا الحديث لم يثبت عن النبى ﷺ بل فى سنن ابن ماجه عنه « لا يؤم فاجر مؤمنا إلا أن يقهره بسوط أو عصا » .

الثانى : أنه قد يجوز للمأموم أن يصلى خلف من ولى فإن كان توليه لا يجوز فليس للناس أن يولوا عليهم الفساق ، وإن كان قد ينفذ حكمه أو تصح الصلاة خلفه .

الثالث : أن الأئمة متفقون على كراهية الصلاة خلف الفاسق لكن اختلفوا فى صحتها ، فقيل : لا تصح كقول مالك وأحمد فى إحدى الروايتين عنهما ، وقيل بل تصح كقول أبى حنيفة . والشافعى والرواية الأخرى عنهما ، ولم يتنازعوا أنه لا ينبغى توليته .

الرابع : أنه لا خلاف بين المسلمين فى وجوب الإنكار على هؤلاء الفساق الذين يسكرون من الحشيشة بل الذى عليه جمهور الأئمة أن قليلها وكثيرها حرام بل الواجب أن آكليها يحدون بها وهى نجسة وإذا كان آكلها لم يغتسل منها كانت صلاته باطلة ولو اغتسل منها فهى خمر .

وفى الحديث « من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد فشربها لم تقبل فإن عاد فشربها فى الثالثة أو الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، قيل يارسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال عصارة أهل النار » وإذا كانت صلاته تارة باطلة وتارة غير مقبولة وأنه يجب الإنكار عليه باتفاق المسلمين فمن لم ينكر عليه كان عاصيا لله ورسوله ، ومن منع المنكر عليه فقد ضاد الله ورسوله . ففى سنن أبى داود عن النبى ﷺ أنه قال : « من حالت شفاعته دون حدود الله فقد ضاد الله فى أمره ، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه حبس فى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال، ومن خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ، فالمخاصمون عنه مخاصمون فى الباطل وهم فى سخط الله وكل من علم حاله ولم ينكر عليه بحسب قدرته فهو عاص لله ورسوله » .

وسئل أيضا فى رجال كهول وشباب وهم حجاج مواظبون على أداء ما افترض عليهم من صوم وصلاة وعبادة وفيهم كبير القدر يشار إليه معروفون بالثقة والأمانة ، ليس عليهم شىء من ظواهر السوء والفسوق وقد اجتمعت عقولهم وأذهانهم ورأيهم على أكل العبراء . وكان قولهم واعتقادهم فيها أنها معصية وسيئة غير أنهم مع ذلك يقولون فى اعتقادهم بدليل كتاب الله سبحانه وتعالى وهو أن ﴿ الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود : ١١٤] وذكروا أنها حرام غير أن لهم وردا بالليل وتعبدات ويزعمون أنها إذا حصلت شيئاتها برءوسهم تأمرهم بتلك العبادة ولا تأمرهم بسوء ولا فاحشة ويثبتوها أن ليس لها ما يوجب حدا من حدود، إلا أنها تتعلق بمخالفة أمر من أمور الله سبحانه وتعالى، والله يغفر ما بين العبد وربه واجتمع بهم رجل صادق وذكر عنهم ذلك ووافقهم على أكلها بحكمهم عليه وحديثهم له واعترف على نفسه بذلك ، وهل يجب على آكلها حد شارب الخمر أم لا ؟

فأجاب قائلا : نعم يجب على آكلها حد شارب الخمر وهؤلاء القوم ضلال جهال عصاة لله ورسوله وكفى برجل جهلا أن يعرف بأن هذا العمل محرم وأنه معصية لله ولرسوله ثم يقول أنه تطيب له العبادة وتصلح له حاله . ويح هذا القائل أيظن أن الله سبحانه وتعالى ورسوله حرم على الخلق ما ينفعهم ويصلح لهم حالهم ؟ نعم قد يكون فى الشىء منفعة وفيه مضرة أكثر من منفعته فيحرمه الله سبحانه وتعالى لأن المضرة إذا كانت أكثر من المنفعة بقيت الزيادة مضرة محضة وصار هذا الرجل كأنه قال لرجل خذ منى هذا الدرهم وأعطنى دينارا، فجهله يقول له هو يعطيك درهما فخذه ، والعقل يقول إنما يحصل الدرهم بفوات الدينار وهذا ضرر لا منفعة له ، بل جميع ما حرمه الله ورسوله إن ثبت فيه منفعة ما فلا بد أن يكون ضرره أكثر .

فهذه الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله إذا كانت كما يقول الضالون من أنها تجمع الهمة وتدعو إلى العبادة فإنها مشتملة على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه أضعاف ما فيها من خير ولا خير فيها ، ولكن هى تحلل الرطوبات فتتصاعد الأبخرة إلى الدماغ وتورث خيالات فاسدة ، فيهون على المرء ما فعله من عبادة ، ويشغله بتلك التخيلات عن إضرار الناس وهذه رشوة الشيطان يرشو بها المبطلين ليطيعوه فيها بمنزلة الفضة القليلة فى الدرهم المغشوش وكل منفعة تحصل بهذا السبب فإنها تنقلب مضرة فى المآل ولا تبادل لصاحبها فيها ، وإنما هذا نظير السكران بالخمر فإنها تطيش عقله حتى يسخو بماله ويتشجع على أقرانه فيعتقد الغر أنها أورثته السخاء والشجاعة وهو جاهل ، وإنما أورثته عدم العقل ومن لا عقل له لا يعرف قدر النفس فيجوز بجهله لا عن عقل فيه ...

ثم إن كثيرها يسكر حتى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى وإن كانت لا توجب قوة نفس صاحبها حتى يضارب

ويشاتم فكفى بالرجل شرا أنها تصده عن ذكر الله وعن الصلاة إذا سكر منها ، وقليلها وإن لم يسكر فهو بمنزلة قليل الخمر، ثم إنها تورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وانفتاح شهوته ما لا يورثه الخمر، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر مفسدة ليست فيها وهى الحدة فهى بالتحريم أولى من الخمر لأن ضرر أكل الحشيشة على نفسه أشد من ضرر الخمر وضرر شارب الخمر على الناس أشد إلا أنه فى هذه الأزمان لكثرة أكل الحشيشة صار الضرر الذى منها على الناس أعظم من الخمر ، وإنما حرم الله المحارم لأنها تضر أصحابها وإلا فلو ضرت الناس ولم تضره لم يحرمها إذ الحاسد يضره حال المحسود ولم يحرم الله اكتساب المعالى لدفع تضرر الحاسد.

هذا وقد قال رسول الله ﷺ كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام وهذه مسكرة ولو لم يشملها لفظه بعينها لكان فيها من المفاسد ما حرمت الخمر لأجلها مع أن فيها مفاسد أخر غير مفاسد الخمر توجب تحريمها والله أعلم (الفتاوى جـ ٢ م ٤ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦_٢٤٠).

قال الشيخ قطب الدين العسقلانى خليفة شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله : إن فى الحشيشة مائة وعشرين مضرة دنيوية وأخروية وقال الحكماء : إنها تورث أكثر من ثلاثمائة داء فى البدن ... منها تنقيص القوى ، وإحراق الدماء ، وتقليل الحياء ، وتثقيب الكبد ، وتقريح الجسد ، وتجفيف الرطوبات ، وتضعيف اللثات ، وتصفير اللون ، وتحفير الأسنان .

وهى علاوة على ذلك ، تورث البخر فى الفم وتورث السوداء والجذام والبرص والخرس ، واللقوة ، وموت الفجأة ، وتولد الخيال الفاسد ، ونسيان الحال والمآل ، والفراغ من أمور الآخرة ، وتنسى العبد ذكر ربه ، وتجعله يفشى أسرار الإخوان ، وتكثر المراء وتنفى الفتوة ، والمروءة وتكشف العورة، وتمنع الغيرة ، وتتلف الكيس ، وتجعل صاحبها جليسا لإبليس، وتفسد العقل ، وتقطع النسل ، وتجلب الأمراض والأسقام ... وتولد الرعشة ، وتحرك الدهشة ـ وتسقط شعر الأجفان وتظهر الداء الخفى ، وتظهر العلة ، وتحبس البول ، وتزيد فى الحرص ، وتسهر الجفون ، وتضعف العيون وتورث الكسل عن الصلاة ، وحضور الجماعات والوقوع فى المحظورات ، وارتكاب الإجرام والوقوع فى الحرام ، وغير ذلك من الأسقام والأمراض ـ كداء السل ، واحتراق السوداء وضيق النفس والاستسقاء ، وسوء الخاتمة ـ والعياذ بالله ـ ومتناولها إذا أكل لا يشبع ، وإذا أعطى لا يقنع ، وإذا كلم لا يسمع ... ولذلك تعين على كل ذى عقل سليم ، وطبع مستقيم ، اجتنابها ومن قبائحها أنها تنسى الشهادتين عند الموت ، وقد نقل إلينا أن البهائم لا تتناولها ، وما قدر مأكول تنفر البهائم عن تناوله ؟

فمن نحا نحو آكلها ، وحذا حذوه فهو المفتون المغبون الذى بلغ الشيطان فيه غاية أمله ، بعد أن كان يتربص به ريب المنون ، لأنه لعنه الله ، إذا أحل عبدا فى هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبى بالكرة ، إذ ما يريد منه شيئا إلا وسابقه إلى فعله ، لأن العقل الذى هو آلة الكمال زال من محله ، فصار كالأنعام ، بل هو أضل سبيلا ومن أهل النيران فبئس ما رضيه لنفسه ، مبيتا ومقيلا ، وأفٍّ لمن باع نعيم الدنيا والآخرة، بتلك الصفقة الخاسرة («اللؤلؤ المكنون»/ ٢٤٥ ، ٢٤٦).

(الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط دار الغد العربى جـ ٢ م ٤ ، ١٩٨٨ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ـ ٢٤٠ ، و «اللؤلؤ المكنون من بحر العلامة محمد كنون» ـ الحاج أحمد بن شقرون . مجلة الإحياء التى تصدرها رابطة علماء المغرب جـ ٢ م ٦ . محرم ـ جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ ـ نوفمبر ـ إبريل ١٩٨٧ م/ ٤٥ ، ٤٦).

* **الحصّار (-٦٠٩ هـ):**

أحمد بن على .

ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٠٩ هـ وقال عنه :

أحمد بن على بن يحيى بن عون الله ، أبو جعفر الأنصارى الأندلسى الدانى المعروف بالحصار نزيل بلنسية .

قرأ القرآن على أبى إسحاق إبراهيم بن حسين بن محارب صاحب أبى عبد الله محمد ابن غلام الفرس . وقرأ القراءات

بيلنسية على أبى الحسن بن هذيل ، وسمع منه ، ومن أبى الحسن ابن النعمة ، وأبى عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة . وأجاز له أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الغرناطى ، والحافظ عبد الحق الإشبيلى . وتصدر للإقراء ورأس فى ذلك أهل عصره .

قال الأبار : كانت الرحلة إليه فى وقته ، ولم يكن أحد يدانيه فى الضبط والتجويد والإتقان ، وتصدر فى حياة شيوخه ؛ أخذ عنه الآباء والأبناء ، واضطرب بآخرة فى روايته فأسند عن جماعة أدركهم ، وكان بعض شيوخنا ينكر عليه ذلك مع صحة روايته عن المذكورين قبل وإكثاره عنهم حتى لقد انفرد بقراءة تأليف أبى الحسن ابن النعمة فى التفسير المترجم بـ «رى الظمآن» .

قلت : فعلى هذا تكون روايته للقراءات عن أبى عبد الله ابن غلام الفرس مزلزلة ، ولهذا لم يذكرها الأبار .

ثم قال : أخذ عنه والدى القراءات وأخذتها عنه بعد ذلك بمدة وسمعت منه جملة . وتوفى فى ثالث صفر قبل الكائنة العظمى على المسلمين بوقعة العقاب من ناحية جيَّان بأيام وقد قارب الثمانين .

قلت : قرأت للسبعة على شيخنا برهان الدين الإسكندرانى عن قراءته على علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسى ، وقال له : قرأت القراءات وقرأت « التيسير » على جماعة منهم : أبو جعفر أحمد بن على ويعرف بالحصار ، وكتب له الحصار بخط يده أنه رواه ، يعنى « التيسير » عن أبى عبد الله محمد بن الحسن ابن غلام الفرس ، وقال الحصار : لم ألق مثله فى الإقراء ومنه أخذت التجويد وقرأ على أبى داود وابن الدش ، ثم قال : وقرأ الحصار أيضا به على ابن هذيل . وممن قرأ على الحصار أبو بكر محمد بن محمد بن مشليون وأبو جعفر أحمد بن على بن الفحام المالقى ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جوبر البلنسى . قال ابن مُشِليون : كان ينسخ «التيسير» فى الأسبوع ويبيعه ويقتات بذلك فيرغب الطلبة فى كتابته لإتقانه - رحمه الله - .

ترجم له الأبار فى التكملة ١ / ١٠٠ ، ١٠١ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٣ / الورقة ١٢١ ، ومعرفة القراء ، الورقة ١٨٥ ، والعبر ٥ / ٣٠ ، وابن الجزرى فى غاية النهاية ١ / ٩٠ ، وابن العماد فى الشذرات ٥ / ٣٦ .

(تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبى - حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف .

ساعدت جامعة بغداد على نشره . طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ١٨ / ٣٤٢ - ٣٤٤) .

* **الحصار :**

أبو بكر بن عبد الله :

أدرجه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله فى عصر الخيام وقال عنه :

اشتغل « أبو بكر » بالرياضيات ، وترجم مؤلفاته « موسى ابن تيبون اليهودى » إلى العبرية .

وقد استعمل أبو بكر الطرق الآتية فى أحد مؤلفاته لإيجاد القيم التقريبية للجذر التربيعى :

إذا كانت $م = ب^{٢} + هـ$

فإن $\sqrt{م} = ب + \frac{هـ + ١}{٢ب + ٢}$

وكذلك $\sqrt{م} = ب + \frac{هـ}{٢ب} - \frac{\frac{هـ}{(٢ب)^{٢}}}{٢(ب + \frac{هـ}{٢ب})}$

فإذا كانت $م = ١٠$ أو $م = ٣^{٢} + ١$

فإن $\sqrt{١٠} = ٣ + \frac{٣ + ١}{٦ + ٣} = ٣ + \frac{١}{٢} = ٣$

وهذه القيمة أكثر من القيمة التقريبية للجذر التربيعى لعشرة .

وإذا استعملنا الطريقة الثانية ينتج أن : -

$$\sqrt{١٠} = ٣ + \frac{١}{٦} - \frac{(\frac{١}{٦})^{٢}}{٢(٣ + \frac{١}{٦})} = ٣ + \frac{١}{٦} \quad \frac{١}{٣٦} \times \frac{٣}{١٩} = ٣\frac{٣٧}{٢٢٨}$$

وهذه القيمة قريبة جدا من القيمة الحقيقية .

(راجع « سمث » فى كتابه تاريخ الرياضيات مجلد ١ ص ٢١٠ ، مجلد ٢ ص ٢٥٤) .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٣٨٨) .

*** الحصار بالمنجنيق وحفر الخنادق فى سبيل الله تعالى :**

أدرجه الإمام ابن جماعة الحموى تحت الباب الخامس والعشرين فقال :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : حاصر النبى ﷺ أهل الطائف فلم ينل منهم شيئا فقال : إنا قافلون غدا إن شاء الله ، فقال المسلمون : أو نرجع ولم نفتحه ؟ قال لهم رسول الله ﷺ « اغدوا على القتال غدا فأصابهم جراح فقال رسول الله ﷺ إنا قافلون غدا إن شاء الله فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله ﷺ (صحيح البخارى ٥ / ١٠٢ ، وصحيح مسلم ١١ / ١٢٣) .

وعن أبى البخترى أن جيشا من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسى ، حاصروا قصرا من قصور الفرس ، فقالوا : « يا أبا عبد الله ، ألا ننهد إليهم ، فقال ؛ دعونى أدعهم بما سمعت من رسول الله ﷺ يدعو ، وساق الحديث ، قال : ثم قال : انهدوا إليهم فنهدنا إليهم ففتحنا ذلك القصر » (صحيح الترمذى ٧ / ٣٢) .

وعن أنس رضى الله عنه ، أن عمر رضى الله عنه سأله : كيف تصنعون إذا حاصرتم حصون العدو ؟ قال : قلت نحاصرهم ، ثم نبعث رجالا فليحفرون أساسه . قال : أرأيت إن رمى رجل بحجر فأصابه أيقتله ؟ قلت : نعم . قال : ما أحب أن تفتحوا حصنا فيه أربعون مقاتلا بدم رجل من المسلمين يقتل ضياعا . رواه ابن خزيمة وعن على رضى الله عنه « أن النبى ﷺ نصب المنجنيق على الطائف » وعن سهل ابن سعد رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكبادنا فقال رسول الله ﷺ «اللهم » لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار» (صحيح البخارى ٥ / ٤٥ ، وصحيح مسلم ١٢ / ١٧٢) .

وعن البراء بن عازب قال : « كان النبى ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه ، أو اغبر بطنه ، وهو يقول :

والله لـــولا الله مـــا اهتـــدينـــا
ولا تصـــدقنـــا ولا صلينـــا
فـــانـــزلن سكينـــة علينـــا
وثبت الأقـــدام إن لاقينـــا
إن الأولى قـــد بغـــوا علينـــا
إذا أرادوا فتنـــة أبينـــا

(صحيح البخارى ٥ / ٤٧ وصحيح مسلم ١٢ / ١٧٠ ـ ١٧١ . قيل إن هذه الأبيات قد رجزها سلمة بن الاكوع بعد أن قفل رسول الله ﷺ من خيبر فسأله الرسول ﷺ من قال هذا ؟ قال : حكت أنها لأخى وكان أخوه قد ارتد عليه سيفه فقتله . وقال عنه الرسول ﷺ إنه من الشهداء) .

(مستند الأجناد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى / ٨٥ ، ٨٦ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

*** حصار بنى هاشم وبنى المطلب فى الشّعب :**

الشِّعب : واحد شعاب مكة ، وهى الوهاد والطرقات بين الجبال حيث كانت تسكن بعض عشائر قريش وكان هذا الحصار لبنى هاشم وبنى المطلب فى ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة ، وظلوا محاصرين إلى السنة العاشرة وقيل بل إلى السنة التاسعة .

وقد أورد الإمام ابن عبد البر قصة ذلك الحصار فى باب بعنوان « ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشعب وما لقوا من سائر قريش فى ذلك » وجاء فيه ما يلى :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود قال : أخبرنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة عن محمد ابن عبد الرحمن أبى الأسود . وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : أخبرنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، قال : حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب . وأخبرنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا محمد بن بكر، قال : حدثنا أبو داود . قال : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى ، قالا : حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب . دخل حديث بعضهم فى بعض ، قال :

ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرهم واتفق رأيهم على قتل

رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا ، فقالوا لقومه : خذوا منا ديته مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش ، وتريحوننا وتريحون أنفسكم . فأبى قومه بنو هاشم من ذلك وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف .

فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان متجرا لقريش ، وكان يثنى على النجاشى بأنه لا يظلم عنده أحد فانطلق المسلمون إلى بلده . وانطلق إليها عامة من آمن بالله ورسوله ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبهم : مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمن دينا ، والكافر حمية (يعلق الدكتور شوقى ضيف محقق الكتاب هنا بقوله :

قلت : هذه حجة الشافعى فى إلحاق بنى المطلب ببنى هاشم دون بنى عبد شمس وغيرهم . وجاء فى حديث : أن بنى هاشم وبنى المطلب لم يفترقوا فى جاهلية ولا إسلام . ومذهب مالك أن بنى المطلب كغيرهم ، وأن الخصوصية فى تحريم الصدقات ونحو ذلك لبنى هاشم خاصة . والله أعلم) فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه أجمعوا ألا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئا من الرفق (الرفق : ما استعين به) ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا طعاما ولا إداماً ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم (أرادوا بذلك قطع الميرة عنهم ويقال إنهم كانوا لا يخرجون من شعبهم إلا من موسم إلى موسم) ولا يناكحوهم ، ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتد البلاء على بنى هاشم فى شعبهم وعلى كل من معهم . فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم قوم من بنى قصى ، ممن ولدتهم بنو هاشم وممن سواهم ، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة ، فأكلت ولحست ما فى الصحيفة من ميثاق وعهد . وكان أبو طالب فى طول مدتهم فى الشعب يأمر رسول الله ﷺ فيأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة . فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمر رسول الله أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها ، فلم يزالوا فى الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين . فلما أكملوها تلاوم رجال من قريش وحلفائهم وأجمعوا أمرهم على نقض ما كانوا تظاهروا عليه من القطيعة والبراءة . وبعث الله على صحيفتهم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من عهد لهم وميثاق ، ولم تترك فيها اسما لله عز وجل إلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم . فأطلع الله عز وجل رسوله على ذلك . فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبتنى (الثواقب : النجوم ، وفى القرآن الكريم ﴿ والنجم الثاقب ﴾ [الطارق : ٣]) فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد ، وهم خائفون ، لقريش ، فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ برمته إلى قريش ، . فتكلم أبو طالب ، فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم ، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فأتوا بصحيفتهم متعجبين لا يشكون أن رسول الله ﷺ يدفع إليهم . فوضعوها بينهم ، وقالوا لأبى طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أخذتم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو طالب : إنما أتيتكم فى أمر هو نصف بيننا وبينكم ، إن ابن أخى أخبرنى ، ولم يكذبنى ، أن هذه الصحيفة التى بين أيديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تترك فيها اسما له إلا لحسته ، وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم . فقالوا قد رضينا بالذى تقول . ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح . فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب عن النبى ﷺ قالوا : هذا سحر ابن أخيك . وزادهم ذلك بغيا وعدوانا .

وأما ابن هشام فقال (١ / ٣٧٥) قد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : يا عم إن ربى قد

سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما لله إلا أثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى وساق الخبر بمعنى ما ذكرنا (يعلق المحقق هنا بقوله :

اتفق الطريقان على أن الله عز وجل غار لأسمائه الحسنى ، فلم يجمع بينها وبين القطيعة والظلم فى الصحيفة إما بأن محا أسماءه وترك ظلمهم ، وإما بأن محا ظلمهم وترك أسماءه . وهو من جنس قوله عليه الصلاة والسلام : فوالله لا تجتمع ابنة عدو الله وابنة رسول الله فى بيت رجل واحد أبدا . وفيه ما يدل على أن الكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل اللذين بأيدى أهل الكتاب لا يجوز امتهانها وإن اشتملت على الكفر لاشتمالها أيضا على أسماء الله ، وإذا أردنا محوها غسلناها أو حرقناها) .

وقال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما فى تمام ذلك الخبر : وندم منهم قوم ، فقالوا : هذا بغى منا على إخواننا وظلم لهم . فكان أول من مشى فى نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث (فى ابن هشام ٢ / ١٤ : ابن ربيعة بن الحارث) من بنى عامر بن لؤى ، وهو كان كاتب الصحيفة ، وأبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى . والمطعم بن عدى .

إلى ههنا تم خبر ابن لهيعة عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن المعروف بيتيم عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب . وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق ، إلا أن ابن إسحاق قال :

الذين مشوا فى نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث ابن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى لقى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى فعيره بإسلامه أخواله . وكانت أم زهير عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ . فأجابه زهير إلى نقض الصحيفة . ثم مضى هشام إلى المطعم ابن عدى بن نوفل فذكره أرحام بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف . فأجابه المطعم إلى نقضها . ثم مضى إلى أبى البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد ، فذكَّره أيضا بذلك ، فأجابه ثم مضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فذكره ذلك ، فأجابه . فقام هؤلاء فى نقض الصحيفة .

اخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعى ، قال : حدثنى الزهرى : أن أبا سلمة ابن عبد الرحمن حدثه عن أبى هريرة ، قال :

قال رسول الله ﷺ وهو بمنى : نحن نازلون عند خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر . يعنى بذلك المحصب . قال : وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ .

قال : أبو عمر :

وأراد أبو بكر الصديق أن يهاجر إلى أرض الحبشة ، فلقيه ابن الدغنة ، فرده .

(الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ـ تحقيق د . شوقى ضيف / ٥٣ ـ ٥٧) .

* **الحصد :**

قال الراغب الأصفهانى :

حصد : أصل الحصد قطع الزرع ، وزمن الحصاد والحصاد كقولك زمن الجَداد والجِداد وقال تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ [الأنعَام : ١٤١] فهو الحصاد المحمود فى إبانه وقوله عز وجل ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ﴾ [يونس : ٢٤] فهو الحصاد فى غير إبانه على سبيل الإفساد . ومنه استُعير حصدهم السيف . وقوله عز وجل ﴿ **منها قائم وحصيد** ﴾ [هود : ١٠٠] فحصيد إشارة إلى نحو ما قال : ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** ﴾ [الأنعام : ٤٥] ﴿ **وحب الحصيد** ﴾ [قّ : ٩] أى ما يحصد مما منه القوت وقال ﷺ « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم» فاستعارة ،

وحبل محصد ، ودرع حصداء ، وشجرة حصداء ، كل ذلك منه ، وتحصَّد القوم تقوى بعضهم ببعض .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٠) .

* **الحصر :**

قال الراغب الأصفهانى :

حصر : الحصر التضييق ، قال عز وجل : ﴿**واحصروهم**﴾ [التوبة : ٥] أى ضيقوا عليهم وقال عز وجل ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾ [الإسراء : ٨] أى حابسا ، قال الحسن معناه مهادا كأنه جعله الحصير المرمول ، فإن الحصير سمى بذلك لحصر بعض طاقاته على بعض ، وقال لبيد :

ومعالم غلب الرقاب كأنهم

جن لدى باب الحصير قيام

أى لدى سلطان وتسميته بذلك إما لكونه محصورا نحو محجَّب وإما لكونه حاصرا أى مانعا لمن أراد أن يمنعه من الوصول إليه ، وقوله عز وجل : ﴿ **وسيدا وحصورا** ﴾ [آل عمران : ٣٩] فالحصور الذى لا يأتى النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة . والثانى أظهر فى الآية ، لأن بذلك يستحق المحمدة ، والحصر والإحصار المنع من طريق البيت ، فالإحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض ، والحصر لا يقال إلا فى المنع الباطن فقوله تعالى : ﴿ **فإن أُحصرتم** ﴾ [البقرة : ١٩٦] فمحمول على الأمرين وكذلك قوله تعالى : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله** ﴾ [البقرة : ٢٧٣] وقوله عز وجل : ﴿**أو جاءوكم حصرت صدورهم** ﴾ [النساء : ٩٠] أى ضاقت بالبخل والجبن وعبر عنه بذلك كما عبر عنه بضيق الصدر ، وعن ضده بالبر والسعة .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٠ ، ١٢١) .

* **الحصر والاختصاص (علم ـ):**

النوع الخامس والخمسون من أنواع علوم القرآن الكريم ، فصله الحافظ السيوطى فى الإتقان (٢ / ٦٤ ـ ٦٩) واختصره طاش كبرى زاده على النحو التالى :

أما الحصر ، ويقال له القصر أيضا ، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ؛ ويقال أيضا : إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه ، وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف . وكل منهما إما حقيقى أو مجازى .

وقصر الموصوف على الصفة حقيقيا لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بجميع الأوصاف وإثبات بعض منها ، ونفى ما عداه بالكلية .

وينقسم الحصر أيضا إلى أقسام أخر باعتبار آخر ؛ وهو : قصر الأفراد وقصر التعيين ، وقصر القلب . وتفصيل هذه القواعد فى علم البيان .

ثم إن من أتقنها يسهل عليه معرفتها من القرآن . ثم إن طرق الحصر كثيرة :

أحدها : النفى والاستثناء ، سواء كان النفى بلا أو ما أو غيرهما ، وسواء كان الاستثناء بلا أو غير .

وثانيها : إنما المكسورة ، قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم .

وثالثها : أنما بالفتح عند الزمخشرى والبيضاوى فى قوله تعالى : ﴿ **قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] وصرح التنوخى فى (أقصى القرب فى صناعة الأدب) ، بأنه فرع إنما المكسورة ، وما يثبت للأصل يثبت للفرع ، ما لم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه . ورد أبو حيان على الزمخشرى بأنه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانية . وأجيب بأنه حصر مجازى باعتبار المقام .

الرابع : العطف بلا وبل ؛ اتفق عليه أهل البيان ، إلا أنه نازع فيه الشيخ بهاء الدين السبكى فى : « عروس الأفراح » فقال : أى قصر فى العطف بلا إنما فيه نفى وإثبات ، فقولك : زيد شاعر ولا كاتب، لا : تعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر إنما يكون بنفى الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازا ، وليس هو خاصا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب . وأما العطف ببل فأبعد منه ، لأنه لا يستمر فيها النفى والإثبات .

الخامس : تقدم المعمول ، نحو : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] وخالف فيه قوم .

السادس : ضمير الفصل ، نحو : ﴿ فالله هو الولى ﴾ [الشورى : ٩] .

السابع : تقديم المسند إليه ، على ما قال الشيخ عبد القاهر: قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى . والحاصل على رأيه أن له أحوالا :

أحدها : أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتا فيأتى للتخصيص نحو : أنا قمت ، وأنا سعيت فى حاجتك .

والثانى : أن يكون المسند منفيا ، نحو : أنت لا تكذب .

وثالثها : أن يكون المسند إليه نكرة مثبتا ، نحو : رجل جاءنى ، أى لا امرأة أو رجلان .

ورابعها : أن يلى المسند إليه حرف النهى ، ويقيده ، نحو : ما أنا قلت هذا ، أى لم أقله ، مع أن غيرى قاله : هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر، ووافقه السكاكى ، وزاد شروطا وتفاصيل بسطوا فيها القول فى موضعه .

الثامن : تقديم المسند ، ذكره ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما . ورده صاحب « الفلك الدائر » بأنه لم يقل به أحد، وهو ممنوع ، إذ قد صرح به السكاكى وغيره بأن تقديم ما حقه التأخير، يفيد التخصيص ، ومثلوه بنحو : تميمى أنا .

التاسع : ذكر المسند إليه ، ذكره السكاكى والزمخشرى فى ﴿ الله يبسط الرزق ﴾ [الرعد : ٢٦] وفى قوله تعالى : ﴿والله يقول الحق ﴾ [الأحزاب : ٤] .

العاشر : تعريف الخبر . ذكر الإمام فخر الدين الرازى فى « نهاية الإيجاز » أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : المنطلق زيد . ومثله الزملكانى « بالحمد لله » قال إنه يفيد الحصر ، أى الحمد لله لا لغيره .

الحادى عشر : نحو : جاء زيد نفسه ، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثانى عشر : نحو إن زيدا لقائم نقله المذكور آنفا .

الثالث عشر : نحو قائم فى جواب : زيد إما قائم أو قاعد. ذكره الطيبى فى « شرح التبيان » .

الرابع عشر : قلب بعض حروف الكلمة ، فإنه يفيد الحصر على ما نقل فى الكشاف ، فى قوله تعالى : ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ [الزمر : ١٧] .

واعلم أن أهل البيان أطبقوا على أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا ، ومثلوا بـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وخالفهم ابن الحاجب فى خطبة « المفصل » فى قوله : الله أحمد ، وقال التقديم للاهتمام والاختصاص الذى يتوهمه كثير من الناس وهم . واعترض أيضا أبو حيان بنحو : ﴿ أفغير الله تأمرونى ﴾ [الزمر : ٦٤] .

وأجيب : بأنه لما كان من أشرك بالله غيره ، كأنه لم يعبد الله ، كان أمرهم بالشرك ، كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة. ورد أيضا صاحب « الفلك الدائر » بقوله تعالى : ﴿كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ﴾ [الأنعام : ٨٤] وهو أقوى ما رد به . وأجيب : بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة ، وقد يخرج الشىء عن الغالب .

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى قوله تعالى : ﴿ أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ [الأنعام : ٤٠] ، ﴿ بل إياه تدعون ﴾ [الأنعام : ٤١] فإن التقديم الأول ليس للاختصاص والثانى للاختصاص . هذا وقال والده الشيخ تقى الدين السبكى فى كتاب « الاقتناص » ما حاصله وتلخيصه أن البيانيين على إفادة تقديم المعمول الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ، ويقول إنما يفيد الاهتمام فقط . إلا أن الاختصاص غير الحصر ، والفضلاء لم يقولوا إنه يفيد الحصر ، بل قالوا يفيد الاختصاص . والفرق بينهما أن الحصر إثبات المذكور ونفى غير المذكور ؛ والاختصاص فصل الخاص من جهة خصوصه ، إذ الخصوص مركب من معنى عام مشترك بين الشيئين أو أشياء ، ومن معنى ينضم إليه يفصله عن غيره ، فقد يقصد إفادة جهة عمومه ، كقولك : ضربت زيدا ؛ وقد يقصد إفادة جهة

خصوصه ، كقولك : زيدا ضربت . وهذا هو الاختصاص ، وأنه هو الأهم عند المتكلم ، وهو الذى قصد إفادته للسامع من غير تعرض ، ولا قصد لغيره ، بإثبات ولا نفى ، وفى الحصر معنى زائد عليه ، وهو نفى ما عدا المذكور ، وإنما جاء هذا فى ﴿ إياك نعبد ﴾ للعلم بأن قائليه لا يعبدون غير الله ، ولذا لم يطرد فى بقية الآيات .

فالحصر على ثلاث مراتب :

إحداها : ما وإلا ، وهو أقوى طرقه لأنه بالمنطوق .

الثانية : الحصر بإنما ، وهو قريب من الأول ، ودونه ، لعدم ذكر النفى منطوقا .

الثالثة : الحصر الذى قد يفيده التقديم ، وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين بل هو فى قوة جملتين .

إحداهما : ما صدر به الحكم نفيا كان أو إثباتا وهو المنطوق .

والأخرى : ما فهم من التقديم ، والحصر يقتضى نفى المنطوق فقط دون ما دل عليه المفهوم ، لأن المفهوم لا مفهوم له ، فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك ، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا تكرمه . ثم طول السبكى فى الكلام وقال آخر :

وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ، ونحن نمنع ذلك ، ونقول إنه اختصاص ، وأن بينهما فرقا . قلت : ما ذكره من الفرق بين الحصر والاختصاص ، مما استخرجه فكرى أيضا .

(مفتاح السعادة ومصباح السيادة لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ٢ / ٤١٦ ـ ٤٢٠ . انظر أيضا الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ٦٤ ــ ٦٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

* **الحصرم :**

الحِصْرِم : الثمر قبل النضج . ويعرف فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب كما يأتى قال الأنطاكى :

الحصرم هو الأخضر من العنب وأجوده الخالى عن الحلاوة ويدرك بحزيران وهو بارد يابس فى الثانية أو يبسه فى الأولى يقمع الأخلاط الصفراوية والدوخة والعطش ويزيل الاسترخاء والترهل مطلقا ومبادئ الحصف والحكة دلكا خصوصا يابسه ويطيب العرق وماؤه فى ذلك أشد وإذا طبخ به ورق الزيتون حتى يصير درهما قلع الأسنان إذا وضع عليها بلا آلة وإذا عصر وجفف فى الشمس ورفع كانت هذه نافعة من الخناق وأورام الحلق واسترخاء المقعدة وسقوط اللهاة والرعاف وقذف الدم مطلقا والجدرى والإسهال المزمن شربا وطلاء وتصلح القلاع وتعرف هذه برب الحصرم والأولى تجفيفها فى نحو الزجاج لا فى نحاس أحمر لأنه يضر الحوامل ومتى مزج هذا الماء أو العصارة الجافة بشىء من العسل ووضع فى الشمس كان شرابا جيدا كما ذكر فى العصارة وإذا حلت بماء الكراث جففت البواسير طلاء أو حملت فرزجة نقت الرحم وأصلحته بالغا وهو يضر الصدر ويحدث السعال ويصلحه الجلنجبين وشراب الخشخاش وإصلاحه أن لا يستعمل قبل سنة وشربة العصارة إلى مثقال والشراب إلى رطل وبدله ماء التفاح الحامض (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢٤) .

كما أورده المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال :

حصرم ــ « ع » هو غض العنب ، وعصارته تسمى بالفارسية غورا فشرج ، ومعناه رب الحصرم ، وقوته فى البرودة من الدرجة الثانية ، ومن اليبوسة فى الثالثة ، وهو عاقل للبطن ، قامع للمرة والدم ، ويولد رياحا ومغصا ، ومن أدمن عليه أضعف معدته ، وإذا جفف فى الظل وسحق ، ودلك به البدن فى الحمام ، نفع من الحصف (انظر مادة «الحصف») وقوى البدن ، ومنع من أن يحدث فيه الحصف فى تلك السنة ، ويبرد البدن ، وعصارته تجفف فى الشمس ، وقد

تعقد بالطبخ ، وتوافق بالعسل أو بالشراب الحلو ، عضل اللسان والحلق واللهاة ، والقلاع ، واللثة الرخوة ، التى تسيل إليها الفضول ؛ وتنفع من وجع الأذن التى يسيل منها القيح ، وإذا خلطت بالخل نفعت النواصير والقروح المزمنة الساعية ، وإذا اكتحل بها أحدت البصر ، ووافقت خشونة العيون ، ويحتقن بها لقرحة الأمعاء ، ولسيلان الرطوبة من الرحم . وشراب الحصرم نافع للحوامل من النساء ، يقوى معدتهن ، ويمنعها من قبول الكيموسات الرديئة اللزجة ، ويمسك الجنين من أن يسقط . وبدل عصارة الحصرم : عصير التفاح الحامض . « ج » بارد فى الدرجة الأولى ، يابس فى الثانية ، ينفع من الصفراء والحرارة الملتهبة ، ويولد رياحا ومغصا ، ويصلحه الجلنجبين « ف » معروف . وهو يقمع الصفراء جدا . وينفع المعدة والكبد ، ويصلحه العسل والأنيسون . والشربة منه : بقدر الحاجة . وإذ مزجت بإسفيداج ولطخت، نفعت الحمرة والنملة . « ج » هو حشيشة يجلى بها الزجاج ، فيها قبض مع رطوبة ، ملصق ملين ، يسكن الأورام البلغمية ، ويجعل فى قيروطى للنقرس، وعصارته تزيل البواسير ، وتنفع من السعال المزمن . والشربة منه : درهمان (المعتمد ١ / ٩٧ ، ٩٨) .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ٩٧ ، ٩٨) .

الحَصَف :

هكذا ضبطه صاحب كتاب « التنوير » ، وعرفه بأنه حكاك واحتراق ، يحدثان فى ظاهر البدن ، من كثرة العرق وملوحته (كتاب التنوير / ٣٠) .

والحصف من الأمراض التى وصفها داود الأنطاكى فقال عنه :

حارة تبقى بعد رشح العرق فى البلاد الحارة عند برد الهواء فتتكثف به وتخرج كالذرة فما دونها بيسير حكة ووجع يسمى بمصر (حمو النيل) لحدوثها عند زيادة النيل وغالب أسبابها قلة التنقية وكثرة الماء البارد وعلاجها ما لم تعظم الطلاء بدقيق الشعير والاسفيداج ، والليمون والخل والطين الأرمنى ودهن الورد والحمام فإن عظمت فالفصد والإسهال مع ما ذكر .

(كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى - تحقيق وفاء تقى الدين / ٣٠ ، والنزهة المبهجة المطبوع بذيل تذكرة أولى الألباب / ١٥٩ وكلاهما لداود بن عمر الأنطاكى) .

*** الحصكفى (٨٥٧-٩٣٤ هـ) :**

ابن أبى اللطف .

ممن عملوا بالتدريس فى القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام .

علاء الدين أبو الفضل على بن محمد بن على بن منصور ابن أبى اللطف الحصكفى ، المقدسى ، الشافعى :

درس علاء الدين بالمدرسة الصلاحية فى بيت المقدس ، فقد عين معيدا فيها ، وتلقاها عن شيخه كمال الدين بن أبى شريف ، وكان ابن أبى شريف قد قرره معيدا بها .

وكان علاء قد ولد فى بيت المقدس « بيت المشيخة الصلاحية المقدسية » ونشأ فى بيت المقدس ، وتلقى تعليمه فيه ، فحفظ القرآن عند أحد الفقهاء ، « وصلى به فى قبة السلسلة فى رمضان سنة ٨٦٥ هـ » كما يذكر السخاوى (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٦) وجد علاء الدين فى الاشتغال بالعلم، فحفظ الشاطبية ، وألفية الحديث ، والمنهاج ، وجمع الجوامع ، وألفية ابن مالك ، ثم عرض محفوظه على عدد من المشتغلين بالتدريس بالصلاحية ، من أمثال شمس الدين أبى مساعد ، وكمال الدين بن أبى شريف (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٦) وقد لازم كمال الدين بن أبى شريف نحو عشر سنين ، وقرأ عليه عددا من أمهات كتب الحديث ، مثل : البخارى ، وألفية الحديث، وغيرهما ، وقد قرأ عليه البخارى أكثر من مرة ، وكانت قراءته عليه قراءة بحث جاد وسمع على عدد من العلماء الآخرين الذين درسوا بالصلاحية ، من أمثال جمال الدين بن جماعة ، وتقى الدين القلقشندى ، وزين الدين عمر بن عبد المؤمن الحلبى ، كما سمع على عدد من العلماء الوافدين إلى بيت المقدس ، من أمثال كمال الدين إمام الكاملية ، وغيره .

واستمر علاء الدين مشتغلا بالعلم فى بيت المقدس ،

فقرأ الفقه فى كتاب « المنهاج » على عبد القادر النووى ولازمه وقرأ عليه قراءة عميقة جادة ، فكانت تصحيحا أولا ، وحلا ثانيا . وحضر دروسا متعددة عند زين الدين ماهر المصرى . ودرس الفقه والأصول على كمال الدين ابن أبى شريف .

ودرس علاء الدين القراءات ، فتلا بالسبع إفرادا على شمس الدين ابن عمران ، ما عدا قراءتى نافع وحمزة . وقرأ عليه المقدمة الجزرية ، والشاطبية سنة ٨٦٨ هـ .

ودرس العربية فى نحوها ، ومعانيها ، وبيانها ، على شمس الدين أبى مساعد ، وكمال الدين بن أبى شريف ، كما تقدم .

ثم توجه إلى القاهرة ، عدة مرات ، طالبا العلم ، وكانت أولى تلك المرات فى سنة ٨٧٣ هـ ، وسمع فيها على عدد من العلماء ، ودرس الفقه وأصوله على عدد آخر من العلماء من أمثال محيى الدين الكافياجى ، وتقى الدين الحصنى وعلاء الدين الحصنى ، وغيرهم ، وقد قرأ على أولهم عدة من تصانيفه ، مثل : كتاب « الأنوار فى التوحيد » وقرأ عليه المعانى والبيان . وقرأ النحو ، والمعانى ، والبيان على تقى الدين الحصنى وعلاء الدين الحصنى .

وتوجه إلى الشام فى سنة ٨٧٤ هـ ، ودرس فيها الفقه على نجم الدين بن قاضى عجلون ، وقرأ عليه عددا من مصنفاته (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٦) .

وتوجه إلى مكة ، وجاور فيها مع تقى الدين بن قاضى عجلون ، ودرس فيها على عدد من العلماء ، ثم عاد ، واستوطن دمشق منذ سنة ٨٧٨ هـ ، ولازم تقى الدين بن قاضى عجلون ، ودرس عليه فنونا مختلفة فى المعرفة ، فقد درس عليه « الفقه وأصوله ، والنحو ، والتفسير ، واختص به ، ولازمه فى السفر والحضر » . وسمع علاء الدين بدمشق ، من عدد من العلماء . وحصل على إجازات عديدة بالإفتاء والتدريس . ثم درس بدمشق (الضوء اللامع ٥ / ٣٢٧ ، شذرات الذهب ٨ / ٢٠٣) .

وهكذا كان علاء الدين فى تكوينه الثقافى ، وفى خبرته بالتدريس ، ثم قرر معيدا بالصلاحية كما تقدم . ذكر مجير الدين الحنبلى أنه « لما توفى شيخ الإسلام كمال الدين بن أبى شريف ، مدرس الصلاحية ، قرره معيدا بها ، كما تقدم أيضا . ولا شك أنه درس موضوعات عديدة فى العلوم الدينية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم العقلية ، بالمدرسة الصلاحية ، وغيرها ، ومما يؤكد هذا دراسته الكثير من هذه العلوم دراسة عميقة جادة . وذكر السخاوى أنه « تولع بفن الأدب ونظم الشعر » وكان كثير الاشتغال بالتدريس ، وذلك واضح فى قول ابن العماد : و « له همة مع الطلبة ، ومهابة ، ومودة للخاص والعام » .

واستمر علاء الدين يشتغل بالعلم ، إلى أن توفى سنة ٩٣٤ هـ بدمشق .

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ٣٣١ ـ ٣٣٥) .

* **الحصكفى (١٠٢٥ ـ ١٠٨٨ هـ / ١٦١٦ ـ ١٦٧٧ م) :**

محمد بن على بن محمد ، الحصنى ، المعروف بعلاء الدين الحصكفى ، مفتى الحنفية بدمشق ، الفقيه الحنفى ، النحوى ، المفسر .

ولد بدمشق ومات فيها ، وقرأ على والده وغيره ، ثم رحل إلى الرملة فأخذ عن خير الدين الرملى ، وهو شيخ الحنفية فى عصره ، ثم رحل إلى القدس ، وأخذ عن علمائها ، وحج ، وأخذ بالمدينة عن علمائها ، ثم عاد إلى دمشق ، وعكف على التدريس والإفتاء والإفادة .

وكان رقيق الحال كثير الحفظ ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، وكان فقيها ومحدثا ونحويا وأصوليا ، ومعترفا له بغزارة العلم وكثرة الاطلاع .

ونسبه « الحصكفى » إلى حصن كيفا ، بلدة فى ديار بكر ، جنوب شرقى تركيا ، وتعرف اليوم باسم « شرناخ » . أما نسبة الحصنى فهو إلى بلدة الحصن موضع بين حلب والرقة بسورية .

من كتبه « الدر المختار » فى شرح تنوير الأبصار للتمرتاشى « فى فقه الحنفية » و « الدر المنتقى شرح ملتقى الأبحر » فى الفقه ، و « شرح قطر الندى » فى النحو ، و« إفاضة الأنوار على أصول المنار » فى أصول الفقه ،

و « تعليقه على صحيح البخارى » و « تعليقه على تفسير البيضاوى » (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

ومن مصنفاته أيضا « مسند الإمام الأعظم أبى حنيفة » .

وإذا عرفت أن الحصكفى نفسه كان من أهل الحديث : عرفنا أيضا أن هذا المسند من مروياته هو عن أبى حنيفة ، إذ حذف الأسانيد إلى أبى حنيفة ، لأنها أحاديث صحيحة مروية عن غير أبى حنيفة من أهل السنة ، فليست فى حاجة كبيرة ـ منه إلى أبى حنيفة ـ إلى السند . لأن صحتها وثبوتها من الطرق الأخرى تغنى عن السند . وأغلب من روى عن أبى حنيفة فعل ذلك ، إلا ابنه حمادا ، وتلاميذ الإمام رحمهم الله ، فإنهم أسندوا منهم هم عن أبى حنيفة إلى رسول الله ﷺ (مسند الإمام أبى حنيفة / ٢٤) .

(مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ومسند الإمام أبى حنيفة برواية الإمام الحصكفى ـ قدم له وقام بتصحيحه عبد الرحمن حسن محمود ـ مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٨١ / ٢٤) .

*** الحصن :**

حصن : الحصن جمعه حصون قال الله تعالى : ﴿مانعتهم حصونهم من الله﴾ [الحشر : ٢] وقوله عز وجل : ﴿ لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة ﴾ [الحشر : ١٤] أى مجعولة بالإحكام كالحصون ، وتحصَّن إذا اتخذ الحصن مسكنا ثم يتجوز به فى كل تحرز ومنه درع حصينة لكونها حصنا للبدن ، وفرس حصان لكونه حصنا لراكبه وبهذا النظر قال الشاعر :

* إن الحصون الخيل لا مدن القرى *

وقوله تعالى : ﴿ إلا قليلا مما تحصنون ﴾ [يوسف : ٤٨] أى تحرزون فى المواضع الحصينة الجارية مجرى الحصن . (المفردات فى غريب القرآن / ١٢١) .

ومن الناحية العسكرية الحصن : الموضع الحصين الذى لا يوصل إلى جوفه . وهو نوعان : واحد يشكِّل بناء منفصلا قائما بذاته يبنى على السواحل أو طرق القوافل أو فى المراكز العسكرية الحساسة المشرفة ، أو على حدود البلدان وثغورها . وآخر تابع لبناء سور أو خان أو قصر أو مدينة ، يسيطر على البوابات أو يحتل الأركان . ولكن بعض المدن الأولى التى بناها المسلمون لم تكن لها حصون كالفسطاط لأنهم عدوا مكانها آمنا بعيدا عن خطر الأعداء ، وكذلك سامراء عاصمة المعتصم ، وهذا ما ساعدها على الامتداد ، والقاهرة لم تحصَّن قبل العصر الفاطمى .

قال ياقوت : وهذا القصر (يعنى قصر الرصافة) حصن دون دار الخلافة فى بغداد (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٣٣) .

وقد عنى مصنفو التراث الإسلامى فى الفنون الحربية الإسلامية بكل ما يتصل بقتال الحصون وحصارها ، ومن هؤلاء « الهرشمى » الذى أفرد الباب الرابع والثلاثين من كتابه «مختصر سياسة الحروب» لممارسة الحصون ، وهو ما ننقله لك فيما يلى ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص :

قالوا : إن الحصون ليست هى القلاع الشامخة المبنى عليها الأسوار فقط : هى القلاع والمطامير ، والجبال والغياض والمدن والخنادق والرمال والوحول والآجام والبحار، كل هذه وما أشبهها حصون ومعاقل .

(المطامير جمع مطمورة وهى الحفيرة تحت الأرض ، والغياض جمع غيضة وهى الأجمة ، ومجتمع الشجر فى مغيض الماء ، والآجام مفردها أجمة وهى الشجر الكثيف الملتف) .

وقد يجتمع للحصن الواحد من هذه الأصناف العشرة عدة أصناف ، ولكل صنف منها ضروب من العمل والتدبير، وقطَّان كل موضع منها أحرى وأحذق وأصبر فيه وفيما أشبهه ممن ليس من أهله ، وكل صنف منها ضروب مختلفة الأحوال ، فى صعوبته وسهولته ومأتاه (أى الطريق الذى يهاجم منه ويفتح به) ، ووجه محاربة أهله ، كالقلاع والمدن ، فإن منهما ما يحتاج فيه إلى المطاولة والمصابرة واتخاذ الحصون وبنائها خرابا (أى بناء الحصون للجند حوله ، ولو تركت خرابا ، لإشعار أهل الحصن بدوام الحصار) . والمقام عليه السنين الكثيرة ، ومنها ما يحتاج فيه إلى المعالجة والمناجزة ، وكبير فيه دور الحيلة والأيام اليسيرة، وبين هذين

ضروب كثيرة مختلفة من التدبير والأحوال، يحتاج فى كل شىء من ذلك إلى ضرب من الآلات والأدوات والتدبير والمحاربة .

والقول الخاص فى هذا الباب من الحصار هو القلاع والمدن وما أشبه ذلك ، والقول العام فيه هو لجميع الحصون والمعاقل .

إن أمكنك ستر قصدك للحصن ، والحيلة لأن تفجأه خيلك على غرة، فهو أكبر التدبير فيه .

إن أمكنك المكيدة لأن تخرج مقاتلة الحصن منه وتفجأه خيلك وهو خلو فهو الظفر بإذن الله .

أول عمل الحصار أن تحصر أهله من ساعة تنزل عليهم، حصرا لا يقدرون معه على أن يخرج منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ولا يسمعون له كلاما ولا ينظرون منه إشارة ، ولا يبلغه لهم رمية (المراد من إبعاده عن مرمى سهامهم ، لئلا يتفاهم معهم عن طريق الرسائل التى تربط على السهام) .

فاحتل فى ذلك بكل حيلة ، وقدمه على كل عمل، واحتمل فيه كل مشقة ، وإن اتفق أن كان بعيدا فألصق بالحصن واحتل فى تناول الماء من بعد.

الذى فى الحصار العمل فى استمالة بعض حاميته والتحرز منهم ، وإدخال الرعب عليهم ، والعمل فى كل خصلة من هذه الخصال الثلاثة وجوه من الحيل والمكائد كثيرة : ـ

ابدأ بطلب الحيلة لاستسلام أهل الحصن أو دخولهم فى الطاعة واستمالة من أمكن منهم واترك المناهضة ما داموا مستشعرين للخوف ، فإن المناهضة تدنيهم إليك ، وربما كانوا بعدها أسكن روعا وأجرأ مقدما ، مع ما قد يظهر لهم عندها من مواضع الخلل، ويسنح لهم من وجوه الحيل .

احترس من رسلهم ولا تتركن أحدا يقربهم ، ولا يكلمهم إلا العقلاء الثقات ، واحذر أن يظفر أحد منهم منكم بشىء حتى يعود إلى موضعه، وليكن الرسول إليهم من يوثق بنصحه ووفائه وعقله وذهنه ومكره وخداعه جامع القلب، صنع اللسان (أى مقداما بليغ اللسان) عارفا بمقادير الكلام ومواضعه .

كن فى معرفة مواضع عورات الحصن ، والعمل فيما يحتاج إليه فيه مع تحصين عسكرك ، ولا تؤخر ذلك للمناظرة .

اعرف المواضع الصعبة والذليلة ، والمنيعة والممكنة فى العمل ، واعرف مواضع المعابر، والمخاوض والقناطر والجسور . اعرف مواضع نصب المناجيق والعرَّادات ومواضع أحجارها وقدر نكايتها ، اعرف مواضع الرمى للنشاب والحنشان والمقالع والنيران والأوهاق .

(المخاوض جمع مخاضة وهى جزء من النهر قريب القاع، يمكن عبوره للناس مشاة وركبانا، و المناجيق جمع منجيق وهو أداة ضخمة من أسلحة الحصار ترمى الأسوار بحجارته كمدافع الميدان والعرادة نوع منه مصغر، و الحنشان الحيات والثعابين وجمعه الصحيح أحناش كما فى القاموس والمقالع أهداف الرمى، ويجوز أن تكون جمعا للمقلاع المعروف .

والأوهاق جمع وهق ، وهو الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان) .

اعرف مواضع العجل والدبابات ، والأبواب والصفائح ، ووجوه العمل بها .

اعرف مواضع التطريق والتسريب والنقوب والتعليق (المعاليق هى الخطاطيف والكلاليب وهى حدائد معقوفة تقنص بها الأشياء، ويتسور الجند بها الحصون) .

اعرف مواضع السلاليم والكلاليب والخطاطيف والمعاليق، واعرف مواضع التسليق والتسور، والمكايدة بلطف لمعرفة موضع المدخل والمخرج الخفى والباطن .

قد يكون للحصن منفذ لا يقطعه ، أو تدبير لانتهاز الفرصة منه ، فإنه إن كان ذلك لهم ولا معرفة لك به فليسوا فى حصار.

أعدَّ من أصناف المقاتلة والصناع والفعلة كل من تحتاج إليه ، واعمل فى ذلك بالاستظهار، ليأخذ الصناع فى عمل الآلات والسلاح، ولا يؤخر ذلك لغيره .

عَجِّل نصب المناجيق إن كان لها عمل، ولتكن فى حرز،

وقدِّر جميع مـواضع المقاتلة ، ولتعجل فيها ولا تنتظر بذلك انقضاء مناظرة (المناظرة : الانتظار والمثابرة) أهل الحصن .

إن احوجـوا إلى المناهضـة بعد الإعـذار نوهضـوا ولا يرفع عنهم رمى المناجيـق وغير ذلك ، من كل ما فيـه النكايـة ليلا ونهارا ، ولا يفتر عنهم ساعة واحدة .

ليقاتلوا قتال القلاع والمـدن وبآلاتها على حسب الحاجة إلى ذلك ، ووجوه العمل فى هذا كثيرة :

هى على حسب هيئة الحصن وموقعه وقدر أهله والإمكان فيـه ، يقاتلـون بالسـلاح الأيسـر فالأيسـر ، ويؤخـرون العظيم المهول إلى ما يقاتلون به .

إن كانوا أهل مناجزة طوولوا ، وإن كانوا أهل مطاولة نوجزوا على أن المطاولـة فى الحرب رأس المكيـدة ، والذى يأمـر به الحزمـة أن يطاف بـالحصن فى كل يوم أو اثنين ، فيشـار إليه ويقدر له ، ويتكلم فيه بما يرغِّب أهله ، ويكسف إليهم بالهم بأن يظهـر لهم بعض مـــا يعملـه الصنـاع من آلات الحـرب ، والاستحثاث بذلك والانكماش فيه .

اعلم أنك محصور منهم كمـا حصرتهم ، وأنهم لا يفترون عن مكايدتك ، فلا تأمنن خروجهم عليك ومواثبتهم لك ، إن أمكنتهم الفرصة منك فى ليل أو نهار .

اتخـــذ لنفسك خنـادق إن احتجـت إلى ذلك وأمكنك ، وضع على قدر غلـوة (مقدار رميـة السهم) من أبواب حصن عـدوك إن احتجت إلى ذلك رابطة على متـون خيـرهم ركبانـا بمنزلة طلائعك ، يكون فيها كفاية وشغل لهم إن خرجوا عليك (الرابطة : الجند المرابطون) .

ثم ينتقل الهرثمى بعد ذلك إلى الكـلام على المدافعة عن الحصون وذلك فى الباب الخامس والثلاثين فيقول :

قالوا : أول ما يحتاج إليه صاحب الجيش هو أن يكون فى حال الأمن ـ وقبل أن يفجأه عـدوه ـ قد حصن نفسه ، وأحكم مواضع المقاتلة فيه والمدافعة عنه ، ورم كل ما يحتاج إلى أن يرمه منـه ، وشحنه بكل آلة وعدة تعين علـى طول الحصار ، وتنكأ العدو عند المناهضـة ، وألا يخليه فى حال من الأحوال من المقاتلـة ، والأخلياء الـذين لا صنعة لهم غيـره ، ولا يزال شبيها بـالمتوقع لعدوه فإن فـاجأه وجده معـدا ، وليعلم أنه لا يقصر فى شىء من ذلك فى وقتـه قبل الحصار ، أو فى شىء من عمله وتدبيره بعده ، إلا كان عليه فيه من الوهن والخلل ، وقوة عدوه وظفره بحسبه .

رأس سـلاح المحصـور أول مـا يبـدأ بـه هـو أن يحضض أصحابـه (أى يحضهم على الصبر والمنـاجزة) ويصف لهم عواقب الصبر ، ويحذرهم العار، ويعدهم ما فيه الظفر ، وما أشبـه ذلك من كل مـا يسكِّن به أنفسهم ، ويحمـون بـه على عدوهم .

ليرم العـدو بقدر غـاية مـراميه وقـدر نكايتها فمـا لم يبلغ حاجته منهـا ، لا يتعرض له ولا يظهر لعـدوه . ليعرف منتهى سلاح عدوه وقدر نكايته ،ليكون عمله على حسب ذلك .

يستعمل من الآلات ما فيه الإفساد والدفع والإبطال لآلات عدوه ، لا يـرمى من السلاح ولا يعمـل إلا بما يثق أنه ينكـأ به عدوه ، ولا يناهض إلا عند الضرورة إلى الدفع عن نفسه ، ولا يقاتل ما وجد إلى الحيلة والخديعة سبيلا .

يعمل على المطاولـة والمدافعـة ، ويغتنم اليوم والسـاعة واللحظة يدفعها بالحيلة .

ينتظر حوادث الأيـام والزمان بما يحب ، ويتـرصد مواضع الغرة من عدوه ، ولا يدع افتراصها فى ليل أو نهار إذا أمكنته ، ويكتنف بالرجال والقوة المواضع التى يظن أن عدوه إليها أسرع ذهابا ، ونحوها أشد اعتمادا .

ينـازل عدوه فى أحصن مـواضع الحصن ؛ ليظن أنـه أهم المـواضع إليه ، ويشغلـه به عن غيـره ، ويتغافل عن مـوضع الخلل المجهـول من حصنـه ويخفيـه لئلا يعثـروا عليـه ، مع التفقد منـه له ، والتوكيل بـه خفيا من أصحابـه يرعاه بـالقصد والقناعة والتشمير والحركة ، ويقدر من كل مـا يفوق ويقوى قدرا ويوقت لكل عمل من الأعمـال وقتا لا يجاوز إلى غيره ، كـالمطعم والمشرب والاستقـاء والنـوم ، والتغـوط والحراسـة والديدبة ، والتدخين والإيقاد وغير ذلك .

يوكل القائد بكل موضع من الحصن من يقـوم به كالأبواب والأركـان والبـروج ، والشـرف والستـر والسـدد، والمحـارس

والمناظر والمراتب والخنادق والفارقينات ، ومواضع المقاتلة والمدافعة وغير ذلك ، ويأخذ الموكل به بما يحدث فيه . (السدد جمع سدة وهى باب الدار ، والمناظر جمع منظرة وهى مكان الجلوس فى القصور العظيمة ، ولعل اسم المنضرة العامية مأخوذ منها ، والفارقينات جمع فارقين وهو الخندق باللغة الفارسية) .

يستعمل الصناع فيما يحتاج إليه من آلاته ، ولا يبقى من أصحابه أحد يقدر على عمل ينتفع به إلا عمله .

لا يأنف من عمل المهنة ويضع يده مع أصحابه فى كل عمل يعملونه للمنفعة ، يحتال أن يظهر من فعله وقوله لعدوه كل ما يظهر به استغناؤه وقوته . يتحرز من كل فعل وقول يظهر به أو يتوهم له النقص فى شىء من أمره .

يأمرهم برفض ما لا يحتاجون إليه والتمسك بما يحتاجون إليه، وألا يخرج أحد منهم شيئا ولا يضيعه .

يأمرهم ألا يسوطوا مواضع الشرب (أى لا يخلطوها بشىء آخر أو يلوثوها) ولا يزدحموا على الماء إذا استقوا . يأمرهم بالوقار والحلم ، والاحتمال وحسن الخلق .

ينهاهم عن الشغب والنزق وكثرة الضجاج واللغط، وكل ما يدعو إلى الفشل .

ينهاهم عن الفضول والخطل ، وكل ما لا ينتفعون به من القول والعمل .

ينهاهم عن الفحش والسفه على عدوهم ، وعن الإجابة لهم على مثل ذلك من قولهم .

يأمرهم ألا يدعوا أحدا من عدوهم يقرب منهم بالكلام فيسمعهم ما يكرهون فى أنفسهم ، أو بعض ما تفسد به قلوب بعضهم .

لا يدع أحدا يكثر السرار فيهم ، وينكل بالمرجفين والمخرِّجين ويعاقبهم أشد العقوبة (السرار : المحادثة فى السر، المرجفون والمخرجين : الذين يشيعون الشائعات الضارة) .

يتحرز ممن معه من أهل الصناع والأموال والعيالات الخارجة من حصنه ، ومن أهل الطمع والحقد والفساد، ويتأتى فى كل شىء من ذلك بما يصلحه ويحسمه به .

يجتهد فى إحكام الآفات (أى العيوب الضارة بصاحبها) التى لا تكاد أن تؤدى بالمحصور إلى الظفر به ، بعد الغلبة بالنصر والتأييد ، الذى ليس هو إليه ولا إلى المحاصر له إلا منها ، وهى نفاد الماء والطعام فيحسن تقديرهما، والثانية التحارب من أصحابه والبغى من بعضهم على بعض ، فيجتهد فى اجتماع كلمتهم ، والثالثة عورات حصنه فلا يغفل عنها ، ويحسن الستر والتدبير لها ، ويكون مما يأمر به أصحابه أن لا يزالون يتذاكرون فناء الدنيا وانقطاع ما فيها ، فإنه لا يموت أحد إلا بأجله ، لا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، فإنهم موقنون بذلك ، فعلام يحتملون مع هذا العار والسبة ، والذلة الباقية فيهم وفى أعقابهم آخر الدهر ؟ فى أن يتركوا حصنهم أو يتراخوا عنه ، هذا وما أشبهه من كل ما يوطنون له أنفسهم على الاستبسال والصبر .

يأمرهم أن لايزالون يتذاكرون طلبهم القيام بحصنهم ، وضمانهم المجاحشة (أى المدافعة) عنه ، والبذل لأنفسهم دونه ، وما لهم فى الوفاء بذلك من الحسن والنفع ، وما عليهم فى الغدر به من الفتح والضرر فى العاجل والآجل ، هذا وما أشبهه من كل ما يتمسكون به بالوفاء والمحافظة .

يأمرهم أن لا يزالون يطرحون الحسنة ويقولون بالفأل والزجر والأمارات وتأويل الرؤيا وما أشبهه ذلك مما يتطيرون به ويتيمنون به .

يأمرهم أن لا يزالون يتحدثون بالفكاهات وكل ما يدفعون به الضجر والتبرم ، ويسلُّون به الغموم والأحزان العارضة لهم .

إن كان محصورا على التمام وله من ورائه من يحوطه ، صيَّر له فى عسكر عدوه من يسعى فيه بالفساد، ويلقى إليه خبره إن كان محصورا وله من ورائه من يرجو غياثه ، احتال لإيصال ما بينه وبينه بالمكاتبة والمراسلة بكل حيلة . إن كان محصورا ولم يكن له فى عسكره من ثقاته المؤتمنة ، أو مستأمنة البلاد من يسعى فيه بالفساد (أى فى معسكر الأعداء) ويلقى إليه أخباره ، احتال فى ذلك بإخراج المستأمنة إليه من حصنه ليقوموا له به .

إن كان محصورا تلطف لوصول كتبه إلى من له فى عسكر

عدوه بالرمى بها من الحصن وألا تصير إلا إليه ، وإن كان له فى حصنه مدخل ومخرج خفى ، فخاف قوة عدوه على قطعه إن تنبه إليه ، ستر ذلك جهده ، وإن أمنه أظهر قوته ، وإنما يكون محصورا حقا إذا لم يكن ذلك له ، وإن رجع عنه عدوه لا يتبعه إلا أن يوقن بالظفر به أو النكاية له (مختصر سياسة الحروب / ٥٦ ـ ٦٤) .

وعلى غرار ما تقدم نجد أن الهروى صاحب كتاب التذكرة الهروية قد أفرد الباب الحادى والعشرين « فى قتال الحصون وحصارها ومكائد ذلك والحيلة فيه » وجاء فيه ما يلى :

وليحذر أن ينزل على حصن يكون أكبر منه وأقوى من جيشه فيقهره فإن رحيله عن الموضع بعد نزوله عليه ومباشرته له بالحرب عار وهزيمة ولا ينزل على حصن منيع ولا ثغر حصين إلا بعد استمالة قلوب أهله وأجناده ومقدمته وقواده بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه وخدع الأمراء والأكابر بما يرومونه ويضمن لهم ما يطلبونه وذلك قبل الحركة إليهم والنزول عليهم ولعل [ولعله] يجد فرصة ينتهزها أو حيلة يعملها أو يبلغه من ثقاة الجواسيس وأصحاب النواميس أن الحصن قليل الذخائر أو خال من الرجال أو قد قل به القوت أو ليس له ماء فليرحل إليه وينزل عليه ويغتنم الفرصة ليأمن الغصة وليسارع بالنزول عليه والزحف إليه وليبهت أهله بشدة القتال ومرارة الزحف ولا يضيع الحزم فيه [حتى] يتم الظفر وتنال المطالب وليستصغر المشقة إذا أدت إلى منفعة ولا يمل ويضجر فإن ذلك يوهن جانبه ويضعف قوته . وليعلم أن أخذه لحصن منيع وثغر حصين وهتكه إياه بشدة وطأته وإخراق ناموسه بعظيم سطوته وفتحه إياه عنوة أو صلحا يؤدى إلى اضطراب البلاد من الخشية وعظيم السطوة وشدة البأس . ولا يتعب بعد ذلك على حصن ينزل عليه أو ثغر يقصده بل ربما كاتبه أهله وراسله أصحابه وطلبوا تسليمه إليه خوفا منه وطمعا فى ملكه وخشية من سلطانه .

وإذا قصد بلدا يملكه وفى نفسه أن لا يتركه فليؤمّن الفلاحين والرعية المستضعفين وليرسل إليهم من يحميهم ومن شر العسكر يكفيهم وذلك لفائدتين :

إحداهما أنهم يجلبون العلوفة ويميرون العسكر بالنعمة وما يحتاج إليه الناس من المؤنة ، والأخرى أن أهل الحصن المحصور والبلد المقهور يبلغهم ذلك فيعلمون أنه مالك لا مغير فيفشلون ويقصرون وتفتر هممهم وتختلف آراءهم وليكاتب أهل الحصن ويراسل أهله ومقدمته ويضمن لهم ما يطلبونه وليظهر لهم أن بعضهم يكاتبونه ويريدونه ولا يعين أحدا منهم وليترك الأمر مكتوما والحال مغموما فيظن كل واحد منهم فى صاحبه ويطلب التقدم لنفسه ليأخذ بذلك عند الملك يدا ، ويجعله له سندا وليعدهم بالزيادة على إقطاعهم وبلادهم وضياعهم ليبلغ مقصوده ، وينال مطلوبه باليسير من التعب والقليل من النصب ولا يهمل مكاتبة القسوس وأصحاب المناصب وأتباعهم ومن يجرى مجراهم فإن عندهم من قلة الديانة واستعمال العذر والخيانة والرغبة فى الدنيا والزهد فى الآخرة والتهور والطيش والخفة والحرص على حطام الدنيا والمثابرة على الجاه والتقدم عند الملوك والأكابر واتباع الرخص فى فتائهم أنفسهم ما يبلغ بهم جميع مقاصده التى يرومها ، وليحذر الرهبان وأصحاب الصوامع فإنه لا يبلغ بهم مراده ولا يدرك مقصوده فإن عندهم من الشدة فى الدين والمسكة وإهمال الدنيا ما يردعهم على الخوض فى أمور العالم وأحوالهم وقد جربت هؤلاء وهؤلاء تجربة لا أشك فيها ولا أعرف ما ينافيها .

ولينزل على الأماكن العالية المشرفة على الحصن وليحبس عنه الميرة ويقطع المياه إن قدر عليها وليتفقد دائر الحصن وليسترق منه موضعا ويستضعف منه مكانا ولا يشعر به أحد ولا يعلمه جاسوس وليتقدم إلى بعض الأمراء المشهورين والفرسان المذكورين ممن قد عرف بالنجدة ووصف بالشدة وليمكّنه من العدة والعدد والكبورة والزرد وقوارير النفط وجميع آلة الحرب والزحف والنقب كالسلالم والحبال والمعاول والأمخال والرماح العوالى والطوارق والجنويات والكلاليب والجفتيات والكباش والزحافات . ولينزل الأمير المذكور قريبا من المكان المطلوب والموضع المقصود ، وليعرض أصحابه وعسكره لئلا يقع تفريط ، ولا يجرى تخليط ، ولا يمكّن أحدا

من القتال على البقعة المشهورة ، والرقعة المذكورة ، ليقل احتراسهم منها ، ويميلوا عنها ، وليقصد الملك أقوى الأماكن، وأصعب المواضع ، والجنبة القوية ، والناحية الحمية ، وينصب عليها القتال ، ويشغلهم بنار الحرب، ويذيقهم مرارة الزحف، فلا بد وأن يميلوا إلى جهة القتال ، وموضع الحرب والنزال ، ويتركوا باقى الحصن ، وتملكهم الغفلة ، ويستولى عليهم الوله ، وتأخذهم الحيرة ، وتذهلهم المصيبة ، فبهذا التدبير ربما يملك الأمير المذكور الناحية المشار إليها من السور، وتدخله النقابون وتستولى عليه الرجال وإياه فى تلك الساعة من الغفلة ، وليحذر الفترة فربما يتيقظون ومن رقدتهم ينتبهون ، بل يذيقهم مرارة الزحف وشدة القتال ليعاينوا الموت ويذهلهم الرعب ويشتد بهم الخوف ويعظم بهم الجزع فهم لا شك يطلبون الأمان ويستجيرون بالسلطان فإن شاء أمّنهم وإن شاء ملكهم (التذكرة الهروية / ٢٣ ـ ٢٥) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢١ ، وموسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحيم غالب / ١٣٣ ، ومختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون ـ تحقيق عبد الرؤوف عون ، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٥٦ ـ ٦٤ ، وكتاب التذكرة الهروية فى الحيل الحربية لعلى بن أبى بكر الهروى / ٢٣ ـ ٢٥) .

انظر : الحروب الإسلامية .

*** الحصن :**

قال ياقوت :

الحصن : بالكسر ، والحصن مأخوذ من الحصانة وهو المنعة : وهو ثنية بمكة بموضع يقال له المفجر خلف دار يزيد بن منصور ، وقال أبو بكر بن موسى : الحصن ثنية بمكة بينها وبين دار يزيد بن منصور فضاء يقال له المفجر . والحصن أيضا : موضع بين حلب والرقة ؛ ينسب إليه محمد ابن حفص الحصنى ، يروى عن معمر وأبى حنيفة ؛ كذا قال أبو سعد . وهناك حصن يقال له حصن عديس كما نذكره فى حصن الأكراد . والحصن الأبيض ، وليس بحصن : موضع باليمن من أعمال سنحان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

*** حصن الإسلام :**

حصن الإسلام : لمولانا غانم محمد البغدادى الحنفى المتوفى فى حدود سنة ١٠٣٠ ثلاثين وألف وهو مختصر ذكر فيه أنه سأله بعض الطلبة جمع ألفاظ الكفر فأجاب وزاد عليه العقائد والأحكام ليتم به النفع ورتب على خمسة فصول أوله : أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الحى ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٨) .

*** حصن الأكراد :**

قلعة الحصن أو حصن الأكراد، وتشرف على ممر حمص ـ طرابلس ، قرب تل كلخ . وأصل بنائها غامض، وقد احتلها الصليبيون سنة ١١١٠ ثم صارت بيد « الاسبتارية » وهم فرقة دينية عسكرية من الصليبيين وبقيت لهم حتى سنة ١٢٧١م إذ استسلموا للظاهر بيبرس .

وتعد قلعة الحصن من أكمل الأبنية الحربية الباقية فى سوريا : بأسوارها وأبراجها ومخازنها العميقة وخنادقها (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٠٦) .

قال عنه ياقوت :

وحصن الأكراد : هو حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين بعلبك وحمص ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه برجًا وجعل فيه قوما من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقا فتديروها بأهاليهم ثم خافوا على أنفسهم فى غارة فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم ، فنازلوه فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وملكه الفرنج ، وهو فى أيديهم إلى هذه الغاية ، وبينه وبين حمص يوم ، ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من أيديهم ؛ وقال الحافظ أبو موسى الأصبهانى عن أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى قال : ذكر ابن أبى حاتم محمد بن حفص الحصنى وقال : موضع بين الرقة وحلب ، وهذا يقال له حصن الأكراد قلت أنا : وقوله وهذا يقال له حصن الأكراد من لبس أبى موسى وهو خطأ لما

ذكرنـا ، وأما مـا ذكره ابن أبي حـاتم فخبرنـي الوزير القـاضي الأكرم أبو الحسن على بن يوسف الشيبانى القفطى ، أدام الله حراسته ، أن بين بالس ومنبج موضعا يقال له حصن عديس ، وهـذا بين الـرقـة ونـواحى حلب حصن الـداويـة ، ويقـال : الـديويـة ، حصن حصين بنـواحى الشام ، والـديـوية الـذين ينسب الحصن اليهم قوم من الإفرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعـون أنفسهم من النكـاح وغيره ، ولهم أمـوال وسـلاح ، ويتعاونـون القـوة ويعالجـون السـلاح ، ولا طاعـة عليهم لأحد .

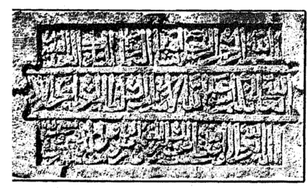
(تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ـ أنور الرفاعى / ١٠٦ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٦٤) .

انظر : حصن الأكراد (بيمارستان ـ) .

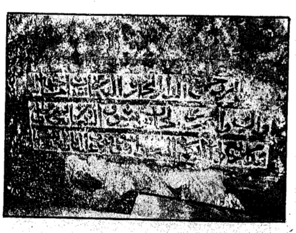
*** حصن الأكراد (بيمارستان ـ) (٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) :**

أنشأ هذا المـارستان أحد المماليك بهـذا الحصن ووجد مكتوبا على عتبة باب هذا المكان ما يأتى :

بسم الله الـرحمن الرحيم أنشأ هـذا البيمـارستان المبـارك العبد الفقيـر إلى الله تعالى بكتمـر بن عبد الله الأشـرفى نائب السلطنة المعظمـة بحصن الأكراد أثابه الله تعـالى وأوقفه على



شكل ١٦ — ما هو مكتوب على باب بيمارستان حصن الأكراد منقولة عن فان برشم



شكل ١٧ — صورة وقف بيمارستان حصن الأكراد منقولة عن فان برشم

مـرضى المسلمين المقيمين والـواردين وذلك فى شهـور سنـة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) .

وهذا المـارستان لم يبق من آثـاره إلا هذه الكتـابة وبعض الأحجـار المستعملـة الآن فى بنـاء بعض المنـازل الصغيـرة المجاورة للبيمارستان وقد أرصد بكتمر بعض الأوقاف للصرف على هذا البيمارستـان . قال ناقل هذه الكتابـة : وقد وجدت فى بعض البيـوت المتخربة قطعـة من نص وقفية بكتمـر على البيمارستان وهذا نصها :

... ... وبسوق البـز وجميع الـدار المجاورة للبيمـارستان من جهة الشمال والربع والثمن من الحـانوت بسوق السمانين ومن شـروطه أن يبدأ مـن ريع ذلك بعمارة المـارستان ومـا هو موقـوف عليه أثابه الله تعـالى . ووجدت وقفية أخرى مكتـوبة فـوق حجر فى جـدار أحد المنـازل الصغيـرة مقابلـة للكتابـة السابقة وهذه صورتها ونصها :

« أوقفت الحـاجة مـريم زوجـة ابن المسـرورى أثابهـا الله تعالى على هـذا الوقف المبارك أربعة عشر سهمـا من البستان بقرية السحـارة (الآن خراب وتبعد بمقدار سـاعة ونصف عن حصن الأكراد) .

وحصن الأكراد فى السهل المسمى البقاعية يحده من الجنوب جبل عكار وجبل لبنان ومن الشمال جبال النصيرية .
وسبب تسميته بحصن الأكراد أن أحد أمراء حمص المرداسيين وهو شبل الدولة نصر بن مرداس صاحب حمص أسكن فيه جماعة من الأكراد الذين أقاموا به هم وأولادهم لحماية الطريق ، وذلك سنة ٤٢٢ هـ فنسب إليهم وكان من قبل يسمى حصن الصفح وقد استولى عليه الصليبيون وبقى فى أيديهم إلى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧١ م) ثم استرده منهم الملك بيبرس قسيم أمير المؤمنين .

(تاريخ البيمارستان فى الإسلام ـ د. أحمد عيسى / ٢٤٨ ـ ٢٥٢) .

انظر : البيمارستان .

*** حصن بابليون :**

انظر : بابليون (حصن ـ) .

*** الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين :**

أورده صاحب مفتاح السعادة فى علم الأدعية والأوراد باعتباره من فروع علم الحديث (٢ / ٥٥٢) وقال عنه صاحب كشف الظنون :

الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين : للشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٩ تسع وثلاثين وسبعمائة [٨٣٣] وهو من الكتب الجامعة للأدعية والأوراد والأذكار الواردة فى الأحاديث والآثار ذكر فيه أنه أخرجه من الأحاديث الصحيحة وأبرزه عدة عند كل شدة ولما أكمل ترتيبه طلبه عدوه وهو تيمور فهرب منه مختفيا وتحصن بهذا الحصن فرأى سيد المرسلين ﷺ جالسا على يمينه وكأنه عليه الصلاة والسلام يقول له ما تريد ؟ فقال يا رسول الله ادع الله لى وللمسلمين ، فرفع يديه فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم وكان ذلك ليلة الخميس فهرب العدو ليلة الأحد وفرج الله سبحانه وتعالى عنه وعن المسلمين ببركة ما فى هذا الكتاب الجامع ما لم يجمعه مجلدات من التآليف ورمز للكتب (المأخوذ عنها) بالرموز المعهودة بين أهل الحديث وذكر مقدمة تشتمل على أحاديث فى فضل الدعاء والذكر وآدابه وأوقات الإجابة وأمكنتها ثم الاسم الأعظم والأسماء الحسنى ثم ما يقال فى الصباح والمساء وفى الحياة إلى الممات ثم الذكر العام ثم الاستغفار ثم فضل القرآن ثم الدعاء ثم ختمه بفضل الصلاة على النبى ﷺ وفرغ من تأليفه يوم الأحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بمدرسته التى أنشأها برأس عقبة الكتان داخل دمشق وجميع أبوابها مشيدة بالأحجار والناس فى جهد عظيم من الحصار والمياه مقطوعة والأيدى إلى الله سبحانه وتعالى مرفوعة ، وكل أحد خائف على نفسه وماله وقد أحرق ظواهر البلد ونهب أكثره ولقد أحسن من قال :

(شعر)

إن نابك الأمر المهول اذكر إله العالمينا

وإذا بغى باغ عليك فدونك الحصن الحصينا

ثم شرحه شرحا مفيدا بالقول وسماه مفتاح الحصن أوله : الحمد لله على ما علم ... إلخ ذكر فيه أنه وعد عند تأليفه أن يجعل فى آخره فصلا لحل مشكلاته ولما انتهى سارت به الركبان فى البلدان وكذا مختصر عدة الحصن والجنة كلاهما له ولما مضى نحو من أربعين سنة وفى بما وعد به من ذلك الشرح وفرغ فى رمضان سنة ٨٣١ إحدى وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز . ثم إن الشيخ على ابن السلطان محمد الهروى المعروف بالقارى نزيل مكة المكرمة المتوفى بها بعد الثلاثين وألف (سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف) شرح الحصن شرحا ممزوجا بسيطا وسماه الحرز الثمين للحصن الحصين أوله :

الحمد لله الذى جعل ذكره حصنا حصينا ... إلخ وفرغ فى النصف الأخير من جمادى الآخرة سنة ١٠٠٨ ثمان وألف . وأما مختصره المسمى بعدة الحصن فهو على عشرة أبواب أوله : الحمد لله الذى جعل ذكره عدة ... إلخ . ولهذا المختصر ترجمة بالفارسية مسماة بغرفة الحصن للسيد أصيل الدين عبد الله بن عبد الرحمن الحسينى الواعظ أوله : الحمد لله الجميل الذى يحب الجمال ... إلخ ذكر أنه زاد عليه بعضا من المهمات ورتب على خمسة فصول وخاتمة وفرغ فى

جمادى الأولى سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمانمائة ببلدة هراة وللأصل أيضا ترجمة تركية ليحيى بن عبد الكريم سماها مصباح الجنان وجعلها على بابين مشتملة على زيادة من خصائص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولها : الحمد لله الحميد ... إلخ (كشف ١ / ٦٦٩ ، ٦٧٠) .

يوجد مخطوطه فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم الحفظ ٢٧٣ ـ ف .

بداية المخطوطة : لا إله إلا الله عدة للقائه . اللهم صل على سيد الخلق ... قال الشيخ الإمام ... أما بعد حمد الله الذى جعل الدعاء ، رد القضاء .

نهاية المخطوطة : وقد أجزت لأولادى أبا الفتح محمد وأبا بكر أحمد وأبا القاسم عليا وأبا الخير محمدا ... روايته عنى ... حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

الخط نسخ جميل ، تاريخ النسخ : القرن ١٣ هـ ١٩ م نسخة جيدة وكاملة مزخرفة ومزوقه (فهرس المصورات المكيروفيلمية ٢ / ٢١٠) .

كما توجد نسخة بمكتبة «مولانا» فى قونيا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين :

لشمس الدين محمد بن محمد الجزرى المتوفى (٧٣٩هـ) .

معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ ، كشف الظنون ١ / ٦٦٩ ، بروكلمان ٢ / ٢٠١ ، ٢٠٣ ، وذيله ٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٨ . أورده سركيس فى معجمه ص / ٦٣ . طبع بولاق ١٣٢٠ ، مصر ١٢٧٧ .

الصفحة الأولى مذهبة والأوراق الأخرى مجدولة بالذهب ومكتوبة بخط النسخ الجميل ولكن يبدو أن الخطاط جاهل لوقوعه فى أخطاء إملائية كثيرة .

ترجم الكتاب إلى التركية على يد أحمد بن العارفين .

أوله : بعد البسملة ، وجدت فى نسخة أم الأم المكتب منها... آخره : وليكن ذلك آخر ما نعدده من عدة الحصن الحصين ...

تم الحصن الحصين سنة سبع وستين ومائتين بعد الألف ... نمقه السيد امرالله الحمدى القيصرى .

مقياس المجلد : ١٠,٨ × ١٠,٥ .

مقياس الكتابة : ١١,٣ × ٦,٤ .

عدد الأوراق : ٧٨ .

رقمه فى الخزانة : ١١١٣ .

رقم المجلد : ١١٠ (المخطوطات العربية ق ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣)

وقد ذكر عبد الحى الحسنى شروحا للحصن الحصين من المؤلفات فى الهند فقال : فمن ذلك شرح عليه للشيخ حاجى محمد الكشميرى المتوفى سنة ١٠٠٦ ، وشرح عليه بالفارسى للشيخ فخر الدين بن محب الله البخارى الدهلوى ، وشرح عليه للشيخ منور بن عبد المجيد اللاهورى ، وشرح عليه بالفارسى للشيخ محمد فيض بن محمد صادق البلكرامى ، وحاشية عليه للشيخ عبد الحى بن عبد الحليم الأنصارى اللكهنوى ، والظفر الجليل شرحه بالأردو للمولوى قطب الدين خان الدهلوى (الثقافة الهندية / ١٥٥) .

قالت المؤلفة : وقد اختصر الإمام ابن الجزرى كتابه هذا فى كتاب أسماه « عدة الحصن الحصين من كتاب سيد المرسلين » ، وهو عندى ، بشرح فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف . مطبعة المدنى . الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، ويقع فى ١٩٧ صفحة ، والفهرس ٣ ص .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٥٢ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، وفهرس المخطوطات المكيروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م / ٢١٠ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا» فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، والثقافة الإسلامية فى الهند « معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى / ١٥٥) .

* حصن الرأس :

قال ياقوت : حصن الرأس : باليمن من مخلاف صداء من أعمال صنعاء (معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

* **حصن زياد :**

حصن زياد : بأرض أرمينية ويعرف اليوم بخرتبرت ، وهو بين آمد وملطية ، وهو إلى ملطية أقرب (معجم البلدان ٢/ ٢٦٤)

* **حصن سلمان :**

حصن سلمان : ذكر البلاذرى أن سلمان بن ربيعة كان فى جيش أبى عبيدة مع أبى أمامة الصدرى بن عجلان صاحب رسول الله ، ﷺ ، فنزل حصنا بقورس من العواصم فنسب ذلك الحصن إليه وعرف به ، ثم قفل من الشام فيمن أمد به سعد بن أبى وقاص إلى العراق ، وقيل : إن سلمان كان غزا الروم بعد فتح العراق وقبل شخوصه إلى أرمينية فعسكر عند هذا الحصن وقد خرج من مرعش فنسب إليه ، وقيل : إن هذا الحصن نسب إلى سلمان بن أبى الفرات بن سلمان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

* **حصن سنان :**

حصن سنان : فى بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك ابن مروان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

* **حصن طالب :**

حصن طالب : قلعة مشهورة قرب حصن كيفا ، فيه كانت أكراد يقال لهم الجوبية ، فغلبهم عليه قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا بعد سنة ٥٦٠ .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٥) .

* **حصن العارفين من فتن الزمان :**

لإبراهيم حقى الأرضرومى الصوفى المتوفى سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨١ م .

مخطوط بالخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٢٢٣٤٠ / ٤

٢٤ ص ٢١ × ١٦ سم ٢١ سطرا

معجم المؤلفين ١ / ٢٥

(مخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٦ / ٣٦) .

* **حصن العيون :**

قال ياقوت :

حصن العيون : فى بلاد الثغور الرومية ، غزاه سيف الدولة وفتحه ؛ فقال أبو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان :

لقد سخنت عيون الروم لما *فتحنا ، عنوة حصن العيون*

ودوخنا بلادهم بجُرد *سواهم شزب قبِّ البطون*

عليها من ربيعة كلُّ قرم *فقيد المثل ، ليس بذى قرين*

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٥) .

* **حصن كيفا :**

قال ياقوت :

حصن كيفا : ويقال كيبا ، وأظنها أرمنية : وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وهى كانت ذات جانبين ، وعلى دجلتها قنطرة لم أر فى البلاد التى رأيتها أعظم منها ، وهى طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران ، وهى لصاحب آمد من ولد داود بن سقمان بن أرتق .

(معجم البلدان / ٢٦٥) .

وللشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله بحث مستفيض عن مملكة حصن كيفا الأيوبية التى يشير إليها بأنها حلقة مفقودة من سلسلة التاريخ الإسلامى . يقول رحمه الله فى مقدمة بحثه :

عنيت منذ خمس سنين بدراسة واسعة عن الدولة الأيوبية وإماراتها وعصرها . وكان مما عثرت عليه أثناء دراسة العصر الأيوبى ، والممالك الأيوبية مملكة مستقلة قامت فى مدينة «حصن كيفا» وعاشت نحوا من ثمانية عشر ومائتى عام .

ومن العجيب أن تعمر سلطنة مثل هذا العمر الطويل ولا تدخل فى سجل التاريخ ولا يشير إليها أحد من المؤلفين إلا عفوا .

فمعلمة الإسلام لم تشر إليها فى بحث الأيوبيين ، وبحث « حصن كيفا » ونقلت عن كتاب « شرف نامه » عبارة تدل على هذه السلطنة دلالة مبهمة .

فقد جاء فى بحث « أوزون حسن » أنه انتزع « حصن كيفا» من أيدى الأكراد الأيوبيين ، وهذا كل ما أشارت إليه . ولم نر لهذه المملكة ذكرا فى الأجزاء المطبوعة من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزى ، ولا فى تاريخ الحافظ ابن كثير ، وفى تاريخ القرمانى مع ولوعه باستقصاء الممالك والسلطنات والإمارات .

وأشار لهذه المملكة القلقشندى بما لايشفى الغليل ، ومعظم ما نقله عن كتابى التعريف والتثقيف، وكانت نُقُول كتاب التثقيف مضطربة مشوشة مثل نقول القلقشندى فهما لم يستندا فى بحثهما إلى تحقيق علمى ، وإنما أخذا معلوماتهما من أفواه بعض التجار والقصاد وقد استطعنا أن نجمع حلقات هذه السلسلة الأيوبية من كتب التراجم بعد أن أعيانا البحث عنها فى كتب التاريخ السياسى ، ولكنا لم نستطع التعرف إلى على خمسة من ملوكها وإن كنا قد علمنا أسماءهم .

حصن كيفا :

مدينة من مدن الجزيرة الفراتية ، قائمة على الشاطىء الأيمن ، من نهر دجلة ، وهى فى منتصف الطريق تقريبا بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وتبعد عن كل منهما مسيرة ثلاثة أيام .

وهذه المدينة عريقة فى القدم ، فالمغاور والكهوف التى لا تزال فيها ترجع إلى ما قبل العصر الكلدانى وأصبحت (حصن كيفا) حسب التنظيم الإدارى التركى جزءا من قضاء العوينة فى لواء ماردين (ولاية ديار بكر) وهى قائمة بين قضاءى العوينة ومدياد . وسكانها أتراك وأكراد وأرمن وسوريون مسيحيون .

تاريخها الإسلامى :

انضمت هذه المدينة مع بقية الجزيرة إلى المملكة العربية الإسلامية بين سنتى (١٨ ــ ١٩ هـ) أيام خلافة عمر بن الخطاب . ولما ضعفت الخلافة العباسية دخلت حصن كيفا تحت سلطة بنى حمدان ، ثم بنى مروان ، ثم بنى أرتق الذين جعلوها عاصمة لهم منذ سنة (٤٩٥ هـ) فبلغت فى عهدهم أقصى فخامتها وروعتها . وفى سنة (٥٧٩ هـ) حاصر صلاح الدين بن أيوب مدينة آمد وجاء لخدمته نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا فأحسن صلاح الدين لقاءه ووعده بآمد . فلما فتحها صلاح الدين فى السنة المذكورة وفَّى بوعده لصاحب حصن كيفا وأعطاه آمد ، ومن ذلك الوقت خضعت حصن كيفا للمملكة الأيوبية خضوعا معنويا مع استقلالها الذاتى . وبين سنتى (٦٢٩ ــ ٦٣٠ هـ) أخذ الملك الكامل صاحب مصر مدينة آمد مع حصن كيفا من الملك المسعود ابن الملك الصالح أبى الفتح محمود بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان ابن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقمان بن أرتق .

وأصبحت يومئذ من الممتلكات الأيوبية وفى حدود سنة (٦٣١ ــ ٦٣٢ هـ) أعطى الملك الكامل حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب فبقى فيها حتى مات أبوه فترك الحصن وتوجه إلى الشام وحصلت له وقائع كثيرة حتى صار ملكا على مصر سنة (٦٣٧ هـ) وكان أبقى فى الحصن ابنه الملك المعظم توران شاه جد ملوك الحصن وهم الذين وضع هذا البحث فيهم .

ثم يحصى الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله ملوك حصن كيفا ويترجم لكل منهم ، ونذكرهم فيما يلى وننقل ترجمة من لا ترد ترجمته فى هذه الموسوعة .

١ ـ الملك المعظم توران شاه / وهو جد ملوك حصن كيفا وأصلهم الذى يرجعون فى النسب إليه . انظر ترجمته فى م ١١ / ٦١ ـ ٦٣ من هذه الموسوعة .

١ ـ الملك الموحد تقى الدين عبد الله بن الملك المعظم توران شاه :

يعد هذا الملك أول ملوك الحصن من الأيوبيين المستقلين بها ولكنا لا نعرف عنه شيئا غير ما ذكره عنه أبو الفداء فى تاريخه فقال عنه فى حوادث سنة (٦٣٨ هـ) : إنه بعد ذهاب أبيه توران شاه إلى مصر بقى مالكا لحصن كيفا إلى أيام التتر وطالت مدته بها .

٢ ـ الملك الكامل مجير الدين أبو بكر شادى :

وهو ثانى ملوك الحصن ، ولا نعرف عنه غير كنيته ولقبه جاء ذكرهما عفوا فى الدرر الكامنة فى ترجمة ابنه أيوب ونصه : كان المعظم لما تقرر فى سلطنة الديار المصرية نقلا من حصن كيفا ترك ولده الموحد تقى الدين عبد الله فاستمر فى مملكة الحصن المذكور. وتولى بعده ولده الكامل أبو بكر. وهذا كل ما عرف عنه . وفى الضوء اللامع للسخاوى ما يفيد بأن اسمه شادى ولقبه مجير الدين . وفى شذرات الذهب أيضا ما يفيد بأن اسمه شادى . وقد خلف ولدين توليا بعده ، أحدهما أيوب ، والآخر محمد .

٣ ـ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن أبى بكر شادى ، وهو ثالث ملوك الحصن . انظر ترجمته فى هذه الموسوعة تحت عنوان « الملك الصالح » .

٤ ـ الملك الكامل مجير الدين محمد :

وهو رابع ملوك الحصن ، وهو ابن أبى بكر شادى ، والمظنون أنه هو الذى قتل أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن أبى بكر شادى ، ولا نعرف عنه أكثر من ذلك .

٥ ـ الملك المجاهد شهاب الدين غازى .

ويعد الملك الخامس من ملوك الحصن ، وهو ابن مجير الدين محمد ولا نعرف عنه شيئا .

٦ ـ الملك العادل فخر الدين سليمان (٧٨٠) ، وهو السادس من ملوك الحصن . انظر ترجمته فى هذه الموسوعة تحت عنوان « سليمان بن غازى » .

الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان :

وهو السابع من ملوك الحصن ترجمه صاحب الشذرات وصاحب الضوء اللامع بأنه صاحب حصن كيفا وأعمالها من ديار بكر ، وليها بعد أبيه فى سنة سبع وعشرين وكان مشكور السيرة محببا لرعيته لوفور عقله وسياسته وديانته مع فضل وميل زائد إلى الأدب ومشاركة فى فنون وكرم وشجاعة وظرف ذكره ابن حجر فى أنباء الغمر ، وقال : إنه خرج فى عسكره لملاقاة السلطان (الأشرف برسباى) على حصار آمد فاتفق أنه نزل لصلاة الصبح فوقع به فريق من التركمان فأوقعوا به على غرة فقتل وذلك فى شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ودفن بحصن كيفا . ويقول ابن حجر عنه : إنه كان فاضلا أديبا له شعر حسن ووقف على ديوان شعره وهو يشتمل على نوائح فى أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك و إنه كان جوادا محبا للعلماء .

٨ ـ الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد :

وهو الملك الثامن من ملوك الحصن . وهو خليل بن أحمد بن سليمان بن غازى بن محمد أبى بكر بن عبد الله بن توران شاه الملك الصالح ثم لقب بالملك الكامل أبو المكارم . استقر فى مملكة الحصن بعد قتل والده سنة ؟ ٨٣٦ هـ) وكان محبا للعلماء خصوصا الشافعية ، وسار فى بلاده سيرة حسنة ونشر العدل ، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه من أهل الفضل وأن له نظما وأنه أرسل بديوان من شعره على عادة أبيه إلى الديار المصرية فقرظه له الأدباء .

٩ ـ الملك العادل ناصر بن خليل بن أحمد :

وهو التاسع من ملوك الحصن قتل أباه وتملك بعده فبقى نحو سبعة أشهر ثم ثار عليه ابن عمه حسن بن عثمان ابن الملك العادل سليمان فقتله ثأرا لأبيه .

١٠ ـ الملك الكامل أحمد بن خليل بن أحمد بن سليمان :

وهو العاشر من ملوك الحصن ، ولما قتل أخوه ناصر أباهما الملك الكامل خليل فر خوفا من أخيه إلى جهانشاه ملك تبريز ، فلما ثار ابن عمه على أخيه ناصر وقتله استدعاه ابن عمه من تبريز وجعله ملكا على الحصن فبقى فيه ملكا نحو سنتين ، ثم حصلت ثورة فى بلاده وتغلب على ملكه ابن عمه خلف بن محمد ففر إلى قلعة أرغيس من معاملة الحصن ثم إلى بغداد ثم إلى مصر فأكرمه عتيق جده مرجان العادلى مقدم المماليك وتوفى فى مصر أيام الملك الظاهر خشقدم .

الملك العادل خلف بن محمد بن سليمان بن أحمد :

وهو الحادى عشر من ملوك حصن كيفا ثار على ابن عمه الملك الكامل أحمد فى حدود سنتى (٨٥٨ ـ ٨٥٩) ففر الملك الكامل واستولى على المملكة فبقى مالكا سبع سنين . ثم جرى له ما فعله بسلفه ، فثار عليه أبناء عمه : زين العابدين، وأيوب وعبد الرحمن أبناء على بن محمود بن

العادل سليمان فقتلوه وولده هارون في حدود سنة (٨٦٥ هـ) وذكره صاحب الشذرات فيمن توفى سنة (٨٦٧ هـ) وكان العادل شجاعا مقداما ذا بطش وقوة وله نظم ليس بالجيد .
وإليه الإشارة بقول الصدر بن البارزي مما كتب به إليه :

قالوا بموت الكامل الحصن وهت
وعزها قد حاد عنها وصدف
فقلت إن كان مضى كاملها
فإن فيها خلفا عن من سلف

١٢ ـ الملك الصالح زين العابدين

وهو الثاني عشر من ملوك الحصن ثار هو وأخواه أيوب وعبد الرحمن أبناء على بن محمود بن العادل سليمان فقتلوا ابن عمهم العادل خلف بن محمد وتملك زين العابدين على الحصن وبقى أيوب وعبد الرحمن كالوزراء ثم اختلف الثلاثة فيما بينهم فهاجم الحصن حسن بيك الطويل (أزون حسن) ابن قرايلوك عثمان صاحب آمد واستولى على الحصن وقتل الثلاثة بين يديه صبرا في ذي القعدة سنة (٨٦٦ هـ) وبذلك انقرضت هذه السلالة الأيوبية .

١٣ ـ الملك خليل الثاني ابن سليمان

ولما مات أوزون حسن اضطربت الأحوال ، فانتهزها الأيوبيون فرصة وعادوا إلى حكمهم الأول ، فقد جاء خليل الثاني ابن الملك سليمان فسيطر على سعود أولا ثم على حصن كيفا .

وفي فترة ، قام خليل الثاني بزيارة حميه الشاه إسماعيل ولكنه أوقف في تبريز وسجن ، غير أنه في أثناء فتوحات ياووز سليم تخلص من سجنه وعاد لمملكته ، وفي خلال غيابه كان قائما على حصن كيفا ولده الملك سليمان الثاني ، فلما عاد والده استعاد ملكه وجلس على عرشه للمرة الثانية وبعد مدة عاد سليمان الثاني مرة ثانية إلى الملك ولكن المنافسة دبت بينه وبين أخويه محمد وعلى ، وحصل بسبب ذلك اضطراب أدرك معه سليمان أن لا قبل له بمواجهته ووجد نفسه مجبرا على تقديم مفاتيح حصن كيفا سنة (٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٤م) إلى والي العثمانيين على ديار بكر حينئذ خسرو باشا فكافأه السلطان سليمان القانوني على ذلك بأن ولاه زعامة الرها وغلتها ٧٠٠ ألف آقجه . وهكذا فقد ألحق حصن كيفا بتركية (العثمانية) . وانقرضت مملكة أيوبية حصن كيفا كلية بعد وقت طويل ملىء بالاضطرابات وبوادر الانحلال (انتهى) .

هذه خلاصة ما أطلقنا عليه من أخبار هذه السلالة ، وأكثرها لا يعدو تراجم ، ولكنها بمجموعها تعطينا فكرة عن هذه الإمارة . وبعد ذلك نتساءل لماذا كانت أخبار هذه الإمارة غامضة في أول نشأتها فلم يعرف عن أحوالها إلا النزر اليسير ، ولماذا لم يعرف عن ملوكها الخمسة الأول ، وما السبب في أن المؤرخين أخذوا يذكرون تراجم ملوكها منذ منتصف القرن الثامن الهجري ؟

إني أرى أن صغر هذه الدولة وضعفها كان له أكبر الأثر في ذلك ، يضاف إليه أن هذه الدولة تعتبر صاحبة الحق الشرعي في اعتلاء عرش المملكة في مصر والشام كما تعتبر دولة المماليك البحرية (مماليك جدملوك حصن كيفا) مغتصبة لعرش الأيوبيين ، وهاضمة لحقهم ، ومنكرة لنعمتهم ، وعاقة لولائهم .

لذلك كان من المعقول أن لا يجرؤ أحد من المؤرخين على ذكر دولة ملوك الحصن إلا رمزا خوف تنبه الأفكار إليها ، بخلاف ملوك حمص وحماه التي بقيت إمارتهم مستقلة استقلالا إداريا في عهد المماليك ، لأنهم ليس لهم صبغة قانونية في حق العرش ولم يسبق لأحد من أجدادهم أن امتلك دمشق أو حلب أو مصر ، وهي العواصم الكبيرة التي كان يقوم في كل منها مملكة أيوبية كبرى .

لذلك كان أبناء ملوك هذه البلدان الثلاث موضع ريبة وحذر في دولة المماليك البحرية ، وكانوا موضع بطش وانتقام من هذه الدولة أيضا (في رحاب دمشق / ٢٤٠ـ٢٥٣) .

ويورد « زامباور » قائمة بفرع بني أرتق بحصن كيفا ثم بآق ، وهي كما يلي :

(أ) معين الدين سقمان [الأول] بن أرتق	سنة ٤٩٥ هـ
(ب) إبراهيم بن سقمان	٤٩٨
(جـ) ركن الدولة داود بن سقمان	حول ٥٠٢

(د) فخر الدين أبو الحارث قرا آرسلان بن داود ٥٣٩

(هـ)نور الدين محمد بن قرا آرسلان (تسلم آمد سنة ٥٧٩ من يد صديقه صلاح الدين ٥٦٢

(و) قطب الدين سقمان [الثانى] بن محمد، الملك المسعود ٥٨١

(ح) ركن الدين مودود بن محمود ٦١٩

(ط) الملك المسعود ٦٢٩

عزله الملك الكامل محمد [الثانى] بن المظفر غازى صاحب ميافارقين سنة ٦٢٩ (معجم الأنساب / ٣٤٤) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٦٥ ، وفى رحاب دمشق ـ محمد أحمد دهمان / ٢٤٠ ـ ٢٥٣ ، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى لزامباور ـ د. زكى محمد حسن وزملائه / ٣٤٤) .

*** الحصواتى (قبة ـ) (منتصف القرن الثالث هـ / منتصف القرن الثانى عشر م) أثر ٣١٥ :**

من المشاهد المتخلفة من العصر الفاطمى مشهد الحصواتى الذى لا يعرف شىء عن تاريخه . وهو كذلك مشهد صغير مربع القاعدة ، مبنى من الآجر ، يتكون من طوابق ثلاثة ، الطابق الأرضى ، فطابق المقرنصات فالقبة الكروية ، الشبيهة هى ومقرنصاتها بقبة إخوة يوسف ، غير أنها لا تحوى طابقا مثمنا بين المقرنصات والقبة . ويمتاز هذا المشهد بوجود طاقات محارية حول الواجهات الخارجية لطابق المقرنصات ، كما يمتاز بمحرابه البديع الذى يتكون من طاقة محارية من ثلاث حطات ، يحيط بها إطار عريض مستطيل ، تمتد عليه كتابة كوفية بديعة على أرضية من الزخارف النباتية .

(مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الفاطمى ١ / ٣٥ ، ٣٦) .

*** حصول الأنس فى انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٣٤٤٨ تاريخ ٩٢ .

كتاب فى بيان ما حصل للعارف خالد المجددى النقشبندى وقت الوفاة وذلك بناء على طلب مريديه من المؤلف الذى هو أخو زوجته فصنف هذا الكتاب ذاكرا أحواله مع أقاربه وأهله وخدمه .

المؤلف : إسماعيل بن عبد الغنى بن محمد الغزى العامرى الدمشقى المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣٢ م .

أوله : سبحان من تفرد بالبقاء والقدم ، سبحان من لا يعتريه المنون ولا يلحقه العدم ، سبحان من لا تفنيه الأيام والسنون ، كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون .

آخره : ولو أردت أن استقصى لك المبشرات والمرائى التى اشتهرات عنه بين الناس لضاق عن تقريرها القرطاس . ثم ساق بعض القصائد فى المراثى بشأنه أولها :

كأس الحمام على البرية جارى
والدمع من فقد الأحبة جارى

آخرها :

وأباح سحب الفضل تهطل دائما
بفناء مسك لا تكاد تزول
ما قال إسماعيل يرثى سيدا
ما للجبال الراسيات تميل

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد اللطيف بن حسين بن إسماعيل العامرى الغزى حفيد المؤلف .

تاريخ النسخ : ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٦ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة عليها تملك باسم محمد أسعد الصاحب .

نسخة ثانية

الرقم ٥٠٣٣

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد المجيد بن على تلميذ أبى الفتح الخطيب .

تاريخ النسخ : ١٨ صفر سنة ١٣٠٣ هـ

ملاحظات : نسخة مراجعة .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤٠٦

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٧ ، روض البشر للشطى ص ٥٢ طبعة الكتاب : نشره الأخ الأستاذ أسامة التكريتى فى دمشق سنة ١٣٩٠ هـ بـ ١١٢ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤٨ ـ ٤٥٠) .

*** حصول الرفق بأصول الرزق :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٤٣٩٢

رسالة فى موضوع الرزق ضمنها فصلين وخاتمة الأول فى الشكر، الثانى فيما ورد به فى الأفعال ، والخاتمة الأشياء الجالبة للرزق .

المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

أوله : الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعده : فقد سألنى سائل عما ورد فى الأحاديث من الأفعال والأذكار والأفعال الجالبة للرزق ليلازمها من ضاق عليه رزقه ...

آخره : خاتمة وجدت فى مجموع : من كتب يوم الجمعة بعد الصلاة قوله تعالى : ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض** ﴾ إلى قوله ﴿ **تشكرون** ﴾ [الأعراف : ١٠] وجعلها فى بيته أو حانوته كثَّر الله خيره ورزقه ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : مصطفى .

تاريخ النسخ : سنة ١١٢٧ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة معلق عليها .

نسخة ثانية :

الرقم ٦٣٨٢

أولها : كالسابقة .

آخرها : قصيدة منسوبة للغزالى مطلعها :

إذا ما كنت ملتمسا لرزق ونجح القصد من عبد وحر

وتظفر بالذى ترجو سريعا وتأمن من مخالفة وعذر

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة .

الرقم ١٣٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد عبد العزيز.

تاريخ النسخ : السبت ٧ صفر سنة ١٠٧٦ هـ

مصادر عن الرسالة : الكشف ١ / ٦٧٠ ، جامعة الرياض فهرس خاص بمؤلفات السيوطى ص ١٨ رقم ٥٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ ، النور السافر ٥٤ .

قال الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس : بعض نسخ الرسالة أحتفظ بأوراق منها .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ محمد رياض المالح ١ / ٤٥٠ ـ ٤٥٢) .

*** الحصون :**

انظر : الحصن .

*** الحصى :**

عرَّفه صاحب كتاب التنوير بأنه حجارة تتولد فى الكلى أو فى المثانة (كتاب التنوير / ٢٦) وتكلم عليه داود بن عمر الأنطاكى تحت عنوان « الحصا والرمل فتكلم عن الأعراض والأسباب والعلاج فقال :

الحصا والرمل : أجساد تصلبت عن حرارة غريبة فى مادة غليظة لـزجة وتكـون فى أى فضـاء لحًت (أى التصقت) بـه وتتـابع عليها الخلط المشـاكل مثل الكبد والطحـال والجنين وإنما عـدت فى أمـراض الكلى والمثانـة لكثرة تـوليدهـا فيها وأسبابها أخذ ماء لزج وسدد كالهريسة والبيض النضيج والماء الكدر وقلة الحـركة وعلامتها الثقل والتلهـب والتمدد والكرب حالة النـوم على الوجه وأوجاع القطن والكلى فيهـا والعانة ... وعسر البول فى المثانة ورسوب مثل الرمل فى البول ضاربا إلى الحمرة فى الكلى والغبـرة فى المثانـة وغالب حصـى الكلـى فى الكهـول والسمـان والمثـانـة فـى الصبيـان والـذكـور والمهازيل...

العلاج : تنقى المـادة بالفصد وغيره ويبـالغ فى النطولات بنحو طبخ الحسك والبـابونج والمـذيب للحصى كالشجـرنيا والكـاكنج ومعجـون اللبـون والبـزورات المـدَّرات والحمـام والانتقاع فى الأبازين وزرق الأدهان والألعبة بكثرة والمرخ بها والاحتقان بالملينات خصوصا عند السدد وأجودها البنفسجى ودهن العقـارب شربـا وطلاء وزرقا وطبيـخ أجزاء شجـرة الغار والفجل والعليق بدهن اللوز الحلو مجرب وكذا الشونيز بدهن الغار والعسل والغاريقون أكلا والزجاج المكلس .

ورمـاد النـاخـواه كـذلك وإذا حشى الفجل بـزر السلجم وشـوى فى العجين حتى ينضج وأكـل بـالعسل فتت الحصى مجرب والزباد بالحلتيت أكلا وقطورا كذلك ؛ ومن المجربات المجمع على صحتها من عهد جالينوس أن يؤخذ تيس قد ولد عنـد استواء العنب فيـذبح حين يستكمل أربع سنين ويجمع دمـه فى قـدر نظيف ويغطى بخـرقـة فى الشمس ويثقب كل وقت بـالإبر ويراق مـا يخرج منـه من المائيـة فإذا جف سحق ورفع درهم منه بملعقة من ماء الكرفس يسقط الحصاة من وقته وجالينوس يسمى هذا الدواء يـد الله وقالوا إن أفراخ الحمام إذا طبخت بـالشيرج وحـده دون غيره ولـوزم أكلها فتت الحصـاة وحجر اليهود والإسفنج نافع شربا (النزهة المبهجة / ٩١-٩٣) .

(كتاب التنوير فى الاصطلاحـات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى - تحقيق وفـاء تقى الدين/ ٢٦ ، والـنزهة المبهجة المطبـوع بذيل تذكرة أولى الألباب / ٩١ - ٩٣ وكلاهما لداود بن عمر الأنطاكى) .

حصى الجمار :

انظر : الجمرات .

*** الحصيرى (٥٤٦-٦٣٦ هـ / ١١٥١-١٢٣٨ م) :**

محمـود بن أحمـد بن عبـد السيـد بن عثمـان ، أبـو المحامـد، جمال الدين البخارى الحصيـرى ، فقيه ، انتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانـه . مولده فى بخارى ، ونسبته إلى محلـة فيهـا كان يعمل بهـا الحصيـر ، سكن دمشق ، ودرَّس بالمدرسـة النورية ، وتوفى بها . من كتبه « التحـرير فى شرح الجـامع الكبيـر » مخطوط فقـه ، سبع مجلـدات ، و « خيـر مطلـوب فى العلم المـرغـوب » مخطـوط فقـه، و «الطـريقـة الحصيريـة فى الخلاف بين الشـافعية والحنفيـة » مخطوط ، و«النجم الهـادى السارى إلى حـل ألفاظ صحيح البخـارى » مخطـوط . الجـزء الأول منه ، فى مكتبـة عيـدروس الحبشى بالغرفة ، بحضرموت ، و « الوجيز » مخطوط . فتاوى فى فقه الحنفية .

(الأعلام للزركلى ٧ / ١٦١) .

*** أم الحصين الأحمسية :**

قال صاحب الإصابة :

أم الحصين الأحمسية - ثبت حديثها فى صحيح مسلم من طريق زيـد بن أبى أنيسة عن يحيى بن الحصين عن جـدته أم الحصين قـالت حججت مع النبى ﷺ حجـة الـوداع فـرأيت أسامة وبـلالا أحدهما آخذ بخطام نـاقة النبى ﷺ والآخر رافع ثوبه يستـره من الحر حتى رمى جمرة العقبة قـال أبو عمر روى عنهـا يحيى بن الحصيـن والعيـزار بن حـريث وسمى أبـاهـا إسحاق ولم أرها لغيـره ورواية العيزار بن حريث عنهـا عند ابن منده من طريق أبى نعيم عن يونس بن أبى إسحاق عن العيزار ابن حريث قال سمعت الأحمسية يعنى أم الحصين تقول رأيت على رسـول الله ﷺ بردا قد التحف بـه من تحت إبطـه يقول : «يا أيها الناس اتقوا الله وإن أُمِّر عليكم عبد حبشى فاسمعوا له وأطيعوه ما أقام فيكم كتاب الله تعـالى » وأخرجه من طرق عن أبى إسحاق عن يحيى بن الحصين عن جدته مطولا ومختصرا ورواه إسرائيل عن جده أبى إسحاق عن العيزار بن حريث عن

أم الحصين وعن أبى إسحاق عن يحيى بن الحصين عن جدته رواه أبو نعيم فى المعرفة ووقع لنا بعلو فى فوائد أبى بكر بن أبى الهيثم (الإصابة جـ٨ م ٤ / ٢٢٣) .

وقال صاحب الرياض المستطابة :

شهدت حجة الوداع ، فروى عنها حديثين فرق أحدهما فى موضعين وخرج عنها الأربعة . روى عنها حفيدها يحيى بن الحسين والعيزار بن حريث رضى الله عنها ورحمها .

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى م ٤ جـ٨ / ٢٢٣ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٣٣٠ ، ٣٣١) .

انظر : حجة الوداع .

*** الحضارة الإسلامية :**

من البحوث القيمة التى ألقيت فى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بحث بعنوان « أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » للأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع جاء فيه ما يلى مع بعض الاختصار :

١ ـ فى اللغة العربية ألفاظ ثلاثة متقاربة الدلالة ، يحاول بعض الباحثين ـ رغبة فى الدقة والوضوح أن يخضعوها لشىء من التخصيص والتحديد ، تلك الألفاظ هى : « الثقافة » ، و« المدنية » و « الحضارة » فأصل مادة التثقيف فى العربية التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطانة . ومعاجمنا تعرفها فى الاستعمال المحدث بأنها : العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها (المعجم الوسيط) . ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها والأخذ بأسباب الحضارة . وأصل معنى الحضارة (بفتح الحاء وكسرها) الإقامة فى الحضر، وقد استعمل ابن خلدون (توفى سنة ٨٠٨ هـ) الكلمة كثيرا وشرحها وعرفها فى غير موطن (من مقدمته) وخلاصة كلامه فيها : « أن الحضارة فى الأمصار من قبل الدول ، وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها وأنها أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه ، وتفاوت الأمم فى القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر، وتقع فيها عند كثرة التفنن فى أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ، ويحتاج كل صنف فيها إلى القومة عليه والمهرة فيه» (مقدمة ابن خلدون / ٨٧١ـ٨٧٧) .

والمعاجم الحديثة تعرف الحضارة فى استعمالها المولد «بأنها مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى الحضر » (المعجم الوسيط) .

ومما يلحظ أن اللفظتين الافرنجيتين المقابلتين لألفاظنا العربية الثلاثة وهما :

Culture و Civilization فيهما ما فى ألفاظنا من تقارب وتداخل، وقد جرى عليهما ما يجرى الآن على ألفاظنا من محاولة التحديد والتخصيص .

على أن كثيرا من علماء الإنسانيات فى الغرب قد اصطلحوا منذ القرن الماضى على أن يقصروا دلالة Culture (وتقابلها عندنا ثقافة) على الجوانب الروحية والأدبية من حياة الأمة ممثلة فى دينها ولغتها ونظم أخلاقها وفلسفتها وآدابها وفنونها مما يتصل بتثقيف العقل والنفس ، ويصرفوا دلالة Civilization (وتقابلها عندنا مدنية أو حضارة) إلى الجوانب المادية ممثلة فى العلم والاختراع والكشف ، مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة فى صناعتها وزراعتها ومواصلاتها وزيادة ثرواتها ، ورفع مستوى معيشة المواطنين فيها .

ولكن مع هذا التحديد الاصطلاحى يبقى لكلمة Civilization عند كثير من العلماء استعمالها الواسع الذى يشمل مظاهر الرقى المعنوى والمادى للإنسانية عامة فى مراحل تاريخها الكبرى، أو لكل أمة من الأمم التى ظهرت شخصيتها فى تاريخ الإنسانية بمقومات بارزة ، وكان لها نصيب ملحوظ فى دفع عجلة التطور البشرى إلى الأمام : كالحضارة المصرية القديمة ـ مثلا ـ فيما قدمته للجنس البشرى من اختراع الكتابة وتطوير فن العمارة ، وكالحضارة اليونانية فيما قدمته من الفلسفة والدراما . وقد مثل ذلك فى حضارات « آشور وبابل والصين والهند وفارس والحضارة الإسلامية وحضارة الغرب الحديث » .

كذلك الأمر عندنا ـ بصفة عامة ـ فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية نقصد بها فى الغالب تراثنا الروحى

والتاريخى والفلسفى واللغوى والأدبى والفنى ، وحين نتحدث عن الحضارة أو المدنية الإسلامية ، لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامى وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها ، ولا نقصد الثقافة وحدها ، وإن كانت هى العنصر الجوهرى فى الحضارة ، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات وإن كانت تلك مظاهر مهمة من مظاهر الحضارة ، ولكننا نقصد كل ذلك مجتمعا متكاملا ، مؤلفا شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية ، وإذا أردنا مزيدا من التحديد اللغوى كان لنا أن نصطلح على أن نعنى «بمدنية » جانب العلم والاختراع وآثارهما المادية وأن نوسع مدلول « حضارة » ليشمل الجوانب الروحية والمادية معا (أو الثقافة والمدنية بمعناهما الضيق) .

٢ ــ على هذا الأساس نستطيع أن نقول : إن الحضارة الإسلامية هى تلك الحضارة التى قامت على أساس رسالة سماوية ـ هى « الإسلام » ـ جاءت خاتمة لرسالات السماء ، مصدقة لما بين يديها من الرسالات مؤيدة من الله بمعجزة من كلامه فى صورة كتاب عربى مبين ، نزل به الوحى ، وثبتت صحته ثبوتا تاريخيا قاطعا ، وتضمنت سوره وآياته الأسس الكبرى لتعاليم تلك الرسالة ، كما فصلت الكثير منها ووضحته أقوال الرسول وأعماله التى بذل علماء الإسلام من مختلف أقطاره جهودا خالدة فى تتبع روايتها واستقصاء أسانيدها ، فكانت ثمرة ذلك مجموعة من كتب « الصحاح » يعدها المسلمون المصدر الثانى بعد القرآن لشريعتهم .

هذا ــ إذن ــ هو المقوم الأول من مقومات الحضارة الإسلامية وذلك أنها قامت على أساس من رسالة إلهية .

وقد بدأت هذه الرسالة حياتها فى بلاد العرب ، وكافح المؤمنون بها وهم قلة ثلاثا وعشرين سنة ، تحت قيادة الرسول ﷺ . وحين أكمل الله للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام دينا ، ولحق الرسول بربه ، كانت نواة الدولة الإسلامية قد تكونت فى المدينة ، وكان خلفاء الرسول وأصحابه وأنصاره قد استعدوا لتلقى راية الدعوة ، ومواجهة الحضارتين الكبيرتين المحيطتين بمهد الإسلام شمالا وشرقا وغربا ، وهما « الفارسية والرومانية » اللتان أظهرتا العداء للدعوة وتهددتاها من أطرافها . وهنا اندفع المسلمون الأولون من شبه الجزيرة يدعون إلى الله فى غير إكراه ، ويزلزلون عروش القياصرة والأكاسرة كى لا يحول الملوك والرؤساء بين رعاياهم والاستماع لدعوة التوحيد .

ولم يمض قرن من الزمان حتى كانت راية الإسلام قد أظلت العالم القديم . ثم توالى اتساع المجتمع الإسلامى ، وتغلغلت الدعوة إلى أواسط آسيا وما وراءها ، وإلى أقاليم أوربا الجنوبية وإلى ومختلف أرجاء القارة الإفريقية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، من مختلف الأجناس والألسنة والألوان ، ولم يكونوا يعتنقون الإسلام طواعية فحسب ، ولكنهم كانوا يهبون لنشره والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم ، ويقبلون عن رضا واختيار على تعلم « العربية » لغة كتابه ورسوله ، فيتقنها الكثير منهم ، ويؤلفون بها علوم الدين والدنيا ، بل يشاركون مشاركة رائدة فى تقنين تلك اللغة والتأليف فى أسرارها وخصائصها وفى أدبها ولغتها ، وينبغ منهم فى مختلف ميادين المعرفة أئمة مجتهدون حفظ تاريخ الإسلام أسماءهم ومذاهبهم وتراثهم .

وهنا يصل بنا الحديث إلى السمة الثانية الهامة من سمات الحضارة الإسلامية وهى سماحتها وإنسانيتها وعالميتها ، ذلك أنها كانت ـ وظلت ـ وستبقى ثمرة الجهود المشتركة من كل من أظلتهم راية الدولة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين على اختلاف نِحلهم ولغاتهم القومية : فقد وفرت الدولة لغير المسلمين حرياتهم ، واحترمت شعائرهم وأماكن عباداتهم ، وفتحت أمامهم أبواب مناصبها وإداراتها ، وأغدقت عليهم من التشجيع ما أتاح لهم القيام بدور كبير فى نقل الثقافات القديمة ولا سيما الفارسية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية ، فازدادت بذلك حضارة الإسلام خصبا وتفتحا ، وازدهرت بها العلوم والمعارف والآداب والفنون ازدهارا يشهد به التراث الإسلامى فى مؤلفاته التى شارك الغرب الحديث فى العناية بتحقيق الكثير منها ونشره ، وتشهد به ألوف المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة فى مختلف

المكتبات الكبرى فى العالم ، ثم يشهد بـه علماء العصور الوسطى وعصر الإحياء فى أوربا ممن تتلمذوا على كتب « ابن سينا (٤٢٨ ـ ١٠٣٧) ، وابن رشد (٥٩٥ ـ ١١٩٨) ، والرازى (٩٢٥ م) ، والغزالى (٥٠٢ ـ ١١١١) وابن خلدون» وغيرهم ، ويشهد بـه المنصفون من محدثى علماء الغرب ممن كتبوا عن فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية فى الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك وأدب الرحلات والآداب الرومانسية وغيرها من ميادين المعرفة .

ولا حاجة بنا هنا إلى الإفاضة فى جوانب تراث الحضارة الإسلامية ولا إلى مناقشة القضايا والتجنيات التى أثيرت فى الماضى ضد تلك الحضارة : كقضايا تخلف البلاد الإسلامية ومركز المرأة فى المجتمع الإسلامى وكالمزاعم التى كان يقذف بها بعض المغرضين من غير المسلمين من أن الإسلام مضاد للتطور، وأنه انتشر بالسيف ، وأن الحضارة الإسلامية حضارة ناقلة وليست مبدعة ، وأن الإسلام ليست عنده الحلول المرضية لمشكلات الحياة الحديثة ، وأن بعض نواحيه كنظام الإرث لا تتمشى والتطور الحديث ، فهذه وأمثالها قضايا ومزاعم أشبعها علماؤنا منذ بدء حركة الإصلاح فى العالم الإسلامى نقاشا وتنفيدا .

(ممن أبلوا فى هذا بلاء حسنا :

(أ) الإمام الشيخ محمد عبده فى كتبه ومقالاته .

(ب) محمد كرد على فى كتابه « الحضارة الإسلامية » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة فى مجلدين . الأول (ط ثانية) ١٩٥٠ والثانى (ط ٢) ١٩٥٩ .

(جـ) أمير على فى كتابه Spirit Of Islam

(د) رشيد رضا وفريد وجدى وعباس محمود العقاد) .

وقد أوشكت أن تنتهى تلك المرحلة التى كنا مضطرين فيها أن نلتزم موقف الدفاع عن حضارتنا ضد هجمات الخصوم والمغرضين . والآن بفضل التحرر السياسى والاقتصادى لكثير من بلادنا الإسلامية الكبرى ، ونهضة الثقافة والعلم فيها دخلنا مرحلة ايجابية جديدة نقف فيها موقف الاعتزاز الحق بحضارتنا ، ونعرض على العالم كله ما قدمته تلك الحضارة ، وما تستطيع أن تقدمه لرقى البشرية وسعادتها .

٣ ـ إن مكتبتنا الإسلامية حافلة بكل ما نحتاج معرفته من مقومات حضارتنا وإنسانية اتجاهاتها وسماحة تعاليمها ، والتطبيق الناجح لتلك التعاليم : فعندنا كتاب الله وتفاسيره وعلومه ، وسنة الرسول ﷺ وما تضمنت من رسم معالم الطريق للحياة الإنسانية الفاضلة وما أوحت به من بحوث ودراسات ، وعندنا سير الخلفاء الراشدين وخطبهم وتوجيهاتهم للولاة والقضاة فى الأقاليم والأنظمة التى أقاموها لبناء الحضارة الإسلامية . وبحسبنا أن نشير من نماذج توجيهاتهم إلى خطبة « أبى بكر » حين ولى الخلافة ؛ وكتاب «عمر بن الخطاب » إلى « أبى موسى الأشعرى » حين ولاه قضاء البصرة ؛ وعهد « الإمام على » إلى « الأشتر النخعى » حين ولاه مصر ؛ وكتاب « طاهر بن الحسين » إلى « ابنه عبيد الله » حين ولاه « المأمون » الرقة ومصر ولنا تراثنا الضخم فى التشريع والأصول والملل والنحل ، والتصوف والأخلاق والفلسفة ، وعلوم اللغة والأدب والبلاغة والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات ، وعلوم الطبيعة والكيمياء والإحياء والرياضة والفلك . وعندنا ذخيرة من الرسائل والكتب فى آداب الدنيا والدين ، والسياسة الشرعية ، ومن الموسوعات التى ترسم منهجا مفصلا للحياة الصالحة فى مختلف جوانبها على هدى من فقه الشريعة وأسرار الحقيقة ولعلمائنا المحدثين جهود موفقة فى إبراز مقومات المدنية الإسلامية والردود المفحمة لخصومها وجلاء عبقرياتها والرجوع إلى تعاليمها فى حل مشكلات الحياة المعاصرة وممن أبلوا فى هذا بلاء حسنا « جمال الدين الأفغانى » فى دعوته الإصلاحية و « محمد عبده » فى كتبه ومقالاته ، و « محمد إقبال » فى فلسفته وشعره ودراساته لتجديد التفكير الإسلامى . و « أمير على » فى ما كتب عن روح الإسلام « وكرد على » فى دفاعه عن « الحضارة الإسلامية » ... [والشيخ محمود] شلتوت فى كتبه وفتاواه ...

وقد أضاف بعض باحثينا المعاصرين إلى المكتبة

الإسلامية جديدا نافعا فى دراسة بعض البيئات والمفاهيم الإسلامية ـ مثل أندونيسيا والهند ، والعدالة الاجتماعية فى الإسلام ، واشتراكية الإسلام ، وموقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان ، والفكر الإسلامى والاستعمار الغربى .

نحن ـ إذن ـ فى موقف يسمح لنا أن نبرز ما قدمته حضارتنا سابقا وما يمكن ـ بل يجب ـ أن تقدمه الآن لرقى البشرية وسعادتها ، وتوطئة لذلك سنذكر أنفسنا فى إيجاز بالمقومات الأساسية للحضارة الإسلامية :

٤ ـ إن هذه الحضارة تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع ـ كما قلنا ـ من وحى رسالة سماوية تمدها بالروح والقوة والتماسك ، وتوجهها إلى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل ، وعن المادية الجامحة المفسدة لإنسانية الحياة :

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله ، وتنزيهه عن الشريك والولد ، وإفراده بالعبادة والتعظيم ، ومراقبته فى السر والعلن ، والتصديق برسالاته ، والتمسك بما شرعه من آداب المعاملة والسلوك .

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة ، والمساواة بين الناس ، واحترام حقوق الإنسان ، والتزود بكل أسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن ، وعدم الاعتداء إلا على المعتدين ، والتعايش السلمى بين الأمم .

ونظامها الأخلاقى يقوم على خلوص النية ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالبشرية إلى الكمال .

ونظامها الاجتماعى يقوم على الأسرة المتماسكة المبنية على المودة والرحمة والإخلاص المتبادل ، ويقوم على التكافل الاجتماعى ، والتقريب بين الغنى والفقير ، وقيام كل راع بمسئوليته ، وتعاون المواطنين على الخير والبر .

ونظامها الاقتصادى يقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام ، والترغيب فى البذل والإنفاق لخير المجتمع ولزوم القصد ، والبعد عن الإسراف والشح فى أمور المعيشة ، والتنفير من كنز الأموال ومن تعطيل استثمارها فيما يعود على الجميع بالنفع والرفاهية .

ونظامها التشريعى يقوم على أصول رئيسية واسعة ـ قررها كتابها وسنتها مع ترك المجال واسعا للاجتهاد فى تطبيقها تطبيقا يحقق المنافع ويدرأ الأضرار . وقد تمثلت هذه الناحية التشريعية فى ثروة من الفقه الإسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الإسلامية فى تنظيم العلاقات والمعاملات على أسس سليمة ، وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى ، فأثمرت طائفة من المذاهب الفقهية الكبرى التى انتشرت فى العالم الإسلامى كله .

والنظام الثقافى للحضارة الإسلامية يعتمد على طلب المعرفة من كل وجه ممكن ، واستخدام العقل فى كسب المعارف ، وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للإنسانية ، يشارك فى تنميتها كل مواطن مستطيع ، وكل جيل من الناس ، ويأخذ فيها اللاحق عن السابق ، ويضيف ما يضيف ثم يورث ذلك مَن بعده . وقد عنيت الثقافة الإسلامية أولا بخدمة دراسات كتابها وسنة رسولها ، وتقنين لغتها وأدبها وبلاغتها ، وتسجيل تاريخ الإنسانية ، ثم ضمت إلى هذا الازدهار الداخلى الإفادة من تراث الأمم القديمة عن طريق الترجمة ، ومن الناحيتين معا استقام لها تراث فكرى عليه طابع عبقريتها فى الفلسفة والعلوم والآداب والفنون ، وبرز من مفكريها فلاسفة حاولوا التوفيق بين الشريعة والحكمة ، وعلماء وأدباء من مختلف البيئات والمجتمعات الإسلامية خلد التاريخ أسماءهم ، وتتلمذ عليهم كثير من مفكرى الغرب فى عصوره الوسطى وبدء نهضته الحديثة واعترف بهذا علماء الغرب قديما وحديثا .

نستطيع ـ إذن ـ أن نقرر ونحن مطمئنون ـ والتاريخ ومقارنة الحضارات شاهدان على ما نقول ـ أن البشرية لم تعرف فى تاريخها القديم أو الحديث حضارة بمثل هذه الميزات والمقومات : فالحضارات الأخرى إما قديمة لا تمثل رشد

العقل البشرى ونضجه ، وإما مادية لا روح فيها ولا قيم تسندها وتهذبها ، وإما روحية مسرفة فى زهدها ودعوتها إلى اعتزال الحياة . وما قام من الحضارات الأخرى على أسس دينية فهو إما محلى فى دعوته ونظامه ، وإما مجرد من الأسس المنظمة للحياة فى شتى مرافقها وأوضاعها .

وقد ازدهرت حضارتنا الإسلامية وكان لها أثرها فى تقدم البشرية حين عرف أهل هذه الحضارة أركانها ومقوماتها ، واستمسكوا بها وطبقوا تعاليمها ، ولم يتركوا ثغرا من ثغورها إلا رعوه وحافظوا عليه ، وأصابها فى بعض مراحل تاريخها عارض الضعف والتأخر حين أهمل أهلها بعض مقوماتها : كالعدل فى الرعية ، وعدم الخضوع لشهوات النفوس ، وإطلاق الحرية للعقل يجدد فى معارفه ، ويبدع فى تطبيق تلك المعارف لخدمة أغراض الحياة . وربما طالت مدة الضعف والتأخر بسبب غاصب أجنبى يهدد سلطان الدولة الإسلامية ، أو مستعمر يطمع فى إسلاب خيراتها وثرواتها .

لهذا أدركت الأمم الإسلامية فى نهضتها الحديثة ضرورة الرجوع إلى مقوماتها الأصيلة وإحيائها وإعادة تنظيم الحياة الإسلامية على أساسها ، وعرفت أن كل ذلك لن يستقيم لها إلا إذا تحررت أوطانها من ربقة الاستعمار الأجنبى ، وأمسكت زمام أمورها بيدها .

والدارس الآن لكثير من نهضات البلاد الإسلامية التى استخلصت حقوقها وحريتها بكفاحها ونضالها ـــ يدرك مدى قوة الروح الإسلامى فى قادتها وشعوبها ، ومبلغ حرصها على أن تصل حاضرها ومستقبلها بماضيها المجيد .

٥ ـ وبعد فإن ما قدمناه من عرض للخطوط الرئيسية لتطور الحضارة الإسلامية وأهم مقوماتها يعطينا الجواب على السؤالين اللذين أدرنا حولها هذا البحث، وهما : ماذا كان نصيب الحضارة الإسلامية فى تقدم البشرية وسعادتها فى القديم ؟ وماذا تستطيع أن تقدمه اليوم لحل مشكلات العالم المعاصر ، والإسهام فى رقيه وتقدمه ، والسير به فى طريق الطمأنينة والسلام والرفاهية والإخاء ؟

فأما فى القديم فقد وضح من سياق العرض الذى قدمناه أن الحضارة الإسلامية :

(أ) وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت إليه من صنع عبقريتها المبدعة .

(ب) أنقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب وانهيار فى الحضارات واستعباد وظلم اجتماعى .

(جـ) أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى أسمى صورها وأصفاها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع .

(د) أعطت الإنسانية ذخيرة ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب فى عصر الإحياء والنهضة واعتمد عليها العالم الإسلامى فى يقظته الحديثة وفى بناء نهضته المعاصرة .

(هـ) وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث ـ كطريقة الشك عند « الغزالى » كما فتحت آفاقا جديدة فى البحوث الإنسانية ـــ كفلسفة التاريخ عند « ابن خلدون » ، وعلم البصريات على يد « ابن الهيثم » (١٠٣٩ م) وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور علوم الرياضة على يد « الخوارزمى » (٣٨٠ ـ ٨٥٠) ، « عمر الخيام » (٥١٥ ـ ١١٢٣) وغيرهما .

(و) ساعدت بآدابها على نهضة الآداب فى أوربا ، وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتَّابه .

(ز) ساعد خلفاؤها وقادتها ـــ بسلوكهم الأخلاقى وبنماذج المروءة والشرف التى تحلوا بها على إشاعة المُثل الأخلاقية الرفيعة ، مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السِّلم أو فى الحرب من رؤساء العالم المسيحى وقادته .

أما العالم المعاصر : فقد يكون من المفيد فى بحثنا هذا أن ننظر منه أولا إلى الأمم الإسلامية ، التى تؤلف قرابة خُمس سكانه . إن الناظر فى أحوال هذه الأمم اليوم يجد عددا كبيرا منها قد قطع أشواطا فى نهضته بعد أن تحرر من ربقة الاستعمار الأجنبى وقد أخذ مكانه فى المجتمع الدولى ، وبدأ يوجه كثيرا من جهده لمناصرة الشعوب المكافحة فى سبيل الحرية والتقدم ، ويناهض الاستغلال والاستعمار فى كل صورهما ، كما أخذ من جهة أخرى يحاول أن يحقق لمواطنيه ما دعا إليه الإسلام من عدالة ومساواة وتكافؤ فى الفرص ، ويزيد فى إنتاجه بما يضمن للمواطنين كفاية ورفاهية ومعيشة

كريمة . ومن الواضح أن العالم الإسلامي يستطيع أن يحقق لنفسه قدرا كبيرا من التقدم والسعادة . إذا رجع إلى مقومات حضارته وأعاد بناء حياته الجديدة على أساسها ، وقوى ما شرع الإسلام من روابط الأخوة والتعاون والاشتراك فى القيم والمُثل بين المسلمين فى أنحاء الأرض كافة ، وهى روابط إيجابية بناءة لا تهدد ولا تعتدى ، ولكنها تجمع الصفوف وتيسر تبادل المنافع ، وتزيد الشعوب الإسلامية قوة ، وتصرف عنها أطماع المستغلين والمستعمرين ، وبذلك تسهم فى إقرار الأمن والسلام فى العالم .

لا شك أن لدى المسلمين أكبر ذخيرة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، وإذا هم نهجوا نهج أسلافهم الأولين فى الإفادة من تلك القيم فى إصلاح حياتهم وتنظيم صفوفهم وجمع كلمتهم استطاعوا أن يكونوا عاملا مؤثرا فى توجيه سير الإنسانية إلى الخير، وفى مقاومة عوامل الجشع والاستغلال التى تعكر السلام ، وتفسد العلاقات الدولية ، وتهدد العالم بالدمار والفناء ...

إن التاريخ الحقيقى لتقرير حقوق الإنسان فى الغرب يبدأ من القرن الثامن عشر الميلادى ، أى بعد ظهور الإسلام بأحد عشر قرنا . والخطوات التى اتخذت فى هذه السبيل ـ وعلى الأخص فى المنظمات الدولية ـ خطوات تتأثر بتطورات السياسة وبأطماع الدول، ولا تزال القرارات فى واد والتطبيق فى واد آخر .

ولكن الموقف فى الحضارة الإسلامية جد مختلف : ففى القرن السابع الميلادى ظهر الإسلام ـ لا فى صورة إصلاح مدينة معينة ، ولا فى صورة نظرية فلسفية أو دعوة أخلاقية محدودة ، ولكن فى صورة رسالة خالدة للإنسانية عامة : غنيها وفقيرها ، وأبيضها وأسودها ومشرقها ومغربها ، وكان لب هذه الرسالة تقريرفى عقيدته وتفكيره وشخصيته ومعيشته ، وتوجيه الاهتمام إلى جوهر الإنسانية من روح وعقل وخلق وفضيلة ، والتهوين من شأن الفوارق المادية التى لا تتصل بذلك الجوهر اتصالا وثيقا . ولم يجىء تقرير هذه المبادئ فى الإسلام فى صورة وثيقة منفصلة ، محدودة بزمانها ومكانها وظروف الاجتماع المحيطة بها ، ولكنها جاءت ثمرة من ثمار عقيدة شاملة توضح العلاقة بين الانسان وخالقة ، وبين أفراد البشر بعضهم وبعض فى اجتماعهم ومعاملتهم وسياستهم ، وهكذا كسبت قداسة من العقيدة وخلودا من الشريعة التى هى جزء من لبها وجوهرها ، وتغلغلت مع الدين فى ضمير أجيال من البشرية ، وانتشرت مع حضارة الإسلام فى المشارق والمغارب، وقد صحبها منذ البداية التطبيق الواضح على يد الرسول وخلفائه والصالحين من أئمة المسلمين وحكامهم وأولى الأمر فيهم خلال العصور ، وظهرت أوضح ما ظهرت فى معاملة المسلمين للأمم التى دانت لهم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها ، واكتسبت فى الإسلام صفة الدوام فلم تحتج أصولها لتعديل أو تغيير ، ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للتوسع فى تطبيقها ، والترقى فى فهمها حسب ترقى البشرية فى ثقافتها وتفكيرها الاجتماعى والسياسى (« أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » / ٣٨٤ ـ ٣٩٥) .

وفى سنة ١٩٨٧ صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤلف بعنوان « أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية » ، إشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، يشتمل على بحوث لعلماء مصريين فى ميادين تسعة هى : الأدب ، والفلسفة، والعلوم الطبيعية ، والطب ، والجغرافيا ، والمعارف الملاحية ، والتاريخ ، والعمارة والتحف الفنية ، والموسيقى ، وهى ترد فى مواضعها من هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى . وقد لخص هذه البحوث الأستاذ محمد خلف الله أحمد فى مقدمة نفيسة تعد سجلا حافلا لحصاد الحضارة الإسلامية فى ميادين العلم والمعرفة ، وننقلها لك فيما يلى :

إن الدارس لبحوث هذا الكتاب ونتائجها يجد أنها تمثل إضافة ذات قيمة الدراسات الاتصال الحضارى ، وتسير بالبحث فى موضوع أثر العرب والحضارة الإسلامية فى نهضة أوربا إلى أحدث مراحله ، فقد تتبعت الفصول التسعة ـ كل منها فى موضوعه ـ المسالك التى نفذت منها الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب فى أول عصر النهضة وفى ثنائه ، من طريق الازدهار الثقافى لتلك الحضارة فى بعض أجزاء أوروبا ، والانصهار الثقافى للسكان المسلمين والمسيحيين فى نواح

منهـا ـ وعلى الأخص فى الأنـدلس ، وتـرجمة مئـات الكتب العربية فى مختلف ميادين العلم والفلسفـة إلى اللغة اللاتينية وبعض اللغات الأوربية الأخـرى ، والاعتماد على بعض تلك الكتب فى الدراسـات الجامعية الأوربية إلى مرحلـة متأخرة ، واتصال بعض الأوربيين بالشـرق فى أثناء الحروب الصليبية ، ومعيشتهم فيـه ، وسماعهم من أهلـه ، ونقلهم من مؤلفيـه ، وتقليد الغـرب لأساليب الفـن الإسلامى فى عمـارته وزخـارفه وموسيقاه ، وبعـض ألوان شعره واتجاهـات قصصه ، وإفادة المـلاحين والكاشفين الأوربيين من معـارف العـرب البحريـة والفلكية والجغرافية وكتبهم ، واستعـارة اللغات الأوربية كثيرا من الألفـاظ العربيـة للدلالـة على مختلف المفاهيم العلميـة والعملية الجديدة .

وإذا كانت الفصول التسعة قد اشتـركت فى الصورة العامة التى حاول كل منها أن يرسمها فى موضوعه ، وفى الموضوعية التى التزمتها فى عرض نواحى التأثيـر والتأثر، فإن كلا منها قد طوع طـريقة معالجتـه لمادة مـوضوعه ، وعـرض وجهات من النظر فى أساليب البحث فى ذلك الموضوع ونتائج الدراسات السابقة فيه .

وشيء آخر حـرصت هذه الفصول على أن تضيفه ــ كلما كان ذلك مفيـدا وكاشفـا ـ وهـو أن تتوسع فى تحليل عنـاصر التشابـه والتخالف فى الجهـة التى يرجح أنهـا كانت مـوضعا للتأثير .

ولعل نظـرة مجملـة إلى بعض الخطـوط الـرئيسيـة لهـذه الفصول توضح ما أشرنا إليه فى خصائص معالجتها :

١ ـ ففى الفصل الخاص بالأدب ـ وهو ميدان كان يظن أن احتمال التأثير فيـه قليل ـ نبه البحث إلى مـا كان من الازدهار السريع للثقافة العربية فى أسبانيا تحت الحكم الإسلامى، وما حدث من عملية الامتزاج الاجتمـاعى والثقافى الواسع النطاق فى المجتمع الأندلسى ، وما كان من انتشار اللغة العربية لغة ثقـافة وأدب فى ذلك المجتمع ، ومن شيـوع اللغـة اللاتينيـة الدارجة إلى جانبها بين المسيحيين والمسلمين الأندلسيين ، ثم مـا نتج عن ذلك كلـه من ظهـور لـون جـديـد من الشعـر الأندلسى فى أواخر القرن الثالـث الهجرى ـ التاسع الميلادى إلى جـانب القصيـدة العربيـة التقليـديـة ، هو الـذى عـرف بالمـوشحة ، وعنه تفـرع لون آخر أكثر إمعانا فى الشعبيـة هو الزجل . وعن طريق هذا التطور الجديد استطاع الشعر العربى أن يترك آثارا ملحوظة فى الآداب الأوربية المجاورة .

وقد تتبع هذا الفصل جهود العلمـاء الغربيين إلـى اليوم ـ وعلى الأخص فى أسبانيـا ـ فى دراسـاتهم حول موضـوع تأثير الموشحـات الأندلسيـة فى شعراء التـروبادور البـروفانسيين ، ومساهمة الباحثين من العرب المحدثين فى هذه الدراسات ، ثم أضـاف إلى ذلك نظـرة تـاريخيـة مقـارنـة للشعـر الأوربى الغنائى وأبـرز شخصياتـه فى المراحل الأولى من نشأتـه ، وما كان لهؤلاء من اتصـالات بالحضارة العربية الإسـلامية ، وقارن بين المقطوعات الأوربيـة الغنائية والموشحـات ، مبرزا ما بين هذه وتلك من أوجه التشابه وأوجـه التخالف فى الموضوعات وفى المفاهيم الشائعة . مشيـرا إلى الكتب العربية التى يرجح أنها كانت ذات أثر فى ذلك .

ثم عرض هذا الفصل المجموعات القصصية العربية التى وصلت أوربـا فى أوائل عصـر النهضـة ، ومـا عـرف لهـا من ترجمات إلى اللاتينية ، مثل « كليلة ودمنة » وقصة «السندباد» وتتبع آثارها فى الأدب الأسبانى وفى الآداب الأوربية المجاورة وعـرض للمقـامـات العـربيـة وللقصص العـربى الفلسفى والصوفى وتـرجماته ، و« لألـف ليلة وليلة» والانتقـال المبكر لبعض قصصها إلى الأدب الأسبانى .

ووقف البحث وقفـة خـاصة عنـد كبيـرين من أدبـاء أوائل النهضة الأوربيـة أحدهما شـاعر وهو « دانتى » والآخـر كاتب وهـو « بوكـاتشيو » ونـاقش ما للعلمـاء من آراء ونظريـات فى احتمال تأثر كليهما بالأدب الإسلامى .

وخصص البحث الجزء الأخيـر منـه للكـلام عن الشعـر الملحمى والمسرح ، ووقف عند ملحمة « السيد » وما لها من وشـائج عربيـة . وأشار إلى مـا أثبتتـه النصوص من أن ألـوان الأدب المسرحى الإغـريقى لم تكن مجهولة تمامـا بين العرب وأن البـلاد الشيعية قـد ظهـر فيهـا ضرب من المسـرح سـابق

للمسرح الدينى الذى عرفته أوروبا المسيحية منذ القرن الثالث عشر ، وهو المعروف بمسرح « الأسرار » ، وأن المجتمع العربى فى خلال العصور الوسطى عرف مسرح « خيال الظل » وهو ضرب من مسرح العرائس ، ورجح ـ معتمدا على بعض الشواهد ـ أن يكون العرب فى الأندلس قد عرفوا الأدب التمثيلى وعالجوه .

وهكذا يعطينا هذا الفصل صورة حديثة شاملة للصلات الأدبية فى مختلف نواحيها بين الحضارة العربية الإسلامية والفكر الأوربى فى أوائل عصر النهضة ، مفرقا بين الثابت والراجح من ضروب التأثير .

٢ ـ وبنيت خطة الفصل الخاص بالفلسفة على ثلاث نقاط رئيسية : أولاها خصائص الفلسفة الإسلامية ، والثانية انتقال جوانب من تلك الفلسفة إلى الفكر الغربى ، و الثالثة أثرها فيه . والنقاط الثلاث تدور كلها حول جوهر فكرة التأثير وتخدمها . فى ناحية الخصائص أبرز البحث كيف استطاعت الفلسفة الإسلامية بطابعها الدينى أن تقترب من الفلسفة المدرسية ، وباعتدادها بالعقل البشرى والبحث فيه أمكنها أن تثير فى أوربا فى القرن الثالث عشر حركة فكرية قوية . وبما حاولته من التوفيق بين الفلسفة والدين ، ثم بين فلسفتى أفلاطون وأرسطو عبدت للفلسفة المسيحية طريق البحث فى هذين الميدانين ، ووجهت أنظار المسيحيين إلى « أرسطو » وحملتهم على ترجمة كتبه ودراستها والتعليق عليها . وكان لما حققته الفلسفة الإسلامية من التآخى بين العلم والفلسفة صداه فى الفلسفة المسيحية فى القرن الثالث عشر وما بعده .

وحين عالج البحث انتقال الفلسفة الإسلامية إلى الغرب مهد لذلك بالبحث عن وسائل النقل الحضارى بصفة عامة ، ثم انتقل إلى الحديث عن ترجمة الكتب الفلسفية العربية إلى اللاتينية ، مفصلا الكلام فى هذا عن كبار فلاسفة الإسلام «كالكندى » والفارابى وابن سينا والغزالى » مؤرخا لما ترجم من كتبهم . مبينا عناية اللاتينيين بكل كتاب وأثره فى تفكيرهم ودراساتهم .

وفى القسم الثالث من هذا الفصل يلم البحث خيوط الفكرة ، ويؤرخ لانشغال الغربيين بها ويلخص ما كشف عنه الدرس من أثر الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة الغربية فى الجانبين المنهجى والموضوعى .

والسمة البارزة فى هذه المعالجة أنها تضع أمام القارئ نماذج من القضايا الفلسفية الكبرى كما أثارها الفلاسفة المسلمون ، وأصداء تلك القضايا فى الفلسفة المسيحية فى عصر النهضة ، بعد أن اتصل الأوروبيون بحضارة العرب المسلمين وتفكيرهم .

٣ ـ ونبه الفصل الخاص بالطب إلى خطأ القول : بأن الحضارة العربية كانت أرضا جرداء حتى جاءها العلم اليونانى فرواها وأخصبها ، فقد كانت للعرب علومهم الخاصة بهم كالفقه واللغة والنحو والعروض وعلوم التفسير والحديث ، وقد أعدتهم هذه العلوم لاستقبال العلوم التى لم يكن لهم بها عهد .

وأيد هذا الفصل فكرة أن الحروب الصليبية ـ وقد كانت إحدى مواطن الاتصال بين الحضارتين ـ لم تكن ذات شأن كبير فى تأثير الطب العربى فى الطب الغربى ، ذلك أن أكثر الغربيين الذين شاركوا فى الحملات الصليبية كانوا قليلى الحظ من الثقافة ، ولم يكن بينهم عالم حقا إلا « وليم الصورى المؤرخ » . ولكن الموقف اختلف فى الموطنين الآخرين ـ صقلية والأندلس فقد كان لملوك النورمان عناية بالعلوم العربية وترجمتها ، وقامت فى الأندلس حركة قوية للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، تناولت كتب رجال العصر الذهبى فى الطب العربى : « كالرازى » ، و « على بن العباسى المجوسى » ، و « ابن سينا » ، كما تناولت كتب مشاهير المشتغلين بالعقاقير الطبية « كابن البيطار » ، و «داود الأنطاكى » . وقد بلغت هذه الحركة أوجها فى « طليطلة » فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تحت حكم « الفونسو» ، كما ظلت ترجمات بعض هذه الكتب ، « كالحاوى » ، «والقانون » « وكامل الصناعة » تدرس فى جامعات أوربا حتى أواسط القرن السادس عشر .

وحاول البحث أن يجيب عن سؤال كثر ترديده فى الأوساط

العلمية فى الموضوع وهو : ماذا أضاف العرب إلى الطب اليونانى ؟ وفى هذا نبه البحث إلى خطأ المؤرخين فى التقسيم القومى لتطور العلوم الطبية ، إذ أن طبيعة هذه العلوم تجعل التقدم فيها عالميا لا يتعلق ببلد بعينه ثم لخص النواحى التى تعد ذات شأن فى الموضوع : فذكر أن العرب لم يحدثوا جديدا فى فلسفة الطب، ولا فى الكليات التى قام عليها ، وأنهم ظلوا على إيمانهم بالأخلاط والقوى والأمزجة ، ولكنهم خالفوا « جالينوس » فى بعض أشياء ، وكان أكبر ما عملوه فى التشريح ووظائف الأعضاء هو ما عمله « ابن النفيس » فى شرح الدورة الدموية الصغرى ، وابتدعوا باب تدوين المشاهدات الدقيقة ، وعنوا بالعقاقير عناية خاصة .

على أساس هذه النواحى وما ثبتت ترجمته من الكتب العربية إلى اللاتينية فى أوائل عصر النهضة ، وما سجله التاريخ من أقوال علماء الغرب منذ تلك المرحلة لخص البحث ما أفاده الغربيون من الطب الغربى بأنه : الكتب الجامعة التى تتناول جميع العلوم الطبية المعروفة إذ ذاك وخير مثل لهذا « قانون ابن سينا » ، والمادة العلمية الغزيرة فى الطب الإكلينيكى . ويمثلها كتاب « الحاوى للرازى » (انظر مادة « أبو بكر الرازى » فى م ٧ / ٣٤٥ ــ ٣٥١) والعلم بالعقاقير والأدوية المركبة والمفردة ـ وقد ظل كتاب « ابن البيطار » (انظر مادة « ابن البيطار » فى م ٨ / ١٨١ ــ ١٨٦) مرجعا لها فى أوروبا حتى أواسط القرن الثامن عشر ، وخبرة العرب فى الجراحة ـ وكان كتاب « الزهراوى » فيها معروفا عند معظم من مارسوا الطب فى أوروبا حينذاك ، ونظام البيمارستانات التى عنى العرب بإقامة المستشفيات على غرارها (انظر « البيمارستان » فى م ٨ / ٢٣٧ـ٢٤٤) .

٤ ـ وتناول الفصل الخاص بالرياضيات والعلوم الطبيعية ميدانا واسعا تعددت فيه البحوث ، وقامت الشواهد الدالة على ما كان لعلماء الحضارة العربية الإسلامية فيه من سبق وأصالة . وهنا تصادفنا الأسماء الإسلامية فى التأليف الغربى الرياضى : « كالخوارزمى والخازن وابن الهيثم » ممن نبه كثيرا من باحثى الغرب على أن كتبهم ظلت مراجع معتمدة لدى أهل الصناعة فى أوربا حتى أواخر القرن السابع عشر ، كما تصادفنا الإنجازات المحققة للعرب فى علوم الحياة والكيمياء والصيدلة والتعدين .

ومن المعروف فى هذه الميادين أن كتاب « القانون » لابن سينا ـ مثلا ـ ترجم إلى اللغات الأوروبية وطبع بها مرات ، وأن كتب « جابر » فى الكيمياء (انظر «جابر بن حيان» فى م ١١ / ٣٩٢ـ٤٠٢) .

ترجمت إلى اللاتينية وظلت المراجع المعتمدة فى ميدانها عدة قرون ، وبعض العلماء الغربيين يعدون أبا بكر الرازى من مؤسسى الكيمياء الحديثة .

وقد أضاف هذا الفصل إلى بحوث الغرب فى التأثير العربى إشارات إلى بحوث بعض علماء العرب المحدثين ممن تعمقوا فى دراسة رياضيات « الخوارزمى » وبصريات «ابن الهيثم » وغيرهما .

٥ ـ وتحدث الفصل الخاص بالجغرافيا عن العوامل التى جعلت العرب فى جاهليتهم يعنون بالمعارف الجغرافية والفلكية بحكم ظروف بيئتهم ، وفى إسلامهم بحكم اتساع رقعة الدولة وضرورة الوقوف على أحوال البلاد ومعرفة الطرق والمسافات ، وبحكم اعتماد بعض العبادات الشرعية على أحوال جغرافية وفلكية .

ووقف البحث وقفة خاصة عند الإدريسى (انظر : «الإدريسى فى م ٣ / ٣٨٠ـ٣٨٧) وجهوده العلمية فى بلاط « زوجار » ملك صقلية ، واتخذ منها مثلا للتعاون الذى نشأ بين المسلمين والمسيحيين فى ميادين الفكر ، وما نتج عن ذلك من ذيوع المعارف الجغرافية ، وأبرز ما كان للعرب من مساهمة فعالة فى حركة الكشف الجغرافية وما سجلوه فى كتب رحلاتهم من المعلومات عن اقتصاديات البلاد التى عرفوها وثروتها المعدنية وإنتاجها الزراعى وطرقها ومسالكها ، وعن السكان وحياتهم الاجتماعية . إلى غير ذلك مما أفاد منه الرحالون والرواد الأوربيون فى عصر النهضة . كما وقف البحث كذلك عند شخصية الخبير الملاحى العربى « شهاب الدين بن ماجد » الذى تعد كتبه فى علوم البحار كتبا رائدة . وذكر نماذج من الأجهزة العلمية الدقيقة التى اخترعها العرب أو نقلوها عن

غيرهم كالإبرة المغناطيسية والمزولة الشمسية ، ونوه بمعرفة العرب بالنجوم ومطالعها ومغاربها واستخدام مجموعتها فى التعرف على الاتجاهات فى عرض البحار، مما لايزال شواهده قائمة فى كتب الملاحة الغربية فى صورة الأسماء العربية المستعملة للنجوم .

ويشترك هذا البحث مع سائر بحوث الكتاب فى التوقف تجاه بعض القضايا الخلافية التى لا توجد أدلة كافية لإثباتها أو نقضها ، ومن هذه فى الميدان الجغرافى نسبة كشف أمريكا إلى العرب فقد تحفظ فيها البحث لعدم كفاية الأدلة .

٦ ـ وركز بحث المعارف البحرية على محددة تختص بالملاحة العملية يستدل منها على أن الحضارة العربية مدت للغرب يد المساعدة فى هذا الميدان، وأن أوربا نقلت عن العرب بعض فنون قيادة السفن ، واسترشدت بالمعارف الملاحية العربية : فمن الثابت أن « فاسكو دى جاما » استعان بالمعارف الملاحية المترجمة عن العربية ، وبملاح عربى مسلم من الهند ، وبكتب عربية للملاحة استولى عليها من سفينة هندية ، وقد ظل اسم الملاح « ابن ماجد » على شواطئ بحر الهند حتى القرن الماضى ، كما ترك وثائق هامة للملاحة فى البحار الشرقية أهمها كتاب « الفوايد فى أصول البحر والقواعد » (انظر : «البحرية الإسلامية » فى م٦ / ٤٤٨) .

ووقف البحث موقف التحفظ من موضوع انتقال البوصلة من العرب إلى الأوربيين أو العكس إذ لم يجد من الأدلة ما ينفى أو يؤكد هذه القضية ، كما حذر من أن يؤدى التحمس للحضارة العربية إلى القول بإرجاع كل تقدم ملاحى فى الغرب إلى أبناء تلك الحضارة .

وتحريا للدقة الموضوعية فى هذه القضية حدد البحث الأسس التى يمكن أن ينبنى عليها تقييم أثر الملاحة على أوربا فى عصر الرينسانس وتدور هذه الأسس من ناحية حول طبيعة الملاحة والتجارة وكونهما من مظاهر العمران ومن وسائل الاتصال بين الأمم ، وكون الملاحة فنا من أدق الفنون يستلزم كثيرا من العلم والمعرفة ، وتدورمن ناحية أخرى حول المعارف العربية الجغرافية التى لدى العرب فى جاهليتهم وفى امبراطوريتهم الإسلامية الواسعة ، والدور الذى قام به التجار والملاحون من العرب والفرس فى التمهيد للتوسع والانتشار الإسلامى ، والدراسات الجغرافية التى سجلها الرحالون والمؤلفون العرب، ثم تدور من ناحية ثالثة حول الدور الذى قامت به الحضارة العربية الإسلامية بين الحضارات الكبرى القديمة وحضارة العصر الحديث والذى تمثل ـ لا فى النقل والترجمة فحسب ، ولكن فى التفسير والإضافة المبدعة الواعية .

وفى ضوء مناقشة الأسس، وشهادة النصوص والمراجع المعتمدة وبحوث المختصين من علماء الشرق والغرب أقام الباحث تقييمه الذى حرص على أن يضعه فى حدوده العملية دون تزيد أو تحمس عاطفى .

٧ ـ وفى الفصل الخاص بالأثر التاريخى ـ وهو ميدان جديد نسبيا ـ استقصاء لحوليات ومؤلفات غربية يبدو فيها الأثر العربى إما فى صورة روايات تاريخية سمعها مؤلفوها من مصادر عربية ، أو اعتمدوا فيها اعتمادا كبيرا على المؤلفات التاريخية العربية ، أو فى صورة أحداث نقلت عن المراجع العربية واستخدمت مادة لبعض السير التى كتبها الكتاب الأسبانيون وغيرهم ـ كملحمة « السيد » : أو تاريخ عام للخليقة ـ ككتاب التاريخ العام المنسوب إلى « الفونسو العالم » ـ استمدت كثيرا من معلوماته عن الشعوب القديمة من المؤرخين العرب . وهناك مؤلفات كتبها المؤرخون الإفرنج، وصفوا فيها حروب الحملات الصليبية ووقائعها فى الشرق ، أو أرخوا فيها للصراع بين بعض أمراء الشرق والأمراء الصليبيين ـ كالمؤرخ « وليم الصورى » . وهذه الكتب مدينة فى مادتها إلى النتاج العربى التاريخى من جهة ، وإلى الاتصال والاحتكاك بالشرق والمعيشة فيه ، والاطلاع على أحواله وعاداته من جهة أخرى ولكل من هذه الاحتمالات شواهده ودلائله : من كتب عربية ثبتت ترجمتها إلى بعض لغات الغرب ، أو نص أوربى صرح فيه بالرجوع إلى المصادر العربية .

هذا البحث يثير قضايا لم تحظ من قبل بنصيب كبير من عناية الباحثين الغربيين ، وهو يسير بالموضوع إلى ما بعد القرن السادس عشر ، وينبه إلى اهتمام الباحثين الغربيين فيما

بعـد عصر النهضـة بدراسـة الإسلام ونبيـه وقرآنـه وتاريخـه ، ويذهب إلى أن فى هذا الاهتمام وما أثمره من دراسات لونا من ألوان تأثيـر الحضارة العـربية الإسـلامية فى نهضـة الغرب فى الميدان التاريخى .

٨ ــ وأشار الفصل الخـاص بـالعمارة والتحف الفنيـة إلى النهضة العمـرانية الكبيرة التى صاحبت انتشـار الإسلام : من إنشاء المـدن ونشاط حركـة البناء والعمارة ، ومـا طرأ على فن البناء والـزخرفـة من إضافـة أساليب جـديدة أو تعـديل أخرى قديمة ، ومن استخـدام للأشكال الهندسية ولزخـارف الكتابة العربية .

وقد أوضح البحث ما كان من العـلاقات الفنية بين العالم الإسلامى وأوروبا منذ القرن الثانى الهجرى ـ الثامن الميلادى ، مما مهـد السبيل لعملية التأثير والتـأثر ، وفصل القول مـؤيدا بالشـواهد الكثيـرة القائمـة فى التأثير فـى ناحية العمـارة وفى التحف الفنية ، مشيـرا إلى ما صادفتـه هذه الناحية من عنـاية كثيـر من البـاحثين الشـرقييـن والغـربيين ومـا أجمعت عليـه دراسات ـ « هؤلاء » وأولئك من التأثير الظاهر للحضارة العربية الإسلاميـة فى نهضة العرب المعمـارية والفنيـة ، لا يشذ عن ذلك إلا فن التصوير الذى يبدو أنه لم يكن مجالا لتأثير يذكر

٩ ـ وسجل بحث الموسيقى افتنـان العرب فى فنون الغناء والعزف وفى ألوان التأليف الموسيقى ، وأشار إلى بعوث أوربا إلى حواضر البـلاد العربية وإلى مدرسة زريـاب الأندلسية فى القرن الثالث الهجرى ـ التـاسع الميلادى ، وقرر معتمدا على الشـواهد الكثيـرة أن أوروبا تـدين للعـرب فى كثير من آلاتهـا الموسيقيـة ، وأظهر مثل لـذلك آلة العـود التى احتفظت أربع عشرة لغـة أوروبية بـاسمها العـربى . وهـذا الميدان كسـابقه خصب فى بحـوثه ، وقـد ازدادت عنايـة علماء الشرق بـه فى السنين الأخيرة ، واتجهت بعض الجهود فيه إلى إحياء التراث الموسيقى العربى وتحقيق كتبه ودراسة أعلامه وأعمالها . ومن المـرجح أن تكشف هذه الجهـود عن نواح جـديدة من تأثيـر الشرق الإسلامى فى الغرب ... .

وينهى الأستاذ محمد خلف الله أحمد هذه المقدمة القيمة الشاملة بقوله :

وإذا كان هـذا الكتاب قـد حاول أن يـرسم أحـدث صورة لبحوث تأثير الحضارة العربية الإسـلامية فى أوروبا ـ فى تسعة من أهم ميادينها ، فليس هنـاك من شك فى أن ميادين أخرى لم تشملهـا هـذه البحوث ــ كـدراسـات الاجتماع ، والفكـر السياسى ، وفلسفـة التشريع ، وعلم الـدين المقارن ، ستظل تنتظر المزيد من الجهـد فى بحثها ، وليس من شك أيضا فى أن الميـدان كلـه سيبقى مفتـوحـا للجـديـد مـن الكشـوف والتحقيقات ووجهات النظر . ونقد الآراء والنظريات السابقة من شرقية وغربية (أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية / ٧ـ١٥) .

قالت المؤلفـة : هذا وقد أصدرت الهيئة المصريـة العامة فى سنة ١٩٨٥ ، بمناسبة القرن الخـامس عشر الهجرى ثلاثة مجلـدات بعنـوان « دراسات فى الحضـارة الإسـلاميـة » وهى عنـدى وقد جـاء التعـريف بكل منهـا كما يلـى : يتناول هـذا الكتاب مصـادر الحضارة الإسـلامية خـلال أربعة عشـر قرنـا هجريـا . من هذا الحصاد مـؤلفات أساطين الفقـه والتشريع الإسلاميين سـواء أكانوا أصحـاب مذاهب أو فقهـاء أجلاء ، وكبـار الفـلاسفــة وأهل التصــوف والكـلام ، والمــؤرخين والجغرافيين ، وكبار أهل الفلك والرياضيات ، والبارزين فى ميـادين العمـارة والزخـرفـة والمـوسيقى ، وأساتـذة النبـاتيين والكيمائيين ، وقد امتزجت أعمالهم بتيار الحضارة الإنسانية ، وأصبحت حصادا إنسانيا عاما اهـ .

(« أثر الحضارة الإسلامية فى رقى البشرية وسعادتها » ـ الأستاذ محمد خلف الله أحمـد الأزهر مجمع البحـوث الإسلاميـة . المحرم ١٣٨٥ هــ مـايـو ١٩٦٥ م . المـؤتمر الثانى لمجمع البحـوث الإسـلاميـة / ٣٨٤ـ ٣٩٥، وأثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربيـة . جمهورية مصر العربية الشعبة القوميـة للتربية والعلوم والثقافـة (يونسكو) مقدمـة رئيس التحرير الأستاذ محمد خلف الله أحمد . الهيئة المصـرية العامة للكتاب ١٩٨٧ / ٧ـ١٥ . انظر أيضـا أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربيـة ـ أحمد على الملا / ١٠٧ـ٢١١ ، والإسلام فى المشـارق والمغارب ـ د. جمال الـدين الرمادى / ١١٤ ، ١١٥ ، والحضارة العربية الإسلاميـة ـ د. رشيد الجيلى / ١٥٥ ، ٢١٦ـ٢٢٦ ، والعـرب فـى حضارتهـم وثقافتهـم ـ د. عمر فـروخ ، والتراث العلمى للحضارة الإسـلامية ومكانتـه فى تاريخ العلم والحضارة ـ د. أحمد فؤاد باشا . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هــ ١٩٨٣ م

، والطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ ، و « مقومات الحضارة الإسلامية » ـ د. سليمان حزين . الأزهر . مجمع البحوث الإسلامية . المحرم ١٣٨٥ هـ ـ مايو ١٩٦٥ م . المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية / ٣٧٢ ـ ٣٨٣، والحضارة الإسلامية ـ د. على حسنى الخربوطلى . سلسلة كتابك (٢٧) دار المعارف ١٩٧٧ ، والعلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ١ / ٢٦ ـ ٣٠ ، ودائرة معارف الشعب ٦٤ / ٢٢٩ ـ ٢٣٣ ، وحضارتنا بين العقيدة والتطور ـ د. محمود بن الشريف « الفيصل . العدد (٢٣) جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ ـ إبريل ١٩٧٩ م / ٣٠ ـ ٣٢ ، و « مدخل إلى تراث العرب العلمى وأهميته فى تاريخ العلم والحضارة » ـ د. محمد عبد الرحمن مرحبا . الفيصل . العدد (٢٤) جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ ـ مايو ١٩٧٩ م / ٥٣ ـ ٥٥) .

انظر : الثقافة الإسلامية .

*** الحضانة :**

الحضانة لغة : الحفظ والصيانة . وشرعاً : صيانة العاجز والقيام بمصالحه ، وهى لصيانة المولود والتنبيه على سعة رحمة الله تعالى بعباده . وحكمها : الوجوب على الأب وحده وعلى الأم فى حولى رضاعته إذا عدم الأب ولم يكن له مال ولم يقبل غيرها ، ومن ليس له أب معروف فحضانته فرض كفاية على الجميع (درة الغواص / ٢١٧ هامش التحقيق ، عن لباب اللباب ٦ / ١٢) .

وفى فتوى للإمام الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر قال فضيلته عن الحضانة :

إن الحضانة مأخوذة من الحضن وهو الجنب .

يقال : حضن الصبى يحضنه حضنا وحضانة ، أى جعله فى حضنه وضمه إلى صدره .

وفى هذا معنى إمساك الولد وتربيته منذ أول وجوده مولودا ، وفى اصطلاح الفقهاء : الحضانة تربية الولد فى سن معينة ، ورعاية شئونه ممن له حق الحضانة شرعا من النساء أو الرجال

هل الحضانة حق للصغير أم للحاضن ؟

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذا : فذهب الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى أنها حق الحاضنة لاحتمال عدم قدرتها فلا تجبر عليها إلا إذا تعينت لذلك ، بأن لم يوجد غيرها أو لم يكن لوالد الصغير ولا للصغير ذاته مال ، ذلك رعاية لحقه .

وفى قول البعض الآخر من الحنفية أن الحضانة حق الصغير ، ومن ثم تجبر الأم على الحضانة حتى لا يضيع حق الولد ، وهو موافق لأحد أقوال فقهاء المالكية .

وفى « مواهب الجليل » للحطاب المالكى أن الحضانة حق للحاضن ـ وللمحضون وليست حقا خالصا لأيهما ، ويرون أن حق الولد أقوى وهذا ما نميل للافتاء به ، فإذا أسقطت الحاضنة حقها تعرض الصغير للضرر ولحاجته إلى من يعنى به ويحافظ عليه ويقوم على شئونه فتجبر إذا تعينت .

حق الحاضنة :

الأصل أن تكون الحضانة للنساء منذ ولادة الطفل ، لتميزهن بالشفقة والحنو والصبر على رعاية الطفل فى سنى عمره الأولى .

والأم أحق النساء بحضانة ولدها ما لم يقم بها مانع ، ثم قرابتها من النساء مقدمون على الأب وقرابته فى ترتيب هذا الحق .

ويشترط فى الحاضنة أن تكون حرة عاقلة قادرة على تدبير مصالح المحضون والمحافظة عليه ، خالية مما يعجزها أو يصيب الولد بأذى ، كالمرض المعدى أو المنفر أو الشيخوخة ، وألا تكون مشغولة بما يمنعها عن تمام الرعاية والعناية بالطفل بأن كانت كثيرة الخروج من المنزل سواء بسبب مشروع أو غير مشروع ، وأن تكون أمينة مأمونة عليه فى خَلقه وخُلقه ، وألا تكون متزوجة بغير محرم له .

مدة الحضانة :

لم يشر القرآن ولا السنة النبوية لأمد تنتهى فيه الحضانة ، ومن ثم اختلفت كلمة الفقهاء . فيرى الحنفية أن حضانة النساء للطفل منذ ولادته وحتى بلوغه السابعة من العمر على القول المفتى به ، وفى قول فى المذهب حتى التاسعة .

ويرى الفقه المالكى أن الصبى يبقى مع الأم أو من يحل محلها من النساء حتى يبلغ الحلم ، وعندئذ يذهب حيث

يشاء ، أما الأنثى فتبقى مع الأم حتى تتزوج ويدخل بها الزوج ...

وعند الشافعية أن الولد ذكرا كان أم أنثى يبقى في حضانة النساء حتى يبلغ سن التمييز ، وهى السابعة وعندها يخير بين أبويه أو بين من يحل محل كل منهما أو أحدهما ... وعند الحنابلة أن حضانة النساء تنتهى ببلوغ الغلام السابعة وبعدها يخير بين أبويه وهو صحيح المذهب ، وحتى تبلغ الأنثى التاسعة من العمر على المشهور فى هذا المذهب – وبعدها يكون الأب أحق بها من غير تخيير لها .

من يحل محل الأم :

إذا فقدت الأم أو قام بها مانع من الحضانة كانت حضانة الطفل لأمها متى توافرت فيها الشروط .

(« متى تستبعد حضانة الأم » / ٥٠٤ ، ٥٠٥) .

ويجعل الإمام أبو شجاع ما جاء عن الحضانة فى المذهب الشافعي فيقول :

إذا فارق الرجل زوجته وله منها ولد فهى أحق بحضانته إلى السبع سنين ثم يخير بين أبويه فأيهما اختار سلم إليه وشرائط الحضانة سبع العقل والحرية والدين والعفة والأمانة والإقامة والخلو من زوج فإن اختل منها شرط سقطت . (متن الغاية والتقريب / ٤٨) .

وعن أحكام زواج الحاضنة بأجنبى جاء ما يلى :

مذهب الحنفية :

الأحناف قالوا : أحق الناس بحضانة الطفل هى أمه ، لكن بشرط ألا تكون الأم ذات زوج أجنبى من الصغير .

والمراد بالأجنبى عندهم هنا من ليس رحما محرما من جهة النسب ، فإن تزوجت الأم من أجنبى فلا حق لها فى الحضانة ، وذلك لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابنى هذا كانت بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثديى له سقاء ، ويزعم أبوه أن ينزعه منى .

فقال رسول الله ﷺ : « أنت أحق به منه ما لم تنكحى »

(فى تيسير الوصول ٢ / ٢٠ أخرجه أبو داود) .

وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : طلق عمر رضى الله عنه أم ابنه عاصم رضى الله عنه ، فلقيها ومعها الصبى ، فنازعها ، وارتفعا إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقضى أبو بكر الصديق رضى الله عنه بإعطاء عاصم بن عمر لأمه ما لم يشب أو تتزوج ، وقال : إن ريحها وفراشها خير له حتى يشب أو تتزوج ، وذلك بمحضر من الصحابة ، ولأن الصغير يلحقه الجفاء والمذلة ، وإذا تزوجت الحاضنة بذى رحم محرم من الصبى فلا يسقط حقها فى الحضانة كالجدة إذا تزوجت بجد الصبى أو تزوجت الأم بعم الصبى ، لكن لو تزوجت من عمه رضاعا أو من ابن عمه نسبا هو عمه رضاعا سقط حقها فى الحضانة ، وإذا فارقت الأم الأجنبى عاد إليها حقها فى الحضانة .

(كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى ٤ / ٤٢ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هـ المطبوع فى مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر، ورد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار مع حاشية ابن عابدين ٢ / ٨٣٧ طبع المطبعة العالمية سنة ١٣٠٤ هـ) .

مذهب المالكية :

قال فى المدونة : تزوج الحاضنة أجنبيا من المحضون يسقط حضانتها بدخولها لا قبل الدخول . قال ابن عرفة : لو علم الوالد بتزوجها ولم يقسم بأخذ الولد حتى طالت المدة ثم خلت من الزوج فليس له أخذه منها لأنه يعد بذلك تاركا لحقه .

وسئل ابن رشد عمن تزوج وبقيت بنتها معها ثلاثة أعوام ثم أراد الأب أخذها ، قال : لا سبيل له إلى ذلك ، وقال اللخمى يصح بقاء حق المرأة فى الحضانة وإن كان الزوج أجنبيا فى ست مسائل :

١ ـ أن تكون وصية على اختلاف فى هذا الوجه .

٢ ـ أو يكون الولد رضيعا لا يقبل غيرها أو يقبل غيرها وقالت الظئر لا أرضعه الا عندى فلا ينزع عن أمه لأن كونه فى رضاع أمه وإن كانت ذات زوج أرفق به من أجنبية يسلم إليها ، لا سيما إن كانت ذات زوج .

٣ ـ أو كان من إليه الحضانة بعدها غير مأمون أو عاجزًا عن الحضانة أو غير ذلك من الأعذار .

٤ ـ أو يكون الولد لا قرابة له ، أى أقرباء من الرجل ولا من النساء .

٥ ـ أو كان الأب عبدا وهى حرة ، قال المتيطى : إن كان الزوج عبدا والزوجة حرة فلا يكون للأب أن ينتزعه منها ، قال ابن القاسم : إلا أن يكون مثل العبد المقيم لأمور سيده فيكون أولى بذلك إذا تزوجت الأم ، وأما العبد الذى يخارج فى الأسواق فلا ، وفى الوصية روايتان .

قال اللخمى : إن كانت الأم وصية فقال مالك مرة إن جعلت لهم بيتا يسكنون فيه وما يصلحهم لم ينزعوا منها لأنها إذا تزوجت غلب زوجها على جل أمرها حتى تفعل غير الصواب .

(مواهب الجليل لشرح مختصر أبى الضياء خليل وبهامشه التاج والإكليل ٤ / ٢١٦ ، ٢١٧ مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ) .

مذهب الشافعية :

لهم فى حضانة الأم إذا تزوجت رأيان :

أحدهما : أن ذلك يسقط حضانتها سواء تزوجت من أجنبى أو بغير أجنبى .

والثانى : وهو الأصح عندهم أنها لا تسقط حضانتها إلا إذا تزوجت من أجنبى ، والأجنبى عندهم من ليس بذى رحم للصغير . (نهاية المحتاج لشرح المنهاج لابن شهاب الدين الرملى مع حاشية الشبراملسى ٧ / ٢١٨ ، ٢١٩ طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر سنة ١٣٥٧ هـ والمهذب للشيرازى ٢ / ١٦٩) .

مذهب الحنابلة :

الحنابلة قالوا : إذا تزوجت الأم بأجنبى ، والمراد بالأجنبى عندهم من ليس بذى رحم للصغير ، سقطت حضانتها ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على هذا وقضى به شريح ، ونقل عن أحمد : إذا تزوجت الأم وابنها صغير أخذ منها ، قيل له : فالجارية مثل الصبى ، قال : لا ، الجارية تكون معها إلى سبع سنين .

فظاهر هذا أنه لم يزل الحضانة عن الجارية لتزويج أمها وأزالها عن الغلام .

ووجه ذلك ما روى أن عليا وجعفرا وزيد بن حارثة تنازعوا فى حضانة ابنة حمزة فقال على : ابنة عمى وأنا أخذتها .

وقال زيد : بنت أخى (لأن رسول الله ﷺ آخى بيت زيد وحمزة) .

وقال جعفر : بنت عمى وعندى خالتها .

فقال رسول الله ﷺ : « الخالة أم » وسلمها إلى جعفر ... رواه أبو داود ... فجعل لها الحضانة وهى مزوجة .

قال فى المغنى : والصحيح أنه لا فرق بين الغلام والجارية لأن حضانتها تسقط بالنسبة لهما لقول الرسول ﷺ للمرأة : « أنت أحق به ما لم تنكحى » ولأنها إذا تزوجت اشتغلت بحقوق الزوج عن الحضانة .

وأما بنت حمزة فإنما قضى بها لخالتها ، لأن زوجها من أهل الحضانة .

وعلى هذا متى كانت المرأة متزوجة لرجل من أهل الحضانة كالجدة تكون زوجة للجد لم تسقط حضانتها لأنه يشاركها فى الولادة والشفقة على الولد ، فأشبه الأم إذا كانت متزوجة من الأب ، وظاهر قول الخرقى أن التزويج بأجنبى يسقط الحضانة بمجرد العقد وأن عرى عن الدخول .

(المغنى لابن قدامة ٩ / ٣٠٦ ، ٣١٠) .

مذهب الظاهرية :

الظاهرية قالوا : الأم أحق بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا المحيض أو الاحتلام أو الإنبات مع التمييز وصحة الجسم سواء كانت أمة أو حرة تزوجت ـ ولو بأجنبى أو بقريب ـ أو لم تتزوج ، برهان ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** ﴾ [الأحزاب : ٦] .

وقول الله تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] بهذا لم يأت نص صحيح قط بأن الأم إذا تزوجت يسقط حقها فى الحضانة ، وأما قولنا إنه لا يسقط حق الأم فى الحضانة بزواجها إذا كانت مأمونة وكان الذى تزوجها مأمونا فللنصوص التى ذكرنا (المحلى لابن حزم ١٠ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

مذهب الزيدية :

الزيدية قالوا : حق الحضانة ثابت للأم إجماعا لقول رسول الله ﷺ للمرأة : « أنت أحق به ما لم تنكحى » ويبطل حقها

فى الحضانة بالنكاح وفى الطلاق الرجعى ، لأن حكم الزوجية باق فيها . وفى قول الرسول ﷺ : « ما لم تنكحى » تنبيه على أن المانع اشتغالها بالزوج ولا يبطل حقها فى الحضانة إن نكحت ذا رحم له إذ يكون كالأب (البحر الزخار ٣ / ٣٨٤ـ٣٨٦)

مذهب الإمامية :

الإمامية قالوا : لو تزوجت الأم بغير الأب مع وجوده كاملاً من أجنبى سقطت حضانتها للنص والإجماع . فإن لم يكن موجودا لا تسقط حضانتها وإن تزوجت وكذا لو كان غير كامل كما لو كان رقا أو كافرا أو مجنونا لا تسقط حضانتها بالتزويج ولو لم يكن الأب موجودا لم تسقط حضانتها بالتزويج مطلقا سواء كان الولد ذكرا أم أنثى (الروضة البهية ٢ / ١٤١) .

مذهب الاباضية :

وقال الاباضية : المشهور فى المذهب أن الأولاد يكونون مع أمهم ما لم يبلغ الذكر خمس سنين أو يعرف لبس ثيابه وغسل يديه أو تبلغ الأنثى ، وقيل ما لم تتزوج ، وقيل ما لم يبلغ الذكر أيضا كالأنثى . فإذا بلغا اختارا .

وفى الأثر رجل توفى وترك ابنته وامرأته ثم إن المرأة تزوجت غير ولى الصبى وبلغت اثنتى عشرة سنة هل يجوز لولى الصبية أن ينزعها من أمها وهى كارهة ؟ قال : المرأة إذا تزوجت كان الولى أحق بالصبية ما لم تبلغ ، فإن بلغت كانت مخيرة بنفسها حيث شاءت (شرح النيل ٧ / ٣٢٥) (موسوعة جمال عبد الناصر ٣ / ١٣٨ـ١٤١) .

أما عن النظم فنسوق لك النماذج التالية :

١ ـ من نظم الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى (مجموع / ٩٠) :

والأم بابنها أحق فى الصغر ... إلا إذا ما نكحت نص الأثر

وبعد أن يبلغ سبعا خير ... فى أى والديه شا فليختر

وخالة كالأم حيث تفقد ... لما أفاده الحديث المسند

وفى الأصح الأب منها أقدم ... وقيل إجماعا وحيث انعدموا

يعين الأصح من أقارب ... وبعده الأصلح من أجانب

٢ ـ من صفوة الزبد للشيخ أحمد بن رسلان / ٩٠ ، ٩١ (فى الفقه الشافعى) .

وشرطها حرية وعقل ... مسلمة حيث كذاك الطفل

أمينة وترضع الرضيعا ... أمٌّ فأمهاتها جميعا

قدمن فالأب فأمهات ... الأب فالجد فوالدات

جد فما للأبوين يولد ... وبعده الخالات ثم الولد

لولد للأبوين فلأب ... ثم بنات ولد أم انتسب

يتلوه فرع الجد للأصلين ثم ... الفرع من أب فعمة لأم

فبنت خالة فبنت عمه ... فولد عم حيث إرث عمه

تقدم الأنثى بكل حال ... أخواته أولى من الأخوال

ووالد مسافر لنقله ... أو نكحت لغير حاضن له

وإن يميز وأباه اختاره ... يأخذه وأم لها الزياره

٣ ـ من منظومة الفتح الربانى / ٥٧ (فى الفقه المالكى) :

ثم الحضانة فى الأم تعتبر ... بعد الفراق للبلوغ فى الذكرْ

ولدخول الزوج بالأنثى فإن
تزوجت فأم الأم إن تبن
عنها فجدة لأم الطفل ثم
خالته ثم لخالة للأم
فجدة للأب مطلقا فالأب
فالأخت فالعمة فالوصى هب
فالأخ فابن الأخ ثم العم ثم
ابنه والشقيق أولى فللأم

(درة الغواص فى محاضرة الخواص (ألغاز فقهية) لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكى ــ تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبى الأجفان ، وعثمان بطيخ / ٥٧ هامش التحقيق ، و « متى تستبعد حضانة الأم ثم لمن تئول بعدها ؟ » فتوى للإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، السنة الثالثة والستون ، جمادى الأولى ١٤١١ هـ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٠ م / ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ومتن الغاية والتقريب للإمام الفقيه القاضى أبى شجاع أحمد بن الحسين ابن أحمد الأصفهانى / ٤٨ ، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٣ / ١٣٨ ـ ١٤١ ، ومجموع : السبل السوية لفقه السنن المروية ــ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٩٠ ، ومتن الزبد فى الفقه للشيخ أحمد بن رسلان الشافعى / ٩٠ ، ٩١ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة بن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى / ٥٧ . انظر أيضا فقه السنة ـ الشيخ السيد سابق م ٢ جـ ٧ / ٤٨١ ـ ٤٩٦ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٦٤ ـ ٤٦٦ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢٠ ، وفتاوى ابن الصلاح ـ حققه وخرج حديثه وعلق عليه د. عبد المعطى أمين قلعجى / ٢٦٧ ، وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للإمام محمد بن محمد بن سليمان ١ / ٢٤٠) .

*** الحضراوى (١٢٥٢ - ١٣٢٧ هـ / ١٨٣٦ - ١٩٠٩ م) :**

الحضراوى المؤرخ :

ذكره صاحب كتاب نشر النور والزهر فى رجال مكة وقال عنه :

أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبده بن أحمد بن أحمد بن حسن بن سعد بن مسعود الحضراوى الشافعى . ولد بثغر اسكندرية فى جمادى سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف ، ولما بلغ من العمر سبع سنين قدم به والده إلى مكة المعظمة وتوطناها ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ العلم عن جملة من الأعيان ، وحضراوى نسبة إلى محل ببلدة منصورة من أعمال مصر ، بها قبة جده الكبير سعد المذكور ، وكان جده أحمد بن عبده مفتى الأحناف بها كما أخبر هو بذلك ، وممن أخذ عنهم وقرأ عليهم شيخ العلماء ومفتى السادة الأحناف الشيخ جمال ، والشيخ محمد سعيد بشارة ، وتسلك فى الطريقة الشاذلية على الشيخ الفاسى ثم المكى وكان عالما فاضلا صالحا متواضعا كاتبا . كتب بخطه كثيرا من الكتب مشتغلا بتأليف التواريخ وله من التآليف : العقد الثمين فى فضائل البلد الأمين ، ورسالة فى فضائل زمزم ، وتخريج رواة أحاديث كشف الغمة (ذكر الزركلى أن اسمه « سراج الأمة فى تخريج أحاديث كشف الغمة . ثلاث مجلدات) وكانت وفاته بمكة سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين ودفن بالمعلاة وأعقب ابنه العالم الفاضل الشيخ محمد سعيد .

(وله مؤلفات منها : تاريخ فى ثلاثة مجلدات فى الحوادث ــ تراجم أفاضل القرن الثانى والثالث عشر فى مجلدين (ذكر الزركلى أن اسمه « تاج تواريخ البشر، من ابتداء الدنيا إلى آخر القرن الثالث عشر ») .

ــ نفحات الرضى والقبول فى فضائل المدينة وزيارة الرسول .

ـ ألفية فى السيرة النبوية ـ اللطائف فى تاريخ الطائف ، رسالة .

ـ الجواهر المعدة فى تاريخ جدة .

ـ مبادئ العلوم ـ رسالة أدبية فى الحماسة على لسان أهل الطائف وجدة والمفاضلة بينهما (سماها الزركلى : المفاضلة بين جدة والطائف) .

ـ تاريخ الأعيان ـ حسن الصفا فيمن تولى أمارة الحج ، (بشرى الموحدين فى أمور الدين) .

- سير وتراجم صفحة ٦٠ ــ وذكر المرحوم الشيخ عبد الوهاب الدهلوى : أن كتاب حسن الصفا اختصره وذيله الشيخ الحضراوى من كتاب حسن الصفا والابتهاج فى ذكر من ولى إمارة الحاج للشيخ أحمد الرشيدى وسماه مختصر حسن الصفا، وكلاهما موجودان فى المكتبة الفيضية (مجلة المنهل عدد شعبان ١٣٦٦ هـ) ...

وأضاف الزركلى : فضائل مكة والمدينة ، وتاريخ الأعيان.

(المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة للشيخ عبد الله مرداد أبى الخير - اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودى وأحمد على - عالم المعرفة . جدة الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م / ٨٤ ، ٩٥ ، والأعلام للزركلى ١ / ٢٤٩) .

* **حَضَرَمَوْت :**

منطقة بجزيرة العرب ، على خليج عدن والبحر العربى ، كانت جزءا من مجمعات عدن ، وهى الآن بجمهورية اليمن قاعدتها وأهم موانيها المكلا ، ومن مدنها الأخرى شبام وسينون [سيون] سكانها عناصر مستقرة تعيش فى مدن وقرى تقوم على جانبى وادى حضرموت الذى يجرى من الغرب إلى الشرق، محاذيا للساحل ، وعلى بعد ٢٠٠ كم . ويمتد حوالى ٣٢٠ كم ، وينتهى إلى البحر العربى عند سيموت (الموسوعة الثقافية / ٤٠٤) .

قال عنها صاحب كتاب « أئمة اليمن » عند ذكر الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى فى وفيات سنة ١٣١٤ :

الحضرمى : نسبة إلى حضرموت بفتح الحاء المهملة والراء والميم وقيل يضم الميم على وزن عنكبوت . وهو مخلاف واسع من مخاليف اليمن . وقيل سمى باسم حضرموت بن سبأ الأصغر . وقيل غير ذلك .

والنسبة إليه حضرمى والجمع حضارم . حدوده شمالا رمال بلاد نجد والربع الخالى ، وشرقا شعب وادى النبى هود، وجنوبا البحر الهندى ، وغربا عين بامعبد ويافع ودثنية واحور وبلاد البيضاء . والمسافة لها من الشمال إلى الجنوب نحو خمسة عشر يوما ، ومن الغرب إلى حدود مهرة بالجهة الشرقية الجنوبية نحو خمسة عشر يوما بالسير المعتدل . وجل هذه المسافة جبال صخرية جرداء قاحلة خالية عن النبات والعيون ما عدا القليل . وسكانها نحو ثلثمائة ألف نسمة حضرا وبدوا لا تدخل مهرة فهم كبادية حضرموت (أئمة اليمن / ٢٠٨) .

قال عنها ياقوت بدأ الكلام بمقدمة لغوية مفيدة كعادته فقال :

حضرموت : بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء والميم : اسمان مركبان ، طولها إحدى وسبعون درجة ، وعرضها اثنتا عشرة درجة ، فأما إعرابها فإن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعربت الثانى بإعراب ما لا ينصرف فقلت : هذا حضرَموتُ ، وإن شئت رفعت الأول فى حال الرفع وجررته ونصبته على حسب العوامل وأضفته على الثانى فقلت ؛ هذا حضرُموتٍ ، أعربت حضرا وخفضت موتا ، ولك أن تعرب الأول وتخير فى الثانى بين الصرف وتركه ، ومنهم من يضم ميمه فيخرجه مخرج عنكبوت ، وكذلك القول فى سر من رأى ورامهرمز، والنسبة إليه حضرمى ، والتصغير حضيرموت تصغير الصدر منهما ، وكذلك الجمع ، يقال : فلان من الحضارمة مثل المهالبة ، وقيل : سميت بحاضر ميت وهو أول من نزلها ، ثم خفف بإسقاط الألف ؛ قال ابن الكلبى : اسم حضرموت فى التوراة حاضرميت ، وقيل : سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالخ ، وقيل : اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس ابن وائلة بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وقيل : حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمى حضرموت لأنه كان إذا حضر حربا أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، ثم سكنت الضاد للتخفيف ، وقال أبو عبيدة : حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمى به ، فهو اسم موضع واسم قبيلة . وحضرموت : ناحية واسعة فى شرقى عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود ، عليه السلام ، وبقربها بئر برهوت، ولها مدينتان يقال لإحداهما تريم وللأخرى شبام ، وعندها قلاع وقرى؛ وقال ابن الفقيه : حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال، وبينه وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخا، وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخا، وقيل: مسيرة أحد عشر يوما ، وقال الإصطخرى : بين حضرموت وعدن مسيرة شهر.

وأما فتحها : فإن رسول الله ، ﷺ، كان قد راسل أهلها فيمن راسل فدخلوا فى طاعته وقدم عليه الأشعث بن قيس فى بضعة عشر راكبا مسلما ، فأكرمه رسول الله ، ﷺ، فلما أراد الانصراف سأل رسول الله ، ﷺ ، أن يولى عليهم رجلا منهم، فولى عليهم زياد بن لبيد البياضي الأنصارى وضم إليه كندة ، فبقى على ذلك إلى أن مات رسول الله ، ﷺ ، فارتدت بنو وليعة بن شرحبيل بن معاوية ؛ وكان من حديثه أن أبا بكر، رضى الله عنه ، كتب إلى زياد بن لبيد يخبره بوفاة النبى ، ﷺ، ويأمره بأخذ البيعة على من قبله من أهل حضرموت ، فقام فيهم زياد خطيبا وعرَّفهم موت النبى ، ﷺ، ودعاهم إلى بيعة أبى بكر ، فامتنع الأشعث بن قيس من البيعة واعتزل فى كثير من كندة وبايع زيادا خلق آخرون وانصرف إلى منزله وبكَّر لأخذ الصدقة كما كان يفعل، فأخذ فيما أخذ قلوصا من فتى من كندة ، فصيَّح الفتى وضج واستغاث بحارثة بن سراقة بن معدى كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد بن الحارث : الولادة يا أبا معدى كرب ! عقلت ابنة المهرة ، فأتى حارثة إلى زياد فقال : أطلق للغلام بكرته ، فأبى وقال : قد عقلتها ووسمتها بميسم السلطان ، فقال حارثة : أطلقها أيها الرجل طائعا قبل أن تطلقها وأنت كاره ! فقال زياد : لا والله لا أطلقها ولا نعمة عين ! فقام حارثة فحل عقالها وضرب على جنبها .

فخرجت القلوص تعدو إلى الأفها ، فجعل حارثة يقول :

يمنعها شيخ بخديه الشيب
مُلمَّع كما يلمَّع الثوب
ماض على الريب إذا كان الريب

فنهض زياد وصاح بأصحابه المسلمين ودعاهم إلى نصرة الله وكتابه ، فانحازت طائفة من المسلمين إلى زياد وجعل من ارتد ينحاز إلى حارثة ...

فكان زياد يقاتلهم نهارا إلى الليل ، وجاءه عبد له فأخبره أن ملوكهم الأربعة ، وهم : مخوس ومشرح وجمد وأبضعة وأختهم العمرَّدة بنو معدى كرب بن وليعة فى محجرهم قد ثملوا من الشراب ، فكبسهم وأخذهم وذبحهم ذبحا ؛ وقال زياد :

نحن قتلنا الأملاك الأربعه :
جمدا ومخوسا ومشرحا وأبضعه

وسموا ملوكا لأنه كان لكل واحد منهم واد يملكه ؛ قال : وأقبل زياد بالسبى والأموال فمر على الأشعث بن قيس وقومه فصرخ النساء والصبيان ، فحمى الأشعث أنفا وخرج فى جماعة من قومه فعرض لزياد ومن معه وأُصيب ناس من المسلمين وانهزموا ، فاجتمعت عظماء كندة على الأشعث فلما رأى ذلك زياد كتب إلى أبى بكر يستمده، فكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبى أمية ، وكان واليا على صنعاء قبل قتل الأسود العنسى ، فأمره بإنجاده ، فلقيا الأشعث ففضا جموعه وقتلا منهم مقتلة كبيرة ، فلجؤوا إلى النجير حصن لهم ، فحصرهم المسلمون حتى أجهدوا ، فطلب الأشعث الأمان لعدة منهم معلومة هو أحدهم ، فلقيه الجفشيش الكندى واسمه معدان بن الأسود بن معدى كرب، فأخذ بحقوه وقال : اجعلنى من العدة ، فأدخله وأخرج نفسه ونزل إلى زياد بن لبيد والمهاجر فقبضا عليه وبعثا به إلى أبى بكر، رضى الله عنه، أسيرا فى سنة ١٢ ، فجعل يكلم أبا بكر وأبو بكر يقول له: فعلت وفعلت ، فقال الأشعث : استبقنى لحربك فوالله ما كفرت بعد إسلامى ، ولكنى شححت على مالى فأطلقنى وزوجنى أختك أم فروة فإنى قد تبت مما صنعت ورجعت منه من منعى الصدقة ، فمن عليه أبو بكر، رضى الله عنه ، وزوجه أخته أم فروة ، ولما تزوجها دخل السوق فلم يمر به جزور إلا كشف عن عرقوبها وأعطى ثمنها وأطعم الناس، وولدت له أم فروة محمدا و إسحاق وأم قريبة وحبانة ، ولم يزل بالمدينة إلى أن سار إلى العراق غازيا ، ومات بالكوفة ، وصلى عليه الحسن بعد صلح معاوية (معجم البلدان ٢ / ٢٦٩ _ ٢٧١)

قال عنها صاحب أئمة اليمن فى زمانه :

ومن وفود حضرموت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائل بن حجر الحضرمى، وكليب بن أسد بن كليب الحضرمى القائل حال قدومه على رسول الله ﷺ :

من وشز برهوت تهوى بى عذافرة
إليك يا خير من يمشى وينتعل
تجوب فى صفصف غبرا مناهله
تزداد عفوا إذا ما كلت الإبل

شهـريـن أعملهـا نصبـا على وحـل
أرجـو بـذاك ثـواب الله يـا رجـل
أنـت النبي الـذى كنـا نخبّـره
وبشـرتنـا بـك التـوراة والـرسـل

وعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حضرموت هو زياد بن لبيد الأنصارى البياضى، وهاجر إليها السيد الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب سنة ٣١٧ سبع عشرة وثلاثمائة للهجرة .

وفيها من ذريته بالعصر الحاضر ذكورا و إناثا نحو خمسة عشر ألف نسمة ، وفى بلاد جاوى وما إليها منهم زيادة على عشرين ألف نسمة . وفى سنغافورة وما إليها من البلاد الهندية الصينية منهم نحو ثمانية آلاف نسمة . هكذا أفادنى شيخنا الحافظ الباحث المرشد محمد بن عقيل العلوى رحمه الله .

ومن أشهر قبائلها : قضاعة ، نواح ، نهد ، كندة ، مذحج، آل كثير، آل باجرى، آل جابر، العوامر، آل خرير، الجعدة، الحموم، الحسان، السيبان، العوابثة، بنوظنة وغيرهم .

وعاصمة البلاد الحضرمية مدينة تريم سكانها نحو عشرة آلاف نسمة ، وفيها نحو مائة وثلاثين مسجدا ، ومدينة شبام فيها نحو خمسة آلاف نسمة ونحو خمسة وعشرين مسجدا . ومدينة سيون سكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة ، وفيها نحو ثمانين مسجدا . ومدينة قعوضة العمودى سكانها نحو عشرة آلاف نسمة . ومدينة حريضة فيها نحو سبعة آلاف نسمة . ومدينة الحزيبة سكانها نحو سبعة آلاف نسمة . ومدينة قيدون سكانها نحو سبعة آلاف نسمة ، وفى أهلها يقول بعض الأدباء النبلاء :

مـررت بـوادى حضـرمـوت مسلّمـا
فألفيتـه بـالفضل مبتسمـا رحبـا
وألفيت فيـه مـن جهـابـذة العـلا
أفـاضل لا يلقـون شـرقـا ولا غـربـا

وبلاد مهرة تضاف إلى حضرموت عرفا وهى متصلة بظفار الحبوظى، وبعمان ورمالها وسكانها نحو المائة وثلاثين ألفا . ومن مزروعات البلاد الحضرمية الحنطة والذرة، والدخن.

وقال بعض الباحثين المعاصرين :

مساحة حضرموت على حدودها مائة وعشرون ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها مائتا ألف مسلم شافعى . وفيها حكومة القعيطيين ، وحكومة الكثيريين، وعاهدت حكومة القعيطيين الإنكليز فى سنة ١٣٠٦ ست وثلاثمائة وألف هجرية . والسلطان القعيطى فيها مصدر السلطة . وفى تاج العروس شرح القاموس من أسماء الفقهاء والمحدثين من الحضرميين بإملاء صحيفة كبيرة. وفى مرسية وغرناطة وإشبيلية وبطليوس وقرطبة وغيرها من البلاد الأندلسية من ينتسب إلى حضرموت (أئمة اليمن / ٢٠٨ـ ٢١٠) .

يقول الدكتور أحمد رمضان أحمد عند الكلام على حضرموت وكندة : لعل حضرموت . من أقدم الممالك العربية التى ما تزال تحتفظ باسمها منذ نشأتها حتى الآن، فقد سجله اليونان والرومان فى كتاباتهم ، وكذا فى الكتابات العربية الجنوبية ، وكانت منذ أقدم العهود مجاورة لمنازل (عاد) الذين كانوا يسكنون الأحقاف .

ويقال إنه نشأ بحضرموت قبيلتان ، إحداهما « مهرة » وهى من قضاعة ومن انضم إليها . والثانية قبيلة حضرموت وهى من « حمير » وقد سكنت « مهرة » ومن انضم إليهم من قضاعة سواحل حضرموت ، وهى ناحية الشحرة وهى مجموعة من البلدان تمتد إلى ظفار ، ولا تزال الناحية الشرقية من « الشجر » خاصة بهم أما الناحية الغربية منها فقد محى اسمهم منها .

أما القبيلة الثانية وهى حضرموت التى سميت الناحية باسمها فقد سكنت فيما بين الساحل والربع الخالى وخاصة الجهة الشرقية والوسطى من وادى حضرموت . ويرجع نسب «بنو حضرموت » كما يقول نشوان بن سعيد الحميرى إلى ابن سبأ الأصغر ابن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث ـ إلى أن ينتهى إلى ابن سبأ الأكبر بن يشجب .

أما عن الآثار التى اكتشفت فى موضع يقال له «الحريضة» بحضرموت ، فهى آثار معبد الإله « سين » أى معبد القمر ، كما عثر على عدد من الكتابات تبين أن بعضها سبئية وقد عثر فى حضرموت على مواضع كثيرة قديمة حضرمية وسبئية

ينسبها الناس إلى اليوم إلى « عاد » و« ثمود » ففى ملتقى «وادى منوة » بوادٍ ثقبة صخور كبيرة ، نقرت ومهدت لتكون مأوى ومواضع للسكنى كما وجدت على المرتفعات بقايا بيوت ومساكن ، وكذا كتابات دونت بلون أحمر قيل إنها كتابات سبئية ، وإنها أسماء أشخاص لعلها أسماء من اجتاز هذا المضيق سواء من المسافرين أو الجنود .

وقد ذهب بعض علماء الآثار واللغات القديمة إلى أن حضارة حضرموت وكذا باقى حضارة العربية الجنوبية ، كانت قد تأثرت بمؤثرات الحضارة العراقية فى بادئ الأمر وذلك فى عهد (المكربيين) ولكنها أخذت تبتعد عن مؤثرات الحضارة العراقية منذ القرن الأول قبل الميلاد ، بينما أخذت تتقرب من مؤثرات حضارة البحر المتوسط وكذا المؤثرات الحضارية الفارسية وذلك نتيجة اتصال الرومان والفرس بالعربية الجنوبية .

كما اكتشف فى حضرموت حصن أثرى عرف باسم «حصن عر » لعله من حصون ملوك حضرموت . وهو حصن عال يقع فى تل يرتفع قرابة خمسين قدما ، ولا تزال بقايا جدرانه وأبراجه قائمة .

كذلك أعطانا بعض المستكشفين الذين زاروا حضرموت وصف مواضع أثرية فى حضرموت مثل المكنون و « ثوبه » و «العر » كما اكتشفوا منطقة أثرية بحضرموت يزعم المجاورون لها أنها أرض عاد .

ويحدثنا علماء الآثار عن ميناء هام من موانى حضرموت يعرف باسم ميناء « قنا » كانت تنقل منه الصادرات والواردات إما بالبحر أو بالبر عن طريق القوافل ويقع هذا الميناء إلى الشرق من ميناء عدن ، كما يوجد بالقرب منه جزيرتان هما جزيرة « أورنيون » أو جزيرة الطيور والجزيرة الثانية هى جزيرة «ترولا » على أن أكثر الباحثين والأثريين أن ميناء « قنا » هو المحل المعروف الآن باسم « حصن غراب » . ويقع حصن غراب على مرتفع من الصخر الأسود على حرة من حرات البراكين وقد ورد اسمه فى الكتابات القديمة وقد سمى فيها باسم « عرمريت » و « عرماوية » وهو الاسم القديم للحصن الذى يعرف اليوم باسم « حصن غراب » (تطور علم التاريخ الإسلامى / ١١٧ ـ ١١٩) .

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٤ ، وأئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى ـ من مجاميع محمد بن يحيى بن أحمد زيادة الحسنى الصنعانى / ٢٠٨ ـ ٢١٠ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧١ ، وتطور علم التاريخ الإسلامى ـ د. أحمد رمضان أحمد / ١١٧ ـ ١١٩) .

انظر الخريطة المصاحبة لمادة « الأحقاف » فى م ٢ / ٩٨

* **الحضرة :**

الحضرة فى اللغة الفناء وحضرة الرجل قربه وفناؤه . وقد استعمل اللفظ كلقب فخرى ، وهو أحد ألقاب الكناية المكانية التى يطلق عليها فى مصطلح كتاب المماليك اسم «الألقاب الأصول » وقد استعير المكان للتعبير عن الشخص ، وهو بهذا المعنى « لقب أصل » لمؤنث غير حقيقى ، وهو من أوائل هذه الألقاب ظهورا . وتدل النقوش الأثرية والوثائق التاريخية على أنه كان مستعملا فى القرن الرابع الهجرى ، وربما بدأ أول ما بدأ للكناية عن الخليفة . وعندما احتجب الخلفاء وفوض إلى الوزراء الكتابة عنهم صار هؤلاء إذا أرادوا التعبير عن الخليفة فى مكاتباتهم يشيرون إلى مكانه بدلا من اسمه ، وذلك زيادة فى التوقير والاحترام . ولذا كان اللقب بالمكاتبات أخص .

وتؤيد بعض نسخ المكاتبات أنه كان يطلق فى المكاتبات على الخليفة فقد أورد ابن تغرى بردى كتابا كتبه يعقوب بن كلس عن الخليفة العزيز الفاطمى إلى عضد الدولة بحضرة الخليفة الطائع العباسى جاء فيه « وصل رسولك إلى حضرة أمير المؤمنين » وقد أجابه عضد الدولة بكتاب أشاد فيه بفضل أهل البيت وخاطب الخليفة الفاطمى « بالحضرة الشريفة » .

وإذا كان اللقب قد استعمل للتعبير عن الخليفة منذ ظهوره وكان يتصف « بالشريفة » تارة و « بالمطهرة » تارة أخرى إلا أنه قد استعمل مجردا من الصفات للإشارة إلى بنى بويه . ثم استعمله السلاجقة . ولم يقتصر استعماله على الخلفاء والملوك من المسلمين بل تعداهم إلى بعض الملوك من المسيحيين .

وفى العصر الأيوبى تدهورت قيمة اللقب فيقرر ابن شيث إنه خوطب به من هم دون الوزراء فى المرتبة فجعل مجلس الحضرة دون المجلس السامى . وفى عصر المماليك

استعمل اللقب فى حالات متعددة فأجاز كتاب ديوان الإنشاء أن يطلق لقب الحضرة على بعض ملوك الدول الإسلامية الأخرى حين المكاتبة إليهم من ديوان الإنشاء . ثم استعمل اللقب لملوك النصارى بإضافة أداة التعريف إليه أو مجرد عن أداة التعريف مع الإضافة . هذا وقد استعمل لفظ « الحضرة » فى بعض الألقاب المضافة إلى مثنى ، مثل « عميد الحضرتين » وهكذا

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٠٦ ، ١٠٧ ، عن الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٦٠ - ٢٦٤) .

*** الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف والرحلات مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٦١٣ جغرافيا ورحلات ٦٦ .

انظر الرحلة القدسية .

- كتاب وصف به رحلته من دمشق إلى القدس سنة ١١٠١ هـ وما زار فيها من أضرحة الأنبياء والأولياء والصالحين مع وصف كل منهم .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى الصالحى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الغنى عن عبده الفقير ، الذى يسر له الرحلة والمسير من دمشق نشأته إلى القدس حضرته ، على خيول العبادة والذكر ... هذه الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية جمعنا فيها لطائف الأخبار وظرائف الأشعار ...

آخره قصيدة مطلعها :

بحمـــد الله مــن ألهـم
وعنـــا قـــد أزال الهـم
ومنـــه زادنـــا فضـــلا
وبـــالتـــوفيق قـــد أنعم

آخرها :

وزاد الله إنعـــامـــا
علينـــا لـم يــزل أروم
ونلنـــا فضلـــه أرخ
(بــرحلــة قـدســه الأكــرم) ١١٠١

قد تم ما أوردنا جمعه والحمد لله

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد النابلسى .

تاريخ النسخ : الخميس جمادى الأولى سنة ١٣١٧ .

ملاحظات : بعد مقابلتها على المطبوعة تبين أن هذه أوسع بكثير من المطبوعة وأن المطبوعة قد تكون مختصرا لها .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات / ١٨٣٣ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو تراجم بعض أعيان دمشق ص ٦٧ .

طبعة الكتاب : ١ - طبع بمطبعة جريدة الإخلاص بمصر سنة ١٩٠٢ م بـ ٨٨ ص بعناية ديمترى أفندى نقولا صاحب مجلة الفكاهة .

٢ - بمصر سنة ١٩٧١ م على نفقة مكتبة القاهرة بـ ٨٨ ص

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣) .

*** الحضرة الحسينية :**

انظر الحسينى (المشهد - بكربلاء) .

*** الحضرى والسفرى من الآيات (علم -) :**

قال حاجى خليفة :

هو من فروع علم التفسير ذكره المولى أبو الخير لمجرد تكثير السواد وإلا فلا وجه لعده علما برأسه وكذا أكثر ما ذكره من التفاريع قال وأمثلة الحضرى كثيرة وأما أمثلة السفرى فقد ضبطوها وارتقت إلى نيف وأربعين كما فى الإتقان (كشف ١ / ٦٧١) .

ففى الإتقان جعل الإمام السيوطى النوع الثانى من أنواع علوم القرآن هو معرفة الحضرى والسفرى ، أما فى التحبير فقد جعله النوع الثالث والرابع . قال فى الإتقان .

أمثلة الحضرى كثيرة . وأما السفرى فله أمثلة تتبعتها . منها ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] نزلت بمكة عام حجة الوداع . فأخرج ابن أبى حاتم وابن

مردويه عن جابر قال : لما طاف النبى ﷺ قال له عمر : هذا مقام أبينا إبراهيم الخليل ؟ قال : نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت . وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب : أنه مر بمقام إبراهيم فقال : يا رسول الله أليس نقوم مقام خليل ربنا ؟ قال : بلى ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت . وقال ابن الحصار : نزلت إما فى عمرة القضاء أو فى غزوة الفتح أو فى حجة الوداع . ومنها .

﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ [البقرة : ١٨٩] روى ابن جرير عن الزهرى أنها نزلت فى عمرة الحديبية . وعن السدى أنها نزلت فى حجة الوداع . ومنها ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ [البقرة : ١٩٦] فأخرج ابن أبى حاتم عن صفوان بن أمية قال : « جاء رجل إلى النبى ﷺ مضمخ بالزعفران عليه جبة فقال : كيف تأمرنى فى عمرتى ؟ فنزلت ، فقال : أين السائل عن العمرة ؟ ألق عنك ثيابك ثم اغتسل » الحديث . ومنها ﴿ **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه**﴾ [البقرة : ١٩٦] نزلت بالحديبية ، كما أخرجه أحمد عن كعب بن عجرة الذى نزلت فيه ، والواحدى عن ابن عباس . ومنها ﴿ **آمن الرسول** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، قيل نزلت يوم فتح مكة ولم أقف له على دليل . ومنها ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه** ﴾ [البقرة : ٢٨١] نزلت بمنى عام حجة الوداع فيما أخرجه البيهقى فى الدلائل . ومنها ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول** ﴾ [آل عمران : ١٧٢] أخرج الطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس أنها نزلت بحمراء الأسد . ومنها : آية التيمم فى النساء أخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك أنها نزلت فى بعض أسفار النبى ﷺ. ومنها ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ [النساء : ٥٨] نزلت يوم الفتح فى جوف الكعبة كما أخرجه سنيد فى تفسيره عن ابن جريج ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس . ومنها ﴿**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ [النساء : ١٠٢] نزلت بعسفان بين الظهر والعصر كما أخرجه أحمد عن أبى عياش الزرقى . ومنها ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾ [النساء : ١٧٦] أخرج البزار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبى ﷺ فى مسير له .

ومنها : أول المائدة ، أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد أنها نزلت بمنى . وأخرج فى الدلائل عن أم عمرو عن عمها أنها نزلت فى مسير له ، وأخرج أبو عبيدة عن محمد بن كعب قال : نزلت سورة المائدة فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة . ومنها ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [المائدة : ٣] فى الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع . وله طرق كثيرة لكن أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى أنها نزلت يوم غدير خم . وأخرج مثله من حديث أبى هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذى الحجة مرجعه من حجة الوداع ، وكلاهما لا يصح . ومنها : آية التيمم فيها فى الصحيح عن عائشة أنها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة . وفى لفظ : بالبيداء أو بذات الجيش . قال ابن عبد البر فى التمهيد : يقال إنه كان فى غزوة بنى المصطلق . وجزم به فى الاستذكار وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان . وغزوة بنى المصطلق هى غزوة المريسيع . واستبعد ذلك بعض المتأخرين قال : لأن المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل ، وهذه القصة من ناحية خيبر لقول عائشة بالبيداء أو بذات الجيش ، وهما بين المدينة وخيبر كما جزم به النووى ، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هى ذو الحليفة . وقال أبو عبيد البكرى : البيداء هو الشرف الذى قدام ذى الحليفة من طريق مكة . قال : وذات الجيش من المدينة على بريد .

ومنها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم** ﴾ [المائدة : ١١] أخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل فى الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلعه الله على ذلك : ومنها ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ [المائدة : ٦٧] فى صحيح ابن حبان عن أبى هريرة أنها نزلت فى السفر. وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر أنها نزلت فى ذات الرقاع بأعلى نخل فى غزوة بنى أنمار . ومنها : أول الأنفال نزلت ببدر عقب الواقعة كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبى وقاص . ومنها ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ [الأنفال : ٩] نزلت ببدر أيضا كما أخرجه الترمذى عن عمر. ومنها ﴿**والذين يكنزون الذهب** ﴾ [التوبة : ٣٤] نزلت فى بعض أسفاره كما

أخرجه أحمد عن ثوبان . ومنها قوله تعالى : ﴿ لو كان عرضا قريبا ﴾ [التوبة : ٤٢] نـزلت فى غزوة تبوك كما أخـرجه ابن جرير عن ابـن عباس . ومنها ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنمـا كنا نخوض ونلعب ﴾ [التـوبة : ٦٥] نزلت فى غزوة تبـوك كما أخـرجه ابن أبى حـاتم عن ابن عمر . ومنهـا ﴿ ما كـان للنبى والذين آمنوا ﴾ [التوبة : ١١٣] أخرج الطبـرانى وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت لمـا خرج النبى ﷺ معتمرا وهبط من ثنية عسفان فـزار قبر أمه واستأذن فى الاستغفـار لها . ومنها : خـاتمـة النحل . أخـرج البيهقى فى الـدلائل والبـزار عن أبى هـريـرة أنهـا نـزلت بـأحـد والنبى ﷺ واقف على حمـزة حين استشهد وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى بن كعب أنها نزلت يوم فتح مكـة . ومنها : ﴿ وإن كادوا ليستفـزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ [الإسراء : ٧٦] أخرج أبو الشيخ والبيهقى فى الدلائل مـن طريق شهر بن حـوشب عن عبد الـرحمن بن غنم نـزلت فى تبـوك . ومنهـا : أول الحج . أخرج التـرمذى والحاكم عن عمران بن حصين قال : لما نزلت على النبى ﷺ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ولكن عذاب الله شـديد ﴾ [الحـج : ١ ، ٢] أنزلت عليـه هذه وهو فى سفـر، الحديث . وعن ابن مـردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عبـاس أنها نزلت فى مسيره فى غزوة بنى المصطلق .

ومنها ﴿ هذان خصمان ﴾ [الحج : ١٩] الآيـات ، قال القاضى جـلال الدين البلقينى : الظـاهر أنهـا نزلت يـوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بهذان .

ومنها ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ [الفرقان : ٤٥] قال ابن حبيب : نزلت بالطائف، ولم أقف له على مستنده .

ومنها : أول الـروم روى الترمذى عن أبى سعيد قـال : لما كان يـوم بدر ظهرت الروم على فـارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت ﴿ الم * غلبت الروم ﴾ إلى قوله ﴿بنصر الله ﴾ [الروم : ١ ـ ٥] قال التـرمذى : غلبت يعنى بـالفتح . ومنها ﴿واسأل من أرسلنـا قبلك من رسلنـا ﴾ [الـزخـرف : ٤٥] قـال ابن حبيب : نزلت ببيت المقدس ليلـة الإسراء ومنها ﴿ وكأين من قرية هى أشد قوة ﴾ [محمد : ١٣] قال السخاوى فى جمال القراء : قيل إن النبى ﷺ لمـا توجه مهاجرا إلى المـدينة وقف فنظر إلى مكة وبكى فنزلت .

ومنها : سورة الفتح . أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخـرمة ومـروان بن الحكم قالا : نـزلت سورة الفتح بين مكـة والمـدينـة فـى شأن الحـديبيـة من أولهـا إلى آخـرهـا . وفى المستـدرك أيضا من حـديث مجمع بن جـاريـة أن أولها نـزل بكراع الغميم . ومنها ﴿ يا أيهـا الناس إنـا خلقناكم مـن ذكر وأنثى ﴾ [الحجـرات : ١٣] أخـرج الـواحـدى عن ابن أبى مليكـة أنها نـزلت بمكة يـوم الفتح لمـا رقى بلال على ظهـر الكعبة وأذن فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة . ومنها ﴿ سيهزم الجمع ﴾ [القمر : ٤٥] قيل إنها نزلت يوم بدر ، حكـاه ابن الغرس ، وهو مردود لما سيأتى فى النوع الثانى عشر، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده ومنها : قال النسفى قوله تعالى ﴿ ثلة من الأولين ﴾ [الواقعة : ١٣] وقوله تعالى ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ [الواقعة : ٨١] نزلتـا فى سفره ﷺ إلى المـدينة ، ولم أقف لـه على مستند . ومنها ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكـذبون ﴾ [الواقعـة : ٨٢] أخـرج ابن أبى حاتم من طـريق يعقـوب عن مجاهـد عن أبى حرزة قال : نزلت فى رجل من الأنصار فى غـزوة تبوك لما نزلوا الحجر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك ، فدعا فأرسل الله سحـابة فأمطـرت عليهم حتى استقوا منهـا ، فقال رجل من المنافقين : إنما مطرنا بنـوء كذا ، فنزلت . ومنها آية الامتحان ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جـاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] أخرج ابن جرير عن الزهرى أنها نزلت بأسفل الحديبيـة ، ومنها : سورة المنافقين . أخرج التـرمذى عن زيـد بن أرقم أنهـا نـزلت ليـلا فى غزوة تبـوك . وأخرج عن سفيان أنها فى غـزوة بنى المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره . ومنهـا : سورة المرسلات . أخـرج الشيخان عن ابن مسعود قال « بينما نحن مع النبى ﷺ فى غار بمنى إذ نزلت عليه والمرسـلات » الحديث . ومنها : سورة المطففين أو بعضها ، حكـى النسفى وغيره أنها نـزلت فى سفـر الهجرة قبل دخولـه ﷺ المدينـة . ومنها : أول سـورة اقرأ ، نـزل بغار

حراء كما في الصحيحين . ومنها : سورة الكوثر . أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها نزلت يوم الحديبية ، وفيه نظر . ومنها : سورة النصر . أخرج البزار والبيهقى فى الدلائل عن ابن عمر قال : أنزلت هذه السورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع ، فأمر بناقته القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة (الإتقان ١ / ٢٤-٢٧) .

كما أورد الإمام السيوطى « الحضرى والسفرى » أيضا فى « التحبير » باعتبارها النوعين الثالث والرابع من علم التفسير وفيه بعض ما أورده فى « الإتقان » فقال الحضرى والسفرى : الأول كثير، وللثانى أمثلة ذكر البلقينى منها قليلا :

أحدها : وهو مما لم يذكره ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

ففى الصحيح من حديث كعب بن عجرة قال : كنا مع النبى ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وكانت لى وفرة فجعلت الهوام تتساقط على وجهى فمر بى النبى ﷺ فقال : أيؤذيك هوام رأسك ؟ فقلت : نعم فأنزلت هذه الآية .

ثانيها : ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] نزلت بمنى فيما رواه البيهقى فى الدلائل .

ثالثها : ﴿ ءامن الرسول ... ﴾ [البقرة : ٢٨٥] إلى آخر السورة ، قيل : نزلت يوم فتح مكة .

رابعها : ولم يذكره البلقينى ﴿ ليس لك من الأمر شىء ﴾ [آل عمران : ١٢٨] نزلت بأحد ، فروى الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم أحد : اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن صفوان بن أمية ، فنزلت : ﴿ ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم ... ﴾ وفى الصحيح أن ذلك كان فى الركعة الأخيرة من صلاة الصبح

خامسها : ولم يذكره ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ [آل عمران : ١٤٤] نزلت بأُحد ، فقد روى البيهقى فى الدلائل من طريق آدم عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن أبيه أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال له : أشعرت أن محمد قد قُتل ؟ فقال : إن كان محمد قد قُتل فقد بلَّغ ، فقاتلوا عن دينكم فنزلت .

سادسها : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء : ٥٨] نزلت يوم الفتح فى شأن مفتاح الكعبة .

سابعها : آية الكلالة - نزلت بين مكة والمدينة مرجعه ﷺ من حجة الوداع .

ثامنها : ولم يذكره : أول المائدة ، ففى شعب الإيمان من طريق سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة المائدة على النبى ﷺ بمنى إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة ، وفى الدلائل من حديث عاصم الأحول عن أم عمرو بنت عيسى عن عمها : كان النبى ﷺ فى مسير فنزلت عليه سورة المائدة فاندقَّت كتف راحلته العضباء من ثقل السورة .

وروى أبو عبيد عن عمر بن طارق عن يحيى بن أيوب عن أبى صخر عن محمد بن كعب القرظى قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته فانصدع كتفها فنزل عنها رسول الله ﷺ

تاسعها : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] ففى الصحيح من حديث عمر أنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع .

عاشرها : آية التيمم ، ففيه من حديث عائشة : أنها نزلت بالبيداء أو بذات الجيش قرب المدينة فى القفول من غزوة المريسيع .

حادى عشرها : أول الأنفال ، فقد روى أحمد عن سعد ابن أبى وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به النبى ﷺ فقال : اذهب فاطرحه ، فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى ، قال : فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال فقال رسول الله ﷺ : اذهب فخذ سيفك .

ثانى عشرها : ولم يذكره : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ [الأنفال : ٩] ففى الصحيح عن عمر قال : نظر النبى ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ، وجعل يهتف بربه فأنزل الله هذه الآية .

ثالث عشرها : ولم يذكره : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾

الآية [الأنفال : ١٦] روى النسائي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم بدر .

رابع عشرها : آيات من أثناء براءة في غزوة تبوك .

خامس عشرها : ولم يذكره : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ... ﴾ الآيتين [التوبة : ١١٣ ، ١١٤] فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس أنه ﷺ لما أقبل من غزوة واعتمر، فلما هبط من ثنية عسفان نزل على قبر أمه وبكى ودعا الله أن يأذن له في الشفاعة لها فنزل جبريل بهاتين الآيتين .

سادس عشرها : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ... ﴾ إلى آخر السورة . فأخرج البيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به ، فذكر الحديث إلى أن قال : لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ إلى آخر السورة ، فهو صريح في نزولها بأحد، وعزى البلقيني هذا الحديث إلى الغيلانيات وهو قصور .

وأخرج الترمذي من حديث أبي بن كعب قال : لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال : فلما كان يوم الفتح أنزل الله : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [النحل : ١٢٦] قال الترمذي: حسن غريب ، قال البلقيني : وقد يقال لا معارضة بين الحديثين لأن إعمال هذا الصبر إنما وقع يوم فتح مكة .

قلت : المعارضة واقعة بين قوله نزلت والنبي واقف على حمزة ووقوفه بأحد، وقوله : فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ، وأي جمع حصل من كلامه المذكور ؟ وإنما يجمع بما تقدم عن ابن الحصار أنها نزلت أولا : بمكة ثم ثانيا: بأحد ثم ثالث : يوم الفتح تذكيرا من الله لعباده .

سابع عشرها : ولم يذكره أول الحج ، ففي الترمذي عن عمران بن حصين قال : أنزلت على النبي ﷺ : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ إلى قوله : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] وهو في سفر فقال : أتدرون أي يوم ذلك ؟ الحديث . وفي المستدرك عن أنس مثله .

ثامن عشرها : ﴿ هذان خصمان اختصموا ﴾ إلى قوله : ﴿ الحميد ﴾ [الحج : ١٩ ـ ٢٥] ففي البخاري عن أبي ذر أنه كان يقسم أن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه ، وعتبة وصاحبيه .

قال البلقيني : فالظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بهذين .

تاسع عشرها : ولم يذكره ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ... ﴾ [الحج : ٣٩] ـــ ففي المستدرك عن ابن عباس : لما أخرج أهل مكة النبي ﷺ قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت هذه الآية .

قال ابن الحصار : استنبط بعضهم من هذا الحديث أنها نزلت في سفر الهجرة .

العشرون : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ... ﴾ [القصص : ٨٥] قيل : نزلت بالجحفة في سفر الهجرة .

الحادي والعشرون : أول الروم كما تقدم .

الثاني والعشرون : سورة الفتح بجملتها ، كذا قال البلقيني وتمسك بظاهر ما رواه البخاري من حديث عمر : بينما هو يسير مع النبي ﷺ فذكر الحديث وفيه : فقال رسول الله ﷺ : لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس فقرأ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [الفتح : ١ ، ٢] ولا دليل فيه على نزولها تلك الليلة ، بل النازل فيها أولها وقد وردت أحاديث بنزول سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . لطيفة : ورد تبيين الموضع الذي نزلت فيه وهو كراع الغميم رواه الحاكم أيضا .

الثالث والعشرون : ولم يذكره : سورة المنافقون ، فقد روى الترمذي من طريق إسرائيل عن السدي عن أبي سعيد الأزدي قال : أخبرنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ

وكان معنا ناس من الأعراب ، فسبق أعرابى فملأ الحوض ، فأتى رجل من الأنصار أعرابيا فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه ورفع الأعرابى خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجه ، فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب وقال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ثم قال لأصحابه : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأخبرت عمى فأخبر رسول الله ﷺ فحلف وجحد قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنى فجاء عمى فقال : ما أردت إلى أن مقتك رسول الله ﷺ وكذّبك فوقع علىَّ من الهم ما لم يقع على أحد ، فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ فى سفر قد خفقت رأسى من الهم إذ أتانى رسول الله ﷺ فعرك أُذنى وضحك فى وجهى فلحقنى أبو بكر فقال : ما قال لك رسول الله ؟ قلت : ما قال شيئا إلا أنه عرك أُذنى وضحك فى وجهى : فقال : أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين قال الترمذى : حسن صحيح .

ففى هذا الحديث مع كونها نزلت بالسفر ما يقتضى أنها نزلت بالليل ثم روى أيضا من حديثه أن ذلك فى غزوة تبوك ، ومن حديث جابر بن عبد الله نحو ذلك ، وفيه قال سفيان : يروون أنها نزلت فى غزوة بنى المصطلق وقال فى كل من الحديثين حسن صحيح ، وهو فى الصحيحين بدون قول سفيان وذكر ابن إسحاق أيضا أنها نزلت فى غزوة بنى المصطلق .

الرابع والعشرون : سورة النصر ، روى البيهقى والبزار عن ابن عمر أنها نزلت أواسط أيام التشريق عام حجة الوداع (التحبير / ٢٨-٣٣) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٧١ ، والإتقان فى علوم القرآن للشيخ الإمام أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى ١ / ٢٤-٢٧ ، والتحبير فى علم التفسير للسيوطى أيضا / ٢٨-٣٣) .

*** حضيرة القدس :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩١٦

رسالة فى أن الفاتحة هى حضيرة القدس وما ورد فى فضائلها وخواصها .

المؤلف : ؟

أولها : عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لما أنزل الله فاتحة الكتاب وآية الكرسى وشهد الله ... » .

آخرها :

عساك يا رب تزيل الشقا
وتؤمن الخوف بحسن المتاب
وتجبر المكسور يا سيدى
ويسمع المسكين رد الجواب

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٣ ، ٤٥٤) .

*** الحط (فن) :**

انظر : الحطيات .

*** الحطاب (٩٠٢-٩٥٤ هـ / ١٤٩٦-١٥٤٧ م) :**

أدرجه صاحب الفتح المبين تحت عنوان « الحطاب المالكى » وقال عنه :

نسبه وشيوخه ومكانته وتلاميذه :

محمد بن محمد الحطاب المكنى بأبى عبد الله . ولد بمكة ونشأ بها ، وأخذ عن والده ، ومحمد بن عبد الغفار ، والعارف بالله محمد بن عراف ، وقاضى المدينة محمد بن أحمد السخاوى ، وعبد الحق السنباطى وغيرهم من أفاضل العلماء ، وكان حافظا محققا ورعا متبحراً فى العلوم نقليها وعقليها ، وكان قوى العارضة فى المجادلة . أخذ عنه ابنه يحيى ، وعبد الرحمن التاجورى ، ومحمد المكى ، ومحمد القيسى وغيرهم .

مصنفاته ووفاته :

له مؤلفات عدة تدل على تبحره فى العلوم ، وقوة ملكته ،

وجودة فهمه ، وكان يستدرك على كثير ممن تقدمه من العلماء والجهابذة كابن عرفة وابن عبد السلام والسيوطي .

ومن مؤلفاته : مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل ست مجلدات في فقه المالكية وقرة العين شرح ورقات إمام الحرمين في الأصول، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام (يأتي الكلام عنه فيما بعد) ، والقول المبين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين ، وكتاب استقبال عين القبلة وجهتها، وحاشية على البيضاوي ، وحاشية على الإحياء، وشرح قواعد عياض، وتعليق على ابن الحاجب، وهدية السالك المحتاج في مناسك الحج .

توفي بطرابلس الغرب سنة ٩٥٤ (الفتح المبين ٣/ ٧٥) .

ويضيف الدكتور الزحيلي إلى هذه المصنفات : « شرح نظم نظائر رسالة القيرواني لابن غازي » و « تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب » و« استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة » و «جزءان في اللغة » و « تفسير القرآن » لم يكمله (مرجع العلوم الإسلامية / ٤١٣) .

ولما كان قد فاتنا إدراج كتاب « تحرير الكلام في مسائل الالتزام » في حرف التاء فقد رأينا أن ندرجه هنا إتماما للفائدة يقول عنه الدكتور عبد السلام محمد الشريف في بحث له بعنوان « الحطاب وكتابه تحرير الكلام في مسائل الالتزام» : إنه تصنيف فريد من نوعه لم يسبقه أحد إلى مثله كما قال هو نفسه (أي الحطاب) في مقدمة كتابه : « لم يكن له في كتب أهل المذهب باب ولا فصل مقرر ولا علمت فيه مصنفا يؤخذ حكمه منه ويحرر بل مسائله متفرقة في الكتب والأبواب » .

وهو كتاب حسن في موضوعه ، عظيم النفع في مجاله ، لا يستغني عنه المتخصصون من رجال الفقه والقضاء ، يغني عن غيره ولا يغني غيره عنه . ويمضي الدكتور في بحثه فيقول :

منهج الحطاب في تأليف الكتاب

المتتبع لكتاب الحطاب يلاحظ من حيث الأسلوب أن أبرز ما يتميز به البساطة في التعبير والابتعاد عن كل تعقيد فقد اختار الأسلوب الذي يفهمه المتخصص وغير المتخصص هدفه من وراء ذلك إشاعة العدل بين الناس فيما يتعلق بالمعاملات الالتزامية ، ووسيلته الوحيدة لبلوغ هذا الهدف هو اجتهاده الشخصي من جهة واعتماده على ما خلفه علماء التوثيق أمثال المتبطي وابن سلمون وابن زرب وابن سهل والبرزلي وابن عبد الرفيع وابن هشام وغيرهم من جهة أخرى .

وأما من حيث المنهج فقد اعتمد الحطاب المنهج الاستقرائي لمسائل الالتزام من أمهات كتب المذهب ولم يكتف بالنقل على عادة غيره من علماء عصره بل كان يتعقب جل مسائل الالتزام التي يعثر عليها في مظانها إن لم نقل كلها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نبوغ الحطاب ونضجه العلمي، وأنه في حلبة الفقه فارس مغوار ويكفي ، دليلا على ذلك نظريته في الالتزام ، في كتابه تحرير الكلام .

مصادر الكتاب المطبوع منها والمخطوط

استقى الحطاب المادة العلمية لكتابه تحرير الكلام من مصادر معروفة مشهورة في المذهب وإليك حوصلة لبعض ما تيسر لنا الاطلاع عليه منها وهي :

١ ـ الموطأ الذي رواه عن الإمام مالك العديد من العلماء لا يقدم الحطاب عليه غيره .

٢ ـ المدونة الكبرى رواية سحنون بن سعيد القيرواني ت ٢٤٠ هـ قال أبو الحسن الصغير : المدونة أفضل كتب المالكية مقدمة على غيرها من الدواوين ولا يوجد ديوان في الفقه بعد الموطأ أفيد منها ، وهي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو ، وهي التي تسمى الأم ، وتعرف بالمدونة والمختلطة .

٣ ـ المستخرجة وهي العتبية لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد العزيز القرطبي ت ٢٥٥ هـ وتتناول مسائل خلافية في الفقه .

٤ ـ البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل لابن رشد الجد ت ٥٢٠ هـ وهو موسوعة فقهية تتكون من أجزاء كثيرة ألفه صاحبه على المستخرجة .

وقفت على نسخة خطية منه في خمسة أجزاء بدار الكتب

الوطنية بتونس وقد سهَّل الله أخيرا طبع الكتاب وإخراجه للناس فى طبعة جميلة أنيقة عن دار الغرب الإسلامى سنة ١٩٨٥ م .

٥ - مختصر ابن الحاجب الفقهى المسمى جامع الأمهات والمختصر يشتمل على جمع الأقوال من الأمهات وأكثر هذه الأقوال مقال عن الترجيح والتصحيح .

وقد اعتمد ابن الحاجب فى جميع مختصره أسلوبا مبتكرا فى اختصار المسائل الفقهية انفرد به حتى قيل إن كتابه على اختصاره وصغر حجمه جمع أربعين ألف مسألة ذكر ذلك ابن دقيق العيد .

وقد اعتنى بهذا المختصر العلماء ، ودونوا عليه الدواوين شرحا وتعليقا .

توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٧٧٩١ ، اطلعت عليها واستفدت منها فى توثيق النصوص .

٦ - مختصر الشيخ خليل بن إسحاق الجندى ت ٧٧٦ هـ وهو مختصر مهم فى بيان ما به الفتوى وما هو الراجح وطرح الاختلاف باعتماد ما قرر لديه ، وكان فى تعينه للمراجع المعتمد موفقا كل التوفيق ، وبذلك امتاز عن غيره من المختصرات وتعلق به العلماء شرحا وتعليقا حتى بلغ ما كتب عليه مائة شرح أو يزيد .

٧ - معين الكلام لإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعى ت ٧٢٣ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣١٠١٣ وقد قام أحد الطلبة بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتحقيق الجزء الخاص بأحكام الأسرة وذلك فى نطاق أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة .

٨ - الإعلام بنوازل الأحكام لعيسى بن سهل الأزدى أبو الإصبغ ت ٤٨٦ هـ قال عنه ابن فرحون فى الديباج (جـ ٢ ص ٧٠ وما بعدها) بأنه كتاب حسن عول عليه شيوخ الفتوى والحكام وقد اعتنى بهذا الكتاب الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف وقام بدراسة مجموعة مختاره من الوثائق كشف لنا من خلالها جوانب بالغة القيمة من حياة المجتمع الأندلسى خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخه الإسلامى .

٩ - تبصرة اللخمى - على بن محمد الربعى ت ٤٦٨ هـ قال عنها ابن فرحون : « هى تعليق كبير على المدونة » توجد نسخة خطية بمكتبة الجامع الأعظم بمدينة تازه بالمغرب رقم تصنيفها ٢١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١٩ .

١٠ - التوضيح للشيخ خليل وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب توجد نسخة خطية اطلعت عليها بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٢٢٥٥ ، ١٢٢٥٦ - وأخرى بجامعة قاريونس تحت رقم ١٠١١ .

١١ - الشامل للشيخ بهرام . قال الشيخ زروق : جمع كل ما حصله فى شامله . اطلعت على جزء منه مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٣٧٦٢ .

١٢ - نوازل البرزلى وقيل ديوان البرزلى أو فتاوى البرزلى وعنوانه « جامع سائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام » .

وهو أهم أثر من آثار البرزلى العلمية القيمة كيف لا وقد وصفه أستاذه وشيخه الإمام ابن عرفة حيث قال فى مقولته الشهيرة (كيف أنام وأنا بين أسدين الأبى بفهمه وعقله ، والبرزلى بحفظه ونقله) .

وقفت على نسخة مخطوطة للنوازل بدار الكتب الوطنية بتونس فى أربعة أجزاء أرقامها كالآتى ١٢٧٩٢ ، ١٢٧٩٣ ، ١٢٧٩٤ ، ١٢٧٩٥ ، وللكتاب نسخ أخرى متعددة .

وصف الكتاب ابن مريم بقوله إنه الديوان الكبير فى الفقه والفتوى ، وهو من كتب المذهب الأصيلة أجاد فيه البرزلى ما شاء (ابن مريم : البستاذ ص ١٥٢) .

١٣ - مختصر جامع الدعوى والإقرار والإنكار لأبى عبد الله محمد بن الحسن الرعينى وقفت على نسخة خطية منه بمكتبة الأوقاف سابقا ، والتى آلت إلى مركز جهاد الليبيين أخيرا والرقم هو ٥٩٩ ح ١ - ٢٥٥ وللكتاب نسخة خطية أخرى

وقد حاولت مع زميلى الدكتور محمد أبو الأجفان أستاذ الفقه بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين التعرف على

المؤلف فيما تيسر لنا الاطلاع عليه من كتب التراجم والسير فلم نظفر بشيء وربما يعثر على ترجمة للمؤلف أحد المتخصصين من أهل الخبرة ويتم إخراج الكتاب على الوجه المطلوب .

١٤ ـ مختصر ابن عرفة الفقهي ت ٨٠٣ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه مختلفة الأجزاء بدار الكتب الوطنية بتونس أرقامها كالآتي ١٠٨٤٤ ، ١٢٨٤٧ ، ١٠٨٤٦ ، ١٠٨٤٨ .

١٥ـ ابن ناجي على المدونة له شرحان على المدونة الأول يسمى بالشتوي والثاني يسمى بالصيفي وقفت على الأول بدار الكتب الوطنية بتونس مخطوط تحت رقم ١٢٥١٧ ، ١٢٥١٨ ، ١٣٧٦ .

١٦ ـ الجواهر لصاحبه أبي محمد عبد الله بن شاس ت ٦١٠ هـ ، وهو كتاب ألفه على طريقة الغزالي سماه «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » قال ابن فرحون : « فيه دلالة على غزارة علمه ، والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده » .

وقفت على نسخة خطية منه رقم تصنيفها بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٣٩٨٢ ، ١٣٩٨٣ .

١٧ ـ شرح ابن عبد السلام على مختصر ابن الحاجب .

وقفت على نسخة خطية من هذا الشرح بدار الكتب الوطنية بتونس أرقامها كالآتي ١٢٢٤٢ ، ١٢٢٤٣ ، ١٢٢٤٤ ، ١٢٢٤٥ ، ١٢٢٤٦ والشرح يعتبر خلاصة دروس ابن عبد السلام ت ٧٤٩ هـ جاء فيه بأسلوب مبتكر في التدريس والتأليف سلك فيه طريقة التعليل وتوليد البحوث والمسائل مما أصبح به فريدا من نوعه .

١٨ ـ التفريع لابن الجلاب ـ عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري ت ٣٧٨ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣٤٩٩ وله نسخ أخرى في مكتبات العالم وقد تم تحقيقه ونشره أخيرا عن دار الغرب الإسلامي خلال عام ١٩٨٥ م .

هذه قائمة ببعض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها الحطاب في تأليف كتابه القيم وغيرها كثير ضربت عن ذكرها طلبا للاختصار، ومن رام مزيدا من التفصيل يمكنه مراجعة كتاب تحرير الكلام القسم الدراسي بتحقيقنا .

وإن كان لنا من كلمة أخيرة حول مصادر الحطاب نقول إن هذه المصادر المتنوعة تدل على سعة اطلاع الحطاب وقدرته الفائقة على جمع المصادر واختيارها ، وهذا يحتاج إلى غزارة في العلم وقوة إرادة وجميل صبر على البحث والاستقراء .

محتويات كتاب تحرير الكلام :

افتتح الحطاب كتابه بتمهيد بليغ تحدث فيه عن السبب الذي حمله على تأليفه ، وأنه تأليف مبتكر لم يسبق إلى مثله رغم شيوع الحكم بالالتزام في الفكر المالكي وكثر السؤال عن الالتزام عند التشاجر والخصام لم يفرد من ألف في الفقه بابا ولا فصلاً يجمع فيه مسائل الالتزام بل تركت مسائله متفرقة في الكتب والأبواب إلى أن تنبه الحطاب إلى ضرورة وضع مصنف يؤخذ منه حكم الالتزام ويقرر، وأنه لا بد من جمع مسائله وضمها إلى بعضها لأن الحكم بالالتزام مع تفرق مسائله ليس بصواب فأقبل على جمع ما تيسر له من مسائله ، وضبط أقسامه ، وتبيين مشكله ، وتحرير أحكامه ورتبه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ، أما المقدمة ففي بيان معنى الالتزام وبيان أركانه وشروط كل ركن منها .

وأما الباب الأول ففي الالتزام الذي ليس بمعلق وهو إلزام الشخص نفسه شيئا من المعروف من غير تعليق على شيء، وبذلك شمل الصدقة والهبة والحبس والعارية والعمرى والعرية والمنحة والإرفاق والإخدام والإسكان والنذر إذا كان غير معلق والضمان والالتزام بالمعنى الأخص أعني بلفظ الالتزام ، تحدث بشيء من التفصيل عن هذه المسائل في فصول تحتها فروع .

والباب الثاني خصصه في الالتزام المعلق على فعل الملتزم بكسر الزاي وهو على نوعين :

أ ـ إما أن يكون القصد بالالتزام الامتناع من ذلك الفعل المعلق عليه كقوله لزوجته إن تزوجت عليك فلك ألف دينار .

ب ـ وإما أن يكون القصد منه حصول ذلك الفعل كقوله إن قدمت من هـذا السفر فلفلان على ألف دينار وهـذا النوع من باب النذر .

والبـاب الثـالث تكلم فيـه عن الالتـزام المعلق على فعل الملتزم له بفتح الزاى وهو على سبعة أنواع :

١ ـ النـوع الأول : فى الالتـزام المعلق على الفعل الـذى ليس باختيارى كقوله لزوجتـه إن ولدت غلاما فلك كذا وكذا ، وحكمه إن وجـد المعلق عليه حكم الالتـزام المعلق فى الزوج والقضاء به .

٢ ـ النوع الثـانى : فى الالتزام المعلق على الفعل الواجب على الملتـزم به بفتح الـزاى كقـوله إن جئتنى بعبـدى الآبق أو بعيرى الشارد أو متاعى الضائع فلك عندى كذا وكذا فإن ذلك غير لازم للملتزم ، ولا يحكـم به عليه هذا إذا كـان واجبا عليه على التعيين أمـا مـا كـان واجبـا على الكفايـة فيلـزم الالتـزام المعلق عليه كقوله إن غسلت هذا الميت فلك كذا وكذا .

٣ ـ النوع الثـالث : فى الالتزام المعلق على فعل محـرم على الملتـزم له كقـوله إن قتلت فـلانـا أو شربت خمـرا فلك عندى كذا وكذا ، وحكمه أن ذلك غير لازم .

٤ ـ النـوع الرابع : فى الالتـزام المعلق على الفعل الجائز الذى لا منفعـة فيه لأحد كقـوله لرجل إن صعـدت هذا الجبل فلك كـذا وكـذا وهو من بـاب الجعل ، وقـد اختلف فيـه هل يشترط أن يكون فى العمل المجعول عليه منفعة أم لا يشترط ؟ على قولين المشهور منهما اشتراط المنفعة للجاعل .

٥ ـ النـوع الخامس : فى الالتزام المعلق الذى فيـه منفعة للملتزم بكسـر الزاى ، وهو على أربعة أوجـه وتحت كل وجه من الوجوه الأربعة فروع .

٦ ـ النوع السـادس : فى الالتزام المعلق على الفعل الذى فيه منفعـة للملتزم له بفتح الزاى كقـولك لشخص إن تزوجت فلك كـذا ، وحكمــه حكم الالتـزام المعلق علـى غيـر فعل الملتزم والملتزم له .

٧ ـ النـوع السابع : فى الالتـزام المعلق على الفعل الذى فيه منفعـة لغير الملتـزم والملتزم لـه كقولك إن أسكنت فـلانا دارك سنة فلك عندى كذا وكذا .

والبـاب الـرابع جعلـه فى الالتـزام المعلق على غيـر فعل الملتزم والملتزم له ، وحكمه حكم الالتزام المعلق .

والخاتمـة فى التنبيه على مسـائل حكم فيها بعـدم اللزوم لكونها من باب إسقاط الحق قبل وجوبه أو لكون الالتزام فيها مخـالفـا لمقتضى العقد ، وفيهـا فصـلان : الأول فى إسقـاط الحق قبل وجوبه ، ويندرج تحت هـذا العنوان مسائل عديدة تتعلق بالشفعة والـوصية والهبة والإبراء والحضـانة والقصاص والعيب والمهر والجائحة وغير ذلك .

والثانى فى الشـروط المنافيـة لمقتضى العقد وفيـه مسائل تتعلق بالشروط فى النكاح والخلع والبيع والقرض والرهن .

وختم الحطاب كتـابه بالتـأكيد على بلوغ الهـدف و إنجاز الغرض الذى قصده فى بيان أنـواع الالتزام وأقسامه فجاء بعون الله كتـابا مفيـدا فى بابـه عظيم النفع لمن أمعن النظر فيـه من طلاب العلم والمعرفة .

إن الاهتمام بتحقيق نـوادر المخطوطـات من كتب التراث الإسلامى لهو عمل عظيم حقا تفتخـر بـه المكتبـة الإسلاميـة لا سيما مصنفـات الحطاب الشهيـرة المحشوة بـالمعلومـات المفيدة والتحقيقات الفريدة .

وكتاب الحطاب « تحرير الكلام » أبرز فيه نوعا خاصا من الابتكار فى ميـدان التأليف وسلك فيه مسلكا لم يسلكـه غيره فى توليد المسـائل الفقهية وتبويبها وتقسيمها مع دقـة عرضها وتحليلها وتـوثيقها لذلك فهو جـدير بأن ينال عنايـة كبيرة من قبل الباحثين والمتخصصين بتحقيقه ودراسته ونشره بين الناس ليعم نفعه فى الحـاضر والمستقبل كما عم نفعـه فى الماضى خصوصا وأنه بحث فقهى رفيع المستوى يحتاج إليه أهل الفقه والمنخرطين فى سلك القضـاء والمحاماة والمهتمين بـالفتوى والتشريع .

ومما يدل على أهمية الكتاب وتداوله بين أهل الاختصاص منـذ عصـر المؤلـف كثرة نسخـه وانتشـارهـا شـرقا وغـربـا ، واختـلاف تواريخ النسخ حتى أن الشيخ عليش أدرج الكتـاب بـرمتـه فى فتـاويـه المشهـورة عنـدمـا سئل عن مسألـة تتعلق بموضـوع الالتزام فأجـاب بما حـواه الكتاب من المقـدمة إلى

الخاتمة (الشيخ عليش . فتح العلى المالك ١ / ٢١٧ وما بعدها . الطبعة الأخيرة . مطبعة الحلبى) .

قيمة الكتاب العلمية :

إن الفقه الإسلامى من أثرى العلوم لما توفر له من أفكار واقعية عملت طوال قرون ـ وفق معطيات الواقع وملابساته ـ على تنمية الاجتهاد الذى كان ميدانا للأفكار الواقعية والكشف عنها ، وإيجاد الحلول لها ، وحمل الناس عليها قولا وعملا ، ولكن هذه الثروة الفقهية بقدر اتساعها كانت عسيرة على الباحثين إلا من أوتى قوة فى الفهم وعمقا فى التحليل مثل الحطاب ، وهذه الناحية المستعصية فى الفقه لم تخف على علماء الإسلام فحاولوا تقريب الفقه بوسائل وطرق خاصة لكى يجد الباحث ضالته ويظفر بالمسألة بسهولة ويسر .

ولعل الأمر الذى حمل العلماء المتأخرين إلى الدعوة لتقريب الفقه إحساسهم بأهمية وعظمة الثروة الفقهية التى خلفها فقهاء السلف هذه الثروة المستمدة من صميم الأصول الإسلامية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والصالحة فى أصولها وفروعها لمسايرة العقل البشرى فى مختلف العصور وتباين الأزمان .

ولقد استفاد من هذه الثروة الفقهية الهائلة المسلمون وغيرهم على حد سواء يشهد بذلك الدراسات المقارنة والتى تشير بوضوح إلى أن أهم القوانين الوضعية وهى القوانين الفرنسية اقتبست من الفقه الإسلامى واعتمدته أصلا وبخاصة الاجتهاد المالكى .

وبذلك اهتمت الجامعات الفرنسية بدراسة موطأ مالك وكانت تحرض الطلبة المسلمين المهتمين بالشريعة الإسلامية على أن تكون بحوثهم منصبة على دراسة وتحليل موطأ مالك باعتباره أساس المدرسة الفكرية المالكية .

ومن أبرز ما يمتاز به كتاب تحرير الكلام منهجه المتميز بخصائص غير موجودة ولا متوفرة فى غيره ، ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا إن مسلك المؤلف فى تأليف هذا الكتاب يتمثل فى تقريب المسائل الفقهية من الباحث ، والكشف عنها فى مظانها حتى لا يترك الباحث يتيه فى صحراء كأنها لا نهاية لها لكثرة تشعب المسائل وصعوبة استخراجها من الأمهات ...

ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا إن الحطاب أسس نظرية الالتزام فى الشريعة الإسلامية وفق مبادئ وأسس انتهى إليها الحطاب ، واستخلصها من كتب الفروع .

والاعتقاد السائد عند فقهاء القانون الوضعى حتى اليوم ممن لم يتيسر لهم الاطلاع على هذا الكتاب بأن نظرية الالتزام ينفرد بها القانون الوضعى ، وإن الشريعة الإسلامية لا تعرف هذا النوع من التصرفات الالتزامية .

ولكن بعد أن يسر الله لنا تحقيق هذا الكتاب ونشره هلل الجميع وكبروا واعترفوا بأن الفقه الإسلامى نظام كامل شامل لكل ما تتطلبه الحياة البشرية العامة والخاصة للأفراد والجماعات فى كل زمان ومكان .

ولعل من المفيد فى النهاية التذكير بالأسس التى بنى عليها الحطاب نظرية الالتزام وهى كالآتى :

١ ـ للالتزام عند الحطاب أركان أربعة الملتزم والملتزم له والملتزم به والصيغة .

٢ ـ قسم الحطاب الالتزام إلى أقسام أربعة تنحصر فى الآتى : الالتزام المطلق ويقصد به الالتزام غير المعلق على شىء وثلاثة أقسام أخرى تشمل الالتزام المعلق ، وجعل معيار التفرقة بين هذه الأقسام الثلاثة راجعا إلى نوع التعليق الذى قد يكون على فعل الملتزم أو على فعل الملتزم له أو تعليقا على غير فعل أى منهما وقد ساق الحطاب أمثلة كثيرة تشمل جميع أقسام الالتزام فى نظره .

٣ ـ وقد انتهى الحطاب فى عرض نظريته إلى تفريع لها جمع فيه مسائل حكم فيها بإسقاط اللزوم لكونها من باب إسقاط الحق قبل وجوبه أو لكون الالتزام فيها مخالفا لمقتضى العقد .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٧٥ ، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤١٣ ،

و « الحطاب وكتابه تحرير الكلام فى مسائل الالتزام » - إعداد د. عبد السلام محمد شريف . مجلة الوثائق والمحفوظات . مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى . السنة الثانية، العدد الثانى ١٩٨٧ / ٤٦٨ - ٤٧٨) .

* **الحَطْم :**

حطم : الحطم كسر الشىء مثل الهشم ونحوه ، ثم استعمل لكل كسر متناهٍ ، قال الله تعالى : ﴿ **لا يحطمنكم سليمان وجنوده** ﴾ [النمل : ١٨] وحطمته فانحطم حطما وسائق حطم يحطم الإبل لفرط سوقه وسميت الجحيم حطمة ، قال الله تعالى فى الحطمة ﴿ **وما أدراك ما الحطمة** ﴾ [الهمزة : ٥] وقيل للأكول حطمة تشبيها بالجحيم تصورا لقول الشاعر :

* **كأنما فى جوفه تنور** *

ودرع حطمية منسوبة إلى ناسجها أو مستعملها ، وحطيم وزمزم مكانان ، والحطام ما يتكسر من اليبس ، قال عز وجل : ﴿ **ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما** ﴾ [الزمر : ٢١] وقيل الحطمة : اسم من أسماء النار ، وقيل باب من أبواب جهنم (اللسان ١١ / ٩١٦) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١١ / ٩١٦) .

* **الحُطمة :**

انظر : الحَطْم .

* **الحطيات :**

من علوم القرآن يقوم فن « الحطيات » على إحصاء شامل لما فى القرآن من حروف وكلمات ، وجمل مكررة أو متشابهة! وظهرت مدرسة « الحطيات » بالمغرب فى حدود أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، ومن أبرز مشايخها ـ بجنوب المغرب ـ أبو عبد الله أعجلى ، ـ وبالشمال ـ أبو العباس الميزورى :

١ ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أعجلى الباعقيلى السوسى . اشتهر فى قبائل سوس بفن « الحطيات » . له مؤلفات فى ذلك (ت ١٢٧١ هـ) .

من آثاره :

ـ « ميم الجمع » رتبه على الحروف الهجائية ، قال فيه : إنه كتاب عظيم ، جمع فيه ميم الجمع كله الموجود بعد الحروف الأربعة : الهمزة ، التاء ، الكاف ، الهاء .

ـ رسالة فى هاء الضمير ، مرتبة على حروف المعجم .

ـ تقييد التنوين الذى جاء فى آخر الكلمة فى القرآن العظيم ، وفيه ثلاثة أنواع :

المضموم ، المنصوب، المكسور، وهو مرتب على حروف المعجم .

ـ « الهداية لمن أراد الكفاية ، على ضبط أواخر الكلمة بما صح بالرواية » .

ـ « الاتصال الكبير » وهو مجموع متداول بين الناس ، أضيفت إليه إضافات ، وزيدت عليه زيادات ، مما جعل نُسخه تختلف اختلافا بيِّنا ، وتتفق فى مجموعها على الموضوعات التالية : الاتصال ، الانفصال ، الوزن ، وهى مرتبة حسب سور القرآن .

٢ ـ أبو العباس أحمد بن عبد الله الميزورى ، ولد أوائل النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى بقرية مازورة فى بنى مسارة ـ إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب، على بعد نحو ٢٠ كلم من وزان .

تعلم ببلده ، وأخذ القراءات عن شيوخ الجبل ، وكان آية فى الذكاء والحفظ ، جمع بين المدرستين الحطية والعددية ، سهل عليه النظم حتى استوى عنده مع النثر ، وكان له إلمام بالعربية ، ويقال إنه ألف أجرومية بأسلوب مبسط ، وبعث بها إلى شيوخ فاس فانتقدوه ، وزيفوا عمله .

وأبو العباس الميزورى من الشيوخ الذين ذاع صيتهم بهذه الجبال ، دخلت انظامه [منظوماته] وقصائده كل مدرسة وكتّاب، بل صار بعضها من الأمثال السائرة بين الطلاب ، مثل قوله :

أما حروف كفظش * فأكثر من عام وأنا أنفش * ولا وجدتهم ورش * سوى متميلا وقصائده فى الثبت والحذف أشهر من « قفانبك » .

قضى أبو العباس أكثر حياته فى تعليم كتاب الله ،

ومن أهم المراكـز التى أقرأ بهـا « أنفزى » بقبيلـة بنى مسارة ، وكان الطلبة يحجون إليه من كل جهة ومكان ، وكانت له مهارة عجيبة فى فن الحط ، تسأله عن كلمـة من القرآن ، فيذكر لك عددهـا ونظائرهـا ، وما جاء منهـا بالثبت والحـذف ، والوقف وغيـر الوقف إلى غيـر ذلك ، فيملى عليك فى المـوضوع مـا يصلح أن يكون كتابا ، وينظم ذلك فى حينه .

خلف تلاميذ كثيرين أذاعوا فى الناس قصائده ودواوينه ، وخصوصا « الأنصاص » التى يعتبر المخترع الأول لها .

توفى فى حـدود نيف وعشرين وثلاثمائة وألف ، لـه عدة منظـومـات فى الثبت والحـذف ، ودواوين فى الأنصـاص وسواها .

قالت المؤلفة : يقصد بالأنصاص كما شرح هذا اللفظ فى صفحة ١٧٠ : النصوص التى تساعد على حفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه .

(القـراء والقراءات بـالمغـرب ـ سعيد اعـراب / ٦٧ ، ٦٨ ، ١٦٧ ـ ١٦٩) .

* **الحطيات (مدرسة -) :**

انظر : الحطيات .

* **الحطيم :**

قال صاحب شفاء الغرام :

اختلف فى الحطيم وفى سبب تسميتـه بذلك فقيل إنـه ما بين الحجر الأسـود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسمـاعيل وهو مقتضى ما حكاه الأزرقى عن ابـن جريج وفى كتب الحنفية أن الحطيم الموضع الـذى فيه الميـزاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قـال الحطيم الجدار قـال المحب الطبرى يعنـى جدار حجر الكعبة قال وقـد قيل الحطيم هو الشاذروان سمى بذلك لأن البيت رفع وترك هـو محطومـا فيكون فعيـلا بمعنى مفعول قال : وقد قيل لأن العرب . كانت تطـرح فيه ما طافت فيه من الثياب فيبقى حتى يتحطم من طول الزمان فيكون فعيلا بمعنى فـاعل انتهى ، وقيل فى سبب تسميتـه أنه سمى بـالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان فقلَّ من دعا هنالك على ظـالـم إلا هلك وقلَّ من حلف هنـالك آثمـا إلا عجلـت لـه العقوبة ، روينا ذلك عنه فى تاريخ الأزرقى .

ومن فضائل الحطيم مـا ذكره الفـاكهى لأنه قـال وحدثنى أحمد بن صـالح قال حدثنـا محمد بن عبـد الله عن هشام بن عـروة عن أبيـه عن عـائشة رضـى الله عنها قـالت قـال لـى النبـى ﷺ : أى البقـاع خير ؟ قال قلت : الله ورسـوله أعلم . قـال قلت يا رسـول الله كأنك تـريد بين الـركن والمقام؟ قـال صدقت ، إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقـام ، وإن فيها بين الركن والمقام روضـة من رياض الجنة ، فمن صلى فيـه أربع ركعات نودى من بطنـان العرش أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل . انتهى .

ومن فضـائل الحطيم أن فيـه قبـر تسعـة وتسعين نبيـا لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم حدثنى جدى قال حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم قـال سمعت عبد الرحمن ابن سابط يقول سمعت عبد الله بن حمزة السلولى يقول ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا جاءوا حُجَّاجا فقبضوا هنالك . وحدثنى مهدى بن أبى المهدسى قال حدثنا عبد الـرحمن بن عبد الله مولى بنى هـاشم عن حماد بن مسلم عن عطاء بن السائب عن محمد بن سابط عن النبى ﷺ قال : كان النبـى من الأنبياء إذا هلكت أمتـه لحق بمكة فيتعبـد فيها النبى ومن معه حتى يموت فمات بهـا نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وقبـورهم بين زمـزم ، والحجر ، وذكـر الأزرقى خبـرا يقتضى أن فى الحطيم قبـر تسعيـن نبيـا وسمى منهم فى هـذا الخبر غير من لم يسم فى الخبـر الـذى رواه عن ابن سابط لأنه قال : وأخبرنى جدى عن سعيـد بن سالم عن عثمان بن ساج فـذكـر أخبـارا ثم قال قـال عثمـان وأخبـرنى مقـاتل قـال فى المسجـد الحرام بين زمـزم والـركن قبـر تسعين نبيا منهم هـود وصـالح وإسمـاعيل وقبـر آدم وإبراهيم وإسحـاق ويعقـوب ويـوسف عليهـم السـلام فى بيت المقـدس ، انتهى ، وذكـر الأزرقى خبرا يقتضى أن قبر إسماعيل فى الحجر .

وذكر الأزرقى خبرا يوهم أن فـى الحطيم قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه حدثنى جدى قـال حدثنـا سفيان بن عيينـة عن الزهرى أنـه سمع ابن الزبير على المنبر يقول إن هـذا المحدودب قبور عذارى بنات إسمـاعيل عليـه السـلام يعنى ممـا يلى الـركـن الشـامى من المسجـد الحرام قـال ذلك الموضع تسـوى بين المسجد فـلا

ينسب أن يعود محدودبا منذ كان . انتهى ، وإنما كان هذا الخبر موهما لما ذكرناه لأنه يحتمل أن تكون القبور المشار إليها مما يلى الركن الشامى من جهة الحجر الأسود وأن تكون مما يلى الركن الشامى مما يلى الحِجْر بسكون الجيم فعلى الاحتمال الأول تكون القبور المشار إليها فى الحطيم وعلى الثانى لا تكون فيه وذلك على اعتبار بناء الكعبة على أساس إبراهيم من جهة الحجر وأما على اعتبار بنائها اليوم فقد تكون القبور المشار إليها فى الحطيم على كلا الاحتمالين، والله أعلم .

وقد ذكر هذا الخبر الفاكهى فى أخبار مكة نحوه وذكر الخبر الذى رواه الأزرقى عن عبد الله بن ضمرة وفى خبر الفاكهى أن ابن ضمرة يرويه عن كعب يعنى كعب الأحبار وابن سابط راوى الخبر ليس بصحابى وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن فيما بين دار الندوة وباب بنى سهم ، يعنى باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة قبور قوم صالح الذين آمنوا به ورحلوا معه إلى مكة وأقاموا بها حتى ماتوا . قال : وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه وعزا هذا الخبر لوهب ابن منبه وهو فى تاريخ الأزرقى إلا أن فى الخبر الذى ذكره الأزرقى فتلك قبورهم فى غربى الكعبة بين دار الندوة وبين دار بنى هاشم كذا رأيته فى نسختين من تاريخ الأزرقى ودار بنى هاشم وصوبه وباب بنى سهم كما فى خبر الفاكهى لأن به يستقيم الكلام والله أعلم . وهذه القبور وإن لم تكن فى الحطيم فذكرها فى أخباره لمناسبة وهى تكون الموطنين فى المطاف فيجتمع بذكر ذلك فى هذه الترجمة شىء من فضل المطاف .

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين الفاسى ١ / ١٩٧ ، ١٩٨ . انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١١ / ٩١٧) .

* **حِطِّين :**

قال عنها المقريزى : هذه المدينة آثارها إلى اليوم باقية فيما بين حبوة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميه العرب أبا العروق، وهو شرقيها . وهذه المدينة تنسب إلى حطين، ويقال حطى ابن الملك أبى جاد المدينى . وأهل قطية اليوم يسمون تلك الأرض بلاد حطين والجفر . وملك هذا أرض مصر بعد موت أبيه ، وكان صاحب حرب وبطش، وكان ينزل بقلعة فى جبال الأردن قريبا من طبرية ، وإليه تنسب قرية حطين التى بها الآن قبر شعيب بالقرب من صفد (الخطط ١/ ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

وحطين : يسميها اليهود اليوم . قرنى حطيم : قرنى حطين قرون حطيم . وهى قرية عربية تاريخية . جلا معظم سكانها العرب عنها عام ١٩٤٨م . وهى فى مقاطعة طبرية فى شرق الجليل الأدنى . وتشتهر بخصوبة أرضها . (من كتاب معجم البلدان ١ / ٢٠٠) .

وقال عنها ياقوت :

حِطِّين : بكسر أوله وثانيه ، وياء ساكنة ، ونون :

قرية بين أرسوف وقيسارية ، وبها قبر شعيب عليه السلام . كذا قال الحافظان أبو القاسم الدمشقى، وأبو سعد المروزى، ونسبا إليها أبا محمد هيَّاج بن محمد بن عبيد بن حسين الحطينى الزاهد نزيل مكة . سمع أبا الحسن على بن موسى ابن الحسين السمسار، وأبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن معدان الدمشقى، وأبا القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز السراج وأبا الحسن على بن محمد بن إبراهيم الحنائى بدمشق، وأبا أحمد بن سهل القيسرانى بقيسارية ، وأبا العباس إسماعيل بن عمر النحاس، وأبا الفرج النحوى المقدسى وغيرهم . وسمع منه جماعة من الحفاظ، منهم محمد بن طاهر المقدسى، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى، وأبو جعفر محمد بن أبى على وغيرهم ، وكان زاهدا فقيها مدرسا، يفطر كل ثلاثة أيام ويعتمر كل يوم ثلاث عمر، ويلقى على المستفيدين كل يوم عدة دروس، ولم يكن يدخر شيئا، وكان يزور رسول الله عليه الصلاة والسلام كل سنة حافيا ويزور ابن عباس بالطائف، وكان يأكل بمكة أكلة وبالطائف أخرى، واستشهد بمكة فى وقعة وقعت بين أهل السنة والرافضة ، فحمله أميرها محمد بن أبى هاشم فضربه ضربا شديدا على كبر السن ، ثم حمل إلى منزله فعاش بعد الضرب أياما ثم مات فى سنة ٤٧٢ وقد جاوز الثمانين .

قال المؤلف رحمة الله عليه : كان صلاح الدين يوسف بن

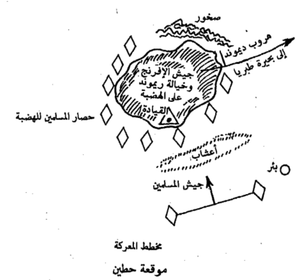
أيوب قد أوقع بالإفرنج فى منتصف ربيع الآخر سنة ٥٨٣ وقعة عظيمة منكرة ظفر فيها بملوك الإفرنج ظفرا كان سببا لافتتاحه بلاد الساحل، وقتل فرعونهم أرباط صاحب الكرك والشوبك، وذلك فى موضع يقال له حطين بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين . بالقرب منها قرية يقال لها خيارة، بها قبر شعيب عليه السلام وهذا صحيح لا شك فيه وإن كان الحافظان ضبطا أن حطين بين أرسوف وقيسارية ضبطا صحيحا ، فهو غير الذى عند طبرية ، وإلا فهو غلط منهما .

قالت المؤلفة : يأتى الكلام على موقعة حطين هذه فى المادة التالية إن شاء الله تعالى .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ومن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان. السفر الأول ، البلدان الفلسطينية / ٢٠٠ هامش ٢ ، ومعجم البلدان ٢ / ٢٧٣ ، ٢٧٤) .

*** حطين (موقعة ـ) (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) :**

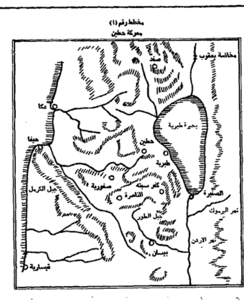
اشتبك صلاح الدين مع الصليبيين قبل سنة ١١٨٥ م فى معارك صغيرة ، بسبب حركات صليبية مناوئة له ، وأهمها حركات أرناط ، أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس . ذلك أن هذا الأمير الصليبى تحكم بحصنه فى طرق



مخطط المعركة

موقعة حطين

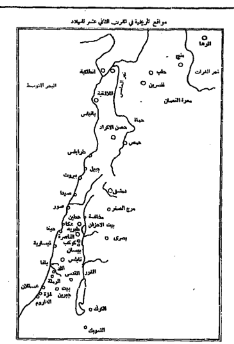
مخطط رقم (١)
معركة حطين



القوافل بين مصر والشام، ولم يهتم بالمهادنات التى عقدها صلاح الدين مع مملكة بيت المقدس. وعزم أرناط على الاستيلاء على مكة والمدينة والآثار النبوية بهما . فأعد سنة ١١٨٣ م سفنا، حمل أخشابها وقلاعها إلى خليج العقبة، حيث جهز منها أسطولا، نقل جنود الصليبيين فى البحر الأحمر إلى شاطىء الحجاز. وكان صلاح الدين غائبا فى العراق وقتذاك، فأسرع نائبه فى مصر، وهو أخوه العادل، ولحق بالصليبيين عند مرفأ الحوراء شمالى ينبع. واستطاع العادل القضاء على الصليبيين قبل تحقيق أهدافهم وحمل كثيرا منهم أسرى إلى مصر (تاريخ العالم الإسلامى / ٣١١) .

واستفحل خطر الفرنج وكثرت اعتداءاتهم على المسلمين، وخاصة « أرباط » صاحب الكرك الذى اعتدى على قافلة للحجاج المسلمين. وكان صلاح الدين الأيوبى حاكم بلاد الشام ومصر نذر عند مرضه أن يكرس بعد شفائه كل قوته لحرب الفرنج فطلب من حكام المدن أن يرسلوا له الجيوش، وتوجه بقواته إلى طبرية فاحتلها عدا قلعتها، وشدد الحراسة على شواطىء البحيرة حتى لا يستفيد الفرنج من مياهها، ثم توجه إلى حطين، بعد أن درس حال الفرنج ومواقعهم، وقطع عنهم كل مصادر المياه . بدأ هجومه صباح السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فطلعت الشمس على وجوه الفرنج، واشتد الحر، وقوى بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيما . وكان ذلك عليهم

مواقع تاريخية في القرن الثاني عشر للميلاد



مشؤوما . فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط فرموه فتأجج نارا تحت سنابك خيولهم . فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر السلاح وحر رشق النبال . وحمل المسلمون حملة صادقة على أعدائهم ، فتمكنوا منهم وقتلوا منهم أعدادا كبيرة ، ووقع في الأسر جميع ملوكهم عدا صاحب طرابلس الذى فر من المعركة . ولما مثل أمراء الفرنج أمام صلاح الدين أحسن معاملتهم إلا صاحب الكرك فقد أمر بضرب عنقه . أما حاكم طرابلس فإنه مات بعد فراره متأثرا بجراحه . ثم استولى الناصر على قلعة طبرية وعكا وغيرها من المدن . وكانت هذه الموقعة أشهر وأهم مواقع الحروب مع الصليبيين . وكان وقعها أليما في أوربا مما دفع ملوكها وأمراءها لتجهيز حملة جديدة وصلت إلى الشرق . وحق لصلاح الدين أن يحمل بعد هذا النصر لقب الناصر . (معجم المعارك الحربية / ١٢٥ ، ١٢٦) .

وقد أدرج صاحب الروضتين معركة حطين في أحداث سنة ٥٨٣ ، وأورد وصف العماد في كتاب البرق فبدأ بقوله : وهي السُّنة الحسنة المحسنة ، والزمان الذى تقضت على انتظار إحسانه الأزمنة ، وطهر فيه المكان المقدس ، الذى سلمت لسلامته الأمكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة الممتحنة ؛ وكفى الله شر الشرك ، وحكم على دماء الكفر بالسفك ... ويمضي العماد في وصفه بأسلوب ينبض بالحياة فيجعلنا ونحن نقرأ وصفه نكاد نسمع صليل السيوف ، ووقع سنابك الخيل ، وأصوات النقب في أبراج القلاع .

وكل ذلك في أسلوب أدبي رفيع نفتقده اليوم في مؤلفاتنا ، وسجع محبب مقبول . وهو يبدأ بمعركة العمورية ، وما تلاها من احتلال طبرية ، حتى النصر المؤيد من الله في حطين . وقبل أن نسوق بعضا من وصف العماد نورد نبذة عن معركة صفورية .

قرر صلاح الدين في ربيع عام ١١٨٧ م إرسال غارة استطلاعية نحو عكا لتجمع له المعلومات وتختبر قوة الصليبيين ومعنوياتهم . فجهز قوة تعادل فرقة عهد بقيادتها إلى حاكم الرها « مظفر الدين كوكبرى » ولكي يختبر صدق إخلاص « ريموند » أمير طرابلس طلب إليه أن يسمح لهذه القوة بالمرور من أراضي الجليل نحو عكا . فسمح هذا للقوة بالمرور وهو ممتعض . ولما علم قائد الداوية « جيرار دي ريد فورد » بمرور هذه القوة جمع جيشا من جماعته والاسبتارية قرب صفورية لصدها . فدارت معركة رهيبة قتل فيها معظم قوة جيرار ومنهم قائد الاسبتارية ولم ينج إلا جيرار مع بضعة أشخاص فقط ، ولما وصلت إليهم النجدات كانت المعركة قد انتهت فأسر العرب قوة النجدة بكاملها (معارك الحرب الحاسمة / ١٢٢ ، ١٢٣) .

ويبدأ العماد وصفه فيقول عن صلاح الدين بعد أن سار فنزل على الكرك ثم إلى الشوبك : ووصل عسكر مصر فتلقاه بالقربتين ، وفرقه على أعمال القلعتين ؛ وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين ، والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء ، في جمع عظيم من العظماء ، وعنده الجحافل الحافلة ، والحواصل الحاصلة ، والعساكر الكاسرة ، والقساور القاسرة ، وهو ينتظر أمرا من أبيه ، ويكتب إليه ويقتضيه ، وانقضى من السنة شهران ، وطال بهم انتظار السلطان ، فأنهض منهم سرية سرية ، وأمرها بالغارة على أعمال طبرية ، ورتب على خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران ، وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرم بن باروق ، وعلى

عسكر دمشق وبلادها صارم الـدين قايماز النجمى ، فساروا مدجين ، وسروا مدلجين ، وصبَّحوا صفورية وساء صباح المنذرين، فخرج إليهم الفرنج فى حشـدهم ، فأتـاهم الله النصر الهنى، والظفر السنى ، وشفوا منهم حنين الحنايا ، وأدركوا فيهم منى المنـايا ، وفـازوا وظفروا ، وقتلوا وأسروا ، وهلك مقدم الاسبتار (الاسبتارية هم « فرسان المستشفى » وهم فرسان القديس يوحنا وسموا كذلك لأن منظمتهم اعتمدت أول الأمر على رهبان مستشفى القديس يوحنا فى القدس معارك العرب الحاسمة / ١٢٢) ، وحصل جماعة من فرسانهم فى قبضة الإسار ، وأفلت مقدم الداوية وله حصاص (الداوية : فرسان الهيكل، وسميت بذلك لأن بناء منظمتهم قد شيد حيث كان يقوم هيكل سليمان . معارك العرب الحاسمة / ١٢٢) ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلاك خلاص . وعادوا سالمين سالبين غانمين غالبين ، فكانت هذه باكورة البركات، ومقدمة ما بعدها من ميامين الحركات، وجاءتنا البشرى ونحن فى نواحى الكرك والشوبك (انظر الخريطة) .

فسار السلطان وواصل السير بالسرى، وختم بعشترا ، والقدر يقول له تعيش وترى، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذرى ، وامتد العسكر فراسخ عرضا وطولا، وملأ بالملأ حزوناً وسهولا ، وما رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر ، ولا أكرث للكفر ولا أكثر، وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض ، وما شاهده إلا من تلا ﴿ ولله جنود السماء والأرض ﴾ [الفتح : ٤] وعرض العسكر فى اثنى عشر ألف مدجج، فى ليل العجاج مدلج ، ولما تم العرض، حسم الفرض، وسالت بأفلاك السماء والأرض، وتعين الجهاد ، وتبين الاجتهاد، ثم رتب السلطان للعسكر أطلابا، وحزَّبه أحزابا ، وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر، عازما على دخول الساحل، فأناخ ليلة السبت على خسفين ، ثم سار فى الأردن إلى ثغر الأقحوانة ، وأقام هناك خمسة أيام ، وقد عيَّن مواقف الأمراء وشعارهم، وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط، وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط . ولما سمع الفرنج باجتماع كلمة الإسلام عليهم ، وسير ذلك الجيش إليهم، علموا أنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وأن الإيمان كله قد برز إلى الشرك كله ... إلخ ويمضى العماد فى وصفه حتى معركة حطين (ص٧٦ـ٨٠) فانظر إليه فى موضعه إن شئت الاستزادة (الروضتين ٢/ ٧٥، ٧٦) وانظر وصفا مفصلا للمعركة فى معارك العرب الحاسمة / ١١٢ ـ ١٣٠ . انظر ثبت المراجع) .

بعد حطين :

كانت وقعة حطين وقعة فاصلة ، حتى وصفها بعض المعاصرين من مؤرخى الحروب الصليبية الأوربية بأنها بداية النهاية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ولم يكن فى هذا القول شىء من المبالغة ، إذ حشد الصليبيون زهرة شبابهم فى حطين ، ولم يبق لديهم قوات لمواجهة الخطة الخاطفة التى رسمها صلاح الدين لنفسه بعد حطين ، إذ سلمت له مدينة بيت المقدس فى أكتوبر سنة ١١٨٧ م بعد حصار دام أسبوعا واحدا . ثم استمر صلاح الدين فى هجومه على مدن الصليبيين فى الشام وفلسطين ، فبلغ مدينة اللاذقية شمالا، وحصن الكرك جنوبا ، ولم تأت سنة ١١٨٩ م حتى سقطت معظم المدن الصليبية التى هددت المسلمين، وبدا كأن الصليبيين سيخرجون جميعا من الشام ، لأنه لم يبق فى حيازتهم سوى أنطاكية وصور، وبعض المدن الساحلية الصغيرة وأهمها صور (تاريخ العالم الإسلامى/ ٣١٢ ، ٣١٣) .

وممن وصف كسرة حطين أيضا القاضى أبو المحاسن بن شداد فقال : اندفع السلطان قاصدا بلاد العدو فى وسط نهار الجمعة ، وكان أبدا يقصد بوقعاته الجُمَع لا سيما أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر فربما كانت أقرب إلى الإجابة . وبلغه أن الفرنج اجتمعوا فى فرج صفورية بأرض عكا فقصد نحوهم للمصاف معهم فسار ونزل على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبرة ورحل من هناك ونزل غربى طبرية على سطح الجبل لتعبية الحرب منتظرا أن الفرنج إذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من منزلتهم فنزل جريدة على طبرية وترك الإطلاب على حالها قبالة وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها فهجمها وأخذها فى ساعة من نهار ... وامتنعت القلعة وحدها فرحل الفرنج وقصدوا طبرية للدفع عنها فأخبرت الطلائع الإسلامية الأمراء بحركة الفرنج فسيروا إلى السلطان من عرفه ذلك فنزل على طبرية من يحفظ قلعتها

ولقى العسكر هو ومن معـه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربى منها وحـال الليل بين الفئتين فباتتا على مصاف شـاكيتين فى السـلاح إلى صبيحـة الجمعة فـركب العسكـران وتصادما وذلك بأرض قرية تسمـى اللوبيا ولم تزل الحرب إلى أن حال بينهم الظلام وجرى فى ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والأمور الجسيمة ما لم يحك عن من تقدم وبات كل فريق فى سـلاحه ينتظر خصمه فى كل سـاعـة وقد أقعـده التعب عن النهوض حتى كان صباح السبت الذى بورك فيه فطلب كل من الفئتين مقامـه وعلمت كل طائفة أن المكسورة منهمـا مدحورة الجنس معدومة النفس وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا ينجيهم إلا الله وكان الله قد قدر نصـر المسلمين فيسـره وأجـراه علـى وفق مـا قـدَّره فحملت الإطلاب الإسلامية من الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة الـرجل الواحـد فألقى الله الرعب فى قلـوب الكافـرين ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم : ٤٧] .

وكان القمص ذكى القوم وألمعيهم فـرأى إمارات الخذلان قد نـزلت بأهل دينه ولم يشغلـه ظن محاسنة جنسـه عن يقينه فهـرب فى أوائل الأمر قبل اشتـداده وأخـذ طريقـه نحو صـور وتبعـه جماعـة من المسلمين فنجا وحـده وأمن الإسلام كيـده وأحـاط أهل الإسـلام بأهل الكفـر والطغيـان من كل جـانب فانهـزمت منهم طائفـة فتبعها أبطال المسلميـن فلم ينج منها واحد واعتصمت الطـائفة الأخرى بتل حطين وهى قريـة عنده وعنـدها قبـر النبى شعيب عليه السـلام فضايقهم المسلمـون على التل وأشعلـوا حولهم النيران وقتلهم العطـش وضاق بهم الأمر حتى كـانـوا يستسلمون لـلأسـر خـوفـا من القتل فأسـر مقدموهم وقُتل الباقون وأُسروا وكان الواحد العظيم منهم يخلد إلى الأسر خوفا على نفسه .

ولقد حكى لى من أثق بـه أنه لقى بحوران شخصـا واحدا ومعه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيرا يجرهم وحده بخذلان وقع عليهم وأمـا القمص الذى هـرب فإنه وصل إلى طـرابلس وأصـابه ذات الجنب فأهلكـه الله بها وأمـا مقدمـو الاسبتاريـة والداوية فإن السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة أبيهم .

وأما البرنس أرناط فكان السلطان قد نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك أنه كـان عبر به بالشـوبك قفل من الديار المصـرية فى حالة الصلح فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الله والصلح الـذى بينـه وبين المسلميـن فقـال مـا يتضمن الاستخفاف بـالنبى ﷺ وقال قولـوا لمحمدكم يخلصكم وبلغ ذلك السلطان فحملـه الدين والحمية على أنه نـذر إن ظفر به قتله فلما فتح الله عليه بالنصر والظفر جلس فى دهليز الخيمة فإنهـا لم تكن نصبت والنـاس يتقربـون إليـه بالأسـارى وبمن وجـدوه من المقدمين ونصبت الخيمـة وجلس فـرحا مسـرورا شاكرا لمـا أنعم الله به عليه ثم استحضر الملـك جفرى وأخاه والبرنس أرناط وناول الملك شربة من جلاب بثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم نـاول بعضها البرنس أرناط فقال السلطان للترجمـان قل للملك أنت الذى تسقيه وإلا أنا مـا سقيته وكـان على جميل عادة العـرب وكريم أخـلاقهم أن الأسيـر إذا أكل أو شرب من مـال من أسـره أمن فقصد بـذلك الجرى على مكـارم الأخلاق ثم أمر بمسيـرهم إلى موضع عين لنزولهم فمضـوا وأكلو شيئا ثم عاد استحضـرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم فأقعـد الملك فى الدهليز واستحضر البرنس أرناط وأوقفه على ما قال وقال ها أنا أنتصر لمحمد ﷺ ثم عرض عليـه الإسلام فلم يفعل ثم سل البيمجاه وضربـه بها فحل كتفـه وتمم عليه من حضـر وعجل الله بـروحه إلى النـار فأخذ ورمى على بـاب الخيمة فلما رآه الملك قـد أخرج على تلك الصورة لـم يشك فى أنه يثنَّى بـه فاستحضره وطيـب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فإنه جاوز حـده فجرى مـا جـرى وبات النـاس فى تلك الليلـة على أتم سـرور وأكمل حبـور ترتفع أصـواتهم بـالحمـد لله والشكر لـه والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح فى يوم الأحـد فنزل رحمه الله على طبرية وتسلم فى بقية ذلك اليـوم قلعتها وأقام بها إلى يوم الثلاثاء .

قلت وذكر محمد بن القادسى فى تـاريخه أنه ورد فى هذه السنة كتب إلى بغـداد فى وصف هذه الـوقعة منهـا كتاب من عبد الله بن أحمد المقدسى يقول فيه : كتبت هذا الكتاب من عسقلان يـوم الثلاثـاء ثالـث عشر جمـادى الآخرة سنـه ثلاث وثمانين وخمسمائه وفيه : ولو حمدنا الله عز وجل طول أعمارنا

ما وفينا بعُشر معشار نعمته التى أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم فإنا خرجنا إلى عسكر صلاح الدين وتلاحق الأجناد حتى جاء الناس من الموصل وديار بكر وإربل فجمع صلاح الدين الأمراء وقال هذا اليوم الذى كنت أنتظره وقد جمع الله لنا العساكر وأنا رجل قد كبرت وما أدرى متى أجلى فاغتنموا هذا اليوم وقاتلوا لله تعالى لا من أجلى فاختلفوا فى الجواب وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار فعرض جنده ورتبهم وجعل تقى الدين فى الميمنة ومظفر الدين فى الميسرة وكان هو فى القلب وجعل بقية العسكر فى الجناحين ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا الأقحوانة فتركوا بها أثقالهم وساروا حتى نزلوا بكفر سبت فأقاموا يومين ينتظرون أن يبرز لهم الكفار .

وكان عسكر الكفار على صفورية فلم يبرزوا فعاد صلاح الدين حتى نزل على طبرية فتقدم فرسانه وحماته ورماته والنقابون فدخلوا تحت الحصن فلما تمكن النقب منه انهال من غير وقود نار ودخل المسلمون يوم الخميس وأصبحوا يوم الجمعة فشرعوا فى نقب القلعة فلما كان وقت الصلاة جاء الخبر أن الكفار قد توجهوا إلينا فارتحل صلاح الدين على صفوفه فلقيهم ثم لم يزالوا يتقدمون حتى صار المسلمون محيطين بهم وصار قلب المسلمين خلفهم فتراموا ساعة وبات كل فريق على مصافهم ثم أصبحوا فسار الكفار يقصدون طبرية والمسلمون حولهم يلحون عليهم بالرمى فاقتلع المسلمون منهم فوارس وقتلوا خيالة ورجالة فانحاز المشركون إلى تل حطين فنزلوا عنده ونصبوا الخيام وأقام الناس حولهم إلى أن انتصف النهار وهبت الرياح فهجم المسلمون عليهم فانهزموا لا يلوون على شىء ولم يفلت منهم إلا نحو من مائتين وكانوا كما قيل اثنين وثلاثين ألفا وقيل ثلاثة وعشرين ألفا لم يتركوا فى بلادهم من يقدر على القتال إلا قليلا وكان الذى أسر الملك هو درباس الكردى وغلام الأمير إبراهيم المهرانى أسر الإبرنس وقتل صلاح الدين الإبرنس بيده لأنه كان قد غدر وأخذ قافلة من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين إلى طبرية فأخذ قلعتها بالأمان .

وورد كتاب آخر فيه هذه الفتوح التى ما سمع بها قط هذا ذكر بعضها مختصرا مع أنه لا يقدر أحد يصف ذلك لأن الأمر أكبر من ذلك الذى يبشر به المسلمون أن مدينة طبرية فتحت بالسيف وأخذت قلعتها بالأمان واجتمع عسكر الأفرنج جميعهم والتقوا بالمسلمين عند قبر شعيب النبى ﷺ وقتل من الإفرنج ثلاثون ألفا وكان عدد الإفرنج ثلاثة وستين ألفا بين فارس وراجل وأسر منهم ثلاثون ألفا وبلغ ثمن الأسير بدمشق ثلاثة دنانير واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك وما سلم من عسكر الفرنج سوى قمص إطرابلس مع أربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات وأخذ جميع أمراء الفرنج ...

وكان القاضى الفاضل غائبا عن هذه الكسرة بدمشق فلما بلغته كتب إلى السلطان (ليهن المولى إن الله قد أقام به الدين القيم وإنه كما قيل أصبحت مولاى ومولى كل مسلم وأنه قد أسبغ عليه النعمتين الباطنة والظاهرة ، وأورثه الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة ، كتب المملوك هذه الخدمة والرؤوس إلى الآن لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما فكر الخادم أن البيع تعود وهى مساجد، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال اليوم فيه إنه الواحد ، جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه ، وتارة يفيض من جفنه ، وجزاء يوسف خيرا عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون أمر المولى فكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عوّل على دخول حمام طبرية تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك الفتح لا عمان واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن وللألسنة بعد فى هذا الفتح شرح طويل وقول جليل .

وقد ألهب نصر صلاح الدين فى معركة حطين، وما كان من أسر الملك « جودفرى » وأخيه الملك « بلدوين » ، و«أرناط » صاحب الكرك والشوبك قرائح الشعراء ، فراحوا يتغنون به ، ويزدهون بقائد الإسلام ، ويندّدون بهذه الهزيمة النكراء التى لحقت بالصليبيين وللعماد رحمه الله قصائد يذكر فيها وقعة حطين منها قوله :

يا يوم حطين والأبطال عابسة
وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا

رأيت فيــــه عظيم الكفــــــر محتقــــرا
معفَّـــرا خــــده والأنف قـــد تعســـا
يـــا طهـــر سيف بـــرى رأس البـــرنس فقـــد
أصـــاب أعظم من بـــالشـــرك قـــد نجســا
وغـــاص إذ طـــار ذاك الـــرأس فى دمـــه
كأنــــه ضفـــدع فى المـــاء قـــد غطســا
مـــا زال يعطس مـــزكـــومـــا بغـــدرتـــه
والقتل تسميت من بـــالغـــدر قـــد عطسا
عـــرى ظبـــاه من الإغمـــاد مهـــرقـــة
دمـــا مـــن الشـــرك ردا هـــابـــه وكســا
مـــن سيفـــه فـــى دمـــاء القـــوم منغمس
من كـــل من لم يـــزل فـــى الكفـــر منغمسـا
أفنـــاهم قتلهم والأســـر فـــانتكســـوا
وبيت كفـــــرهــم مـــن خبثهـم كنســــا

وقال أيضا يخاطب صلاح الدين رحمه الله

سحبت على الأردن ردنـــا مـــن القنـــا
ردينيـــة ملـــدا وخطيـــة ملســـا
حططت على حطيـن قـــدر ملـــوكهـم
ولم تبق من أجنـــاس كفـــرهم جنســـا
ونعـم مجـــــال الخيـل حطيـن لـم تكـن
أبـــاود تبغى مـن نحـــور العـــدا نهســا
أتـــوا شكس الأخـــلاق خشنـــا فليَّنت
حـــدود الـــرقـاق الخشن أخلاقهـا الشكسا
طــــــــردتهم فـى الملتقـى وعكستهم
مجيـــدا بحكـم العـــزم طـــردك والعكســا
فكيف مكست المشـــــركين رؤوسهم
ودأبك فى الإحســـان أن تطلق المكســا
كســــرتهم إذ صح عـــــزمك فيهـم
ونكستهـم إذ صـــــار سهمهـم نكســــا
بـــواقعـــة رجت بهـــا الأرض جيشهم
دمـــارا كمـــا بست جبـــالهم بسًّـــا
بطـــون ذئاب الأرض صـــارت قبـــورهم
ولم تـــرض أرض أن تكـــون لهم رمســا
وطـــارت علـى نـــار المـــواضى فـــراشهم
صـــلاء فـــزادت من خمـــودهم قبســـا
وقـــد خشعت أصـــوات أبطـــالهـــا فمـــا
يعى السمع إلا من صليل الظبى همســـا
تقـــاد بـــدأمـــاء الـــدمـــاء ملـــوكهم
أســـارى كسفـن اليم نطت بهـــا القلســا
سبـــايـــا بـــلاد الله مملـــوءة بهـــا
وقـــد شـــريت بخسا وقـــد عـــرضت نخسا
يطـــاف بهـــا الأســـواق لا راغب لهـــا
لكثـــرتهـا كم كثـرة تـــوجب الـوكسا
شكـــا بيســـا رأس البـرنس الـــذى بـــه
تنـــدى حســـام حـــاسم ذلك اليبســـا
حســـا دمـــه مـــاض الغـــرار لغـــدره
ومـــا كـــان لـــولا غـــدره دمع يحسى
فللـــه مـــا أهـــدى يـــدا فتكت بـــه
وأطهـر سيفـا معدمـا رجسـه النجسا ... إلخ

ثم قال العماد : وأما القصيدة الفتحية الناصرية فأولها :

فى بـــاطن الغيب مـــا لا تـــدرك الفكـــر
فـــذو البصيـــرة فى الأحـــداث يعتبـــر
مـــا لـى أرى ملك الإفـــرنج فى قفص
أين القـــواضب والعســـالـــة السمـــر
والاسبتـــار إلى الـــداويـــة التأمـــوا
كأنهم ســـد يأجـــوج إذا استجـــروا
والنفس مـــولعـــة عجبـــا بسيـــرتهـــا
ولى المقـــاديـــر مـــا تسلى بـــه السيـــر
يـــا وقعـــة التل مـــا أبقيت من عجب
جحـــافل لـم يفت مـن جمعهـــا بشـــر
ويـــا ضحى السبت مـــا للقـــوم قـــد سبتـــوا
تهـــودوا أم بكأس الطعـن قـــد سكـــروا

ويــا ضـــريـح شعيب مــا لهم جثمـــوا
كمـــدين أم لقـــوا رجفـــا بمـــا كفـــروا
حطـــوا بحطين ملكـــا كـــافيـا عجبـــا
فـى ســـاعـــة زال ذاك الملـك والقـــدر
أهـــوى إليهم صـــلاح الـــدين مفتـــرسا
وهـــو الغضنفـــر أعـــدى ظفـــره الظفــر
أملـى عليهـم فصــــاروا وسط كفتـــه
كســرب طيــر حــواهـا القـانص الـــذكـر
وأنجــــز الله للسلطـــان مــــوعــــده
ونــــذره فى كفــــوردينــــه البطــــر
وعــــاين الملـك الإبـــرنـس فى دمــــه
فمــــات حيـــا وحيى وهـــو يعتــــذر
رأى مليكــــا ملــــوك الأرض تتبعـــه
والنجـم يخــــدمـــه والشمس والقمـــر
إذابـــــدا تبهـــــر الأعيـــان هيبتـــه
ويختفـى وهــــو فى الأذهـــــان مشتهـــر
تقـدم الجيـل فى أخـــرى الـــزمــــان بــه
على صـــــدور عـــلا مـن قبلنـــا صــــدروا

(الروضتين ٢ / ٧٥) .

وقال ابن الساعاتى قصيدة عظيمة فى هذا الفتح مطلعها :

جلـت عـــــزمـــــاتـك الفتح المبينـــــا
فقــــد قـــــرت عيـــون المـــؤمنينـــا

وأدلى ابن سناء بدلوه فأنشد قصيدة طنانة منها :ـ

هـل الكـــــرك الثكلى بـأولادهـــا انتهت
عـن النسل ممــــا جـــرعتــــه من الثكـل
وكــــانـــوا لهـــا كـــالعقـــد لكنــــه وَهَى
وأضحى لهـــا جيش ابن أيـــوب كـــالغل
أتــــــاهم بمثـل الــــــرمل ينقـل خيلهـم
إلى الأفـق مـــا فـــوق الطـــريق مـن الـــرمل

(ابن سناء الملك / ١١٣ ، ١١٤) .

(تاريخ العالم الإسلامى ـ د. إبراهيم أحمد العدوى / ٣١١ ـ ٣١٣ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ومعارك العرب الحاسمة ـ صبحى عبد الحميد / ١٢٢ ، ١٢٣ ، والروضتين فى أخبار الدولتين للمقدسى ٢ / ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ـ ٨٣ ، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وابن سناء الملك ـ محمد إبراهيم نصر / ١١٣ ، ١١٤) .

انظر : الحروب الصليبية .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من معجم المعارك الحربية / ١٢٥ ، وكتاب معارك العرب الحاسمة / ١١٧ ، ١٢٤ .

*** الحظ الأوفر فى الحج الأكبر :**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩٠٢٣

تأليف : نور الدين على بن سلطان محمد الهروى القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٦ م .

وهو جواب سؤال عما اشتهر على الألسنة من إطلاق الحج الأكبر على الوقوف فى يوم الجمعة ، وما يتعلق به من الأخبار النقلية والآثار العقلية .

أوله : الحمد لله العلى الكبير ، الذى أنعم على عباده وأفضل وأكبر .

وآخره : أنه رأى موسى ويونس عليهما السلام فيما بين الحرمين الشريفين ، محرمين ملبين [ملبيين] ، متضرعين إلى المولى ، فلا ريب أنه بهذا المنصب فى زمان ولايته أولى .

نسخة عادية ، ضمن مجموع .

الخط نسخ واضح .

[٦٢ ـ ٧٣] ق   ١٥ س   ٢١ × ١٥ سم

المراجع : معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، كشف الظنون ١ / ٦٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

* **الحظ الوافر من المغنم فى استدراك الكافر إذا أسلم:**

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . ذكره صاحب كشف الظنون مع حذف « إذا أسلم » من العنوان . وهي مسألة وجوابها :

فالمسألة هي : الكافر إذا أسلم وأراد أن يقضي ما فاته في زمن الكفر من صلاة وصوم وزكاة هل له ذلك وهل ثبت أن أحدا من الصحابة فعل ذلك حين أسلم ؟

الجواب ـ نعم له ذلك ، وذلك مأخوذ من كلام الأصحاب إجمالا وتفصيلا أما الإجمال فقال النووى فى شرح المهذب : اتفق أصحابنا فى كتب الفروع على أن الكافر الأصلى لا تجب عليه الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج وغيرها من فروع الإسلام ، ومرادهم أنهم لا يطالبون بها فى الدنيا مع كفرهم وإذا أسلم أحدهم لم يلزمه قضاء الماضى فاقتصر على نفى اللزوم فيبقى الجواز ، وعبارة المهذب فإذا أسلم لم يخاطب بقضائها لقوله تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾ [الأنفال : ٣٨] ولأن فى إيجاب ذلك عليهم تنفيرا فعفى عنه فاقتصر على نفى الإيجاب فيبقى الجواز أو الاستحباب .

وأما التفصيل فإن الفقهاء قد قرنوا فى كتاب الصلاة بين الكافر، والصبى ، والمجنون ، والمغمى عليه ، والحائض فى عدم وجوب الصلاة ، ونص بعضهم على أن الصبى إذا بلغ وقد فاتته صلاة يسن له قضاؤها ولا تجب عليه ، وأن المجنون ، والمغمى عليه يستحب لهما قضاء الصلاة الفائتة فى زمن الجنون ، والإغماء ـ كذا نقله الأسنوى عن البحر للرويانى ، ونقل عنه وعن شرح الوسيط للعجلى أن الحائض يكره لها القضاء ، فهذه فروع منقولة والكافر فى معنى ذلك فيجوز له القضاء إن لم يصل الأمر إلى درجة الاستحباب ولا يمكن القول بالتحريم بل ولا بالكراهة ، ويفارق الحائض فإن ترك الصلاة للحائض عزيمة وبسبب ليست متعدية به والقضاء لها بدعة ، ولهذا قالت عائشة لمن سألتها عن ذلك : أحرورية أنت ؟ وقد انعقد الإجماع على عدم وجوب الصلاة عليها ، وترك الصلاة للكافر بسبب هو متعد به وإسقاط القضاء عنه من باب الرخصة مع قول الأكثرين بوجوبها عليه حال الكفر وعقوبته عليها فى الآخرة كما تقرر فى الأصول، فاتضح بهذا الفرق بينه وبين الحائض حيث يكره لها القضاء ولا يكره له بل يجوز أو يندب ، ويقاس بصلاة الكافر جميع فروع الشريعة من زكاة وصوم . هذا ما أخذته من نصوص المذهب .

وأما الأدلة فوردت أحاديث يستنبط منها جواز ذلك بل ندبه : منها ما أخرجه الأئمة الستة وغيرهم عن عمر بن الخطاب أنه قال : « يا رسول الله إنى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال : أوف بنذرك » قال النووى فى شرح مسلم : من قال إن نذر الكافر لا يصح ـ وهم جمهور أصحابنا ــ حملوا الحديث على الاستحباب أى يستحب لك أن تفعل الآن مثل الذى نذرته فى الجاهلية انتهى، وفى هذا دلالة على أن الكافر يستحب له أن يتدارك القُرَب التى لو فعلها فى حال كفره لم تصح منه ولو كان مسلما لزمته ، وهذه دلالة ظاهرة لا شبهة فيها ، وقال الخطابى فى معالم السنن : فى هذا الحديث دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفرائض مأمورون بالطاعة ، وقال القمولى من متأخرى أصحابنا فى الجواهر : إذا نذر الكافر لم يصح نذره لكن يندب له الوفاء إذا أسلم فلو نذر اليهودى أو النصرانى صلاة أو صوما ثم أسلم استحب له الوفاء ويفعل صلاة شرعنا وصوم شرعنا لا صلاة شرعه وصومه ـ هذا كلام القمولى ، وقال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : استدل بهذا الحديث من يرى صحة النذر من الكافر وهو قول أو وجه فى مذهب الشافعى والأظهر أنه لا يصح لأن النذر قربة والكافر ليس من أهل القرب ، ومن يقول بهذا يحتاج إلى أن يؤول الحديث بأنه أمر أن يأتى باعتكاف يوم يشبه ما نذر فأطلق عليه أنه منذور لشبهه بالنذر وقيامه مقامه فى فعل ما نواه من الطاعة (كلام ابن دقيق العيد هنا منقول بالمعنى انظر الشرح ٤ / ١٥٥) ، وعلى هذا يكون قوله : « أوف بنذرك » من مجاز الحذف أو مجاز التشبيه، ومنها ما أخرجه مسلم عن حكيم بن حزام قال : «قلت يا رسول الله أشياء كنت أفعلها فى الجاهلية ـ يعنى أتبرر بها ـ فقال رسول الله ﷺ أسلمت على ما سلف لك من الخير قلت : فوالله لا أدع شيئا منعته فى الجاهلية إلا فعلت فى الإسلام مثله » قلت : هذا الحديث يؤخذ منه بدلالة الإشارة استدراك ما فات فى الجاهلية فإنه لما صدر منه ما صدر من القربات فى الجاهلية كأنه لم يرها تامة لفقد وصف الإسلام

فأعاد فعلها فى الإسلام استدراكا لما فات من وصف التمام ، وأخرج الحاكم فى المستدرك عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أعتق حكيم مائة رقبة وحمل على مائة بعير فى الجاهلية فلما أسلم أعتق مائة وحمل على مائة بعير » هذا الحديث فيه التصريح بوفائه بما وعد به ، ومنها ما روى أن أبا سفيان لما أسلم قال : يا رسول الله لا أترك موقفا قاتلت فيه المسلمين إلا قاتلت مثله الكفار ولا درهما أنفقته فى الصد عن سبيل الله إلا أنفقت مثله فى سبيل الله ، هذا الحديث صريح بمنطوقه فى استدراك تكفير ما مضى فى الكفر من فعل المناهى وهو غير لازم فيحمل على الندب ويؤخذ من فحواه استحباب استدراك ما مضى فى الكفر من ترك الأوامر، وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه عن عكرمة بن أبى جهل قال قال : « لى النبى ﷺ يوم جئت : مرحبا بالراكب المهاجر مرحبا بالراكب المهاجر فقلت : والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها إلا أنفقت مثلها فى سبيل الله » هذا أيضا من استدراك تكفير ما مضى من فعل المنهيات فى حال الكفر .

(كشف الظنون ١ / ٦٧١ ، والحاوى للفتاوى للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ١/ ٢٧ ـ ٢٩) .

* **الحظر والإباحة :**

قال الإمام الجوينى إمام الحرمين فى الحظر والإباحة ، وهو الموضوع بين أقواس ، وما عداه هو شرح الجلال المحلى :

(وأما الحظر والإباحة فمن الناس من يقول : إن الأشياء) بعد البعثة (على الحظر) أى على صفة هى الحظر (إلا ما أباحته الشريعة) فإن لم يوجد فى الشريعة ما يدل على الإباحة فيستمسك بالأصل وهو الحظر (ومن الناس من يقول بضده ، وهو أن الأصل فى الأشياء) بعد البعثة أنها على (الإباحة إلا ما حظره الشرع) والصحيح التفصيل ، وهو أن المضار على التحريم ، والمنافع على الحل ، أما قبل البعثة فلا حكم يتعلق بأحد ، لانتفاء الرسول الموصل إليه .

(ومعنى استصحاب الحال) الذى يحتج به كما سيأتى : (أن يستصحب الأصل) أى العدم الأصلى (عند عدم الدليل الشرعى) بأن لم يجده المجتهد بعد البحث الشديد عنه بقدر الطاقة ، كأن لم يجد دليل [دليلاً] على وجوب صوم رجب فيقول : لا يجب باستصحاب الحال ، أى لعدم الأصل ، وهو حجة جزما ، وأما الاستصحاب المشهور الذى هو ثبوت أمر فى الزمن الثانى لثبوته فى الأول فحجة عندنا دون الحنفية ، فلا زكاة عندنا فى عشرين دينارا ناقصة تروج رواج الكاملة بالاستصحاب ا هـ (شرح الورقات / ٧١ ـ ٧٣) .

قال قاضى خان فى « فتاواه » ، فى كتاب الحظر والإباحة : تعلم الكلام والنظر فيه ، والناظرة به قدر الحاجة منهى «عنه » لما ورد عن حماد بن أبى حنيفة رحمه الله ، أنه كان يتكلم فى الكلام ، فنهاه أبوه عن ذلك ، فقال له حماد : رأيتك وأنت تتكلم ، فما بالك تنهانى ؟ فقال : يا بنى ، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه ، وأنتم اليوم تتكلمون ، كل واحد يريد أن يزل صاحبه ، فكأنه أراد أن يكفِّر، ومن أراد أن يكفِّر صاحبه ، فقد كفَر قبل أن يكفِّر صاحبه (مفتاح السعادة ٢ / ١٣٥) .

(شرح الورقات فى علم أصول الفقه لجلال الدين المحلى على ورقات أبى المعالى إمام الحرمين / ٧١ ـ ٧٣ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ١٣٥) .

* **حُفَّاظ الإسلام :**

هم كما أحصاهم وترجم لهم القنوجى :

تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية الحرانى .

شمس الدين محمد بن أبى بكر، ابن القيم الجوزى .

أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصفهانى الظاهرى .

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى .

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى .

أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى، ابن الصلاح .

أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى .

أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الواحدى .

أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى .

القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى .

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى .

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد، ابن العربى .

أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الخضر، ابن تيمية الحرانى .

يوسف بن عبد البر بن محمد النمرى القرطبى .

أبو بكر بن أحمد بن الحسين البيهقى .

أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى .

عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن الخضر، مجد الدين ، أبو البركات ابن تيمية الحرانى .

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى .

كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن الزملكانى .

محمد بن على بن وهب بن مطيع ، تقى الدين ، أبو الفتح ، ابن دقيق العيد .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ٢٩٧ ، ٢٩٨) .

وسنورد تراجم بعضها فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

*** حفاظ الحديث :**

أما الحفاظ فهم الرجال الذين امتازوا بحفظ حديث رسول الله ﷺ . ولا يكتفى فى الحافظ بحفظ المتن نفسه ، بل غليه أن يحفظ سلسلة سند الحديث لا يخرم منه حرفا ، ولا يسقط راويا . وفى ذلك من المشقة وإجهاد الحافظة وتطلب القوة فيها ما ليس فى رواة الأدب والشعر. وكان لحفاظ الحديث فى ذلك مقدرة عجيبة ، فقد حكموا أن عبد الله بن سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٣١٦ هـ كان يحدث فى دار الوزير على بن عيسى ، وقد نصب له السلطان منبرا يحدث عليه ، فلما خرج مرة إلى سجستان سأله أهلها أن يحدثهم ، فقال : ما معى أصل ! فقالوا : ابن أبى داود وأصول ؟ ! فأملى عليهم من حفظه ثلاثين ألف حديث، فلما قدم بغداد قال البغداديون : مضى ابن أبى داود إلى سجستان ولعب بالناس ! ثم فيجوا فيجا بستة دنانير إلى سجستان ليكتب لهم النسخة فكتبت وجىء بها ، وعرضت على حفاظ بغداد، فخطأوه فى ستة أحاديث ! لم يكن أخطأ إلا فى ثلاثة منها .

وتبين لنا القصة التالية وجه المشقة فى حفظ الحديث أكثر من حفظ الشعر ، فقد جاء أبو الفضل الهمذانى المتوفى ٣٩٨ هـ نيسابور فأعجب الناس بكثرة حفظه وتعصبوا له ولقبوه ببديع الزمان . وأعجب الهمذانى بنفسه لأنه كان يحفظ المائة بيت إذا أنشدت بين يديه مرة ، وينشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة ، وبلغ به الإعجاب أنه أنكر على الناس قولهم : فلان الحافظ فى الحديث ، وقال : هل حفظ الحديث مما يذكر؟؟ فسمع به الحاكم النيسابورى، فوجه إليه بجزء من الحديث ، وأمهله أسبوعا فى حفظه ، فرد بديع الزمان إليه الجزء بعد الأسبوع قائلا : من يحفظ هذا ؟ محمد بن فلان ، وجعفر بن فلان، عن فلان ! أسام مختلفة ، وألفاظ متباينة ! فقال له الحاكم : إذن فاعرف نفسك ! واعلم أن حفظ هذا أضيق مما أنت فيه !

هؤلاء هم حفاظ الحديث، وهذه هى مقدرتهم فى حفظ الحديث النبوى، وقد ألفت كتب فى تراجمهم وطبقاتهم ، من أقدمها كتاب « طبقات الحفاظ » للمؤرخ شمس الدين الذهبى « ٧٤٨ هـ »، وقد اقتطعه من كتابه الواسع فى التاريخ وطبقات المشهورين الأعلام . وقد ذيل عليه جماعة من العلماء والمؤرخين ، منهم الحافظ الحسينى الدمشقى «٧٦٥ هـ »؛ والحافظ ابن فهد المكى « ٨٧١ هـ » فى كتابه «لحظ الألحاظ ، بذيل طبقات الحفاظ » ؛ والحافظ السيوطى المؤرخ (٩١١ هـ) التراجم والسير / ٦٠ـ٦٢) .

وقد كتب العلماء كتبا مستقلة عن حفاظ الحديث وذكر حالاتهم ومن هذه الكتب :

١ ـ « أسماء الحفاظ » للعلامة أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز الأندلسى المشهور بابن الدباغ المتوفى سنة ٥٤٦ هـ قال عنه الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ : « وله جزء لطيف فى أسماء الحفاظ » .

٢ ـ « أخبار الحفاظ » للعلامة ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ونسخة هذا الكتاب مخطوطة موجودة فى المكتبة

الظاهرية بدمشق . والكتاب ليس مقصورا على علماء الحديث و إنما تناول الحفاظ فى الفنون والعلوم الأخرى .

٣ ـ « كتاب أربعين الطبقات » للحافظ شرف الدين أبو الحسن المتوفى سنة ٦١١ هـ .

٤ ـ « طبقات الحفاظ » لشيخ الإسلام تقى الدين ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٣ هـ .

٥ ـ « تذكرة الحفاظ » للحافظ شمس الدين الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى أربعة مجلدات طبع دائرة المعارف الإسلامية (حيدر آباد الدكن) وأعيد طبعه .

٦ ـ « نظم تذكرة الحفاظ » للحافظ إسماعيل بن محمد المعروف بابن بردوس المتوفى سنة ٧٨٦ هـ .

٧ ـ « بديعة البيان فى وفيات الأعيان » لحافظ الشام ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

٨ ـ « التبيان لبديعة البيان » لحافظ الشام ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

٩ ـ « ذيل التبيان » للحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

١٠ ـ « طبقات الحفاظ » للحافظ ابن حجر وقال صاحب كشف الظنون : إنه يقع فى مجلدين .

١١ ـ « تذكرة الحفاظ » للحافظ نجم الدين عمر بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

وغير ذلك كثير وكثير (الإمام ابن ماجه صاحب السنن / ٢٢ ، ٢٣) .

على أننا لا يجدر بنا إغفال كتاب « الكمال » الذى ألفه أبو محمد عبد الغنى المقدسى الجماعيلى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ وجعله معجما مطولا لأسماء رجال الحديث الذين وردوا فى كتب الحديث الستة ، ورتبه على حروف الهجاء . ثم جاء أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فهذبه فى كتاب أسماه « تهذيب الكمال » ، وجاء المؤرخ الذهبى فرتب التهذيب ولخصه وزاد عليه وأسماه « تذهيب تهذيب الكمال » ، ثم جاء ابن حجر العسقلانى المؤرخ المحدث الحافظ (٨٥٢ هـ) فهذب تهذيب الكمال فى كتاب أسماه « تهذيب تهذيب الكمال ، فى معرفة الرجال » طبع بالهند فى اثنى عشر جزءا سنة ١٣٢٥ هـ ، فكان آخر ما انتهت إليه طبقات رجال الحديث من التهذيب والإتقان .

على أننا لا ننسى معاصرا لابن حجر ألف كتابا فى « طبقات المحدثين » من زمن الصحابة إلى أوائل القرن التاسع ، وهو سراج الدين عمر بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ هـ .

كما أن الهيثم بن عدى (٢٠٧ هـ) ألف كتابا فى طبقات الفقهاء والمحدثين ، فكان بذلك أقدم من نعرف من المؤلفين فى طبقات رجال الحديث (التراجم والسير / ٦٠) .

قالت المؤلفة : نضيف هنا كتابا عندى هو طبقات الحفاظ للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، وبه ١١٩٠ ترجمة .

(التراجم والسير ـ محمد عبد الغنى حسن / ٦٠ ـ ٦٢ ، والإمام ابن ماجه صاحب السنن ـ أ . د عبد العزيز عزت عبد الجليل . هدية مجلة الأزهر . ذى القعدة ١٤١٠ هـ / ٢٢ ، ٢٣) .

انظر : الحافظ .

*** حفاظ القرآن ورواته :**

معرفة حفاظ القرآن ورواته هو النوع العشرون من علوم القرآن الكريم كما صنفها الحافظ السيوطى الذى يقول :

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب » أى تعلموا منهم . والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبدوء بهما ، واثنان من الأنصار ، وسالم هو ابن معقل مولى أبى حذيفة ومعاذ هو ابن جبل . قال الكرمانى : يحتمل أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده : أى أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك . وتعقب بأنهم لم ينفردوا ، بل الذين مهروا فى تجويد القرآن بعد العصر النبوى أضعاف المذكورين ، وقد قتل سالم مولى أبى حذيفة فى وقعة اليمامة ، ومات معاذ فى خلافة عمر ومات أبى وابن مسعود فى خلافة عثمان ، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة فى القراءة وعاش

بعدهم زمنا طويلا فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم فى الوقت الذى صدر فيه ذلك القول ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد فى ذلك الوقت شاركهم فى حفظ القرآن ، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة . وفى الصحيح فى غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا . روى البخارى أيضا عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قلت : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتى . وروى أيضا من طريق ثابت عن أنس قال : مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين : أحدهما التصريح بصيغة الحصر فى الأربعة ، والآخر ذكر أبى الدرداء بدل أبى ابن كعب وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر فى الأربعة .

وقال المازرى : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع فى نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى البلاد ؟ وهذا لا يتم إلا إن كان لقى كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع فى عهد النبى ﷺ، وهذا فى غاية البعد فى العادة . وإذا كان المرجع إلى ما فى علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره . سلمناه ولكن من أين لهم أن الواقع فى نفس الأمر كذلك ، سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبى : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل فى عهد النبى ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا فى ذهنه دون غيرهم . وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : الجواب عن حديث أنس من أوجه .

أحدها : أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه .

الثانى : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها إلا أولئك .

الثالث : لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك .

الرابع : أن المراد بجمعه تلقيه من فى رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدوا إلى إلقائه وتعليمه فاشتهروا به ، وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة . فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه . وأما هؤلاء فجمعوه كتابه وحفظوه عن ظهر قلب .

السابع : المراد أن أحدا لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك ، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك ، لأن أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية ، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير .

الثامن : أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه . وقد أخرج أحمد فى الزهد من طريق أبى الزاهرية أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال : إن ابنى جمع القرآن، فقال : اللهم غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع . قال ابن حجر: وفى غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير.

قال : وقد ظهر لى احتمال آخر، وهو أن المراد بإثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط ، فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين لأنه قال ذلك فى معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ، كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس: منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن أبى ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر، ومن حمته الدبر عاصم

ابن أبي ثابت : أي ابن أبي الأفلح، فقال الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ، فذكرهم . قال : والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ففي الصحيح أنه بنى مسجدا بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن . وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك . قال : وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة : إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشيا . وقد صح حديث « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » وقد قدمه ﷺ في مرضه إماما للمهاجرين والأنصار، فدل على أنه كان أقرأهم اهـ . وسبقه إلى نحو ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : مات أبو بكر ولم يجمع القرآن ، وقتل عمر ولم يجمع القرآن. قال ابن أشتة : قال بعضهم : يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظا . وقال بعضهم : هو جمع المصاحف . قال ابن حجر: وقد ورد عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ. أخرجه ابن أبي داود وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو قال «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ النبي ﷺ فقال : «اقرأه في شهر » الحديث . وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري. وأخرج البيهقي في المدخل عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة : أبي الدرداء وعثمان ، وقيل عثمان وتميم الداري. وأخرج هو وابن أبي داود عن الشعبي قال : جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ستة : أُبي ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعيد بن عبيد، وأبو زيد ومجمع بن جارية ، وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاثا . وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات : القراء من أصحاب النبي ﷺ، فعدَّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة . ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد، وصرح بأن بعضهم إنما كمله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس. وعد ابن أبي داود منهم تميما الداري وعقبة بن عامر . وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعري ، ذكره أبو عمرو الداني.

[تنبيه] أبو زيد المذكور في حديث أنس اختلف في اسمه ، فقيل سعد بن عبيد بن النعمان أحد بني عمرو بن عوف. ورد بأنه أوسي وأنس خزرجي ، وقد قال: إنه أحد عمومته ، وبأن الشعبي عده هو وأبو زيد جميعا ، فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدل على أنه غيره . وقال أبو أحمد العسكري: لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد. وقال محمد بن حبيب في المحبر: سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ . وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبي صعصعة وهو خزرجي يكنى أبا زيد فلعله هو . وذكر أيضا سعيد بن المنذر ابن أوس زهير وهو خزرجي أيضا ، لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد. قال : ثم وجدت عند ابن أبي داود ما رفع الإشكال ، فإنه روى بإسناد على شرط البخاري إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكن. قال: وكان رجلا منا من بني عدي بن النجار أحد عمومتي ومات ولم يدع عقبا ونحن ورثناه . قال ابن أبي داود: حدثنا أنس بن خالد الأنصاري ، قال: هو قيس بن السكن بن زعوراء من بني عدي بن النجار، قال ابن أبي داود: مات قريبا من وفاة رسول الله ﷺ، فذهب علمه ولم يؤخذ عنه ، وكان عقبيا بدريا . ومن الأقوال في اسمه ثابت وأوس ومعاذ.

فائدة : ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك ، فأخرج ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الفضل بن دكين ، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع قال : حدثتني جدتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، وكانت

قد جمعت القرآن « أن رسول الله ﷺ حين غـزا بدرا قالت له : أتأذن لى فأخرج معك أداوى جـرحاكم وأمرض مـرضاكم لعل الله يهدى لى شهادة ؟ قال : إن الله مهد لك شهادة » وكان ﷺ قد أمـرها أن تؤم أهل دارها وكـان لها مؤذن ، فغمها غـلام لها وجارية كانـت قد دبرتهما فقتلاها فى إمـارة عمر، فقال عمر: صدق رسـول الله ﷺ كان يقـول « انطلقوا بنـا نزور الشهيـدة » (الإتقان ١ / ٩٣-٩٦) .

(الإتقان فى علوم القرآن ١ / ٩٣-٩٦) . لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٩٣-٩٦) .

*** الحفر فى الحجر والجص:**

انظر : الحجر والجص والرخام .

*** الحفر فى الخشب :**

انظر : الخشب .

*** الحفر فى العاج والعظم :**

انظر : العاج والعظم .

*** الحفر فى المعادن :**

انظر : المعادن .

*** حفص بن سليمان (٩٠-١٨٠ هـ / ٧٠٩-٧٩٦ م) :**

أحد راويى عاصم (حفص وشعبة)

وهـو حفص بن سليمان بن المغيـرة أبو عمـر بن أبى داود الأسدى الكوفى الغاضرى البزاز ويعرف بحفيص .

أخـذ القـراءة عـرضا وتلقينـا عن عـاصم وكـان ربيبـه ابن زوجته .

ولد سنة تسعين ، قال الدانى وهـو الذى أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة ، ونزل بغداد فأقـرأ بها وجاور بمكة فأقرأ بها أيضا ، وقال يحيى بن معين الرواية الصحيحة التى رويت عن قـراءة عاصم روايـة أبى عمـر حفص بن سليمـان ، وقال أبـو هشـام الرفـاعى : كـان حفص أعلمهم بقـراءة عاصم . وقـال الذهبى أمـا القراءة فثقـة ، ثبت ضابط لهـا بخلاف حـاله فى الحديث قال ابـن المنادى قرأ على عاصم مـرارا وكان الأولون يعـدونه فى الحفظ فـوق أبى بكر بن عيـاش ويصفونـه بضبط الحروف التى قرأ على عاصم ، وأقرأ الناس دهرا وكانت القراءة التى أخذها عن عاصم ترتفع إلى على بن أبى طالب رضى الله عنـه ، فقد روى عن حفص أنـه قال قلت لعـاصم : أبو بكـر شعبة يخالفنى فى القراءة فقال : أقرأتك بما أقرأنى به أبو عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طـالب وأقرأته بما أقـرأنى به زر بن حبيش عن عبـد الله بن مسعود ، قـال ابن مجاهـد بينه وبين أبى بكـر من الخلف فى الحـروف خمسمـائة وعشـرون حرفا فى المشهـور عنهما وذكر حفص أنه لم يخـالف عاصما فى شىء من قراءته إلا فى حرف الروم (س ٣٠ ، ٥٤) ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ [الروم : ٥١] قرأه بـالضم وقرأه عاصم بالفتح .

وروى القراءة عنه عرضا وسماعا أناس كثيرين منهم حسين ابن محمـد المروزى وحمـزة بن القـاسم الأحول وسليمـان بن داود الـزهرانى وحمـدان بن أبى عثمـان الـدقاق والعبـاس بن الفضل الصفـار وعبد الرحمن بـن محمد بن واقد ومحمـد بن الفضل زرقـان وخلف الحـداد وعمـرو بن الصبـاح وعبيـد بن الصباح وهبيـرة بن محمد التمار وأبـو شعيب القواس والفضل ابن يحيى بـن شـاهـى بن فـراس الأنبـارى وحسيـن بن على الجعفى وأحمـد بن جبيـر الأنطاكى وسليمـان الفقيمى تـوفى سنة ثمانين ومائة على الصحيح (البحث والاستقراء / ٤٤ / ٤٥) .

يلزم القارئ برواية حفص أن يعرف مذهبه فيما يلى :

١ ـــ سهَّل حفص الهمـزة الثـانيـة بين بين أى بينهـا وبين الألف فـى لفظ : ﴿ ءاعجمـى ﴾ فى قـوله تعالى فـى سورة فصلت : ﴿ ءاعجمى وعربى ﴾ ولم يسهِّل فى القـرآن إلا فى هذه الهمزة .

٢ ـــ أمال الـراء والألف فى لفظ : ﴿ مجريها ﴾ فى قوله تعالى فى سورة هود ﴿ بسم الله مجريها ومرسيها ﴾ ولـم يمل فى القرآن إلا فى هذا اللفظ .

٣ ـــ له فى نـون ﴿ تأمنـا ﴾ فى سـورة يوسف وجهـان : الإشمام والروم .

٤ ـ لـه الإظهار والإدغـام فى الكلمـات الآتية : ﴿ يلهث ذلك ﴾ فى سورة الأعراف [١٧٦] ، ﴿ اركب معنا ﴾ فى سورة هود ، ﴿ يس * والقـرآن الحكيم ﴾ صدر سـورة يس ، ﴿ن والقلم ﴾ أول سورة القلم .

٥ ــ له فتح الضاد وضمها في كلمة : ضعف : وكلمة «ضعفا » في قوله تعالى في سورة الروم : ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ﴾ [الروم : ٥٤] .

٦ ــ له إشباع هاء الضمير بقدر حركتين عند الوصل في كلمة (فيه) في قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ .

٧ ــ تجوز له القراءة بالسين والصاد في الكلمات الآتية : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ في سورة البقرة . ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ في الأعراف ، ﴿ أم المسيطرون ﴾ في الطور ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ في الغاشية .

٨ ــ يجوز له السكت وتركه عند الوصل على ألف ﴿عوجا﴾ في قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ وعلى ألف ﴿ مرقدنا ﴾ في قوله تعالى في سورة يس : ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ وعلى (نون) ﴿ من ﴾ في قوله تعالى في سورة القيامة : ﴿وقيل من راقٍ ﴾ وعلى لام ﴿ بل ﴾ في قوله تعالى في سورة المطففين : ﴿ كلا بل ران ﴾ (ملخص أحكام التجويد / ١٣٦ ، ١٣٧) .

وقد صاغ ذلك نظما الشيخ محمد بن محمد جابر المصرى فقال :

وما كان حفص ساكتا عند قصره
وسكتا على إظهار باركب فأهملا
وفي عوجا مع إخوة خُصَّ سكته
بما قبل همز إن بالأربع يهملا
وترقيق فرق خص بالمد واقصُرَن
بحذفك آتاني لدى الوقف مبتلا
وسكتا له خصص بالاثبات وامنعا
لسكت بضم حرف ضعف وما ولا
ويس بالإظهار خص بسكته
كسين مسيطر صاد غاشية تلا
وقصرا وسكتا خصصن لحفصهم
بحذف له وقفا بحرف سلاسلا
وإظهار يلهث خصصن بمده
وسكتا بموصول بالإظهار أهملا

(مختصر قواعد التحرير / ٣٦) .

وعن تحديد حفص في نوعى المد قال الشيخ السمنودى :

والمد قبل الهمز وسط وامددا
خمسا وكالمواقف بست زائدا
والرفع أشمم مطلقا ورمه
كالجر بالذى به تصله
ثلاثة نصبا وخمسة بجر
وأوجه الرفع ثمان تعتبر
وفى اجتماعه بذى انفصال
أو جمعه مع وصل ذى اتصال
أربعة نصبا وستة بجر
وعشرة في حالة الرفع تقر

(تلخيص لآلئ البيان / ١٢) .

قالت المؤلفة : ورمز حفص في الشاطبية هو (ع) .

(البحث والاستقراء في تراجم القراء - محمد الصادق قمحاوى / ٤٤ ، ٤٥ ، وملخص أحكام التجويد - د. شعبان محمد إسماعيل / ١٣٦ ، ١٣٧ ، ومختصر قواعد التحرير - محمد بن محمد جابر المصرى. دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى وشركاه / ٣٦ ، وتلخيص لآلئ البيان في تجويد القرآن ــ إبراهيم على على شحاتة السمنودى . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده . للطبعة الثانية ١٣٧٤ - ١٩٥٤م/ ١٢ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٦٤ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٣٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٥٤) .

انظر : الدورى .

*** حفص بن عمر :**

انظر : الدورى .

*** حفص بن غياث (١١٧ - ١٩٤ هـ / ٧٣٥ - ٨١٠ م) :**

حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعى الأزدى الكوفى ، أبو عمر ، قاض ، من أهل الكوفة . ولى القضاء

ببغداد الشرقية لهارون الرشيد ، ثم ولاه قضاء الكوفة ومات فيها (الأعلام ٢ / ٢٦٤) .

ولد حفص بالكوفة سنة ١١٧ هـ ونشأ وتربى بها وتعلم أولا بها وتلقى عن رجالها ثم أخذ العلم عن شيوخ عصره وأعلامه الثقات من أمثال هشام بن عروة وإسماعيل بن أبى خالد وسليمان الأعمش وأبى إسحاق الشيبانى وجعفر بن محمد بن على وسفيان الثورى ومن فى طبقتهم .

وتلقى عنه أعلام مشهود لهم بالورع والتقى والصلاح والاستقامة ، من أمثال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى ابن المدينى وإسحاق بن راهويه وعامة الكوفيين .

وكان حفص كثير الحديث حافظا له ، ثبتا فيه ، وكان مقدما عند المشايخ الذين سمع منهم الحديث . وكان يحدث بالكوفة وبغداد من حفظه لم يخرج كتابا وكتبوا عنه أربعة آلاف حديث من حفظه .

وكانت تربطه صداقة ومودة وزمالة علمية بكل من عبد الله ابن إدريس ووكيع بن الجراح وقد بلغ ثلاثتهم فى العلم والعمل شأوا بعيدا حتى أصبحوا ممن يشار إليهم بالبنان ، وكان ثلاثتهم ممن وقع عليهم اختيار الرشيد من رجال دولته ليسند إليهم القضاء ، أما صاحباه فاحتال كل منهما للتخلص من مسئولية القضاء وأما غياث فأسند إليه القضاء (أعلام القضاء فى الإسلام / ١٥٤) .

له « كتاب » فيه نحو ١٧٠ حديثا من روايته . وهو صاحب أبى حنيفة ، ويذكره الإمامية فى رجالهم (الأعلام ٢ / ٢٦٤) انظر : الإمامية .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٦٤ ، وأعلام القضاء فى الإسلام - د. محمد إبراهيم الجيوشى / ١٥٤) .

*** حفص الدورى :**

انظر : الدورى .

*** حفص القارئ :**

انظر : الدورى .

*** أبو حفص النيسابورى (-٢٧٠ هـ أو نحوها) :**

أدرجه الإمام أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقات الأولى للصوفية .

هو أبو حفص عمرو (أو عمر) بن سلمة - وقيل ابن سلم - والأول أصح ، وصناعته الحدادة ، ولذلك يقال أبو حفص الحداد (الموسوعة الصوفية / ٣٩٨) وهو من أهل قرية يقال لها « كورداباذ » على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى . توفى أبو حفص سنة سبعين ومائتين وقيل سنة سبع وستين ومائتين (طبقات الصوفية / ٢٧) وتخرج عليه عامة أعلام صوفية نيسابور ، ومنهم أبو عثمان النيسابورى ، وشاه الكرمانى ، وكان من أصحاب أحمد بن خضرويه ، وكلامه وسلوكه فى الفتوة ، فهو الفتى حقا ، والتصوف عنده ليس إلا الآداب ، ولكل وقت أو مقام أدبه ، ومن لزم الآداب بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن أنه قريب ، ومردود من حيث يرجو القبول (الموسوعة الصوفية / ٣٩٨ ، ٣٩٩) .

صحب عبيد الله بن مهدى الأبيوردى ، وعليا النصراباذى ، ورافق أحمد بن خضرويه البلخى ، وكان أحد الأئمة والسادة ، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرمانى ، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل - كما سبق القول ...

وقال مخمش الجلال . « صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط ، وما يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة ، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله ، حتى كان يرى ذلك جميع من حضره » .

وكان أبو حفص إذا غضب تكلم فى حسن الخلق حتى يسكن غضبه ، ثم يرجع إلى حديثه . ومن كلامه :

- المعاصى بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت .

- وقال مرة - وقد ذكر الله تعالى ، وتغير عليه حاله - فلما رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين ! فما أظن أن محقا يذكر الله من غير غفلة ، ثم يبقى بعد ذلك حيا ، إلا الأنبياء ، فإنهم أيدوا بقوة النبوة ، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم .

- من إهانة الدنيا أنى لا أبخل بها على أحد ، ولا أبخل بها على نفسى ، لاحتقارها واحتقار نفسى عندى .

ـ وقال محمد بن بحر الشجينى أخو زكريا : « كنت أخاف الفقر مع ما كنت أملك من المال . فقال لى يوما أبو حفص : إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يغنيك . فذهب خوف الفقر من قلبى رأسا » .

ـ الفقير الصادق الذى يكون فى كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته ، يستوحش منه وينفيه .

ـ ما أعز الفقر إلى الله ، وأذل الفقر إلى الأشكال ، وما أحسن الاستغناء بالله ، وأقبح الاستغناء باللئام .

ـ واجتمع مشايخ بغداد عند أبى حفص ، وسألوه عن الفتوة ، فقال : تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان . فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوى عندى أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته .

ـ ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من فيها من المشايخ والفتيان ، فلما أرادوا أن يرجعوا قال لهم بعضهم : دلنا على الفتوة ، ما هى؟ فقال : « الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة ، لا نطقا » فتعجبوا من كلامه .

ـ وسئل : هل للفتى من علامة ؟ قال : نعم ، من يرى الفتيان ، ولا يستحى منهم فى شمائله وأعماله ، فهو فتى .

ـ ما دخل قلبى حق ولا باطل منذ عرفت الله .

ـ تركت العمل فرجعت إليه ، ثم تركنى العمل فلم أرجع إليه .

ـ الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله لاحتياجك إليه .

ـ وقال له رجل : إن فلانا من أصحابك ، أبدا يدور حول السماع ، فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه . فقال أبو حفص : أى شىء يعمل الغريق ؟ يتعلق بكل شىء يظن نجاته فيه .

ـ حرست قلبى عشرين سنة ، وحرسنى قلبى عشرين سنة ، ثم وردت حالة صرنا فيها محروسين جميعا .

ـ من تجرَّع كأس الشوق يهيم هياما ، ولا نفيق إلا عند المشاهدة واللقاء .

ـ إذا رأيت المحب ساكنا هادئا فاعلم أنه وردت عليه غفلة ، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ ، بل يزعجه فى الدنو والبعد ، واللقاء والحجاب .

ـ التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب . فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول .

ـ الحال لا يفارق العلم ، ولا يفارق القول .

ـ من يعطى ويأخذ فهو رجل ، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل ، ومن لا يعطى ولا يأخذ فهو همج لا خير فيه . وسئل أبو عثمان الحيرى النيسابورى راوى هذا الكلام عن أبى حفص عن معناه فقال : « من يأخذ من الله ويعطى لله فهو رجل ، لأنه لا يرى فيه نفسه بحال ، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل لأنه يرى نفسه فى ذلك ، فيرى أن له ـ بألا يأخذ ـ فضيلة ، ومن لا يأخذ ولا يعطى فهو همج ، لأنه يظن أنه الآخذ والمعطى ، دون الله تعالى » .

ـ ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه .

ـ وسئل عن قول الله عز وجل : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ [النساء : ١٩] فقال : المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما ساءك ، ومن كرهت صحبتها .

ـ وسئل عن البخل فقال : ترك الإيثار عند الحاجة إليه .

ـ وسئل : من الولى؟ فقال : من أيد بالكرامات ، وغيب عنها

ـ ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح .

ـ وسئل عن أحكام الفقر وآدابها على الفقراء فقال : حفظ حرمات المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر ، وترك الخصومات فى الأرزاق ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الادخار ، وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة فى أمور الدين والدنيا .

ـ وسئل : من العاقل؟ فقال : المطالب نفسه بالإخلاص .

ـ وسئل عن العبودية ، فقال : ترك ما لك ، والتزام ما أمرت به .

ـ من رأى فضل الله عليه فى كل حال أرجو ألا يهلك .

ـ لا تكن عبادتك لربك سببا لأن تكون معبودا .

ـ إنى لا أدعى حسن الخلق، لأنى أحس من نفسى سرعة الغضب وإن لم أظهره، ولا أدعى السخاء، لأنى لست آمن من نفسى أن تلاحظ فعله ، أو تلتفت إليه ، أو تذكر عطاءه وقتا ما .

ــ وسئل : ما البدعة ؟ فقال : التعدى فى الأحكام، والتهاون فى السنن ، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع .

ـ وسئل : من الرجال؟ فقال : القائمون مع الله تعالى بوفاء العهود. قال الله تعالى : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

ـ الإيثار أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك ، فى أمر آخرتك ودنياك .

(الموسوعة الصوفية ــ د. عبد المنعم الحفنى / ٣٩٨، ٣٩٩، وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٢٧ـ ٢٩) .

***حفصة بنت عمر بن الخطاب (١٨ ق هـ ـ ٤٥ هـ / ٦٠٤ ـ ٦٦٥م) :**

حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه القرشية العدوية رضى الله عنها . صحابية جليلة صالحة من أزواج النبى ﷺ . أمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح (السمط الثمين / ٦٧ والأعلام ٢ / ٢٦٥) . ولدت بمكة وتزوجها خنيس بن حذافة السهمى ، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها ، فزوجه إياها ، سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة ، واستمرت فى المدينة بعد وفاة النبى ﷺ إلى أن توفيت بها (الأعلام ٢ / ٢٦٥) .

• عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن عمر حين تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمى رضى الله عنه ، وكان من أصحاب النبى ﷺ ممن شهد بدرا، وتوفى بالمدينة ، قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة. فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ؟ فقال : سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالى، ثم لقيته ، فعرضت عليه . فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى فلقيت أبا بكر رضى الله عنه . فقلت له : إن شئت أنكحتك حفصة ابنة عمر ؟ فصمت، ولم يرجع إلى شيئا. فكنت عليه أوجد منى على عثمان فلبثت ليالى. ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر رضى الله عنه . فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئا. فقلت : نعم . فقال : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها . أخرجه البخارى والنسائى .

(تأيمت) المرأة : إذا مات زوجها أو فارقها، وقيل الأيم التى لا زوج لها تزوجت أو لم تتزوج، والرجل أيضا أيم (تيسير الوصول ٤ / ٢٢٢) .

يقول السيد محمد رشيد رضا :

نعم إن رسول الله ﷺ تزوج عائشة فى السنة الثانية من الهجرة فكان هذا قرة عين لصاحبه ووزيره الأول وخير مكافأة له فى الدنيا على صدقه وإخلاصه، فلما توفى زوج حفصة بنت وزيره الثانى رأى أن يساوى بينه وبين أبى بكر فى تشريفهما بمصاهرته ، ولم يكن فى الإمكان أن يكافئهما فى هذه الحياة بشرف أعلى من هذا . فتزوج حفصة فى السنة الثالثة وقيل فى الثانية ولولا ذلك لكانت حسرة فى قلب عمر ، فما أجل سياسته ﷺ وما أعظم وفاءه للأوفياء له .

ويقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضى الله عنهما بتزويجهما ببناته وهؤلاء الأربعة أعظم أصحابه فى حياته وخلفاؤه فى إقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته (نداء الجنس اللطيف / ٦٢) .

قال صاحب السمط الثمين :

ذكر من شهد من بيت حفصة رضى الله عنها بدرا :

شهد بدرا من بيتها أبوها عمر رضى الله عنه وعمها زيد وزوجها خنيس بن حذافة السهمى وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة بنو مظعون والسائب بن عثمان بن مظعون ابن خالها ذكره الدارقطنى .

ذكر وفاة حفصة رضى الله عنها :

قال الواقدى توفيت حفصة رضى الله عنها فى شعبان سنة خمس وأربعين فى خلافة معاوية وهى ابنة ستين سنة وقيل سنة إحدى وأربعين وكذلك حين بايع الحسن معاوية وقيل سنة سبع وعشرين فى خلافة عثمان ذكره أبو سعيد الملا وأوصت إلى أخيها عبد الله بما كان أوصى به إليها عمر رضى الله عنه من صدقته ذكره أبو عمر وصاحب الصفوة وصلى عليها أخوها عبد الله (السمط الثمين / ٦٩) .

قال صاحب الأعلام : روى لها البخارى ومسلم فى الصحيحين ٦٠ حديثا (الأعلام ٢ / ٢٦٥) أما صاحب الرياض المستطابة فقال : خرَّج لها الجماعة ، ولها فى الصحيحين عشرة أحاديث ، اتفقا على أربعة ، ولمسلم ستة . روى عنها أخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجته صفية بنت أبى عبيد (الرياض المستطابة / ٣١٢) .

قال الإمام النووى : وروى ابن سعد بإسناده عن عمر رضى الله عنه أنه قال . ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبى ﷺ بخمس سنين ، وأوصى عمر إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بن عمر . وروى ابن سعد عن نافع قال : ما ماتت حفصة حتى ما تفطر، قال ابن سعد : قال الواقدى : توفيت حفصة فى شعبان سنة خمس وأربعين وهى بنت ستين سنة . وقال أبو معشر : توفيت سنة إحدى وأربعين . وقال ابن أبى خيثمة : توفيت أول ما بويع معاوية ، وبويع معاويه فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقال أحمد بن محمد بن أيوب : توفيت سنة سبع وعشرين ونحوه . قال ابن قتيبة فى المعارف قال : توفيت فى خلافة عثمان ، وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة خمسين . وروينا فى تاريخ دمشق عن مصنفه قال لا أدرى قول من قال توفيت سنة ثمان وعشرين محفوظا . وروى ابن سعد أن مروان بن الحكم صلى عليها ، وحمل بين عمودى سريرها من عند دار آل حزم إلى دار المغيرة بن شعبة ، وحمله أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها . ونزل فى قبرها أخواها عبد الله وعاصم ، وبنو أخيها سالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله وروى لها عن رسول الله ﷺ ستون حديثا والله أعلم (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩)

(السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للإمام مجد الدين أحمد ابن عبد الله الطبرى / ٦٧ ، ٦٩ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ٢٢٢ ، ونداء الجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٦٢ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٣١٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، انظر أيضا المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م ، ١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ومرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٧٥ ، والأنباء المستطابة فى مناقب الصحابة والقرابة لابن سيد الكل - تحقيق عبد الجبار زكار ود. على أحمد / ١٠٤ ، وصفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - ضبطها وكتب هوامشها رمضان وسعيد اللحام ٢ / ٢٨ ، ٢٩) .

* **الحفصية :**

قال صاحب التعريفات : هم أصحاب أبى حفص بن أبى المقدام ، زادوا على الإباضية أن بين الإيمان والشرك معرفة الله فإنها خصلة متوسطة بينهما (التعريفات / ١٢٢) .

وقال صاحب الفَرق بين الفِرق : هؤلاء قالوا بإمامة حفص ابن أبى المقدام ، وهو الذى زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله تعالى وحدها ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه : من رسول ، أو جنة ، أو نار ، أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر المحرمات ، فهو كافر برىء من الشرك ومن جهل بالله تعالى وأنكره فهو مشرك ... ثم قالوا بعد هذا كله : إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل ، وهذا نقيض قولهم إن الفصل بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده ، وإن من عرفه فقد برىء من الشرك وإن كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار ، فصار قولهم فى هذا الباب متناقضا (الفَرق بين الفِرق / ٧١) .

(التعريفات للشريف الجرجانى - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٢٢ ، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى / ١/١ . انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٠٩ ، والملل والنحل للشهرستانى - تحقيق محمد سيد كيلانى ١ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى ، ومعه كتاب المرشد الأمين

إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين طه عبد الرءوف سعد ومصطفى الهوارى / ٦٦، ١٠٥) .

*** الحفصيون (١٢٢٨-١٥٣٤ م) :**

كتب بدر الدين العينى فى أحداث سنة ٦٥٣ هـ عن الحفصيين يقول : وقال الشيخ الفاضل ركن الدين (هو ركن الدين بن قويع التونسى) : الحفصيون الذين ملكوا تونس أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى، بتاءين مثناتين من فوق ، وهى قبيلة من المصامدة، ويزعمون أنهم قرشيون من بنى عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... ثم يذكر العينى من ملك تونس من الحفصيين حتى اللحيانى الذى يقول إنه « صاحب تونس فى زماننا هذا ، وهو سنة ثمانى عشرة وسبعمائة (عقد الجمان ١ / ١٠٠ ، ١٠٧) .

وجاء عن الحفصيين فى الموسوعة الثقافية ما يلى : أسرة من البربر حكمت إفريقية (تونس) أولها أبو حفص يحيى بن عمرو الهنتاتى، وهو ينتسب إلى فرع من الموحدين . قام بدور هام فى تدعيم نفوذ الموحدين فى المغرب والأندلس . تمتعت الدولة الحفصية من بعده باستقلال واتساع ملك ، وظلت فى الحكم زهاء ثلاثة قرون ونصف قرن على الرغم من الأحداث التى واجهتها (الموسوعة الثقافية / ٤٠٦) .

(عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العينى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ١٠٠، ١٠٧، والموسوعة الثقافية - بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٦ . انظر أيضا « النظام السياسى عند الحفصيين » - الأستاذ صالح أبو دياك . بحوث فى تاريخ الحضارة الإسلامية فى ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكرى / ٢١٩ - ٢٣٥) .

٥٦ - بنو حفص

(بتونس)

١ - أبو زكريا يحيى [الأول] ، (استقل عن الموحدين)(١) ... سنة ٦٢٥ هـ

٢ - أبو عبد الله محمد [الأول] المنتصر (٢) ... ٦٤٧

٣ - أبو زكريا يحيى [الثانى] ، الواثق ، (خلعه إبراهيم الأول) ٦٧٥

٤ - أبو إسحاق إبرهيم [الأول]، (أعدم سنة ٦٨١) ٦٧٨

الانقسام :

أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة (٣) (الدعى) ... رمضان ٦٨١

٥ - أبو حفص عمر [الأول]، (بتونس) ٦٨٣

أبو زكريا يحيى المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم [الأول] ٦٨٣ (ببجاية حتى سنة ٦٩٨) ... ...

٦ - أبو عبد الله (أبو عصيده) محمد [الثانى] المنتصر بن يحيى[الثانى] (بتونس) أبو البقاء خالد الناصر [الأول] (ببجاية . ثم انفرد بالحكم بعد ذلك) ٦٩٩ ... ٦٩٤

٧ - أبو بكر [الأول] الشهيد بن يحيى [الأول] (ببجاية . ثم انفرد بالحكم) ... ٧٠٩

٨ - أبو البقاء خالد [الأول] الناصر ، (وحده) ٧٠٩

أبو بكر [الثانى] المتوكل ، (بقسنطينة وبجاية) ٧١١

٩ - أبو يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد، (بتونس)(٤) ٧١١

١٠ - أبو ضربه محمد [الثالث] المستنصر، (بتونس) ٧١٧

١١ - أبو يحيى أبو بكر [الثانى] المتوكل، (وحده) ٧١٨

١٢ - أبو حفص عمر [الثانى] ٧٤٧

الاحتلال المرينى ٧٤٧

أبو العباس أحمد [الأول] الفضل (بقسنطينة وبجاية) ٧٤٩

أبو زيد عبد الرحمن بن أبى بكر [الثانى]، (بقسنطينة) ٧٤٩

أبو عبد الله محمد المنصور بن أبى بكر الثانى، (ببجاية) ٧٤٩

١٣ - أبو العباس أحمد [الأول] الفضل المتوكل، (نهائيا) ٧٥٠

(١) اتخذ لقب أمير .

(٢) بعد أن طرد العباسيون من بغداد سنة ٦٥٦ اتخذ لنفسه لقب الخليفة وأمير المؤمنين وأيده شريف مكة أبو نمى محمد الأول . ذكر ابن خلدون (ج ٦ ص ٢٨٠) ولين بول « دول إسلامية » ترجمة خليل أدهم (ص٥٤) أن لقبه المستنصر ، المترجم .

(٣) انظر ابن خلدون (ج٦ ص ٣٠٢) . المترجم .

(٤) يذكر ابن خلدون (جـ ٦ ص ٣٢٥) إن اسمه أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن اللحيانى . المترجم .

١٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم [الثانى] المستنصر (بتونس) (حتى سنة ٧٧٠) ٧٥١

استولى بنو مرين على بجاية ٧٥٤

احتل بنو مرين افريقية كلها للمرة الثانية ٧٥٨

أبو إسحق إبراهيم [الثانى] المستنصر، ٧٥٨ (استقر بتونس، توفى فى ٨ المحرم سنة ٧٩٣ [1])

أبو عبد الله محمد المنصور بن أبى بكر [الثانى] ، (استقر ببجاية) ٧٦١

١٥ ـ أبو البقاء خالد [الثانى] بن إبراهيم [الثانى]، (بتونس) ٧٧٠

١٦ ـ أبو العباس أحمد [الثانى] المستنصر، (وحده) ٧٧٢

١٧ ـ أبو فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد [الثانى] ٧٩٦

١٨ ـ أبو عبد الله محمد [الرابع] المنتصر بن محمد ... ... ذو الحجة ٨٣٧

(١) بمدينة قسنطينة بالجزائر .

١٩ ـ أبو عمر عثمان بن محمد [الرابع][2] صفر ٨٣٩

٢٠ ـ أبو زكريا يحيى [الثالث] بن مسعود بن محمد [الرابع] ٨٩٣

٢١ ـ أبو عبد الله محمد [الخامس] المتوكل ابن الحسن بن مسعود ٨٩٩

٢٢ ـ أبو عبد الله محمد الحسن بن محمد [الخامس] ٩٣٢

الفتح التركى الأول بقيادة خير الدين بارباروس ٩٤١

الحسن، (أعيد إلى الحكم كعامل لشارل الخامس) ٩٤٢

٢٣ ـ أحمد بن الحسن ٩٤٨

الفتح التركى الثانى ... ... رجب ٩٧٧

٢٤ ـ أبو عبد الله محمد [السادس] بن الحسن ، (عامل إسبانيا) ٩٨١

فتح الأتراك تونس نهائيا ٩٨٢

(٢) وجاء بقلعة قفنة نقش باسمه يرجع إلى سنة ٨٣٩ .

بنو حفص

يحي المشاتى

أبو حفص عمر [1]

أبو محمد عبد الواحد [2]

عبد الحيانى — أبو محمد عبد الله [3] — ١ ـ يحيى الأول [4]

أحمد اللحيانى — ٧ ـ أبو بكر الأول — ٥ ـ عمر الأول — ٤ ـ ابراهيم الأول — زكريا — ٢ ـ محمد الأول

٩ ـ زكريا — عبد الرحمن — خالد — يحي — أبو فارس عبد العزيز — ٣ ـ يحيى الثانى

١٠ ـ محمد الثالث — أبو بكر — ١١ ـ أبو بكر الثانى — ٨ ـ خالد الأول — ٦ ـ محمد الثانى — الطيّب — الفضل

أبو زيد عبد الرحمن — أبو زكريا يحي — أبو عبد الله محمد — ١٣ ـ أحمد الأول — ١٢ ـ عمر الثانى

محمد — ١٦ ـ أحمد الثانى — عمر — ١٤ ـ ابراهيم الثانى

عبد الله المنتصر [5] — ١٧ ـ أبو فارس عبد العزيز — ١٥ ـ خالد الثانى

أبو عبد الله محمد المنصور

١٨ ـ محمد الرابع

١٩ ـ عثمان

مسعود

الحسن — ٢٠ ـ يحيى الثالث

٢١ ـ محمد الخامس

٢٢ ـ الحسن

٢٤ ـ محمد السادس — ٢٣ ـ أحمد

(١) توفى سنة ٥٢١ ، من تلاميذ ابن تومرت ومن أفراد عبد المؤمن .
(٢) والى افريقية من ٦٠٣—٦١٨
(٣) والى قفصة .
(٤) والى افريقية .
(٥) أمير بجاية سنة ٧٨٣ ، أنظر المكتبة الأهلية بباريس (Cat. Bibl. Nat. II N° 968)

٨٠ ١١٧

*** حفظ الأبدان :**

يقول ابن رشد فيما يعد نموذجا للطب الإسلامي :

إن جنس حفظ الأبدان بالجملة من الأمراض التى قد استعدت لقبولها بظهور إحدى العلامات فيها الدالة على حدوث الأمراض هو ضرورة من جنس إبطال ذلك المرض إذا حدث ، مثال ذلك إذا حفظ البدن عن الوقوع فى الجذام هو بعينه يلتئم بالأشياء التى بها تكون معالجة هذه العلة ، وكذلك فى مرض، مرض، ومن أشهر هذه الاستعدادات الحالة المسماة إعياء حادثا من تلقاء نفسه ، وذلك أن هذه الحال متى حصلت فى الأبدان استعدت بها لقبول آفات كثيرة فلذلك كان إفرادها بالقول ضروريا هاهنا ، وليس الأمر كذلك فى الاستعدادات الخاصة بمرض مرض، فإن الوجه فى إبطال تلك الاستعدادات هو الوجه فى إبطال تلك الأمراض فلذلك لا معنى هاهنا لتكريرها ، وكذلك أيضا القول فى حفظ الأبدان عند فساد الأهوية هو ضرورى ها هنا فلنبتدئ من الحالة المسماة إعياء فنقول : إنه قد قيل فى كتاب المرض إن هذه الحال ثلاثة أصناف : صنف يعرض بالإعياء القروحى، وأن فاعل هذا هى الأخلاط الحارة أعنى الحادث منه من تلقاء نفسه ، وهو الذى القول فيه هاهنا، وصنف ثان تمددى، وإن فاعل هذا هو كثرة الدم ، وصنف ثالث ورمى . وهو مركب من فاعل القروحى ، ومن فاعل التمددى ويخص هذا أنه يعرض فى الأعضاء منه تزيد فى أقطارها، ولذلك عد هذا الثالث فى البسائط، أولا فهو مركب منها ، فينبغى أن نبدأ أولا بالعلاج العام لجميعها ثم نسير بعد إلى ما يخص واحدا واحدا فنقول : إن العلاج العام لجميع هذه الأنواع من جهة أن فاعلها مزاج مادى هو الإحالة فيما يمكن فيه إحالته واستفراغ ما لا يمكن ذلك فيه ، والإحالة تفعلها الطبيعة بالأدوية ، وبالأغذية التى شأنها أن تلطف الأخلاط وتهيئها للإحالة ، وقد يفعل ذلك أيضا التجويع . وطلب النوم ، والهدوء .

وأما الاستفراغ فيكون بالأدوية المدرة للبول والعرق، وبالأدوية المسهلة ، وبالرياضة ، ويكون بشق العروق، وهذا كله إنما تتقبل فيه الصناعة الطبيعة، فهذا هو العلاج العام لجميع هذه الأصناف .

وأما الخاص بواحد، واحد منها فينبغى أن نقول فيه ، فإنه ليس فى كل واحد منها يستفرغ بنوع واحد من الاستفراغ ، ولا يستعمل فيه نوع واحد من الإحالة ، ونبتدئ من ذلك بالإعياء القروحى فنقول :

إن هذا الإعياء فاعله بالجملة كما قال أخلاط لذاعة ، وقد علمت أن الخلط اللذاع إما أن يكون صفراويا أو سوداويا ، أو بلغميا مالحا ، فإن كل واحد من هذه يلذع ، أما الصفراء فبحدتها ، وأما السوداء فبحمضيتها ، وأما البلغم المالح فبملوحته ، وهذه الأخلاط لا تخلو أن تكون إما تحت الجلد فقط ، وإما أن تكون مع هذا غائرة فى العضل فقط ، وإما أن تكون مع أنها فى العضل هى أيضا فى الأوراد أنفسها ، وعلى الجهة التى شأن هذه الأخلاط أن توجد فى الدم ، أعنى بالقوة القريبة ثم لا يخلو أن يكون مع هذه الأخلاط فى البدن أخلاط بلغمية خامية أو لا تكون ، وإن كانت فيه فلا تخلو تلك الأخلاط الخامية أيضا أن تكون فى اللحم فقط أو فى الأوراد أنفسها ، وما كان من هذه الأخلاط فى الأوراد أنفسها أعنى الصفراوية ، أو السوداوية ، أو البلغمية المالحة ، أو الخامية ، فلا يخلو أن تكون مع قلة الدم ، أو كثرته ، وإنما يكون الدم كثيرا متى كانت هذه الأخلاط وتيحة فى الأوراد ولم تبعد جدا عن مزاج الدم ، فإن بعضها الوجود لها بالفعل إنما هو قبل أن يستحيل إلى الدم ، وبعضها هو أن يستحيل بمنزلة الصفراء أو السوداء ، وهى تتفاضل فى ذلك بالقرب والبعد ، فمتى بعدت جدا من الدم إما بأنها تحتاج إلى استحالة طويلة، وحينئذ تنصرف دما وقد استحالت بعد أن كانت دما استحالة كثيرة، فإن الدم ضرورة فى هذه الحال قليل وتبح فهذه جميع الأوجه التى يمكن أن تتصور عليها الأبدان فى حال هذا الأعياء ولكل واحد منها علاج خاص فنقول :

أما إذا كانت الأخلاط الفاعلة لهذا الإعياء إنما هى تحت الجلد فقط فقد يكتفى فى علاجها بالرياضة المسكنة ، وبالاستحمام ، واستعمال الأغذية اللطيفة الرطبة كماء الشعير، وشراب السكنجبين ، وما أشبه ذلك ، وأما متى كانت هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء يوجد حسها غائرا فى اللحم فليس ينبغى حينئذ أن تسعمل الرياضة ، بل يستعمل الهدوء، والنوم ما أمكن، والإمساك عن الطعام ، وذلك أن هذه الأفعال مما تنضج بها تلك الأخلاط، فإذا كان عشى

ذلك اليوم حممناه بالماء المعتدل، وغذوناه بغذاء جيد الكميوس لطيف بعد أن سقيناه أيضا شراب سكنجبين ، أو شراب العسل إن لم يكن مزاجه محرورا وذلك أن هذه الأشربة من شأنها أن تستفرغ بالبول والعرق، وما ليس يمكن فيه أن يستحيل عن الطباع ، فإن سكن هذا العارض فقد أصبنا فيما ظننا ، من أن هذا الخلط إنما هو فى العضل فقط، وإن لم يسكن واضطرب نوم هذا العليل فهذه الأخلاط حينئذ ليست فى العضل فقط، بل وفى الأوراد، ولذلك قد ينبغى أن تتثبت وتنظر هل مع هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء أخلاط خامية أم لا، وإن كانت فهل هى فى الأوراد أم لا، فننزل أولا أن ليس معها أخلاط خامية ، وأن هذه الأخلاط الفاعلة للأعياء فى الأعضاء أنفسها ، وفى الأوراد، فحينئذ أيضا ينبغى أن نتأمل هل معها كثرة دم أم ليس معها كثرة دم وهل تلك الأخلاط بعيدة من جوهر الدم أم ليست ببعيدة، وإن كانت مع قلة دم وهى بعيدة من جوهره ، فينبغى أن نستعمل هاهنا الاستفراغ بالإسهال لنوع الخلط الذى يحدس أنه فاعل الإعياء، وذلك إما صفراويا كما سلف، وإما سوداويا وإما بلغميا مالحا ، فإن الأخلاط إذا خرجت عن الطبع فى كيفيتها فاستفراغها يكون بالدواء الجاذب لتلك الأخلاط بأعيانها ، وأما إذا خرجت فى كميتها فاستفراغها يكون بشق العرق .

وأما إذا كانت هذه الأخلاط فى الأوراد مع كثرة دم فينبغى أن يستفرغ بالفصد، ثم بالإسهال بعد، وأما إن كان مع هذه الأخلاط فى البدن أخلاط خامية نظرنا أيضا ، فإن كانت الأخلاط فى الأوراد مع دم كثير، وهى مع هذا غير بعيدة من جوهر الدم ، فينبغى أيضا أن يستفرغ بالفصد ، وإسهال تلك الأخلاط ، فإنها متى كانت قريبة من جوهر الدم ، لم تكن فى نهاية الغلظ فتستعصى على الدواء المسهل ، وأما إذا كانت هذه الأخلاط الخامية فى الأوراد كثيرة مع دم قليل ، وهى مع هذا بعيدة من جوهر الدم فهاهنا ليس ينبغى أن يشق العرق ولا أن نسهله وذلك أنا متى شققنا العرق هاهنا قتلنا ، ومتى أيضا رمنا الاستفراغ بالدواء لم تجبنا تلك الأخلاط لغلظها ، وأيضا فإنها تتقدم فتسد المجارى عن أن يجرى فيها غيرها من الأخلاط، ووجه الحيلة فيمن هذا شأنه أن تأمره بالسكون والدعة ، وتجعل أدويتهم وأغذيتهم أدوية ملطفة مقطعة من غير إسخان شديد [لئلا] تنتشر تلك الأخلاط الخامية فى البدن، وأوفق الأشياء لهم شراب السكنجبين البزورى، الذى حجب ييسه بعروق السوس، وماء الشعير جيد لهم ، لمن كان منهم شابا ، مع يسير من أصل الرازيانج، وماء العسل أوفق لهم مفردا ، ومع شيء من زوفاء ، وعروق السوس، وهؤلاء تنتفخ بطونهم ، وتعتريهم رياح غليظة، ولذلك قد يطعمهم جالينوس الدواء المعمول بالثلاثة الفلافل والجوارش الكمونى، لكن قد ينبغى فى إقليمنا هذا إذا استعملت هذا العلاج أن تستعمله بحذر، وتوَقٍّ، وإلا جلبت الحمى من ساعتك على المريض، فإن إقليم جالينوس أبرد من إقليمنا ، وإنما كان جالينوس يستعمل هذه المعالجة فى زمان الشتوة، وفى غير سن الشباب، اللهم إلا أن يكون المرض يقتضى ذلك بطبعه اقتضاء كثيرا، وإن اتخذ هاهنا مركب من الأدوية الملطفة المقوية للأعضاء الباطنة، التى هى أقل حرارة من هذا كان أيضا حميدا مثل الدارصيني والأسارون، والعود، والعنبر، والقرنفل، والسليخة، وما أشبه ذلك من الطيوب، لكن جالينوس إنما أحسبه تجنب هذه الأدوية هاهنا لمكان القبض الذى فيها، فإن أنت خلطت الجنسين فعلت مركبا حسنا، لأن هؤلاء الأعضاء الرئيسية منهم فى غاية الضعف، وبخاصة فم المعدة، ولذلك ليس يجب أن يخلو هذا المركب من المصطكى، وأما الورد فلا أحمده فى هذا المركب، لمكان برده، وقبضه، وإن كان فيه تقوية الأعضاء ، والاسطوخدوش دواء حميد الموقع ، فى هذا المركب، وكما تتجنب الاستفراغ فى هذا الحال بالإسهال، كذلك نتجنبه بالقيء، فإنا كما نتخوف أن نكون قد حركنا الأخلاط بالإسهال إلى باطن البدن، من غير أن نكون أخرجناها، كذلك نتخوف أن نكون باستعمال القيء قد حركناها إلى ظاهر الجسم .

وأما إذا كانت الأخلاط الخامية فى العضل، وكان دم الأوراد نقيا، فقد ينبغى هاهنا ألا نحذر الأشياء القوية الإسخان، المدرة للبول، فإنه قد أمن فى هذا الموضع انتشار الخلط، وجالينوس يستعمل هاهنا الدواء الفوذنجى، ولن يخفى عليك علاج ما تركب من هذه الأصناف، وكذلك أيضا

لست أحتاج أن أصف هاهنا العلامة الدالة على غلبة خلط، خلط من هذه الأخلاط على البدن، ولا مقدار كميته، وموضعه، فإنك قد علمت جميع هذا من كتاب العلامات (نورد هذه المادة فى حرف العين إن شاء الله تعالى) فاعتمد على البول فى تمييز جنس الأخلاط التى تكون فى الأوراد، وعلى العرق فى التى تكون داخل العضل، وذلك أيضا من لونه، ومذاقه، فاعتمد على الوقوف على كثرة ذلك الخلط وقلته من التدبير المتقدم، والمزاج المناسب له، والفصل المناسب، وسائر الأشياء التى قيلت فى كتاب العلامات.

وأما الإعياء الورمى والتمددى فهما ضرورة يكونان مع كثرة من الدم فلذلك ما ينبغى أن نفصد هؤلاء ضرورة، ونُقدِّر كمية ما يخرج من جهة الفصل، والسن، والمزاج وينبغى أن تتفقد الأعضاء فى هذا الإعياء، فإن كان الثقل أكثر ذلك إنما هو فى الرأس فافصد له القيفال، وإن كان أكثر ذلك فى الصدر فافصد له الباسليق، وإن كان فيهما على السواء فافصد له الأكحل.

وقد بقى من هذا الجزء أن نقول كيف تحفظ الأبدان من المرض فى الأهوية الخارجة عن الطبع فنقول:

إن الهواء كما قيل فى غير هذا الموضع إما أن يخرج عن طبعه فى كيفياته، وإما أن يتغير فى جملة جوهره، وذلك بأن يتعفن، والهواء إذا كان بهذه الصفة أعنى بأحد هذه الحالات استعدت به الأبدان لحدوث أمراض مشاكلة لذلك المزاج، إلا أنه ليس جميع الأبدان تلقى ذلك، وإنما يلقى ذلك منها أكثرها استعدادا، وإلا مرض كل إنسان فى الهواء الوبائى ولهذا كله الاعتماد فى التدبير فى هذه الأوقات إنما هو عام لجميع هذه التغايير بتفتيح السدد، ومنع أسباب العفونة بالجملة.

وأما ما يخص صنفا صنفا من هذه التغايير الحادثة فى الهواء فإنه متى خرج فى أحد كيفياته، فينبغى أن يقاتل ذلك بالتدبير المضاد، مثال ذلك أنه إذا أفرط فى الحر واليبس تدبر بالأغذية الباردة الرطبة، ولزمت المجالس الشمالية المعتدلة الهواء بالماء والرياحين، ونفصد أيضا إذا أمكن، ولم يمنع من ذلك شدة البرد أو الحر إلى استفراغ الفضل المناسب لذلك الخلط المتولد فى ذلك الفصل.

وأما الهواء الفاسد فى جملة جوهره، فينبغى أيضا أن يقابل بالاستفراغ العام، وبالأشياء التى تمنع الوباء بجملة جوهرها، وتجعل الأغذية باردة يابسة، بعيدة من العفونة بمنزلة الخل، والعدس، ويبخر الهواء بالأشياء المانعة للعفونة بمنزلة القسط، والكندر، والميعة، وللقطران فى ذلك تأثير كبير، وأخذ الترياق الكبير فى هذا الزمان حافظ عظيم من الوباء، وذلك بأن يؤخذ منه نحو قيراط إلى درهم، ويبقى عليه حتى ينهضم فى الأعضاء كلها، وذلك نحو تسع ساعات، وبالجملة فمتى تغير الهواء تغيرا ينذر بأمراض ستحدث، فينبغى أن يتحفظ من حدوث تلك الأمراض، وذلك بالتدبير المضاد لطبائعها، والطين الأرمينى بالخل فى الهواء الوبائى نافع وكذلك الطين المختوم وذكروا أنه متى أخذ من الصبر جزء، ومن الزعفران جزءان والمر جزء وسقى فى أوان الوباء منه كل يوم اثنى عشر قيراطا، وذلك ست وثلاثون حبة مع أوقية خمر ممزوجة انتفع به، وإنه لم ير أحد فعل هذا إلا سلم من الوباء، وينبغى أن يتخير الهواء النقى الصافى المتحرك فى زمان الصيف، وذلك أن تسكن المواضع المرتفعة أو الغرف العالية إن لم تكن المواضع المرتفعة، اللهم إلا فى وقت تغير الهواء فى جوهره فإنه ينبغى حينئذ أن تلزم البيوت المصلحة الهواء على ما وصفنا، وتجنب جميع الفواكه فى مثل هذه الأهوية ضرورى جدا، فإن الدم المتولد عنها يجيب إلى العفونة بسرعة، وكذلك ينبغى أن تتجنب اللحوم فإنها أيضا سريعة الاستحالة إلى التعفن، وإن استعملت فليستعمل من ذلك الطيور الجبلية. والحيتان فى هذا الفصل من أردأ شىء، وشراب السكنجبين الذى ماؤه ماء الورد الصادق الحموضة إذا أضيف إليه بعض البزور التى فيها إدرار، وهى مع هذا باردة تدبير جيد، فى هذه الأوقات، وتعاهد تليين الطبيعة بالجملة بالأشياء اللينة فى كل فصل تدبير حافظ للصحة، بإجماع من الأطباء، مثل التمر الهندى، والراوند، والبنفسج، والأهليلجات، والخيار شنبر،

والترنجبين ، واللبلاب ، والرمان المعصور بشحمه وما أشبه هذه من الأمور اللينة ، مما يخرج الأخلاط الصديدية التى كونها فى البدن يتولد فيه عفونة بمنزلة الخمير فى العجين للتخمير ، وهذا الذى قلنا فى هذا الجزء من هذا العلم بحسب غرضنا فى الإيجاز (الكليات فى الطب ٣٣٤ـ ٣٤٠) .

ولدينا منظومة « حفظ الأبدان » وهى لامية لخير الدين خضر بن محمود بن عمر العطوفى المرزفونى ، (المتوفى سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م) نظمها للسلطان بايزيد وأولها : «الحمد لله من أعلى المقال ... » .

ـ مخطوط مكتبة نور عثمانية بتركيا ـ رقم : ٣٤٥٦ (٢) ، الكتاب الثانى ضمن مجموع ، الأوراق : ١٨١ / ب ـ ١٨٣ / ب ، كتبت بخط النسخ (العلوم العقلية / ٦٥٤) .

(الكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبى ، مراجعة د. أبى شادى الروبى / ٣٣٤ ـ ٣٤٠ ، والعلوم العقلية فى المنظومات العربية ـ أ. د. جلال شوقى / ٦٥٤) .

*** حفظ الأصغرين عن اعتقاد من زعم أن الحرام لا يتعدى لذمتين :**

رسالة من مجموعة التحقيقات القدسية (انظرها فى موضعها) للعلامة الشرنبلالى وعدة هذه الرسائل ستون رسالة ورقمها ٥٣٤٩ ، وهذه الرسالة هى الواحدة والخمسون .

يوجد مخطوط التحقيقات القدسية بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٥٣٤٩

يذكر المؤلف أنه قد كثر السؤال عن قول من قال : إن الحرام لا ينتقل لذمتين ونسبه لمذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رحمه الله ، فألف المؤلف رسالته رادا على من قال ذلك

أولها : حمدا لمن مَنَّ علينا بتعليم الأحكام ، وتفضل تبيين الحلال والمشتبه والحرام .

آخرها : أستفيد هذا من شراح الكنز والهداية ، وفى هذا القدر كفاية لإثبات ما أردناه .

انتهت تأليفا سنة ١٠٦١ هـ .

عليها مقابلة سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٤٩١ ـ ٤٩٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ١٨٣) .

*** حفظ الله :**

الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية عن عناية الله أو حفظ الله وهو كما يلى ويتبعه شرح الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى :

عن أبى العباس عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « كنت خلف النبى ﷺ يوما ، فقال لى : يا غلام ، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، إن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ترجمة الراوى :

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ولقب بترجمان القرآن ، وكان يسمى البحر لغزارة علمه وصح أن النبى ﷺ دعا له بقوله : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، روى له ألف وستمائة حديث وستون حديثا ، وتوفى بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال : مات والله اليوم خير [حبر] هذه الأمة .

المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وأصل كبير فى رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه فى لفظ ظاهر بيِّن سهل بسيط .

الشرح :

قوله ﷺ : « احفظ الله يحفظك » ، أى احفظ أوامره وامتثلها ، وانته عن نواهيه ، يحفظك فى تقلباتك ودنياك وآخرتك ، قال الله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ [النحل : ٩٧] وما يحصل للعبد من البلاد والمصائب بسبب تضييع أوامر الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] .

قوله ﷺ : « تجده تجاهك » ، أى أمامك ، قال ﷺ : «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » وقد نص الله تعالى فى كتابه : أن العمل الصالح ينفع فى الشدة وينجى فاعله ، وأن عمل المصائب يؤدى بصاحبه إلى الشدة ، قال الله تعالى حكاية عن يونس - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤] ولما قال فرعون : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ﴾ [يونس : ٩٠] قال له الملك : ﴿ الآن ، وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [يونس : ٩١] وقوله ﷺ : « إذا سألت فاسأل الله » إشارة إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله ، بل يتوكل عليه فى سائر أموره ، ثم إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجر العادة بجريانها على أيدى خلقه ، كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، سأل ربه ذلك ، وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدى خلقه ، كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور ، سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول : اللهم أحنن علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك ، ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق ، لأنه ﷺ سمع عليا يقول : «اللهم أغننا عن خلقك » ، فقال : « لا تقل هكذا ، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك » . وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم ، ويروى عن الله تعالى فى الكتب المنزلة : أيقرع بالخواطر باب غيرى وبابى مفتوح؟ أم هل يؤمل للشدائد سواى وأنا الملك القادر؟ لأكسون من أمل غيرى ثوب المذلة بين الناس ... إلخ

قوله : « واعلم أن الأمة ... إلخ » لما كان الإنسان قد يطمع فى بر من يحبه ، ويخاف شر من يحذره قطع الله اليأس من نفى الخلق بقوله : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ [يونس : ١٠٧] ولا ينافى هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ [الشعراء : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ﴾ [طه : ٤٥]

وكذا قوله تعالى : ﴿ خذوا حذركم ﴾ [النساء : ٧١] إلى غير ذلك ، بل السلامة بقدر الله والعطب بقدر الله ، والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [النساء : ١٠٢] ، قوله ﷺ : «واعلم أن النصر مع الصبر » ، قال ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا ، فإن الله مع الصابرين » وكذلك الصبر على الأذى فى موطن يعقبه النصر ، قوله ﷺ : « وإن الفرج مع الكرب » والكرب هو شدة البلاء ، فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى بالفرج . كما قيل : « اشتدى أزمة تنفرجى » ، قوله ﷺ : «وإن مع العسر يسرا » قد جاء فى حديث آخر أنه ﷺ قال : «لن يغلب عسر يسرين » ، وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين وذكر اليسر مرتين ، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت ، لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت فالعسر ذكر مرتين معرفا ، واليسر مرتين منكرا فكان اثنين ، فلهذا قال ﷺ : « لن يغلب عسر يسرين » (رواه الحاكم مرسلا عن الحسن) .

أفكار الحديث

١ - من حافظ على أوامر الله حفظه الله فى الدنيا والآخرة .

٢ - من امتثل أوامر الله أخرجه الله من الشدة .

٣ - من أراد أن يسأل فليسأل الله .

٤ - إن بعد كل كرب فرجا .

٥ - أن بعد كل عسر يسرا .

٦ - لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له .

فقه الحديث

١ - ما من مصيبة تنزل إلا بما اقترفت يداه .

٢ - الأعمال الصالحة ترفع البلاء .

٣ - التوجه إلى الله فى كل حاجة (شرح متن الأربعين النووية / ٧٣-٧٦) .

ويشرح هذا الحديث النبوى الشريف أيضا الإمام ابن دقيق العيد فيقول بادئا برواية أخرى غير الترمذى :

وفى رواية غير الترمذى « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن

النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا » .

مناقب عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر من أن تحصر وقد دعا له النبى ﷺ فقال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ودعا له بأن يؤتى الحكمة مرتين ، وثبت عنه أنه رأى جبريل مرتين . وهو بحر هذه الأمة وحبرها : وقد رآه رسول الله ﷺ أهلا للوصية مع صغره فقال له « احفظ الله يحفظك » و معناه : كن مطيعا لربك ، مؤتمرا بأوامره ، منتهيا عن نواهيه . وقوله « احفظ الله تجده تجاهك » أى اعمل له بالطاعة ولا يراك فى مخالفته ، فإنك تجده تجاهك فى الشدائد كما جرى للثلاثة الذين أصابهم المطر فأووا إلى غار فانحدرت صخرة فانطبقت عليهم ، فقالوا : انظروا ما عملتم من الأعمال الصالحة فاسألوا الله تعالى بها . فإنه ينجيكم ، فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه ، فانحدرت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون وقصتهم مشهورة فى الصحيح وقوله ﷺ « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» أرشده إلى التوكل على مولاه ، وأن لا يتخذ إلها سواه ، ولا يتعلق بغيره فى جميع أموره ما قلّ منها وما كثر، وقال الله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه ؛ وكذلك الخوف من غير الله . وقد أكد النبى ﷺ ذلك فقال «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك » وكذلك فى الضر وهذا هو الإيمان بالقدر . والإيمان به واجب خيره وشره . وإذا تيقن المؤمن هذا ؛ فما فائدة سؤال غير الله والاستعانة به ؟ وكذلك إجابة الخليل عليه الصلاة والسلام جبريل عليه السلام حين سأله وهو فى الهواء : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . وقوله « رفعت الأقلام وجفت الصحف » هذا تأكيد أيضا لما تقدم : أى لا يكون خلاف ما ذكرت لك بنسخ ولا تبديل .

ثم قال « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا » فنبهه على أن الإنسان فى الدنيا ـ ولا سيما الصالحون ـ معرضون للمصائب ، لقوله عز وجل ﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧] وقال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] (شرح الأربعين النووية / ٥٠ ـ ٥٢) .

(شرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٧٣ ـ ٧٦ ، وشرح الأربعين النووية ـ الإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٥٠ ـ ٥٢) .

*** حفظ الله خان الجنوتى (الأمير) :**

من أمراء العرب فى الهند .

الأمير الفاضل حفظ الله بن سعد الله التميمى الجنوتى ـ كان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح .

ولاه السلطان عالمكير بن شاهجهان أميرا على بلاد (كشمير) سنة ثمان وتسعين وألف فبقى بها أربع سنين فأصلح الأمور وقطع دابر الفساد ثم ذهب إلى بلدة (جمون) وفتحها بالقوة ثم ذهب إلى معسكر السلطان المذكور فولاه أميراً على بلدة « سيوستان » سنة ثلاث ومائة وألف فبقى بهذا المنصب مدة حياته .

وكان عادلا سخيا كريما يدعو على مائدته يوم مولد النبى عليه الصلاة والسلام ألف رجل، ويصب الماء على يد الضيوف بنفسه . وكان من كبار الشعراء .

مات ببلدة « سيوستان » سنة اثنتى عشرة ومائة وألف فأرخ لموته السيد غلام على البلكرامى من قوله تعالى ﴿ فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٩] .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥٢ عن نزهة الخواطر ٦ / ٧٤ ، ٧٥) .

*** حفظ الأوقات :**

من الوصايا التسع التى أحصاها صاحب منظومة « هداية الأذكياء »، وجاءت فيها الأبيات التالية ننقلها مع شرح السيد بكرى المكى، وهو شرح ممزوج، وتتميز أبيات المنظومة بوضعها بين قوسين، وقد حذفنا إعراب الأبيات :

(واصــرف إلـى الطـاعـات وقتـك كلـه
لا تتـــركن وقتـــا ســـدى متســاهـــلا)

يعني يجب عليك أن تصرف وقتك كلـه في الطاعات وأن تترك فضول الكلام وكل ما لا يعنيك قال عليه السلام « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فإذا رأيت نفسك تتطلع إلى كلام الناس وملاقاتهم من غير حاجة وضرورة فاعلم أن ذلك فضول ساقه إليك الفراغ والبطر فإذا لزمت العبادة وجدت حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله واشتغلت عن الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم ويجب عليك أن لا تترك أوقاتك سدى أي مهملة متساهلا فيها لأنك إن تركتها كذلك صرت كالبهائم لا تدرى ما تشتغل به فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا فتخسر خسرانا مبينا فإن أوقاتك عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى النعيم المؤبد فى جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهر لا قيمة له وإذا فات لا عود له فينبغى أن لا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فإنهما رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وأولادك وأصدقاؤك .

(وتصيـــــر أوقـــات المبـــاح بنيَّـــة
مصـروفـة فى الخيـر فـاصح بـلا انتـلا)

هذه الجملة واقعة فى جواب سؤال ناشىء مما قبله تقديره كيف تأمرنا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات مع أن ذلك لا يتأتى إذ لا بد لنا من فعل المباح كأكل وشرب ونوم وغير ذلك . وحاصل الجواب أن ذلك يأتى بالنية إذ المباح ينقلب طاعة بها كما قال ابن رسلان :

لكـن إذا نـــــوى بـأكلـــــه القـــــوى
لطـــاعـــة الله لـــه مـــا قـــد نـــوى

فإذا نويت بالأكل والشرب التقوى على العبادة لا الاستلذاذ وبالنوم دفع الملل والسآمة فى العبادة لا إراحة النفس ... انقلب ذلك طاعة تثاب عليها . واعلم أنه يتضاعف العمل الواحد بقدر النيات فيه كجلوس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة عن الناس والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر فينبغى للإنسان أن يستحضر عند كل عمل النيات الصالحة فيه لأجل المضاعفة .

(وزِّع بعـــــون الله وقتـك واصـــــرفـن
كـــــلا بمـــــا هــــو لائق متبتـــــلا)

لما أمر أولا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات ذكر ما يعين على ذلك فقال وزع ... إلخ يعنى وزع أوقاتك وفصِّلها وحددها واصرف كل وقت فى طاعة معينة ورتب الأوراد والوظائف عليك وعين لكل وقت شغلا لا يتعداه، والسبب فى الأمر بتوزيع الأوقات إلى الطاعات أن النفس إذا وردت على نمط واحد من الطاعات أظهرت الملال والاستثقال لكونها مجبولة على السآمة فكان من اللطف بها أن تروح بالنقل من نوع إلى نوع آخر بحسب كل وقت لتزيد لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغى أن يستغرقا جميع الأوقات وأكثرها فإن النفس مائلة بطبعها إلى ملاذ الدنيا قال الإمام الغزالى فى الإحياء : فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق جميع أوقاته بالطاعة ومن أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه .

(فـإذا بـــــدا فجـــــر فصـل تخشعـــــا
متـــــدبـــــرا لقـــــراءة ومكمـــــلا)

هذا تفصيل وشرح للبيت السابق بين به كيفية توزيع الأوقات وصرفها فى الطاعات، والمعنى إذا ظهر الفجر أى الصادق فصل سُنة الصبح وفرضه حال كونك متخشعا متدبرا لما تقرؤه فى صلاتك أى متأملا فى معانيه مكملا لها بأن تأتى بجميع السنن والهيآت والآداب، والتخشع : تكلف الخشوع وقد اختلفوا فى تفسيره فقيل هو غض البصر وخفض الصوت وقيل أن لا يلتفت المصلى يمينا وشمالا وقيل أن لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره وقيل هو جمع الهمة والإعراض

عما سوى الصلاة وهذا الأخير هو التحقيق لأنه عبارة عن عمل الجوارح وعمل القلب فيكون المصلى خاشعا بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه وبجوارحه بأن لا يعبث بواحد منها واعلم أنه مما يحصل الخشوع استحضاره أنه بين يدى ملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى وأنه يناجيه وأنه ربما تجلى عليه إذا لم يخشع بصفة القهر فرد عليه صلاته وعاقبه .

(واجهد لتحضر فى صلاتك قلبكا
جهدا بليغا كى تنال فضائلا)

يعنى اجتهد وابذل الوسع فى صلاتك اجتهادا بليغا لأجل أن تحضر قلبك فيها فتنال بذلك الفضائل قال ﷺ « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » وعن الحسن البصرى أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع وقال النيسابورى الصلاة أربعة أشياء حضور وشهود وخضوع وخشوع فالحضور بالنفس فمن لم يحضر بالنفس فهو ساهٍ ومن لم يشهد بالقلب فهو لاهٍ ومن لم يخضع بالأركان فهو واهٍ ومن لم يخشع بالسر فهو مُضاهٍ قال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ [المؤمنون : ١، ٢] وقد أنشد الشيخ أبو حيان فى ذم من ينتمى إلى الفلاسفة فقال :

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا
لصون دمائهم أن لا تسالا
فيأتون المناكر فى نشاط
ويأتون الصلاة وهم كسالى

ثم ذكر الناظم ما يعين على حضور القلب فى الصلاة فقال :

(لا تنس أن الله ناظر قلبكا
وحضوره وشهوده لك فايجلا)

أى إذا قمت إلى الصلاة فلا تنس أن الله ناظر إلى قلبك ومطلع عليه وأنه حاضر مشاهد لك وقوله فايجلا أى خف من الله أن يرى قلبك غافلا فى صلاتك فإنه بئس الصنيع . (لطيفة) حكى عن شخص من أشياخ الطريقة أنه صلى من الليل ركعات ثم نام فرأى قصرا عظيما مشيدا عاليا فأعجبه ذلك القصر فقال ليت شعرى لمن هذا القصر ؟ فقيل له إنه لك وإنه ثواب ركعاتك البارحة فمشى حوله فوجد منه نحو شرافتين قد سقطتا فقال لو كانتا عليه لكان أحسن فقيل إنهما كانتا عليه ولكنك التفت وأنت تصلى فسقطتا . حكى عن رابعة العدوية رضى الله عنها أنها أتت بركعات من الليل ثم نامت فرفعت لها شجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة خضرة الأوراق باسقة الفروع عليها ثمر ... يلمعن فى الضحى كالشموس وفى الدجى كالأقمار فأعجبتها فقالت ليت شعرى لمن هذه الشجرة فقيل لها إنها لك وإنها ثواب ركعاتك التى صليتهن البارحة فدنت منها ومشت تحتها فوجدت قد تساقط منها ثمرة كلون الذهب الإبريز فقالت لو كانت هذه الثمرة الساقطة عليها كان أحسن فقيل لها إنها كانت عليها لكنك تفكرت وأنت فى الصلاة فى العجين هل اختمر أم لا فتساقطت هذه من عليها .

(لا تتركن جماعة قد فضلت
بالسبع والعشرين من فضل علا
ولم التعلُّم إن تكن تساهل
فى مثل هذا الربح أخسر أجهلا)

لما كانت الجماعة فى الصلاة من أهم ما يطلب فيها لما ورد فيها من الثواب الجزيل وفى تركها من الوعيد الشديد صرح بالنهى عن تركها فقال لا تتركن إلخ يعنى لا تترك الجماعة فى المكتوبات الخمس لأن الصلاة مع الجماعة تفضل على صلاة الفذ أى المنفرد بسبع وعشرين درجة وقيل بخمس وعشرين درجة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام وقال ﷺ « ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان » أى غلب « فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم وقال ﷺ « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله » رواه أبو داود وغيره وصححه ابن حبان وغيره وقال بعض السلف إذا

قامت الجماعة نظر الله إلى قلب الإمام إن كان فيه خير رضى عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وإن لم يكن فيه خير نظر إلى قلوب المأمومين فإن كان فيهم من فى قلبه خير رضى عنهم وقبل صلاتهم ، وإن لم يكن فيهم من فى قلبه خير نظر إلى اجتماعهم فى الصلاة وإلى قيامهم بين يديه فيرضى عنهم ويتقبل صلاتهم ويغفر لهم .

وقوله : ولِمَ التعلم ... إلخ أى ولأى شيء التعلم للعلم .

إن تكن تتساهل فى مثل هذا الربح الكثير الذى هو فائدة رأس مال تجارة الآخرة وذلك لأنه لا فائدة لك فى طلب العلم الذى تزعم أنك حريص على اقتباسه فإنما ثمرة العلم النافع العمل به ومن أفضله صلاة الجماعة فى المسجد فإن تعذرت فيه ففى بيتك لا سيما مع أهلك تحصيلا لثوابها لهم وتمرينا لهم عليها .

طريفة : حكى أن رجلا أعمى كان مولعا بصلاة الجماعة فيأتيها من غير قائد يقوده فوقع يوما فى الطريق فشجت رأسه فحمل إلى داره فقالت زوجته يا هذا إن صلاة الجماعة غير واجبة عليك وأنت على تلك الحالة فقال لها إن كان الله تعالى قد أخذ نور بصرى فقد أبقى على نور قلبى فلا أنقطع عن الجماعة فنام تلك الليلة فرأى النبى ﷺ فى منامه فقال له لم تشاجرت مع زوجتك ؟ فقال من أجل اتباع سنتك يا رسول الله فمسح رسول الله ﷺ بيده الكريمة على عينيه فعاد بصيرا ببركة النبى ﷺ وبركة سنته ...

(ثم اشتغل بالورد لا تكلمن
مستقبلا ومراقبا ومهللا
بطريقة معهودة لمشايخ
لترى به نارا ونورا حاصلا
فيضيء وجه القلب بالنور الجلى
ويصلى منه سموم الطبائع زائلا
فتصير أهلا للمشاهدة التى
هى نعمة عظمى فصر متأهلا)

يعنى ثم إذا فرغت من صلاة الصبح مراعيا للآداب المتقدمة فاشتغل بالورد من الأذكار والتسبيح والأدعية والآيات التى وردت فى فضلها إلى طلوع الشمس ، قال عليه السلام : « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » قال حجة الإسلام الغزالى إن هذا الوقت أعنى ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ [التكوير : ١٨] وتمدحه به إذ قال ﴿ فالق الإصباح ﴾ [الأنعام : ٩٦] وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه : ١٣٠] وقوله عز وجل ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠] وقوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ [الإنسان : ٢٥] وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع : أدعية وأذكار ويكررها فى سبحته وقراءة قرآن وتفكر وكيفيته ترجع إلى فنين :

أحدهما أن يتفكر فيم ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ثم يرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه خلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين .

الفن الثانى : فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها له ، وفى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة اهـ . ملخصا وقوله لا تكلمن إلخ بيان لكيفية اشتغاله بالورد أى وكيفيته أن لا تتكلم فى هذا الوقت وأن تكون مستقبلا للقبلة

ومراقبا والمراقبة علم القلب بنظر الله إليك ومهللا أى قائلا لا إله إلا الله على الطريقة أى الكيفية المعهودة للمشايخ نفعنا الله بتراب أقدامهم وأمدنا بمددهم وذلك لأن للذكر طريقات كثيرة وكيفيات عديدة عند المشايخ منها أن يبدأ بقول لا إله من فم القلب كأنه يخرج منه ما سوى الله ويمد العنق والرأس إلى الجانب الأيمن ثم الأيسر ويضرب بكلمة إلا الله على فم القلب كأنه يدخل فيه شيئا من أنوار الله تعالى ويجهر بصوت الربط وهو الضرب بكلمة التوحيد فى القلب اللحمى الصنوبرى، ثم علل الإتيان بالتهليل على طريقة المشايخ بقوله لترى به نارا ونورا حاصلا فكأنه قال وائت بالتهليل على ما ذكر لأجل أن ترى نارا ونورا والمراد بنار الذكر تخلى القلب من الكدورات النفسانية وبنوره تخلى القلب بالأنوار المستلزمة لصفاء الروح والأسرار والثانى تابع للأول فأولا تصل حرارة نار الذكر إلى القلب وتحرق كل وصف ذميم فيه ثم يظهر فيه نور التجلى من حضرة المتجلى وهذا هو المراد بقوله فيضىء وجه ... إلخ أى إذا حصل فى القلب نار الذكر ونوره يضىء وجه القلب أى ذاته بالنور الجلى أى الواضح الحاصل من تأثير نار الذكر ويصير مذموم الطبائع أى المذموم من الطبائع أى أوصاف الطبيعة زائلا عن النفس وإذا زالت من قلبك الأوصاف الذميمة وتحلى بالأوصاف الحميدة زدت نورا على نور وصرت أهلا للمشاهدة التى هى نعمة عظمية عليك فصرت متأهلا لهذه النعمة العظيمة بمواظبتك على الذكر فعلى قدر المواظبة على الذكر بشرائطه تظهر النتيجة .

تنبيه : قد علم مما تقرر أنه لا بد للمريد من ذكر وورد يواظب عليه لأن الذكر يكون كالمصباح فى يده يستضىء به وتحصل الواردات فى قلبه بقدر ذكره ووِرده قال سيدى الشيخ عبد الرحمن السقاف : من لا له ورد فهو قرد ومن ليس له أذكار فليس بذكر ومن لا يطالع الإحياء ليس له حياء ومن لم يقرأ المهذب ما عرف المذهب ومن لا له أدب فهو دب، ويتخذ المريد ما يأمره به شيخه من الأذكار وإذا فقد الشيخ المرشد فالأذكار النبوية الواردة عن النبى ﷺ هى أفضل من غيرها ويكفى منها الورد اللطيف للقطب الحداد فإن الأذكار التى فيه هى أمهات الأذكار المأثورة وكذا يكفيه تلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ، وذكر العلامة سيدى عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر فى شرحه على صلاة سيدى أحمد البدوى وفى كتابه المسمى مرآة الشموس فى مناقب آل العيدروس أنه يعدم المربون فى آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبى ﷺ مناما ويقظة وأن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبى ﷺ فإنه مقطوع بقبولها إكراما له ﷺ وحكى اتفاق العلماء على ذلك .

(حتى إذا شمس بدت كرميحنا
صلى لإشراق وقرآنا تلا
حزبا فأكثر باتعاظ مع أدب
وحضور قلب خاشعا ومرتلا)

حتى : تفريعية والمفرع عليه محذوف : أى ولا يزال مشتغلا بالورد إلى طلوع الشمس فإذا طلعت كرمح صلى ركعتى الإشراق بنية الإشراق يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم** ﴾ [النور : ٣٥] وفى الثانية ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ [النور : ٣٦ ـ ٣٨] واختلفوا هل صلاة الإشراق هى صلاة الضحى أو غيرها ؟ ذهب بعضهم إلى الأول وبعضهم إلى الثانى وعليه جرى الناظم لأنه ذكر هنا صلاة الإشراق وسيذكر صلاة الضحى ثم إذا فرغ من الصلاة المذكورة تلا قرآنا حزبا واحدا أو أكثر فهو مخير فى ذلك ويكون قراءته باتعاظ بها ولا يحصل إلا بالتدبر فيها ، قال سيدنا على كرم الله وجهه : لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها ، وتكون أيضا مع الأدب فيها بأن يصون جوارحه من العبث حال القراءة ويكون على طهارة مستقبلا للقبلة وأن يلبس أنظف ثيابه وأن يتعمم ويتطيلس وأن يكون

مع حضور القلب بحيث يبعد عنه حديث النفس وأن يكون خاشعا كأنه يقرأ على الله وهو ناظر إليه ومستمع منه أو كأن الله يتكلم معه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه قال رسول الله ﷺ «اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » وأن يقرأ مرتلا قراءته لأن الترتيل يعين على التدبر وهو تبيين الحروف وفصل كل كلمة عن أختها وإخراج كل حرف من مخرجه والوقف في محله .

(ودواء قلب خمســـــــة فتــــــــلاوة
بتــــــدبــــــر المعنى وللبطـن الخـــــلا
وقيــــــام ليـل والتضـــــرع بــــــالسحـــــر
ومجـــالســـات الصـــالحين الفضــــلا)

لما ذكر فيما تقدم أنه إذا صلى الإشراق يقرأ قرآنا مشتملا على ما مر من الحضور وغيره ذكر هنا ما تعين ملاحظته على تلاوته والمواظبة عليه وهو أنه من جملة أدوية القلب الخمسة فقال مصرحا به وبسائر الأدوية ودواء قلب خمسة ... إلخ يعني أن دواء القلب أي أسباب صلاحه الذي إذا وجد وجد صلاح سائر الأعضاء كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام خمسة أشياء : أولها تلاوة القرآن ، وثانيها إخلاء البطن ، وثالثها قيام الليل ، ورابعها التضرع وقت السحر، وخامسها مجالسة الصالحين ، وقد نظمها بعضهم في قوله :

دواء قلبك خمس عنـــــد قســـــوتــــــه
فــدم عليهـــا تفــز بـــالخيــر والظفـــر
خــــلاء بطن وقـــــرآن تــــدبـــــره
كــذا تضـــرع بـــاك ســـاعـــة السحـــر
كــــذا قيــــامك جنح الليـل أوسطـــــه
وأن تجـــــالـس أهل الخيـــــر والخبــــر

وزاد بعضهم سادسا وهو أكل الحلال قال وهو رأسها ، وقد قيل إذا صمت فانظر على طعام من تفطر فإن الرجل ليأكل الأكلة فتشغل قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا . وإنما كانت تلاوة القرآن العظيم من أدوية القلب لأنه ينشرح بها ويستنير ويحصل له الخشية والحزن لكن بشرط مراعاة الآداب السابقة واللاحقة، قال الحسن البصري : واللهما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا وكثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته ، وقال وهب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره . وإنما كان خلاء البطن من الأدوية أيضا لأن فيه راحة القلب والسلامة من الطغيان والبطر وخفة البدن للعبادات ودفع الأمراض وفي الشبع أضدادها وقد ورد في مدح الجوع وذم الشبع أحاديث كثيرة ذكرها السيوطي في لباب الحديث منها قوله ﷺ « سيد العمل الجوع » ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « الجوع مخ العبادة » ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق » وقوله عليه الصلاة والسلام « أقربكم مني يوم القيامة أكثركم جوعا وتفكرا » وقوله عليه الصلاة والسلام « من كثر طعامه كثر عذابه» وقوله عليه الصلاة والسلام « لا صحة مع كثرة النوم ولا صحة مع كثرة الأكل ولا شفاء بحرام » وقوله عليه الصلاة والسلام « ثلاثة تورث قسوة القلب حب النوم وحب الراحة وحب الأكل » وقوله عليه الصلاة والسلام « من شبع في الدنيا جاع يوم القيامة ومن جاع في الدنيا شبع يوم القيامة » وسيذكر الناظم آفات الشبع .

قالت المؤلفة : أوردنا النظم المشار إليه في مادة « آفات الشبع » في م ١ / ٤٧٨ ـ ٤٨٠ فانظرها في موضعها .

وإنما كان قيام الليل من الأدوية أيضا لأنه مذهب كيد الشيطان وناه عن الإثم ودافع الداء عن الجسد ومرضى الرب ودأب الصالحين والمراد بقيام الليل فعل العبادة فيه بصلاة أو غيرها كما ذكره الصاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل** ﴾ [المزمل : ١، ٢] فقال : المعنى قم للصلاة والعبادة قال الحبيب عبد الله الحداد في نصائحه : واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولا سيما بعد النوم وإنما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الأمر ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله تعالى وحلاوة المناجاة له ولذة الخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام فضلا عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفي عيش

طيب ، وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر، وقال آخر أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، وقال آخر لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان فى الله ما أحببت البقاء فى الدنيا وأخبارهم فى ذلك كثيرة مشهورة وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضى الله عنهم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام : ٩٠] فعليك رحمك الله بقيام الليل والمحافظة عليه وبالاستكثار منه « و » كن من ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ [الفرقان : ٦٣ ، ٦٤] واتصف ببقية أوصافهم التى وصفهم الله بها فى هذه الآيات إلى آخرها ، وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه قال الله تعالى ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ [المزمل : ٢٠] أى فى القيام من الليل وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بقيام الليل ولو ركعة » وما أحسن وأجمل الذى يقرأ القرآن الكريم أن يقرأ كل ليلة فى قيامه بالليل شيئا منه ويقرأه على التدريج من أول القرآن إلى آخره حتى تكون له فى قيام الليل ختمة إما فى كل شهر أو فى كل أربعين أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب النشاط والهمة اهـ وإنما كان التضرع فى السحر من الأدوية أيضا لأنه وقت مناجاة الله والدعاء فيه أقرب إلى الإجابة قال رسول الله ﷺ « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » وإنما أفرده بالذكر وعده نوعا مخصوصا مع أنه مندرج فيما قبله لشرفه على غيره من بقية أجزاء الليل لما مر آنفا ولأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى . وإنما كانت مجالسة الصالحين من الأدوية أيضا لأنها تورث الاقتداء بهم فى أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وتدعو إلى أن لا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم ولا أن يكون فى الخير دونهم فتبعثه المنافسة على مساواتهم أو الزيادة عليهم فيصيرون سببا لسعادته وباعثا على استزادته والصالحون هم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى ابن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ٤٥ - ٥٥) .

* **حفظ الثقة :**

فى علم مصطلح الحديث : حفظ الثقة لما يقرأه على الشيخ .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٢) .

* **حفظ الصحة :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٢٥٨٧٢

لعلى ناصح بن محمد الطبيب السمنانى المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣ م .

وهو كتاب باللغة العربية فى تعريف علم حفظ الصحة والمأكولات والمشروبات والألبسة وغيرها من الأمور المتعلقة بالصحة كتبت بخط المؤلف فى أولها فهرس (مخطوطات/ ٩١)

وهناك مخطوط آخر لنفس المؤلف بنفس العنوان .

الرقم ٢٥٨٦٤

الأول : « سبحانك اللهم يا قدوس ... » .

وهو الجزء السابع عشر من دائرة المعارف الطبية (انظرها فى موضعها) وكتب هذا الجزء باللغة العربية (مخطوطات / ٩١ ، ٩٢) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ٩١ ، ٩٢) .

* **حفظ الصحة (علم -) :**

تعنى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب بعلم حفظ الصحة وتوليه اهتمامها ، وقد أورده ابن رشد ، وابن النفيس وابن سينا وغيرهم .

أما ابن رشد فيقول :

هذا الجزء هو أشرف الغايتين المطلوبتين بهذه الصناعة ، وهو بالجملة ينقسم أولا إلى قسمين أحدهما يقال فيه كيف تحفظ الصحة والآخر كيف تبطل الاستعدادات للأمراض المتكونة فى الأبدان الصحيحة ، وكأن هذا الجزء هو وسط بين

حفظ الصحة ، وإزالة الأمراض وهذه الصناعة إنما فى قدرتها أن تحفظ أبداننا من الفساد الداخل عليها بالعَرَض ، وذلك يكون فى الأكثر من تولد فضول الأغذية فى أبداننا ، فإنه من البين بنفسه أنه ليس بأى تدبير اتفق ، ولا بأى أغذية اتفقت تكون سلامة أبداننا ، على حال واحدة ، وهذا هو أحد الأصول الموضوعة فى هذه الصناعة ، وإلا لم تكن صناعة فاعلة ، فأما مقدار ما تبلغ من ذلك ، فهو المقدار الذى تبلغه الصنائع التى غاياتها ممكن على الأكثر حصولها ، وأعنى بذلك حصولها لأكثر موضوعاتها فى أكثر الأزمنة ، مثال ذلك أن التدبير الذى يصفه جالينوس للمعتدل المزاج هو تدبير فى الأكثر، يبلغ به من مزاجه ذلك المزاج أقصى ما فى طباعه أن يبلغه من العمر، فإن الهرم الطبيعى هو الذى يكون باستيلاء البرد واليبس لا تأثير لهذه الصناعة فيه ، وإلا أمكن أن يكون ناس خالدين، وهذا كله بيِّن بنفسه ، والسبب فى أن غاية هذه الصناعة قد يخل وجودها فى موضوعاتها على الأقل هو السبب فيما يشبهها من الصنائع الممكنة كقيادة الجيوش ، والملاحة، وذلك ليس أكثر من الاستعدادات الهيولانية ، فإنه غير ممتنع أن نتوهم شخصين معتدلى المزاج قد تدبرا تدبيرا واحدا ، أحدهما بلغ بذلك التدبير أقصى ما فى طباعه أن يبلغه من العمر، والآخر تولدت عن ذلك التدبير فيه أخلاط رديئة فقتلته ، وذلك من رداءة استعداد فى مزاجه يتولد تلك الأخلاط ، وإن كان لم يظهر لنا ذلك الاستعداد ، لأن رب استعداد فى الطباع ليس عليه علامة ولا دليل ، إذ كانت الاستعدادات غير متناهية ، ومن يرى أن ذلك التدبير الذى يصفه جالينوس لذلك المزاج يبلغ به ضرورة صاحبه أكلأ العمر فهو جاهل بجهة حصول غاية هذه الصناعة عن أفعالها ، على ما نرى ذلك يعتقده عوام الأطباء ، ومن هذا قيل إن الآجال بقدر. وكذلك أيضا ليس يمتنع أن يكون إنسان مزاجه هذا المزاج يتدبر بغير هذا التدبير، ويبلغ من عمره الغاية التى يبلغها من يتدبر التدبير الكثير التخليط ، لكن هذا كله فى الأقل ، وبالعرض ، ولذلك ليس يخل هذا بالصناعة ، ولا يسقط فائدتها ، وكثير من الناس يتفق لهم أن تكون شهواتهم ومهنهم موافقة لطبائعهم ، فتطول أعمارهم ، وربما كان الأمر بالعكس ومن نسب الأمراض إلى ما يوجد عن الاختيار، وعن الأشياء التى من خارج فقد نسبها إلى نصف أسبابها ، إذ كانت هذه الأشياء منزلتها منها فقط منزلة الأسباب الفاعلة ، لكن لموضع شهرة هذا السبب تكاد الأطباء أن تنسب جميع ما يطرأ من الأمراض والآفات العارضة إليه ، وإن طرأ أمر لم يتقدمه تدبير ردىء تحيروا ، وقالوا : إن ذلك بأمر إلهى ، وذلك جهل منهم ضرورة .

وإذ قد قلنا فى مقدار ما تفيده هذه الصناعة ، فلنرجع إلى حيث كنا من تعديد الأسباب المدخلة علينا الفساد بالعرض التى يمكننا بهذه الصناعة التحرز منها ، وتلك هى الأسباب الفاعلة فقط ، ومن هذه ما كان وجه التحرز منها غير بيِّن بنفسه ، لأن تحرز الإنسان من حرق النار، وقطع السيف ، ورض الحجر، ليس يحتاج فى ذلك إلى صناعة ، إذ كان ما هو من ذلك إلى اختيارنا فالتحرز منه بيِّن بنفسه ، وما لم يكن من ذلك لاختيارنا فلا تأثير لنا فيه فنقول : ومن الأشياء المدخلة علينا الفساد بالعرض تغير الأهوية ، والرياضة الغير ملائمة ، مثل الصنائع الصعبة التناول ، والعوارض النفسانية ، مثل الغضب والفزع ، وبالجملة جميع الأشياء التى تكسب سوء المزاج المادى والغير المادى ، ولما كانت هذه الأشياء هى التى تدخل علينا الفساد العرضى كانت هى بأعيانها التى تلتئم إما بالتحفظ منها ، أو بإتيان الوسط فيها ، إن كان مما له وسط فى حفظ الصحة ، ولذلك ليس يلتئم حفظ الصحة بشىء سوى استعمال الأطعمة المعتدلة الكيموس ، مقدرة الكمية ، والوقت ، والوضع ، واستفراغ الفضول ، وإصلاح الأهوية وتجنب العوارض النفسانية المكسبة سوء المزاج ، وأملك هذه هو استعمال الأغذية على القانون الطبى ، واستفراغ الفضول ، وهذه هى التى القول فيها أكثر فى هذه الصناعة ، والفضول تستفرغ بالرياضة ، والدلك ، والاستحمام ، وقد تستفرغ بالأدوية ، وبخاصة الأمزجة الغير معتدلة ، وهذا النوع من الاستفراغ بالرياضة والدلك والاستحمام والأدوية هو داخل فى جنس الحفظ الذى هو التوقى مما شأنه أن يحدث ، ولذلك قد ينبغى أولا أن نقول هاهنا فى أنواع الدلك ، وأفاعيله ، وأنواع الرياضة وأفاعيلها

ثم نسير بعد ذلك إلى كيف يحفظ مزاج ، مزاج من الأمزجة التسعة . (الكليات فى الطب / ٣١٥ ، ٣١٦) .

ويقسم ابن النفيس الجزء العملى من الطب إلى قسمين هما : علم حفظ الصحة ، وعلم العلاج ، فيقول عن علم حفظ الصحة :

ولنبتدئ بحفظ الصحة ، والطبيب لا يلتزم إبقاء الشباب والقوة ، ولا أن يبلِّغ كل شخص الأجل الأطول فضلا عن أن يمنع الموت ؛ وذلك لأن البدن لا يمكن تكونه إلا من رطوبة مقارنة لحرارة تنضجها ، وتغذوها ، وتدفع فضلاتها ، فهى لا محالة تحللها ، وإذا دام المؤثر الواحد فى المتأثر الواحد اشتد تأثيره فى كل وقت ، وإذا كثر التحلل فنيت الحرارة لفناء مادتها ، وضعف الهضم وقل إيراده البدل الذى لولاه لم يبق البدن مدة تكونه فضلا عن استكماله ، ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة وتطفأ الحرارة ، وذلك هو الموت الطبيعى المقدر أجله لكل شخص بحسب مزاجه وقوته ، فغاية الطبيب أن يبلِّغ كل شخص منتهى الأجل إن لم يتفق له مفسد خارجى ، وأن يحفظ صحة كل سن على ما يليق به ، وذلك بحماية الرطوبة عن العفونة البتة وحراستها عن التحلل الزائد على المجرى الطبيعى .

وملاك الأمر فى ذلك هو تعديل الأسباب الضرورية .

تدبير المأكول : كل صحة أردنا حفظها على حالها أو أردنا عليها الشبيه فى الكيفية ، فإن أردنا نقلها إلى أفضل منها أوردنا الضد ، ولنقتصر من الغذاء على الخبز النقى من الشوائب الردية كالشيلم ، واللحم الحولى من الضأن والعجول والأجدية والدجاج والقبج (وهو جنس طيور تصاد) والطيهوج ، والحلو الملائم ، ومن الفاكهة التين والعنب والرطب فى البلاد المعتاد فيها أكله .

وأما الأغذية الدوائية كلها فلا يلتفت إليها إلا لتعديل مزاج أو مأكول ، ولا يؤكل بلا شهوة ، ولا تدافع الشهوة الهائجة ، وليؤكل فى الصيف الغذاء البارد بالفعل ، وفى الشتاء الحار بالفعل ، وإدخال الطعام على طعام آخر لم ينهضم ردىء ، ودونه إطالة زمان الأكل فيختلف المهضوم .

وتكثير الألوان محير للطبيعة ، والغذاء اللذيذ أحمد لولا الإكثار منه ، وملازمة التفه (التفه من الأطعمة ما ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة ، ومنهم من يجعل الخبز واللحم منها) يسقط الشهوة ويكسِّل ، والحامض يسرع الهرم ويجفف ويضر العصب ، والحلو يرخى الشهوة ويحمى البدن ، والمالح يجفف البدن ويهزله فلتدفع مضرة الحلو بالحامض ، والحامض بالحلو والتفه بالمالح أو الحريف وهما به ، وليترك الغذاء وفى النفس منه بقية ، وملازمة الحمية تنهك البدن وتهزله ، بل هى فى الصحة كالتخليط فى المرض ، ومراعاة العادة فى الواجبات وغيرها واجبة ، ومن اعتاد أن يستمرى الأغذية الرديئة فلا يغتر بها فتستولد على طول الأيام أمراضا ، فلتترك بتدريج ، والصفراوى غذاؤه مبرد مرطب ، والدموى مبرد قامع ، والبلغمى مسخن ملطف ، والسوداوى مرطب ، وقد نهى المجربون عن الجمع بين أغذية يعسر علينا إثبات كثير من ذلك بالقياس .

قالوا : لا تجمع بين سمك ولبن فيولِّدان أمراضا مزمنة كالجذام والفالج ، ولا لبن مع حامض ، حتى نهوا عن الجمع بين المضيرة والإجاصية (المضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير (الحامض) ، والإجاص : المشمش والكمثرى بلغة الشاميين ، وفى الوسيط : كان يُطلق فى مصر على البرقوق وثمره) ولا السويق على الأرز باللبن ، ولا الغيب على الروس ، ولا الرمان على الهريسة ، ولا الخل والأرز .

تدبير المشروب : قالوا : لا تجمع بين ماء البئر والنهر ما لم ينحدر أحدهما ، وأفضل المياه مياه الأنهار وخصوصا الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب ، أو على حجارة فيكون أبعد من قبول العفونة وخصوصا الجارية إلى الشمال أو المشرق وخصوصا المنحدرة إلى أسفل وخصوصا إذا بعد المنبع ، فإن كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه أنه حلو ، ولا يحتمل الشراب منه إلا غليلا ، فذلك هو البالغ وخصوصا إذا كان غمرا شديد الجرية ، وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من غلظ ، وأردأ منه ماء البئر ، وماء النز أردأ ، وإنما ينبغى أن يستعمل الماء بعد شروع الغذاء فى الهضم ، وأما عقيبه فيفجج ، وفى خلله أردأ ، على أن من الناس من ينتفع بذلك وهو حار المعدة ، ومن الناس

من تكون شهوته للغذاء ضعيفة ، فإذا شرب الماء قويت شهوته ، وذلك لتعديله حرارة المعدة .

وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة ... وعقيب المسهل القوى والحمام وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردىء جدا ماء كان المشروب أو شرابا ، فإن لم يكن بد فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصًا ، وكثيرا ما يكون عطشٌ عن بلغم لزج أو مالح .

تدبير الحركة والسكون البدنيين :

بقاء البدن بدون الغذاء محال ، وليس غذاء يصير بجملته جزء عضو ، بل لا بد أن يبقى منه عند كل هضم أثر ولطخة ، فإذا تركت وكثرت على طول الزمان اجتمع شيء له قدر يضر بكيفيته ، بأن يسخن بنفسه أو بالعفن أو يبرد بنفسه أو بإطفاء الحرارة ، وبكميته بأن يسد ويثقل البدن ويوجب أمراض الاحتباس ، وإن استفرغت تأذى البدن بالأدوية ، لأن أكثرها سمية ، ولأنها لا تخلو من إخراج الخلط الصالح المنتفع به ، فهذه الفضلات ضارة تركت أو استفرغت .

والحركة أقوى الأسباب فى منع تولدها بما يسخن الأعضاء وتسيِّل فضلاتها فلا تجتمع على طول الزمان ، وهى تعوِّد البدن الخفة والنشاط ، وتجعله قابلا للغذاء ، وتصلِّب المفاصل وتقوى الأوتار والرباطات والأعصاب ، وتؤمن من جميع الأمراض المادية . وأكثر المزاجية إذا استعملت المعتدلة منها فى وقتها وكان باقى التدبير صوابا ، ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء وكمال هضمه ، والرياضة المعتدلة هى التى تحمر فيها البشرة وتربو ويبتدئ العرق . وأما التى يكثر فيها سيلان العرق فمفرطة ، وأى عضو كثرت رياضته قوى ، وخصوصا على نوع تلك الرياضة ، بل كل قوة هذا شأنها ، فإن من استكثر من الحفظ قويت حافظته وكذلك المستكثر من الفكر أو التخيل ، ولكل عضو رياضة تخصه ، فللصدر القراءة ، وليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهرية بتدريج ، والسمع يرتاض بالأنغام اللذيذة ، والبصر بقراءة الخط الدقيق أحيانا وبالنظر إلى الأشياء الجميلة ، وركوب الخيل باعتدال رياضة البدن كله وتحلل أكثر مما تسخن ، وتنفع الناقهين بتحليل بقايا أمراضهم وكذلك التمرجح بالرفق ، وأما طرد الخيل فيحلل كثيرا ويسخن ، واللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس بما يلزمه من الفرح بالغلبة والغضب بالانقهار ، وكذلك المسابقة بالخيل . وركوب السفن محرك للأخلاط ، مثور لها ، قالع للأمراض المزمنة كالجذام والاستسقاء لما يختلف على النفس من فرح وفزع ، ويقوى المعدة والهضم وإذا هاج منه غثيان وقىء بإخراج الفضول فلا يبادر إلى حبسه .

ومن جملة الرياضة الدلك ، ومنه خشن أى بأيد خشنة ، فيحمر اللون ويخصِّب ما لم يقع منه إفراط قوى التحليل ، ومنه صلب فيشد ويقوى الأعضاء الضعيفة ، ومنه لين فيرخى ، ومنه كثير فيهزِّل ، ومنه معتدل فيخصِّب ، وينبغى أن نقدم على الرياضة دلْكٌ للاستعداد لها وبعدها دلْكٌ لاسترداد القوة وتحليل ما أبقته الرياضة فى العضل وقريبا من الجلد ، وليكن بأيد كثيرة لتختلف مواقعها على العضل .

تدبير النوم واليقظة :

أفضل النوم هو الغرق المتصل المعتدل المقدار ، الحادث بعد هضم الغذاء وشروعه فى الانحدار ، وسكون ما يتبعه من نفخة .

ومن استعان بالنوم على الهضم فينبغى أن يبتدىء أولا على اليمين قليلا لينحدر الغذاء إلى قعر المعدة لميله إلى اليمين لسهولة جذب الكبد له فهناك الهضم أقوى ، ثم على اليسار طويلا ، ليشتمل الكبد على المعدة فيسخنها ، فإذا تم الهضم عاد إلى اليمين ليعين على الانحدار إلى جهة الكبد . والنوم أكثر تعريفا من اليقظة على سبيل الاستيلاء من الطبيعة على المادة . واليقظة أكثر تعريفا على سبيل الإسالة . ومن عرق فى نومه كثيرا ولا سبب له ظاهر فبدنه ممتلىء من غذاء أو خلط .

تدبير الاستفراغ والاحتباس :

يجب أن يعتنى بالطبيعة فتلين إن احتبست بمثل المرقة الدهنة ، اسفيذباجة (وهى نبات ملين للطبيعة) . كثيرة السلق ، أو بالإسفاناخ ، أو بالليمونية بالقرطم . وأما التين بالقرطم فنعم الملين وخصوصا للمشايخ ، وبمثل الفتل المسهلة ، والحقن اللينة ، والاحتقان بالدهن ينفع المشايخ

بالتليين وترطيب الأمعاء وتسخينها . ولتحبس الطبيعة إذا أفرط لينها بمثل السُّمَّاقية والحصرمية ، والزرشكية ، والحماضية ، والتفاحية . وليقلل الدهن والسلق .

ومن المستفرغات المعتادة فى حال الصحة الحمام ...

الحمام : أفضله ما كان قديم البناء ، عذب الماء ، واسع الفضاء ، معتدل الحرارة . والبيت الأول مبرد مرطب ، والثانى مسخن مرطب ، والثالث مسخن مجفف ، ولا يدخل البيت الحار إلا بتدريج ، فكيف الخروج منه ، وطول المقام فيه يوجب الغشى والكرب والجفاف ، ويابس المزاج يستعمل الماء أكثر من الهواء ، وقد يضطر إلى رش البيت بالماء وحبسه على أرض الحمام ليكثر تبخيره كما يفعل بالمدقوقين ، ومرطوب المزاج يستعمل الهواء أكثر من الماء ، وقد يضطر إلى إفراط العرق قبل استعمال الماء كما يفعل بالمستسقين . وما دام الجلد يربو فلا إفراط ، فإذا أخذ البدن فى الضمور والركب فى التزيد فقد وقع إفراط ، وليزد الدثار بعد الحمام وخصوصا فى الشتاء ؛ لأن البدن ينتقل من هواء الحمام إلى أبرد منه ، ولأن ما يتشربه البدن من ماء الحمام تزول عنه حرارته العرضية فيبرد البدن . ولا يدخل الحمام من به ورم أو تفرق اتصال ، أو حمى عفنية لم تنضج .

وقد يستعمل الحمام عقيب الغذاء فيسمن لكن يخاف منه السدد فليحترز عنها بالسكنجبين الساذج أو البزورى بحسب الأمزجة (السكنجبين مركب من الخل والعسل . ويسمى بهذا الاسم وإن كان مكان العسل سكر ومكان الخل رب السفرجل) وقد يغتذى عقيب الحمام فيسمِّن باعتدال مع أمن من السدد ، وكذلك استعمال الحمام بعد الهضم . وقد يستعمل الحمام على الخلاء فيهزِّل ويجفف . وقليل الرياضة ينبغى له أن يستكثر من الحمام المعرق ، والاغتسال بالماء البارد يقوى البدن وينشِّطه ويجمع القوى ويقويها ، وإنما يستعمل وقت الظهيرة فى قوة الصيف لمن هو حار المزاج معتدل اللحم شاب ، ويمنع منه الصبى والشيخ ومن به إسهال أو تخمة أو نزلة . والاغتسال بمياه الحمامات الكبريتية تحلل الفضول وتنفع من الفالج والرعشة والتشنج وتزيل الحكة والجرب ، وتنفع عرق النساء وأوجاع الورك (الحكة هى خلط رقيق بورقى يحدث تحت الجلد ولا يحدث منه مدة بل شىء كالنخالة ، وهو سريع الزوال) .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة للحمامات باعتبارها من المنشآت الصحية التى حرص السلف على إقامتها فى المدينة الإسلامية .

تدبير الفصول :

وليتلق الربيع بالفصد والاستفراغ بالقىء ، واستعمال المطفئات ومسكنات المواد ، وتجتنب الحركات كلها ، كالحركة المفرطة والحمام ، والشراب القوى ، والمسخنات كلها ، ويقلل الغذاء ، ويكثر الشراب الممزوج ، ويلبس فيه السنجاب والمضربات الخفيفة (المضربات جمع مضربة : كساء أو غطاء كاللحاف) .

ويلتزم فى الصيف الهدوَّ ، والدعة ، والظل ، والأغذية الباردة القامعة اللطيفة كالرمانية ، ويهجر كل ما يسخن ويجفف ، وينقص الأغذية ، ويكثر من الفاكهة الرطبة كالإجاص والخيار والبطيخ الرقى ، ويلبس فيه الكتان العتيق .

ويجتنب فى الخريف كل ما يجفف ... والاغتسال ، بالماء البارد ، وشربه ، وكشف الرأس ، والاستكثار من الفاكهة .

وأما القىء فيه فيجلب الحمى ، ويحترز من برد الغدوات وحر الظهائر ، ويستقبل الشتاء بالدثار ولبس العبب والنيفق . وأما الحواصل والدلق فمفرطان لا يحتملهما إلا المبرود والمرطوب ، وتلزم الأغذية القوية الغليظة كالهريسة ، والاستكثار من اللحوم ، واستعمال الملطفات كالرشاد والأبزار الحارة والشراب القوى ، والقىء فيه يضعف ، والحركات القوية العنيفة فيه نافعة . (الرشاد : بقلة سنوية من الفصيلة الصليبية ، تزرع وتنبت برية ، ولها حب حريف يسمى حب الرشاد) وقد أوردناها تحت عنوان الحُرف بضم الحاء فى م ١٣ / ٣٧١ ، ٣٧٢ فانظرها فى موضعها .

وكذلك فعل ابن سينا ، فقد قسم الجزء العملى من أرجوزته الطبية إلى قسمين هما : علم حفظ الصحة ، وعلم العلاج أو ما أسماه « برء العلة » . وننقل لك الأبيات فيما يلى وقد احتفظنا بأرقامها المسلسلة كما وردت فى النص ، كما احتفظنا بالعناوين الفرعية التى وضعها الناظم : وسنتبع الأبيات بشرح لبعضها . قال الناظم :

القسم الثانى من الأرجوزة الطبية

وهو الجزء العملى

٧٨١ - وإذ نظمت فى كتاب العلم
فى الطب ما سمعته من نظم

٧٨٢ - وكان أن أنظمه فى أملى
فها أنا مبتدىء بالعمل

٧٨٣ - قد قلت فى مبتدأ الكتاب
ما احتجت أن أذكر فى ذا الباب

٧٨٤ - وعمل الطب على ضربين
فواحد يعمل باليدين

٧٨٥ - وغيره يعمل بالدواء
وما يقادر من الغذاء

٧٨٦ - أما الذى يعمل بالتدبير
فذاك أمر ليس بالحقير

٧٨٧ - وهو على ضربين عند القسمه
فواحد يدعى بحفظ الصحه

٧٨٨ - وجزؤه الأخير برء العله
وهو لعمرى غاية الأطبه

« تقسيم عمل حفظ الصحة »

وهو الأول من العمل، بالدواء والغذاء :

٧٨٩ - والحفظ للصحة فى الصحيح
منا بقول مطلق صريح

٧٩٠ - وللذى صحته لم تكمل
وهو على ضربين عند العمل

٧٩١ - ما ضعفه شيب بكل ذاته
وكل وقت كان من أوقاته

٧٩٢ - كالشيخ والناقه أو كالطفل
فضعفهم مختلط بالكل

٧٩٣ - ومن ترى فى جسمه دليلا
يخاف منه أن يرى عليلا

٧٩٤ - ومن ترى الضعف ببعض جسمه
من جلده أو لحمه أو عظمه

٧٩٥ - كمن ترى معدته ضعيفه
باردة فى طبعها سخيفه

٧٩٦ - ومنه ما آفته فى الرحم
كأصبع سادسة أو ورم

٧٩٧ - وما يرى بحسب الأسنان
وفى زمان دون ما زمان

٧٩٨ - كلين المزاج فى صباه
ضعف وفى كبره قواه

٧٩٩ - ويابس بضعف فى الخريف
وليس فى الربيع بالضعيف

« تدبير الصحيح ، بقول مطلق ، فى هوائه جملة ، وخاصة فى صيفه »

٨٠٠ - للحفظ فى الصحة جنس مشتمل
من عمل الطب على ضربى عمل

٨٠١ - إن المزاج إن ترد بقاءه
بحاله شبه به غذاءه

٨٠٢ - والجسم إن تعزم على إخراجه
من طبعه فالضد من مزاجه

٨٠٣ - ودبر الصحيح بالإطلاق
كيما يرى على الصلاح باق

٨٠٤ - اسكن بلاد رابع الإقليم
ما كان منها ذا بخار سالم

٨٠٥ - وما على الصحراء منها يشرف
واعتمد الشرقى فهو ألطف

٨٠٦ - ومل لدى الصيف إلى الجبال
والبلد المفتوح للشمال

٨٠٧ - والليل فى العالى من المجالس
وبالنهار انزل إلى الدهالس

٨٠٨ - واعدل عن الأصواف والأقطان
ومل إلى الخفيف من كتان

٨٠٩ - واستعمل البارد من ريحان
ومثل دهن الورد من أدهان

٨١٠ - واحتط على عينك من غبار
ومن دواخن ومن بخار

٨١١ - ومن شعاع الشمس والسموم
ومن لقاء الوهج من جحيم

٨١٢ - ولا تطل قراءة التدقيق
نقش وخط مُدمج التعليق

« تدبير المأكول بالجملة ، وخاصة في الصيف »

٨١٣ - أقل ما يؤكل في النهار
والليل مرة من المرار

٨١٤ - وأكثر الأكلات مرتين
والأوسط الثلاث في يومين

٨١٥ - أطل زمان الأكل تستتمه
ودقق الممضوغ تستهضمه

٨١٦ - وكل ما يأبى عليك خضمه
فإنه صعب عليك هضمه

٨١٧ - وكل ما تختار من شهي
يكره أن يغذي به دني

٨١٨ - فاقصد بحكمة إلى علاجه
بضده المصلح من مزاجه

٨١٩ - رب مزاج ليس بالسواء
يصلح بالبردي من غذاء

٨٢٠ - وعادة الإنسان مثل القسوه
فلا تضيع من مكان الشهوه

٨٢١ - وكل عادة تضر أهلها
فاقطع بتدريج الزمان أصلها

٨٢٢ - وقدم الرطب وأخر قابضا
وامزج بطعم الحلو طعما حامضا

٨٢٣ - وأصلح اليابس باللدونه
وأصلح البارد بالسخونه

٨٢٤ - وإن يكن سخنا فشب بالبرد
وإن يكن رطبا فشب بالضد

٨٢٥ - وإن تخف وخامة السمين
وما يسيء الهضم من دهين

٨٢٦ - فشبه بالملح أو الحريف
إنهما عون على التلطيف

أوقات الأكل :

٨٢٧ - بعد الرياضات يكون الأكل
وبعد ما يخرج منك الثفل

٨٢٨ - فاطلب لأكلك زمان الراحه
وفي مكان بارد رياحه

٨٢٩ - واجعل لذلك زمانا بارنا
وكن لذا التدبير فيه قاصدا

تدبير المأكل في الصيف :

٨٣٠ - وقلل الغذاء في المصيف
ومل بما تغذو إلى اللطيف

٨٣١ - واجتنب الغليظ من لحمان
ومل إلى البقول والألبان

٨٣٢ - والسمك الطري والجديان
ووسط السن من الحملان

٨٣٣ - ومن فراريج ومن دجاج
ولحم طيهوج ومن دراج

٨٣٤ - من كزبرية ومن سكباج
وحصرمية وزيرباج

٨٣٥ - وجنِّب الحلواء كالخبيص
وعجة الكراث والفصوص

٨٣٦ - ومل إلى الهلام والقريص
وكل من الطفشيل والمصوص

« تدبير المشروب »

٨٣٧ - إن شئت أن تنجو من التيات
فالجوف قسِّمه إلى ثلاث

٨٣٨ - للنفس الثلث وللغذاء
ثلث وباقيه مكان الماء

٨٣٩ - قليل ماء بارد يرويكا
وكثرة الفاتر لا يشفيكا

٨٤٠ - والثلج لا تكثره في الشراب
فإنه يضر بالأعصاب

٨٤١ -لا تسق ثلجا لسوى السمين
المدموى اللحم والمتين

٨٤٢ - حـرصك لا تشـرب على الخـوان
إن لـم يكـن لشـــرق الإنســـان
٨٤٣ - لا تأخـذ المـاء على الطعـام
ولا على الخـروج مـن حمـام
٨٤٤ - ولا على الـرياضـة القـويـة
أو الجمـاع إنـه بليـه
٨٤٥ - وإن دعـت لـذلك الضـروره
من قلـة الصبـر فخـذ يسيـره
٨٤٦ - حتى إذا مـا ميل بـالطعـام
فـى أسفـل الجـوف إلـى انهضـام
٨٤٧ - فخـذ من المـاء الـذى يـرويكـا
أو خـذ مـن الشـراب مـا يكفيكـا
٨٤٨ - حتى إذا أخـذت منـه ريَّك
عـن شبع أو عـن شـراب أسكـرك !
٨٤٩ - وجـاءك العطش فلتجـانب
فـإن ذا العطـش أمـر كـاذب ...

« تدبير النوم »

٨٦٢ - لا تطل النـوم فتـؤذى النفسـا
ولاتـؤرقهـا فتـؤذى الحسـا
٨٦٣ - وطـولّ النـوم لغيـر المنهضم
من الطعـام أو علـى إثـر التخم
٨٦٤ - ولاتطل نـومـا بـوقت الجـوع
تبخـر الـرأس مـن الـرجيع
٨٦٥ - نـم بـاستنـاد إثـر الطعـام
حتى يحـل مـوضع انهضـام

« تدبير الحركة »

٨٦٦ - لا تـرتض الـريـاضـة القـويـه
ولا تـودِّع بـل على السـويـه
٨٦٧ - ورض مـن الأعضـاء كـى تعينـا
مـا خفت أن يجمع خلطـا دونـا
٨٦٨ - بـالمشى إن شئـت أو الصـراع
حتـى تـرى النفس فـى إسـراع
٨٦٩ - ولا تـرض من كـان ذا نحـول
كـى لا تـزيـد منـه فى التحليل
٨٧٠ - ورض كثيـر الشحـم والسمينـا
ومنطقنـه إن يكـن بطينـا
٨٧١ - وانقـص مـن التعـب فـى المصيـف
فـأنـت بـالعـرق فـى تلطيف
٨٧٢ - وقـد ذكـرت فى كتـاب العلم
تـدبيـر مـا تحتـاجـه فـى الجسم
٨٧٣ - من فـرغ مـا يفضل أو مـن حبس
ومـا تـزيـد من معـانى النفس

« تدبير باقى فصول العام » :

٨٧٤ - وكل مـا ذكـرتـه فـى الصيف
ممـا أنـا دبـرتـه فى الكيف
٨٧٥ - فـافعلـه فى المحـرو والشبـان
وفـى الجنـوبـى مـن البلـدان
٨٧٦ - وفـى الشتـاء فـامتثل بضـده
كيمـا تقـاوم مـن أليم بـرده
٨٧٧ - وامض علـى الـربيع والخـريف
بيـن الشتـاء منـك والمصيـف
٨٧٨ - وجفـف الـربيع والخـريفـا
رطبـه بـل جنـب بـه التجفيفـا
٨٧٩ - بـاقـى الـربيع وابتـدا الخـريف
دبـرهمـا كـالحـال فى المصيف
٨٨٠ - وأول الـربيع فى التـدبيـر
كمثـل الخـريـف فـى الأخيـر
٨٨١ - دبـرهمـا كـالحـال فى الشتـاء
أعنـى بمـا يسخـن مـن غـذاء
٨٨٢ - هـذا الـذى يفعل فى حـال الحضـر
ومن يسـافـر فـاعتمـده فى السفـر

(من مؤلفات ابن سينا الطبية / ١٥٢ ـ ١٥٩) .

وإليك شرح بعض الأبيات :

٧٨٩ ـ أى الصحيح الجسم .

٧٩٠ ـ المعنى أن علم حفظ الصحة يقسم إلى قسمين : حفظ صحة الجسم ، وحفظ صحة من لم تكتمل صحته .

٧٩٢ ـ يقول ابن سينا : الشخص العادى الصحيح ، إذا أصيب بمرض ، فإن مرضه ينحصر فى عضو معين وزمن معين . أما الشيخ والناقه والطفل فضعفهم يشمل جميع الأعضاء وفى كل وقت .

٧٩٨ ـ عجز البيت : أى تضعف فى كبره قواه .

٨٠١ ـ المعنى : اجعل صفات الغذاء كمزاج الجسم ، إذا أردت أن يبقى على طبعه : أما إذا أردت أن تخرج الجسم من طبعه فانتخب الغذاء المضاد للطبع .

٨٠٤ ـ صدر البيت : رابع الأقاليم : أى الإقليم الرابع .

٨١٦ ـ خضمه : أى قلعه بالأضراس .

٨١٩ ـ يقول ابن رشد : وقد يوجد أمزجة ليست بمعتدلة توافقها أغذية رديئة ، فليس ينبغى أن يمنع عنها . ثم يقول : إن العادة تشبه الطبيعة ، وينبغى أن يعتمد فى الأغذية على إعطاء المريض ما تشتهيه نفسه .

٨٣١ ـ من لحمان : أى من أنواع اللحوم .

٨٣٣ ـ أسماء طيور .

٨٣٤ ـ ٨٣٦ أسماء أنواع من الطبيخ .

٨٦٣ ـ يقول ابن رشد : لأن النوم يجيد الهضم ، فإذا كان الطعام ، من غير قابل للهضم ، كان النوم معينا على هضمه ، وكذلك يفعل فى التخم ، أعنى أنه يصلح ما فسد فيها من الطعام بالإنضاج .

وإن النوم على الجوع يبخر الرأس من الرجيع وسائر الأخلاط التى فى البدن . لأن النوم هو انصراف الحرارة الحسية إلى معونة الحرارة الطبيعية فى الهضم . فإذا لم يكن هنالك غذاء فعلت فى الأخلاط فتولد عنها بخار فاسد فصعد فى الدماغ .

٨٦٤ ـ الرجيع هو الروث ، وما تجتره الإبل .

٨٧١ ـ يقول ابن رشد : واجعل رياضة الصيف أقل من رياضة الشتاء ، لأن الإنسان بالعرق الذى يكون فى الصيف فى تحليل دائم . وقد ذكرت فى الجزء العلمى ما يجب أن يستفرغ من الأخلاط وما يجب أن يحبس . وذكرت هنالك كيف ينبغى أن يكون من يريد حفظ صحته فى الأعراض النفسانية .

٨٧٢ ـ صدر البيت : كتاب العلم : أى فى القسم العلمى من الأرجوزة .

٨٧٤ ـ يقول ابن رشد : وكل ما ذكرته من تدبير الأبدان المعتدلة فى الصيف ، مما وصفت أنا فيه كيفيه التدبير ، فامتثل مثل ذلك فى المحرور المزاج والشباب ، وكذلك ينبغى أن يفعل فى البلاد الجنوبية لحرارتها .

٨٧٧ ـ ودبر الأبدان فى الربيع والخريف تدبيرا وسطا ، فى التسخين والتبريد ، أى بين تدبيرها فى الصيف وتدبيرها فى الشتاء .

(الكليات فى الطب لابن رشد / ٣١٥ ، ٣١٦ ، والموجز فى الطب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوى ، ومراجعة د. أحمد عمار / ٥٥ ـ ٦٦ ، ومن مؤلفات ابن سينا الطبية ـ دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا / ١٥٢ ـ ١٥٩) .

ولدينا منظومة أخرى فى حفظ الصحة هى ألفية « رايقة النفحة فى حفظ الصحة » للشيخ رضى الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامرى الغزى ، أبى الفضل (ت ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م) ونوردها فى موضعها فى حرف الراء إن شاء الله تعالى .

*** حفظ اللسان :**

من شعب الإيمان السبع والسبعين التى أحصاها الإمام البيهقى حفظ اللسان فيقول عنها :

حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش إذ القرآن والسنة مشحونان بذلك كقوله تعالى : ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ [الأحزاب : ٣٥] وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩] وقوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقوله ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ... ﴾ [الزمر : ٣٢] ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾

[الزمر: ٣٣] وقوله تعالى ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ [يونس : ٦٩] .

ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى الصحيحين « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » (أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ... باب قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ومسلم فى كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله) .

وحديث أبى شريح الخزاعى فيه أيضا « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (أخرجه البخارى فى كتاب الأدب « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » ومسلم فى كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها) (شعب الإيمان، ٥٤ ، ٥٥) .

وقال الإمام النووى : قال الله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [قٓ : ١٨] روى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب « ومعنى يتبين يفكر أنه خير أم لا » .

وروى البخارى عن أبى هريرة أيضا عن النبى ﷺ قال إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أيضا عن النبى ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » قال الإمام النووى بعده « وهذا صريح فى أنه ينبغى أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته ومتى شك فى ظهور المصلحة فلا يتكلم وقال اعلم أنه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير فى العادة والسلامة لا يعدلها شىء » (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٦١ ، ٢٦٢) .

ويفرد أسامة بن منقذ فى كتابه النفيس « لباب الآداب » فصلا فى الصمت وحفظ اللسان يسوق فيه كعادته أمثلة من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والشعر ، وإليك ما جاء فيه :

قال الله تبارك و تعالى فى سورة النساء : ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [١١٤] .

ومنها : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴾ [١٤٨] .

ومن سورة قٓ : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [١٦ ـ ١٨] .

ومنها : ﴿ إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير * يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ [قٓ : ٤٣ ـ ٤٥] .

ومن سورة المجادلة : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير * يأيها الذين ءامنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوىٰ واتقوا الله الذى إليه تحشرون * إنما النجوىٰ من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [٨ ـ ١٠] .

أحاديث (ما بين أقواس هو من تعليقات المحقق) :

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « رحم الله امرءا قال فغنم، أو

سكت فسلم » (نقلـه فى الجامع الصغيـر بمعناه من حـديث أبى أمـامة (رقم ٤٤٢٦) ومن حديث الحسن (٤٤٢٥) ومن حديث خالد بن أبى عمران (٤٤٢٧) وكلها بأسانيد ضعاف)

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنـه : « يا معاذ ، أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أو لك » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وقال ﷺ : « لسان العـاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبـه ، فإن كـان له تكلم ، وإن كـان عليـه سكت » (يقول المحقق إنه لكم يجد هذا الحديث) .

وروى عن النبى ﷺ : « أنه قـال لعمه العبـاس رضوان الله عليه : يعجبنى جمـالك . قال : ومـا جمال الـرجل ؟ قا ل : لسانه » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وقال النبى ﷺ : « أكثر الناس ذنوبا أكثرهم كلاما فيما لا يعنيهم » .

(نقله فـى الجامع الصغير (رقم ١٣٨٦) من حديث أبى هريرة وعبد الله بن أبى أوفى، وأشار إلى أنه حديث حسن) .

وقال أميـر المؤمنين على رضوان الله عليه : اللسـان معيار العقل : أطيشه الجهل ، وأرجحه العقل .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيـه » (رواه الترمذى وابن ماجه وغيـرهمـا . وانظـر تفصيل الكـلام عليـه فى التـرغيب (ج ٤ ص١٠ ـ ١١) وجامع العلوم والحكم (ص٧٩ ـ ٨٤) .

وعنـه ﷺ أنه قـال : « طوبى لمن ملك لسـانه ، ووسعـه بيتـه، وبكى على خطيئتـه » (الحـديث نقلـه المنـذرى فى الترغيب عن ثوبان ، ونسبه إلى الطبرانى فى الأوسط والصغير وحسن إسنـاده (ج٤ ص ٣) ، ونسبه السيـوطى فى الجـامع الصغير إلى أبى نعيم فى الحلية (رقم ٥٣٠٨) .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : « أنـه قال : يا رسول الله ، ما كان فى صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : كان فيها : ينبغى للعاقل ـ ما لم يكن مغلـوبا على عقله ـ : أن يكون حافظـا للسانـه ، عارفا بـزمانه ، مقبـلا على شانـه ، فإنه من حسب كلامـه من عمله قل كلامـه إلا فيما يعنيه » (هـذا جزء من حـديث طـويل نقل المنـذرى بعضـه فى التـرغيب (ج٣ ص١٤٧ ـ ١٤٨) ونسبه لابن حبان والحاكم فى صحيحيهما)

وروى فى حديث طويل عن أبى ذر الغفارى رحمه الله أنه قال ـ فى حديث طويل : « واجعل كـلامك كلمتين : كلمة نافعـة فى أمر دنياك ، وكلمـة باقيـة فى أمر آخرتك ، والثـالثة تضر ولا تنفع » .

وروى عن سيدنـا عيسى المسيح على نبينا وعليـه الصلاة والسلام أنـه قال : كل كلام ليس بـذكر الله تعالى فهـو لغو ، وكل سكـوت ليس بتفكر فهو غفلـة ، وكل نظرة ليسـت بعبرة فهى لهو . فطـوبى لمن كان تكلمه ذكرا ، وسكـوته افتكارا ، ونظره اعتبارا .

وعن لقمان أنه قال لابنـه : يا بنى ، من يصحب صـاحب السـوء لا يسلم ، ومن يـدخل مـدخل السـوء يتهم . ومن لا يملك لسانه يندم .

وعن عبد الله بن عمرو رحمـه الله أن رسول الله قال : « من صمت نجا » (رواه أحمـد فى المسند (رقم ٦٤٨١ و ٦٦٥٤ ج٢ ص١٥٩ و ١٧٧) ونسبـه المنـذرى فـى التـرغيب (ج٤ ص٩) للترمذى والطبرانى) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من سـره أن يسلم فليلـزم الصمت » (نسبـه المنـذرى (ج٤ ص٩) لابن أبى الـدنيا وأبى الشيـخ ، ونسبه السيـوطى (رقم ٨٧٤٦) للبيهقى .

وعن عقبة بن عامر رحمه الله قال : « قلت : يا رسول الله ، مـا النجـاة ؟ قـال : املك عليك لسـانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .

(الحديـث نقله المنـذرى (ج٤ ص٣) ونسبـه لأبى داود والترمذى وغيرهما) .

وعن سفيان بن عبد الله الثقفـى رحمه الله قال : « قلت : يا رسـول الله ، حدثنى بأمـر أعتصم به . قـال : قل ربى الله ، ثم استقم . قال : قلت : يـا رسول الله ، ما أخوف مـا تخاف على؟ فأخذ بلسـانه ، ثم قال : هذا » (نقلـه المنذرى (ج٤ ص٤ ، ٥) ونسبه للترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ : « لا يستكمل أحـدكم حقيقة الإيمان حتـى يخزن من لسـانه » (يقول المحقق لم يجد هذا الحديث) .

وقال ﷺ : « إذا رأيتـم من الرجل المـؤمن زهدا فى الـدنيا

وقلة منطق فـاقتربوا منـه ، فإنه يلقى الحكمة » رواه ابن مـاجه (ج٢ ص ٢٧١) من حديث أبي خـلاد، ونقله السيوطى (رقم ٦٣٥) ونسبه أيضـا لأبى نعيم والبيهقى من حديث أبى خلاد ومن حديث أبى هريرة .

وعن أبى سعيـد الخدرى رضـى الله عنه عن النبى ﷺ أنـه قال : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضـاء كلها تكفـر اللسان ، تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعـوججت اعـوججنا » . (نقلـه المنـذرى (ج٤ ص٨) ونسبه للتـرمذى وابن أبى الـدنيا ونقلـه السيوطى (رقم ٤٥٤) ونسبه لابن خزيمة والبيهقى) .

التكفير : الخضوع والانقياد هاهنا .

وعن شقيق رحمه الله : أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كـان على الصفـا يلبى ويقـول : يـا لسـانى قل خيـرا تغنم ، واصمت تسلم من قبـل أن تنـدم . فقيل لـه : يـاأبـا عبـد الرحمن، هذا شىء تقولـه أو سمعته ؟ قال : لا ، بل سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « إن أكثـر خطـايا ابـن آدم فى لسانـه » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وعن صدقة بن عبد ربه رحمـه الله قال : لما كبر آدم عليه السـلام جعل بنـو بنيـه يعبثـون بـه ، فيقـول لـه آبـاؤهم : ألا تنهاهم؟ ! فيقول : يا بنى، إنى رأيت ما لم تروا وسمعت ما لم تسمعوا ، رأيت الجنة وسمعت كلام ربى تبارك وتعالى ، وقال لى حين أخرجنى منها : إن حفظت لسانك أعدتك إليها .

وعن عبد الله بن عمـر رضى الله عنهما قال قـال رسول الله ﷺ : « إن الله عند لسـان كل قائل ، فليتق الله عبد ولينظـر ما يقـول » (نقلـه السيـوطى (رقم ١٧٥٠) ونسبـه لأبى نعيم فى الحلية عن ابن عمر ، وللحكيم الترمذى عن ابن عباس) .

قال أبو حاتم رحمه الله : طلب رجلان العلم ، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر، فكتب المتكلم إلى الصامت :

ومـــا شىء أردت بـــه اكتســـابـــا
بـأجمـع فـى المعيشـــة مـن لســـان

فكتب إليه الصامت :

ومـــا شـىء أردت بـــه كمــالا
أحـق بطــول سجـن مـن لســان

وقـال سفيان بن عيينـة رحمه الله (نسبهمـا فيما بعـد لأبى نواس ، وهو الصواب)

خـلِّ جنبيـك لـــرام
وامـض عنـــه بســلام
مـت بـــداء الصمـت خيـــر
لـك مـن داء الكـــلام
إنمـــا الســالـم مـن ألـــ
ـجم فـــاه بلجـــام

قالوا : أكثر ما تعرض الآفات للحيوان إنما تعرض لعدمها الكلام ، وتعرض للإنسان من قبل الكلام .

وقـالـوا : رب كلمـة تقـول : دعنى ، ورب كلمـة سلبت نعمة .

وقال الشاعر :

واحـــذر لســـانـك لا تقـــول فتبتلـى
إن البـــلاء مـــوكـل بـــالمنطـق

وقال إبراهيم بن هرمة :

أرى النـــاس فى أمـــر سحيل فـــلا تـــزل
على حـــذر حتى تـــرى الأمـــر مبـــرمـــا
فـإنـك لا تسطيـع رد الـــذى مضـى
إذا القـــول عن زلاتـــه فـــارق الفمـــا
فكـــائن تـــرى وافـــر العـــرض صـــامتـــا
وآخـــر أردى نفســـه إن تكلمـــا

(أبوه هرمة ـ بفتح الهاء وسكـون الراء ـ وهو من مخضرمى شعراء الدولتين . ويقول أصحاب اللغة إنه آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم فى العربية . وهـذه الأبيات قالها حين انصرف عن المدينـة، حين خرج محمد بن عبـد الله بن حسن يوصى بها أحد أصحابه من بنى مخزوم . أمالى الزجاجى ص٥) .

(«و الحبل السحـل والسحيل » الـــذى يفتل على قـــوة واحدة، وهذا حبل ضعيف « والمبـرم » هو الحبل الذى جمع بين مفتولين ففتلا حبلا واحدا) .

وقال آخر :

إن كنـت تبغى الـــذى أصبحـت تظهــره
فـــاحفـظ لســانك واخش القـــال والقيـــلا

مـا بـال عبـد سهـام المـوت تـرشقـه
يكـون عن ربـه بـالنـاس مشغـول

كـان بكـر بن عبـد الله المـزنى رحمـه الله يطيل الصمت وينشد:

لسـان الفتى سبع، عليـه شـذاتـه
فإلا يـزع من غـربـه فهـو آكلـه
ومـا الغنى إلا منطـق متتـرع
سـواء عليـه حق أمـر وبـاطلـه

(يقال « إنى لأخشى شذاة فلان » أى شره وشدته وجرأته ، وأصله القوة والحدة وقوله : « يزع » من قولهم « وزع الرجل عن هواه » كفـه، والعزب : الحدة يقـال: « فى لسانـه غرب » أى حدة وسفه ويقال « تترع إلى الشيء » تسرع، وتترع إلى الناس بالشر، والمتترع : الشرير المتسرع إلى ما لا ينبغى له).

وقال آخر:

سـامح النـاس ودع عـمـ
ضـك وقفـا للسبيـل
وأعـر سمعـك وقـرا
عنـد إكثـار العـذول
والـزم الصمت إذا خفـ
ـت غيـات الفضـول
فلـزوم الصمت خيـر
لـك مـن قـال وقيـل

وقال أبو العتاهية، وتروى لابنه محمد :

قـد أفلـح السـاكت الصمـوت
كـلام راعى الكـلام قـوت
مـا كـل نطق لـه جـواب
جـواب مـا تكـره السكـوت

وقال آخر :

إنطـق مصيبـا بخيـر لا تكـن هـذرا
عيـابـة نـاطقـا بـالفحش والـريب
وكـن رزينـا طـويل الصمت ذا فكـر
فـإن نطقت فـلا تكثـر مـن الخطـب
ولا تجب سـائلا مـن غيـر تـرويـة
وبـالـذى عنـه لـم تسأل فـلا تجب

وقال أبو العتاهية :

(هى فى ديـوانـه (ص٢٨٢) وقـد نسبهـا البحترى فى حماسته لصالح بن عبد القدوس وهو عندنا أوثق . (الحماسة ص٢٢٩ مطبوعة اليسوعيين) ورواية البيت الأول فيها :

لا تكثـرن حشـو الكـلا
م إذا اهتـديت إلى عيـونـه)

لا خيـر فـى حشـو الكـلا
م إذا اهتـديت إلـى عيـونـه
والصمـت أجمـل بـالفتـى
مـن منطـق فـى غيـر حينـه

وقال أحيحة بن الجلاح :

والصمـت أجمـل بـالفتـى
مـا لـم يكـن عـيٌّ يشينـه
والقـول ذو خطـل إذا
مـا لـم يكـن لـب يعينـه

وقال آخر :

تعهـد لسـانـك إن اللسـان
سـريـع إلى المـرء فـى قتلـه
وهـذا اللسـان بـريـد الفـؤاد
يـدل الـرجـال على عقلـه

وقال آخر :

استـر العى مـا استطعت بصمت
إن فـى الصمت راحـة للصمـوت
واجعـل الصمت إن عييت جـوابـا
رب قـول جـوابـه فـى السكـوت

وقال آخر :

متـى تطبـق علـى شفتيـك تسلـم
وإن تفتحهمـا فقـل الصـواب
فمـا أحـد يطيـل الصمت إلا
سيـأمـن أن يـذم وأن يعـابـا

فقل خيـــرا أو اسكت عن كثيـــر
من القـــول المحل بك العقـــابـــا

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر رحمهم الله :

أيهـــا المـــرء لا تقـــولن قـــولا
لست تـــدري مـــاذا يعيبك منـــه

والـــزم الصمت إن في الصمت حكمـــا
وإذا أنت قلت قـــولا فـــزنـــه

وإذا القـــوم ألغطـــوا في كـــلام
ليس تعنى بشأنـــه فـــالـــه عنـــه

وقال آخر :

إن السكـــوت ســـلامـــة ولـــربمـــا
زرع الكـــلام عـــداوة وضـــرارا

فلئن نـــدمت على سكـــوتك مـــرة
فلتنـــدمن على الكـــلام مـــرارا

(لباب الآداب / ٢٦٩-٢٧٨) .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقي . اختصار القزويني - حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٥٤ ، ٥٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووي - اختصره ورتبه الشيخ النبهاني / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ - تحقيق أحمد محمد شاكر / ٢٦٩-٢٧٨ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص)

* **الحفظة عليهم السلام :**

من الملائكة الذين أحصاهم القزويني قال :

ومنهم الحفظة عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون : قال ابن جريج : هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وقال بعضهم : هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلا ولا نهارا . وللكفار أيضا حفظه لأن آية الحفظة نزلت في شأن الكفار وهي قوله تعالى : ﴿ **كلا بل تكذبون بالدين * وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون** ﴾ [الانفطار : ٩ - ١٢] وفي الخبر : « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه » وفي رواية أخرى : « فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه : اتق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات ، فيفعل صاحب الشمال » وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا : يا رب قبضت عبدك فلانا فإلى أين نذهب ؟ قال الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدونني وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني ، اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة » (عجائب المخلوقات / ٤٥) .

قال صاحب الجوهرة :

بكل عبـــد حـــافظـــون وكلـــوا
وكـــاتبـــون خيـــرة لن يهملـــوا

من أمـــره شيئـــا فعل ولـــو ذهل
حتى الأنين في المـــرض كمل نقل

فحـــاسب النفس وقل الأمـــلا
فـــرب من جـــد لأمـــر وصـــلا

(مجموعة مهمات المتون / ١٥ ، ١٦) .

وفيما يلي مسألة عن الحافظين وردت إلى الحافظ السيوطي وأجاب عنها :

مسألة - ماذا جواب إمام لا نظير له
في العصـــر كـــلا ولا في ســـالف الـــدهـــر

في الحـــافظين على الإنســـان إذ كتبـــا
هل بـــالمـــداد وحبـــر عـــد للبشـــر

وكـــاغـــد يكتبـــا مـــا كـــان مع قلم
أولا كـــذلك يـــا من ضـــاء كـــالقمـــر

أثـــابكم ربكم جنـــاتـــه كـــرمـــا
بجـــاه خيـــر الـــورى المبعـــوث من مضـــر

الجواب - الله أحمـــد حمـــدا غيـــر منحصـــر
ثم الصـــلاة على المختـــار من مضـــر

مــداده الـــريق فيمـــا قـــد أتى ولســـا
ن الخلق أقـــلامهم قـــد جـــاء فـى الأثـــر
وفـى الصحيفـــة كتب والبطـــاقـــة جـــا
مـن غيـــر تعيين جنس صح فى الخبـــر

(الحاوى ١ / ٣٧٧) .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٤٥ ، وجوهرة التوحيد للإمام اللقانى ، المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ١٥ ، ١٦ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٣٧٧) .

*** حفنة :**

قال عنها على مبارك : قرية من قسم بلبيس من مديرية الشرقية واقعة على ترعة منية يزيد التى فمها من بحر مويس غربى منية يزيد على بعد نصف ساعة ، ومصبها بمصرف بلبيس الواردة فيه مياه الشيبينى أحد فروع ترعة الشرقاوية ، وهى قرية صغيرة بها بعض نخيل ومن مزروعاتها صنف الحناء وليس لها سوق وإنما يتسوق أهلها من سوق بلبيس .

ثم قال : وإليها ينسب كما فى حوادث سنة إحدى وثمانين ومائة وألف من تاريخ الجبرتى القطب الكبير والإمام الشهير أوحد أهل زمانه علما وعملا ، المشهود له بالكمال والتحقيق ، والمجمع على تقدمه فى كل فريق شمس الملة والدين الإمام محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى (أوردنا ترجمته تحت عنوان « الحفنى (محمد بن سالم) فانظرها فى موضعها » (الخطط ١٠ / ١٦٨)

كما ينسب إليها أخوه الشيخ يوسف الحفنى ، وقد أوردنا ترجمته تحت عنوان « الحفنى (يوسف بن سالم) » فانظرها فى موضعها . وقد ذكرها الجبرتى فى تاريخه (١ / ٣٣٩) بألف مقصورة هكذا «حفنا» .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد الشلقانى ١٠ / ١٦٨) .

*** الحفنى (جامع ـ) (١١٧٢ هـ / ١٧٥٩ م) أثر ٤٥١ :**

أدرج هذا الأثر فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة (ص ٩) تحت عنوان « واجهة جامع الحفنى » مما يفهم منه أن الواجهة هى الأثر الباقى . وقد ذكر الأستاذ محمد كمال السيد محمد أن الجامع أزيل فى توسيع شارع الخليج . وصفه على مبارك كما كان فى زمانه فقال عنه :

هذا الجامع بقنطرة الموسكى ، بين منزل الشيخ محمد المهدى العباسى شيخ الجامع الأزهر سابقا وبين جامع القاضى يحيى زين الدين الاستادارى . أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف . وقد تخرب وبقى مغلقا غير مقام الشعائر مدة ، ثم جدد فى سنة تسعين على طرف الأوقاف ، ووجد بأعلى بابه لوح من الرخام مكتوب عليه بيت شعر وهو :

أحيـــا لنـــا الله بعـــد مـــا دثـــرا
تـــاريخـــه مسجـــد الـــرحمن لا دثـــرا

سنة ١١٧٢

وله أوقاف تحت نظر الديوان ، ولما مات الشيخ الحفنى دفن بالقرافة الكبرى ، وله ضريح شهير يزار ويعمل له مولد مع مولد العفيفى يصرف فيه الشيخ المهدى كثيرا .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٠٤ ، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ١٠٩) .

وقد أوردنا ترجمة الشيخ الحفنى المذكور أعلاه تحت عنوان «الحفنى (محمد بن سالم) » فانظره فى موضعه .

*** الحفنى(قنطرة ـ) :**

كانت على الخليج جنوبى تقاطعه مع شارع الأزهر بقليل . وقد أنشأ عبد الرحمن كتخدا ـ الشهير بما أجراه فى القاهرة من عمارات ومساجد ـ هذه القنطرة للشيخ الحفنى ـ وهو الثامن ممن تولوا مشيخة الأزهر على الترتيب الذى ذكره الجبرتى ليصل منها إلى الدار والمسجد اللذين أنشأهما له . وقد عرفت القنطرة باسم قنطرة الحفنى وقد أزيل الجامع المذكور فى توسيع شارع الخليج .

(أسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ١٠٩) .

*** الحفنى (محمد بن سالم) (١١٠٠ أو ١١٠١ ـ ١١٨١ هـ / ١٦٨٩ أو ١٦٩٠ ـ ١٧٦٧ م) :**

الشيخ محمد بن سالم الحفنى أو الحفناوى الشيخ الثامن من شيوخ الأزهر الشريف .

ولد ببلدة (حفنا) من أعمال بلبيس بمحافظة الشرقية فى سنة ١١٠٠ هـ .

وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر الشريف وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره واجتهد حتى أجازه أساتذته للتدريس والإفتاء ومن أهم شيوخه الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت درس عليه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى واستوعب كل كتب الحديث الشهيرة وتوافد عليه الطلاب من كل فج .

وكان من الأشراف ينتسب إلى العترة النبوية الشريفة شديد الحياء نقى النفس وبرع فى فن النثر ونظم الشعر .

وذاق مرارة الفقر ثم أقبلت عليه الدنيا فكثر ماله لكنه لم يتخل عن واجبه العلمى ومال للصوفية فكان من أقطابها يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل يظل فيها الليالى متعبدا متأملا فسمت به الصوفية .

ووجه طلابه إلى دراسة المصادر العلمية العميقة مثل الأشمونى

فى النحو والصرف وجمع الجوامع فى أصول الفقه للسبكى ومختصر السعد فى البلاغة :

وكان ذا مهابة يهابه الأمراء والحكام ولكنه كان متواضعا مع الفقراء سخى اليد وترددت بين الناس كراماته فازداد مكانة فى القلوب وتولى المشيخة سنة ١١٧١ وتسابق العلماء إلى استجازته وكتبوا عنه وألف العلامة الشيخ حسن المكى كتابا فى مناقبه ونسبه وكذلك الشيخ محمد الدمنهورى المعروف بالهلباوى ألف كتابا فى مدائح الشيخ وأفرد له الجبرتى صفحات طويلة وامتدحه بما لم يمتدح أحدا (شيوخ الأزهر / ١٦، ١٧).

وننقل لك ترجمة الجبرتى له فيما يلى قال رحمه الله فى وفيات سنة ١١٨١ هـ .

ومات الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد أهل زمانه علما وعملا ومن أدرك ما لم تدركه الأول المشهود له بالكمال والتحقيق والمجمع على تقدمه فى كل فريق شمس الملة والدين محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى ، وهو شريف حسينى من جهة أم أبيه وهى السيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن على بن عبد الكريم ابن السيد برطع المدفون ببركة الحاج ، وينتهى نسبه إلى الإمام الحسين رضى الله عنه، وكان والده مستوفيا عند بعض الأمراء بمصر وكان على غاية من العفاف ولد على رأس المائة الحادية عشرة ببلده حفنا بالقصر، قرية من أعمال بلبيس، وبها نشأ والنسبة إليها حفناوى وحفنى وحفنوى، وغلبت عليه النسبة حتى صار لا يذكر إلا بها ، وقرأ بها القرآن إلى سورة الشعراء ثم حجزه أبوه بإشارة الشيخ عبد الرؤوف البشبيشى وعمره أربع عشرة سنة بالقاهرة ، فكمل حفظ القرآن ثم اشتغل بحفظ المتون ، فحفظ ألفية ابن مالك والسلم والجوهرة والرحبية وأبا شجاع وغير ذلك . وأخذ العلم عن علماء عصره واجتهد ولازم دروسهم حتى تمهر واقرأ ودرس وأفاد فى حياة أشياخه، وأجازوه بالإفتاء والتدريس فأقرأ الكتب الدقيقة كالأشمونى وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعد، وغير ذلك من كتب الفقه والمنطق والأصول والحديث والكلام ، عام اثنين وعشرين ، وأشياخه الذين أخذ عنهم وتخرج عليهم الشيخ أحمد الخليفى والشيخ محمد الديربى والشيخ عبد الرؤوف البشبيشى والشيخ أحمد الملوى والشيخ محمد السجاعى والشيخ يوسف الملوى والشيخ عبده الديوى والشيخ محمد الصغير ، ومن أجل شيوخه الذين تخرج بالسند عنهم الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت أخذ عنه التفسير والحديث والمسندات والمسلسلات، والإحياء للإمام الغزالى ، وصحيح البخارى ومسلم، وسنن أبى داود، وسنن النسائى ، وسنن ابن ماجه ، والموطأ، ومسند الشافعى والمعجم الكبير للطبرانى، والمعجم الأوسط والصغير له أيضا ، وصحيح ابن حبان، والمستدرك للنيسابورى، والحلية للحافظ أبى نعيم ، وغير ذلك . وشهد له معاصروه بالتقدم فى العلوم وحين جلس للإفادة لازمه جل طلبة العلم ومن بهم يسمو المعقول والمنقول وكان إذ ذاك فى شدة من ضيق العيش والنفقة ، فاشترى دواة وأقلاما وأوراقا واشتغل بنسخ الكتب فشق عليه ذلك خوفا من انقطاعه عن العلم . وكان يتردد إلى زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل ويمكث فيها الليالى متحنثا

وأقبل على العلم وعقد الدروس وختم الختوم بحضرة جمع العلماء ، وقرأ المنهاج مرات وكتب عليه، وكذلك جمع الجوامع والأشمونى ومختصر السعد وحاشية حفيده عليه ، كتب عليها وقرأها غير مرة، وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيزى إذا رفع إليه سؤال يرسله إليه . واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعانى النظم والنثر، وتخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته ومن دونهم كأخيه العلامة الشيخ يوسف والشيخ إسماعيل الغنيمى صاحب التآليف البديعة والتحريرات الرفيعة المتوفى سنة إحدى وستين ، وشيخ الشيوخ الشيخ على العدوى والشيخ محمد الغيلانى والشيخ محمد الزهار نزيل المحلة الكبرى وغيرهم.

وكان على مجالسه هيبة ووقار ولا يسأله أحد لمهابته وجلالته .

وكان كريم الطبع جدا وليس للدنيا عنده قدر ولا قيمة، جميل السجايا مهاب الشكل عظيم اللحية أبيضها ، كأن على وجهه قنديلا من النور .

وكان فى الحلم على جانب عظيم ومن مكارم أخلاقه إصغاؤه لكلام كل متكلم ولو من الخزعبلات مع انبساطه إليه وإظهار المحبة ولو أطال عليه، ومن رآه مدعيا شيئا سلم له فى دعواه ، ومن مكارم أخلاقه أنه لو سأله إنسان أعز حاجة عليه أعطاها له كائنة ما كانت ، ويجد لذلك أنسا وانشراحا، ولا يعلق أمله بشىء من الدنيا، وله صدقات وصلات خفية وظاهرة ، وكان راتب بيته من الخبز فى كل يوم نحو الأردب والطاحون دائمة الدوران ، وكذلك دق البن وشربات السكر، ولا ينقطع ورود الواردين ليلا ونهارا، ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون والستون ، ويصرف على بيوت أتباعه والمنتسبين إليه . وشاع ذكره فى أقطار الأرض وأقبل عليه الوافدون بالطول والعرض، وهادته الملوك وقصده الأمير والصعلوك، فكل من طلب شيئا من أمور الدنيا والآخرة وجده .

وكان رزقه فيضا إلاهيا . وللشيخ رضى الله عنه مناقب ومكاشفات وكرامات وبشارات وخوارق عادات يطول شرحها ذكرها الشيخ حسن المكى المعروف بشمه فى كتابه الذى جمعه فى خصوص الأستاذ، وكذلك العلامة الشيخ محمد الدمنهورى المعروف بالهلباوى له مؤلف فى مناقب الشيخ ومدائحه وغير ذلك (عجائب الآثار ١ / ٣٣٩ـ٣٤١) .

وكان صوفيا خلوتيا تلقن الطريق عن السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى. ولقن الحفنى الكثيرين من المشايخ المشهورين مثل الشيخ محمد المنير والشيخ محمد السنهورى والشيخ محمد الزعيرى والشيخ محمد السقا. والشيخ محمد الفشنى والشيخ محمود الكردى والشيخ أحمد العدوى الشهير

بالدردير. والشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر ورئيس الديوان الذى أنشأه الفرنسيون . وغيرهم كثيرون . ومن يلقنه الشيخ من المريدين يجعله خليفة ويجيزه فى أخذ العهود والتسليك .

وأسلم على يده كثيرون. منهم الشيخ محمد المهدى سكرتير الديوان الذى أنشأه نابليون . وهو جد الشيخ محمد العباسى المهدى الشيخ الحادى والعشرين من شيوخ الأزهر. والذى كان على يده أول إصلاح للأزهر فى العصر الحديث فى عهد إسماعيل سنة ١٨٧٢ م بتنظيم امتحانات له .

وكان مطاع الرأى. لا يبرم أمر من الأمور إذا عارضه. وكان فى وقته التنافس بين على بك الكبير قبل أن يستقل بشؤون مصر وبين خليل بك بلفيا وعصبته من أمراء المماليك . وانحاز على بك الكبير ومعه صالح بك إلى الصعيد متحالفين على يد شيخ العرب همام وكان خليل بك ومن معه قد عزلوا الوالى العثمانى وأقاموا خليل بك قائمقام مكانه حتى يعين غيره من استانبول. وأراد الأمراء بمصر تجهيز حملة عسكرية ـ أو تجريدة كما كانوا يسمونها ضد على بك. فعارضهم الشيخ الحفنى بأن استمرار هذا الوضع خراب للبلاد. ولا بد من الصلح والتفاهم الودى. فرضخوا لرأيه مكرهين .

وتوفى الشيخ الحفنى بعد هذا المجلس بأيام قليلة . والأرجح أنه مات مسموما بمعرفتهم سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) . ويرى الجبرتى أن هزيمتهم بعد ذلك أمام على بك الكبير كانت بسبب هذه الفعلة النكراء .

وكان مليح التخريج . فقد ذكر الجبرتى أنه فسر الديباجة الشائعة فى (حواديت) العجائز من النساء: أحدتك حدوتة. بالزيت ملتوتة. حلفت ما أكلها. حتى يجى صاحبها ... إلخ فسرها كما يأتى . قال:

(أحدتك حدوتة بالزيت ملتوتة) يعنى السر الإلهى والسلاف الأحمدى الأواهى الممزوج براح القرب والتقريب المدار من الحبيب .

(حلفت ما أكلها) « أتناولها فإن القصد لا يتم بلا وسيلة . والسالك قبل كل شىء يحصل دليله .

(حتى يجى صاحبها) « أى المرشد الكامل والمربى الواصل »

(وصاحبها فوق السطوح) « يتلقى معاريج الروح. لا يذهب ولا يروح. بل إليه يراح. وبه تنتعش الأرواح

(والسطوح عاوز سلم) « يتوصل به إليه . إذ لا يمكن الصعود بلا معراج » .

(والسلم عند النجار) « أى له صاحب مخصوص وهو الأستاذ الكامل المسلك الواصل .

(والنجار عاوز مسمار) « يثبت به سلم القرب والوصول .

(والمسمار عند الحداد) « صانعه المخصوص.

(والحداد عاوز بيضة) « يعنى لا يكون شىء بلا شىء. ومن عمل عملا استحق عليه الأجر.

(والبيضة فى بطن الفرخة) « مخبوءة فى صدفها ومنفردة فى صنفها فمن أرادها فلينصب للحصول عليها.

(والفرخة عاوزة قمحة) « كى تتنفس بها فتلفظ ما فى جوفها

(والقمحة فى الأجران) « مكانها الطبيعى .

(والأجران عاوزة الدراس) « الجد والاجتهاد ... » .

وهذه درجات فى التصوف لا بد أن يسلكها السالك حتى يصل .

وكان رحمه الله حسن الفكاهة. فقد ألف عنه الشيخ حسن شمة مقامة سماها : (فيض المغنى بمدح الحفنى) ذكر فيها أنه (أى الشيخ حسن ألَّف مواليا :

قالوا تحب المدمس

قلت بالزيت الحار

والعيش الأبيض تحبه

قلت والكشكار

قالوا تحب المطبق

قلت بالقنطار

قالوا إيش تقول فى الخضارى

قلت عقلى طار

وعرضها على الشيخ الحفنى فضحك وقال : إنما أحبه بالسمن لا بالزيت . وقال بداهة :

قالوا تحب المدمس

قلت بالمسلى

والبيض المشوى تحبه

قلت والمقلى

(أسماء ومسميات/ ١١٠ ـ ١١٢) .

من مؤلفاته :

ـ الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية (فى التاريخ) .

ـ حاشية على شرح الأشمونى (لألفية ابن مالك فى النحو) .

ـ أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى) (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد) .

ـ حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة العضدية (فى علم الوضع) .

ـ رسالة فى النقلية فى الفروع فى أصول الفقه .

ـ حاشية على شرح الفوائد الشنشورية للشنشورى (فى المواريث) .

ـ رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ﷺ .

ـ رسالة فى فضل التسبيح والتحميد فى الفضائل والآداب .

ـ رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى (فى البلاغة) .

ـ شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا) .

ـ مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه إقرارا بقدرتهم على الدرس والفتوى .

ومات فى ٢٧ ربيع الأول ١١٨١ هـ (شيوخ الأزهر / ١٦ ، ١٧) .

وأضاف الزركلى إلى مؤلفات الحفنى « فرائد عوائد جبرية » حاشية فى الحساب ، و « حاشية على الجامع الصغير للسيوطى.. مطبوع فى جزء ين (الأعلام ٦ / ١٣٥)..

وفيما يلى بيان مخطوط كتاب الحفنى « أنفس نفائس الدرر » وهو موجود فى مكتبة المتحف العراقى الرقم ١٧٩٠ .

الأول : « حمدا لمن جعل أجبابه أدلاء على سبيل الهداية ، وأمرهم بلوامع الأنوار وسواطع الأسرار » .

وهى حاشية على شرح الهمزية لابن حجر الهيثمى .

قالت المؤلفة : جاء فى كتاب شيوخ الأزهر / ١٧ كما ذكرنا آنفا أن هذا الكتاب حاشية على همزية البوصيرى .

نسخة جيدة ، كتبت فى حياة المؤلف ، وعنوان الكتاب كتب بخط المؤلف .

٤٨ ص ٢١,٥×١٦ سم ٢٤ س

معجم المؤلفين ١٠ / ١٥ ، هدية العارفين ١ / ١٣٥ ، فهرس الأوقاف ٣ / ١٤ (مخطوطات الأدب / ٥٢ ، ٥٣) .

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر / ١٦ ، ١٧ ، وعجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ٣٣٩ ـ ٣٤١ ، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ١١٠ ـ ١١٢ ، والأعلام للزركلى وما جاء بهامش (١) من مصادره ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٢ ، ٥٣ .

انظر أيضا الأزهر فى ألف عام ـ د. أحمد محمد عوف / ١١٣) .

انظر : الحفنى (يوسف بن سالم) .

* الحفنى (يوسف بن سالم)

شقيق الشيخ محمد بن سالم الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ هـ نعته الجبرتى بالإمام العالم العلامة والمدقق الفهامة (الجبرتى ١ / ٣٢٩) وهو يوسف بن سالم ، ولد بحفنا (قرية بجوار بلبيس) ، وتلقى بالأزهر عن مشايخ عصره وعن أخيه محمد. انظر : الحفنى (محمد بن سالم) ثم نبغ واشتهر بالأدب والشعر ، ومن أبدع مصنفاته النحوية « حاشية » على شرح الأشمونى تنافس فيها الفضلاء ، ولكن الصبان تتبعها فى حاشيته هو على الأشمونى وفند كثيرا منها ، توفى سنة ١١٧٨ هـ (نشأة النحو / ٣٠٦) .

وقد ذكرها الجبرتى من بين مؤلفاته كما ذكر حاشية على مختصر السعد ، وحاشية على شرح الخزرجية لشيخ الإسلام ، وحاشية على جمع الجوامع لم تكمل ، وحاشية على الناصر وابن القاسم ، وشرح [على] شرح الأزهرية لمؤلفها ، وشرح على شرح السعد لعقائد النسفى ، وحاشية الخيالى عليه ، توفى فى شهر صفر سنة ١١٧٨ هـ (عجائب الآثار ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠) .

ويضيف الزركلى صاحب الأعلام إلى مؤلفاته فيقول : له «مقامتان » ، ورسالة فى « علم الآداب » و « شرحها » و « ديوان شعر» و « حاشية على شرح الرسالة العضديه » و « شرح التحرير » فى الفقه ، وحاشية على « شرح آداب البحث » للمنلاحنفى ، و «حاشية على شرح إيساغوجى » (الأعلام ٨ / ٢٣٢) .

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، نشأة النحو ــ الشيخ محمد الطنطاوى / ٣٠٦ ، والأعلام للزركلى ٨ / ٢٣٢ وفيه وفاته سنة ١١٧٦ نقلا عن : برنستون ٢٨٧ ، والكتبخانة ٦ / ٦٨ .

انظر أيضا الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠ / ١٧٠) .

* الحَفِىّ :

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حفى » :

حفى : الإحفاء فى السؤال التنزع فى الإلحاح فى المطالبة أو فى البحث عن تعرف الحال وعلى الوجه الأول يقال أحفيت السؤال وأحفيت فلانا فى السؤال قال الله تعالى ﴿ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ [محمد : ٣٧] وأصل ذلك من أحفيت الدابة جعلتها حافيا أى منسجح الحافر ، والبعير جعلته منسجح الخف من المشى حتى يرق وقد حفى حفا وحفوة ومنه أحفيت الشارب أخذته أخذا متناهيا ، والحفى البر اللطيف ، قوله عز وجل : ﴿ إنه كان بى حفيا ﴾ [مريم : ٤٧] ويقال أحفيت بفلان وتحفيت به إذا عنيت بإكرامه ، والحفى العالم بالشىء .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٥) .

قالت المؤلفة : وقال تعالى : ﴿ يسألونك كأنك حفىٌّ عنها ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

* الحفيظ :

من أسماء الله الحسنى : يفسره حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فيقول :

هو الحافظ جدا ...

ولن يفهم ذلك إلا بفهم معنى الحفظ ... وهو على وجهين :

أحدهما إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها . ويضاده الإعدام . والله تعالى هو الحافظ للسموات ، والأرض ، والملائكة ، والموجودات التى يطول أمد بقائها ، والتى لا يطول أمد بقائها مثل : الحيوان ، والنبات ، وغيرهما .

والوجه الثانى : وهو أظهر معنى الحفظ ... صيانة المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض . وأعنى بهذا التعادى ما بين الماء والنار؛ فإنهما يتعاديان بطباعهما ، فإما أن يطفىء الماء النار، وإما أن تستحيل النار الماء إن غلبت فيصير بخارا ثم هواء . والتضاد والتعادى ظاهر بين الحرارة والبرودة؛ إذ تقهر إحداهما الأخرى . وكذا بين الرطوبة واليبوسة، وسائر الأجسام الأرضية المركبة من هذه الأصول المتعادية؛ إذ لابد للحيوان من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته ، ولا بد له من رطوبة تكون غذاء لبدنه كالدم وما يجرى مجراه ، ولا بد من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل ولا يحترق فرقه ولا يحلل الرطوبات الباطنة بسرعة .

وهذه متعاديات متنازعات وقد جمع الله بين هذه المتضادات المتنازعات فى إهاب الإنسان وبدن الحيوان والنبات وسائر المركبات ولولا حفظه إياها لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذى صار مستعدا لقبوله بالتركيب والمزاج وحفظ الله إياها بتعديل قواها مرة وبإمداد المغلوب منها ثانيا

أما التعديل فهو أن يكون مبلغ قوة النار مثل مبلغ قوة الحار، فإذا اجتمعا لم يغلب أحدهما الآخر، بل يتدافعان؛ إذ ليس أحدهما بأن يُغلب أولى من أن يَغلب، فيتقاومان ، ويبقى قوام المركب بتقاومهما أو تعادلهما ... وهو الذى يعبر عنه باعتدال المزاج .

والثانى : إمداد المطلوب منهما بما يعيد قوته حتى يقاوم الغالب . ومثاله : أن الحرارة تفنى الرطوبة وتجففها لا محالة ، فإذا غلبت ضعفت البرودة والرطوبة وغلبت الحرارة واليبوسة . ويكون إمداد الضعيف بالجسم البارد الرطب وهو الماء . ومعنى العطش هو الحاجة إلى البارد الرطب . فخلق الله تعالى البارد والرطب مدته البرودة والرطوبة إذا غلبتا . وخلق الأطعمة والأدوية وسائر الجواهر المتضادة ، حتى إذا غلب شىء عورض بغيره فانقهر ... وهذا هو الإمداد .

وإنما تم ذلك بخلق الأطعمة والأدوية ، وخلق الآلات المصلحة لها ، وخلق المعرفة الهادية إلى استعمالها . وكل ذلك لحفظ أبدان الحيوان والمركبات من المتضادات . وهذه هى الأسباب التى تحفظ الإنسان من الهلاك الداخل .

وهو متعرض للهلاك من أسباب خارجة : كسباع ضارية ، وأعداء منازعة ... فحفظه عن ذلك بما خلق له من الجواسيس المنذرة بقرب العدو ، وهى طلائعه : كالعين ، والأذن ، وغيرهما . ثم خلق له اليد الباطشة والأسلحة الدافعة : كالدرع، والترس، والقاضية : كالسيف ، والسكين ، ثم ربما يعجز مع ذلك عن الدفع ؛ فأمده بآلة الهرب وهى الرجل للحيوان الماشى والجناح للطائر .

وكذا شمل حفظه جلت قدرته كل ذرة فى ملكوت السموات والأرض ، حتى الحشيش الذى ينبت من الأرض يحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بالرطوبة . وما لا ينحفظ بمجرد القشر يحفظه بالشوك النابت منه ليندفع به بعض الحيوانات المتلفة له . فالشوك سلاح للنبات كالقرون والمخالب والأنياب للحيوانات ، بل كل قطرة من ماء فمعها حافظ يحفظها عن الهواء المضاد لها ؛ فإن الماء إذا جعل فى إناء وترك مدة استحال هواء، وسلب الهواء صفة المائية عنه . ولو غمست الإصبع فى الماء ورفعتها ونكستها تدلت منها قطرة تبقى منكسة لا تنفصل مع أن من شأنها الهوى إلى أسفل، ولكنها لو انفصلت وهى صغيرة استولى الهواء عليها وأحالها . ولا تزال تمكث متدلية حتى يجتمع إليها بقية البلل فتكبر القطرة فتجرى على خرق الهواء بسرعة ولا يستولى الهواء على إحالتها وليس ذلك منها حفظا لنفسها عن معرفة بضعفها وقوة ضدها وحاجة استمدادها من بقية البلل ، وإنما ذاك حفظ من ملك موكل بها بواسطة معنى من ذاتها . وقد ورد فى الخبر : أنه لا تنزل قطرة من المطر إلا ومعها ملك يحفظها إلى أن تصل إلى مستقرها من الأرض . وذلك حق المشاهدة الباطنة لأرباب البصائر، وقد دلت عليه وأرشدت إليه ؛ فآمنوا بالخبر لا عن تقليد بل عن بصيرة

والكلام أيضا فى شرح حفظ الله تعالى السموات والأرض وما بينهما ـ طويل كما فى سائر الأفعال ، وبه يعرف معنى هذا الاسم لا بمعرفة الاشتقاق فى اللغة . وتوهم معنى الحفظ على الإجمال .

تنبيه : الحفيظ من العباد : من حفظ جوارحه وقلبه ، وحفظ دينه ، عن سطوة الغضب، وجلابة الشهوة ، وخداع النفس، وغرور الشيطان ؛ فإنه على شفا جرف هار، وقد اكتنفته هذه المهلكات المفضية إلى البوار (المقصد الأسنى / ١٠٠ ، ١٠١) .

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره بقوله :

قال تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ [البقرة : ١٥٥] وقال : ﴿فالله خير حافظا ﴾ [يوسف : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] وقال : ﴿ وحفظا من كل شيطان مارد ﴾[الصافات : ٧]

واعلم أن الحفيظ أشد مبالغة من الحافظ كالعليم والعالم ، وللحفظ معنيان :

أحدهما ضد السهو والنسيان ، ويرجع معناه إلى العلم ، فهو تعالى حفيظ للأشياء بمعنى أنه يعلم جملها وتفاصيلها علما لا يتبدل بالزوال ، والسهو والنسيان .

والثانى : الحفيظ الذى هو ضد التضييع ، وهو حراسة ذات الشىء، وجميع صفاته وكمالاته عن العدم ، قال تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] أى لا تهملوها ولا تضيعوها . فهو سبحانه وتعالى حافظ السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ وحافظ الكتب التى أنزلها عن التحريف والتبديل، قال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ثم تأمل أحوالك فى دينك ودنياك ، أما الدين فانظر إلى الأكابر الذين زاغوا بأدنى شبهة ، أما إبليس فانظر كم عبد الله وكم

أطاعه ، ثم ضل بأدنى شبهـة !! وانظر إلى أكـابـر الطبيعيين ، وحذاق المهندسين والمنجمين ، كيف زاغوا بأخس شبهة !! حتى تعرف أنك إنمـا بقيت على الحق بحفظ الحق وعنايتـه ، وانظر إلى الخليل عليـه السلام مع جـلالة قدره كيـف قال : ﴿ رب هب لـى حكما وألحقنى بـالصالحين ﴾ [الشعـراء : ٨٣] وقـال : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] وقال الكليم عليه السلام . ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ [طه : ٢٥] وقال تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ ولولا أن ثبتناك ﴾ [الإسراء : ٧٤] الآية وقال : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ [المائدة : ٧٦] وقال المـؤمنون ، ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٧] .

وأمـا الـدنيا فـاعـرف كم فيهـا من جهات الآفـات ، وأسبـاب المخافـات !! ثم تأمل من الذى دفعهـا عنك ، كما قـال تعالى : ﴿ قل من يكلؤكم بالليـل والنهار من الرحمن ﴾ [الأنبيـاء : ٤٢] وأيضـا وكل على عبـاده أشخـاص من المـلائكـة ليحفظـوهم عن الآفات ، قال تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [الرعد : ١١] أى بأمـره ، وأيضـا يحفظ على الخلق أعمالهم ، ويحصى عليهم أقوالهم ، كما قال تعالى : ﴿ إنه عليم بذات الصـدور ﴾ [الأنفال : ٤٣] وكما قال ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٩٢] .

بل هاهنا بحث أعلى ذكـرناه ، وهو أنه ثبت بالبـرهان أن كل ما كان ممكن الوجود فإنه كما يحتاج إلى المرجح حال حدوثه ، فكذا يحتاج إليه حال بقائه ، ولولا المبقى لما بقى شىء من الممكنات ، فالحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظ جميع الممكنات من العود إلى العدم ، وأيضا الحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظ السموات عن الهوى والسقوط ، كما قال ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ [فاطر : ٤١]وهو الـذى خلق الأرض على وجه البحر، ثم إنه بقـدرته يحفظهـا عن الغوص بكليتها فـى البحر. مع أن طبع الأرض الغوص فى المـاء ، وهو الذى مـرج بين العناصـر المتضادة الفوارة بعضهـا عن بعـض بالطبع ، فهو سبحانه وتعـالى ركب أبدان الحيـوانات منهـا ، وأمسك كل واحـد منهـا مع ضده على خـلاف مقتضى طبعه .

وأما حظ العبد : أما فى قوتـه النظرية فهو أن يجتهد فى حفظها عن اتباع الشبهات والبـدع ، وأما فى قوته العمليـة فهو أن يحفظها عن الانقيـاد لمقتضى الشهـوة والغضب ، وقـد بينا فيمـا تقـدم أن الفضيلة فى الـوسط ، والرذيلة فى الطرفين ، والـوسط بين الشمس والظل هو الخط المستقيم ، وهو طول لا عرض له ألبتة ، فكان أحدَّ من السيف لا محالة ، وأدق من الشعرة ، وأنه هو الصراط المستقيم الذى يجب عليه السعى فى هذا اليوم ، وهو طريق ممدود على متن جهنم ، فيجب على الإنسان أن يحفظ نفسه عن الميل إلى الطرفين

ومن المعلوم أن المشى فى الـدنيا على هـذا الصراط المستقيم مختلف ، فمنهم من يمشى عليـه كـالبـرق الخـاطف ، ومنهم من يمشى عليه بأنواع التعب والشدة .

أما المشايخ : فقالوا : الحفيظ الـذى صانك فى حال المحنة عن الشكوى ، وفى حال النعمة عن البلوى .

وقيل : الحفيظ من هداك إلى التوحيـد ، وخصك فى الخدمة بأنواع الحفظ والتسديد .

وقيل الحفيظ الـذى حفظ سرك عن مـلاحظـه الأغيار ، وصـان ظاهرك عن موافقة الفجار .

قـال بعضهم : مـا من عبد حفـظ جوارحـه إلا حفظ الله عليـه قلبه ، وما مـن عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله حجـة على عباده (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٦٣ـ٢٦٦) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغـزالى ـ دراسة وتحقيق محمـد عثمان الخشت / ١٠٠ ، ١٠١ ، وشـرح أسماء الله الحسنى لفخر الـدين الرازى ـ راجعه وقـدم له وعلق عليه الأستاذ طـه عبد الرءوف سعد / ٢٦٣ ـ ٢٦٦) .

* الحق :

قال الراغب الأصفهانى :

الحق : أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة والحق يقال على أوجه :

الأول : يقال لمـوجد الشىء بسبب مـا تقتضيه الحكمـة ولهذا قيل فى الله تعـالى هـو الحق ، قال الله تعـالى : ﴿ ثم ردوا إلـى الله مولاهم الحق ﴾ [الأنعام : ٦٢] وقيل بُعَيْـد ذلك : ﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ [يونس : ٣٢] .

والثانى : يقـال للموجـد بحسب مقتضى الحكمة ولهـذا يقال فعل الله تعالى كله حـق ، وقال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمـر نورا ﴾ إلى قـوله تعـالى : ﴿ مـا خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ [يونس : ٥] وقال ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق ﴾ [يونس : ٥٣] ﴿ وتكتمون الحق ﴾ [آل عمران : ٧١] وقوله عز وجل ﴿ الحق مـن ربك ﴾ [البقـــرة : ١٤٧] و [آل عمران : ٦٠] ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] .

والثالث : فى الاعتقاد للشىء المطابق لما عليه ذلك الشىء فى نفسه كقولنـا اعتقاد فلان فى البعث والثواب والعقـاب والجنة والنار حق ، قال الله تعالى : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لمـا اختلفوا فيه من الحق ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

والرابع : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفى الـوقت الذى يجب كقـولنـا فعلك حق وقولك حق ، قـال الله تعالى ﴿ كذلك حقت كلمة ربك ﴾ [يونس : ٣٣] ﴿ حق القول منى لأملأن جهنم ﴾ [السجدة : ١٣] وقوله عز وجل : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ [المـؤمنون : ٧١] يصح أن يكون المـراد به الله تعالى ويصح أن يراد به الحكم الذى هو بحسب مقتضى الحكمة . ويقال أحققت كـذا أى أثبته حقـا أو حكمت بكونـه حقا ، وقـوله تعالى : ﴿ ليحق الحـق ﴾ [الأنفـال : ٨] فإحقـاق الحق على

ضربين : أحدهما بإظهار الأدلة والآيات كما قال تعالى : ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ [النساء : ٩١] أى حجة قوية .
والثانى بإكمال الشريعة وبثها فـى الكافة كقوله تعالى : ﴿ والله متم نوره ولو كـره الكافرون * هو الذى أرسل رسولـه بالهدى ودين الحق ليظهـره على الـدين كلـه ﴾ [الصف : ٨،٩] وقـولـه تعـالى : ﴿الحاقة* ما الحاقة ﴾ [الحـاقة : ١، ٢] إشارة إلى القيامـة كما فسره بقوله ﴿يوم يقوم الناس ﴾ [المطففين : ٦] لأنـه يحق فيـه الجزاء، ويقال حاقته فحققتـه أى خاصمته فى الحق فغلبته وقال عمر رضى الله عنـه : « إذا النساء بلغن نص الحقاق فـالعصبة أولى في ذلك » وفـلان نـزق الحقـاق إذا خـاصم فى صغـار الأمـور، ويستعمل استعمـال الواجب والـلازم والجائز، نحـو ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الـروم : ٤٧] ﴿ كذلك حقـا علينا ننجى المؤمنين ﴾ [يونس : ١٠٣] وقوله تعالى ﴿ حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحـق ﴾ [الأعراف : ١٠٥] قيل معنـاه جديـر، وقرئ حقيق عليَّ قيل واجب، وقولـه تعالى ﴿ وبعولتهن أحـق بردهن ﴾ [البقرة : ٢٢٨] والحقيقـة تستعمل تارة فـى الشىء الذى لـه ثبات ووجود كقوله ﷺ لحارثة : «لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » أى ما الذى ينبئ عن كون ما تـدعيه حقا ، وفلان يحمى حقيقته أى ما يحق عليه أن يحمى . وتارة تستعمل فى الاعتقـاد كما تقدم وتارة فى العمل وفى القول فيقال فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرائيا فيه ، ولقوله حقيقة إذا لم يكن فيه متـرخصا ومستزيدا ويستعمل فى ضده المتجـوز والمتوسع والمتفسح، وقيل الـدنيا بـاطل والآخرة حقيقـة تنبيهـا على زوال هـذه وبقـاء تلـك . وأمـا فـى تعـارف الفقهـاء والمتكلمين فهى اللفظ المستعمل فيما وضع لـه فى أصل اللغة ، والحق من الإبل مـا استحـق أن يحمل عليـه والأنثى حقـة والجمع حقاق وأتت الناقة على حقها أى على الـوقت الذى ضربت فيه من العام الماضى (المفردات / ١٢٥، ١٢٦) .

وعن الحق وأوجـه وروده فى القـرآن الكـريم يقـول الإمـام ابن الجوزى :

الحق : الصواب والصحيح وضده الباطل .

والحقيقة : ما يصيـر إليه حق الأمر، وحق الشىء : إذا وجب، وحاق فـلان فلانـا إذا خاصمـه ، وادعى كل واحد منهـا الحق فإذا غلبه قيل حقه وأحقه ، ويقال : احتقوا فى الدين إذا ادعى كل واحد الحق ، والحاقة : القيامـة ، لأنها تحق بكل والحقة من أولاد الإبل التى استحق أن يحمل عليهـا ، والجمع حقـاق والحقـة معروفـة ، والجمع حقق ، والحقحقة أرفع السير وأتعبه للظهر .

قال مطرف :

إن خيــــــر الأمـــــور أوسطهـــــا
وإن شــــــر السيـــــر الحقحقــــة

والحق فى القرآن على ثمانية عشر وجها :

أحدها : الله عز وجل، ومنه قوله تعالى فى المؤمنين ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

الثـانى : القرآن ، ومنـه قولـه تعالى فى الأنعـام ﴿ فقد كذبوا بالحق﴾ [الأنعـام : ٥] ، وفى القصص ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ [القصص : ٤٨] وفى الـزخـرف ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ [الزخرف : ٢٩] .

والثالث : التـوحيد، ومنـه فى المؤمنين ﴿ بل جاءهـم بالحق وأكثرهم للحق كارهـون ﴾ [المـــؤمنــون : ٧٠] وفى القصص ﴿فعلموا أن الحق لله ﴾ [القصص : ٧٥] ، وفى العنكبوت ﴿ أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ [العنكبوت : ٦٨] وفى الصافات ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ [الصافات : ٣٧] .

والرابع : الإسلام ومنه فى الأنفال ﴿ ليحق الحق ﴾ [الأنفال : ٨]، وفى بنى إسرائيل ﴿ وقل جاء الحق ﴾ [الإسراء : ٨١] وفى النمل ﴿ إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩] .

والخامس : العدل ، ومنه فى الأعراف ﴿ افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ [الأعراف : ٨٦] وفـى النور ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ [النور : ٢٥] ، وفى الأنبياء ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾ [الأنبياء : ١١٢] وفى صٓ ﴿ فاحكم بيننا بالحق ﴾ [صٓ : ٢٢]

والسـادس : الصـدق ، ومنـه فى الأنعـام ﴿ قـولـه الحق ﴾ [الأنعام: ٧٣] وفى يونس ﴿ قل إى وربى إنه الحق ﴾ [يونس : ٥٣] .

والسابع : المال، ومنه فى البقرة ﴿ وليملل الذى عليه الحق ﴾ [البقـرة : ٢٨٢] وفيهـا ﴿ فإن كـان الـذى عليـه الحق سفيهـا ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

والثامـن : الوجوب ، ومنـه فى تنزيـل السجدة ﴿ حق القول منى﴾ [السجـدة : ١٣] وفى المــؤمن ﴿ حقت كلمــة ربك ﴾ [غـــافـــر : ٦] ، وفى الأحقـــاف ﴿ حـق عليهم القـــــول ﴾ [الأحقاف: ١٨] .

والتاسع : الحاجة ، ومنه فى هود ﴿ ما لنا فى بناتك من حق ﴾ [هود : ٧٩] .

والعـاشـر : الحظ ، ومنـه فى سأل سـائل ﴿ فى أمـوالهم حق معلوم﴾ [المعارج : ٢٤] .

والحادى عشر : البيان ، ومنه فى البقرة ﴿ الآن جئت بالحق ﴾ [البقرة : ٧١] ، وفـى هود ﴿ وجاءك فى هـذه الحق ﴾ [هود : ١٢٠] .

والثانى عشر : أمر الكعبة، ومنه فى البقرة ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

والثالث عشر : إيضاح الحلال والحرام ، ومنه فى البقرة ﴿ بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

والرابع عشر : لا إله إلا الله ، ومنه فى الرعد ﴿ له دعوة الحق ﴾ [الرعد : ١٤] .

والخامس عشر : انقضاء الأجل، ومنه فى قَ ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ [ق: ١٩] .

والسادس عشر : المنجز، ومنه فى براءة ﴿ وعدا عليه حقا ﴾ [التوبة : ١١١] وفى الكهف ﴿ وكان وعد ربى حقا ﴾ [الكهف : ٩٩] .

والسابع عشر : الجرم ، ومنه فى البقرة ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] وفى آل عمران ﴿ بغير حق ﴾ [آل عمران : ٢١ ، ١١٢] .

والثامن عشر : الحق المضاد للباطل، ومنه فى يونس ﴿ مولاهم الحق ﴾[يونس : ٣٠] .

وفى الحج ﴿ ذلك بأن الله هـو الحق ﴾ [الحـج : ٦٣] وفـى الروم ﴿ وما بينهما إلا بالحق ﴾ [الروم : ٨](منتخب قـرة العيون / ١٠٠ ـ ١٠٤) .

ويجمل هذه الأوجه فضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمـه الله فى بحث من بحوثـه النفيسة فيقـول تحت عنوان «الناس أمام الحق فريقان :

﴿ يأيهـا الناس قـد جاءكـم الحق من ربكم فمن اهتدىٰ فإنمـا يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ [يونس : ١٠٨] .

إن الإسلام ــ وهو دين الله العام الـذى بعث به كل رسلـه وأنزل لبيانه كل كتبه ـ تدور شرائعه وأحكامه مهما تعددت وتنوعت ، حول كلمة واحدة هى « الحق » .

والحق هـو مـا تشهـد به الفطـر التى لم تفسـد، وتطمئن إليـه النفوس التى لم تدنس ، وتطيب به الحياة التى لـم ينحرف أهلها عن الصراط المستقيم .

والحق يتنوع إلى : حق فى العقيدة : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمـد * لم يلـد ولم يـولد * ولم يكـن له كفـوا أحـد ﴾ [سورة الإخلاص] وحق فى العبادة : ﴿ ذٰلكم الله ربكم لا إله إلا هو خٰلق كل شىء فاعبـدوه وهو على كل شىء وكيل ﴾ [الأنعام : ١٠٢] وحق فى المعـاملة : ﴿ كونـوا قوٰمين بـالقسط شهداء لله ولـو على أنفسكم ﴾ [النساء : ١٣٥] وحق فى السلوك : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حـولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ﴿ ولا تستـوى الحسنة ولا السيئـة ادفع بـالتى هى أحسن فإذا الـذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم ﴾ [فصلت : ٣٤] وللحق فى الأنفس والآفـاق والمجتمعـات ، شـواهد وآثـار ، تميـزه وتجليـه وتهـدى إليـه ، وليس كل النـاس سـواء فى نقـاء الفطـرة ، وصفـاء النفس ، وسلامة التصـور فيعرفونه من دلائلـه وآثاره ، ويؤمنون بـه ، وينزلون على حكمه ، فى العقيدة والعبادة ، والمعاملة والسلوك .

ومن هنا كانوا أمام الحق فـريقين ، فريق تسلم فيه قوة الخير ، فيعرف الحق ويعمل به فى خاصة نفسه ، فيكمل بالعلم والعمل ، ثم يندفع بحكم الـرحم الإنسانى وابتغاء مرضـاة الله ، ومحبة الخير لعبـاده ، إلى تكميل النـاس بمـا كمل بـه نفسـه ، فيـدعـوهم إلى الحق، ويعمل جهده فـى إنقاذهم من الباطل الـذى تحجب عنهم غشاوته نو ر الحق، وتقطع دونهم مدده .

وفريق آخر تنمـو فى نفسه قوة الشر بتأثير بيئة فـاسدة، أو وراثة ضالة أو شهوة طائشة ، وبـذلك يتخيل أن إيمانه بما قر فى الضمير الإنسانى أنه حق، يزلزل مكانتـه فى قومه، أو يقطعه عن سلفه ؛ أو يسد عليه منافذ شهوته، فينفـر منه ويعرض عنه ، ويقع عنده موقع السخط والإنكار وينطلق فى الحياة كالـوحش فى الفلاة يفترس من الأحيـاء مـا أمكنه أن يفتـرس، وينتهك من الأعـراض مـا أمكنـه أن ينتهك ، ويستلب من الأموال ما أمكنـه أن يستلب، وليس لديه من الموازين ما يتحاكم إليه فى معرفة ما ينبغى أن يفعل فيفعله ، وما لا ينبغى أن يفعل فلا يفعله ، ولا يقف فى ذلك عند نفسه ، بل يشتط ويعمل جاهـدا فى صرف النـاس عن الحق وتأليبهم عليـه ، يلبسه بالباطل ويلقى عليه الشبه والشكـوك ليطمس معالمه، ويطفئ نوره إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

فريقان : فريق يهتدى ويهدى ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٨١] .

وفريق يَضل ويُضل ﴿ ومن الناس من يجـادل فى الله بغير علم ولا هـدى ولا كتٰب منيـر * ثـانى عطفـه ليضل عن سبيل الله لـه فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ [الحج : ٨، ٩] .

وقد كـان رسل الله وأتباعهم مـن بعدهم ، يمثلون فـى العصور المختلفة ، الفـريق الأول ، يعرفـون الحق ، ويشرق عليهـم نوره ، فيؤمنون به ، ويخلصون فى الدعوة إليه .

وكان غيرهم من رءوس الكفر والنفاق، ودعاة الإباحية ـ أرباب الجاه الزائف أو السلطـان الغاشم أو التصور الفاسـد ، الذين ابتلى الله بهم عبـاده المخلصين فى كل عصـر وفى كل مكـان ـــ يمثلـون الفـريق الثـانى ، يكفـرون بالحق ويصـدون عن سبيلـه ، ويفتنـون الناس فيه .

وقد صـور الله إعراضهم عن الحق ودعوتـه بما حكى عنهم فى أنفسهم ﴿ قلوبنـا فى أكنة مما تدعـونا إليه وفى آذاننا وقـر ومن بيننا

وبينك حجاب ﴾ [فصلت : ٥] وكـذلك صـور طـريقتهم فى محاولـة صرف الناس عن الحق بمـا حكى عنهم أيضا بـالنسبة إلى الدعوة ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦]. وبالنسبة إلى الداعى : ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ [المنافقون : ٧] .

وهذان طريقـان يسلكهما أهل الضلال فى كل عصـر لمحاربة الحق ودعوتـه ، ينكرونه ويظهـرون التبرم به ، ويحـذرون الإنصات إليه ، ويضربون الحصار على أهله .

وبذلك وقع الصراع فى حيـاة الناس ، وفيما يرى من مظـاهرها بين « الحق والباطل » .

والله هو الحق . والحق دعوته والشيطـان هو البـاطل ، والباطل دعوته ، وقـد ضرب الله المثل للحق والباطل ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾ [الرعد : ١٧] .

وقد رسم لعبـاده المخلصين ما يقيهم ويقى دعوتهم شـر التأثر بأراجيف المبطلين وكيدهم فكفل لهم بوعده الحق، النصر والتأييد مـا استقامـوا على طـريقته وتمسكـوا بحقـه ، وجـاهدوا فى سبيلـه ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩].

وأكد لهم أن كل ما يبذله المعـارضون أعداء الحق فى مكافحته وإضعـاف سلطـانـه والتضييق علـى أهلـه سينقلب عليهم شـره ، وسترتد أسلحتهم إلى نحورهم حادة قتالة ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونهـا ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

وكذلك يؤكدلهم بإيمـانهم وإخلاصهم فى الدعوة إلى الحق ، وصبرهم على مشاقهـا فى حضانته ومعيته ﴿ إن الله مع الذيـن اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] معيـة حفظ ورعـايـة ، ونصر وتأييد، يربط بها على قلوبهم فلا يصل إليها شىء من بواعث الخوف والحزن ﴿ إن الذين قـالوا ربنا الله ثم استقامـوا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ [فصلت : ٣٠] .

ثم يرشدهم إلى سمو مكانتهم عنده ، وأنهم بالدعوة إلى الحق أو التضحية فى سبيله بمنزلة لا يوجد فى حكمه وقضائه أحسن منها ولا أسمى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

هذا ولـدعوة الحق صور وجوانـب ، فالدعوة إلى الإيمـان بالله وتوحيده فى العبادة والاستعانة ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى مكافحة الظلم والطغيان ، وإقرار العدل بين الناس دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى تطهير النفوس والمجتمعات من الأخلاق الفاسدة والتقاليد الضارة دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى تحرير البـلاد وتخليصها من مخالب المستعمرين لتكون خالصة لأهلها ، ينظمون بأحكام الله شئونها ، ويستثمرون بما رسم خيرها ، دعوة إلى الحق .

والـدعـوة إلى الخيـر والأمر بـالمعـروف والنهى عن المنكـر ، والتحذيـر من موالاة الأعـداء ، واتخاذهـم بطـانة من دون المـؤمنين دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى نبذ الأمور الشخصيـة والتحلل من المعانى الذاتية فى سبيل الصالح العام والتضامن العام ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى نشر دين الله ، وبث تعاليمه خالصة نقية من عمل الدساسين ، وبـدع الضالين ، الذين يكتبون بأيديهم ويقـولون هذا من عند الله ، دعوة إلى الحق .

والـدعـوة إلى الحق فى جميع صـورهـا ، دعـوة إلى الله (من توجيهات الإسلام / ٢٥ ـ ٢٩) .

(المفـردات فى غريب القـرآن للـراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمـد سيـد كيـلانى / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ومنتخب قرة العيـون النـواظـر فى الوجـوه والنظائر فى القـرآن الكريم لـلإمام ابـن الجوزى ـ تحقيـق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٠٠ ـ ١٠٤ ، ومن توجيهات الإسلام ـ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق / ٢٥ ـ ٢٩) .

*** الحق :**

« الحق » من أسمـاء الله الحسنى ويشرح الإمـام الغزالى معنـاه فيقول :

هو الذى فى مقابلة الباطل ...

والأشياء قـد تستبان بأضدادها . وكل مـا يخبر عنه فإمـا باطل مطلقا وإما حق مطلقا ، وإما حق من وجه ـ باطل من وجه .

فالممتنع بـذاته هـو الباطل مطلقا ، والـواجب بذاتـه هو الحق مطلقا ، والممكن بذاتـه الواجب بغيره هو حق من وجـه ـ باطل من وجه فهو من حيث ذاتـه لا وجود له فهو باطل ، وهـو من جهة غيره مستفيد للوجود فهو من الوجـه الذى يلى مفيد الوجود فهو من ذلك الوجه حق ، ومن جهة نفسـه باطل . ولذلك : ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] وهو كذلك أزلا وأبدا ليس فى حال دون حـال لأن كل شىء سـواه أزلا وأبـدا من حيث ذاتـه لا يستحق الوجود . ومن جهته يستحق ؛ فهو باطل بذاته حق بغيره .

وعند هذا تعرف الحق المطلق هو الموجود الحقيقى بذاته الذى منه يأخذ كل حق حقيقته .

وقد يقال أيضـا للمعقول الذى صادف بـه العقل الموجود حتى طـابقه أنـه حق، فهـو من حيث ذاته يسمـى موجـودا، ومن حيث إضافته إلى العقل الذى أدركه على ما هو عليه يسمى حقا .

فإذن أحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى؛ فإنه حق فى نفسه، أى مطابق للمعلوم أزلا وأبدا، ومطابقة لذاته لا لغيره لا كالعلم بوجود غيره، فإنه لا يكون إلا ما دام ذلك الغير موجودا، فإذا عدم عاد ذلك الاعتقاد باطلا، وذلك الاعتقاد أيضا لا يكون حقا لذات المعتقد؛ لأنه ليس موجودا لذاته، بل هو موجود لغيره

وقد يطلق ذاك على الأقوال، فيقال: قول حق، وقول باطل. وعلى ذلك فأحق الأقوال قول لا إله إلا الله؛ لأنه صادق أبدا وأزلا لذاته لا لغيره.

فإذن يطلق الحق على الوجود فى الأعيان، وعلى الوجود فى الأذهان وهو المعرفة، وعلى الوجود الذى فى اللسان وهو النطق.

فأحق الأشياء بأن يكون حقا هو الذى يكون وجوده ثابتا لذاته أزلا وأبدا، ومعرفته حقا أزلا وأبدا، والشهادة له حقا أزلا وأبدا، وكل ذلك لذات الموجود الحقيقى لا لغيره.

تنبيه: حظ العبد من هذا الاسم أن يرى نفسه باطلا، ولا يرى غير الله حقا، والعبد إن كان حقا فليس حقا بنفسه، بل هو حق بالله فإنه موجود به لا بذاته، بل هو بذاته باطل لولا إيجاد الحق له. فقد أخطأ من قال: أنا الحق. إلا بأحد تأويلين: أحدهما: أن يعنى أنه بالحق. وهذا التأويل بعيد؛ لأن اللفظ لا ينبىء عنه، ولأن ذلك لا يخصه، بل كل شىء سوى الحق فهو بالحق. التأويل الثانى: أن يكون مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره. وما أخذ كلية الشىء واستغرقه فقد يقال إنه هو هو كما يقول الشاعر:

* أنا من أهوى ومن أهوى أنا *

ويعنى به الاستغراق.

وأهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤية فناء أنفسهم من حيث ذاتهم كان الجارى على لسانهم من أسماء الله تعالى فى أكثر الأحوال هو الحق؛ لأنهم يلحظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك فى نفسه.

وأهل الكلام لما كانوا أبعد فى مقام الاستدلال بالأفعال كان الجارى على لسانهم فى الأكثر اسم البارى الذى هو بمعنى الخالق.

وأكثر الخلق يرون كل شىء سواه فيستشهدون عليه بما يرونه، وهم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ﴾.

والصديقون لا يرون شيئا سواه فيستشهدون به عليه، وهم المخاطبون بقوله: ﴿ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ (المقصد الأسنى/ ١١٢، ١١٣).

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره على النحو التالى:

قال تعالى ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل ﴾ [لقمان: ٣٠] وهو أيضا محق الحق، قال. ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾ [يونس: ٨٢] وأيضا وعده حق، قال تعالى: ﴿ إن وعد الله حق ﴾ [لقمان: ٣٣].

واعلم أن الحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، وإذا كان الشىء واجب الوجود لذاته كان اعتقاد وجوده، والإقرار بوجوده يكون مستحق التقدير والإثبات، فلا جرم يسمى هذا الاعتقاد، وهذا الإقرار حقا، أما إذا كان واجب العدم كان اعتقاد وجوده، والإقرار بوجوده مستحق العدم، فلا جرم يسمى هذا الاعتقاد وهذا الإقرار باطلا.

إذا عرفت هذا فنقول: الشىء إما أن يكون واجبا لذاته، أو ممتنعا لذاته، أو ممكنا لذاته، أما الواجب لذاته فإنه حق محض لذاته، وأما الممتنع لذاته فهو باطل محض لذاته، والممكن لذاته مثل هذا لا يترجح وجوده على عدمه إلا بإيجاد موجد، فلو لم يوجد ذلك الموجد لبقى على العدم، فإذا كل ممكن فهو من حيث هو باطل وهالك، فلهذا قال تعالى ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص: ٨٨] ولهذا المعنى يقول العارفون: لا موجود فى الحقيقة إلا الله. وأيضا فكل ممكن فهو إنما يكون موجودا بتكوين واجب الوجود، فواجب الوجود هو الذى يجعل كل ما سواه حقا، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾ [يونس: ٨٢] فهو سبحانه حق لذاته، ويحق الحق بكلماته، فما أحسن مطابقة هذه الدلائل البرهانية على هذه الرموز القرآنية.

ولما ثبت أنه سبحانه حق لذاته، كان اعتقاد وجوده. واعتقاد كونه موصوفا بصفات التعالى والعظمة حق الاعتقادات، لأن المعتقد لما كان ممتنع التغير امتنع تغير ذلك الاعتقاد من كونه حقا إلى كونه باطلا، وكذا الإقرار به والإخبار عن وجوده، فهو سبحانه أحق الحقائق بأن يكون حقا، ومعرفته أحق المعارف بالحقيقة، والإقرار به أحق الأقوال بالحقية، ثم هاهنا سؤالات.

الأول: ما معنى قول الحسين بن منصور الحلاج: أنا الحق؟

والجواب: أما القول بالاتحاد فظاهر البطلان، لأنه إذا اتحد شيئان فإن بقيا فهما اثنان، وإن فنيا كان الثالث شيئا آخر، وإن بقى أحدهما وفنى الآخر امتنع الاتحاد، لأن الموجود لا يكون نفس المعدوم، فبقى أن يطلب لكلام هذا الرجل تأويل. وتأويله من وجوه.

الأول أنا بينا بالبرهان النير أن الموجود هو الحق سبحانه، وأن كل ما سواه فهو باطل، فهذا رجل ما سوى الحق عن نظره، وفنيت نفسه أيضا عن نظره، ولم يبق فى نظره موجود غير الله، فقال فى ذلك الوقت أنا الحق، كأن الحق سبحانه أجرى هذه الكلمة على لسانه، حال فنائه بالكلية عن نفسه، واستغراقه فى أنوار جلال الله تعالى، ولهذا المعنى لما قيل له. قل أنا بالحق أبى، فإنه لو قال أنا بالحق لصار قوله أنا إشارة إلى نفسه، والرجل كان فى مقام محو ما سوى الله.

التأويل الثانى: أنه ثبت أنه سبحانه هو الحق، ومعرفته هى

المعرفة الحقية ، وكما أن الإكسير إذا وقع على النحاس قلبه ذهبا ، فكذا إكسير معـرفة الله إذا وقع على روحه انقلب روحه مـن الباطلية إلى الحقية ، فصار ذهبا إبريزا ، فلهذا قال : أنا الحق .

التأويل الثـالث : أن من غلب عليه شيء يقـال إنـه هـو ذلك الشيء على سبيل المجاز ، كمـا يقال فلان جود وكـرم ، فلما كان الرجل مستغرقا بالحق لا جرم قال : أنا الحق .

والفرق بين هذا الجواب وبين الأول أن فى الأول صار العبد فانيا بالكليـة عن نفسه ، غرقا فى شهـود الحق ، فقوله . أنـا الحق كلام أجراه الحق على لسانه فى غلو سكره ، فيكون القائل فى الحقيقة : هو الله ، وأما فى الجواب الثانى فـالعبد هو الذى قال ذلك ، ومراده منـه المبـالغة ، وبين المقـامين فـرق عظيم ، إن كنت من أربـاب الذوق .

التأويل الرابع : لا يبعد أنه لما تجلى فى روحه نور جلال الله ، وزالت حجب البشـريـة ، لا جـرم بلغـت روحـه إلى أقصى منـازل السعادات ، فقد صـار حقا يجعل الله إياه حقا ، كمـا قال تعالى : ﴿ويحق الله الحق بكلمـاته﴾ [يـونس : ٨٢] فيصدق قـوله أنـا الحق لأن الحق أعم من الحق بذاته ، ومن الحق بغيره .

فإن قيل : فبهــذا الــوجــه كـل مــوجــود حق ، فمـا معنى التخصيص؟

قلنا : لأنـه لما تجلى فى روحـه نور عالم الإلهيـة صار كـاملا حاصلا فى هذه الدرجة ، فلاختصاصه بمزيد الكمال ذكر ذلك .

التأويل الخـامس : أنـه يحمل ذلك على حـذف المضـاف ، والمعنى أنا عابد الحق ، وذاكر الحق ، وشاكر الحق .

السـؤال الثـانى : مـا السبب فـى أن الجارى على لسـان أهل التصوف من أسماء الله سبحانه فى الأغلب هو الحق ؟

والجواب : قال الغزالى : لأن مقام الصـوفية مقام المكاشفة ، ومن كان فى مقام المكاشفة رأى الله حقا ، ورأى غيره باطلا .

أما المتكلمـون : فهم فى مقام الاستدلال بغيـر الله على وجود الله ، فلا جرم كان الغالب على ألسنتهم اسم البارى تعالى .

وأما الفقهـاء : فهم فى البحث عن كيفية التكليف ، فـلا جرم كان الغـالـب على ألسنتهم اسم الشرع (شـرح أسمـاء الله الحسنى / ٢٨٩ـ٢٩٢) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامـد الغزالى ـ دراسة وتحقيق محمـد عثمان الخشت / ١١٢ ، ١١٣ ، وشـرح أسماء الله الحسنى لفخر الـدين الرازى ـ راجعه وقـدم له وعلق عليه الأستاذ طـه عبد الرءوف سعد / ٢٨٩ـ٢٩٢) .

*** الحق المبين فى دفع شبهات المبطلين :**

من مخطوطـات الفقه الحنفى بـدار الكتب الظاهريـة (بمكتبة الأسد الآن)

الرقم ٥٣٨٩

ويسمى أيضـا : السيف المسلـول فى الـرد على صـاحب المنخول (هو الإمام الغزالى) .

ويسمى أيضـا : الـدرة المنيفـة فى انتصـار الإمـام الأعظم أبى حنيفة .

تأليف : أبى الوجـد محمد بن عبد الستار بن محمـد العمادى الكردرى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤ م .

وهو فى ستة فصول :

الفصل الأول : فى ذكر طعنه وبيان بطلانه .

الفصل الثانى : فيما يفضى إليه طعنه .

الفصل الثالث : فى بيان دعواه وما يبطلها .

الفصل الرابع : فى بطلان مسالكه الثلاثة .

الفصل الخامس : فى بيان ما يلزم المجتهد وغيره .

الفصل السادس : فى بعض مناقب الإمام أبى حنيفة رحمه الله

أوله : الحمد لله ناصر الحق بـالبراهين ، ومخذل الباطل وأهله الطاعنين .

وآخـره : يـا أبا حنيفـة أخلصت المعـرفـة وخـدمت فأحسنت الخدمة ، فقد غفرنا لك ولمن تبعك ، ولمن كان على مذهبك إلى يوم القيامة . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكافة المسلمين .

نسخة جيدة .

الخط نسخ جيد مشكول . بعض الكلمات مكتـوبة بالحمرة . كتبه محمد بن إبراهيم الخضرى سنة ١٠٤٦ هـ .

المراجع : معجم المؤلفين ١٠ / ١٦٧ .

نسخة ثانية :

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

الرقم ٦٩٧٧

الخط نسخ جيد . كتبه محمد أبو الخير بن أحمد بن عبد الغنى ابن عمر بن عابدين سنة ١٣١١ هـ .

٢٦ ق　　٢٥ س　　٢٢ × ١٧ سم

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهـريـة . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

*** حق اليقين فى معرفة رب العالمين :**

حق اليقين فى معرفة رب العـالمين ـ للشيخ محمود الشبسترى صـاحب الكلشن « المتوفى سنـة ٧٢٠ » وهـو رسـالـة فارسيـة على ثمانية أبواب مشتملة على فوائد وحقائق من علم التصوف .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣) .

*** حقائق الأرصاد فى دقائق الإرشاد :**

حقـائق الأرصـاد فى دقـائق الإرشـاد : فى استخـراج أوسـاط الكواكب وتقـاويمها على طول تـرمذ وهو من (جزائر) الخـالدات صط ح وعرضه لـر [لز] ح (حبط ق وعرضه لـرق) على ما رصده

مصنفه الشيخ تاج الدين أبو الفتح أحمد الآلى (اللارى) ابن البدر محمد بن حجاج العمادى الكمالى وفرغ منه فى حدود سنة ٨٠٠ ثمانمائة .

(كشف الظنون ١ / ٦٧١) .

* **حقائق الاستشهاد :**

من مصنفات العلوم فى التراث الإسلامى . جاء بيان مخطوطه كما يلى :

تأليف مؤيد الدين أبى إسماعيل الحسين بن على بن محمد الأصفهانى الطغرائى (٤٥٥ ـ ٥١٣ هـ) .

(بروكلمان ١ / ٢٤٧ وملحق ١ / ٤٣٩) .

أوله بعد الديباجة : أسعدك الله بطاعته وجعلك من الفائزين برحمته ... وكنت قد حدثتنى منذ زمان وشكوت إلى الشكوك التى أعرضت (؟) صدرك فى حقيقة معانى الفن المسمى عند أهل الحكمة على الإطلاق وعند العامة « الصنعة » ... وإن المتعرض له ممقوت عند الخاصة والعامة ، محكوم عليه بسوء الاختيار ... إلخ .

وآخره : تم كتاب حقائق الاستشهاد بقول الحكيم الجواد .

ـ نسخة بقلم معتاد بدون تاريخ فى ١٦ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا .

٢٠ × ٣٠ سم

[دار الكتب المصرية ـ ١٧٠ طبيعة] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ٣٧)

* **حقائق الاستشهادات فى الكيميا :**

حقائق الاستشهادات فى الكيميا : لمؤيد الدين حسين بن على الطغرائى المتوفى سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة بين فيه إثبات الصناعة ورد على ابن سينا فى إبطالها بمقدمات من كتاب الشفاء .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

* **حقائق أسرار الطب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

المؤلف : الشيخ مسعود بن محمد السجزى الطبيب (ت بعد ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) .

(ذكره أغابزرك فى الذريعة بالسنجرى وورد عنوان الكتاب فى كشف الظنون بحقائق الأسرار فى الطب دون ذكر اسم المؤلف . (الذريعة ٧ / ٢٩ ، كشف ١ / ٦٧٢) أما بروكلمان فقد أورد اسم المؤلف كما جاء أعلاه ذيل بروكلمان٢ / ٢٩٩) .

يوجد مخطوطه بمكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :
الرقم ٢٠٣٧٧٠

الأول « الحمد لله على أياديه المتواترة ، وصنايعه المتقاطرة ، والصلاة على كاشف الغمة ، وشفيع الأمة محمد وآله الأتقياء وأصحابه الأصفياء ... » .

وضعه المؤلف لصدر الدولة قاسم بن عراق بن جعفر ورتبه على ثلاثة فنون وجعل كل فن على أقسام وفصول .

الفن الأول : فى ماهيات الأشياء التى تتعلق بكليات الطب وهو فى ثلاثة أقسام . القسم الأول فى ١٣ فصلا . القسم الثانى فى ٩ فصول . القسم الثالث فى ٩ فصول .

الفن الثانى : فى كيفيات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول الطب وهو فى قسمين . القسم الأول فى ٤ فصول . والقسم الثانى فى ٣ فصول .

الفن الثالث : فى كميات أشياء كلية وجعله فى تسعة أقسام وكل قسم على فصول . فرغ منه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م .

نسخة نفيسة كتبت بقلم النسخ مؤطرة الصفحات بمداد أحمر كتبها حسين بن عبد القادر بن قطب الدين الطبيب فى ذى القعدة سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م عليها حواش وشروح .

القياس ٧٣ ص   ٢١,٥ × ١٢,٥ سم   ٢١ س

(بانكيبور ٤ / ١٠٣ ، الذريعة ٧ / ٢٩ ، ذيل بروكلمان ٢ / ٢٩٩) (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ٩٢ / ٩٣) .

ثم جاء وصف المخطوط فى مجموع خطى نادر للأستاذ أسامة ناصر النقشبندى مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية وجاء وصفه كما يلى :

وهو مختصر فى ماهيات الأشياء المتعلقة بكليات الطب ، وأنواع العلل، والأدوية المركبة والمفردة المناسبة لها ، وكيفية اتخاذها . وضعه المؤلف لصدر الدولة قاسم بن عراق بن جعفر حيث قال فى مقدمة الكتاب : « ... أقول لما اتصلت بخدمة مولانا صدر الدولة والدين أبى المفاخر قاسم بن عراق بن جعفر، وألفيت بابه المحروس، وجنابه المأنوس، قبلة الفضلاء ، وكعبة العلماء، ومنبع الفواضل ، ومطلع الفضائل، يجتمع فيه مشاهير الأقطار، ونحارير الأمصار... وددت أن أكون منخرطا فى سلك جملتهم ، منظما فى عقد زمرتهم ، فجمعت هذا الكتاب ... » .

رتبه المؤلف على ثلاثة فنون ، وجعل كل فن على أقسام وفصول وهى كما يلى :

الفن الأول : فى ماهيات الأشياء التى تتعلق بكليات الطب، وجعله فى ثلاثة أقسام : فى تعريف الألفاظ الكلية التى يحتاج إليها أرباب صناعة الطب ، وفى تعريف العلل والأمراض المشهورة، وفى تعريف الأدوية المركبة وأفعالها وما يتعلق بها .

الفن الثانى : فى كيفيات الأعمال ، والصناعات المتعلقة

بأصول الطب، وجعله فى قسمين . فى كيفية اتخاذ الأدوية والتقاطها وحفظها وما يتعلق بهذه الأمور، وكيفية استعمال الأدوية من الدق والطبخ والسحق والإحراق، وغير ذلك .

الفن الثالث : فى كميات أشياء كلية ، وتقسيماتها الثنائية والثلاثية والرباعية إلى تقسيماتها العشارية .

فرغ منها المؤلف سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م كتبت بخط النسخ الجيد بالمدادين الأسود والأحمر سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٣٤ م فى آخرها نبذة فى أسماء الأدوية . تقع فى خمس وسبعين صفحة (مجموع خطى نادر / ٧٦) .

كما يوجد مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس وجاء بيانه كما يلى :

أوله : كسابقه .

آخره : الصلبة ثمانية (كذا) وأربعون عضلة ، البطن ثمان عضلات ، القضيب أربع عضلات ، المقعد والمثانة خمس عضلات ، الفخذان اثنان (كذا) وعشرون عضلة ، الركبة ثمانية (كذا) عضلات القدم سبع عضلات ، الأصابع اثنان (كذا) وعشرون عضلة ، والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله أولا وآخرا .

سنة النسخ : ٩٢٥ هـ .

الناسخ : أحمد بن عرفات الخطيب .

عدد الأوراق : ٦٤ ورقة (١٤ ـ ٧٧) .

المسطرة : ١٩ سطرا .

المكتبة : دار الكتب الوطنية ــ تونس ــ ١٨٣٢٩ (مجموع) [٤٦٣] .

ملاحظات : قسم المؤلف الكتاب على ثلاثة فنون . الفن الأول فى ماهيات الأشياء التى تتعلق بكليات الطب ورسومها التقريبية . وقسم هذا الفن إلى ثلاثة أقسام :

الأول : فى تعريف الألفاظ الكلية التى يحتاج إليها أرباب صناعة الطب .

الثانى : فى تعريف أسماء العلل المشهورة والأمراض المعروفة .

الثالث : فى تعريف أسماء الأدوية المركبة والمفردة وأفعالها .

الفن الثانى فى كيفيات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول الطب .

وقسم هذا الفن إلى قسمين :

الأول : فى كيفية اتخاذ الأدوية والتقاطها وحفظها وما يتعلق بهذه الأمور .

الثانى : فى كيفية استعمال الأدوية من الدق والطبخ والسحق والإحراق وغير ذلك .

الفن الثالث فى كميات أقسام الأمور المنقسمة انقساما كليا .

وقسم هذا الفن إلى عشرة أقسام :

الأول : فى كمية أشياء كلية منقسمة بقسمين فحسب .

الثانى : فى كمية أشياء كلية منقسمة بثلاثة أقسام فحسب .

الثالث : فى كمية أشياء كلية منقسمة بأربعة أقسام فحسب .

وهكذا تتضاعف إلى العشرة على هذا النسق والترتيب .

وقد كتبت النسخة بخط معتاد .

انظر برلين٢ / ٦٢٣٦ .

بروكلمان : الملحق الثانى ـ ٢٩٩ .

وتوجد نسخة ثانية .

أوله : كسابقه .

آخره : عضلات المقعدة والمثانة خمس عضلات ، الفخذين (كذا) اثنان وعشرون عضلة الركبة ثمان عضلات ، القدم سبع عضلات الأصابع اثنان وعشرون عضلة . تم الكتاب بعون الله .

سنة النسخ : ١١١٣ هـ .

عدد الأوراق : ٢٥ ورقة .

المسطرة : ٢٥ سطرا .

المكتبة : مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم (مجموعة آل يحيى) ٦٧ طب .

[٨١] (فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٥ ـ ٧٧) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٢ ، ٩٣ ، ومجموع خطى نادر فى الطب والصيدلة للأستاذ أسامة ناصر النقشبندى أيضا ، مستله من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم م ١ جـ١ ، ربيع الأول ــ شعبان ١٤٠٢ هــ يناير ـ يونيو ١٩٨٢ م / ٧٦ ، وفهرس المخطوطات الطبية المصورة ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى ، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٧٥ ـ ٧٧) .

*** حقائق الأسرار فيما يعتمدون به الأبرار :**

حقائق الأسرار فيما يعتمدون به الأبرار : من تأليف تمر الإسحاقى ألفه للظاهر قانصو ورتب على عشرة فصول : العقل ، والعلم ، والسياسة ، وأدب النفس ، واللسان ، وحسن السيرة والأخلاق ، والزهد ، ومقالات المشايخ والحكماء ، والبلاغة ، أوله : الحمد لله الذى علمنا ما لم نعلم ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

*** حقائق الأسما فى شرح أسماء الله الحسنى :**

من مخطوطات التصوف والأخلاق الإسلامية فى الخزانة الطلسية بحلب، وجاء بيانه كما يلى :

للعلامة صدر المحققين صدر الدين أبى المعالى محمد بن إسحاق القونوى تلميذ الشيخ ابن عربى (ت ـ ٦٧٢ هـ) [انظر بروكلمان ١ / ٤٤٩ والذيل ١ / ٨٠٧] .

وهو فى جزء لطيف أوله « الحمد لله الذى نور سماء الوجود بمصابيح أسمائه الحسنى وفتح أبواب خزائن الجود بمفاتيح صفاته الأسنى . . أما بعد فلما كانت الأسماء الإلهية مواد الكائنات وأصول الممكنات التى لا يمكن ظهور عين من أعيان الكون إلا بها ولا تثبت قواعد أركان عالم إلى مكان إلا عليها ... وقد بدأه بمقدمة مطولة شرح فيها مذاهب المتصوفة فى أسماء الله تعالى ورأى المتصوفة فى ذلك . وآخرها شرح أسماء الله « الصبور » وهو مكتوب بقاعدة نسخية حسنة قديمة لعلها ترجع إلى القرن الثامن أو صدر التاسع . وعلى صدر الورقة الأولى أسماء جمهرة من علماء حلب الذين ملكوا النسخة وهم :

العلامة الشيخ أحمد بن شنان الحلبى الحجازى المترجم فى أعلام النبلاء. السيد محمد صديق جابرى زاده الحلبى . الحاج يوسف بن الحاج إسماعيل الجمالى .

مقياسه : ١٢ × ١٨

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٥٤) .

*** حقائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان :**

حقائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان : فارسى مختصر للشيخ على بن محمد المعروف بمصنفك ألفه بهراة سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمانمائة ورتب على خمسة أبواب مشتملة على مسائل الإيمان والعبادات .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

*** حقائق التأويل فى دقائق التنزيل :**

أحد مخطوطات تفسير القرآن وعلومه بمكتبة « مولانا » فى مدينة « قونيا » بتركيا ، وجاء بيانه كما يلى :

لعبد الرزاق الكاشانى (كمال الدين) المتوفى سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م .

انظر معجم المؤلفين ٥ / ٢١٥، إيضاح المكنون ١ / ٥١٦، ٥٧٣ .

المجلد الأول منه ، يبدأ بالفاتحة إلى أوائل تفسير سورة المائدة .

مكتوب بخط النسخ . هناك بعض التفسيرات التوضيحية على الحواشى ولم يرد ذكر اسم كاتب الحواشى .

كتب « الكاشانى » تفسيره هذا بطلب من الشيخ نور الدين ، يتناول المؤلف شرح الآية من الناحية اللغوية ووجوه الإعراب والمعنى والتفسير الظاهرى والتأويل الباطنى .

أوله : « الحمد لله الذى أبرز حقائق المعانى فى عجايب صور تراكيب الكلام ... ولى الحق والتحقيق أمام أهل الولاية وسراج أرباب الهداية شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين مرشد الطالبين الصادقين نور الحق والملة والدين هادى المستبصرين من المؤمنين عبد الصمد بن على النطنزى قدس الله روحه وأعظم من عنده فتوحه فأرشدنى إلى تحصيل العلوم ... وجرى على لسانه ذكر من كان فى عهده ينبوع الحكمة واليقين المولى السعيد شمس الحق والملة والدين الكبشى ... بالغ فى تعظيم قدر من يؤلف تفسيرا يشتمل تقريره على خمسة فصول فى كل آية ... » .

آخره : إلى قوله تعالى : ﴿ على القوم الفاسقين ﴾ . اللغة الجبار فقال من جبره على الأمر .

مقياس المجلد ٥ , ٢١ سم - ٥ , ١٤ سم .

مقياس الكتاب ١٥ سم × ٥ , ١٠ سم .

عدد الأوراق ٢٥١ .

عدد الأسطر فى كل صفحة ١٧ .

رقمه فى الخزانة ٦٣ رقم المجلد ١ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ٥٣، ٥٤) .

*** حقائق الحدائق :**

حقائق الحدائق : فارسى مختصر مشتمل على قواعد أشعار الفرس لأشرف بن محمد الرامى ألفه للسلطان أويس وجعله على قسمين : قسم فى اصطلاح المتقدمين ، وقسم فى تصرف المتأخرين، وهو على منوال حدائق الوطواط كما ذكره وأقر بفضله

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

*** حقائق الدقائق ، على رقائق الحقائق :**

(شرح رقائق الحقائق فى حساب الدرج والدقائق للماردينى) .

لحسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتى المتوفى سنة ١١٨٨ هـ .

(بروكلمان ٢ / ٣٥٩ ، وهو شرح كتاب محمد بن محمد بن أحمد سبط الماردينى . بروكلمان ٢ / ١٦٨ ، تصنيف رقم ١١) .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

أوله بعد الديباجة : لما قرأت رسالة الرقائق فى حساب الدرج والدقائق ، للعلامة سبط الماردينى ، خطر ببالى مع ضعف حالى أن أعلق عليها .

وآخره : ثم تقسم الحاصل على فضل البيتين يحصل المطلوب، والله أعلم .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ٤٩ ميقات، ٣٠ ق تقريبا ، فيها بعض الجداول، القياس ٢٠ × ٣٠ سم، ف ١٠٤١ .

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ ق١/٣١) .

*** حقائق الطب :**

أحد مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١٠١٩٤٢

للحاج كريم خان بن إبراهيم القاجارى الكرمانى المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١ م .

(ذكر بروكلمان اسم المؤلف محمد خان الكرمانى وقال عن هذا الكتاب أن المؤلف فرغ منه سنة ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٩ ذيل بروكلمان ٢ / ٨٢٧ ؛ .

الأول : « الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة على أعدل الكون ... » .

فرغ منها المؤلف سنة ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨ م . وهذه النسخة بخطه . إلا أن آخرها أكمل بخط مغاير لخط المؤلف، كما أن اسم المؤلف أزيل وكتب بدلا عنه وبقلم مغاير لبقية الكتابة اسم « محمد تقى بن محمد هادى » (الذريعة ٧/ ٣٤) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٩٣) .

* **حقائق فضل الله المألوف الواردة على ترتيب الحروف :**

حقائق فضل الله المألوف الواردة على ترتيب الحروف : للشيخ شمس الدين أبى الحسن محمد البكرى المصرى وهو رسالة فى ست أوراق كتبها سنة ٩١٩ تسع عشرة وتسعمائة وجمع فيه كلمات المشايخ أوله : الحمد لله العليم الحكيم ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

* **الحقائق فى التفسير .**

الحقائق فى التفسير - للشيخ أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤١٢ اثنتى عشرة وأربعمائة وهو مختصر على لسان التصوف أوله : الحمد لله رب العالمين أولا وآخر ... إلخ ذكر فيه أن أكثر أهل الظاهر جمع فى أنواع فوائد القرآن ولم يشتغل أحد بفهم خطابه على لسان الحقيقة ولا بجمعه إلا آيات متفرقة نسبت إلى العباس بن عطاء ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق وكان قد سمع منهم فى ذلك حروفا فضمها إلى مقالتهم ورتبها على السور الفرقانية فكانت كالتفسير قرأه الثعلبى على مصنفه لكن المفسرون من أهل الظاهر تكلموا فيه على ما هو دأبهم فى أمثاله فقال الواحدى زعم أنه صنف حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر وطعن فيه ابن الجوزى أيضا .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣) .

* **حقائق القرآن :**

من مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش بالمغرب ، وجاء بيانه كما يلى :

حقائق القرآن : لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد ابن موسى الأزدى السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤١٢ هـ وهو مختصر فى التفسير على طريقة أهل التصوف الموجود الجزء الأخير.

يعود تاريخ نسخه للثامن والعشرين من شهر صفر عام ١١٥٥هـ .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٢١٨) .

* **الحقائق (كتاب -) :**

من مخطوطات العلوم والكيمياء والطبيعيات بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف جابر بن حيان الصوفى .

وهو المقالة التاسعة والأربعون من « كتاب السبعين » .

أوله : قد سبق لنا من الكتب قبل كتابنا هذا ثمان وأربعون كتابا ، فيها تدابير وأعمال وتفاسير ليس يدرك ما يقصده منها غير ما يستحسنه فى اللفظ ، ولا يدرى مع ذلك مرموز هو ، أم لا ؟ فيفسد ولا يدرى ، وقد جعلت كتابى هذا ، وهو التاسع والأربعون ، حاويا للحد المستعمل فى كتبنا هذه من التدابير فى هذه الثلاثة الأبواب ليقرب بذلك مأخذها ، ويسهل على الطالب الدارس ... إلخ .

وآخره : وكل ماء قاطر ودهن ونار وأرض مستخرجة من جميع الأجناس يدبر بهذا التدبير أو بغيره مما هو مثله ، فهى واحدة لا يخلط بعضها ببعض ، فاعمل بعضها ببعض لا خطأ فيه فاعرفه .

- نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ .

ومسطرتها ١٧ سطرا		١١ × ١٧ سم

(ضمن مجموعة من ص ٢٩٤ - ٣٠٠) .

[مكتبة بروسه حسين جلبى - ١٥] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء ، والطبيعيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ١١٥ ، ١١٦) .

* **الحقائق المحمدية :**

الحقائق المحمدية : للعلامة صدر الدين محمد الشيرازى المتوفى فى حدود سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة [٩٠٤] وهى رسالة فى معرفة الواجب تعالى وصفاته .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣) .

* **حقائق المنظومة :**

(ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ١ / ٦٧٣) بعنوان «الحقائق فى شرح المنظومة النسفية » وقال إنه يأتى فى الميم) من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٨٢٦٧

وهي شرح لمنظومة الخلافيات .

المنظومة تأليف نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م .

الحقائق : تأليف أبي المحامد محمود بن محمد بن داود الإفسنجي اللؤلؤي البخاري المتوفى سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م .

المنظومة مرتبة على عشرة أبواب :

الباب الأول : في قول الإمام .

الباب الثاني : في قول أبي يوسف .

الباب الثالث : في قول محمد .

الباب الرابع : في قول الإمام مع أبي يوسف .

الباب الخامس : في قوله مع محمد .

الباب السادس : في قول أبي يوسف مع محمد .

الباب السابع : في قول كل واحد منهم .

الباب الثامن : في قول زفر .

الباب التاسع : في قول الشافعي .

الباب العاشر : في قول مالك .

أتمها سنة ٥٠٤ هـ وعدد أبياتها ٢٦٦٠ ، وانتهى الشارح من شرحه سنة ٦٦٦ هـ .

أوله : الحمد لله الأحد بذاته ، الواحد في صفاته ، الواسع بحسن رأفته .

وآخره : ورجائي واثق بكرم ربي أن يمتعني بها وجميع المسلمين في الدارين وهو أفضل مأمول .

نسخة جيدة وقديمة .

الخط نسخ جيد من خطوط القرن الثامن الأبيات مشكولة كتبه محمد بن محمود بن فخر الإسلام .

المراجع : كشف الظنون ٢ / ١٨٦٧ ، معجم المؤلفين ٧ / ٣٠٥ ، ١٢ / ١٩٥ ، فهرس الخديوية ٣ / ٤١ .

نسخة ثانية :

تتفق مع الأولى في بدايتها وتنقص الورقة الأخيرة .

نسخة جيدة أصابتها الرطوبة وأضرت بعض أطرافها .

الخط نسخ معتاد . من خطوط القرن العاشر . الأبيات مشكولة

نسخة ثالثة :

الرقم : ٦٦٨٨

ناقصة من أولها ثماني ورقات وتنتهي بنهاية الكتاب .

أولها : ورواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، قال بعض المشايخ ينبغي أن يأخذ في الصيف بقولهما .

نسخة جيدة قديمة مصححة .

الخط نسخ معتاد المنظومة مشار فوقها بخطوط حمراء . كتبه سيد بن من تشا بن سليمان البغدادي سنة ٨٤٧ هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي — وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٥ ـ ٢٨٨) .

*** الحقد :**

جاء في اللسان : الحقد : إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها . والحقد : الضغن ، والجمع أحقاد وحقود ... وحقد علي يحقد حقدا وحقِد ، بالكسر ، حقدا وحقدا فهو حاقد ، فالحقد (بفتح الحاء) الفعل ، والحقد (بكسر الحاء) الاسم ، وتحقد كحقد (اللسان ١١ / ٩٣٨) .

قال صاحب مفتاح السعادة :

اعلم : أن الغضب إذا عجز صاحبه عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ، ومعنى الحقد : أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه ، وأن يدوم ذلك ويبقى . والحقد يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد . وهو أن يحملك الحقد أن تتمنى زوال النعمة عنه ، فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به ، وهذا من فعل المنافقين ، وستعرف ذمه .

الثاني : أن تزيد في إضمار الحسد في الباطن ، فتشمت بما أصابه من البلاء .

الثالث : أن تقطعه وتصارمه وإن أقبل عليك .

الرابع : وهو دونه : أن تعرض عنه استصغارا له .

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر أو هتك ستر وغيره .

السادس : أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه .

السابع : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

الثامن : أن تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام .

ثم للحقود ثلاث أحوال عند القدرة :

أحدها : أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان ، وهو العدل ، وهو اختيار الصالحين .

ثانيها : أن يحسن إليه بالعفو والصلة ، وذلك هو الفضل واختيار الصديقين .

وثالثها : أن يظلمه بما لا يستحقه ، وهو اختيار الأراذل (مفتاح السعادة ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

وعن دفع الحقد يقول العلامة الإمام ابن الجوزي :

الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في نفس . ولعمري إن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل .

وبسنده إلى عبد الله بن كعب بن مالك ، قال سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فذكر القصة

ونزول توبته ، قال فدخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، قال فكان كعب لا ينساها لطلحة. أخرجاه في الصحيحين (أخرجه البخاري ٦ / ٤ ، ومسلم التوبة / ٥٣) .

فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى، فالقبيح كذلك ، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب. وعلاج ذلك أن يكون بالعفو والصفح وللعفو محلان :

أحدهما : رؤية الثواب للعافي.

والثاني: شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو ، وذلك في منزلة من يهفو ، ومن كمال العفو حصول الرضا وذلك بمحو ما في القلب .

وههنا علاج أدق من هذا ، وهو أن يرى الإنسان أن الذي سلط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه أو لتكفير خطأ، أو لرفع درجة ، أو لاختياره في صبره، وثم علاج أدق من هذا وهو أن يرى الأشياء عن المقدر (الطب الروحاني / ٢٦) .

وكعادة الثعالبي فيما جرى عليه في كتابه « اللطائف والظرائف » يسوق ما جاء في مدح الشيء وما جاء في ذمه، ومن ثم يقول في باب « مدح الحقد » :

قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك بن صالح الهاشمي في كلام جرى بينهما : أنت حقود، فقال : إن كنت تريد بقاء الخير والشر عندي فأنا كذلك. ويقال إنه قال له : أنا خزانة تجمع الخير والشر، فقال يحيى: هذا والله جبل قريش، وما رأيت أحدا يمدح الحقد ويحسنه غيره بمثل هذا ، وقد أخذ معناه ابن الرومي وزاد فيه وحسنه فقال :

وما الحقد إلا توأم الشكر للفتى
وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
إذا الأرض كرَّت كل ما أنت زارع
من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

وبعدها يقول في باب ذم الحقد، وقد جعل من الحقد الحسد :

قال رسول الله ﷺ: « أعظم الذنوب عند الله الحسد، والحاسد مضاد لنعمة الله، خارج عن أمر الله ، تارك لعهد الله » (في عيون الأخبار ٤ / ١٠ ، وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسد عدو نعمتي متسخط لقضائي، غير راض بقسمي بين عبادي). وقال عز وجل ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] وأمر رسول الله ﷺ أن نستعيذ من شره .

وقال معاوية رضي الله عنه : « كل إنسان أقدر أن أرضيه إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها . وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، غم دائم ونفس متتابع . وقال الشاعر :

إن الحسود الظلوم في كرب
يخاله من يراه مظلوما
من نفس دائم على نفس
يظهر منه ما كان مكتوما

قال الشيخ الإمام : أنشدني أبو منصور البوشنجي لنفسه في هذا المعنى (هو الملقب بمضراب الشعر، أحد شعراء بخاري ، ذكره في اليتيمة ٤ / ١٥٩) :

قالوا يقود سعيد
جيشا لهم يسود
وكيف ذاك وأنى
وهو الحقود الحسود
ولا يسود حسود
ولا يقود حقود

كان يقال : الحقد داء دوي. ويقال: من كثر حقده ، دوي قلبه . ويقال: الحقد مفتاح كل شر. ويقال : حل عقد الحقد، ينتظم لك عقد الود. ويقال : الحقود والحسود لا يسودان .

وقال آخر :

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من غم العداوات

ويقال: لا يوجد العجول محمودا، ولا المغضوب مسرورا، ولا الحر حريصا، ولا الكريم حسودا، ولا الشره غنيا ، ولا الملول ذا إخوان .

وقال بعض الحكماء : وجدت أول الأشياء منفعة ، وأضر لها في العاقبة : الحاجة، ووجدت أنكر العيش عيش الحسود .

وقال الشاعر :

لا يحزننك فقر إن عراك ولا
تتبع أخا لك في مال له حسدا
فإنه في رخاء في معيشته
وأنت تلقى بذاك الهم والنكدا

وقال آخر :

إذا ما المرء كان لنا حسودا
فأف لذاك من باغ حسود

(اللطائف والظرائف / ١٣٩ ـ ١٤١) .

(لسان العرب لابن منظور ١١ / ٩٣٨، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩، والطب الروحاني للعلامة الحافظ ابن الجوزي ـ تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول / ٢٦ ، واللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي دار المناهل . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م / ١٣٩ ـ ١٤١) .

*** حقوق آل البيت (كتاب ـ) :**

كتاب من تأليف شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية . قال رحمه الله فى مقدمته بعد البسمله :

قال الشيخ الإمام العالم العامل فريد عصره ، مفتى الفرق ، شيخ الإسلام ، تقى الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية رضى الله عنه وأرضاه ، وأعلى درجته :

هـذا الكتاب إلى من يصل إليه مـن الإخوان المؤمنين الـذين يتولـون الله ورسوله والـذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الـزكاة وهم راكعـون ، ومن يتـول الله ورسولـه والـذين آمنوا فإن حـزب الله هم الغـالبـون . الذين يحبـون الله ورسـولـه ، ومن أحبه الله ورسـولـه ، ويعرفون من حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله ، فإن من محبة الله وطـاعته محبة رسـوله وطاعته ، ومن محبـة رسوله وطـاعته محبة من أحبه الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته .

كما قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والـرسول إن كنتم تـؤمنون بـالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩] .



مخطوط كتاب حقوق آل البيت

وقال النبى ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

(الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الجهاد باب ١٠٩ ، وكتاب الاعتصام باب ٢ ، وكتاب الأحكـام باب١ . ومسلم فى صحيحـه فى كتاب الإمارة حـديث ٣٢ . والنسائى فى سننـه فى كتاب البيعـة باب ٢٧ . وابن ماجـه فى سننه فى المقدمـة باب ١ ، وفـى كتاب الجهـاد باب ٣٩ . والإمـام أحمد فـى المسند ٢ / ٩٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٥١١) .

وقال ﷺ فيمـا رواه أمير المؤمنين على بـن أبى طالب رضى الله عنه : « إنما الطاعة فى المعروف » .

(أخرجـه البخارى فى صحيحه فى كتاب الأحكـام باب ٤ وفى الآحاد بـاب١ ، وفـى المغازى بـاب ٥٩ ، ومسلم فى صحيحـه فى كتاب الإمارة حديث ٣٩ ، ٤٠ . وأبو داود فى سننه فى كتاب الجهاد باب ٨٧ . والنسـائى فى سننه فى البيعة باب ٣٤ . والإمام أحمد فى المسند ١/ ٨٢ ، ٩٤ ، ١٢٤ . وأشار السيوطى فى الجامع الصغير حديث رقم ٩٩٠٢ إلى أنه حديث صحيح) .

وقال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

(الحـديث أخرجـه الإمام أحمـد فى المسنـد ، والحـاكم فى مستدركه عن عمران بن الحصين . وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : « رجال أحمد رجـال الصحيح ، ورواه البغوى عن النواس ، وابن حبـان عن على بلفظ « لا طـاعـة لبشـر فى معصيـة الله » ولـه شواهد فى الصحيحين . وأورده الإمام السيوطى فى الجامع الصغير وصححه) .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هـو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قـدير ، ونصلى على إمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبده ورسوله ، ﷺ تسليما كثيرا ، أما بعد ... إلخ .

(حقوق آل البيت للإمام العلامـة تقى الدين بن تيمية ـــ تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩ ، ٢٠) .

*** حقوق الأبناء :**

أما حقوق الأبناء على الآباء فيجب على والد الأطفال أن يربيهم بـالتغـذية ، ويجملهم بـالكسـوة ، ويـلاحظهم فى حـركـاتهم وسكناتهم ، ويعلمهم الأدب وحسن الأخـلاق ، والعفة ، والمروءة ، والصدق ، والأمـانة ، ويغـذى أرواحهم بالتعليم ، ويعلمهـم العلوم الشرعيـة والأدبية ، لينشأوا نشأة دينية دنيـوية صحيحة ، كمـا يربى أجسامهـم بالطعام والشـراب ، إلى أن يبلغوا الحلم ، قـادرين على الكسب .

ويقوم بواجب البنات من طعام وشراب وكسوة ، حتى يتزوجن ، ويجب على الـوالدين أن يـربـوا البنات تـربيـة منزليـة ، من طبخ ،

وغسل، وكي للثياب، وكنس، وخياطة، وتطريز، وكل ما يختص بخدمة المنزل، ليكن أمهات في المستقبل قادرات على تربية الأطفال تربية صحيحة، ولتشارك الزوج في الحياة، ويعلموهن الدين، والحياء، والمروءة، والعفة، والصدق، والأمانة، ولزوم الحجاب إلا ما تدعو إليه الضرورة، ليكن أمهات صالحات لتربية الأولاد في المستقبل. قال حافظ - رحمه الله تعالى - في قصيدته القافية:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

ولما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» (رواه الشيخان وأحمد والترمذي وأبو داود).

قال الشاعر:

وكلكم راع ونحن رعية
وكل يلاقي ربه فيحاسبه

وقال ﷺ: «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن» (رواه الترمذي والحاكم. انظر كتاب «تحفة العباد» في حقوق الزوجية والوالدين والأولاد).

وقال ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له حجابا من النار» (رواه مسلم والبخاري).

وقد جاء في تفريح البنات بما يدخل عليهن السرور أجر عظيم. قال الشاعر:

وكل من فرح أنثى يفرح
في الفزع الأكبر نعم الفرح

وجاء في الحديث الشريف: «إن من حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ» (رواه ابن النجار).

وأن يعلمه العلوم الشرعية، والقرآن الشريف، والآداب المسنونة، كالسواك. وهذه الحقوق مندوبة في حق الأب.

وأما الحقوق الواجبة عليه فمنها الصلاة، وأن النبي ﷺ بعثه الله نبيا ورسولا، إلى الخلق كافة، بشيرا ونذيرا، وأنه ﷺ ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة، وتوفى ودفن بها ﷺ.

ويسن في حق الوالد، أن يعق عن المولود له يوم السابع، ويسميه اسما حسنا، ذكرا كان أو أنثى، فإذا بلغ عمره سبع سنين أمره بالصلاة، ذكرا كان أو أنثى، ويفرق بينهم في المضاجع، بأن ينام كل واحد في ثوب، فإذا بلغ عشرا يضربه عليها ضربا لا يكسر عظما، ولا يشق لحما. قال الشاعر:

يضرب الصبي بعد عشر
وبعد سبع يكتفي بأمر

وينبغي للوالد أن يكون رحيما عطوفا على أولاده، اقتداء برسول الله ﷺ، لأنه كان ﷺ رحيما عطوفا بالمسلمين، خصوصا الأطفال منهم.

ويطلب من الوالد أن يعامل أولاده بالحسنى، ويوسع عليهم في النفقة ما أمكنه، ويكسيهم، ويدخل عليهم السرور، ويعلمهم الآداب الدينية الإسلامية، لينشأوا نشأة طيبة تجعلهم أحسن رجال للمستقبل.

وفي الحكمة من أدب ولده صغيرا سره كبيرا. قال الشاعر:

قد ينفع الأدب للأحداث في صغر
وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

والولد ثمرة القلب، والأب مجبول على محبته. سئل أحد العقلاء: أي الثمار أشهى؟ قال: الولد. وهو من نخل الجنة.

قال أبو تمام الشاعر الطائي المشهور:

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني من الغمض

قال الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٤٦].

وكان رسول الله ﷺ يحب الحسن والحسين وأمهما فاطمة رضي الله عنهم وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أحبهما، فأحب من يحبهما».

ومحبة الولد شيء طبيعي في الإنسان والحيوانات ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [الأحزاب: ٢١] (محاسن الإسلام / ١٧٧ - ١٧٩).

ويفرد ابن العديم الباب الثامن من كتابه الموسوم بالدراري في ذكر الذراري للكلام على ما يجب للأبناء على الآباء جاء فيه ما يلي:

ينبغي للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ويحسن عنده الحسن ويقبح عنده القبيح ويحثه على المكارم وعلى تعلم العلم والأدب ويضربه على ذلك.

قال النبي ﷺ : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » (أورده صاحب كنز العمال (١٦ / ٤١٧) باب بر الأولاد وحقوقهم ، وقال : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة .

ـ وأورده الزبيدي في الإتحاف (٦ / ٣١٨) كتاب آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة ، باب حقوق الوالدين والولد ، عن عائشة ، وقال : فيه عبد الصمد بن النعمان وهو ضعيف .

وانظر القرطبي (١٨ / ١٩٥) ـ وحلية الأولياء (١ / ١٨٤) .

عن عمرو بن دينار أن ابن عمر وابن عباس كانا يضربان أولادهما على اللحن .

قال النبي ﷺ : « تخيروا لنطفكم » (أخرجه الدارقطني في سننه (٣ / ٢٩٩) كتاب النكاح ـ عن عائشة ، ولفظه : « تخيروا لنطفكم ، لا تضعوها إلا في الأكفاء » .

وأورده الزيلعي في نصب الراية (٣ / ١٩٧) كتاب النكاح ـ فصل في الكفاءة . عن عائشة ولفظه : « تخيروا لنطفكم ، وانكحوا الأكفاء » ـ وقال : هذا الحديث روى عن طريق عائشة ، وعن طريق أنس ، وعن طريق عمر بن الخطاب ، من طرق عديدة كلها ضعيفة ، والكلام عليها في « كتاب الإسعاف بأحاديث الكشاف » في أول سورة النساء .

وانظر علل الحديث (١ / ٤٠٣) ـ والكنز (١٦ / ٣٠١) ـ وحلل الأولياء (٣ / ٣٧٧) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » .

(أورده الزبيدي في الإتحاف (٥ / ٣٤٨) وقال : روى أبو موسى المديني في « كتاب تضييع العمر والأيام » من حديث ابن عمر ، وقال : وطرق الحديث ضعيفة وأخرجه صاحب الإحياء (٢ / ٤٢) كتاب آداب النكاح ـ باب فيما يراعى حالة العقد) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم »

أخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٢١١) كتاب الآداب ـ باب بر الولد والإحسان إلى البنات ـ عن أنس بن مالك .

وأورده الذهبي في الميزان (١ / ١٤٤) ـ وانظر الخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ٢٨٨) ـ والترغيب (٣ / ٧٢) ـ وابن عساكر (٥ / ٢٠٢) ، (٦ / ١٦٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما نحل والد ولده أفضل من عمل صالح » (أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٣٣٨) كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في أدب الولد ، ولفظه « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » وقال : هذا عندي حديث مرسل .

انظر مشكاة المصابيح (٢) كتاب الآداب ـ والكنز (١٦ / ٤٥٦)

وقال أبو حيان التوحيدي رحمه الله : يجب على الرجل أن يستقبل عمره بولده ليستمتع كل منهما بصاحبه ، وأن يمهد له المعيشة ، وأن يختار أمه واسمه ويختنه ويؤدبه ولا يستأثر دونه ، وأن يختار له زوجة صالحة ومعيشة جميلة كافية ، وأن يكفيه العار وسوء الحديث .

وفي الحديث : « من كان له صبي فليستصب له » .

(أورده صاحب الكنز (١٦ / ٤٥٧) وقال : أخرجه ابن عساكر عن معاوية ، ولفظه « من كان له صبي فليتصاب له » .

قرأت في ربيع الأبرار للزمخشري قال : من حق الولد على والده أن يوسع عليه ماله كيلا يفسق . وقرأت في العقد لابن عبد ربه قال : خير الآباء للأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .

و إذا راهق الصبي فينبغي لأبيه أن يزوجه فقد ورد في الحديث :

« من بلغ له ولد وأمكنه أن يزوجه فلم يفعل وأحدث الولد كان الإثم بينهما » (راهق الصبي إذا قارب الاحتلام ، والمراهق : الغلام الذي قد قارب الحُلُم ، وذلك بين العشر إلى إحدى عشرة) .

(أخرجه الديلمي في(مسند الفردوس) عن ابن عباس ، ولفظه « من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثا فالإثم عليه » .

انظر الكنز (١٦ / ٤٤٢) ...

قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سره كبيرا . قالوا : أطبع الطين ما كان رطبا وأغمز العود ما كان لدنا . وقال : من أدب ولده غم حاسده . وقالوا : ما أشد فطام الكبير وأعسر منه رياضة الهرم .

وقال الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفك ؟ قال : مات واستراح من الكتاب ، قال : وبلغ الكتاب منك هذا المبلغ ، والله لا حضرت أبدا ، ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة وكان أميا .

وقال صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذي أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يواري في ثرى رمسه

(ثرى رمسه : تراب قبره)

وقال آخر :

لا تسه عن أدب الصغير ... وإن شكا ألم التعب

ودع الكبير لشأنه ... كبر الكبير عن الأدب

(تذكرة الآباء / ٤٨ ـ ٥٥) .

ويدرج الإمام البيهقى حقوق الأولاد والأهلين باعتبارها الشعبة الستين من شعب الإيمان فيقول :

من شعب الإيمان حقوق الأولاد والأهلين ، وهى قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه لقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ [التحريم : ٦] قال الحسن : أى مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير وقال على علموهم وأدبوهم .

ولحديث أنس فى صحيح مسلم « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا ـ وضم أصبعيه » .

(مختصر شعب الإيمان / ٩٦ ، ٩٧) .

(محاسن الإسلام ـ محمد سعد بن عبد الله الرباطابى العباسى . ط مصطفى البابى الحلبى / ١٧٧ ـ ١٧٩ ، وتذكرة الآباء وتسلية الأبناء المسمى الدرارى فى ذكر الذرارى للإمام الشيخ كمال الدين عمر بن أحمد ابن هبة الله بن العديم ـ حققه وعلق عليه علاء عبد الوهاب محمد ، دار السلام . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م / ٤٨ ـ ٥٥ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى اختصار القزوينى ـ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٩٦ ، ٩٧) .

*** حقوق الأخوة :**

يبين الإمام ابن قدامة ما على الإنسان لأخيه من الحقوق فيقول :

الحق الأول : قضاء الحاجات والقيام بها ، وذلك درجات :

أدناها : القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة لكن مع البشاشة والاستبشار .

وأوسطها : القيام بالحوائج من غير سؤال .

وأعلاها : تقدم حوائجه على حوائج النفس .

وقد كان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضى حوائجهم .

الحق الثانى : على اللسان بالسكوت تارة ، وبالنطق أخرى .

أما السكوت ، فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى حضوره وغيبته ، وعن الرد عليه ومماراته ومناقشته ، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله . ولا يسأله إذا لقيه ، إلى أين ؟ فربما لا يريد إعلامه بذلك ، وأن يكتم سره ولو بعد القطيعة ، ولا يقدح فى أحبابه وأهله ، ولا يبلغه قدح غيره فيه .

الحق الثالث : وينبغى أن يسكت عن كل ما يكرهه ، إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت ، فإن مواجهته بذلك إحسان إليه فى المعنى .

واعلم : أنك إن طلبت منزها عن كل عيب لم تجد ، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية .

وقال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب الزلات .

وقال الفضيل : الفتوة : الصفح عن زلات الإخوان .

وينبغى أن تترك إساءة الظن بأخيك ، وأن تحمل فعله على الحسن مهما أمكن ، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .

واعلم : أن سوء الظن يدعو إلى التجسس المنهى عنه ، وأن ستر العيوب والتغافل عنها سيمة أهل الدين .

واعلم : أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ، ولا شك أنك تنتظر من أخيك أن يستر عورتك ، وأن يسكت عن مساويك ، فلو ظهر لك منه ضد ذلك اشتد عليك فكيف تنتظر منه ما لا تعزم عليه له ؟

ومتى التمست من الإنصاف ما لا تسمح به دخلت فى قول الله تعالى : ﴿ **الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾ [المطففين : ٢ ، ٣] ومنشأ التقصير فى ستر العورة والمغرى بكشفها الحقد والحسد .

واعلم : أن من أشد الأسباب لإثارة الحقد والحسد بين الإخوان المماراة ، ولا يبعث عليها إلا إظهار التميز بزيادة الفضل والعقل واحتقار المردود عليه ، ومن مارى أخاه ، فقد نسبه إلى الجهل والحمق ، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشىء على ما هو عليه ، وكل ذلك استحقار ، وهو يوغر الصدر ويوجب المعاداة ، وهو ضد الأخوة .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق ، فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن المكروه ، تقتضى النطق بالمحبوب ، بل هو أخص بالأخوة ، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما يراد الأخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص منهم ، لأن السكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ، ويتفقده فى أحواله ، ويسأله عما عرض له ، ويظهر شغل قلبه بسببه ، ويبدى السرور بما يسر به

وفى الصحيح من رواية الترمذى : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » .

ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه .

ومن ذلك أن يثنى عليه بما يعرفه من محاسن أحواله عند من يؤثر الثناء عنده ، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وأفعاله ، حتى فى خلقه وعقله وهيئته وخطه وتصنيفه وجميع ما يفرح به من غير إفراط ولا كذب .

وكذلك ينبغى أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد .

ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك ، وأن تذب عنه فى غيبته إذا قصد بسوء، فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة .

وفى الحديث الصحيح : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، ومتى أهمل الذب عن عرضه يكون قد أسلمه ، ولك فى ذلك معياران :

أحدهما : أن تقدر أن الذى قيل فيه ، قد قيل فيك وهو حاضر، فتقول ما تحب أن يقوله .

الثانى : أن تقدر أنه حاضر وراء جدار يتسمع عليك ، فما تحرك فى قلبك من نصرته فى حضوره ينبغى أن يتحرك فى غيبته . ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق .

ومن ذلك التعليم والنصيحة ، فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، وإذا كنت غنيا بالعلم فواسه وأرشده .

وينبغى أن يكون نصحك إياه سرا، والفرق بين التوبيخ والنصيحة الإعلان والإسرار، كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه إصلاح أخيك بالإغضاء ، فأنت مدار ، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن .

ومن ذلك : العفو عن الزلات ، فإن كانت زلته فى دينه فتلطف فى نصحه مهما أمكن ، ولا تترك زجره ووعظه ، فإن أبى فالمصارمة .

الحق الخامس : الدعاء للأخ فى حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك .

وفى أفراد مسلم من حديث أبى الدرداء، أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم . وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو فى السحر لستة نفر .

وأما الدعاء بعد الموت ، فقال عمرو بن حريث: إذا دعا العبد لأخيه الميت ، أتى بها ملك قبره، فقال : يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ عليك شفيق .

الحق السادس : الوفاء والإخلاص ، ومعنى الوفاء : الثبات على الحب إلى الموت ، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه ، وقد أكرم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عجوزا وقال : « إنها كانت تغشانا فى أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان » .

ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه فى التواضع وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه .

واعلم : أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين ، فقد كان الشافعى رحمه الله آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقربه ويقبل عليه ، فلما احتضر قيل له : إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومىء إليه فقال : إلى أبى يعقوب البويطى ، فانكسر لها محمد ، ومع أن محمدا كان قد حمل مذهبه ، لكن البويطى كان أقرب إلى الزهد والورع ، فنصح الشافعى رحمه الله المسلمين وترك المداهنة ، فانقلب ابن عبد الحكم عن مذهبه ، وصار من أصحاب مالك .

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه ، ولا يصادق عدو صديقه .

الحق السابع : التخفيف وترك التكلف والتكليف ، وذلك أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ، ولا يستمد من جاهه ولا ماله ولا يكلفه التفقد لأحواله والقيام بحقوقه والتواضع له ، بل يكون قصده بمحبته الله وحده ، والتبرك بدعائه ، والاستئناس بلقائه ، والاستعانة على دينه ، والتقرب إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه ، وتمام التخفيف طى بساط الاحتشام حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى فيه من نفسه .

قال جعفر بن محمد : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى .

وقال بعض الحكماء : من سقطت كلفته دامت ألفته ، ومن تمام هذا الأمر أن ترى الفضل لإخوانك عليك ، لا لنفسك عليهم ، فتنزل نفسك معهم منزلة الخادم .

(مختصر منهاج القاصدين / ١٠٠ ـ ١٠٤) .

وللإمام الشافعى رحمه الله فى المؤاخاة :

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

ففى الناس أبدال وفى الترك راحة ... وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير فى ودٍّ يجىء تكلفا

ولا خير فى خلٍّ يخون خليله ... ويلقاه بعد المودة بالجفا

وينكر عيشا قد تقادم عهده ... ويظهر سرا كان بالأمس فى خفا

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق يصدق الوعد منصفا

(مجموعة من النظم والنثر / ٥٢ ، ٥٣) .

ويفرد حجة الإسلام الغزالى الباب الثانى من الإحياء فى حقوق الأخوة والصحبة يبدؤه بقوله :

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح فكذا عقد الأخوة فلأخيك عليك حق فى المال والنفس وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق .

ثم يعدد الحقوق الثمانية، ونكتفى هنا بذكر عناوينها على النحو التالى .

١ ـ المال .

٢ ـ الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة .

٣ ـ فى اللسان ، بالسكوت مرة وبالنطق أخرى . أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ، ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه .

٤ ـ (على اللسان بالنطق) فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره، تقتضى أيضا النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور .

٥ ـ العفو عن الزلات والهفوات .

٦ ـ الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به .

٧ ـ الوفاء والإخلاص .

٨ ـ التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه (إحياء علوم الدين ٢ / ١٥٢ ـ ١٦٦) .

(مختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى ـ قدم له محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٠٠ ـ ١٠٤ وقد وضعنا التعليقات بين أقواس فى ثنايا النص، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ٥٢ ، ٥٣ ، وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى ٢ / ١٥٢ ـ ١٦٦) .

*** حقوق أخوة الإسلام :**

حقوق أخوة الإسلام : للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى المتوفى سنة ستين وتسعمائة أولها : الحمد لله بحمده (نحمده) ونستعينه إلخ ذكر فيه أن للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الأمة حقوقا وللمسلمين بعضهم على بعض حقوقا ففى معاشرة الصديق مع الصديق والشيخ مع المريد والعالم مع المتعلم والأمير مع الرعية والجار مع الجار والضيف مع المضيف والوالد مع الولد والغنى مع الفقير والزوج مع الزوجة والقريب مع الغريب والسيد مع المملوك والمسلم مع الذمى أو الحربى والصالح مع الطالح والمبتدع حقوق وشرائط وآداب ذكرها كلها وفيه تأليف آخر قيل هو للغزالى .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٣ ، ٦٧٤) .

*** حقوق الأقارب والرحم :**

يقول الإمام ابن قدامة :

وأما حقوق الأقارب والرحم، ففى الحديث الصحيح، من رواية عائشة ، أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الرحم معلقة بالعرش، تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله » .

وفى حديث آخر من أفراد البخارى : « ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » .

وفى حديث آخر من أفراد مسلم أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم ويجهلون على ، قال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» . والمعنى أنك منصور عليهم ، وقد انقطع احتجاجهم عليه بحق القرابة ، كما ينقطع كلام من سف الملء، وهو الرماد الحار . والأحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة فى صلة الرحم ، وفى حقوق الوالدين ، وفى تأكد حق الأم (مختصر منهاج القاصدين / ١٠٨ ، ١٠٩) .

قال ﷺ : « يقول الله : أنا الرحمن ، وهذه الرحم، شققت لها اسم من اسمى فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته » ؛ وقال ﷺ : « من سره أن ينسأ له فى أثره ويوسع له فى رزقه فليتق وليصل رحمه»روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ـ إنما قال ذلك لأن التجاور ربما يورث القطيعة (مفتاح السعادة ٣ / ٢٦٨) .

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٠٨ ، ١٠٩ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٢٦٨) .

*** حقوق الله :**

عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » . حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره .

راوى الحديث كان من مشاهير الصحابة وممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ست من الهجرة، مات فى الشام وهو ساجد سنة خمس وتسعين ومروياته أربعون حديثا .

مقدمة الحديث : هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وهو يحوى أصول الدين وليس فى الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه منه، ولهذا قال السمعانى : من عمل به فقد حاز الثواب وأمن من العقاب .

الشرح : قوله ﷺ : « وحرم أشياء فلا تنتهكوها »، أى فلا تدخلوا فيها .

أفكار الحديث : ١ ـ المحافظة على الفرائض

٢ ـ اجتناب المحرمات ٣ ـ النهى عن كثرة السؤال

فقه الحديث :

١ ـ لا يجوز لأى شخص أن يشرع حدوداً أو أحكاماً .

٢ ـ الأصل فى الأشياء الإباحة .

٣ ـ يستحيل على الله سبحانه وتعالى النسيان .

(شرح متن الأربعين النووية للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ١٠٣ ، ١٠٤ . انظر أيضا شرح الأربعين حديثا النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٧٤، ٧٥) .

* **حقوق الإنسان فى الإسلام :**

انظر مادة « الحرية فى الإسلام » فى م ١٣ / ٥١٢ ـ ٥٢٢ .

* **حقوق الجار:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم الحديث .

مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ـ البهراقية) . وهى الآن تحت رعاية الأوقاف وجاء بيان المخطوط كما يلى :

تأليف : الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز الذهبى : ٦٧٧ ـ ٧٤٨ هـ/ ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨ م .

أورد فيه المصنف الأحاديث النبوية التى جاء فيها ذكر الجار وحقوقه .

أوله : قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين أبو سهل محمد : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

آخره : ... ولا تودهم كما تود المسلم آخر الجزء وهو حقوق الجار ... ابن قايماز الذهبى رحمه الله والحمد لله وحده ...

نسخة عادية كتبها ناسخ المجموع الذى ضمت إليه بخط نسخى كبير الحروف وهو يونس بن ملاح سنة ٩١٨ هـ . وبعض الكلمات بالحمرة .

(٢٥) ق المسطرة (١٥) س الأحمدية (٣١٠) مج الحديث بروكلمان ٢ / ٤٦ ملحق بروكلمان ٢ / ٤٥ .

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٩٩) .

قالت المؤلفة : هذا الكتاب عندى ولكنه مطبوع تحت عنوان «حق الجار » ، نشرته دار عالم الكتب بالرياض فى سلسلة الأجزاء الحديثية (١) تحقيق أبى إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا ، مراجعة أبى عبد الله محمود بن محمد الحداد . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ، ويقع فى ٥٠ صفحة ومن ٥١ ـ ٦٣ فهارس وفوائد وتعاليق .

وقد سبق أن أوردنا مادة بعنوان « الجار » فى م ١١ / ٤٣١ ، ٤٣٢ وفاتنا إدراج أحاديث للحافظ السيوطى وأخرى للحافظ المناوى رأينا أن نوردها هنا إتماما للفائدة .

أما الحافظ السيوطى فقد أورد فى الجامع الصغير ثلاثة أحاديث عن حقوق الجار :

أولها : « الجار أحق بصقبه » رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى رافع عن النسائى وابن ماجه عن الشريد بن سويد . حديث صحيح وعن لفظ « صقبه » جاء فى المعجم الوسيط (١/ ٥١٨) صقب صقبا : قرب ودنا ، والحديث : « الجار أحق بصقبه » معناه بما يليه ويقرب منه ، يقولونها فى الشفعة .

وأما الحديث الثانى فهو « الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها وإن كان غائبا إذا كان طريقهما واحدا » رواه أحمد فى مسنده عن جابر .

والحديث الثالث هو : « الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، والزاد قبل الرحيل » للخطيب فى الجامع عن عليٍّ . حديث ضعيف (الجامع الصغير ١ / ١٤٩) .

وقد أورد الحافظ المناوى منها حديثين بلفظ « بسغبه » بدلا من « بصقبه » وهو خطأ من الناسخ حيث أن الكتاب مخطوط مصور، وجاء إسناد الحديثين كما يلى : « الجار أحق بسغبة [بصقبة] ما كان أحوج إليه » . رواه الإمام أحمد ، والطبرانى فى الكبير عن السويد [الشريد] بن سويد وإسناد أحمد جيد . وإسناد الحديث الثانى : « الجار أحق بسغبه [بصقبه] » للطبرانى فى الأوسط عن سعيد بن مالك وابن عمر وفى الأول عبد الكريم بن أمية ضعيف ، وفى الثانى عبيد بن كثير التمار متروك (الجامع الأزهر ١/ ٢١٨ ورقة أ) كما أورد الحافظ المناوى حديثا ثالثا هو « جار السوء فى دار الإقامة قاصمة الظهر » رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس وفيه من لا يعرف (الجامع الأزهر ١/ ٢١٧ ورقة أ) . كما أنه أورد حديثا رابعا هو : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق . فأما الذى له حق فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار. وأما الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار. وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم » رواه الطبرانى فى الكبير عن جابر وفيه شيخه عبد الله محمد بن الحازمى وضاع (الجامع الأزهر ١/ ٢١٨ ورقة ب ، ٢١٩ ورقة أ) .

* **حقوق غير المسلمين فى ظل الإسلام :**

انظر مادة الحرية فى الإسلام فى م ١٣ / ٥١٥ ـ ٥١٨ . انظر أيضا « حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية » ـ د. عبد الله مبروك النجار . مجلة الأزهر ، الجزء الثالث ، السنة السادسة والخمسون ، ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٣م/ ٤٠٢ ـ ٤١١ .

* **حقوق المرأة فى الإسلام :**

عن حقوق المرأة فى الإسلام يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فى بحث نفيس له :

إن الإسلام قد أتى بمبدأ لم يسبق إليه، ولعله إلى الآن لم يلحق به، وهو ما يتعلق بالمرأة ، لأن المرأة فى الإسلام نالت حقوقا لم تنلها فى الشرائع السابقة على الإسلام ، خصوصا الشرائع غير الدينية ، وما نالته من هذه الحقوق لم تصل المرأة الأوربية إلى الكثير منها ، ونلخص ذلك فيما يلى :

(أ) كانت المرأة هملا فى بيت الزوجية ، ولم تكن لها أى شخصية قبل الزواج ، فكان أبوها أو وليها لا إرادة لها بجوار إرادته ، وإذا تزوجت انتقلت السلطة المطلقة من الولى إلى الزوج ، فجاء الإسلام وجعل لها من الحقوق مثل ما عليها من واجبات، وكانت قبلا عليها واجبات وليس لها حقوق، كما كان الأمر بالنسبة للرقيق عند الرومان والفرس، فجاء القرآن وقرر تلك القضية العادلة التى تربط بين الحق والواجب برباط وثيق، لأنه يتفق مع البديهة العقلية، فقال تعالى :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

(ب) ولم تكن المرأة ذات ولاية على نفسها ما دامت لم تتزوج ، فإذا تزوجت كانت الولاية عليها لزوجها ولم تكن لها شخصية منفردة عن شخصية زوجها ، فجاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقرر أن للمرأة ولاية على نفسها، وإذا كان للولى شأن فى زواجها فليس له أن يجبرها ، وإنما الأمر إليها أولا وبالذات ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « الأيم أحق بنفسها من وليها » ، وصلته بها صلة أدبية لصيانتها ومنعها من السقوط ومعاونتها فى اختيار الزوج، وإذا اختارت الكفء ولم يرض هو لا يلتفت لاعتراضه، وبعد الزواج ليس للزوج ولاية عليها إلا بمقدار ما ينظمه عقد الزواج من حقوق بين الزوجين .

(جـ) والمرأة إذا كانت بالغة عاقلة رشيدة لها الولاية الكاملة على مالها من غير تدخل من قبل أبيها أو غيره من قرابتها ، وإذا تزوجت كانت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها، فلها أموالها وله أمواله كل يدبر ماله من غير تدخل من الآخر، لها أن تتبرع من مالها بما تشاء كما يتبرع الرجل، وما يكون من قيود للرجال فى تصرفاتها تكون لها أيضا فى تصرفاتهم هذه القيود، وفى الجملة المرأة والرجل على سواء بالنسبة لإدارة كل واحد منهما ماله ، ولا يكون للزوج أى قدرة على التصرف فى مال زوجته إلا بتوكيل حر يكون لها الاختيار الكامل والرضا التام فيه ، ويكون مبناه الثقة بلا ريب، وإن أساء الإدارة كان لها عزله فى أى وقت تريد، وعقد الزواج فى الشريعة الإسلامية لا يقتضى ولاية مالية ، ولا شركة فى المال، ولا وكالة إجبارية ، لأن العقد فى الإسلام لا يقتضى ذلك .

وازن بين هذا وبين القوانين الأوربية فيما يتعلق بالزواج ، إنها تعتبر الزوج شريكا ووليا فى مالها وليس لها التصرف فى أى قدر من مالها إلا بإذنه، وليس لها أن تودع مالها ، فى المصارف على ذمتها، لأن ذمتها غير منفصلة عن ذمة الزوج ، بينما الزوج له ذلك، وأخيرا صدرت قوانين تخفف من ذلك ولا تمنعه، وآخر تعديل فرنسى فى القانون المدنى الفرنسى سوغ للمرأة أن تودع أموالها باسمها، وذلك الجزء الصغير وصلت المرأة إليه فى الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وهو الذى أخذت منه على قلة أجزاء فى تلك القوانين التى أدغمت حق المرأة المالى فى الزوجة ولم تدغم مال الرجل فى مالها .

(د) والمرأة كانت فى نظر النظم القديمة كالشيطان ، ينظر إليها على أنها شيء مقيت، حتى إنه ورد فى بعض عبارات التوراة المحرفة تلك الكلمة « المرأة أمر من الموت » .

كان ينظر إلى المرأة تلك النظرة ، فلما جاء الإسلام أكرمها وبالغ فى إكرامها بمقدار مبالغة العرب والرومان والفرس فى مقتها ، كانت المتزوجة تورث من ابن زوجها ، له هو أن يزوجها من غيره إن شاء وأن يرث زواجها من أبيه إن شاء، فجاء الإسلام ومنع ذلك منعا باتا ، وسماه المسلمون تبعا للقرآن نكاح المقت ، فقد قال تعالى : **﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ﴾** [النساء : ٢٢] **﴿ يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾** [النساء : ١٩] والإسلام اعتبر المرأة الصالحة كنزا من كنوز الدنيا هو السعادة كلها ، فقد قال عليه الصلاة و السلام : « ألا إن خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها أطاعته » وكان يوصى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنساء دائما ، ويعتبر من أعظم الفضائل الإنسانية معاملة الرجل لامرأته معاملة حسنة ، ويقول عليه الصلاة والسلام «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»

ولنترك الكلمة لكاتب أوربى هو جوستاف لوبون ، فهو يقول «تعامل المرأة المسلمة باحترام عظيم» وينقل فى ذلك عن مسيو دى أمسيس الذى لم يكن مناصرا للمبادئ الإسلامية فى أقواله « إن المرأة فى الشرق تعامل بنبل وكرم على العموم ، فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها فى الطريق، ولا يجرؤ جندى أن يسيء إلى أشد نساء الشعب بذاءة لسان حتى فى أثناء الشغب، وفى الشرق يشمل البعل زوجته بعين من رعايته، وفى الشرق بلغ الاهتمام بالأم درجة العبادة، وفى الشرق لا تجد رجلا يقدم على الاستفادة من كسب زوجته ، والزوج هو الذى يدفع المهر، وإذا طلقت الزوجة فى الشرق أو هجرت أعطاها الرجل نفقة لتعيش عن سعة ، وإن حمل الزوج بعد الفراق على القيام بهذا الإنفاق يمنعه من إساءة معاملتها حذر مطالبته بالفراق » (حضارة العرب لجوستاف لوبون - ترجمة الأستاذ عادل زعيتر) .

وما نقلنا هذا الكلام لنتخذ منه حجة ، لأن الحقائق الإسلامية براهين قوتها مستمدة من ذاتها لا من أمر خارج عنها ، ولكننا نقدمها لأولئك الذى يتبعون كتّاب الغرب ، ويقلدونهم، لأنهم لا يعتمدون على المنطق المجرد، ولكن يعتمدون على التقليد فقط، فأتينا بشهادة من يتبعونهم ولو كان الاتباع عن غير بينة .

ولعل أبلغ كلام سيق فى تقدير المرأة ما روى منسوبا إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « الجنة تحت أقدام الأمهات » وقد استرعت هذه الكلمة الكتاب المنصفين من الغرب فعلقوا على معناها تعليقا يدل على تمجيدها .

(هـ) أثبت الإسلام للمرأة ميراثا من أبيها وزوجها وأخيها ولم يكن لها شىء من الميراث فى النظم القديمة إلا فى بعض الأحوال، ومن المؤكد أنها لم يكن لها ميراث كزوجة ، وننقل إلى القارئ كلمة عن كتّاب الفرنجة، فقد قال جوستاف لوبون فى ذلك : « ومبادئ الميراث التى ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف » . ويقول : « ويظهر من مقابلتى بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة منحت حقوقا فى الميراث لانجد مثلها فى قوانينا » (الكتاب المذكور ص٣٧٤) وبذلك الكلام يتبين أن الزوجة أعطيت حق الميراث فى الشريعة الإسلامية منذ نحو أربعة عشر قرنا ولم تعط ذلك الحق إلى الآن فى بعض القوانين الأوربية ، ومع ذلك يتبجح بعض الكتاب من الشرق والغرب بأن المرأة مظلومة فى الإسلام منقوصة الحقوق، وهذا مما يشهد به بعض كتابهم ، وإن ذلك الكاتب يتوهم أن القرآن اتبع فى تشريعه ما كان عند العرب **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾** [الكهف : ٥] فهل كانت المرأة ترث عند العرب قبل الإسلام، وهل كان نظام الطلاق والزواج والمحرمات فى الإسلام كما كان عند العرب .

(و) تعدد الزوجات هذا حق أعطى للزوج ولم تعطه المرأة بالبداهة ، ومع ذلك نعتبر فائدته تعود على المرأة أكثر مما تعود على الرجل ، وذلك لسببين :

أولهما ـ أن العرب كانوا يعددون الزوجات إلى غير عدد محدود، والتوراة التى بأيدينا تبيح التعدد إلى غير عدد محدود أيضا ، ونذكر أن بعض النبيين عددوا لغير عدد، وبعض المفسرين للتوراة حدد العدد بثمانى عشرة امرأة ، ولقد جاء الإسلام فحدد العدد بأربع ، واشترط العدالة والقدرة على الإنفاق، وهو شرط فى كل زواج ولو كان واحدا ، وهو شرط دينى يأثم من يخالفه ولايبطل الزواج بتخلفه، وليس للقضاء دخل فيه ، ولا شك أن تنقيص العدد إلى أربع فيه فائدة للمرأة بدل الانطلاق ، وإن عدم تدخل القضاء وترك الأمر لحرية العاقدين واختيارهما ورضاهما ، وجعل الأمر بالنسبة للشرطين العدالة والقدرة على الإنفاق للتدين ، فيه احترام لإرادة المرأة وعدم اعتبارها قاصرا ترعاها القوانين بدلا من أن ترعى هى نفسها بوزن الأمور وحسن اختيارها وتقديرها للمصلحة، وفوق ذلك قد يكون التزوج إقالة لها من عثرة سقطت فيها مع الرجل الذى تتزوجه وله زوجة أخرى، وكان الزواج منه رفعا لها من كبوة وردا لاعتبارها .

السبب الثانى ـ أن الزواج المتعدد فيه مصلحة للمرأة على وجه عام ، وإن كان فيه إدخال الألم على الزوجة الأولى ، ولا شك أن ذلك مضرة، ولكن بالموازنة بين الضرر الذى يلحق المتزوجة ابتداء والضرر الذى يلحق بمجموع النساء عامة يتبين أن ضرر المنع أشد من ضرر الإباحة ، وقد بينا أن القياس للأحكام الشرعية هو أن تكون لأكبر نفع ولدفع أكبر ضرر، ولقد ثبت بالعرف ومجرى الأمور أن المرأة لا تقدم على الزواج من رجل متزوج إلا إذا كانت مضطرة ، إما لأنه استهواها واستهوته ولا مناص لها من الاتصال فى الحلال أو الحرام، ولا شك أن حلالا معيبا أولى من حرام مؤكد، وإن زواجا تصان فيه المرأة وتثبت لها كل حقوق الزوجة ولأولادها كل حقوق الأولاد أولى من سفاح لا يثبت لها حقوقها ولا لأولادها نسبا ولا ميراثا .

ولو منع الزواج الرسمى لكثر الزواج من غير توثيق وأدى إلى ضياع الحقوق للنساء والأولاد، وقد يكون إقدام المرأة على الزواج من رجل متزوج إذا لم يتقدم لها أحد، لأنها إذا لم تتزوج فإما أن تنحرف، وإما أن تموت أنوثتها وتضطرب أعصابها ، إلا أن تكون من ذوات الإرادات الخارقة، وكلاهما ضرر شديد بالمرأة ، وقد ثبت أنه فى البلاد التى يمنع فيها حق التعدد تكثر الخلائل أو اتخاذ الأخدان ، وخير للمرأة أن تكون حليلة بدل أن تكون خليلة .

ولنترك الكلمة لوجستاف لوبون فهو يقول : « إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصا بالإسلام، فقد عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد، ولم تر الأمم التى انتحلت الإسلام فيه جديدا ... ولا نعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تحول الطبائع فتمنع مثل ذلك المبدأ الذى هو وليد جو الشرقيين وعورقهم ، وفى الغرب حيث الجو والمزاج أقل هيمنة لم يكن مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة فى غير القوانين لا فى الطبائع حيث يندر ... ولا أرى سببا يجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوربيين ، مع أننى أبصر بالعكس ما يجعله أسمى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظرهم شزرا إلى هذا الاحتجاج » (حضارة العرب ص ٤٨٣ ترجمة الأستاذ المرحوم عادل زعيتر) .

« وقد ثبت أن الخيانة الزوجية فى الأمم القائلة بالاقتصار على زوجة واحدة تزيد باضطراد، فقد دلت الإحصاءات الرسمية التى

نشـرت على أن عدد قضايـا الزنا فى فرنسـا سنة ١٨٨٠ أصبح تسعة أمثال ما كان عليه سنة ١٨٢٦ » (هامش الكتاب المذكور ص ٤٩٦) .

هـذه حقائق ثـابتـة ، ومنذ بضع سنين قـرر كبيـر الأساقفـة فى انجلترا أنه لا سبيل لصـد تيار الانحلال الاجتماعى إلا إبـاحة تعدد الزوجات فى القـوانين الإنجليزية ، وقد أدرك بثـاقب نظره أنه ليس فى المسيحية نص يمنع تعدد الزوجـات ، ولكنه من تقاليد الكنيسة وليس من نصوص الأناجيل ولا رسائل الرسل .

(ز) الطـلاق : لعل القـارئ الجليـل يعجب أن حق الطـلاق الذى أعطيه الزوج أكسب المرأة حقوقا ، ونزيل هذا العجب فنقول ؛ إن الطلاق قبل الإسـلام عند العرب كـان يتخذ مضارة للمـرأة فكان الـرجل يطلق بأى عـدد، وإذا طلق فإنـه بمجـرد أن تقارب مـدتهـا الانتهاء لتتزوج زوجا آخر يبادر بمـراجعتها ، ويمسكها ضرارا بها ، ويستمر على هـذا الحال ، ويكررها مضارة ولعضلهـا عن الزواج ، فجاء الإسلام وجعل الطـلاق لا يتجاوز ثلاثا، ولا يحلها لـه بعدها إلا أن تتزوج غيره، ليخرجها من ربقتـه ويفتح لها باب الزواج الذى كان يحاول إغلاقه وعضلها عنه .

وإن الطلاق الذى أبيح فى الإسلام أحيط بضمانات قوية تجعل الـرجل لا يقـدر عليـه إلا إذا استحكمت النفـرة ، ولنشـر إلى هـذا بكلمـات يسيرة تـوضح أن الـزواج لا يبقى إلا حيث تكـون الرحمـة والمودة كمـا بيّن القرآن ذلك ، ولكن سبحان مقلب القلـوب، فقد تتحـول المحبـة إلى بغض والمـودة إلى منـابـذة ومنـافـرة ، فإذا استحكمت النفرة لم يكن سبيـل للبقاء، ولا مصلحة لأحـدهما فى أن تبقى تلك العلاقة التى تنافرت فيها القلوب ، فكان الفراق أمرا لا بد منـه ، ولا سبيل لأن يكون أمـام القضاء ، لأنـه ليس من مصلحة الزوجة أن تذكر أسباب النفـور منها أمام القضاء، ولا شك أنهما إذا اتفقا على الفـراق كان ذلك أمرا مقبـولا، لأن العقد الذى بـالتراضى يلغى بالتـراضى على فسخه ، وإذا لم يكن تـراض فإن الحل يكون بيد الزوج ويترتب عليه مغارم مـالية ، فما أنفق فى سبيل هذا الزواج كبير عادة، ومـا يعقب الطلاق كبير أيضا ، وهـذه المغارم بلا شك كوابح مادية تمنعـه من الطلاق إلا إذا كان متهورا ولا مصلحة لها فى معاشرته .

والإسـلام قيـد الطـلاق فى حـدود نفسيـة مع هـذه القيـود المادية ، فجعل الطلاق ثلاثا لا يقع دفعة واحدة ، والواحدة بالنسبة للمدخول بها تكون رجعية ، له أن يراجعها فى أثناء العدة لأنه عسى أن يكون قد نطق بكلمة الطلاق فى نوبة غضب جامح من غير ترو، فإذا راجعها تحسب عليه طلقة ويكون هـذا إنذارا، فإذا طلقها ثانية كان له مراجعتها فى أثناء العدة ، فإذا راجعها يكون هذا إنذارا ثانيا ، فإن كانت الثالثـة كانت البتة ، وإن لم يراجعها فى أثنـاء العدة كان ذلك دليلا على الإصرار الكامل .

وقيدت السنة الطلاق تقييدا نفسيا آخر ، فقررت أنه لا يكون فى حال الحيـض ولا فى طهر جامعهـا فيه ولا فى الحيـض قبله ، وأن تكون واحدة ، والمحققـون من العلماء قرروا أن الطلاق فـى غيرما بينه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منهاجا للسنة لا يقع ، فقد قرر الإماميـة والزيديـة وابن تيمية وابن القيم والشوكـانى وغيرهم ذلك ، وأخذوا ذلك من السنة النبوية ومن أقوال كثيرين من الصحابة .

والمـرأة عند إنشـاء عقـد الزواج تستطيع أن تحمى نفسهـا من الطـلاق وآثاره بـأن تجعل مؤخـر المهـر كبيرا أو تجعـل المهر كلـه مؤخرا ، وإن لم يقبل فذلك دليل على سوء نيته ، فإن قبلت مع ذلك تكون راضية بالطلاق ابتداء ، ولا بد أن تحزم هى وأولياؤها الأمر عند إنشاء العقـد ، وأبيح للمرأة طلب الطلاق فى نظير دفع مـا قدم من مال إذا أبغضته ولم تطق البقاء معه ، ويسمى ذلك خلعا .

هذا وقد بينا نسبة الطـلاق إلى الزواج فى بحث قدمناه فى العام الماضى ، وفيـه تبين أنه أقل عددا من نسبة الافتـراق الجسدى بين الكاثوليك («المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام» / ٣٦١ـ٣٦٧)

وقد بسط السيد محمـد رشيد رضا القول فى قضية حـرية المرأة المسلمـة من حيث سبق الإسلام فى إصـلاح أحـوالها ورفع شأنهـا باعتبـارها إنسانـة لها حقوق وعليهـا واجبات ، ويبدأ بـالكلام على المرأة قبل البعثـة المحمدية ، ثم ينتقـل إلى ما قرره الإسـلام بشأنها وذلك فى عدة نقاط ننقل لك بعضها فيما يلى :

يقول السيد محمد رشيد رضا مخاطبا نساء العالمين :

كانت المـرأة تشترى وتبـاع ، كالبهيمـة والمتاع ، وكـانت تكره على الزواج وعلى البغـاء ، وكانت تورث ولا تـرث ، وكانت تُملك ولا تَملك ، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الـرجل ، وكانوا يرون للـزوج الحق فى التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال فى بعض البلاد فى كونها إنسانا ذا نفس وروح خالدة كالـرجل أم لا ؟ وفى كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟ وفى كونها تـدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع فى رومية أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة ، وأن يكمم فمها كالبعير والكلب العقـور لمنعهـا من الضحـك ومن الكـلام لأنهـا أحبـولـة الشيطان، وكانت أعظم الشرائع تبيح للـوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق فى قتل بنتـه بل وفى وأدها « دفنها حية » أيضا . وكان منهـم من يرى أنـه لا قصاص على الرجل فيقتل المرأة ولا دية .

وكان أهم إنصاف للمرأة منحهـا إياه الشعب الفرنسى فى أوربا بعـد ميلاد محمـد ﷺ وقبل بعثتـه أن قرروا بعـد خلاف وجـدال أن المرأة إنسان إلا أنها خلقت لخدمة الرجل .

ولد محمـد ﷺ فى سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليـه السلام ،

وأصدر الفرنسيس هذا القرار النسوى فى سنة ٥٨٦ أى بعد مولده بخمس عشرة سنة ، ولم يكن يدرى هو ولا غيره بما سيجىء به من الإصلاح البشرى العام ، والإصلاح النسوى الخاص .

فهل أتاكن يا بنات حواء أنباء ما جاء به محمد نبى الرحمة من التعاليم فى حقكن ؟ هذا ما اقترح على أن أقصه عليكن ، وعلى رجال الأمم كلها فى هذه الرسالة فى هذا اليوم من ذكرى مولد محمد ﷺ سنة ١٣٥١ من هجرته ...

بعث محمد ﷺ فى أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشرا ونذيرا للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى إصلاح أنفسهم التى أفسدتها التقاليد الدينية ، والعصبيات القومية والوطنية ، وكان للنساء حظ كبير من هذا الإصلاح لم يسبق الإسلام به دين ، ولم يبلغ شأوه تشريع ، ودونكن التفصيل .

١ ـ المرأة إنسان هى شقيقة الرجل

قام محمد ﷺ يتلو على البشر آيات الله عز وجل فى كون النساء والرجال من جنس واحد ، لا قوام للإنسانية إلا بهما . وهذه أربع شهادات منها :

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [الحجرات : ١٣] .

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ [النساء : ١] .

﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل : ٧٢] .

وكان ﷺ يقول : « إنما النساء شقائق الرجال » (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة أم المؤمنين والبزار عن أنس) .

٢ ـ إيمان النساء كالرجال

قام محمد ﷺ يتلو على الناس ما أثبته الله تعالى من إيمان النساء كالرجال ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنٰت مهٰجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة : ١٠]

ومنه قوله تعالى ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتٰنا وإثما مبينا﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وقوله تعالى ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ [البروج : ١٠] .

وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعا بقوله :

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [محمد : ١٩] .

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن على النساء ما على الرجال من أركان الإسلام ، إلا أن الصلاة تسقط عن المرأة فى زمن الحيض والنفاس مطلقا ، فتتركها ولا تعيدها لكثرتها ، وأما الصيام فيسقط عنها فى زمنها وتقضى ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها ، وأما حجها فيصح فى كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهى طاهرة .

٣ ـ جزاء المؤمنات فى الآخرة كالمؤمنين

وقام يتلو على العالم فى جزاء المؤمنات كالمؤمنين آيات من الله تعالى ، منها قوله تعالى :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوٰة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقوله تعالى ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ [غافر : ٤٠] .

وقوله تعالى ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ النساء : ١٢٣ ، ١٢٤] .

وقوله تعالى فى أولى الألباب الذين يذكرونه كثيرا ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ويدعونه ﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عٰمل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ [آل عمران : ١٩٥] وفيها وعدهم جميعا بإدخالهم الجنة وحسن الثواب .

وقوله تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقوله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ٧٢] .

٤ ـ مشاركة النساء للرجال فى الشعائر الدينية والأعمال الاجتماعية والسياسية

النساء يشاركن الرجال فى العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، فتشرع لهن ، ولكن لا تجب عليهن تخفيفا عليهن ، وصح أن النبى ﷺ أذن للحيض منهن بحضور اجتماع العيد فى المصلى دون صلاته . (الحيض بتشديد الياء جمع حائض ، ومصلى العيد كان خارج البلد) .

وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن كالرجال كما تقدم ،

ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين فى أيديهن مدة الإحرام ، وقد شرع لهن من الأمور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٧١] فأثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالى والاجتماعى، وولاية النصرة الحربية والسياسية ، إلا أن الشريعة أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، فكان نساء النبى وأصحابه يخرجن فى الغزوات مع الرجال يسقين الماء، ويجهزن الطعام ، ويضمدن الجراح، ويحرضن على القتال . وقد ثبت فى الصحيحين : أن عائشة زوج رسول الله ﷺ كانت تحمل قرب الماء هى وأم سليم وغيرها إلى الجرحى فى غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم . ولما جرح رسول الله ﷺ تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده .

٥ ـ أمان المرأة للحربيين

ومن حقوق المرأة السياسية فى الإسلام أنها إذا أجارت أو أمنت أحدا من الأعداء المحاربين نفذ ذلك ، فقد قالت أم هانئ للنبى ﷺ ـ وهى بنت عمه أبى طالب ـ يوم فتح مكة « إننى أجرت رجلين من أحمائى . فقال ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » وهذا حديث صحيح متفق عليه . وفى بعض الروايات : أنها أجارت رجلا فأراد أخوها على كرم الله وجهه قتله ، فشكته إلى النبى ﷺ فأشكاها وأجاز جوارها . وفى حديث حسن عند الترمذى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعنى تجير على المسلمين اهـ وفى معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت « إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز » ونقل ابن المنذر : أن المسلمين أجمعوا على صحة إجارة المرأة وأمانها .

٦ ـ أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر

وما فى الآية من فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة ، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والأمراء فمن دونهم ، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به .

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تغالى الناس فى مهور النساء حين اتسعت دنياهم فى عصره، فخاف عاقبة ذلك ، وهو ما يشكو منه الناس منذ عصور، فنهى الناس أن يزيدوا فيها على أربعمائة درهم، فاعترضت له امرأة من قريش فقالت : أما سمعت ما أنزل الله ؟ إذ يقول ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ [النساء : ٢٠] فقال : اللهم غفرا، كل الناس أفقه من عمر. وفى رواية أنه قال : امرأة أصابت وأخطأ عمر. وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله .

٧ ـ مبايعة النبى ﷺ للنساء كالرجال

كان النبى ﷺ يبايع الرجال على السمع والطاعة والنصرة وكانت أول بيعة منه لنقباء الأنصار فى عقبة منى قبل الهجرة على بيعة النساء كما فى السيرة ، ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه ـ أى حمايته ـ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ـ وبايع المؤمنين تحت الشجرة فى الحديبية على أن لا يفروا من الموت ، سنة ست من الهجرة ـ وخصت بيعة النساء بذكر نصها فى سورة الممتحنة وهو قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولٰدهن ولا يأتين ببهتٰن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ١٢] . نزلت يوم فتح مكة وبايع النبى ﷺ بها النساء على الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الإسلام والجهاد . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبلغه عنهن وهو واقف أسفل منه .

وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهى منتقبة متنكرة مع النساء لئلا يعرفها رسول الله ﷺ وهى التى كانت أخرجت كبد عمه حمزة رضى الله عنه يوم قتل فى أُحُد فمضغتها ولاكتها شماتة وانتقاما . ولكنها كانت تتكلم عند كل جملة . قال رسول الله ﷺ « أبايعهن « ﴿ على أن لا يشركن بالله شيئا ﴾ فرفعت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال ـ وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد ـ فقال النبى ﷺ ﴿ ولا يسرقن ﴾ فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصبت من ماله هنات فلا أدرى أيحل لى أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ، فقال ﴿ ولا يزنين ﴾ فقالت أو تزنى الحرة ؟ فقال ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضى الله عنه وتبسم رسول الله ﷺ فقال ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ وهو أن تقذف ولدا على زوجها وليس منه ـ قالت هند : والله إن البهتان لقبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال ﴿ ولا يعصينك فى معروف ﴾ قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شيء . فأقر النسوة بما أخذ عليهن .

وكان ﷺ يقول لهن عند المبايعة « فيما استطعتن وأطقتن » فيقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا .

أقول : وأية رحمة ويسر فى الإسلام أوسع من تقييد الله طاعة رسوله بالمعروف، وهو لا يأمر إلا بالمعروف (ومنه منع عادات

الجاهلية فى الموتى) ثم تقييد الرسول نفسه بالاستطاعة والطاقة وفاقا لقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] وقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] وقوله تعالى ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨]

وقتل الأولاد يدخل فيه ما كان يفعله بعض العرب من وأد البنات أى دفنهن حيات ، اتقاء لعارهن أن يسبين أو يفجرن ، وقتل الصغار لأجل الفقر أو خوف الفقر إذا كبرن ، وقال بعض المفسرين : إن منه تعمد المرأة إسقاط الجنين لأى سبب من الأسباب . وأما البهتان الذى أخذ عليهن ألا يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فهو أن يلحقن بالرجل ولدا ليس له كما فسر فى الحديث - أى ولو لقيطا يلتقطنه فإن المرأة تضع طفلها كذلك ، وهذه الكناية من أبدع كنايات القرآن بلاغة ونزاهة .

ثم بايع رسول الله ﷺ الرجال بيعة النساء كما فى حديث عبادة ابن الصامت المتفق عليه ، قال « كنا مع رسول الله ﷺ فى مجلس فقال : تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - وقرأ الآية التى أخذت على النساء : ﴿ إذا جاءك المؤمنات ﴾ فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » .

وروى الإمام أحمد أن فاطمة بنت عتبة جاءت تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿ أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ الآية - فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا ، قالت : فنعم إذا . فبايعها بالآية » .

٨ - حقوق النساء فى التعليم والتأديب

بيَّن الله تعالى فى مواضع من كتابه أنه أرسل نبيه محمدا ﷺ فى الأميين ليخرجهم من الأمية ، فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ومدح العلم فى آيات كثيرة ومدحه رسوله فى مواضع لا محل لسرد شىء منها هنا ، وقد فسر بعضهم الكتاب فى هذه الآيات بصناعة الكتابة لأنه فى الأصل مصدر كتب ، ثم أطلق على المكتوب ، وكان النبى ﷺ يحث أصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها فى آية الدين [البقرة : ٢٧٢] وقد ثبت من عدة طرق أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علَّمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة .

وقد اشتركت النساء مع الرجال فى اقتباس العلم بهداية الإسلام ، فكان منهن راويات الأحاديث النبوية والآثار ، يرويه عنهن الرجال ، والأديبات والشاعرات والمصنفات فى العلوم والفنون المختلفة وكانوا يعلمون جواريهم وقيانهم كما يعلمون بناتهم وقد أجمع المسلمون على أن كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما ندبهم إليه فالرجال والنساء فيه سواء ، إلا ما استثنى مما هو خاص بالنساء لأنوثتهن فى الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتال وغير ذلك مما هو معروف .

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله وخاتم النبيين بتعليم النساء وتربيتهن أن ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى أجرهم مرتين يوم القيامة - أى مضاعفا - قوله « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » فقرن ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذى كان يرغِّب فيه كثيرا ، فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه . والحديث متفق عليه عن أبى موسى رضى الله عنه وله ألفاظ أخرى .

وإن حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات باتفاق علماء الإسلام وإن لم يرد فيه لفظ (ومسلمة) وقد صحح فى الجامع الصغير بعض طرقه . وأما متنه فصحيح بالإجماع .

وسيأتى فى الكلام على أمهات المؤمنين أن الغرض الأول من تعددهن أن يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون إليهن فيما يشكل عليهم من بعض الأحكام الشرعية ، ولا سيما السيدة عائشة رضى الله عنها .

(انظر مادة « تعدد الزوجات » فى م ٩ / ٥٥٥ - ٥٦٢) .

٩ - حقوق النساء المالية

قد أبطل الإسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك ، أو التضييق عليهن فى التصرف بما يملكن ، واستبداد أزواج المتزوجات منهن بأموالهن ، فأثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة ، فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال ، وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية ؛ وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك . ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة .

١٠ - حقهن فى الميراث

قال الله تعالى فى إبطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الإرث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قَلَّ منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء : ٧] .

ثم بيَّن نصيب كل وارث من الرجال والنساء فى آيات المواريث من هذه السورة (أعنى ١٠ - ١٢ و ١١٦) وهى مبنية على قاعدة ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء : ١١] من الآية الحادية عشرة المفصلة فى سائر الآيات . وحكمة جعل نصيب المرأة نصف

نصيب الرجل أن الشرع الإسلامى أوجب على الرجل أن ينفق على المرأة فبهذا يكون نصيب المرأة مساويا لنصيب الرجل تارة وزائدا عليه تارة أخرى باختلاف الأحوال إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأنثى وترك لهما ثلاثة آلاف دينار مثلا كان للذكر ألفان ولأخته ألف ، فإذا تزوج هو فإن عليه أن يعطى امرأته مهرا وأن يعد لها مسكنا وأن ينفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية ، ففى هذه الحالة تكون الألفان له ولزوجه ، فيكون نصيبه بالفعل مساويا لنصيب أخته أو أقل منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شىء وفى هذه الحالة يكون ماله الموروث دون مال أخته . فإنها إذا تزوجت ، كما هو الغالب ، فإنها تأخذ مهرا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها أن تستغل ما ورثته من أبيها وتنميه لنفسها وحدها؛ فلو لم يكن للوارثين إلا ما يرثونه من أمواتهما لكانت أموال النساء دائما أكثر من أموال الرجال ، إذا اتحدت وسائل الاستغلال، فيكون إعطاؤهن نصف الميراث تفضيلا لهن عليهم فى أكثر الأحوال؛ إلا أن سببه أن المرأة أضعف من الرجل عن الكسب؛ ولها من شواغل الزوجية وما يتصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الأمومة ما يصرفها عن الكسب الذى تقدر عليه، وهو دون ما يقدر عليه الرجل فى الغالب ـ فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والدار والأولاد على الرجل ظلما له وتفضيلا للمرأة عليه فى المعيشة ووجه إعطاء المرأة ما تعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتح لها الزواج أو مات زوجها ولم يترك لها ما يقوم بأودها، فهو من قبيل المال الاحتياطى لها وللأسرة .

١١ ـ مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الإسلامية المحمدية فى تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التى يجرى عليها البشر فى الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترن بها مهرا مقدما على البناء بها من حيث تفرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع هى المهر للرجل ـ ولكنهم يسمونه باسم آخر فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالاً تقدمه لمن يقترن بها إذا لم يكن لها ولى من والد أو غيره يبذل لها هذا المال ، وكثيرا ما تركب الأوانس الناعمات أخشن المراكب وتتعرض للعنت والتفريط فى العرض والشرف، فى سبيل تحصيل هذا المال .

وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهرا لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها ، لأنه ليس لها أن تتصرف بمالها وهى متزوجة .

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضا حتما وحرم عليه أن يأكل شيئا منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [النساء : ٤] والنحلة فى اللغة العطاء الذى لا يقابله عوض، فقول الفقهاء إن المهر فى معنى ثمن الاستمتاع مخالف للغة ، ورد عليهم شيخنا الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية رحمه الله) فقال : كلا إن الصلة بين الزوجين أعلا وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ، ولذلك قال «نحلة» فالذى ينبغى أن يلاحظ أن هذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى وتوثيق عرى المودة والرحمة ، وإنه واجب حتم لا تخيير فيه ، كما يتخير المشترى والمستأجر ، وترى عرف الناس جاريا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه بالهدايا والتحف اهـ كلامه ولكنه قال فى موضع آخر : إن حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برياسة الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ، وسيأتى .

والخطاب يحتمل وجها آخر وهو أن الخطاب للأولياء الذين يزوِّجون اليتامى وغير اليتامى، فقد كان ولى المرأة فى الجاهلية يزوجها ويأخذ صداقها لنفسه دونها فنهى الله الأولياء فى الإسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى ﴿ فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ [النساء : ٤] أى فإن طابت أنفسهن عن شىء من المهر فأعطينه من غير إكراه ولا إلجاء بسبب سوء العشرة ، ولا إخجال بالخلابة والخديعة ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : من غير ضرار ولا خديعة ﴿ فكلوه هنيئا مريئا ﴾ أى سائغا لا غصص فيه ولا تنغيص ، فإذا طلب منها شيئا فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تخفى .

١٢ ـ الزواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب فى الجاهلية أنواع من الزواج الفاسد الذى كان يوجد عند كثير من الشعوب ، ولا يزال بعضه إلى اليوم فى البلاد التى تغلب عليها الهمجية ـــ فمنها اشتراك الرهط من الرجال فى الدخول على امرأة واحدة وإعطاؤها الحق فى الولد أن تلحقه بمن شاءت منهم .

ومنها نكاح الاستبضاع وهى أن يأذن الرجل لزوجه إن تمكن من نفسها رجلا معينا من الرؤساء والكبراء الممتازين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله .

وهذان النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائمة فى بعض البلاد ، وكان عند العرب موقتا ومقيدا بما ذكرنا .

ومنها : السفاح بالبغاء العلنى وكان عند العرب خاصا بالإماء دون الحرائر ومنها اتخاذ الأخدان أى الصواحب العشيقات ، وكان عرب الجاهلية يستترون به ويعدون ما ظهر منه لؤما وخسة ـ وهذان النوعان عامان شائعان فى بلاد الإفرنج كلها جهرا ، وقد سرى منهم إلى بلاد الشرق التى غلب عليها نفوذهم عليها أو على حكامها .

ومنها : نكاح المتعة وهو الموقت ، وقد شاع فى بلاد الإفرنج أخيرا ويسمونه نكاح التجربة .

ومنها : نكاح البدل والمبادلة وهو أن يتزل رجلان كل منهما

عن امرأته للآخر ونكاح الشغار، وهو أن يزوج كل من الرجلين الآخر بنته أو أخته أو غيرهن ممن تحت ولايتهما بدون صداق ــ وهذان النوعان مبنيان على قاعدة حسبان المرأة ملكا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف فى بهائمه وأمواله ، ولا يزالان يوجدان فى بعض الشعوب الفاسدة أو الهمجية كالغجر. والغبن فى كل ذلك على النساء ، فهن اللائى يحملن أثقاله وأوزاره الجسمية والأدبية والمالية .

وأما المرتقون من العرب كقريش، فكان نكاحهم هو الذى عليه المسلمون وبعض الشعوب الراقية ، من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذى أقره الإسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد فى تزويجهن كرها أو عضلهن أى منعهن من الزواج أو أكل مهورهن ، وكذا تعددهن بغير حد فى العدد ولا قيد فى المصلحة ولا شرط فى العدل ولا فى الحقوق ـ أبطل الإسلام كل المظالم الخالصة وقيد منها ما فيه وجهان بما يرجح المصلحة على المفسدة والعدل على الظلم .

١٣ ـ ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه

جمع الإسلام بين جعل حق التزويج لولى المرأة وحق المرأة فى قبول من ترضاه من الأزواج ورد من لا ترضاه ، فمنع الأولياء من الاستبداد فى تزويج مولياتهم من بنات وأخوات وغيرهن بغير رضاهن، وكان من ظلم الجاهلية لهن ، بل لا يزال الوالدان يكرهان البنات على الزواج بمن يكرهن من الرجال فى جميع الأمم على ما فيه من الشقاء والفساد، كذلك منع المرأة من التزوج بغير كفء يرضاه أولياؤها وعصبتها فيكون تزوجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم وبين عشيرته بالتبع له ، بدلا من تجديد مودة وتعاون بمصاهرته . وليس للأولياء ولا للوالد نفسه أن يمتنع من زواجها بأى كفء ترضاه .

روى الجماعة كلهم (الجماعة أحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تنكح الأيم (الأيم : بتشديد الياء غير المتزوجة بكرا كانت أم ثيبا) حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن ــ قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » ورووا ـ إلا البخارى ـ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها و إذنها صماتها » أى سكوتها يكتفى به ، فلا تكلف التصريح لحيائها كما روى عن عائشة « أنها سألت النبى ﷺ عن استئذان البكر فقالت إن البكر تستأذن فتستحى فتسكت فقال : سكاتها إذنها » متفق عليه وروى الجماعة إلا مسلما عن خنساء بنت خذام الأنصارية « أن أباها زوجها وهى ثيب ، فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها أى أبطله » قال بعض المحققين لا يكون سكوت البنت إذنا للأب بتزويجها إلا إذا كانت تعلم ذلك . فإن كانت لا تعلم فينبغى إعلامها .

وروى أحمد والنسائى من حديث ابن بريدة ، وابن ماجه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال « جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته قال فجعل ﷺ الأمر إليها ، فقالت قد أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من شىء » تعنى أنه ليس لهم إكراههن على التزوج بمن لا يرضينه .

قالت المؤلفة : أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الموسوم بفقه الكتاب والسنة ورفع الحرج عن الأمة » فصلا فى إجبار الأب ابنته على الزواج (ص ١٨٠ ـ ١٨٧) فارجع إليه إن شئت الاستزادة .

وروى الترمذى من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قال « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ورواه من حديث أبى حاتم المزنى بلفظ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه » ... إلخ ورواه أبو داود فى المراسيل .

١٤ ـ أركان الزوجية الفطرية فى الإسلام

أرشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم إلى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان (أو أقانيم) يجب عليهم تحريها فيها ، وهى ما أشرنا إليه فى صدر هذه الرسالة وصدرناها بآيتها من قوله عز وجل ﴿ **ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [الروم : ٢١] .

فالسكون النفسى الجنسى وهو الركن الأول من هذه الأركان خاص بالزوجين ...

و إنما تكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى إليه من قصد الإحصان فى النكاح وهو أن يقصد به كل من الزوجين إحصان الآخر ـ أى إعفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية إلى المسافحة أو اتخاذ الأخدان لأجل اللذة فقط ، وقصارى هذا الإحصان أن يقصر كل منهما هذا الاستمتاع على الآخر ، ويقصد حكمته أى وسيلة النسل وحفظ النوع البشرى على أسلم وجه وأفضله قال الله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسٰفحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة** ﴾ [النساء : ٢٤] ثم قال بعدها فى نكاح الإماء : ﴿ **فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنٰت غير مسٰفحت ولا متخذت أخدٰن** ﴾ [النساء : ٢٥] .

وقال فى سورة المائدة ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان** ﴾ [المائدة : ٥] .

والركن الثانى من أركان الزوجية المودة ، أى المحبة التى يظهر

أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما ـ والركن الثالث الرحمة التى لا تكمل للإنسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة ورحمتهما لأولادهما ، فيكون لكل البشر أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة ، إذا لم يكن فساد التربية والمعاشرة أو تعاليم العداوات والعصبيات بين البشر مفسدة لها أو قاصرة لها على المشاركين فى القومية أو العقيدة أو الوطن ، ومن تفكر فى هذه الأركان الثلاثة حق التفكر علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التى هى جل سعادة الإنسانية . ولذلك قال تعالى بعد بيانها ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١] كما ترد فى [الرعد : ٣] و [الزمر : ٤٢] ، و [الجاثية : ١٣] ولكن المؤلف قصد آية الروم

١٥ ـ المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

إن الإصلاح الأكبر الذى جاء به الإسلام ، ونزل به القرآن فى شأن النساء هو الآية ٢٢٨ من سورة البقرة ، فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والدعاوى والعادات والتقاليد التى يستبد بها الرجال الأقوياء ويستعلون على النساء الضعيفات فى أنفسهن وأموالهن وأولادهن . وقد فسرنا هذه الآية فى الجزء الثانى من تفسيرنا بما بينا به هذه الدرجة وننشر هنا ملخصه وهذا نصه :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

هذه كلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير، فهى قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر عنه بقوله تعالى ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء ﴾ [النساء : ٣٤] وقد أحال فى معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى أهليهن ، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم ، فهذه الجملة تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشئون والأحوال ، فإذا همَّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما « إننى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى لهذه الآية» .

وليس المراد بالمثل المثل لأعيان الأشياء وإنما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء ، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها إن لم يكن مثله فى شخصه ، فهو مثله فى جنسه ، فهما متماثلان فى الحقوق والأعمال ، كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل، أى أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر فى مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ، ويكره ما لا يلائمه وما ينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر، ويتخذه عبداً يستذله ويستخدمه فى مصالحه لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة التى لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه .

قال الأستاذ الإمام قدس الله روحه : هذه الدرجة التى رفع النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق و لا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده ، وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها فى الحضارة والمدنية أن بالغت فى تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ـ لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها . وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف ...

وأما قوله تعالى ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء ، ذلك أن هذه الدرجة هى درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء : ٣٤] فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه فى الخلاف، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ، ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هى مطالبة بطاعته فى المعروف ... إلخ .

١٦ ـ مقتضى الفطرة فى أعمال الزوجين

هذا و إن ما تقرر فى السنة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة ـ والإسلام دين الفطرة ـ فقد فضل الله الرجل فى خلقته بقوة فى الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالأسرة ، والعام للأمة والدولة ، ومن ثم فرض عليه النفقة ، وبها كان الرجال قوامين على النساء، يتولون الرياسة العامة والخاصة التى لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها، فعليه جميع الأعمال الخارجية فى أصل الفطرة ، وهذا ما عليه جميع أمم الحضارة .

ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الأطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شئونه، ولها الرياسة فى جميع الأعمال الداخلية المحضة فيه . قال النبى ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » الحديث وهو متفق عليه .

ولا ينازع فى تفضيل الله الرجل على المرأة فى نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر، فهو أكبر دماغا وأوسع عقلا، وأقوى عضلا، وأعظم استعدادًا للعلوم وأقدر على مختلف الأعمال ...

ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جناية سوء التربية

وفساد النظام يرى أن الثابت فى غرائزهن أن خير الأزواج وأولاهم بالاختيار من كان قادرا على الكسب وحماية النسل وصيانته. وما تتوقف عليه تربيته إلى أن يبلغ أشده وقد ألقت غير واحدة من الصحف الإفرنجية ولا سيما الإنكليزية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الأزواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا .

على أن هذا النظام الفطرى الشرعى فى الزوجية لا يمنع غير الزوجات والأمهات من المسلمات أن يشتغلن بالتوسع فى بعض العلوم والأعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهن ، وإنما الأفضل والأنفع لهن ولأمتهن وللإنسانية كلها أن يتقن العلوم والأعمال الخاصة بالزوجية والأمومة ، وقد صارت فى هذا العصر كبيرة وكثيرة.

١٧ ـ رياسة الرجل فى البيت شورية لا استبدادية

وردت النصوص الكثيرة فى كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين فى جعل إدارة المنزل والأسرة مقيدة بأوامر الشريعة ونواهيها، وبالعرف المرعى بين الناس فى المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة فى حالتى الحب والكره والرضا والسخط قال الله تعالى **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾** [النساء : ١٩] ...

والقاعدة الشرعية فى نظام المنزل : التزام كل من الزوجين العمل بإرشاد الشرع فى كل ما هو منصوص عليه ، والتشاور والتراضى فى غير المنصوص عليه ومنع الضرر والضرار بينهما ، وعدم تكليف أحدهما الآخر ما ليس فى وسعه ، والأصل فى قاعدة هذه الأحكام كلها قوله تعالى : **﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾** [البقرة : ٢٢٣] وهى فى الوالدات المطلقات فالثابتات الزوجية أولى منهن بالتراضى والتشاور مع الوالد فيما فيه المصلحة لولدهما . وهو يدخل فى وصفه تعالى للمؤمنين بقوله **﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾** [الشورى : ٣٨] .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » رواه الترمذى عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبرانى عن معاوية وهو صحيح . وقال : « خيركم خيركم للنساء » رواه الحاكم عن ابن عباس وقال : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » رواه ابن عساكر عن على وهو صحيح كما علم عليه السيوطى فى الجامع الصغير (٢ / ١٢) . وقال ﷺ لعمر حين سأله عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضة « ألا أخبرك بخير ما يكنز ؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » رواه ابن أبى شيبة وأبو داود وأبو يعلى وغيرهم .

١٨ ـ وظائف الرجال والنساء وأعمالهما

قال الله تعالى فى سورة النساء **﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما ﴾** [النساء : ٣٢] .

ذكرنا فى الجزء الخامس من تفسير المنار أنه ورد فى سبب نزول هذه الآية وموضوعها ثلاث روايات :

الأولى : عن مجاهد أن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت « يا رسول الله : يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث » .

الثانية : عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال .

الثالثة : عن قتادة والسدى قالا : لما نزل قوله تعالى **﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾** [النساء : ١١] قال الرجال : إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن فى الميراث، فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء . وقالت النساء : إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال فى الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم فى الدنيا . كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفى غيره مما فى معناه . ونقلنا عن أستاذنا الإمام فى تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة فى فهم الآية ومعناها ظاهر، وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء. وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال، وليس لأحد أن يتمنى ما هو مختص بالآخر، وجعل الخطاب عاما للفريقين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء، وهو الولادة وتربية الأولاد وغير ذلك مما هو معروف ، وإنما كان النساء هن اللواتى تمنين عمل الرجال، وأى عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولة ، وهو حماية الذمار والدفاع عن الحق بالقوة، ففى هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن ، وهى موضع للرأفة والرحمة لضعفهن وإخلاصهن فيما تتمنين . والحكمة فى ذلك أن لا يظهر ذلك التمنى الناشىء عن الحياة الملية الشريفة منهن فإن تمنى مثل هذا العمل غريب عن النساء جدا ، وسببه أن الأمة فى عنفوان حياتها يكون النساء والأطفال فيها مشتركين مع الرجال فى هذه الحياة وفى آثارها ، وأنها لتسرى فيها سريانا عجيبا، ومن عرف تاريخ الإسلام ونهضة العرب به وسيرة النبى ﷺ والمؤمنين به فى زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال فى كل منقبة وكل

عمل ، فقد كن يأتين ويبايعن النبى ﷺ تلك المبايعة المذكورة فى(سورة الممتحنة) كما كان يبايعه الرجال وكن ينفرن معهم إذا نفروا للقتال، يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الأعمال ، فأراد الله أن يختص النساء بأعمال البيوت والرجال بالأعمال الشاقة التى فى خارجها ليتقن كل منهما عمله ، ويقوم به كما يجب مع الإخلاص له . وتنكير لفظ « نصيب » لإفادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه ، وإنما الأجر على ما عمل بالإخلاص ـ أى ففى الكلام حث ضمنى عليه ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أى ليسأله كل منكم الإعانة والقوة على ما نيط به حيث لا يجوز له أن يتمنى ما نيط بالآخر. ويدخل فى هذا النهى تمنى كل ما هو من الأمور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة فى تمنيها لمن لم يعطها . ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الإنسان من الأمور الكسبية ، إذ يحمد من الناس أن ينظر بعضهم إلى ما نال الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيرا منه بالسعى والجد ، كأنه يقول : وجهوا أنظاركم إلى ما يقع تحت كسبكم ؛ ولا توجهوها إلى ما ليس فى استطاعتكم، فإنما الفضل بالأعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم اهـ المراد نقله .

١٩ ـ درجة الرجال على النساء : الرياسة

بعد هذا النهى لكل من الرجال والنساء عن تمنى ما اختص به الآخر بمقتضى الفطرة التى أكملها الله بدين الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفضيل بقوله :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء : ٣٤] .

وقد كتبت فى تفسيرها من الجزء الخامس (من تفسير المنار) ما نصه :

أى أن من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهم الجهاد دونهم ، فإنه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن ، لأن عليهم من النفقة ما ليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء فى أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت فى التكاليف والأحكام ، أثر التفاوت فى الفطرة والاستعداد، وثم سبب آخر كسبى يدعم السبب الفطرى، وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم ، فإن فى المهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة، وهو أن يكون زوجها قيما عليها فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التى يتواضع الناس عليها بالعقود لأجل المصلحة ، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة ، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هى درجة القيامة والرياسة ، ورضيت بعوض مالى عنها، فقد قال تعالى : **﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾** [البقرة : ٢٢٧] فالآية أوجبت لهم هذه الدرجة التى تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة إعطاؤها عوضا ومكافأة فى مقابلة هذه الدرجة ، وجعلها بذلك من قبيل الأمور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين ، ولا يقال إن الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض ، فإنا نرى النساء فى بعض الأمم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذى لا يستطيع عصيانه إلا بعض الأفراد ؟

الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشادة والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه أى ملاحظته فى أعماله وتربيته ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ، ولو لنحو زيارة أولى القربى ، إلا فى الأوقات والأحوال التى يأذن بها الرجل ويرضى .

قال : والمراد بتفضيل بعضهم عن بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهن) أو قال (بتفضيلهم عليهن) لكان أخصر وأظهر فيما قلنا إنه المراد ، وإنما الحكمة فى هذا التعبير هى عين الحكمة فى قوله ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ وهى إفادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد . فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن .

أقول : يعنى أنه لا ينبغى للرجل أن يبغى بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة إن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها ، فإنه لا عار على الشخص أن كان رأسه أفضل من يده وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فإن تفضيل بعض أعضاء البدن على بعض بجعل بعضها رئيسيا دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله ؛ لا ضرر فى ذلك على عضو ما، وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الأعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة فى فضل الرجل على المرأة فى القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذى يتيسر لها به القيام بوظيفتها الفطرية وهى الحمل والولادة وتربية الأطفال وهى آمنة فى سربها ، مكفية ما يهمها من أمر رزقها. وفى التعبير حكمة أخرى، وهى الإشارة إلى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها فى العلم والعمل به وفى قوة البنية والقدرة على الكسب ؟ ... إلخ (نداء للجنس اللطيف / ٢ ـ ٣١) .

وكما بسط العلماء القول فى قضية حقوق المرأة فى الإسلام على النحو الذى أوردناه آنفا ، تلك القضية التى لا يزال أعداء الإسلام يخوضون فيها حتى يومنا هذا ، فإن الناظم لم يفته أن يدلى بدلوه فى الدلاء، فنجد السيد عبد الحميد الخطيب يضمِّن هذا كله قصيدته الحافلة الموسومة بسيد ولد آدم محمد ﷺ مما نقل بعضه فيما يلى : قال الناظم :

وظائف المرأة والرجل :

والشرع قدر حالة الأنثى فأو
لاها عظيم العطف والعجزات
وأنالها شأنا عظيما فى الورى
حتى غدت فى موضع المهجات
يسعى الرجال لوصلها ويقدمو
ن لها عزيز المال والحليات
ليتوجوها الملك فى بيت لهم
هو موطن الإسعاد والبهجات
والله قد قسم الوظائف بينهم
كل بما يستطيع من فعلات
وبما أعد الله فيه من القوى
ومؤهلات الجسم والميزات
وللطفها قد خصها بوظائف
فى البيت تعجز كامل القوات
هو أمر حمل الطفل ثم رضاعه
مع حفظ صحته من الآفات
وغذائه بالعلم والتثقيف كى
يغدو كريم الخلق والعادات
وإدارة البيت التى من شأنها
تدبيره فعلا وبالحكمات
أما الرجال فهم أولو بأس وأعـ
ـظم فى القوى وأشد فى العضلات
ولذلك قد عهد الإله إليهم
بالسعى فى دأب على النفقات
متحملين لما يكون وراء ذا
من غربة وعظائم العقبات
وقضى عليهم أن يعولوا نسوة
ممن يلذن بهم ومن زوجات
ويفكروا فيما يؤمِّن سعدهن
ويدفعوا عنهن شر بغاة
ويجاهدوا فى الله حق جهاده
ويحصنوا الأوطان بالآلات
وعليهم قد أوجب الإنفاق إذ
هم فى الحقيقة واضعو البذرات
وهم الذين تسببوا فى حملهن
معرضين لأعظم الويلات
بل إنهم جلبوا لهن مشاغلا
عظمى بهم وبزهرة الفلذات
وإدارة البيت الذى هو للرجا
ل وسيلة الإسعاد والراحات
ورعاية الأطفال بل ورضاعهم
من ثديهن أطايب الأقوات
وكذاك تربية البنين فإنهن
مدارس الأخلاق فى النسمات
فإذا تفرغ كل حزب للذى
قد خصه من تلكم القسمات
وتضافر الجنسان فيما بينهم
عاشا معًا فى أحسن الحالات
وإذا ابتغى كل وظائف غيره
وتشاركا فى معظم المهنات
وتشاغلا فى غير ما من أجله
خلقا فذاك المفسد الفطرات
والله فصَّل فى الكتاب جميع ما
يختص بالأزواج والزوجات
وقضى بطاعتهن للأزواج خشـ
ـية فرقة لتنازع السلطات
ولأن فى هذا الخضوع وسيلة
لتبادل الآراء بالحكمات
ويتم تدبير المعيشة بينهم
بمحبة وتفاهم وثقات

ثم يهاجم الناظم دعاة تحرير المرأة الذين ظلموها بإقحامها فيما لم تعدها الفطرة له . وينتقل بعد ذلك إلى تقرير حقيقة هى أن رسول الله ﷺ هو أول محرر للمرأة ، فيقول عن دعاة تحرير المرأة :

وغدا الذين دعوا إلى تحريرها
ن أشد من يغلى من النقمات

ولــــو أنهم رامـــوا النصيحـــة للنســـا
ء لأحجمـــوا عن هــــذه البـــدعــــات
ولصـــارحـــوهــــا القـــول أن نبينـــا
هـــو وحـــده من حـــرَّر الفتيــــات
إذ كـــان وأد البنت أمـــرا شـــايعـــا
والأمهـــات يبعن كـــالسلعـــات
فأتى وحـــارب مـــا عليـــه قـــومـــه
مـــن ظلمهـــن وســوء العـــــادات
بل إنـــه شـــرع التســـاوى فى الحقـــو
ق ومـــا قضـــاه الله من طـــاعـــات
وأبى عليهـن المـــذلـــة إذ رمى
بـــاللـــوم من يغلبهـن بـــالقســـوات
وخيـــار خلق الله سمى من غـــدا
خيـــراً بهـن ومحسـن العشـــرات
ودعـــا لتقـــديم الإنـــاث على الـــذكـــو
ر إذا أريـــد القسم للصـــدقـــات
ودعـــا إلى تعليمهـن وخصهـن
بـــدرســـه فى تلكم الأوقـــات
وعنى بعـــائشـــة وقـــال لنـــا خـــذوا
عنهـــا فمـــا فى قـــولهـــا ريبـــات
ولهـــا أشـــار بأن تعلم حفصـــة
علـم الخطـــوط كـــرقيـــة النمـــلات
ولغـــايـــة التـــوقيـــر قـــال وقـــرن دو
مـــا فى البيـــوت كأعظم الملكـــات
تـــرعين صـــالحهـــا وليس لكنَّ أن
تمشين مشى الســـوء فى الطـــرقـــات
لتصيُّـــد الـــرائين أو إيقـــاع من
تلقينـــه فى الســـوق فى الشبكـــات
وتخـــالط الجنسين مـــوضـع ريبـــة
لا سيمـــا فى حـــالـــة الخلـــوات
لا يستســـاغ لمـــا يجـــر وراءه
مـن فتنـــة وعظـــائم البلـــوات
ولهـن أعطى الحـق فى أمـــوالهـن
وفى اختيـــار الـــزوج فى حـــالات
وكـــذاك فى تقـــريـــر كـل حقيقـــة
تكـــذيبهـــا يستـــوجب اللعنـــات
ولهـن حـق الاعتـــراض على الـــذى
لا يستقيـم وأمـــر عـــالى الـــذات
مـن دون أن يفـــرض عليهـن المنـــا
عـب أو يحملهـن مـن تبعـــات
ممـــا يحملهـن أهـل الغـــرب من
ضـــر لأخـــذ الـــرأى فى الجلســـات

(سيد ولد آدم / ١٠٩ ـ ١١٢) .

قالت المؤلفة : بالنسبة للبيت الثانى عشر أعلاه أورد يحيى سلوم العباسى الخطاط من بين النساء الخطاطات حفصة بنت عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما وقال عنها : أخذت الكتابة عن الشفا بنت عبد الله العدوية ، وهى التى قال عنها النبى ﷺ « علمى حفصة رقية النمل كما علمتها الكتابة » (الخط العربى / ١١١) انظر حفصة بنت عمر بن الخطاب .

ويمضى الناظم بعد ذلك فى الكلام على مسئولية المتعصبين ضد المرأة ، ونضال المرأة وواجب الرجل فارجع إلى النص إن شئت فى ص ١١٢ ـ ١١٥ .

(« المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » ـ فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة . الأزهر . مجمع البحوث الإسلامية . جمادى الآخر ١٣٨٦ هـ ـ أكتوبر ١٩٦٩ م ، المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية / ٣٦١ ـ ٣٦٧ ، ونداء للجنس اللطيف ـ السيد محمد رشيد رضا / ٢ ـ ٣١ ، وسيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ١٠٩ ـ ١١٢ . انظر أيضا الدين الإسلامى ـ الشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عنانى / ١٢٢ ـ ١٣٤ ، ومحاسن الإسلام ـ محمد سعد بن عبد الله الرباط ابن العباسى / ١٧٩ ـ ١٨٤ ، وفقه الكتاب والسنة ورفع الحرج عن الأمة للإمام العلامة تقى الدين ابن تيمية ـ تحقيق وتعليق فريد بن أمين الهنداوى / ١٨٠ ـ ١٨٧ ، والخط العربى : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١١١) .

انظر آداب المرأة المسلمة فى م ١ / ٣٦٣ ـ ٣٦٨ .

*** حقوق المسلم :**

عن حقوق المسلم يقول الإمام النووى تحت عنوان « درس فى حقوق المسلمين وقضاء حوائجهم » :

قال الله تعالى ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ﴾ [النور : ١٩] روى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا » وروى الشيخان عن النعمان ابن بشير رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس» وفى رواية مسلم زيادة وإذا استنصحك فانصح له وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره» وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه «معنى النجش أن يزيد فى ثمن سلعة ينادى عليها فى السوق ونحوه ولا رغبة له فى شرائها بل يقصد أن يضر غيره وهذا حرام قاله النووى رحمه الله تعالى (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٣١ـ٢٣٤) .

وعن حقوق المسلم أيضا يقول الإمام ابن قدامة :

فمن حقوق المسلم : أن تسلم عليه إذا لقيته ، وتجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبر قسمه ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك . وجميع هذا منقول فى الآثار.

ومنها : أن لا تؤذى أحدا من المسلمين بقول ولافعل ، وأن تتواضع للمسلمين فلا تتكبر عليهم ، ولا تسمع بلاغات الناس بعضهم فى بعض ، ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض .

ومنها : أن لا تزيد فى الهجرة على ثلاثة أيام لمن تعرفه ، للحديث المشهور فى ذلك .

وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاثة أيام ، فإذا مرت به ثلاثة أيام فلقيه فليسلم عليه ، فإن رد عليه السلام ، فقد اشتركا فى الأجر، وإن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة » .

واعلم : أن هذه الهجرة إنما هى فيما يتعلق بالدنيا ، أما حق الدين ، فإن هجران أهل البدع والأهواء والمعاصى ينبغى أن تدوم ، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق .

ومنها : أن يحسن إلى كل من يقدر أن يحسن إليه من المسلمين ما استطاع ، وأن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه ، ويستأذن ثلاثا فإن لم يأذن انصرف .

ومنها : أن يخالق الناس بخلق حسن ، وذلك أن يعامل كلا منهم بحسب طريقته ، فإنه متى لقى الجاهل بالعلم ، واللاهى بالفقه ، والغبى بالبيان ، أذى وتأذى .

ومنها : أن يوقر المشايخ ، ويرحم الصبيان ، وأن يكون مع الخلق كافة طلق الوجه رقيقا ، وأن يفى لهم بالوعد ، وينصف الناس من نفسه ، ولا يأتى إليهم إلا ما يحب أن يُؤتى إليه .

قال الحسن : أوحى الله إلى آدم عليه السلام أربع كلمات ، قال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين الخلق . فأما التى لى : فتعبدنى لا تشرك بى شيئا . وأما التى لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه ، وأما التى بينى وبينك : فعليك الدعاء وعلىَّ الإجابة وأما التى بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به .

ومنها : زيادة توقير ذوى الهيئات .

ومنها : إصلاح ذات البين ، وستر عورات المسلمين .

واعلم : أنه من تأمل ستر الله تعالى على العصاة فى الدنيا اقتدى بلطفه ، فإنه جعل الشهادة فى الزنى أن يشهد أربعة من العدول أنهم شهدوا ذلك كالميل فى المكحلة ، وهذ لا يتفق، ومن هذا أثر كرمه فى الدنيا يرجى منه ذلك فى الآخرة .

ومنها : أن يتقى مواضع التهم ، صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن به ، وألسنتهم عن غيبته .

ومنها : أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ، ويسعى فى قضاء حوائجهم .

ومنها : أن يبدأ بالسلام كل مسلم قبل أن يكلمه ، ومن السنة المصافحة ، فقد روى عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من مُسْلِمَيْن التقيا، فأخذ أحدهما بيد صاحبه، إلا كان حقا على الله عز وجل أن يحضر دعاءهما ، وأن لا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما » .

وفى حديث آخر : « إذا صافح المؤمن المؤمن نزلت عليهما مائة رحمة ، تسعة وتسعون لأبشهما وأحسنهما خلقا » (قال الحافظ العراقى: رواه البزار فى مسنده، والخرائطى فى مكارم الأخلاق، والبيهقى فى الشعب ، وفى إسناده نظر) .

ولا بأس بتقبيل يد المعظَّم فى الدين ، ولا بأس بالمعانقة .

وأما الأخذ بالركاب لتوقير العلماء ، فقد فعل ذلك ابن عباس بزيد ابن ثابت رضى الله عنهما ، والقيام على سبيل الإكرام لأهل الفضل حسن ، وأما الانحناء فمنهى عنه .

ومنها : أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم الغير، ويناضل دونه وينصره .

ومنها : أنه إذا ابتلى بذى شر، فينبغى أن يجامله ويتقيه ، لحديث عائشة رضى الله عنها .

وقال محمد ابن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله عز وجل له فرجا .

ومنها : أن يجتنب مخالطة الأغنياء، ويختلط بالمساكين ، ويحسن إلى الأيتام .

ومنها : عيادة مرضاهم .

ومن آداب العائد : أن يضع يده على المريض، ويسأله كيف هو ، ويخفف الجلوس ، ويظهر الرقة ، ويدعو له بالعافية ، ويغض البصر عن عورات المكان .

ويستحب للمريض أن يفعل ما أخرجه مسلم فى أفراده، من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

وجملة آداب المريض : حسن الصبر ، و قلة الشكوى والتضجر، والفزع إلى الدعاء ، والتوكل على الله سبحانه .

ومنها : أن يشيع جنائزهم ، ويزور قبورهم .

والمقصود من التشييع : قضاء حق المسلمين، والاعتبار.

قال الأعمش : كنا نحضر الجنائز، فلا ندرى من نعزى لحزن القوم كلهم والمقصود من زيارة القبور: الدعاء ، والاعتبار ، وترقيق القلب .

ومن آداب تشييع الجنائز : المشى ، ولزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكير فى الموت ، والاستعداد له (مختصر منهاج القاصدين / ١٠٥ _ ١٠٨) .

وقد أورد طاش كبرى زاده صاحب مفتاح السعادة هذا الذى أورده الإمام ابن قدامة ونقلناه أعلاه ، ثم أجمل الكلام عليه بقوله .

وجملة الكلام : أن لا تستصغر أحدا منهم حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدرى لعله خير منك ، وإن كان فاسقا فلعله يختم بالصلاح وتختم أنت بمثل حاله، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم فى دنياهم فإن الدنيا صغيرة إلى الله ، وإذا عظمت تستحق المقت ، ولا تبذل دينك لدنياهم فتصغر فى أعينهم ثم تحرم دنياهم، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير، ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ولاتنال الغرض، ولا تطمع أن يكون لك فى الغيب والسر كما فى العلانية، فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به، ولا تتكبر عليهم لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على فعلك، وإذا قضى أحد حاجتك فهو أخ مستفاد فإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا، ثم إنك لا تقدر مقاساته .

ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك، ولا تعظ إلا إرسالا من غير تنصيص على أحد، وإذا رأيت منهم خيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك إليهم ، وإذا رأيت شرا أو بلغك منهم غيبة أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم ، ولا تشغل بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر ، ولا تقل لهم : لم لا تعرفون قدرى وموضعى، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض للقلوب، وكن سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم .

واحذر صحبة أكثر الناس: فإنهم إن صحبوك لا يقيلون العثرة، ولا يغفرون الزلة، ولايسترون العورة ، ويحاسبون على النقير والقطمير، ويحسدون على القليل والكثير، ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون ولا يعفون، يعيرون الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة أكثرهم خسران ، وقطيعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليجبهوك بها فى غضبهم ووحشتهم .

ولا تعول على مودة من لم تخبره فى حق الخبرة ، بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد، فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره، وتسافر معه أو يعاملك فى الدينار والدرهم ، أو تقع فى شدة فتحتاج إليه . فإن رضيته فى هذه الأحوال فاتخذه أبا لك إن كان كبيرا أو ابنا إن كان صغيرا أو أخا إن كان مثلك .

(مفتاح السعادة ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦) .

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى _ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٢٣١ _ ٢٣٤ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة _ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان علق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط / ١٠٥ _ ١٠٨ ، ٣ / ٢٦٣ _ ٢٦٦) .

*** حقوق المملوك :**

انظر : الرق.

*** حقوق الوالدين :**

انظر مادة « بر الوالدين » فى م٦ / ٥٥٨ _ ٥٦٢

* حقى : (١٢٩٠ـ١٣٦٥ هـ) :

من الخطاطين ولد فى استانبول عام ١٢٩٠ هـ ، وتوفى فيها عام ١٣٦٥ هـ . برع فى رسم الطغراء، وكتب عدة مقالات عن الخطاطين فى مجلات تركية ، حلل فيها مقدرتهم الفنية .

(كيف نعلم الخط العربى ـ معروف زريق / ٤١ ، وموسوعة الخطوط العربية وزخارفها للمؤلف نفسه / ١٢٥) .

* الحقيقة :

قال الشيخ زين الدين فى منظومته :

إن الطريق شريعة وطريقة

وحقيقة فاسمع لها ما مُثلا

ثم قال :

وحقيقة لوصوله للمقصد

ومشاهدة نور التجلى بانجلا

فالحقيقة فى علم التصوف هى وصول السالك للمقصود وهو معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدة نور التجلى : قال الغزالى : التجلى ما ينكشف للقلب من أنوار الغيب، ويحتمل أن يراد بالتجلى هنا المتجلى وهو الله سبحانه وتعالى، وهو يوافق ما قاله القشيرى فى الفرق بين الشريعة والحقيقة من أن الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية أى رؤيته إياها بقلبه .

بانجلا : الباء للتصوير متعلقة بمحذوف حال من مشاهد : أى حال كون المشاهدة مصورة بالانجلاء : أى الانكشاف التام (كفاية الأتقياء / ٩، ١٢) .

قال التهانوى : الحقيقة تطلق بالاشتراك فى عُرف العلماء على معان : منها قسم من الاستعارة ويقابلها المجاز وهذا اصطلاح أهل الفرس ... ومنها ما هو مصطلح أهل الشرع والبيانيين من أهل العرب قالوا : كل من الحقيقة والمجاز تطلق بالاشتراك على نوعين لأن كلا منهما إما فى المفرد ويسميان بالحقيقة والمجاز اللغويين ، وإما فى الجملة ويسميان بالحقيقة والمجاز العقليين . قال الأصوليون : الحقيقة الشرعية واقعة خلافا للقاضى أبى بكر وهى اللفظ المستعمل فيما وضع له فى عرف الشرع أى وضعه الشارع لمعنى بحيث يدل عليه بلا قرينة سواء كان ذلك لمناسبة بينه وبين المعنى اللغوى فيكون منقولا أولا فيكون موضوعا مبتدأ .

وأثبت المعتزلة الحقيقة الدينية أيضا وقالوا بوقوعها وهى اسم لنوع خاص من الحقيقة الشرعية وهو ما وضعه الشارع لمعناه ابتداء بأن لا يعرف أهل اللغة لفظه أو معناه أو كليهما وزعموا أن أسماء الذوات أى ما هى من أصول الدين أو ما يتعلق بالقلب كالمؤمن والكافر والإيمان والكفر من قبيل الدينية دون أسماء الأفعال أى ما هى من فروع الدين أو ما يتعلق بالجوارح كالمصلى والمزكى والصلاة والزكوة والظاهر أن الواقع هو القسم الثانى من الحقيقة الدينية فقط أعنى ما لم يعرف أهل اللغة معناه ولا نزاع فى أن الألفاظ المتداولة على لسان أهل الشرع المستعملة فى غير معانيها اللغوية قد صارت حقائق فيها بل النزاع فى أن ذلك بوضع الشارع وتعيينه أياها بحيث تدل على تلك المعانى بلا قرينة لتكون حقائق شرعية كما هو مذهبنا أو بغلبتها فى تلك المعانى فى لسان أهل الشرع والشارع إنما استعملها فيها مجازا بمعونة القرائن فتكون حقائق عرفية خاصة لا شرعية كما هو مذهب القاضى فإذا وقعت مجردة عن القرائن فى كلام أهل الكلام والفقه والأصول ومن يخاطب باصطلاحهم تحمل على المعانى الشرعية وفاقا .

وأما فى كلام الشارع فعندنا تحمل عليها إذ الظاهر أن يتكلم باصطلاحه وهذه المعانى هى الحقائق بالقياس إليه وعند القاضى تحمل على معانيها اللغوية لأنها غير موضوعة من جهة الشارع فهو يتكلم على قانون اللغة فإن القاضى ينفى كونها حقائق شرعية زاعما أنها مجازات لغوية والحق أنه لا ثالث لهما فإنه ليس النزاع فى أنها هل هى بوضع من الشارع على أحد الوجهين وهو مذهب المعتزلة والفقهاء أو لا فيكون مجازات لغوية وهو مذهب القاضى فلا ثالث لها حينئذ. ومنهم من زعم أن مذهب القاضى أنها مبقاة على حقائقها اللغوية فتصير المذاهب ثلاثة كونها حقائق لغوية وكونها مجازات لغوية وكونها حقائق شرعية وإن شئت الزيادة على هذا القدر فارجع إلى العضدى وحواشيه .

ومنها المفهوم المستقل الملحوظ بالذات كمفهوم الاسم وهذا المعنى من اصطلاحات أهل العربية أيضا قال السيد السند قد تستعمل الحقيقة بهذا المعنى فى بعض استعمالاتهم كذا فى الأطول فى بحث الاستعارة التبعية ومنها الماهية بمعنى ما به الشىء هو هو وتسمى بالذات أيضا والحقيقة بهذا المعنى أعم من الكلية والجزئية والموجودة والمعدومة ...

قال المولوى عبد الرحمن الجامى فى شرح الفصوص فى الفص الأول أن الحقائق عند الصوفية ثلاث :

الأولى : حقيقة مطلقة فعالة واحدة عالية واجبة وجودها بذاتها وهى حقيقة الله سبحانه .

والثانية : حقيقة مقيدة منفعلة سافلة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض والتجلى وهى حقيقة العالم .

والثالثة : حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقييد والفعل والانفعال والتأثير والتأثر فهى مطلقة من وجه مقيدة من آخر فعالة من جهة منفعلة من أخرى وهذه الحقيقة أحدية جمع الحقيقتين ولها مرتبة الأولية والآخرية وذلك لأن الحقيقة الفعالة المطلقة فى مقابلة الحقيقة المنفعلة المقيدة وكل متفرقتين فلا بد لهما من أصل هما فيه واحد وهو فيهما متعدد مفصل وظاهرية هذه الحقيقة هى

المسماة بالطبيعة الكلية الفعالة من وجه والمنفعلة من آخر فإنها تتأثر من الأسماء الإلهية وتؤثر فى موادها وكالواحد من هذه الحقائق الثلاث حقيقة الحقائق التى تحتها انتهى . وللحقيقة بهذا المعنى تقسيمات أخر .

منها الماهية باعتبار الوجود فعلى هذا لا تتناول المعدوم، وإطلاق الحقيقة بهذا المعنى أكثر من إطلاقها بمعنى الماهية مطلقا قال شارح الطوالع وشارح التجريد إن الحقيقة والذات تطلقان غالبا على الماهية مع اعتبار الوجود الخارجى كلية كانت أو جزئية انتهى فعلى هذا لا يقال ذات العنقاء وحقيقتها كذا بل ماهيتها كذا .

ومنها ما هو مصطلح الصوفية فى كشف اللغات وفى مجمع السلوك أما الحق والحقيقة فى اصطلاح مشايخ الصوفية فالحق هو الذات والحقيقة هى الصفات فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات ثم إنهم إذا أطلقوا ذلك أرادوا به ذات الله تعالى وصفاته خاصة وذلك لأن المريد إذا ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى ودخل فى عالم الإحسان يقولون دخل فى عالم الحقيقة ووصل إلى مقام الحقائق وإن كان بعد عن عالم الصفات والأسماء فإذا وصل إلى نور الذات يقولون وصل إلى الحق وصار شيخا لائقا للاقتداء به وقلما يستعملون ذلك فى ذوات أخر وفى صفاتهم لأن مقصودهم الكلى هو التوحيد . وقال الديلمى : الحقيقة عند مشايخ الصوفية عبارة عن صفات الله تعالى والحق ذات الله تعالى : وقد يريدون بالحقيقة كل ما عدا الملكوت وهو عالم الجبروت والملكوت عندهم عبارة من فوق العرش إلى تحت الثرى وما بين ذلك من الأجسام والمعانى والأعراض . والجبروت ما عدا الملكوت وقال بعضهم الكبار وأما عالم الملكوت فالعبد له اختيار فيه ما دام فى هذا العالم فإذا دخل فى عالم الجبروت صار مجبورا على أن يختار ما يختار الحق وأن يريد ما يريده لا يمكنه مخالفته أصلا انتهى وقيل الحقيقة هى التوحيد وقيل هى مشاهدة الربوبية (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤) .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى ابن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ٩، ١٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤) .

انظر : حقيقة القرآن ومجازه، الحقيقة والمجاز.

*** حقيقة الإنسان :**

هذا هو النوع الأول من الأنواع السبعة التى قسم إليها القزوينى أنواع الحيوان : فقال عنه :

اعلم أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ، ركبه الله تعالى فى أحسن صورة روحا وبدنا وخصصه بالنطق والعقل سرا وعلنا وزين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وباطنه بالقوى ما هو أشرف وأقوى، وهيأ للنفس الناطقة الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة ، وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميره والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك مريده والأعضاء خدمه والبدن محل مملكته والحواس يسافرون فى جميع الأوقات فى عالمهم ويلتقطون الأخبار والموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة ، وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف، فمن هذا الوجه فالإنسان عالم صغير ، ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات ، ومن حيث إنه يحس ويتحرك قالوا حيوان، ومن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار مجمعا لهذه المعانى فإذا صرف همه إلى جهة من هذه الجهات ليلتحق بها، فإن كان قد صرف همته إلى الجهة الطبيعية فيكون راضيا من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول، وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غضوبا كسبع أو أكولا كبقر أو شرها كخنزير أو جزعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع هذا كله فيكون شيطانا مريدا، وإن كان صرف همته إلى الجهة الملكية فيكون متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى فيكون مرادا من قوله عز وجل ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ والله الموفق للصواب .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٠٠)

*** الحقيقة فى سلوك الطريقة :**

أحد مخطوطات دار الكتب الظاهرية (ولعله بمكتبة الأسد الآن) وقد أدرج فى الفهرس فى كتب الكيمياء والصنعة والإكسير والسيمياء، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

لاحظ تخفيف الهمزة فى ألفاظ مثل آلايه [آلائه] ونعمايه [نعمائه] ، وقصر الممدود كما فى الأشيا [الأشياء] .

الرقم : مجموع رقمه ٩٧٦٩

تأليف : ؟ ...

مواضيع المخطوط :

يتضمن عدة أبواب ومطالب وفصول منها :

فصل لا بد لكل طالب من أربعة أشياء ويقال لها المطلب وهى : هل هو ، وما هو، وكيف هو ، ولم هو ...

فصل فى أوزان التركيب ...

والبحث فى الحجر وصفاته وتركيبه ...

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب الحقيقة فى سلوك الطريقة الحمد لله على آلايه والشكر لله على نعمايه والصلاة على جميع أنبيائه .

إن الذى حدانا إلى وضع هذه الرسالة أمران : أحدهما شده ظن الفلاسفة بهذا الفن الشريف وتقفية آثاره بعد الوقوف على كنه حقيقته وإحاطة العلم بأصوله وفروعه ... الثانى كثرة ما دخل فى الكتب والمساطير من الحشو والكذب والألغاز الباطلة والأشيا التى لا حقيقة وتولع المحتالين والمزغلين بهذا الفن الشريف وتدوينهم المساطير الخارجة عن القياس العقلى والبرهان بالعلم الطبيعى ...

خاتمة المخطوط :

... فصل فى أوزان التركيب ... فانظر يا أخى ما أطراف قوله فدانقه يمتد منها على رطل لأنه أراد من الحجر الواحدخمسة دوانيق ومن الحجر الآخر دانقا واحدا فصار مجموع الاثنين الرطل الذى قصد دانقه لأنه لا يمكن إنسان يعمل هذا التدبير فى عمره مرتين حتى يعرف الصواب من الخطأ بل كل إنسان تكلم على قدر ما ظهر له ونحن نستغفر الله تعالى على قدر ما أوردناه إنه ولى الإحسان .

نسخة حسنة ، كتبت بخط نسخى وحبر أسود، وهى فى مجموع يتضمن : مقالة الفوز للإمام الغزالى فى سبع ورقات ، ومن كتاب الحقيقة فى سلوك الطريقة فى ثمان ورقات : من/ ٨ - ١٥/ ومن كتاب الأصول الكبير وشمول التدبير مختصر ابن وحشية للتنوخى وهو العلم الحقيقى فى ست ورقات . ومن كتاب سراج الظلمة وشمس الحكمة لعبد الكريم بن يحيى بن عثمان المعروف بالمختفى فى / ١٧ / ورقة، وأخيرا من رسالة الأسقف دوفيس فى ثلاث ورقات بحاجة إلى ترميم وتجليد ، كتبت بالحبر الأحمر أسماء الفصول والأبواب ورؤوس الفقر والعبارات وكثير من الكلمات الهامة ، ترك لها هامش بعرض / ٣,٥ سم . / عليه بعض الشروح والتعليقات، لها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة . يستشهد المؤلف بهرمس الأكبر، وفيثاغورس، ودومقراطيس، وبالس الأكبر، وفرفوريوس ، وسقراط ، وأفلاطون، وأرسطاطاليس. وعلى بن موسى الأندلسى الذى نظمه شعرا وسماه ديوان شذور الذهب، وغيرهم ... أكثر حروفها غير منقوطة ، عليها تملك باسم السيد عثمان السيوظلى سنة / ٢٦٨/ هـ .

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. عدد أوراقها ثمان ورقات . جلدها من الكرتون المغلف بورق مزهر له تكعيبة من الجلد البنى القديم ودفته الثانية مشقوقة وناقصة بقياس (١٨ × ١٣,٥ سم) . وعدد السطور / ١٥ / سطرا .

المصادر عن المؤلف والكتاب : ؟ ...

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب - وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٤٣٥ - ٤٣٧) .

*** الحقيقة القاصرة :**

الحقيقة القاصرة هى عند أهل العربية استعمال اللفظ فى جزء معناه كما فى التجريد والأكثرون على أنها مجاز كذا ذكر المولوى عبد الحكيم فى حواشى الخيالى فى شرح قول الشارح المتوحد بجلال الذات فى شرح الخطبة كما أن الأمر حقيقة فى الوجوب والوجوب عبارة عن جواز الفعل مع حرمة الترك فإذا استعمل فى معنى الندب وهو عبارة عن جواز الفعل مع رجحانه أو استعمل فى معنى الإباحة وهو جواز الفعل مع جواز الترك فهو عند البعض حقيقة قاصرة لأن كلا منهما مستعمل فى بعض معنى الوجوب والأكثرون على أنه مجاز لأنه جاوز أصله وهو الوجوب لأن الوجوب جواز الفعل مع حرمة الترك والإباحة جواز الفعل والترك والندب رجحان الفعل مع جواز الترك فكان لكل واحد منها معان متباينة هكذا فى كتب الأصول .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣٤) .

*** حقيقة القرآن ومجازه :**

النوع الثانى والخمسون من علوم القرآن وفقا لتصنيف الإمام جلال الدين السيوطى فى الإتقان (ص ٤٧ - ٥٤) والنوع الثالث والأربعون وفقا لتصنيف الإمام بدر الدين الزركشى فى البرهان ، وهو ما ننقله فيما يلى . يقول البدر الزركشى :

لا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق ، وهى كل كلام بقى على موضوعه كالآيات التى لم يتجوز فيها ؛ وهى الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، والداعية إلى أسمائه وصفاته ، كقوله تعالى : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة** ... ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **أمَّن خلق السموات والأرض** ... ﴾ [النمل : ٦٠]، ﴿ **أمن جعل الأرض قرارا** ... ﴾ [النمل : ٦١] ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ... ﴾ [النمل : ٦٢] ﴿ **أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر** ﴾ [النمل : ٦٣] ﴿ **أمن يبدأ الخلق ثم يعيده** ... ﴾[النمل : ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **من يحيى العظام وهى رميم** ﴾ [يٓس : ٧٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم ما تمنون** ﴾ [الواقعة : ٥٨] ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾ [الواقعة : ٦٣] ﴿ **أفرأيتم الماء الذى تشربون** ﴾ [الواقعة : ٦٨] ﴿ **أفرأيتم النار التى تورون** ﴾ [الواقعة : ٧١] .

قيل : ومنه الآيات التى لم تنسخ، وهى كالآيات المحكمات والآيات المشتملة، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمائه وإحسانه ، وهذا أكثر الكلام ، قال الله تعالى : ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون**﴾ [البقرة : ٤] وأكثر ما يأتى من الآى على هذا .

وأما المجاز فاختلف فى وقوعه فى القرآن ، والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة ، منهم ابن القاص من الشافعية ، وابن

خويز منداد من المالكية . وحكى عن داود الظاهرى وابنه ، وأبى مسلم الأصبهانى .

(« ابن القاص » هو أحمد بن أحمد الطبرى المعروف بابن القاص، أحد فقهاء الشافعية، وصاحب المصنفات المشهورة كالتلخيص والمفتاح وأدب القاضى، توفى بطرسوس سنة ٣٣٥ . أما « خويز منداد » بمعجمتين أو إهمال الأولى، من علماء المالكية ؛ تلميذ الأبهرى ، من أهل البصرة، توفى فى حدود الأربعمائة . وأما « داود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بالظاهرى» ، فهو صاحب المذهب المستقل، وأتباعه يعرفون بالظاهرية ، توفى سنة ٢٧٠ ، وبعد وفاته جلس ابنه محمد فى حلقته ، وتمذهب بمذهبه، وتوفى سنة ٢٩٧ . وأما « أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى» فهو من فقهاء المعتزلة ، وصنف تفسيرا على طريقهم ، وتوفى سنة ٣٧٠) .

وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وهو مستحيل على الله سبحانه .

وهذا باطل، ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف، وتثنية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن .

وقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوعى .

(هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم الشهير بالعز بن عبد السلام ، الشافعى الدمشقى المتوفى سنة ٦٦٠ ، وطبع كتابه فى إستانبول سنة ١٣١٢ ؛ وهو المسمى بكتاب الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز) .

وأما معناه ، فقال الحاتمى : معناه طريق القول، ومأخذه مصدر « جزت مجازا » كما يقال : « قمت مقاما » .

قال الأصمعى : كلام العرب إنما هو مثال شبه الوحى .

نوعا المجاز :

وله سببان : أحدهما الشبه ، ويسمى المجاز اللغوى وهو الذى يتكلم فيه الأصولى .

والثانى : الملابسة ، وهذا هو الذى يتكلم فيه أهل اللسان ، ويسمى المجاز العقلى ، وهو أن تسند الكلمة إلى غير ما هى له أصالة بضرب من التأويل، كسبَّ زيد أباه، إذا كان سببا فيه .

المجاز فى المركب وأقسامه :

والأول مجاز فى المفرد، وهذا مجاز فى المركب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ [الأنفال : ٢] ، نسبت الزيادة التى هى فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ﴾ [فصلت : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يذبح أبناءهم ﴾ [القصص : ٤] ، والفاعل غيره ، ونسب الفعل إليه لكونه الآمر به .

وكقوله تعالى : ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، نسب النزع الذى هو فعل الله إلى إبليس لعنه الله ، لأن سببه أكل الشجرة ، وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين .

وقوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ [البقرة : ١٦] ، جعل التجارة الرابحة .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ [محمد : ٢١] لأن الأمر هو المعزوم عليه ؛ بدليل : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] فنسب الإحلال الذى هو فعل الله إلى أكابرهم ؛ لأن سببه كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر .

وقوله تعالى : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ [الزلزلة : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ [طه : ١١٧] .

وقد يقال إن النزع والإحلال يعبِّر بهما عن فعل ما أوجبهما ؛ فالمجاز إفرادى لا إسنادى .

وقوله تعالى ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] ، يحتمل معناه : يجعل هوله، فهو من مجاز الحذف .

وأما قوله تعالى : ﴿ فى عيشة راضية ﴾ فقيل : على النسب، أى ذات رضا . وقيل : بمعنى « مرضية » ، وكلاهما مجاز إفراد لا مجاز إسناد ؛ لأن المجاز فى لفظ « راضية » لا فى إسنادها ؛ ولكنهم كأنهم قدروا أنهم قالوا : رضيت عيشته، فقالوا : « عيشة راضية » .

وهو على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما طرفاه حقيقتان، نحو : أنبت المطر البقل، وقوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ [الأنفال: ٢] وقوله تعالى : ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ [الزلزلة : ٢].

والثانى : مجازيان، نحو : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ [البقرة: ١٦] (قال السيوطى فى الإتقان ٢ / ٣٦ : « أى ما ربحوا فيها ، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز ») .

والثالث: ما كان أحد طرفيه مجازا دون الآخر، كقوله: ﴿ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ [محمد : ٤] .

قال بعضهم: ومن شرط هذا المجاز أن يكون للمسند إليه شبه بالمتروك، فى تعلقه بالعامل .

المجاز الإفرادى وأقسامه:

وأنواع الإفرادى فى القرآن كثيرة يعجز العد عن إحصائها .

كقوله تعالى: ﴿ كلا إنها لظى * نزاعة للشوى * تدعو ﴾ [المعارج : ١٥ ـ ١٧] قال: الدعاء من النار مجاز .

وكقوله تعالى: ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطانا ... ﴾ [الروم : ٣٥] والسلطان هنا هو البرهان، أى برهانا يستدلون به، فيكون صامتا ناطقا، كالدلائل المخبرة، والعبرة والموعظة .

وقوله تعالى: ﴿ فأمه هاوية ﴾ [القارعة : ٩] فاسم الأم الهاوية مجاز؛ أى كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك أيضا النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع .

وقوله تعالى: ﴿ قتل الخراصون ﴾ [الذاريات : ٥] ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس : ١٧] ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [المنافقون : ٥] والفعل فى هذه المواضع مجاز أيضا، لأنه بمعنى أبعده الله وأذله .

وقيل: قهره وغلبه وهو كثير، فلنذكر أنواعه لتكون ضوابط لبقية الآيات الشريفة .

الأول: إيقاع المسبب موقع السبب:

كقوله تعالى: ﴿ قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ [الأعراف : ٢٧] وإنما نزل سببه، وهو الماء .

وكقوله: ﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ [الأعراف : ٢٧] ولم يقل: « كما فتن أبويكم »، لأن الخروج من الجنة هو المسبب الناشئ عن الفتنة، فأوقع المسبب موقع السبب، أى لا تفتتنوا بفتنة الشيطان، فأقيم فيه السبب مقام المسبب، وهو سبب خاص، فإذا عدم فيعدم المسبب، فالنهى فى الحقيقة لبنى آدم، والمقصود عدم وقوع هذا الفعل منهم، فلما أخرج السبب من أن يوجد بإيراد النهى عليه، كان أدل على امتناع النهى بطريق الأولى .

وقوله تعالى: ﴿ ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ﴾ [غافر : ٤١] وهم لم يدعوه إلى النار، إنما دعوه إلى الكفر؛ بدليل قوله: ﴿ تدعوننى لأكفر بالله ﴾ [غافر : ٤٢]؛ لكن لما كانت النار مسببة عنه أطلقها عليه .

وقوله تعالى: ﴿ فاتقوا النار ﴾ [البقرة : ٢٤] أى العناد المستلزم للنار .

وقوله تعالى: ﴿ إنما يأكلون فى بطونهم نارا ﴾ [النساء : ١٠] لاستلزام أموال اليتامى إياها .

وقوله تعالى: ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ﴾ [النور : ٣٣] إنما أراد ـ والله أعلم ـ الشىء الذى ينكح به، من مهر ونفقه وما لا بد للمتزوج منه .

وقوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] أى لا تأكلوها بالسبب الباطل الذى هو القمار .

وقوله تعالى: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [المدثر : ٥] أى عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها .

وقوله تعالى: ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ [التوبة : ١٢٣] أى وأغلظوا عليهم، ليجدوا ذلك، وإنما عدل إلى الأمر بالوجدان تنبيها على أنه المقصود لذاته، وأما الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل لتجدوه .

الثانى عكسه، وهو إيقاع السبب موقع المسبب:

كقوله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] .

وقوله تعالى: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] سمى الجزاء الذى هو السبب سيئة واعتداء، فسمى الشىء باسم سببه وإن عبَّرت السيئة عما ساء ـ أى أحزن ـ لم يكن من هذا الباب، لأن الإساءة تحزن فى الحقيقة، كالجناية .

ومنه: ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ تجوز بلفظ « المكر » عن عقوبته لأنه سبب لها .

ومنه قوله تعالى: ﴿ أن تضل إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] إنما جعلت المرأتان للتذكير إذا وقع الضلال لا ليقع الضلال؛ فلما كان الضلال سببا للتذكير أقيم مقامه .

ومنه إطلاق اسم الكتاب على الحفظ، أى المكتوب فإن الكتابة سبب له، كقوله تعالى: ﴿ سنكتب ما قالوا ﴾ [آل عمران : ١٨١] أى سنحفظه حتى نجازيهم عليه .

ومنه إطلاق اسم السمع على القبول، كقوله تعالى: ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ [هود : ٢٠] أى ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به، لأن قبول الشىء مرتب على سماعه ومسبب عنه . ويجوز أن يكون نفى السمع لابتغاء فائدته .

ومنه قول الشاعر:

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها

فليس لمخضوب البنان يمين

أى وفاء يمين .

ومنه إطلاق الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة ، كقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] . ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] أى أفتعملون ببعض التوراة ـ وهو فداء الأسارى ـ وتتركون العمل ببعض ـ وهو قتل إخوانهم وإخراجهم من ديارهم ؟

وجعل الشيخ عز الدين من الأنواع نسبة الفعل إلى سبب سببه ، كقوله تعالى : ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ [البقرة : ٣٦] أى كما أخرج أبويكم فلا يخرجنكما من الجنة ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

المخرج والنازع فى الحقيقة هو الله عز وجل ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب أكل الشجرة وسوسة الشيطان ومقاسمته على أنه من الناصحين . وقد مثل البيانيون بهذه الآية للسبب وإنما هى لسبب السبب .

وقوله تعالى : ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] لما أمروهم بالكفر الموجب لحلول النار نسب ذلك إليهم لأنهم أمروهم به ؛ فالله هو المحل لدار البوار، وسبب إحلالها كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر الموجب لحلول النار .

الثالث : إطلاق اسم الكل على الجزء :

قال تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق ﴾ [البقرة : ١٩] أى أناملهم وحكمة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى أنهم يدخلون أناملهم فى آذانهم بغير المعتاد فرارا من الشدة ، فكأنهم جعلوا الأصابع .

وقال تعالى : ﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ﴾ [المائدة : ٦] واليد حقيقة إلى المنكب، هذا إن جعلنا « إلى » بمعنى « مع » ولا يجب غسل جميع الوجه إذا ستره بعض الشعور الكثيفة .

وقوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ [المائدة: ٣٨] والمراد هو البعض الذى هو الرسغ.

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ [البقرة : ٢٤٩] أى من لم يذق .

وقوله تعالى : ﴿ تعجبك أجسامهم ﴾ [المنافقون : ٤] والمراد وجوههم ؛ لأنه لم ير جملتهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة: ١٨٥] استشكله الإمام (هو إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله) فى تفسيره؛ من جهة أن الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر، وهو اسم لثلاثين يوما . وحاصل جوابه أنه أوقع الشهر وأراد جزءا منه، وإرادة الكل باسم الجزء مجاز شهير.

ونقل عن على رضى الله عنه أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه، وأن الشخص متى كان مقيما أو فى البر ثم سافر، يجب عليه صوم الجميع . والجمهور على أن هذا عام ، مخصص بقوله : ﴿ فمن كان منكم مريضا ... ﴾ [البقرة : ١٩٦] ويتفرع على هذا أن من أدرك الجزء الأخير من رمضان : هل يلزمه صوم ما سبق إن كان مجنونا فى أوله ؟ فيه قولان :

الرابع : إطلاق اسم الجزء على الكل :

كقوله تعالى : ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ ، أى ذاته . ﴿ويبقى وجه ربك ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة ﴾ [الغاشية: ٢، ٣] ؛ يريد الأجساد، لأن العمل والنصب من صفاتها. وأما قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ [الغاشية : ٨] فيجوز أن يكون من هذا ؛ عبر بالوجوه عن الرجال . ويجوز أن يكون من وصف البعض بصفة الكل لأن التنعم منسوب إلى جميع الجسد .

ومنه : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ [القيامة : ٢٢] ؛ فالوجه المراد به جميع ما تقع به المواجهة لا الوجه وحده.

وقد اختلف فى تأويل « الوجه » الذى جاء مضافا إلى الله فى مواضع من القرآن ، فنقل ابن عطية عن الحذاق أنه راجع إلى الوجود، والعبارة عنه بالوجه مجاز ؛ إذ هو أظهر الأعضاء فى المشاهدة وأجلها قدرا. وقيل ـ وهو الصواب ـ : هى صفة ثابتة بالسمع، زائدة على ما توجبه العقول من صفات الله تعالى. وضعفه إمام الحرمين . وأما قوله تعالى : ﴿ فثم وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] فالمراد الجهة التى وجهنا إليها فى القبلة . وقيل : المراد به الجاه ، أى فثم جلال الله وعظمته .

وقوله تعالى : ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ [البقرة : ١٩٥] تجوّز بذلك عن الجملة .

وقوله تعالى : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفال : ١٢] البنان الإصبع ؛ تجوز بها عن الأيدى والأرجل، عكس قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم ﴾ [البقرة : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة ﴾ [المجادلة : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ [ن : ١٦] عبر بالأنف عن الوجه .

﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ [الحاقة : ٤٥] .

وكقوله تعالى : ﴿ فإنه آثم قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، أضاف الإثم إلى القلب وإن كانت الجملة كلها آثمة ؛ من حيث كان محلا لاعتقاد الإثم والبر كما نسبت الكتابة إلى اليد من حيث إنها تفعل بها فى قوله تعالى : ﴿ مما كتبت أيديهم ﴾ [البقرة : ٧٩] وإن

كانت الجملة كلها كاتبة ولهذا قال : ﴿ وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقيل : المعنى على حذف المضاف؛ لأن المدرك هو الجملة دون الحاسة ، فأسند الإدراك إلى الأبصار ، لأنه بها يكون .

وكقوله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، أى إياه .

﴿ تعلم ما فى نفسى ﴾ [المائدة ١١٦] .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [النور : ٣٠] وحكى ابن فارس عن جماعة أن « من » هنا للتبعيض ؛ لأنهم أمروا بالغض عما يحرم النظر إليه .

وقوله تعالى : ﴿ قم الليل ﴾ [المزمل : ٢] أى صل فى الليل ؛ لأن القيام بعض الصلاة .

وكقوله تعالى : ﴿ وقرآن الفجر ﴾ [الإسراء : ٧٨] أى صلاة الفجر .

ومنه « المسجد الحرام » والمراد جميع الحرم .

وقوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ [البقرة : ٤٣] أى المصلين .

﴿ يخرون للأذقان سجدا ﴾ [الإسراء ١٠٧] ، ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾ [الإسراء : ١٠٩] . أى الوجوه .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ﴾ [آل عمران : ٥] فعبر بالأرض والسماء عن العالم ؛ لأن المقام مقام الوعيد ؛ والوعيد إنما يحصل لو بيّن أن الله لا يخفى عليه أحوال العباد ؛ حتى يجازيهم على كفرهم وإيمانهم ، والعباد وأحوالهم ليست السماء والأرض بل من العالم ؛ فيكون المراد بالسماء والأرض العالم ؛ إطلاقا للجزء على الكل .

وقوله تعالى : ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ [التوبة : ٦١] ، قال الفارسى : جعله على المجاز « أذنا » لأجل إصغائه ؛ قال : ولو صغرت « أذنا » هذه التى فى هذه الآية ، كان فى لحاق التاء فيها وتركها نظر .

وجعل الإمام فخر الدين قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ [البقرة : ١٢٥] المراد به جميع الحرم ، لا صفة الكعبة فقط ، بدليل قوله : ﴿ أنا جعلنا حرما آمنا ﴾ [العنكبوت : ٦٧] وقوله : ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ [المائدة : ٩٥] والمراد الحرم كله ، لأنه لا يذبح فى الكعبة ، قال : وكذلك « المسجد الحرام » فى قوله : ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨] ؛ والمراد منعهم من الحج وحضور مواضع النسك .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ بلى قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ [القيامة : ٤] أى نجعلها صفحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير ، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة ، كالكتابة والخياطة ونحوها من الأعمال التى يستعان فيها بالأصابع ، قالوا : وذكرت البنان لأنه قد ذكرت اليدان ؛ فاختص منها ألطفها .

وجوز أبو عبيدة ورود البعض وإرادة الكل ؛ وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ﴾ [الزخرف : ٦٣] أى كله ، وقوله تعالى : ﴿ وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وأنشد بيت لبيد :

ترّاك أمكنة إذا لم أرضها
أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قال : والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ؛ ويقال للمنية : علوق، وعلاقة . انتهى (جعله السيوطى قسما مستقلا ، وألحقه بقسم إطلاق الجزء على الكل ، ونقل قول أبى عبيدة) .

وهذا الذى قاله فيه أمران :

أحدهما : أنه ظن أن النبى يجب عليه أن يبين فى شريعته جميع ما اختلفوا فيه ؛ وليس كذلك ؛ بدليل سؤالهم عن الساعة وعن الروح وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله . وأما الآية الأخرى، فقال ثعلب : إنه كان وعدهم بشىء من العذاب : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقال : يصبكم هذا العذاب فى الدنيا ، ـ وهو بعض الوعيد ـ من غير نفى عذاب الآخرة .

الثانى : أنه أخطأ فى فهم البيت ؛ وإنما مراد الشاعر ببعض النفوس نفسه هو ، لأنها بعض النفوس حقيقة ؛ ومعنى البيت : أنا إذا لم أرض الأمكنة أتركها إلى أن أموت ؛ أى إذا تركت شيئا لا أعود إليه إلى أن أموت ، كقول الآخر :

إذا انصرفت عن الشىء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر ترجع

وقال الزمخشرى : إن صحت الرواية عن أبى عبيدة ، فيدخل فيه قول المازنى فى مسألة « العلقى » : كان أجفى من أن يفقه ما أقول له . وأشار الزمخشرى بذلك إلى أن أبا عبيدة قال للمازنى : ما أكذب النحويين ! فقلت له : لم قلت ذلك ؟ قال : يقولون : هاء التأنيث تدخل على ألف التأنيث وإن الألف التى فى « علقى » ملحقة ليست للتأنيث ، قال : فقلت له : وما أنكرت من ذلك ؟ قال سمعت رؤبة ينشد :

* فحط فى علقى وفى مكور *

فلم ينونها ، فقلت : ما واحد العلقى ؟ فقال : علقاة، قال المازنى : فأسفت ولم أفسر له لأنه كان أغلظ من أن يفهم مثل هذا!

(العلقى : شجرة تدوم خضرتها فى القيظ ؛ ولها أفنان طوال

دقاق وورق لطاف ... والمكور : جمع مكرة ؟ وهى نبتة تميل إلى الغبرة ، تنبت فى السهل وفى الرمل ، لها ورق وليس لها زهر ، وبعده :

* بين تواري الشمس والذرور *

انظر خبر أبى عبيدة مع المازنى فى إنباه الرواة ١ / ٢٥٣) .

قلت : ويحتمل قوله تعالى : ﴿ يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] أو الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه ، فكيف بعضه ! ويدل قوله تعالى فى آخر هذه السورة : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينكم فإلينا يرجعون ﴾ [غافر : ٧٧] وفيها تأييد لكلام ثعلب أيضا .

وقد يوصف البعض ، كقوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ [غافر : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ [العلق : ٥] الخطأ صفة الكل فوصف به الناصية ، وأما الكاذبة . فصفة اللسان (جعله السيوطى قسما خاصا سماه « وصف البعض بصفة الكل . وانظر الإتقان ٢ / ٣٧) .

وقد يوصف الكل بصفة البعض كقوله تعالى : ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ [الحجر : ١٦] والوجل صفة القلب .

وقوله تعالى : ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ [الكهف : ١٨] والرعب إنما يكون فى القلب .

الخامس : إطلاق اسم الملزوم على اللازم :

كقوله تعالى : ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ [الروم : ٣٥] ، أى أنزلنا برهانا يستدلون به ، وهو يدلهم ، سمى الدلالة « كلاما » لأنها من لوازم الكلام .

وقوله تعالى : ﴿ صم وبكم فى الظلمات ﴾ [الأنعام : ٣٩] فإن الأصل « عمى » لقوله فى موضع آخر : ﴿ صم بكم عمى ﴾ [البقرة : ١٨] ؛ لكن أتى بالظلمات لأنها من لوازم العمى .

السادس : إطلاق اسم اللازم على الملزوم :

كقوله تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ [الصافات : ١٤٣] أى المصلين .

السابع : إطلاق اسم المطلق على المقيد :

كقوله تعالى : ﴿ فعقروا الناقة ﴾ [الأعراف : ٧٧] والعاقر لها من قوم صالح قدار ؛ لكنهم لما رضوا الفعل نزلوا منزلة الفاعل .

الثامن : عكسه :

كقوله تعالى : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ [آل عمران : ٦٤] والمراد كلمه الشهادة ، وهى عدة كلمات .

التاسع : إطلاق اسم الخاص وإرادة العام :

كقوله تعالى : ﴿ إنى رسول رب العالمين ﴾ [الزخرف : ٤٦] أى رسله .

وقال : ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ [المنافقون : ٤] أى الأعداء .

﴿ وخضتم كالذى خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] أى الذين .

وقوله تعالى : ﴿ علمت نفس ﴾ [التكوير : ١٤] أى كل نفس

وقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] أى كل سيئة .

وقوله تعالى : ﴿ يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين ﴾ [الأحزاب : ١] الخطاب للنبى ﷺ، والمراد الناس جميعا .

العاشر : إطلاق اسم العام وإرادة الخاص :

كقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ [الشورى : ٥] أى للمؤمنين ، بدليل قوله فى موضع آخر : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر : ٧] ولما خفى هذا على بعضهم زعم أن الأولى منسوخة بالثانية .

وكقوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] أى أهل طاعته ، لا الناس أجمعون ، حكاه الواحدى عن ابن عباس وغيره ، واختاره الفراء (فى معانى القرآن ١ / ٧٤، ونص عبارته عند شرح الآية : « يريد مطيعون ، وهذه خاصة لأهل الطاعة ليست بعامة ») .

وقوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] قيل : المراد بالناس هنا نوح ومن معه فى السفينة . وقيل آدم وحواء

وقوله تعالى : ﴿ وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران : ٣٣] أى عالمى زمانه ، ولا يصح العموم؛ لأنه إذا فضل أحدهم على العالمين فقد فضل على سائرهم؛ لأنه من العالمين ، فإذا فضل الآخرين على العالمين فقد فضلهم أيضا على الأول ؛ لأنه من العالمين ، فيصير الفاضل مفضولا؛ ولا يصح .

وقوله : ﴿ ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ [الذاريات : ٤٢] أى شىء يحكم عليه بالذهاب ، بدليل قوله : ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ [الأحقاف : ٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ تدمر كل شىء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥] ولم تجتح هودا والمسلمين معه .

وقوله تعالى : ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شىء ﴾ [الأنعام : ٤٤] أى كل شىء أحبوه .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ [النور : ٣٩] أى مما ظنه وقدره .

وقوله تعالى حكاية عن نبيه ﷺ: ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام : ١٦٣] وعن موسى ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولم يرد الكل ؛ لأن الأنبياء قبله ما كانوا مسلمين ولا مؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء : ٢٢٤] ولم يعن كل الشعراء .

وقوله تعالى : ﴿ فإن كان له إخوة ﴾ [النساء : ١١] أي أخوان فصاعدا .

وقوله تعالى ﴿ وادخلوا الباب سجدا ﴾ [الأعراف : ١٦١] أي بابا من أبوابها ، قاله المفسرون .

وقوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] وإنما قاله فريق منهم .

﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ [الإسراء : ٥٩] وأراد الآيات التي إذا كذب بها نزل العذاب على المكذب .

وقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ [الشورى : ٥] أي من المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق ﴾ [الأنعام : ٦٦] والمراد بعضهم ، فإن منهم أفاضل المسلمين والصديق وعليا رضي الله عنهما .

وقوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران : ١٧٣] فإن ﴿ الناس ﴾ الأولى لو كان المراد به الاستغراق لما انتظر قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ إن الناس ﴾، ولأن ﴿الذين﴾ من ﴿ الناس ﴾ ؛ فلا يكون الثاني مستغرقا، ضرورة خروج ﴿ الذين ﴾ منهم، لأنهم لم يقولوا لأنفسهم .

وقوله : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] والمراد شهران وبعض الثالث .

الحادي عشر : إطلاق الجمع وإرادة المثنى :

كقوله تعالى : ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ [التحريم : ٤] ؛ أطلق اسم القلوب على القلبين .

الثاني عشر: النقصان :

ومنه حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله : ﴿واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] أي أهلها .

وقوله : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ﴾ [آل عمران : ١٩٤] أي على لسان رسلك .

وقالوا : ﴿ نحن أنصار الله ﴾ . أي أنصار دين الله .

وقال : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [البقرة : ٩٣] أي حبه .

﴿ واختار موسى قومه ﴾ [الأعراف : ١٥٥] أي من قومه . قالوا : وإنما يحسن الحذف إذا كان فيه زيادة مبالغة ، والمحذوفات في القرآن على هذا النمط، وسيأتي الإشباع فيه ، وفي شروطه إن شاء الله تعالى (الأسلوب الثاني من أساليب القرآن في النوع السادس والأربعين) وذهب المحققون إلى أن حذف المضاف ليس من المجاز؛ لأنه استعمال اللفظ فيما وضع له ، ولأن الكلمة المحذوفة ليست كذلك ، وإنما التجوز في أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف ، كالأمثلة السابقة .

الثالث عشر : الزيادة :

كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] ذكره الأصوليون .

وللنحويين فيها قولان :

أحدهما : أن «مثل» زائدة ؛ والتقدير: ليس كهو شيء .

والثاني ـ وهو المشهور ـ : أن الكاف هي الزائدة ، وأن « مثل » خبر ليس . ولا خفاء أن القول بزيادة الحرف أسهل من القول بزيادة الاسم .

وممن قال به ابن جني والسيرافي وغيرهما ، فقالوا : المعنى ليس مثله شيء ، والكاف زائدة ، وإلا لاستحال الكلام ، لأنها لو لم تكن زائدة كانت بمعنى « مثل » وإن كانت حرفا ، فيكون التقدير: ليس مثل مثله شيء، وإذا قدر هذا التقدير ثبت له مثل، ونفي الشبه عن مثله ؛ وهذا محال من وجهين :

أحدهما : أن الله عز وجل لا مثل له .

والثاني : أن نفس اللفظ به محال في حق كل أحد، وذلك أنا لو قلنا : ليس مثل مثل زيد، لاستحال ذلك ، لأن فيه إثبات أن لزيد مثلا ، وذلك يستلزم جعل زيد مثلا له ؛ لأن ما ماثل الشيء فقد ماثله ذلك الشيء . وغير جائز أن يكون زيد مثلا لعمرو، وعمرو ليس مثلا لزيد، فإذا نفينا المثل عن مثل زيد، وزيد هو مثل مثله ، فقد اختلفا . ولأنه يلزم منه التناقض على تقدير إثبات المثل، لأن مثل المثل لا يصح نفيه ضرورة كونه مثلا لشيء وهو مثل له .

وأجيب عن الأول بأنا لا نسلم لزوم إثبات المثل ، غاية ما فيه نفي مثل مثل الله ؛ وذلك يستلزم ألا يكون له مثل أصلا ، ضرورة أن مثل كل شيء فذلك الشيء مثله ، فإذا انتفى عن شيء أن يكون مثل عمرو انتفى عن عمرو أن يكون مثله .

وأما الثاني فهو مبني على أن هذه العبارة يلزم منها إثبات المثل، ونحن قد منعناه ، بل أحلناه من العبارة .

وقيل : ليست زائدة . إما لاعتبار جواز سلب الشيء عن المعدوم ، كما تسلب الكتابة عن زيد وهو معدوم ، أو يحمل المِثل على المَثل ، أي الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ مثل الجنة ﴾ [الرعد : ٣٥] و[محمد : ١٥] أي صفتها ، فالتقدير : ليس كصفته شيء .

وبهذين التقديرين يحصل التخلص عن لزوم إثبات « مثل » وإن لم تكن زائدة .

وأما القائلون بأن الزائد « مثل »، وإلا لزم إثبات المثل، ففيه نظر

لاستلزام تقدير دخول الكاف على الضمير؛ وهو ضعيف لا يجيء إلا في الشعر. وقد ذكرنا ما يخلص من لزوم إثبات المثل .

وقيل : المراد الذات والعين ، كقوله تعالى ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ [البقرة : ١٣٧] وقول امرئ القيس :

* على مثل ليلى يقتل المرء نفسه *

فالكاف على بابها، و ليس كذلك ، بل المراد حقيقة المثل ليكون نفيا عن الذات بطريق برهاني كسائر الكنايات . ثم لا يشترط على هذا أن يكون لتلك الذات الممدوحة مثل في الخارج حصل النفي عنه؛ بل هو من باب التخييل في الاستعارة التي يتكلم فيها البياني.

فإن قيل : إنما يكون هذا نفيا عن الذات بطريق برهاني أن لو كانت المماثلة تستدعي المساواة في الصفات الذاتية وغيرها من الأفعال ؛ فإن اتفاق الشخصيتين بالذاتيات لا يستلزم اتحاد أفعالهما .

قيل : ليس المراد بالمثل هنا المصطلح عليه في العلوم العقلية، بل المراد من هو مثل حاله في الصفات المناسبة لما سيق الكلام له ، وليس المراد من هو مثل في كل شيء لأن لفظة « مثل » لا تستدعي المشابهة من كل وجه .

وقال الكواشي (ت ٦٨٠ هـ وله تفسيران : أحدهما كبير سماه التبصرة ، والثاني صغير سماه التلخيص) : يجوز أن يقال : إن الكاف و « مثل » ليسا زائدتين ، بل يكون التمثيل هنا على سبيل الفرض ، كقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] وتقدير الكلام : لو فرضنا له مثلا لامتنع أن يشبه ذلك المثل المفروض شيء؛ وهذا أبلغ في نفي المماثلة .

وأما قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، فقيل : إن « ما » فيه مصدرية . وهذا فيه نظر، لأن « ما » لو كانت مصدرية لم يعد إليها من الصلة ضمير ، وهو الهاء في ﴿ به ﴾ لأن الضمير لا يعود على الحروف، ولا يعتبر اسما إلا بالصلة ، والاسم لا يعود عليه ضمير ما هو صفته؛ إذ لا يحتاج في ذلك إلى ربط .

وجوابه أن تكون « ما » موصولة ، صلتها ﴿ آمنتم به ﴾ .

وقيل : مزيدة ، والتقدير فإن آمنوا بالذي آمنتم به ، أي بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما جاء به الأنبياء .

وقيل : إن « مثلا » صفة لمحذوف تقديره : فإن آمنوا بشيء مثل ما آمنتم به . وفيه نظر ، لأن ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا بذلك المثل .

وحكى الواحدي عن أكثر المفسرين في قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله ﴾ . البقرة : ١١٥] أن « الوجه » صلة ، والمعنى فثم الله يعلم ويرى ، قال : والوجه قد ورد صلة مع اسم الله كثيرا، كقوله : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ [الرحمن : ٢٧] ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ [الإنسان : ٩] ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] .

قلت : والأشبه حمله على أن المراد به بالذات ، كما في قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله ﴾ [البقرة : ١١٢] وهو أولى من دعوى الزيادة .

ومن الزيادة دعوى أبي عبيدة ﴿ يسمعونكم إذ تدعون ﴾ [الشعراء : ٧٢] أن ﴿ إذ ﴾ زائدة .

وقوله تعالى : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وقد سبق .

الرابع عشر : تسمية الشيء بما يئول إليه !

كقوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ [نوح : ٢٧] أي صائرا إلى الفجور والكفر .

وقوله تعالى : ﴿ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا ﴾ [يوسف : ٣٦] أي لأن الذي تأكل الطير منه إنما هو البُرُّ لا الخبز . ولم يذكر العلماء هذا من جملة الأمثلة ؛ إنما اقتصروا في التمثيل على قوله تعالى : ﴿ أعصر خمرا ﴾ [يوسف : ٣٦] أي عنبا ، فعبر عنه لأنه آيل إلى الخمرية . وقيل : لا مجاز فيه ، فإن الخمر العنب بعينه ، لغة لأزد عمان ؛ نقله الفارسي في « التذكرة » (ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في مجلدات ، لخصة أبو الفتح عثمان ابن جني » ﴾ عن « غريب القرآن » لابن دريد .

وقيل : اكتفى بالمسبب ، الذي هو الخمر، عن السبب، الذي هو العنب . قاله ابن جني في « الخصائص » (الخصائص ٣/ ١٧٧)

وقيل : لا مجاز في الاسم بل في الفعل، وهو ﴿ أعصر ﴾ ؛ فإنه أطلق وأريد به أستخرج ، وإليه ذهب ابن عزيز في غريبه (هو السجستاني صاحب غريب القرآن) .

وقوله تعالى : ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] سماه زوجا لأن العقد يئول إلى زوجية ، لأنها لا تنكح في حال كونه زوجا .

وقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ [الصافات : ١٠١] ﴿وبشروه بغلام عليم ﴾ [الذاريات : ٢٨] وصفه في حال البشارة بما يئول إليه من العلم والحلم .

تنبيه : ليس هذا من الحال المقدرة - كما يتبادر إلى الذهن - لأن الذي يقترن بالفاعل ، أو المفعول إنما هو تقدير ذلك وإرادته ، فيكون المعنى في قوله : ﴿ فتبسم ضاحكا ﴾ [النمل : ١٩] مقدرا ضحكه .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وخروا له سجدا ﴾ [يوسف : ١٠٠] على

قول أبى على . وهذا حمل منه للخرور على ابتدائه ، وإن حمله على انتهائه كانت الحال الملفوظ بها ناجزة غير مقدرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ [الزمر : ٧٣] أى ادخلوها مقدرين الخلود فيها ، فإن من دخل دخلاً كريما مقدرا ألا يخرج منه أبدا كان ذلك أتم لسروره ونعيمه ، ولو توهم انقطاعه لتنغص عليه النعيم الناجز مما يتوهمه من الانقطاع اللاحق .

الخامس عشر : تسمية الشىء بما كان عليه :

كقوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ [النساء : ٢] أى الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ . وقيل : بل هم يتامى حقيقة ، وأما حديث : « لا يتم بعد احتلام » فهو من تعليم الشرع لا اللغة ، وهو غريب .

وقوله : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ﴾ [النساء : ١٢] وإذا متن لم يكن أزواجا ، فسماهن بذلك لأنهن كن أزواجا .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ [البقرة : ٢٣٤] أى الذين كانوا أزواجهن وكذلك : ﴿ ويذرون أزواجا﴾ لانقطاع الزوجية بالموت .

وقوله تعالى ﴿ من يأت ربه مجرما ﴾ [طه : ٧٤] سماه مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام .

وقوله تعالى : ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ [يوسف : ٦٥] ولكن ما رد عليهم مالهم ، وإنما كانوا قد اشتروا بها الميرة ، فجعلها يوسف فى متاعهم ، وهى له دونهم ، فنسبها الله إليهم ، بمعنى أنها كانت لهم .

السادس عشر : إطلاق اسم المحل على الحال

كقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ [العلق : ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ [الواقعة : ٣٤] أى نساؤه ، بدليل قوله : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء ﴾ [الواقعة : ٣٥] .

وكالتعبير باليد عن القدرة ، كقوله تعالى : ﴿ بيده الملك ﴾ [الملك : ١] ونحوه .

والتعبير بالقلب عن الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩] أى عقول . وبالأفواه عن الألسن كقوله تعالى : ﴿ الذين قالوا آمنا بأفواههم ﴾ [المائدة : ٤١] ﴿يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

وإطلاق الألسن على اللغات ، كقوله : ﴿ بلسان عربى مبين﴾ [الشعراء : ١٩٥] والتعبير بالقرية عن ساكنها ، نحو : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] .

السابع عشر : إطلاق اسم الحال على المحل :

كقوله تعالى : ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ [آل عمران : ١٠٧] أى فى الجنة لأنها محل الرحمة .

وقوله تعالى : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [سبأ : ٣٣] أى فى الليل .

وقال الحسن فى قوله : ﴿ إذ يريكهم الله فى منامك ﴾ [الأنفال : ٤٣] أى فى عينك ، واستبعده الزمخشرى وقدر: يعنى فى رؤياك .

وقوله تعالى : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وصف البلد بالأمن ، وهو صفة لأهله . ومثله : ﴿ وهذا البلد الأمين﴾ [التين : ٣] ﴿ إن المتقين فى مقام أمين ﴾ [الدخان : ٥١]

وقوله تعالى : ﴿ بلدة طيبة ﴾ [سبأ : ١٥] وصفها بالطيب وهو صفة لهوائها .

وقد اجتمع هذا والذى قبله فى قوله تعالى : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وذلك لأن أخذ الزينة غير ممكن ؛ لأنها مصدر فيكون المراد محل الزينة ، ولا يجب أخذ الزينة للمسجد نفسه فيكون المراد بالمسجد الصلاة ، فأطلق اسم المحل على الحال وفى الزينة بالعكس .

الثامن عشر : إطلاق اسم آلة الشىء عليه :

كقوله تعالى ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ [الشعراء : ٨٤] أى ذكرا حسنا ، أطلق اللسان وعبر به عن الذكر؛ لأن اللسان آية الذكر .

وقال تعالى : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ [القمر : ١٤] أى بمرأى منا ، لما كانت العين آلة الرؤية .

وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [إبراهيم : ٤] أى بلغة قومه .

التاسع عشر : إطلاق اسم الضدين على الآخر :

كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى : ٤٠] وهى من المبتدئ سيئة ومن الله حسنة ، فحمل اللفظ على اللفظ .

وعكسه : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] سمى الأول إحسانا لأنه مقابل لجزائه وهو الإحسان ، والأول طاعة ، كأنه قال : هل جزاء الطاعة إلا الثواب !

وكذلك : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] حمل اللفظ على اللفظ ، فخرج الانتقام بلفظ الذنب ، لأن الله لا يمكر .

وأما قوله تعالى : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [الأعراف : ٩٩] ، فهو وإن لم يتقدم ذكر مكرهم فى اللفظ لكن تقدم فى سياق الآية قبله ما يصير إلى مكر، والمقابلة لا يشترط فيها ذكر المقابل لفظا، بل هو، أو ما فى معناه .

وكذلك قوله : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] ، لما

قال : بشر هؤلاء بـالجنة قال : بشر هؤلاء بالعـذاب ؛ والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر .

وقوله : ﴿ إن تسخروا منـا فإنا نسخـر منكم ﴾ [هـود : ٣٨] والفعل الثاني ليس بسخرية .

العشرون : تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه :

لمـا بينهمـا من التعلق، ذكـره السكـاكي ، وخرَّج عليـه قـولـه تعالى: ﴿ ما منعـك أن لا تسجد ﴾ [الأعـراف : ١٢] يعنى « مـا دعاك ألا تسجد » ؟ واعتصم بذلك في عدم زيادة « لا » :

وقيل : معناه : ما حماك في ألا تسجـد ـ أي من العقوبة ـ أي ما جعلك في منعة من عقوبة به ترك السجود .

وهذا لا يصح ؛ أمـا الأول فلم يثبت في اللغة وأمـا الثاني فكأن تركيبه : « ما يمنعك » سؤالا عمـا يمنعه لا بلفظ الماضي ، لأنه لا تخويف بماض .

ويجاب بأن المخالفة تقتضي الأمنة ، كأنه قيل : ما أمنك حتى خالفت ! بيانا لاغتراره وعدم رشده، وأنه إنما خالف وحاله حال من امتنع بقوته من عذاب ربه، فكنى عنه بـ« ما منعك » تهكما ، لا أنه امتنع حقيقة وإنما جسر جسارة من هو في منعة .

ورد أيضا بأنه أجاب بـ ﴿ أنا خير ﴾ ، وهو لا يصلح جوابا إلا لترك السجود .

وأجيب بأنـه لم يجب ، ولكن عـدل بـذلك عن جـواب مـا لا يمكن جوابه .

الحادي والعشرون : إقامة صيغة مقام أخرى :

وله صور :

فمنه « فاعل » بمعنى « مفعـول » ، كقوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ [هود : ٤٣] أي لا معصوم .

وقوله تعالى : ﴿ من ماء دافق ﴾ [الطارق : ٦] أي مدفوق .

و ﴿ في عيشة راضية ﴾ [القـارعة : ٧] أي مرضيـة بها . وقيل على النسب، أي ذات رضا، وهو مجاز إفراد لا تركيب .

وقوله تعالى : ﴿ أنا جعلنا حرما آمنا ﴾ [العنكبوت : ٦٧] أي مأمونا .

وعكسه : ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ [مريم : ٦١] ، أي آتيا .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ حجابا مستورا ﴾ [الإسراء : ٤٥] أي سـاترا، وحكى الهـروي في « الغريب » عن أصل اللغـة، «وتأويل الحجاب الطبع » .

وقـال السهيلـي : الصحيح أنـه على بـابـه ، أي مستـورا عن العيون، لا يحس به أحـد ، والمعنى « مستور عنك وعنهم » ، كما قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقال الجـوهري (ت ٤٠٠ هـ) : « أي حجابـا على حجاب، والأول مستور بالثاني ، يراد بذلك كثافة الحجاب ، لأنه جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا » .

قـال أبـو الفتح (عثمـان بن جني) في كتـابه « هـذا القـد » : وسألتـه ـ يعني الفـارسي ـ إذا جعلت فـاعلا بمعنى مفعـول، فعلام ترفع الضمير الذي فيه ؟ أعلى حد ارتفاع الضمير في اسم الفاعل أم اسم المفعول ؟ فقال : إن كان بمعنـى « مفعول » ارتفع الضمير فيه ارتفاع الضمير في اسم الفاعل، وإن جاء على لفظ اسم الفاعل ،

ومنـه « فعيل » بمعنى « مفعول » كقـوله تعـالى ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾ [الفرقان : ٥٥] أي مظهورا فيـه، ومنه ظهرت به فلم ألتفت إليه .

أما نحو : ﴿ فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] فقـال بعض النحويين : إنه بمعنى « مؤلم » ورده النحـاس، بأن « مؤلما » يجوز أن يكون قد آلم ثم زال، و « أليم » أبلغ، لأنه يدل على الملازمة ، قال: ولهذا منع النحويون إلا سيبويه أن يعدى « فعيل » .

ومنه مجيء المصدر على « فعـول » ، كقوله تعـالى : ﴿ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ [الفـرقان : ٦٢] وقـوله : ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ [الإنسـان : ٩] فإنه ليس المـراد الجمع هنا ، بـل المراد: لا نريـد منكم شكرا أصـلا، وهذا أبلغ فـي قصد الإخلاص في نفي الأنواع .

وزعم السهيلي أنـه جمع « شكر » ، وليس كـذلك لفوات هـذا المعنى .

ومنهـا إقامة الفـاعل مقـام المصدر، نحـو: ﴿ ليس لـوقعتها كاذبة ﴾ [الـواقعـة : ٢] أي تكـذيب، وإقـامة المفعـول مقـام المصدر، نحو : ﴿ بأيكم المفتون ﴾ [القلم : ٦] أي الفتنة .

ومنه وصـف الشيء بالمصـدر، كقوله تعـالى: ﴿ فإنهم عدو لي ﴾ [الشعـراء : ٧٧] ، قـالـوا : إنمـا وحَّـده ، لأنـه في معنى المصدر، كأنه قال : « فإنهم عداوة » .

ومجيء المصـدر بمعنى المفعـول؛ كقـولـه تعـالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أي من معلومه .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ [النجم : ٣٠]، أي من العلوم .

وقوله تعالى : ﴿ صنع الله ﴾ [النمل : ٨٨] ، أي مصنوعه .

وقوله تعالى : ﴿ هذا رحمة من ربي ﴾ [الكهـف : ٩٨] أي مترحم، قاله الفارسي .

وكذا قوله تعالى : ﴿ فأعينوني بقوة ﴾ [الكهـف : ٩٥] أي مقوى به، ألا ترى أنه أراد منهم زبر الحديد والنفخ عليها !

وقوله : ﴿ وقـد خاب من حمل ظلمـا ﴾ [طـه : ١١١] أي مظلوما فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾ [يوسف : ١٨] أي مكـذوب فيـه ، وإلا لـو كـان على ظـاهـره لأشكل، لأن الكـذب من صفات الأقـوال لا الأجسام . وقـال الفراء : يجـوز في النحو « بـدم كذبـا » بالنصب علـى المصدر؛ لأن ﴿ جاءوا ﴾ فيه معنى « كذبـوا كذبـا » ، كما قـال تعالى : ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ [العاديات : ١] لأن « العاديات » بمعنى « الضابحات » .

وعكسه : ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ [يوسف : ٦٨] .

ومنه « فعيل » بمعنى الجمع ؛ كقوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم : ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ خلصوا نجيا ﴾ [يوسف : ٨٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وشرط بعضهم أن يكون المخبر عنه جمعا، وأنه لا يجيء ذلك في المثنى؛ ويرده قوله تعالى : ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ [ق : ١٧] فإنه نقل الواحدى عن المبرد، وابن عطية عن الفراء أن « قعيد » أسند لهما .

وقد يقع الإخبار بلفظ المفرد عن لفظ الجمع ، وإن أريد معناه لنكتة ، كقوله تعالى : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ [القمر: ٤٤] فإن سبب النزول وهو قول أبي جهل « نحن ننتصر اليوم » يقضي بإعراب « منتصر » خبرا .

(في تفسير الكشاف : عن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر، فتقدم في الصف وقال : نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه ، فنزلت : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾) .

ومنه إطلاق الخبر وإرادة الأمر، كقوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أي ليرضع الوالدات أولادهن .

وقوله : ﴿ يتربصن بأنفسهن ﴾ [البقرة : ٢٣٤] أي تتربص المتوفى عنها .

وقوله تعالى : ﴿ تزرعون سبع سنين دأبا ﴾ [يوسف : ٤٧] والمعنى : « ازرعوا سبع سنين »، بدليل قوله : ﴿ فذروه في سنبله ﴾ [يوسف : ٤٧] .

وقوله : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون ﴾ [الصف : ١١] ، معناه آمنوا وجاهدوا ، و لذلك أجيب بالجزم في قوله : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويدخلكم جنات ﴾ [الصف : ١٢] ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام في قوله : ﴿ هل أدلكم ﴾ [الصف : ١٠] لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة ؛ قاله أبو البقاء والشيخ عز الدين .

(أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري في كتابه : « إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب في القرآن » ٢ / ١٤٠ . والعبارة فيه : « وقال الفراء : هو جواب الاستفهام على اللفظ ، وفيه بعد : لأن دلالته إياهم لا توجب المغفرة لهم » .

والشيخ عز الدين هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام في كتابه : « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » ص٢٧ ، والعبارة فيه : « ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام في قوله : ﴿ هل أدلكم ﴾ لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة ؛ وهذا من مجاز التشبيه ، شبه الطلب في تأكده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه ، وإذا شبهه بالخبر الماضي كان آكد») .

والتحقيق ما قاله النيلي أنه جعل الدلالة على التجارة سببا لوجودها ، والتجارة هي الإيمان ، ولذلك فسرها بقوله : ﴿ تؤمنون ﴾ [الصف : ١١] فعلم أن التجارة من جهة الدلالة هي الإيمان ، فالدلالة سبب الإيمان ، والإيمان سبب الغفران ، وسبب السبب سبب . وهذا النوع فيه تأكيد؛ وهو من مجاز التشبيه ، شبه الطلب في تأكده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه ، وإذا شبهه بالخبر الماضي كان آكد .

ومنه عكسه كقوله تعالى : ﴿ فليمدد له الرحمن مدا ﴾ [مريم: ٧٥] والتقدير: مده الرحمن مدا .

وقوله : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾ [العنكبوت : ١٢] أي نحمل .

قال الكواشي : والأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم، نحو: إن زرتنا فلنكرمك. يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم ، كذا قال الشيخ عز الدين؛ مقصوده تأكيد الخبر؛ لأن الأمر للإيجاب يشبه الخبر في إيجابه .

(في كتابه الإشارة ص ٢٨ وعبارته « النوع السادس » : التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيدا للخبر، لأن الأمر للإيجاب، فيشبه به الخبر في إيجابه، وله مثالان: أحدهما قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ تقديره: قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدا. الثاني قوله : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾ تقديره. اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم ») .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ [النحل : ٤٠] قال : ﴿ كن ﴾ لفظه أمر والمراد الخبر، والتقدير: « يكون فيكون » أو على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي فهو يكون، قال: ولهذا أجمع القراء على رفع ﴿فيكون ﴾ ورفضوا فيه النصب؛ إلا ما روى عن ابن عامر، وسوغ النصب لكونه بصيغة الأمر قال: ولا يجوز أن يكون معطوفا على ﴿نقول ﴾ فيجي النصب على الفعل المنصوب؛ لأن ذلك لا يطرد، بدليل قوله : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] ؛ إذ لا يستقيم هنا العطف المذكور، لأن ﴿ قال ﴾ ماض .

﴿ ويكون ﴾ مضارعا ، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما .

قلت : وهذا الذي قاله الفارسي ضعيف مخالف لقواعد أهل السنة .

ومنه إطلاق الخبر وإرادة النهي ، كقوله تعالى ﴿ لا تعبدون إلا الله ﴾ [البقرة : ٨٣] ومعناه : « لا تعبدوا » .

وقوله تعالى : ﴿ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٤] أي لا تسفكوا ولا تخرجوا .

وقوله تعالى : ﴿ وما تنفقـون إلا ابتغاء وجـه الله ﴾ [البقرة : ٢٧٢] أى ولا تنفقوا .

الثانى والعشرون : إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلوين : وغير ذلك من المعانى الستة عشر ومـا زيد عليها من أنواع المجاز ؛ ولم يذكروه هنا فى أقسامه .

الثـالث والعشرون : إضـافـة الفعل إلى ما ليـس بفاعل لـه فى الحقيقة :

إما على التشبيه ، كقـوله تعالى : ﴿ جـدارا يريـد أن ينقض ﴾ [الكهف : ٧٧] فإنه شبه ميله للوقوع بشبه المريد له .

وإما لأنـه وقع فيه ذلك الفعـل ، كقوله تعـالى : ﴿ الٓمٓ غلبت الروم ﴾ [الروم : ١ ، ٢] فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ، . . ثم قال : ﴿وهم من بعـد غلبهم سيغلبون ﴾ [الـروم : ٢] فأضـاف الغلب إليهم ، وإنما كان كذلك ، لأن الغلب وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم .

ومثلـه : ﴿ وآتى المـال علـى حبــه ﴾ [البقـــرة : ١٧٧] ﴿ويطعمون الطعام على حبه ﴾ [الإنسان : ٨]فالحب فى الظاهر مضاف إلى الطعام والمال ؛ وهو فى الحقيقة لصاحبهما .

ومثله : ﴿ ولمن خاف مقـام ربه جنتان ﴾ [الـرحمن : ٤٦] ﴿ذلك لمن خاف مقامى ﴾ [إبراهيم : ١٤] أى مقامه بين يدى .

وإما لوقوعه فيه ، كقوله تعالى : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] .

وإما لأنه سببه ، كقوله تعالى : ﴿ فزادتهم إيمانا ﴾ [التوبة : ١٢٤] ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ﴾ [فصلت : ٢٣] ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ [الأعراف : ٢٧] ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] كما تقدم فى أمثلة المجاز العقلى .

وقد يقال : إن النزع والإحلال يعبر بهما عن فعل ما أوجبهما . فالمجاز إفرادى لا إسنادى .

وقوله تعالى : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧] أى يجعل هوله ؛ فهو من مجاز الحذف .

الرابع والعشـرون : إطلاق الفعل والمـراد مقاربته ومشـارفته لا حقيقته :

كقوله تعالى : ﴿ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن ﴾ [الطلاق : ٢] أى قاربن بلوغ الأجل ، أى انقضاء العدة ، لأن الإمساك لا يكون بعد انقضاء العدة ، فيكون بلوغ الأجل تمامه ؛ كقوله تعالى : ﴿فإذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٢] أى أتممـن العدة وأردن مراجعـة الأزواج . ولو كانت مقاربتـه لم يكن للولى حكم فى إزالة الرجعة ؛ لأنها بيد الزوج ، ولو كان الطلاق غير رجعى لم يكن للولى أيضـا عليها حكم قبل تمام العدة ، ولا تسمى عـاضلا حتى يمنعها تمام العدة من المراجعة .

ومثله قـوله تعـالى : ﴿ فإذا جـاء أجلهـم لا يستأخـرون ﴾ [النحل : ٦١] المعنى قارب ، وبه يندفع السؤال المشهور فيها ، إن عند مجىء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير .

وقولـه تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضـر أحـدكم المـوت ﴾ [البقرة : ١٨٠] أى قارب حضور الموت .

وقولـه تعالى : ﴿ كـذلك سلكنـاه فى قلـوب المجـرمين * لا يؤمنـون به حتى يروا العـذاب الأليم * فيأتيهم بغتة ﴾ [الشعراء : ٢٠٠ ـ ٢٠٢] أى حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها .

ويحتمل أن تحمل الـرؤيـة على حقيقتهـا ؛ وذلك على أن يكون : يرونه فلا يظنـونه عذابا ﴿ وإن يروا كسفا من السمـاء ساقطا يقولوا سحـاب مركوم ﴾ [الطـور : ٤٤] ولا يظنونـه واقعـا بهم ، وحينئذ فيكون أخذه لهم بغتة بعد رؤيته .

ومن دقيق هذا النوع قوله تعالى : ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ [هود : ٤٥] ، المـراد قـارب النـداء ، لا أوقع النـداء ، لـدخـول الفـاء فى ﴿فقال﴾ فإنه لو وقع النداء لسقطت ، وكـان ما ذكر تفسيرا للنداء ، كقوله تعالى : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال ﴾ [آل عمران : ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ إذ نـادى ربه نـداء خفيا * قـال رب ﴾ [مريم : ٣ ، ٤] لما فسر النداء سقطت الفاء .

وذكر النحـاة أن هذه الفاء تفسيـرية ؛ لأنهـا عطفت مفسرا على مجمل ، كقوله : « توضأ فغسل وجهه » ، وفائدة ذلك أن نوحا عليه السلام أراد ذلك ، فرد القصد إليه ولم يقع ، لا عن قصد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وليخش الذين لـو تركـوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ﴾ [النساء : ٩] أى وليخش الذيـن إن شارفوا أن يتركوا ، وإنما أول الترك بمشارفـة الترك ؛ لأن الخطاب للأوصياء إنما يتوجه إليهم قبل الترك ؛ لأنهم بعده أموات .

وقريب منـه إطلاق الفعل وإرادة إرادته ، كقولـه تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ [النحل : ٩٨] أى إذا أردت .

وقوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ﴾ [المائدة: ٦] أى إذا أردتم ؛ لأن الإرادة سبب القيام .

﴿ إذا قضى أمرا ﴾ [مريم : ٣٥] أى أراد .

﴿ وإن حكمت فـاحكم بينهم ﴾ [المـائدة : ٤٢] أى أردت الحكم .

ومثله : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس ﴾ [النساء : ٥٨] .

﴿ إذا ناجيتم الرسول ﴾ [المجادلة : ١٢] أى أردتم مناجاته .

﴿ إذا طلقتم النساء ﴾[الطلاق : ١] .

وقوله : ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ﴾ [الأعراف : ١٧٨] قال ابن عباس : من يرد الله هدايته ؛ ولقد أحسن رضى الله عنه لئلا يتحد الشرط والجزاء .

وقوله : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، أى أردتم القول .

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، أى أرادوا الإنفاق .

وقوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴾ [الأعراف : ٤] لأن الإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس، وإنما خص هذين الوقتين - أعنى البيات والقيلولة - لأنهما وقت الغفلة والدعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع .

وقوله تعالى : ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ﴾ [الأنبياء : ٦] أى أردنا إهلاكها . ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم ﴾ [الأعراف : ١٣٦] أى أردنا الانتقام منهم ؛ وحكمته أنا إذا أردنا أمرا نقدر فيه إرادتنا، وإن كان خارقا للعادة .

وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ [هود : ٣٢] أى أردت جدالنا وشرعت فيه ؛ وكان الموجب لهذا التقدير خوف التكرار، لأن « جادلت » « فاعلت » ، وهو يعطى التكرار، أو أن المعنى : لم ترد منا غير الجدال له لا النصيحة .

قلت : وإنما عبروا عن إرادة الفعل بالفعل؛ لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل وإرادته وقصده إليه، كما عبر بالفعل عن القدرة على الفعل فى قولهم: الإنسان لا يطير، والأعمى لا يبصر؛ أى لا يقدر على الطيران والإبصار؛ وإنما حمل على ذلك دون الحمل على ظاهره للدلالة على جواز الصلاة بوضوء واحد، والحمل على الظاهر يوجب أن من جلس يتوضأ، ثم قام إلى الصلاة يلزمه وضوء آخر، فلا يزال مشغولا بالوضوء ولا يتفرغ للصلاة ، وفساده بيِّن .

الخامس والعشرون : إطلاق الأمر بالشيء للتلبس به والمراد دوامه :

كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا آمِنوا ﴾ [النساء : ١٣٦] هكذا أجاب به الزمخشرى وغيره ، وأصل السؤال غير وارد؛ لأن الأمر لا يتعلق بالماضى ولا بالحال، وإنما يتعلق بالمستقبل المعدوم حالة توجه الخطاب، فليس ذلك تحصيلا للحاصل بل تحصيلا للمعدوم ؛ فلا فرق بين أن يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك الفعل أم لا ، لأن الذى هو عليه عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به . والحاصل أن الكل مأمور بالإنشاء، فالمؤمن ينشئ ما سبق له أمثاله ؛ والكافر ينشئ ما لم يسبق منه أمثاله .

السادس والعشرون : إطلاق اسم البشرى على المبشر به :

كقوله تعالى : ﴿ بشراكم اليوم جنات ﴾ [الحديد : ١٢] قال أبو على الفارسى : التقدير : بشراكم دخول جنات أو خلود جنات، لأن البشرى مصدر، والجنات ذات؛ فلا يخبر بالذات عن المعنى .

ونحوه إطلاق اسم المقول على القول، كقوله تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون ﴾ [الإسراء : ٤٢] .

ومنه : ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴾ [الإسراء : ٤٣] أى عن مدلول قولهم .

ومنه : ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] أى من مقولهم ؛ وهو الأدرة .

وإطلاق الاسم على المسمى ؛ كقوله تعالى : ﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ﴾ [يوسف : ٤٠] أى مسميات .

﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى : ١] أى ربك .

وإطلاق اسم الكلمة على المتكلم كقوله تعالى : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ [يونس : ٦٤] أى لمقتضى عذاب الله و ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ [آل عمران : ٤٥] تجوز بالكلمة عن المسيح ، لكونه تكوَّن بها من غير أب، بدليل قوله : ﴿ وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران : ٤٥] ولا تتصف الكلمة بذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ اسمه المسيح عيسى ﴾ [آل عمران : ٤٥] فإن الضمير فيه عائد إلى مدلول الكلمة ، والمراد بالاسم المسمى، فالمعنى : المسمى المبشر به المسيح ابن مريم .

وإطلاق اسم اليمين على المحلوف به : كقوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٤] أى لا تجعلوا بيمين الله أو قسم الله مانعا لما تحلفون عليه من البر والتقوى بين الناس .

إطلاق الهوى عن المهوى ، ومنه : ﴿ ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات : ٤٠] أى عما تهواه من المعاصى ، ولا يصح نهيها عن هواها ، وهو ميلها ، لأنه تكليف لما لا يطاق؛ إلا على حذف مضاف، أى نهى النفس عن اتباع الهوى .

التجوز عن المجاز بالمجاز :

وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ؛ فتتجوز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما .

مثاله قوله تعالى ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] فإنه مجاز عن مجاز ؛ فإن الوطء تجوز عنه بالسر ، لأنه لا يقع غالبا إلا فى السر وتجوز بالسر عن العقد؛ لأنه مسبب عنه ، فالصحيح للمجاز الأول الملازمة، والثانى السببية ، والمعنى : « لا تواعدوهن عقد نكاح » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾ [المائدة : ٥] إن حمل على ظاهره كان من مجاز المجاز، لأن قول: « لا إله إلا الله » مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالمقول عن المقول فيه ؛ والأول من مجاز السببية؛ لأن توحيد اللسان ، مسبب عن توحيد الجنان .

قلت : وهذا تسمية ابن السيد مجاز المراتب (هو ابن السيد البطليوسى صاحب «الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب » وغيره من كتب اللغة توفى سنة ٤٤٤) وجعل منه قوله تعالى : ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ [الأعراف : ٢٦] فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس؛ بل الماء المنبت للزرع، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس .

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٢٥٤ ـ ٢٩٩ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . انظر أيضا الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٤٧ ، ٥٤ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/٤١٣) .

انظر : الحقيقة والمجاز .

*** الحقيقة والمجاز :**

عن الحقيقة والمجاز يقول الإمام الفيروزابادى فى باب أفرده لذلك :

والكلام المفيد ينقسم إلى حقيقة ومجاز وقد وردت اللغة بالجميع ونزل به القرآن ومن الناس من أنكر المجاز فى اللغة . وقال ابن داود ليس فى القرآن مجاز وهذا خطأ لقوله تعالى ﴿ جدارا يريد أن ينقض ﴾ [الكهف : ٧٧] ونحن نعلم ضرورة أنه لا إرادة للجدار، وقال تعالى : ﴿ واسئل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ونحن نعلم ضرورة أن القرية لا تخاطَب فدل على أنه مجاز .

فأما الحقيقة فهى الأصل وحدها : كل لفظ يستعمل فيما وضع له من غير نقل وقيل ما استعمل فيما اصطلح على التخاطب به ، وقد يكون للحقيقة مجاز كالبحر حقيقة للماء المجتمع الكثير ومجاز فى الفرس الجواد والرجل العالم فإذا ورد اللفظ حمل على الحقيقة بإطلاقة ولا يحمل على المجاز إلا بدليل وقد لا يكون له مجاز وهو أكثر اللغات فيحمل على ما وضع له .

وأما المجاز فحده ما نقل عما وضع له وقَلَّ التخاطب به وقد يكون ذلك بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير واستعارة . فالزيادة كقوله عز وجل ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ [الشورى : ١١] والمعنى ليس مثله شىء والكاف زائدة والنقصان كقوله تعالى ﴿ واسئل القرية ﴾ والمراد أهل القرية فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، والتقديم والتأخير كقوله عز وجل ﴿ والذى أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى ﴾ [الأعلى : ٤،٥] والمراد أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء فقدم وأخر، والاستعارة كقوله تعالى ﴿ جدارا يريد أن ينقض ﴾ فاستعار فيه لفظ الإرادة وما من مجاز إلا وله حقيقة لأنا قد بينا أن المجاز ما نقل عما وضع له وما وضع له هو الحقيقة (انظر : الاستعارة) .

فصل : ويعرف المجاز من الحقيقة بوجوه منها أن يصرحوا بأنه مجاز وقد بين أهل اللغة ذلك وصنف أبو عبيدة كتاب المجاز فى القرآن وبين جميع ما فيه من المجاز ، ومنها أن يستعمل اللفظ فيما لا يسبق إلى الفهم عند سماعه كقولهم فى البليد حمار والأبله تيس ومنها أن يوصف الشىء ويسمى بما يستحيل وجوده كقوله ﴿ واسئل القرية ﴾ ومنها أن لا يجرى ولا يطرد كقولهم فى الرجل الثقيل جبل ثم لا يقال ذلك فى غيره وفى الطويل نخلة ثم لا يقال ذلك فى غير الآدمى، ومنها أن لا يتصرف فيما استعمل فيه كتصرفه فيما وضع له حقيقة كالأمر فى معنى الفعل لا تقول فيه أمر يأمر كما تقول فى الأمر بمعنى القول (اللمع / ٥) .

كذلك يقول صاحب تلخيص المفتاح : المجاز ضربان : مرسل واستعارة .

وفى منظومته على تلخيص المفتاح للقزوينى ، يقول السيوطى عن الحقيقة والمجاز بادئا بالكلام على الضرب الأول من المجاز وهو المجاز المرسل :

الأول الكلمة المستعملة
فى الاصطلاح فى الذى وضع له
وغيره مع قرينة على
وجه يصح وإرادة جلا
عدمها فهو المجاز المفرد
فالزم علاقة وكل عدد
يعزى لعرف ولشرع ولغه
والعرف عم أو فخص مبلغه
كدابة الأربع والإنسان
والفعل للفظ وللحدثان
كذا الصلاة للسجود والدعا
وأسد لسبع والشجعا
ومن يزد تحقيقا أو تأويلا
فى الحد زاد فيهما تطويلا

هذا هو القصد الثانى من علم البيان والمقصود المجاز وذكر الحقيقة لأنها أصله . فالحقيقة الكلمة المستعملة فى معنى وضعت له فى اصطلاح التخاطب ، فخرج بالمستعملة المهملة وبما بعده الغلط والمجاز وبقولنا فى اصطلاح التخاطب المستعمل فيما وضع له اصطلاح آخر غير الذى يقع به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء فإنها تكون مجازا لاستعمالها فى غير ما وضع له شرعا وإن وضع له لغة ، والمجاز مفرد ومركب، فالأول الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى

اصطلاح التخاطب على وجه تصح معه قرينة عدم إرادته ، فقولى «وغيره » بالجر أى والمستعملة فى غير الذى وضعت له فى الاصطلاح ... إلخ فخرج المهملة فليست حقيقة ولا مجازا والحقيقة وما له معنى آخر باصطلاح آخر كالصلاة فى العبادة والغلط لأنه ليس على وجه يصح ، والكناية لفقد قرينة عدم الإرادة

وزاد السكاكى فى حد الحقيقة والمجاز لفظ التأويل والتحقيق فقال : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل ، والمجاز الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له بالتحقيق وأتى بذلك ليخرج من الأول الاستعارة ويدخلها فى الثانى بناء على أنها مجاز لغوى لأنها مستعملة فيما وضعت له لكن بالتأويل ، وهو ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغير متعارف بالتحقيق ورد بأن لفظ الوضع إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل فلا حاجة إلى زيادة فى الحد لأنه تطويل والحدود تصان عن التطويلات وهذا معنى قولى* ومن يزد تحقيقا ... إلخ * وهو مذكور فى التلخيص فى أواخر الباب فى فصل عقده لمناقشات مع السكاكى ولا بد للمجاز من العلاقة ليخرج الغلط ، وكل من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى لغوى وشرعى وعرفى خاص متعين ناقله كالنحوى والصرفى وعرفى عام .

فالأول : كالأسد للسبع حقيقة لغوية والشجاع مجازا لغويا .

والثانى : كالصلاة للعبادة المخصوصة حقيقة شرعية والدعاء مجازا شرعيا .

والثالث : كالفعل للفظ المخصوص حقيقة عرفية خاصة أى نحوية ومطلق الحدث مجازا نحويا .

والرابع : حقيقة عرفية عامة والإنسان مجازا عرفيا عاما .

ثم المجاز المرسل العلاقه
لا شبه وغيره استعاره
وغالبا يطلق فى استعمال سم
مشبه به لمشبه رسم
فالطرفان المستعار منه له
والمستعار اللفظ ثم المرسله
كاليد فى القدرة والتسميه
بالكل أو بالجزء أو بالآله
أو سبب مسبب حال محل
مجاور آل له عنه انتقل

المجاز أقسام : عقلى ، وتغييرى وخال عن الفائدة وذكره فى الإيضاح والتبيان كإطلاق المقيد على المطلق كاستعمال المرسن فى أنف إنسان مجازا ، وهو موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون مرسونا، ومرسل واستعارة .

فالمرسل ما علاقته المصححة له غير المشابهة والاستعارة ما علاقته المشابهة ، فهى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى لعلاقة المشابهة كأسد فى قولنا رأيت أسدا يرمى ، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على فعل المتكلم : أى استعمال اسم المشبه به فى المشبه ويكون حينئذ بمعنى المصدر والطرفان حينئذ أى المشبه به والمشبه مستعار منه ومستعار له واللفظ أى لفظ المشبه به مستعار .

ومثال المرسل كاليد فى النعمة والقدرة وأصلها الجارحة أطلقت عليهما لأن النعمة منها تصدر والقدرة بها تكون ، ومن استعمالها فى النعمة حديث الصحيحين أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا : أى أكثركن عطاء ومنه فى القدرة كقوله تعالى **﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾** [الفتح : ١٠] وكاستعمال الجزء فى الكل إذا كان له مزيد اختصاص بالمعنى الذى قصد بالكل كإطلاق العين على الربيئة أى الرقيب وهى جزؤه ومثل له فى الإيضاح (الإيضاح ، مختصر تلخيص المفتاح) بقوله تعالى **﴿ قم الليل ﴾** [المزمل : ٢] فأطلق القيام وهو جزء الصلاة عليها لأنه أظهر أركانها ، وعكسه أعنى استعمال الكل فى الجزء كالأصابع فى الأنامل من قوله تعالى **﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾** [البقرة : ١٩] وكحديث مسلم « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين » أى الفاتحة وتسمية الشىء باسم آلته نحو **﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾** [الشعراء : ٨٤] أى ثناء حسنا واللسان آلته أو سببه نحو رعينا الغيث أى النبات الذى سببه الغيث ، أو مسببه نحو أمطرت السماء نباتا، أو حاله أى ما يحل فى ذلك الشىء نحو : **﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ﴾** [آل عمران : ١٠٧] أى فى الجنة التى تحل فيها الرحمة ، أو محله أى ما يحل فيه ذلك الشىء نحو: **﴿ فليدع ناديه ﴾** [العلق : ١٧] أى أهل ناديه الحالّ فيه وهو المجلس، أو مجاوره كإطلاق الراوية على المزادة وهى للبعير أو ما يئول إليه نحو **﴿ إنى أرانى أعصر خمرا ﴾** [يوسف : ٣٦] أى عصيرا يئول إلى الخمر، أو ما كان عليه نحو : **﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾** [النساء : ٢] أى الذين كانوا يتامى إذ لا يُتْم بعد البلوغ فهذه عشر علاقات وذكرت علاقات أخر ترجع إليها (شرح عقود الجمان / ٩١ ـ ٩٣) .

ومن أمثلة النظم أيضا ما أورده عبد الرحمن بن محمد الأخضرى، من علماء القرن العاشر ، فى أرجوزته الموسومة بالجوهر المكنون فى الثلاثة فنون :

حقيقة مستعمل فيما وضع
له بعرف ذى الخطاب فاتبع
ثم المجاز قد يجىء مفردا
وقد يجى مركبا فالمبتدا

كلمـة غـايـرت المـوضـوع مع
قـرينـة لعلقـة نلت الـورع
كـاخلع نعـال الكـون كى تـراه
وغض طـرف القلب عن سـواه
كـلاهمـا شـرعى أو عـرفى
نحـو ارتقى للحضـرة الصـوفى
أو لغـوى والمجـاز مـرسل
أو استعـارة فأمـا الأول
فمـا سـوى تشـابـه عـلاقتـه
جـزء وكل أو محل آلتـه
طـرف ومظـروف مسبب سبب
وصف لمـاض أو مـا آل مـرتقب

(متن الجوهر المكنون / ١٤ ومجموع مهمات المتون / ٧٢٨ ، ٧٢٩)

ومن النظم أيضا ما جاء عن الحقيقة والمجاز في « ملحة البيان» لزين المرصفي (ت ١٣٠٠ هـ) إذ يقول تحت عنوان « باب الحقيقة والمجاز » :

حقيقـة لفظ بـه المـراد
يعنى بـلا عـلاقـة تـراد
وقل مجـاز إذ بهـما يفـاد مع
قـرينـة بنصبهـا الأصل امتنع
وقسمـوا كـلا إلى الشـرعى
واللغـوى ثمت العـرفى
ورجحـوا اشتـراط سمع النـوع فى
عـلاقـة كمـا بـوضع يقتفى
والأصـل نقـل اللفـظ عـن حقيقـى
وعـن مجـاز جـاز فى التحقيق
وينبنى أيضـا على الكنـايـه
وقـاسهـا عليـه فى العنـايـه
وقـد أتى كـل بلحظ واسطـه
تكـون بين المعنيين رابطـه
كيـا بنى آدم قـد أنـزلنـا
فبين ذا وذاك وفـرق يعنـى
وقـد رأى أستـاذنـا امتنـاعـه
والبعض منهم حـاول انـدفـاعـه
واستظهـر الفقيـر فى الأغصـان
تفصيلـه بأجمل البيـان

وفـرقـوا بين المجـاز والكـذب
بمـا من التأويل فيـه قـد نصب
ولاستعـارة ومـرسل قسم
والكل منهمـا ببـاب قـد علم

باب المجاز المرسل

ومـرسل لـه عـلاقـات أتت
تسعـا وعشـرا فى أصح مـا ثبت
ورجحـوا اعتبـارهـا من أصل
لا مـن مجـاز بل ولا مـن كـل
فـلازميـة كقصـد الشمس
مـن ضـوئهـا والعكس مثل العكس
آليـة كـألسن فـى الألسنه
ومبـدل كـالـدم فى معنى الـديه
وبـدل نحـو القضـاء فى الأدا
لكن بغيـر مـا بـآى وردا
وسببيـة مسببيـة
كـالغيث فى نبت وعكس يثبت
جـزئيـة كليـة كـالعين فى
ربيئـة وإصبع فى طـرف
ثم اعتبـار مـا مضى كـاليتم
لمن تبـدى بـالغـا للحلم
والأول نحـو الخمـر فى معنى العنب
وقيل بل ذا لغـة كمـا وجب
حـاليـة كـرحمـة فى الجنـة
وعكسهـا نحـو سـؤال القـريـة
كـذا عمـوم نحـو لفظ النـاس فى
أم يحسـدون النـاس فى القـول الـوفى
والعكس كـالضـاحك لـلإنسـان
بـالفعل لا بقـوة وشـان
ومطلق كعـالـم فى عـامل
وعكسـة كعـالـم من عـاقل
تجـاور فى العلم جـا فى الظن
لأنـه مجـاور فى الـذهن
كـذا التعلق الـذى تحققـا
فى مصـدر مع الصفـات مطلقـا
ومـا أتى فى بعضهـا مع بعض
ودرجهـا فى غيـرهـا ذو نقض

واعتبـــــروا الملحــــــوظ فـى عـــــلائق
وعنـــــد جهـل فــــاعتبــــــر لــــــلائق
مـــــرشحـــــا مجــــردا ومطلقـــــا
يـأتـى وفى الأعــــلام قـــد تحققــــا
على الأصـح وهـــــو أيضــــا أصلى
وتبعــــى حســـب نــــص النقــــل

(مجموع مهمات المتون / ٥٩٢ ـ ٥٩٤) .

أما الضرب الثانى من المجاز وهو الاستعارة فقد أفردنا لها مادة وبسطنا فيها القول فى م ٤ / ٢٦٨ ـ ٢٧٣ فارجع إليها .

(اللمع فى أصول الفقه للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى / ٥ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٩١ ـ ٩٣ ، والجوهر المكنون فى الثلاثة فنون لعبد الرحمن بن محمد الأخضرى / ١٤ ، والمطبوع فى مجموع مهمات المتون ، ط مصطفى البابى الحلبى / ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، وملحة البيان لزين الدين المرصفى ، المطبوع فى مجموع مهمات المتون ٥٩٢ ـ ٥٩٤ . انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٣٠ ـ ٣٣٤ ، والإيضاح فى علوم البلاغة ، مختصر تلخيص المفتاح للقزوينى / ١٥١ ـ ١٥٨ ، وفى مجموع مهمات المتون / ٦٧٨ ـ ٦٨٧ ، والوجيز فى أصول الفقه للإمام الكراماستى ـ تحقيق د. أحمد حجازى السقا / ٨ ـ ١٠ ، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكانى / ٢١ ـ ٢٩) .

*** الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٣٢٢٦

انظر : الرحلة الحجازية .

ـ رحلة رحل بها المؤلف لكثير من الأصقاع الشامية والحجازية وزار بها الصلحاء والأولياء ، واستغرقت ثلاثمائة وثمانية وثمانين يوما ضمنها كثيرا من شعره الصوفى الرائق ومناجاته وكلامه مع الأولياء والصلحاء الذين اجتمع بهم .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الذى بمعونته تتم الأمور ... لقد كنت فى ما تقدم من الزمان مع جملة من الأصحاب والإخوان أتمنى الاستيعاب فى زيارة الصالحين من الأحياء والأموات والتبرك بنفحات مجالسهم وهاتيك الحضرات ويكون ذلك بالحج الشريف ...

آخره : إن أكمل ما تراسلت به حمائم الأرواح الأنسية ...

... ثم قصيدة مطلعها :

نصب عينى ذاك الحمــــــــا والمقــــــام
فعلى الأهل والـــــديـــــار الســـــلام

خاتمتها :

وهـــــو هــــــادى إلـى السبيـل بحـق
فعليــــه الصـــــلاة منى الســــــلام

الخط نسخ معتاد الحبر أسود .

تاريخ النسخ : سنة ١١٢٧ هـ .

ملاحظات : نسخة مقابلة على نسخة المؤلف وعليها تملك باسم محمد بن إبراهيم الدكدكجى تلميذ المؤلف .

نسخة ثانية :

الرقم : ٤٧٥٣

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد بن محمد النابلسى .

تاريخ النسخ : ١٥ شعبان سنة ١٣١٩ هـ .

ملاحظات : نسخة جامعة كاملة مضبوطة .

نسخة ثالثة :

الرقم : ٣٢٢٥ أدب ٥٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة رابعة :

الرقم : ٤٦٤٢

أولها كالسابقة .

آخرها : مخروم ينتهى بـ فى اليوم الثالث والثلاثين وكان هناك ـ فى بركة البداوى ـ الرجل الصالح الشيخ عبد القدوس المصرى الأصل فسلمنا عليه وزرناه وسألنا منه الدعاء ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأزرق .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤١٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦) .

*** حقيقة اليقين وزلفة التمكين :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٢٤٥

ـ رسالة قسمها المؤلف إلى جواهر وأعراض الجوهر الأول فى التوحيد والعرض المفارق فى السؤال عن وارد الوقت .

المؤلف : قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى القادرى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م .

أولها : حمدا لله لصفاته ، توحيدا لذاته ، فهو الواحد لا عن توحيد ، المحمود قبل الحمد والتحميد ، أحمده حمد صفاته لذاته ... أما بعد فإن التوحيد عظيم شأنه ، عال مكانه ...

آخرها : فقل فى العالم ما تقوله فى الصفات إن شئت قلت إن الذات عينها صدقت ... قل العالم محدث باعتبار الذى يقتضيه العالم ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد المجذوب .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٢ هـ .

نسخة ثانية :

الرقم : ١٢٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد بن أحمد بن سعد الكلشنى .

تاريخ النسخ : جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ هـ .

نسخة ثالثة :

الرقم : ٧٤٥١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤١٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٣١٣ ، الأعلام ٤ / ١٧٥ .

قال واضع الفهرس : بعض نسخ الرسالة : الأوقاف ببغداد ٢٩٥ وأحتفظ بنسختين مخطوطتين إحداهما قديمة والأخرى مراجعة ومصححة بقلم الشيخ محمد المبارك الكبير .

(فهرس مخطوطات الظاهرية ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

له ترجمة بالتركية يوجد مخطوطها بدار الكتب القومية وجاء بيانه كما يلى :

ترجمة حقيقة اليقين وزلفة التمكين .

تأليف عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلى القادرى المتوفى سنة ٨٢٠ هـ ، ترجمة عبد الباقى بن السيد محمد بن إبراهيم بن العلى المعروف بلعلى زاده المتوفى سنة ١١٥٩ هـ (عثمانلى مؤلفلرى ١ / ١٥٩ ، وفى كشف الظنون : عبد الكريم بن الشيخ عبد القادر الكيلانى) .

وهى فى التصوف والتوحيد ، تمت ترجمتها سنة ١١٥٤ هـ .

أولها : « الله عظيم الشانك حمدى صفاتى ايله در . توحيدى ذاتى ايله در ... إلخ » .

ـ نسخة مخطوطة ، متوجة بحلية ذهبية بديعة ومجدولة ومحلاة بالذهب ، بقلم تعليق معتاد تمت كتابتها سنة ١١٨١ هـ ، بخط السيد محمد حسيب بن إبراهيم الحسينى ، الكتاب العاشر ضمن مجموعة من ورقة ١٩٦ ـ إلى ورقة ٢٠٢ مسطرتها ٢٣ سطرا فى ٢١ × ١٣,٥ سم .

(٨ مجاميع تركى طلعت) .

وتوجد نسخه أخرى أولها كالسابقة

ـ مخطوطة ، بقلم تعليق ، تمت كتابتها سنة ١٢٧١ هـ ، ضمن مجموعة من ورقة ١٥٧ ـ ١٦٤ ، مسطرتها ٢١ سطرا ، فى ٢٢ × ١٢ سم .

(٨٠٥ مجاميع تركى طلعت) .

ونسخة ثالثة أولها كالسابقة

ـ مخطوطة ، بأولها حلية ذهبية ، مجدولة بالذهب والمداد الأسود ، بقلم نسخ معتاد تمت كتابتها فى استانبول سنة ١٢٨٧ هـ بخط الحاج أحمد بن حسن الأنقروى المعروف بعرب شيخ زاده ، ضمن مجموعة آثار الفحول ، من ورقه ٣٠ ـ ٣٣ ، مسطرتها ٣٥ سطرا ، فى ٣٢ × ٢١ سم .

(١٤٨ مجاميع تركى طلعت) .

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ١٩٧) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ م ، ١ / ١٩٦) .

*** الحكّاك :**

من بين من يرتكبون عيوب المؤاكلة الواحدة والثمانين التى أحصار الشيخ بدر الدين الغزى فى رسالته التى تحمل ذلك العنوان ، ما أسماه « الحكاك » (انظر مادة « آداب الأكل » فى م ١ / ٢١٦) وقال عنه :

الحكاك : وهو الذى يحك رأسه وموضعا فى بدنه بعد غسل يده وقبل الأكل ، فقد حكى بعضهم أن رجلا غسل مع المأمون يده ، وأبطأ الطعام ، فسبقته يده إلى رأسه ، فقال له المأمون : أعد غسل يدك ، فغسلها ثم لم يلبث أن سبقت يده إلى لحيته ، فقال له : أعد غسلها ، قال : ولا يلى غسل اليد إلا الخبز .

(رسالة آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين محمد الغزى ـ حققها عمر موسى باشا / ١٥) .

*** حكايات :**

يوجد عدد من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى تحت هذا العنوان ننقلها وفقا لترتيب أرقامها التسلسلية :

٣١٠ـ حكايات :

لتاج الدين الحسن بن راشد الحلى الذى كان حيا سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م.

وتتناول هـذه الحكايات قصص الأئمة ، وبعض الخلفاء والرجال ، وما قيل فيهم من بديع الشعر والنثر .

نسخة جيدة، ناقصة الطرفين .

الرقم : ٣١٤٢٧/ ٢ .

١١٨ ص ٢٠ × ١٤ سم ١٥ س.

معجم المؤلفين ٣/ ٢٢٤ .

والمؤلف مؤرخ ، فقيه ، شاعر، أديب، متكلم من آثاره : أرجوزة فى تاريخ الملوك والخلفاء ، أرجوزة فى تاريخ القاهرة ، مختصر بصائر الدرجات ، الجمانة البهية ، وصباح المهتدين (معجم المؤلفين ٣/ ٢٢٤) .

٣١١ـ حكايات :

لصالح بن محمد المنتفقى :

الأول : (الحمد لله خالق الأرض والسماوات ، الجواد الذى جاد علينا ببعث سيد الكائنات ...) .

وهى مجموعة من القصص، منها قصة الجمل والغزال، وقصة حاتم وأبى الفوارس وقصة بدور وغيرها .

نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨ م ، عليها تملك مؤرخ سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣م .

الرقم : ١٩٣٧ .

٤٣٠ ص. ٢١ × ١٥ سم. ١٣ س.

٣١٢ـ حكايات :

تبدأ بحكاية أبى شحمة ومجالس لعلماء وبعض رجال الصوفية، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ١٦١٤٥ .

١٤٠ ص. ٢١ × ١٦ سم . ١٧ س.

٣١٣ـ حكايات :

كتبت بخط النسخ ، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ٢٦٠١٤ .

٧٦٠ ص. ٢٢ × ١٦ سم. ١٦ س.

٣١٥ـ حكايات :

تتضمن أخبارا وقصصا لبعض الزهاد ، والمتصوفة ، كحكاية ذى النون المصرى ، وكعب الأحبار، والجنيد البغدادى ، وعبد الله الجوهرى ، وإبراهيم الخواص .

نسخة جيدة الخط .

الرقم : ١٧٨١/ ٢ .

١٤ ص. ٢٠ × ١٤ سم . ١١ س.

٣١٦ـ حكايات :

وهى مجموعة من القصص والنوادر منها حكاية أبو الحسن الخليع ، والحمال والنساء، وحكاية نديم وبديع ، ونوادر الأصمعى ، وحكاية قمر الزمان ، وسيف الملوك وغيرها ، وقد كتبت أغلب الحكايات بأسلوب قريب إلى اللهجة العامية الدارجة .

نسخة جيدة ، ترقى إلى القرن الحادى عشر الهجرى / القرن السابع عشر الميلادى .

الرقم : ٢٣٢٢٠ .

٢٤٨ ص. ٢١ × ١٥ سم. ٢٠ س.

٣١٧ـ حكايات :

وتتضمن حكاية الجارية تودد، وحكاية عبد الله بن مبارك والراهب مع أبى بكر.

نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠ م .

الرقم : ٢٤١٦٧ .

٤٤ ص. ٢٢ × ١٦ سم . ١٧ س .

طبعت حكاية الجارية تودد، وهى من قصص ألف ليلة وليلة (برواية أبى بكر عبد الرحمن بن هشام اليمانى) ببولاق سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ م .

٣١٨ـ نسخة أخرى :

تتضمن حكاية الجارية تودد، كتبها فى بغداد خليل بن إبراهيم ابن حسين سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦ .

١٢٦ ص. ١٩ × ١١ سم. ١٦ س.

٣١٩ـ نسخة أخرى :

ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى .

الرقم : ١٦٩٠٢ .

١٦٠ ص. ٢١ × ١٥ سم. ١٥ س.

٣٢٠ـ حكايات :

وهى مجموعة من القصص والحكايات منها قصص السندباد البحرى ، ومسرور النصرانى وغيرهما .

ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى، ناقصة الآخر .

الرقم : ١٤١٣ .

٣٤٩ ص. ٢١ × ١٤ سم. ٢٠ س.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٤٥ ـ ١٤٨) .

* **الحكايات :**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٥٤١ .

ـ حكايات فى المواعظ والزهد والتوكل .

المؤلف : أبو محمد تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى الجماعيلى الدمشقى الحنبلى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م .

أوله : أخبرنا أبو المعالى عبد الله بن عبد الرحمن ... السلمى الدمشقى ... عن محمد بن محمد بن الحسين قال : كتب رجل إلى بعض الزهاد : أنا ـ أكرمك الله ـ رجل من إخوانك قد أوثقتنى ذنوبى وكثرت عيوبى فأخبرنى كيف تصف دواء للب على ما ...

آخره : أخبرنا أبو الفتح الحربى ... عن أبى سعيد الخراز قال : دخلت ذات يوم الكوفة وبى فاقة شديدة وكنت كثيرا ما أقصد إنسانا يعرف بالجرارى كان يبيع الجرار، فقصدته فى حانوته فلم أجده فدخلت مسجدا فى جواره انتظره فلما وضعت رجلى فى المسجد قلت ... فإذا داخل قد دخل وهو يقول السلام علينا وعلى عباد الله الكذابين ... ثم خرج فخرجت فلم يعط إنسان خبره ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود.

اسم الناسخ : المؤلف .

ملاحظات : نسخة قيمة تبتدئ من الجزء الخامس وهى أجزاء صغيرة وعليها سماعان على المؤلف وسماع على تلميذ المؤلف أحمد بن عبد الدايم المقدسى وسماع على المحدث شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر طرخان الصالحى تاريخ السماع الأول سنة ٥٩٢ هـ والثانى سنة ٦٠٠ هـ والثالث سنة ٦٧٢ هـ وسماع على محمد بن إسماعيل بن كثير سنة ٧٢٤هـ وعليها خط ابن عبد الهادى .

مصادر عن الكتاب : هدية العارفين ١/ ٥٨٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧٥ ، مرآة الجنان لليافعى ٣/٤٩٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/٤٥٨ ، ٤٥٩) .

* **حكايات الصالحين :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٩٥١٣ .

كتاب فى ذكر حكايات وأشعار عن الصالحين مخروم الأول والآخر معنون بخط حديث باسم حكايات الصالحين .

المؤلف : ؟

أوله مخروم يبتدئ بـ : قال نفسك التى بين جنبيك تشهد اليوم عليك قلت لا يلومنى اليوم فى محبتك عذول أتأذن لى أن أقول ... ثم ذكر قصة توبة رحمة بنت عبد الله المخزومى رحمهما الله تعالى قال : حدثنا عبد الملك بن جبير قال حدثنا محمد بن سليمان قال بلغنا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان جالسا فى ملأ من أصحابه ...

آخره مخروم ينتهى بـ : وأما قولك قاسمتك فى مالى فقد قبلت منك مكافأة للإيمان والمعرفة ، وأما قولك لأرعى غنمك بلا أجرة فقد أوجبت لك جنتى قلت يا رب مستجيرا ...

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود معنونة بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

* **حكايات الصالحين (علم) :**

قال صاحب مفتاح السعادة :

وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرة . وقد اعتنى بأحوال الصلحاء والأبرار طائفة وأفردوها بالتدوين . وموضوعه ، وغايته ، وغرضه ظاهرة جدا ، ومنفعته أجل المنافع وأعظمها كما لا يخفى .

ولقد صنف فى ذلك ابن الجوزى كتاب : « صفوة الصفوة » .

واليافعى كتاب : « روض الرياحين فى حكايات الأبرار والصالحين » وغير ذلك من الكتب اهـ .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

قالت : المؤلفة : النسخة التى عندى من كتاب الإمام ابن الجوزى المذكور أعلاه ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام نشرت الكتاب دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م تحت عنوان « صفة الصفوة » ، ويشتمل على أربعة أجزاء فى مجلدين .

* **حكايات فحول الرجال :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى :

الرقم : ١٩٦٤ .

وتتضمن أخبار وحكايات بعض الأعلام والمتصوفة منهم سفيان الثورى، وذو النون المصرى ، وإبراهيم بن أدهم ويوسف الصديق ومنصور بن عمار وغيرهم .

نسخة جيدة ، ناقصة قليلا من الأول، ترقى إلى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى .

١١٢ ص. ١٧,٥ × ١٣ سم. ١٧ س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٤٨) .

*** الحكايات (كتاب ـ) :**

كتاب الحكايات : في الفروع لمحمد بن شجاع « بن محمد ابن بكر اللفتواني المتوفى سنة ٥٣٣ ، ولأبي جعفر الطحاوي .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٣) .

*** حكايات وقصص :**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي .

وهي مجموعة من القصص والحكايات المنقولة من مصادر مختلفة ، ناقصة الطرفين في أولها قصائد لعدد من الشعراء منهم : محمد مهدي الكاظمي ، وابن مقرب والقطامي والمتنبي ، وسعيد ابن يوسف وغيرهم .

نسخة جيدة حديثة الخط ، كتبت على ورق أزرق .

الرقم :

١٧٢ ص. ٢٢ × ١٦,٥ سم . ٢١ س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٤٦) .

*** حكاية :**

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٨٢٤ .

رواها صالح بن علي الهاشمي : عن المهتدي بالله ورجوعه عن مقالة خلق القرآن

أولها : « قال صالح بن علي الهاشمي حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين وجلس للنظر في أمور المظلومين في دار العامة ، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها ... » .

آخرها : « قال المهتدي بالله : فرجعت عن هذه المقالة وأظن أن الواثق رجع عنها من ذلك الوقت . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد ... » .

الخط نسخ معتاد دقيق كتبه أحمد بن حسن بن عبد الهادي .

(١٤٤ـ١٤٥أ) ٢ ق ٢٧س ١٣,٥ × ١٨ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٧٨) .

*** الحكاية :**

فيما يلي ما أورده ابن مالك في ألفيته عن أحكام الحكاية في النحو مشفوعا بشرح ابن عقيل للأبيات ، وقد أشير إلى النص بالحرف (ص) وإلى الشرح بالحرف (ش) . قال الناظم :

(ص) احك « بأي » ما لمنكور سئل
عنه بها في الوقف أو حين تصل

ووقفا احك ما لمنكور بـ « من »
والنون حرك مطلقا وأشبعن

وقل « منان ومنين » بعد « لي
إلفان بابنين » وسكن تعدل

وقل لمن قال أتت بنت « منه »
والنون قبل تا المثنى مسكنه

والفتح نزر وصل التا والألف
بمن بإثر « اذا بنسوة كلف »

وقل « منون ومنين » مسكنا
إن قيل « جا قوم لقوم فطنا »

وإن تصل فلفظ « من » لا يختلف
ونادر « منون » في نظم عرف

(ش) إن سئل « بأي » عن منكور مذكور في كلام سابق حكي في « أي » ما لذلك المنكور من إعراب وتذكير وتأنيث وإفراد وتثنية وجمع ويفعل بها ذلك وصلا ووقفا فتقول لمن قال « جاءني رجل » أيٌّ ولمن قال « رأيت رجلا » أيًّا ، ولمن قال « مررت برجل » أيٍّ وكذلك تفعل في الوصل نحو أيٌّ يافتى وأيًّا يا فتى وأيٍّ يا فتى وتقول في التأنيث أيةٌ وفي التثنية أيان وأيتان ، رفعا وأيين وأيتين جرا ونصبا وفي الجمع أيون وأيات رفعا ، وأيين وأيات جرا ونصبا .

وإن سئل عن المنكور المذكور « بمن » حكي فيها ما له من إعراب وتشبع الحركة التي على النون فيتولد منها حرف مجانس لها ويحكى فيها ما له من تأنيث وتذكير وتثنية وجمع ولا تفعل بها ذلك كله إلا وقفا فتقول لمن قال « جاءني رجل » منو، ولمن قال « رأيت رجلا » مَنَا ولمن قال « مررت برجل » مني وتقول في تثنية المذكر «منان» رفعا ومنين نصبا وجرا وتسكن النون فيهما، فتقول لمن قال «جاءني رجلان » منان ، ولمن قال « مررت برجلين » مَنَيْن ، ولمن قال «رأيت رجلين » مَنَيْن وتقول للمؤنثة منه رفعا ونصبا وجرا فإذا قيل أتت بنت ، فقل منَهْ رفعا ، وكذا في الجر والنصب، وتقول في تثنية المؤنث « منْتَان » رفعا ومنتين جرا ونصبا بسكون النون التي قبل التاء وسكون نون التثنية وقد ورد قليلا فتح النون التي قبل التاء نحو «مَنَتَان ومَنَتَيْن » وإليه أشار بقوله « والفتح نزر » وتقول في جمع المؤنث «منَاتْ » بالألف والتاء الزائدتين كهندات فإذا قيل « جاء نسوة » فقل « مناتْ » وكذا تفعل في الجر والنصب، وتقول في جمع المذكر «منون » رفعا ومنين نصبا وجرا بسكون النون فيهما فإذا قيل «جاء قوم» فقل مَنونْ ، وإذا قيل « مررت بقوم » أو « رأيت قوما! » فقل منينْ .

وهذا حكم من إذا حكي بها في الوقف فإذا وصلت لم يحك فيها شيء من ذلك لكن تكون بلفظ واحد في الجمع فتقول « مَنْ يا فتى» لقائل جميع ما تقدم وقد ورد في الشعر قليلا منون وصلا . وقال الشاعر:

أتوا ناري فقلت منونَ أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقال : منون أنتم ، والقياس من أنتم

(ص) والعلم أحكينـــــه من بعـــــد « من »

إن عـــــريت مـــن عطف بهـــــا اقتـــــرن

(ش) يجـوز أن يحكى العلم « بمـن » إن لم يتقـدم عليهـا عاطف فتقول لمن قال « جـاءنى زيد » مَنْ زيد ، ولمن قال « رأيت زيـدا » من زيدا ، ولمن قـال « مـررت بزيـد » مَنْ زيـدٍ فتحكى فى العلم المذكور بعد « من » ما للعلم المـذكور فى الكلام السابق من الإعراب .

ومن مبتـدأ والعلم الذى بعـدهـا خبـر عنها أو خبـر عن الاسم المـذكور بعـد من فإن سبق « من » عاطف لم يجـز أن يحكى فى العلم الذى بعدهـا ما لما قبلها من الإعـراب بل يجب رفعه على أنه خبر عن « من » أو مبتـدأ خبره « من » فتقول لقائل : « جـاء زيد أو رأيت زيدا أو مررت بزيد ومن زيد» .

ولا يحكى من المعارف إلا العلم فـلا تقول لقـائل « رأيت غلام زيد » من غـلامَ زيد بنصب غـلام بل يجب رفعه فتقـول « من غلامُ زيد » وكذلك فى الرفع والجر . (شرح ابن عقيل / ١٦٧ ، ١٦٨) .

وقال عنها أيضا الآثارى فى ألفيته :

فـى اللفـظ إن سئلـت عـن منكـــــــور

بـأى اتبع حـــــالـــــة المـــــذكـــور

وصـــــلا ووقفـــــا ولـــــدا وقـف بمـن

والنــــــــون أشبـع ومـن الأنثى سكـن

وبعـــــد « مـن » اتبع حكـــــايـــــة العلم

بـــــدون عـــــاطف وإلا الـــــرفع عم

قال التهانوى :

الحكاية بـالكسر فى اللغة ، معنى حكاية الحـال الماضية فى عرف العلماء أن يفـرض أن ما كان فى الزمـان الماضى واقع فى هذا الزمان يعبر عنه بلفظ المضارع وقد يعبر عنه بلفظ اسم الفاعل وليس معناها أن اللفظ الذى فى ذلك الـزمان يحكى الآن على ما يلفظ به كما فى قولهم « دعنى من تمرتـان » على ما زعمه السيد الشريف فى حواشى شرح المفتاح بل المقصود حكـاية المعنى وإنما يفعل هذا فى الفعل المـاضى المستغـرب كأنك تحضره للمخـاطب وتصـوره ليتعجب عنه كما تقول رأيت الأسد فآخذ السيف فأقتله وهذا المعنى أخـذه المحقق التفتـازانى من كـلام الكشـاف حيث قـال : ومعنى حكـاية الحـال الماضيـة أن يقـدر أن ذلك الماضى واقع فى حـال التكلم كمـا فى قوله تعـالى ﴿ فلم تقتلـون أنبيـاء الله من قبل ﴾ [البقرة: ٩١] وقـد استحسنه الرضى وذكـر الأندلسى أن معنـاها أن تقدر نفسك كأنك موجود فى ذلك الزمـان أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن . هذا كله خلاصـة ما ذكره الفاضل الجلبى فى حواشى المطول فى بحث الحال .

أقـول : اعلم أن العـدول من المـاضى إلى المضـارع لإفـادة استحضار صورة ما مضى لأن المضارع ممـا يدل على الحال الذى من شأنـه أن يشاهـد فكأنه تستحضـر بلفظ المضارع تلك الصـورة الماضيـة العجيبة ليشاهـدها الحاضـرون ولا يفعل ذلك إلا فى أمر يهتم بمشـاهدتـه لغرابـة أو فظـاعة أو تنبيـه أو تحسين أو تقبيح أو تهـويل أو تعظيم أو إهانـة أو غيـرها كمـا فى قـوله تعـالى ﴿ فتثير سحابا﴾ بعد قوله تعالى ﴿ والله الذى أرسل الرياح ﴾ [فاطر : ٩] استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة القاهرة والحكمة البـاهـرة يعنى صـورة السحـاب مسخـرا بين السمـاء والأرض على الكيفية المخصـوصة والانقلابـات المتفاوتة هكـذا فى المطول فى بحث لو (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٩٨) .

ومن الألغـاز فى بـاب الحكـاية هـذه الأبيـات ، التى أوردهـا الأستاذ أحمد محمد الشيخ وعلق عليهـا قال : قال الملغز النحوى فى هذا الباب :

(فرج بن لب الأندلسى : شرح منظومة الألغاز النحوية ، ورقة رقم ٩ مخطوط دار الكتب المصرية (٧ مجاميع ش) أيضا السيوطى الأشباه والنظائر فى النحو جـ٣ ص ٥١ ، ٥٢) .

ومـــــا الـــــذى بنى وفى آخـــــره

دليـل إعـــــراب لـــــدى تبيـــــان

وذلـك الإعـــــراب فـى اسم ســـــابق

وذلـك الـــــدليل فـى اسم ثـــــان

يلفـى لـــــديـــــه عـــــوضـــــا من خبـــــر

أم ليـس لـــــذاك يجتمعـــــان

مـــــا حـــــرف إعـــــراب بمبنى وقـــــد

نـــــاب عـن اسم حـل فـى المكـــــان

يعنى هذه الأبيات الأربعة حكايـة النكرات بمن نحو (منو) فى حكـاية المرفوع و (مَنَا) فى حكـاية المنصوب (منى) فى حكـاية المجرور، فمن مبنية وهذه العلامـة اللاحقة دليل الإعراب الذى فى الاسم السـابق ، ومن مبتـدأ أغنت تلك العـلامة عن خبـره وقـامت مقامه ولذلك لا يجمع بينها وبين الخبر فلا يقال (منو ومنا الرجل)

والبيت الرابع محصل لمـا تقدم فى الأبيـات الثلاثة فـالاقتصار عليه وحده مغن عما قبله فيقال :

مـــــا حـــــرف إعـــــراب بمبنى وقـــــد

نـــــاب عـن اسم حـل فـى المكـــــان

وقال الآخر ملغزا :

(العلامـة العصامى « شـرح منظومة الألغـاز النحويـة » ورقة ٨ مخطوطة دار الكتب رقم ٢٩ نحو ش) .

« وأيـن أضحـى القـــــول فـى المحكيـــــه

بـــــالقـــــول حتمـــــا يـــــا لهـــــا أحجيـــــه

وأقول : حاصل هـذا البيت فى أى موضع وجب فتح « أن » مع أنها أى بجملتهـا محكية بالقول ؟ والجـواب أن ذلك فى مثل قولك

«إن قال زيد أنك عالم أكرمتك» فتفتح «أن» هنا وجوبا لأنها فى الكلام الذى حكيته كانت مفتوحة لكونها مجرورة بلام التعليل المحذوفة، إذ الأصل: «لأنك عالم أكرمتك» ذكره الدماميني وهو ظاهر».

وألغز الآخر فى مسائله فقال: «مسألة: اسم مقدر الإعراب بالحرف للتعذر؟».

الجواب: هو «تمرتان» فى قول الإعرابى (دعنى من تمرتان) على سبيل الحكاية فإنه فى تقدير «دعنى من تمرتين» ذكره مولانا عصام الدين فى شرح الكافية».

وقال فى أحكام هذا الباب ملغزا (الزمخشرى: الأحاجى النحوية ص٣٣، ٣٤: تحقيق مصطفى الحدرى، نشر مكتبة الغزالى، سوريا).

«أخبرنى عما ينصب ويجر وهو رفع، وعما تدخله التثنية وهو جمع».

الأول: قول أهل الحجاز لمن يقول «رأيت زيدا مَنْ زيدا؟» ولمن يقول «مررت بزيد، من زيدٍ؟» يحكون منصوبه ومجروره ويوقعونهما محكيين فى محل الرفع فيمن يقول «من زيد؟» فهما مرفوعان محلا على الابتداء وإن كان اللفظ بخلافه، وكما تقول لمن قال «عندى تمرتان: دعنى من تمرتان» فيكون مرفوع اللفظ مجرور المحل وكذلك: قرأت: «الحمدُ لله» و«سورةٌ أنزلناها» مرفوع اللفظ منصوب المحل.

فإن قلت: فإذا قال الحجازى لمن قال جاءنى زيد (من زيد؟) هل لمرفوعه لفظ ومحل كما كان لمنصوبه ومجروره؟ قلت: أى وعهد الله! هو حاك لمرفوعه بالفاعلية وهو مرفوع بالابتداء، فإن قلت: فلو قال «عندى زيد فقال من زيد» قلت الأمر كذلك للمحل رفع ابتدائى غير محكى عن الرفع الابتدائى المحكى الذى فى اللفظ».

وقال علم الدين السخاوى رحمه الله معلقا على ذلك وباسطا القول فيه (تنوير الدياجى فى تفسير الأحاجى، ورقة ٤٣ مخطوطة ميكروفيلم. جامعة الدول العربية، مصر) «وأقول مستعينا بالله: قوله ينصب ويجر ليس بمستقيم لأن النصب والجر إنما يكون بعامل فى الجر له فى هذا للحكاية، وليست مما أوجبه العامل وليست حكاية الإعراب فى لفظ من قال «مررت بزيد أو رأيت زيدا» بإعراب، وإذا لم تكن إعرابا لم يكن إطلاق الجر والنصب على ذلك صوابا.

واعلم أنك إذا استفهمت عن علم فعلى لغة أهل الحجاز يحكى إعرابه، وبنو تميم يرفعون فى الأحوال كلها قال سيبويه: وهو أقيس القولين، وإنما قال ذلك لأنه إذا قال «رأيت زيدا فقلت من زيدٌ؟» علم أنك تريد الاستفهام عمن ذكره، وذهاب الوهم إلى غير ذلك من البعيد.

وأهل الحجاز يحكون فيقولون إذا قال «مررت بزيدٍ من زيدٍ؟» ورأيت زيدا من زيدا» «وجاءنى زيد من زيد؟» حرصا على البيان ومبالغة فيه وهذا الخلاف يختص بالأعلام لأنها أكثر ما يقع الإخبار عنه فجاؤوا بالحكاية لئلا يتوهم أنهم بدأوا بالاستفهام عن غير ما ذكر فلو قال قائل: «جاءنى أخو زيد ورأيت أخا زيد، ومررت بأخى زيد» لم يكن للمستفهم عن ذلك إلا الرفع فى اللغتين جميعا، وترك أهل الحجاز الحكاية فى هذا لأنه لم يكثر الإخبار به كثرة العلم، ولم يقع فى ترك الحكاية ليس ما جروه على القياس وكذلك إن أدخلت على «من» حرف عطف فقلت لمن قال «رأيت زيدا ومن زيدٌ» لم يكن إلا الرفع ولم يخل أهل الحجاز لأن العاطف «يؤذن بأنك لست بمبتدىء وإذا قال «رأيت زيدا وعبدَ الله» قيل «ومن زيدٌ وعبدُ الله» على المذهبين وقد أجاز بعضهم الحكاية فى هذا لاحتمال الابتداء والذى أقول أن ينساق هذا الكلام على طوله لا يتوهم معه الابتداء ووقوع كلام طويل على صورة ما ذكر الأول يرتفع معه توهم الابتداء، والمحكيان على لغة أهل الحجاز فى موضع رفع على الابتداء والخبر، وفعلك لمن قال «عندى تمرتان دعنا من تمرتان» فتمرتان فى موضع جر وفى اللفظ حكاية وقوله فيكون مرفوع اللفظ مجرور المحل، والرفع هاهنا فى قوله «عندى تمرتان» على الابتداء وقول الآخر «دعنى من تمرتان» حكاية قوله، وأما قوله (قرأتُ «الحمدُ لله» وقرأت «سورةٌ أنزلناها») فالحمد لله اسم للسورة وكذلك «سورة أنزلناها» كقولك «شابَ قرناها».

والحكاية على نوعين: حكاية المستفهم للفظ المخبر.

وحكاية ما هو على خلاف ذلك.

فأما حكاية المستفهم للفظ المخبر فأهل الحجاز يأتون بذلك على لفظ المخبر من رفع ونصب وجر وإنما فعلوا ذلك حرصا على البيان ومبالغة فيه، وخصوا بذلك الأعلام من الكنى وغيرها، وإنما خصوا به الأعلام لأن العلم قد دخله التغيير بنقله إلى العلمية فالتغيير يؤنس بالتغيير، وأما بنو تميم فلا يحكون ويعربون على أنه مبتدأ وخبر بالرفع فى جميع ذلك والحركة التى يأتى بها أهل الحجاز على اللفظ الذاكر ليست بحركة إعراب وإنما هى حركة حكاية وقال بعضهم: هى فى حال النصب والجر نائبة عن الرفعة التى يستحقها الخبر عن المبتدأ وعلى قولهم هذا يلزم أن تكون فى حال الرفع هى الحركة التى يستحقها الجر لإنابته عنها. وقالوا أيضا: إذا قال «جاءنى زيدٌ فقلت من زيدٌ؟» رفعته على أنه فاعل فعل محذوف ليكون محكيا لأن الأول فاعل وكأنك قلت «أجاءك زيدٌ؟» وهذا ضعيف ساقط لمن تأمل، وكذلك قالوا فى النصب والجر.

وأما فى الاستفهام عن النكرة فلا يحكى لفظ الذاكر باتفاق بل تقول لمن قال: «جاءنى رجلٌ مَن الرجلُ؟» فدلت الألف واللام على أنك تريد الأول لأن إذا تقدم أعادت الألف واللام الذاكر إليه، فإن وقفت جاز أن تأتى بالألف واللام وأن تلحق واوا إذا رفع مخاطبك وياء إن جر، وألفا إن نصب.

ويحكون أيضا « بأيٍّ » فيقولون لمن قال (جاءنى رجل) أيٌّ فى الرفع وأيًّا فى النصب وأيٍّ فى الجر وأيَّان فى التثنية وأيون فى الجمع وأيِّين وأيين فى النصب والجر و « أيَّة وأيتـان وأيَّتين وآيَات » فأفاد إعراب « أى » البيان فاستغنى بـه وهذا كله لا يسقط شىءٌ منه فى الوقف ولا فى الوصل لأنك جعلت ذلك نائبا عن الذى تضاف إليه « أيٌّ » وكـان الأصل « أيُّ رجل ؟ » فحذف ذلك واستغنى بإعـراب « أيِّ » فلـذلك ثبت فـى الـوقف بخـلاف مـا يـوقف عليـه من المغربيـات . و «أيًّا وأيٍّ » فى حـال النصب والجرّ فى مـوضع مبتدأ والخبر محذوف أو هو خبر والمبتدأ محذوف والتقدير « أيًّا المذكور أو أيًّا الـرجل » وهذا الذى ذكرناه فى الاستفهام عن النكـرة فإن كان الاستفهام عن معرفة فالرفع لا غير فى كل حال، تقول « أى عبد الله وأيُّ الرجل ؟ » وأحد الاسمين مبتدأ والآخر الخبر أيهما شئت جعلته المبتدأ .

ومن الحكاية فى غير الاستفهام ما تراه مكتوبا فتحكيه أو تسمعه فكما سمعته تؤديه وذلك كقوله « رأيت على خاتم الشافعى يثق بالله محمد بن إدريس » فهذه الجملة فى موضع نصب ولا يعرب لفظها ولكن يحكى كما هو ومن ذلك قول الشاعر (من الشواهد النحوية . كتاب سيبويه ٢/ ٦٥ ونسبه إلى بشر بن خازم) :

وجـــــدنـــــــا فـى كتـــــاب بنـى تميم
أحـق الخيـل بـــــالـــــركب المعـــــارُ

فأحق الخيل مبتـدأ والمعار خبره ولا يعرب بوجـدنا بل يحكى لأن العـامل لا يدخل علـى عامل، والعـامل فى هـذا الابتداء فهـو بمنـزلة الفعل والفـاعل فى قولـه (من الشـواهد النحـوية من بـاب الحكاية) :

سمعـت النـــــاس ينتجعــــــون غيثـــــا
فقلـت لصيـــــــدح انتجعـى بـــــــلالا

ومن ذلك قول من قال « دعنا من تمرتان » وأما قول الشاعر :

وأصفـــــر مـن ضــــرب دار الملـــــوك
يلـــــــوح علـى وجهـــــه جعفـــــرا

قيل كان عليه جعفرا فحكاه، « وأريد بذلك اقصدوا جعفرا » ولا تثنى هذه الحكاية ولا تجمع ولا تضاف لأنه تزول معانيها باختلاف ألفاظها . قال أبو العباس (أبو العباس أحمد بن ثعلب) :

ألا تـرى أنك إذا رأيت « أحق الخيل بـالـركض المعـار » فى مكـانين لم يجـز أن تثنيه كمـا تقـول رأيت زيديـن وإنما حق هـذه الأسماء التأدية فإن سميت بالمبتدأ والخبر من قولك « زيد الطويل » قلت « رأيت زيـدٌ الطـويل » ومـررت بـزيـدٌ الطـويلُ « ورأيت زيـدٌ الطويلُ » فإن سميت بزيد الطويل من قولك « جاءنى زيدٌ الطويل » قلت (مررت بزيدٍ الطويل) لأن الطويل فى هذا صفة وكذلك «رأيت زيدًا الطويلَ » وقـد وقع فى التسمية على أنه صفة ومـوصوف، وأما حين كان المسمى بالمبتدأ والخبر فإنه وقع مرفوعا بالمبتدأ كما كان المبتدأ مرفوعا بالابتـداء وكذلك النداء لا يعمل كما لم يعمل غيره، فلو سميت بمبتدأ وخبر قلت : يا زيـدٌ منطلقٌ ولو بزيدٌ الطويلُ من قولك « جـاءنى زيدٌ الطويلُ » لقلت « يا زيدًا الطـويل أقبل » لأنه شبه بـالمضاف لطـوله، وإن سميت بمقسم بـه قلت « رأيت وزيدٍ وجاءنى وزيدٍ » لأن الواو عاملة بمنـزلة الباء إذا سميت بزيدٍ ألا ترى أنك تقـول وكذلك الـواو العاطفـة مع المعطوف إذا سميت بـذلك لأنك لا تقول وزيـدٌ إلا وقبله مرفوع وكذلـك إن سميته « وزيداً » أو سميته « وزيدٍ تحكيه » (كتب الألغاز والأحاجى اللغوية/ ٥٨٢٥٧٦)

(شـرح ابن عقيل على ألفية ابن مـالك ط أمين عبـد المجيد محمـد الـديدى / ١٦٧ ، ١٦٨ ، وط الإدارة المركـزية للمعـاهد الـدينية / ٣٠٥، ٣٠٦، وألفية الآثـارى: كفاية الغلام فى إعـراب الكلام صنعة زيـد الدين شعبان بن محمد القـرشى الآثارى ـ حققه وقدم له د. زهيـر زاهد والأستاذ هلال نـاجى / ١٠٦ ، وكشـاف اصطلاحـات الفنون للتهـانوى ١/ ٣٩٨، وكتب الألغاز والأحاجى اللغوية ـ أحمد محمد الشيخ / ٥٧٦ـ ٥٨٢) .

*** حكاية أبى بكر أحمد بن العباس بن مجاهد المقرئ:**

من مخطـوطات الأدب فى دار الكتب الظـاهـرية بـدمشق (أو بمكتبـة الأسد) جزء فيـه حكايـة أبى بكـر أحمد بن العبـاسى بن مجاهد المقرئ .

الرقم ٣٨١٦مجاميع ٨٠

أولـه : « أخبرنـا الشيخ الشريف يـونس بن بحير بن أبى الحـر الهاشمى قراءة عليه، وأنا أسمع، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن عبيـد الله بن نصر بن الزاغـونى، قراءة عليه، وأنا حـاضر أسمع، فأقر به وأجازه، قيل له: أخبركم الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الواحد بن على بن محمد بن فهد العلاف قراءة عليه وأنا حاضر أسمع ... » .

آخره : « فإذا فيها رقعة مكتوب فيها : من وصلت إليه هذه الصرة فلـه فى كل حـول مثلها، فقـال : يـا هـذا خذ هـذه واحتفظ بهـذه الـرقعة، ولك فى كل سنـة مثلهـا . قال : فأخـذت الصـرة والرقعـة ورجعت إلى منزلى وكان سبب غنائى بركة الشيخ ابن مجاهد رحمه الله .

آخر الجزء .

وافـق الفراغ فى يـوم السبت ١٦ من شوال سنـة ٥٧٤ بـالقاهـرة حماها الله تعالى . وكتب إسماعيل بن عمر بن أبى بكر المقدسى «

النسخة قديمة ومقابلة وعليها سماع فى سنة ٥٧٤ هـ .

(٩ـ ١٤)٥ق		١١س		١٠×١٤سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهـرية . الأدب ـ وضعـه رياض عبدالحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٠).

*** حكاية أصحاب الكهف :**

من مخطـوطات الأدب فى دار الكتب الظـاهرية بـدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٣٧٩ .

المؤلف : مجهول .

ضمنها مؤلفها شيئا من الوعظ والزهد .

أولها : « وسئل ابن عباس رضى الله عنه قال : أى آية أعظم فى القرآن ؟ قال : آية الكرسى . قال : فأى آية أعجب فى القرآن ؟ قال : قوله ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ ... »[الكهف : ٩] .

آخرها : « قال ابن عباس : فقيض الله تعالى أرواح أهل الكهف، وأمر جبريل أن (؟) عليهم الكهف، فلما أبطأ على الملك أقبل الملك ومن معه إلى الكهف، وانطبق الكهف عليهم بإذن الله تعالى، فلم يقدر على الدخول، فسلموا عليهم برؤوس أصابعهم (أناملهم) ورجعوا إلى مدينتهم . تمت » .

نسخة مكتوبة بخط نسخ معتاد، كتبها ناسخ المجموع إسماعيل بن يعقوب بن إسحاق بن عرب الحنفى سنة ٧٣٣ .

(٢٤١ب ـ ٢٤٦أ) ق　٢١س　١٧,٥×٢٥,٥سم

نسخة أخرى :

الرقم ٢٦٤

تختلف عن النسخة الأولى قليلاً فى أولها وآخرها .

كتبت بخط نسخ معتاد . بعض الكلمات بالحمرة .

كتبها على بن زيد سنة ١١٨٦ .

(٥٢ـ ٧٨) ٢٧ق　٩س　١٠×١٥سم

(فهرس الظاهرية ١/ ١٧٨، ١٧٩) .

قالت المؤلفة : أدرج هذا المخطوط فى فهرس التصوف تحت عنوان « حكاية أهل الكهف » بالرقم التسلسلى ٦٣٨ وجاء بيانه كما يلى :

حكاية أهل الكهف :

الرقم ٢٦٤ .

قصة أهل الكهف انتقاها الناسخ من بعض كتب الوعظ وفيها شىء من الموعظة والزهد .

المؤلف : ؟

أولها : سئل معاذ بن جبل رضى الله عنه عن هذه الآية وهى قوله تعالى ﴿ إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ فقال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان فى مدينة طرطوس ملك يقال له دقيانوس وكان أهلها من العمالقة ...

آخرها : قال أيها الملأ اصبروا مكانكم حتى أدخل على إخوتى وأخبرهم بما قد جرى لأنهم يظنون أن الزمان كما كان وهم خائفون من دقيانوس فقال نعم ...

الخط نسخ معتاد، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : على بن زيد .

تاريخ النسخ : سنة ١١٨٦ هـ .

(فهرس الظاهرية . تصوف ١/ ٤٦٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٧٨، ١٧٩، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٦٠) .

*** حكاية الأصوات :**

انظر : الصوت .

*** حكاية أهل الكهف :**

انظر : حكاية أصحاب الكهف .

*** حكاية البسطامى:**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

الرقم ٢٤٠٣٣/ ٥

لم يعلم المؤلف .

الأول : (روى بعض المشايخ الراشدين، أنه كان فى القرن الخامس ولىٌّ يقال له أبو يزيد البسطامى ...) .

وهى حكاية ذات نسيج أدبى صوفى، تحكى أحلام أبى يزيد البسطامى وسفره إلى الحج، وما جرت له من أحداث عند سفره ...

نسخة جيدة، كتبت سنة ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥م .

٨ص　١٩×١٥سم .　١٨ س .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٤٩) .

انظر : أبو يزيد البسطامى .

*** حكاية بنى هلال :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

الرقم ٣٣٦٣٦ .

لم يعلم المؤلف .

وهى حكاية تتضمن قصص أبى زيد الهلالى، وبطولات بنى هلال .

نسخة حديثة ناقصة الأول .

٢٥٧ص .　٢٣×١٧سم .　٢٣ س .

طبعت أكثر من مرة معجم ٢٠١٥ .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٤٩) .

*** الحُكرى (٦٧٢أو ٦٧٣ـ ٧٤٩هـ) :**

قال عنه الإمام ابن الجزرى :

إبراهيم بن عبد الله بن على بن يحيى بن خلف أبو إسحاق الحكرى القرشى الشافعى شيخ مشايخ الإقراء بالديار المصرية أستاذ كامل ماهر، ولد سنة اثنتين وسبعين وستمائة، قرأ القرآت بكتب شتى على التقى محمد بن أحمد الصايغ والنور على بن

يوسف بن حريز الشطنوفى والجمال أبى بكر بن أبى العز ناصر المبلط وقرأ قراءة أبى عمرو ثم قراءة ابن كثير إلى آخر سورة النساء على النور على بن ظهير بن شهاب بن الكفتى وعلى شرف الدين محمد الضرير إمام مسجد الشرابيشى وعرض الشاطبية على الصايغ وعلى الرشيد إسماعيل بن المعلم وقرأها مع الرائية على الحسن بن عبد الكريم سبط زيادة وسمع الحديث من الحافظ الدمياطى وغيره وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس، وتصدر للإقراء وقرأ عليه خلق وانتهت إليه رياسة القراءة والتجويد مع حسن الصوت وجودة الأداء فى الديار المصرية ورحل الناس إليه من الأقطار وكان ذا مروءة ونزاهة وقضاء لحقوق الأصحاب مع فقر وجودة طباع ودين، قرأ عليه شيخنا محمد بن أحمد بن على بن اللبان والشيخ خليل بن عثمان القرافى وإبراهيم بن أحمد الشامى وعباس بن حسين ويوسف بن العالمة الحمصى والعماد أبو بكر النحوى وأحمد بن بيدس الحاجب وزين الدين عبد الرحمن بن الشاهد الدمشقى والشيخ عمر الزيلعى، مات عاشر ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالطاعون بالقاهرة (غاية النهاية ١/ ١٧، ١٨) .

وقد أدرجه الدكتور أحمد عيسى فى الأطباء فى معجمه، وقال بالإضافة إلى بعض ما تقدم : أخذ النحو عن الشيخين بهاء الدين ابن النحاس وأبى حيان ، والأصول عن الشيخ تاج الدين البارنبارى، والمنطق عن الشيخ سيف الدين البغدادى، وسمع وحدَّث ودرَّس وأفتى وشغل بالعلم .

وممن أخذ عنه القاضى محب الدين ناظر الجيش، والشيخان زين الدين العراقى وسراج الدين بن الملقن ، وولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية بعد موت الشيخ أبى حيان، ومشيخة الخانقاه النجمية ظاهر القاهرة ، وخطب بجامع الأمير حسين بن صدر، وتصدر به مرة . قال الأسنوى: كان فقيها عالما بالنحو والتفسير والقراءات طبيبا خيِّرًا متوددًا كريما مع فاقة ، متواضعا ماشيا على طريقة السلف فى طرح التكلف . وقال الصلاح الصفدى: أقرأ الناس فى أصول ابن الحاجب وتصريفه. وفى التسهيل ، وكان يعرف الطب والحساب وغير ذلك ... إلخ (معجم الأطباء / ٥٧، ٥٨ عن طبقات ابن شهبة / ٧٨) .

وقد أورد الزركلى ترجمة بنفس العنوان للحُكرى (إبراهيم بن عبد الله الحُكرى، برهان الدين (ـ ٧٨٠ هـ ـ ١٣٧٨ م) وقال عنه : نحوى ، من أهل « الحكرة » بقرب الطائف. سكن مصر، وتولى القضاء بالمدينة، وناب بالحكم فى القدس والخليل. له «شرح الألفية » لابن مالك فى النحو . (الأعلام ١/ ٤٩) .

(غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ١٧ ، ١٨ ومعجم الأطباء، ذيل عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ـ د.) أحمد عيسى/ ٥٧، ٥٨، والأعلام للزركلى ١/ ٤٩ عن بغية الوعاة/ ١٨٢ وهدية العارفين/ ١٧) .

* حَكَم (ح ك م) :

قال الإمام الراغب الأصفهانى فى مادة « حكم » وقد جمع فيها ما نفصله فيما بعد إن شاء الله تعالى :

حكم : حكم أصله منع منعًا لإصلاح ومنه سميت اللجام حكمة الدابة فقيل حكمته وحكمت الدابة منعتها بالحكمة وأحكمتها جعلت لها حكمة وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها، قال الشاعر:

* أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم *

وقوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ [الحج : ٥٢] والحكم بالشىء أن تقضى بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه ، قال تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال :

فاحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت
إلى حمام سراع وارد الثمد

الثمد الماء القليل. وقيل معناه كن حكيما ، وقال عز وجل: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠]، وقال تعالى : ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ [المائدة ٥٠] ويقال حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس، قال الله تعالى : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] والحكم المتخصص بذلك فهو أبلغ قال الله تعالى : ﴿ أفغير الله أبتغى حكما ﴾ [الأنعام : ١١٤] وقال عز وجل: ﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾ [النساء : ٣٥] وإنما قال حكما ولم يقل حاكما تنبيها أن من شرط الحكمين أن يتوليا الحكم عليهم ولهم حسب ما يستصوبانه من غير مراجعة إليهم فى تفصيل ذلك ، ويقال الحكم للواحد والجمع وتحاكمنا إلى الحاكم، قال تعالى : ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ [النساء : ٦٠] وحكمت فلانا ، قال تعالى : ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥] فإذا قيل حكم بالباطل فمعناه أجرى الباطل مجرى الحكم .

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذى وصف به لقمان فى قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ [لقمان : ١٢] ونبه على جملتها بما وصفه بها . فإذا قيل فى الله تعالى هو حكيم فمعناه بخلاف معناه إذا وصف به غيره ، ومن هذا الوجه قال الله تعالى : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ [التين : ٨] وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة نحو : ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] وعلى ذلك قال ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر* حكمة بالغة ﴾ [القمر : ٤، ٥] وقيل معنى الحكيم المحكم نحو : ﴿ أُحكمت آياته ﴾ [هود: ١] وكلاهما صحيح فإنه محكم ومفيد للحكم ففيه المعنيان جميعا . والحكم أعم من

الحكمة فكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة ، فإن الحكم أن يقتضى بشىء على شىء فيقول هو كذا أو ليس بكذا، قال ﷺ : «إن من الشعر لحكمة» أى قضية صادقة وذلك نحو قول لبيد :

*** إن تقوى ربنا خير نفل ***

قال الله تعالى : ﴿ **وآتيناه الحكم صبيا** ﴾ [مريم : ١٢] وقال ﷺ: « الصمت حكم، وقليل فاعله » : أى حكمة ، ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ [الجمعة : ٢] ، وقال تعالى: ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ [الأحزاب : ٣٤] قيل تفسير القرآن ويعنى ما نبه عليه القرآن من ذلك ﴿ **إن الله يحكم ما يريد** ﴾ [المائدة : ١] أى ما يريده يجعله حكمة وذلك حث للعباد على الرضى بما يقضيه . قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ **من آيات الله والحكمة** ﴾ [الأحزاب : ٣٤] هى علم القرآن ناسخه ومنسوخه، محكمه ومتشابهه وقال ابن زيد: هى علم آياته وحكمه. وقال السدى هى النبوة، وقيل فهم حقائق القرآن وذلك إشارة إلى أبعاضها التى تختص بأولى العزم من الرسل ويكون سائر الأنبياء تبعا لهم فى ذلك. وقوله عز وجل : ﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا** ﴾ [المائدة : ٤٤] فمن الحكمة المختصة بالأنبياء أو من الحكم قوله عز وجل ﴿ **آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ [آل عمران : ٧] فالمحكم مالا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى والمتشابه على أضرب تذكر فى بابه إن شاء الله، وفى الحديث : « إن الجنة للمحكَّمين » قيل هم قوم خيِّروا بين أن يقتلوا مسلمين وبين أن يرتدوا فاختاروا القتل، وقيل عن المخصصين بالحكمة .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٦ـ١٢٨) .

*** حكم :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى .

الرقم ٣٣٤٢٧.

تتضمن مجموعة من الحكم والنصائح ، كتبت على لسان الحيوانات ورتبت على أساليب ورياض، القسم الأول من هذه النسخة ناقص، وفى أوراقه تقديم وتأخير.

نسخة جيدة، مؤطرة الصفحات بمداد أحمر، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى .

٦٤ص . ٢١×١٥ سم . ٢١ س .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٤٩، ١٥٠) .

*** الحِكَم :**

أحد مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

حكم صوفية أول حكمة : اعلم أن الوقوف مع العبودية هو منتهى أهل المشاهد الملكوتية. وآخر حكمة : يتم بدرك أيها المنتبه إن تحققت فى كل حال أنك به .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الحنفى الدمشقى الخلوتى المتوفى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م .

أولها : الحمد لله على ما أنعم، والشكر له على ما ألهم وعلم، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم والحبيب الأكرم وعلى آله وأصحابه ... فهذه نبذة فى الحكم مرتبة على حروف المعجم ...

آخرها : اللهم يا من هو الحكم العدل، وله الحكم والتصويف وهو القاهر فوق عباده فلا ينفذ إلا بمداده وهو الخبير اللطيف ... وعلى آله وأصحابه النجوم الطوالع ما بدت لمريد فى سلوكه الطوالع ...

الخط رقعى حديث، الحبر أسود معنونة بالأحمر.

اسم الناسخ : محمد خير بن إبراهيم غزال .

تاريخ النسخ : ٣٥رجب الخير سنة ١٣٤٣هـ .

نسخة ثانية :

الرقم : ١٠٠٤٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد دقيق، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢/ ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٦١، ٤٦٢) .

*** ابن أبى الحكم (ـ٥٧٠هـ / ـ١١٧٤م) :**

هو محمد بن عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلى، أفضل الدولة، أبو المجد بن أبى الحكم : طبيب عالم بالهندسة والنجوم والموسيقى. من أهل دمشق. أندلسى الأصل، عمل « ارغنا » وبالغ فى إتقانه. وكان يضرب على العود ويزمر (بالناى) وله يد فى سائر آلات الطرب ولما بنى السلطان نور الدين الشهيد البيمارستان بدمشق تولى أعماله، فكان يدور على المرضى فيه ويكتب لهم ما هم فى حاجة إليه ، فإذا فرغ من ذلك خرج إلى القلعة ليتفقد مرضى السلطان وغيرهم ثم عاد إلى البيمارستان ، فجلس بين يديه الأطباء، والتلاميذ، ويستمر فى مباحث طبية مدة ثلاث ساعات .

(معجم علماء العرب ــ باقر أمين الورد، راجعه كوركيس عواد ١/ ٣٦، ٣٧، عن الأعلام للزركلى ٧/ ١٤١٠، وطبقات الأطباء ٢/ ١٥٥، والوافى بالوفيات٣/ ٣٣٠) .

*** حِكَم أبى مدين :**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١٤٤٨ تصوف ١٣٠ .

حكم إلهية ومواعظ على طريقة أهل التحقيق من الصوفية .

المؤلف : أبو مدين شعيب بن الحسن المغربى الأنصارى الأندلسى التلمسانى المتوفى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م.

أولها : الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر فى كل نفس وحال، فأيما قلب رآه مؤثرا لـه حفظه من طوارق المحن ومعضلات الفتن، الحق تعالى يجرى على ألسنة علماء كل زمان ما يليق بأهله ...

آخرها : وكان آثار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط، ومع الصوفية بالأدب والارتباط، ومع المشايخ بالأدب والاغتباط ... ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار، والصلاة والسلام على نبيه المختار...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : مكى بن عبد النافع بن أبى الوفا بن علوان الحموى.

تاريخ النسخ : جمادى الأولى سنة ١٠١٩هـ .

ملاحظات : نسخة عادية مراجعة من وقف أسعد باشا العظم .

نسخة ثانية :

الرقم : ٤٠٤٢

أولها وآخرها : كالسابقة مع زيادة بسيطة .

الخط نسخى دقيق، الحبر أسود مجدولة بالأزرق .

اسم الناسخ : محمد بن حسن بن محمد القابونى الشافعى القادرى.

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٧هـ .

مصادر عن الرسالة : فهرس الخديوية ٧/ ٢٢٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٤/ ٣٠٢، الأعلام ٣/ ٢٤٥ اكتاد لى التشوف إلى رجال التصوف ص٣١٦-٣٢٥ طبع الرباط سنة ٩٥٨ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة ١٧٨ / ٧، المتحف البريطانى متسلسل ٢٣٧رقم ٤٢٧٣ق ٦٨-٧٥ .

قال واضع الفهرس :

طبعة الرسالة : اطلعت عليها مطبوعة مع شرح لها فى مكتبة المرحوم الشيخ يعقوب المهتدى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٧٠، ٤٧١) .

***الحكم الإسلامى :**

عن كيفية الحكم يقول الإمام ابن الديبع :

١ - عن الحارث بن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة يرفعه إلى معاذ رضى الله عنه « لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال له : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال : أقضى بكتاب الله . قال : فإن لم تجد؟ قال : أقضى بسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم تجد فى سنة رسول ﷺ ولا فى كتاب الله؟ قال : قلت أجتهد برأيى ولا آلو . قال : فضرب رسول الله ﷺ صدرى، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » . أخرجه أبو داود والترمذى (لا آلو) أى لا أقصر .

٢ - وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « سمع رسول الله ﷺ جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال : إنما أنا بشر، وإنه يأتينى الخصم، ولعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له، فمن قضيت لـه بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار، فليحملها أو ليذرها » أخرجه الستة .

٣ - وفى رواية للشيخين : « إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضهم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » .

ومعنى (ألحن بحجته) أى أقوم بها منه وأقدر عليها ، من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة .

٤ - وعن الأشعث بن قيس : « أنه اشترى رقيقا من الخُمُس من عبد الله بعشرين ألفا فأرسل إليه عبد الله فى ثمنهم . فقال : إنما أخذتهم بعشرة آلاف. قال عبدالله : فاختر رجلا يكون بينى وبينك . فقال الأشعث : كن أنت بينى وبين نفسك . فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا اختلف البيعان وليس بينهما بينة ، فهو ما يقول رب السلعة أو يتاركان » . أخرجه أبو داود، وأخرج النسائى منه المسند فقط (تيسير الوصول ٤/ ٤٨، ٤٩) .

وقد أجمل الإمام الشيخ محمود شلتوت ما يتعلق بالحكم الإسلامى فى كتابه النفيس «من توجيهات الإسلام» فقال رحمه الله :

السيادة والحكم لله والأمة مستخلفة :

يقرر القرآن الكريم صراحة : أن الله سبحانه هو الخالق للكون وما فيه من كائنات، فهو رب الناس، رب العالمين، وأنه مالك الملك يؤتيه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء، فهو السيد المطلق وحده، والناس كلهم عبيده، وهم سواء فى درجة العبودية لله، كما أنهم سواء فى نسبتهم إلى الخالق المالك، لا يتفاضلون إلا بمبلغ إيمانهم بالله، واستمساكهم بشرعه، ومدى ما يقدمونه من خدمات لصالح المؤمنين .

ويقرر القرآن الكريم أن الله استخلف آحادا من الناس خصهم برحمته، وحملهم هدايته إلى الناس، ابتغاء سعادتهم فى الدنيا والآخرة ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة ﴾ [ص : ٢٦] ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا ﴾ [آل عمران : ٣٣] ... إلخ .

كما أنه تعالى استخلف الشعوب والجماعات، ووكل إليها مثل ما وكل إلى الرسل والهداة من رسالات ﴿ وجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ [الأعراف : ٦٩] وتلك سنة الله فى الناس منذ خلقهم : يستخلف شعبا أو جماعة يحملها الرسالة العامة ، ثم يصطفى منها فردًا يجعله مناط وحيه، ورسوله إلى الناس بالهداية . ولن تلغى

مسئولية الرسول مسئولية الشعوب أو الجماعات ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ [الأنعام : ٥٢].

ولقد اتجه القرآن الكريم فى خطابه العام بجميع أنواع التشريع إلى الجماعة، لأن لها الاعتبار الأول فى الرعاية والمسئولية فناداها بوصف الإنسانية تارة وبوصف الإيمان تارة، وخاطبها بإطلاق تارة أخرى. « يأيها الناس ... يأيها الذين آمنوا ... أقيموا الصلاة ... افعلوا الخير. فاقطعوا ... فاجلدوا . إلخ » .

وبهذا سلط الجماعة على الفرد وكلفها بتنفيذ الشرع واختيار طريقة التنفيذ والإشراف على المنفذين من الأفراد. وجعل الحكم أمانة يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل، وخدمة للمسلمين عامة، ولم يجعل لغيره بالحكم أى لون من ألوان السيادة على العامة ، لأنه وحده السيد المطلق والناس جميعا عبيده . وقطعا لما عساه يتوهم من سيادة للحاكم على المحكومين كما كان شائعا قبل الإسلام ، جعل الحكم حقا له فى الأصل وللأمة المستخلفة بطريق التبعية ، وللخليفة بطريق الوكالة عن الأمة التى نصبته ، ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [يوسف : ٤٠] ﴿ وأنت أحكم الحاكمين﴾ [هود: ٤٥] ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] وهكذا يجعل الإسلام الحكم حقا للأمة التى استخلفها فى الأرض واستعمرها فيها، ومنحها وصف السيادة عن هذا الطريق على كل فرد منها ولو كان حاكما .

الشورى أساس الحكم :

وزيادة فى تأكيد هذا المعنى السامى الذى لم يسبق الإسلام إليه ، قرر أن يكون الحكم شورى بين المسلمين، وأمر الرسول المعصوم أن يشاور المسلمين فى أمرهم ، وهو بالطبع لا يشاورهم فيما هو من شأن الوحى والتشريع، بل فى غيره. وأهم أمر المسلمين مما لا دخل للوحى فيه ، هو أمر الحكم، وهو موضع الشورى بينهم لا يستبد به الحاكم ولو كان رسولا معصوما ﴿وشاورهم فى الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى : ٣٨] ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [ق: ٤٥] .

أما ما هو شكل الشورى؟ وما هو مداها ؟ فقد ترك ذلك للأمة تشكله حسب ما ترى من مصلحتها فى كل مكان وزمان ، فالمبدأ ثابت دائم ولا رأى لأحد فيه . ولا تملك الأمة تغييره لأنه تشريع دائم والشكل متغير متطور. للأمة الرأى فى تغييره وتطويره برأى ذوى العلم والخبرة من بنيها، وهم أولياء أمرها وأهل الحل والعقد فيها .

ولقد كان هذا مفهوما عند المسلمين الأولين ، فهذا الحباب بن المنذر يغير الوضع الحربى للمسلمين فى بدر، بعد أن علم أن الرسول لم ينزلهم المنازل الأولى التى عدل عنها بوحى. وهذا سعد ابن معاذ يمزق ورقة المعاهدة التى عقدها الرسول مع أهل الطائف فى غزوة الأحزاب، بعد مفاوضات طويلة بين الرسول وبينهم . وذلك أن الحصار اشتد على المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا، فرأى عليه السلام أن يصنع شيئا يخفف به متاعبهم ويفرق جمع الأعداء، فدخل فى مفاوضات مع أهل الطائف، واتفقوا على أن يرجع الطائفيون ولهم ثلث ثمار المدينة ، فسأل سعد رسول الله عن ذلك وهل للوحى دخل فيه ؟ فقال له عليه السلام : إنما هو أمر صنعته لكم رجوت من ورائه الخير، فأخذ سعد المعاهدة ومزقها ـ وقد كانت معدة للتوقيع ـ قائلا : إنهم لم ينالوا منا ثمرة إلا قِرًى، أفبعد أن أعزنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة؟ لا والله فلم يغضب الرسول، وسر بذلك المسلمون جميعا .

وهذه الحادثة تضع تقليدا دستوريا هاما للمسلمين ، هو أن الحاكم ـ ولو كان رسولا معصوما ، يجب عليه ألا يستبد بأمر المسلمين، ولا أن يقطع برأس فى شأن هام ، ولا أن يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأى التزام دون مشورتهم ، وأخذ آرائهم، فإن فعل كان للأمة حق إلغاء كل ما استبد به من دونهم ، وتمزيق كل معاهدة لم يكن لهم رأى فيها ...

أهل الحل والعقد :

وليضمن الإسلام تنفيذ أوامره أمر أن تكون فى الأمة جماعة دائمة، تدعو إلى الخير. وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وهذه الجماعة غالبا تكون من أهل العلم والبصر بأمور الدين والدنيا. ومن كل ذى رأى وخبرة فى ناحية من نواحى الحياة . وكل فرد من المسلمين يرى نفسه أهلا للقيام بذلك ، فحق عليه كالصلاة والزكاة والصيام والحج أن يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والغرض من ذلك ضمان صلاح المسلمين فى دينهم ودنياهم، وتقويم المعوج من أمورهم. وبهذا يتضامن أفراد الأمة جميعا فى كفالة صوالحها ودفع الشر عنها . وكل فرد هذا شأنه مسئول عن صالح الأمة مسئولية تامة لا يخلصه منها إلا أداؤها واحتمال تبعاتها بصبر وأمانة ، ولا يعفيه من الحساب عليها عذر مهما كان .

من هذه المسئولية ينشأ التضامن الجماعى بين الأمة، وتنشأ مسئولية الجماعة عن أمورها كافة، وتحمل من تبعة فساد أمرها مثل ما يحتمله الحاكم الذى جرى الفساد على يديه، إن لم تكن مسئوليتها أكبر وأخطر.

الحاكم وكيل الأمة :

ولهذا كان من حق الأمة أن تختار حكامها، تعينهم ، وتعزلهم، وتراقبهم فى كل تصرفاتهم الشخصية والعامة ، فالحاكم يجب أن يكون حميد السيرة، فإن ساءت سيرته فللأمة عزله، ويجب أن يكون عادلا، فإن ظلم فللأمة عزله. ويتفق الفقهاء على أن « خليفة المسلمين » هو مجرد وكيل عن الأمة يخضع لسلطان موكله فى جميع أموره؛ وهو مثل أى وكيل لفرد من الأمة فى البيع والشراء يخضع لما يخضع له الوكيل الشخصى.

كمـا يجمعـون أن مـوظفى الـدولـة الـذين يعينهم الخليفـة أو يعزلهم، لا يعملـون بولايتـه ولا ينعزلون بعـزله بـاعتباره الشخصى، وإنما بولاية الأمة وعزل الأمة التى وكلته فى التولية والعزل، ولهذا إذا عُزل الخليفة لا ينعزل ولاته وقضاته؛ لأنهم يعملون باسم الأمة وفى حق الأمة ، لا باسم الخليفة ولا فى خالص حق الخليفة .

خليفة المسلمين فرد عادى :

كمـا أجمع الفقهـاء علـى أن خليفـة المسلمين ورئيس دولتهم ليس إلا فـردا عاديا من الأفـراد . لا يمتاز على واحـد منهم إلا بثقل مسئوليته كوكيل عنهم؛ فيؤخـذ بالقصاص إذا قتل عمدا، ويحتمل المغارم التى يلحقها بالناس، ويلزم برد ما يغتصبه من الأفراد ويجلد حد الزنى إذا زنى، وتقطع يده إذا سرق، والأمـة صاحبة الولاية عليه فى كل ذلك ، تقيم عليه الحدود وتنفذ عليه الأحكام .

ومن هنـا نفهم لماذا كـان القضاة فى صـدر الإسلام يحكمـون على الخلفاء، ويسوون بينهم وبين خصومهم فى مجالس القضاء، وينفـذون عليهم أحكام الله . لأن هـؤلاء القضاة كـانوا يفهمـون : أن الخليفة الذى يحـاكمونه إنما ولاهم بسلطان الأمـة، فهم قضاتها لا قضاته .

وإذا عرفنـا أن الرسـول ﷺ كان يقيـد من نفسه ويقـول : « من جلدت له ظهرا فهذا ظهـرى فليستقد منه ... إلخ »، وأن الراشدين جميعا كـانوا يشترطون لطـاعة الناس لهم أن يطيعـوا الله فى سيرتهم الشخصية وسيـرتهم العامـة ، لأنه « لا طـاعة لمخلـوق فى معصية الخالق » .

وإذا كـان الفسوق الشخصى فى السيـرة الخـاصة معصيـة لله، فـالظلم فى الـرعيـة، والجـور فى الحكم، وأكـل حقـوق النـاس بالباطل، وتعطيـل حرياتهم من أكبر المعاصـى عند الله، ومن هذا تـرون أن كلمـة « السلطـان ظل الله فى الأرض » لا أصل لهـا فى الإسلام.

الحريات العامة وحدود التمتع لها :

وإذا كان الإسـلام يقرر الحريـات العامة للنـاس كافة ، حـرية العقيـدة، حريـة الرأى حـرية الاستيطـان، حريـة التملك، حريـة التنقل، وكل ما تشتمله كلمة حريـات ، ويرى أن إطلاق الحريات فى مصلحـة الدولـة نفسها بقـدر مـا هو فى مصلحـة الأفراد، فإنـه يشترط لتمتع كل فـرد بحرياتـه، ألا يكون ذلك عن طـريق الطغيان على حريات الآخرين، أو عن طريق الإضرار بصالح الدين والدولة فإذا اعتدى فـرد على حريـة فرد آخـر، أو كان تمتعـه بحريتـه مضرا بالدين أو الدولة، مثل أن يستغل حريته فى الطعن على الإسلام، أو إفساد أسرار الدولة ، أو التجسس عليهـا ونقل أخبارها إلى أعدائها وما شابـه ذلك ، وجب على الدولة أن تقيد حـرية الفرد، لأن ذلك هو مصلحتـه ومصلحة الـدين والدولـة، ويقابـل هذا أن الـدولة لا تملك حق تقييد الحـريات إلا عن هـذا الطريق، فإذا قيدت حـرية شخص مَّا بلا موجب، فلا طاعة لها عليه .

التنظيم الاقتصادى :

والإسلام أول تشريع عام يربط السياسة بالاقتصاد، ويرتب على هـذا الربط أمـن المجتمع واستقراره، فهـو يقـرر الزكـاة وهى نسبة معلومة على قدر معلوم من الأموال والحيوان والزروع والثمار، ويقرر الإنفـاق المطلق على كل غنى حسبما يملـى عليه إيمـانه وشعـوره بالمسئـولية لصـالح الديـن والدولـة وأفرادها، ولـم يحدد فيـه نسبة خاصة امتحـانا للمؤمنين، واختبارا لمدى شعورهم بـالصالح العام الذى يتطلب غالبا نفقات تقصر عنها موارد الزكاة المحددة، فإذا لم ينفق كل ذى سعـة من سعتـه فللـدولـة أن تشـرع مـا يلـزم الأغنيـاء بالإنفاق على حاجات الدولة عند اللزوم، حتى رأينا « أبا ذر » يبالغ فى ذلك، ويحاول أن يحمل معاويـة والخليفة عثمان على أن يقرَّاه على أن يمسك الغنى قـوته ويتصدق بكل مـا يزيـد عليه، فأجـابه عثمـان : دع الناس لمـا تركـه الله إليهم : فإنـا لا نكره النـاس على الطاعة .

وإلى جانب هـذا يأمر بالتصـدق تطوعا عند الاقتضـاء، إذكاء لروح التكافل والتضامن بين المسلمين .

وبنظرة بسيطة إلى مصارف الزكاة والإنفاق والصدقات، ترى أن الإسلام يعمل على تمليك كل فقيـر محروم، ليشعره بعزة وكـرامة، وليجعل منه لبنة قوية فى بنـاء الدولة، لا يلبث كثيرا حتى يكون من المساهمين مع غيره فى إنشاء هذه الملكيات الصغيرة الجديدة التى يهدف الإسلام إلى نشرها والإكثار منها فى دولته، حملا للناس على العمل، وقضاء على التعطل، وإشعارا لهم بالكـرامة، وإرضاء لما فى غـرائزهم من حب التملك، فى الـوقت الـذى يهـذب فيه هـذه الغرائز ويحد من جموحها فى الموسرين .

وإذا ضممت إلى ذلك نظرة إلى تشريع الإسلام فى المواريث، وجـدت بوضـوح أنه يعمل على الحـد من تضخم الثروات بتجـزئة التركـات، كما يحد منه بـالزكاة، والإنفاق والصـدقة ... وفى نفس الوقت الذى يهد فيه التضخم فى الملكيات والثروات يبنى ملكيات صغيرة وثروات صغيرة .

وهو بذلك يعالج أخطـر مشاكل البشرية علاجا نـاجعا حاسما باسم الـدين الذى لا مناص من التـزامة : مشكلة الفقر الـذى يدفع إلى الحسـد والجـريمـة ، والتـربـص بـالأغنيـاء، ومشكلـة الغنى الفاحش الذى يدفع إلى البخل، والخوف من الفقراء . وكراهيتهم ، والعمل على إذلالهم وظلمهم وإضعافهم ، حتى لا يسلبـون ما فى يد الأغنياء، ولو أدى ذلك إلى الجريمة ، ومشكلة الغرور القاتل فى نفوس الأغنياء، والتعالى والتجبر بكثرة المال، ومنعهم من الجنوح إلى الشر فى الحفاظ على أموالهـم والحد من جموح غرائز التملك فيهم ، ومشكلة الشعـور بالحـرمان عنـد الفقراء الذى يـدفعهم إلى إرضاء غـرائز التملك فيهم ولو عن طريق الجريمـة ، والقضاء على الميل إلى الشر فيهم .

وعن طـريق هـذا العلاج المـزدوج المـادى والـروحى، يضمن

الإسلام فى مجتمعه سيادة المحبة والمودة والرحمة ، كما يضمن أمن المجتمع واستقراره، وإشاعة السلام فيه وهو أمر لم تزل البشرية جاهدة فى بلوغه، وإدراك أسبابه . وهيهات هيهات أن تصل إليه إلا عن طريق الإسلام .

خلاصة المبادئ الإسلامية فى الحكم :

ومن هذا نخلص إلى المبادئ الآتية :

١ ـ السيادة : لله وحده لأنه الخالق المالك . وهى فى كل شعب للشعب نفسه بعد الله الذى استخلفه فى وطنه .

٢ ـ الحكم : لله وهو حقه وحق الشعب يباشره نيابة عن الله .

٣ ـ الحاكم : وكيل للأمة وليس له عليها سيادة بل هى سيدته وهو خادمها الأمين .

٤ ـ الشورى : أساس الحكم وكل حكم لا يقوم على الشورى لا يكون شرعيا .

٥ ـ التضامن الجماعى : الأفراد جميعا يتضامنون فى المسئولية عن صوالحهم وصالح الدين والدولة .

٦ ـ الرقابة الشعبية : حق للأمة أن تراقب حكامها، وتحاسبهم، وترسم لهم خطوط تدبير مصالحها، وتشرف على التنفيذ، وتعدله حسب مصلحتها .

٧ ـ عزل الخليفة : للأمة إن جار وظلم وظهر غشمه ولم يرعو لناصح أو زاجر فإن رفض العزل عزلته بالقوة ، ولو أدى ذلك إلى نصب الحرب وشهر السلاح فى وجهه إذا رأت الأمة ذلك فى مصالحها .

٨ ـ أهل الحل والعقد : هم أهل العلم والرأى والخبرة فى كل نواحى النشاط الحيوى بالأمة، وهم لسانها المعبر عن رضاها وسخطها، ومن حقهم ترشيح أصلحهم للخلافة، وتقديمه للأمة لترى رأيها فيه عن رضى واختيار، دون ضغط أو قهر، ومن حق كل مسلم أن يكون له رأى فى اختيار الخليفة، وأن يمكن من إعلان رأيه بحرية تامة ، دون أن يضار بسبب رأيه ولو خالف الأغلبية ، وعليه مع هذا أن يلزم الجماعة (من توجيهات الإسلام/ ٥٢٨ـ٥٣٦) .

وللشيخ الإمام محمد أبى زهرة بحث نفيس بعنوان « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » سبق أن أوردنا جزءا منه فى مادة « حقوق المرأة فى الإسلام »، وهذا الجزء الذى ننقله هنا يختص بتعريف أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم ، وتطبيق ذلك فى عصر الراشدين. قال رحمه الله :

لا نريد أن نبسط فى هذا الموضوع : نظام الحكم فى الإسلام، سواء أكان مشتقا من أعمال الحكام الذين حكموا وسيطروا، أم كان مما استنبطه العلماء من أحكام تتعلق بالحكم وواجبات شعبه المختلفة، ووظيفة كل شعبة من الشعب، لأن ذلك موضوع يطول القول فيه ، وهو علم يدرس فى الدراسات العليا بكليات الحقوق، وفيه بحوث مستفيضة تصدى لها باحثون من المشتغلين بالعلم، الإسلامى، ولكنا نكتب فى أصول الحكم الإسلامى والينابيع التى تستمد منها سلطاته المختلفة ، ونقصد إلى ذلك ، لأن كثيرين ممن يعملون على تشويه الحكم الإسلامى يتكلمون فى هذا الحكم ويأخذونه من معاملة الحاكمين لرعاياهم ، ويزعمون أن ذلك هو حكم الإسلام وما هو إلا حكم الطغيان، ولقد كان أولئك الحكام يرتكبون ما يرتكبون باسم أنهم خلفاء الإسلام ، ومنهم من تطاول فى القول حتى سماهم خلفاء الله تعالى، كما كان يجرى على لسان الحجاج بن يوسف الثقفى وأشباهه ممن كانوا يضيفون قدسية إلى ملوكهم الذين ولوهم وأرادوا تثبيت ملكهم بكل الوسائل ما حل منها وما حرم .

وكان من هؤلاء الملوك من كانوا إذا فتحوا بلدا إسلاميا فرضوا عليه الجزية كما فرض سلطان الأتراك الجزية على مصر وغيرها من البلدان المفتوحة، ومع ذلك تسمى أولئك السلاطين بأمراء المؤمنين، وكانوا يفرضون سلطانهم باسم الدين ، ويلزمون الناس بطاعتهم باسم أنهم أمراء المؤمنين، متمسحين بقوله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [النساء : ٥٩] .

فأخذوا بجزء من الآية، وتركوا الجزء الآخر، ومن الناس من ذهب به فرط ضلاله إلى وجوب طاعة الحاكم مطلقا ولو كان غير مسلم يمتص خيرات المسلمين ، وأدخلوه فى ضمن أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم ، لذلك حق علينا أن نبين من هو جدير بذلك الاسم، اسم ولى أمر المسلمين، ولا نستمد ذلك من أعمال الحكام الذين جاءوا بعد عصر الراشدين، ولا من أقوال الذين لا يستمدون أقوالهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نستمده من الكتاب والسنة . وننظر إلى تطبيق ذلك فى عصر الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين .

وأول أمر ترى الإسلام شدد فيه هو أن يكون أمر المسلمين شورى فيما بينهم ، فالخليفة يختار بالشورى وأعماله كلها تكون مقيدة بالشورى، وقد جاء النص القرآنى الكريم بوجوب الشورى فى أساس الحكم ، وفى فروعه فقد قال تعالى فى وصف المؤمنين الصادقين فى إيمانهم :

﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ [الشورى : ٣٨، ٣٩].

وترى من هذا النص أن الله تعالى يوجب أن يكون فى المؤمن

خمس خصال هى بناء الجماعة الإسلامية، والأولى هى الطاعة لله تعالى بالاستجابة إليه وحده وعدم الاستجابة لغيره إلا من وراء الاستجابة له سبحانه، بمعنى أنه لا يطاع إلا فيما يكون فيه طاعة لله تعالى، والخصلة الثانية تطهير قلبه بالعبادات التى تطهر القلب وتهذب النفس وتربى الوجدان، وذكر أوضحها فى ذلك وهى الصلاة، والخصلة الثالثة أن يكون حكم المسلمين بالشورى الجامعة لا بالاستبداد المفرق، والخصلة الرابعة: التعاون المادى بسد حاجة المحتاجين، والخصلة الخامسة: ألا يخضعوا لظلم قط، وأن يدفعوه حيث كان وأنى يكون، فليس بمسلم صادق الإيمان من يرضى بالدنية فى دينه، ومن يرضى بالظلم ينزل به، ولقد روينا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر» وهذا هو الذى أشار إليه النص الكريم بقوله تعالى:

﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ [الشورى: ٣٩].

وقد أكد طلب الانتصاف من الظلم وحمل الباغى على الحق بتأكيدات بلاغية واضحة، ولقد قال تعالى آمرا نبيه بصفته الحاكم الأعلى:

﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فجعل المشاورة واجبة قبل العمل، وكثيرا ما كان يرى النبى الرأى فى أمر الحرب وينبهه إلى خطأ الرأى بعض أصحابه، كما حدث فى المنزل الذى اختاره للقتال فى غزوة بدر، فنبهه بعض الصحابة إلى غيره فعدل بعد أن اقتنع.

ولقد قرر فى غزوة أحد أن يبقى فى المدينة حتى إذا جاءت قريش إلى أزقتها وطرقاتها الضيقة انتصف المسلمون منهم، وقد رأى ذلك الرأى شيوخ المدينة، ولكن شبابها وخصوصا الذين لم يحضروا بدرا رأوا غيره وكانوا الكثرة فنزل عند رأيهم وإن كان رأيه غيره، لأنه يسير على نظام الشورى ويربى الأمة عليه، ويبتدئ هو بفرض الخطأ فى رأيه ولا يفرض الصواب دائما، وإن الفرق بين الحاكم المستبد والحاكم الحر الذى يفرض الأمر شورى هو أن المستبد دائما يفرض فى رأيه الصواب الذى لا يحتمل الخطأ، ويتحكم فيفرض فى رأى غيره الخطأ الذى لا يقبل أن يكون صائبا، هذا إذا كان مخلصا فى طلب الحق وإن كان مستبدا، أما إذا كان غير مخلص فإنه يجعل شهواته حكما ورغباته رأيا مفروضا لا رجوع فيه.

والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى تدبير شئون السياسة وفى تنظيم الأمور الخاضعة للمبادئ المقررة الثابتة النازلة بوحى من السماء كان يعمل الاستشارة دائما، لا على أنها تبرع يتبرع بها بل على أنها واجب عليه بصفته حاكما، ولذا روى عن النبى عليه السلام أنه قال: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار» ومعنى استخار أى بحث عن خير الأمور وطلبها، فالنبى يطلب ممن يقوم بعمل عام أو خاص أمرين:

أحدهما ـ أن يتخير الأمور بعقل خال من الهوى والشهوات ليدرك الحسن منها.

وثانيهما ـ أن يستشير غيره، فإن القرطاس لا يقرأ إلا من وجهه، ونظره هو مهما يكن خاليا من الهوى قد يكون جانبيا، فيجب أن يستعين بغيره ليرى من كل الجوانب، وإذا كان ذلك أمرا لازما بالنسبة للأعمال الآحادية فهو ألزم وأوجب بالنسبة للأعمال الجماعية.

وإن الشورى فوق أنها تعريف للصواب هى تربية للأمة على الإدراك الصحيح فى عامة الأمور، وهى التى تتفق مع النظام الحر السليم، وخير للجماعات أن تخطئ فى رأى تبديه وهى حرة، من أن تفرض عليها آراء صائبة، فإن صوابها يكون مقترنا بإرهاق نفسى وضغط للإرادة، وذلك أشد ضررا فى تكوين الأمم.

ومع أن الحكماء قرروا أن أمثل نظام للحكم هو حكم الفرد العادل، قرروا أنهم لا يوصون به، بل يوصون بحكم الشعب، لأن صلاح حكم الفرد قريب من فساده، وأخطر حكم هو حكم الفرد الفاسد، على أن نقول إن الفرد العادل الصالح لن يرضى لنفسه أن ينفرد من غير استشارة. لأن العادل لا يفرض الصواب المطلق فى فعله دائما.

ـ هكذا حكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينفذ الأحكام المقررة بالشورى، أما ذات المبادئ التى تنفذ فإنها بوحى من الله تعالى.

ولما جاء بعد وفاته عليه السلام الراشدون من أصحابه أقاموا دعائم الشورى فى أصل اختيار الحاكم الأعلى وفى تنظيم الأمور، كما كان يفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وخصوصا الأمور التى تكون أصلا لنظام معين يريد اتباعه ويرسم فيها منهاجا، فإن الراشدين كانوا يستشيرون فيه، أما اختيار الحاكم الأعلى بالشورى، فقد سلكوا له ثلاث طرق.

أولها ـ الاختيار الحر من غير ارتباط بوصية الحاكم السابق، وهذا ما كان فى اختيار أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن كبار الصحابة اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة وتداولوا فيما بينهم فيمن يكون خليفة أيكون من المهاجرين أم يكون من الأنصار، وقد انتهى رأيهم على أن يكون من قريش، لمكان قريش فى العرب، ولأن الحاكم الأعلى يجب أن يدين له العرب، وخصوصا أن الإسلام بعد لا يزال جديدا فيهم، والأعراب منهم أسلموا، ولمَّا يدخل الإيمان قلوبهم، كما قال الله تعالى:

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ [الحجرات: ١٤].

ولقد بيَّن أبو بكر فى خطبته ضرورة أن يكون الإمام من قريش، وجاء فى آخر خطبته «لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش» وبايعه الناس على ذلك.

الطريقة الثانية ـ أن يوصى الخليفة الخليفة من بعده، ومعنى

ذلك أنه لا يريد أن يكون أمر المسلمين من بعده فوضى يتحيرون فى اختيار رجل، فيرشح من يراه أمثل ومن يرى أنه شاركه فيما قام به من أعمال، ولا يعد وليا للعهد، إنما هو اقتراح منه، كما يفعل ذلك بعض رؤساء الجمهوريات فى ترشيح من يخلفهم والدعاية لهم أحيانا، وقد فعل ذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه فهو الذى رشح الإمام عمر، ودعا إلى بيعته والموت يدب إليه دبيبا فى مرضه الذى مات فيه، وقد تمت البيعة لعمر رضى الله عنه بهذا الترشيح، وكان الانتخاب الحر هو تلك البيعة الصحيحة التى تشبه العقد بين الحاكم والمحكوم، وهو يفرض على المحكوم الطاعة فيما لا معصية فيه لله ولرسوله، ويفرض على الحاكم العدل وتنفيذ أحكام القرآن والسنة، والقيام بما هو فى مصلحة المسلمين، ولا شك أن هذه الطريقة لا ضرر منها ما دام الحاكم يرشح من غير هوى، فلا يرشح قريبا لقرابته، ولا رجلا لمجرد محبته، وما دام يترك الناس أحرارا فى الموافقة على الترشيح بالبيعة الحرة التى لا يعتريها ريب، وحسب هذه الطريقة فضلا أن سلوكها جاء بعمر رضى الله عنه.

الطريقة الثالثة - أن يرشح الخليفة عددا ليختار المرشحون واحدا منهم اختيارا سليما من كل الوجوه ويعين لهم مدة للاختيار حتى لا يطول الأمد، وبطول الأمد يستمر الاختلاف وقد يتفاقم، وقد فعل ذلك الإمام عمر رضى الله عنه، فقد رأى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تركها من غير وصية، ورأى أن أبا بكر أوصى بها، فتركها وسطا لم يعين واحدا، بل عينها فى ستة مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض، وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وقد فوض ثلاثة منهم الأمر لعبد الرحمن بن عوف، واجتمع الناس فى المسجد فعرض عبد الرحمن علىّ عليٍّ أن تكون البيعة له على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبى بكر وعمر من بعده، فقال متعهدا أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومن بعد يجتهد رأيه، ثم قال لعثمان مثل ما قال لعلى رضى الله عنهما فأجاب أنه يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين من بعده، فبايع عثمان، ولا نستطيع أن نقول إن هذه الطريقة غير سليمة، وإنها لصحيحة وقد اختارها عمر، وهو الذى قال فيه النبى: « إن الله كتب الحق على لسان عمر وقلبه ».

ولكن هل نفذت وصية عمر تنفيذا دقيقا؟ أحسب أن التنفيذ الدقيق أن يختار كل منهم واحدا، سواء أكان منفردا أو متبادلا الرأى مع سائرهم، والفكرة التى عرضها الصحابى الجليل عبد الرحمن ابن عوف كان يجب عرضها على أهل الشورى، وهم هؤلاء الستة قبل أن تعرض على عثمان وعليٍّ فى المسجد الجامع للمسلمين، وهى التزام الخليفة الجديد أن يعمل بسنة الشيخين، وإن ذلك التطبيق الذى سلكه ذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ينتهى إلى أن الأمر كأنه فوض إليه فقط، لأن الآخرين تركوا آراءهم، وانتهى الأمر بمبايعة الناس لعثمان بدل على، ومهما يكن فقد انتهى الأمر باختيار ذى النورين رضى الله عنه، فهو من السابقين المقربين الفائزين برضوان من الله، وقضى الله بذلك أمرا كان مفعولا.

هذه هى الطرق الثلاث التى كان يسلكها الصحابة فى اختيار الخليفة الأعظم، وكلها طرق شورية، وليس منها أن يعهد الخليفة إلى ابنه، لأنه فى هذه الحال يلتبس الحق بالمحبة الأبوية، وتصير مُلكا بعد أن كانت شورى، ولذلك ورد الأثر بما يشير إلى أنها صارت ملكا، فقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: « الخلافة بعدى ثلاثون، ثم تصير ملكا عضوضا » أى يعض عليه بالنواجذ، وذلك هو الذى كان فإن خلافة الإمام على كرم الله وجهه تنتهى سنة أربعين من الهجرة، أى بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاثين سنة، وهى آخر خلافة شورية، قام الحكم فيها على الشورى، وهى التى لم يكن رأى فيها لأهل الشام الذين كانوا محكومين بهرقل ملك الروم، وكان لهم أنس أو خضوع للملكية فى كل صورها.

وكانت الأمور فى عهد الراشدين تسير بالشورى، فأبو بكر كان ينفذ ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن تنفيذ ذلك الحكم لا مجال للرأى فيه، فإن لم يكن أو كانت الأمور التنفيذية ملتبسة فإن الشورى هى أساس حكمه، فكان كلما ادلهم أمر جمع الصحابة واستشارهم، وقد نفذ أمر الله فى أهل الردة، وقد ارتد العرب ما عدا مكة والمدينة، فوقف الصديق خليفة الرسول وقفة أنقذ الإسلام بها، وكانت هى الصدمة الأولى التى صدم بها حكمه فصمد وصبر، وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى ».

وقد قبل المرتدون الصلاة أولا وامتنعوا عن الزكاة، فكان من الصحابة وعلى رأسهم عمر من رأى أن يقبل منهم ذلك، حتى يستقيم الأمر وتدين العرب بالطاعة للمدينة والخلافة الكبرى، ولكن أبا بكر رضى الله عنه وهو الضعيف فى بدنه القوى فى إيمانه أبى، وقال: إما سلم مخزية وإما حرب مجلية، وقال: والله لو منعونى عقالا أعطوه للرسول لقاتلتهم عليه، ودعا الصحابة إلى هذا الرأى بقوة الإيمان والحجة لا بقوة السلطان، كما توهم بعض الناس، فقد قال رضى الله تعالى عنه: « والله لو أفردت من جمعكم لقاتلتهم حتى أهلك مهلكا أو أنال مطلبا » وما زال بهم حتى وافقوه، واستمر فى الحرب من غير تلبث، وكان الله تعالى مع المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وانتصر الإسلام على الردة.

وكان ذلك هو شأن أبى بكر فى كل أمر من الأمور، ينفذ حكم الله إن كان صريحا، ويأخذ الرأى فى طريقة تنفيذه من غير تلون فى أمر الله تعالى ونهيه، ثم يأخذ الرأى فيما لم يكن فيه نص، وهو حريص فى كل ما يفعل على الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم ، ويتوقف فى كل أمر لم يجد فيه لرسول الله تعالى أمرا، كما وقف فى جمع القرآن فى مصاحف جامعة وأخذ يستشير الصحابة الأولين حتى وجد كثرة موافقة فشرح الله تعالى صدره فألف لجنة من كبار الحفاظ له وجمعته .

ـ وفى عهد الإمام عمر اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل فى حكم المسلمين أمم ذوات حضارات قديمة ، واختلطت تلك الحضارة وكونت مزيجا اجتماعيا لم يأتلف، فتفتحت العقول الإسلامية، واتسعت آفاقها ، وأخذ عمر رضى الله تعالى عنه ينظم أمور الدولة ، وهو العبقرى الذى لم يفر فريه فى الإسلام أحد، كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكانت الشورى هى القوة التى يستعين بها على حكم هذه البلاد المترامية الأطراف، وقد حث الناس جميعا على أن يرشدوه إذا أخطأ ويقوموه إذا اعوج، وهو الذى يقول « من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقوّمه » فقال له بعض السامعين : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فحمد الله على ذلك، وقال الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عمر بسيفه إذا اعوج ، وكان يطلب التوجيه إلى الحق من الناس ، قال له بعض الناس اتق الله يا عمر، فقال بعض الذين يدهنون إلى الحكام: أو تقول لأمير المؤمنين : اتق الله ؟ فقال الفاروق رضى الله عنه : « ألا فلتقولوها لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها » .

ولقد ابتدأ عمر ينظم الشورى، فكان له منها الشورى الخاصة ، وفيها يستشير كبار العلماء من الصحابة كعلى بن أبى طالب وعثمان ابن عفان وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، وغيرهم من كبار الصحابة وخصوصا علماؤهم كعبد الله بن مسعود، وهؤلاء يستشيرهم فى أكثر أمور الدولة ، وخصوصا ما يحتاج فيها إلى فقه الشرع وتخريج أحكامه .

والقسم الثانى من الشورى وهى الشورى العامة ، وهى التى يحتاج فيها إلى تقرير مبدأ، أو يكون الأمر فيها خطيرا، ومن هذا النوع تقسيم الأراضى المفتوحة بين الفاتحين، أو بقاؤها فى أيدى أصحابها الأصليين على أن تكون محبوسة على مصالح المسلمين وغلاتها تعود إليهم ، ويد واضعى اليد يد اختصاص لا يد ملك، وكان رأى الغزاة أن تقسم بينهم قسمة ملك ، ومكثت المناقشة ثلاثة أيام ، وانتهت بأن أقروا رأى عمر بالإجماع لما ساقه من نصوص وكان يستشيرهم فيما يتعلق بشخصه إذا اتصل بمصلحة عامة ، فإنه يروى أنه لما تكاثفت جيوش الفرس على الجيش الإسلامى خشى الفاروق على المسلمين ، فأراد أن يخرج إلى الفرس بنفسه، فاستشار كبار الصحابة فى ذلك ، ولننقل لك من هذه المناقشة الطريفة مشورة على رضى الله عنه، فقد قال الإمام علىّ موجها الكلام إلى الإمام عمر:

« إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله الذى أظهره ، وجنده الذى أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعود من الله ، والله منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم من الأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه ، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا هم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع، فكن قطبا، واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ماتدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكليهم عليك ، وطمعهم فيك . . فأما ما ذكرت من سير القوم إلى قتال المسلمين ، فإن الله سبحانه وتعالى أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم ، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة » . (نهج البلاغة ١/ ٢٨٢ شرح الأستاذ الإمام محمد عبده) .

وجاء عهد ذى النورين عثمان رضى الله عنه ، فكانت الشورى لها مكانتها فى خلال ست سنين من خلافته ، حتى كأنها امتداد لخلافة الإمام عمر رضى الله عنهما ، وكانت من بعد ذلك أحداث جعلت صوت الشورى يختفى فى ضجتها ، حتى انتهت تلك الضجات بمقتل ذلك الشهيد التقى رضى الله عنه ، وأكبر أسبابها ما وقع من أغلاط بعض أهل بيته الأمويين الذين لم يراعوا حقه فى شيخوخته .

وجاء عهد على رضى الله عنه ، فقامت الشورى قوية ، وأراد رضى الله عنه أن يعيدها عمرية ، وكان أقدر الناس لو كان بعد عمر، ولكن توسط بين العهدين لين سيدنا عثمان ، ثم خروج معاوية عليه وقضاها رضى الله عنه فى حروب ، حتى قتل غيلة ، وكان آخر الراشدين عدلا وحكما وشورى .

أهل الشورى وطريقتها :

ـ كان أهل الشورى فى عهد الراشدين هم أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتلاميذهم ، وقد علمت أن أهل الشورى الخاصة فى عهد عمر كانت كبار الصحابة ، وقد كان حريصا رضى الله تعالى عنه على أن يبقيهم فى المدينة لا يغادرونها ليستعين بهم فيما يعرض له من أمور، ولا يخرج أحد منهم من المدينة إلا إذا أراد أن يعلم أهل إقليم شئون دينهم ، كما بعث بعبد الله بن مسعود إلى الكوفة ، وذكر أنه آثرهم على نفسه ، إذ كان يود أن يبقى بجواره لينتفع به فى شوراه الخاصة .

ومنع كبار قريش من الذهاب إلى الأقاليم، حتى لا يكونوا فيها ارستقراطية ، ويحسبون أنهم صنف قائم بذاته ، وهو الحاكم الذى

لا يفرق بين الناس قط، وأهل الإيمان كلهم عند الله وفى الحق سواء، وكان رضى الله عنه يقول: «لآخذن بحلاقيم قريش لأمنعهم من أن يتجاوزوا الحرتين».

ولما جاء سيدنا عثمان أباح الخروج، فلما جاء على رضى الله عنه منع كبار قريش كما منعهم عمر رضى الله عنه، وكان هذا من أسباب انتقاض قريش.

وكانت الشورى العامة هى أهل المدينة أجمعين، وأن هذا يشبه نظام أثينا فى عهد بيركليس ـ فقد كان كل أفراد أثينا يشتركون فى سياسة الدولة ونظامها ـ فكان كل المؤمنين بلا استثناء يشتركون فى هذه الشورى العامة، ولم يكن هناك انتخاب، لأن عدد المؤمنين لم يكن يسمح باختيار بعضهم دون بعض، ولم يكن أهل الأقاليم المفتوحة داخلين فى شورى الخليفة الأكبر، ولكن كانوا يستشارون هم والمؤمنون فى أقاليمهم.

ولم يضع الإسلام نظاما للشورى، لأن النظام يختلف باختلاف الأقاليم، إنما دعا إليها باعتبارها مبدأ يجب تحققه فى الحكم لأنه أساسه، وما دامت المساواة ثابتة، وما دامت الطبقات ملغاة، وكل مؤمن تهيأ له الفرص ليعمل بمقدار ما وهبه الله، فلا بد أن تكون الشورى أساس الحكم، لأن الحكم الاستبدادى إنما يكون حيث فرض التفاوت بين الناس فى الدم، أو النسب، ولا شىء من ذلك فى الإسلام قط، فتكون الشورى هى الأساس فى الحكم بمقتضى منطق الإسلام وبمقتضى نصوص القرآن والسنة، وبمقتضى عمل الرسول، صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وبمقتضى عمل الصديقين الراشدين من صحابته الكرام. وقد نفذها عليه السلام، كما نفذها صحابته من بعده، على ما يقتضيه عصرهم.

فالشورى ـ كيفما كانت ـ مبدأ أمر به الإسلام، وأكد الأمر به، كما أمر بالعدل وأكد الأمر به، وكما أمر بالمصالح الإنسانية وأكد الأمر بها، ونهى عن المفاسد، وأكد النهى، ولم يبين الإسلام بنصوصه طرق تحقيق العدالة بين الجماعات، أتكون بطريق أن يكون القضاء على درجتين؟ أم بدرجة واحدة؟ كما لم يبين طرق من الأحكام، وهكذا.

وإن كون الشورى تختلف طرائق تحققها باختلاف الأمم من غير إهمال لمعناها، ومن غير تحيف ـ بفرض عدم المساواة بالنسب أو الجنس أو اللون ـ هو ما قرره علماء الاجتماع، وما قرره الذين درسوا سياسة الجماعات دراسة عميقة، ولقد قال فى ذلك جوستاف لوبون ما نصه: «من قصر النظر أن نقف عند ثقافتنا الاجتماعية التقليدية، فنرى أن من الممكن تطبيق نظم لازمت أمة بتعاقب الأزمان على أمة أخرى، إن ذلك لا يختلف كثيرا عن محاولة حمل السمك على التنفس فى الهواء، بحجة أن جميع أنواع الحيوان العليا تتنفس فى الهواء، فالسمك يموت حيث تحيا ذوات الثدى» (حضارة العرب لجوستاف لوبون، ترجمة الأستاذ عادل زعيتر).

الأهلية للولاية العامة:

ـ يشترط الكثيرون من العلماء فى اختيار الخليفة الأعظم شروطا:

أهمها ـ أن تكون مبايعته بمشورة المسلمين، وقد بينا ذلك، ولكن من هم أهل الشورة الذين يختارون، وأن هذا يختلف باختلاف الأزمان، وباختلاف الأحوال، وباختلاف الأقاليم، وكل ذلك تابع للمصلحة الراجحة فى كل عصر، وتدير هذه المصلحة للمسلمين أنفسهم، ولا يصح أن تفرض هذه المصلحة من غير الشعوب، فالشعوب هم الذين يعرفون مصلحتهم، إما بعرض ممن يتولون الأمور مؤقتا، والموافقة عليه موافقة حرة، وإما بانتخاب عام لمن يمثلونهم فيما يشبه جماعة مؤسسة لنظام الحكم، واختيار نوع الشورى، وفرض المصلحة من غير استشارة الشعوب ضد نظام الشورى، والكلمة السامية فى القرآن الكريم: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى: ٣٨] هى الميزان الكامل للحكم، ولاختيار الحاكم، ومتابعة أعمال الحاكمين، ولقد قال عمر رضى الله عنه «من اختار رجلا بغير مشورة المسلمين، فلا يبايع، ولا الذى بايعه»

والشرط الثانى: أن تؤخذ على الحاكم المواثيق ـ بأن يبايع بأخذ العهد عليه ـ بأن يقيم الحكم على أساس العدل وتنفيذ الشرع، ورعاية مصالح العباد فى ظل القرآن والسنة، غير مخالف لأمر جاء به الدين، وعلم منه بالضرورة.

والشرط الثالث: أن يكون غير معروف بالفسق، بل يجب أن يكون معروفا بالأمانة والاستقامة والعدالة، وأن يرجى منه الخير، وأن يكون قويا قادرا على إقامة الحق، وخفض الباطل لا يخشى فى الله لومة لائم.

وهذا شرط متفق عليه بين علماء المسلمين وجماهيرهم، وهو معلوم من الإسلام بالضرورة وذلك لورود النص القرآنى بذلك وهو قوله تعالى:

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ﴾ [النساء: ٥٨].

ويتكلم العلماء فى فروض واقعية، وهى حال ما إذا اختير على أنه عدل تقى، فظهر أنه فاسق ظالم، أو كان عدلا عند الولاية، فانقلب إلى فاسق ظالم لشيعة سوء أحاطت به، أو لغلبة هوى عليه أو لضعف اعترى قلبه، وسبحان مقلب القلوب.

فرض الفقهاء ذلك الفرض، ولم يفرضوا أن هنالك نظاما للشورى يلزم الظالم بالعدل، والمنحرف بالاستقامة، أو على الأقل يخفف ظلمه، ويقوم اعوجاجه ما أمكن ذلك من غير كسر، ولا

تفريق للجماعة، أو يتولى العزل من غير فتنة يلتبس فيها الحق بالباطل، وتتفرق فيها الكلمة، ويضيع الرأى الصائب وسط الهوى المتبع، والشح المطاع، كما ورد عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومهما تبين النقص فى النظام الذى يراه الفقهاء من حيث كمال الشورى جعلها الله تعالى قوام أمر المسلمين، ونظام الحكم فيهم، فإننا نسوق علاج الفقهاء لمثل هذه الحال، غير مقيدين به، لأنه استنباط بالرأى، يخطئ ويصيب، ولأنهم لم يجمعوا على أمر فى ذلك ولأنا نحسب أنهم فى كثير من أقوالهم كانوا متأثرين بعصورهم، وفسروا النصوص على ضوئها، أو متأثرين بأحوالها .

ولقد اختلف الفقهاء فى علاج ظلم الحكام إذا فسقوا عن أمر ربهم، وأثرت عنهم أقوال ثلاثة فى فسق الحاكم .

أولها ـ أنه يرد جميع أمره ويعمل على عزله، فلا يطاع فى طاعة ولا معصية، لأن بقاءه بغير الحق، وولايته فى ذاتها ظلم، والخضوع له إقرار للظلم وعمل على استمراره وبقائه، ورد الظلم واجب، فلا يطاع فى أى صورة .

ثانيها ـ أن يطاع فى الطاعة، ويعصى فى المعصية، لأن الآثار واردة بأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، ولأن الطاعة فى حال اتفاق حكمه من أوامر الله تعالى هى طاعة لله وللدين، وليست طاعة له، ولو خولف فى ذلك لكان معصية، لأنه مخالفة لأمر الله تعالى، ولأن عصيانه فى كل شىء إثارة للفتن، والفتن ينزل فيها مظالم أشد وأنكى .

ثالثها ـ أنه يختلف حال الحكام الفاسقين، فإن كان الفاسق هو الإمام الأعظم الذى تستمد منه الولايات كلها، وليس فوقه أحد إلا رب العالمين، فإنه يطاع فى الطاعة ويعصى فى المعصية لما ذكر فى القول السابق، أما إذا كان الفاسق أحد الولاة الذين يستمدون السلطان من الحاكم الأعظم، فإنه ترد طاعته، ولا يقر بقاؤه، ويعمل على تغييره بالرجوع إلى من ولاه، والفرق بينه وبين الحاكم الأعلى أن هذا لا يمكن تغييره إلا بفتنة، أما الآخر فتغييره يكون بغير فتنة، والفتنة تتقى كيفما كانت صورتها، لأن الله تعالى يقول :

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٢٥] . (والآراء الثلاثة مذكورة فى كتاب منهاج السنة لابن تيمية ص ٧٦، ٧٧ جـ٢) .

ولا شك أن الرأى الوسط هو أمثل هذه الآراء، ولكنا نرى أن الاحتياط لشطط الحكام يوجب وضع النظم المانعة منه ـ وليس ذلك بخروج عن أقوال الفقهاء الثلاثة التى ذكرناها، ولكنه احتياط لمنع التحكم، وهو يتلاقى إلى حد كبير مع القول الثانى الذى اختاره الجمهور الأكبر من الفقهاء، ولكنه احتياط مستمد من روح القرآن والسنة ـ وهو تحكيم الشورى فى كل شىء، لقد كان عمر يحكم الشورى فى عمله بموجب دينه وتقواه، فكان الإلزام بها من ضميره الدينى، وإنه يمكن أن يوضع نظام يمكن أن تطبق الشورى فيه لا بحكم الضمير الدينى فقط، بل بحكم العمل النظامى .

بيت الخلافة :

هل للإمامة الكبرى فى الإسلام بيت خاص، أو شرط خاص بالنسبة لنسب الإمام؟ قد خاض العلماء فى ذلك خوضا كبيرا، وتشعبت أقوالهم، فمنهم من اشترط أن تكون الخلافة فى بنى على، سواء كانوا من أولاد فاطمة، أم لكم يكونوا، وأولئك هم الكيسانية، وقد انقرضوا، ومنهم من اشترط أن يكون من أولاد على من فاطمة، سواء كانوا من أولاد الحسن أم كانوا من أولاد الحسين، وأولئك الزيدية، ومنهم من اشترط أن يكونوا من بنى هاشم وأولئك العباسية والإسماعيلية بطوائفها المختلفة، ومنهم من اشترط أن يكونوا من بنى هاشم وأولئك العباسية، والجمهور الأكبر من العلماء على أن القرشية شرط فى اختيار الخلافة الكبرى وقد رووا فى ذلك آثارا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله تعالى عليه وسلم قال « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم » وقد روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » وفى الخبر عن معاوية أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » (منهاج السنة ٥/٢) .

وإننا نرى أن الأحاديث الواردة فى هذا الباب لا تدل دلالة قاطعة على أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش، فحديث « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى اثنان » غير واضح الدلالة فى الخلافة، لأن الأمر ما هو؟ هو أمر السلطان أم أمر الدين؟ وهذا الحديث أهو إخبار عما يقع فى المستقبل أم هو تقرير حكم شرعى؟ وهو ألا يتولى أمر المسلمين غيرهم، وما روى عن أبى هريرة فى الصحيحين لا يدل أيضا على الخلافة، بل يدل على مكانة قريش وتبعية الناس لهم فى أحوالهم ولغتهم، والناس هم العرب، وليسوا كل المسلمين، وكذلك حديث « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » لا يدل إلا على مكانتهم، وأما حديث معاوية فإنا نقبله، لأن البخارى رواه، ويقول إنه لا يدل على حكم شرعى، وإنما يدل على أمر واقعى، وفوق ذلك فما هو هذا الأمر، أهو السلطان أم شىء آخر؟

وننتهى من هذا إلى أن أحاديث اشتراط القرشية فيها دلالة واضحة على أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش، ومع ذلك عارضها أمران آخران قويان :

ـ أحدهما : ما ورد من آثار على وجوب الطاعة لكل أمير غير ظالم عادل يقيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

«اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، وروى البخارى ومسلم عن أبى ذر أنه قال : « أن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن ولى عبد حبشى مجدوع الأنف » (منهاج السنة ٢/٨٧).

فهذه الأحاديث صريحة قاطعة الدلالة فى أن الطاعة واجبة وأن تولى عبد حبشى ما دام يقيم كتاب الله تعالى ، وما دام المسلمون قد اختاروه ، وهذا يدل على عدم التقيد باشتراط القرشية أو الهاشمية أو العلوية أو غيرهم .

والأمر الثانى ـ أن كبار المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ليختاروا خليفة لرسول الله ، ولم يذكر أحد منهم . أخبارا عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على أن القرشية شرط ولو كانت القرشية شرطا فى رواية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ما غابت عنهم جميعا ، فإن أحاديث الآحاد الصحيحة ، قد تغيب عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولكن لا تغيب عن كلهم . ولو كان ذلك معروفا ما طالب الأنصار أن تكون الإمرة فيهم ، ولا أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير ، ولو كان ذلك الخبر عن النبى معروفا لاحتج به أبو بكر الصديق ، وما احتاج إلى الاحتجاج بفضل المهاجرين ، وما قصر اعتماده إلا على قوله : « لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش» .

ومن المقررات فى علم الحديث أن حديث الآحاد لا يؤخذ به إذا كان فى أمر من شأنه أن يعلم به الكافة ، ولا شك أن الخلافة وما يتعلق بها من شرط ، أمر لا يخص طائفة ، ولكنه يتعلق بالكافة ، فلا بد وقد قام جدل حوله أن يعلمه الأكثرون ، أو على الأقل يكون من الأكثرين من يعلمه ، وقد تبين أنه يجهله الأكثرون ، وأنه ليس بين كبار الصحابة الذين تجادلوا حول هذا الأمر عقب انتقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى من يعلمه ، وما كان معقولا أن يسمع معاوية وحده ذلك الخبر ، ولا يعلمه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ، ولا معاذ بن جبل ، ولا زيد بن ثابت ، ولا سعد بن عبادة ، وهم الذين لازموا الرسول بعد هجرته وقبلها ، ثم يعلمه معاوية الذى لم يدخل فى الإسلام إلا فى العام الثامن واتصل بالرسول سنتين .

وبهذا يتبين أن اشتراط القرشية لا دليل عليه ، وهو يعارض المبدأ الإسلامى العام من المساواة العامة بين الناس ، وتهيئة الفرصة لكل ذى طاقة من أن يعمل بطاقته ، وقد يكون أدنى الناس نسبا أكفأهم لولاية أمر المسلمين ، فهل يحرم المسلمون من كفايته لأنه ليس قرشيا ، أو ليس ذا نسب رفيع؟ إن ذلك ليس منطق الإسلام ، بل هو منطق العصبية الجاهلية ، التى نهى عنها الإسلام ، وخصها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستنكار الشديد .

الولاية بغير الشورى :

لا بد لتحقيق معنى الخلافة الإسلامية أو بعبارة أدق معنى الإمامة الكبرى فى الإسلام من الاختيار العام ، والمبايعة الحرة ، وأخذ المواثيق من الوالى والرعية على تنفيذ حكم الله تعالى ، والطرق التى تجب لتنظيم الاختيار متروكة لجماعة المؤمنين ، وقد تكون بتفكير من علمائهم ، وإقرار من جماعاتهم .

ولكن إذا لم يمكن تنفيذ ذلك الشرط الجوهرى ، فماذا يكون الحكم ؟

إنه يتعذر فى كثير من الأحوال تنفيذ شرط الاختيار والمبايعة ، وقد تعذر فى الماضى تحقيق الاختيار الإسلامى من جماهير المسلمين ، وكانت المبايعة تشبه الصورية ، إذ كان الضغط والإكراه أساسها ، أو على الأقل عدم تفكير الناس فى أهمية الولاية ، وكان التعذر سببه عدم وجود نظام مقرر ثابت ، واتساع رقعة الإسلام ، فقد كان الاختيار فى عهد الراشدين سهلا ، لأنه كان ـ بحكم الواقع والمصلحة ـ اختيارًا مقصورا على أهل المدينة ، فكان من السهل أن يبايعوا ، وكان من السهل أن يختاروا .

والحكم فى هذه الحال أقرر فيه أولا ما قرره الفقهاء ، ثم أقرر بعد ذلك ما أراه ، وأرجو ألا ابتعد فيه عن روح الإسلام ومرماه فى إنشاء الحكم الصالح .

أما ما قرره الفقهاء فى حال تعذر الاختيار ، فقد قالوا : إنه إذا تغلب متغلب على الحكم الإسلامى وكان عدلا أمينا مصلحا قادرا على القيام بعبء الحكم الإسلامى ، وارتضاه الناس ، فإنه يكون حاكما واجب الطاعة ولا يرضى كثيرون من الفقهاء أن يسموه خليفة ، بل يسمونه ملكا عادلا .

ويقسمون لذلك الخلافة إلى قسمين : خلافة نبوية ، وهى التى استوفت شروط الخلافة كاملة ، من قرشية فى نظرهم ، ومشورة ومبايعة حرة لا إكراه فيها ، وسميت خلافة نبوية ، لأنها هى التى جاءت بها النبوة ، وهى التى أمرت بها وصرح القرآن الكريم بوجوبها ، ولأن الحاكم يكون نائبا فى الحكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى تنفيذ أحكام القرآن والسنة ولذلك سمى الذين يتولون الحكم بهذه الشروط خلفاء ، لأنهم يخلفون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى تنفيذ الأحكام الشرعية ، وتبليغا للناس .

والقسم الثانى : خلافة ليست نبوية ، ويسميها ابن تيمية خلافة الملوك ، وأقول إنه يصح أنه تسمى ولاية دنيوية ، ولا تستوفى الشروط الإسلامية ، سواء أكان الذين يتولونها يقصرون الولاية على بيت من البيوت تنتقل بينهم بالوراثة ، أم كانت الولاية برئيس من الرؤساء يتولى بشخصه ، ولا تنتقل الولاية إلى غيره ، ولا يعد من يتولى على هذا النحو ، خليفة أو أميرا للمؤمنين ، وليا له حق الطاعة ما دام عادلا ، وقد قرر جمهور الفقهاء أنه إذا تولى السلطان رجل كفء عادل ، ولو بطريق التغلب لا بطريق الاختيار وجبت طاعته ،

ويعتبر ه بعض العلماء أميرا للمؤمنين إذا ارتضاه المؤمنون لعدله، وصيانته للمؤمنين، وأن الاختيار اللاحق للخلافة يكون كالاختيار السابق من حيث المعنى والمصلحة .

ولقد نظر ابن تيمية فى تاريخ الخلافة فى الإسلام ، فقرر أن الخلافة النبوية التى استوفت شروط الخلافة : من مشورة ومبايعة وعدالة وغيرها، استمرت ثلاثين سنة فقط، كما أشرنا من قبل . وأنها بعد ذلك صارت ملكا عضوضا، يعض عليه بالنواجذ، ويستشهد على ذلك بقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا »، ويقول فى ذلك رضى الله عنه : « الذى فى السنن خلافة بالنبوة ثلاثون، ثم تصير ملكا » ويعتبر دولة بنى أمية، وبنى العباس ملوكا سموا أنفسهم بأسماء الخلفاء، ويقول فى حكم يزيد بن معاوية « يعتقد أهل السنة أنه ملك جمهور المسلمين، وخليفتهم فى زمانهم وصاحب السيف » ثم يقول : « فيزيد فى ولايته هو واحد من هؤلاء الملوك المسلمين المستخلفين فى الأرض » وأن الإسلام مع أنه اشترط شروطا للخليفة ، ولم يقرر أن الملك الوراثى له أصل شرعى، لاحظ أنه لا بد من حكومة تقوم، ولا بد من رياسة إسلامية سواء أكانت رياسة إقليمية، أم كانت رياسة إسلامية عامة ، وأنه إذا لم يكن الحكم المثالى، كان الحكم الواقعى، حتى لا تكون أمور الناس فوضى، لا ضابط لها ، وخير للناس أن يكون لهم حاكم ، ولو جاء من غير طريق الشورى من ألا يكون حاكم قط .

ولذلك قرر الشافعى ومالك وأحمد أن كل متغلب تجب طاعته حتى يغير من غير فتنة ولا فساد فى الأرض، ولأنهم ما دام لا ينازعهم إمام عدل أمين، فإنه لا مناص من الطاعة لهم فيما هو ليس بمعصية، ولأنهم مهما تكن حالهم ينظمون الولايات ويقيمون الحدود ويحاربون أعداء المسلمين، وإذا كانوا فجارا يقرر الفقهاء أن طاعتهم فيما لا يخالف أوامر الدين واجبة، أما فى المعصية فلا، ويستمر ذلك حتى يغيروا، ويسعى فى تغييرهم من غير فتنة كما أسلفنا من قول. ويقول فى ذلك ابن تيمية : والصواب الجامع فى هذا الباب أن من حكم أو قسم بعدل نفذ حكمه وقسمته، وأن من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أعين على ذلك، إذا لم تكن فى ذلك مفسدة راجحة، وأنه لا بد من إقامة الجمعة والجماعة، فإن أمكن تولية إمام بر لم يجز تولية فاجر، ولا مبتدع يظهر بدعته، فإن هؤلاء يجب الإنكار عليهم بقدر الإمكان ، ولا تجوز توليتهم ، فإن لم يمكن إلا تولية أحد رجلين : أحدهما فيه دين وضعف عن الجهاد، والآخر فيه منفعة فى الجهاد مع ذنوبه، كانت تولية هذا الذى ولايته أنفع للمسلمين خيرا من تولية من ولايته أضر على المسلمين »(منهاج السنة ٢/ ٢٤٠) .

وهذا الذى يذكره ابن تيمية هو الذى يراه جمهور فقهاء أهل السنة، وأساسه كما رأيت هو النظر لمصلحة المسلمين، فإنه إذا تعذرت ولاية من تنطبق عليه شروط الخلافة النبوية، فإنه يكتفى بمن يكون أصلح للمسلمين، ولو لم يكن برا تقيا. وروى أن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن أميرين أحدهما تقى ضعيف، والآخر فاسق قوى فتحت قيادة أيهما يعمل؟ فقال رضى الله عنه : « مع الفاسق القوى، لأن فسقه على نفسه وقوته للمسلمين، وأما التقى الضعيف فتقواه لنفسه وضعفه على المسلمين » وقد روينا ذلك من قبل .

ومؤدى ذلك أن الحكام الفساق أو الذين لم يختاروا اختيارا حرا، يطاعون فى غير المعصية، لا لأنهم موضع رضا، بل لأن الحكم فى ظلهم ضرورة لحفظ الإسلام والمسلمين والضرورات تبيح المحظورات ، أى ما كان يصح أن يخضعوا لذلك الحكم غير العادل، ولكن لأن مصلحة الإسلام والمسلمين فى الخضوع، والضرورة توجبه، خضعوا مضطرين غير مختارين ونفذوا ما فيه طاعة .

ولكن هل يجب الخضوع المستمر لهم ولا يسعى فى تغييرهم ، ويعتبرون حكمهم قضاء من الله تعالى لا يقبل التغيير، فلا يفكر إلا فى طاعتهم ، وحولهم منافقون يدهنون لهم ، ويفسدون الحكم معهم ؟ قرر الفقهاء أن السعى يتجه إلى أحد أمرين :

أحدهما ـ إصلاحهم بالحسنى وبكل الوسائل الممكنة لأن الدين النصيحة ، فيجب إسداء هذه النصيحة ما أمكن، ولو تعرض الناصح الأمين للأذى الذى يحتمل، وإن توالى النصح إن كان لا يؤدى إلى تغيير حاله، فهو يؤدى إلى تخفيف شره .

الثانى : السعى فى التغيير من غير فتنة ولا فساد فى الأرض ولا قتال. ولقد قال فى هذا المعنى ابن تيمية : « المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى، ولا نكاد نعرف طائفة خرجت على ذى السلطان إلا كان فى خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذى أزالته، والله تعالى لم يأمر بقتال أى ظالم، وكل باغ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، بل قال تعالى :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات : ٩] فلم يأمر بقتال الفئة الباغية ابتداء .

وفى صحيح مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « سيكون بعدى أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع !

قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال: لا ما صلوا » فقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتالهم مع إخباره أنهم يأتون أمورا منكرة، وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنكم سترون بعدى أثرة، وأمورا تنكرونها، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله، « قال تؤدون الحق الذى عليكم، وتسألون الله الذى لكم » وقد قال عليه السلام: « من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية ولا ينزعن يدا عن طاعة » (منهاج السنة ٢/٨٧).

هذه هى الأسس التى يقوم عليها الحكم فى الإسلام، فهو يقوم ابتداء على الشورى والعدل وطاعة الله تعالى ورسوله، وأن يكون اختيار الحاكم حرا مبنيا على المبايعة.

وإن قوما من الأوربيين الذين يدرسون الإسلام لا يأخذون الإسلام من مبادئه المقررة الثابتة، إنما يأخذونه من أحوال المسلمين الواقعة، ومن أخيلة يتخيلونها، ومن أقوال بعض الفرق التى ترفع الأئمة إلى مراتب قدسية، ويبنون على ذلك أن المسلمين يقدسون ملوكهم، وأن الإسلام لم يأت بنظام للحكم صالح، ولم يضع أسسا سليمة يمكن أن يقوم عليها حكم صالح وهم فى كل ذلك مخطئون، قد أخطأوا فى الطريق إلى الحق، وأخطأوا بالتالى فى النتائج التى وصلوا إليها، ولم يحاولوا أن يتعرفوا الوجهة الحق ليسلكوا، ولا نفرض فيهم إلا أنهم ساروا فى الطريق الذى أخطأوا فى اختياره إلى أقصى مداه، متنكبين طريق الصواب خطأ ابتداء وعمدا انتهاء.

والحقيقة، ما شرحناه من أن الإسلام وضع المبادئ العادلة السليمة التى تتفق مع الفطرة، ومع المبادئ المقررة فيه وهو أن الناس سواء، وأنه يجب تهيئة الفرص لكل القوى لتظهر الطاقات المختلفة المتفاوتة، وتوسد لكل طائفة ماتهيئها له طاقتها، ومنها الولاية وإدارة دفة الدولة. وبيّنا المصادر التى تشير إلى المبادئ الأصلية فى الحكم، ولا عيب على المبادئ إذا خولفت، وقد بينا أن تنفيذ الشورى تنفيذا كاملا يختلف باختلاف الجماعات واختلاف البيئات.

وتبين لك مما سبق أن المسلمين عندما ارتضوا حكم الملوك أو أشباههم لم يكن ذلك إلا عن معذرة، وهو ألا يقعوا فى الفتن، وتأكلهم تلك الفتن المفسدة المظلمة المتوالية، التى يسيطر فيها الهوى المتبع والشح المطاع، وإذا كانت قد وردت أحاديث دالة على الاستنكار القلبى، والاستسلام الظاهرى، فقد وردت أحاديث أخرى موجبة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل الطرق الممكنة، كما وردت بذلك آيات قرآنية محكمة، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدى الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو خاصة الإسلام، وقد بينا أنهما الأساس لتكوين رأى عام فاضل، وأن الرأى العام هو الذى يهذب الحكام الفاسدين، وهم لا يجدون حربا عليهم أقوى منه، ولا يجدون مهذبا لطغواهم أشد منه، ويجب أن يعمل المسلمون دائما على تكوين ذلك الرأى العام الفاضل، فهو المرشد القائم المستمر، وهو المهذب اللائم، ويجب على العلماء والمصلحين أن يتكلموا ولا يصمتوا، وكل أذى ينالهم فى سبيل كلمة الحق التى هى من الجهاد أو من أفضله كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: « أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر» وليتقدم لقولها العلماء المصلحون، فإنها إن لم ترشد الجبارين وتهديهم تزلزل قواهم أمام الشعوب.

وإذا كان النبى صلى الله تعالى عليه نهى عن الفتنة والفتنة بالقتل والقتال، فهو لم ينه عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والاستمرار عليه، ولو أدى إلى أذى من يقوم به، والأمر فيه إلى كياسته، وحسن تأتيه للأمور، وليلبس لكل حال لبوسها من غير ممالأة فى باطل، ولا مداهنة فى شر، ولا تأييد لظلم، وليذكر قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « من مشى مع ظالم، فقد سعى إلى النار ».

وإن القيام بحق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو السبيل للتغير المتدرج، فإن كان من بعد ذلك أمر من الأمور فإنه يكون قد جاء فى إبانه، ولم يتخلف عن زمانه، وبذلك، يكون الخير.

وإذا كنا نوجه اللوم إلى الذين أخذوا حكم الإسلام من أحوال المسلمين، فإنا نوجه اللوم إلى علماء المسلمين والمصلحين فيهم، فإن توانيهم ومداهنة الكثيرين منهم فى حدود الله قد أدى إلى الحكم الظالم على الإسلام وكانت حال المسلمين هى المسوغة ولو ظاهرا للحكم به.

السلطات الثلاث فى الإسلام:

أخذنا على أنفسنا أن نأخذ نظر الإسلام إلى الحكم من الكتاب والسنة وأفعال الراشدين الذين عاينوا عهد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وقبسوا منه واتبعوه، وهم أقدر الناس على فهمه.

وبرجوعنا للقرآن الكريم نجد حد الأصل الذى يقوم عليه الحكم، وهو يتكون من ثلاث شعب: الشورى والعدالة والحكم بما أنزل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة، واعتبارهما المصدر الوحيد للحكم فى الإسلام، فقد قال تعالى:

﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [النساء: ٥٩] ويقول سبحانه:

﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [النساء: ٨٣].

والرد إلى الرسول بعد وفاته ، هو الرجوع إلى سنته ، والرد إلى الله تعالى هو الرجوع إلى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولقد قال تعالى :

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ [النساء : ١٠٥] ويقول سبحانه :

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ [المائدة : ٤٩] .

تلك بعض نصوص القرآن التى تبين مصادر الحكم العادل فى الإسلام ، وقد طبق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تلك الأحكام القرآنية ، وما كان يوحى به إليه على أكمل وجه من وجوه العدالة المسوية بين الناس ، وكان عليه السلام يجمع فى يده السلطات الثلاث ، التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية ، وكل الذين يتولون واحدا منها إنما يستمد سلطانه منه عليه السلام ، فالنبى كانت منه السلطة التشريعية ، لأنه هو المفسر الأول للقرآن ، وكان يوحى إليه من عند الله ، وهو بهذا الاعتبار مرجع شرعى أصلى ، فوق أنه هو المفسر فى حياته للمرجع الأول ، وكان يتولى تطبيق هذه الأحكام المقرره ، قضاء وتنفيذا ، فقد كان يقضى بين أصحابه فيما ينجم بينهم من خلاف ، وكان فى قضائه بشرا ، لا يوحى إليه بذات الحكم فى القضية إلا أن يكون نظرا لقضية يحتاج إلى سن مبدأ لم يكن من قبل ، ولقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إنكم تختصمون إلىّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أقتطع له قطعة من النار » (انظر تخريج هذا الحديث فى أول المادة نقلا عن تيسير الوصول ٤/٤٩) .

وكان القضاء فى الأقاليم هو الذى يرسم لهم الحدود وهو الذى يعينهم وهو الذى يعين الولاة ، ويجعل لكل فرع من فروع الولاية رجلا خاصا بها ، لا يتجاوز اختصاصه ، فللحرب وال ، وللصدقات وال ، وكل يكون حسابه عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

وجاء من بعده الراشدون فسلكوا مسلكه ، ولكنهم لم يكن ينزل عليهم الوحى ، وكانوا يبحثون عن الحكم الذى يحكمون به فى كتاب الله تعالى ، فإن وجدوه اهتدوا به فى حكمهم ، وطبقوه وإن لم يجدوه تعرفوا سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ، فإن وجدوها حكموا بها غير خارجين ، عنها . وإن لم يجدوها اجتهدوا آراءهم ، وكان اجتهادهم أحيانا اجتهاد تفسير ، بأن يقيسوا الواقعة التى بين أيديهم على واقعة وجد نصها فى الكتاب أو السنة ويلتمسوا علة الحكم فى النص ، فإن وجدوها تنطبق على الواقعة الجديدة طبقوه فيها ، وهذه طريقة تفسيرية متبعة فى شرح القوانين الوضعية ، وهى تسمى القياس ، وأحيانا يحكمون بمقتضى المصلحة فيما لا نص فيه ، على أن تكون من جنس المصالح التى أقرها الإسلام ، ولا تخالف نصا من نصوصه ، ويكون فى الأخذ بها دفع حرج أو سد حاجة .

وكانوا هم الذين يقضون فى المدينة بين الناس ، كما كان يفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما فى خارج المدينة ، فإنهم كانوا يرسلون القضاة ، كما يرسلون الولاة .

وعلى رضى الله عنه من بينهم لما شغلته الحروب عن أن يكون فى الكوفة دائما يقضى بين الناس عهد إلى شريح القاضى التابعى ، وقد استمر فيها إلى عهد معاوية . ويلاحظ أنه بينما تجتمع فى قصبة الدولة السلطة القضائية والسلطة التنفيذية فقد كانوا يفصلون السلطتين فى الأقاليم ، فكان الإمام عمر رضى الله عنه يعين قاضى الإقليم الأول ، كما يعين الوالى ، وكل يستمد السلطان من الرئيس الأعلى مباشرة ، ولا يستمده من الوالى الذى يتولى السلطة التنفيذية ، والقارئ للتاريخ الإسلامى فى عهد الراشدين يرى ذلك واضحا ، فكتاب القضاء الذى يعد دستور القضاء إلى يومنا هذا كتبه الإمام عمر إلى أبى موسى الأشعرى مباشرة ، وبذلك نرى أن السلطتين منفصلتان .

وإنما تجتمع السلطتان فى يد أمير المؤمنين ، لأنه المختار من الشعب ، فاجتماعهما فى يديه إنما هو اجتماع السلطتين فى يد الأمة مصدرهما .

وننتهى من هذا إلى أن السلطات الثلاث تلتقى فى يد الإمام ، ولكن السلطة التشريعية مقيدة بأن تكون فى ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا تخرج عنهما ، وتنفذ ما نص عليه فيهما من غير شطط فى التأويل ، ولا تحريف للمقاصد .

فهو مقيد بالنص ، ومقيد فيما يجتهد فيه بالرأى بالحمل على النصوص ، ومراعاة المصلحة التى اعتبرها الإسلام مصلحة من غير مصادمة للنصوص .

ويلاحظ أن الإمام فى عهد الراشدين ما كان يجتهد بالرأى منفردا ، بل كان يجمع علماء الصحابة ويعرض عليهم الأمر ، فما يقررونه يتبعه ، ويكون العرض أولا ليعرف أَوَرَدَ فى ذلك سنة أم لم يرد؟ فإن كانت وردت سنة اتبعها ، وحكم بمقتضاها ، وإن لم تكن هناك سنة اجتهد رأيه ، وعرض رأيه على المجتمعين ، فإن أقروه أخذ به ، وإن لم يقروه رجع إلى قولهم ، وإن رأى الصواب فى غيره جادلهم بالتى هى أحسن ، حتى يقرروا الأمر مجتمعين من غير اختلاف ، وكان عمر له شوراه الخاصة يتعرف منها الرأى قبل أن يعلنه .

وبذلك يتبين أن التشريع يرجع إلى الكتاب والسنة ، وأن

استخراج الأحكام منهما كان منوطا بالصحابة ، وخصوصا علماءهم الذين يردون أحكام الحوادث إليهما ، وما يكون للحاكم من رأى لا يتبع إلا إذا أقره عليه الصحابة ، وكثيرا ما كان ينعقد الإجماع على الأمر .

أما السلطتان القضائية والتنفيذية ، فإن الأمر فيهما إلى البشر ابتداء ، يطبقان فيهما كتاب الله وسنة رسوله ، وما يوجبه العدل وتقتضيه المصلحة .

تطبيق الشريعة فى هذا العصر :

لا يمكننا أن نقرر أن حكم الإسلام كان مطبقا تطبيقا كاملا إلا فى عهد الراشدين بعد عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، أما بعد ذلك فما كان التطبيق كاملا ، لأن الحكم لم يقم على أساس من الشورى ، فلم يكن اختيار الحاكم بالشورى ، ولم تكن الشورى هى التى تسود أعمال الحكام ، وكان هوى الحاكم هو الذى يوجه الأمور ، فلم يكن اختيار الولاة إلا لهوى الرئيس الأعلى للدولة ، وكان تطبيق النظم الإسلامية تبعا لهواه ، فإن وافقته نفذها ، وإن خالفته أهملها .

والآن ، ونحن نريد أن نجعل الإسلام دواء لأدواء العالم اليوم وحلا لمشاكله ، فهل يمكن تطبيق أحكامه فى نظم الحكم ، وهى الأساس فى العلاج ، إذ لا يمكن أن يقال : إن العلاج إسلامى إلا إذا كانت نظم الحكم إسلامية أولا بين المسلمين ، ثم تسرى إلى غيرهم ، وبذلك يتمكن الإسلام من العلاج .

ونقول فى ذلك : إن تنفيذ الإسلام ممكن وإن كان يحتاج إلى علاج وتعبيد الطرق ، وهو علاج النفوس ، وتعبيد الطرق إلى القلوب .

إنه لا بد من أمر جامع للمسلمين ، ولا يكون من الملوك والرؤساء الذين أدهنوا لأعداء الإسلام ، ولكن يكون من الشعوب الإسلامية المؤمنة ورجالها المؤمنين والمصلحين الذين يرجون للإسلام وقارا ، والذين يريدون أن يعود الإسلام كما بدأ نورا للعالمين ، وهاديا مرشدا ، ورافعا راية السلام وعلم القرآن .

ولا يمكن فى هذا العصر أن تتكون حكومة إسلامية واحدة ، بل يكون لكل إقليم دولته ، وتلتقى جميعها على كلمة من الله تعالى ، تنشر التعاون بين الناس ، وتربط العلاقات على أسس من الوحدة الإنسانية العامة ، ويكون المسلمون فيما بينهم دعاة حق ، يتحد اقتصادهم ، وتتحد سياستهم ، وتتحد أو تتقارب جيوشهم ، وكل إقليم له رئيسه المختار اختيارا حرا من شعبه من غير أن تكون له موالاة لغير المسلمين ، فلا يتولى قوما غيرهم إلا أن يكون هذا الغير مع بقية الأقاليم الإسلامية على علاقة تقوم على العدل والاتحاد الإنسانى والتعاون مع الدول التى لا ترفض ذلك ولا تتجانف لإثم .

وكل إقليم إسلامى ينفذ حكم الشرع فى داخله ، وقد يقول قائل : كيف يمكن سن ذلك من غير تعرض للاضطراب ومن غير أن تصاب الأقاليم بطفرة؟ ونقول فى ذلك :

إن القوانين القائمة فى البلاد الإسلامية ليس كلها مخالفا للإسلام ، بل فيها المخالف لأحكامه ، وفيها الموافق ، فالموافق يبقى ، والمخالف يبعد ، فيبعد من القوانين كل النظم التى يكون فيها ربا ، وكل العقود التى يكون فيها غرر وجهالة ، وقد نهى عنهما فى الإسلام .

وقوانين العقوبات ناقصة فإذا أضيف إليها أحكام الحدود والقصاص كانت كاملة والباقى يستمر وذلك لأنها تعزيرات ، والتعزير جائز فى الإسلام برأى ولى الأمر يقيد به أحكام القضاة .

ونعتقد أنه فى الإمكان إذا أريد التخلص عن ربقة الأجنبى فى القوانين ـ كما هو الواجب أو على الأقل هو ما ينبغى ـ بأن تؤلف لجنة من علماء المذاهب الإسلامية لاستنباط قانون إسلامى من ثنايا المدون فى هذه المذاهب ، بحيث يكون ملائما لروح العصر ، ولا يكون مجافيا لها ، وما يكون فى العصر من أمور لم يعالجها فقهاء المسلمين ، فإنهم يجتهدون فيها اجتهادا جماعيا كما كان يفعل السلف الراشد ، وأن الأمر يحتاج إلى عزمة إسلامية ولا يحتاج لغير ذلك والله هو المعين (« المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام »/ ٤١٤ـ ٤٣٥) .

وينقلنا ختام هذا البحث النفيس لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة رحمه الله إلى قضية المسلم الذى يقضى بغير الإسلام ، وهى القضية التى ضمنها الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت فتاويه ، وننقلها لك فيما يلى : قال رحمه الله مجيبا على السؤال : ما رأيكم فى رجل يحكم فى قضية ما حكما غير إسلامى هل يعتبر مرتدا عن الدين ؟

السؤال لا يختص بالقاضى :

هذا السؤال لا يختص بالقاضى الذى يحكم حكما غير إسلامى ؟ وإنما يتناول الحكام المسلمين الذين يأمرون بتقنين أحكام غير إسلامية ، والمقننين المسلمين الذين يتولون وضع هذه الأحكام والمتخاصمين المسلمين الذين يتحاكمون إليها ويرضون بها ، بل إن حاجة هؤلاء إلى معرفة حكم الإسلام فيهم أشد من حاجة القضاة الذين يحكمون بتلك الأحكام ، وخاصة من يكونون منهم فى بلد إسلامى ، ليس لغيره عليه سلطان فى تشريعه وأحكامه .

وقد شاع على ألسنة كثير من المسلمين المتدينين أن القضاة الذين يحكمون بالقانون الوضعى الذى تخالف أحكامه أحكام الإسلام كفار مرتدون عن الإسلام معتمدين فى ذلك على ظاهر قوله تعالى من سورة المائدة ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الكٰفرون ﴾ [المائدة : ٤٤] ويلزمهم أن يحكموا بكفر المقننين والآمرين بالتقنين، فإن هؤلاء ـ وإن لم يكونوا يحكمون بها ـ قد وضعوها بأنفسهم أو أمروا بوضعها، ولا شك أن واضعيها والآمرين بوضعها تبعتهم أشد من تبعة الحاكمين بها .

الحكم الإسلامى نوعان : قطعي واجتهادى :

ولمعرفة الجواب لهذا السؤال يجب أن نعلم أولا أن الحكم الإسلامى نوعان :

حكم نص عليه القرآن أو السنة نصًا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يقبل الاجتهاد .

ومثاله فى الأحوال الشخصية حرمة المطلقة ثلاثة مرات على مطلقها حتى تتزوج غيره .

وفى المدنيات حرمة الأرباح التى استغلت فى سبيل الحصول عليها حاجة الفقير المحتاج المستحق للمعونة، وتقسيم الميراث الذى ورد فى القرآن .

ومثاله فى العقوبات قطع يد السارق الذى توافرت فيه سرقته شروط العقوبة .

هذا نوع، والنوع الآخر: حكم لم يرد به قرآن ولا سنة، أو ورد به أحدهما ولكن لم يكن الوارد به قطعيا فيه، بل محتملا له ولغيره، وكان بذلك محلا لاجتهاد الفقهاء والمشرعين، فاجتهدوا فيه، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره . وأكثر الأحكام الإسلامية من هذا النوع الاجتهادى .

فى النوع الاجتهادى متسع للقاضى :

وإذا علمنا هذا استطعنا أن نقول فى الجواب عن السؤال: إن الحكم فى النوع الثانى ـ وهو النوع الاجتهادى ـ ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الإسلامية فإنه ما دام أساسه تحرى العدل والمصلحة لا اتباع الهوى والشهوة، فإن الإسلام لا يمنعه ولا يمقته فضلا عن أن يراه ردة يخرج القاضى به عن الإسلام؛ ذلك أن الإسلام، ليس له فى هذا النوع حكم معين وإنما حكمه هو ما يصل إليه المجتهد باجتهاده المبنى على تحرى المصلحة والعدل، فمتى وجد العدل والمصلحة فثم شرع الله وحكمه .

متى تحكم بالكفر ؟

أما النوع الأول وهو الحكم القطعى المنصوص عليه فى كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة التى لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال ـ فإن الحكم بغيره إن كان مبنيا على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه هو لا يحقق العدل ولا المصلحة كان ولا شك ردة يخرج به القاضى عن الإسلام .

أما إذا كان القاضى الذى حكم بغيره مؤمنا بحكم الله وأنه هو العدل والمصلحة دون سواه، ولكنه فى بلد غير إسلامى أو بلد إسلامى مغلوب على أمره فى الحكم والتشريع، واضطر أن يحكم بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والإنكار، فإن الحكم فى تلك الحالة لا يكون كفرا وإنما يكون معصية، وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمتها .

الواجب على القاضى المسلم :

وإذن يجب على القاضى المسلم أن يرد نفسه عن الحكم متى استطاع إلى ذلك سبيلا، وإذا لم يستطع أن يرد نفسه خوفا من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته فإن الإسلام يبيح له ذلك ارتكابا لأخف الضررين ما دام قلبه مطمئنا إلى حكم الله .

تخريج آية المائدة :

أما قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بمـا أنـزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤] فقد جاء فى قوم يملكون أنفسهم وتشريعهم ويعرفون حكم الله ويرفضونه مؤثرين عليه حكم الهوى والشهوة؛ وفى جوهم يقول الله : ﴿ من الذين قالوا ءامنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ [المائدة : ٤١] ويقول تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [المائدة: ٤٩] .

ومن هنا يتبين أن الآية الكريمة وهى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ليست فى حق كل من حكم حكما غير إسلامى فى قضية ما (الفتاوى/ ٣٧ـ٤٠) .

ونختتم هذه المادة بما أورده صاحب « الاقتضاب » عن كتاب الحكم . يقول السيد البطليوسى :

أمور الأحكام جارية فى شريعة الإسلام على أربعة أوجه : حكم القضاء، وهو أجلها وأعلاها . ثم حكم المظالم . ثم حكم الديوان: وهو حكم الخراج ثم حكم الشرطة .

فينبغى لكاتب القاضى أن يكون عارفا بالحلال والحرام، وبصيرا بالسنن والأحكام . وما توجبه تصاريف الألفاظ، وأقسام الكلام ؛ ويكون له حذق ومهارة بكتب الشروط والإقرارات، والمحاضر والسجلات .

وقد ذكر الناس فى أوضاعهم من هذه المعانى ما فيه كفاية . غير أنا نذكر من ذلك نكتا يسيرة (النكتة تطلق على المسائل الحاصلة بالنقل، المؤثرة فى القلب، التى يقارنها نَكْت الأرض غالبا بنحو الإصبع . تاج العروس) :

فجملة الشروط : أن يذكر المشترط عليه بأسمائهما وأنسابهما، وتجارتهما إن كانا تاجرين، وصناعتهما إن كانا صانعين، وأجناسهما وأسماء بلدانهما . ثم يذكر الشيء الذى وقع فيه الشرط . فإن كان بيعا، ذكر البيع ووصفه، وحدد المبيع إن كان فيما يحدد . ثم ذكر الثمن ومبلغه ونقده ووزنه، والقابض منهما والمقبوض منه . وتفرقهما بعد الرضا على رأى من يرى ذلك من

الفقهاء ثم ضمن ـ البائع الدرك للمشترى . (الدرك : اللحاق والوصول إلى الشيء) .

وإن كان إجارة، ذكر الإجارة ، ومدتها، والشيء المستأجر. وحدد ما يجب أن يحدد منه ، ووصف ما لا يحدد، وذكر مدة الإجارة، وجعلها على شهور العرب دون غيرها . وذكر مال الإجارة، ووقت وجوبه وقبض المستأجر ما استؤجر عليه، ورضاه بذلك ، وتفرقهما بعد الرضا، على رأى من يرى ذلك .

وإن كان فيما استؤجر نخل أو شجر، أتى بذلك وذكر مواضعه من الأرض، وجعله في آخر الكتاب معاملة ومساقاة بجزء من الثمر، إذ لا يجوز غير ذلك في الأحكام، وضمن المؤاجر الدرك للمستأجر، على رأى من يرى التضمين في ذلك .

وإن كان صلحا ، ذكر ما وقع فيه الصلح ، وإن كان براءة وصفها، وذكر ما تبرأ منه . وإن كانت البراءة بعوض، ذكر العوض. وإن كان إقرارا بدين، ذكر مبلغه، وهل هو حالّ أو مؤجل . وإن كان مؤجلا، ذكر أجله ووقت حلوله، وحدد ذلك بالشهور العربية .

وإن كان وكالة، سمى الوكيل ونسبه، وذكر ما وكل فيه من خصومه ، أو منازعة، أو قبض، أو صلح، أو بيع، أو شراء، أو غير ذلك ، مما تقع الوكالة فيه . وقرر الوكيل بالقبول .

وإن كان رهنا ، ذكر أولا الدين في صدر الكتاب ووقت محله ثم ذكر الرهن، وسماه، ووصفه، وحدد ما يجب تحديده منه . ثم قرر المرتهن على قبض ذلك . وإن وكله على بيعه عند حلول أجله، وذكر ذلك بعد الفراغ من ذكر الدين والرهن .

وإن كان وصية، قرر الموصى بعد تسميته إياه في صدر الوصية، ثم ذكر أنه أوصى بكذا وكذا، وبدأ بالدين، وقرره على مبلغه . ثم ذكر الوصية بعد الدين . ثم ذكر تسبيل ذلك في الوجه الذى سُبِّل فيه . وذكر الموصى إليه وسماه، وقرره على القبول إن كان حاضرا . ثم يؤرخ ذلك بالشهور العربية . ثم يوقع الشهادة على المشترطين والمشترط عليهم ، وأن ما عقدوه على أنفسهم كان في صحة منهم ، وجواز من أمرهم . وأنهم أقروا بذلك طوعا بعد فهمه، ومعرفه ما فيه .

وأما المحاضر، فإن الكاتب يكتب: حضر القاضى رجلان، فادعى أحدهما على صاحبه بكذا، فأقر له . ويكتب الأسماء والأنساب والتاريخ وإن لم يكن القاضى يعرفهما بأسمائهما ونسبهما قال : ذكر رجل أنه فلان ابن فلان، ويصفه ويحليه (الحلية : الهيئة يقال : عرفه بحليته أى بهيئته . وحليت الرجل : بينت حليته)

وذكر رجل أنه فلان ابن فلان ، ويصفه ويحليه أيضا . فادعى فلان . أو الذى ذكر أنه فلان ، أو على الذى ذكر أنه فلان : كذا و كذا، فأقر له بذلك .

وإن كانت وكالة قال : فذكر أنه وكل فلان ابن فلان، ويذكر ما وكله فيه، ويقول: وحضر فلان ابن فلان، فذكر أنه وكل فلان ابن فلان ، ويذكر ما وكله فيه، فقبل ذلك منه ، وتولاه له .

وإن أحضر المدعى كتابا يريد أن يثبته بحق أو بيع أو غير ذلك، قال : وأحضر معه كتابا ادعى على فلان ابن فلان ، أو الذى ذكر أنه فلان ابن فلان ، ما فيه نسخته كذا . ويقول وأحضر من الشهود فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان ، وادعى شهادتهما له بما تضمنه الكتاب الذى أحضره، فسألهما القاضى عما عندهما في ذلك ، فشهدا أن فلان ابن فلان أشهدهما على نفسه في صحة منه، وجواز من أمره، بما سمى فيه ووصف عنه ، فقبل القاضى شهادتهما بذلك وأمضاها . وإن أراد القاضى أن يسجل بذلك، وليس يجوز أن يسجل إلا على من قد عرف ، فليذكر في صدر الكتاب تسجيل القاضى، ويسميه وينسبه في مجلس قضائه، ويقول: وهو يلى القضاء، لفلان ابن فلان على فلان، كذا، ويذكر لقبه، والناحية التى استقضاه عليها ، وحضور من حضره، ونسخة الكتاب الذى ادعى عنده ما فيه، ويذكر شهادة الشاهدين فيه . ثم يقول: فأنفذ القاضى الحكم، بما ثبت عنده من إقرار فلان بجميع ما سمى، ووصف في الكتاب المنسوخ في صدر هذا التسجيل بشهادة الشاهدين المذكورين فيه، وحكم بذلك وأمضاه: بعد أن سأله فلان ابن فلان ذلك . ثم يشهد عليه بإنفاذ جميع ذلك، ويؤرخ الكتاب بالوقت الذى يقع التسجيل فيه .

فهذه جملة من هذا الشأن مقنعة .

وينبغى للكاتب أن يحتاط على الألفاظ، فلا يذكر لفظا فيه اشتراك، مثل استعمال كثير من أصحاب الشروط، في موضع ذكر التسليم، أن يقولوا بغير دافع ولا مانع، فيوقعونه مكان قولهم : بلا دافع ولا مانع، ويظنون أن غيرا هاهنا تنوب مناب « لا » ، إذا كانت جحدا، وليس الأمر كذلك ، لأن « لا » حرف جحد، لا يحتمل في هذا الموضع إلا معنى واحد، و « غير » قد يكون بمعنى الكثرة ، كقولك : لقيت فلانا غير مرة ، وجاءنى غير واحد من الرجال ، بمعنى لقيته أكثر من مرة واحدة ، وجاءنى أكثر من واحد من الرجال، فإذا قال الكاتب بغير دافع جاز أن يتأول متأول أنه أراد أكثر من دافع واحد . فإذا قال : بلا دافع، كان أسلم من التأويل، وأصح بمعنى الكلام(الاقتضاب ١/ ١٥١ـ ١٥٥) .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ٤٨ ، ٤٩ ، ومن توجيهات الإسلام ـ فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٥٢٨ ـــ ٥٣٦ ، و « المجتمع الإنسانى في ظل الإسلام » ـ فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة . الأزهر. مجمع البحوث الإسلامية . جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ ـ اكتوبر ١٩٦٦م . المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية / ٤١٤ ـ ٤٣٥ ، والفتاوى ـ

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٣٧ ـ ٤٠ ، والاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لأبى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ـ بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبدالمجيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١، ١/ ١٥١ـ١٥٥ .

انظر أيضا « أركان وضمانات الحكم الإسلامى » ـ د. محمد أحمد مفتى . مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . جامعة الكويت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . السنة الخامسة، العدد الثانى عشر. ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٨ / ٧٥ ـ ١١٧، والوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ـ السيد محمد رشيد رضا / ١١٧، ١١٨) .

* **الحكم الإلهية :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩٨١

انظر شرحها : روح الكبريت الأحمر على حكم الشيخ الأكبر .

حكم إلهية فريدة فى بابها الحكمة الأولى : أفن ما أضيف إليك تبقى بما أضيف إليه ، والحكمة الأخيرة : من عرف حقيقة وجوده فاز من ربه بشهوده، وهى من ١٦٠ حكمة .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن على الطائى الأندلسى المشهور بالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م .

أولها : الحمد لله الذى أودع لبيانه الألى بديع المعانى الفاخرة، وجعل من الكلم ما يقرب فى حد الإعجاز أمد الفصاحة الباهرة ...

آخرها : الاعتبار فى الافتكار، والتوبة فى اليقظة، والعلم فى التواضع، والكرم فى الجود، والابتلاء فى المحبة، والخشوع فى البكاء ، والقرب فى النوافل والحمد لله وحده ...

الخط نسخى جيد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

الرقم : ٨٠٨٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ جيد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم: ٥٩١٦

الخط نسخى جميل ، الحبر: أسود.

ملاحظات : نسخة قيمة مقروءة عدة مرات وعليها بعض التعليقات بالهامش ومراجعة سنة ١٣٢٠هـ/ ١٣٢٧ هـ ومراجعة على شيخ محمد المبارك الكبير .

نسخة رابعة :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم : ٦٨٥٠

الخط نسخ معتاد مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : على بن أحمد البعلى .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة خامسة :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم : ٦٩١٦

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة عليها تملكات منها باسم محمد شاكر الحمزاوى تاريخه سنة ١٢٩٥هـ وتملك تاريخه سنة ١١٩٨هـ .

نسخة سادسة :

الرقم : ٨٦٠١

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة سابعة :

الرقم : ٤٠١١

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

نسخة ثامنة :

الرقم : ٢٦٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : خالد الحكواتى .

نسخة تاسعة :

الرقم : ٥٩٠٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : عبد القادر المبارك .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٤هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومصححة .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٣٢، فهرس الخديوية ٧/ ٣٧٩

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧/ ١٧٠، معجم المؤلفين ١١/ ٢٤٠

طبعة الرسالة : طبعت بحلب بعناية المرحوم محمد رجب الطائى ب ١٦ ص قطع الصغير بدون تاريخ ٢ ـ وطبعت ضمن مجلة النادى من ص١٥١ ـ ١٤٧ص التى كان يصدرها الدكتور أنريكوا أنسبتو فى إيطاليا

ومصر وهى التى كان تجسد أفكار التصوف وتنشره عبر أوربا، الجزء التاسع من السنة السادسة إبريل ١٩١٠م ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ .

قال واضع الفهرس الأستاد محمد رياض المالح : بعض نسخ الرسالة : الأوقاف ببغداد ٩/١٤٩١، الإسكندرية ١٥ و ٤٢ تصوف. برلين ٨٦٨٧، دار الكتب ١/ ٢٩٠، وأحتفظ بنسخة مخطوطة منها ورأيت نسخة أخرى عند الأستاذ فخر الدين الحسنى بدمشق وعند الأستاذ محمد مطيع الحافظ نسخة من شرحها المسمى بروح الكبريت الأحمر للداموني وقد أعددتها للطبع مع بعض الانتقاء من شرحها للداموني .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٦٢ـ ٤٦٦) .

* **الحكم الإلهية فى الكمالات الإنسانية :**

الحكم الإلهية فى الكمالات الإنسانية : للشيخ محمد بن مصطفى الإماسى قال فى آخر بعض تأليفه ومن أراد أن يطلع على تفاصيل الحكم اللدنية فليطالع رسالتنا المذكورة لأنها رسالة غريبة فى الأسئلة العجيبة تركتها مقفولة بلا أجوبة لمن يجد مفتاحها .

(كشف الظنون ١/ ٦٧٤) .

* **حكم الإمام الجليل سيف الله الغالب على بن أبى طالب :**

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٤١٣٤

المؤلف : مجهول .

أوله : « المساكين خلانى، العدل إحسان ، الظلم عدوان ، الذاكر غانم ، الصامت سالم ، الغنى مفتون، المحتكر ملعون، التواضع شرف ، التكبر تلف، النية عمل، الدنيا دول، الاستغفار يكفر، الإصرار يدمر، العزلة عبادة ، الجود سيادة ... » .

آخره ناقص ينتهى بقوله :

« أقرب شىء مع العسر اليسر والفرج من الكرب، أول من يدعى إلى الجنة الحمادون ، أول من يجوز الصراط المؤمنون ، أفضل الناس عقلا أوفرهم حلما ، أكثر الناس فى الدنيا خوفا أكثرهم فى الآخرة أمنا ، أحب الأخلاق إلى الله » .

النسخة ناقصة من الآخر.

(١٤٣أ ـ ١٥٠ب)٨ق ١٣س ١٠×١٥سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الأدب ـ وضعه رياض عبدالحميد مراد وياسين محمد السواس ١٨٢/٨، ١٨٣) .

* **الحكم بلا تقدم دعوى وخصومة :**

انظر : الرسائل الزينية فى فقه الحنفية .

* **الحكم بن هشام (١٥٤ـ ٢٠٦هـ/٧٧١ـ ٨٢٢م) :**

أدرجه صاحب الأعلام تحت اسم « الحكم الرَّبَضى » وقال عنه : الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموى، أبو العاص، من أفحل ملوك بنى أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبهة، وأول من جند بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابه، وهو الذى مهد الملك لعقبه فى تلك البلاد. كان يباشر الأمور بنفسه ، شديدًا، جبارًا، ضابطًا لأمر مملكته، يقظًا، يلقب بالربضى لإيقاعه بأهل الربض (وهى محلة متصلة بقصره) نمى إليه أنهم يدبرون مكيدة للإيقاع به فقتلهم وهدم ديارهم . مولده ومنشأه بقرطبة. وولى الأمر بها بعد أبيه (سنة ١٨٠ هـ) وقامت فى أيامه فتن فاشتغل فى حسمها ، فجاءه أن مجاوريه من الفرنج أخذوا يفسدون فى الثغور، فسار إليهم بنفسه فافتتح الحصون وخرب النواحى العاصية وعاد إلى قرطبة ظافرا، وهابه الناس، فاستقر له الأمر إلى أن توفى بقرطبة . وكان كثير العناية بالأدب والعلم ، خطيبا ، له شعر يتفكه بنظمه (الأعلام ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨) .

قال عنه صاحب العقد الفريد : ثالث خلفاء بنى أمية فى الأندلس ، ولى الخلافة بعد أبيه هشام بن عبد الرحمن فى صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولايته سبعا وعشرين سنة . ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين، وهو ابن خمسين سنة .

وكانت فيه بطالة إلا أنه كان شجاع النفس، باسط الكف، عظيم العفو متخيرا لأهل عمله ولأحكام رعيته، أورع من يقدر عليه وأفضلهم ، فيبسطهم على نفسه ، فضلا عن ولده وسائر خاصته .

وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته ، بفضله وعدله وورعه وزهده، فمرض مرضا شديدا، واغتم له الحكم غما شديدا؛ فذكر يزيد فتاه أنه أرق يوما وليلة وبعد عنه نومه وجعل يتململ على فراشه، فقلت : أصلح الله الأمير، إنى أراك متململا وقد زال النوم عنك ، فلم أدر ما عرض لك ! قال : ويحك ، إنى سمعت نائحة هذه الليلة ، وقاضينا مريض، فما أراه إلا قد قضى نحبه ، وأين لنا بمثله ؟ ومن يقوم للرعية مقامه؟ ثم إن القاضى مات، واستقضى الحكم بعده سعيد بن بشير؛ فكان أقصد الناس إلى حق، وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى، وأنفذهم لحكم ...

وكان سعيد بن بشير القاضى إذا خرج إلى المسجد أو جلس فى مجلس الحكم ، جلس فى رداء معصفر وشعر مفرق إلى شحمة أذنيه؛ فإذا طلب ما عنده وجد أورع الناس، وأفضلهم .

وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة عرفاء، تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح ، فإذا بلغه عن ثائر فى طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره، فلا يشعر حتى يحاط به .

وأتاه الخبر: أن جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان فى الجسر، فدعا بعريف من أولئك فأشار إليه أن يخرج من تحت يده إلى جابر بن لبيد، ثم فعل مثل ذلك بأصحابه من العرفاء، فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين، فلما رأى ذلك عدوه سقط فى أيديهم وظنوا أن الدنيا قد حشرت لديهم، فولوا مدبرين.

وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الربض:

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا
وقدما رأيت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغورى هل بها اليوم ثغرة
أبادرها مستنضى السيف دارعا
وشافه على أرض الفضاء جماجما
كأجفان شريان الجبير لوامعا
ولما تساقينا سجال حروبنا
سقيتهم سُمًا من الموت ناقعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم
فوافوا منايا قدرت ومصارعا

قال عثمان بن المثنى المؤدب: قدم علينا عباس بن قاصح من الجزيرة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فاستنشدنى شعر الحكم، فأنشدته، فلما انتهيت إلى قوله:

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم

قال: لو جوثى الحكم فى حكومة لأهل الربض لقام بعذره هذا البيت.

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨ وقد أدرجه تحت اسم «الحكم الربضى ومصادره فى هامش ١، والعقد الفريد لابن عبد ربه، بتحقيق محمد سعيد العريان ٥/ ٢٥٢- ٢٥٤).

*** الحكم بين الناس بالعدل:**

من شعب الإيمان التى أحصاها الإمام البيهقى الحكم بين الناس بالعدل لقوله تعالى ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [النساء: ٥٨] ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ [النساء: ١٠٥] ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات: ٩٠].

ولحديث عبد الله بن مسعود فى الصحيحين « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، وآخر ءاتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها ».

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى- اختصار القزوينى/ ٨٥).

*** الحَكَمُ جل جلاله:**

الحَكَم بالفتح، الاسم التاسع والعشرون من أسماء الله الحسنى، قال سيدى الدردير فى منظومة « أسماء الله الحسنى »:

ويا حكم يا عدل حكِّم قلوبنا
بعدلك فى الأشيا وبالرشد قوِّنا

قال عنه حجة الإسلام الغزالى:

هو الحاكم المحكم: والقاضى المسلم، الذى لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه.

ومن حكمه فى حق العباد: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى ﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠] ﴿ إن الأبرار لفى نعيم* وإن الفجار لفى جحيم ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

ومعنى البر والفاجر بالسعادة والشقاوة أن يجعل البر والفجور سببا يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة، كما جعل الأدوية والسموم أسباب تسوق متناوليها إلى الشفاء والهلاك.

وإذا كان معنى الحكمة ترتيب الأسباب وتوجيهها إلى المسببات كان حكما مطلقا لأنه مسبب كل الأسباب جملتها وتفصيلها.

ومن الحكم ينشعب القضاء والقدر:

فتدبيره أصل وضع الأسباب ليتوجه إلى المسببات - حكمه ونصبه الأسباب الكلية الأصلية الثابتة المستقرة التى لا تزول، ولا تحول: كالأرض، والسموات السبع، والكواكب، والأفلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التى لا تتغير ولا تتقدم إلى أن يبلغ الكتاب أجله - قضاؤه ... كما قال: ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ﴾ [فصلت: ١٢].

وتوجيه هذه الأسباب: تحريكاتها المتناسبة المحدودة المقدورة المحسوبة إلى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة - قدره. فالحكم هو التدبير الأول الكلى والأمر الأول الذى هو كلمح البصر.

والقضاء هو الوضع الكلى للأسباب الكلية الدائمة.

والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المحدودة المعدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص.

ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره. ولا يفهم ذلك إلا بمثال ... ولعلك شاهدت صندوق الساعات التى بها يتعرف أوقات الصلاة، وإن لم تشاهدها فجملة ذلك أنه ما فيه من آلة على شكل أسطوانة تحوى مقدارا من الماء معلوما، وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيه فوق الماء، وخيطا مشدودا أحد طرفيه فى هذه الآلة المجوفة، وطرفه الآخر فى أسفل ظرف صغير موضوع فوق الأسطوانة المجوفة فيها كرة وتحتها طاس آخر بحيث لو سقطت الكرة وقعت فى الكأس وسمع طنينها، ثم يثقب أسفل الآلة الأسطوانية ثقب على قدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا، فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذى فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس ...

إلى أن ينتكس فتتدحرج منه الكرة وتقع فى الطاس ويطن . وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وإنما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه، وذلك بتقدير سعة الثقب الذى يخرج منه الماء . ويعرف ذلك بطريق الحساب ، فيكون لنزول الماء بمقدار معلوم سبب يقدر سعة الثقب بقدر معلوم . ويكون انخفاض أعلى الماء بذلك المقدار، وبه يتقدر انخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها وتولد الحركة فى الطرف الذى فيه الكرة .

وكل ذلك بتقدير مقدار سبب لا يزيد ولا ينقص . ويمكن أن يجعل وقوع الكرة فى الطاس سببا لحركة أخرى، وتكون الحركة الأخرى سببا لحركة ثالثة ، وهكذا إلى درجات كثيرة حتى يتولد منه حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم .

فإذا تصورت هذه الصورة ، فاعلم أن واضعها يحتاج إلى ثلاثة أمور :

أولها : التدبير، وهو الحكم بأنه ما الذى ينبغى أن يكون من الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدى إلى حصول ما ينبغى أن يحصل . وذلك هو الحكم .

والثانى : اتحاد هذه الآلات التى هى الأصول، وهى الآلة الأسطوانية ليحوى الماء، والآلة المجوفة ليوضع تحت الماء، والخيط المشدود به الطرف الذى فيه الكرة ، والطاس الذى يقع فيه الكرة . وذلك هو القضاء .

والثالث : نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة . وهو ثقب أسفل الآلة ثقبا مقدر السعة ، ليحدث بنزول الماء منه حركة فى الماء، تؤدى إلى حركة وجه الماء، ثم إلى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، ثم إلى حركة الخيط ، ثم إلى حركة الطرف الذى فيه الكرة ، ثم إلى حركة الكرة ، ثم إلى تنبيه الحاضرين وإسماعهم ، ثم إلى حركاتهم فى الاشتغال بالصلوات والأعمال عند معرفتهم انقضاء الساعة . وكل ذلك يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر، سبب تقدر جميعها تقدر الحركة الأولى ، وهى حركة الماء .

فإذا فهمت أن هذه الآلات أصول لا بد للحركة منها ، وأن الحركة لا بد من تقدرها ليتقدر ما يتولد منها ـ فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التى لا يتقدم منها شىء ولا يتأخر إذا جاء أجلها (أى حضر سببها) ، وكل ذلك بمقدار معلوم ، وأن الله بالغ أمره ؛ إذ جعل الله لكل شىء قدرا .

فالسموات ، والأفلاك ، والكواكب ، والأرض ، والبحر ، والهواء ، وهذه الأجسام العظام فى العالم ... كتلك الآلات .

والسبب المحرك للأفلاك، والكواكب، والشمس، والقمر ـ بحساب معلوم ... كتلك الثقبة الموجبة نزول الماء بقدر معلوم .

وإفضاء حركة الشمس والقمر والكواكب إلى حصول الحوادث فى الأرض ... كإفضاء حركة الماء إلى حصول تلك الحركات المفضية إلى سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة . ومثال تداعى حركات السماء إلى تغيرات الأرض: هو أن الشمس بركاتها إذا بلغت إلى المشرق استضاء العالم وتيسر على الناس الإبصار، فيتيسر عليهم الانتشار فى الأشغال. ووإذا بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك ، فرجعوا إلى المساكن . وإذا قربت من وسط السماء سمت رءوس أهل الأقاليم ، حمى الهواء ، واشتد اليقظ ، وحصل نضج الفواكه . وإذا بعدت حصل الشتاء ، واشتد البرد (يلاحظ أن الأرض هى التى تدور حول نفسها وحول الشمس وأن هذا الدوران هو سبب حدوث الليل والنهار والفصول الأربعة) .

وإذا توسطت حصل الاعتدال، وظهر الربيع، وأنبتت الأرض، وظهرت الخضرة فقس بهذه المشهورات التى تعرفها الغرائب التى لا تعرفها . واختلاف هذه الفصول كلها مقدر معلوم، لأنها منوطة بحركات الشمس والقمر ، و : ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ [الرحمن : ٥] أى : حركاتهما بحسبان معلوم .

فهذا هو التقدير . ووضع الأسباب الكلية هو القضاء. والتدبير الأول ـ الذى هو كلمح البصر ـ هو الحكم . والله تعالى حكم عدل باعتبار الأمور .

وكما أن حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة ، بل ذلك هو الذى أراده بوضع الآلة ... فكذلك كل ما يحدث فى العالم من الحوادث: شرها وخيرها ، نفعها وضرها ـ غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله تعالى، ولأجله دبر أسبابه . وهو المعنى بقوله : ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ [هود : ١١٩] .

وتفهيم الأمور الإلهية بالأمثلة العرفية عسير، ولكن المقصود من الأمثلة التشبيه ، فدع المثال، وتنبه للغرض، واحذر من التمثيل والتشبيه .

تنبيه : قد فهمت من المثال المذكور ما إلى العبد من الحكمة والتدبير والقضاء والتقدير. وذلك أمر يسير، وإنما الخطير منه ما إليه فى تدبير الرياضيات والمجاهدات وتقدير السياسات التى تفضى إلى مصالح الدين والدنيا . وبذلك استخلف الله تعالى عباده فى الأرض واستعمرهم فيها لينظر كيف يعملون .

وأما الحظ الدينى من مشاهدة هذا الوصف لله تعالى : فأن تعلم أن الأمر مفروغ منه وليس بالآنف، وقد جف القلم بما هو كائن، وأن الأسباب قد توجهت إلى مسبباتها ، وانسياقها إليها فى إحيائها وآجالها ـ حتم واجب . فكل ما يدخل فى الوجود فإنما يدخل بالوجوب ... بالقضاء الأزلى الذى لا مرد له ؛ فيعلم أن المقدور كائن، وأن الهم فضل . فيكون العبد فى رزقه مجملا فى الطلب، مطمئن النفس، ساكن الجأش، غير مضطرب القلب.

فإن قلت : فليزم منه إشكالان :

أحدهما : أن الهم كيف يكون فضلا وهو مقدور ؟ لأنه قدر له سبب، إذا جرى سببه كان حصول الهم واجبا .

والثانى : أن الأمر إذا كان مفروغا منه ففيم العمل وقد فرغ عن سبب السعادة والشقاوة ؟

فالجواب عن الأول : أن المقدور كائن ، والهم فضل ليس معناه أنه فضل على المقدور خارج عنه ، بل إنه فضل أى لغو لا فائدة فيه ؛ فإنه لا يدفع المقدور ؛ لأن سبب الهم بما يتوقع كونه هو الجهل المحض؛ لأن ذلك إن قدر كونه فالحذر والهم لا يدفعه، وهو استعجال نوع من الألم خوفا من وقوع الألم . وإن لم يقدر كونه فلا معنى للغم به . فبهذين الوجهين كان الهم فضلا .

وأما العمل : فجوابه قوله عليه الصلاة والسلام : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى . وأخرجه أيضا الطبرانى ورجاله ثقات ، والبزار ورجاله رجال الصحيح) .

ومعناه : أن من قدرت له السعادة قدرت بسبب فتيسر له أسبابها وهو الطاعة . ومن قدرت له الشقاوة قدرت بسبب وهو بطالته عن مباشرة أسبابها .

وقد يكون سبب بطالته أن يستقر فى خاطره أنه إن كان سعيدا فلا احتياج له إلى العمل ، وإن كان شقيا فلا ينفعه العمل . وهذا جهل ؛ فإنه لا يدرى أنه إن كان سعيدا فإنما يكون سعيدا لأنه يجرى عليه أسباب السعادة من العلم والعمل . وإن لم يتيسر له ذلك ولم يجر عليه فهو أمارة شقاوته . ومثاله : كالذى يتمنى أن يكون فقيها بالغا درجة الإمامة فيقال له : اجتهد وتعلم وواظب . فيقول : إن قضى الله تعالى لى فى الأزل بالإمامة فلا احتياج إلى الجهد، وإن إن قضى الله تعالى لى بالجهل فلا ينفعنى الجهد . فيقال له : إن سلط عليك هذا الخاطر فهذا يدل على أنه قضى لك بالجهل ؛ فإن من قضى له فى الأزل بالإمامة فإنما يقضيها بأسبابها . فيجرى عليه الأسباب ، ويستعمله بها ، ويدفع عنه الخواطر التى تدعوه إلى الكسل والبطالة . بل الذى لا يجتهد لا ينال درجة الإمامة قطعا . والذى يجتهد ويتيسر له أسبابها ويصدق رجاؤه فى بلوغها إن استقام على جهده إلى آخر أمره ولم يستقبله عائق يقطع عليه الطريق - نالها قطعا .

فكذلك ينبغى أن يفهم أن السعادة لا ينالها إلا من أتى الله بقلب سليم . وسلامة القلب صفة تكتسب بالسعى كفقه النفس وفقه الإمامة من غير فرق .

نعم العباد فى مشاهدة الحكم على درجات :

فمن ناظر إلى الخاتمة أنه بماذا يختم له .

ومن ناظر إلى السابقة أنه بماذا قضى له فى الأزل ... وهو أعلى لأن الخاتمة تبع السابقة .

ومن تارك للماضى وللمستقبل ... هو ابن وقته ، فهو ناظر إليه ، راض بمواقع الله وما يظهر منه ... وهو أعلى مما قبله .

ومن تارك للحال والماضى والاستقبال ... مستغرق القلب بالحكم ... ملازم فى الشهود . وهذه الدرجة العليا (المقصد الأسنى/ ٨٥-٨٩) .

وعن « الحكم » من أسماء الله الحسنى يقول الإمام الفخر الرازى : القول فى تفسير اسمه « الحكم » وفيه مسائل .

الأولى : قال الزجاج الحاكم والحكم واحد : كالواسط والوسط ، وأصل الحكم المنع ، ومنه الحكمة ، لأنها تمنع الفرس من التمرد، وكذا الحكمة تمنع الرجل عن السفاهة ، ومنه الحكم لأنه يمنع الخصمين عن التعدى، ومنه قولهم « فى بيته يُؤْتَى الحَكَم » ووصف الله نفسه بأنه أحكم الحاكمين ومنه قوله : ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام : ٦٢] وقوله تعالى ﴿ له الحكم وإليه ترجعون ﴾ [القصص : ٧٠] وقوله تعالى : ﴿ أنت تحكم بين عبادك ﴾ [الزمر : ٤٦] .

واعلم أن الحكم بهذا التفسير هو كلامه ، فيكون من صفات الذات ، وقد يقال أيضا : حكم لفلان بالنعمة أى أنعم عليه ، وحكم على فلان بالنقمة إذا أوقعه في المحنة ، فعلى هذا يكون ذلك من صفات الفعل ، وقد يستعمل الحكم أيضا بمعنى الحكيم، وسيجىء بيانه .

المسألة الثانية : قال أكثر العقلاء إن حكم الله تعالى بجميع الكليات والجزئيات قد حصل من الأزل إلى الأبد ، وأما المعتزلة : فقد سلموا ذلك فى كل الحوادث إلا فى أحوال الحيوانات .

لنا وجوه : الأول : أن أفعال العباد موقوفة على إرادتهم . وهى حادثة ، فلا بد لها من مؤثر ، والمؤثر إما أن يكون حادثا أو قديما ، فإن كان حادثا كان الكلام فيه كالأزل ويفضى إلى التسلسل ، ولا يمكن حصولها بنفسها بأسرها دفعة لأن وجود أسباب ومسببات لا نهاية لها دفعة واحدة محال ، بل لا بد وأن يكون كل واحد مسبوقا بآخر لا إلى بداية ، وهذا قول الفلاسفة الإلهيين ؛ ولأجل هذا الحرف أثبتوا حوادث لا أول لها ، وزعموا أن الأفلاك قديمة .

وأما إن كان المؤثر فى حدوث تلك الإرادة شيئا قديما ، فذلك القديم يمتنع أن يكو موجبا بالذات، وإلا لزم من قدم العلة قدم المعلول، فيلزم كون الإرادة المحدثة قديمة ، وذلك محال ، فلا بد وأن يكون ذلك القديم فاعلا مختارا وهذا مذهب جمهور أصحاب السنة والجماعة .

وعلى التقديرين فجميع الكليات والجزئيات مقدرة بأوقات مخصوصة ، وأحوال مخصوصة ، لا يجوز على المتقدم أن يتأخر، ولا المتأخر أن يتقدم ، فثبت أن على القولين لا بد من القطع بأن

حكم الله فى جميع الكليات والجزئيات حاصل فى الأزل ، ومعلوم أن الحكم الأول لا دافع له .

الحجة الثانية : أنه تعالى علم أن بعضها يقع ، وبعضها لا يقع ، والعلم بالوقوع مضاد لعدم الوقوع والعلم بعدم الوقوع مضاد للوقوع ، والضدان لا يجتمعان ، لكن إبطال علم الله محال ، إزالة هذا الضد محال ، فدخول الضد الآخر فى الوجود ، محال ، فما علم أنه يقع كان واجب الوقوع ، وما علم أنه لا يقع كان محال الوقوع .

الحجة الثالثة : أنه تعالى حكم على أبى لهب لا يؤمن ، ومعنى هذا الحكم الإجبار، وهذا الخبر ممتنع الزوال ، فكان دخول الإيمان فى الوجود محالا ، هذا عمدة القائلين بثبوت الحكم المطلق فى جميع الكليات والجزئيات .

واحتجوا : بأنه لو كان الأمر كذلك لكان وقوع ما انعقد سبب وقوعه واجبا ، ووقوع ما لم ينعقد سبب وقوعه ممتنعا ، فيكون كل الأسباب إما واجبا ، وإما ممتنعا ، ولو كان كذلك لما بقى لأحد قدرة على الفعل ولا اختيار فى إقدام ولا إحجام ، إلا أن هذا باطل بالضرورة ، فإنى أعلم بالضرورة أنى إن شئت الفعل فعلت ، وإن شئت الترك تركت .

والجواب : هب أنك تجد ذلك من نفسك ، فهل تجد منها أنك إن شئت مشيئة الفعل حصلت ، أو مشيئة الترك حصلت . وظاهر أن الأمر ليس كذلك ، وإلا لزم التسلسل ، بل إذا شئت الفعل فشئت أم أبيت فعلت ، وبالعكس : فلا حصول للمشيئة فيك بك ، ولا للفعل عقيبها بك ، فالإنسان مضطر فى صورة مختار .

واعلم أن أظهر آيات القرآن للمعتزلة قوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف : ٢٩] . ومن تأمل هذه الآية علم أنها من أقوى الدلائل على قولنا ؛ وذلك لأنها تقتضى .

توقف الفعل على المشيئة ؛ وحصول هذه المشيئة موقوف على مشيئة الله بدليل العقل والنقل ، أما النقل فقوله تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

وأما العقل : فالدليل الذى قررناه فى أول هذه المسئلة . وإذا كان الفعل منا موقوفا على مشيئتنا وهى موقوفة على مشيئة الله تعالى لزم القطع بتوقف فعلنا على مشيئة الله . وهذا برهان قاطع .

واعلم أن قوله عليه الصلاة والسلام : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » إشارة إلى هذه الحجة . فإن المراد من الإصبعين داعية الفعل . وداعية الترك . والقلب واقف فيما بين هاتين الداعيتين أبدا . فإنه إن حصلت داعية الفعل حصل الفعل . وإن لم يحصل داعية الفعل بقى الفعل على العدم . ومعلوم أنه لا خروج عن طرفى النقيض ؛ وإنما عبر عن هاتين الداعيتين بالإصبعين ؛ لأن الشىء الذى يكون بين إصبعى الإنسان لا يكون له فى التصرف فيه صعوبه ولا عسر ألبتة ، بل يكون فى غاية اليسر . فلما كان القلب مسخرا لهاتين الداعيتين لا جرم ؛ عبر عنهما بالإصبعين ولهذا السر كان صلوات الله عليه يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» ، بل القلب إنما سمى قلبا لتقلبه من حال إلى حال بحسب توارد الدواعى المختلفة عليه ، هذا تمام الكلام فى هذا الباب؛ وإنه فى غاية القوة والوضوح .

المسألة الثالثة حظ العبد من هذا : أن ينقطع تعلق قلبه عن المستقبل ، بل يصير مشغول القلب بأنه ما يصيبه إلا الذى جرى فى الأزل ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب » .

وقال أيضا : « المقدور كائن والهم فضل » وليس المراد من قوله والهم فضل أن هذا الهم خارج عن المقدور، بل المراد منه أنه لا تأثير له فى دفع المقدور، فإن هذا الهم أيضا من نتائج القضاء والقدر؛ فلو صار دافعا للقضاء والقدر لصار الفرع مبطلا للأصل . وهو محال . وتمام الكلام فى مسألة القدر مذكور فى الكتب الحكمية والكلامية .

المسألة الرابعة : قول النبى ﷺ : « السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه » مبرهن بالبراهين القاطعة المذكورة .

كان بعض المحققين يقول : كل واحد يخاف الخاتمة . وأنا أخاف الفاتحة وإن الحكم الإلهى لا يزول بحيل العبيد . فكم من ربيع تورد أشجاره ، وبرزت أنواره ، وظهرت ثماره ، وظن أهله أنهم ظفروا بمقاصدهم فأصابتهم الآفة ، فاجأتهم البلية ، فأصبح أهله على حسرة ، وأمسوا على قلة ، قال تعالى ﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] وهكذا كم من عبد ظهرت عليه آثار السعادة ، وأنوار المحبة والقربة . ثم أصبح من المطرودين !!

رأى المشايخ : ثم قال المشايخ : الحكم الذى لا يقع فى وعده ريب . ولا فى فعله عيب .

وقيل : الحكم الذى حكم على القلوب بالرضا والقناعة . وعلى النفوس بالانقياد والطاعة (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٠ ـ ٢٤٤) .

وقد وردت في القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ دالةٌ على أن الذي يحكم ويفصلُ بين النَّاس فيما شجَر بينهم ، هو الذي يسمي الحكم ولا رادَّ لحُكمِهِ .

وقد جَعَل الله اسمَهُ الحكم بينهُ وبينَ عباده . فحكمه في الدنيا بينَ عِبَادِهِ فيما أنزل الله من كتابه ، ولهُ الحُكْمُ يوم القيامة ، وترك

الحكم في الدنيا لعبَادِهِ ليحكُمُوا فيما بينَهُمْ بالقِسْط ، قال الله تعالى : ﴿ وإن ربَّك ليحكم بينهم يوم القِيَامَةِ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾[النحل : ١٢٤].

ولذا قال الله تعالى : ﴿ وإن وعْـدَكَ الحقُّ وأنتَ أحْكَمُ الحَاكِمِينَ ﴾[هود : ٥٤].

وقال الله جل جلاله : ﴿ فاصْبروا حتى يحكم الله بيننَا وَهُوَ خَير الحَاكِمِينَ ﴾[الأعراف : ٨٧].

تنبيهًا لعباده بأنَّه خيرُ الحاكمين وأنه أحْكَمُ الحَاكِمِينَ فلا مُعَقبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ يُشْرِكُ في حُكْمِهِ أحَدًا.

وقَد أمر الله عباده بما أمر به رسلهُ بأن يحكُمُوا بين النَّاس بالْعَدل ولا يتبعُوا الهوى فإن الله على حكمهم لشهيدٌ.

قال الله تعالى : ﴿ فلا وربِّكَ لا يُؤمِنُونَ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[النساء : ٦٥].

وقال الله تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾[النور: ٥٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾[النساء : ٥٨].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[المائدة : ٨].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[المائدة ٤٤].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾[المائدة: ٤٥].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنْزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[المائدة: ٤٧].

تنبيها لعباده بأن لا يتبعوا الهوى في حكمهم فيضلهم عن سبيل الله .

وحظ العبد من اسم ربه ﴿ الحكم جل جلاله ﴾ الدُّعاء : ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين﴾ [الشعراء : ٨٣]. ثم يزدجر من أن يحكم بغير ما أنزل الله .

وقالوا: من قرأه في جوف الليل مائة مرة مدةً على طهارة بوجدٍ واعتقاد حتى يغشى عليه حال، جعل الله باطنه محل الأسرارِ الإلهية (لله الأسماء الحسنى / ٨٤ ، ٨٥).

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٨٥ - ٨٩ ، وشرح أسماء الله الحسنى لشيخ الإسلام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٤٠ _ ٢٤٤ ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدي محمود على. دار الريان للتراث. القاهرة. د . ت / ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٤٨).

*** حكم الحكماء ونوادر القدماء:**

من مخطوطات التصوف والمواعظ بمكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

مؤلفه : مجهول.

أوله : (الحمد لله على ما ستر من العيوب وأسبل على عباده من ذيل عفوه المطلوب واستغفره موبقات الذنوب . . . إلخ)

آخره : قال مؤلف هذا الكتاب هذا بعض ما اخترناه من حكمهم وحكاياتهم. فوائدها عظيمة ومنافعها عميمة لمن تدبر معانيها وفهم مقاصدها ومبانيها.

ناسخه : محمد بن أحمد بن يحيى بن المفضل سنة ١٠٨٠هـ.

كتبه برسم خزانة على بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الحرب ألفه المؤلف لخزانة المظفر يوسف بن السلطان غازى يوسف أيوب.

وقد ذكر في المقدمة أنه أورد اسم عشرين فيلسوفا مشهورا مع ترجمة قصيرة لحياتهم وذكر بعض مالهم من الحكم العجيبة والفقر الغريبة والنوادر اللطيفة والحكايات الطريفة.

أولهم: فيثاغورث وآخرهم بزرجمهر.

خطه ثلثي كتب العناوين الرئيسية بالحبر الأحمر وبخط بارز عليه تملك من قبل جمال الدين على بن حسن الغفارى سنة ١١٧٣.

و : ٩٢

م: ٢١×١٦

س: ١٥

ت/ مجاميع / ١٨٠ - ١٩٠

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد — / ٢٠٧).

*** حكم الشرائع (علم) :**

أدرج صاحب مفتاح السعادة علم معرفة حكم الشرائع بين فروع علم الفقه وقال عنه:

واعلم أن الفقهاء اقتصروا على تعليل الأحكام الشرعية ، إما بالسمع من الكتاب والسنة والإجماع، أو بالعقل وهو القياس، إما لكفاية ذلك في مقاصدهم، أو لعجز العباد عن معرفة الحكم، حتى قال قائلهم:

لـم يخلـق العقـل دراكـــــا لحكمتـــــــه
لكـن ليقبـل مـــــا يأتيـــــه مـن حكَـم

لكن بعضًا من الفضلاء، شكر الله سعيهم، بذلوا مجهودهم، فيما لم يكن الحكم فيه تعبديا، في أن يستخرجوا الحكم في الأحكام، لتطمئن قلوب العباد في قبوله، وتنشط أذهانهم بأن يطلعوا على حكمة آمرها، فدوّنوا حكم الشرائع ومحاسنها حسبما قدروا على ذلك.

وصنف في هذا العلم كتابًا نافعًا جامعًا مسمى بـ « محاسن الشرائع والإسلام »، الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري روّح الله روحه اهـ.

(مفتاح السعادة ومصابيح السيادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٥٧).

*** الحكم العطائية:**

الحكم العطائية: للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي المتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٩ تسع وسبعمائة. أولها: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.. إلخ. وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة ولما صنَّفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيرا. فمن المؤلفات عليها شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرلسي المعروف بزرُّوق وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذي شرَّف عباده.. إلخ وذكر في بعض شروحه أن الحكم مرتب بعضها على بعض فكل كلمة منها توطئة لما بعدها وشرح لما قبلها وأنه درس الحكم خمسة عشر دروسا وكتب كل مرة شرحا من ظهر القلب كله بعبارة أخرى، وقيل إن للشيخ زروق ثلاثة شروح على الحكم لكن الأصح ما كتبه هو نفسه. ومنها شرح محمد بن إبراهيم بن عباد النُّفزي الرندي الشاذلي المتوفي سنة ٧٩٢ أوله: الحمد لله المتفرد بالعظمة والجلال.. إلخ وسماه غيث المواهب العلية. ومنها شرح علي بن محمد النفزى المذكور وهو شرح ممزوج مبسوط سماه التنبيه.

وشرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الإقصرائي المواهبي الشاذلي الحنفي أوله: أحمد من أنبع من أعين قلوب من أخلص... إلخ ذكر أنه شرحها بمكة المكرمة سنة ٩٠٣. ثلاث وتسعمائة « وسماه أحكام الحكم في شرح الحكم ».

وشرح صفى الدين أبي المواهب ذكره تلميذه أبو الطيب المذكور وقال إن الشارح الجليل الولي بن عباد وقع لمحق (بمحن) من التطويل وكذا أستاذي صفى الدين. ومنها شرح محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي المتوفي سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة [٩٧١].

وشرح الشيخ محمد المدعو بعبد الرءوف المناوي المصرى الشافعي سماه الدرر الجوهرية وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذي اطلع من سماه الذات.. إلخ. (كشف ١ / ٦٧٥، ٦٧٦).

أما عن المخطوطات فلدينا منها ما يلي:

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٢٤٢٧ تصوف ١٠٩.

ـ حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، وبعد تصنيفها عرض على أستاذه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له: لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة، وقد قيل: كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحيًا.

المؤلف: أبو العباس تاج الدين: أحمد بن محمد الجذامي المشهور بابن عطاء الإسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م.

أولها: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل، إرادتك التجريد مع إقامة الله تعالى إياك في الأسباب من الشهوة الخفية..

آخرها: المناجاة له: يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته للأسرار كيف تخفى...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود.

اسم الناسخ: أحمد عبد الجواد النجاتي الشافعي الأحمدي.

تاريخ النسخ: السبت ٣ شوال سنة ١٠٢٣ هـ.

نسخة ثانية.

الرقم ٥٦٣٩.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة.

الرقم ٦٠٣٣.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: رجب الشهير بابن سويمة.

تاريخ النسخ: ١١ شعبان سنة ١٠٥٧ هـ.

نسخة رابعة.

الرقم ٦٨٩٧

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ: سنة ١٠٢٠.

نسخة خامسة.

الرقم ١٠٢٧٦

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة سادسة.

الرقم: ١٩.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي واضح مشكل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة سابعة

الرقم ٨٢٥٠

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود بعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثامنة.

الرقم ٣٨٧٩

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخي واضح مشكل، الحبر أسود.

قال واضع الفهرس: الاستاذ محمد رياض المالح: بعض نسخ الرسالة: الأوقاف ببغداد ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٧ وأحتفظ بشرح لها لأبي المواهب الشاذلي مخروم، وعند الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق شرح للمناوي لها، وعند الأستاذ فخر الدين الحسنى شرح لابن ذكري وشرح آخر لعلي البيومي وشرح لعبد الله الشرقاوي وشرح لمؤلف مجهول، وفي المكتبة الآجرية بدمشق شرح للشيخ أحمد زروق تختلف عن التي طبعت بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

مصادر عن الكتاب: معجم المطبوعات / ١٨٥، الدكتور صلاح الدين المنجد معجم المخطوطات المطبوعة ٢ / ٣٠ رقم ٥١.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٢ / ١٢١، اليافعي مرآة الجنان ٤ / ٢٤٦، طبقات الشاذلية لكوهن ص ٩٧.

طبعات الرسالة: طبعت كثيرًا مع شروحها الكثيرة جدا وطبعت وحدها ١ ـ فاس ٢ ـ دمشق مطبعة بركات سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤م نشرها الأستاذان إبراهيم اليعقوبي وعبد المحسن حداد بـ ٧٢ ص من القطع الصغير ٣ ـ دمشق بالمطبعة الهاشمية سنة ١٩٦٥ م نشرها الأستاذ أحمد عبيد بـ ٩٦ ص من القطع الصغير (انظر مادة أحمد عبيد في م ٢ / ٦٧٨ ـ ٦٨٣).

(مخطوطات الظاهرية: تصوف ١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٩).

وتوجد نسخ في مكتبة المتحف العراقي مدرجة في فهرس مخطوطات الأدب، وجاء بيانها كما يلي: الحكم العطائية.

الرقم ١١٥٣٥ / ٢.

لتاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الجذامي الشهير بابن عطاء الله المتوفي سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م.

الأول: (قال الشيخ الإمام.. من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عن وجود الزلل ...)

وهي رسالة جمع فيها المؤلف من الحكم والنصائح البليغة المنثورة عرضها على شيخه (أبو العباس المرسي) فقال له بعد أن قرأها وتأملها: (لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة، ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها).

نسخة جيدة، ترقى إلى القرن الحادي عشر الهجري / القرن السابع عشر الميلادي.

٤٠ ص. ٥, ٢٢ × ٥, ١٤ سم. ١٩ س.

معجم المؤلفين ٢ / ١٢١ كشف ١ / ٦٧٥ الأعلام ١/ ٢٢٢ معجم/ ١٨٥ طبعت أكثر من مرة آخرها بتحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف بالقاهرة ١٩٦٩ م.

نسخة أخرى.

كتبها بخط النسخ عمر بن علي الطرابلسي سنة ١٠٧٤ هـ/ ١٦٦٣ م.

الرقم: ٣٥٧٩٢/ ٦.

٤٩ ص. ٢٠ × ١١ سم. ١٣ س.

نسخة أخرى

كتبها سنة ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩ م.

الرقم: ٨٧٦٣.

٩٨ص. ١٥ × ١٠ سم. ٧ س.

نسخة أخرى

حديثة الخط، ناقصة الآخر.

الرقم: ١٤٨٥٨.

٢٠ ص. ١٩ × ١٢ سم. ١٥ س.

(مخطوطات الأدب/ ١٥٠، ١٥١)

وتوجد نسخة في دار الكتب القطرية مدرجة في قسم التصوف والآداب الشرعية بالرقم التسلسلي ٣٠ تحت عنوان: الحكم. وجاء بيانها كما يلي:

الحكم: لابن عطاء السكندري (ت ٧٠٩ هـ) انظر الكشف ١/ ٦٧٥.

أوله: : « بسملة، قال شيخ الإمام ... في الاعتدال بين الرجاء والخوف.

٢٠ ورقة ضمن مجموعة من ٨٩ـ١٠٩ .

الكتاب الخامس فى المجموعة رقم ٣٦٠ (المنتخب ق ٣ / ٤٤ ، ٤٥).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٩ ، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٠ ، ١٥١ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤ ، ٤٥).

*** الحكم الفائقة ذات الأنوار الشارقة :**

من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٢٥٩ / ٢ .

لعبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسينى الحضرمي الحداد أو الحدادى المعروف (باعلوي) المتوفى سنة ١١٣٢ هـ / ١٧٢٠ م.

الأول : (الخلق مع الحق لا يخلو أحد منه ، أن يكون في إحدى الدائرتين ، إما دائرة الرحمة أو دائرة الحكمة . . . النائم يوقظ ، والغافل يذكر . .).

وهي مجموعة من الأقوال والحكم البليغة والأمثال .

كتبها بخط النسخ الجيد محمود بن محمد سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م .

٧ ص .	٣٠ × ٢٠ سم .	٢٥ س.

معجم المؤلفين ٦ / ٨٥.

ولد المؤلف في السبير من ضواحي حضرموت وتوفى فى الحاوي. ودفن بتريم ، كان كفيفًا اضطهده اليافعون حكام تريم فانتقل إلى الحاوى وكان فقيهًا صوفيًا من مؤلفاته ، عقيدة التوحيد ، الدعوة التامة والتذكرة العامة ، المسائل الصوفية ، إتحاف السائل بأجوبة المسائل ، تبصرة الولى بطريقة السادة بنى علوى .

الأعلام ٤ / ١٠٤ .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥١).

*** الحُكم (فى علم أصول الفقه):**

قال الإمام الفيروزابادى فى باب الحكم :

اعلم أن الحكم هو الذى تعلق على العلة من التحليل والتحريم والإسقاط وهو على ضربين : مضرح به ، ومبهم فالمصرح به أن نقول فجاز أن يجب أو فوجب أن يجب وما أشبه ذلك ، والمبهم على أضرب منها : أن نقول فأشبه كذا فمن الناس من قال إن ذلك لا يصح لأنه حكم مبهم ومنهم من قال إنه يصح وهو الأصح لأن المراد به فأشبه ، كذا في الحكم الذي وقع السؤال عنه وذلك حكم معلوم بين السائل والمسئول فيجوز أن يمسك عن بيانه اكتفاء بالعرف القائم بينهما . ومنه أن يعلق عليها التسوية بين حكمين كقولنا فى إيجاب النية في الوضوء إنه طهارة فاستوى جامدها ومائعها فى النية كإزالة النجاسة ومن أصحابنا من قال إن ذلك لا يصح لأنه يريد به التسوية بين المائع والجامد في الأصل في إسقاط النية وفي الفرع فى إيجاب النية وهما حكمان متضادان ، والقياس أن يشتق حكم الشيء من نظيره لا من ضده ونقيضه ومنهم من قال إن ذلك يصح وهو الصحيح لأن حكم العلة هو التسوية بين المائع والجامد في أصل النية والتسوية بين المائع والجامد في النية موجود في الأصل والفرع من غير اختلاف ، وإنما يظهر الاختلاف بينهما في التفصيل وليس ذلك حكم علته ؛ ومنها أن يكون حكم العلة إثبات تأثير لمعنى مثل قولنا في السواك للصائم إنه تطهير يتعلق بالفم من غير نجاسة ، فوجب أن يكون للصوم تأثير فيه كالمضمضة فهذا يصح لأن للصوم تأثيرا فى المضمضة وهو منع المبالغة كما أن للصوم تأثيرا في السواك وهو في المنع منه بعد الزوال وإن كان تأثيرهما مختلفا واختلافهما في كيفية التأثير لا يمنع صحة الجمع لأن الغرض إثبات تأثير الصوم في كل واحد منهما وقد استويا فى التأثير فلا يضر اختلافهما في التفصيل .

(اللمع في أصول الفقه للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى / ٦١) .

*** الحُكم (فى علم التوحيد):**

الحكم : هو إثبات أمر لأمر أو نفى أمر عن أمر.

والحاكم إما الشرع ، وإما العادة ، وإما العقل ، ولهذا انقسم الحكم الى ثلاثة اقسام :

١ ـ شرعى	٢ ـ عادى	٣ ـ عقلى

١ ـ الحكم الشرعى :

وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما .

فالطلب يشمل الإيجاب ، والندب والتحريم والكراهة .

١ ـ الإيجاب : هو طلب الفعل طلبا جازما مثل الإيمان بالله ورسله .

٢ ـ الندب : هو طلب الفعل طلبا غير جازم مثل صلاة الضحى .

٣ ـ التحريم : هو طلب الترك طلبا جازما كطلب ترك الإشراك بالله والزنا .

٤ ـ الكراهة : هي طلب الترك طلبا غير جازم مثل القراءة في الركوع والسجود .

وأما الإباحة فهى التخيير بين الفعل والترك مثل البيع والنكاح .

وأما الوضع لهما أي الطلب والإباحة. فهو جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا.

فالسبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود بالنسبة لذاته مثل الزوال فإنه سبب لوجود الظهر.

والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم مثل الطهارة بالنسبة للصلاة، والمانع ما يلزم من جودة العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم مثل الحيض يلزم من وجوده عدم وجوب الصلاة ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لتوقف وجوبها على أسباب أخرى.

٢ ـ الحكم العادى:

هو إثبات الربط بين أمر وأمر وجودا وعدمًا بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس (الظاهر والباطن).

كالحكم بأن النار تحرق والأكل يشبع والماء يروى وأقل ما يتحقق به للتكرار مرتين.

وليس معنى هذا الحكم أن النار مؤثرة بذاتها بل هذا الاقتران يصح تخلفه لأن الدليل قام على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله سبحانه وتعالى ولهذا كان الحق أن الارتباط بين الأسباب ومسبباتهم عادى فمن اعتقد أن الأسباب تؤثر في مسبباتها بطبيعتها فهو كافر، ومن قال إن التأثير بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق، ومن قال إن المؤثر هو الله ولكن الارتباط بينهما عقلى فهذا غير مقبول مخافة أن يجره اعتقاده هذا إلى إنكار ما خالف العادات كمعجزات الأنبياء.

ولم يبق إلا أن الارتباط بينهما عادي وهو ما عليه جمهور أهل السنة (مذكرة التوحيد والفرق / ٢٦ ، ٢٧).

٣ ـ الحكم العقلي:

قال ناظم الخريدة رضى الله عنه.

٩ - *أقسام حكم العقل لا محاله*
هى الوجوب ثم الاستحاله

١٠ - *ثم الجواز ثالث الأقسام*
فافهم مُنحت لذة الأفهام

مشيرا إلى أن الحكم العقلى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: وجوب واستحالة وجواز. (من الخريدة البهية / ١٠).

فالحكم العقلى: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع فإن توقف على تكرار فهو العادى أو على وضع واضعه فالشرعي وعلم أن كل ما حكم به العقل إن قبل الثبوت والنفى فهو الجائز وإن لم يقبل إلا العدم فهو المستحيل ولهذا انقسم الحكم العقلى إلى ثلاث أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز.

الواجب: هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء لذاته (أما الواجب فهو الثبوت الذي لا يقبل الانتفاء).

ينقسم الى قسمين:

١ ـ ضرورى ـ وهو ما لا يتوقف إدراك وجوبه على نظر مثل التحيز للجرم وصغر الولد عن أبيه.

٢ ـ نظرى ـ ما توقف إدراك وجوبه على نظر واستدلال مثل قدم الإله وعلمه.

المستحيل: ما لا يتصور العقل وجوده، أى ما لا يصدق بوجوده (والاستحالة هى الانتفاء الذي لا يقبل الثبوت).

وهو قسمان:

١ ـ ضرورى، وهو ما لا يحتاج في إدراك استحالته إلى بحث مثل خلو الجرم عن الحركة والسكون أو ثبوتهما معا له.

٢ ـ نظرى: وهو ما احتاج في إدراك استحالته إلى فكر واستدلال. مثل تعدد الإله وكذب الرسل.

الجائز: ما يصح في نظر العقل ثبوته وعدمه أو ما يقبل الثبوت والعدم لذاته (والجواز هو قبول الثبوت والعدم).

وهو قسمان:

١ ـ ضرورى وهو ما لا يتوقف إدراك جوازه على بحث واستدلال مثل الحركة أو السكون بالنسبة للجسم.

٢ ـ نظرى ما توقف إدراك جوازه على بحث واستدلال مثل تعذيب المطيع وإثابة العاصى فهو ممكن عقلا ممتنع شرعا.

فإن العقل لا يدرك جواز ذلك إلا بعد الوقوف بالدليل على أن الفعل لله وحده وأنه لا يسأل عما يفعل.

ثم اعلم أن الجائز لذاته قد يكون واجبا لغيره وذلك إذا تعلق علم الله بوجوده كإيمان أبي بكر وقد يكون مستحيلا لغيره، اذا تعلق علم الله بعدمه كإيمان أبي جهل.

ولا يغيب عنك أن الواجب والجائز والمستحيل أقسام لمتعلق الحكم العقلى، مما تقدم يتضح الفرق بين الحكم العقلى والشرعى والعادى.

فالحكم العقلى: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تجربة ولا وضع واضع.

والحكم الشرعى: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما.

والحكم العادى: إثبات الربط بين أمر وأمر وجودًا وعدمًا بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس (مذكرة التوحيد والفرق / ٢٨ ، ٢٩)

(مذكرة التوحيد والفرق ـ حسن السيد متولي ١ / ٢٦ ـ ٢٩ ، ومتن الخريدة البهية فى علم التوحيد للإمام أبى البركات سيدى أحمد الدردير

/ ١٠ انظر أيضًا شرح الخريدة في علم التوحيد ـ تصحيح وتعليق حسين عبد الرحيم مكى / ١١ ، وشرح أم البراهين ـ الشيخ أحمد بن عيسى الأنصارى / ٥ ، والمختصر البسيط في علم التوحيد ـ د . طنطاوى مصطفى طنطاوى / ٨ ، ٩) .

*** الحكم المسند بترجيح بيّنة ذى اليد:**

الرسالة رقم ٤٠ من التحقيقات القدسية (انظر هذه المادة في م ٩ / ٥٢ ـ ٦٠) أحد مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبه الأسد) ، وبيان الرسالة كما يلى :

جواب سؤال في رجل بيده شيء ادعى عليه آخر أنه ملكه ، وضاع منه منذ سنة ونصف ، وأنه فى يد المدعى عليه بغير حق ، وأنه يطالبه به ، فأجاب المدعى عليه بوضع اليد بحقٍ بمقتضى شرائه من آخر منذ خمس سنوات سابقة على تاريخه وأقام كل بينته ، فمن تسمع بينته؟

أولها : الحمد لله موضح سبيل الهداية ، المانٌ بمعراج الدراية ، المرقى إلى نهاية الغاية بالعناية .

آخرها : ولولا الاحتياج لما ذكرته عن الكافي ، ما سطرت عبارته خشية الإطالة مما لا اضطرار إليه فيما يخصنا ، فإن الذى قدمته قبله هو عين المسألة .

عليها مقابلة على نسخة المؤلف سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٣٧٧ ـ ٣٨١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

*** حِكم وأشعار :**

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩٥٠ .

المؤلف : مجهول .

أوله : « فقدهم أخبارهم ، رحم الله النفوس النفيسة الشيم كيف أبادها الدهر وعليها حطم ، وصيّرها بعد الوجود إلى العدم ، وخلا الزمان من تلك الوجوه الصباح . . . » .

أبوابه :

١ ـ باب في مدح العزلة والوحدة .
٢ ـ باب في مدح العتاب .
٣ ـ باب في مدح الزيارة .
٤ ـ باب في مدح الهدية .
٥ ـ باب في مدح الجود والسخاء .
٦ ـ باب في مدح صيانة المال .
٧ ـ باب في مدح التجارة .
٨ ـ باب في مدح النساء والعيال .
٩ ـ باب في مدح السفر والغربة .
١٠ ـ باب في مدح الشباب .
١١ ـ باب في مدح الشيب .
١٢ ـ باب في مدح المرض والأسقام .
١٣ ـ باب في مدح الموت .

آخره : « . . .

وقد تنطق الأشياء وهى صوامة
وما كل نطق الناطقين كلام
وما كل ما قد قيل علم وحكمة
وما كل أفراد الحديد حسام

نفعنا الله بأخبار الأبرار، ووفقنا للاقتداء بالأخيار ، بحرمة النبى المختار صلى الله عليه وسلم » .

النسخة ناقصة من أولها بما يقرب من مئة ورقة .

كتبت بخط نسخ جميل

١٠٨ ق ١٩س ١٥ × ٢١,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه . رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٨٣ ، ١٨٤) .

*** حِكم وحكايات:**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٠٣٥ .

كتاب فى الحكم والمواعظ والحكايات وأشعار صوفية وغير ذلك من عبارات الرقائق والزهد .

المؤلف : ؟

أوله مخروم يبتدىء بـ: عتاب ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾

وصلى الله على رسوله سيد الأعجام والأعراب أشرف مولود . . . اللهم اجعلنا من أتباعهم واحشرنا في زمرتهم . وفي ق ٤٧ ب قال الجنيد بينما أنا أنظر فيما ينفع الناس ذكره إذ رأيت شابا يعظ الناس وهو يقول : إلهى أنت بعلم حال المتعلقين بجنابك الخائفين من حر عقابك اللهم توفنى على حبك . . .

آخره : تجتمع فيه أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة فيتكلم بالحكمة التى وعاها والآداب التى حفظها . . أيها الحكام من الحكمة . . .

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١) .

* **حكم ومواعظ وأمثال:**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي.

الرقم: ١٢٤٢٦.

الأول: (الدين يعصم، والدنيا تسلم، الدنيا أحد، والآخرة أبد. . .)

رتبها الجامع على حروف الهجاء.

نسخة جيدة، مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي في أولها زخرفة.

كتبها محمد الملقب نصر الله سنة ٩٩٢ هـ/ ١٥٨٤ م.

٦٤ ص. ٢٠ × ١٥ سم. ٩ س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٢).

* **الحكمة:**

قال التهانوى:

الحكمة بالكسر في الأصل هى إتقان الفعل والقول وأحكامهما وفى اصطلاح العلماء تطلق على معان منها علم الحكمة وبيان الحكمة النظرية. ومنها معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به وهو التكاليف الشرعية هكذا فى التفسير الكبير فى تفسير قوله تعالى ﴿ ذلك بما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ [الإسراء : ٣٩] فى سورة بنى إسرائيل ويقرب منه ما ذكر أهل السلوك من أن الحكمة معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات والحكمة بهذا المعنى أخص من علم الحكمة لأنها من أنواعه كما لا يخفى ومنها هيئة للقوة العقلية العملية متوسطة بين الجربزة وهى هيئة تصدر بها الأفعال بالمكر والحيلة من غير اتصاف وبين البلاهة وهى الحمق والحكمة بهذا المعنى أحد أجزاء العدالة المقابلة للجور وظن البعض أنها هى الحكمة العملية وهذا باطل إذ هى ملكة تصدر عنها أفعال متوسطة بين الجربزة والغباوة والحكمة العملية هى العلم والأمور المخصوصة والفرق بين الملكة والعلم ظاهر وكذا هى مغايرة لعلم الحكمة إذ هى العلم بالأشياء مطلقا سواء كانت مستندة إلى قدرتنا أو لا. كذا فى شرح المواقف فى خاتمة مبحث القدرة. ومنها الحجة القطعية المفيدة للاعتقاد دون الظن والإقناع الكامل قال الله تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ [البقرة : ٢٩٦] وقال ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة ﴾ [النحل : ١٢٥] فى التفسير الكبير فى تفسير هذه الآية فى آخر سورة النحل وحاصل هذا أن الحكمة تطلق على البرهان أيضا ويؤيده ما وقع فى شرح المطالع أن صاحب البرهان يسمى حكيما. ومنها فائدة ومصلحة تترتب على الفعل من غير أن تكون باعثة للفاعل على الفعل وتسمى بالغاية أيضا.

(كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٧٠).

من أشعار الفنان الراحل السيد إبراهيم

كلما سطرت سطراً ضاع من عمري سطر

والحكمة فى اصطلاح الصوفية كما يعرّفها الشيخ القاشانى: هى العلم بحقائق الأشياء، وأوصافها، وخواصها، وأحكامها، على ما هى عليه، وارتباط الأسباب بالمسببات، وسرار انضباط نظام الموجودات والعمل بمقتضاه ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ويعلق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر على هذا التعريف بقوله: الحكمة: مفهوم هذه الكلمة فى الاستعمال العربى يدل على تنوع لا نظير له. ومن الصحيح أن استعمال الكلمة كان يقصد به فى كثير من الأحيان وبخاصة فى المراحل المبكرة للإسلام: الاتجاه إلى الجانب السلوكى الذى يتسم بالسداد والتوفيق والإصابة بأيسر الطرق لكنه المصطلح بعد ذلك ربط بالشرائع كما هو عند التفتازانى وقد ذكر التهانوى (كشاف اصطلاحات الفنون ـ ٥٠) أن هذا لا ينافى ما ذكر من أن السالكين بطريق أهل النظر والاستدلال وطريق أهل الرياضة والمجاهدة إن اتبعوا ملة فهم المتكلمون والصوفية، وإلا فهم الحكماء المشائيون والإشراقيون إذ لا يلزم منه ألا يكون المتكلم والصوفى حكيما، بل غاية ما يلزم منه ألا يكون حكيما مشائيا أو إشراقيا. ومن المعانى التى فسرت بها كلمة حكمة على الترتيب: القرآن وذلك استنادا إلى حديث نبوى، النبوة وبه فسرت الآية القرآنية « ... وآتيناه الحكمة ... » أى النبوة، الفقه والفهم عن الله وقد ترتبط الكلمة بالمجال الفكرى العام دون النقيد ضرورة بجانب دينى، وقد تربط بالمجال النفسى والموقف السلوكى كقولهم الحكمة « خشية الله ». ويلاحظ بعضهم أن العرب تقول « حكمة الرجل » إذا منعته من الضرر والخروج عن الحق. ومن هنا استنبط أن الحكمة جماع العلوم كلها

وقد ورد فى القرآن عن الحكمة أنها الخير الكثير (البقرة ـ ٢٦٨) وفسرت فى الآية الكريمة ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب : ٣٣] بالسنة وقد فسرت فى غير ذلك بالكمال الحاصل للنفس الخارجة من القوة إلى الفعل ، وقد تتطابق مع الفلسفة كما هو الحال عند ابن سينا (تسع رسائل الرسالة الخامسة ـ ١٠٤ ، ١٠٥) ويرى الغزالى أن أطراف الحكمة فى جوانب ثلاثة جانب الاعتقادات ، جانب الأقوال ، ثم جانب الأفعال فيقول حقيقة الحكمة معرفة الحق من الباطل فى الاعتقادات ، والصدق والكذب فى الأقوال والحسن والقبيح فى الأفعال (روضة الطالبين ـ ٣٣٥) ويورد العاملى (الكشكول ٢/ ٤١٣) تعريفا يصور نظرة المتأخرين من الصوفية إذ يقول « إنها العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه ، وارتباط الأسباب بالمسببات وأسرار انضباط نظام الموجودات والعمل بمقتضاه . ومن استقرأ أقوال الصوفية يفهم أن الحكمة نوعان : منطوق بها وهى العلوم الشرعية والنظرية ومسكوت عنها وهى أسرار الحقيقة ولعل القاشانى يؤيد هذا الرأى وقد أورد صاحب البحر المحيط (٢/ ٣٢٠) تسعة وعشرين رأيا فى تحديد مفهوم الحكمة فليرجع إليه (اصطلاحات الصوفية / ٦١) .

ويسوق الإمام ابن الجوزى أوجه ورود الحكمة فى القرآن الكريم بادئًا بتعريف لها فيقول :

قال بعض العلماء : الحكمة ضرب من العلم ؛ يمنع من ركوب الباطل . وقال غيره : خروج نفس الإنسان إلى كمالها الممكن لها فى حدى العلم والعمل فحينئذ يكون الخلق الذى يسمى العدالة . وقال ابن قتيبة : الحكمة العلم والعمل لا يكون الرجل حكيمًا حتى يجمعهما . وقال ابن فارس : أصل الحكم المنع . وحكمت السفيه وأحكمته أخذت على يده ، قال جرير :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم
إنى أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة فى القرآن على ستة أوجه :

أحدها : النبوة ، ومنه فى البقرة ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ [٢٥١] ، وفى ص ﴿وآتيناه الحكمة﴾ [٢٠] .

والثاني : القرآن ، ومنه فى النحل ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ [١٢٥] .

والثالث : علوم القرآن ، ومنه فى البقرة ﴿يؤتى الحكمة من يشاء﴾ [٢٦٩] .

والرابع : السُّنة ، ومنه فى البقرة ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ [١٥١] .

وفيها : ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ [٢٣١] ، وفى النساء ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ [١١٣] .

والخامس : الموعظة ، ومنه فى القمر ﴿حكمة بالغة﴾ [٥] .

والسادس : الفهم ، ومنه فى الأنعام ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾ [٨٩] (منتخب قرة العيون النواظر / ٩٩ ، ١٠٠) .

وقد رأينا أن نقتصر فى هذه المادة على الحكمة بمعنى النصيحة والموعظة للحاجة إليهما فى هذا الزمان ولأن تراث الأدب العربى يزخر بنماذج منها ، ومن ثم فإننا نطبق التعريف التالى الذى أورده الأستاذ عبد الوهاب حمودة مع تعليقه على ذيوع الحكمة فى عصر السيوطى ، مع تعريف الحكمة كما ورد معناها فى الآية ، من سورة القمر التى ساقها الإمام ابن الجوزى آنفا . والتعريف هو كما يلى :

الحكمة كما يقال : حقيقة أو قول صادق مسلم به ، مصوغ فى عبارة موجزة غالبا ، وقد تكون ـ أو كثيرا ما تكون ـ الحكمة نصيحة صبت فى قالب من اللفظ مقتضب . ويستمد من الناحية الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية أو تدور حولها . والحكم ـ غالبًا ـ وليدة طول الدراسة وبعد الثقافة وعمق النظر وحسن الفهم وسعة الإحاطة والعلم بالأمور .

ومن هنا كانت وثيقة الصلة بعلوم الفلسفة والمنطق والمعقولات بصفة عامة .

غير أن انتشار الروح الدينية وإقبال العلماء على فهم الشريعة الغراء ثم التنازع فيما بينهم على العقائد ، هذا إلى ذيوع التصوف (يقصد فى عصر السيوطى) كل ذلك كان ذا أثر فى وجود شىء من الحكم .

وللجلال السيوطى مقالة اسمها «درر الكلم وغرر الحكم» .

وهى مكونة من حكم مزدوجة غالبا بمعنى أن كل حكمة مكونة من جملتين مجموعتين ، تكمل إحداهما الأخرى :

وهى فى مجموعها تدل على ثقوب بصر وسعة معرفة بشئون الناس وأخلاقهم ، وأمور المجتمع وأوضاعه . منها قوله :

صلة الناس ليس لها عائد ، ومعرفتهم نزرة الفوائد ـ من عرف الناس خص بالبلاء وأحاط به الرق والولاء ـ رب امرئ أوليته جميلا فكان بالإساءة إليك حميلا ـ عليك بعلم الشريعة فإنه إلى الله أقوى الذريعة ـ أفٍّ للدنيا تقدم الجاهل وتؤخر الفاضل ، وتبًّا للعلياء يفوتها السابق والفاضل ـ رب ساكت أعلم من ناطق ـ رب رجل أزهى من ذباب وهو أوهى من سراب ـ ما للعوام غير السيف ولو أصابهم الحيف ـ اعضض على الحق بناجذيك ، واغضض عن الخلق شاهديك . (صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى/ ١١٦ ، ١١٧) .

وقد أورد الأمير أسامة بن منقذ صاحب كتاب لباب الآداب أمثلة عديدة من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ومن شعر الشعراء . وسوف نقتصر بالنسبة للآيات القرآنية ، على ذكر أرقام

الآيات ومواضعها من السُّور إذ سبق أن أوردنا معظمها آنفا وهي كما يأتي :

[البقرة : ٢٦٩ ، آل عمران : ٤٨ ، النساء : ٥٤ ، ١١٣ ، والمائدة : ١١٠ ، والنحل : ١٢٥ ، والإسراء : ٣٩ ، والأحزاب : ٣٤ وص : ٢٠ ، والزخرف : ٦٣ ، والقمر : ٤ ، ٥ ، والجمعة : ٢] .

ثم ينتقل ابن منقذ إلى الأحاديث النبوية ثم الشعر وذلك على النحو التالي ، وقد وضعنا تعليقات المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله ، بين أقواس في ثنايا النص :

قال النبي ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها قيَّدها واتبع ضالة أخرى» (الحديث ضعيف في كل أسانيده على اختلاف رواياته ... وقوله هنا : «واتبع ضالة أخرى» لم أجده في شيء من الروايات) .

وقال ﷺ : «إذا رأيتم من الرجل المؤمن زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه ، فإنه يلقى الحكمة» (رواه ابن ماجه (٢/ ٢٧١) من حديث أبي خلاد ونقله السيوطي (رقم ٦٣٥) ونسبه أيضا لأبي نعيم والبيهقي من حديث أبي خلاد ومن حديث أبي هريرة) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال : هي المعرفة بالقرآن .

وقال مجاهد رحمه الله في قول الله تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [لقمان : ١٢] الفقه والعقل والإصابة في القول .

وقال الحكم بن أبان : خير ما أوتي العبد في الدنيا الحكمة ، وخير ما أوتي العبد في الآخرة الجنة ، وخير ما سئل الله تعالى في الدنيا العافية .

وقال الشاعر :

وكيف تريد أن تدعى حكيمًا ... وأنت لكل ما تهوى ركوب

وتضحك دائبًا ظهرًا لبطن ... وتركب الذنوب ولا تتوب

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : من أحب الجنة انقطع عن الشهوات ، ومن خاف النار انصرف عن السيئات ، ومن لزم الحرص عدم الغنى ، ومن طلب الفضول وقع في البلاء .

قيل : وجد على حجر بأنطاكية :

إن الزمان وإن ألا ... ن لأهله لمخاشن

تخطو به المتحركا ... ت كأنهن سواكن

وقال آخر :

لا تجزعن على ما فات مطلبه ... وإن جزعت فماذا ينفع الجزع ؟!

إن السعادة يأس إن ظفرت به ... فدونك اليأس ، إن الشقوة الطمع

وقال عمرو بن معدي كرب :

إذا لم تستطع أمرًا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وقرئ على باب مقبرة :

رب قوم قد غنوا في نعمة ... برهة والدهر ريان غدق

صمت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

وقال آخر :

وساخط عيش قد تبدل غيره ... وراض بعيش غيره يتبدل

وبالغ أمر كان قد حيل دونه ... ومختلج من دون ما كان يأمل

وقال آخر :

نرجو ونخشى والقضا ... ء له التصعد والحدور

وإلى الذي نرجوه أو ... نخشاه ما حدثت أمور

(الحدور : مصدر «حدرت الشيء» إذا أنزلته من علو إلى سفل) .

وقال لبيد :

واكذب النفس إذا حدثتها ... إن صدق النفس يزري بالأمل

وقال البعيث :

فلا تكثرن في إثر شيء ندامة ... إذا نزعته من يديك النوازع

قيل : سمع كعب الأحبار رحمه الله رجلاً ينشد قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال : والذي نفسي بيده ، إن هذا مكتوب في التوراة .

وقال تميم بن أبي بن مقبل :

لا يحرز المرء أحجاء البلاد ولا ... تبنى له في السماوات السلاليم

مــا أطيب العيش لــو أن الفتى حجــر
تنبــو الحــوادث عنــه وهــو ملمــوم

وقـال الهـذلي: (هو أبـو ذؤيب الهـذلي والبيت من قصيدتـه المشهـورة في رثاء بنيـه ، وهي من المفضليـات للضبي ٣/ ١٠٣ ـ ١٠٧)

والنفس طـــامعـــة إذا رغَّبتهـــا
وإذا تـــــــرد إلى قليـل تقنـع

قيل: جمع أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الناس ليلة لسمره ، فلمـا أخـذوا مجـالسهم قـال: أخبـروني بسـابق الشعـر والمصلي والثالث والرابع ؟ قالوا: ليخبرنا الأمير أعزه الله . قال سابق الشعر: قول المرقش:

فمن يلـق خيـرًا يحمـد النـاس أمـره
ومن يغـو لا يعـدم على الغي لائمـا

والمصلي: قول طرفة بن العبد:

ستبـدي لـك الأيـام مـا كنت جـاهـلاً
ويأتيك بـالأخبـار مـن لم تـزود

والثالث: قول النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخــا لا تلمــه
على شعث، أيُّ الـرجـال المهـذب ؟!

والرابع: قول القطامي

قـد يـدرك المتأني بعض حـاجتـه
وقـد يكـون مع المستعجـل الـزلل

وقال آخر:

أيهـا القلب لا تـرعـك الظنـون
فعسى مـا تخـافـه لا يكـون
وعسى مـا استشـد واستصـ
ـعب الساعـة من بعـد ساعـة سيهـون
إن ربـا كفـاك بـالأمس مـا كـا
ن سيكفيك في غـد مـا يكـون

(لباب الآداب/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦)

قالت المؤلفة: كانت النصـوص العربية المقررة على المدارس الابتدائية في زمـاننا تزخر بشعـر الحكمة والموعظة عمـلا بقول أمير الشعراء أحمد شـوقي رحمه الله في أرجوزته الموسومـة بدول العرب وعظماء الإسلام:

إن الصبي مـا تغـذيـه اغتـذى
فأكثـر عليـه في المثـال المحتـذى

وكان يجمعهـا كلها كتـاب لطيف بعنوان «مجمـوعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع» . وننقل إليك منـه ثـلاثة نمـاذج ونـرجئ الباقي الذي نورده مع تراجم مؤلفيه إن شاء الله تعالى .

النمـوذج الأول لأبي محمـد اليمني الملقب بنجم الـدين، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ في المواعظ . أصله من اليمن واستوطن مصر ولم يفارقهـا . كان فقيهـا شافعي المذهب شـديد التمسك بـالسنة أديبـا ماهـرًا وشـاعـرًا مجيدًا ومحـادثًـا ممتعًا . قـال رحمـه الله مع ملاحظة أننا رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها .

١ - ولا تحتقـر كيـد الضعيف فـربمـا
تمـوت الأفـاعي من سمـوم العقـارب
٢ - وقـد هـد قـدمًا عـرش بلقيس هـدهـد
وخـرَّب حفـر الفأر سـدًّا لمأرب
٣ - إذا كـان رأس المـال عمـرك فـاحتـرز
عليـه مـن الإنفـاق في غيـر واجب
٤ - فبين اختـلاف الليـل والصبح معـرك
يكـر علينـا جيشـه بـالعجـائب
٥ - ومـا راعني غـدر الشبـاب لأنني
أنست بهـذا الخلق من كـل صـاحب
٦ - وغـدر الفتى في عهـده ووفـائه
وغـدر المـواضي فـي نبـو المضـارب

وفيما يلي شرح الأبيات:

البيت ١ : يعني أن الحيات تموت في بعض الأحيان من سموم العقارب مع أن الأولى أشد وأقوى من الثانية .

البيت ٢ : بلقيس بكسر الباء كانت ملكة اليمن . وسبأ حاضرة ملكهـا . وكان شـراحيل، أبو بلقيس، ملكـا لليمن قبلها ؛ سبقـه أربعـون ملكـا من آبـائه، ولم يكن لـه ولـد غيـرهـا ، فتغلبت على الملك . وكـانت هي وقومهـا مجوسا يعبدون الشمس، وكان لهـا عـرش عظيم، يقـدر بثمـانين ذراعـا في مثلهـا، وبنـاؤه من ذهب وفضـة، مكلل بالجـواهر ، وقـوائمـه من ياقـوت أحمر وأخضـر ، ومعنى قولـه: وقد هد قدما عـرش بلقيس هدهد، أنه كـان سببا في ذلك لأنـه هو الـذي أخبر به سليمـان عليه السـلام، كما فـي قصة الهدهد مع بلقيس وسليمان المذكـورة في القرآن الكريم، في سورة النمل، من قوله تعالى: ﴿وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾[النحل : ٢٠ ـ ٤٤] . مأرب كمنزل وهي بلد كانت في مـوضع سبأ . وكـان لهـا سـد سلط الله عليـه الخَلَدَ، وهي الفأرة العمياء، فنقبته .

البيت ٤ : يعني أن حوادث الدهر تمر على الإنسان دون انتظار

لها: فتارة تسره وتارة تحزنه، ومعنى هذا البيت هو معنى ما قاله بعض الشعراء:

*إن الليالي حبالى * يلدن كل عجيب*

البيت ٥: يعني أن الغدر عام في كل شيء فلا يستغرب من الشباب.

البيت ٦: غدر السيوف في عدم قطعها.

والنموذج الثاني لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ من مقصورته في الحكم والأخلاق الكريمة:

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما
راح به الواعظ يومًا أو غدا
من لم تفده عبرًا أيامه
كان العمى أولى به من الهدى
من قاس ما لم يره بما يرى
أراه ما يدنو إليه ما نأى
من عارض الأطماع باليأس رنت
إليه عين العز من حيث رنا
من لم يقف عند انتهاء قدره
تقاصرت عنه فسيحات الخطا
من ناط بالعجب عرا أخلاقه
نيطت عرا المقت إلى تلك العرا
من طال فوق منتهى بسطته
أعجزه نيل الدنا بل القصا
وللفتى من ماله ما قدمت
يداه قبل موته لا ما اقتنى
وإنما المرء حديث بعده
فكن حديثا حسنا لمن وعى

وإليك شرح المعاني:

البيت ٤: رنا: نظر

البيت ٥: المعنى أن لكل إنسان قدرًا إذا تجاوزه عجز

البيت ٦: ناط: علق. العرا جمع عروة وهي من القميص ما يدخل فيها الزر

البيت ٧: القُصا: جمع قصوى وهي البعيدة

البيت ٨: لا يعد من مال الإنسان إلا ما أنفقه في الخير في حال حياته لا ما جمعه

البيت ٩: لا يبقى للإنسان غير حسن الأحدوثة فاجتهد أن تخلف ذكرًا حسنًا.

أما النموذج الثالث فهو في النصائح مما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، المتوفى سنة ٤٠ هـ، وهو قوله:

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملاً
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قلّ ماله
ويغنى غني المال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلون
إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدُّهم
ولكنهم في النائبات قليل

وقد أورد الكتاب نفسه حكمًا مأخوذة من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه هي كما يلي؛ ويعقبه الشرح بأرقام الهوامش:

المقدرة تذهب الحفيظة [٣]. اصطناع المعروف يقي مصارع السوء[٤]. بالساعد تبطش الكف[٥]. عواقب المكاره محمودة[٦] خير مالك ما نفعك ولم يضع من مالك ما وعظك. تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره. شر الفقر الخضوع [٧]. اطلب تظفر[٨]. من العجز نتجت الفاقة [٩]. قبل الرماية تملأ الكنائن. خير الأمور أوسطها. الندم توبة. الاعتراف يهدم الاقتراف [١١]. عليكم بالجماعة فإن الذئب إنما يصيب من الغنم الشاردة [١٢]. الرفق يُمن [١٣]. رب أكلة تحرم أكلات. لا يهلك امرؤ عن مشورة[١٤]. أبل عذرا وخلاك ذم [١٥]. رب عجلة تعقب ريثا [١٦]. إن الجبان حتفه من فوقه [١٧]. من مأمنه يؤتى الحذر [١٨]. النفس مولعة بحب العاجل [١٩]. لا تطلب أثرا بعد عين [٢٠]. الظلم مرتعه وخيم. ليس من العدل سرعة العذل. رب ملوم لا ذنب له. من لم يذد عن حوضه يهدم [٢١]. من حفر مغواةً وقع فيها [٢٢]. لا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة. رضا الناس غاية لا تدرك [٢٣].

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس [٢٤]

السعيد من وعظ بغيره

الشرح:

(٣) إذا قدر المرء على من أساء إليه ذهب غضبه. والمقصود أنه يجب على الإنسان أن يعفو عمن أساء إليه عند قدرته عليه.

(٤) يفسر ذلك بمثل وهو: اصطنعت حمامة معروفًا عند نملة كانت على وشك الغرق في نهر: بأن رمت إليها ورقة من شجرة

فسبحت عليها النملة إلى الضفة ونجت . وكان صياد فى ذلك الوقت يصوب بندقته إلى الحمامة فلدغته النملة فى رجله فاضطربت يده وعدت الرصاصة الحمامة فطارت . فوقاها اصطناعها المعروف عند النملة من مصرع السوء هذا وهو القتل .

(٥) لا قوة للكف إلا بالساعد .

(٦) ما يشق على الإنسان فى مبدأ أمره قد تكون نهايته حميدة .

(٧) إن أسوأ أنواع الفقر التذلل .

(٨) لا تضجر من الطلب إذا أردت أن تنال حاجتك .

(٩) الفقر يتولد من قعود الإنسان عن العمل والتبلد فى الطلب .

(١٠) الكنائن جمع كنانة وهى الجَعْبة التى توضع فيها السهام والرماية رمى السهم عن القوس . ويشبهه رمى الرصاصة عن البندقية . والمقصود من ذلك إعداد المعدات للشىء قبل مباشرته .

(١١) الإقرار بالذنب يمحو عقابه أو يخففه .

(١٢) القوة فى الاجتماع والضعف فى الانفراد .

(١٣) التلطف فى الأمور وعدم التشدد فيها مجلبة للبركة والخير .

(١٤) الاستشارة فى الأمور منجاة من الهلاك .

(١٥) اجتهد فى العمل وأد واجبك تنج من الذم .

(١٦) ربما كان الإسراع فى أمر سببا فى تأخيره .

(١٧) الموت لا بد منه فلا معنى للجبن .

(١٨) المتيقظ الشديد الاحتراس قد يصاب من حيث يظن أنه آمن .

(١٩) المرء شغوف بأن ينال حاجته على عجل .

(٢٠) لا تترك الجوهر إلى العرض .

(٢١) من لم يدافع عن نفسه يظلم .

(٢٢) من أعد مهلكة يقصد بها الشر يقع فيها .

(٢٣) المثلان بمعنى واحد .

(٢٤) فاعل الخير مجزى به إن لم يكن من الناس فمن الله

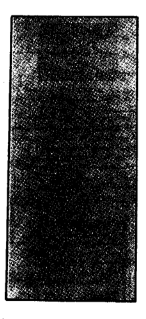
(مجموعة من النظم والنثر/ ١٥ ، ٤٠ ، ٦٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٧٠، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر/ ٦١ ، ومنتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى - تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ٩٩، ١٠٠ وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى - عبد الوهاب حمودة/ ١١٦، ١١٧، ولباب الآداب لـلأمير أسامة بن منقذ - تحقيق أحمد محمد شاكر/ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ ، ومجموعة من النظم والنشر للحفظ والتسميع/ ١٥، ٤٠، ٦٥، ١٠٨، ١٠٩، انظر أيضًا الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية/ ٣١، ٣٤، ٥٠، ٥٤، ٦٦، ٩٨، ١٤٥، ١٨٧، ١٩٧) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الموسوعة الجامعة للخط العربى - كتبها محمد حداد/ ٢٢٣ .

*** حكمة الإشراق إلى كُتّاب الآفاق**

كتاب من تأليف محمد مرتضى الحسينى الزبيدى، أدرجه محققه الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله ضمن نوادر المخطوطات، واستهله بمقدمة جاء فيها ما يلى :



الصفحة الأخيرة من مخطوط حكمة الإشراق

وهذا كتاب فى تاريخ الخط والخطاطين، هو امتداد لمؤلفات قديمة ، من أشهرها كتاب أدب الكتاب لمحمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦، وفصول طوال فى فهرست ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥، وصبح الأعشى للقلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ .

وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى هذا الكتاب مشتملاً على «فضيلة الخط والقلم وما جاء فيهما من الآثار ، وما للحكماء فيهما من الأسرار، وبيان من وضع الخط أولا وألف الحروف، وألبسها حلل التفصيل وأحلها فى أحسن الظروف، ثم بيان الأجلة من الكتاب والأعيان من أهل الفن» .

وقد جعل هذه الرسالة هدية إلى خزانة نابغة الخط الأمير حسن أفندى الملقب بالرشدى .

وقسمها إلى عشرة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : فى ذكـر مـن وضع الخط وأصلـه ، ووصلـه وفصله .

الفصل الثانى : فى فضل الخط وما قيل فيه .

الفصل الثالث : فى القلم ، وما لهم فيه من الحكم .

الفصل الرابع : فى الدواة وصفتها وآلاتها .

الفصل الخامس : فى المداد والحبر .

الفصل السادس : فى برى الأقلام .

الفصل السابع : فى النقط .

الفصل الثامن : فى الشكل .

الفصل التـاسع : فى ذكـر حـروف المعجم وسـرهـا فى تعيين العدد .

الفصل العاشر : فى ذكر الكتبة الكرام ، من لدن زمن النبى ﷺ إلى زمن المؤلف .

ثم الخاتمة وفيها فصلان :

الأول : فى أدب التلميذ مع الشيخ .

الثانى : نصيحة لسائر الخطاطين .

ثم يقـول الأستاذ عبـد السـلام هارون عـن النسخة التى كـانت موضع التحقيق :

هى نسخة نفيسة بمكتبة الأخ المحدث الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر ، مصـورة من نسخة بخط المؤلف نفسه ، تكرم حفظه الله بإعارتى إياها لنشرها . ولهذه المصورة أخت بدار الكتب المصريـة برقم ٢٧٩٩ تـاريخ ، صور معهد المخطـوطات بجـامعة الدول العربية نسخة منها فى القلم ٤٠٤ .

وهى تقع فى ١٤ ورقة فى كل صفحـة منها ١٩ سطرًا ، وفى كل سطـر نحـو عشـر كلمـات مكتـوبـة بـالخط الفـارسى المعتـاد . وبهامشها بعض إلحاقات وتصحيحات بقلم الزبيدى .

هذا ما جاء فى مقدمة المحقق . أمـا مقدمة المؤلف المرتضى الزبيدى فهى كما يلى بعد البسملة :

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ، وفضله على سائر الأجناس بـالتمييز والتبيـان ، والصلاة والسـلام على سيدنـا محمد أرشد موجوداته وأسعد مخلوقاته سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم ما ترنمت البلابل بـالألحان ، وغردت سواجع الأطيار على فنن الأغصان .

وبعد فإنه لما كانت صناعة الخط أنفع بضاعة للكتاب ، وأوسع كفايـة للطلاب فى هذا البـاب ، وأشرف وسيلـة للتقريب ، وألطف وصيلة لتوسيع الرزق والترحيب ، كما قال الشاعر :

لا تعـــد عـن حق الكتـــابـــة إنهــا
مغـــــنى الغـــنى ومفاتــــح الأرزاق

واخش البــــراعـــة وارجهـــا فهى التى
عـــرفت بنفث السم والـــــدريـــاق

وكـان المتصف بـه جهينة الأخبـار ، وحقيبـة الأسـرار ، ونجى العظماء ، وكبيـر النـدماء ، وتـرجمان السلطان ، وصنـدوق البيان ، ألفت هذه الرسالة مشتملة على فضيلة الخط والقلم ، وما جاء فيهما من الآثار ، ومـا للحكماء فيهما من الأسـرار ، وبيان من وضع الخط أولاً وألف الحـروف . وألبسهـا حلل التفصيل وأحلهـا فى أحسن الظـروف . ثم بيـان الأجلـة من الكتـاب ، والأعيـان من أهل الفن بحسن النسق المستطاب .

وقـد جعلتها هـديـة إلى خزانـة من نبغ فيـه واشتهـر كاشتهـار الشمس فى رابعـة النهـار ، وهـذب قـواعـده وأتقن مـراتبـه بحسن الضبط والاعتبار ، جمال هذا الفن الذى فاق فيه وبرع ، وجمع بين المتانة والحسن ما لم يسبق به فـلله ما جمع ، فلو شاهده ابن هلال لأقر له بالإتقان ، أو عاصره ياقوت لقال هذا إنسان عين الزمان ، أو رآه الشيخ (يعنى الشيخ حمــد الله ابن الشيخ مصطفى الأواسى) لافتخر به فى عصره ، وأذعن أنه فريد مصره ، المولى الكامل الماهر الكاتب ، ذى الخط البـديع المشرق كـالكواكب ، صـاحب العرف الندى ، الأمير حسـن أفندى الملقب بالرشدى ، جَمَّـل الله بجماله هذه الصناعة وأربابها ، ويسر له سبل الخيرات وفتح له أبوابها .

فخـذهـا جـريـدة مفيدة للمتـدرب الكـاتب ، وخـريدة منجيـة للمتعلم عن المتاعب ، وسفينة جاريـة على مقاصد المتأملين فيها من كل باب ، ودفينـة رزينة لمن يتعـرض فى اقتناء الـدر من مناهج الصواب ، جريدة شحنت مسكًا زواياها ، وحقة ملئت درًا خباياها ، أمليتها من غرائب بنات الأفكار ، ونوادر نتائج ثمرات الأخيار .

وكـل سطــــر مـن اليـــــاقــــوت زاد عــــلا
فــــلا تقيســــوه بـــــالمنحــــوت من حجــــر

وكـرتهـا علـى عشـرة فصـول وخـاتمـه ، وسميتهـا : «حكم الإشـراق ، إلى كُتَّاب الآفـاق» . وعلى الله توكلى وبـه أستعين ، فى أمور الدنيا والدين ا هـ .

(نوادر المخطوطات ـ بتحقيق عبد السلام هارون ٥/ ٥٠ ، ٥١ ، ٦١ـ٦٣) .

ونورد مواد فصول هذا الكتـاب النفيس فى مواضعها إن شـاء الله تعالى .

*** حكمة التشريع :**

أحد مخطـوطات الفقه الحنفى بـدار الكتب الظاهريـة بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٥٢٠٢ .

تأليف : ؟

رسالة فى حكمة العبادات وغيرها ، ودلائل ذلك .

أولها : هذه أرجوزة فى أوجه عن أجـوبة تتعلق بمعانى جليلة .

إن قيل: ما الحكمة أن الله تعالى أنزل تسعة وتسعين اسما من أسمائه الحسنى...

آخرها: أجيب أن الموت من الله للأبدان، ومن الملائكة نزع الروح، ومن ملك الموت القبض، ومن الرسل معاونة ملك الموت والله أعلم..

نسخة جيدة.

الخط نسخ معتاد. بعض الكلمات كتبت بالحمرة.

٧ ق ٢١ س ٢٠ × ١٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨٩).

*** الحكمة الجامعة:**

من اصطلاحات الصوفية

وهي معرفة الحق، والعمل به، ومعرفة الباطل، والاجتناب عنه كما قال ﷺ: «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم أرنا الأشياء كما هي».

(قال عنه ابن كثير في تفسيره إنه من الدعاء المأثور وأورده بلفظ «وفي الدعاء المأثور اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه ولا تجعله متلبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما» راجع تفسير ابن كثير طبعة الشعب مجلد ١ - ٣٦٦. تفسير آية ٢١٣ سورة البقرة).

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين بن عبد الرزاق القاشاني - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم صقر / ٦٣).

الحكمة (علم-):

تكلم صاحب «معارف المعارف» على علم الحكمة في فصل بعنوان «في الحكمة الطبيعية والإلهية» جاء فيه ما يلي:

الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بحسب الطاقة البشرية؛ وموضوعه: الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان؛ وغايته: هي التشرف بالكمالات في العاجل والفوز بالسعادة الأخروية في الآجل. وتلك الأعيان إما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا أولاً، فالعلم بأحوال الأولى من حيث يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية، والعلم بأحوال الثانية يسمى حكمة نظرية؛ ولكل منهما ثلاثة أقسام.

أما العملية فلأنها إما علم بمصالح الشخص بالقراءة ليتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرزائل، ويسمى تهذيب الأخلاق، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالد والمولود والمالك والمملوك ويسمى تدبير المنزل، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية؛ وأما النظرية فلأنها إما علم بأحوال ما لا يفتقر في الوجود الخارجي، والتعقل إلى المادة كالإله وهو العلم الإلهي، وإما علم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي دون التعقل كالكرة وهو العلم الأوسط ويسمى بالرياضي والتعليمي، وإما علم بأحوال ما يفتقر إليها في الوجود الخارجي والتعقل كالإنسان وهو العلم الأدنى ويسمى بالطبيعي.

وكان لهذه العلوم شأن عظيم في أرض اليونان، واختص فيها المشاؤون منها وأصحاب الذوق، واتصل سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم إلى سقراط ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه إسكندر الأفرودوسي، وكان أرسطو أرسخهم في هذه العلوم وهو أول من دون المنطق، ولذلك يسمى المعلم الأول.

ولما انقرض أمر اليونانيين وصار الأمر للقياصرة وتنصروا، هجروا تلك العلوم، وبقيت من صحفها ودواوينها مجلدات في خزائنهم، ثم جاء الإسلام وظهر أهله عليهم، وكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، له همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة، فأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اليوناني إلى العربي، فنقل له اصطفن القديم كتب الصنعة وغيرها، وهذا أول نقل كان في الإسلام.

ثم بعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بالكتب الحكمية فبعث إليه بكتاب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات، فنقل له البطريق أشياء بأمره، وقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصًا على الظفر بما بقي منها، وكان مأمون ابن الهارون العباسي أشد رغبة إلى ذلك، فأوفد الرسل إلى ملك الروم في استخراج علوم اليونانيين، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة، فأخذوا ما اختاروا وحملوا إليه، فأمرهم بنقله، فنقل له ابن يحيى الحجاج بن المطر وابن ناعمة عبد المسيح الحمصي وسلام بن الأبرش وحسين بن بهريق وهلال بن أبي هلال الحمصي وابن آوى وأبو نوح بن الصلت وابن رابطة وعيسى بن نوح وقسطا بن لوقا البعلبكي وحنين بن إسحاق وثابت ابن قرة وإبراهيم بن الصلت ويحيى بن عدي، كلهم نقلوا الكتب الحكمية من اليوناني إلى العربي.

أما ابن المقفع فإنه نقل من الفارسية إلى العربية، وكنكة الهندي نقل من الهندية إلى العربية، وابن وحشية نقل من النبطية إلى العربية، ولكنهم ترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير ملخصة ومحررة، لا توافق ترجمة أحدهم للآخر، فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة، بل أشرف أن عفت رسومها، فالتمس منصور بن نوح الساماني من أبي نصر الفارابي أن يحررها ويلخصها، ففعل كما أراد، ولهذا لقب بالمعلم الثاني، وكانت كتبه في خزانة الكتب المبنية بأصفهان المسماة بصوان الحكمة إلى زمان السلطان

مسعود، ولكن كانت غير مبيضة لأن الفارابى كان غير ملتفت إلى جمع التصانيف ونشرها، بل غلب عليه السياحة ثم إن أبا على الحسين بن سيناء تقرب عند السلطان مسعود بسبب الطب، حتى استوزره، واستولى على تلك الخزانة، وأخذ ما فى تلك الكتب ولخص منها كتاب الشفاء وغير ذلك من تصانيفه، وقد اتفق أن احترقت تلك الكتب، فاتهم أبو على بأنه أحرقها لينقطع انتساب تلك العلوم عن أربابها ويختص بنفسه، لكن هذا بعيد عن الصواب.

وكان من أكابرهم فى الملة الإسلامية أبو نصر الفارابى، وأبو على بن سيناء فى المشرق، والقاضى أبو الوليد بن رشد وأبو بكر الصائغ بالأندلس وممن يلى هؤلاء فى معرفة الحكمة شهاب الدين المقتول وفخر الدين الرازى ونصير الدين الطوسى وقطب الدين الشيرازى وجلال الدين الدوانى والفاضل مرزا جان والسيد محمد زاهد الهروى وخلق آخرون من العلماء.

وأما أهل الهند من المسلمين فإنهم كانوا قليلى الاعتناء بالمنطق والحكمة، وما كانت فى دروسهم غير شرح الشمسية، وكانوا غير محتفلين بهذه العلوم إلى آخر القرن التاسع، حتى جاء الشيخ عبد الله بن الهداد الملتانى وصاحبه عزيز الله فأدخل المطالع والمواقف فى دروس العلماء، فتلقاها الناس بالقبول وصارت متداولة، واستزاد الناس وتشوقوا إلى غيرها، فجاء بعضهم بشروح المطالع والمواقف، ثم جاء الخطيب والطارمى إلى بلاد كجرات، وفضل الله الشيرازى إلى بلاد الدكن، وفتح الله الشيرازى إلى بيجابور ثم إلى أكبر آباد، وجماعة من الفضلاء غيرهم، فأتوا بمصنفات الدوانى والشيرازى والفاضل مرزا جان وغيرهم فتلقاها الناس وأدخلوها فى دروسهم، ونهض من الهند جماعة من الفضلاء ودرسوا وأفادوا، أشهرهم الشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى بكجرات، والمفتى عبد السلام اللاهورى ببلدة لاهور، وكمال الدين الكشميرى ثم صاحبه عبد الحكيم السيلكوتى ببلدة سيالكوت، والشيخ محمد أفضل العثمانى ببلدة جونبور، ثم المفتى عبد السلام الديوى والقاضى ضياء الدين النيوتنى، والشيخ جمال الكوروى، والشيخ محب الله الإله آبادى، والشيخ قطب الدين السهالوى، والشيخ لطف الله الكوروى، والشيخ قطب الدين الشمى آبادى، والحافظ أمان الله البنارسى، والقاضى محب الله البهارى، وخلق آخرون من الفضلاء كان إليهم المرجع فى كل باب من أبواب العلم.

ونهض من بينهم بعض العلماء وكانوا أساطين الحكمة لا يماثلهم إلا الفارابى وابن سيناء، كالعلامة محمود بن محمد الجونبورى، والقاضى محب الله البهارى، والشيخ ولى الله الدهلوى، والشيخ نظام الدين السهالوى، وملا حسن بن غلام مصطفى الكهنوى، والشيخ كمال الدين الفتحپورى، وملك العلماء عبد العلى اللكهنوى، والقاضى مبارك بن دائم الكوپاموى، وحمد الله بن شكر الله السنديلوى، والشيخ بركة بن عبد الرحمن الإله آبادى، والشيخ فضل حق بن فضل إمام الخير آبادى، فإنهم كانوا أساطين الحكمة بلغوا الغاية فى هذه العلوم.

مصنفاتهم فى الحكمة

وأما مصنفاتهم فى الحكمة، فأشهرها الشمس البازغة للشيخ العلامة محمود بن محمد الجونبورى، والدوحة الميادة فى الصورة والمادة للشيخ محمود المذكور، والجوهر الفرد فى الجزء الذى لا يتجزأ للقاضى محب الله البهارى، وغاية العلوم فى العلم الطبيعى لملا حسن بن غلام مصطفى اللكهنوى، والعجالة النافعة فى الإلهيات لبحر العلوم عبد العلى بن نظام الدين اللكهنوى، وتكميل الصناعة، ورسالة فى الأمور العامة ورسالة أسرار المحبة فى سريان المحبة فى الأشياء كلها، ومقدمة فى العلم، كلها للشيخ رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى، وتلخيص الشفاء للشيخ فضل إمام الخير آبادى، وحاشية عليه لولده فضل حق، والهدية السعيدية فى العلوم الطبيعية للشيخ فضل حق المذكور، والجنس الغالى فى الجوهر العالى فى الإلهيات للشيخ فضل حق المذكور، والروض المجود فى حقيقة الوجود، ورسائل فى تحقيق العلم والمعلوم وفى تحقيق الأجسام وفى تحقيق الكلى الطبعى وفى التشكيك وفى الماهيات كلها للشيخ فضل حق المذكور، والعقدة الوثيقة فى بعض المسائل الحكمية، ورسالة فى تحقيق العلم، ورسالة فى المقولات العشرة ثلاثتها للشيخ عماد الدين اللبكنى، والأصول الراسخة وشرحه الدوحة الشامخة للشيخ محمد أشرف بن نعمة الله اللكهنوى، والمحاكمة بين صاحب الأفق المبين وصاحب الشمس البازغة فى مسألة الحدوث الدهرى للحافظ أمان الله ابن نور الله البنارسى، وكشف الفصوص شرح نصوص الفارابى للشيخ رفيع الدين بن نِيْكْ مراد الدهلوى، وشرح ينبوع الحياة لهرمس الهرامسة للشيخ رفيع الدين المذكور، وشرح هداية الحكمة للشيخ محمد رشيد بن مصطفى العثمانى الجونبورى للشيخ عبد الحق بن فضل حق الخير آبادى، وشرح عليه للمولوى عبد الوهاب بن إحسان على البهارى، ورسالة فى القوس والقزح للمفتى سعد الله المراد آبادى، ورسالة فيه لمرزا حسن على اللكهنوى المحدث، والكتاب المبين فى الحكمة الإلهية للشيخ محب الله الإله آبادى، وكتاب المحاكمة بين العلوم المشرقية والمغربية للشيخ عبد القادر بن خير الدين الجونبورى، وكتاب فى التعقيب على مأكول المغربى، وكتاب فى الكيمياء الحديث، وكتاب العالم والمتعلم كلها للشيخ خير الدين المذكور، وتبصرة الحكمة فى الطبعى والإلهى للشيخ حسن على الماهلى المتوفى سنة ١٢٥٨، ورسالة فى تحقيق

الجعل المركب والبسيط للسيد غلام حسين الدكنى، وخورشيد دانش فى الحكمة الطبعية للمولوى غلام إمام بن متهور خان الحيدر آبادى، والقول المحيط فيما يتعلق بالجعل المؤلف والبسيط، وكاشف الظلمة فى بيان أقسام الحكمة كلاهما للشيخ عبد الحليم ابن أمين الله اللكهنوى، وبرهان الحكمة بالفارسى للشيخ محمد غوث بن ناصر الدين المدراسى، ورسالة فى العلوم الطبيعية للشيخ نظام الدين بن مهدى على الدهلوى صنفها سنة ١٢٠٨، وإيثار الحق رسالة فى مبحث الزمان للشيخ نور الإسلام بن سلام الله الرامبورى، وله رسالة فى مبحث المكان، ورسالة فى مبحث المثناة بالتكرير، ورسالة فى مبحث المثناة بالتكرير للمولوى نجف على النواروى، وسراج الحكمة للشيخ سراج الحق بن فيض أحمد البدايونى، ومرآة الأذهان فى علم الواجب للسيد معين الدين الحسينى الكاظمى الكروى، ورسالة فى مبحث المثناة بالتكرير للسيد معين الدين المذكور، ورسالة فى مبحث الوجود الرابطى فى ستة عشر جزءًا للمولوى محمد أحسن الكيلانوى، وميسِّر العسير فى مبحث المثناة بالتكرير للمولوى عبد الحى بن الحليم اللكهنوى، والكلام المبين فى تحرير البراهين أى براهين إبطال اللامتناهى للمولوى عبد الحى المذكور، والبوارق بالعربى للمير نور الله الأحرارى الأكبر آبادى، والحقائق للسيد على البلكَرامى، عمدة الحكمة للسيد شاه على الحيدر آبادى صنفه سنة ١٢٥١، ومعراج العقول شرح دعاء المسلول بالعربى فى مجلد ضخم فى الإلهيات للسيد مرتضى الحسينى النونهروى، والحكمة اليمانية فى المعارف الإيمانية فى مبحث العلم والوجود للمولوى عبد العزيز الأمروهوى، والأمور العامة رسالة للمولوى كرامت حسين بن سراج حسين الحسينى المولوى الكنتورى.

الشروح والحواشى

حاشية حمد الله بن شكر الله السنديلوى على الشمس البازغة، وحاشية عليه لملا حسن بن غلام مصطفى اللكهنوى، وحاشية عليه للشيخ نظام الدين السهالوى، وحاشية عليه للشيخ أحمدى ابن الوحيد البهلواروى، وحاشية عليه للمفتى ظهور الله بن محمد ولى اللكهنوى، وحاشية عليه للمفتى يوسف بن أصغر اللكهنوى، وتكملة حاشية ملا حسن على الشمس البازغة للمفتى يوسف المذكور، وحاشية على الدوحة الميادة للعلامة محمود للمفتى ظهور الله المذكور، وحاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازى للشيخ بير محمد اللكهنوى المتوفى سنة ١٠٨٥ وهى المسماة بسراج الحكمة، وحاشية عليه للشيخ نظام الدين السهالوى المذكور، وحاشية عليه حمد الله السنديلوى المذكور، وحاشية عليه لملا حسن المذكور، وحاشية عليه للشيخ أحمدى المذكور، وحاشية عليه للشيخ أمجد بن فيض الله القنوجى وحاشية عليه للشيخ سعد الله السلونى، وحاشية للشيخ محمد شاكر السنديلوى، وحاشية عليه للعلامة عبد العلى بحر العلوم، وحاشية عليه للشيخ عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى المحدث، وحاشية عليه للشيخ تراب على اللكهنوى، وحاشية عليه للملا مبين بن محب الله اللكهنوى، وهى على مبحث المثناة بالتكرير، وحاشية عليه للشيخ ولى الله بن حبيب الله اللكهنوى، وحاشية عليه للشيخ نعيم الدين بن فصيح الدين القنوجى، وحاشية على مبحث المثناة بالتكرير من شرح الفريد للشيخ عبد الحق بن محمد أعظم الكابلى البهوبالى، وحاشية على صدرا للشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد البدايونى، وحاشية على صدرا للسيد حسين بن دلدار على الشيعى اللكهنوى، وحاشية على شرح هداية الحكمة للميبذى للشيخ عبد الحكيم السيلكوتى، وحاشية عليه للمفتى إسماعيل بن الوجيه المرادآبادى، وحاشية عليه للشيخ تصدق حسين النكَرنهسوى، وحاشية بسيطة عليه للمولوى عين القضاة الحيدر آبادى، وحاشية على شرح حكمة العين للشيخ وجيه الدين العلوى الكَجراتى، وحاشية عليه للشيخ عبد الحكيم السيلكوتى، وحاشية عليه للشيخ قطب الدين السهالوى، وحاشية على الهدية السعدية للشيخ عبد الله بن آل أحمد البلكَرامى، وهى المسماة بالتحفة العلية، وتعليقات على طبعيات الشفاء للسيد أمير حسن الحسينى السهسوانى، وحاشية على طبعيات الشفاء للمفتى يوسف بن محمد أصغر اللكهنوى، وحاشية على فصوص الفارابى للشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد البدايونى، وحاشية على الأفق المبين للعلامة فضل حق بن فضل إمام الخير آبادى.

(الثقافة الإسلامية فى الهند: «معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف» لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن الندوى/ ٢٦١ ـ ٢٦٨. انظر أيضًا أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق ١/ ٢٩٦ ـ ٣٠٨، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٦ ـ ٤٢، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٧٦ ـ ٦٨٥).

الحكمة العملية (علم ـ):

الحكمة العملية علم يبحث عن حقائق الأشياء الموجودة فى الأعيان على ما هى عليه فى نفس الأمر، من حيث إنه يؤدى إلى إصلاح المعاش والمعاد؛ وهو على ثلاثة أقسام، لأنه إما علم بمصالح شخص بانفراده ويسمى تهذيب الأخلاق، والحكمة الخلقية، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة فى المنزل ويسمى تدبير المنزل والحكمة المنزلية، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة فى المدينة ويسمى السياسة المدنية. انظر كلاً تحت عنوانه (الثقافة

الإسلامية فى الهند لعبد الحى الحسنى - راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى / ٢٨٧).

حكمة العين:

للعلامة نجم الدين أبى الحسن على بن محمد الشهير بدبيران الكاتبى القزوينى، المتوفى سنة ٦٧٥ خمس وسبعين وستمائة تلميذ النصير الطوسى، وهو متن متين مختصر أوله: سبحانك اللهم يا واجب الوجود ... إلخ ذكر فيه أن جماعة من طلبته لما فرغوا من بحث الرسالة المسماة بالعين فى المنطق من تأليفاته التمسوا منه أن يضيف إليها رسالة فى الإلهى والطبيعى فأجاب ثم شرحه مولانا شمس الدين محمد بن مبارك شاه الشهير بميرك البخارى شرحًا مفيدًا ممزوجًا أوله: أما بعد حمد الله فاطر ذوات العقول ... إلخ وأورد فيه الحواشى التى كتبها العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى على هذا الكتاب بأجمعها.

وعلى هذا الشرح حاشية للعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة، وحاشية للمولى كمال الدين مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٩٠٥ (خمس وتسعمائة)، وحاشية للمحقق ميرزاجان حبيب الله المتوفى سنة ٩٩٤ أربع وتسعين وتسعمائة، وحاشية لمولانا محمد الشكى.

ومن الشروح أيضًا شرح جمال الدين حسن بن يوسف الحلى، وهو شرح « يقال - أقول» أوله: الحمد لله ذى العز الباهر... إلخ، وشرح مولانا محمد بن موسى التالشى، وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذى أبدع بعين الحكمة أعيان الموجودات ... إلخ ذكر أنه ألفه للسلطان يعقوب بن الحسن الطويل (كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٨٥).

الحكمة القائمة من النبات:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات:

مخطوط بقسم التراث العربى بالكويت، وجاء بيانه كما يلى:

- تركيا استانبول، مكتبة جامعة اسطنبول(D.F.6109 A. Y)

وله: « اعلم أيها الأخ وفقنا الله وإياك وسلك بى وبك نهج أهل الخير والفلاح ... ».

آخره: « ... إلى سيدى شيخ عبد القادر الجيلانى تأمن شرهم تمت».

- أول النسخة صفحة تحمل رقم (٦٢).
- الأرقام للصفحات وليس للأوراق.
- بعد صفحة رقم (٧٣) تأتى صفحة رقم (٢).
- فى منتصف صفحة رقم (١٧) كلمة (تمت) بخط الناسخ نفسه.
- بعد الصفحة رقم (١٧) تأتى (١٠) صفحات يواصل فيها الناسخ النقل من الكتاب دون أرقام للصفحات العشر.
- الصفحات العشر الأخيرة فى المخطوطة مرقمة ترقيمًا حديثًا وخاطئًا.
- المخطوطة عبارة عن رسالة أو جزء من كتاب.

الخـــط: معتاد ردىء لكنه مقروء

كتب بالمداد الأسود فقط

الأوراق: ٢١ ق.

الأسطر: مختلفة.

المقياس: ٢٠ × ١٤,٥ سم.

(فهرس مخطوطات الفلاحة — النبات — المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت - صنعة محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح/ ٣٠٠، ٣٦١).

الحكمية (مدرسة —):

من مدارس القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام.

ورد ذكرها عدة مرات فى سجلات المحكمة الشرعية، حينما تتحدث خاصة عن «صدقات الحكمية». ففى السجل ٤٤ ص ٥٠٠ (سنة ٩٧١) جاء أن القاضى حسام الدين الحنفى قرر الشيخ زين الدين محمود بن الديرى فى وظيفة قراءة ما تيسر لصدقات الحكمية بالقدس الشريف.. عوضا عن والده بحكم فراغه له.

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى/ ٢٨٩).

حَـكَى:

فى مصطلح علوم الحديث: بمعنى روى.

(ملء العيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٢/ ٤٤٤).

الحكومة (كتاب —):

من المخطوطات المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف جابر بن حيان الصوفى

وهو المقالة الثانية عشرة من كتاب «السبعين».

أوله: قد سبق لنا قبل كتابنا هذا أحد عشر كتابًا فى الحيوان، كل ذلك قد استوفينا فى فن واحد الكلام، وهو المخصوص من الحيوان بنفسه، فى عشرة أجزاء من ذلك، وتكلمنا فى الكتاب الحادى عشر الذى قبل كتابنا هذا، على أصول أصحاب الحيوان، وما قالوا به من ذلك، ولم نذكر فى ذلك تدبيرًا، وقد أثبت بالتدابير على النسق فى كتابى هذا وفيما يليه على شرح ما تقدم من العشرة الأولى فى ذلك على الآراء أيضًا ... إلخ.

وآخره: وهذا يكون بلا داخل عليه، وهو أعظم فى الفعل،

وإما أن تكون المياه المجمرة والتسقية لـه فاعرفه . تم كتاب الحكومة .

ــ نسخة بقلم نسخ جميل، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ . ومسطرتها ١٧ سطرًا .

١١ × ٢١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١١٤ ـ ١١٨)

[مكتبة بروسة حسين جلبى ـ ١٥]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ــ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣/ ١١٦، ١١٧).

حكيم بن حزام :

هو أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب القرشى المكى .

هو ابن أخى خديجة أم المؤمنين، وابن عم الزبير بن العوام رضى الله عنهم . أمه أم حكيم، وإخوته خالد وهشام وصفية (وقيل فاختة) أسدية أيضًا . ولد حكيم رضى الله عنه فى جوف الكعبة، وذلك أن أمه دخلتها فى نسوة من قريش فضربها الطلق فولدته هناك . وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة . أسلم حكيم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم، فحسن إسلامه . وقد شهد بدرًا مع المشركين فنجا منهزمًا، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال: والذى نجانى من يوم بدر . وكان من أشراف قريش وأجوادها، وكان بيده دار الندوة التى يجتمعون فيها للتشاور وعقد الأمور وحلها، فباعها آخرًا لمعاوية بمائة ألف درهم، فقيل له: بعت مكرمة قريش ؟! فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى . ثم تصدق بثمنها . وصدقاته وعتاقه وعطاياه فى الجاهلية والإسلام واسعة شايعة . وفى الصحيحين عنه قال: قلت يا رسول الله، رأيت أشياء كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم، فهل لى فيها أجر ؟ فقال النبى ﷺ: أسلمت على ما أسلفت من خير . قلت: فوالله لا أدع شيئًا صنعته فى الجاهلية إلا فعلت مثله فى الإسلام . وروى أنه حج فى الإسلام فأهدى مائة من الإبل قد جللها بالحبرات ومعها مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها «عتقاء الله»، وأهدى أيضًا مائة شاة . وفى الصحيحين أيضًا عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ؛ ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى» . قال حكيم، فقلت: والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا . ثم دعاه عمر ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال عمر: يا معاشر المسلمين؛ أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له فى هذا الفىء فيأبى أن يأخذه . فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس حتى فارق الدنيا . وله فى الصحيحين أربعة أحاديث متفق عليها، وخرَّج عنه الأربعة . روى عنه والده حزام، وابن المسيب، وعروة بن الزبير وعبد الله بن الحارث وموسى بن طلحة وابنه حزام بن حكيم وصفوان بن محمد والمطلب بن حنطب ويوسف بن ماهك بفتح الهاء ومحمد بن سيرين ... أعطاه النبى ﷺ يوم حنين مائة بعير . توفى بالمدينة سنة أربع وخمسين عن مائة وعشرين سنة، وصلى عليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى/ ٥٢ ـ ٥٤، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٦٦، ١٦٧).

الحكيم :

انظر: الحكيم الترمذى .

الحكيم الترمذى (— نحو ٣٢٠ هـ/ — نحو ٩٣٢ م):

قال عنه الزركلى :

محمد بن على بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذى، باحث، صوفى، عالم بالحديث وأصول الدين . من أهل «ترمذ» (انظر مادة «الترمذى» فى م ٩/ ٣٠٨) نفى منها بسبب تصنيفه كتابًا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر . وقيل: اتهم باتباع طريقة الصوفية فى الإشارات ودعوى الكشف . وقيل: فضَّل الولاية على النبوة . وورد بعض العلماء هذه التهمة عنه وقيل: كان يقول: للأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتمًا . وقال السبكى: فجاء إلى بلخ ـ أى بعد إخراجه من ترمذ ـ «فقبلوه» لموافقته إياهم على المذهب . وأخطأ بعض مؤرخيه من المستأخرين بأن جعل العبارة: جاء إلى بلخ «فقتلوه» وهذا لا يتفق مع بقية ما قاله السبكى من موافقتهم إياه على المذهب . وفى «لسان الميزان» أن أهل ترمذ هجروه فى آخر عمره لتأليفه كتاب «ختم الولاية» و «علل الشريعة» [ختم الأولياء] و [علل الشريعة] وأنه حمل إلى بلخ فأكرمه أهلها وكان عمره نحو تسعين سنة .

واضطرب مؤرخوه فى تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة ٢٥٥ وسنة ٢٨٥ هـ، وينقض الأول أن السبكى يذكر أنه حدث بنيسابور سنة ٢٨٥ كما ينقض الثانى قول ابن حجر: إن الأنبارى سمع منه سنة ٣١٨ (الأعلام ٦/ ٢٧٢) .

يقول الشيخ عبد الغنى عبد الله فى بحث له بعنوان: «الحكيم الترمذى» :

ويعتبر أبو عبد الله محمد بن حسن بن بشير الحكيم الترمذى من ألمع علماء الفقه الذين عاشوا فى الفترة ما بين القرنين التاسع

والعاشر، والذين كتبوا العديد من الآثار العلمية الدينية المشهورة . وبناء على شهادة كاتب السيرة والدارس لأعمال الترمذى العالم المصرى عبد الفتاح بركة ، فإنه ولد فى ٢٠٥ هجرية (٧٢٠ ميلادية)، ودرس فى مدارس ما وراء النهر حتى بلغ الخامسة والعشرين وتعمق فى دراسة علوم التفسير والحديث والفقه .

وفى كتابه الذى ترجم فيه قصة حياته «بعض شأن أبى عبد الله» [بدو الشأن] كتب الترمذى أنه فى طريقه إلى مكة، وكان آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره ، توقف فى بغداد وواصل دراسته هناك . ومنذ ذلك الحين كرس حياته لدراسة التصوف وحفظ القرآن عن ظهر القلب، وسهر الليالى منكبًا على الدراسة التى جلبت له متعة كبيرة وارتياحا نفسيًا عظيمين . وفى تلك الأثناء اطلع على كتاب الأنطاكى المهشور (يقصد كتاب علوم المعاملات لأحمد بن عاصم الأنطاكى) الذى أثر فيه تأثيرًا جذريًا . إن هذا الكتاب يحث المرء على الانقطاع عن مشاغل الحياة وملذاتها ، وتكريس نفسه لعبادة الله واتباع تعاليمه . ونتيجة ذلك يلجأ إلى حياة الزهد والعزلة، ولا يزاول شيئًا سوى الاختلاط بالطلاب والعلماء والفقهاء، ويصرف وقتا كثيرًا جدًا فى الدراسة ...



ضريح الحكيم الترمذى بعد الترميم.

وقد تناول بالنقد المتصوفين الذين عاشوا قبله . وحسب رأيه ، فإن المتصوف الحقيقى هو الذى يمتاز بميزات حسنة، ويفسر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة عن فهم وصدق ونزاهة وإخلاص ويلم إلماما عميقًا بمسائل وقضايا الفقه . لخدمة الإسلام لا بد من التمتع بالنزاهة وخدمته بعيدا عن المآرب والمصالح الشخصية وهكذا، فإن الإمام الترمذى يؤكد أنه فى تفسيره وشرحه للقرآن الكريم وروايته للأحاديث الشريفة ، سلك مذهب التصوف وشدد على أنه المذهب الوحيد الذى يجعل الإنسان يشعر بالراحة النفسية والرضى، ويكسبه الاحترام والسمعة الطيبة بين معاصريه من علماء الفقه والدين .

وتعرض الترمذى للاضطهاد نتيجة استقامته وأمانته وعدم تهاوده، وبسبب آرائه الجريئة ، واضطر للتشرد والحياة فى الغربة بعيدًا عن وطنه .

ويعود الفضل فى الشهرة الكبيرة التى اكتسبها فى التصوف إلى أساتذته أبى تراب النهشابى، وأحمد بن خضرويه وغيرهما من الشيوخ . كان على علاقة وثيقة بالعلماء المتصوفين فى الشام وبغداد ومصر وهكذا طور المذهب الصوفى فى آسيا الوسطى وعمل على ازدهاره ولقد تأثر الحكيم الترمذى تأثرًا بالغًا بطريقة ملامتية فى نيسابور، وأثر هو بدوره فى متصوفى الأجيال اللاحقة ، مثل عبد الخالق عيجدوانى وبهاء الدين النقشبندى وعلى مدرستهما .

لدى التحدث عن أعمال الترمذى الإبداعية ، لا بد من الإشارة إلى أن آراءه وأفكاره لم تكن تحظى بتأييد الجميع . وظهر من حاشية أمير بلخ من ألصق التهم الباطلة بالإمام الترمذى، وللتأكد من حقيقة الأمر أرسل الأمير رجالاً ثقة، يثق بهم هو بعض المخلصين له، إلى الترمذى . ولدى عودتهم لفقوا بالإمام مزيدا من التهم وأبلغوا الأمير أن الترمذى، رغم مناداته بحب الله والإيمان به بلسانه، فإنه بأعماله يثير الخرافات والفساد وحتى أنه يتنبأ ، ولذلك يستحق العقاب . وعندئذ يقرر الأمير منع الترمذى من التحدث عن الحب الإلهى، إلا أن ذلك لم يرض أعداء العالم ، ويواصلون ذمه وإلصاق التهم والافتراءات به . وبعد ذلك يخرج الحكيم الترمذى من عزلته ويتجه إلى الشعب، ويناديهم فى المساجد إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فيدرك الناس الأمور التى يطمح إليها الإمام وتشغل باله وذهنه، ويظهر بين الناس الكثير من أتباعه وتلاميذه .

وذكر الدكتور عثمان يحيى فى مقدمة كتاب الترمذى «خاتم الأولياء» لقد أدى اعتزال الترمذى الناس مدة طويلة من حياته، إلى قلة تلامذته . وأشهر تلامذته هو أبو بكر محمد بن عمر الحكيم البراك . وبناء على الاعتقادات والتخمينات فإن قبره يقع فى جارقورغان .

ويقول البحاثة المصرى الشيخ عبد الفتاح بركة، فى كتابه



ضريح الحكيم الترمذى قبل الترميم.

«الحكيم الترمذى ونظرياته فى الولاية» أنه توجد فى المصادر والمراجع أدلة تشير إلى تعرض الحكيم الترمذى للاضطهاد، وسفره إلى نيسابور فى عام ٢٨٥ للهجرة (الصفحة ٥٠).

وحسب المعلومات التى وصلتنا من الشيخ عبد الفتاح بركة، فقد ترك لنا الحكيم الترمذى ثروة علمية ودينية لا تقدر بثمن، على ما يزيد عن ٤٠٠ مجلد من المؤلفات المتعلقة بالدين، ولم يصلنا منها سوى ٥٧ صدرت فى مختلف البلدان، ويقوم الفقهاء بدراستها والبحث فيها. («الحكيم الترمذى» ـــ الشيخ عبد الغنى عبد الله / ١١ ـ ١٣).

يقول الدكتور محمد على البار فى بحث له بعنوان «الحكيم الترمذى.. حياته وآثاره»: عن الترمذى محدثًا.

لقد ظهر الإمام الحكيم الترمذى فى نيسابور كأحد الحفاظ المشهود لهم فى علم الحديث. قال الإمام الذهبى عنه: «الإمام أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر، الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف. روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق، وصالح بن عبد الله، الترمذى، ويحيى ابن موسى، وعتبة بن عبد الله المروزى، وعباد بن يعقوب الرواجنى وطبقتهم. وعنى بهذا الشأن (أى شأن الحديث) ورحل فيه. وروى عنه يحيى بن منصور القاضى، والحسن بن على، وعلماء نيسابور فإنه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين».

وأهم ما كتبه فى الحديث كتابه «نوادر الأصول فى أحاديث الرسول» قال عنه العلامة محمد بن جعفر الكتانى فى «الرسالة المستطرفة».

«ونوادر الأصول فى أحاديث الرسول: وهى ثلاثمائة أصل إلا تسعة فى نحو ثلاثة أسفار لأبى عبد الله محمد بن على بن الحسن ابن بشر، الملقب بالحكيم الترمذى، المؤذن الصوفى أحد الأوتاد الأربعة وصاحب التصانيف، المتوفى مقتولاً ببلخ سنة ٢٩٥ هـ (غير صحيح بل أكرمه أهل بلخ عند عودته الثانية إليها كما ذكر ذلك السبكى فى «طبقات الشافعية» ج/ ٢/ ٢٠ والذهبى فى «تذكرة الحفاظ» ج ٢/ ٦٤٥ وابن حجر فى «لسان الميزان» والزركلى فى «الأعلام» ج ٦/ ٢٧٢. وذكره الحكيم الترمذى نفسه فى رسالة بدو الشأن).

ثم قال الكتانى: «وفى اللسان للحافظ (أى لسان الميزان للحافظ ابن حجر) أنه عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ، لأن ابن الأنبارى ذكر أنه سمع منه سنة ٣١٨ هـ. قال الحافظ: «وعاش نحوا من تسعين سنة». وله (أى لكتاب نوادر الأصول) مختصر على قدر ثلثه وهو مطبوع (مع كتاب) قربان المتقين فى أن الصلاة قرة عين العابدين لأبى نعيم الأصفهانى».

وقد ذكر خير الدين الزركلى أن كتاب نوادر الأصول فى أحاديث الرسول مطبوع كاملاً ولعل ذلك حدث بعد وفاة السيد محمد بن جعفر الكتانى رحمهم الله جميعًا.

وللحكيم الترمذى كتاب آخر سماه «المنهيات» وقد جمع فيه كل حديث جاء فيه النهى.. وتوجد من المخطوط نسخة فى مكتبة أسعد أفندى باستانبول وأخرى فى مكتبة باريس (يأتى الكلام على هذه الكتب فيما بعد).

شيوخ الحكيم الترمذي وتلاميذه

إن أهم شيوخ الحكيم الترمذى وأكثرهم تأثيرًا في نفسه هو والده على بن الحسن بن بشر الترمذي... ثم الخضر عليه السلام كما يذكر ذلك الترمذى. حيث ظهر له الخضر عندما تخلف عن الرحلة لطلب العلم لتمريض أمه وبرها فعلمه الخضر أشياء كثيرة.

وروى الترمذى الحديث عن أبيه وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق البلخى. وصالح بن عبد الله الترمذى ويحيى بن موسى، وعتبة بن عبد الله المروزى، وعباد بن يعقوب الرواجنى والجارود بن مكعاد السلمي الترمذى، وصالح بن محمد الترمذى، وسفيان بن وكيع وعلى بن حجر السعدى وأحمد بن خضرويه وطبقتهم كما يذكر الإمام الذهبى فى كتابه «تذكرة الحفاظ».. وجملة من أخذ عنهم من أهل الحديث ١٦٠ محدثا.

وقد التقى الحكيم الترمذى بثلاثة من كبار الصوفية وأخذ عنهم وأخذوا عنه وهم أبو تراب النخشبى (من نخشب وهى نسف وتقع الآن فى جمهورية أوزبكستان السوفيتية) وأحمد بن خضرويه (من

شمـال أفغـانستـان) ويحيى بن الجـلاء. . . وقـد كـانت لـه بهم صحبة .

وأمـا تلاميـذه فعـدد كبير. . ذكـر الحـافظ الـذهبي في تذكـرة الحفاظ أن علماء نيسابور أخذوا عنه الحديث عند قدومه إليها سنة ٢٨٥ وذكر من تلاميذه يحيى بن منصور القاضي، والحسن بن على (الجوزجاني) . وأشهر تلاميذ الترمذى ستة هم؛ أحمد بن محمد ابن عيسى، والحسن بن على الجوزجاني، ومنصور بن عبد الله بن خـالد الهـروى ، وأبو بكـر محمد بن جعفـر بن الهيثم، وأبو بكـر محمـد بن عمـر الوراق الترمـذى، وأبو محمـد يحيى بن منصـور القاضي . (الحكيم الترمذى : حياته وآثاره / ٨٢ ، ٨٣).

ثناء العلماء والمؤرخين عليه :

قـال أبـو نعيم فى الحليـة : صنف التصـانيف الكثيـرة في الحـديث، وهو مستقيم الطـريق، تابع لـلأثر، يـردّ على المرجئة وغيرهم من المخالفين .

وقال ابـن حجر العسقلانى فى لسان الميزان : وبلغنى أن أبا عثمان سُئل عنه، فقال : تنبئوا عنه شرًّا من غير سبب .

وقد ردَّ ابن حجـر على ابن العديم حين وصفـه بأنه لم يكن من أهل الحديث. . . . قال ابن حجر: لعمـرى، لقد بالغ ابن العديم في ذلك، ولولا أن كـلامه يتضمن النقل عن الأئمة لما ذكـرته . ولم أقف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمة شافية .

وقال السلمى : وهو من كبـار مشايخ خراسان، ولـه التصانيف المشهور، وكتب الحديث ورواه (المنهيات / ١٥).

تأثيره فى الفكر الإسلامى :

عن ذلك يقول الدكتور محمد على البار:

يعتبـر الحكيم الترمـذى من الأفـذاذ الذيـن تميزوا إلى جـانب علمهم بالأمـور الشرعية بصفـاء النفس وقوة الحافظـة والقدرة على استنبـاط المسائل الـدقيقـة وخاصـة فى أمـور التصوف . وبمـا أن الترمذى من المتقدمين (من رجال القـرن الثالث الهجرى) فإنه قد أثر بفكـره وكتبه على من جاء بعـده من أعلام الفكـر الإسلامى من أمثال الإمام أبى حامد محمـد بن محمد الغزالي. . . ففى « كتاب الأحياء من ربع المهلكات » أثر واضح لكتـاب الترمذى « الأكياس والمغتـرين » . . وانتفع الإمام الغـزالى كـذلك بكتب الترمـذى مثل كتـابـه « الفـروق » الـذى يفـرق فيـه الحكيم التـرمـذى بين الأمـور المتشابهة ظاهرا المختلفة واقعـا مثل المداراة والمداهنة والمحاجة والمجادلة والمنـاظرة والمغالبة . كما استفاد أيضًـا من كتبه الأخرى مثل «المسـائل المكنونـة » و « بيـان العلم » و « أنواع العلـوم » و « الأعضـاء والنفس » و « بيـن الفـرق بيـان الصـدر والقلب والفـؤاد واللب» .

وتأثر الإمام ابن القيم فى كتابه الروح بكلام الترمذى الحكيم عن النفس وأقسامها . والفروق بين الأعمال التى تبدو متماثلة فى الظاهر وهى مختلفـة فى الحقيقـة . . واستمـد ابن القيـم ذلك من كتب الحكيم مثل « الفروق ومنع الترادف » و « الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » و « الأعضاء والنفس » .

وقـد أثَّر كتـابه ختم الأوليـاء فى كل من كتب بعـده عن الولاية والأولياء . ولا يعنى هذا أن كل من جاء بعده قد وافقه على آرائه تلك فمنهم من عارضها ونقدها مثل الإمام ابن تيمية فى كتاب « الرسائل والمسائل » . . ولكن هذا لا يعنى أن الترمذى لم يؤثر فى ابن تيمية وإن خالفه فى بعض ما ذهب إليه .

ولا شك أن محيى الدين بن عربى تأثـر تأثرا كبيرا بكتاب ختم الأوليـاء . . ممـا جعله يكمـل الإجابـة على الأسئلـة التى وضعهـا الترمذى ولم يجب عليها . وهو كتاب « الجواب المستقيم عما سأل عنـه التـرمذى الحكيـم » . . كما أن لابن عـربى « شـرح المسـائل الـروحانيـة فى كتاب ختم الأوليـاء » . وكلا الكتـابين مطبوعـان مع كتاب ختْم الأولياء كما قد مرَّ .

وقـد تأثـر الإمـام أبـو الحسن الشـاذلى، وابن عطـاء الله السكندرى، وإبراهيم الدسوقى، وغيرهم من الصوفية بفكر الحكيم الترمذى .

ولم يقتصر تأثير الترمذى على الفكر الصوفى فحسب لكنه كما أسلفنا ، أثر فى ابن القيم كما أخذ عنه الإمام القرطبى فى تفسير آية النور حيث نقل الإمام القرطبى ذلك التفسير عن الحكيم الترمذى (سورة النور آية ٣٥) . وكذلك نقل عنـه الإمام الشوكانى فى تفسيره «فتح القدير » وهذا كله يدل على مدى علم الحكيم الترمذى وتأثيره على أساطين الفكـر الإسلامى لعـدة قرون من الـزمان . (« الحكيم الترمذى : حياته وآثاره »/ ٨٤) .

مصنفاتــه :

ذكرت مجلة « المسلمون فى الاتحاد السوفيتى (العدد ٢ (٦٦) ١٤٠٥ هــــ ١٩٨٥ م ١٩) أن الحكيم الترمـذى ألف أكثر من ثـلاثمـائة مؤلـف ووصل إلينا حـوالى ستين منهـا . وذكـر الـزركلى (الأعلام ٦/ ٢٧٢) أن مؤلفـاته بلغت ٥٧ مصنفا . وأشهـر كتبه ما يلى :

١ ـ نوادر الأصول فى أحاديث الـرسول، وقد سبق الكلام عنه . وطبعاته كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٦) هى :

ـ استنانبول : المطبعة العامرة ١٢٩٤ هـ/ ١٨٧٧ م .

(٤٣٢ ص ، م ، ا ص ، ف ، ١١ ص ، المحتوى) .

ـ مصـورة بالأوفست، بيروت : الـناشـر، مطـابع دار صـادر، د . ت .

(٤٤٤ ص، م ، ١ ص، ف ، ١١ ص، المحتوى) .

(٢) ـ المنهيـات: جمع فيه الأحاديث النبوية التى فيها نهى، وقد سبق ذكره.

قالـت المؤلفة: النسخـة التى عنـدى ـ دراسة وتحقيـق محمد عثمان الخشت طـ مكتبة القرآن سنة ١٩٨٦ وتقع فى ٢٥٥ صفحة، والفهرس ٢٥٧ ـ ٢٦٣.

وقد ورد ذكـر هذا الكتاب تحت عنوان «المنـاهى» فى الأعلام للزركلى (٦/ ٢٧٢) ومصادر أخرى.

(٣) الرد على المعطلة: وقد رد فيه على المعطلة.. والكتاب مخطوط. وتوجد منه نسخة فى مكتبـة الإسكندرية برقم ١٤٥ فنون متنوعة.. ونسخـة الإسكندرية كما يقول الدكتـور محمد الجيوشى فى مقـدمته لكتـاب المسائل المكنـونـة للحكيم الترمـذى، ضمن مجمـوعة رسـائل وكتب للحكيم التـرمذى وتشتمل على المسـائل المكنونـة، و «تحصيل نظائر القرآن».. والمجموع قـد نسخ سنة ٥٩٣ هـ بخط محمد بن هبة الله بن أبى جراد.

هذا مـا ذكره الـدكتور محمـدعلى البار فـى بحثه المشـار إليه آنفا. وقد أورد محقق كتاب المنهيات الأستاذ محمد عثمان الخشت كتابا للحكيم الترمذى بعنوان «الرد على الرافضة» (ص ١٤) لعله كما أورده أيضًا المعجم الشامل تحت هـذا العنوان ولعله هو «الرد على المعطلة» وجاء فيه عن تحقيقه وطبعه ما يلى:

الرد على الرافضة

ـ تحقيق، أمين صبحى فرات، مجلـة شرقيات، كلية الآداب جامعة استانبول، المجـلد ٦ (١٩٦٤ م).

٢٤ ص (٢٣ ـــ ٤٦)، م، ١٣ ص (٢٣ ـــ ٣٥) بـاللغـة التركية.

(٤) المسائل المكنونة: وقد طبع بمقدمة مهمة للدكتور محمد إبراهيم الجيـوشى، طبعته دار التراث العربى، القـاهرة ١٩٨٠ م، وهو عبارة عن مقاطع من تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم وأجوبة على بعض الأسئلـة التى كانت تـرده... وتعريفات لكلمـات مثل الخشية والخـوف.. يقول: الخشيـة من العلم بالله، والخـوف من المشاهـدة: فالخشيـة ممزوجـة والمشاهـدة منصوصـة. وذلك أن المشاهدة لقاء العظمة..

وهـو منهج فلسفى صـوفى أدبى جميـل فى التفـريق بين ذلك الألفاظ المتشابهة.. وفيها مـواعظ وزواجر. وجاء عنه فى المعجم الشامل (١/ ٢٤٥) ما يلى:

ـــ تحقيق، محمـد إبـراهيم الجيـوشى القـاهـرة: دار التـراث العربى، مطابع الناشر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

(١٦٣ ص، م، ٣٧ص، ف، ٥ ص، المراجع، المحتوى).

(٥) كتاب ختم الأولياء أو ختم الولاية وهـو عمدة مؤلفاته وهو الذى أثار عليه أهل ترمذ لزعمهم أنه قال إن للأولياء خاتمًا... وإن الأولياء أفضل من بعض الأنبياء.. وأنه احتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم «يغبطهم النبيـون والشهداء» وأن التـرمذى قـال «لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم».

والواقع أن الحكيم الترمـذى برىء من هذا الاتهام الـذى تناقله الباحثون جيلاً بعد جيل دون تمحيص. فقـد ذكر الترمذى فى كتابه «ختم الأوليـاء» بصراحـة إنكـاره لهذا الـزعم حيث قـال: «حاشـا لمسلم أن يفضِّل غيـر نبى على نبى».. واعتبـر أكمل الأنبيـاء والأولياء محمد صلى الله عليه وسلم.

وكل أول من نبـه إلى بـراءة الترمـذى من هـذه التهمـة الدكتـور محمد إبراهيم الجيـوشى فى مقدمته لكتاب «المسـائل المكنونة» للحكيم الترمذى، وفى كتابه «الحكيم الترمذى آثاره وأفكاره».

وكتاب «ختم الأولياء» مطبـوع بتحقيق عثمان إسماعيل حقى (معهد الآداب الشـرقية، بيروت ١٩٦٥ م) ويضم الكتـاب رسائل أخرى ملحقة به وهى:

(أ) رسالة «بدو الشأن» للحكيم الترمذى نفسه.

(ب) كتاب الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم» وهى لمحيى الدين بن عـربى. وقد أجاب فيهـا عن أسئلة الحكيم الترمذى التى وضعها فى كتابه «ختم الأولياء».

(ج) شرح المسـائل الروحانية فى كتـاب ختم الأولياء «لمحيى الدين بن عربى أيضًا».

(٦) ملحق تـاريخى يحتـوى على نصـوص إسـلامية خـاصـة بالـولاية والنبوة ومقامـات العارفين من القرن الأول إلى القـرن التاسع للهجرة.

وهذا الكتاب الحافل يشكل ثروة هائلة فى موضوع الولاية والنبوة ومقامات العارفين.. ويتيح للبـاحث أن يعرف الآراء المختلفة فى هذا المـوضوع من القرن الأول إلى القـرن التاسع الهجـرى، وما هى إسهامات كل مفكر فى هذا الموضوع.

وقد ورد المعجم الشامل طبقات كتاب ختم الأولياء على النحو التالى: ١/ ٢٤٣، ٢٤٤):

ـ تحقيق، عثمان إسماعيل يحيى، مجلة المشرق المجلدات ٥٤، ج ٤ ـ ٥، (١٩٦٠م)، ٨٦ ص (٣٨٥ ـ ٤٧٠).

المجلد، ٥٥، ج١، سنة ١٩٦١، ٣٠ (٣ ـ ٣٢).

المجلد، ٥٥، ج٢، سنة ١٩٦١ م، ٣٣ (٢٤٥ ـ ٢٧٦).

المجلـد ٥٥، ج٤ ـــ ٥، سنـة ١٩٦١ م، ٤٠ ص (٤٦٠ ـ ٤٩٩).

المجلد ، ٥٦ ج ١ سنة ١٩٦٢ م ٤٠ ص (٥٧ ـ ٩٦).

المجلد ٥٦ ، ج ٢ ١٩٦٢ ٤٠ ص (١٧٧ ـ ٢١٦).

المجلد ٥٦ ، ج، (٤ - ٥) ١٩٦٢ م، ٧١ص (٥٤٩ ـ ٦١٩).

المجلد ٥٦، ج٦، ١٩٦٢، ١١٠ ص (٦٦٥ ـ ٧٧٤).

المجلد ٥٧، ج ١ ١٩٦٣، ١٨ ص (٣ ـ ٢٠).

ـ تحقيق، عثمان إسماعيل يحيي، بيروت: معهد الآداب الشرقية، المطبعة الكاثولكية، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

(٣٧٢ ص ، م ، ٨٥ ص + ٤ص نماذج مصورة من المخطوط، ف، ٦٨ ص، الموضوعات ، الآيات القرآنية، الآحاديث ، الأشعار، فهرس عمومي يشمل أسماء الأشخاص والقبائل والبقاع، فهرس خصوصي، يشمل المفردات الفنية والتاريخية، أسماء المذاهب والملل والنحل، فهرست الكتب والأبحاث العربية، المراجع، تصويبات).

(٦) رسالة « بدوّ الشأن » وهى ترجمة حياة الترمذى بقلمه وقد تقدم ذكرها. وطبعتها كما أوردها المعجم الشامل (١/ ٢٤٤) هى: ـ تحقيق، عثمان إسماعيل يحيي بيروت: معهد الآداب الشرقية، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

٢٠ ص (١٣ ـ ٣٢)، ملحقة بكتاب ختم الأولياء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

(٧) الفروق ومنع الترادف: وفيها يفرق الحكيم الترمذى بين الألفاظ المتشابهة فى الظاهر المختلفة فى الواقع مثل المداراة والمداهنة والمحاجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة والشجاعة والتهور. . . إلخ وهو فريد فى بابه.

(٨) علل الشريعة.

(٩) علل العبودية (ذكر الزركلى فى (الأعلام ٦/ ٢٧٢) رسالة بعنوان « العلل ».

وقد ذكر الأستاذ محمد عثمان الخشت فى مقدمة تحقيقه لكتاب المنهيات (ص ١٣) الكتب الثلاثة: علل الشريعة، وعلل العبودية، وكتاب العلل باعتبارها عناوين لكتاب واحد قال: إن الحكيم الترمذى حاول فيه تعليل الفرائض تعليلاً عقليا.

(١٠) غرس الموحدين.

(١١) الرياضة وأدب النفس، وطبعته كما أوردها المعجم الشامل (١/ ٢٤٥) هى كما يلي:

ـ تحقيق، ١ ج، آربرى وعلى حسن عبد القادر، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، مطبعة الناشر، ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م.

(١٦٨ ص، م، ٣٢ ص، ف، ٨ص ، الموضوعات، الأعلام، المواضع، التصويب).

(١٢) الكسب.

(١٣) غرر الأمور (فى الأعلام ٦ — ٢٧٢: غور بالواو).

(١٤) شرح الصلاة (قال الزركلى ٦/ ٢٧٢: لعله « الصلاة ومقاصدها »).

(١٥) الصلاة ومقاصدها. وطبعته كما أوردها المعجم الشامل.

(١/ ٢٤٥) هى كما يلي:

ـ تحقيق ، حسنى نصر زيدان، تقديم عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الكتاب العربي، مطابع الدار، ٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

(١٨٥ ص ، م ، ٩ ص، ف، ٢ ص ، الخطأ والصواب).

(١٦) بيان العلم.

(١٧) أنواع العلوم.

(١٨) الأعضاء والنفس (« الحكيم الترمذي: حياته وآثاره » / ٨٣).

(١٩) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب. قال عنها الزركلى (الأعلام ٦/ ٢٧٢): رسالة طبعت سنة ١٩٥٨ مصدرة بترجمة حسنة لمؤلفها وبأسماء ٥٧ كتابًا أو رسالة من تصنيفة وذكر المعجم الشامل (١/ ٢٤٣) طبعة وهي:

ـ تحقيق ، نقولا هير، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية الكبرى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية الكبرى (عيسى البابى الحلبى وشركاه).

(١١١ ص ، م ، ٣٠ ص، ف، ٧ ص ، الموضوعات ، فهرس الأحاديث).

(٢٠) كتاب الأكياس والمغترين بالغين فى الأعلام ٦/ ٢٧٢. ويضم هذا الكتاب عددًا من الأمثلة المصنفة وفق الحروف، ويتناول عددًا من الحيل فى المسائل الدينية، ويفضح النفاق فى مختلف أشكاله ويشهر حملة على حيل المتفيهقين (المنهيات/ ١٣ ، ١٤) (ذكر الأستاذ على محمد البجاوى فى مقدمة تحقيقة لكتاب « الأمثال من الكتاب والسّنة (ص ١١) كتاب « الأكياس والمفترين» بالفاء).

(٢١) الحج وأسراره. أورده الأستاذ الخشت فى مقدمة تحقيقه لكتاب المنهيات (ص ١٤) وجاءت طبعته فى المعجم الشامل (١/ ٢٤٣) كما يلي:

تحقيق ، حسنى نصر زيدان، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، ١٧٤ ص.

(٢٢) العقل والهـوى: ذكره الزركلي فـي (الأعلام ٦ / ٢٧٢) بهذا العنوان كما ورد كذلك أيضًا في مقدمة تحقيق كتاب المنهيات (ص ١٤). غير أن المعجم الشامل (ص ٢٤٥) أورد كتابا بعنوان «العقل» وذكر تحقيقه كما يلي:

ــ تحقيق، أحمـد صبحي فـرات، مجلـة شـرقيـات، كليـة الأداب، جامعة استانبول، المجلد ٥، ١٩٦٤ م.

٣٩ ص (٩٥ ــ ١٣٣)، م، ٢٥ ص (٩٥ ـ ١١٩)، بـاللغـة التركية.

(٢٣) تحصيل نظائر القرآن.

ـ تحقيق، حسني نصر زيدان القاهرة: مطبعة السعادة، الأول سنة ١٩٧٠ م، ١٧٤ ص (المعجم الشامل ١ / ٢٤٣).

وجاء في مقدمة تحقيق كتاب المنهيات (ص ١٤):

(٢٤) كتاب الحقوق.

(٢٥) الشفاء والعلل.

(٢٦) كيفية الصلاة.

قالت المؤلفة: عندي كتاب بعنوان:

(٢٧) معـرفة الأسـرار للحكيم التـرمـذي ـ تحقيق ودراسـة د. محمد إبراهيم الجيوشي. دار النهضة العربية ١٩٧٧، يقع في ٩٢ صفحة وثبت المراجع ٩٣، ٩٤.

وقد أورد المعجم الشامل كتبا أخرى وطبعاتها هي (١ / ٢٤٣ ـ ٢٤٥):

(٢٨) رسالة مكر النفس

ـ تحقيق، عبد الفتاح عبد الله بركة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٠، ج ٢، (نوفمبر ١٩٧٤).

٢٩ ص (١٣١ ـ ١٥٩). م، ١٨ ص.

(٢٩) مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول.

ـ ط، بيروت: مطابع دار صادر، د. ت.

(١٤٢ ص، مصورة بالأوفست، وملحقة بكتاب نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول).

(٣٠) منازل العُبّاد من العبادة أو منازل القاصدين إلى الله.

ــ تحقيق، محمد إبـراهيم الجيوشي، القـاهرة: دار النهضـة العربية، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٧ م، ٩٤ ص.

(٣١) الأمثال من الكتاب والسُّنة.

ـ تحقيق، علي محمـد البجاوي، القـاهرة: دار نهضـة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

(٢٩٥ ص، م، ١٥ ص، ف، ٢٨ ص، المـوضـوعـات، الآيـات القـرآنيـة، الأحـاديث والأخبـار الاعـلام، مـراجع التحقيق والشرح، صواب الأخطاء المطبعية).

(٣٢) عود الأمر: أضافه السبكي.

قالت المؤلفة: النسخـة التي عندي لنفس المحقق طبع مكتبة دار التراث. القاهرة. د. ن.

٣٥٢ ص، فهارس الكتاب من ٣٥٤ ـ ٣٨٧، صواب الأخطاء المطبعية ص ٣٨٨.

ويمـدنـا محقق الكتـاب الأستاذ علي محمـد البجـاوي بهـذه المعلومات عن كتاب الأمثال من الكتاب والسنة في مقدمة تحقيقه التي قال فيها:

والكتـابُ في ثـلاثـة أقسام: الأمثـال من القـرآن. الأمثـال من الأحاديث والأخبار. أمثال الحكماء.

ويدخل في هـذا القسم الأخير أمثال من عند الحكيم التـرمذي نفسه.

ومما تجدرُ الإشارة إليه هنا أن المؤلف لم يقصد الاستقصاء في واحـد من هـذه الأقسـام: بـدليل أنه تـرك كثيـرًا من أمثـال القـرآن الكريم، وأمثال الأخبار.

وفي رأيي أنه قصد إلى نماذج من هذه الأمثال فيها عظة وعبرة، وتعليم وفقه، وحكمـة ودين، وحاول دائمًـا أن يكون أثـره عظيمًا، وعظاته أشمل.

على أنه في كل ما جاء به كـان يدور في محيط القرآن الكريم، والسنـة المحمـديـة، حتى تلك الأمثـال التي رواهـا عن الحكمـاء والعلماء، والتي ساقها من عنده ـ أيدها بالآيات القرآنية والأحاديث النبويـة، ليعزز آراءه مما يـدل على إيمان صحيح ورغبـة أكيدة في محـاولـة الــوصـول إلى عقل القـارىء والأخـذ بيــده إلى الطـريق المستقيم.

وهو حين يشـرح بعض الآيات في سيـاق موضـوعه كـان يتجه أحيانا إلى تفسير صوفي فيه بعضُ الغموض.

وهـذا الكتاب فـي مجموعـة مخطـوطة من مـؤلفـات الحكيم الترمذي، وفي الصفحة الأولى منها ما يأتي:

مجموع فيه اثنا عشر كتابًا للحكيم الترمذي:

الأول ـ كتاب الصلاة ومقاصدها.

الثانـي ـ الحج وأسراره.

الثالث ــ الاحتياطات (هـو في خلوص العبـادة والاحتياط من النفس)

الرابع ـ الجمل اللازم معرفتها.

الخامس ـ الفروق ومنع الترادف ـ من أجل مصنفه.

وهو في ذكر الأفعال والأخلاق الفـاضلة وأضدادها وبيان الفرق بينهما. قال السبكي (٢ / ٢٠): ليس في بابه مثله، يفرق فيه بين

المداراة والمداهنة، والمحاجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقام، وهلم جرا.. من أمور متقاربة المعنى) وقد سبق ذكر ذلك.

السادس ـ حقيقة الآدمية، واسم الكتاب «الرياضة فى تعلق الأمر بالخالق».

السابع ـ غرس الموحدين (وهو فى بيان الصلاة والطهارة وأدائهما على وجههما).

الثامن ـ الأعضاء والنفس، وفيه تفسير آيات عظيمة.

التاسع ـ منازل العباد من العبادة.

العاشر ـ العقل والهوى ـ وهو جليل الفوائد.

الحادى عشر ـ الأمثال من الكتاب والسنة، مفيد جدًّا.

الثانى عشر ـ كتاب «المنهيات» أو «المناهى» وهو غريب فى بابه.

جميع هذه الكتب المذكورة من مصنفات الأستاذ العلامة العالم الأوحد الإمام الحكيم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى قدس الله روحه.

وفى أعلى الجانب الأيسر من هذه الصفحة تمليك غير مقروء، وتحته: تشرف بتملكه أفقر الورى صالح بن مصطفى رضى الله تعالى عنه.

وبعد المكتوب فى النسخة المغربية ما يأتى:

الشيخ الإمام الأجل أبو المكارم الحسين بن محمد بن عثمان.. والعلامة بدر الدين شمس المعرفة، تاج السنة، سراج الأمة، ناصر الحق، ناصح....

فى دار الكتب المصرية من الكتاب نسختان (فهرس المخطوطات القسم الأول، القاهرة ١٩٦١).

الأولى بخط مغربى دقيق جدا، به بعضُ الضبط، وهى مصورة بالفوتستات عن نسخة خطية محفوظة ـ بالمكتبة الأهلية ـ باريس رقم ٥٠١٨، ويظن أنها من مخطوطات القرن الخامس الهجري، ضمن مجموعة من لوحة ١٤١ ــ ١٨٤، فى كل لوحة صفحتان، ورقمها ٢١٨١٧ ب.

والنسخة الأخرى مصورة بالفوتستات أيضًا، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة رقم ١٤٧٩ ضمن مجموعة من لوحة ٤٢ ـ ٩٧، وكل لوحة بها صفحتان، وهى بخط فارسي جميل، لولا أن بها بعض كلمات غير واضحة فى التصوير، وهى قليلة على كل حال، وبها أيضا بعض الضبط الدقيق، ورقمها ٢١٨١٦ ب.

ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن هذه النسخة قد امتازت عن سابقتها بأن بها عناوين جانبية. انتفعت بها فى العناوين التى وضعتها لموضوعات الكتاب فى ثنايا السطور، مميزة بحروف غير حروف الكتاب، وهى عناوين دقيقة، فصلت موضوع الكتاب، وبينت أجزاءه، وحددت للقارىء أهدافه.

(بدار الكتب نسخة ثالثة منقولة بقلم أحد النساخ، ولكنها ـ لكثرة ما فيها من تحريف، لا تستحق أن تكون مرجعًا للتحقيق، بل لا يصح).

وأرى أن هذه العناوين من وضع كاتب النسخة، فهى غير موجودة فى النسخة المغربية السابقة أ هـ. (الأمثال من الكتاب والسنة/ ٣ـ٧، ١٢، ١٣).

وقد ذكر الأستاذ كوركيس عواد مخطوطا آخر لكتاب الأمثال من الكتاب والسُّنة فقال عنه:

نسخة فى المكتبة الوطنية بباريس، ضمن مجموعة برقم ٥٠١٨، (الورقة ١٤١ ــ ١٨٤). مكتوبة فى القرن الخامس للهجرة (= ق ١١ م). وعنها نسخة مصورة فى دار الكتب برقم ٢١٨١٧ ب. (فهرست المخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ـ ١٩٥٥، ١/ ٧٨). (أقدم المخطوطات/ ٩٢).

ومن طريف ما ذكره الشيخ عبد الغنى عبد الله فى بحثه الذى نقلناه فى بداية هذه المادة ما قيل عن لقب «الحكيم» الذى لقب به الترمذى فقال:

والآن إليكم عدة كلمات عن سبب تلقيب الإمام الترمذى بـ«الحكيم» الى اسمه. ان البعض يفهم هذه الإضافة كدكتور أو طبيب. وبناء على ذلك لا يعتبرونه عالم دين بل طبيبا بارعا. طبعا، ثمة علاقة بينهما مفهوم مشترك. إذا عدنا إلى كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل وجد فى فصل «بقراط» أن الطبيب هو الإنسان الشريف النزيه خلقيا وفكريا، الطيب، الرؤوف، الأنيق فى ملبسه، الجميل المظهر، الملم بعمله ومهنته إلمامًا تاما، والحكيم (هو الشديد الذكاء والحاضر البديهة): الذى يقدر كل الظروف والأوضاع، ويفهم كل شيء (الصفحة ١٧).

وهكذا نرى أن كلمة «حكيم» أكثر شمولية من «طبيب» وتعنى المتخصص فى كافة ميادين العلوم والمعرفة. وبهذا الصدد، كان المرحوم شيخ جامع الأزهر، عبد الحليم محمود، قد كتب فى مقالة له، ذكر فيها أن ابن سينا كان يدرج ضمن كلمة «الحكيم» معنى إضافيا وهو الملم والمتعمق فى ميادين الفلك والرياضيات والطب والفقه والأدب. (كتاب «التفكير الفلسفى فى الإسلام»، (المجلد ٢ ـ الصفحة ـ ١٠). ويقول الحكيم الترمذى فى كتابه «نظائر القرآن» (الصفحة: ١٦٨): «الحكيم هو من بلغ جوهر العلوم الباطنية».

مواطننا العظيم مؤلف كتاب « مفاتيح الغيب » فى خمسة عشر مجلدا فخر الدين الرازي، يقول: « إن الحكيم مشتق من كلمة «الحكمة » وينوّه إلى القصد والعلم أو الثواب. رجال التصوف كذلك يفسرون الحكيم ويؤكدون أن الحكمة أعلى قدرا من المعرفة ويسمى الرجل المتعمق فى العلوم حكيما، والمعرفة لا تحصل إلا بعد الكد المديد والحرمان من ملذات الدنيا » وكما يقول الدكتور عثمان بن يحيى إن الترمذى لقب بـ « الحكيم » لأنه بلغ فى التصوف كافة تفاصيل ميزات الانسان و طبيعته، (المقدمة، الصفحة: ٤).

وعلاوة على الإمام الترمذى نال لقب « الحكيم » عدد من علماء ما وراء النهر، نذكر منهم: محمد بن عمر الحكيم البراك، عبد القاسم بن محمد الحكيم السمرقندى وغيرهما.

لقب الترمذى بألقاب أخرى، مثل: المحدث، الحافظ، الزاهد، الإمام. وجاء ذكر ذلك فى كتابه: « بيان الكسب » الذى يتعرض فيه إلى مواضع المهن والحرف و « كتاب الفروق » ـ عن الناس البسطاء و « كتاب علم الأولياء » و « كتاب آداب النفس».

وكان الحكيم الترمذى يلقب أيضًا بـ « المؤذن » ويؤكده ما جاء فى كتابه « نوادر الأصول فى أخبار الرسول » الذى تحفظ مخطوطته فى مكتبة الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان.

ويختم الشيخ عبد الغنى عبد الله بحثه بقوله عن ضريح الإمام الحكيم الترمذى ومدينة ترمذ:

يقع مرقد الإمام الجليل فى مدينة ترمذ القديمة، وعلى ضفة نهر آمودريا، حيث جرت أعمال تجديدية تحت إشراف الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى و قازاقستان.

فى الوقت الحاضر (عام ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م) أعلنت مدينة ترمذ مدينة مفتوحة (حتى الآن كانت المدينة ممنوعة الدخول لوقوعها على الحدود) و غدا بإمكان كل زائر القيام بزيارة ضريح هذا العالم العبقرى (« الحكيم الترمذى » ـ الشيخ عبد الغنى عبد الله / ١٣).

وقد جاء فى مجلة « المسلمون » فى الشرق السوفياتى (العدد ٢) عن ضريح الحكيم الترمذى ما يأتي:

اشتهر نهر آسيا الوسطى العظيم « امودريا » فى القديم باسم «الجيحون » أى الهائج والعنيف. لعله سمى بهذا الاسم لجموحه وتغير مجراه على الدوام مدمرا كل ما يلقاه فى الطريق. ويظهر أن المعماريين لاحظوا هذه العادة للنهر حينما بنوا على شاطئه قرب مدينة ترمذ ضريحا لأبى عبد الله محمد الترمذى الشهير بالحكيم الترمذي.

ورغم جموحه تلطف النهر بهذا الاثر التأريخى للفن المعمارى الإسلامى ولكن مرور الزمن كان، أقل لطفا بالنسبة له ولم يبق فى أيامنا هذه من المظهر الأصلى للضريح إلا قليل. واستطاع المعماريون الأوزبيكون إحياء ذخيرة الفن المعمارى الإسلامى التى كادت أن تفقد إلى الأبد بين الخرابات. لقد رفع أحفاد المعماريين القدماء الجدران والقبب سنتيمترا بعد سنتيمتر. ولا بد من التأكيد على أن المعماريين الشعبيين استخدموا نفس المواد البنائية التى استخدمها أجدادهم. وأخيرا أتموا حديثا عملهم الشاق والدقيق بنجاح ولمع ضريح الحكيم الترمذى بلمعان جماله الأصلى. ويلفت هذا الأثر المعمارى أنظار الزوار ليس لوجود قبر أحد الشخصيات الموقرة لدى المسلمين فحسب بل لأنه يلفت أنظارهم بجماله وتنسيق الأشكال المعمارية والزخارف الرائعة وبطراوة القباب الزرقاء والنقوش وبطراز خاص، وهذه كلها لا يمكن مشاهدتها فى غير هذا المكان (المسلمون فى الشرق السوفياتى. العدد ٢ / ١٩).

(الأعلام للزركلى ٦ / ٢٧٢ و « الحكيم الترمذى » ـ الشيخ عبد الغنى عبد الله. المسلمون فى الشرق السوفياتى. العدد الرابع (٨٨) ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م / ١١ ـ ١٣، و « الحكيم الترمذي: حياته وآثاره » ـ د. محمد على البار، الفيصل. العدد (١٥٨) شعبان ١٤١٠ هـ. مارس ١٩٩٠م، السنة الرابعة عشرة / ٨٢ ـ ٨٤، والمنهيات للحكيم الترمذى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٥، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ـ جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية ١ / ٢٤٣ ـ ٢٤٦، والأمثال من الكتاب والسُّنة للحكيم الترمذى ـ تحقيق على محمد البجاوى / ٣ ـ ٧، ١٢، ١٣ وأقدم المخطوطات فى مكتبات العالم ـ كوركيس عواد / ٩٢، والمسلمون فى الشرق السوفياتي. العدد ٢ (٦٦) ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ / ١٩. انظر أيضًا مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٧٠٤، ومعرفة الأسرار للترمذى الحكيم ـ تحقيق ودراسة. د. محمد إبراهيم الجيوشى / ٧ ـ ٣٣) وطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السُّلمى ـ يَسّره ورتبه أحمد الشرباصى / ٥١، ٥٢، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ٧٨، ٧٩، والرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى / ٣٨).

انظر مادة « الترمذى » فى م ٩ / ٣٠٨، ٣٠٩، ومادة الترمذى (أبو عيسى) فى ٩ / ٣٠٩ ـ ٣١٢.

*** الحكيم جل جلاله:**

الاسم السابع والأربعون من أسماء الله الحسنى (انظر هذه المادة فى م ٤ / ٤٧١ ـ ٤٨١).

وقد ورد اسم « الحكيم جل جلاله » فى القرآن الكريم ثمان

وثلاثين مرة: فى البقرة مرتين، وآل عمران أربع مرات. وفى المائدة مرة، وفى الأنعام مرتين، وفى يوسف مرتين، وفى إبراهيم مرة، وفى النحل مرة، وفى النمل مرة، وفى العنكبوت مرتين، وفى الروم مرة، وفى لقمان مرة، وفى سبأ مرتين، وفى فاطر مرة، وفى الزمر مرة، وفى غافر مرة، وفى الشورى مرة، وفى الزخرف مرة، وفى الجاثية مرتين، وفى الذاريات مرة، وفى الحديد مرة، وفى الحشر مرتين، وفى الممتحنة مرة وفى الصف مرة، وفى الجمعة مرتين، وفى التغابن مرة، وفى التحريم مرة، وفى الحاقة مرة.

ويفسر حجة الإسلام الغزالى اسم «الحكيم» فيقول: الحكيم: ذو الحكمة.

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والله هو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجلَّ الأشياء بأجلّ العلوم؛ إذ أجل العلوم هو العلم الأزلى الدائم الذى لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا تتطرق إليها خفاء وشبهة. ولا يتصف بذلك إلا علم الله تعالى. وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها: حكيم. وكمال ذلك أيضًا ليس إلا الله تعالى.. فهو الحكيم الحق.

تنبيه: من عرف جميع الأشياء، ولم يعرف الله تعالى، لم يستحق أن يسمى حكيمًا، لأنه لا يعرف أجل الأشياء وأفضلها. والحكمة أجل العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجل من الله.

ومن عرف الله فهو حكيم، وإن كان ضعيف الفطنة فى سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان، قاصر البيان فيها.

إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته به إلى معرفة الله بذاته، وشتان بين المعرفتين، فشتان بين الحكمتين. ولكنه مع بعده عنه، فهو أنفس المعارف، وأكثرها خيرًا.. ومن أوتى الحكمة، فقد أوتى خيرًا كثيرًا.

نعم من عرف الله كان كلامه مخالفًا لكلام غيره؛ فإنه قلما يتعرض للجزئيات، بل يكون كلامه كليًا. ولا يتعرض لمصالح العاجلة، بل يتعرض لما ينفع فى العاقبة. ولما كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم، ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل الكلمات الكلية، ويقال للناطق بها: حكيم.

وذلك مثل قول سيد الأنبياء صلوات الله عليهم:

«رأس الحكمة مخافة الله» (أخرجه الحكيم وابن لال عن ابن مسعود. وقال السيوطى: حديث صحيح.

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» (رواه عن شداد بن أوس: أحمد فى مسنده، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم فى مستدركه: قال السيوطى: حديث صحيح).

«ما قل وكفى خير مماكثر وألهى» (رواه أبو يعلى فى مسنده، والضياء، كلاهما عن أبى سعيد قال السيوطى: حديث صحيح).

«من أصبح معافى فى بدنه، آمنا فى سرْبه، عنده قوت يومه - فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه البخارى فى الأدب، والترمذي، وابن ماجه، كلهم عن عبد الله بن محصن. قال السيوطي: حديث حسن).

«كن ورعًا تكن أعبد الناس» (تمامة: «... وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن محاورة من حاورك تكن مسلما، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب». أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة، قال السيوطى: حديث ضعيف)

«البلاء موكلٌ بالمنطق» (رواه الخطيب فى التاريخ عن ابن مسعود، وابن السمعانى فى تاريخه عن على، والقضاعى عن حذيفة: وهناك رواية بلفظ «البلاء موكل بالقول» لابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة عن الحسن مرسلاً، وللبيهقى فى شعب الإيمان عن الحسن عن أنس وأخرى عن أبى الدرداء، وللخطيب فى التاريخ عن أبى الدرداء أيضًا).

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (رواه الترمذى وقال: غريب، وابن ماجه، من حديث أبى هريرة).

«السعيد من وعظ بغيره» (أخرجه الديلى).

«الصمت حكمة وقليل فاعله» (رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف، والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ: «حكم» بدل «حكمة»، وقال: غلط فيه عثمان بن سعد، والصحيح رواية ثابت قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قاله. ورواه كذلك هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس.).

«القناعة مال لا ينفد» (أخرجه القضاعى عن أنس، قال السيوطى: حديث ضعيف).

«الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله» (أخرجه الخطيب فى التاريخ، وأبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى شعب الإيمان، كلهم عن ابن مسعود. قال العراقي: بسند حسن.).

فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة، وصاحبها يسمى حكيما (المقصد الأسنى/ ١٠٧، ١٠٨).

أما الإمام الفخر الرازى فيفسر اسم «الحكيم» على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿العزيز الحكيم﴾ [البقرة: ١٢٩] وقال: ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨]. وقد ذكرنا اشتقاق لفظ الحكمة فى تفسير الحكيم، فنقول، فى الحكيم وجوه.

الأول: أنه فعيل بمعنى مفعل، كأليم بمعنى مؤلم، ومعنى الإحكام فى حق الله تعالى فيخلق الأشياء، هو إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها، إذ ليس ذلك فى كل الخليقة، ففيها ما لا يوصف بوثاقة البنية كالبقة والنملة وغيرها، إلا أن آثار التدبير فيها ـ وجهات الدلالات فيها على قدرة الصانع وقدرته، وكذا هذا فى قوله تعالى ﴿ الذى أحسن كل شيء خلقه ﴾ [السجدة : ٧] ليس المراد منه الحسن الرائق فى المنظر. فإن ذلك مفقود فى القرد والخنزير، وإنما المراد منه حسن التدبير فى وضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [الفرقان : ٢] .

والثاني: أن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم، فالحكيم بمعنى العليم .

الثالث: الحكمة عبارة عن كونه مقدسا عن فعل ما لا ينبغي، قال تعالى: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ [ص:٢٧].

قالت المعتزلة : إذا كان كل القبائح والمنكرات إيجاده وإرادته، فأين الحكمة؟ .

قلنا: الباطل هو التصرف فى ملك الغير، فمن تصرف فى ملك نفسه فأى فعل فعله كان حكمة وصوابا .

أما حظ العبد: فقالوا: الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، والعبد وإن كان قليل الحظ من العلوم ومن القدر ، فتلك العلة إنما تظهر بالنسبة إلى علم الله، وقدرته وبالنسبة إلى علم الملائكة وقدرتهم، إلا أن الذى حصل منه البشر فهو عظيم الخطر، الذى يدل عليه أن الله عظمه ، فقال: ﴿ ومن يُؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثير ﴾ [البقرة : ٢٦٠] وطلب إبراهيم عليه السلام ذلك، فقال: ﴿ رب هب لى حكما ﴾ [الشعراء: ٨٣] ومدح الله داود عليه السلام به، فقال: ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ [ص : ٢٠] قالت الحكماء. الحكمة هو العلم.

والعلم إما أن يكون علما بما لا يكون وجوده باختيارنا وفعلنا، وهو الحكمة النظرية، أو بما يكون وجوده باختيارنا وفعلنا، وهو الحكمة العملية، أما الحكمة النظرية فهى إما أن تكون وسيلة أو مقصودة بالذات، أما الوسيلة فهى علم المنطق، وحاصله يرجع إلى إعداد الآلات التى بها يتمكن الإنسان من اقتناص التصورات، والتصديقات المحمولة على وجه لا يقع فى الغلط إلا نادرا .

وأما المقصود فاعلم: أن الأشياء على ثلاثة أقسام: إما أن يجب كونها فى مادة، أو يجب أن لا تكون فى مادة ، أو يجوز كلا الأمرين فيه، أما الذى يجب أن يكون فى مادة، فإما أن يجب أن يكون فى مادة معينة، والعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات مسمى بالعلم الطبيعي، وإما أن لا يجب أن يكون فى مادة معينة، بل كان يجب أن يكون فى مادة ما، فالعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات يسمى بالعلم الرياضي .

وأما القسم الثاني: وهو الذى يجب أن لا يكون فى المادة أصلا، فالعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات هو المسمى بالعلم الإلهى .

وأما القسم الثالث: وهو الذى قد يكون فى مادة، وقد لا يكون، فالعلم الباحث عن هذا القسم هو المسمى بالعلم الكلى، وهو كالعلم بالوحدة، والكثرة، والعلية، والمعلولية، والتمام والنقصان، فهذا مجموع أقسام الحكمة النظرية .

أما الحكمة: العملية فهى إما أن تكون بحثا عن أحوال نفس الإنسان مع بدنه الخاص به، وهذا يسمى علم الأخلاق ، أو عن أحوال نفسه مع أهل منزله وهذا يسمى علم تدبير المنزل، أو عن أحوال نفسه مع أهل العالم، وهذا يسمى علم السياسة ، فهذا هو الإشارة إلى أقسام العلوم الحكمية ، فمن عرف هذه الأقسام ثم عمل بقوانين العلوم العملية كان حكيما مطلقا .

أما المشايخ فقالوا: الحكيم هو الذى يكون مصيبا فى التقدير، ومحسنا فى التدبير ، وقيل : الحكيم الذى ليس له أغراض، ولا على فعله اعتراض .

(شرح أسماء الله الحسنى / ٢٧٩ ـ ٢٨٢) .

ومما أورده الشيخ أحمد عبد الجواد:

(الحكيم جل جلاله : ومعناه أنه واسع العلم وعلمه أزلى بما كان ويكون، خبير بكل شيء . يدبر الأمور بأحسن تقدير، ولا راد لحكمه .

وقد وصف الله نفسه بأنه عزيز حكيم، وأنه واسع حكيم، وأنه حكيم عليم، وأنه حكيم خبير ، وأنه تواب حكيم حميد، وأنه عليٌّ حكيم .

فقال الله جل جلاله: ﴿ إن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة: ٢٠٩] .

وقال الله جل جلاله: ﴿ وكان الله واسعا حكيما ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وقال الله جل جلاله: ﴿ والله عليم حكيم ﴾ [النساء : ٢٥] .

وقال الله جل جلاله: ﴿ إن ربك حكيم عليم ﴾ [الأنعام: ٨٧] .

وقال الله جل جلاله: ﴿ الٓر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] .

وقال الله جل جلاله: ﴿ وأن الله تواب حكيم ﴾ [النور : ١٠] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢].

وقال الله جل جلاله : ﴿ وإنه عليٌّ حكيم ﴾ [الشورى : ٥١].

كما وصف الله سبحانه القرآن بالحكيم لما فيه من الآيات والذكر الحكيم: فقال الله جل جلاله : ﴿ يس * والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١ ، ٢].

وأرسل الله رسوله سيدنا محمدًا ﷺ ليتلو على المؤمنين آيات ربهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأمره بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فقال الله جل جلاله : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل : ١٢٥].

فإذا تدبر العبد هذه الآيات علم أن الحكمة هبة من الله تعالى يختص بها من يخاف مقام ربه . فإذا صمت فكر ، وإذا نطق قال خيرًا وصوابًا . ولقد اصطفى الله من عباده من آتاه الحكمة .

فقال الله جل جلاله : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد ذكر الله عبده داود عليه السلام كما ذكر عبده لقمان بأن آتاهما الحكمة .

فقال الله جل جلاله أيضًا : ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ [ص : ٢٠] . وقال الله جل جلاله أيضًا : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ﴾ [لقمان: ١٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « رأس الحكمة مخافة الله » (رواه الحكيم وابن بلال عن ابن مسعود رضى الله عنه) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصمت حكم وقليل فاعله » (رواه القضاعى عن أنس رضى الله عنه) .

وقال رسول الله ﷺ « الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به » (رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس رضى الله عنه) .

وحظ العبد من اسم ربه « الحكيم جل جلاله » أن يتخلق بخوف الله ليزداد علما وخبرة من الكتاب الحكيم وهدى رسوله ﷺ . وصرف الله عنه ما يخشاه من الدواهي .

وقالوا : من أكثر من ذكر الحكيم تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفهم أسرار المعانى ولطائف الإشارات ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا ، والله أعلم .

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدى محمود على — ١٢٧ ـ ١٢٩ ، والمقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ــ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٧ ، ١٠٨ ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وهو الكتاب المسمى « لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات » لشيخ الإسلام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٧٩ ـ ٢٨٢) .

* الحـل:

انظر الحلّ والعقد

*** حل الأسرار الأخيار على إعراب إظهار الأسرار:**

op.2180

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

أحد المخطوطات المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا وجاء بيانه كما يلى :

كذا كتب عنوانه وفى (هدية العارفين) « حل أسرار الأخيار فى معرب الأظهار » ولم يذكره صاحب الكشف أو صاحب الإيضاح .

تأليف : حسين بن أحمد البروسوى الرومى الشهير بزينى زاده المتوفى سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م .

يبدو من خطبة الكتاب أن المؤلف كان وضع كتابًا فى إعراب «إظهار الأسرار فى النحو» لبيركلى ، ثم جعل كتابه هذا شرحًا له .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله الذى رفع داء الجهل عنا بإنزال قرآن عربى بين الهدى علينا . . . » .

آخره : « ﴿ . . . يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسل رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين . قد تم هذا الكتاب صاحب ومالك إبراهيم بن عمر (كذا) سنة ١١٩٢ هـ » .

النسخة تامة بحالة حسنة خطها نسخ معتاد.

(١٨٧) ق (٢١ × ١٥ سم) مسطرتها: (٢١ س).

بروكلمان : ٢ / ٤٤١ . ذيل بروكلمان : ٢ / ٦٥٦ . هدية العارفين : ١ / ٣٢٦ .

نسخة منه op.407

تامة بحالة عادية خطها فارسي ، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

(١٤٥) ق (٢١ × ١٣ سم) مسطرتها (٢١ س).

نسـخة أخـرى op.2118

تامة متأخرة تمت كتابتها سنة ١٢٢١ هـ خطها نسخ معتاد ولم يذكر اسم الناسخ .

(٩٣) ق القطع الصغير مسطرتها (٢٣ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢ / ١٠٨ ، ١٠٩).

*** حمل ألفاظ نخبة التفاحة فى علم المساحة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم المساحة

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقي

الرقم ١٠٤٩٢ / ٢

لأبى الرضا عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن على الدمشقى المصرى الشافعى المعروف بالكتبى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م . (عالم رياضى توفى بمكة المكرمة من تآليفه المنهج الأقرب لتصحيح موضع العقرب فى الحساب والهيئة . منظومة فى حل الأعداد وشرحها) .

الأول (حمدا لمن علم الأشياء كيفا وكما وصورها فى أشكال عديدة . . وبعد فقد سألنى من لا تسعنى مدافعة كلامه أن أحل ألفاظ نخبة التفاحة التى نظمتها فى المساحة فأجبته لحل أشكالها مصورا لأمثالها وأشكالها . .) وهو شرح لمنظومة المؤلف فى علم المساحة (كلاهما لنفس المؤلف) والتى رتبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة :

المقدمة : فى تعريف المساحة والاصطلاحات .

الفصل الأول : فى مساحة الأسطحة المستقيمة .

الفصل الثاني : فى مساحة غير المستقيمة .

الفصل الثالث : فى مساحة الأجسام .

نسخة جيدة كتبت بالمدادين الأسود والأحمر ذكر الناسخ فى صفحة العنوان أن المؤلف فرغ من الشرح سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م معتمدا على ما جاء فى آخر المخطوط حيث ذكر ما نصه (وكان الفراغ من تبييضة يوم الثلاث المبارك من شهر ذى القعدة سنة ١١٧١ من الهجرة . . .) ويعتقد أن هذا التاريخ هو تأريخ النسخة التى استنسخت عنها هذه النسخة وليس تاريخ الفراغ من الشرح لأن المؤلف توفى قبل هذا التاريخ ! .

كتب هذه النسخة أحمد بن السيد إبراهيم زكية ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م .

٤٥ ص ٥ , ٢٢ × ١٧ سم ٢١ س

معجم المؤلفين ٦ / ٨ هدية العارفين ١ / ٦١٨

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٥ ، ٥٦).

*** حلّ الخلاصة لأهل الرئاسة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحساب .

مخطوط بمكتبة المتحف العراقى .

الرقم ٨٥٥٨

لرمضان بن أبى هريرة الجزرى القادرى الذى كان حيا سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م .

الأول (أحمدك يا من أعداد نعمه لا تحصى وأشكرك يا من آحاد قسمه لا تستقصى حمدا يتضاعف به ضروب آلائك . .) .

وهو شرح وتعليق على خلاصة الحساب للعاملى رتبه الشارح على ترتيب الأصل فى مقدمة وعشرة أبواب ذكر صاحب كشف الظنون ومعجم المؤلفين أن المؤلف فرغ من تأليفها سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م .

نسخة جيدة عليها تعليقات وحواش ورسوم كتبت النسخة بالمدادين الأسود والأحمر سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م .

١٦٠ ص ٢١ × ١٥ سم ٢٥ س

معجم المؤلفين ٤ — ١٧٣ ذ. كشف ١ / ٤١٦

نسـخة اخـرى :

الرقم ١٠٥٣٤

جيدة الخط فى أولها فهرس ورد عنوان الكتاب فيها باسم «أعلى الخلاصة لأهل الرئاسة »، وذكر فى هذه النسخة أن المؤلف فرغ من تأليفها سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م ، كتبها سعد الدين النائب فى مدينة الموصل سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م .

٢٦٨ ص ٢١ × ٥ , ١٦ سم ٢٢ س

نسخـة أخـرى :

الرقم ٧٨١٤

نسخة جيدة كتب النص الأصلى بالمداد الأحمر والشرح بالمداد الأسود ورد عنوان الكتاب فى هذه النسخة « بأعلى الخلاصة لأهل الرئاسة » وذكر فى آخرها أن المؤلف فرغ من تأليفها سنة ١٠٧٦ هـ / ١٦٦٥ م .

عليها مقابلة كتبها عبد القادر سوربزه سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م .

١٤٤ ص ٢١ × ١٧ سم ١٨ س

نسخـة اخـرى :

الرقم : ٣٠٦٥١

جيدة الخط كتبها على بن طه الكليرمانى سنة ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م .

١٥٢ ص ٢١×٥ , ١٥ سم ٢١ س

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٣ ، ٥٤).

*** حل الرمز فى وقف حمزة وهشام على الهمز :**

للشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الكركى المقرئ المتوفى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة (كشف ١ / ٦٨٦) .

*** حل الرموز وفتح أقفال الكنوز :**

لأبى القاسم أحمد بن محمد العراقى وهو رسالة فى أقلام الأوائل الذين لغزوا بها علومهم وأسرارهم فى كنوزهم

(كشف الظنون ١ / ٦٨٦) .

*** حل الرموز وكشف الكنوز :**

فى التصوف للشيخ عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسى الشافعى المتوفى سنة ٩٧٨ ، وهو مختصر أوله : . . . الحمد لله الذى فتح . . . إلخ

(كشف الظنون ١ / ٦٨٦) .

*** حل الرموز ومفاتيح الكنوز :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الرقم : ٧٥٤١

ــ كتاب فى التصوف ضمنه الكثير من الفصول ، منها فى السماع والشطح وعن الحلاج وغيره .

المؤلف : عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى المتوفى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م .

أوله : الحمد لله الذى فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب ، ورفع حجب السرائر ، وجلا أبصار البصائر ، فظهر ما هو محجوب ، وجلا عرائس الوجود فى مرآة الشهود . . . .

آخره قصيدة مطلعها :

ذهب الرجال وجال دون مجالهم

قوم من الأوباش والأنذال

آخرها :

لا ينظرون إلى سوى محبوبهم

شغلا به عن سائر الأحوال

واخيبة الآمال إن أقصيتني

عن بابهم واخيبة الآمال

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة مراجعة وقديمة .

وتوجد نسخ أخرى أرقامها هى على التوالي : ٥٢٥٣ ، ٧٨٤٥ ، ٩٦٥٣ (اسم الناسخ : محمد بن محمد بن عمر العمرى ، تاريخ النسخ : الخميس ١٥ صفر سنة ٨٦٣ هـ) ، ١٣٤٢ (نسخة مراجعة من وقف الوزير سليمان باشا العظيم محافظ الشام تاريخه ١١٥٠ هـ) ٨٨٤٦ (اسم الناسخ : المجموع بخط حسين درويش بن أحمد المعراوى ، تاريخ النسخ : ربيع الثانى سنة ١٢٦٧ هـ) ، ٣٩٣٣ ، ٥٩٠٠ (اسم الناسخ : محمد بن قمر الحنفى ، تاريخ النسخ : سنة ١٠٠٨ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة بآخرها قصيدة للإمام الغزالى من ١٣ بيتًا مطلعها :

قل لاخوان رأونى ميتا

فبكونى ورثونى حزنا

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١ / ٦٨٦ ، بروكلمان ١ / ٤٥٠ بروكلمان الذيل ١ / ٦٧٨ معجم المطبوعات ١٦٥ ، إيضاح المكنون ١ / ٤١٦ مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٢٣ ، شذرات الذهب ٥ / ٣٦٢

طبعة الكتاب : ١ - بالمطبعة اليوسفية بطنطا تحت اسم : زبد خلاصة التصوف ونسب خطأ للعز بن عبد السلام السلمى بـ ٩٢ ص بلا تاريخ ٢ - وطبع بمطبعة جريدة الإسلام سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م بـ ٨٦ ص .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٨٥

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٧١ ــ ٤٧٥) .

قالت المؤلفة : أدرجه صاحب كشف الظنون (١ / ٦٨٦) تحت عنوان « حل الرموز وكشف الكنوز » . وفيه وفاته سنة ٩٧٨ ، وكذلك فى إيضاح المكنون (١ / ٤١٦) . وقد أدرج الزركلى (٣/ ٣٥٥) المؤلف تحت عنوان « ابن غانم » وفيه وفاته كما فى بيان هذا المخطوط سنة ٦٧٨ هـ .

حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

للشيخ علاء الدين على دده البسنوى الخلوتى النورى ، وهو مختصر مشتمل على ثلثمائة وستين سؤالاً كل ثلاثين فى موقع ، فيكون اثنا عشر موقعًا على عدة الشهور . ألفه فى حرم مكة المكرمة شرفها الله سبحانه وتعالى سنة ١٠٠١ إحدى وألف ، ويقال له «أسئلة الحكم»

(كشف الظنون ١ / ٦٨٦) .

*** حل زريج ألـغ بيك :**

من مخطوطات الفلك والتنجيم فى المتحف العراقى

الرقم ١٠٢٧٦ .

لم يعلم المؤلف .

ويتضمن جداول فلكيـة تبدأ بجـداول حركـة الشمس وجداول تعديل الكـواكب وتسهيل تعديلهـا ولعل هذا الكتاب للمـولى عبد العلى بن محمـد البـرجنـدى وضعـه لحل زيج ألغ بيك محمـد بن شاهرخ بن تيمـور كوركان المتوفى سنـة ٨٥٣ هـ/ ١٤٥٠ م والذى سمى بحل الزيج الجديد السلطاني .

نسخة جيدة كتبت على ورق أصفر بـالمدادين الأحمر والأسود ترقى للقرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي .

الذريعة ٧/ ٦٨ ، ١٣/ ٣٠٩ .

(فهـرس مخطـوطـات الفلك والتنجيم فى مكتبـة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس — ٦٦) .

*** حل شكوك الرازى على جالينوس :**

(كذا ورد اسم الكتاب فى طبقات الأطباء، والذى على صفحة العنوان: البيان والتبين فى الانتصار لجالينوس على ما أخذ عليه فى جميع كتبه) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

من المخطـوطات المصـورة المحفوظـة بمعهد المخطـوطات العربية ، وجاء بيانه كما يلى :

لأبى العلاء زهـر بن عبد الملك بن محمد بن مـروان بن زهر ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ . (طبقات الأطباء ٢/ ٦٤ ـ ٦٦) .

أولـه : الحمـد لله الذى أتقن كل شـىء خلقه ... ولمـا كـانت صناعة الطب أجل الصنـاعات ، إذ موضوعها أجسـاد البشر ، كان اللازم على من حذق منها شيئًا أن يبذل جهده فى شرح ما استغلق ، واستنباط ما جهل ، أو رد شاك عن شكه ...

وآخره ناقص ، وآخـر الموجود منه : الأبدان التى أتـاها البحران قد استغنت عن الاستفراغ ، إذ كانت الطبيعة قد فعلت ذلك ، وإنما تحتاج إلى ذلك الأبدان لكثرة الفعل الذى لا يؤمن أن ...

نسخة كتبت بقلم نسخى .

٨٣ ورقة ٢٩ سطرًا

[جامعة مشهد ـ كلية الإلهيات ـ بدون رقم]

(فهرست المخطوطات المصورة، معهـد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتـاب الثانى . القـاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م/ ٨٣، ٨٤) .

*** حل شكوك كتاب أقليدس فى الأصول وشرح معانيه :**

تأليف الحسن بـن الحسن بن الهيثم المصـرى المتـوفى سنة ٤٣٠ .

(بروكلمان ١ : ٤٦٩ وسوتر رقم ٢٠٤) .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية .

أولـه : الحمد لله وحـده . . كل معنى تغمض حقيقتـه وتخفى بالبديهة خواصه ويشابه فى بعض أحواله غيره ... إلخ .

وآخـره : وهـذا حين يختم كتـابنا هـذا ونشكـر الله تعـالى على نعمه ...

أخرج المـؤلف فى هذا الكتاب كل ما يمكن أن يعتـرض به فى معانى كتاب أصول أقليدس، وحـل كل واحد منها بالبرهـان الذى لا شك فيه، وكشف صحة المعنى، وأضاف إلى الشكوك اختلاف الأوضاع التى تعرض للمعنى الواحد، وأضاف الأشكال التى يمكن أن تعمل بوجهين ...

نسخة بقلم معتاد من خطوط القرن السادس أو السابع فى ١٨١ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرًا ١٥ × ٢٢ سم

[مكتبة جامعة استانبول ٨٠٠ ـ ف ٨٢٨]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠/ ٤٢، ٤٣) .

*** حل الطلسم وكشف السر المبهم :**

جـاء فى إيضـاح المكنـون (٤١٧/١) : حل الطلسم وكشف السر المبهم .

من مخطـوطات الكيميـاء والصنعـة والإكسيـر والسيمياء بـدار الكتب الظـاهـريـة بـدمشـق (أو بمكتبـة الأسـد) (مجمـوع) رقمـه ٩٦٤٩ .

تأليف :

الشيخ محمـد الغمرى المتـوفى سنة : ٩٠٥ هـ/ ١٥٠٠ م.

وجـاء فـى كشف الظنـون ومعجم المـؤلفين : أحمـد بـن محمـد الغمرى .

مواضيع المخطوط :

يشتمل الكتاب على مقدمة وعدة أقسام وفصول منها :

الفصل الأول فى أن أول الـدخول إلـى هذا الطـريق هـو معرفـة المفتاح المخصوص به لفتح أقفاله ...

الفصل الثانى فى ذكر أسرار هـذا السر الكريم والحجر العظيم ومـا يحتوى عليـه من المنافـع والخواصـات والعجائب والطـلاسم والخوارق للعادات ...

القسم الثانى فى ذكر النبات وخواصه وهو العالم الثانى من العوالم الخمسة المتولدة عن عالم الطبيعة ...

القسم الثالث فى ذكر الحيوان وهو العالم الثالث ...

القسم الرابع فى ذكر الإنسان وهو العالم الرابع من المولدات الثلاثة والعوالم الخمسة وهو أعجب مما تقدم من العوالم...

القسم الخامس فى ذكر العالم العلوى وعالم الأملاك والأفلاك والخواص المتعلقة بالعالم الأكبر وعلم السموات وما يتضمنه من الحكم والتأثير من الروحانيات فى الأرصاد وهم المعدن والنبات «لأن هذا العالم محتوى على ما تقدم كله وهذا النوع يسمى بعالم الأرصاد ... » .

فاتحة المخطوط :

الحمد لله الذى خلق الأرواح والأجساد ومفرقها بعد ذلك عند الموت لحكمة أراد . ورادّها إلى يوم المعاد ... أما بعد فإنه لما رمتنى أمواج الأقدار على ساحل بحر علم الفلاسفة الأخيار وفهمت ما أومأوا إليه بخفى الرموز والإشارات لا بصريح اللفظ والعبارات ... ووضعتها فى هذه الرسالة اللطيفة وسميتها برسالة حل الطلسم وكشف السر المبهم ... لأنها صناعة توليد ومن طلب ذهبا وفضة من غير أصلها فكمن طلب أن يولد إنسانا من جمل ... لأنها تصبغ الأحجار والياقوت وفيه عمل السمومات والترياق والطب والطلاسم وغير ذلك من العجايب ... لهذا أسموه الحكماء بالزيبق الغربى عند التزويج ...

خاتمة المخطوط :

... القسم الخامس فى ذكر العالم العلوى وعالم الأملاك والأفلاك ...

... اعلم يا أخى أن للحكماء فى هذا العلم أربعة أركان ... وهى لن يظهر الإكسير إلا فى هذه الطريقة وهو تكليس الذهب والفضة ... وهو تكليس الجسد والحجر المكرم ... والركن الرابع الإلقاء وسموه بألوف الأسماء فى الرموز فلأجل هذا لم أحد يصل [لم يصل أحد] إلى هذا العلم لا من الكتب ولا من التجارب من دون المرشد الحكيم والواصل العامل بها والحمد لله رب العالمين ... وكان تصنيف هذه الرسالة فى سنة تسعة وأربعين وألف من الهجرة النبوية ... بقلم الفقير إليه تعالى محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفى وذلك فى رابع ربيع الثانى من شهور سنة ثمانية وأربعين وألف من الهجرة الشريفة الطاهرة المنيفة .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة حسنة ، حديثة الكتابة والورق ، وهى ضمن مجموع يتألف من : ١٩٤/ ورقة : ٤٨/ منها لكتابنا هذا من ورقة : ١ - ٤٨/ أطرت بالحبر الأحمر . ويتضمن المجموع أيضًا كتاب كشف السر المكتوم فى ٩ ورقات، وكتاب الرحمة الصغير لجابر فى أربع ورقات، وجمع مفيد فى الخواص فى خمس ورقات . وما تبقى من الأوراق فهو فارغ . ترك لها هامش بعرض: ٣ سم . ولها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة ، يستشهد المؤلف بصاحب الشذور ، والأستاذ جابر ، والجلدكى، وعلى شبلى الرومى، وصاحب المكتسب، والحكيم، وبيون البرهمى وغيرهم ... كتبت رؤوس الفقر والعبارات وبعض الكلمات الهامة بالحبر الأحمر . عدد أوراقها: ٤٨ بقياس: ١٩,٥ × ١٣ سم . وعدد السطور : ٢٠ سطرًا . كتبت بخط نسخى وبحبر أسود وقليل من الأحمر . جلدها كرتون مغلف بقماش أسود وتكعيبة من الجلد الأسود عليها زخارف مذهبة كتب عليها بماء الذهب اسم الكتاب واسم صاحبه محمد وجيه السيوفى .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفى : ٤ ربيع الثانى سنة ١٠٤٨ هـ .

وتوجد نسخة ثانية .

الرقم ٣٠٤ .

مواضيع المخطوط : نفس مواضيع النسخة رقم ٤٦٤٩ :

الطرق العديدة فى صناعة المعادن والأحجار وما يستخرج منها من أدوية وعقاقير وطلاسم وبنج وأكاسير وسمومات وترياقات «وغير ذلك من العجائب التى مدحها الأولون وأطنب فى وصفها المتأخرون ووصفوها فى الكتب بالرموز والألغاز والأحاجى والأمثال خوفا من الوصول إليها بخلاف سائر الطرق والسلام» .

فاتحة المخطوط :

تختلف قليلاً عن فاتحة النسخة رقم ٩٦٤٩ حيث يبدأ الكتاب بمقدمة بالحبر الأحمر : «هذا كتاب جليل فى الإكسير المعظم والحجر المكرم تأليف أفضل الوارثين وأمثل الحادثين الشيخ محمد الغمرى المصرى ألفه لختنه كما هو المسموع» ١٠٣٩ ؟ . ثم تبدأ فاتحة المخطوط بحبر أسود : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الأرواح والأجساد ومفرقها بعد ذلك عند الموت لحكمة أراد ورادها إليها فى يوم الميعاد ...

خاتمة المخطوط :

وتختلف عن النسخة رقم ٩٦٤٩ .

... وبهذا الطلسم الأعظم وصلت الحكماء إلى ما وصلت من العلوم والحكم والمعانى ... وقد تكلمنا على جميع الخواص التى وصلت إلينا وجمعناها فى عدد من الأيام والشهور وأودعناها فى هذه الرسالة بالتمام فليكن هذا آخر الكلام والحمد لله على الإتمام... تمت الرسالة الإكسيرية بقلم الفقير سمى الذبيح إسماعيل حقى

نزيل بروسه وذلك فى أوائل صفر من السنة الثالثة بعد المائة والألف من الهجـرة النبويـة عليه ألف ألف تحيـة ، وهذه كتبت فى أواخـر ربيع الثانى من السنـة التاسعة والثـلاثين بعد الألف والمـائتين سنة ١٢٣٩ فى ٢٢ .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخى جميل جدًا بالحبر الأسود ، ورؤوس الفقر بالحبر الأحمر ، ترك لها هامش بعرض ٣ سم . عليه حتى الصفحة ٣٠ كثيـر من التعليقات والشـروح بخط يختلف عن خط الناسخ ، عليها تملك باسم يـوسف نحاس الشامى اشتراه من محـروسة اسطنبـول سنة ١٢٣٥ ، لهـا تعقيبـة منتظمة فى آخـر كل ورقـة ، عــدد أوراقهـا : ٩٣ بقيـاس : ١٧,٥ × ١١ سـم . وعـدد السطور : ١٧ سطـرًا ، جلدهـا كرتـون مغلف بجلد بنى قـديم عليه زخارف مـذهبة ولـه لسان . يستشهـد المؤلف بصـاحب الشذور ، والطغرائى ، والأمير خالـد ، والحكيم وغيرهـم ... جاء فى الصفحة الأولى وصفـة قطـرة إلى العيـون وفى الصفحة الثـانيـة وصفـة عمل النقطة الخارقـة وفى الصفحة الثالثة : «عن وصف دليلـة منقولة من كتاب مغـربى من سوس الأقصـى وهو أن تقصد إلى دمشـق الشام وتسأل عن الصالحية ... جبل يقال لـه قيسون اصعد إلى رأسه تجد فيه قبة يقـال لها قبة النصر إذا دخلت فيهـا ... ادخل وخذ ما شئت من جميع المعـادن والـذهب والفضة واللـولـو واليـاقوت والمـاس والزمرد» .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

هكذا جاء فى آخر المخطوط :

«تمت الرسـالة الإكسيريـة بقلم الفقير سمى الـذبيح إسماعيل حقى نزيل بروسـه وذلك فى أوائل صفر من السنة الثالثـة بعد المائة والألف من الهجرة النبـوية عليه ألف ألف تحيـة ، وهذه كتبت فى أواخر ربيع الثانى من السنة التاسعة والثلاثين بعد الألف والمائتين ، وسنة ١٢٣٩ فى ٢٣ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

إيضاح المكنون : ١/ ٤١٧

معجم المؤلفين : ٢/ ١٤٣

فهرس الخديوية : ٥/ ٣٣٥

تاريخ الأدب العربى : بروكلمان ٢/ ١٧٠ والذيل ١/ ١٧٣ .

(فهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية . العلـوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ/ ٤٣٧ ـ ٤٤٣) .

*** حـل العقال :**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى

الرقم ٢٩٨٧٣/ ٢ .

لعبد الله بـن محمد حجازى بن عبـد القادر بن محمـد الحلبى الشهير بابن قضيب البان المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ/ ١٦٨٥ م .

(ولد فى حلب ، وولى نقـابة أشرافها ، ثم ولى قضـاء ديار بكر وعزل فأقـام بالقسطنطينية ثم عـاد إلى حلب ، ومن مؤلفـاته : نظم الأشباه ، ذيل كتاب الريحانة وغيرهما . الأعلام ٤/ ١٢٩) .

الأول : (الحمد لله جـالى ظلم الشدائد بأنوار الفـرج ، ومؤنس القلوب المكتئبـة من وحشة الضيـق والحرج ... والصـلاة والسلام على سيدنا محمد ...) .

وهو كتاب فى الحكم والأمثال والأخبـار ضمنه المؤلف قصائد ومقطوعـات نثريـة بليغة ، جمعهـا من قصائد مختلفـة ورتبها على أربعة أبواب وهى :

البـاب الأول : فيمـا ورد فى الكتـاب والسنـة من ذكــر الفـرج والشدة .

الباب الثانى : فيما جاء فى ذلك من الأمثال والحكم .

الباب الثالث : فيما روى من الأخبار والقصص .

الباب الرابع : فيما يناسب ذلك من الأشعار الرائعة .

نسخة جيدة ، ناقصة قليلاً من الآخر .

٩٦ ص .　　٢٩ × ١٦ سم　　٢٩ س .

معجم المؤلفين ٦/ ١١٥ ، هدية العارفين ١/ ٤٧٨ ، د/ كشف ١/ ٤١٧ ، فهـرس أوقاف بغـداد ٣/ ١٥ ، ششن ١/ ١٥٣ ، معجم ٢١٥ طبع .

(مخطوطـات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسـامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٢ ، ١٥٣) .

*** حل عقود الجمان فى المعانى والبيان :**

من مخطوطات علم البلاغة فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٢٧٩ .

كلاهما [العقود وحلها] لجـلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيـوطى المتـوفى سنة ٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ فـرغ منهـا سنة ٨٧٥ هـ ـ ١٤٧٠ م

أوله : (الحمد لله المنزه عن المماثلة) .

وهو شـرح للقصيدة التى نظمها فى تلخيص المفتاح وسمـاها عقود الجمان والتى مطلعها :

قـــال الفقيـــر عـــابـــد الـــرحمن
الحمــــــد لله علــى البيــــــان

كتبه : محمد بن أحمد الحكيم سنة ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨١ م

القياس ص ٣٩٠　　٢٣,٥ × ١٦ سم　　س ١٩

طبع معجم ١٠٨١　　كشف ٢/ ١١٥٥ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى / ١٢١، ١٢٢).

*** حل المسألة الهندسية الموجودة فى متن الشمسية للتفتازانى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات .

(جاء فى هامش واضع الفهرس: كذا على النسخة، والصواب أن متن الشمسية لنجم الدين الكاتبى القزوينى وعليه شرح لسعد الدين التفتازانى) .

أحد المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية .

تأليف أحمد الرمضانى بن محسن الويزوى [الوزيرى ؟] .

أوله: الحمد لمقدر الزوايا والأنظار ، ومخصص كل من الكواين بنوع من المقدار ... إلخ .

وآخره: هذا ما تيسر لنا من الكلام من توضيح هذا المقام، والله أعلم بالصواب .

نسخة بقلم معتاد من خطوط القرن الثانى عشر تقريبًا فى ٣ ورقات . ١٦ × ٢٢ سم .

[بلدية الإسكندرية ٣٠١٨ ج - ف ٣٠٩]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٣ الرياضيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠/ ٤٣) .

*** حل مشكلات كتاب الإشارات والتنبيهات :**

قالت المؤلفة : أدرج هذا المخطوط فى فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا فى قسمين . القسم الأول الفقه، برقم تسلسلى ٦ (ص: ١٢٨) وجاء بيانه كما يلى:

لناصر الدين الطوسى (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م).

مطبوع انظر معجم سركيس / ١٢٥١، ثم طبع فى القاهرة ١٩٦٠ م بتحقيق الدكتور سليمان دنيا .

خط النسخ السلجوقى . على الكلمات مثل «إشارة» تنبيه، قوله «خطوط بالذهب» البداية ناقصة .

أوله : ... يقتضى إيضاحه مما هو مبنى على مبانيه وقواعده...

آخره : بعد أن ينظر فيه يقين الرضا وتجنب طريق العناد والله ولى السداد والرشاد منه المبدأ والمعاد ...

وكان قد فرغ المصنف من تتميم هذا الشرح وتسويده فى أواسط صفر لسنة أربع وأربعين وستمائة حامدًا لله ومصليا وداعيا مستغفرًا وبهذه العبارة مكتوب فى آخر نسخة المصنف اتفق الفراغ من كتابة هذا الكتاب بفراغه على يدى ... أحمد بن محمد بن عمر الملقب بعمر السمرقندى فى أواسط جمادى الأولى لسنة إحدى وستين وستمائة فى مدرسة الخليفة «بخط آخر يعود إلى العصر السلجوقى : بادرسمان أصلح الله شأن سكانها فى الدارين بفضله وكرمه (٤٠) .

مقياس المجلد: ٢٥,٥ × ١٧ .

مقياس الكتابة : ١٧ × ١٢ .

عدد الأوراق: ٢٢٤ .

عدد الأسطر : ١ .

رقمه فى الخزانة : ٥٢٣٧ .

رقم المجلد : ٩٤٢ .

أما القسم الثانى الذى أدرج فيه المخطوط فهو التصوف والأخلاق الدينية ، برقم تسلسلى ١٦ (ص ١٨٣ ، ١٨٤) وجاء بيانه كما يلى ، مع ملاحظة أن اسم المؤلف هنا كتب «نصير الدين» :

لنصير الدين الطوسى (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م) .

انظر معجم المؤلفين ١١/ ٢٠٧ ، بروكلمان ٢/ ٥٠٨ ، ٥١٢، وذيله ٢/ ٩٢٤، ٩٣٣، طبع حجر لكناو ١٢٩٣ هـ . انظر معجم سركيس ١٢٥١ .

بكتابة الورقة الأولى وإضافتها بعد ذلك أكمل الكتاب، الورقتان بعد (٢٦ ب) كتبتا على ورق جديد وأعطيتا رقم (٢٧ و٢٨) نصف الورقة الأولى مقطوع . وهذه الأوراق بيضاء . فى نهاية (٣٦ ب) هناك كاشفة «واحد» . الورقة (٣٩) تبدأ بـ «عند الطائفة» وفيها قليل من النقص . (٢٤ ب) مكتوبة بالعكس وبالمقارنة إلى الورقة التى قبلها فلا نقص فيها . ابتداء من الورقة (٣١٢ أ) نهايات الأوراق ممزقة . الكتاب ناقص . الخط يعود إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر ميلادى) الكلمات مثل: «إشارة ، تنبيه» وبعض الكلمات المهمة بالذهب .

هذا الكتاب شرح لكتاب ابن سينا «الإشارات» .

أوله : بسم ... الحمد لله الذى وفقنا لافتتاح المقال بتحميده...

آخره: إشارة ولعله إلى هذا الحد لسلعى عليه فواشيه ويزل هو عن سكبه ... عليه لإسعاره عن مراره فإذا طالب عليه الرياضة لم مسعره غاشيه ... حتى والسكينة والوقار واستوفر ... الخوف وما يسبه ...

مقياس الجلد: ٢١ × ١٢ .

مقياس الكتابة : ١٦,٥ × ٨,٢ .

عدد الأوراق: ٣١٥ .

عدد الأسطر : ٢٤ .

رقمه فى الخزانة : ٤٦٣١ .

رقـــم المجـلد : ٥٨٨ .

(المخطوطـات العربيـة فى مكتبة متحف «مـولانا» فى قـونيا . مـركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١٢٨/٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤) .

***حل المواضع المغلقة من وقاية الرواية :**

من مخطوطات الفقه المحفوظـة فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا وجاء بيانه كما يلى :

لعبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعـة محمود بن صدر الشريعة جمال الدين عبيد الله المحبوبى المتوفى (٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م) .

انظر الكشف ٢/ ٢٠٢١ ، وراجع ترجمـة المؤلف فى «معجم المؤلفين» ٦/ ٢٤٦ ، وتاج التراجم ٤٠ ، وأورده سركيس فى معجمه ١٢٠٠ .

إن المؤلف قد ألف كتـابه هذا بناء على طلب من (الـولد الأعز محمود) .

الكاتب ومكـان الكتابة مجهولان . طبع هذا الكتـاب فى الهند سنة ١٩١٥ م .

أوله : بعد البسملة ، الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمـد وآله الطيبين الطاهـرين يقول العبـد المتوسل إلى الله تعالى بأقوى الذريعة عبيد الله بن مسعود ابن تاج الشريعة ...

آخره : قلنا التحرى يصادر إليـه لدفع الحرج وأسواق المسلمين لا يخلو عن المسروق والمغصوب والمحـروم من ذلك يباح التناول اعتمادًا على الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الكتاب بإذن الملك الوهاب بتاريخ عشرين بعد الألف ...

مقياس المجلد : ٥ ، ٢٠ × ٥ ، ١٤٠ .

مقياس الكتابـة : ٥ ، ١٥ × ٩ .

عــــدد الأوراق : ٢٨٦ .

عــدد الأسطــر : ٢٣ .

رقمه فى الخزانة : ١٣٤٤ .

رقـــم المجـلد : ١٥٣ .

(المخطوطـات العربية فى مكتبـة متحف «مولانا» فى قـونيا ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥/ ١٢٩) .

***حل الموجز :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

من المخطـوطات المصـورة المحفـوظة بقسـم التراث العـربى بالكويت وجاء بيانه كما يلى :

المؤلف : جمـال الدين محمد بن محمـد الإقسرائى (ت ٧٧٩ هـ) .

أولـه : الحمـد لله رب العـالميـن والصـلاة على أفضل أنبيـائه محمد وآلـه أجمعين . وبعد فإن علم الطب علم شـريف ، لشرف موضوعه ، ووثـاقة دلائله وشدة الحاجة إليـه ، وفى الاشتغال به من الثـواب لأن رحمـة الله تعـالى على عبـاده والتـوسل بـه على إزاحـة نفوسهم عن الأسقام .

آخره : من شرح موجز القانـون وقد وقع الشروع فيه والإتمام فى أحوال ... كليلا والقلب عليلا والمرجو من الناظر فيه إصلاح ما وقع فيه من الخطأ أحيانا والله يجازيه بـه روحًا وريحانا إنه ولى النعم فى الدارين .

سنة النسـخ : ٨٥٢ هـ .

النـاســـخ : خالد بن محمد العولى .

عدد الأوراق : ٢١٦ ورقة .

المسطــــرة : ١٦ سطرًا .

المكتبــــة : جستر بيتى ـ ٤٢٩١ .

ملاحظـات : حل المـوجز هو شـرح على موجـز القانـون لابن النفيس الذى اختصر فيـه القانون فى الطب لابن سينـا . قال مؤلف هـذا . الكتـاب : وسميتـه (حل المـوجـز) لأنـه يحل مـا فيـه من المشكل . يوجد على النسخـة تملك باسم على بن محمد على بن أبى المعالى الطبطـبائى . طبع هذا الكتاب مع ملاحظـات هامشية فى دلهى سنة ١٨٧٠ م فى مجلدين . وطبع فى لكناو سنة ١٨٧٧ م (وهى إعـادة طبع لطبعـة دلهى) مع مـلاحظات هـامشيـة فى ٤٩٤ صفحة ـ فى ثلاثة مجلدات مع ترميم الصفحات .

انظر :

معجم المطبوعـات العربية ٤٦٢ ، مجلة معهـد المخطوطات ٥/ ٢٧٥ ، بروكلمان : الملحق الأول/ ٨٢٥ (فهـرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٧ ، ٧٨) .

كما يـوجد مخطـوطه فى مكتبـة المتحف العراقـى ، وقد أدرج تحت عنوان «الموجز فى الطب» وجاء بيانه كما يلى :

الرقم : ٣٢٤٩ .

لجمال الـدين محمد بن محمد الإقسرائى المتـوفى سنة ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م ، وقيل ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م .

الأول : «الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة على أفضل أنبيـائه محمد وآله أجمعين . وبعد فإن الطب علم شريف لشرف موضوعه ووثاقة دلائله وشدة الحاجة إليه ... » .

والموجز لابن النفيس على القانون فى الطب لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦ م .

نسخة نفيسـة كتبها عبد العلى بن محمد بن حسين البـرجندى فى صفر سنة ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩ م . عليها تملك مؤرخ سنة ١١٢٣ هـ/ ١٧١١ م . فى أولهـا فهرس وضعه عبـد الرازق الهـاشمى سنة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م . وفـى الصفحة ٣٣١ من هذه النسخـة رسم تخطيطى للعين وطبقاتها رسمت بالمداد الأحمر .

القياس ٥٨٣ ص ٢٢×١٣ سم ٢١ س .

طبعت بـالهند (معجم / ٤٦٢ ، معجم المـؤلفين ١١/ ١٩٢ ، كشف ٢/ ١٩٠٠ ، ١٣١١ ذيل بروكلمان ٢/ ٣٢٨) .

توجـد نسخة أخـرى جيدة مـؤطرة الصفحـات بمداديـن أحمر وأخضر ناقصة قليلاً من الآخر . ترقى للقرن العاشر الهجرى / القرن السادس عشر الميلادى .

الرقم : ٢٨٥٨٣ .

القياس : ٤٤٠ ص ٢٨ × ١٧ سم ٢١ س

كما تـوجد نسخـة ثالثـة كتبت بخط النستعليق فى محـرم سنة ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م . الرقم ١٠٩٩٧ .

ونسخة رابعة عليها حواش كتبها عثمان جليلى زاده سنة ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م .

وترتيب الصفحات فى هذه النسخـة مرتبك . الرقم ١٩٥٣٨ . وأخرى خامسة ناقصة الآخر جيدة الخط . الرقم ٣٢٩١٩ .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة/ ٩٤، ٩٥) .

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربى بالكويت ـ تصنيف هبة محمد الدوسرى، مراجعة د. سامى مكى العانى/ ٧٧، ٧٨، ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبـة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٩٤، ٩٥) .

*** الحل والعقد :**

من أنواع البديع اللفظى . قال صاحب تلخيص المفتاح :

وأما العقد، فهو أن ينظم نثر لا على طريق الاقتباس كقوله :

مـــا بـــــال مـن أولــــه نطفـــة

وجيفــــــة آخــــره يفخــــر

عقد قول على رضى الله عنه : وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة وآخره جيفة .

وأما الحل ، فهو أن ينثر نظم كقول بعض المغاربة : فـإنه لما قبحت فعـلاتـه، وحنظلت نخـلاته، لم يـزل سـوء الظن يقتـاده، ويصدق توهمه الذى يعتاده، حل قول أبى الطيب :

إذا سـاء فعل المـرء سـاءت ظنـونـه

وصـــدّق مـــا يعتـــاده من تـــوهم

(تلخيص المفتاح / ٧١٤) .

قــال الشيخ الأخضـرى فـى منظـومتـه التى كتبهـا على نسق «تلخيص المفتاح» :

والعقــــد نظم النثـــر لا بـــالاقتبـــاس

والحل نثـر النظم فـاعــرف القيـاس

واشتــرطــوا الشهــرة فى الكـــلام

والمنـع أصـل مـــذهـب الإمــــام

(الجوهر المكنون/ ٧٣٥) .

وفى شرح عقود الجمان للحافظ السيـوطى، وهو منظومته على تلخيص المفتاح جاء ما يلى :

[ومنــــه عقـــد نظم نـــثر لا علـى

طريــق الاقتبـاس ممـا قـد خـلا]

العقد أن ينظم نثـر قرآنا أو حـديثا أو مثـلا أو غير ذلك لا على طـريق الاقتبـاس بأن يقع تغييـر كثير ويشيـر إلى أنـه من القـرآن أو الحديث وما أظـن فى جواز ذلك خلافا فلا زالـت الأئمة عليه فمن عقد القرآن قوله كما فى الإيضاح :

أنلنى بـــالـــذى استقـــرضت حظـــا

وأشهــد معشـــرا قـــد شـــاهـــدوه

فـإن الله خــــــلاق البـــــرايــــا

عنت لجــــلال هيبتــــه الـــوجـــوه

يقـــول إذا تـــدايـنتـم بـــديـن

إلـى أجـل مسمـى فـــاكتبــــوه

قلت بهذا يعلم أن بيتى أبى منصور السـابقين عقد لا اقتباس، ومنه قول ابن النبيه فى الملك الصالح :

دميـاط طـور ونـار الحـرب مـؤنسـة

وأنت مـوسـى وهـذا اليـوم ميقـات

فـاطـرح عصـاك تلقف كل مـا صنعـوا

ولا تخف مـا حبـال القـوم حيـات

ومن عقد الحـديث قول أبى الحسـن طاهر بن معـوذ الأشبيلى ومن نسبه للشافعى فقد غلط :

عمــدة الـديـن عنـدنـا كلمــات

أربـع قـــالهـن خيـــر البـــريـــه

اتـق الشبهـــات وازهـــد ودع مـــا

ليـس يعنيك واعمـلـن بنيـــــه

عقد حـديث «إنما الأعمال بـالنيات والحـلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهمـا مشتبهات» الحـديث رواهما الشيخـان «وازهـد فى الدنيـا يحبك الله وازهـد فيمـا فى أيـدى النـاس يحبـك النـاس» رواه ابن

ماجه . «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذى وقول شيخ الإسلام أبى الفضل بن حجر :

إن من يـرحم أهل الأرض قـد
آن أن يـرحمـه من فى السمـا
فـارحم الخلق جميعـًا إنمـا
يـرحم الـرحمن منـا الـرحمـا

***

وقولـه : *من خير ما يتخذ الإنسان فى*
دنيـاه كيمـا يستقيم دينـه
قلبـا شكـورا ولسـانـا ذاكـرا
وزوجـة صـالحـة تعينـه

عقد حديث «ليتخذ أحدكم قلبا شاكرًا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة» حسنه الترمذى . ومن عقد الأثر قول أبى العتاهية :

مـا بـال من أولـه نطفـة
وجيفـة آخـره يفخـر

عقد قول على رضى الله تعالى عنه وما لابن آدم والفخر إنما أوله نطفة وآخره جيفة ، ومن عقد المثل والحكمة قول أبى الطيب :

يـراد من القلب نسيـانكم
وتأبى الطبـاع على النـاقل

عقد قول بعضهم روم نقل الطباع من ردىء الأطماع شديد الامتناع . وقول الآخر :

ألم تـر أن المـرء تـزرى يمينـه
فيقطعهـا عمـدا ليسلم سـائره

عقد قول حكيم وقد سئل لم قطعت أخاك وهو شقيقك .

قال : إنى لأقطع العضو النفيس من جسدى إذا فسد :

[وضـده الحل وتلميـح بأن
لقصـة يشيـر أو شعـر يعن
قلت كـذا قـدم ميمـا وانتقـد
وشبهـه العنـوان فـافهم مـا قصـد]

الحل ضد العقد فهو نثر النظم قال فى الإيضاح وشرط كونه مقبولاً أمران : أن يكون سبكه مختارًا لا يتقاعد عن سبك أصله وأن يكون حسن الموقع مستقرًا فى محله غير قلق كقول بعض المغاربة فإنه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده حل قول أبى الطيب :

إذا سـاء فعل المـرء سـاءت ظنـونـه
وصـدق مـا يعتـاده من تـوهم

وقال آخر : العيادة سنة مأجورة ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فنحن المرضى ونحن العواد وكل وداد لا يدوم على ذلك فليس بوداد . حل قول القائل :

إذا مـرضنـا أتينـاكم نعـودكم
وتـذنبـون فنأتيكم ونعتـذر

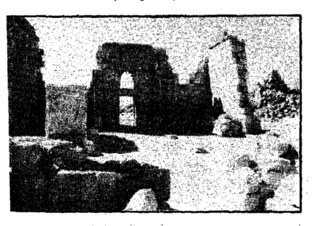
(شرح عقود الجمان / ١٧٠ ، ١٧١) .

(تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن القزوينى الخطيب المطبوع فى كتاب مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى/ ٧١٤ ، والجوهر المكنون فى الثلاثة فنون لعبد الرحمن محمد الأخضرى المطبوع فى كتاب مجموع مهمات المتون/ ٧٣٥ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى/ ١٧٠ ، ١٧١ . انظر أيضًا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٤٧) .

*** الحلابات (قصر —) :**

يقع يقع قصر الحلابات على مسافة ٢٥ كم شمال شرقى مدينة الزرقاء فى الأردن ، إلى الشمال من الطريق المعبدة التى تصل تلك المدينة بواحة الأزرق . تشير الحفريات الأثرية التى أجرتها دائرة الآثار العامة ... إلى أن القصر كان قد شيد كحصن دفاعى فى العصر الرومانى واستمر استعماله لنفس الغرض فى العصر البيزنطى لكن فى العصر الأموى ـ خلال النصف الأول من القرن الثامن ـ أعيد بناء القصر كلية وتم تزويده بزخارف غنية ومتنوعة كالملاط المدهون (الفريسكو) ، الجص المحفور ، ومكعبات الفسيفساء الملونة التى رصفت بها معظم غرف القصر . إن وجود هذه الزخارف المتنوعة تعنى بأن البناء لم يعد حصنا وأنه تحول فى العصر الأموى إلى قصر باذخ للسكن وبالتالى يمكن إضافته إلى مجموعة ما يعرف بالقصور الأموية الصحراوية . كذلك رافقت عملية إعادة بناء القصر فى العصر الأموى إضافة العديد من المنشآت والأبنية التى يمكن مشاهدتها ضمن محيط لا يزيد قطره عن كيلو مترًا والتى سنشير إليها فى الفقرات التالية .

مسجد قصر الحلابات



القصر عبارة عن بناء مربع طول ضلعه ٤٤ مترا أقيمت في زواياه أبراج مربعـة تبرز عن سمك الجـدران الجانبية بمقـدار ٢,٥٠ مترا وكانت ترتفع في الأصل ثلاث طبقات . أما في داخل القصر فتوجد مجموعة من الغرف والقاعات التي بنيت حول ساحة مكشوفة حفر فيها خـزان لجمع مياه الأمطار السـائلة من سطح الغرف الـواقعة في الجهة الشرقية ، بينما يحتل الزاوية الشمالية الغربية بناء مربع صغير طول ضلعه ١٦ مترا ويتألف بدوره من ساحة مكشوفة أقيمت حولها مجموعة من الغـرف وفي وسطها خزان آخر وفي إحـدى هذه الغرف الواقعة بمحاذاة الجدار الخـارجي الشمالي والتي تم إزالة الأنقاض والطمم منها يوجد حوض مرتفع غطيت أرضيته وجوانبه بطبقة ملساء من المونـة الكلسية يبـدو أنه كـان لعصر العنب . يـلاحظ أن البناء المربع الصغير الذي يحتل الزاوية الشمالية الغربيه من القصر مشيد بواسطة كتل مـن الحجر الجيري مشذبة بشكل بسيط وأكبر حجما من تلك المستعملة في بقية أجزاء القصـر مما حدا ببعض الباحثين إلى اعتباره أقدم أجزاء القصر وأنه كان قد شيد في بداية القرن الثاني الميلادي كبرج للمراقبة بمحاذاة طـريق تراجان التجاري الذي كان يمتد من بصرى الشـام شمالا إلى العقبة جنوبا . ونظرا لأنـه كان قد عثر في داخل القصر على نقشين إحدهمـا لاتيني يشيـر إلـى بنـاء « حصن جديد » ومـؤرخ إلى سنة ٢١٢ ـ ٢١٣م والآخر يـوناني مؤرخ إلى سنـة ٥٢٩ م فقد استنتج البعض أن النقش الـلاتيني إنما يشيـر إلى بناء القصر وابراجه المربعة المقـامة في الزوايا بينما يشير النقش اليوناني إلى تـرميم القصر وإصلاحه . بعبارة أخرى حـاول البـاحثون تمييز أربعة مراحل في بناء القصر كان آخرها في العصر الأموي حين أعيد بناء القصـر كلية . وفي هذه المرحلةالأخيرة استعملت حجارة مختلفة في البناء كالحجارة الجيرية المقطوعة بشكل منتظم وأخرى مشذبة بشكل بسيط وثـالثة تتكون من حجارة بازلتية مشـذبة ، وهذه الأخيرة تظهر بشكل خاص في بنـاء الحائط الشمالي للقصر ثم في الجدران التي تفصل بيـن الغرف والقاعـات الداخليـة وتلك المطلة على السـاحـة المكشوفة من جهـة الجنوب والجنوب الشـرقي . هنا تجدر الإشـارة إلى أنه عُثر في داخل القصـر على ما يزيـد عن مائة وخمسين نقشا : ثـلاثة منهـا نبطية وواحدة ثـمودية والبـاقي يونـانية نقشت على كتل حجـرية من البـازلت . والغالبية العظمـى من هذه النقوش اليونانيـة تشكل جزءا من مرسوم امبراطـوري كان قد أصدره الأمبـراطور البيـزنطي انستـازيـوس (٤٩١ ـ ٥١٨ م) يحتـوي على قوانين وإجراءات لإعادة التنظيم الاقتصـادي للولاية العربية . ولكن ممـا يجب الانتباه إليـه هـو أن هذه الكتـل البازلتيـة المنقـوشة قـد استعملت كمواد جـاهزة للبنـاء عندما أعيـد بناء القصـر في العصر الأموي فنقلت من أماكنها الأصلية ووضعت بين المداميك الحجرية (أحيانـا تظهر الكتـابات وقد وضعت بشكـل معكوس) ثم غطيت بطبقة سميكـة من القصارة بحيث تخفي مـا تحتها من الكتـابات . يغلب على الاحتمال ان تكون القطع البازلتية المنقوشة قد نقلت من مـوقع قريب مثل أم الجمـال أو خربـة السمرا لاستعمـالها في بنـاء القصـر إذ من المستبعـد وضع مـرسوم امبـراطـوري في حصن نـاء ومنعزل مثل قصر الحلابات .

كما ذكرنا سابقا توجد خارج القصر منشآت أخرى أهمها :

المسجد : يقـع على مسافة ١٤ متـرًا إلى الجنوب الشـرقي من القصـر وهـو بناء مستطيـل تبلغ مقاسـاتـه من الـداخل ١١,٨٠ × ١٠,٧٠ أمتار شيد بواسطة كتل من الحجارة الجيرية المشذبة التي وضعت في مداميك منتظمـة ، وهو ينقسم إلى ثـلاثة أروقة بـواسطة صفين من العقود التي تجرى موازية لجدار القبلة في كل صف ثلاثة عقود ترتكـز على أكتاف لاصقة بالجدار الشـرقي والغربي وعمودين متوسطين لم يبق منهمـا سوى القواعـد التي كانت تنتصب فـوقها . وكان يغطي كل رواق من الأروقة الثـلاثة قبو برميلي ـ أي أن طريقة التسقيف هنا تشبه تلك التي نشاهدهـا في قاعة الاستقبال في قصير عمرة وحمام الصراح .

أما الدخول إلى المسجد فكان يتم عبـر ثلاثة مداخل الرئيسي منهـا عـرضـه ١,٨٠ متـرا فتح في الجـدار الشمـالي مقـابل حنيـة المحراب . أما المدخلين الآخرين فقـد فتحا في الجدارين الشرقي والغربي حيث يعلو الأخير منهما ـ أي المدخل الغربي ـ عتبة وفوقها عقـد مفصص على جـانب من الجـاذبيـة وهـو من أقـدم النمـاذج المعروفة لمثل هذا العقد الذى شـاع فيما بعد في العمارة الإسلامية في شمـال إفريقيا وإسبـانيا . وفي وسـط الجدار الجنوبـي محراب مجوف يبرز عن سمت الجدار إلى الخارج . وكان يحيط بالمسجد من الخارج ـ باستثناء جهة القبلة ـ سقيفة ترتكز على أكتاف وضعت في الزوايا وعلى أعمدة متوسطة . هذا ويشاهد في الجزء العلوى من الجدار الغربى فتحات مربعة صغيـرة لولوج العوارض الخشبية التي كانت تحمل السقف .

قالت المؤلفـة : وصف المسجد أيضا كـريـزويـل فـي كتـابـه «الآثار الإسلامية الأولى » ص ١٤٩ ، ١٥٠ فانظره هناك إن شئت .

الخزانـات المائيـة والبركـة : هناك خمسـة خزانـات على الأقل حفرت في المنحـدر الغربي والشمالـي للتلة التي بنى فوقهـا القصر وغطيت لتخفيف نسبة تبخـر المياه المخـزونة خـلال أشهر الصيف الطويلـة . وعلى مسـافـة ١٥٠ مترا تقريبا إلى الجنوب الغـربي من القصر تشاهـد بركة مضلعة غير منتظمـة الشكل تبلغ أقصى أبعادها ٨٢ مترا طولا و ٨٠ مترا عرضا . يبـدو أن موقع البركة كان في الأصل منخفضا طبيعيـا أحيطت جوانبه بـالجدران التي شيدت بـاستعمال كتل مشذبة من الحجر الجيرى متفـاوتة الأحجام . هنا يجدر أن ننوه بأنـه عثـر في المـونـة الكلسيـة التي وضعت بين بعض المـداميك

الحجرية على كسر فخارية من العصر الأموى . إلى الشمال من البركة تمتد مجموعة من بيوت السكن المهدمة إلى حد كبير والتى كانت مخصصة لإيواء العمال والمزارعين المستخدمين من قبل صاحب القصر.

الفناء الزراعى : على مسافة ٤٠٠ متر تقريبا إلى الغرب من القصر يوجد فناء زراعى غير منتظم الشكل أحيط بجدار مبنى بكتل حجرية غشيمة ـ أى غير مشذبة ـ وتبلغ أقصى أبعاده ٢٧٠ مترا طولا و ٢٢٠ مترا عرضا وهو يضيق نحو الشمال ليتخذ شكلا قريبا من المثلث ، يلاحظ أن الفناء الزارعى قد قسم إلى أحواض مستطيلة و أقيمت فيه على مسافات منتظمة وفي نقاط محددة بوابات للتحكم بتصريف المياه ورى الأحواض . وهذه البوابات تتألف بشكل عام من جدارين يمتدان بزاوية مائلة تبلغ مقدارها حوالى ٤٥° وضعت عند نقطة التقائهما كتلة حجرية مستطيلة تتخللها فتحة يمكن إغلاقها وفتحها حسب الحاجة . وفى وسط الفناء أقيم سد يتألف من تلّتين من الطمم الترابى تضيق المساحة المحصورة بينهما باتجاه الشمال ، وبمحاذاة السد من جهة الشرق ترك حوض عميق نسبيا يحده من الجنوب جدار سميك مبنى بواسطة كتل حجرية مشذبة ومن الواضح أن كلا من السد والحوض كانا قد خصصا لتجميع المياه الزائدة عن رى الأحواض الواقعة فى النصف الجنوبى من الفناء كذلك من الواضح أن مثل هذا الفناء الذى كلف الكثر من الجهد والمال لاستصلاحه وتجهيزه كان مخصصا لزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والعنب حيث عثر فى إحدى غرف القصر ـ كما ذكرنا ـ على حوض لعصر العنب .

(القصور الصحراوية ـ رامى جورج خورى ترجمه إلى العربية د. غازى بيشه . الكتبى ناشرون . عمان الأردن ١٩٨٨ / ٢٠ ـ ٢٣ . انظر أيضا الآثار الإسلامية الأولى ـ ك . كريزويل . نقله إلى العربية عبد الهادى عبله . استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٤٩ ، ١٥٠) .

*** الحلاج (٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م)**

أدرجه الإمام عبد الرحمن السُّلمى فى الطبقة الثالثة من الصوفية وأورد الكثير من كلامه وقال عنه : هو الحسين بن منصور الحلاج ، أبو مغيث ، من كبار مشايخ الصوفية . صحب الجنيد ، وأبا الحسين النورى ، وعمرا المكى ، والفوطى ، وغيرهم . والمشايخ فى أمره مختلفون . رده أكثر المشايخ ونفوه ، وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف ... وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء ، وأبو عبد الله محمد بن خفيف ، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى ، وأثنوا عليه ، وصححوا له حاله ، وحكوا عنه كلامه ، وجعلوه أحد المحققين ، حتى قال محمد بن خفيف : « الحسين بن منصور عالم ربانى » .

قتل ببغداد بباب الطاق ، يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة ، سنة تسع وثلاثمائة (طبقات الصوفية / ٧٤) .

ويعد الحلاج تارة فى كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة فى زمرة الملحدين . أصله من بيضاء فارس ، ونشأ بواسط بالعراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة ، وحجَّ ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر . وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ فاتبع بعض الناس طريقته فى التوحيد والإيمان . ثم كان يتنقل فى البلدان وينشر طريقته سرا وكان يدعى الألوهية فيه ، وشاعت حوله الأساطير والمخاريق ، حتى افتتن الناس فيه ، واتهم بالكفر والخروج على الدين لقوله بالاستعاضة عن بعض الشعائر ، وبإمكان حلول « اللاهوت » فى « الناسوت » « أى الروح الناطقة بروح الزاهد المخلوقة . حاول التوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية على أساس التجربة الصوفية . أمر بقتله المقتدر العباسى وصلبه بعد محاكمة وشرح مذهبه فى كتابه « الطواسين » . (الاعلام ٢ / ٢٦٠ ، والموسوعة الثقافية / ٤٠٨ ، والفرق بين الفرق / ١٩٩) .

وقد قال عنه ابن النديم صاحب الفهرست : اختلف فى بلده ومنشأه فقيل إنه من خراسان من نيسابور ، وقيل من مرو ، وقيل من الطالقان ، وقال بعض أصحابه إنه من الرى ، وقال آخرون من الجبال ، وليس يصحح فى أمره وأمر بلده شيء بتة . قرأت بخط أبى الحسين : عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر الحسين بن منصور الحلاج وكان رجلاً محتالاً مشعبذًا يتعاطى مذاهب الصوفية يتحلى ألفاظهم ويدعى كل علم ، وكان صفرًا من ذلك ، وكان يعرف شيئا من صناعة الكيمياء ، وكان جاهلاً مقدامًا مدهورًا جسورًا على السلاطين ، مرتكبًا للعظائم ، يروم انقلاب الدول ، ويدعى عند أصحابه الإلهية ، ويقول بالحلول ... ويدعى أن الإلهية قد حلت فيه وأنه هو هو ـ تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علوا كبيرا (الفهرست / ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

ويورد الإمام ابن الجوزى أمثلة من زندقة الحلاج وضلالاته وادعائه النبوة فى أول الأمر ثم ادعائه الربوبية بعد ذلك . وقال عن مقتله : اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء ، وإنما سكت عنه أبو العباس بن سُريج ، قال : وقال لا أدرى ما يقول ، والإجماع دليل معصوم من الخطأ ، وبإسناد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم » (نقد العلم والعلماء / ١٦٥ ، ١٦٦) .

وقد تتبع ابن تيمية الأفكار التى أثرت فى الحلاج من معاصريه أو من قريبى العهد من عصره كابن بسكويه (٣٦٩ هـ) والحافظ البغدادى (٤٦٣ هـ) . وأثبت باطنية الحلاج وادعاءاته الباطلة مثل فتوى إبليس ، وبما جرى على لسانه من قوله : « أنا الحق » وهاجم اعتذار الصوفية عن الحلاج ، وكشف أن الحلاج حاول خداعهم بمثل قوله : « عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك

بالباطـــل » . ولـم يكن ابن تيميـة يعبر عن فكـره المجرد فى قضيـة الحلاج بـل إنه حكّم الشرع فـى أمره حيث حاول الحـلاج أن يسقط ركن الحج من الإسلام (حقوق آل البيت / ١٢ ، ١٣) .

وقد أورد ابن النـديم أسماء ستـة وأربعين كتابـا للحلاج غـريبة الأسماء والأوضاع (الأعلام / ٢٦٠ ، الفهرست / ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(طبقـات الصـوفية لابن عبـد الـرحمن السلمى ــ يسره ورتبـه أحمـد الشـرباصى / ٧٤ ، والأعـلام للـزركلى ٢ / ٢٦٠ ، والموسـوعـة الثقافيـة بإشـــراف د. حسين سعيـد / ٤٠٨ ، والفرق بيـن الفـرق لعبـد القـاهـر البغـدادى / ١٩٩ ، والفهرست لابن النـديم / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ونقـد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للحافظ ابن الجوزى / ١٦٥ ، ١٦٦ ، وحقوق آل البيت للإمام تقى الـدين بن تيمية ـ تحقيق عبد القـادر أحمد عطا / ١٢ ، ١٣ ، مقدمـة التحقيق . انظـر أيضا مرجـع العلوم الإسـلامية ــ د. محمد الـزحيلى / ٧٠٣ ، و « الحلاج والقـرامطة » ــ الأستاذ أنـور الجنـــدى . منـــار الإسـلام ، العدد السابع . السنة العاشرة . رجـب ١٤٠٥ هـ ـ إبريـل ١٩٨٥م / ٧٤ ـ ٧٩) .

*** الحلاجية:**

منسوبون إلى أبى مغيث الحسن بن منصور المعروف بالحلاج . انظر المادة السابقة .

*** الحلال والحرام**

يجمل القول فيه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فيقول :

الحلال : هـو المباح الـذى أذن الشارع فى فعلـه ولم يـرد أمره بحظره ، أو هـو ما ليس ممنوعا منعـا باتا بدليل شـرعى فهو أعم من المباح .

والحـرام : هو الـذى نهى الشارع عـن فعله نهيـا قاطعـا بحيث يتعرض من خالـف النهى لعقوبة الله فى الآخرة ، وقـد يتعرض لجزاء شرعى فى الـدنيا ومن ثم فالحـلال والحرام فى الإسلام متقـابلان ، على ما تفصح عنه نصوص القرآن والسنة ، مثل قوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ ولا تقولـوا لما تصف ألسنتكم الكـذب هذا حـلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ﴾ [١١٦] .

وقول رسـول الله ﷺ الذى رواه أحمـد والنسائى عن أبى مـوسى الأشعرى فى شأن الـذهب والحريـر . هذان حل لنسـاء أمتى محرم على ذكورهم » .

والمكروه تحريما : ما كان إلى الحرام أقرب وكان النهى عنه غير قاطع .

والمكروه تنزيها : هو فعل خلاف الأولى .

والمحرمات : منها ما هو حرام لذاته وهو ما جاء تحريمه قاطعا كالخمر والميتة والخنزير والقمار والميسر وغيرها من المحرمات فى الزواج وفى الأموال والأقوال والأفعال ونحو ذلك .

ومنها ما كان محرما لما يقترن بها . أو ما تؤدى إليه من باب سد الـذرائع ومثـال هذه الأخيـرة مـا جـاء فى قول الله تعـالى فى سـورة الأنعام : ﴿ ولا تسبوا الـذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَـدْوًا بغير علم ﴾ [١٠٨] .

حيث وجه الله المؤمنين فى هذه الآية إلى أن يتعاملوا مع غيرهم بأدب فلا يسبوا آلهتهم مخافة أن يردوا بسب الله سبحانه .

فهو نهى وتحريم من باب سد الذرائع .

مبادىء الحلال والحرام

ولقد حدد الإسلام أمر الحـلال والحرام وأقامه على مبادىء من صنع الله سبحانه . واستنبط علماء المسلمين من آيات الله فى كتابه فى هذا الشأن ما يلى من المبادئ :

١ ــ أن الأصل فيمـا خلـق الله من أشيـاء ومنـافع هـو الحل والإباحة ، وأن الحرام لا يكون إلا بنص صحيح وصريح . يدل لهذا ما جاء فى سورة البقر من قول الله تعالى ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ﴾ [٢٩] وفى سـورة لقمان : ﴿ ألم تـروا أن الله سخر لكم مـا فى السموات ومـا فـى الأرض وأسبغ عليكم نعمـه ظـاهـرة وباطنة ﴾ [٢٠] وفى سورة الجاثية : ﴿ وسخر لكم ما فى السمٰوات وما فى الأرض جميعا منه ﴾ [١٣]

وأن مقتضى تسخيـر الله للإنسـان كل ما خلقـه أنه أحلَّـه ، وأنه خلقه له وأنعـم به عليه وما حرمـه من هذه المخلوقـات كان لحكمة وبأمـر صـريح وواضـح ، فمـا لم يجـىء نص محـرم كـان الحل والإباحة .

وفى بيان هذا جاء قول الرسول ﷺ من حديث أبى الدرداء الذى رواه الحاكم وصححه . « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال . وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن ينسى شيئـا » وتـلا قول الله تعـالى : ﴿ ومـا كان ربك نسيـا ﴾ [مريم : ٦٤] .

وهذه القـاعدة : (أن الأصل الحـل والإباحة) ليسـت مقصورة على الأشياء والأعيان فحسب ، بل تمتد فتشمل الأفعال والتصرفات مما يدخل تحت (العادات والمعاملات) .

أما العبادات فإنها من أمر الدين المحض الذى لا يؤخذ إلا من طريق الـوحى فلا يعبد الله إلا بمـا شرع ، أما العادات والمعـاملات فهى من صنع الناس ، والشارع يصحح ما انحـرف منها أو يهذبها ، ويقر الصالح منها .

٢ ـ إن التحليل والتحريم مختص بالله وحـده ذلك ما يشير إليه قول الله سبحانه فى سورة يونس : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منـه حـرامـا وحـلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفتـرون ﴾ [٥٩] .

وقوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم

الكـذب هذا حـلال وهـذا حـرام لتفتروا على الله الكـذب إن الـذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ [١١٦]

ومن هذه الآيات وغيرها وأحاديث رسول الله ﷺ عرف المسلمون أن التحريـم والتحليل إنما يكون بحكـم الله فى كتابه أو علـى لسان رسوله ﷺ.

ولقد درج الأئمة المجتهدون على أن يقـولوا فى الفتوى فيما لم يرد فيه نص بالحل أو بالتحريم: هذا أكرهه أو لا أحبه أو لا يعجبنى أو لا أستحسنه، توقيا من أن يقولـوا بغير ما جاء فى القرآن وثبت من السنة.

٣ـ تحريم الحلال وتحليل الحرام كالشرك بالله تعالى.

ففى الحديث القدسى الـذى رواه مسلـم فـى صحيحـه ... (إنى خلقت عبـادى حنفاء وأنهم أتتهم الشيـاطين فاجتـالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا ما لم أنزل به سلطانا).

٤ ـ التحريم أساسه الخبث والضرر فى كل ما حرم من شىء أو عين أو قول أو فعل، أو عادة أو معاملة.

ففى سورة الأعراف قول الله سبحانه: **﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [٣٢]**

وقوله سبحانه فى ذات السورة: **﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منهـا وما بطن والإثـم والبغى بغير الحق وأن تشـركوا بالله مـا لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [٣٣]**

وفى سورة المائدة قول الله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم بـه مؤمنـون ﴾ [٨٧، ٨٨].**

وإذا تتبعنـا آيـات التحـريم فى القـرآن نجـدهـا قـد فصلت المحرمات وأمـرت بالبعد عنها تشريعا من الله فهـو سبحانه الحكيم الرحيم بعبـاده وكما قال فى سـورة البقرة: **﴿ والله يعلم المفسـد من المصلح ﴾[٢٢٠].**

٥ ـ فى الحـلال ما يغنى عن الحـرام، فقد حرم الله الـربا وأحل التجـارة الـرابحة، وحـرم الجلـوس إلى السحـرة والمنجمين وشـرع الاستخـارة وحرم القمـار والميسـر وأبـاح المسابقـة بـالخيل والإبل والسهام وغيـر هذا من المسابقات المشـروعة، فكل محرم نجـد له بديلا مباحا حلالا طيبا.

٦ ـ ما أدى إلى الحرام كان حـراما. ذلك أن الإسلام حين يحرم أى شىء يحـرم ما يفضـى إليه من وسـائل، فحين حـرم الـزنا حـرم مقدماتـه من تبرج النساء وعريهن، والخلوة بين المـرأة وغير زوجها ومحارمها والاختـلاط العابث والصور العاريـة والغناء الفاحش، إذ كل أولئك من دواعى هذا الفسـاد. وحين حرم الخمر لعن شـاربها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها. وفى الربا لعن معطيه وآكله وكاتبه وشاهديه.

٧ ـ التحايل على الحرام حرام:

وهـذا التحايل يصـور بعضه مثل قـول رسول الله ﷺ الـذى رواه الإمـام أحمـد «ليستحلن طـائفة من أمتـى الخمر يسمونهـا بغيـر اسمهـا».

وقولـه ﷺ: «يأتى على الناس زمـان يستحلون الربـا بالبيع». رواه الأوزاعى كما فى نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ أبواب الربا.

ومن قبيل ما شاع من تغيير لاسم المحرمات فى هذا العصر:

إطلاق اسم الفن على أنواع من الرقص الخليع والغناء الفاحش والتصويـر الماجن، وإطلاق اسم المشـروبات الروحيـة على أنواع الخمور وتسمية الربا بالفائدة.

وكلمة الفن تطلق ويـراد بها التطبيق العملى للنظريـات العلمية بالوسائل التى تحققها ويكتسب بالدراسة والمران، كما تطلق على جملة الوسائل التى يستعملها الإنسـان لإثارة المشاعر والعواطف، وبخاصـة عاطفة الجمال كـالتصوير والموسيقى والشعـر، والغناء، والتمثيل وشاعت عرفا فى هذه المتنوعات الأخيرة.

هـذا: والنيـة الحسنـة لا تبرر الحـرام ولا تحـلـه، فالحـرام محـرم مهما حسنت نية فاعله وشرف قصده ولا يقر الإسلام أن يتخذ الحرام وسيلـة إلى غاية محمـودة. لأن الإسلام يحـرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة معا.

واتقاء الشبهات خشية الوقوع فى الحرام من واجب المسلم سدا للذرائع، والإسلام قد بين الحلال والحرام فى الأطعمة والأشربة وفى اللبس وفى أدوات المنـزل وفى الكسب والاحتـراف وفى العلاقـات الاجتماعية..

ومن المحرمات لغيرها الغناء والموسيقى إذا صاحبها معصية أو كانت تدعو إليها وهذا باتفاق العلماء (سمات الحلال والحرام / ٣ـ ١٠) ويمضى فضيلته بعد ذلك فيبين حكم الدين فى هذه الفنون مما ننقله فى مواضعه إن شاء الله تعالى: ـ

ويتكلم التهـانوى على الحـلال والحـرام فى الكتاب والسنـة، وعند الصوفيـة، ثم يتطرق إلى الكلام على الشبهة والـورع مما ننقله لك فيما يلى:

الحلال بـالفتح هو فى الشـرع ما أبـاحه الكتـاب والسنة بسبب جائز مباح وفى الطريقة ما لا بـد فيه من العلم ولا يكون فيـه شبهة كأكل هدايـا الملوك والسلاطين وفي خـلاصة السلوك الحـلال هو الذي قد انقطع عند حق الغير وقـال سهل: ما لا تعصى الله فيه قال النبى ﷺ من أكل الحـلال أربعين يوما نـوَّر الله قلبه وتجـري ينابيع الحكمة من قلبه انتهى قال ابن الحجر في شـرح الأربعين للنووى في شـرح الحـديث السـادس: الحـلال ضـد الحرام لغـة وشـرعـا

والحلال البين أي الظاهر هو ما نص الله تعالى ورسوله أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه أو جنسه ومنه أيضا ما لم يعلم فيه منع على أسهل القولين والحرام البين ما نص أو أجمع على تحريمه بعينه أو جنسه أو على أن فيه حدا وتعزيرًا أو وعيدًا. والمشتبه ما ليس بواضح الحل والحرمة مما تنازعته الأدلة وتجاذبته المعانى والأسباب فبعضها يعضده دليل الحرام وبعضها يعضده دليل الحلال. ومن ثم فسر أحمد وإسحاق وغيرهما المشتبه بما اختلف فى حل أكله كالخيل أو شربه كالنبيذ أو لبسه كجلود السباع أو كَسْبه كبيع العِينَة. وفسره أحمد مرة باختلاط الحلال والحرام وحُكم هذا أنه يخرج قدر الحرام ويأكل الحلال عند كثيرين من العلماء سواء قل الحرام أم كثر ومن المشتبه معاملة من فى ماله حرام فالورع تركه مطلقا وإن جازت وقيل ـ واعتمده الغزالى ـ إن كان أكثر ماله الحرام حرمت معاملته. ثم الحصر فى الثلاثة صحيح لأنه إن نص أو أجمع على الفعل فالحلال أو على المنع جازمًا فالحرام أو سكت عنه أو تعارض فيه نصان ولم يعلم المتأخر منهما فالمشتبه. وليس المراد بتعارفها تقابلها على جهة واحدة فى الترجيح فإن هذا كلام متناقض بل المراد التعارض بحيث يتخيل الناظر فى ابتداء نظره فإذا حقق فكره رجح. والمشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس لتعارض الأدلة وأما العلماء فيعرفون حكمهما بنص أو إجماع أو قياس أو استصحاب ونحوها فإذا تردد شيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد المجتهد فيه وأخذ بأحدهما بالدليل الشرعى فيصير حلالا أو حراما وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال فيكون الورع تركه وما لم يظهر لمجتهد فيه شيء فهو باق على اشتباهه بالنسبة إلى العلماء وغيرهم كشيء وجده فى بيته ولم يدر هل هو له أو لغيره وحينئذ اختلفوا فيما يأخذ به فقيل بحله والورع تركه وقيل بحرمته لأنه يوقع فى الحرام وقيل لا يقال فيه واحد منهما قال القرطبى والصواب الأول.

قال المصنف أي النووى الظاهر أن هذا الخلاف مخرج على الخلاف فى الأشياء قبل ورود الشرع وفيه أربعة مذاهب الأول وهو الأصح أنه لا يحكم بتحليل ولا تحريم ولا إباحة ولا غيرها لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع والثانى أن الحكم الحل والإباحة قال القرطبى دليل الحل أن الشرع أخرجها من قسم الحرام وأشار إلى أن الورع تركها بقوله ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ومن عبَّر بأنها حلال يتورع عنها أراد بالحلال مطلق الجائز الشامل للمكروه بدليل قوله يتورع عنها لا المباح المستوى الطرفين لأنه لا يتصور فيه ورع ما داما مستويين بخلاف ما إذا ترجح أحدهما فإن كان الراجح الترك كره أو الفعل ندب. والثالث المنع. والرابع التوقف ولقد أطنب ابن الحجر ههنا الكلام وذكر أقسام المشتبهات مفصلا فمن أراد فليرجع إلى شرحه المذكور. وقال العينى فى شرح البخارى فى كتاب العلم فى شرح هذا الحديث: بعد ذكر أكثر الأقوال المذكورة فحصل لنا مما تقدم ذكره ان فى المتشابهات المذكورة فى الحديث التى ينبغى اجتنابها أقوالا أحدها أنها التى تعارضت فيها الأدلة فاشتبهت فمثل هذا يجب فيه الوقف إلى الترجيح لأن الأقدام على الأمرين من غير رجحان الحكم بغير دليل محرم.

وثانيها أنها المكروهات وهو قول الخطابى والماذرى وغيرهما ويدخل فيه مواضع اختلاف العلماء.

وثالثها أنها المباحات وقال بعضهم هى حلال يتورع عنها وقد رده القرطبى واختار القول الثانى. فإن قيل هذا يؤدى إلى رفع معلوم من الشرع وهو أن النبى ﷺ والخلفاء بعده وأكثر أصحابه عليهم السلام كانوا يزهدون فى التنعم فى المآكل وغيره قلت ذلك محمول على موجب شرعى اقتضى ترجيح الترك على الفعل فلم يزهدوا فى مباح لأن حقيقته التساوى بل فى أمر مكروه ولكن المكروه تارة يكرهه الشرع من حيث هو وتارة يكرهه لأنه يؤدى إليه كالقبلة للصائم فإنها مكروهة لما يخاف منها إفساد الصوم. وقد اختلف أصحاب الشافعى رحمه الله فى ترك الطيب وترك لبس الناعم فقيل ليس بطاعة وقيل إنه طاعة وقال ابن الصباغ يختلف ذلك باختلاف أحوال الناس وتفرغهم للعبادة واشتغالهم بالضيق والسعة، وقال الرافعى من أصحابنا هو الصواب وأما ما يخرج إلى باب الوسوسة من تجويز الأمر البعيد فهذا ليس من الشبهات المطلوب اجتنابها كترك النكاح من نساء بلدكم خوفا عن أن يكون له فيها محرم بنسب أو رضاع أو مصاهرة وترك استعمال ماء لجواز عروض النجاسة إلى غير ذلك مما يشتبه بهذا بأن يكون سبب التحريم فيه مجرد توهم ليس من الورع. قال القرطبى الورع فى مثل هذا وسوسة شيطانية إذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء وسبب الوقوع فى ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية انتهى. (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٤٧ـ٣٤٩).

يقول صاحب مفتاح السعادة عن فضيلة الحلال: وذلك فى الآيات كثير ـ وكذلك مذمة الحرام ـ وكذا فى الأخبار والآثار.

ثم يقول عن أصناف الحلال والحرام:

وأما أصناف الحلال والحرام ففى كتب الفقه على التفصيل: ولنبين هاهنا على سبيل الإجمال. فاعلم: إن الحرمة فى المال إما فى عينه أو فى كسبه.

القسم الأول: أن الأعيان المأكولة: إما معادن أو نبات أو حيوان، والحرمة فيها. إما لأجل إزالة العقل أو إزالة الصحة أو الاستقذار.

القسم الثانى: ستة أقسام.

الأول: مالا يؤخذ من مالك: كالمعادن والاصطياد والاحتطاب والاستقاء، فذلك حلال إلا أن يسبقها يد قبله.

الثانى: المأخوذ قهرا ولا عصمة له كأموال الكفار، وذلك أيضا حلال بشروط ذكرت فى الفقه.

الثالث: ما يؤخذ قهرًا لكن بالاستحقاق، وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق، وأسباب ذلك فى كتب الفقه.

الرابع: ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة، وذلك حلال إذا تضمنت شرائطة المذكورة فى موضعها.

الخامس ما يؤخذ بالرضا بلا عوض: كالهبة والوصية والصدقة وذلك حلال بشرائطه.

السادس: ما يؤخذ بغير اختيار كالإرث، وذلك حلال إذا كان المال مكتسبا من وجهة الحلال وأخرجت منه سائر الحقوق المذكورة فى علم الفرائض، وإن لم تعلم فاسأل أهله (مفتاح السعادة ٣/ ٢٢٢).

ويبين الإمام ابن قدامة الحلال والحرام ودرجاته والورع ودرجاته، ومراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام: فيقول عن الحلال والحرام:

اعلم: أن طلب الحلال فرض على كل مسلم، وقد ادعى كثير من الجهال عدم الحلال، وقالوا: لم يبق منه إلا الماء الفرات، والحشيش النبات، وما عدا ذلك فقد أفسدته المعاملات الفاسدة، فلما وقع لهم هذا، وعلموا أنه لا بد لهم من الأقوات توسعوا فى الشبهة والحرام، وهذا من الجهل، وقلة العلم. فإن فى « الصحيحين » من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: « الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات ».

ولما كانت هذا الدعوى من هؤلاء الجهال بدعة قد عم ضررها، واستطار فى الدين شررها، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة.

ونحن نوضح ذلك فى أقسام:

القسم الأول: فى فضيلة طلب الحلال، وذم الحرام، ودرجات الحلال والحرام. قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ [المؤمنون: ٥١]، والطيبات: الحلال، فأمر بذلك قبل العمل، وقال فى ذم الحرام: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾[البقرة: ١٨٨] إلى غير ذلك من الآيات.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا »، وذكر الحديث إلى قوله: « ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» رواه مسلم. وروى فى ذلك غير حديث.

وروى أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تستجاب دعوته، فقال له: « أطب طعمتك تستجب دعوتك » (قال العراقى فى تخرج الإحياء: رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه).

وقد كان السلف ينظرون فى الحلال ويدققون فيه، فأكل أبو بكر الصديق رضى الله عنه شيئا من شبهة ثم قاءه (إنما فعل أبو بكر ذلك لأنه كان من طعام الكهانة وهو سحت خبيث).

درجات الحلال والحرام

اعلم: أن الحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض. والحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، كما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة، ولكنه يقول: هذا حار فى الدرجة الأولى، وهذا فى الدرجة الثانية، وهذا فى الثالثة، وهذا فى الرابعة. مثال ذلك فى الحرام المأخوذ بعقد فاسد، حرام ولكنه ليس فى درجة المغصوب على سبيل القهر، بل المغصوب أغلظ، إذ فيه إيذاء الغير، وترك طريق الشرع فى الاكتساب، وليس فى العقود الفاسدة إلا ترك طريق التعبد فقط، وكذلك المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو يتيم، أخبث وأغلظ من المأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق.

درجات الورع:

والورع له درجات أربع:

الدرجة الأولى: وهى درجة العدول عن كل ما تقتضى الفتوى تحريمه، وهذا لا يحتاج إلى أمثلة.

الدرجة الثانية: الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها، ولكن يستحب، كما يأتى فى قسم الشبهات. ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ».

الدرجة الثالثة: الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع فى الحرام.

الدرجة الرابعة: الورع عن كل ما ليس لله تعالى، وهو ورع الصديقين، مثال ذلك ما روى عن يحيى بن يحيى النيسابورى رحمة الله عليه أنه شرب دواء، فقالت له امرأته: لو مشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء، فقال: هذه مشية لا أعرفها، وأنا أحاسب نفسى منذ ثلاثين سنة. فهذا رجل لم تحضره نية فى هذه المشية تتعلق فى الدين، فلم يقدم عليها، فهذا من دقائق الورع.

والتحقيق فيه أن الورع له أول وغاية، وبينهما درجات فى الاحتياط، فكلما كان الإنسان أشد تشديدا، كان أسرع جوازًا على الصراط، وأخف ظهرًا، وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع، كما تتفاوت دركات النار فى حق الظلمة بحسب درجات الحرام، فإن شئت فزد فى الاحتياط، وإن شئت فترخص، فلنفسك تحتاط وعليها تترخص (مختصر منهاج القاصدين / ٨٦-٨٨).

قالت المؤلفة: يضع صاحب مفتاح السعادة أسماء لدرجات الورع هذه فيقول:

الأولى: ورع العدول. وهو الذى يجب الفسق بتركه ويدخل فى العصيان والتعرض للنار، وهو الورع مما تحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية: ورع الصالحين. وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، وإن رخص المفتي بذلك بناء على الظاهر.

الثالثة: ورع المتقين. وهو ما لا حرمة فيه بحسب الفتوى ولا شبهة فى حله، لكن يخاف منه أداؤه إلى محرم، وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس.

الرابعة: ورع الصديقين: وهو ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى إلى ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى، أو ينطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية، وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره البليغ وتأكيده (مفتاح السعادة ٣/ ٢٢٢).

ونعود إلى الإمام ابن قدامة الذى ينتقل إلى الكلام على مراتب الشبهات فى القسم الثانى فيقول:

القسم الثانى: فى مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام، وحديث النعمان بن بشير رضى الله عنه نص فى هذه الأقسام الثلاثة، وهى الحلال والحرام وما بينهما، والمشكل فيها هو المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس، وهو الشبهة.

ونحن نكشف الغطاء عنها فنقول: الحلال المطلق الذى لا يتعلق بذاته صفة توجب تحريما لعينه، ولا يتعلق بأسبابه ما يطرق إليه تحريما أو كراهية.

مثال ذلك الماء الذى يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد - الحرام المحض: ما فيه صفة محرمة، كالشدة فى الخمر، والنجاسة فى البول، أو حصل بسبب منهى عنه، كالمتحصل بالظلم والربا، فهذان الطرفان ظاهران، ويلتحق بهما ما تحقق أمره، ولكن يحتمل تغيره، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب ظاهر يدل عليه، فإن صيد البر والبحر حلال، إلا أنه من صاد ظبية أو سمكة، فإنه يحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت، وهذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء المطر المختطف من الهواء، فمساكنة ذلك الاحتمال فى الصيد ورع الموسوسين، لأنه وهم مجرد لا دلالة عليه، فلو دل عليه دليل، مثل أن يجد فى الظبية جرحا لا يقدر عليه، إلا بعد الضبط، كالكى، ويحتمل أن يكون غيره، فهذا موضع الورع.

وحد الشبهة ما تعارض فيه اعتقادان صدرا عن شيئين مقتضيين لاعتقادين.

ومثالات الشبهة كثيرة، والمهم منها مثالان:

المثال الأول: الشك فى السبب المحلل أو المحرم، وينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: أن يكون الحل معلوما من قبل، ثم يقع الشك فى المحلل، فهذه شبه يجب اجتنابها، ويحرم الإقدام عليها، مثاله أن يرى صيدًا فيجرحه فيقع فى الماء فيصادفه ميتا، ولا يدري هل مات بالغرق أو الجرح؟ فهذا حرام، لأن الأصل التحريم.

النوع الثانى: أن يعرف الحل ويشك فى المحرم، فيكون الأصل الحل، والحكم له، كما لو طار طائر، فقال رجل: إن كان هذا غرابا فامرأته طالق، وقال آخر: وإن لم يكن غرابا، فامرأته طالق، ثم التبس الأمر، فإنا لا نقضى بالتحريم فى واحد منهما، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما.

النوع الثالث: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طرأ ما يوجب التحليل بظن غالب فهو مشكوك فيه، والغالب حله، مثاله أن يرمى إلى صيد فيغيب عنه، ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه، فهذا الظاهر فيه الحل، لأن الاحتمال إذا لم يستند إلى دليل التحق بالوسوسة، فأما إن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالنوع الأول.

النوع الرابع: أن يكون الحل معلوما، ولكن يغلب على الظن طريان المحرم بسبب معتبر فى غلبه الظن شرعا مثاله أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب عليه الظن، فتوجب تحريم شربه، كما أوجب منع الوضوء به.

المثال الثانى: أن يختلط الحرام بالحلال، ويشتبه الأمر فيه. وذلك على أضرب:

أحدها: إذا اختلطت ميتة بمذكاة، أو بعشرة من المذكيات، ونحو ذلك من العدد المحصور، ومثله أن تشتبه أخته بأجنبيات، فهذه شبهة يجب اجتنابها.

الثانى: أن يختلط حرام محصور بحلال غير محصور، كما لو اشتبهت أخته أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد، بل له أن ينكح من شاء منهن، لأن فى تحريمهن حرجا كبيرا، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا، لم يلزمه ترك الشراء والأكل، لأن فى ذلك حرجا، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أن فى الناس من يرابى، وما تركوا الدراهم بالكلية، وأن مجنا سرق فى زمانه، وما تركوا شراء مجن، فاجتناب هذا من ورع الوسوسة.

الثالث: أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر، كحكم الأموال فى زماننا هذا، فلا يحرم بهذا الاختلاط تناول شيء بعينه، إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام، نحو أن يأخذه من يد سلطان ظالم، فإن لم يكن له علامة، فتركه ورع ولا

يحرم ذلك، لأنه قد علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء بعده أن أثمان الخمور ودراهم الربا وغلول الغنيمة اختلطت بالأموال، وقد أدركت الصحابة نهب المدينة وتصرف الظلمة ولم يمنعوا من الشراء بالسوق، ولولا صحة ذلك لانسد باب جميع التصرفات فإن الفسق يغلب على الناس، لكن الأصل في الأموال الحل، وإذا تعارض أصل وغالب، ولا أمارة على الغالب، حكم بالأصل، كما قلنا في طين الشوارع وأواني المشركين. فقد توضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية. مع أن مشْربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون من نجاسة، وكانت الصحابة تلبس الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة.

ومن تأمل أحوال الدباغين والصباغين، علم غلبة النجاسة عليهم، فيدل ذلك على أنهم لم يكونوا يحترزون إلا من نجاسة مشاهدة، أو يكون عليها علامة، فأما الظن الذى يستفاد من رد الوهم إلى مجارى الأحوال، فلم يعتبروه، فإن قيل: قد كانوا يتوسعون في أمور الطهارة، ويحترزون من شبهات الحرام، فما الفرق؟.

قلنا: إن أردت أنهم كانوا يصلون مع النجاسة فباطل، وإن أردت أنهم احترزوا من كل نجاسة وجب اجتنابها فصحيح، وأما تورعهم عن الشبه، فكان بطريق كف النفس عما ليس به بأس مخافة ما به بأس، والنفس تميل إلى الأموال كيف كانت بخلاف الأنجاس، وقد كانوا يمتنعون مما يشغل قلوبهم من الحلال، والله أعلم.

القسم الثالث: من الكتاب: فى الحلال والحرام والبحث، والسؤال، والهجوم، والإهمال ومظانها.

اعلم: أنه لو قدم لك الطعام أو أهديت لك هدية، أو أردت أن تشترى شيئا من شخص فليس لك أن تقول: هذا مما لا أتحقق حله، فأريد أن أفتش عنه وليس لك أن تترك البحث مطلقا، بل السؤال واجب مرة، وحرام مرة، ومندوب مرة، ومكروه مرة.

والقول الشافى فيه: أن مظنة السؤال الريبة، وهى تحصل إما من أمر يتعلق بالمال أو بصاحب المال، أما ما يتعلق بصاحب المال، فنحو أن يكون مجهولا، وهو الذى ليس عليه قرينة تدل على ظلمه، كزى الأجناد، ولا على صلاحه، كثياب أهل العلم والزهد، فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز، لأن فيه هتك المسلم وإيذاءه، ولا يقال لهذا: إنه مشكوك فيه، لأن المشكوك فيه هو الذى تحصل فيه الريبة بدلالة، مثل أن يكون على خلقة الأتراك، وأهل البوادى المعروفين بالظلم، وقطع الطريق، فهذا يجوز معاملته، لأن اليد تدل على الملك، وهذه الدلالات ضعاف، إلا أن الترك من الورع.

وأما ما يتعلق بالمال، فنحو أن يختلط الحرام بالحلال، كما إذا طرح فى السوق أحمال من طعام مغصوب فاشتراها أهل السوق، فإنه لا يجب على من يشترى فى تلك البلدة من السوق أن يسأل عما يشتريه، إلا أن يظهر أن أكثر ما فى أيديهم حرام، فعند ذلك يجب السؤال، فإن لم يكن الأكثر حراما كان التفتيش ورعا غير واجب.

وكذلك نقول فى رجل له مال حلال خالطه حرام، مثل أن يكون تاجرا يعامل معاملات صحيحة ويُرابى، فهذا إن كان الأكثر من ماله حراما، لم يجز قبول ضيافته ولا هديته إلا بعد التفتيش، فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال جاز، وإلا ترك، وإن كان الحرام أقل، فالمأخوذ شبهة، والورع تركه.

واعلم: أنّ السؤال إنما يقع لأجل الريبة، فلا ينقطع إلا من حيث تنقطع الريبة المفضية له، بأن لا يكون المسئول متهما، فإن كان متهما وعلمت أن له غرضا فى حضورك أو قبول هديته، فلا ثقة بقوله، وينبغى أن يسأل غيره.

القسم الرابع: فى باب الحلال والحرام، وكيفية خروج التائب عن المظالم المالية.

اعلم: أن من تاب وفى يده مال مختلط، فعليه تمييز الحرام وإخراجه، فإن كان معلوم العين، فأمره سهل، وإن كان ملتبسا مختلطا، فإن كان من ذوات الأمثال، كالحبوب والنقود والأدهان، وكان معلوم القدر، ميز ذلك القدر، فإن أشكل فله طريقان:

أحدهما: الأخذ بغالب الظن.

والثانى: الأخذ باليقين، وهو الورع.

فإذا أخرج المال الحرام، فإن كان له مالك معين، وجب صرفه إليه أو إلى وارثه، وإن كان لذلك المال زيادة ومنفعة، جمع ذلك كله وصرفه إليه، وإن يئس من معرفة المالك ولم يدر أمات عن وارث أم لا؟ فليتصدق به، وإن كان ذلك من مال الفىء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين، صرف ذلك إلى القناطر والمساجد ومصالح طريق مكة وما ينتفع به كل من يمر من المسلمين.

القسم الخامس: فى إدرار السلاطين وصلاتهم، وما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة، ونحو ذلك.

اعلم: أن من أخذ مالا من السلطان فلا بد أن ينظر فى مدخل ذلك إلى السلطان من أين هو، وفى صفته التى يستحق بها الأخذ، وفى المقدار الذى يأخذه، هل يستحقه؟

وقد تورع جماعة عن ذلك، وكان فيهم من يأخذه فيتصدق به.

وأما فى هذا الزمان، فالاحتراز عنه أولى، لأنه قد علم طريق الأخذ، ثم لا ينال إلا بالذل والسؤال والسكوت على الإنكار.

وقد كان بعض السلف لا يأخذ، ويعلل بأن باقى المستحقين

لم يأخذوا ، وهذا ليس بشىء ، لأنه يأخذ حقه ويبقى أولئك فى مقام مظلوم ، وليس المال مشتركا .

(سمات الحلال والحرام - فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . هدية مجلة الأزهر . المحرم ١٤٠٩ هـ / ٣ - ١٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٤٧ - ٣٤٩، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ومختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة - قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ٨٦ - ٩٣. انظر أيضا « الحلال والحرام فى معاملات البنوك والمال » - د. أحمد فهمى أبو سنة . مجلة الأزهر . الجزء الأول ، السنة الرابعة والستون ، والمحرم ١٤١٢ هـ - يوليو ١٩٩١ م / ٣٩ - ٤٣ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤/ ١٢١، ١٢٢) .

انظر مادة « الحرام » فى م ١٣/ ٣٤١، ٣٤٢.

*** الحلاوية (المدرسة -) :**

انظر : الحلوية (المدرسة -) .

*** حلب :**

مدينة شمال غرب سورية ، ورد اسمها فى وثائق ترجع إلى الألف الثانية ق م ، كمدينة هامة على طريق القوافل الرئيسى الذى يربط سورية بأرض الرافدين . كانت مركزا لمملكة الحيثيين، واستمرت مزدهرة إبان الحكم البيزنطى . فتحها العرب فى القرن السابع الميلادى، والسلاجقة والأتراك فى القرن الحادى عشر، وحاصرها الصليبيون سنة ١١٢٤م ، واستردها صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٣م .

من أهم معالمها قلعتها ، ومسجدها الجامع والمكتبة ، وبعض عمائر ترجع للعهدين الأيوبى والمملوكى (الموسوعة الثقافية / ٤٠٨) بلغ عدد سكان حلب عام ١٩٨١ « ٩٧٦٧٢٧ » نسمة (من كتاب معجم البلدان / ٣٤٤ هامش ٣) .

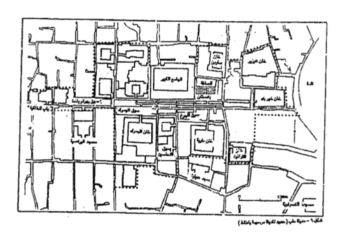
وتعتبر مدينة حلب ثانى البلاد الشامية من حيث الأهمية السياسية والعمرانية ، بل ومفتاحها الشمالى . وتلقب بالشهباء ، والبيضاء ، وذلك لبياض أرضها لأن غالب أرضها من الحجارة الحواءة ، وترابها يقرب إلى البياض ، وإذا أشرف عليها إنسان ظهرت له بيضاء (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٣٧) .

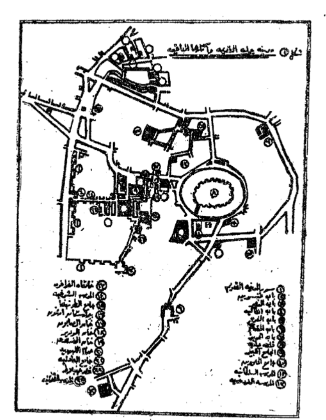
وبمدينة حلب آثار إسلامية عظيمة ومكتبات ومخطوطات سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى .

وقد نوَّه بها الجغرافيون والرحالة المسلمون فذكروا محاسنها وآثارها كما أشاد بها الشعراء فى أشعارهم . ونسوق لك بعض ما أوردوه وفقا للترتيب الزمنى .

١ - المقدسى صاحب « أحسن التقاسيم » (٣٣٦ - ٣٨٠ هـ / ٩٤٧ - ٩٩٠ م) . قال عن حلب :

وأما حلب فبلد نفيس خفيف حصين ، وفى أهلها ظرف ، ولهم يسار وعقول . مبنى بالحجارة عامر، فى وسط البلد قلعة حصينة وأسعة ، فيها ماء وخزائن السلطان ، والجامع فى البلد . شربهم من نهر قويق ، يدخل إلى البلد إلى دار سيف الدولة فى شباك حديد . والقصبة ليست بكبيرة ، إلا أن بها مستقر السلطان . لها سبعة أبواب : باب حمص ، باب الرقة، باب قنسرين ، باب اليهود،





ـاب العـراق ، باب دار البطيـخ ، باب أنطـاكيـة ، وبـاب الأربعين مسدود (أحسن التقاسيم / ١٣٦) .

٢) ابن جبير صـاحب الـرحلة (٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧ م) (انظر ترجمته في م١٢ / ٣٣ـ٣٩) .

قـال ابن جبيـر يصف مدينـة حلب بأسلـوب أهل زمـان الأدبي لرقيع ويصف آثارها وأسواقها وجامعها الكبير وقلعتها المنيعة :

بلـدة قدرهـا خطير، وذكـرها فـي كل زمان يطيـر، خطابهـا من الملـوك كثير، محلهـا من النفـوس أثير، فكـم هاجت من كفـاح ، وسلت عليهـا من بيض الصفاح . لهـا قلعـة شهيرة الامتنـاع ، بائنـة الارتفاع ، معدومة الشبه والنظير في القـلاع ، تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع ، قـاعدة كبيرة ، ومـائدة من الأرض مستديرة، منحـوتة الأرجاء، موضـوعة على نسبة اعتدال، واستـواء فسبحان من أحكم تقديـرها وتدبيرهـا وأبدع كيف شاء تصويـرها وتدويرهـا ، عتيقة في الأزل، حـديثة وإن لم تـزل، قد طـاولت الأيام والأعـوام ، وشيعت الخـواص والعوام ، هـذه منازلهـا وديـارها، فأين سكـانهـا قديمـا وعمارهـا وتلك دار مملكتها وفنـائها، فأين أمـراؤها الحمـدانيون ، وشعراؤها، أجل فني جميعهم ولم يأن بعد فنـاؤها ، فياعجبا للبلاد تبقى وتذهب أملاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها، تخطب بعدهم فلا يتعذر مـلاكها، وترام فيتيسر بأهـون شيء إدراكها هذه حلب : كم أدخلت من ملـوكهـا فـي خبـر كـان ، ونسخت ظـرف الـزمـان بالمكان . أنث اسمهـا فتحلت بزينة الغوال، ودانت بـالغدر فيمن خان ، وتجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان هيهات هيهات سيهرم شبـابها ، ويعدم خطابهـا ، ويسرع فيها بعد حين خـرابها ، وتتطرف جنبات الحوادث إليها، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لا إله سواه سبحانه جلت قدرته .

وبعد أن يفرغ من وصف قلعتها المنيعة (نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى) يعود إلى الكلام على مدينة حلب فيقول :

وأما البلـد فموضوعـه ضخم جدا حفيل التـركيب بديع الحسن واسع الأسـواق كبيرهـا متصلة الانتظام مستطيلـة تخرج مـن سماط صنعة إلى سمـاط صنعة أخـرى إلى أن تفرغ من جميع الصنـاعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ظلال وارفة فكل سوق منها تقيـد الأبصار حسنا وتستوقف المستـوفز تعجبا وأما قيسـاريتها فحديقـة بستان نظافة وجمـالا ، مطيفة بالجامع المكـرم لا يتشوق الجـالس فيها مـرأى سواهـا ولو كـان من المـرائي الريـاضية وأكثـر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللتها شرف خشبية بـديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظـرها أجمل منظر وكل سمـاط منها يتصل ببـاب من أبواب الجامع المكرم .

ثم يصف ابن جبير هـذا الجامع وقد أوردناه في مـادة « الجامع الأموي الكبيـر بحلب » (م ٨١ / ٤٨١ ـــ ٤٨٤) وأوردنـا وصف ابن جبيـر في ص٤٨٣، ٤٨٤ فانظـره في موضعـه .

ثم يتكلم ابن جبير على مدارس حلب وبيمارستـانها ـ فيقول : ويتصل بـه (أي من الجامع الكبيـر) من الجانب الغـربي مدرسـة للحنفية تناسب الجامع حسنا وإتقـان صنعة فيها في الحسن روضة تجاور أخرى وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ومن أظرف مـا يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتح كله بيوتـا وغرفا لها طيقـان يتصل بعضهـا ببعض وقد امتد بطـول الجدار عريش كرم مثمر عنبا فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدليا أمامها فيمـد الساكن فيها يده ويجتنيه متكئا دون كلفة ولا مشقة .

وللبلـدة سـوى هذه المدرسـة نحو أربع مـدارس أو خمس ولها مارستان وأمرها في الاحتفال عظيم فهي بلدة تليق بالخلافة وحسنها كله داخل لا خارج لها إلا نهير يجـري من جوفيها إلى قبليها ويشق ربضهـا المستديـر بها فإن لهـا ربضا كبيـرا فيه من الخـانات مـا لا يحصى عدده وبهـذا النهر الأرجاء وهي متصلـة بالبلد وقـائمة وسط ربضه وبهذا الريض بعض بساتين تتصل بطوله وكيفما كان الأمر فيه داخلا وخـارجا فهـو من بلاد الـدنيا التي لا نظيـر لها والـوصف فيه يطول فكان نزولنـا بربضة في خان يعرف بخان أبي الشكـر فأقمنا به أربعة أيام ورحلنـا ضحوة يوم الخميس السابع عشر لـربيع المذكور والثامن والعشرين ليونية (رحلة ابن جبير / ١٩٣ـ١٩٥) .

(٣) يـاقـوت الحمـوي صـاحب معجم البلـدان (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ / ١١٧٨ ـ ١٢٢٩م) . قال في مادة « حلب » :

حَلَب : بالتحريك : مدينة عظيمـة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحـة الأديم والماء، وهي قصبة جنـد قنسرين في أيـامنا هذه ؛ والحلب في اللغة : مصدر قولك حلبت أحلب حلبا وهربت هربا وطـربت طربا ، والحلب أيضا : اللبن الحليـب ، يقال : حلبنا وشربنا لبنا حليبا وحلبا ، والحلب من الجبابة مثل الصدقة ونحوها ؛ قـال الزجـاجي : سميت حلب لأن إبـراهيم ، عليـه السلام ، كـان يحلب فيهـا غنمه في الجمعـات ويتصدق بـه فيقول الفقـراء حلب حلب ، فسمي بـه ؛ قلت أنـا : وهذا فيـه نظـر لأن إبراهيم ، عليـه السلام ، وأهل الشام في أيامه لم يكونوا عربا إنما العربية في ولد ابنه إسمـاعيل، عليه السـلام ، وقحطـان ، على أن لإبراهيم في قلعـة حلب مقامين يزاران إلى الآن ، فإن كان لهذه اللفظة ، أعني حلب ، أصل في العبرانية أو السريانية لجاز ذلك لأن كثيرا من كلامهم يشبه كـلام العرب لا يفـارقه إلا بعجمـة يسيرة كقـولهم كهنم في جهنم ؛ وقال قوم : إن حلب وحمص وبرذعة كانوا إخوة من بني عمليق فبني كل واحد منهم مدينة فسميت بـه ، وهم بنو مهر بن حيص بن جان بن مكنف ، وقـال الشرقي : عمليق بن يلمع بن عـائذ بن أسليخ بن لوذ بن سام ، وقـال غيره : عمليق بن لوذ بن سـام ، وكانت العرب تسميه غـريبا وتقول في مثل : من يطع غـريبا يمس غريبـا ، يعنون

عمليق بن لـوذ، ويقـال : إن لهم بقيـة فى العرب لأنهم كانـوا قـد اختلطوا بهـم ، ومنهم الزباء، فعلـى هذا يصح أن يكون أهـل هذه المدينـة كانوا يتكلمون بـالعربية فيقولـون حلب إذا حلب إبراهيم ، عليه السلام .

قال بطليموس : طـول مدينة حلب تسع وستون درجـة وثلاثون دقيقة ، وعـرضها خمـس وثلاثون درجـة وخمس وعشـرون دقيقة ، داخلة فى الإقليم الـرابع ؛ طالعهـا العقرب، وبيت حياتهـا إحدى وعشرون درجة من القوس، لها شـركة فى النسر الطائر تحت إحدى عشرة درجة من السرطان ، وخمس وثلاثون دقيقة ، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل، عاقبتها مثلها من الميزان ؛ قال أبو عـون فى زيجه : طول حلب ثلاث وستون درجـة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلث، وهى فى الإقليم الـرابع ؛ وذكر أبو نصر يحيى بن جـريـر الطبيب التكـريتى النصرانى فـى كتـاب ألفـه أن سلوقوس الموصلى ملك خمسـا وأربعين سنة ، وأول ملكه كان فى سنة ثلاثة آلاف وتسعمـائة وتسع وخمسين لآدم، عليه السلام، قال : وفى سنـة تسع وخمسين من مملكتـه ، وهى سنـة أربعـة آلاف وثمانى عشرة لآدم ، ملك طوسا المسماة سميرم مع أبيها وهو الذى بنى حلب بعـد دولة الإسكندر ومـوته بـاثنتى عشرة سنـة ، وقال فى موضع آخر : كان الملك على سوريـا وبابل والبلاد العليا سلوقوس نيقطور، وهو سريانى، وملك فى السنـة الثالثة عشرة لبطليموس بن لاغوس بعد ممـات الإسكندر، وفى السنة الثالثـة عشرة من مملكته بنى سلوقوس اللاذقية وسلوقية وأفامية وباروا وهى حلب واداسا وهى الـرهـا وكمل بناء أنطـاكيـة ، وكـان بنـاهـا قبله ، يعنى أنطـاكيـة، أنطيقوس فى السنـة السادسة من موت الإسكندر؛ وذكـر آخرون فى سبب عمـارة حلب أن العمـاليق لما استـولـوا على البـلاد الشاميـة وتقاسموها بينهـم استوطن ملوكهم مدينة عمان ومـدينة أريحا الغور ودعاهـم النـاس الجبارين ، وكانت قنسـرين مدينة عـامرة ولم يكن يومئـذ اسمها قنسرين وإنما كـان اسمها صوبا ، وكـان هذا الجبل المعـروف الآن بسمعان يعـرف بجبل بنى صنم ، وبنـو صنم كانـوا يعبدونه فى موضع يعرف اليوم بكفر نبو، والعمائر الموجودة فى هذا الجبل إلى اليوم هى آثار المقيمين فى جوار هذا الصنم ، وقيل : إن بلعام بن بـاعور البالسى إنمـا بعثه الله إلى عباد هـذا الصنم لينهاهم عن عبادته، وقد جاء ذكر هذا الصنم فى بعض كتب بنى إسرائيل، وأمر الله بعض أنبيائهم بكسره، ولما ملك بلقورس الأثورى الموصل وقصبتها يـومئذ نينوى كـان المستولى على خطـة قنسرين حلب بن المهـر أحـد بنى الجان بـن مكنف من العمـاليـق ، فاختط مـدينـة سميت بـه ، وكان ذلك على مضى ثـلاثة آلاف وتسعمـائة وتسعين سنة لآدم ، وكانت مدة ملك بلقورس هذا ثلاثين عاما ، وكان بناها بعد ورود إبـراهيم ، عليه السـلام ، إلى الديـار الشاميـة بخمسمائة وتسـع وأربعين سنة لأن إبراهيم ابتلى بما ابتلى بـه من نمرود زمانه ، واسمه راميس، وهو الرابع من ملوك أثورا، ومدة ملكه تسع وثلاثون سنة ، ومدة ما بينه وبين آدم ، عليـه السلام ، ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاث عشرة سنـة ، وفى السنة الرابعة والعشـرين من ملكه ابتلى به إبراهيـم فهرب منه مع عشيـرته إلى نـاحية حـران ثم انتقل إلى جبل البيت المقدس، وكانت عمارتها بعد خروج موسى، عليه السلام ، من مصر ببنى إسـرائيل إلى التيه وغرق فـرعون بمائة وعشـرة أعوام ، وكان أكبر الأسباب فى عمارتها مـا حل بالعماليق فى البلاد الشامية من خلفـاء موسى، وذلـك أن يوشع بن نـون ، عليـه السلام ، لمـا خلف موسى قـاتل أريحا الغـور وافتتحها وسبى وأحـرق وأخرب ثم افتتح بعد ذلك مدينة عمـان ، وارتفع العماليق عن تلك الديار إلى أرض صوبا ، وهى قنسرين ، وبنوا حلب وجعلوها حصنا لأنفسهم وأموالهم ثم اختطوا بعد ذلك العواصم ، ولـم يزل الجبارون مستولين عليهـا متحصنين بعواصمهـا إلى أن بعث الله داود، عليه السـلام ، فانتزعهم عنها .

وقـرأت فى رسـالـة كتبهـا ابـن بطـلان المتطبب إلى هـلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى فى نحو سنة ٤٤٠ فى دولة بنى مرداس فقال : دخلنـا من الرصافة إلى حلب فى أربع مـراحل، وحلب بلد مسـوَّر بحجر أبيض وفيـه ستـة أبـواب وفى جانب السـور قلعـة فى أعلاها مسجد وكنيستان وفى إحداهما كان المذبح الذى قرَّب عليه إبـراهيم ، عليه السـلام ، وفى أسفل القلعة مغـارة كان يخبىء بهـا غنمه، وكان إذا حلبها أضاف الناس بلبنها، فكانوا يقولون حلب أم لا ؟ ويسأل بعضهم بعضـا عن ذلك ، فسميت لذلك حلبـا ؛ وفى البلـد جـامع وست بيع وبيمـارستان صغيـر، والفقهـاء يفتـون على مذهب الإمـامية ، وشرب أهل البلـد من صهاريج فيه مملـوءة بماء المطـر، وعلى بابـه نهر يعـرف بقـويق يمد فى الشتـاء وينضب فى الصيـف، وفى وسط البلد دار علوة صاحبة البحترى، وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ إلا ما يأتيـه من بلاد الروم ؛ وفيها من الشعراء جماعة ... قـال : ومن عجائب حلب أن فى قيسارية البـز عشرين دكانـا للوكـلاء يبيعون فيها كل يـوم متاعـا قدره عشـرون ألف دينار مستمـر ذلك منـذ عشرين سنـة وإلى الآن ، ومـا فى حلب مـوضع خراب أصـلا ، وخرجنـا من حلب طالبيـن أنطاكية ، وبينهـا وبين حلب يوم وليلة، آخر ما ذكر ابن بطلان .

وقلعة حلب مقـام إبراهيم الخليل ، وفيه صندوق بـه قطعة من رأس يحيى بن زكرياء، عليه السلام ، ظهرت سنة ٤٣٥، وعند باب الجنـان مشهد على بـن أبى طالـب، رضى الله عنـه ، رؤى فيـه فى النوم، وداخل باب العراق مسجد غوث فيـه حجر عليه كتابة زعموا أنـه خط على بن أبى طالب، رضى الله عنـه، وفى غربى البلـد فى سفح جبل جـوشن قبر المحسن بن الحسين يـزعمون أنـه سقط لما

جيء بالسبى من العراق ليحمل إلى دمشق أو طفل كان معهم بحلب فدفن هنا لك ، وبالقرب منه مشهد مليح العمارة تعصب الحلبيون وبنوه أحكم بناء وأنفقوا عليه أموالا، يزعمون أنهم رأوا عليا، رضى الله عنه ، فى المنام فى ذلك المكان ، وفى قبلى الجبل جبانة واحدة يسمونها المقام ، بها مقام لإبراهيم ، عليه السلام، وبظاهر باب اليهود حجر على الطريق ينذر له ويصب عليه ماء الورد والطيب ويشترك المسلمون واليهود والنصارى فى زيارته ، يقال إن تحته قبر بعض الأنبياء .

وأما المسافات فمنها إلى قنسرين يوم وإلى المعرة يومان وإلى أنطاكية ثلاثة أيام وإلى الرقة أربعة أيام وإلى الأثارب يوم وإلى توزين يوم وإلى منبج يومان وإلى بالس يومان وإلى خناصرة يومان وإلى حماة ثلاثة أيام وإلى حمص أربعة أيام وإلى حران خمسة أيام وإلى اللاذقية ثلاثة أيام وإلى جبلة ثلاثة أيام وإلى طرابلس أربعة أيام وإلى دمشق تسعة أيام ؛ قال المؤلف، رحمة الله عليه : وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت به على أن الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد، فمن ذلك أنه يزرع فى أراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذيا لا يسقى إلا بماء المطر ويجىء مع ذلك رخصا غضا رويا يفوق ما يسقى بالمياه والسيح فى جميع البلاد، وهذا لم أره فيما طوفت من البلاد فى غير أرضها ، ومن ذلك أن مسافة ما بيد مالكها فى أيامنا هذه ، وهو الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب ومدبر دولته والقائم بجميع أموره شهاب الدين طغرل، وهو خادم رومى زاهد متعبد، حسن العدل والرأفة برعيته ، لا نظير له فى أيامه فى جميع أقطار الأرض، حاشا الإمام المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر لدين الله ، فإن كرمه وعدله ورأفته قد تجاوزت الحد فالله بكرمه يرحم رعيتهما بطول بقائهما ، من المشرق إلى المغرب مسيرة خمسة أيام ، ومن الجنوب إلى الشمال مثل ذلك ...

وأما فتحها فذكر البلاذرى أن أبا عبيدة رحل إلى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى، وكان أبوه يسمى عبد غنم ، فلما أسلم عياض كره أن يقال له ابن عبد غنم فقال : أنا عياض بن غنم، فوجد أهلها قد تحصنوا، فنزل عليها فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم وسور مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم والحصن الذى بها ، فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد، وكان الذى صالحهم عياض، فأنفذ أبو عبيدة صلحه، وقيل : بل صالحوا على حقن دمائهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وقيل : إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وأنهم إنما صالحوا على مدينتهم بها ثم رجعوا إليها ...

ثم يذكر ياقوت قلعة حلب ويأتى الكلام عليها فى المادة التالية إن شاء الله تعالى . ثم يقول :

وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه أدباء وشعراء، ولأهلها عناية بإصلاح أنفسهم وتثمير الأموال، فقل ما ترى من نشئها من لم يتقبل أخلاق آبائه فى مثل ذلك ، فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة ويتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ووصفها والحنين إليها ...

ثم ينتقى ياقوت قصيدة يكتفى بها لأبى بكر محمد بن مرار الصنوبرى إذ أجاد فيها ووصف متنزهاتها وقراها القريبة منها . وهى قصيدة طويلة آثرنا الاستغناء عنها ، ويمكنك الرجوع إليها إن شئت فى معجم البلدان٢/ ٢٨٦ ــ ٢٨٩ففيها كل شيء عن حلب ثم يسوق ياقوت هذه الأبيات للشاعر كشاجم :

أرتك نـــــدى الغيث آثـــــــارهــــــا ،
وأخـــــرجت الأرض أزهــــــارهــــــا
ومــــا أمتعت جــــارهــــا بلــــدة
كمــــا أمتعت حلب جــــارهــــا
هى الخلــــد يجمــع مــــا تشتهى،
فــــزرهــــا ، فطــــوبى لمن زارهــــا !

وكفر حلب : من قرى حلب . وحلب الساجور: فى نواحى حلب، ذكرها فى نواحى الفتوح ، قال : وأتى أبو عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه ، حلب الساجور بعد فتح حلب وقدم عياض بن غنم إلى منبج .

وحلب أيضا : محلة كبيرة فى شارع القاهرة بينها وبين الفسطاط، رأيتها غير مرة (معجم البلدان٢/٢٨٢ـ٢٨٦، ٢٩٠) .

(٤) ابن بطوطة (٧٠٣ ــ ٧٧٩هـ/ ١٣٠٤ ــ ١٣٧٧م) :
وصفها ابن بطوطة فى رحلته بما لا يخرج عن وصف ابن جبير فارجع إن شئت إلى كتاب مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ١/ ٥٦ ــ ٦١ » وهو مذكور فى ثبت مراجع هذه المادة .

ويقول ياقوت فى نهاية مادة « حلب » : ولها فى أيامنا هذه سبعة أبواب : باب الأربعين ، وباب اليهود، وكان الملك الظاهر قد جدد عمارته وسماه باب النصر، وباب الجنان، وباب أنطاكية ، وباب قنسرين ، وباب العراق، وباب السر (معجم البلدان : ٢/ ٢٨٥).

وقد بسط ابن الشحنة الكلام على أبواب حلب هذه نقلا عن ابن شداد وابن الخطيب مع زيادات له وهو ما ننقله لك فيما يلى ، ويميز ابن الشحنة كلامه بلفظ « قلت » وكلام ابن شداد بلفظ «قال» :

١ـ باب قنسرين :

ونبدأ بكلام خير الدين الأسدى الذى يقول : باب قنسرين يفضى منه إلى قنسرين . وكلمة قنسرين عمورية بمعنى « قن

النسور» ، ومحله قديم قبل الإسلام ، يتألف من أربعة أبواب : باب يلي المدينة ، وباب يلي البرية ، وبابان بينهما ، وقنسرين تسمى في يومنا العيس نسبة إلى عيساو من بني إسرائيل . وقبره على تلّها كما يزعمون ، وذكر ابن العديم في الزبدة باب قنسرين كثيرا اهـ (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٤، ١٠٥) .

قالت المؤلفة : هذا هو وصف باب قنسرين كما شاهدناه يوم الاثنين٩ صفر١٤١٢هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م أثناء زيارتنا لحلب ، ومما دونته عندي في مفكرتي أن بالسقف ثلاث فتحات للإضاءة .

ونعود الآن إلى استكمال كلام ابن الشحنة الذي يقول :

« قال » ابن شداد فأولها مما يلي القبلة « باب قنسرين » وسمى بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة قنسرين . ويمكن أن يكون من بناء سيف الدولة ابن حمدان لأنه إلى جانبه برج كان مكتوبا عليه اسمه ثم جدده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في



باب قنسرين

سنة أربع وخمسين وستمائة . ونقل إلى بنائه الحجارة من الناعورة ، شرقي حلب من برج كان بها من أبرجة القصر الذي بناه مسلمة بن عبد الملك فيها ونقل إليه باب الرقة ووضعه عليه وكان هذا الباب أولا على سور عمورية وهي مدينة أنكورية . يعلق الأستاذ عبد الله محمد الدرويشن هنا بقوله :

عمورية وإن كانت من عمل فريجيا فهي خلاف أنكورية المعروفة الآن نقرة وكانت عمورية قديما معروفة باسم Amorium وأنقرة باسم Ancyra) . فلما فتحها أمير المؤمنين المعتصم بالله سنة ثلاث وعشرين ومائتين نقله إلى سرمن رأى لما شرع في بنائها سنة إحدى وعشرين ومائتين . ثم نقل منها لما خربت إلى الرقة وبنى على هذا الباب أبرجة عظيمة ومرافق الأجناد حتى صار بمنزلة قلعة عظيمة من القلاع المرجلة المحصنة وعمل فيها طواحين وأفرانا وجبابا للزيت وصهاريج للماء وحمل إليها السلاح وحصنها .

قال ابن شداد : ومن عجائب الاتفاقات ما حكاه لي القاضيان الأجلان قاضي القضاة كمال الدين بن أبي بكر أحمد ابن قاضي القضاة أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الحافظ عبد الرحمن الأسدي المعروف بابن الأستاذ وقاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن ابن الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المعروف بابن العديم . قالا : قصدنا يوما زيارة الشيخ الصالح العابد الزاهد شرف الدين محمد بن موسى الحوراني بظاهر حلب فاتفق عند اجتماعنا به وصول باب الرقة المذكور ليركب على بابا قنسرين فأجرينا ذكره فقال لنا الشيخ يوم فروغ هذا الباب : ينزل على المدينة من يأخذها ويخرب هذا الباب وسائر البلد . فجرى الأمر على ما ذكره فإنه لما استولت التتار على حلب كان أول ما خرب منها . ثم لما أخرجت التتر عنها وملكها الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس نقض حديده المصفح به ومساميره وحمله إلى دمشق ومصر (الدر المنتخب/ ٣٩ـ٤١) .

ويضيف خير الدين الأسدي قوله : ويقع بين قلعة الشريف والجلوم وساحة بزه . وفي دركاه البان خان ، وفي مدخله كان يوجد طاحون لطحن الحبوب ، وداخله ضريح الشيخ علي الطيار (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٥) .

٢ـ باب العراق :

يقول ابن الشحنة نقلا عن ابن شداد :

« قال » ثم يتلو هذا الباب من جهة المشرق « باب العراق » سمي بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة العراق وهو باب قديم مكتوب على بعض أبراجه « أبو علوان ثمال بن صالح بن دمرداش » . وكان ثمال بحلب بعد العشرين والأربعمائة وبين يدي هذا الباب ميدان أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائه وله بابان .

« قال » ابن الخطيب : وهذا الباب لم يبق منه شيء بالجملة الكافية وإنما موضعه الآن شمالي جامع الطواشي عند حمام الذهب انتهى .

« قلت » صدق وكنت أعهد هناك قاعة عظيمة تعرف لها بوابة عظيمة ذات مصطبتين من رخام ولها سباط حسن ثم إن الملك

المؤيد شيخ لما أراد هدم الأسوار وإعادتها إلى ما كانت عليه قديما أمر بهدم تلك القاعة وإعادة باب العراق فهدمت وأسس الباب على ما كان عليه قديما فلما مات المؤيد أزيل الباب المذكور وبطل تجديد السور . والله الموفق .

(الدر المنتخب/ ٤١) .

قال خير الدين الأسدى : داخله مسجد غوث بن سليمان قاضى مصر . زعموا أن به حجراً عليه كتابة بخط على بن أبى طالب رضى الله عنه (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠) .

٣ـ باب دار العدل :

قال ابن شداد : ويلى هذا الباب شرقا « باب دار العدل » كان لا يركب منه إلا الملك الظاهر غياث الدين غازى وهو الذى بناه (الدر المنتخب/ ٤١، ٤٢) .

ويضيف خير الدين الأسدى قوله بإن هذا الباب دثر، وأنه كان محل السرای حاليا (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٩) .

٤ـ الباب الصغير :

قال ابن شداد : ويليه أيضا شرقا « الباب الصغير » وهو الباب الذى يخرج منه من تحت القلعة من جانب خندقها وخانقاه القصر إلى دار العدل ومن خارجه البابان اللذان جددهما الظاهر غازى فى السور الذى جدده على دار العدل أحدهما يدعى بباب الصغير أيضا يفتح على شفير الخندق ويخرج منه إلى الميدان المقدم ذكره والآخر يغلق عليه ، ويلى الباب الصغير الأول « باب الأربعين» (الدر المنتخب/ ٤٢) .

قال خير الدين الأسدى : الباب الصغير شرقى دار العدل، فى موقع حمام الناصرى حاليا، دثر (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠).

٥ـ باب الأربعين :

قال ابن شداد : وكان قد سد مدة مديدة ثم فتح وله بابان واختلف فى تسميته بهذا الاسم فقيل إنه خرج منه مرة أربعون ألفا فلم يعودوا فسمى بذلك .

وقال ابن الخطيب لم يعد سوى رجل واحد فرأته امرأته من طاق وهو داخل فقالت له : دبيران جئت . فقال لها : دبيران من لم يجىء . وقيل لأنه كان بالمسجد الذى داخله أربعون من العباد « وقيل » أربعون محدثا « وقيل » كان به أربعون شريفا وإلى جانب أعلى المسجد للأشراف مقبرة . انتهى .

وقال ابن الخطيب وكان باب الأربعين قد خرب ولم يبق إلا آثاره إلى أن رسم السلطان الملك الأشرف برسباى ببناء السور البرانى فهدم ما بقى من الحجارة ولم يبق به الآن بناء ولا حجارة ..

قال ابن شداد : وهذه الأبواب الثلاثة أعنى باب العراق وباب الصغير وباب الأربعين كان الملك الظاهر غياث الدين غازى قد سفح بين يديها تلا من التراب الذى أخرجه من خندق الروم وسماه التواتير.

« قلت » (أى ابن الشحنة) كأنه اشتق هذا الاسم من الوتيرة بفتح الواو وكسر الفوقانية ثم تحتانية ثم راء ثم هاء وهى الطريقة الملاصقة للجبل فإن هذه التواتير كذلك . والوتيرة تطلق على مطلق الطريقة أيضا ، وتطلق الوتيرة أيضا على الأرض البيضاء وهذه التواتير أيضا كذلك . وتطلق الوتيرة على ما غلظ من الأرض والتواتير أيضا كذلك والله أعلم (الدر المنتخب/ ٤٢، ٤٣) .

قال خير الدين الأسدى : يقع باب الأربعين بين الباب الصغير وباب النصر، قريبا من حمام السلطان ، سد مدة ثم فتح . لا وجود له الآن (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٤) .

ثم « قال » يحيط بها من شرقى قلعة الشريف إلى باب القناة وفتح فيه ثلاثة أبواب ولم يتمها فأتمها ولده الملك العزيز محمد وسمى القبلى منها باب المقام .

٦ـ باب المقام :

قلت لأنه يخرج منه إلى جهة مقام سيدنا الخليل عليه السلام .

« قال » ويعرف الآن بباب نفيس رجل كان به أسفاسلار وهو لفظ أعجمى فتارة يجعلون بين السين موحدة ثم الفاء وتارة يجعلون بعدها فاء ثم هاء وإنما يبدلون من السين صادا وهو عبارة عن متولى الأمر وربما سموه فى هذا الزمان متولى الحجر بفتح الحاء وسكون الجيم وبمعنى أن له الحجر والإذن فيما يتعلق بالبلد أو القلعة أو المكان والله أعلم (انظر مادة « الأسفهسلار » فى م ٤/ ٣٨١ من هذه الموسوعة) .

« قال » ويلى هذا الباب شرقا باب يسمى :

٧ـ « باب النيرب » لأنه يخرج منه إلى قرية تسمى بهذا الاسم .

٨ ـ « قال » ويلى هذا الباب باب القناة سمى بذلك لأن القناة التى ساقها الملك الظاهر من حيلان إلى المدينة تعبر منه .

« قلت » ويعرف الآن بباب بانقوساء لأنه يخرج منه إليها وهى حارة كبيرة ظاهر حلب من جهة الشرق والشمال بها جوامع ومساجد وحمامات وأسواق وخانات وهى الآن بندر عظيم وقد تجدد بين النيرب وباب القناة باب صغير يعرف الآن « بباب خندق يالوج » وهو على التراب الذى أخرج من خندق الروم وبنى عليه السور اللبن فى أيام الملك العزيز ثم غُيِّر هذا السور اللبن فى أيام الملك العزيز أيضا وبنى بالحجارة . والله اعلم .

« قال » ابن شداد : ويلى باب الأربعين المقدم ذكره من جهة الشمال باب النصر .

٩ ـ « باب النصر » وكان يعرف قديما بباب اليهود لأن محال اليهود من داخله ومقابرهم من خارجه فاستقبح الملك الظاهر وقوع هذا الاسم عليه فسماه باب النصر أعنى به اسم باب اليهود فلا يعرف الآن إلا بباب النصر . « قلت » والظاهر أنه لا بد لتخصيصه

بهـذا الاسـم من سبب يقتضيـه لكن لـم يـذكـر ابن شـداد ولا ابن الخطيب بعده لذلك من سبب . والله أعلم .

« قال » وهذا الباب غيَّره الملك الظاهـر وكان عليه بابان يخرج منهما إلى باشورة يخرج منها إلى الظاهر المدينة فهدمه وجعل عليه أربعة أبواب كل باب بدركـاه على حدة يسلك من إحدى الدركتين إلى الأخرى فى قبـو عظيم محكم البناء وبنى عليـه أبرجة عـالية فى جنبيـه محكمـة البنـاء أيضا ويخـرج منـه على جسـر معقـود على الخندق وكـان على ظاهره تلـول عاليـة من التراب والرمـاد وكنائس المدينة فنسفها وأزالها وجعلها أيضا مستوية وبنى عليها خانات يباع فيها الغلات والحطب .

وذكر ابن الخطيب ما يناسب ذلك أنه كان عليه قبل ذلك بابان فقط يخرج منهما إلى باشورة قلت : والباشورة هى قطعة أرض ظاهر سور البلد يجعل عليها سور خاص يحول بينها وبين الخندق يخرج منها إلى ظاهر البلد .

قال ابن شداد ويلى هذا الباب :

١٠ـ « باب الفراديس» وهو من غربى البلد أنشأه الملك الظاهر غياث الدين غازى وبنى عليه أبرجة عـالية حصينة ثم سد بعد وفاته ولـم يزل مسدودا إلى أن فتحه الملك الناصر ابن ابنه .

« قلت » وهذا الباب لم يذكره ابن الخطيب لكنه ذكر استطرادا لما ذكر خراب سور حلب (الدر المنتخب/ ٤٣ـ ٤٥) .

قال خيـر الدين الأسدى : يقع بـاب الفراديس بين بـاب الفرج وباب النصر، أمام عوجة الكيالى حاليا . دثر (أحياء حلب وأسواقها / ١٠١) .

١٠ـ باب الفرج :

هو الباب الصغير .

وذكر ابن شداد بابا آخر يقال له باب الفرج بالقرب من القلعة .

قال خير الدين الأسدى : هو الباب الصغير (الدر المنتخب/ ٤٥) سُمى « ببـاب الفـرج فى دمشق » بهـذا الاسم تفاؤلا لمـا وجـد من التفريج بفتحه (زبدة الحلب ١/ ١٥٠) فتحه الملك الظاهر غازى وكان فـى محله باب يسمـى باب العبَّـارة أو باب الثعابيـن . وباب الفرج لم يبق له أثر .

قـالت المؤلفـة : شاهـدنا المـوقع الذى كـان به ، وذلك يـوم الإثنين٩ صفر١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م ، كما شاهـدنا فى نفس اليوم موقع باب الجنان .

١١ـ باب الجنان :

ذكره ابن شداد فقال :

باب الجنان وسمى بذلك لأنه يخرج منه إلى البساتين وله بابان فظهر لـى أن باب الفـراديس هذا هـو المعروف الآن ببـاب الفرج . وبعضهم يسميه باب العبارة والله أعلم (الدر المنتخب/ ٤٥، ٤٦) .

قـال خيـر الـدين الأسـدى : باب الجنـان : (يلفظـه العـامـة باجنين) سمى بذلك لأنه يفضـى إلى جنان حلب حيث يجرى نهر قويق . ذكره ابن العديم فى الزبدة ، والبغدادى فى مراصد الاطلاع قال : أحد أبواب الرقة ، وأحد أبواب حلب ، وعلق محققه البجاوى بقوله : قال عيسى بن سعدان :

كلمـــا مـــرت بـــه نـــاسمـــة
مـــوهنًـــا جن على بـــاب الجنـــان

هدمته الحكومة السورية سنة ١٣١٠ هـ ووسعت به الطريق ولم يبق له أثر قـال ابن شداد : ويلى هذا الباب ، أعنـى باب الجنان : باب أنطاكية .

١٢ـ باب أنطاكيـة (قمنابزيـارته الإثنين ٩ صفر ١٤١٢هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م) وسمى بـذلك لكونـه يخـرج منه إلى جهـة أنطاكية وكان نقفور ملك الروم قد خرب هذا الباب لما استولى على حلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فلما عاد إليها سيف الدولة بناه ولم يزل على إنشائه إلى أن هدمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبناه وكان ابتدأ بعمارته فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ثم فى سنة خمس وأربعين وستمـائة بنى عليه بـرجين عظيمين وعمل له دركـاه وحنايا بعضها على بعض وله بابان (الدر المنتخب/ ٤٦) .

قال خيـر الدين الأسـدى : وفى باب أنطـاكية جـامع الشعيبية ويسمى الغضـائرى ، وهو أول مسجد بنـاه المسلمون بحلـب عند فتحها ، واسمه حـاليا جامع التوتة ، وبقرب الشعيبيـة تقع المدرسة الأسديـة أنشأها أسد الـدين شيركوه وقـد دثرت . ومن باب أنطـاكية يرقى إلى العقبة يسارا وإلى الجلوم يمينا ، وفى مدخله كله معروف (بالجيم المصرية) (أى جلة) معلقة فى السقف بسلسلـة ومربوطة بعصا ، كان الشيخ معروف أحد الأبطال الفداوية يحارب بها .

(قالت المؤلفة : سمعت لدى زيارتنا لباب أنطاكية أنه يقال إن الذى علقها هو سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه) . وخارجه ما تزال تنتشـر الحوانيت والمخازن التى يقصدهـا البدو وأهل القرى للبيع والشراء ، منها حوانيت الحدادة ، وصناعة الحدوات والبراذع . وقد ذكر ابن شداد (الأعلاق الخطيرة ١/ ٩٠) أسماء واحد وثلاثين مسجدا خـارج باب أنطاكيـة ، وفيه حماما محمـد باشا، أحـدهما مختص بالـدباغين ، والآخر فى رأس الباب المـذكور (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٤، ٩٥) .

قال ابن الشحنة : ويلى هذا الباب :

١٣ـ باب السعادة :

ويخرج منه إلى ميدان الحصـا أنشأه الملك الناصر سنة خمس وأربعين وبنى عليـه أبرجة ولـه دركاه وبـابان . « قلت » وهـذا الباب أيضـا لـم يذكره ابن الخطيب لكونه قد دثر ولـم يبق له رسوم ولكن لما

أمر السلطان الملك المؤيد شيخ بتجديد الأسوار ظهر هنالك باب مسدود فلعله هذا والله أعلم . ثم سد أيضا (الدر المنتخب/ ٤٩) .

قال خير الدين الأسدى : يقع باب السعادة بين الكلاسة وباب أنطاكية فى موقع خراق الجلوم حاليا (أحياء حلب وأسواقها / ٩٩، ١٠٠) .

١٤ـ باب السلامة :

« قال » ابن شداد ومن هذا الباب إلى باب قنسرين « قال » وكان بحلب قديما بابان أحدهما يسمى باب الفرج وهو إلى جانب حمام القصر المشهور أخربه الملك الظاهر ودرست معالمه . والباب الآخر كان على الجسر الذى على نهر قويق خارج باب أنطاكية من بناء سيما الطويل سماه باب السلامة دثرت معالمه وكانت الروم أخربته أيام سيف الدولة بن حمدان وسنذكره فى المبانى القديمة التى بحلب . انتهى كلامه والله تعالى أعلم (الدر المنتخب /٤٦، ٤٧) .

ويضيف خير الدين الأسدى أن الروم خربته سنة٣٥١ هـ (أحياء حلب وأسواقها / ١٠٠) .

وتزخر مدينة حلب بالآثار الإسلامية الرائعة ، التى أسعدنا الحظ بزيارتها يومى الإثنين ٩ صفر ١٤١٢هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م ، والثلاثاء ١٠ صفر / ٢٠ أغسطس . وتشمل المساجد والمدارس والخوانق والربط والزوايا والخانات والحمامات والبيمارستانات وقد أحصاها كل من ابن شداد فى « الأعلاق الخطيرة » ، وابن الشحنة فى « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » ، وخير الدين الأسدى فى «أحياء حلب وأسواقها » ، ونورد بعضها فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

وللأستاذ عفيف بهنسى (من الجمهورية العربية السورية) بحث فى الآثار الإسلامية فى حلب يستهله بمقدمة عن تاريخ حلب يقول فيها :

حلب كلمة عمورية قديمة تعنى النحاس الذى اشتهرت به المدينة فى العصور القديمة . وقد جاء ذكرها للمرة الأولى إبان حكم « سرجون الأكدى » ومضى تاريخها فى التقلب فيما بين ازدهار وانحطاط منذ ذلك الحين ، ففى الحقبة المسيحية ، أصبحت مقرا لكاتدرائية لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، وتعرف باسم المدرسة الحلاوية . ولم تكن حلب فى صدر الإسلام إحدى المدن الرئيسية فى الإمبراطورية ، بل كانت مدينة تابعة تدور فى فلك « قنسرين » عاصمة منطقة حلب ، وكانت قنسرين تماثل أنطاكية فى العظمة والفخامة ، ولم يبق من هذه المدينة التى كانت عظيمة ذات يوم ، سوى أطلال وبقايا حصون ، لا تثير اهتمام أحد اللهم إلا علماء الآثار وحدهم .

وعلى الرغم من نفوذ الأجانب فى العصر العباسى ، إلا أن حلب غدت عاصمة عربية لقبيلة تغلب الحمدانية التى وسعت تخوم ولاية حلب . وكان سيف الدولة أعظم الحمدانيين شأنا ، ففى أثناء حكمه ، خاض معارك كثيرة وحقق انتصارات ساحقة على البيزنطيين وقد سجل أبو الطيب المتنبى الشاعر الفذ الشهير حملات سيف الدولة متغنيا بأمجادها فى قصائد رائعة ، كما صور قصر أبى فراس المشيد على أطراف المدينة وكان يسمى الحلبة . وأصبحت حلب قاعدة للجيوش الإسلامية التى احتشدت لطرد الصليبيين وكانوا يحتلون مناطق من سورية ، بعد أن كانت الحصن الشمالى المنيع لصد هجمات البيزنطيين ، وكان نور الدين بن زنكى هو الذى قضى على مطامعهم . غير أن هذه الحروب لم تمنعه من الاهتمام بالأشغال العامة ولا تزال حلب تحمل طابعه إلى يومنا هذا .

ومضى الأيوبيون فى تنفيذ برنامج الأشغال العامة فى المدينة ، فقام الملك الظاهر بتجديد القلعة وتغطية منحدراتها بالصخور اللوحية . كما شيد « بيت الأعمدة » وقصر « بيت النظر » .

وفى وقت لاحق ، تعرضت حلب للغزو ، إذ شن عليها المغول غارتين ، الأولى بقيادة هولاكو عام ١٢٦٠ ، وقاد تيمور لنك الغارة الثانية عام ١٤٠٠ . وبرغم أن المدينة قد كابدت أسوأ ضروب التدمير ، إلا أنها لا تزال تحتفظ ببعض النماذج الرفيعة لفن العمارة الإسلامى ، التى تجعل من حلب واحدة من المدن البارزة بعد القاهرة من حيث آثار العصور القديمة والنصب التذكارية .

أما فيما يتعلق بفن العمارة المسيحى . فنجد أن كنيسة القرن الخامس عشر القديمة والمدرسة الحلاوية (أوردناها تحت عنوان « الحلوية المدرسة ـ ») والكاتدرائية والمدرسة المقدمية ، لا تزال قائمة فى أماكنها ، فضلا عن غيرها من مبانى القلعة والتى يعود تاريخها إلى العصر البيزنطى .

ويبرز من بين النصب التذكارية الإسلامية الباقية ، سور المدينة وأبوابها : وهى باب النصر وباب أنطاكية وباب قنسرين (القرن الثالث عشر) وباب الفرج وباب المقدام وباب الحديد « القرن الخامس عشر) وباب الجنان (القرن السادس عشر) .

وتعتبر القلعة (الأكروبوليس) أقدم المبانى الباقية . ويعود تاريخها ، بشكلها الراهن . إلى عهد الملك الظاهر غازى سلطان حلب عام ١٠٢٩ ميلادية . والمسجد الأموى العظيم هو أحد المبانى القديمة الأخرى وقد أعيد تجديده عدة مرات ويعود تاريخ مآذنه إلى عام ١٠٩٠ ميلادية (أوردناه فى م١١ / ٤٨١ ـ ٤٨٤ تحت عنوان « الجامع الأموى الكبير بحلب ») .

كما يوجد فى حلب ، مزار يسمى مقام الصالحين ويقال إنه ينحدر إلى زمن إبراهيم الخليل . ولا يزال يوجد فى حلب ، مبنى إسلامى رائع آخر . هو المارستان النورى وهو مستشفى يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى (يأتى الكلام عليه فيما بعد) .

ومن بين مبانى العصر الأيوبى المرموقة فى المدينة ، تبرز المدرسة السلطانية ، وتضم ضريح الملك الظاهر غازى ويسمى «التربة » (١٢٢٣ ميلادية) والمدرسة الظاهرية التى شيدها سلطان حلب (١٢١٧ ميلادية) والمدرسة الكاملية ومئذنة جامع الدباغة وخانكة الفرافرة (١٢٢٧ ميلادية) ومدرسة الفردوس التى شيدتها « ضيفة خاتون » زوجة الملك الظاهر غازى . وتحتوى هذه المدرسة على مسجد ومدرسة وضريح وتعتبر أجمل مثال لفن العمارة الإسلامى فى حلب .

وتتميز من بين المبانى الباقية لعهد المماليك فى حلب، جامع تنبغا (١٣١٨ ميلادية) ومارستان أرغون، وهو واحد من أعظم مستشفيات العصور الوسطى فى سورية ومصر :

(قالت المؤلفة : قمنا بزيارة هذا البيمارستان العظيم فى حلب يوم الثلاثاء ١٠ صفر ١٤١٢ هـ/ ٢١ أغسطس ١٩٩١م، وقد أدرجناه فى هذه الموسوعة تحت عنوان « أرغون الكاملى بيمارستان -) فى م٣/ ٦١٤ - ٦١٧) وجامع أطراش (١٤٠٣) وحمام الناصرى وهو من أجمل الحمامات العامة فى سورية .

ويشتهر من بين الخانات أو فنادق القوافل الشهيرة التى لا تزال توجد فى حلب، خان الصابور ويعود تاريخه إلى بداية القرن السادس عشر وخان الوزير وخان الجمرك وبيت الدلال (القرن السابع عشر) وخان الفرايين وخان التتن وبيت الغزالة وبيت أحقباس (أوائل القرن الثامن عشر) وحمام النحاسين ويعود للعصر العثمانى .

وتعتبر حلب من بين المدن القليلة التى تضم القديم والجديد جنبا إلى جنب، بيد أن الفرق بين الاثنين واضح جلى . فعلى سبيل المثال، تقتصر المدينة القديمة اليوم على أطلال السور الذى يقع بين باب الجنان وباب أنطاكية وباب قنسرين وحدود جدات الخندق مشكلة ساحة مربعة يبلغ ضلعها نحو ١٥٠٠ متر . وإبان حكم الملك الظاهر، اتسعت المدينة إلى الشمال والغرب . ودرج أهل المدينة (أهل الجوا) على السكنى فى المنطقة التى تقع داخل السور، فى حين كان أهل الريف (أهل البرا) يقيمون خارجه .

وتعتبر أحياء البياضة ووراء الجامع والسفاحية أشهر أحياء هذه المدينة التاريخية .

والأسواق من أهم السمات المميزة للمدينة القديمة حيث لا تحفل المدينة فحسب بالشوارع التى تصطف على جانبيها الحوانيت، بل أيضا بممرات المشاة الواسعة المغطاة بالقباب الحجرية السميكة التى تقى من حرارة الصيف وبرودة الشتاء وينفذ الضوء من خلال فتحات فى هذه القباب . وتمتد هذه الأسواق على نحو متصل إلى مسافة تبلغ ١٥ كيلو مترا وتتركز عند نقطة تدعى المدينة إلى الغرب من حلب . ومن بين هذه الأسواق ، يذيع صيت سوق الفرايين وسوق السراجين وسوق الزرب وسوق العطارين وسوق الخايش ، إلخ ...

وتحتفظ المدينة القديمة بطابعها التقليدى من شوارع متعرجة تسترها الشرفات والألواح الخشبية لحمايتها من العواصف والشمس والأمطار . وتصطف البيوت على جانبى هذه الطرق الملتوية . ولا يستطيع المرء اليوم إدراك جمال هذه المنازل حيث إن واجهاتها فى حالة يرثى لها من الإهمال . بيد أنه حالما يلج المرء أبوابها ، يجد نفسه فى عالم آخر من الجمال والهدوء . وقد اعتاد ملاك هذه البيوت أن ينفقوا الكثير على زخرفتها ، إلا أنها أصبحت مهجورة ، بنزوح ملاكها إلى المدينة الجديدة وتواجهنا فى الوقت الراهن مشكلة ذات شقين ، فمن ناحية ، يهدد الإهمال المدينة القديمة على الرغم من أن فن عمارتها وطرازها يتواءم مع تقاليدنا وعاداتنا ومناخنا ومواد البناء المتوافرة ، ثم هناك من ناحية أخرى، مشكلة المدينة الجديدة ويختلف طابعها عن الذوق المحلى، وقد تفاقمت هذه المشكلة نتيجة لوضع غير عادى ألا وهو زيادة عدد السكان إما عن طريق الهجرة من الريف أو بسبب ارتفاع معدل المواليد (٣فى المئة تقريبا) ففى حين كان عدد سكان حلب ١٥٠ ألف نسمة عام ١٩٢٥ و٤٠٠ ألف نسمة عام ١٩٦٠ ، أصبح اليوم ٨٠٠ ألف نسمة . وتتركز هذه الزيادة فى المدينة القديمة ، لا سيما فى المنطقة بين بانقوسة وباب النيرب ومركز الأسواق والخانات والأحياء التجارية . وقد ترتب على هذه الزيادة الهائلة فى السكان رحيل الطبقة البرجوازية وساكنى البيوت التقليدية إلى الأحياء الحديثة تاركين بيوتهم للمهاجرين الذين أهملوها .

ولم تحل المشكلة بالهجرة من المدينة القديمة ، بل إنها على النقيض قد أدت إلى إهمال وتشويه القسمات المميزة للمدينة الفريدة (حلب الآثار الإسلامية فى حلب/ ١٨٥ - ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠)

أما عن المساجد الموجودة بمدينة حلب حتى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فقد حصر ابن شداد البارز منها والمشهور، فبلغ ما هو موجود بداخل حلب ثمانية ومائتى مسجد، وعدد ما هو موجود بين أبوابها أربعة عشر مسجدا . ومبلغ ما هو كائن بأرباض حلب خمسة عشر وعدد مساجد الحاضر السليمانى مائة وعشرة . وعدّد ابن الشحنة مساجد الرابية وجورة حفال، من ضواحى حلب، فبلغ مائة وثمانية وستين مسجدا . أما عن المساجد بخارج باب أنطاكية ومساجد المضيق ومساجد التى بالظاهرية والرمادة وبانقوسا والهزازة فقد بلغ عددها ثمانية وخمسين ومائة . وأضاف ابن القلانسى إلى ما تقدم المساجد الموجودة بالقلعة فبلغت عدتها ستة وخمسين مسجدا واعتمادا على ما جاء فى المصادر المعاصرة للقرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) نستطيع القول بأن عدد مساجد حلب حتى نهاية القرن السابع الهجرى قد بلغ تسعة وعشرين وسبعمائة مسجد .

ولعل أهم مسجد جامع لا يزال باقيا بحلب حتى اليوم وترجع معظم مبانيه إلى القرنين السادس والسابع الهجريين ، هو مسجدها الجامع (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام/ ١٣٧) (أوردنا هذا الجامع

فى م ١٠/ ٤٨١ ـ ٤٨٤ تحت عنوان « الجامع الأموى الكبير بحلب ») .

وأما عن المدارس فقد ذكر ابن شداد ما بباطن حلب وظاهرها من هذه المدارس :

١ـ المدارس الشافعية :

(أ) التى بباطن حلب :

المدرسة الزجاجية ـ المدرسة العصرونية ـ المدرسة النفرية النورية ـ المدرسة الصاحبية ـ المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الأسدية ـ المدرسة الرواحية ـ المدرسة الشعيبية ـ المدرسة الشرفية ـ المدرسة الزبيدية ـ المدرسة السيفية .

(ب) التى بظاهر حلب :

المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الهروية ـ المدرسة البلدقية ـ المدرسة القيمرية ـ مدرسة بالجبيل ـ مدرسة الأمير شمس الدين لؤلؤ ـ مدرسة بالمقام ـ مدرسة عز الدين أبى الفتح ، مظفر بن محمد بن سلطان بن فاتك الحموى .

٢ـ المدارس الحنفية :

(أ) التى بباطن حلب :

المدرسة الحلاوية ـ المدرسة الأتابيكية ـ المدرسة الحدادية ـ المدرسة الجرديكية ـ المدرسة المقدمية ـ المدرسة الجاولية ـ المدرسة الطمانية ـ المدرسة الحسامية ـ المدرسة الأسدية ـ المدرسة القليجية ـ المدرسة الفطيسية .

(ب) التى بظاهر حلب :

المدرسة الشاذبختية ـ المدرسة الأشودية ـ المدرسة السيفية ـ المدرسة البلدقية ـ مدرسة النقيب ـ المدرسة الدقاقية ـ المدرسة الجمالية ـ المدرسة العلائية ـ المدرسة الكمالية العديمية .

٣ ـ مدارس المالكية والحنابلة بحلب :

مدرسة أنشأها الأمير سيف الدين على بن علم الدين سليمان ابن جندر تحت القلعة لتدريس مذهبى مالك وأحمد بن حنبل .

زاوية بالجامع وقفها الملك العادل نور الدين محمود زنكى لتدريس مذهب مالك .

زاوية بالجامع للحنابلة وقفها نور الدين أيضا (الأعلاق الخطيرة جـ ق١/ ٤١٨ ـ ٤٢٢) .

البيوت الحلبية :

وأما عن البيوت الحلبية فيقول الدكتور أندريه ريمون عن المسكن السورى : يتميز المسكن السورى بالامتداد الأفقى وبإعطاء الأهمية الخاصة للباحة السماوية التى غالبا ما تكون مزينة بالأشجار والنباتات وكأنها حديقة ، فضلا عن وجود نفورة الماء فى وسطها ، والمقاعد الحجرية فى أطرافها . ثم هناك الأيوان الذي يطل على الباحة بقوس جميل . ويماثل الإيوان هذا مقعد البيت القاهرى من حيث توجهه نحو الشمال ، ومن حيث استعماله مجلسا فى فصل الصيف ، ولا يختلف أحدهما عن الآخر إلا من حيث إن الإيوان موجود فى الطابق الأرضى بينما المقعد القاهرى موجود فى الطابق العلوي .

ثم يقول :

ومن مميزات الدور الحلبية وجود السرداب الأرضى الذى يستخدم مستودعا للمؤونة أو ملاذا فى فصل الصيف . ووجود السرداب لا يقتصر على الدور الشعبية بل ويشمل الدور الهامة والقصور فى بعض الأحيان (العواصم العربية / ٩٢، ٩٣) .

وللدكتور محمد وليد كامل بحث بعنوان « الأكشاك الخشبية فى الدور الحلبية » ننقل لك مقتطفات منه فيما يلى :

حرص الحلبى منذ قرون خلت على أن يكون بيت سكنه مريحا بهيجا ، ينعم ساكنه بالمسرة ويهنأ بالراحة ، ففيه يحظى بنسائم الربيع والصيف إذ تروح الأسرة تتنسم هبات الهواء اللطيفة فى بهو الإيوان الفسيح الذى يحظى غالبا بسقف مقبب عال يكون بقدر علو غرفتين على الأقل ، وهذا يكسب الجالسين ظلا مشبعاً بنسائم الربيع الندية والصيف الملطفة بمياه السلسبيل الذى يواجه الإيوان ، ويصب فى بركة ناعمة مما يضفى على سهرات الليل صوت الرذاذ اللذيذ وخرير الماء المريح ، كما يضفى على جلسات النهار المشمس المشبعة بأريج زهر الليمون والنارنج والكباد والبرتقال مزيدا من الجمال الساحر ، كما أن هذه البيوت التى تبهج الساكن ربيعا وصيفا هى أيضا تبهجه شتاء وخريفا ؛ فقاعات الجلوس فيها غنية بخضرة الزينة ، وغنية أيضا بالنقوش والزخارف والكتابات التى تدعو الجالسين إلى تأمل معانيها . . كما



المنازل العربية فى حلب القديمة

أنهـا غنيـة بظـلالهـا البهيجة التى تلقيهـا أشجـارهـا الوارفـة على الجالسين.

وهذه القاعات تطل على صحن الـدار بكثير من الشبابيك التى يرى منها الجالسون الأحواض اللطيفة والأشجار المثقلة بثمار الشتاء أو بثمار الـربيع ... فإذا فضت جلسات الأسرة وراح كل إلى غـرفته فالغرفة تحظى بالنور، فالشبـابيك على طول الواجهة والطاقات فوق الشبـابيك، وهـذه الشبابيـك والطاقـات تضفى النـور الكـافى من الشمس التى تمـلأ الغـرفة المفـروشـة بالسجـاد الفخم والأثاث أو الأسرّة الأنيقة، وهى تسمح بالتهوية الكـافية لهذه الغرف، قد يكون للغـرف ـ إضـافة إلى تهـوية الشبـابيك ـ طـاقات (البـاتنج) وهى المكيف الطبيعى الذى يأتيك بهواء من الجهة التى تهب منها نظيفا صافيا ينعش الأجواء فى الصيف أما فى الشتاء فيوقف عمله.

وقد تأتيك البهجـة من الزخـارف التى تزين واجهات القـاعات الخارجية المطلة على صحن الدار وبخاصة زخارف الإيوان، فهذه النقوش والـزخارف الحجرية تتنـاغم مع الزهور والـدوالى والأشجار فتكـون كاللـوحات الخلفيـة الجميلـة التى تملأ المكـان بالجمـال الأخاذ.

العمارة العربية بين الوظيفة والجمال

اتسقت العمارة العربية مع البيئة و المناخ كما اتفقت مع الحياة الإسـلاميـة. ففى التخطيط العـربى، يمتـاز الفناء بكثـرة الخضـرة والزهور والمياه الهادئة التى تمر فى قنوات صغيرة تكون كلها صورة جميلة مصغرة للطبيعة، وقـد أدى ذلك إلى زيادة مسطح الفتحات المؤديـة للفراغـات المحيطة بـالفناء ممـا أدى إلى تداخـل الخارج بالداخل، وغالبا ما اكتفت الدور العربية عن العالم الخارجى بسحر الداخل الفتـان، إلا أن البيوت بدأت منـذ القرن الثامن عشـر تأخذ أسلـوب الصحن المكشوف إلى جـانب الجناح المسقـوف المطل على الصحن من الـداخل، الـذى قـد يطل على الشـارع بأكشـاك خشبية kiosk ، وهـذه الدور تتطـور فى القـرن التاسع عشـر إلى البيت ذى الطابقين المسقوف تمـاما من دون صحن دار مكشوف، فالدور الحلبية كانت من طابقين لكن تطل الغرف فيها على صحن مكشوف، وتكتفى بإطلالة على الداخل، الآن بدأت الدور تطل من خـلال الأكشاك على الشـوارع الضيقـة أو العريضـة، هذه الصـور المعمـاريـة الجـديـدة نـراهـا فى كثيـر من الأحيـاء فى « الفـرافـرة والجميلية والـعزيزيـة والجـديـدة » وغيرهـا ... ليس من ريب أن الكشك فن عثمـانى وفـد إلى تـراث العمـارة العربيـة الإسـلاميـة، وأحدث تحويلا جذريا فى البنية الداخلية للدور العربية، إذ سقفت تدريجيا حتى حـرم ساكنوها من نعمة النظـر إلى السماء والاستفادة من الشمس والهواء بالقرب من الماء المتدفق والنبات المتخضر، ثم تنـاست الكشك شيئـا فشيئـا حتى استغنت عنـه بشـرفـة واسعـة مكشوفة، وبذلك التحم الجو الداخلى بالخارجى بعد أن كان الجو الداخلى معزولا ومحميا من ملوثات الرئة والنفس الإنسانية.

انتقل مفهوم الكشك كعنصر هندسـى من استانبول إلى انجلترا وفرنسـا وألمانيـا، فساهم فى تطـوير العمـارة من طابق إلى طـوابق عديـدة تكاد أن تنطح السحاب فى القرن العشـرين، على حين أنه دخل المشـرق العـربى وطـور عمـارتـه ببطء شـديـد بسبب القيم الأخلاقية التى تحكمه، وعلاقات الجوار التى تعتبر جزءا متوارثا من مجمل تكوينه الحضارى.

لذا يمكن القول: إن عنصر الكشك هو عنصر هندسى جمالى لـو وقف بـالحركـة العمـرانيـة عنـد مـرحلـة الـدور ذات الصحن المكشـوف، والمحمية مـن النظارة الخـارجيـة فى طابقهـا الثـانى المكشك بعضه، إلا أن الأمر كان مرحليا إذ استعاض البيت الحلبى عن الكشك بشرفة اتسعت مع الـزمن حتى أصبحت عنصرا هندسيا بديـلا عن صحن الدار المكشوف، ولـم تعـد الدور العربية معـزولة فشاركت الشارع ضجيجه وتلوثـه، وبذلك حُرم الإنسان العربى من النمو النفسى السليم فى ظل مفهـوم « وليسعـك بيتك » (الأكشاك الخشبية فى الدور الحلبية / ٧٥ـ٧٨).

قالت المؤلفـة ويمدنا ابن الشحنة بقائمة بأسمـاء الدور العظام فى حلب وعـددها ستة وعشـرون دارا، ومن بينها داره التـى أدرجها تحت رقم ١٥ وقـال عنهـا: ودار بحـارة التـركمـان تعـرف بأقبغـا الهـدبـانى، ويلحق بـذلك « دار » المؤلـف الفقير محمـد قـاضى



بيت بطابقين: الأول يفتح على صحن دار مكشوف، والثاني يفتح على الشارع بكشك خشبي مزخرف (حي الفرافرة)

القضاة محب الدين أبى الفضل بن الشحنة وتشتمل على بحرة (وهى الفسقية أو النافورة) وجنينة وسبع قاعات داخل باب كبير.

ومن الطريف أنه يذكر (رقم ١٣) دارًا لجده لأمه / سلمت من التتار ولكن ضربت على يد خاله فيقول: ودار جدى لأمى الأمير شرف الدين بن الملكيسى سلمت من تمرلنك (أى تيمور لنك) « قلت » وأخربها خالى (الدر المنتخب فى تاريخ حلب / ٢٤٢ ـ ٢٤٤).

وقد نشرت مجلة عالم البناء فى العدد (١٥٣) الصادر فى إبريل ١٩٩٤م / ١٤١٤ هـ خبرا جاء فيه ما يلى: بدأت فى حلب النتائج العملية للتعاون السورى الألمانى ضمن المشروع الإنمائى والسياحى العام « مشروع إحياء حلب القديمة تراثيا وعمرانيا وسكنيا. وقد اتفق الفريقان على تأسيس صندوق مالى لتمويل أعمال الترميم والإصلاح للمبانى السكنية الأثرية القديمة، ويستفيد أيضا من هذا المشروع مالكو المنازل العربية القديمة الذين يرغبون فى ترميم منازلهم وإعادتها إلى نموذجها المعمارى والفنى القديم بغرض إحياء مدينة حلب القديمة ـ هـ (عالم البناء / ٧).

انظر مادة « البيوت الإسلامية » فى م ٨ / ٢٧١ ـ ٢٨٥.

أما عن مخطوطات حلب فيقول الأستاذ سامى الكيالى:

قد يطول الحديث عن المكتبات القديمة فى حلب ـ عن الخزائن المنتشرة فى أروقة الجوامع والمدارس الدينية، إنها كثيرة تضم مئات الكتب المخطوطة بل الآلاف، ولا أبالغ حين أقول إنها تزيد على عشرين أو ثلاثين ألف مخطوط تناثر قسم منها هنا وهناك



جانب من صحن الدار مع منظر الإيوان والبركة (دار الطرقجي - الفرافرة)

وهنالك امتدت إليها أيدى العابثين فانتقلت من مقرها إلى شتى مكتبات العالم، ولم يبق من هذا العدد الوفير غير خمسة أو ستة آلاف مخطوط قامت « دار الكتب الوطنية » بجمع ما تفرق منها فى المدارس والجوامع، وكتابة فهارسها، ثم سلمتها إلى مكتبة الأوقاف الإسلامية.

وعناية حلب بدور الكتب جد قديمة . .

فمنذ عهد سيف الدولة أو قبله إلى يومنا هذا، وهذه العناية لم تنقطع، توارثها الأبناء على الأجداد، حتى كان البعض يعتبرها حلية من حلى البيوت والقصور، وكان يفاخر الرجل إذا وقف طائفة من الكتب على مدرسة ما ليفيد منها طلاب العلم، فيعتبرها من أمتع وأثمن هداياه.

يقول الحافظ الذهبى فى تاريخه:

« إنه كان فى خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره ».

وكرت الأيام وتعاقبت العصور، وخزائن الجوامع والمدارس وبيوت العلماء تزداد أو تنقص حين تنقض عليها الأيدى العابثة، إذ لم تكن المكتبات تخضع فى الماضى لهذه الأنظمة التى نعرفها اليوم.

كانت مفتحة الأبواب يغرف منها الطالب ما يريد، والمفروض أن يعيد الكتاب بعد أن يفرغ من مطالعته والإفادة منه إلى مكانه، كما توجبه الأمانة العلمية، ولكنه يهمل ذلك، أو يعيره لصديق له كأنه ملكه، أو ـ وهذا الأرجح ـ يضن أن يخرج من حوزته فيضمه إلى مكتبته، ولا يتورع بعض هواة الكتب أن يستبيحوا ما طاب لهم من ثمرات تلك المكتبات الزاخرة بفنون المعرفة بدعوى أنهم أحق بها من غيرهم!

ففى تاريخ ابن خلكان، فى ترجمة أبى السعادات المعروف بالمسعودى:

أنه لما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبى إلى حلب سنة ٥٧٩ هـ نزل المسعودى إلى جامع حلب، وقعد فى خزانة كتبها الموقوفة، واختار منها جملة أخذها، لم يمنعه منها مانع.

ولقد رأيته ـ والكلام هنا لأبى بركات الهاشمى ـ قال: لقد رأيته وهو يحشوها فى عدل (وفيات الأعيان ١ / ١٠٥٢٠ المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ).

ويعقب المؤرخون على هذه الحادثة بأن السلطان صلاح الدين مؤاخذ لعدم ردعه المسعودى عن أخذه هذه الكتب!

وبعد المسعودى جاء كثيرون إلى حلب، ولا سيما المستشرقون الذين ابتاعوا من المتولين الكثير من النفائس التى نقلت بالسر أو بالعلن، إلى شتى مكتبات الغرب . .

لقد عرفت حلب بين المدن الإسلامية الكبرى بوفرة مكتباتها المليئة بنفائس المخطوطات، وسببه حرص الأجداد على اقتناء ذخائر الكتب حرصا يدعو إلى العجب ...

ويروى الشيخ كامل الغزى مؤلف كتاب « نهر الذهب فى تاريخ حلب » عدة قصص عن ولع الحلبيين بالكتب، وعن اللصوص الذين امتدت أيديهم إلى هذه الذخائر فيقول:

« إن ولع الحلبيين باقتناء الكتب كان ولم يزل غريزة فيهم، فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة حتى إنهم كانوا يتسابقون إلى اقتنائها ويبذلون الأموال الطائلة فى استنساخها.

« أدركنا منهم من استكتب كتاب « تاج العروس » للزبيدى شرح قاموس الفيروزابادى فصرف عليه نحوا من مائتى ذهب عثمانى، إلى غير ذلك من الكتب الكبيرة التى كان أغنياء الحلبيين يتسابقون إلى اقتنائها ».

ثم يقول:

« أدركنا فى مدينة حلب عدة مكتبات غنية بالكتب المخطوطة النادرة، قد تسلط عليها لصوص الكتب فسلبوها كل ماحوته من الطرف والتحف، إلى حلب ويملأون من مكتباتها الصناديق الكثيرة، عدا ما نراه من سواح الغرب وسماسرة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفيسة الخطية من أيدى طائفة من البسطاء، لا يفرقون بين الطين والعجين، فيشترونها منهم بأبخس الأثمان.

« وإنى على يقين من أن مدينة حلب ما زال يوجد فيها العدد العظيم من الكتب الخطية النادرة، التى إذا بحثت عنها وجدتها فى زوايا الإهمال والنسيان فى بيوت جماعة من جهلة العامة، قد هبطوا من أصلاب رجال كانوا يعدون من نبغاء العلم والأدب، فخلف من بعدهم خلف أهملوا العلم وركبوا متن الجهل وباعوا ما كان فى خزائن أسلافهم من الكتب والأسفار، وبقى عندهم منهم بقية عدوها من سقط المتاع، حتى إذا لفتهم إليها الصدف حملها واحد من أطفالهم أو واحدة من عجائزهم وقصد بها باعة الكتب، أو السوق العامة المعروف بسوق الجمعة، حيث تباع السلع الرخيصة، فيبيعون منها ما قيمته ألف قرش مثلا بنصف قرش.

ثم يتحدث عن المكتبات التى فقدت فيقول:

« . . أما المكتبات المفقودة فى حلب، وكانت على جانب عظيم من الغنى فهى مكتبة بنى الشحنة، ومكتبة بنى العديم، ومكتبة بنى الخشاب، وغيرهم من الأسر العلمية التى كانت تعد من أجل بيوتات العلم فى حلب، ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير، ومكتبات المدارس الكبرى كالمدرسة السلطانية والعصرونية والحلوية والشرقية والرواجنة، فإن جميع هذه المكتبات فقدت برمتها فى حادثة تيمورلنك، فمنها ما استأثر به تيمورلنك وابتاعه، ومنها ما انتهبته العامة أثناء تلك الحادثة وطرحوه فى زوايا بيوتهم، ثم باعوه بأبخس الأثمان » (نهر الذهب فى تاريخ حلب ١ / ١٦٩ - ١٧١). .



- بيت إجقباش في حلب - حاليا متحف التقاليد الشعبية

إن مخطوطات حلب لا يمكن إحصاء عددها الوفير، فمنذ عهد الأمير الحمدانى الذى قُدِّرت مكتبته التى وقفها بعشرة آلاف مخطوط، إلى كتب جهابذة اللغة والأدب والشعر وأساطين العلماء والفلاسفة وغيرهم من رجال الفكر الذين عاشوا فى ظلاله، إلى المخطوطات التى عدا عليها تيمورلنك، إلى مكتبة الوزير جمال الدين القفطى التى قدرت بخمسين ألف دينار، إلى مكتبات ابن الشحنة وابن العديم وابن الخشاب وغيرهم من أصحاب المواهب الذين دونوا وألفوا وكانت لهم مكتباتهم الخاصة والذين عاشوا فى مملكة حلب على مر العصور، إلى المخطوطات التى امتدت إليها الأيدى العابثة من المستشرقين ومن غير المستشرقين — نعم، لا يمكن إحصاء عددها الوفير، ولا علينا أن نفترض — ولا مجال للمبالغة، أن عددها قد جاوز المائة ألف مخطوط، لم يبق منها غير بضعة آلاف، ذهب أنفسها وأندرها إلى مكتبات لندن وليدن وباريس وبرلين وغيرها من مدن الشرق والغرب (« مخطوطات حلب » (٢١١ - ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣).

وفيما يلى بيان بخزائن المخطوطات فى حلب:

الخزائن العامة:

١ - خزانة الجامع الأموى الكبير: وهذه أقدم خزائن حلب. وهذه التى عناها الذهبي في تاريخه وقد ضمت لمكتبة الأوقاف.

٢ - خزانة المدرسة الخسروية: (تحت القلعة).

وهذه المكتبة الآن تحت رعاية الأوقاف الإسلامية. والذى أنشأها الوزير خسرو باشا ٩٤١ هـ.

٣ ـ خزانة جامع الكواكبي ومؤسسته : (في محلة الجلوم) .
وهذه أيضا تحت رعاية الأوقاف الاسلامية في المدرسة الشرقية .

٤ ـ خزانة التربة الوفائية : (محلة الشيخ أبي بكر الوفائي) .

٥ ـ خزانة الزاوية الوفائية : (في محلة باب النصر) وهاتين تحت رعاية الأوقاف .

٦ ـ خزانة التكية الإخلاصية النجشية (في محلة البياضة) .

٧ ـ خزانة المدرسة الشعبانية : (في محلة الفرافرة) .

٨ ـ خزانة التكية المولوية . وقد ضمت إلى الأوقاف الإسلامية .

٩ ـ خزانة المدرسة العثمانية : الرضائية (في محلة الفرافرة ـ باب النصر) وهي الآن تحت رعاية الأوقاف .

١٠ ـ خزانة المدرسة الأحمدية (في محلة الجلوم ـ البهراقية) .
وهي الآن تحت رعاية الأوقاف . .

١١ ـ خزانة المدرسة المنصورية (في محلة الفرافرة) . نقلت الى المكتبة العامة لدائرة الأوقاف .

١٢ ـ خزانة الزاوية الهلالية : (في محلة الجلوم) .

١٣ ـ دار كتب الأوقاف الإسلامية ، (السويقة) .
أسست دائرة الأوقاف الاسلامية هذه الدار في سنة ١٣٤٥ هـ واتخذت لها مقرا « المدرسة الشرقية » .

١٤ ـ خزانة البابي الحلبي .

١٥ ـ خزانة الكتخدا : وبنو الكتخدا يسميهم الحلبيون اليوم بنو الكيخيا .

١٦ ـ خزانة الشيخ الصديق : وهو أحمد بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد الصديق .

١٧ ـ خزانة محمد أسعد الجابري . وقد نقل ما بقي منها إلى خزانة الأوقاف .

١٨ ـ خزانة السياق الجزار . وقد نقلت إلى خزانة الأوقاف .

١٩ ـ خزانة عبد الله المراشي . وما تزال عند ورثته .

٢٠ ـ خزانة رزق الله حسون .

٢١ ـ خزانة حسني باقي . والخزانة لدى أحفاده .

٢٢ ـ خزانة الشيخ محمد العقيلي العمري .

٢٣ ـ خزانة الشيخ أحمد الزرقا .

٢٤ ـ خزانة أسعد العنتابي : وقد انتقلت إلى ورثته .

٢٥ ـ خزانة الطباخ . وهو هاشم بن أحمد بن محمد الطباخ الحلبي (ـ ١٢٨٢) .

٢٦ ـ خزانة الحجار . وهو أحمد بن قاسم شَنون الحجار الحلبي (ـ ١٢٧٨) .

٢٧ ـ خزانة آل طلس ـ وقد نقلت إلى دار الدكتور محمد ، أسعد طلس في حياته . وقد احتوت على عدد ضخم من المخطوطات والمطبوعات العربية والتركية . وقد ذكرنا المخطوطات العربيسة في هذه الخزانة . (المنتخب من المخطوطات العربية في حلب / ٥ ـ ٧) .

ولما كانت مكانة حلب على ما ذكرنا فليس عجيبا أن ينهض العلماء ليؤرخوا عنها ، ويضمنوا صحائفهم وأسفارهم منذ القدم ، وحتى اليوم والغد ، أسماء علمائها وشعرائها وأعيانها ، الذين نشأوا فيها أو تربَّوا ، قصدوها أو حلوا ، أو مروا بها مر الكرام وفي مقدمة تحقيقه لكتاب معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب لأبي الوفاء العرضي . يحصي الدكتور محمد التونجي أسماء عدد من الكتب التي ألفت عن حلب نكتفي بذكر بعضها مثل تاريخ الأثاربي (ت نحو ٥٢٠) وتاريخ العظيمي (٤٨٣ ـ ٥٥٦) الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت ٦٦٠) وحضرة و النديم من تاريخ ابن العديم ، وإنعاش الروح بمآثر نصوح لإبراهيم بن الملا الحلبي (ت بعيد ١٠٣٠) وتاريخ حلب لعبد الله بن حسن أغا ميرو (ت ١١٨٤) ، وإعلاء النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ت ١٣٧٠) (معادن الذهب / ٧ ـ ١٢) قالت المؤلفة : يوجد مخطوط « بغية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم في معهد المخطوطات العربية وقد ورد في الفهرس تحت عنوان « تاريخ حلب » وجاء بيانه كما يلي :

جزء منه ، أوله ترجمة : زهدم بن الحارث ، كان بدابق حين ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ...) .

وآخره آخر ترجمة سعيد بن سلام المغربي الصوفي .

نسخة كتبت بخط نسخي ، سنة ٨١٤ هـ في ١٩٨ ورقة ، ومسطرتها ٢٤ سطرا .

[مكتبة الأوقاف العامة بالموصل $\frac{٨}{٩}$] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة ، التاريخ جـ ، ق ٤ / ٦٥ ، ٦٦)

ومن الكتب المؤلفة في تاريخ حلب أيضا كتاب « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » لابن الشحنة ـ تقديم عبد الله محمد الدرويش سلسلة تواريخ المدن السورية (١) ، دار الكتاب العربي ـ سورية ، وعالم التراث ـ دمشق ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م ، وكتاب « أحياء حلب وأسواقها » لخير الدين الأسدي ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جي . دار قتيبة . دمشق ١٩٩٠ ، وكلاهما عندي .

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٨ ، من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان . السفر الثالث ، القسم الأول ٣٤٤ المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٣٧ ، ١٦١ ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المعروف بالبشاري ـ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ١٣٦ ، ورحلة ابن جبير /

١٩٣ ــ ١٩٥، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٨٢ ــ ٢٨٦، ٢٩٠، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٥٦ ـ ٦١، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدى ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جى / ٩٤ ـ ١٠٥ د والدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ــ تقديم عبد الله محمد الدرويش / ٣٩ ـ ٤٧، و « حلب الآثار الإسلامية فى حلب » ـ عفيف بهنسى المدينة الإسلامية. أشرف على النشر، ب. سرجنت، ترجمة أحمد محمد تعلب. اليونسكو ـ السيكومور / فجر ١٩٨٣ / ١٨٥ ـ ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، والأعلاق الخطيرة لابن شداء ــ حققه يحيى زكريا عبَّارة جـ١ ق ١/ ٤١٨ ـ ٤٢٢، والعواصم العربية ـ أندرية ريمون، تعريب قاسم طوير / ٩٢، ٩٣ و « الأكشاك الخشبية فى الدور الحلبية » ـ د. محمد وليد كامل ـ مجلة الفيصل، العدد (٢١٠) ذو الحجة ١٤١٤ هـ ـ مايو ـ يونيو ١٩٩٤ م / ٧٥ ــ ٧٨، ومجلة عالم البناء. العدد (١٥٣) إبريل ١٩٩٤ م ــ ١٤١٤ هـ / ٧، و « مخطوطات حلب » ــ سامى الكيالى. مجلة معهد المخطوطات العربية جـ٢ م ١٣، شعبان ١٣٨٧ هـ ــ نوفمبر ١٩٦٧ / ٢١١ ــ ٢١٦، ٢٢٣، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤٠ / ٥ ـ ٧، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ. جـ٢ ق ٤. القاهرة. ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ / ٦٥، ٦٦).

*** حلب (قلعة) (القرن ١٢ هـ / ١٦ م):**

قلعة حلب، وصفها ابن جبير فى رحلته فقال عنها :

إن من شرف هذه القلعة أنه يذكر أنها كانت قديما فى الزمان الأول ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم بغنيمات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب والله أعلم وبها مشهد كريم له يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه ومن كمال خلالها المشترطة فى حصانة القلاع أن الماء بها نابع وقد صنع عليه جبانة فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ أبد الدهر والطعام يصبر فيها الدهر كله وليس فى شروط الحصانة أهم ولا آكد من هاتين الخلتين ويطيف بهذين الجنبين المذكوين سوران حصينان من الجانب الذى ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة فى الحصانة والحسن أعظم من أن تنتهى إلى وصفه وسورها الأعلى كله أبراج منتظمة فيها العلالى المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانًا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية (رحلة ابن جبير / ١٩٤).

وقال عنها ياقوت :

وأما قلعتها فبها يضرب المثل فى الحسن والحصانة لأن مدينة حلب في وطإ من الأرض وفى وسط ذلك الوطإ جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره، والقلعة مبنية فى رأسه، ولها خندق عظيم وصل بحفره إلى الماء، وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل إلى الماء المعين، وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة، وكان الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب قد اعتنى بها بهمته العالية فعمرها بعمارة عادية وحفر خندقها وبنى رصيفها بالحجارة المهندمة فجاءت عجبًا للناظرين إليها، لكن المنية حالت بينه وبين تتمتها (معجم البلدان ٢ / ٢٨٥).

وتقوم قلعة حلب على هضبة صخرية وجدت فيها آثار بيزنطية، ومعظم أبنيتها الحالية تعود إلى زمن الملك الظاهر غازى الذى جدد حصونها وبنى منحدراتها من أسفل الخندق إلى الأسوار ليتعذر التسلق إليها. وقد رممت أسوارها مرارا (تاريخ الفن / ١٠٥). فقد ظلت قلعة حلب وسورها الشهير على ما كانت عليه قبل الإسلام إذ لم يقُم خلفاء بنى أمية خلفاء العباسيين إلا بتجديد وترميم ما تصدع من أبراجها ولعل أول عمل يعتد به فى العصر الإسلامى هو التجديد الذى حدث فى عهد سيف الدولة الحمدانى (سنة ٣٥٣ هـ / سنة ٩٦٤ م) بعد أن خربها نقفور امبراطور الدولة البيزنطية، فقد جدد ورمم ما لحق بسورها وأبراجها. وما يزال البرح الذى يقع إلى جانب باب قنسرين من جهة الغرب يحمل اسمه كما يحمل تاريخ التجديد. كذلك بنى بنو مرداس، لما ملكوا حلب، عدة أبراج بالسور وذلك (سنة ٤٢٠ هـ / سنة ١٠٢٩ م).

وقد سجلت لنا أبراج قلعة وأسوار مدينة حلب كل من قام بتجديد أو ترميم فيها، فقد سجل اسم نور الدين محمود بن زنكى، واسم الملك الظاهر غياث الدين غازى كما سجل اسم حفيده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازى، الذى قام بأكبر عمارة فى سور وأبراج مدينة حلب، وذلك سنة ٦٤٢ هـ / سنة ١٢٦٢. فقد جدد الأبراج وزاد فى مساحتها على غرار عمله العادل فى سور مدينة دمشق وكان عدد أبراج السور نيف وعشرين برجا وارتفاع كل منها أربعون ذراعا! وعرضه ما بين الأربعين ذراعا وطوله ما بين الأربعين والخمسين ذراعا. أما طول الأسوار فيبلغ ستة آلاف وستمائة وخمسة وعشرون ذراعا، أما سور القلعة فيبلغ ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون ذراعا وعدد أبراجها تسعة وأربعون برجا (ابن العديم: بغية الطالب ورقة ١٣٨).

ولم تسلم قلعة حلب من التتر فقد عمدوا إلى تخريبها وحريق أبراجها وما كان بها من الذخائر والزرد خان والمجانيق فلما هزم الملك المظفر التتر فى عين جالوت هرب من كان منهم بحلب ثم عادوا إليها مرة ثانية بعد قتل الملك المظفر، فأحرقوا برجا كان قد أقيم بأمر الملك المظفر قطز ليكون حماما، ثم خربوا ما بقى من القلعة وظلت على خرابها حتى نهاية القرن السابع للهجرة (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٦٣، ١٦٤).

ويعد مدخل القلعة القائم إلى اليوم من أجمل التحصينات

العسكرية الباقية من القرون الوسطى، ويتألف من برج ضخم فيه الباب الخارجي الذى ينفذ منه إلى درج معلق فوق الخندق على عدد من الركائز والأقواس حتى يصل إلى باب القلعة الرئيسى، وهو ذو واجهة جميلة البناء والتزيين، وتقوم من فوقه قاعة العرش. وفى داخل القلعة مسجدان يرجع الكبيـر منهمـا إلى سنة ١٢١٣ م (تاريخ الفن / ١٠٥، ١٠٦).

وإليك ما كتبه عنها ابن شداد صاحب الأعلاق الخطيرة. قال رحمه الله:

اعلم أن القلعة التى كانت بحلب قد قيل: إن أول من بناه ميخائيل. وقيل: « سلقوس الذى بنى مدينة حلب ». وهى على جبل مشرف على المدينة، وعليها سور. وكان عليها قديما بابان، أحدهما دون الآخر، من حديد. وفى وسطها بئر قد حفر ينزل فيه بمائة وخمس وعشرين مرقاة، قد هندمت تحت الأرض، وجرفت جروفا وصيرت آزاجا ينفذ بعضها إلى بعض إلى ذلك الماء.

وكان فيها دير للنصارى. وكانت به امرأة قد سدت عليها الباب منذ سبع عشرة سنة.

ثم ينحدر السور من جانبى هذه القلعة إلى المدينة. وقيل: لما ملك كسرى حلب و بنى سورها بنى في القلعة مواضع ولما فتح أبو عبيدة مدينة حلب كانت قلعتها مرممة الأسوار، بسبب زلزلة كانت أصابتها، قبل الفتوح، فأخربت أسوار البلد، وقلعتها ولم يكن ترميما محكما فنقض بعض ذلك و بناه.

وكذلك لبنى أمية ولبنى العباس فيها آثار.

ولما استولى نقفور ملك الروم، على حلب فى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة امتنعت القلعة وكان جماعة من العلويين والهاشميين، قد اعتصموا بها منه فحمتهم ولم يكن لها حينئذ سور عامر، لأنها كانت قد تهدمت، فكانوا يتقون سهام العدو بالأكف والبراذع.

وزحف نقفور عليها فألقى على ابن أخته حجر فمات. فلما رأى نقفور ذلك طلب الصلح فصالحه من كان فيها.

ومن حينئذ اهتم الملوك بعمارة القلعة وتحصينها.

فبنى سيف الدولة منها مواضع لما بنى سور حلب.

ولما ولى ابنه سعد الدولة بنى شيئا آخر وسكنها وذلك لما أتم ما بناه والده سيف الدولة من الأسوار وكذلك بنى بها بنو مرداس دورا، وجددوا أسوارها.

وكذلك من بعدهم من الملوك إلى أن وليها قسيم الدولة آق سنقر، وولده عماد الدين زنكى فحصناها، وأثرا بها آثارا حسنة. وبنى فيها طغدكين برجا من قبليها، ومخزنا للذخائر، عليه اسمه مكتوب وبنى فيها نور الدين بن عماد الدين زنكى أبنية كثيرة، وعمل ميدانا وخضرة بالحشيش، وسمى: « الميدان الأخضر » وكذلك بنى بها ولده الملك الصالح باشورة كانت قديمة، فجددها وكتب عليها اسمه ... الباشورة بناء ذو منعطفات أمام كل باب أو خلفه، يقصد به تعويض هجوم العساكر على الباب وقت الحصار، وتعويض دخول الخيل إلى المدينة فى مجموعة كبيرة دفعة واحدة. وجاء فى « معجم دوزى Dozy : « الباشورة - والجمع بواشير - وهو الحائط الظاهرى من الحصن يختفى وراءه الجند عند القتال.

ولم تزل فى زيادة عمارة إلى أن ملكها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأعطاها لأخيه الملك العادل سيف الدين أبى بكر، فبنى بها برجا ودارا لولده فلك الدين وتعرف الآن به.

ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازى حصنها وحسنها وبنى بها مصنعا كبيرا للماء ومخازن للغلات، وهدم الباشورة التى كانت بها. وسفح تل القلعة وبناه بالحجر الهرقلى وأعلى بابها إلى مكانه الآن. وكان الباب أولا قريبا من أرض البلد، متصلا بالباشورة، فوقع فى سنة ستمائة، وقتل تحته خلق كثير، ومن جمله من مات تحته الأستاذ ثابت بن شقويق الذى بنى الحائط القبلى بجامع حلب الذى فيه محراب الصحن.

وعمل الملك الظاهر لهذا الباب جسرا ممتدا منه إلى البلد وبنى على الباب برجين لم ين مثلهما قط وعمل للقلعة خمس دركاوات بآزاج معقودة، وحنايا منضودة، وجعل لها ثلاثة أبواب حديد، ولكل باب منها إسباسلار، ونقيب، وبنى فيها أماكن يجلس بها الجند وأرباب الدولة، وكان معلقا بها آلآت الحرب.



قلعة حلب

وفتح في سور القلعة بابا يسمى : « باب الجبل » شرقي باب القلعة . وعمل له دركاه لا يفتح إلا له إذا نزل « دار العدل » . وهذا الباب وما قبله انتهت العمارة فيهما في سنة إحدى عشرة وستمائة .

وفي سنة عشر وستمائة في الرابع والعشرين من رمضان مهدت أرض الخندق الملاصق للقلعة فوجد فيها تسع عشرة لبنة ذهبا إبريزا وكان وزنها سبعة وتسعين رطلا بالحلبي ، والرطل سبعمائه وعشرون درهما .

وبنى فيها ساتورة للماء محكمة بدرج إلى العين يمير بمائها سائر منازلها .

وبنى ممشى من شمالي القلعة إلى « باب أربعين » ، وهو طريق بآزاج معقودة لا تسلك إلا في الضرورة ، وكان بابه باب سر .

وزاد في حفر خندق القلعة ، وأجرى فيه الماء الكثير .

وأخرق في شفير الخندق ، مما يلي البلد مغائر أعدها لسكنى الأسارى يكون في كل مغارة مقدار خمسين بيتا وأكثر .

وبنى فيها دارا تعرف « بدار العز » ، وكان في موضعها دار للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي تسمى : « دار الذهب » ودار تعرف « بدار العواميد » و « دار الملك رضوان » فحازت كل معنى غريب وفن عجيب ...

وبنى حولها بيوتا وحجرا وحمامات ، وبستانا كبيرا في صدر إيوانها ، فيه أنواع الأزهار ، وأصناف الأشجار ، وبنى على بابها أزجا يسلك فيه إلى الدركاوات والتي قدمنا ذكرها ، وبنى على بابها أماكن لكتاب الدرج (من موظفي ديوان الإنشاء) وكتاب الجيش .

ولما تزوج في سنة تسع وستمائة بضيفة خاتون ابنة عمه الملك العادل التي حكمت في حلب بعد وفاته وأسكنها بها ، وقعت نار عقيب العرس فاحترقت وجميع ما كان فيها من الفرش والمصاغ والآلات والأواني ، واحترقت معها الزردخاناه (كلمة فارسية معناها « دار السلاح ») وكان الحريق في خامس عشر جمادى الأولى من سنة تسع .

ثم جدد عمارتها وسماها دار الشخوص لكثرة ما كان منها في زخرفتها ـ سعتها أربعون ذراعا في مثلها . ـ

وفي أيام الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي وقعت من القلعة عشرة أبراج مع أبدانها ، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ووافق ذلك زمن البرد . وكان تقدير ما وقع خمسمائة ذراع وهو المكان المجاور لدار العدل . ووقع بعض الجسر الذي بناه الملك الظاهر . فاهتم الأتابك شهاب الدين طغريل بعمارتها ، فجمع الصناع واستشارهم ، فأشاروا عليه أن يبنى من أسفل الخندق على الجبل ويصعد بالبناء فإنها متى لم تبن على ما وصفنا وقع ما يبنى عاجلا ، وطرأ فيه ما طرأ الآن وإن قصدها عدو لم يمنعه فرأى الأتابك أن ذلك يحتاج إلى مال كثير ومدة طويلة ، فعدل عن هذا الرأي ، وقطع أشجار الزيتون والتوت ، وترك الأساس على التراب وبنى . ولهذا لما نزلتها التتر لم يتمكنوا من أخذها إلا من هذا المكان ، لتمكن النقابين منه .

وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة بنى فيها الملك العزيز دارا إلى جانب الزردخاناه يستغرق وصفها الإطناب ، ويقصر عنه الإسهاب . مساحتها ثلاثون ذراعا في مثلها .

ولما تسلم التتر القلعة في تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة عمدوا إلى خراب سورها ، وأحرقوا ما كان بها من الذخائر والزردخاناه والمجانيق .

ولما هزم الملك المظفر التتر في عين جالوت وهرب من كان منهم في حلب ، ثم عادوا إليها مرة ثانية ، بعد قتل الملك المظفر ، فرأوا في القلعة برجا قد بنى للحمام بأمر الملك المظفر قطز فأنكروا عليهم بناءه وأخربوا القلعة خرابا شنيعا وما فيها من الدور و الخزائن ، ولم يبقوا منها مكانا للسكنى ، وذلك في المحرم سنة تسع وخمسين ، وبقي الآن سور القلعة القديمة الذي يقال فيه : قفل على خربة (الأعلاق الخطيرة جـ١ ق ١ / ٧٩ ـ ٩٠) .

لقد حصنها الملك غازي بن صلاح الدين ـ كما سبق القول ـ ثم خربها المغول تخريبا شنيعا وأحرقوا مقام إبراهيم « عليه السلام » فيها ، كما خربها تيمورلنك ، واستمرت خرابا إلى أن جاء الأمير سيف الدين جكم فأمر ببنائها وفي سبيل ذلك هدم جكم قنطرتين هما : باب القوس البراني وباب القوس الجواني . وكان ينحصر بينهما سوق الخيل ، وبنى بحجارتهما البرجين على باب القلعة الفوقاني وبنى قصرا على سطح البرجين .

وكان في القلعة جرس كبير معلق على أحد أبراجها الغربية ، يدق ثلاث مرات في الليل ، فرض تعليقه الصليبيون على الملك رضوان بن تاج الدولة تتش حين احتلوا أنطاكية عام ٤٩١ هـ ولم يزل معلقا حين حاصروا حلب عام ٥٨١ هـ ونبشوا القبور ثم أزاله الشيخ الصالح أبو عبد الله بن حسان المغربي عام ٥٨٧ هـ (ترجمته في الأعلاق الخطيرة جـ١ ق ١ / ١٢٧ ، ١٢٨) ويحيط بالقلعة خندق دفاعي عميق كان يغمر بالماء .

ولم تكن القلعة مسكنا لملوك حلب فقصورهم في المدينة ، وبعد أن أحرق نقفور قصر سيف الدولة في وادي قويق في منطقة الفيض على بعد كيلو متر واحد من السور سكن ابنه القلعة . على أن أول من اتخذ القلعة مسكنا دائما هم بنو مرداس ، وصارت سُنة للملوك بعدهم ، ثم ما لبثت القلعة لعدم استقرار الأمن أن غدت حيا ملكيا مغلقا على عامة سكان حلب ، وقد أقام فيها السلاجقة وأحدث ممر تحت الأرض إليها ليتجنب الأمير السلجوقي خناجر الإسماعيليين الذين نشطوا في الاغتيال . وفي مقام إبراهيم عليه

السلام فيها دفن رأس النبى يحيى « عليه السلام » ظهر سنة ٤٣٥ هـ فى حجر منقور ببعلبك فنقل إلى حمص ثم إلى حلب وبعد أن خرب المغول القلعة نقل الرأس إلى الجامع الكبير. وعدد ابن شداد أسماء عشرة مساجد فيها منها مسجد النور ومسجد الخضر ومسجد الخزانة ومسجد الدركاه الكبيرة ومسجد الدركاه الوسطى. و كان فيها فرن ونحو مئة دار وحمامات، حتى كانت زلزلة سنة ١٢٣٧ هـ حيث هدمت أكثر ما فيها من الدور وهجرها سكانها إلى البلدة.

وكان فى القلعة عدة مدافع تطلق فى الأعياد والاحتفالات السلطانية ورمضان ثم أبطلت هذه العادة، وفى عام ١٩٨١ أحيط خندقها بسور جميل.

وتقع القلعة فى قلب مدينة حلب القديمة ويحيط بها حاليا شارع عريض جميل تنفتح عليه أحياء حلب القديمة. وقد تم مؤخرا ترميم قاعة العرش، وبناء مسرح كبير على الطراز الرومانى (أحياء حلب وأسواقها/ ٣١٢ـ٣١٦).

قالت المؤلفة: أسعدنا الحظ بزيارة هذا الأثر الجليل يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م. ومجمل الأسماء التى أثبتها فى مفكرتى هى وفقا لترتيب موقعها بدءا من باب القلعة الرئيسى حتى نهاية المطاف هى كما يلى: بعد الباب الرئيسى لوحة رخامية مكتوب عليها: البرج المتقدم، أنشأه قانصوه الغورى عام ١٥٠٧ م، ثم صعود حوالى ٨ درجات لوحة رخامية مكتوب عليها: الجسر الكبير، ثم إلى اليمين باب الحيات، ثم باب الأسدين أسد ضاحك وأسد باك (٦٠٦ هـ/ ١٢١٠ م) وبعد عدة درجات نجد ضريح سيدنا الخضر عليه السلام، وهو مغطى بغطاء أخضر ومكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم مصنع السلاح (مطلع القرن ٢٦ م)، ويقابله فى آخر رواق إلى اليسار بئر كبيرة العمق مثل « بئر يوسف » فى قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وفوق فتحتها شبكة حديدية.

ثم نتجه يمينا فنجد القاعة البيزنطية ينزل إليها بدرج، وهى ساحة مغلقة مخيفة، ويلى ذلك حمام القلعة، أنشئ فى عهد نور الدين زنكى القرن ١٢ م وهو مجرد أطلال، وتوجد إلى اليسار فتحة فى الجدار يبدوا أنها كانت مكان تسخين المياه. وبسقف الحمام ثلاث قباب. ثم الجامع الصغير (القرن ١٢ م) وفوق فتحة المدخل توجد هذه الكتابة: « أمر بعمارته الملك الصالح نور الدين أبو الفتح إسماعيل بن محمود بزرنجى. آقستقر ناصر أمير المؤمنين بتولى العبد شاه بخت (قالت المؤلفة: من مدارس حلب المدرسة الشاذبختية بالذال المعجمة) سنة خمس وسبعون وخمسمائة. والجامع عبارة عن غرفة بها محراب، وبه أربع فتحات حائطية. وترجد على مدخل الجامع كتابة هى: : قال عليه السلام: « من بنى لله تعالى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » ١٢٩٠، ثم إلى اليمين لوحة حجرية مكتوب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا المسجد المقام الملك العادل نور الدين الفقير إلى رحمة الله أبو القاسم محمود بن زنكى من أقسنقر غفر الله له ولوالديه وأحسن خاتمته فى سنة ثلاث وستين وخمسون [وخمسين] وعلى يمين الداخل إزار حجرى عليه كتابة لم أستطع قراءة منها سوى بضع كلمات ثم الآية القرآنية ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه ... ﴾ [البقرة: ١٨١].

ويجىء بعد ذلك القصر الملكى وتقول اللوحة الرخامية إن تاريخ تأسيسه هو القرن ١٣ م. والقصر حجارة سود وحجارة بيض وبه ساحة سماوية وتخرج منه يسار إلى ممر ثم إلى درج يقابله جدار مكتوب على لوحة رخامية: بيت خدم القصر، القرن ١٣، وهو أطلال. وباب القصر الملكى تعلوه مقرنصات.

أما قاعة العرش فمدخلها مكشوف ومرصوف بالبلاط، والباب بالحجارة السود والبيض وتعلوه مقرنصات وعند مدخل قاعة العرش توجد بئر، كما توجد بئر أخرى فى نهاية القاعة والدرج الذى يؤدى إلى أسفل وقد سجلت فى موضع آخر أنه توجد عند مدخل قاعة العرش بئر مغطاة بشبكة من الحديد، يقابلها فى الجهة المقابلة فتحة مثلها، وفى وسط باحة القصر بئر أكبر سورها قصير مستدير وسقف القاعة خشب منقوش ملون هذا ما كنت قد دونته فى مفكرتى فى عجالة، والله أعلم بالصواب.

(رحلة ابن جبير. ط عبد الحميد أحمد حنفى/ ١٩٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين ـ أنور الرفاعى/ ١٠٥، ١٠٦، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد/ ١٦٣، والأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبارة ١/ ٧٩ ـ ٩٠، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدى ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جى/ ٣١٢ـ ٣١٦).

* حلب (موقعة ـ):

يقسم الأستاذ المعارك الحربية التى خاضتها حلب ضد أعداء المسلمين إلى ثلاثة معارك: الأولى سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، والثانية سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م، والثالثة سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م، وإليك بيان كل منهما:

١ ـ حلب: ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م:

استغل البيزنطيون غياب سيف الدول الحمدانى عن عاصمته حلب وأرسلوا جيشا كبيرا يضم نحو ٨٠ ألف فارس عدا المشاة وأدوات القتال والحصار بقيادة (نقفور) لمهاجمة حلب والتعويض عما ألحقه بهم سيف الدولة من هزائم متلاحقة. وقرر أهل حلب الدفاع عن مدينتهم وانتشروا على الأسوار. ولما ألقى البيزنطيون

الحصـار على المـدينـة جرى قتـال عنيف تحت الأسـوار، وشعـر البيزنطيون بصمـود أهل المدينة وصعوبة فتحها، فتـوجهوا إلى قصر الأميـر خارج الأسـوار ونهبـوا كل مـا فيه مـن سلاح ودواب وأمـوال ومفـروشات ثم أشعلـوا النار فيـه. ولمـا عادوا إلى حصـار المدينـة شددوا عليها الحصار وخربوها بالمجانيق. وكان السكان يسارعون لسد كل ثلمـة تحدث فى الأسـوار. ويئس البيزنطيون وقـرروا العودة لولا فتنة داخلية أشغلت الحرس والمـدافعين عن أسوارها فاستغلها البيزنطيون فـرصة وداهموا المدينة فـانسحب بعض أهلها إلى القلعة التى استعصت عليهم. بينمـا أباح نقفـور المدينـة لجنده سـتـة أيام فسفكوا الدماء وهتكوا الأعـراض، وسبوا الأطفال والنساء ونهبوا كل ما وصلت إليـه أيديهم من الأموال والمتاع، وأشعلـوا النار فى بعض المناطق، وهدموا الدور والمساجد. ولما فشلوا فى فتح القلعة قتلوا عند مـدخلها مئات الأبريـاء من أهل المدينة. وأخـذوا معهم عددا كبيرا من الأسرى ليفادوا بهم. كما فكوا أسر البيزنطيين الذين أسرهم سيـف الدولـة. ولم ينسحب نقفور إلا بعـد أن أنزل بـالمدينـة أنواع الوحشية من قتل واعتداء وهدم وحرق وأسر.

٢ـ حلب: ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م

عندمـا تقدم هولاكـو فى بلاد الشـام حاصر حلب، وأمـر ببناء سور حـول سـورها نصب عليه عشرين منجنيقا وشـاركه فى الحصار ملك أرمينيـا، وأمير أنطـاكية الصليبى. ولمـا رفض الملك المعظم توران شاه الاستسـلام وعروض هولاكو بالأمـان، قصف الإيلخانيون حلب سبعة أيام متواصلة. ثم دخلوها من منطقة متداعية من السور واستولـوا عليها وأباحهـا هولاكو لجنـوده أسبوعا، اشتـد فيها القتل والنهب والحرائق حتى امتلأت الطرق بجثث القتلى. وأسروا النساء والأطفال وصـادروا أرباب الحـرف. ولما استـولوا على القلعـة بعد حصار دام شهرا، دمروا جزءا كبيرا منها. ووقع الملك المعظم توران شاه بالأسر فأحسن هولاكو معاملته.

٣ـ حلب: ٨٠٣ هـ/ تشرين الأول ١٤٠٠م

عندمـا سمع فرج سلطـان المماليـك بحشد جيوش تيمـورلنك على حـدود الشـام عين « سودون » حـاكمـا لدمشـق وكلفه بقيـادة الحملة المكلفـة بالدفـاع عن بلاد الشام عنـد حلب. وكان السبب المباشـر لمهاجمة هذه المـدينة مقتل رسول (تيمـورلنك) على يد حـاكمها (تيمـوتاش). وكـانت خطة الممـاليك التصدى للعـدو خـارج المـدينة. ونصبـوا المنجنيقـات والمكـاحل على الأسـوار. وكـانت قوات تيمـور تقدر بمليـون مقـاتل تتقدمهم الفيلـة. ونجح المماليك فـى المناوشات الأولى مـن الظفر بأربعة آلاف أسيـر من الأعداء أعـدموهم فى حلب وتكبـد الأعداء خسائر كبيـرة بالأرواح. ومع أن المماليك صمـدوا أمام عدوهم واستبسلـوا فى القتال إلا أن الأعداد الكبيـرة فى صفوف جيش تيمور واستخـدامهم الفيلة ألحق الهزيمة بجيش المماليك الذين تفرقوا فى كل اتجاه. واشتد الزحام على أبواب مـدينة حلب. ومـات الكثيرون تحت الأقـدام. وبذلك انهارت المقاومة خلال ساعة من القتال واحتل جيش تيمور حلب. واشتد التنكيل بالسكان الذين ذاقوا أنـواع العذاب عدا الدمار الذى لحق بالمدينـة مدة ثلاثة أيـام حتى استسلمت القلعة. ونكل تيمور بحماتها ونهبـوا كنوزها وخيراتهـا. وقال تيمور عندمـا اطلع على ما أخذ من القلعة: ما كنت أظن أن فى الدنيـا قلعة فيها هذه الذخائر. وانسحب تيمور من المدينة ليقيم فى ظـاهرها بعض الوقت. ولكن مـوجـة القتل والتعـذيب وقطع الـرؤوس بقيت مستمـرة فى حلب. وأقيمت أبراج من الجماجم لتدل على عظمة تيمور. وما لبثت أخبار معـاملـة سكان حلـب وما حل بهـا أن وصلت إلى المـدن الأخـرى فانتشر الخوف فى كل مكان.

(معجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٧ ـ ١٢٩)

* **الحُلْبَة:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب.

الحلبة: بـالضم نبت له حب أصفر يتعالج بـه وينبت فيؤكل. قاله أبـو حنيفة [الدينورى] والجمع حلب، وهـو طعام أهل اليمن عامة. وفى حـديث خالد بن معدان « لو يعلم النـاس ما فى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبا » (معجم أسماء النباتات / ٤٤).

قـال ابن النفيس: حـارة فى الثانيـة يـابسـة فى الأولى، تحلل الأورام القليلـة الحـرارة، وتهيج الأورام الكثيـرة الحرارة ومطبـوخهـا بالعسل يخرج ما فى الصدر من الأخلاط الغليظة ... وينفع الطرفة، ويجلو الحـزاز (وهو ألم الطعـام يحمض فى المعدة) والنخـالة، وينفع أوجاع الرحم وصلابتها وانضمامها (الموجز فى الطب / ٩٨).

وقد أوردها المظفر الرسولى نقـلا عن ثلاثة مصادر رمز إلى كل منها بحرف وذلك على النحو التالى:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج: ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان »

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال: الحلبـة: حارة رطبة إذا طبخت بـالسمن وشربت، لينت العروق والمفاصل اليابسة، وأطلقت حصر البول، وفتتت الحصاة، ويتولد منها غذاء جيد. اهـ.

« ع » تسخن فى الـدرجة الثانيـة، ويخفف فى الدرجـة الأولى ولذلـك صارت تهيج الأورام الملتهبـة، فأما الأورام القليلـة الحرارة الصلبة، فإنها تحللها وتشفيها، وإذا أكلت مع المرى قبل الطعام، لينت البطن، وكثيرا ما تصـدع، وربما غثت، وإذا أكلت مع الخبز

قل تليينها للبطن، ولم تصدع، ولم تغث، والمطبوخة مع العسل تطلق البطن إذا شربت، وتخرج ما في الأمعاء من الأخلاط الرديئة، وتحرك الأمعاء، وتستدعيها إلى البراز، ويخلط معها من العسل قليل كي لا تلذع، ودقيقها يصلح للأورام الحارة، الظاهرة والباطنة ضمادا، وإذا خلط بنطرون وضمد به، حلل ورم الطحال، ويجلس النساء في طبيخ الحلبة، فينفعهن من وجع الأرحام العارض من وجع الرحم وانضمامه، ويسهل ولادة الرحم العسر الولادة للجفاف. وماء طبيخها يعصر ويغسل الرأس بعصارته. فينفع الشعر، ويجلو النخالة والقروح الرطبة، ويجعد الشعر، ويذهب الحزاز، ولعابها مع دهن الورد ينفع من الشقاق البارد، ولحرق النار، ويدخل في أدوية الكلف، ويحسن اللون، ودقيقها يلين الدبيلات وينضجها، والحلبة تلين الصدر والحلق والبطن، وتسكن السعال والربو وعسر النفس - جيدة للريح والبلغم والبواسير، وهي تغير النكهة، وتنتن رائحة العرق والبول، وتطيب الرجيع، « ج » الحلبة تسمى فريقة، وهي حارة في آخر الأولى، يابسة في الأولى، ولا تخلو من رطوبة فضلية، وقيل بل حارة يابسة في الدرجة الثانية، وهي ملينة، منضجة، ودقيقها يحلل الأورام البلغمية والصلبة الحارة الظاهرة والباطنة، وتنقي الحزاز غسلا به للرأس، وتصفي الصوت إذا طبخت وتغذو الرئة وتلين الصدر والحلق، وهي تحدر الحيض ودم النفاس إذا طبخت، وتولد كيموسا رديئا. « ف » حب أصفر اللون غير مدور معروف، حار في الثانية، يابس في الأولى، يسكن السعال والربو وينفع من البواسير. وقال يقوي البدن، ويذهب بالجرب والرمد من العين، وتنفع من الحرارة والأبردة والسعفة، إذا طلي عليها بعسل منزوع الرغوة ... وقال إنها تصفي اللون، وإذا خلطت بعسل وشرب لينت الطبيعة، وأحدرت الطمث. والشربة: ثلاثة دراهم.

(المعتمد في الأدوية المفردة ١ / ٩٩، ١١٠)

وقال داود الأنطاكي:

هي الغاريقا وتسمى أعترن نبت دون ذراع لها زهر أصفر يخلف ظروفا دقيقة حداد الرءوس تنفتح عن بزر مستطيل يدرك بتموز وأجوده الرزين الحديث تبقى قوتها إلى ستين وهي حارة في الثانية يابسة في الأولى لها لعابية ورطوبة فضلية تلين وتخلل سائر الصلابات والأورام ومتى طبخت بالتمر والتين والزبيب وعقد ماؤها بالعسل أذهبت أوجاع الصدر المزمنة وقروحه والسعال والربو وضيق النفس خصوصا مع البرشاوشان عن تجربة ومتى طبخت مفردة وشربت بالعسل حللت الرياح والمغص وبقايا الدم المتخلف من النفاس والحيض وخرجت الأخلاط المحترقة والكيموسات العفنة خصوصا مع الفوة، والنطول بطبيخها والجلوس فيه يسهل الولادة ويسقط المشيمة وينقي الرحم ويحلل الصلابات والبواسير وبقلتها وبزرها يصلحان الشعر المتساقط والنخالة والسعفة ويقلعان الآثار نطولا وطلاء وإذا جعلت دلوكا نقت الأوساخ وحسنت الألوان جدا ومع زبيب الجبل تمنع تولد القمل وإذا نقعت في ماء الورد وقطرت في العين نفعت الدمعة والسلاق والحمرة وبقايا الرمد ودقيقها مع البورق يحلل الطحال ضمادا ومع التين يفجر الدبيلات وإذا غسلت وجففت وسحقت مع بزر الخشخاش واللوز ودقيق القمح وعجن ذلك بالسكر أو العسل وتمودي على أكله سمنت المبرودين وخصبت وأصلحت الكلى إصلاحا جيدا وتطلى على الأورام الحارة بدهن الورد أو الخل مع سويق الشعير والباردة بالعسل وهي تصدع وتنتن العرق وتولد كيموسا غليظا ويصلحها السكنجبين ولا يجوز استعمالها إذا كان في البدن حمى وشربتها خمسة ومن بقلتها إلى عشرة وبدلها البزر (تذكرة أولي الألباب ١ / ١٣٦).

وفيما يلي ما ورد عن إفلاح الحلبة في أحد مصنفات التراث الإسلامي في علم الفلاحة وهو لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري. قال في ذلك:

ويوافقها من الأرض اليابسة الصلبة، وتفسد في الأرض العرقة والنزة والرقيقة والضعيفة والمتخلخلة، وليس تحتاج إلى سقي الماء الكثير، فإنها تصبر على العطش. ووقت زرعها من أول تشرين الأول إلى آخر كانون الأول. وزرعها كزرع الحبوب، إما نثرا وهو الأكثر، وإما حبات في حفائر تحفر لها في الأتراب وهو الأقل. وربما خرج معها في أول زرعها حشائش فتنظف عنها. ويوافقها اخثاء البقر المخلوط بورق القرع والسبستان، وقد قدمنا ذكره عند ذكر الأزبال. ويقويها أن يدق من حبها شيء ويطبخ بالماء، ويرش ذلك على فروع نباتها وأصوله، لأن الفأر والطير مولعة بها؛ وإذا رأيت الفأر ولع بها فينبغي أن يصور في منبتها سنانير أو صورة فأر أسود قد صلب على خشبة. وأكثر آفاتها العطش، وإن كانت جيدة الصبر عليه، فإنها إذا عطشت جفت وتلفت، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الحياة (مفتاح الراحة / ١٣١، ١٣٢).

(الموجز في الطب لابن النفيس — تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوي، مراجعة د. أحمد عمار / ٩٨، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ... صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ٩٩، ١٠٠، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٣٦، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي العمد / ١٣١، ١٣٢.

انظر أيضا معجم التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ ابن قيم الجوزية / ٣١، ٣٢، والطب النبوي لابن الجوزية أيضا - كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات عبد الغني عبد الخالق. وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهري وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٢٣٢، ٢٣٣، والطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد بن

أحمد الذهبى - قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٠) .

* **الحلبية (المقامة -) :**

هذه هى المقامة السادسة والأربعون من مقامات الحريرى، وهى من التراث الإسلامى فى علم الأدب. وقد سماها الحريرى المقامة الحلبية نسبة إلى مدينة حلب التى بسطنا القول فيها فى مادة « حلب ». وهذه المقامة تزخر بالمواد اللغوية كالثنائيات التى تستخدم للتمييز بين أصوات اللغة، كالسين والصاد والضاء والظاء، وبالكلام على هجاء الأفعال التى آخرها حرف اعتلال وغير ذلك. ونظرًا لثرائها فى المفردات اللغوية فإننا نتبعها بشرح معانى الألفاظ حيثما اقتضى الأمر، وقد وضع الشرح بين قوسين. وما ننقله من هذه المقامة هو هذا الجانب اللغوى، مع ذلك الذى جاءت به بعض الحكم والمواعظ ونضرب صفحا عن سائر ما جاء بها، فكل ما حذف وضع مكانه ثلاث نقط للدلالة عليه. وهذه هى المقامة :

روى الحارث بن همام قال نزع بى إلى حلب، شوق غلب، وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ، حثيث النفاذ، فأخذت أهبة السير، وخففت نحوها خفوف الطير، ولم أزل مذ حللت ربوعها، وارتبعت ربيعها، أفانى الأيام، فيما يشفى الغرام، ويروى الأوام، إلى أن أقصر القلب عن ولوعه، واستطار غراب البين بعد وقوعه، فأغرانى البال الخلو، والمرح الحلو، بأن أقصد حمص لأصطاف ببقعتها، وأسبر رقاعة أهل رقعتها، فأسرعت إليها إسراع النجم، إذا انقض للرجم، فحين خيمت برسومها، ووجدت روح نسيمها، لمح طرفى شيخا قد أقبل هريره، وأدبر غريره وعنده عشرة صبيان، صنوان وغير صنوان، فطاوعت فى قصده الحرص، لأخبر به أدباء حمص، فبش بى حين وافيته، وحيا بأحسن مما حييته، فجلست إليه لأبلو جنى نطقه، وأكتنه كنه حمقه، فما لبث أن أشار بعصيته، إلى كبر أصيبيته وقال له أنشد الأبيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث :

أعدد لحسادك حد السلاح
وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها
وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما
عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا
ولا مراد الحمد رؤد رداح
واها لحر واسع صدره
وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله
وماله ما سأله مطاح
ما أسمع الآمل ردا ولا
ما طله والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا
ولا كسا راحا له كأس راح
سودّه إصلاحه سرّه
وردعه أهواءه والطماح

وحصّل المدح له علمه

ما مهر العور مهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بدير يا رأس الدير ...

ثم نادى أوضح يا ياسين ما يشكل من ذوات السين، فنهض ولم يتأن، وأنشد بصوت أغن

نفس الدواة ورسغ الكف مثبتة
سيناهما إن هما خُطَّا وإن درسا
وهكذا السين فى قَسْب وباسقة
والسفح والنحس وافسر واقتبس قبسا

وفى تقسست بالليل الكلام وفى مسيطر وشموس واتخذ جرسا وفى قريس وبَرْدٍ قارس فخذ الصواب منى وكن للعلم مقتبسا فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم أنشد من غير عثار :

بالصاد يكتب قد قبصت دراهما
بأناملى واصخ لتستمع الخبر
وبصقت أبصق والصماخ وصنجة
والقص وهو الصدر واقتص الأثر
وبخصت مقلته وهذى فرصة
قد أرعدت منه الفريصة للخور
وقصرت هذا أى حبست وقد دنا
فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة إذا
حذت اللسان وكل هذا مستطر

فقال له رعيا لك يا بنى فلقد أقررت عينى، ثم استنهض ذا جثة كالبيذق، نغشة كالسوذق، وأمره بأن يقف بالمرصاد ويسرد ما يجرى على السين والصاد، فنهض يسحب برديه، ثم أنشد مشيرا بيديه :

(البيذق : الصقر الصغير، ونغشة : أى حركة ونهوض، والسوذق هو الصقر، وقيل الشاهين) .

والسامغان وسقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح الكتب.

(السامغان : جانبا الفم لكن قيل إنه بالصاد أشهر، وسقر: لغة في الصقر بالصاد.

والسويق : هو دقيق الشعير المقلو وقد يعمل مع البر مع الحمص، والمسلاق: هو الشديد الصوت، ومنه قوله تعالى : ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ [الأحزاب : ١٩] .

فقال له أحسنت يا حبقة ، يا عين بقة، ثم نادى يا دغفل، يا أبا زنفل، فلباه فتى أحسن من بيضة، في روضة، فقال له ما عقد هجاء الأفعال، التي آخرها حرف اعتلال، فقال له اسمع لا صم صداك، ولا سمعت عداك، ثم أنشد، وما استرشد :

إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه

فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن تر قبل التاء ياء فكتبه

بياء وإلا فهو يكتب بالألف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي

تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه ، ثم عوذه وفداه، ثم قال هلم يا قعقاع، يا باقعة البقاع، فأقبل فتى أحسن من نار القرى ، في عين ابن السرى، فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد، لتصدع به أكباد الأضداد، فاهتز لقوله واهتش، ثم أنشد بصوت أجش :

أيها السائلي عن الضاد والظا

ء لكيلا تضله الألفاظ

إن حفظ الظاءآت يغنيك فاسمعـ

ـها استماع امرئٍ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والأظـ

ـلام والظلم والظبي واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ والحظا والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والإيقاظ ... إلخ.

(ظمياء : الظمى : السمرة والذبول. الظلم بالفتح : ماء الأسنان وبريقها . الظبي : جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان ، اللحاظ: جانب العين مما يلي الصدغ، والعظا : جمع العظاية ضرب من الوزغ، الظليم : ذكر النعام ، الظبي : الغزال، الشيظم: الشديد الطول من كل شيء، اللظى : النعار، والشواظ : النار بلا دخان، التظني: إعمال الظن، اللماظ بالفتح والكسر الذوق بطرف اللسان ، والحظا جمع حظوة ، الظئر: المرضعة) .

ونكتفي بهذا القدر كنموذج للمقامات ويمكنك الرجوع إلى المصدر كما هو مبين في ثبت المراجع .

(المقامات الأدبية لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري ط مصطفى البابي الحلبي/ ٣٨٣-٣٩٣) .

*** حَلْحُول :**

قرية من قرى قضاء الخليل في التقسيمات الإدارية لفلسطين المحتلة (من كتاب معجم البلدان ٢٠٢/١) قال عنها ياقوت :

بالفتح ثم السكون ، وضم الحاء الثانية ، وسكون الواو ، ولام:

قرية بين البيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل، وبها قبر يونس ابن متى عليهما السلام ؛ وإليها ينسب عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلحولي الجعدي، محدث زاهد، ولد بحلب ونشأ بها وسار إلى الآفاق، وكان آخر أمره أنه انقطع بمسجد في ظاهر دمشق، ففي سنة ٥٤٣ نزل الإفرنج على دمشق محاصرين، فخرج هذا الشيخ في جماعة فقتل رحمه الله وإيانا (معجم البلدان ٢/ ٢٩٠)

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٢٩٠/٢) .

*** الحلزون (أم الخلول) :**

قال داود الأنطاكي :

الحلزون هو الشنج وخف الغراب وباليونانية فرحوليا وهو عبارة عن صدف داخله حيوان ويختلف كبرا وبرا وجبلا وطولا وعكسها وأجودها الودع المعروف بالكودة وربما خص قوم الشنج به وأجوده هذا المرقش الصقيل المجلوب عن كيلكوت وأردؤه الشحري ويلي الودع الدنيلس المعروف في مصر بأم الخلول ويليها المفتول الصنوبري الشكل المنقش وما عدا هذا رديء وقشر الحلزون بسائر أنواعه بارد يابس في الثانية أو الثالثة ولحمه بارد رطب في الثانية إلا أن أم الخلول للطفها تستحيل بسرعة إلى الدم الجيد ولحوم ما عداها تولد البلغم واللزوجات والسدد والأخلاط الباردة وتنفع من الحكة واللهيب والحرارة الصفراوية وينبغي أن يجتنب لحوم ما كبر منه كالمصاقل وأما أم الخلول فإنها تنفع من الجذام والجرب والحكة والسوداء والجنون والوسواس إذا شربت مطبوخة أو أكلت نيئة وتقطع العطش واللهيب الصفراوي وينبغي أن تؤكل بيسير الخل وأكلها مع الطحينة كما تفعله أهل مصر رديء يولد سددا ويوجب عفونة وقيل إنها إذا بلغت على الجوع كل يوم سبعة إلى أسبوعين منعت الفتق وألحمته وقشرها وقشر الودع إذا أحرق كان غاية في إصلاح طبقات العين وقلع البياض وتحليل الأورام والحمرة والسلاق والجرب وإذا مزج مع الملح المكلس والخل وماء الكرفس وطلي به جفف القروح والحكة والجرب وسكن النقرس والمفاصل وسائر الحلزون إذا أحرق

وقرب من النار وجمعت رطوبته وعجن بها الصبر والمر والكندر كان مرهمًا يدمل الجراح التي لا برء لها ويقطع الدم حيث كان وإذا رض بلحمه وقشره وطلى حلّل الأورام حيث كانت والطحال ووجع العظم وجـذب النطـول والسلـى من البـدن وهـو يلين كـل صلب من المنطرقات حتى يلحق بأعلاها أدنـاها ويقال إنه إذا سحق بوزنه من النوشـادر ونصفه من الكبـريت وسدسه من الملـح النقى وقطر فعل في المشترى أفعالا جليلة (التذكرة ١/ ١٢٧) .

وقـال المظفر الـرسولى نقـلا عن عبـد الله بن البيطار صـاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» وقد رمز إليه بالحرف (ع) :

« ع » منـه جنس يسمى فـوحليـاس، إذا أحـرق مع جسمـه ، وخلط مع رمـاد وعفص أخضــر وفلفـل أبيض، نفع من القــروح الحـادثـة فى الأمعـاء مـا لم تعفـن، يخلط من الفلفل جـزء، ومن العفص جـزء، ومن رمـاد الحلزون أربعـة أجـزاء، ويسحق الجميع سحقا ناعمـا ، ويذر منه على الطعام ، ويسقى منه أيضـا بالشراب والمـاء الأبيض . والحلزون البـرى جيد للمعـدة، وأمـا النهرى فإنـه زَهِم، وأما البـرى اللاصق بالشـوك والأشجار الصغـار، فإنه يسهل البطن ، وقـوة أغطيتهـا كلها إذا أحـرقت مسخنـة محرقة ، تجلـو الجرب المتقـرح والبهق والأسنان ، وإذا أحـرقت كما هـى بلحمهما وسحقت واكتحل بها كما هى مع عسل ، جلت آثار اندمال القروح العارضة فى العين ، وأبرأت قرحة العين ، وتزيل الغشاوة والكلف، ويضمد بها غير محرقة للانتفاخ فتضمره ، ولا تفارق الانتفاخ حتى تنفى رطوبته ، وتسكن أورام النقرس، وإذا ضمد بها جذبت السلاء من داخـل اللحم ، وإذا سحقـت واحتملت أدرت الطمـث، وإذا أخذت اللـزوجة التى على اللحم منها بطـرف الإبرة، ووضعت على الشعر النابت فى العين ألزقته .

ثم يقول نقلا عن ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسـان » وقـد رمـز إليـه بـالحـرف (ج) : الحلــزون من جملـة الأصداف . وهو يابس يطفىء الدم ، وإذا أحرق نفع من قروح العين (المعتمد ١/ ١٠١، ١٠٢) .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٢٧، والمعتمد فى الأدويـة المفردة للمظفـر الـرسولى ــ صححـه وفهـرسه مصطفى السقـا ، ١/ ١٠١، ١٠٢) .

*** الحلزون (بئر -) :**

انظــر : بئــر يــوسف (صــلاح الـديـن) الحلــزون فى م ٨/ ١٣٥، ١٣٦ .

*** الحَلف :**

قال الراغب الأصفهانى :

حلف : الحلف العهـد بين القــوم والمحـالفـة المعـاهـدة ، وجعلت للملازمة التى تكون بمعاهدة ، وفلان حَلف كرم ، وحِلف كرم والأحلاف جمع حليف ، قال الشاعر :

*** تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها ***

والحلف أصله اليمين الذى يأخـذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر بـه عن كل يمين ، قـال الله تعالى : **﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾** [القلم : ١٠] أى مكثار للحلف وقال تعالى : **﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾** [التوبة : ٧٤] **﴿ يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ﴾** [التوبة : ٥٦] **﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴾** [التوبة: ٦٢] وشىء محلف يحمل الإنسان على الحلف ، وكميت محلف إذا كان يشك فى كميتـه وشقوته فيحلف واحد أنه كميـت وآخر أنه أشقر والمحالفة أن يحلف كل للآخر ثم جعلت عبارة عن الملازمة مجـردا فقيل حلف فـلان وحليفــه، وقــال ﷺ : « لا حلف فى الإسلام» وفلان حليف اللســان أى حديده كأنه يحـالف الكلام فلا يتباطأ عنه وحليف الفصاحة (المفردات/ ١٢٩) .

وقال صاحب اللسان :

حلف : الحِلْفُ والحَلِفُ: القسم ، لغتــان، حلف أى أقسم يحلف حَلْفا وحِلْفا وحَلِفا ومحلوفا، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعــول ، مثل المجلـود والمعقــول والمعسـور والميســور، والواحدة حلفة ...

ورجل حالف وحـلاف وحلافة : كثيـر الحلف وأحلفت الرجل وحلفتـه واستحلفته بمعنـى واحد، ومثلـه أرهبتـه واسـترهبته؛ وقـد استحلفه بالله ما فعل ذلك وحلفه وأحلفه ؛ قال النمر بن تولب :

قـــامــت إلـى فـأحلفتهـــا
بهـــدى قـــلائده تختنـــق

وفى الحديث : من حلف على يمين فـرأى غيرها خيـرا منها ؛ الحلف : اليمين ، وأصلهـا العقـد بـالعـزم والنيـة، فخـالف بين اللفظين تأكيدا لعقده وإعلاما أن لغو اليمين لا ينعقد تحته .

وفى حديث حـذيفة : قال له جندب : تسمعنى أحـالفك منذ اليـوم ، وقـد سمعتـه من رسـول الله ﷺ، فـلا تنهـانى ؛ أحـالفك أفاعلك من الحلف اليمين .

والحلف ، بـالكسر، العهـد يكون بين القـوم . وقد حـالفه أى عاهده، وتحالفوا أى تعاهدوا . وفى حديث أنس : حالف رسول الله ﷺ ، بين المهاجـرين والأنصار فى دارنـا مرتين ، أى آخى بينهم ؛ وفى رواية : حـالف بين قريش والأنصـار، أى آخى بينهم ، لأنه لا حلف فى الإسلام . وفى حديث آخـر : لا حلف فى الإسلام . قال ابن الأثيـر: أصل الحلف المعـاقــدة والمعـاهـدة على التعـاضـد والتساعد والاتفـاق، فما كان منه فى الجـاهلية على الفتن والقتال

بين القبائل والغارات فذلك الذى ورد النهى عنه فى الإسلام بقوله ، ﷺ: لا حلف فى الإسلام ، وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام ،كحلف المطيبين وما جرى مجراه ، فذلك الذى قال فيه رسول الله ، ﷺ: وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة ، يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق، وبذلك يجتمع الحديثان ، وهذا هو الحلف الذى يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام ، وقيل : المحالفة كانت قبل الفتح ، وقوله : لا حلف فى الإسلام قاله زمن الفتح ، فكان ناسخا، وكان، عليه السلام ، وأبو بكر من المطيبين ، وكان عمر من الأحلاف ، والأحلاف ست قبائل : عبد الدار، وجمح، ومخزوم، وبنو عدى، وكعب، وسهم .

والحليف : المحالف. الليث: يقال حالف فلان فلانا، فهو حليفه، وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالأيمان أن يكون أمرهما واحدا بالوفاء، فلما لزم ذلك عندهم فى الأحلاف التى فى العشائر والقبائل صار كل شىء لزم شيئا فلم يفارقه فهو حليفه، حتى يقال: فلان حليف الجود، وفلان حليف الإكثار، وفلان حليف الإقلال ؛ وأنشد قول الأعشى :

وشريكين فى كثير من الما
ل وكانا محالفى إقلال

وحالف فلان بثه وحزنه أى لازمه .

ابن الأعرابى : الأحلاف فى قريش خمس قبائل : عبد الدار وجمح وسهم ومخزوم وعدى بن كعب، سموا بذلك لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما فى يدى عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية ، وأبت بنو عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، وهم أسد وزهرة وتيم، ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا، فسموا المطيبين ؛ وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفا آخر مؤكدا على ألا يتخاذلوا فسموا الأحلاف؛ وقال الكميت يذكرهم :

نسبا فى المطيبين وفى الأحـ
ـلاف حل الذؤابة الجمهورا

قال وروى ابن عيينة عن ابن جريج عن أبى مليكة قال : كنت عند ابن عباس، فأتاه ابن صفوان فقال : نعم الإمارة إمارة الأحلاف كانت لكم ! قال : الذى كان قبلها خير منها ، كان رسول الله ، ﷺ، من المطيبين وكان أبو بكر من المطيبين، وكان عمر من الأحلاف، يعنى إمارة عمر.

وسمع ابن عباس نادبة عمر، رضى الله عنه ، وهى تقول: يا سيد الأحلاف! فقال ابن عباس : نعم والمحتلف عليهم ، يعنى المطيبين .

قال الأزهرى : وإنما ذكرت ما اقتصه ابن الأعرابى لأن القتيبى ذكر المطيبين والأحلاف، فخلط فيما فسر، ولم يؤد القصة على وجهها، قال : وأرجو أن يكون ما رواه شمر عن ابن الأعرابى صحيحا .

وفى حديث ابن عباس: وجدنا ولاية المطيبى خيرا من ولاية الأحلافى، يريد أبا بكر وعمر ؛ يريد أن أبا بكر كان من المطيبين وعمر من الأحلاف؛ قال ابن الأثير: وهذا أحد ما جاء من النسب لا يجمع، لأن الأحلاف صار اسما لهم ، كما صار الأنصار اسما للأوس والخزرج .

والأحلاف الذين فى شعر زهير هم : أسد وغطفان، لأنهم تحالفوا على التناصر؛ قال ابن برى: والذى أشار إليه من شعر زهير هو قوله :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها
وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

قال : وفى قوله أيضا :

ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة
وذبيان : هل أقسمتم كل مقسم ؟

قال ابن سيده : والحليفان أسد وغطفان صفة لازمة لهما لزوم الاسم . ابن سيده : الحلف العهد، لأنه لا يعقد إلا بالحلف، والجمع أحلاف .

وقد حالفه محالفة وحلافا، وهو حلفه وحليفه ؛ وقول أبى ذؤيب :

فسوف تقول إن هى لم تجدنى
أخان العهد أم أثم الحليف ؟

الحليف : الحالف فيما كان بينه وبينها ليفين، والجمع أحلاف وحلفاء، وهو من ذلك ، لأنهما تحالفا أن يكون أمرهما واحدا بالوفاء .

الجوهرى : والأحلاف أيضا قوم من ثقيف، لأن ثقيفا فرقتان : بنو مالك والأحلاف ؛ ويقال لبنى أسد وطيئ الحليفان ؛ ويقال أيضا لفزارة ولأسد حليفان، لأن خزاعة لما أجلت بنى أسد عن الحرم خرجت فحالفت طيئا، ثم حالفت بنى فزارة .

ابن سيده : كل شىء مختلف فيه فهو محلف، لأنه داع إلى الحلف، ولذلك قيل : حضار والوزن محلفان، وذلك أنهما نجمان يطلعان قبل سهيل من مطلعه، فيظن الناس بكل واحد منهما أنه سهيل ، فيحلف الواحد أنه سهيل ويحلف الآخر أنه ليس به .

وناقة محلفة إذا شك فى سِمَنِها حتى يدعو ذلك إلى الحلف . الأزهرى : ناقة محلفة السنام لا يدرى أفى سنامها شحم أم لا ؛ قال الكميت :

أطــــلال محلفــــــة الـــــرســــو
م بألــــوتى بــــــر وفــــاجـــــر

أى يحلف اثنان : أحدهما على الدروس والآخر على أنه ليس بدارس، فيبر أحدهما فى يمينه ويحنث الآخر، وهو الفاجر .

(لسان العرب ١١ / ٩٦٣-٩٦٥) .

ويسوق الإمام النووى درسا فى النهى عن الحلف بغير الله وتحريم اليمين الكاذب، وندب من حلف على يمين فرأى خيراً منها أن يفعل المحلوف عليه ثم يكفِّر عن يمينه وجاء فيه ما يلى :

روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . وروى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم (الطواغى جمع طاغية وهى الأصنام) وروى فى غير مسلم بالطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم . وروى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان » قال ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ [آل عمران : ٧٧] إلى آخر الآية وروى مسلم عن أبى إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن كان قضيبا من أراك » وروى البخارى عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » وفى رواية له «أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الإشراك بالله ، قال ثم ماذا؟ قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس؟ قال الذى يقتطع مال امرىء مسلم يعنى بيمين هو فيها كاذب » وسميت غموسا لإنها تغمس صاحبها فى النار . وروى الشيخان عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : « قال لى رسول الله ﷺ وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفِّر عن يمينك » وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير » وروى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنى والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى غيرها خيرا منها إلا كفَّرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير » .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ لأن يلج أحدكم فى يمينه فى أهله آثم له عند الله تعالى من أن يعطى كفارته التى فرض الله عليه » (قوله يلج أى يتمادى فيها ولا يكفِّر وقوله آثم له أى أكثر إثما) وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت أنزلت هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله . وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب » .

وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » وقد عنون الإمام النووى لذلك بقوله باب كراهة الحلف فى البيع وإن كان صادقا » (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٦٣-٢٦٧) .

وعن الحلف بالقرآن هل هو كالحلف بالله تعالى بحيث ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة أم لا ؟ جاءت هذه الفتوى فى مجلة الأزهر ردًّا على سؤال سيدة متسائلة :

نفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعى وأحمد وعامة أهل العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس بيمين .

قال ابن قدامة - من الحنابلة فى المغنى ما نصه : « وجملته أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة به بالحنث فيها . وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعى وأبو عبيدة وعامة أهل العلم .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ليس بيمين ولا تجب به كفارة فمنهم من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال : لا يعهد اليمين به ، ولنا أن القرآن كلام الله وصفة من صفات ذاته فتنعقد اليمين كما لو قال : وجلال الله وعظمته . وقولهم : هو مخلوق قلنا :

هذا كلام المعتزلة وإنما الخلاف مع الفقهاء .

وقد روى عن ابن عمر أن النبى - ﷺ - قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ قرآنا عربيا غير ذى عوج ﴾ [الزمر : ٢٨] أى غير مخلوق ... إلخ ما قال ...

وقد علل شمس الأئمة السرخسى كون الحلف بالقرآن ليس يمينا بأن الناس لم يتعارفوا الحلق بالقرآن فقد جاء فى المبسوط من الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته « أنه إذا قال والقرآن لا أقربك لا يكون موليا ، لأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن والمعتبر فى الأيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفا لا يكون يمينا » .

وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا القرآن كلام الله تعالى والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يمينا ولكنا نقول : كلام الله تعالى صفة ولكن الحلف به غير

متعارف. فكان هذا بمنزلة قوله « وعلم الله ». وكذلك اختار صاحب الهداية فى تعليل كون الحلف بالقرآن غير يمين على مذهب متقدمى الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب صاحب «فتح القدير» إلى أنه يمين لأن العرف الآن الحلف بالقرآن وبهذا يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية أيضا للعرف كما قال صاحب الفتح فلا فرق الآن بين الحلف بالقرآن والحلف باسم من أسمائه تعالى وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم («الفتاوى» / ٥١٨).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٩، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٩٦٣ ـ ٩٦٥، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام محيى بن شرف الدين النووى ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٢٦٣ ـ ٢٦٦، و « الفتاوى » ـ إعداد الأستاذ عبد المنعم فودة. مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة الخامسة والستون، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٢م/ ٥١٨).

*** الحلف بغير الله :**

انظر : الحلف.

*** الحلف بالقرآن :**

انظر : الحلف.

*** حلف الفضول :**

شهود النبى ﷺ حلف الفضول

عن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبد الله ابن عوف الزهرى يقول : « قال رسول الله ﷺ : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حِلفًا ما أحب أن لى به حمر النعم. ولو دعى به فى الإسلام لأجبت ».

رواه ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٩٣.

عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر قالا.

« قال رسول الله ﷺ : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الإسلام لأجبت. تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها. وألا يعد ظالم مظلوما (وفى رواية أخرى « وأن لا يعز ظالم مظلوما » أى لا يعتز ظالم بقوته أو جاهه. رواه ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٩١.

كان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة فى شهر ذى القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر، وكان أكرم حلف سمع به وأشرفه فى العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب. وكان سببه أن رجلا من قبيلة زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف، عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدى بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل، وانتهروه. فلما رأى الزبيدى الشر صعد على جبل أبى قبيس عند طلوع الشمس ـ وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ـ فنادى بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحِجر والحَجر

إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك. فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعاما، وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله، ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدى إليه حقه، ما بلّ بحر صوفة، وما بقى جبل ثبير وحراء مكانهما، وعلى التأسى فى المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف الفضول، وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدى، فدفعوها إليه. وقال ابن قتيبة : إنما سمى حلف الفضول لأنه أشبه حلفا تحالفته جرهم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه. وكان الداعى إليه ثلاثة من أشرافهم، اسم كل واحد منهم فضل. وهم الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث.

(المنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م، ١/ ٨٣، ٨٤).

*** الحَلْفاء :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وعلم طب الأعشاب.

جاء فى معجم أسماء النباتات : حلف محركة : عن الأخفش : نبت من الأغلاس. قال أبو حنيفة [الدينورى] قال أبو زياد : وقلما تثبت الحلفاء إلا قريبا عن ماء أو بطن واد، وهى سلبة المس لا يكاد أحد يقبض عليها مخافة أن تقطع يده، وقد يأكل منها الإبل والغنم أكلاً قليلاً، وهى أحب شجرة إلى البقر. الواحدة منها حلفة مثل خشبة. قاله أبو زياد ونقله أبو حنيفة. وقال سيبويه : الحلفاء واحد وجمع وكذلك طرفاء. ونقله أبو عمرو أيضا هكذا (معجم أسماء النباتات/ ٤٤).

وجاء فى اللسان :

والحلف والحلفاء : من نبات الأغلاث، واحدتها حَلِفة وحَلَفة وحلفاء وحلفاة؛ قال سيبويه : حلفاء واحدة، وحلفاء للجميع، لما كان يقع للجميع، ولم يكن اسما كسر عليه الواحد، أرادوا أن يكون الواحد من بناء فيه علامة التأنيث كما كان ذلك فى

الأكثر الذى ليست فيه علامة التأنيث ويقع مذكرا، نحو التمر والبر والشعير وأشباه ذلك، ولم يجاوزوا البناء الذى يقع للجميع حيث أرادوا واحدا فيه علامة التأنيث، لأنه فيه علامة التأنيث فاكتفوا بذلك وبينوا الواحدة بأن وصفوها بواحدة، ولم يجيئوا بعلامة سوى العلامة التى فى الجمع لتفرق بين هذا وبين الاسم الذى يقع للجميع وليس فيه علامة التأنيث، نحو التمر والبسر.

وأرض حلفة ومحلفة: كثيرة الحلفاء وقال أبو حنيفة: أرض حلفة تنبت الحلفاء.

الليث: الحلفاء: نبات حمله قصب النشاب. قال الأزهرى: الحلفاء نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت فى مغايض الماء والنزوز، الواحدة حلفة مثل قصبة وقصباء وطرفة وطرفاء. وقال سيبويه. الحلفاء واحد وجمع، وكذلك طرفاء وبهمى وشكاعى واحدة وجمع.

الجوهرى: الحلفاء نبت فى الماء، وقال الأصمعى: حلفة، بكسر اللام وفى حديث بدر: أن عتبة بن ربيعة برز لعبيدة فقال: من أنت؟ قال: أنا الذى فى الحلفاء؛ أراد أنا الأسد، لأن مأوى الأسد الآجام ومنابت الحلفاء، وهو نبت معروف؛ وقيل: هو قصب لم يدرك. والحلفاء: واحد يراد به الجمع كالقصباء والطرفاء، وقيل: واحدته حلفاة.

(لسان العرب ١١/ ٩٦٥).

وعن الخصائص الطبية للحلفاء يقول المظفر الرسولى نقلا عن عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» الذى يرمز إليه بالحرف (ع):

حلفاء - «ع» نبت معروف، إذا أخذ منها ثلاثة وأوقدت وكوى بها الدماميل فى أول ظهورها ثلاث مرات، منعها من التزايد، ورمادها إذا أحرق حار يابس، إذا غسل به الرأس نقاه من الإبرية تنقية بالغة وأزالها، ولا يعدلها فى ذلك دواء آخر، وإذا شرب مع عسل وخل قتل الديدان فى البطن. يؤخذ كذلك ثلاثة أيام متوالية، وإذا أوقدت أطرافه وكويت بها النملة الساعية، نفع منها نفعا بليغا (المعتمد ١/ ١٠٢).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى - جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى/ ٤٤، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٩٦٥، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا، ١/ ١٠٢).

*** الحلق والتقصير:**

من واجبات الحج بعد رمى جمرة العقبة. قال الإمام ابن الديبع:

١ - عن أنس رضى الله عنه «أن النبى ﷺ أتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس».

وفى رواية: أعطى الجانب الأيمن لمن يليه والأيسر لأم سليم.

٢ - وفى رواية «أنه دفع الأيسر إلى أبى طلحة، وقال له: اقسمه بين الناس». أخرجه الخمسة إلا النسائى.

٣ - وعن على رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها». أخرجه الترمذى.

وزاد رزين: فى الحج والعمرة وقال: إنما عليها التقصير.

٤ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: اللهم ارحم المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: اللهم ارحم المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: والمقصرين» أخرجه الستة إلا النسائى.

٥ - وللشيخين عن أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله وللمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا يا رسول الله: وللمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا يا رسول الله: وللمقصرين. قال: وللمقصرين».

٦ - ولمسلم عن أم الحصين (انظر ترجمتها فى موضعها) رضى الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ فى حجة الوداع (انظر هذه المادة فى موضعها) دعا للمحلقين ثلاثا، وللمقصرين مرة واحدة».

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٢٩٦، ٢٩٧).

انظر: الحج فى م ١٣/ ١١٣-١٢٨.

*** الحلقية:**

الحلقية: هى الأحرف الستة المعروفة التى هى الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء. ولقبت بذلك ونسبت إلى الحلق لخروجها منه.

(ملخص أحكام التجويد - د. شعبان محمد إسماعيل/ ٧٩).

انظر: الحروف (مخارجها) فى م ١٣/ ٤٧٩-٤٨٣.

*** الحلل البهيجة فى فتح البريجة وسيرة الملك الهاشمى سيدى محمد بن عبد الله الفاطمى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ.

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد بن أبى القاسمى بن محمد بن محمد بن سليمان المراكشى، المتوفى بعد التسعين ومائة وألف.

(دليل مؤرخ المغرب ٥٤) .

تكلم فيه على فتح مدينة البريجة المعروفة الآن بالجديدة بالمغرب الأقصى زمن السلطان المظفر محمد بن عبد الله العلوى الحسنى، المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ .

أوله : « الحمد لله العظيم الجواد الذى مَنَّ علينا بالجهاد » .

وآخره : « والله ذو الفضل العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ... آمين والحمد لله رب العالمين » .

نسخة كتبت بخط مغربى، بقلم محمد بن العباس بن محمد العونى ثم الجديدى .

فرغ من نسخها عشية الجمعة ٥ صفر سنة ١٣٢٣ هـ . تقع فى ٢٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرًا .

[الرباط ١٣٢٨ د]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ حـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٣) .

*** الحلل البهية فى ملوك الدولة العلوية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ .

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية .

(وهو شرح على نظم أبى المعالى بن المكى بن أحمد بن سليمان الأندلسى الفاسى، المتوفى ١٣١٠ هـ .

لأبى عبد الله محمد بن المصطفى المشرفى الحسنى ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ . (فهرست الرباط ٢/ ١٤٤) .

أوله : « الحمد لله الذى جعل رتبة الملوك أعلى الرتب ... وبعد ، فلما وقفت على قصيدة الكاتب الأديب الآتى ذكره فى المقدمة ... فى عهد ملوك من الدولة العلوية المختصة بمفاخر جمة ... أتحفتها بشرح يرفع على منصة البيان فرائدها ... » .

وهو ناقص من آخره ، وآخر الموجود منه : « وقد صار ملكه له بالهدية من الملوك كما هى عادة الملوك العظام ، وهو أيضا من معانى الاعتزاز من الأجانب فى ... قبله وكان » .

نسخة كتبت بخط مغربى، ضمن مجموعة من ١٧٨ ـ ٤٩٧، فى ١٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطرًا .

[الرباط ٣٢٠ ك]		UNESCO

نسخة أخرى :

ناقصة من آخرها ، وآخر الموجود منها : « ولا زال أمره فى الازدياد ، وكان قبل وجه له » .

نسخة كتبت بخط مغربى، فى ١٩٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطرًا.

[الرباط ١٤٦٣ د]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية التاريخ جـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٣ ، ١٥٤) .

*** الحلل السندسية فى الأخبار التونسية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية

وهو المعروف بتاريخ الوزير.

لأبى عبد الله محمد بن محمد السراج الأندلسى، الشهير بالوزير، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ.

(بروكلمان ٢ / ٤٥٨ وملحق ٢ / ٦٨٥)

الجزء الثالث

وأوله : « الحمد لله الذى أيد بلاحظ رعايته من سلك على جادة الرحمة سبيلا ... وبعد، فإنه لما تقدم الوعد فى صدر الجزء الأول من هذا الكتاب ... بأن نجعل الثالث منه فى ذكر الدولة التونسية ... انفرد هذا الجزء لظرف طرف من استطراد دولة هذا الأمير الذى صير الآمال مناخا لجميل سيرته ... » .

وهو ناقص من آخره، وآخر ما جاء فيه :

وعظم وقار تصبح الشم حوله
فريقين راج عفوه ودخيل

فى أثناء ذكر حوادث سنة ١١٣٧ هـ.

نسخة كتبت بخط مغربى، فى ٨٦ ورقة، ومسطرتها ٣٣ سطرًا، وبآخرها آثار رطوبة .

[الرباط ٣٢٧ ك]		UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م / ١٥٤، ١٥٥).

*** الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الكلام لمؤلف مجهول .

مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض وجاء بيانه كما يلى :

رقم الحفظ : ١٢٥ ـ ف

عنوان المخطوطة : الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة

عنوان المخطوط الفرعى : شرح جوهرة التوحيد للقانى

بداية المخطوط : الحمد لله الواحد الأحد . . وبعد فهذا تفسير مختصر على جوهرة التوحيد للشيخ العلامة . . اللقانى . . وسميته الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة .

نهاية المخطوطة : بما أتوا فى ذلك بمقال . . والقتل . . وتجرعوا كاسات . . والذل .

نوع الخط : مغربى ردىء .

تاريخ النسخ : القرن ١٢ هـ/ ١٨م

ملاحظات عامة : نسخة ناقصة من آخرها ويبدو أن نقصها كبير .

(فهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م/ ١٩٠) .

* **الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ . مجهول المؤلف .

توجد نسختان من مخطوطه بالخزانة العامة بالرباط ، وننقل بيانهما فيما يلى ، مع رقمى التسلسل :

١٤٢٨ د ـ الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ـ مؤلفه غير مذكور أوله ـ الحمد لله الذى أخرج الأمور على مشيئته وتقديره إلخ ...

ألفه بالأندلس فى عهد السلطان الغنى بالله محمد الخامس النصرى ، وفرغ من تأليفه يوم الخميس ١٢ ربيع الأول عام ٧٨٣هـ.

فى مجموع ، من ورقة ١٩١ / ب إلى ٢٥٩ / أ، مسطرته ٢٢، مقياسه ٢٢٠/ ١٧٠ .

فرغ من نسخه بعد عصر يوم الإثنين ٧ ربيع الأول سنة ١٢٩٥ ، خط مغربى وسط .

تكلم عنه بروكلمان فى ملحقه ٢/ ٣٤٢، وسركيس فى معجمه / ١٥٩٠ .

طبع بتونس سنة ١٣٢٩، ونسبه الناشر للسان الدين بن الخطيب . واعتنى ي . س . علوش بنشره ضمن مجموعة التواليف العربية المطبوعة من لدن معهد الدراسات العليا المغربية فى الجزء السادس الصادر بالرباط سنة ١٩٣٦ . واعتمادا على هذه الطبعة نقله أمبروزيو هويسى ميراند إلى اللغة الإسبانية ، ونشره فى معهد الجنرال فرانكو بتطوان سنة ١٩٥٢ ، مستهلا به مجموعة التواليف العربية فى التاريخ .

جاء فى معلمة الإسلام أن هذا الكتاب منسوب وهَمْاً لابن الخطيب « لسان الدين » .

١٥٣٦ د ـ نسخة أخرى منه :

عدد أوراقها ٢٣ ، مسطرتها ٢٤ ، مقياسها ٢٣٠/ ١٨٠، مبتورة الأول والآخر .

عدد أوراقه ٦٤ ، مسطرته ١٨ ، مقياسه ٢٤٥/ ١٩٠ .

فرغ منه فى ٧ قعدة عام ١٣٣٦ ، خط مغربى جيد .

راجع ترجمة أبى الحسن منون فى الإتحاف ٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢

(مجموعة مختارة/ ٨٣، ٨٤) .

توجد منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية وردت بالرقم التسلسلى ١٥٨٤ ، وجاء بها ما يلى :

بروكلمان ملحق ٢/ ٣٤٢) .

أوله : « الحمد لله الذى أخرج الأمور على مشيئته وتقديره » .

وآخره : « وهذا ما حضر والسلام ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين » .

نسخة كتبت بخط مغربى ضمن مجموعة من ورقة ١٩٢ أ ـ ٢٥٩ ب ، ومسطرتها ٢٢ سطراً . فرغ من نسخها عصر يوم الإثنين ٧ ربيع الأول ١٢٩٥هـ .

[الرباط ١٤٢٨ د]　　　　UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ ٢ ق ٤ / ١٥٥، ١٥٦) .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١/ ٨٣، ٨٤، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ جـ ٢ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م/ ١٥٥، ١٥٦) .

* **الحِلْم :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الأخلاق .

قال الراغب الأصفهانى : الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام . قال الله تعالى : ﴿ **أم تأمرهم أحلامهم بهذا** ﴾ [الطور : ٣٢] قيل معناه عقولهم وليس الحلم فى الحقيقة هو العقل ولكن فسَّروه بذلك لكونه من مسببات العقل وقد حَلُم وحلَّمه العقل وتحلَّم . قال الله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم لحليمٌ أواهٌ منيب** ﴾ [هود : ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **فبشّرناه بغلام حليم** ﴾ [الصافات : ١٠١] أى وجدت فيه قوة الحلم، وقوله عز وجل: ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم** ﴾ [النور : ٥٩] أى زمان البلوغ وسمى الحُلُم لكون صاحبه جديرًا بالحلم (المفردات فى غريب القرآن/ ١٢٩) .

يقول الإمام ابن قدامة فى فصل أفرده للكلام على الحلم :

روى أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم » (أخرجه أحمد ٣/ ٦١، والترمذى (٢١٩٢) ضمن حديث مطول ، وفى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. لكن له طريق آخر يتقوى به أخرجه الخطيب البغدادى فى « تاريخه » ٩/ ١٢٧ بسند قابل للتحسين وشاهد بنحوه من حديث معاوية أخرجه الطبرانى فى «الكبير » كما فى « المجمع » ١/ ١٢٨ وفى سنده رجل لم يسم) .

« اطلبوا العلم ، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ، لينوا لمن تعلَّمون ولمن تعلَّمون منه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فيغلب جهلكم عليكم » (قال الحافظ العراقى : رواه ابن السنى فى (« رياضة المتعلمين » بسند ضعيف) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأشج بن قيس : « إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » .

وشتم رجل ابن عباس رضى الله عنه ، فلما قضى مقالته ، قال : يا عكرمة ، انظر هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحيى .

وأسمع رجل معاوية كلاما شديدا ، فقيل له : لو عاقبته ؟ فقال : إنى لأستحى أن يضيق حلمى عن ذنب أحد من رعيتى .

وقسم معاوية نطعا ، فبعث منها إلى شيخ من أهل دمشق فلم يعجبه ، فجعل عليه يمينا أن يضرب رأس معاوية ، فأتى معاوية فأخبره ، فقال له معاوية : أوف بنذرك وارفق بالشيخ (النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك : بساط من الأديم) .

وجاء غلام لأبى ذر وقد كسر رجل شاة له ، فقال له : من كسر رجل هذه ؟ قال : أنا فعلته عمدا لأغيظك ، فتضربنى ، فتأثم . فقال : لأغيظن من حرضك على غيظى ، فأعتقه .

وشتم رجل عدى بن حاتم وهو ساكت ، فلما فرغ من مقالته قال : إن كان بقى عندك شيء فقل قبل أن يأتى شباب الحى ، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا .

ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة فى الظلمة ، فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه وقال : أمجنون أنت ؟ فقال عمر : لا ، فهم به الحرس ، فقال عمر : مه ، إنما سألنى أمجنون ؟ فقلت : لا.

ولقى رجل على بن الحسين رضى الله عنهما ، فسبه ، فثارت إليه العبيد ، فقال : مهلا ، ثم أقبل على الرجل فقال : ما ستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل ، فألقى عليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول (الخميصة كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن معلما فليس بخميصة) .

وقال رجل لوهب بن منبه : إن فلانا شتمك ، فقال : ما وجد الشيطان بريدا غيرك (مختصر منهاج القاصدين / ١٨٢ ـ ١٨٤) .

ويقرر الإمام الماوردى فى كتابه المسمى « أدب الدنيا والدين » للكلام على الحلم والغضب وننقله لك فيما يلى . قال المؤلف رحمه الله حين تناول موضوع أدب النفس ، باعتبار أن الحلم والغضب من أحوال الرياضة والاستصلاح :

روى محمد بن حارث الهلالى أن جبريل نزل على النبى ﷺ فقال : يا محمد إنى أتيتك بمكارم الأخلاق فى الدنيا والآخرة : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف : ١٩٩] وروى سفيان بن عيينة أن النبى ﷺ حين نزلت هذه الآية قال « يا جبريل ما هذا ؟ قال : لا أدرى حتى أسال العالم ثم عاد جبريل وقال : يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » وروى هشام عن الحسن أن النبى ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنى تصدقت بعرضى على عبادك » وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله يحب الحليم الحيى ويبغض الفاحش البذى » وقال عليه الصلاة والسلام : « من حلم ساد ومن تفهم ازداد » . وقال بعض الأدباء : من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . وقال بعض البلغاء : ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض . وقال بعض الشعراء :

أحب مكارم الأخلاق جهدى — وأكره أن أعيب وأن أُعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما — وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيَّبوه — ومن حقر الرجال فلن يُهابا

فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوى الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد ... وقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره . وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب وهذا يكون عن باعث وسبب . وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة :

أحدها الرحمة للجهال وذلك من خير يوافق رقة . وقد قيل فى منثور الحكم : من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لرجل أسمعه كلاما : يا هذا لا تغرقن فى سبنا ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه . وشتم رجل الشعبى فقال : إن كنت كما قلت فغفر الله لى وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك . واغتاظت عائشة رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت : لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء . وقسَّم معاوية رضى الله عنه قُطُفا فأعطى شيخا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه فأخبره فقال له معاوية : أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ .

والثانى من أسبابه : القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه » وقال بعض الحكماء : ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة . وقال بعض البلغاء : أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر.

والثالث من أسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس

وعلو الهمة كما قالت الحكماء : شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم . وقد قيل : إن الله تعالى سمى يحيى عليه السلام سيدا لحلمه . وقد قال الشاعر :

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا
حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة
لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

والرابع من أسبابه الاستهانة بالمسيء وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق جلس يوما لعطاء الجند وأمر مناديه فنادى أين عمرو بن جرموز وهو الذي قتل أباه الزبير فقيل له : أيها الأمير إنه قد تباعد في الأرض فقال أو يظن الجاهل أني أقيده بأبي عبد الله فليظهر آمنا ليأخذ عطاءه موفرا فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر. ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره :

أو كلما طن الذباب طردته
إن الذباب إذن على كريم

وأكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال : والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه وفي مثله يقول الشاعر :

نجا بك لؤمك منجى الذباب
حمته مقاذيره أن ينالا

وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه فقال له الرجل : إياك أعني فقال له : وعنك أعرض وفي مثله يقول الشاعر :

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه
عرضٌ عززت به وأنت ذليل

وقال عمرو بن علي

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن أني
عييت عن الجواب وما عييت

والخامس من أسباب الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة . وقد قال بعض الحكماء : احتمال السفيه خير من التحلي بصورته والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته . وقال بعض الأدباء ما أفحش حليم ولا أوحش كريم . وقال لقيط بن زرارة :

وقل لبني سعد فما لي وما لكم
ترقون مني ما استطعت وأعتق
أغركمو أني بأحسن شيمة
بصير وأني بالفواحش أخرق
وإن تك قد سابيتني فقهرتني
هنيئا مريئا أنت بالفُحش أحذق

والسادس من أسبابه التفضل على السَّبَّاب فهذا يكون من الكرم وحب التألف كما قيل للإسكندر : إن فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال : هما بعد العقوبة أعذر في تنقصي وثلبي فكان هذا تفضلا منه وتألفا . وقد حكى عن الأحنف بن قيس أنه قال : ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى مني عرفت له قدره ، وإن كان دوني رفعت قدري عنه ، وإن كان نظيري تفضلت عليه . فأخذه الخليل فنظمه شعرا فقال :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منه إليَّ الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة :
شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره
وأتبع فيه الحقَّ والحقُّ لازم
وأما الذي دوني فأحلم دائبا
أصون به عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا
تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

والسابع من أسبابه استنكاف السباب وقطع السباب وهذا يكون من الحزم كما حكى أن رجلا قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له ضرار : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وحكى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهري من أحمق الناس ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس قال صدقت ، فمن أعقل الناس ؟ قال : من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال . وقال الشعبي : ما أدركت أمي فأبرها ، ولكن لا أسب أحدا فيسبها . وقال بعض الحكماء : في إعراضك صون أعراضك . وقال بعض الشعراء :

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى
وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا
فتندم إذ لا ينفعنك ندامة
كما ندم المغبون لما تفرقا

وقال آخر :

قل ما بدا لك من زور ومن كذب
حلمي أصم وأذني غير صماء

والثامن من أسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون

من ضعف النفس وربما أوجبه الرأى واقتضاه الحزم . وقد قيل فى منثور الحكم : الحلم حجاب الآفات . وقال الشاعر:

أرفق إذا خفت من ذى هفوة خرقا
ليس الحليم كمن فى أمره خرق

والتاسع من أسبابه الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد . وقد قيل فى منثور الحكم : أكرم الشيم أرعاها للذمم . وقال الشاعر :

إن الوفاء على الكريم فريضة
واللؤم مقرون بذى الأخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفا
وترى اللئيم مجانب الإنصاف

والعاشر : من أسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء . وقد قيل فى منثور الحكم : من ظهر غضبه قل كيده . وقال بعض الأدباء : غضب الجاهل فى قوله وغضب العاقل فى فعله . وقال بعض الحكماء : إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا . وقال إياس بن قتادة :

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا
ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء :

وللكف عن شتم اللئيم تكرما
أضر له من شتمه حين يشتم

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم وبعض الأسباب أفضل من بعض وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولا ما يقتضى أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة وإنما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلا . وإن عرا عن أحد هذه الأسباب كان ذلا ولم يكن حلما لأننا قد ذكرنا فى حد الحلم أنه ضبط النفس عند هيجان الغضب فإذا فقد الغضب لسماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية . وقد قالت الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا فى العسرة والشجاع إلا فى الحرب والحليم إلا فى الغضب . وقال الشاعر :

ليست الأحلام فى حال الرضا
إنما الأحلام فى حال الغضب

وقال آخر :

من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه
لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وأنشد النابغة الجعدى بحضرة رسول الله ﷺ:

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدّرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له
حليم إذا أورد الأمر أصدرا

فلم ينكر ﷺ قوله عليه . ومن فقد الغضب فى الأشياء المغضبة حتى استوى حالتاه قبل الإغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع والأخذ بالثأر لأنها خصال مركبة من الغضب فإذا عدمها الإنسان هان بها ولم يكن لباقى فضائله فى النفوس موضع ولا لوفور حلمه فى القلوب موقع وقد قال المنصور : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة . وقال بعض الحكماء : العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم . وقال عمرو بن العاص : أكرموا سفهاءكم فإنهم يقونكم العار والشَّنار . وقال مصعب بن الزبير : ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا . وقال أبو تمام الطائى :

والحرب تركب رأسها فى مشهد
عدل السفيه به بألف حليم

وليس هذا القول إغراء بتحكم الغضب والانقياد إليه عند حدوث ما يغضب فيكسب بالانقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يكسبه عدمُ الغضب من الفضائل ولكن إذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضبه كف سورته بحزمه وأطفأ ثائرته بحلمه ووكل من استحق المقابلة إلى غيره ولا يعدم مسيء مكافئا كما لن يعدم محسن مجازيا . والعرب تقول : دخل بيتا ما خرج منه أى إن خرج منه خير دخله خير وإن خرج منه شر دخله شر. وأنشد ابن دريد عن أبى حاتم :

إذا أمن الجهال جهلك مرة
فعرضك للجهال غنم من الغنم
فعم عليه الحلم والجهل والقه
بمنزلة بين العداوة والسلم
إذا أنت جاريت السفيه كما جرى
فأنت سفيه مثله غير ذى حلم
ولا تغضبن عرض السفيه وداره
بحلم فإن أعيا عليك فبالصَّرم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة
ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن
عليه بجهَّال فذاك من العزم

وهذه من أحكم أبيات وجدتها فى تدبير الحلم والغضب وهذا التدبير إنما يستعمل فيما لا يجد الإنسان بدا من مقارنته ولا سبيل إلى اطراحه ومتاركته إما لخوف شره أو للزوم أمره فأما من أمكن اطراحه ولم يضر إبعاده فالهوان به أولى والإعراض عنه أصوب فإذا

كان على ما وصفت استفاد بتحريك الغضب فضائله ، وأمن بكف نفسه عن الانقياد له رذائله ، وصار الحلم مدبرا للأمور المغضبة ، بقدر لا يعتريه نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب عنه الحلم حتى انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه ، وضعف رأيه عن خبرة أسبابه ودواعيه ، حتى يصير بليد الرأى ، مغمور الروية ، مقطوع الحجة ، مسلوب العزاء ، قليل الحيلة ، مع ما يناله من أثر ذلك فى نفسه وجسده حتى يصير أضر عليه مما غضب له . وقد قال بعض الحكماء : من كثر شططه كثر غلطه . وروى أن سلمان قال لعلى رضى الله عنه : ما الذى يباعدنى عن غضب الله عز وجل قال : أن لا تغضب . وقال بعض السلف : أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل إذا غضب . وقال بعض البلغاء : من رد غضبه هد من أغضبه . وقال بعض الأدباء : ما هيَّج جأشك كغيظ أجاشك . وقال رجل لبعض الحكماء عظنى قال : لا تغضب . فينبغى لذى اللب السوى والحزم القوى أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها ، ويقابل عوادى شرته بحزمه فيردها ، ليحظى بانجلاء الحيرة ويسعد بحميد العاقبة . وقال بعض الأدباء : فى إغضائك راحة أعضائك . وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله فبذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه ، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه ولذلك أفضى الحزن إلى الموت ولم يفض إليه الغضب فهذا فرق ما بين الحزن والغضب .

واعلم أن لتسكين الغضب إذا هجم أسبابا يستعان بها على الحلم :

منها أن يذكر الله عز وجل فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ويبعثه والخوف منه على الطاعة له فيرجع إلى أدبه ويأخذ بندبه فعند ذلك يزول الغضب . قال الله تعالى : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ [الكهف : ٢٤] قال عكرمة : يعنى إذا غضبت . وقال الله تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ومعنى قوله ينزغنك أى يغضبك فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . يعنى أنه سميع بجهل من جهل ، عليم بما يذهب عنك الغضب . وذكر أن فى التوراة مكتوبا . يا بن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق . وحكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه إلى وزير له وقال : إذا غضبت فناولنيه وكان فيه : ما لك والغضب إنما أنت بشر ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء . وقال بعض الحكماء : من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباد الله . وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وبالذى هو أقدر على عقابك منك على عقابى لما عفوت عنى فعفا عنه لما ذكره قدرة الله تعالى . وروى أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ القسوة فقال : اطلع فى القبور، واعتبر بالنشور. وكان بعض ملوك الطوائف إذا غضب ألقى عنده مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه . ولذلك قال عمر رضى الله عنه : من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير.

ومنها أن ينتقل عن الحالة التى هو فيها إلى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الأحوال والتنقل من حال إلى حال . وكان هذا مذهب المأمون إذا غضب أو شتم وكانت الفرس تقول: إذا غضب القائم فليجلس، وإذا غضب الجالس فليقم .

ومنها أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام . وكتب أبرويز إلى ابنه شيرويه : إن كلمة منك تسفك دما ، وأخرى منك تحقن دماً ، وإن نفاذ أمرك مع كلامك ، فاحترس فى غضبك من قولك أن تخطئ، ومن لونك أن يتغير، ومن جسدك أن يجف، فإن الملوك تعاقب قدرة وتعفو حلماً. وقال بعض الحكماء: الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم. وقال بعض الأدباء: إياك وعزة الغضب فإنها تفضى إلى ذل العذر. وقال بعض الشعراء :

وإذا ما اعترتك فى الغضب العزة فاذكر تذلل الاعتذار

ومنها أن يذكر ثواب العفو ، وحسن الصفح ، فيقهر نفسه على الغضب رغبة فى الجزاء والثواب ، وحذرا من استحقاق الذم والعقاب. روى عن النبى ﷺ أنه قال : ينادى مناد يوم القيامة : من له أجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] وقال رجاء ابن حيوة لعبد الملك بن مروان فى أسارى بن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الخير ثلاث خصال فمن كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل، وإذا غضب لم يخرجه من حق وإذا قدر عفا. وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما فقال، عمر أردت أن يستفزنى الشيطان لعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا انصرف رحمك الله . ومنها أن يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس إليه فلا يرى إضاعة ذلك بتنفير الناس عنه، وبعدهم منه، فيكف عن متابعة الغضب فيرغب فى التألف وجميل الثناء وروى ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ما ازداد أحد بعفو إلا عزا فاعفوا يعزكم الله . وقال بعض البلغاء: ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، ولا من شروط الكرم إزالة النعم. وقال المأمون لإبراهيم بن

المهدى: إنى شاورت فى أمرك فأشاروا على بقتلك إلا أنى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال: يا أمير المؤمنين إن المشير أشار بما جرت به العادة فى السياسة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث ماعودته من العفو فإن عاقبت فلك نظير وإن عفوت فلا نظير لك، وأنشأ يقول:

البر بى منك وطأ العذر عندك لى
فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بى فاحتج عندك لى
مقام شاهد عدل غير متهم
لئن جحدتك معروفا مننت به
إنى لفى اللؤم أحظى منك بالكرم
تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به
فلا عدمتك من عاف ومنتقم

(أدب الدنيا والدين / ٣٠٣ـ٣١٣).

وإليك ما أورده الثعالبى فى كل من مدح الحلم وذمه. قال فى باب مدح الحلم: كان يقال الحلم حجاب الآفات وقال حكيم. حلم ساعة يرد سبعين آفة. وقال بعض السلف الحلم أجل من العقل لأن الله تعالى وصف نفسه به وقيل حسب الحليم أن الناس أنصاره على الجاهل ومن ملك غضبه احترزمن عدوه وقال الحسن رحمة الله عليه ما بعث الله نبيا إلى قوم الا بعثه وأمره بالحلم وكان الأحنف يقول ما أضيف شىء إلى شىء أحسن من علم إلى حلم. وكان يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات ومن أحسن ما قيل فى الحلم قول الشاعر:

لن يبلغ المجد أقوام وإن كرموا
حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مشرقة
لاعفو ذل ولكن عفو أحلام

باب ذم الحلم

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه، وقال بعض السلف الحلم ذل كله وقال السفاح إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر:

أرى الحلم فى بعض المواطن ذلة
وفى بعضها عزا يسود فاعله

وقاتل الأحنف قتالا شديدا فى بعض المواطن فقيل له أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحياء وكان يقال آفة الحلم الضعف ومن أحسن ما قيل فى هذا الباب قول النابغة الجعدى

ولاخير فى حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له
أديب إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال محمد بن وهب

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إننى
إلى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم
ولى فرس للأهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فإنى مقوم
ومن رام تعويجى فإنى معوج

وأحسن ما سمعت فى هذا الباب ما قيل:

أتانى منك ما ليس
على مكروهه صبر
فأغضيت على عمد
وقد يغض الفتى الحر
وأدبتك بالهجر
فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا
ن منك الصفح والزجر
فلما اضطرنى المكرو
ه واشتد بى الأمر
تناولتك من سرّى
بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل
لما مسك الضر
إذا لم يصلح الخير
امرأ أصلحه الشر

قد شذ فى الأصل فيه بيت، قال الشيخ الإمام: البيت الأخير من قول الحسن، وهو أنه قيل له: إن عندنا رجلا إذا قيل له جزاك الله خيرا يغضب، فقال: من لا يصلحه الخير أصلحه الشر (اللطائف والظرائف / ١١٥ـ١١٧).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٢٩، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة قدم له الاستاذ محمد أحمد دهمان، علق عليه سعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٨٢، وأدب الدنيا والدين للماوردى ـ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر / ٣٠٣ ـ ٣١٣، واللطائف والظرائف للثعالبى / ١١٥ـ١١٧).

* **حلمي حباب:**

حلمي حبـاب: خطـاط دمشقي، تلميـذ الخطـاطين رسـا وممدوخ.

قليل الإنتاج، أجـاد في خط الرقعـة أكثر من غيره، وقد عمل مدرسًا لمادة الخط العربي في دار المعلمين، وكلية الفنون الجميلة بدمشق. ألف أمشقا متنوعة للخط العربي.

(كيف نعلم الخط العربي ـ معروف زريق / ٤٣).

* **الحِلّة:**

من مـدن العـراق، وتقع على جـانبي نهـر الحلـة (من فـروع الفـرات) تبعـد نحو ١٠ كم جنوبي بغداد بنيت في القـرن الحادي عشر، ولها أهمية تاريخيه لوقوعهـا بجوار مدينة بابل القديمة (انظر مـادة «بابل» في م ٦ / ٣٥٧ ـ ٣٦٢) حتى إن بعض مبانيها بُنيت بحجارة أخذت من أطلال بابل. تحيط بها المزارع وبساتين النخيل والفـاكهـة وتسمى بـالفيحـاء. مـركـز اللـواء المسمـى باسمهـا (الموسوعة الثقافية / ٤٠٨).

ذكرها ابن جبير في رحلته فقال عنها:

هي مـدينة كبيرة عتيقـة الوضع مستطيلـة لم يبق من سـورها إلا حلق من جدار تـرابي مستدير بها وهي على شط الفـرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها ولهذه المدينة أسواق حفيلة جامعة للمرافق المـدنية والصنـاعات الضـرورية وهي قـوية العمـارة كثيرة الخلق متصلة حـدائق النخيل داخلا وخـارجا فـديارهـا بين حدائق النخيل وألفينا بها جسرا عظيما معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط تحف مـن جـانبهـا سلاسل من حـديـد كـالأذرع المفتولة عظما وضخامة ترتبط إلى خشب مثبتة في كلا الشطين تدل على عظمـة الاستطـاعة والقـدرة أمـر الخليفة بعقـده على الفـرات اهتماما بالحاج واعتناء بسبيلـه وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب فـوجدوا هـذا الجسـر قـد عقده الخليفـة في مغيبهم ولم يكن عنـد شخوصهم إلى مكة شرفها الله وعبرنا الجسر ظهر يوم الأحد المذكور ونزلنـا بشط الفرات على مقدار فرسـخ من البلد وهذا النهر كـاسمه فرات هـو من أعذب المياه وأخفهـا وهو نهـر كبير زخام تصعـد فيه السفن وتنحدر والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بسائط من الأرض وعمـائر تتصل بها القرى يمينـا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها فمحرثها لا حـد لاتساعـه وانفسـاحه فللعين في هـذه الطـريق مسرح انشـراح وللنفس مزاد انبساط وانفساح والأمن فيهـا متصل بحمد الله سبحانه وتعالى

شهر صفر سنة ثمانين عرفنا الله يمنه وبركته

هلاله على الكمال من ليلة الإثنين بموافقة الرابع عشر من مايه استهل هـلاله ونحـن على شط الفرات بظـاهـر مـدينة الحلـة وفي ضحوة يوم الإثنين المذكور رحلنا وأجزنا جسرا على نهر يسمى النيل وهو فرع متشعب من الفرات وكان عليه ازدحام غرق كثير من الناس والـدواب في المـاء فتنحينا مـريحين إلى أن انفـرج ذلك المـزدحم وعبرنا على سلامة وعافية والحمد لله ومن مدينة الحلة يتسلل الحاج إرسـالا وأفـواجـا فمنهم المتقـدم والمتـوسط والمتـأخر لا يعـرج المستعجل على المعتذر ولا المتقـدم على المتأخر فحيثمـا شاؤوا من طريقهم نزلوا وأراحوا واستراحوا ... الخ

(رحلة ابن جبير / ١٦٥، ١٦٦).

وقال عنها ياقوت:

الحلة: بالكسر ثم التشديـد؛ وهو في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة؛ قال الأعشى:

لقـد كـان في شيبـان لـو كنت عـالمـا
قبـاب وحي حلـة وذراهـم

والحلة أيضا: شجرة شاكة أصغر من العوسج؛ قال:

يـأكل مـن خصـب سيـال وسلـم
وحلـة لمـا يـوطئهـا النعم

والحلة: علم لعـدة مواضع، وأشهرهـا حلة بني مزيد: مـدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسدس، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، تعديل نهارها خمس عشرة درجـة، وأطول نهـارها أربع عشـرة ساعة وربـع وكان أول من عمرها ونـزلها سيف الدولة صدقـة بن منصور بن دُبيس بن علي بن مزيد الأسـدي، وكانت منازل آبائه الدور من النيل، فلمـا قوى أمره واشتـد أزره وكثرت أمـواله لاشتغـال الملـوك السلجوقيـة بركيـاروق ومحمد وسنجـر أولاد ملك شاه بن ألب أرسلان بما تـواتر بينهم من الحـروب انتقل إلى الجامعين مـوضع في غـربي الفرات ليبعـد عن الطـالب، وذلك في محرم سنـة ٤٩٥، وكانت أجمـة تأوي إليهـا السباع فنزل بهـا بأهله وعساكره وبنى بها المسـاكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنـق أصحابه في مثل ذلك فـصارت ملجأ، وقـد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنهـا مدة حياة سيف الدولة، فلما قتل بقيت على عمارتها فهي اليوم قصبة تلك الكورة؛ وللشعراء فيها أشعـار كثيرة، منها قول إبراهيم بن عثمان الغزي وكان قـدمها فلم يحمدها:

أنـا في الحلـة، الغـداة، كـأني
علـوي في قبضـة الحجـاج
بين عُـرب لا يعـرفـون كـلامـا
طبعهم خـارج عـن المنهـاج
وصـدور لا يشـرحـون صـدورا
شغلتهم عنهـا صـدور الـدجـاج

والمليك الـذى يخـاطبـه النـا
س بسيف مـاض وفخـر وتـاج
مـا لـه نـاصح، ولا يعلم الغيـ
ـب، وقـد طـال فى مقـامى لجـاجى
قصـة مـا وجـدت غيـر ابن فخـر الـ
ـدين طِبًّـا لهـا لطيف العـلاج
وإذا سُلِّطت صـروف الليـالى
كسـرت صخـر تـدمـر كـالـزجـاج

والحلة أيضا: حلة بنى قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة.
والحلة أيضا: حلة بنى دبيس بن عفيف الأسدى قرب الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة، والأهواز فى موضع آخر (معجم البلدان ٢ / ٢٩٤، ٢٩٥).

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٨، ورحلة ابن جبير / ١٦٥، ١٦٦، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٩٤، ٢٩٥).

*** حلة السرى فى مدح خير الورى :**

حلة السرى فى مدح خير الورى : لمحمد بن أحمد المعروف بابن جابر النحوى الأعمى المتوفى سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة وهى منظومة بديعة ثم شرحها رفيقه أحمد بن يوسف المعروف بالبصير النحوى المتوفى سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة « سماه طراز الحلة وشفاء الغلة » .

(كشف الظنون ١/ ٦٨٨) .

*** الحلة السيراء فى مدح خير الورى :**

بديعية من نظم محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى المالكى أبو عبد الله الأعمى النحوى ، نظمها عال، ولكنه أخل فيها بذكر أنواع من البديع كثيرة جدا .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ١٨١) .

انظر : البديع (علم ـ) فى م ٦/ ٥٤٢ ـ ٥٤٥، والبديعيات فى م ٦/ ٥٤٨، ٥٤٩ .

*** الحلواء :**

يرد ذكر الحلواء فى الأطعمة المركبة التى عددها صاحب الشقرونية فى أرجوزته وذلك فى هذين البيتين ، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت فى النص :

١٠١ - *وخص بـالحلـواء أهل البلغم*
ولا يغـرنـك طيب المطعم

١٠٢ - *إلا إذا مـا صنعت من سكـر*
فـاحفل بهـا ولا تكن بـالممتـرى

(الطب العربى / ٨٧) .

يقول أبو بكر الرازى عن الحلواء : إن الحلواء بالجملة مسخنة للبدن ، زائدة فى الدم والمرة، صالحة للصدر والرئة، مطلقة للطبيعة . وهى للمشايخ والمبرودين ، فقلما يحتاج إلى إصلاحها اللهم إلا أن يكثروا منها . فإن بلغت فى حالة إلى أن تثقل وتمدد البطن والمعدة وتوجعهما ، فليأخذوا عليها الجوارشنات المسهلة (أى الهاضمات . انظر مادة « الجوارشنات » فى م ١٢/ ٤٤٢) ، ويطيلوا التجوع من بعدها والنوم ، ثم يستحموا ويجعلوا غذاءهم غذاء يسيرا لطيفا يوما أو يومين من بعدها .

ثم يذكر الرازى من أنواع الحلواء الفالوزج ، الخبيص، العصيدة، اللوزينج، القطائف، الزلابية، وروغن جردنك، والبهط، والجـو ذاب ، وشيـرر وغن، والخشكفـانك والشهـدانك، وشكرينك ، والخبيصة الفارسية، والناطف (منافع الأغذية ودفع مضارها / ٢٣٧ ـ ٢٤٢) .

(الطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ٨٧، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ـ راجعه وقدم له د. عاصم عيتانى / ٢٣٧ ـ ٢٤٢) .

*** الحلوانى / (٧٣٠ـ٨٠٤ هـ / ١٣٢٩ـ١٤٠١ م)**

يوسف بن الحسن بن محمود السرائى الأصل التبريزى المولد الشافعى المذهب الشهير بالحلوائى الملقب بعز الدين ولد سنة ٧٣٠ هـ بتبريز وتفقه بها وقرأ على القاضى عضد الدين وغيره ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن شمس الدين الكرمانى الحديث وسمع عليه شرحه للبخارى كما قرأ على الجلال القزوينى والبهاء الخوانجى وقد أقام بتبريز يدرس وينشر العلم ويصنف ثم رحل منها فى حادث تخريبها إلى ماردين فأكرمه أميرها وعقد له مجلسا حضره فيه علماؤها فأقروا بفضله ومنهم الهمام والصدر ثم عاد إلى تبريز فى عهد أمير زاده بناء على طلبه وقد أكرمه هذا الأمير ثم تحول منها إلى الجزيرة وكان فى كل هذه الرحلات ينشر العلم تدريسا وتصنيفا .

مصنفاته ووفاته :

من مصنفاته شرح منهاج البيضاوى فى الأصول وشرح الأربعين النووية وشرح أسماء الله الحسنى وحاشية على الكشاف وحاشية على شرح الشافية فى الصرف .

توفى رحمه الله سنة ٨٠٤ هـ بالجزيرة ودفن بها .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ــ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣/ ٩ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٨/ ٢٢٤، ٢٢٥ وفيه المقابل فى التاريخ الميلادى للمولد والوفاة هو ١٣٣٠ ـ ١٤٠٢) .

* **حلوان :**

قال ياقوت :

حلوان : بالضم ثم السكون ؛ والحلوان فى اللغة الهبة ، يقال حلوت فلانا كذا مالا أحلوه حلوا وحلوانا إذا وهبت له شيئا على شيء يفعله غير الأجر ، وفى الحديث : نهى عن حلوان الكاهن ؛ والحلوان : أن يأخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه . وحلوان فى عدة مواضع : حلوان العراق، وهى فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد، وقيل : إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به .

وفى كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس : حلوان .

طولها إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، بيت حياتها أول درجة من الأسد، طالعها الذراع اليمانى تحت عشر درج من السرطان ، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها من الحمل، عاقبتها مثلها من الميزان، وهى فى الإقليم الرابع، وكانت مدينة كبيرة عامرة؛ قال أبو زيد : أما حلوان فإنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرمن رأى أكبر منها ، وأكثر ثمارها التين، وهى بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج ، وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائما، وهى وبئة ردية الماء وكبريتية، ينبت الدفلى على مياهها ، وبها رمان ليس فى الدنيا مثله وتين فى غاية من الجودة ويسمونه لجودته شاه انجير أى ملك التين ، وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء .

وأما فتحها فإن المسلمين لما فرغوا من جلولاء ضم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكان عمه سعد قد سيره على مقدمته إلى جرير ابن عبد الله فى خيل ورتبه بجلولاء، فنهض إلى حولان فهرب يزدجرد إلى أصبهان وفتح جرير حلوان صلحا على أن كف عنهم وآمنهم على ديارهم وأموالهم ثم مضى نحو الدينور فلم يفتحها وفتح قرميسين على مثل ما فتح عليه حلوان وعاد إلى حلوان فأقام بها واليا إلى أن قدم عمار بن ياسر ، فكتب إليه من الكوفة أن عمر قد أمره أن يمد به أبا موسى الأشعرى بالأهواز ، فسار حتى لحق بأبى موسى فى سنة ١٩ ؛ قال الواقدى : بحلوان عقب لجرير بن عبد الله البجلى، وكان قد فتح حلوان فى سنة ١٩ ، وفى كتاب سيف : فى سنة ١٦ ؛ وقال القعقاع بن عمرو التميمى :

وهل تذكرون ، إذ نزلنا وأنتم
منازل كسرى ، والأمور حوائل
فصرنا لكم ردءا بحلوان بعدما
نزلنا جميعا ، والجميع نوازل
فنحن الأولى فزنا بحلوان بعدما
أرنّت، على كسرى ، الإما والحلائل .

وينسب إلى حلوان هذه خلق كثير من أهل العلم ، منهم : أبو محمد الحسن بن على الخلال الحلوانى ، يروى عن يزيد بن هارون وعبد الرزاق وغيرهما ، روى عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، توفى سنة ٢٤٢ ؛ وقال أعرابى :

تلفت من حلوان، والدمع غالب،
إلى روض نجد، أين حلوان من نجد؟
لحصباء نجد، حين يضربها الندى،
ألذ وأشفى للعليل من الورد
ألا ليت شعرى ! هل أناس بكيتهم
لفقدهم هل يبكينهم فقدى ؟
أداوى ببرد الماء حر صبابة،
وما للحشا والقلب غيرك من برد...

وحلوان أيضا : قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل ، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره ، ولذلك قال الشاعر :

كل يوم كأنه عيد أضحى
عند عبد العزيز، أو يوم فطر
وله ألف جفنة مترعات ،
كل يوم، يمدها ألف قدر

وكان قد وقع بمصر طاعون فى سنة ٧٠ وواليها عبد العزيز فخرج هاربا من مصر، فلما وصل حلوان هذه استحسن موضعها فبنى بها دورا وقصورا واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس كروما ونخلا؛ فلذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

سقيا لحلوان ذى الكروم، وما
صنّف من تينه ومن عنبه
نخل مواقير بالقناء من الـ
ـبرنى، يهتز ثم فى سربه
أسود، سكانه الحمام ، فما
تنفك غربانه على رطبه

(معجم البلدان ٢/ ٢٩٠ـ ٢٩٤) .

قالت المؤلفة : أورد على مبارك فى خططه فى البيت الثانى لفظ « بالقنى » بدلا من « بالقناء » ، وفى البيت الثالث لفظ « ينفك» بدلا من « تنفك » ثم يضيف بعد هذه الأبيات قوله :

ولما أطعم نخلها دخله عبد العزيز ومعه الجند فجعل يطوف فى غروسه ومساقيه فقال له يزيد بن عروة الجملى ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » فقال له

أذكرتني شكرا وأمر أن يزاد في عطائه عشرة دنانير (الخطط التوفيقية ١٠ / ١٧٣) .

ونعود إلى ياقوت الذي يقول :

وقال سعد بن شريح مولى نجيب يهجو حفص بن الوليد الحضرمي والى مصر ويمدح زبان بن عبد العزيز بن مروان :

يا باعث الخيل ، تردى في أعنتها ،

من المقطم في أكناف حلوان

لا زال بغضي ينمي في صدوركم ،

إن كان ذلك من حي لزبان

وحلوان أيضا : بليدة بقوهستان نيسابور، وهي آخر حدود خراسان مما يلي أصبهان (معجم البلدان ٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩٤) .

ونستكمل هذه المادة ببعض ما أورده على مبارك في خططه عن حلوان من معلومات مفيدة وطريفة . قال رحمه الله :

وكان بحلوان في النيل معدية من صوان تعدى بالخيل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي بحلوان إلى البر الغربي ، وهذا من الأسرار التي في الخليقة فإن جميع الأجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير إذا عمل من شيء منها إناء يسع من الماء أكثر من وزنه فإنه يعوم على وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يغرق ، انتهى .

وقد بقيت حلوان بعد ذلك مدة رافلة في حلل الرفاهية وكان حولها كنائس ودير للنصارى، وفي خطط المقريزي أيضا أن الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون لما قدم مصر سنة سبع عشرة ومائتين نزل الفسطاط وسخا وحلوان وقفط، وكانت إقامته في الجميع تسعة وأربعين يوما وكان دخوله مصر لعشر خلون من المحرم، وكانت المدة بين قدومه إليها وابتداء عمارتها في مدة عبد العزيز نحو مائة وسبع وعشرين سنة ...

اعلم أن هذه المدينة قد أخذت في التقهقر بعد زوال ملك الأمويين وتضعضع أمرها شيئا فشيئا حتى كانت الفتن في القرن الحادي عشر فتخربت بالكلية .

وفي تاريخ الجبرتي أن إبراهيم بيك الملقب بشيخ البلد قد أحرقها في سنة مائتين وألف، ثم لما جاءت العائلة المحمدية ، هبت عليها نسمات العمارية، وعاد إليها شرخ الشباب كغيرها من بلاد القطر، وفي زمن المرحوم عباس باشا في سنة ألف ومائتين وست وستين هجرية عثر في شرقيها على عين الماء المعدنية ، وأول من نبه على منافعها الحاذق الماهر جستنيل بيك الأجزائي وبالامتحانات والتجاريب التي أجراها هو وكثير من الحكماء علم أن مياه هذه العين نافعة في علاج جميع الأمراض المحتاجة إلى التراكيب الكبريتية خصوصا الأمراض الجلدية والجدارية والنزل، والماء النابع منها في غاية النقاء لا لون له كبريتي الرائحة مالح الطعم ، وحرارته حين ينبع تسع وعشرون درجة مئينية وحرارة الهواء خمس وعشرون درجة كذلك، وقد رام المرحوم عباس باشا أن يبنى بها حماما فلم يتم له مراده .

وفي زمن الخديوي إسماعيل باشا بنيت حمامات لطوائف الخلق ليكون للفقراء والأغنياء حظ من هذا الخير الجزيل، وبنى حولها أماكن للمترددين إليها للاستحمام والمعالجة ، وترتب لها حكيم وخدمة لمباشرة المرضى ومعالجتهم على حسب أحوالهم ، وترتب لها أيضا وابورات توصل إليها من يقصدها والآن عملت لها سكة حديد توصل إليها لزيادة السهولة وعملت طرق معتدلة من البحر إلى الحمامات المذكورة وحفت بالأشجار من الجانبين، وبهذه الوسائط هرعت إليها الناس من الملل المختلفة فيوجد هناك كل يوم عدد وافر من الناس جميعهم يثنى على الحضرة الخديوية لهذا الخير العميم .

وقد رتب لها في سنة ألف وثمانمائة وإحدى وسبعين ميلادية الحكيم راير للنظر في أمراض الواردين عليها ، وبما حصل فيها من الإصلاحات والأعمال الخيرية بلغ الآن ما ينبع من العين في مدة أربع وعشرين ساعة أربعمائة متر مكعب بعد أن كان في سنة ألف وثمانمائة وستين يبلغ أربعة أمتار وثلثا تقريبا .

وينابيع ذلك الماء واقعة على بعد أربعة كيلو مترات من شاطيء النيل وارتفاع أرضها عن الأرض المزروعة سبعة وعشرون مترا، وارتفاعها عن البحر الأبيض المتوسط سبعة وخمسون مترا وهو ارتفاع أرض محطة السكة هناك ، وعدد الينابيع التي استكشفت واستعملت الآن عشرة ، والحمامات المعدة للاستحمام مركبة من أربع وعشرين خلوة مشيدة على الينبوعين الكبيرين الواقعين في الجهة الجنوبية ، والماء وارد إليهما من خمسة ينابيع أصلية تكاد تكون موضوعة على خط واحد مستقيم .

وقد وجد حكماء الفرنج لماء هذه الينابيع شبها بماء حمامات مدينة اكس لشبيل من مملكة فرنسا وقد حللها جستنيل بيك فرأى أن المتر الواحد منه يحتوى على المقادير المبينة بهذا من الغازات .

٠,٠٤٤ حمض الكبريت ادريك .

٠,١٢٠ حمض الكربونيك .

ولم يمكن تعين كمية الأزوت بالضبط وأما ما وجد فيه من المواد الجامدة فهو :

٠,١٨٨ كلورور الكالسيوم .

١,٨١٢ كلورور المانيزيوم .

٣,٢٤٠ كلورور الصوديوم .

٥٦٠ , ٠ كربونات الجير.

ويوجد فى هذا الماء زيادة على ما ذكر قليل جدا من أملاح الحديد ومن حمض الكربونيك .

وقال علماء الطب إن هذا الماء مسهل واستعماله جيد لأصحاب أمراض الجهاز الهضمى كالنزلات المعدية والمعوية والإمساك المستمر وتكوين الأرياح فى البطن وفى ضعف الهضم وأمراض المسالك البولية كالنزلات المزمنة ، وفى أمراض الكبد كاحتقانه والتهابه المزمن وحالته الشحمية وضخامته وأمراض الطحال واحتقانات المخ ، وفى الأمراض الناتجة عن تغير فى التغذية كالسمن المفرط ، وداء النقرس والبول السكرى وداء السدد وبعض أمراض عصبية وأمراض القلب، وقد كان ظهور هذه الينابيع الكبريتية والمعدنية الملحية من أجزل نعم الله سبحانه وتعالى على قطرنا ، كما أنعم على غيرنا من سكان قارة (أوروبا) وكان سببا فى اتساع ثروتها وغناها لحسن تدابيرهم فى اجتناء فوائدها خصوصا لما ثبت أنها جيدة النفع فى الأمراض المتسلط أغلبها على سكان القطر، وأنها قديمة الاستعمال لما ظهر عند حفر أساسات الحمامات التى أنشئت عليها من آثار الحمامات والأبنية القديمة المبنية بالخزف والأحجار التى كانت غالبا من زمن عبد العزيز بن مروان وقطع من أعمدة ومنارات منقوش عليها بالكتابة العربية ودراهم إسلامية وأحجار على هيئة المدى والرماح والقسى، مما كان يستعمل فى الحروب إذ ذاك وآثار أخر مثل قطع خشب متحجرة تدل على وجود غابة تحجرت فساعدت الحكومة السنية إذ ذاك على تسهيل الوصول إليها والانتفاع بها ، فتقرر أن يبتدأ بوضع محال من الخشب مؤقتة إلى بناء حمامات مستعدة ومعدة للمرضى، فوفد على تلك الجهة بعض المصابين من أهالى مصر والإسكندرية وحصل لهم النجاح .

وفى شوال سنة ألف ومائتين وثمان وثمانين توجه لمشاهدة هذه الينابيع صاحب الفخامة الخديوى السابق إسماعيل باشا وسر بما رأى من نفعها وصدر أمر بعمل رسم للمدينة ، وأن يتجدد بها من العمارات الأولى ما لا يستغنى عنه ، مثل وضع مجار لتوصيل ماء النيل للحمامات، وإنشاء طريق طوله ٤١٠٠ متر، يبتدىء من شاطىء النيل إلى حلوان، وطريق آخر طوله ١٣٠٠ متر يمتد من الجنوب للشمال، وفتح قناة تحت الأرض طولها ٢٤٠٠ متر لتصريف الماء الزائد عن الحاجة ورفع الأوساخ والأقذار، وإنشاء خان كبير للمسافرين (وهو الأوتيل) ودار صغير للمرضى، وأجزاخانة فيها ما يلزم من الأدوية ، وحوض كبير يسع خمسة آلاف متر مكعب من الماء لاستحمام الفقراء وقد جعل حمامها مشتملا على مستحمات متنوعة، منها ما لا يستحم به إلا شخص واحد ، ومنها ما يستحم به أكثر على حسب درجات الناس وكيفية الاستحمام بها مختلفة بحسب ما يراه الحكيم لأنواع الأمراض ، فمنها ما هو كالمعتاد ومنها ما يكون بصب الماء على المريض بقوة مخصوصة من ارتفاع مخصوص على قدر مخصوص، وقد أنشئت هناك لوكاندة يجد فيها المريض ما يلزم له بحسب حاله ، فإذا أقام فى أودة وحده يلزمه كل يوم جنيه إنكليزى فى نظير أكله وسكنه واستحمامه وتداويه ، فإن أقام مع غيره فى أودة لزمه كل يوم خمسة عشر فرنكا فإن كانت مؤنته على نفسه لزمه كل يوم عشرة فرنكات ، والطفل الذى بلغ سنه خمس عشرة سنه يلزمه نصف ما على الكبير

وأما الصغير الذى لم يبلغ سنه عشر سنين فإنه يعالج بلا مقابل، وكذلك الفقراء لكن بشرط أن يأتوا بشهادة من حكام جهاتهم أنهم فقراء، والعادة أن المقرر يدفع كل أسبوع، وأما ملاءات الفرش والغطاء فيأتى بها المريض من عند نفسه على حسب حاله (الخطط التوفيقية الجديدة ١٠ / ١٧٥ ، ١٨٢ - ١٨٥) .

ونكتفى بهذا القدر ، ويمكنك متابعة وصف على مبارك لمدينة حلوان وتطورها بالرجوع إلى الخطط ١٠ / ١٨٥ - ١٨٨ .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٩٠ - ٢٩٤ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠ / ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٢ - ١٨٥ ، انظر أيضا الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ لابن حزم الأندلسى / ١١) .

*** الحَلْوانى (- ٤٤٨ هـ / - ١٠٥٦ م) :**

من فقهاء الحنفية ، وهو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح البخارى ، شمس الأئمة الحلوانى ، أبو محمد، الفقيه الحنفى .

وهو من أهل بخارى (انظر هذه المادة فى م ٦/ ٤٥٢ - ٤٦١) ونسبته إلى الحلواء ، وكان والده فقيرا، يبيع الحلواء . تفقه شمس الأئمة ببخارى وصار عالما بأنواع العلوم ، معظما للحديث وأهله ، وكان إمام أهل الرى فى وقته ببخارى، وتفقه عليه كثيرون ، وتخرج به الأعلام كشمس الأئمة السرخسى، وفخر الإسلام البزدوى، وغيرهما .

توفى فى كش، ودفن ببخارى ، وحدد الذهبى وفاته سنة ٤٥٦هـ ، وقيل غير ذلك . من كتبه « المبسوط » فى الفقه ، و« النوادر » فى الفروع ، و « الفتاوى » ، و« شرح أدب القاضى لأبى يوسف » .

(مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٣٨٨) .

*** الحلوانية (المقامة -) :**

المقامة الثانية من مقامات الحريرى. سبق أن أوردنا نماذج من مقامات الحريرى. انظر هذه إن شئت فى موضعها من كتاب المقامات الأدبية لأبى محمد القاسم الحريرى / ١٣ - ٢٠ .

* **الحلول والاتحاد :**

هو الاعتقاد الفاسد بأن روح الإله تحل فى أناس بعينهم وتتحد معها ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ويحدد الإمام عبد القاهر البغدادى فرق الحلولية بعشر فرق ، وفى ذلك يقول : فى الفصل العاشر تحت عنوان « فى ذكر أصناف الحلولية ، وبيان خروجها عن فرق الإسلام » :

الحلولية : فى الجملة عشر فرق كلها كانت فى دولة الإسلام ، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع . وتفصيل فرقها فى الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض ، وذلك أن السبئية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية . منهم بأجمعها حلولية ، وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون ، وظهر قوم بمرو يقال لهم رزامية ، وقوم يقال لهم بركوكية . وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم حلمانية ، وقوم يقال لهم حلاجية ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، وقوم يقال لهم العذافرة ينسبون إلى ابن أبى العذافر، وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شاركوهم فى استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات ، (الفرق بين الفرق / ١٩٣) .

ثم يفصل القول فى عقائد هذه الفرق الضالة فارجع إليها إن شئت فى كتابه « الفرق بين الفرق » / ١٩٤ ـ ١٩٧ .

وأول من أظهر هذه المقالة فى الإسلام الروافض ، فإنهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ١١٦) ويسوق الإمام السيوطى فى رسالته الموسومة بتنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد ، ما أورده صاحب كتاب معيار المريدين إذ يقول :

وقال صاحب كتاب معيار المريدين : اعلم أن منشأ أغلاط الفرق التى غلطت فى الاتحاد والحلول جهلهم بأصول الدين وفروعه وعدم معرفتهم بالعلم وقد وردت الأحاديث والآثار بالتحذير من عابد جاهل فمن لا يكون له سابقة علم لم ينتج ولم يصح له سلوك . وقد قال سهل بن عبد الله التسترى : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين فافهم ولا تغلط فإن الدين واضح قال : واعلم أنه وقع فى عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة فى التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك قال : والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال فإن رجلين مثلا لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما فى ذاتيهما كما هو معلوم فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم فإذن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا فى عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته . وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه .

قال : وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات . وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة فى الآخرة . وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة . وفناء الشك وبقاء اليقين . وفناء الغفلة وبقاء الذكر، قال : وأما قول أبى يزيد البسطامى : سبحانى ما أعظم شانى فهو فى معرض الحكاية عن الله وكذلك قول من قال أنا الحق محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد كما غلط النصارى فى ظنهم ذلك فى حق عيسى عليه السلام وإنما حدث ذلك فى الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك ـ هذا كله كلام معيار المريدين بلفظه .

ثم يقول الإمام السيوطى : والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذى هو أخو الحلول وهو كفر ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا ـ اصطلح عليه الصوفية ـ ولا مشاحة فى الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ فى معنى صحيح لا محذور فيه شرعا ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول بينى وبين صاحبى زيد اتحاد وكم استعمل المحدثون، والفقهاء ، والنحاة ، وغيرهم لفظ الاتحاد فى معان حديثية ، وفقهية ، ونحوية كقول المحدثين : اتحاد مخرج الحديث، وقول الفقهاء : اتحد نوع الماشية ، وقول النحاة : اتحد العامل لفظا أو معنى ، وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققى الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذى هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذى يقشعر له الجلد وقد أشار إلى ذلك سيدى على بن وفا فقال من قصيدة له :

يظنوا بى حلولا واتحادا
وقلبى من سوى التوحيد خالى

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول وقال من أبيات أخر :

وعلمك أن كل الأمر أمرى
هو المعنى المسمى باتحاد

فذكر أن المعنى الذى يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم

الأمر كله لله وترك الإرادة معه والاختيار والجرى على مواقع أقداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره .

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد : حدثنى الشيخ كمال الدين المراغى عن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة : الكفار إنما انتشروا فى بلادكم لانتشار الفلسفة هناك وقلة اعتنائهم بالشريعة والكتاب والسنة قال فقلت له : فى بلادكم ما هو شر من هذا وهو قول الاتحادية فقال : هذا لا يقوله عاقل فإن قول هؤلاء كل أحد يعرف فساده، قال وحدثنى الشيخ كمال الدين المذكور قال : اجتمعت بالشيخ أبى العباس المرسى تلميذ الشيخ الكبير أبى الحسن الشاذلى وفاوضته فى هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهى عن طريقهم وقال : أتكون الصنعة هى الصانع ؟ انتهى قلت : ولهذا كانت طريقة الشاذلى هى أحسن طرق التصوف وهى فى المتأخرين نظير طريقة الجنيد فى المتقدين ، وقد قال الشيخ تاج الدين بن السبكى فى كتاب جمع الجوامع : وإن طريق الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم، وكان والده شيخ الإسلام تقى الدين السبكى يلازم مجلس الشيخ تاج الدين بن عطاء الله يسمع كلامه ووعظه ونقل عنه فى كتابه المسمى غيرة الإيمان الجلى فائدة حسنة فى حديث « لا تسبوا أصحابى » فقال : إنه ذكر أن النبى ﷺ كانت له تجليات فرأى فى بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال مخاطبا لهم : « لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » وارتضى السبكى منه هذا التأويل وقال : إن الشيخ تاج الدين كان متكلم الصوفية فى عصره على طريق الشاذلية انتهى قلت : وهو تلميذ الشيخ أبى العباس المرسى . والشيخ أبو العباس تلميذ الشاذلى ، وقد طالعت كلام هؤلاء السادة الثلاثة فلم أر فيه حرفا يحتاج إلى تأويل فضلا عن أن يكون منكرا صريحا وما أحسن قول سيدى على بن وفا :

تمسك بحب الشاذلية تلق ما ... تروم وحقق ذا الرجاء وحصل

ولا تعد عيناك عنهم فإنهم ... شموس هدى فى أعين المتأمل

ثم قال صاحب نهج الرشاد : وما زال عباد الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية وإن كان بعض الناس قد يكون أعلم وأقدر وأحكم من بعض فى ذلك .

وقال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد : وأما المنتمون إلى الإسلام فمنهم بعض غلاة الشيعة القائلون بأنه لا يمتنع ظهور الروحانى فى الجسمانى كجبريل فى صورة دحية الكلبى وكبعض الجن أو الشياطين فى صورة الأناسى قالوا : فلا يبعد أن يظهر الله تعالى فى صورة بعض الكاملين وأولى الناس بذلك على وأولاده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال : ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن فى السلوك وخاض معظم لجة الوصول فربما يحل الله فيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، كالنار فى الجمر بحيث لا تمايز أو يتحد به بحيث لا أثنينية ولا تغاير وصح أن يقول هو أنا وأنا هو قال وفساد الرأيين غنى عن البيان قال : وههنا مذهبان آخران يوهمان الحلول أو الاتحاد وليسا منه فى شيء .

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته تعالى وصفاته فى صفاته وتغيب عن كل ما سواه ولا يرى فى الوجود إلا الله تعالى وهذا هو الذى يسمونه الفناء فى التوحيد وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وبعد الكشف عنها بالمقال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان والله الموفق ، ثم ذكر فى المذهب الثانى وهو القول بالوحدة المطلقة وقال : إنه غير الحلول والاتحاد وأنه أيضا خارج عن طريق العقل والشرع وأنه باطل وضلال . وقد سقت بقية كلامه فيه فى الكتاب الذى ألفته فى ذم القول بالوحدة المطلقة فإنه به أجدر ، وذكر السيد الجرجانى فى شرح المواقف نحو ذلك وقد سقت أيضا عبارته فى الكتاب المشار إليه .

وقال العلامة شمس الدين بن القيم فى كتابه شرح منازل السائرين الدرجة الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين وهو الفناء عن إرادة السوى شائما برق الفناء عن إرادة ما سواه سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانيا بمحبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلا عن إرادة غيره قد اتحد مراده بمراد محبوبه أعنى المراد بمراد الدينى الأمرى لا المراد الكونى القدرى فصار المرادان واحدا قال : وليس فى العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد فى العلم والخبر فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحدا مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين فغاية المحبة مراد المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب فى مراد المحبوب فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم قد فنوا بعبادته عن عبادة ما سواه وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه ومن تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا فى الله ، ولا يبغض إلا فيه ، ولا يوالى إلا فيه ، ولا يعادى إلا فيه ، ولا يعطى إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يستعين إلا به ، فيكون دينه كله ظاهرا لله ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل .

يعادى الذى عادى من الناس كلهم ... جميعا ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك فناؤها عن هوى نفسه وحظوظها بمراضى ربه تعالى وحقوقه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علما ومعرفة وعملاً وحالاً وقصدًا، وحقيقة هذا النفى والإثبات الذى تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء ففنى عن تأله ما سواه علما وإفرادا وتعمدا وبقى تألهه وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذى اتفقت عليه المرسلون صلوات الله عليهم . وأنزلت به الكتب، وخلقت لأجله الخليقة، وشرعت له الشرائع، وقامت عليه سوق الجنة ، وأسس عليه الخلق والأمر ـ إلى أن قال : وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة والمعصوم من عصمه الله والله المستعان :

وقال فى موضع آخر : وإن كان مشمرا للفناء العالى وهو الفناء عن إرادة السوى لم يبق فى قلبه مراد يزاحم مراده الدينى الشرعى النبوى القرآنى بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد وهذا حقيقة المحبة الخالصة وفيها يكون الاتحاد الصحيح وهو الاتحاد فى المراد لا فى المريد ولا فى الإرادة قال : فتدبر هذا الفرقان فى هذا الموضع الذى طالما زلت فيه أقدام السالكين وضلت فيه أفهام الواحدين انتهى، وقد تكرر كلام ابن القيم فى هذا الكتاب فى تضليل الاتحادية والقائلين بالوحدة المطلقة وقد سقت منه أشياء فى كتابى الذى أشرت إليه فلينظر منه والله أعلم (الحاوى للفتاوى ٢٠ / ١٣٣ ـ ١٣٧) .

وقد شن الإمام ابن تيمية على أصحاب مذهب الحلول والاتحاد حربا شعواء يوضحها الإمام محمد أبو زهرة فى كتابه عن ابن تيمية فى فصل بعنوان « الوحدانية والتصوف » . الحلول ـ وحدة الوجود ـ الاتحاد . قال رحمه الله :

شغل الفكر الإسلامى بأفكار أثارها المتصوفة، تتعلق بصلة الله سبحانه وتعالى بخلقه ، وإن المعروف بين علماء المسلمين المقرر فى مصادر الدين أنها صلة الخالق بالمخلوق ؛ والمبدع بما أبدعه ، والله واجب الوجود الذى ليس كمثله شىء ؛ والمخلوق ممكن الوجود عرض له الوجود بعد أن لم يكن .

لكن بعض المتصوفة أثاروا أمورا تجعل الصلة ليست كذلك فقط ، فقد قالوا تابعين لرأى قديم بجواز حلول الله فى بعض الآدميين إذا كان مستعدا لذلك بصفاء نفسه وثقل روحه ، وأظهر من قال ذلك الحلاج (انظر ترجمته) ثم جاء ابن عربى فحكم بوحدة الوجود ، وأن الموجود واحد ، تعددت صوره وأشكاله ومظاهره ثم جاءت بعد ذلك فكرة الاتحاد بين المخلوق والخالق من حيث المحبة والشوق، فإنه بهذه المحبة يتصل بالله تعالى ويعلو إليه ، وأنه عندما يصل إلى درجة الاتحاد بالذات العلية يكون فى غيبوبة يسمونها المحو، أى فناء ذاته الفانية فى ذات الله الباقية ، أو يسمونها السكر لأنه يغيب فيها عن الحس، ويسمى أولئك هذه الحال بوحدة الشهود. وهى مقابل ما قاله ابن عربى عن وحدة الوجود وقد جاء ذلك المذهب فى شعر عمر بن الفارض ؛ وحكم ابن عطاء الله السكندرى الذى عاصر ابن تيمية وشكاه إلى أولى الأمر سنة ٧٠٧ .

ناقض ابن تيمية هذه المذاهب التى تربط الخالق بالمخلوق ؛ لأنه أولا رآها منافية لمعنى توحيد الله سبحانه وتعالى الذى شرحه وبيّنه ، وثانيا لأنه رأى بعض قائليها يدعون لأنفسهم حالا يعلون فيها على التكليف، وابن تيمية يرى أن من يتزع ذلك المنزع معطل لأحكام الشرع خالع الربقة، وثالثا لأنه رأى الناس يزعمون فى أصحابنا قدرة خارقة للعادة فيتقربون إلى الله بهم ؛ وهم من يسمون عندهم أولياء .

رأى ابن تيمية فيهم ذلك فشنَّ عليهم حربا شعواء أقض بها مضاجعهم ، ونالوا منه عند السلطان والناس ، ونال منهم عند الناس، ولقد ناقش أقوالهم مناقشة العارف لها الفاحص لدقائقها العارف لأسرارها ، ولكنه سماها كلها مذهب الاتحاد، أو الاتحاديين، وكأنه نظر إلى المعنى المشترك فى هذه الأمور الثلاثة، وهى وحدة الوجود والحلول، والفناء فى الله بالمحبة ؛ وذلك لأن هذه المناهج الثلاثة تلتقى فى معنى الاتحاد، اتحاد المخلوق بالخالق ؛ بيد أن وحدة الوجود فيها اتحاد لا تعدد فيه ؛ فليس هناك اثنان ، بل وحدة لاثنينية فيه ؛ والآخران فيهما اتحاد بين اثنين، على تفرقة بين الاصطلاحين .

ولقد قال فى مقدار فهمه لمذهب هؤلاء الاتحاديين فى نظره ؛ قد افترقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استشعارهم أنهم مفترقون ، ولهذا لما بينت لطوائف من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم وسر مذهبهم صاروا يعظمون ذلك ، ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرد لجعلونى من أئمتهم ، وبذلوا لى من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف، كما تبذل النصارى لرؤسائهم، والإسماعيلية لكبرائهم ، وما بذل آل فرعون . وكل من يقبل قول هؤلاء فهو إما جاهل بحقيقة أمرهم ، وإما ظالم يريد علوا فى الأرض وفسادا، أو جامع بين الوصفين . وهذه حال أتباع فرعون، والذين قال الله فيهم : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

ويرى رضى الله عنه أنه يكفى لرد هذه المذاهب تصورها ، فإن تصورها كاف فى بيان فسادها ، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر « وإنما تتبع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم » .

ويقول مشنعا على مذهب وحدة الوجود : « أصلهم الذى بنوا عليه أن وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات

والكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب، لا أنه متميز عنه منفصل فى ذاته وإن كان مخلوقا مربوبا مصنوعا له قائما به ، وهم يشهدون أن فى الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل ، فاحتاجوا إلى جمع يزيل الكثرة ، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها » .

وهو مع شدته على المذهب وقائليه يقول فى ابن عربى قولا رقيقا نسبيا، فيقول : « مقالة ابن عربى مع كونها كفرا هو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد فى كلامه من الكلام الجيد ، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو هائم مع خياله الواسع الذى يتخيل فيه الحق تاره والباطل أخرى، والله أعلم بما مات عليه » (رساله حقيقة مذهب الوحدة / ٦) (ابن تيمية / ٢٧٧ـ ٢٧٩) .

ويبين الدكتور الطبلاوى كيف أن السلفية ومشايخ الصوفية ذموا الاتحاد والحلول ووحدة الوجود ، فيقول فى فصل أفرده لذلك :

أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم بما فيهم مشايخ الصوفية والأئمة الكبار ذموا مذاهب أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكذلك أيضا أصحاب كتب الطبقات والتاريخ تناولوا أصحاب هذه المذاهب وحكوا لنا ما قاله أئمة السلف فى رفض هذه المذاهب الدخيلة على الفكر الإسلامى .

وإذا كان بعض الباحثين يروج الإشاعات والأخبار على أن ابن تيمية هو الذى بدأ فى رفض هذه المذاهب وذم أصحابها فهذا غير صحيح، والمتتبع لكلام ابن تيمية فى كتبه عن ذم هذه المذاهب يجد أنه قد اعتمد فى هدم هذه المذاهب على أقوال من سبقه من أئمة السلف ومشايخ الصوفية العارفين .

يقول ابن تيمية (كتاب الصفدية ١/ ٢٦٦) إن الجنيد رحمه الله تكلم بكلام الأئمة العارفين، فإن كثيرا من الصوفية وقعوا فى نوع من الحلول والاتحاد كما ذكر ذلك أبو نعيم الأصبهانى فى حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، كما ذكر ذلك أبو القاسم القشيرى فى رسالته المشهورة وغيرهم .

ويذكر لنا ابن تيمية أن الشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث كالفضل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التسترى، وعمرو بن عثمان المكى وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى وغيرهم وكلامهم موجود فى السنة وصنفوا فيها الكتب ، وذموا فيها مذهب الحلول والوحدة .

وقد قيل لعبد الله بن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال : هو فوق سمٰواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهكذا سائر الأئمة كأحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وعثمان بن سعيد والبخارى وابن خزيمة وكما ذكر ذلك الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وصاحبه الملقب بشيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى كل هؤلاء وغيرهم من أئمة السلف وشيوخ التصوف ضد هذه المذاهب فالأساس عند أئمة السلف أنهم ميزوا بين الخالق سبحانه وبين المخلوق ، كما كان يذكر دائما الإمام الجنيد بأن التوحيد لا يكون عند العبد إلا إذا ميز بين القديم وهو الله وبين المحدث وهو المخلوق .

وبين لنا ابن تيمية فى سائر كتبه أن الصوفى بحق هو الذى يكون على مذهب أهل الحديث والكتاب والسنة ، وليس على مذهب أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود .

ويؤكد لنا ابن تيمية (درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٤، ٥) كثيرا فى ثنايا كتبه أن شيوخ التصوف المشهورين من أبرأ الناس من مذهب وحدة الوجود، وأبعدهم عنه وأعظمهم نكيرا عليه وعلى أهله ، ولا يمل ابن تيمية من تكرار أسماء هؤلاء الذين ذكرناهم ويضيف إليهم أيضا أبا عثمان النيسابورى ويحيى بن معاذ الرازى والشيخ عبد القادر الجيلانى وغيرهم ممن ينكرون هذه المذاهب الدخيلة .

ويذكر لنا ابن تيمية أنه قد قيل للشيخ عبد القادر الجيلى ـ قدس الله روحه ـ هل كان لله ولى على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ فقال : لا كان ولا يكون .

فإذًا أساس العقيدة واحد عند أئمة السلف ومشايخ الصوفية وهى عقيدة أهل السنة والجماعة المبنية على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما قاله السلف الصالح رضوان الله عليهم .

أبو نعيم الأصبهانى ذم الحلولية :

يقول أبو نعيم الأصبهانى فى مقدمة كتابه « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء فى ذم الحلولية » (مطبعة السعادة ١/ ٤):

« وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار فى كل القطر والأمصار فى المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار ، والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار بقادح فى منقبة الأخيار » .

فأبو نعيم الأصبهانى نجده فى هذا النص قد ميز وفرق بين الصوفية المشايخ البررة الأخيار الذين سلكوا منهج الكتاب والسنة وبين أهل الحلول والإباحية الذين خرجوا عن منهج السلف .

وبين أبو نعيم أيضا أن ذم الحلولية ليس واقعا من الصوفية المشايخ فقط، وإنما اتفق أهل الفقه وأهل الحديث وأئمة السنة فى ذمهم ، ويبين لنا أيضا أن ظهور مذهب الحلولية وسط جماعة منتسبين إلى التصوف هذا لا يضير ولا ينقص من مناقب الأخيار من المشايخ ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [فاطر : ١٨] .

أبو القاسم القشيرى ذم الحلولية :

والقشيرى فى رسالته قد بيَّن أن طريقة مشايخ الصوفية أهل السنة تخالف ما عليه أهل الاتحاد والحلول من فساد . يقول القشيرى فى ذم أهل الاتحاد والحلول (الرسالة القشيرية ١/ ٢٢ـ ٢٤).

« زال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ... حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال وادعوا أنهم تحققوا بحقائق الوصال ... وكوشفوا بأسرار الأحدية وزالت عنهم البشرية ، وبقوا بعد فنائهم بأنوار الصمدية والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا ... إلخ ما قال فيهم من صفات تبين مذهبهم فى الحلول والاتحاد بالله .

وأخذ القشيرى يبين الدافع والسبب لتأليف هذه الرسالة فيقول : ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه وأشفقت على القلوب فعلقت هذه الرسالة إليكم وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم وعقائدهم .

وقد ذكر ابن تيمية هذا النص للقشيرى وعلق عليه مبينا أن القشيرى ألف رسالة تبين أن طريقة مشايخ الصوفية تخالف ما عليه أهل الاتحاد والحلول من فساد، فإنهم يجعلون الرب حالاً فى المخلوقات محدودًا بحدودها متكلما بحروفها حتى لا يجعلونه هو المتكلم على ألسنتهم كما ذكر ذلك أبو القاسم القشيرى ، وهؤلاء كثيرون فى المنتسبين إلى الصوفية وعلى مثل ذلك قتل الحلاج (الاستقامة لابن تيمية / ٢٦) .

ابن خفيف ذم الحلولية :

ويذكر ابن تيمية رأى أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى فى الحلولية فيقول على لسانه : ومن زعم الإشراف على الخلق يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحى المنزل فهو خارج عن الملة ، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم بغير الوحى من قول الله ورسوله فقد باء بغضب من الله ، والفراسة حق على أصول ما ذكرنا . ومن زعم أن صفات الله تعالى تحل بصفات العبد فهو حلولى قائل باللاهوتية والالتحام وذلك كفر لا محالة ... ومن قال إن شيئا من صفات الله حالّ فى العبد أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر (الفتوى الحموية / ١٤١) .

ويقول ابن خفيف أيضا فى معتقده (معتقد ابن خفيف / ٩٣) : إن البارى تعالى واحد لا حالّ فى الأشياء ولا الأشياء حالةّ فيه ، ولا يتجلى فى شىء ولا استتر بالحدث .

وهكذا نرى مشايخ الصوفية ذموا مذهب الحلول وأصحابه وقد اشتهر الحلاج بهذا المذهب (انظر ترجمته تحت عنوانه) .

أخبار الحلاج :

وأخبار الحلاج فى كتب كثيرة أشار إليها ابن تيمية كتاريخ بغداد لابن الخطيب . وأبو الفرج بن الجوزى له فى الحلاج مصنف سماه « رفع اللجاج فى أخبار الحلاج » وذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية أن كثيرا من المشايخ ذموه وأنكروا عليه ولم يعدوه من مشايخ الطريق، وممن ذمه وحط عليه أبو القاسم الجنيد ، وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجورى قد زوج الحلاج بابنته يقول ابن تيمية لما اطلع النهرجورى على زندقة الحلاج نزعها ، وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر .

ويقول ابن تيمية عن الحلاج أيضا : إن كان قد تاب فى الباطن وقت قتلته فإن الله ينفعه بتلك التوبة ، وأن كان كاذبا فإنه قتل كافرا، ويذكر ابن تيمية أيضا بأنه قد أفتى الأكثرون بأنه يقتل ولو أظهر التوبة فإنه إن كان صادقا فى توبته نفعه ذلك عند الله وكان الحد تطهيرا له ، كما لو تاب الزانى والسارق ونحوهما . وقد قال الشعرانى فى طبقاته : قد أشار القشيرى إلى تزكية الحلاج حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الرسالة فتحا لباب حسن الظن به ، ثم ذكره فى أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه » وفى ذلك يقول ابن تيمية : وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحديعظّمه .

دفاع عن الحلاج :

بعض الباحثين المعاصرين يدافع عن الحلاج ويبنى دفاعه على أقوال ابن تيمية ويقول : لم أجد فى الدفاع عن الحلاج وتبرئته من تهمة الحلول والاتحاد أبلغ من كلام ابن تيمية خصم الصوفية الكبير الذى يقول : وقد يعرض لبعض العارفين فى مقام الفناء والجمع والاصطلام والسكر بقوة استيلاء الوجد والذكر عليه من الحال ما يغيب فيه عن نفسه وغيره بمعبوده عن عبادته وبمعروفه عن معرفته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده ومثل هذا قد يعرض لبعض المحبين المخلوقين ... إلخ (التصوف فى تراث ابن تيمية / ٨٧-٩١) .

قالت المؤلفة : يقدم الكاتب الإسلامى الأستاذ أنور الجندى عرضا لكتاب « الحلاج والقرامطة » جاء فى بدايته ما يلى : أولى المستشرقون ومن تابعهم من دعاة التغريب شخصية « الحلاج » اهتماما كبيرا وحاولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة أريد لصقها بالإسلام ، وهى مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهذا ما لم يحدث فى تاريخ الإسلام كله وإن حدث فى تاريخ أوربا الغربية النصرانية ، فلقد كان الإسلام حفيا بحرية الكلمة إلى أبعد حد، ما لم تصبح تخريبا للعقيدة أو ما يشبه ذلك كالتآمر السياسى أو مخابرة دولة أجنبية .

والحلاج لم تقتله الكلمة ، والتى قد يؤولها بعضهم تأويلا ما ، وإنما قتل حين ثبتت عليه أمور منها مراسلة القرامطة ، فقد تبين أنه كان وكيلا لهم وكان القرامطة قد أزاحوا النظام الإسلامى إلى حين وسفحوا الدماء وخربوا البلاد وأنشؤوا لهم عاصمة فى «هجر» حملوا إليها الحجر الأسود من الكعبة فظل بها اثنين وعشرين عاما .

والذى عليه القول الراجح أن الحلاج كان يعمل لحساب القرامطة ، وأن دعواه فى الحلول والإشراق ووحدة الوجود إنما كانت تعمل على إفساد الأساس الفكرى للدولة الإسلامية ، وهدم تعاليم الإسلام كمقدمة لتحطيم سلطته السياسية ، وهو نفس المنهج الذى سلكته الباطنية ، فقد رأى خصوم الإسلام إزاء عجزهم عن هدم

دولته أن يلجؤوا إلى تقويض عقيدة التوحيد التى جمعت شمل المسلمين وتذرعوا إلى ذلك بنظريات التصوف الهندى والمجوسية الفارسية والفلسفية الوثنية اليونانية ، وكانت مقدمات ذلك ، السخرية بالشريعة الإسلامية والترخص فى الحدود وإباحة المحرمات ، وقد جرى « الحلاج » فى ذلك شوطا طويلا فادعى الألوهية ، واتهم بمعارضة القرآن وأنه يحيى الموتى ، وأن الجن يخدمونه ، وأنه يعمل من الخوارق ما يشبه المعجزات ، وأنه كان يدعو إلى نوع آخر من الحج غير الطواف . بالبيت الحرام فى مكة ، وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها إلا هو ومن أرسلها إليه .

وقد وصفته كتب التاريخ بأنه رجل مجوسى الأصل اشتغل بالمخاريق والحيل ، وادعى العلم بالأسرار ثم تناهى إلى ادعاء النبوة ثم الربوبية ، واستغوى غلمان قصر الخليفة المقتدر بالله العباسى ، لينفذ بهم إلى تحقيق غايته فأدى ذلك إلى قتله . وذكر إمام الحرمين فى كتابه « الشامل » أنه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقى لقتل الحلاج (« الحلاج والقرامطة / ٧٤ ، ٧٥) .

(الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى / ١٩٣ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى ، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ طه عبد الرءوف سعد ، ومصطفى الهوارى / ١١٦ ، و « تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد » للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، الحاوى للفتاوى ٢ / ١٣٣ ـ ١٣٧ ، وابن تيمية ـ الإمام محمد أبو زهرة / ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ، والتصوف فى تراث ابن تيمية ـ د . الطبلاوى محمود سعد / ٨٧ ـ ٩١ ، و « الحلاج والقرامطة » ـ عرض وتقديم الاستاذ أنور الجندى . منار الإسلام . العدد السابع . السنة العاشرة رجب ١٤٠٥ هـ ـ إبريل ١٩٨٥م / ٧٤ ، ٧٥ . انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٤٩ ـ ٣٥٢ ، وأهل الصفة وأحوالهم لشيخ الإسلام ابن تيمية / ٥٤ ـ ٥٩ ، والموسوعة الصوفية ـ د . عبد المنعم الحفنى / ٩١ ـ ٩٥) .

*** حلومة (زاوية ـ) :**

قال عنها على مبارك كما كانت فى زمانه :

هذه الزاوية بخط المشهد الحسينى على يسار السالك من جهة الباب الأخضر من أبواب المشهد إلى أم الغلام ، شعائرها مقامة بالصلاة والأذان ، وفيها ضريح يقال له ضريح الشيخ موسى اليمنى ، وهو ظاهر يزار ، وللنساء فيه اعتقاد أكيد ويعمل له حضرة كل ليلة ثلاثاء ، ويعقد فيها بعض الصوفية مجلسا للذكر ، والقيمة هناك امرأة تمنع الرجال من الزيارة وقت زيارة النساء .

وهذه الزاوية هى المدرسة الملكية بدليل ما هو مكتوب على وجه بابها إلى الآن ، وصورته : « أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الحاج آل ملك الجوكندا الناصرى الراجى عفو الله تعالى بتاريخ سنة سبعمائة وتسع عشرة » وهى التى ذكرها المقريزى فى المدارس ، فقال : المدرسة الملكية هذه المدرسة بخط المشهد الحسينى . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره ، وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة ، وجعل لها عدة أوقاف ، وهى من المدارس المشهورة ، وموضعها من جملة رحبة قصر الشوك ، ثم صار موضع هذه المدرسة دارا تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح انتهى .

وقد ذكرنا ترجمة آل ملك عند الكلام على جامعه بالحسينية ، وقوله : صار موضعها دار ابن كرمون يمنعه الكتابة التى على وجهها إلى الآن ؛ فلعل الذى أخذ فى الدار المذكورة هو جزء منها فقط ، أو أن الذى أخذ فى الدار هو دار آل ملك ، التى كانت تجاه هذه المدرسة . وأما احتمال أن واجهة المدرسة نقلت إلى هذه الزاوية بعد زوال المدرسة بالمرة فبعيد والله أعلم .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٦٩ ، ٧٠) .

انظر ما دتى « آل ملك الجوكندار (جامع ـ) » ، و « آل ملك الجوكندار (مدرسة ـ) » فى م ١ / ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

*** الحلوية (أو الحلاوية) (المدرسة ـ) :**

من المدارس الحنفية فى حلب .

من المدارس ذات الإيوان الواحد المدرسة الحلاوية التى تقع قرب الجامع الكبير فى حلب مقابل مدخله الغربى وهى مخصصة للمذهب الحنفى . ويقال إن أصل هذه المدرسة كانت كنيسة ثم حولت إلى مسجد وذلك كرد فعل لما قام به الصليبيون من انتهاك لحرمة قبور المسلمين . فقد حدث عندما حاصر الفرنج حلب سنة ٥١٨ هـ أن بعثروا قبور المسلمين التى بظاهرها وأحرقوا من فيها . فعمد القاضى أبو الحسن بن القاضى أبى الفضل بن الخشاب الحلبى إلى أربع كنائس صليبية وحولها إلى مساجد وكانت هذه المدرسة تعرف قديما بمسجد السراجين ، فلما استولى نور الدين محمود على حلب ، أضاف إلى المسجد إيوانا ، وحدد فيه مساكن يأوى إليها الطلبة والفقهاء وكان ذلك فى سنة ٥٤٤ هـ وقد أوقف الملك العادل نور الدين الأوقاف على المدرسة وكان يملأ مطابخها فى ليلة السابع والعشرين من رمضان قطائف محشوة ويجمع عليه الفقهاء المرتبين بالمدرسة وفى الشتاء كان يدفع لكل فقيه شيئا معلوما ، وفى أيام شرب الدواء من فصلى الربيع والخريف يدفع ثمن ما يحتاج إليه من دواء وفاكهة وفى الموالد الحلوى وفى الأعياد ما يرتفقون به دراهم معلومة . وفى أيام الفاكهة ما يشترون به بطيخا ومشمشا وتوتا (الأعلاق الخطيرة (حلب) ص ١١٠) .

ويصف ابن شداد المدرسة الحلاوية فى أيامه فيقول : وهى من أعلم المدارس صيتا وأكثرها طلبة وأغزرها جامكية (طعاما) وكان

من شروط الواقف أن يحمل فى شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدرس يصنع بها طعاما للفقهاء . وفى ليلة النصف من شعبان فى كل سنة حلوى معلومة ، ولعل المدرسة عرفت باسم الحلاوية نسبة إلى هذا الشرط . ولما انتهى بناء المدرسة استدعى لها من دمشق الفقيه الإمام برهان الدين أبا الحسن على بن الحسن بن محمد بن أبى جعفر فتولى التدريس بها . وممن درسوا بهذه المدرسة سنة ٦٣٤هـ (سنة ١٢٢٥م) الصحاب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر ابن قاضى القضاه نجم الدين أحمد بن هبة الله بى أبى حرادة المعروف بابن العديم . ولم يزل مستمرا فى التدريس بها إلى أن قصد دمشق فى خدمة السلطان الملك الناصر فولى التدريس بها ولده مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن (المتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٤٢ ، ١٤٣) .

قال خير الدين الأسدى عن المدرسة الحلوية :

تقع المدرسة الحلوية تجاه باب الجامع الكبير العربى وهى الكنيسة الكبرى التى بنتها هيلانة أم قسطنطين بانى القسطنطينية ، كانت كاتدرائية حلب العظمى ، شيدت فى القرن الخامس للميلاد وهدمت أيام الإمبراطور كوسروس حيث أحرقها كسرى الأول ملك الفرس عام ٥٤٠م ثم جددت أيام الإمبراطور جوستنيان ، وربما كان اسمه الحلوية أو الحلاوية محرف عن هيلانة ، وكان حمام موغان حماما للهيكل ، أما مذبح الكنيسة فيقوم لصق الحمام وبينه وبين الهيكل ساباط معقود البناء تحت الأرض ، وكان فى موضع الحمام كرسى من الرخام الأبيض الملكى ارتفاعه أحد عشر ذراعا . قال ابن الشحنة (الدر المنتخب / ٨٣) وذكر ابن شرارة النصرانى فى تاريخه أن عيسى عليه السلام جلس عليه أو فى موضعه عندما دخل حلب ، وذكروا أن جماعة من الحواريين دخلوا هذا الهيكل وكان فى ابتداء الزمان معبدا لعبدة النار ثم صار إلى اليهود كنيسا ثم صار إلى النصارى كاتدرائية . ويرى سوفاجيه احتمال أن تكون مبنية فوق الموضع الرئيسى للمعبد الوثنى الذى كان يقوم فى طرف الأغورا وفى سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م حاصر الفرنج حلب وملكها يومئذ إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين فهرب منها وتولى شؤون البلد القاضى أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشاب ، فعمد الفرنج إلى نبش قبور المسلمين ومثلوا بالأموات والأحياء وأحرقوهم ، ونبشوا مشهد الدكة وأحرقوه ، وظفروا بمصحف فثقبوه وشدوه وعملوه للبرذون يروث عليه وهم يضحكون ، فأمر القاضى ابن الخشاب أن تحول الكاتدرائية العظمى إلى مسجد عرف باسم مسجد السراجين ثم عرفت باسم المدرسة الحلاوية ونور الدين زنكى هو الذى جعلها مدرسة ، كما حول ابن الخشاب ثلاث كنائس أخرى إلى مساجد . ويرى سوفاجيه أن ابن الخشاب اعتبر نصارى حلب متضامنين مع الأوربيين إخوتهم فى الدين ومسؤلين معهم بالنتيجة وفى الحلوية محراب رائع من الخشب من عهد صلاح الدين الأيوبى (أحياء حلب وأسوقها / ١٧٩ ـ ١٨١) .

(المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٢ ، ١٤٣ ، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدى - تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جى / ١٧٩ ـ ١٨١ . انظر أيضا الأعلاق الخطيرة لابن شداد - حققه يحيى زكريا عبارة جـ١ ق ١ / ٢٦٤ ، والدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ـ تقديم عبد الله محمد الدرويش / ١٢٥) .

قالت المؤلفة قمنا بزيارة هذه المدرسة يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١م بعد خروجنا مباشرة من الباب الغربى للجامع الكبير بحلب ، إذ أنها تقع قبالته . ومما علمناه أن يوسف بن محمد ناصر حفيد صلاح الدين جدد المحراب ، وأن تاريخ إنشائه هو سنة ٦٤٣ هـ وقد نقش عليه عبارة « صنعة أبى الحسن محمد الحرانى رحمه الله » ، والله تعالى أعلم .

* **الحلى والثياب (كتاب -) :**

لأبى الحسين أحمد بن سعد الكاتب الأصبهانى المتوفى فى حدود سنة ٣٥٠ هـ (كشف الظنون ٢ / ١٤١٣) .

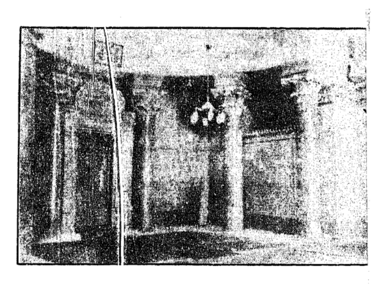
* **الحلى والشيات [والتياب] (كتاب -) :**

مختصر لأبى نصر محمد بن إسماعيل بن عبد الوارث المذحجى وهو مشتمل على ستة أبواب فى ألوان بنى آدم والخيل والبغال والحمير والإبل والبقر وأوصافها .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٣) .

* **الحُلَيْفَة:**

الحليفة : بالتصغير أيضا ، والفاء ، ذو الحليفة : قرية بينها



المدرسة الحلوية

وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، وهو من مياه جشم بينهم وبين بنى خفاجة من عقيل . وذو الحليفة أيضا الذى فى حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله ، ﷺ، بذى الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم ، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة وليس بالمُهد الذى قرب المدينة .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦) .

*** الحليم جل جلاله:**

الاسم الثالث والثلاثون من أسماء الله الحسنى . شرحه الإمام أبو حامد الغزالى بقوله :

هو الذى يشاهد معصية العصاة ، ويرى مخالفة الأمر... ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار ـ عجلة وطيش ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾ [فاطر : ٤٥] .

تنبيه : حظ العبد من وصف الحليم ظاهر؛ فالحلم من محاسن خصال العباد . وذلك مستغن عن الشرح والإطناب (المقصد الأسنى / ٩٤) .

أما الإمام الفخر الرازى فيشرحه بقوله :

حاصل كلامهم أن الحليم هو الذى لا يعجل بالانتقام ، وأنا أقول : من لا يعجل الانتقام إن كان على عزم أن ينتقم بعد ذلك فهذا يسمى حقودا ، وإن كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة فهذا هو العفو والغفران ، فأين الحلم ؟ وما معناه ؟ ويمكن أن يقال إنه إنما يكون حليما إذا كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة ، ولكن بشرط أن لا يظهر ذلك ، فإن أظهره كان ذلك عفوا ، وبهذا الوجه ظهر الفرق بين العفو وبين الحلم .

واعلم أن حلم الله عن المذنبين عظيم ، قال تعالى : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾ [فاطر : ٤٥] .

وروى أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلا مشتغلا بمعصية ؛ فقال : اللهم أهلكه؛ فهلك ، ثم رأى ثانيا ، وثالثا ، فدعا فهلكوا ، فرأى رابعا فهم بالدعاء عليه ؛ فأوحى إليه : قف يا إبراهيم، فلو أهلكنا كل عبد عصى لما بقى إلا القليل ؛ ولكن إذا عصى أمهلناه، فإن تاب قبلناه، وإن أصر أخرنا العقاب عنه ، لعلمنا بأنه لا يخرج عن ملكنا .

ويروى أن شابا كان كثير الذنوب ، ولكنه ما كان من المصرين ؛ بل كان يتوب ثم يرجع إلى الذنب ، فلما كثر ذلك منه قال الشيطان : إلى متى تتوب وتعود ، وأراد أن يقنطه من رحمة الله ؛ فلما جاء الليل قام وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع بصره إلى السماء وقال : يا من عصمت المعصومين ، ويا من حفظت المحفوظين، ويا من أصلحت الصالحين، إن عصمتنى تجدنى معصوما؛ وإن أهملتنى تجدنى مخذولا، ناصيتى بيدك ، وديونى بين يديك ، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، فقال الله سبحانه وتعالى للملائكة يا ملائكتى أما سمعتم قوله ، اشهدوا أنى قد غفرت له ما مضى من ذنوبه ؛ وعصمته فيما بقى من عمره .

وذكر مالك بن دينار قال : كان لى جار، وكان يتعاطى من الفواحش ، وجيرانه يتأذون لسببه ، فشكوا منه إلىّ فأحضرناه وقلنا : إما أن تتوب ، وإما أن تخرج من المحلة ، فقال : لا أفعل واحدا منهما فقلنا : نشكوك إلى السلطان ، فقال : السلطان يعرفنى ؛ فقلن . ندعو الله عليك ، فقال : الله أرحم بى منكم ، فغاظنى ذلك ، فلما أمسيت قمت وصليت ودعوت عليه فهتف هاتف ، وقال : لا تدع عليه ، فإن الفتى من أولياء الله قال : فندمت على ما فعلت ، وخرجت من الدار ، وذهبت إلى باب داره ، ودققت عليه الباب، فلما خرج ورآنى ظن أنى جئت لإخراجه من المحلة ، فأخذ يعتذر، فقلت ما جئت لذلك لكنى رأيت كذا وكذا؛ قال . فوقع عليه البكاء ، وتاب إلى الله وخرج من الدار، وتاب الله عليه بعد ذلك ، فاتفق أنى خرجت إلى الحج فرأيت فى المسجد حلقة ، فتقدمت إليهم فرأيت ذلك الشاب عليلا مطروحا ، فما لبث حتى قالوا : قضى الشاب ، يرحمه الله .

أما حظ العبد من هذا الاسم : فعلم أن الحلم فى الإنسان من محاسن الأخلاق ، والدليل عليه : أن الخليل عليه السلام دعا ربه فقال : ﴿ **رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين** ﴾ [الشعراء : ٨٣] فأجاب الله دعاءه بقوله : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ [الصافات : ١٠٦] وهذا يدل على أن الحلم من الأخلاق المحمودة .

قول المشايخ فى هذا الاسم : أما المشايخ فقالوا : الحليم من كان صفّاحا عن الذنوب ، ستّارًا للعيوب .

وقيل : الحليم هو الذى غفر بعد ما ستر .

وقيل : الحليم الذى يحفظ الود ، ويحسن العهد ، وينجز الوعد .

وقيل : الحليم الذى يسبل ستر عفوه على المنهمكين ، ويسحب ذيل عفوه على المتهتكين .

وقيل : الحليم الذى لا يستخفه عصيان عاص، ولا يستفزه طغيان طاغ (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٩ ـ ٢٥١) .

وأورد الشيخ أحمد عبد الجواد فيه ما يلى :

« الحليم : جل جلاله » ومعناه : أنه ذو الصفح والأناة الذى لا يعجل بالعقوبة مع المقدرة ، فلا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص .

والحلم صفة اتصف بها « الحليم جل جلاله » وخص بها المصطفين من عباده .

قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾ [هود : ٧٥].

وقد قال قوم شعيب لنبيهم عليه الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ [هود : ٨٧] .

ومن يتدبر قول الله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ [فاطر : ٤٥].

يعلم أن الله لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده من أجل ذنوبهم وهو غنى عنهم ، فخيره إلى عباده نازل وشرهم إليه صاعد فهو يمهل ولا يهمل لعلهم يستغفرونه ويتوبون إليه .

ولقد وصف الله نفسه بالحلم مع العلم وأنه غفور حليم ، وغنى حليم :

قال الله تعالى : ﴿ وإن الله لعليم حليم ﴾ . [الحج : ٥٩] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ إن الله غفور حليم ﴾ . [البقرة : ٢٣٥].

وقال الله جل جلاله : ﴿ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴾ [التغابن : ١٧] .

وقال الله جل جلاله ﴿ والله غنى حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

وقد علّمنا رسول الله ﷺ دعاء ندعو به عند الكرب وفيه التهليل بأنه العظيم الحليم :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم » رواه أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وحظ العبد من اسم ربه « الحليم جل جلاله » : أن يزينه الله بالحلم وهو من محاسن الأخلاق .

وقالوا : إذا اتخذه الرئيس ذكرا اتصف بالحلم فى رئاسته ، وكان مقبول القول ، وافر الحرمة ، ثابت الجنان ، وقالوا من كتبه على ورقة وغسلها ورش زرعه بذلك الماء يقيه الله من كل آفة . والله اعلم

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٩٤ ، وشرح أسماء الله الحسنى وهو الكتاب المسمى « لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات » للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٤٩ - ٢٥١ ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة شيخ الأزهر ، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدى محمود على / ٩٢ ، ٩٣) .

* **حليمة:**

قال ياقوت:

حليمة : بالفتح ثم الكسر؛ قال العمراني : وهو موضع كانت فيه وقعة ، ومنه : ما يوم حليمة بسر، وهذا غلط إنما حليمة اسم امرأة بنت الحارث الغسانى نائب قيصر بدمشق ، وهو يوم سار فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق إلى الحارث الأعرج الغسانى وهو الأكبر، وسار الحارث فى عرب الشام فالتقوا بعين أباغ ، وهو من أشهر أيام العرب ، فيقال : إن الغبار يوم حليمة سد عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس ، وقيل : بل كان الضجاعمة وهم عرب من قضاعة عمالا للروم بالشام ، فلما خرجت غسان من مأرب ، كما ذكرناه فى مأرب ، نزلت الشام ، وكانت الضجاعمة يأخذون من كل رجل دينارا ، فأتى العامل جذعا ، وهو رجل من غسان ، وطالبه بدينار فاستمهله فلم يفعل فقتله ، فثارت الحرب بين غسان والضجاعم ، فضربت العرب جذعا مثلا وقالوا: خذ من جذع ما أعطاك ؛ وكان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها حليمة فأعطاها تورا فيه خلوق وقال لها : خلّقى به قومك ، فلما خلّقتهم تنوحوا وأجلوا الضجاعم وملكوا الشام ، فقالوا : ما يوم حليمة بسر ، وقيل : إن يوم حليمة هو اليوم الذى قتل فيه الحارث ابن أبى شمر الغسانى المنذر بن ماء السماء ...

وقال النابغة :

تخيرن من أزمان يوم حليمة
إلى اليوم قد جُربن كل التجارب

(معجم البلدان ٢ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

* **حليمة السعدية. (- بعد ٨ هـ / - بعد ٦٣٠ م):**

مرضعة رسول الله ﷺ ، جاءت مكة تسترضع أبناء سراتها ، فأرضعوها محمدًا اليتيم ، فجلب لها السعد والفرج (الموسوعة الثقافية / ٤٠٩) .

وحديث إرضاع السيدة حليمة رضى الله عنها للنبى ﷺ رواه عنها عبد الله بن جعفر ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه ، وصرح فيه بالتحدث بين عبد الله بن جعفر وحليمة . وحديث الرضاعة حديث مشهور ، روته أغلب كتب السنة منها أبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه .

قال السيد رفاعة الطهطاوى يحكى قصة حليمة السعدية من نهايتها ثم يعود إلى بدايتها :

ثم أرضعت النبى ﷺ حليمة السعديه بنت أبى ذؤيب (تصغير ذئب واسمه عبد الله بن الحارث) ومن سعادتها توفيقها للإسلام هى وزوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى وبنوها : عبد الله ، والشيماء ، وأنيسة ، وقد ألف الحافظ أبو سعيد علاء الدين بن مغلطاى فى إسلامها جزءا وسماه التحفة الجسيمة فى

إسلام السيدة حليمة » وقال فى سيرته : وبقيت حليمة حتى قدمت على رسول الله ﷺ بمكة، وقد تزوج خديجة فشكت إليه جدب البلاد وهلاك الماشية ، فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا ، وانصرفت إلى أهلها وقدمت عليه أيضا فى يوم حنين ، فقام لها وبسط لها رداءه ، فجلست عليه وقضى حاجتها ، فلما توفى ﷺ قدمت على أبى بكر الصديق فصنع لها مثل ذلك ، ثم عمر ففعل ذلك . وأنشد فى آخر الجزء المذكور :

أضحت حليمة تزدهى بمفاخر ... ما نالها فى عصرها ذو شان

منها الكفالة والرضاع وصحبة ... والغاية القصوى : رضى المنان

ومضمون قصتها مع اختصار : أنها قدمت مكة من البادية فى سنة قحط شديدة لم تبق لهم شيئا صحبة عشر نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء، ومعها ابن لها رضيع مجهود ، وزوجها أبو أولادها الحارث، وكلاهما من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، فلم يبق منهن امرأة إلا وقد عرض المبارك عليها فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، ثم أخذته هى إذ لم تجد غيره ، فرأته مدرجا فى ثوب صوف أبيض يفوح منه المسك ، وكان راقدا على قفاه فهابت أن توقظه ، فوضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا ، وفتح عينيه فقبلته وأعطته ثديها الأيمن فقبله ، وحولته إلى الأيسر فأبى ، لأن الله ألهمه العدل وأعلمه أن له شريكا هو ابنها فترك له ثديها الأيسر، وكانت هى وناقتها فى أشد الجوع والهزال وعدم اللبن ، فبمجرد أن وضعته فى حجرها أقبل (أى در عليه) ثديها فروى وروى أخوه، ودرت ناقتهم فأشبعتهم تلك الليلة لبنا ، فلما أصبحت ودعت أمه آمنة وركبت أتانها ، فلما خرجت مع قومها سبقت أتانها الكل بعد أن كانت لا تنهض بها ، فأنكر صويحباتها أنها هى، فلما علمنها قلن : إن لها شأنا عظيما ، ولما وصلوا منازلهم كانت أجدب أرض الله ، فكان غنم حليمة ترجع ملأى، بخلاف غنمهم ، مع أنها كلها بمحل واحد ، فلله درها من بركة كثرت بها مواشى حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ، ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة ، وتفوز بالحسنى وزيادة ، وقيل :

لقد بلغت بالهاشمى حليمة ... مقاما علا فى ذروة العز والمجد

وزادت مواشيها وأخصب ربعها ... وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

ولا يخفى أن قدوم نساء بنى سعد للرضعاء إنما كان لطلب الأجر على الرضاع .

قال السهيلى رحمه الله تعالى : والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر العرب، حتى جرى المثل « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » أى ولا تهتك نفسها وتبدى منها ما لا ينبغى أن تبدى وتعقبه فى الزهر أن المثل غير مسوق لذلك وكان عند بعضهم لا بأس به . فقد كانت وسيطة فى بنى سعد ، كريمة من كرائم قومها ، بدليل اجتباء الله تعالى إياها برضاع نبيه ﷺ، كما اختار له أشرف البطون والأصلاب، والرضاع كالنسب، ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطرارا للأزمة التى أصابتهم ، والسنة الشهباء التى أقحمتهم ؛ فلما تم له ﷺ عند حليمة سنتان عادت به إلى أمه ، ثم فطمته .

قال بعضهم : وتجوز الزيادة على الحولين والنقص عنهما . لكن قال الحناطى فى فتاويه : يستحب قطع الرضاعة عند الحولين إلا لحاجة، وقال ابن كثير فى تفسيره : ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد فى بدنه وعقله .

ومما ينسب إلى حليمة مما كانت ترقص به النبى ﷺ:

يارب إذ أعطيت فأبقه ... واعله إلى العلى ورقه

وادحض أباطيل العدا بحقه .

ويظهر أنه مفتعل وإن كان معناه جيدا .

وروى أنه أرضع النبى ﷺ ثمان نسوة غير آمنة : ثويبة ، وحليمة، وخولة بنت المنذر، وأم أيمن ، (والمعروف أنها من الحواضن) وامرأة سعدية غير حليمة ، وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة، فى قوله ﷺ يوم حنين « أنا ابن العواتك من سليم » والعواتك ثلاث نسوة كن أمهات النبى ﷺ (رواه الطبرانى وسعيد بن منصور عن شبابة بن عاصم) .

إحداهن : عاتكة بنت هلال، وهى أم عبد مناف بن قصى .

والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال، وهى أم هاشم بن عبد مناف .

والثالثة : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، وهى أم وهب أبى آمنة أم النبى ﷺ .

فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة ، وبنو سليم تفتخر بهذه الولادة ، ولم يرد ﷺ بقوله « أنا ابن العواتك » الفخر، وإنما أراد به تعريف منازل المذكورات ومراتبهن ، كرجل يقول : كان أبى فقيها ، ولا يريد الفخر ، وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه ، وقد يكون أراد به التحدث بنعمة الله تعالى فى نفسه وآبائه وأمهاته على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر فى شىء ولبنى سليم مفاخر أخرى منها : أنها ألفت معه يوم فتح مكة ، أى شهده منهم ألف، وأن رسول الله ﷺ قدم لواءهم يومئذ على الألوية، وكان أحمر ، ومنها أن عمر كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام أن ابعثوا إلى من كل بلد أفضله رجلا، فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمى ، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى ، وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمى، وبعث أهل الشام الأعور السلمى .

وسبب دفع أمه إياه لمن ترضعه أن هذا كان عادة قريش وأشراف العرب فى أولادهم ، ولو كانت الأم حية ولها لبن ، لأن نساءهم كن يرين إرضاع أولادهن عارا عليهن ، وأيضا إذا نشأ الرضيع غريبا كان أنجب له ، مع ما يضاف إلى ذلك من تفرغ النساء للأزواج ، وإن كان هذا منتفيا هنا ، لأن أباه ﷺ توفى وهو حمل على الصحيح . والأولى فى التعليل أن ينشأ غريبا ، على أن هذه العادة عادة أشراف الدنيا قديما وحديثا ، لا سيما بالأقطار الحجازية بالنسبة للحواضر، فإنهم يبعثون بأبنائهم إلى البوادى للتربية بها مع ما ينضم إلى ذلك من خاصية فصاحة العربية العريقة بالبادية القليلة المخالطة بما يفسد اللغات، فهذه هى حالته ﷺ.

(نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ﷺ للسيد رفاعة رافع الطهطاوى - حققه وعلق عليه الأستاذان عبد الرحمن حسن محمود وفاروق حاصر بدر ١/ ٣٣ - ٣٧ ، انظر أيضا والأعلام للزركلى ٢/ ٢٧١) .

*** الحليمى (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ / ٩٥٠ - ١٠١٢ م) :**

الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الجرجانى ، أبو عبد الله ، فقيه شافعى ، قاضٍ . كان رئيس أهل الحديث فى ما وراء النهر . مولده بجرجان ووفاته فى بخارى . له « المنهاج » فى شعب الإيمان ، ثلاثة أجزاء قال الأسنوى : جمع فيه أحكاما كثيرة ومعانى غريبة لم أظفر بكثير منها فى غيره .

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٣٥) .

*** حلية الآداب وحلية ذوى الألباب :**

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٥٠٧٨ .

وهى مجموعة موشحات وقصائد ومقطوعات لشعراء من العصور العباسية ومن العصور التالية المتأخرة والمعاصرين للمؤلف .

اختارها : إبراهيم بن أحمد بن محمد الشافعى العباسى المعروف بابن الملا المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م .

(٧٨ - ٨٥) ٨ق ٢١ س ١٣ × ٢٠ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٧) .

*** حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٦٨٢٤ .

- رسالة أُلفت سنة ٥٩٩ هـ بالطائف حال زيارة مؤلفها مقام عبد الله بن عباس ابن عم النبى ﷺ وتكلم فيها عن مقام الأبدال وأنه لا يحصل إلا بأربعة أشياء : الصمت ، والاعتزال ، والجوع والسهر .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن على الطائى الأندلسى المشهور بالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .

أولها : الحمد لله على ما ألهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله عليك عظيما ، والصلاة و السلام على سيدنا محمد النبى الأكرم ...

آخرها أبيات آخرها :

مـــا بين صمت واعتـــزال دائم
والجـــوع والسهـــر الكثيـــر العـــال

والله يوفقنا وإياكم لاستعمال هذه الأركان وينزلنا وإياكم منازل الإحسان .

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

الرقم : ٥٥٢٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة :

الرقم ٧٦٢١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى جميل دقيق، الحبر أسود، وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة رابعة :

الرقم ٩٢٠٥ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محب الله محمد .

تاريخ النسخ : سنة ٩٥٣ هـ .

نسخة خامسة :

الرقم ٥٨٨٠ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة مراجعة معلق عليها كالشرح عليها تملك باسم عبد السلام الشطى تاريخه سنة ١٢٨٠هـ وجاء فى آخرها : تمت الكراسة بمحروسة ملطية من بلاد الروم فى التاسع من ربيع الآخر سنة اثنين وستمائة .

نسخة سادسة :

الرقم : ١٢٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة سابعة : الرقم ٤١٣٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

اسم الناسخ : مصطفى بن إبراهيم الدمشقى .

نسخة ثامنة :

الرقم : ١٣٢٤ . تصوف ١٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

نسخة مراجعة من وقف سليمان باشا العظم محافظ سورية تاريخها سنة ١١٥٠ هـ .

نسخة تاسعة :

الرقم : ١١٣٩٢ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

نسخة عاشرة :

الرقم : ٣٦٢٤

وهى فى ورقة واحدة ، وهى الورقة الأولى من الكتاب .

مصدرها : وقف عبد الله الكزبرى .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر ٣٢، فهرس الخديوية ١٦/٧ .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين ٤٠/١١ .

طبعات الرسالة : ١ ـ طبعت بمطبعة الاعتدال بدمشق

٢ـ ضمن مجموعة الرسائل بحيدر آباد سنة ١٣٦٧ هـ .

٣ ـ صورت حديثا فى بيروت .

يقول واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الرسالة : الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق، الأوقاف ببغداد ٢٩٦ ونسخت نسخة بيدى عن نسخة كانت لدى أستاذنا المرحوم محمد سعيد البرهانى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩) .

قالت المؤلفة : أوردها صاحب كشف الظنون تحت عنوان «حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال » فقال :

حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال :

للشيخ محيى الدين محمد بن على بن عربى وهو رسالة أولها الحمد لله على ما ألهم ... إلخ ذكر أنه كتبه سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة بالطائف لصاحبيه أبى محمد عبد الله الحبشى ومحمد ابن خالد الصدفى لينتفعا به .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٨٨) .

*** حلية الأبرار وشعار الأخيار فى تلخيص الدعوات والأذكار :**

حلية الأبرار وشعار الأخيار فى تلخيص الدعوات والأذكار فى الحديث للإمام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ ست وتسعين [وسبعين] وستمائة وهو كتاب مفيد مشهور بأذكار النووى فى مجلد مشتمل على ثلثمائه وستة وخمسين بابا ابتدأ فيه بالذكر ثم ذكر الأمور الإنسانية من أول الاستيقاظ من النوم إلى نومه فى الليل ويعبر عن ذلك بينهم بعمل اليوم والليلة ثم ختم بباب الاستغفار. وشرحه الشيخ محمد بن على بن محمد بن علان المكى الشافعى المتوفى سنة ١٠٥٠ خمسين وألف (١٠٥٧) وسماه الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية . وكان الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى لخصه فى كراستين وسماه أذكار الأذكار ثم شرح هذا الملخص . وللجلال المذكور تأليف آخر فيه سماه تحفة الأبرار بنكت الأذكار . وللشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين الرملى الشافعى المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة (٨٢٤) مختصر الأذكار . ولبعض الأعاجم ترجمته بالفارسية فرغ عنها سنة ٧٧٦ ست وسبعين وسبعمائة. وعليه نكت للشيخ شمس الدين محمد ابن طولون الدمشقى سماها إتحاف الأخيار فى نكت الأذكار تعليقة بالقول أولها الحمد لله الذى ملأ قلوب أحبابه بالأنوار ... إلخ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٨٨ ، ٦٨٩) .

*** حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال :**

انظر : حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال .

*** حلية الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٧٩٥ مجاميع ٥٩ .

جمع الحافظ تقى الدين أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م

أوله : « الحمد لله رب العالمين حق حمده ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله والنبيين وآل كل والسلام على غاية النول ونهاية المأمول ...

سأل بعض ملوك الشام عن حلية الإمام الشافعى رضى الله عنه فلم يكون (؟) بيلده من يقوم بها ، فورد حلب، وأباحها بعض أصحابه فسألنى بيانها وها هو ذا بالغا إن شاء الله تعالى مبلغا لم يطريه مؤلف ولا انتظمه مصنف ... » .

آخره : « ... وهذا الذى نقله هذا الرجل وإن لم يقع العثور على ما يدفعه فلا أتقلد عهدته من أجل أنى رأيت له فى تصانيفه من كثرة الخلل وعظم الخطل ما تبكل البقية بما ينفرد به . والله الكريم أسأل توفيقا زائدا عن بنيات الطريق وحسبنا الله ربنا ونعم الوكيل» .

خط النسخة واضح جميل مشكول .

(١١٤ - ١١٩) ٦٦ق ١٥س ١٣ × ١٨ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٨) .

*** حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :**

قال صاحب كشف الظنون وقد أدرج الكتاب تحت عنوان : «حلية الأولياء في الحديث » : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ ثلاثين وأربعمائة مجلد ضخم .

أوله : الحمد لله محدث الأكوان ... إلخ وهو كتاب حسن معتبر يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفة والنساك وبعض أحاديثهم وكلامهم وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب ثم جعل من سواهم إرسالا لئلا يستفاد منه تقديم فرد على فرد لكنه أطال فيه بالأسانيد وتكرير كثير من الحكايات وأمور أخر منافية لموضوعه . ولذلك اختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي اختصارا حسنا وسماه صفوة الصفوة وانتقد عليه بعشرة أشياء فأوجز في الاختصار بحيث لم يبق منه إلا رسومه . ثم إن صاحب مجمع الأخبار محمد بن الحسن الحسيني سلك في اختصاره مسلكا وسطا مع زيادة تراجم أئمة (كشف ١/ ٦٨٩) .

قالت المؤلفة : كتاب صفوة الصفوة الذي ذكره حاجي خليفة أعلاه طبعته دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م ، تحت عنوان « صفة الصفوة » ، وهي النسخة التي عندي ، ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، وهي من أربعة أجزاء في مجلدين .

ويوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ١٤٣٢ . تصوف ١١٤ .

كتاب كبير وهو أكبر موسوعة في تاريخ نساك هذه الأمة يحوي زهاء / ٨٠٠ / ترجمة في أربعة آلاف صفحة قال الحافظ السلفي : لم يصنف مثل كتاب حلية الأولياء .

المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م .

أوله : الحمد لله محدث الأكوان والأعيان ومبدع الأركان والأزمان ...

- توجد أجزاء متفرقة منه .

الجزء الثالث من الكتاب يبتدىء بترجمة ربيعة بن عبد الرحمن وينتهي بترجمة عبدالله بن محيريز .

أوله : ومنهم صاحب المعارف والبيان ، والمخاوف والقربان ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبو عثمان حدثنا محمد بن أحمد ...

آخره : حدثنا سليمان بن أحمد ... عن خالد بن دريل عن ابن محيريز قال قلت لأبي جمعة ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات معارضة ومصححة فيها سماع على الحافظ شمس الدين أبي الحجاج يوسف بن خليل ابن عبد الله الدمشقي تاريخه سنة ٦١٩ هـ وعليها خط يوسف بن عبد الهادي .

الجزء الثالث :

الرقم : ١٤٣٣ . تصوف ١١٥ .

أيضا يبدأ بترجمة عمرو بن قيس الملائي وينتهي بترجمة زياد ابن عبد الله النميري .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن حبان ... عن عمرو بن قيس الملائي قال : من احتكر طعاما عشرين ليلة ثم تصدق به لم يكن كفارة له ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ... زياد بن عبد الله النميري عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات وتملكات أقدمها سنة ٧٦٩ هـ وعليها خط يوسف بن عبد الهادي .

الجزء الخامس :

الرقم : ١٤٤٣ . تصوف ١١٦ .

يبتدىء بترجمة هشام بن حسان وينتهي بترجمة الفضيل بن عياض .

فاتحة المخطوط : ومنهم المترقب ذو الأحزان المتيقظ ذو الأشجان هشام بن حسان .

خاتمة المخطوط : حدثنا أبو محمد قال حدثنا أحمد ... قال سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يظلمه ...

الخط نسخ معتاد ، . الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات وتملكات أقدمها سنة ٨١٦ هـ وبها بتر بـ ق ٢١٩ أكمل بخط حديث وعليها خط يوسف ابن عبد الهادي .

الجزء الحادي عشر :

الرقم ١٤٣٥ . تصوف ١١٧ .

يبتدىء بترجمة أبي عثمان سعد بن العباس الرازي وينتهي بنهاية الكتاب .

فاتحة المخطوط : ومنهم الواثق بالوصول ، الناطق بالأصول ، التارك للفضول ... ذو اللسان الشافى، والكلام الكافى.

خاتمة المخطوط : ختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبى الحسن على بن ماشاذه لما أولاه الله تعالى من فنون العلم والسخاء والفتوة وسلوكه مسلك الأوائل ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها حبس من قبل عبد الحى الحسامى على المسلمين بمدرسته التى فى جبل قاسيون تاريخ التحبيس غرة جمادى الآخرة سنة ٦٢١ هـ .

السفر الثامن :

الرقم ١٤٦٣ . تصوف ١١٨ .

ويتضمن الجزء الثامن يبتدىء بكلام ، ثم بترجمة أبى سلمة مسعر بن كدام وينتهى بترجمة وهيب بن الورد .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ... عن حنظلة بن سويد العنزى ... قال فجىء برأس عمار قال : فجعل رجلان يختصمان فى رأس عمار ...

خاتمة المخطوط : أدرك وهيب بن الورد من التابعين جماعة فمن روى عنهم ...

الخط نسخ معتاد . الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة قيمة أكلت الرطوبة بعض أطراف الورقة الأخيرة وهى تالفة وهى من وقف محفوظ بن معتوق بن أبى بكر بن عمر المروزى البغدادى على مدفنه الكائن قرب مسجد ابن براقة وتاريخ التحبيس سنة ٦٩٤ هـ وعليها تملكات وهى من وقف العمرية .

الجزء السابع :

الرقم : ٤٥٧٧

ويبتدىء بذكر الصوفية منهم أسماء بن حارثة والأغر المزنى ، وينتهى بترجمة أبى إياس معاوية بن قرة .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن جعفر ... عن أوس بن حذيفة .

قال قدمنا وفد ثقيف على رسول الله ﷺ فنزل الأحلافيون على المغيرة بن شعبة ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أحمد بن إسحاق بسنده عن معاوية ابن قرة قال : مكتوب فى الحكمة لا تجالس بعلمك السفهاء ولا تجالس بسفهك العلماء ...

الخط نسخ على القاعدة المغربية ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة قيمة قديمة الورقة الأخيرة بها خرم طمس بعض كلامها وهى من وقف العمرية .

الجزء الثالث :

الرقم : ٤٥٨٠

يبتدىء بترجمة عبادة بن قرص وقيل ابن قرط وينتهى بترجمة أبى يحيى مالك بن دينار .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن إسحاق ... قال : قال عبادة بن قرص : إنكم لتعملون أعمالا لهى أدق من الشعر فى أعينكم ...

خاتمة المخطوط : أبو يحيى مالك بن دينار ، كان لشهوات الدنيا تاركا ، وللنفس عند غلبتها مالكا وقيل : إن التصوف تذلل وافتخار وتذلل وافتقار ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

ملاحظات : الورقة الأخيرة بها آثار رطوبة طمست بعض كلماتها .

الجزء الثانى :

الرقم : ٧٦٣٧ .

يبتدىء بترجمة عبد الله بن عباس وينتهى بترجمته .

فاتحة المخطوط : ومنهم اللقن المعلم ، والفطن المفهم ، فخر الفخار ، وبدر الأخبار ... مكرم الجلاس، ومطعم الأناس عبد الله بن عباس ... وقد قيل إن التصوف المنافسة فى نفائس الأخلاق .

خاتمة المخطوط : قد روى العجلى ... أبهم على قراءته .

الخط نسخ مغربى معجم الخط ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقروءة .

قطعة من مجلد :

الرقم : ٣٤٣٦ . تاريخ ٧١ .

تبتدىء بترجمة السيدة فاطمة بنت النبى ﷺ وتنتهى بترجمة ربيعة بن أبى عبد الرحمن وهى تلى ترجمة أبى حازم سلمة بن دينار.

فاتحة المخطوط : ومن ناسكات الأصفياء وطائفات الأنقياء فاطمة السيدة البتول ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أنس بن عياض أن ربيعة بن أبى عبد الرحمن وقف على قوم وهم يتذاكرون شأن القدر فقال لئن كنتم صادقين ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة تحبيس سعاد الدين أحمد بن الياماسي وعليه خط يوسف بن عبد الهادى وهى من وقف العمرية .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ١ / ١٥٠ .

طبعة الكتاب : طبع بمصر بعشرة مجلدات بمطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٨٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٨١ ـ ٤٨٧) .

*** حلية الأولياء فى طبقاتهم :**

لإبراهيم بن بشار ، وللشيخ جلال الدين السيوطى (كشف ١ / ٦٩٠) .

*** حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر :**

من مصادر التعرف على المخطوطات للبيطار ، عبد الرازق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميدانى الدمشقى (١٢٥٠ ـ ١٣٣٥ هـ)

ولد بمحلة الميدان من دمشق الشام سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين وتعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن وجوده على الشيخ أحمد الحلوانى شيخ قراء الشام وحفظ المتون فى مبادىء العلوم على والده الشيخ حسن وكان يحضر دروسه الخاصة والعامة وعندما توفى والده فى أول رمضان سنة ١٢٧٢ هـ فقرأ المذهب الحنفى على شقيقه الأكبر الشيخ محمد ثم أخذ يتوسع فى المعقول والمنقول وأخذ عن الشيخ محمد الطنطاوى الميقات والفلك والحساب وقرأ الفتوحات المكية على الأمير عبد القادر الجزائرى .

وكان الشيخ عبد الرازق عالما بالدين . ضليعا فى الأدب والتاريخ وعارفا بالموسيقى وكان حسن الصوت وكان من دعاة الإصلاح فى الإسلام ، سلفى العقيدة طيب النفس وقورا حسن المفاكهة ، من تصانيفه التى تبلغ بضعة عشر كتابا بعضها دينى وأكثرها أدبى وأكبرها هو تاريخ رجال القرن الثالث عشر .

وذكر فيه المشاهير وغيرهم ويقع فى ثلاثة مجلدات ويبلغ نحو ١٨٠٠ صفحة .

ألفه فى عهد شبابه وكهولته وشيخوخته ترجم فيه أيضا لطائفة من رجال القرن الرابع عشر الهجرى وهم أحياء ـ كما أنه أرخ لكثير ممن ليس لهم آثار مثل بعض أهل الطرق المعروفة فجارى ما يحكيه العصر الأول الذى نشأ فيه فقد سبقه إلى مثله المؤرخون كالأمين المحبى فى خلاصة الأثر والمرادى فى سلك الدرر ففى الأول ترجمة فى الخلاصة لآدم الرومى وفى السلك لإبراهيم الخلوتى .

ونجد فى حلية البشر فوائد قد لا نجدها فى غيره ، فتمكن المؤلف من جمع ما وصل إليه من التراجم وطوى ذكر من لم يكن يعلم عنه شيئا وأورد كثيرا من القضايا والمسائل مما هو فيها ناقل غير قائل فمنها لبس الخرقة وهو شعار صوفى .

وتحوى حلية البشر على حوالى ألف ترجمة مختلفة الطول .

وهذه التراجم مرتبة حسب الأسماء وفى آخر كل جزء من الأجزاء الثلاثة قائمة بأسماء المترجم لهم مع تاريخ وفاة كل منهم كما أشار عبد الجبار عبد الرحمن .

وطبع سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ م تحقيق وتعليق وتنسيق حفيد المؤلف محمد بهجت البيطار ـ دمشق .

وقد أشار الدكتور صلاح الدين المنجد على أنه طبع الطبعة الأولى وصدر منها ثلاثة أجزاء تقع فى ١٦٨٣ صفحة ، المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ م .

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة / ١١٦ ـ ١١٨) .

*** حلية الذهب الإبريز فى رحلة بعلبك والبقاع العزيز :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٧٩١٠ .

ـ رحلة للمؤلف زار فيها سنة ١١٠٠ هـ البقاع وبعلبك ويصف فيها أضرحة الصالحين والصوفية وبعض العلماء وغير ذلك .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل الدمشقى الصالحى القادرى الحنفى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الذى أعز قدر البقاع ، بما أودع فيها من أهل الارتقاء والارتفاع ، ورفع بجنابه العزيز كل من انخفض لجلاله ، ودخل منه فى حرز حريز ...

آخره قصيدة مطلعها :

بالبقاع الهنا بدا
ولنا الله أنجدا
وصفا وقتنا وقد
رق ختما ومبتدا

آخرها :

ما تغنى المشوق من
ألم الشوق منشدا
وتلا من نظامه
بالبقاع الهنا بدا

الخط نسخى واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد بن عبد اللطيف الشرباتى .

تاريخ النسخ : الأحد ١٨ صفر سنة ١١٠١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة مراجعة ومعلق على بعضها كتبت فى حياة المؤلف وعليها خط تلميذه إبراهيم الدكدكجى ذكر أنه قابلها وراجعها على الأصل .

نسخة ثانية :

الرقم : ٨٣٦٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

اسم الناسخ : محمد أديب بن حسنى بن محمد أديب .

تاريخ النسخ : السبت ٣ شوال سنة ١٢٧٧ هـ .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤٢٠ ، عقود الجوهر / ٦٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو ص ٦٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٧٩ ـ ٤٨١) .

*** حلية الصفات فى الأسماء والصناعات :**

حلية الصفات فى الأسماء والصناعات : لجمال الدين يوسف ابن تغرى بردى المؤرخ المتوفى سنة خمس عشرة وثمانمائة جمع فيه أشعارا على ترتيب الحروف فكتب ما يتعلق بطول الليل فى حرف الطاء مثلا .

(كشف الظنون ١ / ٦٩٠) .

*** حلية العقود فى الفرق بين المقصور والممدود :**

حلية العقود فى الفرق بين المقصور والممدود : للشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى النحوى المتوفى سنة ٥٧٧ سبع وسبعين وخمسمائة وهو مختصر أوله الحمد لله ذى العز الأظهر (كشف ١ / ٦٩٠) .

*** حلية العلماء فى مذاهب الفقهاء .**

حلية العلماء فى مذاهب الفقهاء : للشيخ الإمام أبى بكر محمد بن أحمد بن القفال الشاشى الشافعى (المعروف بالمستظهرى) المتوفى سنة ٥٠٧ سبع وخمسمائة وهو كتاب كبير صنف للخليفة المستظهر بالله العباسى ووافق ما فعله وعدل عن المجمع عليه ولذلك يلقب هذا الكتاب بالمستظهرى وذكر فى كل مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة ثم صنف المعتمد وهو كالشرح للمستظهرى (كشف ١ / ٦٩٠) .

*** حلية الفضل وزينة الكرم فى المفاخرة بين السيف والقلم :**

حلية الفضل وزينة الكرم فى المفاخرة بين السيف والقلم : رسالة أنشأها القلقشندى للمقر الزينى ابن يزيد الداودار الظاهرى ، فى الإنشاء والأدب منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية .

(دراسات فى التراث الجغرافى العربى ـ د. صباح محمود محمد / ١٥) .

*** الحمّاد (إبريل ١٨٠٧ م) :**

قال عنها على مبارك : الحماد بتشديد الميم قرية صغيرة من مديرية البحيرة بقسم دفينة غربى فرع رشيد بنحو تسعمائة متر وفى جنوب الرمال المتصلة برشيد من جهة قبلى ، وفى شمال ناحية الشماسة بنحو ألف وستمائة متر وفى جنوب ناحية الجدية بنحو أربعة آلاف متر، وبها جامع ، وأكثر زرعها الرز (الخطط ١٠ / ١٧٠) .

أما عن موقعة حماد بين المصريين والإنكليز فإنه :

بعد الهزيمة التى منى بها الإنكليز فى معركة الرشيد ، أرسل (فريزر) حملة جديدة لاحتلال الرشيد . فرابطت بعض وحدات الحملة على موقع الحماد ، لمنع النجدات عن المدينة ، بينما حاصر قسم آخر المدينة نفسها ، ولما وصلت النجدات التى أرسلها والى مصر محمد على بقيادة (طبوز أوغلى) لدعم أبناء المنطقة فى التصدى للحملة الإنكليزية ، اصطدمت القوات المصرية بالقوة الإنكليزية المرابطة فى الحماد . وجرت معركة شديدة أدت لمقتل معظم الإنكليز، وحاول الباقى التراجع، ولكن القوات المصرية كانت لهم بالمرصاد واستفادت من خبرتها بالمنطقة ، فلم ينج أحد من أفراد الحملة المرابطين هناك ، بل قضى عليهم بين قتيل وأسير، ونقل هؤلاء إلى القاهرة . بينما أدت أخبار الهزيمة التى وصلت إلى الرشيد ، لرفع القائد (ستوارت) الحصار عن المدينة والانسحاب بقواته إلى الإسكندرية ، ليعلم (فريزر) بفشله ثانية أمام المقاومة الوطنية . وكانت معركة الحماد هزيمة ساحقة للإنكليز . (معجم المعارك الحربية ١٢٩ ، ١٣٠) .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ــ إعداد عزت عبد المجيد الشلقامى ١٠ / ١٧٠ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٩ ، ١٣٠) .

*** حماد بن زيد (٩٨ـ١٧٩ هـ ٧١٧ـ٧٩٥ م) :**

حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى ، مولاهم ، البصرى، أبو إسماعيل ، شيخ العراق فى عصره ، من حفاظ الحديث المجودين . ، يعرف بالأزرق . أصله من سبى سجستان ، مولده ووفاته فى البصرة . يحفظ أربعة آلاف حديث . خرج حديثه الأئمة الستة (الأعلام ٢ / ٢٧١) .

قال عنه الإمام النووى : حماد : مذكور فى المهذب فى باب الأذان أظنة حماد بن زيد ، وهو الإمام البارع المجمع على جلالته أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى البصرى مولى آل جرير بن حازم سمع ثابتا البنانى ومحمد بن سيرين وعمرو ابن دينار وخلائق من التابعين وغيرهم . روى عنه جماعات من أعلام الأئمة منهم الثورى وابن عيينة وابن المبارك وابن مهدى ويحيى القطان ووكيع ويزيد بن هارون وخلائق .

روينا عن عبد الرحمن بن مهدى قال : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : الثورى بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وقال عبيد الله بن الحسن : إنما هما الحمادان فإذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمادين يعنى ابن زيد وابن سلمة . وقال يحيى بن معين : ليس أحد أتقن من حماد بن زيد .

وقال يحيى بن يحيى : ما رأيت أحدا من الشيوخ أحفظ من حماد ابن زيد وقال ابن مهدى : ما رأيت أعلم من حماد بن زيد . وقال حماد : جالست أيوب عشرين سنة .

ولد حماد سنة ثمان وتسعين ، وتوفى فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة بالبصرة . وقد ذكر ابن أبى حاتم جملة صالحة من مناقبه رضى الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٧ ، ١٦٨) .

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة عند الكلام على أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين فقال : وقد قال عثمان بن سعيد الدارمى : يقال من لم يجمع حديث هؤلاء الخمسة فهو مفلس فى الحديث : الثورى ، وشعبة ، ومالك ، وحماد بن زيد ، وابن عيينة وهم أصول الدين (الرسالة المستطرفة / ٨٣) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧١ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٨٣) .

*** حماد (جامع ـ) :**

هو بشارع باب اللوق تجاه ميدان سراى عابدين . يصعد إليه بدرج ، ومطهرته بالأرض من الجهة الأخرى ، وله منبر وخطبة ومنارة وشعائر مقامة ، وقد وجد فى حجة باسم الأمير رجب أغا ابن الأمير إبراهيم أغا أغاة طائفة التفكشية وكتخدا الجاوشية : أن جامع حماد بخط درب الفواخير كان قد تخرب ، فجدده ذلك الأمير وعمر بجانبه أماكن ، ووقف أوقافا عليه وعلى غيره ، فمن وقفه عليه الرزقة التى بناحية حفنة بولاية الشرقية ، خراجها فى السنة أربعمائة وسبعة وستون نصفا ، ووظف له من يقيم شعائره وعين لهم المرتبات ، فجعل للإمام أربعين نصفا ، وللخطيب خمسة وعشرين ، وللمرقى عشرة . ولاثنين مؤذنين ستين نصفا ، وللفراش خمسة عشر ، وللوقاد كذلك وللبواب كذلك وللملا كذلك ، ولثمن الزيت أربعين نصفا كل شهر ، وتوسعة كل سنة للإمام ثلاثين ، وللمؤذنين أربعين ، وللوقاد ثلاثين ، ويصرف من ذلك فى زيت رمضان ثلاثمائة نصف ، وفى القناديل مائتان ، وفى الحصر أربعمائة ونيف وستون ، وثمن شمعتين أربعون نصفا وتاريخ هذه الحجة ثامن شهر رجب الحرام سنة أربع وسبعين بعد الألف .

وفى حجة أخرى فى سنة اثنتين وسبعين ، أنه استحوذ على أماكن بخط المدابغ القديم داخل درب الفواخير قريبا من مدرسة الخواجا كريم الدين . وفى أخرى أنه وقف الفسقية والحوض المستجد ببركة الحاج ، والساقية ذات الثلاثة أوجه المعروفة بالقاضى عبد الباسط ، والمصلى والمقعد الذى عليها والمغطس ومحلات أخر ، وأنه يصرف كل سنة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعين نصفا فى ثمن ماء عذب لصهريج باب الخرق ، وسبعة آلاف نصف لإدارة ساقية البركة وملء الحوض لشرب الحجاج ودوابهم ، وثمن ثورين وثمن فول وتبن . ورتب هناك جراية ثلاثين رغيفا كل يوم ، زنة الرغيف أربعة أواق ، وجعل على سبيل باب الخرق مكتبا يصرف لمن به من الأيتام والمؤدب عشرون رغيفا ، وللمزملاتى ثمانية أرغفة كل يوم ، ويصرف لهم كسوة كل سنة قميص خام ولفافة ، ولكل واحد أربعون نصفا ، وللفقيه كسوة وثمانون نصفا غير أجرة الخياطة ، وثمن حصر وسلب وسفنج وغيره ، ورتب لسبيل حارة اليهود ثلاثمائة نصف ، وثمن بقرة تذبح وتفرق على الأيتام والخدمة بالسبيلين ، ولعشرة يقرؤون ختمة كاملة كل يوم خمسة عشر نصفا ، وللداعى زيادة خمسة أنصاف ، ولخادم الربعة منهم خمسة أنصاف ، ولاثنين يقرآن على قبره عشرون نصفا فى الشهر ، ولثلاثة يقرؤون بمنزله ثلاثون فى الشهر .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

*** ابن حمادة (٨٧١ ـ ٩٥٣ هـ) :**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثانية من المائة العاشرة وقال عنه :

أحمد بن محمد بن حمادة : أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الشيخ الإمام العلامة الورع الشيخ شهاب الدين بن الشيخ شمس الدين بن القاضى .

جمال الدين الأنطاكى الحلبى الحنفى المعروف بابن حمادة ، ولد بأنطاكية سنة إحدى وسبعين بتقديم السين وثمانمئة ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وتخرج فى صنعة التوقيع بجده وأخذ النحو والصرف عن الشيخ علاء الدين العدسى الأنطاكى والمنطق والكلام والأصول على الشيخ المعمر الصالح الفاضل محيى الدين بن محمد بن صالح بن لحام عرف بابن عرب الأنطاكى الحنفى تلميذ قاضى زاده الرومى ثم قدم حلب ولازم فيها البدر السيوفى واشتغل بالقراآت على الشيخ محمد الداديخى وتعاطى صنعة الشهادة ثم صار مدرسا فى توسعة جامع الصروى بحلب وحج وأجاز له بمكة المحدث عبد العزيز بن الحافظ نجم الدين بن فهد وبالقاهرة قاضى القضاة زكريا والشيخ العلامة شهاب الدين القسطلانى ولم يزل مكبا على التدريس والتحديث والتكلم على الأحاديث النبوية بالعربى والتركى بالجامع المذكور وعرض عليه تدريس السلطانية بحلب فأعرض عنه لاطلاعه على ما كتب على بابها من اشتراط كون مدرسها شافعيا وولى خطابة الجامع المذكور ثم أعرض عنها لخطابة الجامع الكبير بإبرام قاضى حلب المولى محيى الدين بن قطب الدين ثم لما ولى المذكور قضاء العساكر الأناظولية ضم له مع الخطابة تدريس الحلاوية والإفتاء بحلب ثم حج ثانيا سنة تسع وأربعين وتسعمئة فتحرك عليه وجع النقرس وهو بدمشق وكان يعتريه أحيانا واستمر حتى دخل المدينة فخف عنه ثم توفى آخرا منه .

وذكر ابن طولون فى تاريخه أن صاحب الترجمة قدم مع الحاج إلى دمشق سنة خمس وتسعمائة وأنه زار الشيخ محيى الدين بن العربى يوم الخميس ثالث عشر صفر منها قال وسلم علىَّ وأفادنى أن فى البزازية ذكر أن القاضى إذا لم يعرف الحكم فى المسألة واستفتى المفتى فأجاب بالخطأ ثم القاضى حكم به أن الإثم يكون على القاضى فقط لحكمه به قال وكان مفتى دمشق القطب ابن سلطان يشكره فذكرت ذلك له فذهب وسلم عليه قال ابن الحنبلى : وكان له الخط الحسن والتحشية اللطيفة المحررة على هوامش الكتب والنسخ الكثير فى أنواع العلوم لا سيما الفقه . وكان منقطعا غالبا فى داره إلا فى وقت مباشرة ما بيده من الوظائف ولم يكن له خبرة بأساليب أهل الدنيا مع الصلاح الزائد وله من التأليف منسك حمله على تأليفه الشيخ الفاضل الملك العارف بالله تعالى علاء الدين الإطاسى الحمصى حين مر عليه بحمص شرحها ببيت المقدس سنة أربع وأربعين وتوفى طلوع الفجر يوم عرفة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة . قال ابن الحنبلى : وقد أخبرنى الثقة بعد عودى من الحج سنة أربع وخمسين أنه علم قبل موته أنه سيموت فأخذ فى تلاوة القرآن على أحسن ما يتلى من رعاية التجويد .

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى - حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٢ / ٩٨ ، ٩٩).

* **الحماسة :**

توجد مجموعات شعرية منتقاة ، حملت اسم ديوان الحماسة ، أو الحماسة . يقول عنها صاحب كشف الظنون .

الحماسة : لأبى عبادة وليد بن عبد الله [عبيد] البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ أربع وثمانين ومائتين . ولأبى الحسن على ابن الحسن المعروف بشميم الحلى المتوفى سنة (٦٠١ إحدى وستمائة) رتب على أربعة عشر بابا . ولأبى الحجاج يوسف بن محمد البياسى الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٣ ثلاث وخمسين وستمائة وهى فى مجلدين صنفها بتونس فى شوال سنة ٦٤٦ ست وأربعين وستمائة جمع فيها ما اختاره واستحسنه من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولديها ومن أشعار المحدثين من أهل الشرق والأندلس فرتب كترتيب أبى تمام . ولأبى السعادات هبة الله بن على بن الشجرى النحوى اللغوى المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو كتاب غريب أحسن فيه ذكره ابن خلكان .

وللشيخ أبى الحسن على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى «المتوفى سنة ٦٥٦ » وحماسته تعرف بالحماسة البصرية ألفها سنة ٦٤٧ سبع وأربعين وستمائة . وهذه الحماسات تضاهى بحماسة أبى تمام . ومنها الحماسة العسكرية (كشف ١ / ٦٩٣) . لأبى هلال العسكرى، وحماسة أحمد بن فارس، والأعلم الشنتمرى الأندلسى ، وحماسة الشاطبى لأبى عامر محمد بن يحيى بن خليفة الشاطبى الأندلسى النحوى، ولا نعرف عن هذه الحماسة شيئا (مصادر التراث العربى / ٦٧ ، ٦٨)، وحماسة الخالديين (الخالدان هما أبو عثمان سعيد ، وأبو بكر محمد، ابنا هاشم الخالدى، وكانا شاعرين من شعراء سيف الدولة ، وتعرف حماستهما أيضا باسم « الأشباه والنظائر فى المتقدمين والجاهلية والمخضرمين »)(دراسات فى المكتبة العربية / ١٢٠) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ومصادر التراث العربى - د . عمر الدقاق/ ٦٧ ،٦٨ ، ودراسات فى المكتبة العربية - د . محمود أحمد حسن المراغى / ١٢٠) .

* **حماسة البحترى :**

من كتب المختارات .

يقول الدكتور عمر الدقاق : حماسة البحترى رواها أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبى خالد الأحول عن أبيه البحترى . ثم يبسط الكلام عليها ، مقارنا بينهما وبين حماسة أبى تمام الطائى فيقول :

وقد اختار البحترى أشعار حماسته للفتح بن خاقان وزير المتوكل والبحترى أيضا شاعر رقيق الطبع حسن الذوق كثير المحفوظ، وهذا أيضا ما رفع من شأن حماسته . كذلك كاد البحترى يقصر اهتمامه على الشعر القديم شأنه فى ذلك شأن سلفه أبى تمام وسائر من صنفوا فى هذا اللون من التأليف، وثمة قلة من الشعراء المحدثين اختار لهم البحترى فى مجموعته ، من مثل بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس ...

وتختلف حماسة البحترى فيما عدا ذلك عن حماسة أبى تمام من وجوه ، أهمها تبويبها الخاص الذى يقوم على مبدأ الموضوعات التفصيلية لا على مبدأ الأغراض الشعرية العامة الذى كان عليه كتاب أبى تمام . فقد فصَّل البحترى فى أبوابه تفصيلاً زائدا وجعل لكل معنى أو موضوع عنوانا جزئيا خاصا، فكان مجموع هذه الأبواب ١٧٤ بابا . وطبيعى أن تكون هذه

المعانى الجزئيـة متفرعة من الأغراض الكبيرة أو المـوضوعات العامة ، فموضـوع الحماسة لم يفرد له البحترى بابـا خاصا به على الرغم من أنه أسمى مجموعته الشعـرية بالحماسة ولكننا إذا استعرضنا الأبواب الأولى فى المجموعة وجدناها تنطوى فى الواقع على المعانى التفصيلية التى تتفرع من موضوع الحماسة الشـامل مـن مثل : بـاب فيمـا قيل فى حمـل النفس على المكروه، وباب فيما قيل فى الفتك، وفى ركوب الموت خشية العار، وفى ذم الفرار والتعيير به ، وفى نبو السيف، وفى إغاثة الملهوف ... إلـخ وتمضى أبواب الحمـاسة على هـذا النحو حتى تبلغ الثلاثين من الأبواب، وكأن البحترى يورد من الشعر فى نسق مفصل ما أورده سلفه أبو تمام فى شكل مجمل .

وهـذا التفـريع فى الأبواب فـى حماسـة البحتـرى استتبع اجتزاء الأبيات من قصائدها فى كثيـر من الأحيان فى نحو (ما قيل فى إخـلاف الوعد) أو (فـى كتمان السر) أو (فـى فراق الإخـــوان) أو (فى الشبـــاب والشيـب). لأن مثل هـــذه الموضـوعات تنضـوى فى الغالب تحت مقطعـات الشعر ولا تستغـرقها القصـائد الطـويلـة . ومن هنا اضطـر المـؤلف إلى تفتيت القصيدة الواحدة إلى مقطوعات متعددة تناثرت أجزاؤها وتبـاعدت . فقصيـدة أبى ذؤيب الهـذلى فى رثاء أولاده نجـد بعضا منها فى مـواضع متعددة، فثمة بيتان فى البـاب التاسع والأربعين : (فيما قيل فى غلبة الزمان و إفنائه الأمم) ثم بيتان آخران من العينيـة نفسها فى الباب الثـانى والخمسين : (فيما قيل فى اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه)، ثم بيتان آخران فى موضع ثالث هو البـاب الخامس والسبعون : (فيما قيل فى الصبـر على المصائب والتجلد للشـامتين وترك الاستكانة) ...

وقد تتقاصر المقطعات حتى لا تعدو بيتا واحدا يدل على معنى جزئى مكتف بنفسه من حكمة أو نحوها . كل هذا يتيح للقارىء الفائدة ويـوفر عليه كثيرا من الجهـد، إلا أنه فى نظر الكثيـرين قد يسىء إلى وحـدة القصيدة ويـذهب برونقهـا . ومما لا شـك فيه أن هذا التبـويب المفصل استغرق كثيـرا من جهـد البحتـرى وهـو ينم على منحنـى تنظيمى لـدى مـؤلف الحماسة . وهذا أيضـا ما جنح ببعض الباحثين إلى أن يشكوا فى نسبة هـذه الحماسـة إلى البحترى مستنـدين إلى أن القرن الثـالث ذلك القرن المبكـر نسبيا لم يكن قـد عرف مثل هـذه النزعـة التنظيمية والـدقة فى مناهج التأليـف . كما علق بعض القدماء علـى هذا الموضوع بقولـه : « ولم نسمع أن للبحترى حماسـة » (العبارة لعبـد القادر البغـدادى فى كتـابه « خـزانة الأدب » ٣/ ٥٩١ ، وكـان يعقب على عبارة العينى « ذكـره فى حماسته ») .

وكـان طبيعيـا ــ تبعـا لهـذا التقسيـم التفصيلى لأشعـار المجمـوعة ــ أن تتكاثـر مقطوعـات الحماسـة فتبلغ ١٤٥٤ مقطوعة، أى مـا يقارب ضعف المقطوعات عنـد أبى تمام ، وأن يكثـر أيضـا الشعـراء فى حماسـة البحتـرى فيبلغـوا ٦٠٠ شاعر.

وقد تتفـق حماستا أبى تمـام والبحترى فى بعـض المروى من الشعـر من نحو مـا ورد لقطـرى بن الفجاءة والحـارث بن هشام والفند الزمانى ... وهذا لا يضير البحترى فى شىء لأنه وأبا تمام وأمثالهما إنما يروون ما أخذوه عن شيوخهـم من الشعر الموروث وقد يقع الحافر على الحافر.

على أن ما يدعو إلى التساؤل إغفال البحترى فى حماسته أشعار الغزل والنسيب . والنسيب غرض رئيسى فى شعر العرب وقد جعل له أبو تمام بابا خاصا ضمن أبوابه العشرة . ولعل ما يزيدنا استغرابا أن البحترى نفسه شاعر رقيق أجاد طرق موضوع الغزل وتصـوير الطيف وحلاوة الحب ومـرارته . وأغلب الظن أن البحترى عندما ألف حماسته كان قد تقدم فى السن فعزف عن مثل هذا اللون من الشعر، ولعله أخرج حماسته بعد مقتل الخليفـة المتوكل ووزيـره الفتح بن خـاقان الـذى صنفت من أجله هـذه المختارات فى الأصل . وقد نجـد فى اتشاح بعض أبواب حماسة البحترى باللون القاتم ما يؤيد هذا لرأى من مثل ما يـدور حول : « صحـة المودة وحفظ الإخـاء وغلبة الـزمان والتبرم بـالحياة، وعتاب الـدهر، وذل من اغتـرب، وما يلحق الرجل من الضيم إذا ضيم مـولاه أو قريبه ، وترك مـا نبا بك من المنازل والبلـدان ، وفى تنقل الدول وتغير الأحـوال، وتعاقب اليسر والعسـر، والصبر على المصـائب ، والغدر والخيـانة، وتقلب الدهر بأهله ورفعه قوما وخفضه آخرين، وتوقع الموت والحـذر منـه ، والإعـداد للمعـاد، وخـذلان بنـى العم عنـد الشدائد، ونسيان مـا مضى، والجفاء بعد الصلـة ، والمخافة والالتيـاع ... إلخ » كل ذلك لا يعكـس المـرحلـة التى كـان البحترى يحيـاها فى رغد آمنـا من تقلب الدهر وهـو فى بلاط الخليفة ومجالس الأمراء .

ولا نعرف أحدا من القدماء تصدى لشرح حماسة البحترى كما فعلـوا فى حماسة أبى تمـام . وهذا يؤكد أن منـزلتها على رفعتها لا تبلغ شأو حماسة أبى تمام .

وقد طبعت حماسة البحترى فى بيروت أول الأمر سنة ١٩١٠ ثم فى مصر سنة ١٩٢٩ .

(مصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٦٨ ـ ٧٢) .

* **الحماسة البصرية :**

من كتب المختارات .

ظهرت هذه الحماسة حوالى منتصف القرن السابع أى بعد حماسة ابن الشجرى بأكثر من قرن . وقد صنفها صدر الدين ابن الحسن البصرى وأطلق عليها اسمه لتعرف بـه وتتميز عن الحماسات الأخرى .

استمد البصرى نصوص حماسته من مصادر عديدة تقدمته وفى جملتها حماسات أبى تمام والبحترى والخالدَيْن وابن الشجرى ودواوين العديد من الشعراء وجانب من كتب الأدب المتقدمة كذلك جمع البصرى فى مختاراته بين القدماء والمحدثين .

ويمكن القول إن البصرى لم يأت بجديد فى تبويب حماسته حين جعلها تتكىء فى ذلك على تبويب أبى تمام . فقد صنفها على حسب أغراض الشعر وبلغت لديه ١٢ بابا . أولها الحماسة وهو أطول الأبواب ثم المديح والتقريظ ، فالتأبين والرثاء ، فالأدب ، فالنسيب والغزل ، فالأضياف ، فالإنابة والزهد ... إلخ ، ولعل هذا هو الباب الجديد الذى أضافه البصرى فى حماسته بعد أن أصبح شعر الزهد غرضا ذا شأن فى ذلك العصر .

وتضم الحماسة البصرية نحو ٦ آلاف بيت لـ ٥٠٠ شاعر تقريبا ، صنع لها المصنف خطبة موجزة فى مستهل كتابه أشاد فيها بفضل الاختيار فى الشعر.

على أن هذه الحماسة البصرية تفتقر فى نظرنا إلى الأصالة ، لأنها تستمد جانبا وفيرا من الشعر من بطون دواوين الشعراء المتداولة ، وليس فى هذا كبير جدوى ، ولأنها أيضا تستقى من معين كتب الاختيار السالفة كالأصمعيات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى ، وليس فى هذا أيضا كبير غناء . ونحن قد نقع على قصائد أو مقطعات سبق أن اطلعنا عليها فى كتب المتقدمين ، حتى إن الأمر بلغ بالبصرى حدا جعله يبدأ حماسته بأبيات عمرو بن الإطنابة نفسها التى استهل بها البحترى حماسته .

وقد نشرت الحماسة البصرية فى الهند عام ١٩٦٤ فى مجلدين وذيلت بفهارس عديدة (صدر الكتاب فى حيدرآباد بعناية محقق هندى اسمه مختار الدين أحمد) .

(مصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٧٥ ـ ٧٧) .

* **حماسة ابن الشجرى :**

يقول عنها الدكتور عمر الدقاق :

ابن الشجرى هبة الله بن على من رجال القرن السادس الهجرى كان شيخ وقته فى معرفة النحو واللغة والأدب . والأمالى أكبر تآليفه .

وكتابه « الحماسة » الذى نحا فيه منحى أبى تمام والبحترى ينطوى على خصائص ذينك الكتابين معا ، فقد جعل جانبا من أبوابه على حسب الأغراض الشعرية أى : باب الحماسة والمراثى والهجاء والمديح والأدب والنسيب ... على حين كان سائر أبوابه على حسب معانى الشعر وموضوعاته الجزئية كأبواب الطيف والخيال ، وصف النار، الليل والنجوم، الشيب ... إلخ . وبلغ مجموع هذه الأبواب المتفاوتة فى حماسة ابن الشجرى ٣٦ بابا .

والأشعار المختارة فى هذه الحماسة مقطعات قلما بلغت حدود القصيد ، ومن هنا كثر عدد شعرائها على الرغم من أنها فى حجمها لا تبلغ غزارة الشعر فى حماستى أبى تمام والبحترى . وقد بلغ هؤلاء الشعراء نحو ٣٦٥ شاعرا عدا الأشعار التى أوردها ابن الشجرى فى مجموعته ، ولم ينسبها إلى قائل معين . كما بلغت حماسيات المجموعة ٩٤٤ حماسية .

ولعل أهم ما تمتاز به هذه الحماسة فضلا عن تبويبها أنها تشارك ما سبقها من المجموعات الشعرية فى احتوائها الشعر القديم وتحتفل أكثر منها بالشعر المحدث أو شعر المولدين ، فهى تنطوى على شطر ذى بال من شعر العصر العباسى لبشار وأبى نواس وأبى العتاهية وأبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز ودعبل وأبى دلامة وديك الجن وعلى بن الجهم والسرى الرفاء والصنوبرى وأبى فراس والشريف الرضى ... وقد راق المصنف فيما يبدو ما بلغه الشعر المولد فى ذلك العصر العباسى من رقة وعذوبة فأفرد بالإضافة إلى ذلك بابا أسماه : « مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين » .

وقد نشرت حماسة ابن الشجرى فى الهند أول الأمر فى طبعة تفتقر إلى مزيد من العناية والضبط والتحقيق (عنى بإصدار هذه الطبعة التى صدرت فى حيدر أباد سنة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م المستشرق الألمانى فريتس كرنكو معتمدا على أصول مخطوطة فى لندن وباريس والمتحف البريطانى . وقد

خلت الطبعة من الشرح وَقَلّ فيها الشكل . غير أنها احتوت ترجمة لحياة ابن الشجرى) ثم صدرت مؤخرا فى دمشق فى طبعة جيدة مفهرسة .

(ثم صدرت « الحماسة الشجرية » فى دمشق عن وزارة الثقافة عام ١٩٧٠ بتحقيق عبد المعين الملوحى وأسماء الحمصى ، وهى طبعة علمية فى مجلدين استغرقت نحو ألف من الصفحات ، وامتازت بضبطها ووفرة فهارسها التى بلغت مائتى صفحة) .

(مصادر التراث العربى - د . عمر الدقاق / ٧٢ ، ٧٣) .

*** الحماض :**

قال داود الأنطاكى : الحماض نبت كثير الأصناف منه ما يشبه السلق عريض الأوراق والأضلاع تفه يعرف بالسلق البرى ونوع دقيق الورق محمر الأصول له سنابل بيض شعرية يخلف بزرًا أسود براقا ونوع يتولد بزره من غير زهر وكلاهما حامض جيد ونوع يرتفع فوق ذراع تعمل منه أهل مصر بعد بلوغه أمثال الحصر وكله بارد يابس فى الثانية يقمع الصفراء والعطش والغثيان والقىء واللهيب ، والنوعان الجيدان يعمل منهما شراب الحماض المذكور فى الطب ينفع من الحكة والجرب والحصبة والجدرى وغليان الدم والسعال الحار وهذا هو المشار إليه لا ما يعمل فى مصر من الليمون المركب والمتولد بزره بلا زهر إذا سحق أو بزره وشرب فرَّح النفس وقوى الحواس ...

وإن طُبخ بالكمون ورُش فى البيت طرد النمل وهو يضر الرئة ويصلحه السكر وشربة بزره إلى ثلاثة وجرمه إلى ثمانية عشر .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور ، قدم له د . خليل أبو خليل ، تعليق أ . د . أحمد شوكت الشطى / ١٢١ ، ١٢٢)

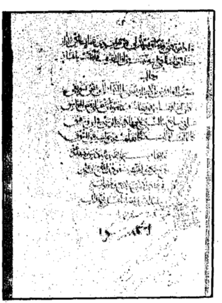
*** حماسة أبى تمام :**

قال حاجى خليفة :

الحماسة : لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى سنة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب العرباء ورتب على أبواب عشرة الحماسة والمراثى والأدب والنسيب والهجاء والإضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء واشتهر ببابه الأول . والحماسة شجاعة العرب قالوا إن أبا تمام فى اختياره أشعر منه فى شعره وسبب جمعه أنه قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان فمدحه فأجازه وعاد يريد العراق فلما دخل همدان اغتنمه أبو الوفا بن سلمة فأنزله وأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغم أبا تمام ذلك وسر أبا الوفا فأحضر له خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب فى الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فبقى الحماسة فى خزائن آل سلمة يضنُّون به حتى تغيرت أحوالهم وورد أبو العواذل همدان من دينور فظفر به وحمله إلى أصبهان فإقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب فى معناه ثم شاع واشتهر .

وقد فسره جماعة فمنهم من عُنى بذكر إعرابه ومنهم من عنى بالمعانى . فممن شرحه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلثمائة ، وأبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى سنة ٤١٤ أربع عشرة وأربعمائة ، وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ اثنتين وتسعين وثلثمائة اكتفى فيه بشرح مغلقاته ، وأبو القاسم زيد بن على الفسوى المتوفى سنة ٤٦٧ سبع وستين وأربعمائة ، وأبو عبد الله محمد الخطيب الإسكافى المتوفى سنة ٤٢١ إحدى وعشرين وأربعمائة ، وأبو الحسن على بن إسماعيل بن سيد اللغوى المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين وأربعمائة وهو شرح كبير فى ست مجلدات وسماه الأنيق ، وحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٣٥ خمس وثلاثين وثلثمائة [٣٣٧] .

وأبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٤٧٦ ست



« صورة رقم ٨ »
الصفحة الأخيرة من « ديوان الحماسة الكبرى » لأبي تمام التي كتبها مسعود بن المفرج سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م .

وسبعين وأربعمائة [٣٣٥] وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة ، وعبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ وعبد الله بن أحمد الشاماتى المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة ، و إبراهيم بن محمد بن ملكون الأشبيلى المتوفى سنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمائة ، وأبو على حسن بن على الاسترابادى النحوى المتوفى سنة ٧١٧ وأبو نصر قاسم بن محمد الواسطى النحوى المتوفى بمصر وأبو المحاسن مسعود ابن على البيهقى المتوفى سنة ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة والأعلم (أبو الحجاج يوسف بن سليمان) الشنتمرى المتوفى سنة ٤٧٦ ست وسبعين وأربعمائة فى خمس مجلدات ، وأبو البقاء عبد الله بن حسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة وستمائة وهو شرح مختصر اقتصر فيه على إعرابه ، وأبو زكريا يحيى بن على الشهير بالخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ اثنتين وخمسمائة شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر جميعا ثم شرحها وشرح ثانيا بيتا بيتا ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : أما بعد حمدا لله الذى لا يبلغ صفاته الواصفون ... إلخ، وأبو على أحمد بن محمد المرزوقى . المتوفى سنة ٤٢١ إحدى وعشرين وأربعمائة وشرحه معتبر مشهور أوله : الحمد لله خالق الإنسان مميزا بما عليه البيان... إلخ، وأبو نصر منصور بن مسلم الحلبى المعروف بابن أبى الدميك جعله تتمة ما قصَّر فيه ابن جنى . ونثرها أبو سعد[أبو سعيد] على بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٧١٤ أربع عشرة وسبعمائة وسماه المنثور البهائى لأنه نثر لبهاء الدولة ابن بويه (كشف ١/ ٦٩١، ٦٩٢) .

وقد ذكر صاحب « معارف العوارف » شروح ديوان الحماسة فى الهند وهى : الرصافة القادرية شرح الحماسة للمولوى عبد القادر الكوكنى ، وشرحه للقاضى نجف على بن عظيم الدين الجهجرى ، وشرحه للمولوى ذو الفقار على الديوبندى ، وشرحه للشيخ فيض الحسن السهارينورى ، وهو أحسن الشروح انتقد فيه على التبريزى (الثقافة الإسلامية فى الهند/ ٥٥).

وتضم حماسة أبى تمام ثمانمائة وإحدى وثمانين قصيدة أو مقطوعة ، وتسمى بالحماسة الكبرى ، تمييزا لها عن حماسة أخرى لأبى تمام ، أقل حجما من تلك المجموعة ، وتسمى هذه المجموعة بالحماسة الكبرى ، أو بالوحشيات ، وهما متشابهتان تقريبا من حيث الأبواب والموضوعات .

وقد استهل أبو تمام مختاراته الحماسية بمقطوعة أو بأبيات لشاعر من بنى العنبر تعتبر من أكثر الشعر العربى إثارة للحماس ، لأنها تحث قوما متكاسلين عن مناصرة واحد منهم وتحاول الأبيات إثارة النخوة فيهم وتحريك الغيرة حين يذكر الشاعر أنه لو كان من قبيلة مازن ما حدث له ما حدث من امتهان ومذلة ، ولكن قومه رغم كثرة عددهم لا تحركهم غيرة ، ولا يثيرهم امتهان وظلم يقع على واحد منهم .

وتتميز حماسة أبى تمام بذوق مصنفها، أبى تمام ، وهو ذوق شاعر دقيق ذواق، بذل ـ جهدا فى اختيار ما اختار ليجيء اختياره معبرا عن المقصود، ـ مصورا للغرض الذى اختيرت الأبيات من أجله، لذلك لم يهتم أبو تمام بأن يختار لشعراء مشهورين ، بل اعتمد فى جودة الاختيار على جودة النص وقوة تعبيره عن الغرض مهما كان صاحب النص مغمورا .

(دراسات فى المكتبة العربية/ ١٢١) .

وكان أبو تمام يبيح لنفسه فى بعض الأحيان أن يتصرف تصرفا جزئيا فيما اختاره من شعر الآخرين كأن يستبدل لفظا بآخر لم يعجبه ، أو يحل عبارة محل أخرى يراها أجمل فى النفس وأوقع فى الأذن. وقد أشار إلى ذلك المرزوقى فى مقدمته لشرح حماسة أبى تمام فقال : « ... حتى إنك تراه ينتهى إلى الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده » . وهذه التهمة ، تهمة أبى تمام بتغيير النصوص التى اختارها يدعمها المرزوقى فى أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها . وقد لا يتوافر بين أيدينا من النصوص المقارنة ما يسمح لنا باستنتاج دليل قوى على ذلك وبمعرفة طبيعة هذا التغيير ومداه ، كما أن ذلك قد يكون أحيانا فى رأينا بعضا من أوجه روايات الشعر المتعددة . ونحن نرجح صحة ما ذهب إليه المرزوقى ، فهو ، من جهة ، أقرب الشراح عهدًا إلى أبى تمام ، ثم إن ذلك التدخل من قِبل أبى تمام من جهة أخرى فى تلك الأشعار أمر لا نجنح لنفيه لأنه يتفق مع مذهب أبى تمام الفنى بصورة عامة فى إيثاره المعاودة والتنقيح . ومثل هذا التصرف فى بعض الأشعار وإن بدا محدودا فقد كان جديرا بأن ينزل بقيمة « الحماسة » عند العلماء باعتبارها نصوصا يستشهد بها فى علوم اللغة العربية . وكان حريا بالنقاد الأوائل فى ذلك العصر وجلهم من اللغويين المتزمتين الذين يجلون الشعر الموروث أن ينكروا على أبى تمام تصرفه الشخصى فى نصوص الآخرين على هذا النحو .

غير أنهم قبلوا ذلك منه واستملحوه ثقة منهم بذوقه وتقديرا لشاعريته . ونحن « نجد العلماء مجمعين على تزكية أبى تمام فى « الحماسة » وعلى تزكية الحماسة ونصوصها . بل يعدون صنيعه فى الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبى تمام نفسه والاستشهاد بشعره » (انظر مقدمة عبد السلام هارون لشرح المرزوقى على الحماسة) وفى ذلك يقول الزمخشرى فى صاحب الحماسة : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة.فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » (خزانة الأدب للبغدادى ١/ ٤ طبعه بولاق) .

وقد أطنب القدماء من قبل فى منزلة كتاب الحماسة وأشادوا بفضل أبى تمام فيه . وفيه قال المرزوقى « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام ، ولا فى المقصدات أوفى مما دوَّنه المفضل » وبلغ الأمر ببعضهم كما يروى التبريزى أنهم كانوا يقولون : «إن أبا تمام فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره» .

ونتيجة لاستفاضة شهرة هذا الكتاب وذيوع فضله فقد غدا نموذجا يحتذى فى موضوعه ، حتى إن اسم الحماسة أصبح رمزًا للشعر المختار عامة بعد أبى تمام . وقد جنح الكثيرون على أثر ذلك إلى تأليف كتب مماثلة فى هذا المجال وهم يبلغون بضعة عشر رجلا كلهم حذا حذو أبى تمام فى حماسته وآثر لكتابه اسم الحماسة ...

ويعد شرح المرزوقى أفضل الشروح التى بين أيدينا ، وذلك من وجوه عديدة؛ فهو من أقدم الشروح وأقربها إلى عصر أبى تمام ، كما أنه من أوفى هذه الشروح وأكثرها تقصيا . وهو برغم سبقه لشرح التبريزى يفضله بعبارته الرصينة المتخيرة وباهتمامه بالجانب النحوى فى النصوص لغرض تفسيرها ، وأخيرًا يمتاز بمقدمته النقدية القيمة . على حين أفاد التبريزى من شروح متقدميه وفيهم المرزوقى نفسه وعنى بالاشتقاق واللغة وبمسائل التصريف ، وإيراد جانب من أخبار الشعر ومناسباته التاريخية ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم . ويمكن القول إن المرزوقى كان أديبا محللا على حين كان التبريزى مفسرا مدققا .

وقد طبع شرح التبريزى مرات عديدة فى أوربا والهند والشرق العربى ، وصدر أخيرا فى أربعة أجزاء ، كما صدر شرح المرزوقى فى أربعة أجزاء أخرى ، وهما طبعتان جيدتان (طبعت أشعار الحماسة دون أى شرح فى بيروت سنة ١٨٨٩ بمطبعة جمعية الفنون ، فى نحو ٢٥٧ صفحة من القطع الصغير .

وقد طبع كتاب الحماسة بشرح التبريزى أول مرة فى بون بألمانيا سنة ١٨٧٨م بتحقيق المستشرق فرايتاغ ، ثم فى مصر سنة ١٢٩٦هـ ـ ١٨٧٨م بمطبعة بولاق بعناية الشيخ محمد قاسم ، وبعد ذلك طبع فى القاهرة أيضا بمطبعة السعادة سنة ١٩١٣ فى جزءين يبلغان نحو ٩٠٠ صفحة ، وأخيرا صدر فى مصر بتحقيق محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٣٨ فى أربعة أجزاء تنطوى على فهارس وتعليقات حسنة .

أما شرح المرزوقى فلم ينشر إلا متأخرا خلال ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ وكان ذلك فى أربعة أجزاء تستغرق نحواً من ٢٠٠٠ صفحة . وهذه الطبعة جيدة تمتاز بتعليقات وفهارس وافية ، وقد صدرت بعناية أحمد أمين وعبد السلام هارون) .

وحظيت « الحماسة » بعناية بعض علماء عصرنا ، فجنح أحدهم إلى ترتيبها على أساس جديد يعتمد على الموضوعات وعلى الترتيب الزمنى للشعراء (عمد الشيخ المرصفى فى القاهرة إلى ترتيب حماسة أبى تمام ترتيبا جديدا وجعلها فى قسمين : الأول ، الموضوعات الأدبية ، والثانى شعراء الوقائع الجاهلية والإسلامية . وقدم الشاعر الجاهلى على الإسلامى ، والإسلامى على الأموى ... غير أن هذا المصنف بقى مخطوطاً) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩ ، ٦٩٢ ، والثقافة الإسلامية فى الهند : » معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحى الحسنى ـ راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسنى الندوى / ٥٥ ، ودراسات فى المكتبة العربية ـ د. محمود أحمد حسن المراغى / ١٢١ ، ومصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ـ ٦٣) .

*** حماسة الراح :**

حماسة الراح : لأبى العلا أحمد بن عبد الله المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة وهو عشر كراريس فى ذم الخمر خاصة وله شرح بعض الحماسة الرياشية فى أربعين كراسة سماه الرياش المصطفى .

(كشف الظنون ١/ ٦٩٣) .

* الحَمام :

الحمام (بفتح الحاء والميم المخففة) عند العرب كما قال صاحب المصباح وغيره : كل ذي طوف من الفواخت والقماري والقطا والدواجن وأشباه ذلك الواحدة حمامة ، ويقع على الذكر والأنثى فيقال حمامة ذكر ، وحمامة أنثى (الرسالة الرشادية / ٢٠) والجمع حمائم ، ولا يقال للذكر حمام (اللسان ١٢ / ١٠١١) .

وهو مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم التغذية وعلم الحيوان . قال عنه داود الأنطاكي :

الحمام في اللغة كل ما عب وهدر وكان مطوقا ، والمراد به هنا الأزرق البري والملون الأهلي، ولباقي الأنواع أسماء تأتي كالفاخت والشفنين والقمري؛ والحمام طير ألوف إذا عمل له مسكن مخصوص ألفه وهو أزكى الطيور وأعرفها بالطرقات الخفية البعيدة وأحنها وأميلها إلى إناثه بحيث لو وضعت الأنثى في مكان وأخذ عنها الذكر بعد ما زوج بها إلى مسافة نحو سنة وخلي ونفسه جاءها لولا سطوة الجوارح ومن ثم تتخذ منه البطاقات للأخبار، وهو حار في الثانية يابس فيها أو في الأولى، والبري ألطف وأيبس وأطيب رائحة وكله مسمن قاطع للأخلاط الباردة نافع للفالج واللقوة والرعشة والاستسقاء الزقي والريحي ويفتت الحصى ويحسن اللون خصوصا رماد رأسه فإن له في ذلك شربا وفي الغشاوة كحلا عظيما ودمه حار يقطع البياض وسائر الآثار والأورام كحلا وطلاء وإذا شق ووضع جذب السم إلى نفسه وحرارة النار الفارسي والأكلة وإذا نضج في الشيرج بلا ماء ولا ملح وأكل فتت الحصى وحيا وزبله يقلع الآثار كالكلف والبرص ويحل الاستسقاء طلاء بالخل ويهيىء الأرض الباردة للزراعة ويقطع النبات الضار ويصلح الأشجار بالزيت مرخا ووضعا في أصلها كذا في الفلاحة وريشه إذا أحرق بمثله ملحا ومثله دقيقا وعجن وأكل أسهل كيموسا غليظا وأصلح الاستسقاء .

وبيضه إذا أكلته الأطفال بالعسل تكلموا سريعا وكذا إذا دلك به اللسان فإنه يورث الفصاحة وإن شرب نيئا أزال خشونة الصدر وحسن وخصب البدن ومرارته تمنع نزول الماء والغشاوة والبياض كحلا وأكل قانصته يولد الحصى وهو يصدر المحرور ويحرق الدم وربما أدى إلى الجذام ويصلحه السكنجبين واللبوب . ومن خواصه : أن تربيته في البيوت تمنع الطاعون والخدر والكزاز والرعشة والفالج وفساد الهواء وفيه أنس للمتوحش لحديث عن صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه وإن لم يبلغ مرتبة الصحة (تذكرة أولي الألباب ١ / ١٢٩) .

ومما يتصل بعلم الحيوان ما أورده كل من القزويني والدميري يقول القزويني في عجائبه : الحمام هو الطير المشهور الهادي إلي أوطانه من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكاء، فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء، ويكون صعوده مدورا ، فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده، فعند ذلك يهبط إليها في أدنى زمان ، وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلا بينه وبين الأرض فيقع في بلاد شاسعة ، أو يصيده شيء من الجوارح (عجائب المخلوقات / ٢٧٢، ٢٧٣) .

ويبسط الشيخ كمال الدين الدميري القول في الحمام من حيث أنواعه وخصائصه وتأويل رويته في المنام ، والأحكام الشرعية المتعلقة به والأمثال ... إلخ وهو في خلال هذا كله يسوق الحكمة والموعظة ، ويترجم لمن يرد ذكره من الأعلام ، وهو ما ننقل معظمه فيما يلي :

الحمام : قال الجوهري هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقماري وساق حرا، والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
دعت ساق حر بره فترنما

قالت المؤلفة : ورد عجز البيت كما يلي :

* دعت ساق حُرٍّ ترحة وترنما *

والحمامة هنا القمرية وقال الأصمعي في قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت
تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطاً وارد في مضيق الجبل فقالت ياليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا فيكمل لنا مائة قطاة فاتبعت وعدت فإذا هي ست وستون قال

أبو عبيد رأته من مسيرة ثلاثة أيام وأردات بالحمام القطا فقالت ذلك انتهى وقال الأموى الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا وأنشد للعجاج .

*إنى ورب البلد المحرم * والقاطنات البيت عند زمزم*
قواطنا مكة من ورق الحم

يريد الحمام وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات وربما قالوا حمام للمفرد قال جرانُ العَوْد :

وذكرنى الصبا بعد التنائى
حمامة أيكة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير أن اليمام هو الحمام البرى الواحدة يمامة وهو ضروب والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه انتهى ونقل النووى فى التحرير عن الأصمعى أن كل ذات طوق فهى حمام والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها وكان الكسائى يقول : الحمام هو البرى واليمام الذى يألف البيوت والصواب ما قاله الأصمعى ونقل الأزهرى من الشافعى أن الحمام كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه ولعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس قال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الرافعى والأشبه أن ما عب هدر قال فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم ويدل عليه أن الإمام الشافعى قال فى عيوب المسائل وما عبَّ من الماء عبًا فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام اهـ وفيما قاله الرافعى نظر لأنه لا يلزم من العب الهدير قال الشاعر :

*على حويضى نغر سكب * إذا فترت فترة يعب*
وحمرات شربهن غب

وصف النغر بالعب مع أنه لا يهدر وإلا كان حماما ، والنغر نوع من العصفور إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافعى وأهل اللغة أن الحمام يقع على الذى يألف البيوت ويستفرخ فيها وعلى اليمام والقمرى وساق حر وهو ذكر القمرى والفواخت والدبسى والقطا والوراشين واليعاقيب والشفنين والزاغ والوردانى والطورانى .

والكلام الآن فى الحمام الذى يألف البيوت وهو قسمان أحدهما البرى وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك وهو كثير النفور وسمى بريا لذلك والثانى الأهلى وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة منها الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب والمنسوب وهو بالنسبة إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين قال الجاحظ الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس وهو الأبيض .

روى أبو داود والطبرانى وابن ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ رأى رجلا يتبع حمامة فقال شيطان يتبع شيطانة وفى رواية شيطان يتبعه شيطانا قال البيهقى وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به وارتقاء الأسطحة التى يشرف منها على بيوت الجيران وحرمهم لأجله .

وروى البيهقى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر بالحمام الطيار فتذبح وتترك المقصصات وروى ابن قانع والطبرانى عن حبيب ابن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأجمر وروى الحاكم فى تاريخ نيسابور عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر قال ابن قانع والحافظ أبو موسى قال هلال بن العلاء الحمام الأحمر التفاح قال أبو موسى وهذا التفسير لم أره لغيره وكان فى منزله ﷺ حمام يقال له وردان .

وفى عمل اليوم والليلة لابن السنى عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل أن عليا رضى الله تعالى عنه شكا إلى النبى ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند هديره ورواه الحافظ ابن عساكر وقال إنه غريب جدا وسنده ضعيف وروى ابن عدى فى كامله فى ترجمة ميمون بن موسى عن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له إتخذ زوجا من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها أو اتخذ ديكا يؤنسك ويوقظك للصلاة وروى أيضا فى ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ : اتخذوا الحمام المقاصيص فى بيوتكم فإنها تلهى الجن عن صبيانكم وقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له إن النبى ﷺ اتخذ زوجا من حمام رواه

الطبراني وفيه الصلت الجراح لا يعرف وبقية رجاله رجال الصحيح وفي كامل ابن عدي في ترجمة سهل بن فرير عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال شكت الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها فأوحى الله إليها لأبعثن إليك أقواما يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى فراخها وفي سنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة .

ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ويحمل الأخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه حتى يجد فرصة فيطير إليه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره وهو أطير منه ومن سائر الطير كله لكنه يذعر منه ويعتريه ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذ رأى الهر ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة في عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته في الحمام ...

والأنثى تحمل أربعة عشر يوما وتبيض بيضتين إحداهما ذكر والثانية أنثى وبين الأولى والثانية يوم وليلة والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءا من النهار والأنثى بقية النهار وكذلك في الليل وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر واضطرها للدخول ...

وقد ألهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر ترابا مالحا ويطعمها إياه ليسهل به سبيل المطعم فسبحان اللطيف الخبير الذي آتى كل نفس هداها . وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثمان سنين وذكر الثعلبي وغيره عن وهب بن منبه في قوله تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص : ٦٨] قال اختار من النعم الضأن ومن الطير الحمام وذكر أهل التاريخ أن أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله لما حبس رأى في منامه كأن على يده حمامة مطوقة فأتاه آت فقال له خلاصك في هذا فلما أصبح حكى ذلك لابن سكينة الإمام فقال له ما أولته يا أمير المؤمنين قال أولته ببيت أبي تمام .

هن الحمام فإن كسرت عيافة
من خائهن فإنهن حمام

وخلاصي في حمامي فقتل بعد أيام يسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وروى البيهقي في الشعب عن معمر قال جاء رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال رأيت في النوم كأن حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها أصغر مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء فقال له ابن سيرين أما التي خرجت أعظم مما دخلت فذلك الحسن بن أبي الحسن البصري يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه وأما التي خرجت أصغر مما دخلت فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه وأما التي خرجت كما دخلت سواء فهو قتادة وهو أحفظ الناس ...

وفي الشعب للبيهقي عن سفيان الثوري أنه قال : كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط وقال إبراهيم النخعي من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر وروى البزار في مسنده أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفنا على فم الغار وإن ذلك مما صد المشركين عنه ﷺ وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين . وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي ذر رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾** فجعل يعيدها عليَّ حتى نعست عنه ثم قال : يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى مكة فأكون حمامة من حمام الحرم فقال ﷺ فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى الشأم والأرض المقدسة قال فكيف تصنع إذا أخرجت من الشأم فقلت والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي قال ﷺ أو خير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا وفي الصحيح طرف منه وفي ابن ماجه طرف من أوله وذكر أن هرون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به فأهدى له حمام وعنده أبو البختري وهب القاضي فروى له بسند عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال :

«لا سبق إلا فى خف أو حافر» أو جناح فزاد أو جناح وهى لفظة وضعها للرشيد فأعطاه جائزة سنية فلما خرج قال الرشيد تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ وأمر بالحمام فذبح فقيل له وما ذنب الحمام ؟ قال من أجله كذب على رسول الله ﷺ فترك العلماء حديث أبى البخترى لذلك وغيره من موضوعاته فلم يكتبوا حديثه وكان أبو البخترى المذكور قاضى مدينة النبى ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيرى ثم ولى قضاء بغداد بعد أبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله وتوفى أبو البخترى سنة مائتين فى خلافة المأمون والبخترى مأخوذ من البخترة التى هى الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحترى الشاعر المشهور والأول بالخاء المعجمة والثانى بالحاء المهملة : قال ابن أبى خيثمة والشيخ تقى الدين القشيرى فى الاقتراح واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم وضعه للمهدى لا للرشيد وقال ابن قتيبة وأبو البخترى هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد ومثله فى ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ومثله فى الطالبيين حسن بن حسن بن حسن ومثله فى غسان الحرث الأصغر ابن الحرث الأعرج ابن الحرث الأكبر انتهى قلت ومثله فى المتأخرين الغزالى محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الوجوه فى المذهب (انظر ترجمته) ...

وذكر ابن خلكان أن شرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين الرازى بخوارزم فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده فأنشده ابن عنين بديها أبياتا منها :

من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف

وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف

لو أنها تحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف

فائدة : قال بعض الحكماء كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر فإن أشكال الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان منه فى طيران إلا لمناسبة بينهما فرأى يوما حمامة مع غراب فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد فلما مشيا إذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا وكل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يأنس إلى جنسه فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما فلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء :

وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلى ففارقته ... والناس أشكال وألاف

روى أحمد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال وكان يقال إنه ليس شىء أبله من الحمام وذلك إنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه .

الحكم يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم إذا قتله شاة وفى مستند ذلك وجهان : أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه فإن كلا منهما يألف البيوت ويأنس بالناس، والثانى وهو الأصح أن مستند توقيف بلغهم فيه ونقل الرافعى عن الشيخ أبى محمد الخلاف فيما لو قتل طائرا أكبر من الحمام أو مثله هل ينبنى على هذا إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة و إن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة وقد أسقط الإمام النووى رحمه الله هذه المسألة من الروضة وكأنه ظن أن الخلاف فيها لفظى لا فائدة فيه .

وبيض الحمام وكل طائر يحرم على المحرم صيده حرام عليه فإن أتلفه ضمنه بقيمته هذا مذهبنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون وقال المزنى وبعض أصحاب داود لا جزاء فى البيض وقال مالك يضمنه بعشر ثمن أصله قال ابن المنذر واختلفوا فى بيض الحمام فقال على وعطاء فى كل بيضتين درهم وقال الزهرى والشافعى وأصحاب الرأى وأبو ثور فيه قيمته .

ومن أحكامه فى الصيد أنه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الاصطياد منها ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الاصطياد فى الناحية ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففى جواز الاصطياد منها وجهان أصحهما الجواز وبيع الحمام فى البرج على تفصيل بيع السمك فى البركة ولو باعها وهى طائرة اعتمادا على عادة عودها فوجهان أصحهما عند الإمام الجواز كالعبد المبعوث فى شغل وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق : بعودها لعدم عقلها .

ومن أحكامه فى الربا أنه جنس واحد بجميع أنواعه كذا قاله المراوزة وقال العراقيون إن كل نوع منه جنس فالحمام

جنس والقمارى جنس والفواخت جنس وأما اتخاذه للبيض والفراخ وللأنس وحمل الكتب فجائز بلا كراهة وأما اللعب به والتطير والمسابقة فقيل يجوز لأنه يحتاج إليها فى الحرب لنقل الأخبار والأصح كراهته لما تقدم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى قال فيه « شيطان يتبع شيطانة » قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث إنما قال له شيطان لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان والعاصى يقال له شيطان قال الله تعالى شياطين الإنس والجن وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام خلافا لمالك وأبى حنيفة فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة .

وروى أبو محمد الرامهرمزى فى كتابه المحدث الفاضل بين الراوى والواعى عن مصعب الزبيرى قال سمعت مالك بن أنس رضى الله عنه وقد قال لابنى أخته أبى بكر محمد وإسماعيل ابنى أبى أويس أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه يعنى الحديث قالا نعم قال فإن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما فأقلا منه وتفقها . قال : ونزل ابن مالك من فوق السطح ومعه حمام قد غطاه فعلم مالك أنه قد فهمه الناس فقال مالك الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات وروى عنه أيضا أنه قال : كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه فكان إذا نظر إليه أبوه قال هاه إن مما تطيب نفسى أن هذا الشأن لا يورث وإن أحدا لم يخلف أباه فى مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان أفضل أهل زمانه وكان أبوه أفضل أهل زمانه وقال البخارى فى المناسك من صحيحه : حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول سمعت عائشة رضى الله عنها تقول «طيبت رسول الله ﷺ بيدى هاتين ... » الحديث وأم عبد الرحمن قريبة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه واتفق الناس على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه ولد فى حياة عائشة رضى الله تعالى عنها وتوفى سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة وروى أن المنصور أمير المؤمنين قال له يوما عظنى بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا فبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى له موضع القبر بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده تسعة عشر درهما ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا فورث كل واحد منهم ألف ألف درهم ثم إنى رأيت رجلا من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله تعالى ورأيت رجلا من أولاد هشام يسأل أن يتصدق عليه انتهى قلت وهذا أمر غير عجيب فإن عمر وكلهم إلى ربه فكفاهم وأغناهم وهشام وكلهم إلى دنياهم فأفقرهم مولاهم .

وأما بيع زرق الحمام وسرجين البهائم المأكولة وغيرها فباطل وثمنه حرام هذا مذهبنا وقال أبو حنيفه يجوز بيع السرجين لاتفاق أهل الأعصار فى جميع الأمصار على بيعه من غير إنكار ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء . واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال « إن الله تعالى إذا حرم على قوم شيئا حرم عليهم ثمنه » وهو حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح وهو عام إلا ما خرج بدليل كالحمار وبأنه نجس العين فلم يجز بيعه كالعذرة فإنهم وافقونا على بطلان بيعها مع أنه ينتفع بها وأما الجواب عما احتجوا به فهو ما أجاب به الماوردى وغيره أن بيعه إنما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة فى دين الإسلام وأما قولهم إنه ينتفع به فأشبه غيره فالفرق أن هذا نجس بخلاف غيره .

الأمثال : قالوا آمن من حمام الحرم ، وآلف من حمام مكة وقالوا تقلدها طوق الحمامة كناية عن الخصلة القبيحة أى تقلدها كطوق الحمامة لأنه لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثله قوله تعالى ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه** ﴾ [الإسراء : ١٣] أى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه . وقال الزمخشرى فإن قلت لم ذكر ﴿**حسيبا**﴾ قلت لأنه بمنزله الشاهد والقاضى والأمين لأن هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال فكأنه قيل له كفى بنفسك رجلا حسيبا . وكان الحسن البصرى إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك وقيل فى قوله تعالى ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾ [آل عمران : ١٨٠] أى يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق يقال طوق فلان عمله طوق الحمامة أى ألزم جزاء عمله . روى الإمام أحمد فى الزهد عن مطرف أنه قال : إذا أنا مت فلا تحبسونى لكى يجتمع الناس فأطوقهم طوق الحمامة ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن — *أمر عواقبه ندامه*

دار ابـن عمـك بعتهـــــا
تقضى بهـــا عنك الغــرامـه
وحليفكم بــــالله رب النـــ
ـــاس مجتهـــد القســامـه
اذهـب بهـــا اذهب بهـــا
طـــوقتهـا طــوق الحمــامـه

أى لزمه عارها قـال الإمام عبد الرحمن السهيلى هذا المثل منتزع من قول رسول الله ﷺ من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيـامة من سبع أرضين وقـوله طـوق الحمامـة لأن طوقهـا لا يفارقها ولا تلقيـه عن نفسها أبدا كما يفعل من لبـس طوقا من الآدميين وفى هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه وفى قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله ﷺ طـوقه من سبع أرضين أنـه من الطـاقة لا من الطـوق فى العنق وقاله الخطابى فى أحد قوليه مع أن البخارى قد قال فى بعض رواياتـه خسف به إلى سبع أرضين وفى مصنف ابـن أبى شيبة من غصب شبرا مـن أرض جاء به إسطـاما فى عنقـه والإسطام كالحلق من الحـديد وقالـوا أخرق من حمامـة لأنها لا تحكم عشها وذلك لأنهـا ربما جاءت إلـى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عشهـا فى الموضـع الذى تذهب بـه الريح فينكسـر من بيضها أكثر مما يسلم قال عبيد بن الأبرص :

عيـــوا بأمـــرهـم كمـــا
عيـت ببيضتهـــا الحمـــامـه
جعلـت لهـــا عـــودين مـن
بشـم وآخـــر مـن ثمـــامـه

الخواص : إذا سكن المخدور بقربها أو فى بيت يجاورها أو فى بيت هى فيـه بـرىء وفـى مجـاورتهـا أمـان من الخـدر والفالج والسكتة والسبـات وهذه خاصية عظيمة بـديعة ودمها إذا اكتحل به حار أنفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة ودمها خاصة يقطع الرعاف الذى من حجب الدماغ وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النـار وزبل الحمام حار وأشد حرارة زبل البرى الذى لا يأوى البيوت وأعجب مـا فى زبله إنه إذا سخن فى الماء وجلس فيه من به عسـر البول أبرأه وإذا طلى بالخل وضمد بـه من به وجع الاستسقـاء نفعه نفعا بينا وزبل الحمام الأحمر إذا شـرب منه قـدر درهمين مع ثلاثـة دراهم دارصينى نفع من الحصاة ولحم الحمام جيد الكلى ويزيد فى الدم .

التعبير الحمام فى المنام رسـول أمين أو صديق صدوق أو حبيب أنيس وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد قال الشاعر:

*** حب ينوح إذا الحمام ينوح ***

وربما دلت الحمـامة فى الرؤيـا على امرأة مباركـة حسناء عربيـة لا تبتغى ببعلها بـدلا والحمام على رأس المـريض هو حمام الموت. قال الشاعر :

هن الحَمـــام فـإن كســرت عيـــافـــة
مـن حـــائهن فـــانهن حِمـــام

وبروجهـا مجمع النساء وفراخها بنـون فمن رأى أنه يعلف الحمام ويدعوهن إليه فإنه يقود وإن حشر الحمام والغربان فى مكان واحد فإنه يقود أيضا لأن الغربان فساق وكل شىء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب وأشبـاه ذلك فإنه قيادة وهدير الحمام كلام باطل ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجهـا ومن رأى حمامة قدمـت عليه وتلقاها فإنـه يرد عليـه كتاب ومن نفـرت منه حمـامته ولـم تعـد إليه فإنـه يطلق زوجتـه أو تمـوت ومن رأى كأن لـه حمامـا فإنـه ممن يشتـرى الجوارى ومـن قص جناح حمامـة فى المنام فقـد حلف على زوجتـه أن لا تخـرج من بيتـه ، أو تلـد أو تحمل لأن النفـاس والحمل يمنعان من الخروج .

والحمام الذى يهدى إلى الطريق فإنه خير يأتى الرائى من مكـان بعيـد والحمـام فى المنـام دليل خيـر لمن يصـادق أو يشارك لاجتمـاع بعضه مع بعض فى الطيـران والمزاوجـة وقال جاماسب من اصطاد الحمام فـى منامه أكل مال أعدائه ومن رأى بعين حمامته نقصا فهو نقص فى دين زوجته وخلفها وقال ابن المقرى رؤيـة المنسوب من الحمام إلى من دونـه شريف القدر أو النسب ورؤيته دالة علـى الإفراح والنصر على الأعداء واللهـو واللعب وربمـا دل الحمـام على الأزواج الصينيـات وذوات الحفظ لـلأسـرار والكـد على العيـال وربمـا دل على الحمـام الذى هـو المـوت وربما دل على المـرأة ذات الأولاد والرجل الكثير النسل المنعكف على أهل بيته والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٣٣ ـ ٢٤٠) .

ومما جاء فى الشعر فى الحمام ما أورده الثعالبى لابن عبد ربه وهو قوله فى نوح الحمام :

ويهتــاج قلبى كلمـا كـــان ســاكنـا
دعـــاء حمـــام لم يبت بـــوكــون
وإن ارتيـــاحى من بكـــاء حمـــامـة
كـــذى شجـن داويتــه بشجـــون

كأن حمـــام الأيك لمــا تجـــاوبت
حـــزين بكى من رحمـــة لحـــزين

الوكون : جمع الوكن : عش الطائر
وقوله فيه :

لقـــد سجعت في جنح ليل حمـــامـــة
فأي أسى هـــاجت على الهـــائم الصب
لك الـويل، بل هيجت شجـوى بلا جـوى
وشكـوى بلا شكـوى، وكربـا بلا كـرب

(يتيمة الدهر جـ ٢ ق ٩/ ٨٣٧) .

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا في العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١١، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٢٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني / ٢٧٢، ٢٧٣، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٣٣ ـ ٢٤٠، ويتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي ـ أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوي جـ ٢ق ٩/ ٨٣٧) .

*** الحمّام :**

(بفتح الحاء وتشديد الميم) .

انظر : الحمامات .

*** حمام الرسائل:**

سمي البريد بحمام الرسائل وكان وسيلة لنقل البريد عرفت عند شعوب الأرض، وكان الحمام يحمل البطائق في أجنحته من مكان إلى مكان، وكان له محطات تشبه مراكز بريد الخيل، سميت بروج الحمام وإن كانت على مسافات أبعد من مراكز بريد الخيل وكانت قلعة القاهرة هي المركز الرئيسي لشبكة حمام الرسائل وتصل خطوطها إلى قوص في الصعيد ودمياط والإسكندرية كما قد تتشعب إلى نيابات الشام حتى الفرات . ومع ذلك فإن الحمام لم يكن يتعدى مراكزه فإذا أرسل الخبر إلى المركز نقل ما بجناحه إلى جناح طائر آخر .

وكان لحمام الرسائل ديوان فيه جرائد تثبت فيها أنسابه وقد بلغ عدد الحمام في وقت من الأوقات تسعمائة وألف طائر. وكان يشرف عليه في كل هذه البلاد رجال متخصصون يسمون : براجين، ولكل برج رئيس : مقدم ومنهم الخدام تحت تصرفهم البغال لحمل ما يخص الحمام والبراجين القائمين عليه وعلى طعامه .

وكانت الرسائل التي يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر، ثم حملت بعد ذلك في الذنب . وكان يكتب في هذه الأوراق عبارات مختصرة وتؤرخ بساعة كتابتها من النهار. وكانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين وتطلق إحداها بعد الأخرى وذلك للحرص على وصول الرسالة . وكان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يراه أحد أو يطلى بالسواد لكي لا يراه العدو إذا أطلق بالليل . وكان الحمام يعلم بعلامات في أرجلها أو مناقيرها . وكان الحمام الرسائلي إذا مر بمركز كتب وإلى هذا المكان بمرورها إلى أن تصل مختومة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٠٩، ١١٠) .

وقد ذكره الحافظ السيوطي فبسط القول فيه على النحو التالي :

قال ابن كثير في تاريخه : في سنة سبع وستين وخمسمائة اتخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهوادي، وذلك لامتداد مملكته ، واتساعها، فإنها من حد النوبة إلى همذان، فلذلك اتخذ قلعة ، وحبس الحمام التي تسري الآفاق في أسرع مدة، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضي الفاضل : الحمام ملائكة الملوك . وقد أطنب في ذلك العماد الكاتب وأظرف وأطرب ، وأعجب وأغرب (تاريخ ابن كثير ١٢ / ٢٦٩) .

وفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء زائدا ، حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاضر إنه من ولد الطير الفلاني . وقيل إنه بيع بألف دينار.

وقد ألف القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في أمور هذه الحمام كتابا سماه « تمائم الحمائم » (قال في كشف الظنون : « صنفه حين حافظ عليها الفاطميون بمصر ، وبالغوا فيها حتى أفردوا لها ديوانا وجرائد بأنساب الحمائم ») وذكر فيه فصلا فيما ينبغي أن يفعله المنطق وما جرت العادة به في ذلك فقال :

كان الجاري به العادة أنها لا تحمل البطاقة إلا في جناحها، لأمور منها ، حفظها من المطر ولقوة الجناح ؛ والواجب أنه إذا انطلق من مصر لا يطلق إلا من أمكنة معلومة، فإذا سرحت إلى الإسكندرية ، فلا تسرح إلا من منية عقبة بالجيزة ، وإلى الشرقية فمن مسجد التين ظاهر القاهرة،

وإلى دمياط فمن بيسوس بشط بحر منجى . والذى استقرت قواعد الملك عليه ، أن طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا يغفل ، ولا يمهل لحظة واحدة ، فتفوت مهمات لا تستدرك ، إما من واصل وإما من هارب ، وإما من متجدد فى الثغور . ولا يضع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد ؛ فإن كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ ، وإن كان نائما لا يمهل حتى يستيقظ بل ينبه . وينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك .

قال : ورأيت الأوائل لا يكتبون فى أوائلها بسملة .

قال : وأنا ما كتبتها قط إلا ببسملة للبركة ، وتؤرخ بالساعة واليوم ، لا بالسنين ؛ وينبغى ألا يكثر إلا لب الكلام وزبدته . ولا بد أن يكتب شرح الطائر ورفيقه إن كانا طائرين قد سرحا حتى إن تأخر الطائر الواحد رقب حضوره ، أو يطلق لئلا يكون قد وقع فى برج من أبراج المدينة ولا يعمل للبطائق هامش ولا يحمدى ، وجرت العادة بأن يكتب فى آخرها : « وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وذلك حفظ لها :

ومن فصل فى وصفها لتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الإنشاء : طالما جادت بها فأضحت مخلفة وراءها تبكى عليها السحب، وصدق من سماها أنبياء للطير لأنها مرسلة بالكتب.

وفيها يقول أبو محمد أحمد بن علوى بن أبى عقبال القيروانى :

خضر تفوت الريح فى طيرانها ... يا بعد بين غدوها ورواحها

تأتى بأخبار الغدو عشية ... لمسير شهر تحت ريش جناحها

وكأنما الروح الأمين بوحيه ... نفث الهداية منه فى أرواحها

وقال غيره :

يا حبذا الطائر الميمون يطرقنا ... فى الأمر بالطائر الميمون تنبيها

فاقت على الهدهد المذكور إذ حملت ... كتب الملوك وصانتها أعاليها

تلقى بكل كتاب نحو صاحبه ... تصون نظرته صونا وتخفيها

فما تمكن عين الشمس تنظره ... ولا تجوز أن تلقيه من فيها

منسوبة لرسالات الملوك فبالـ ... ـمنسوب تسمو ويدعوها تسميها

أكرم بجيش سعيد ما سعادته ... مما يشكيك فيها فكر حاكيها

حما حمى الغار يوم الغار حرمته ... فيا لها وقعة عزت مساعيها !

وقوفه عند ذاك الباب شرفه ... وللسعادة أوقات تؤاتيها

ويوم فتح رسول الله مكته ... عند الدخول إليها من بواديها

صفت تظلل من شمس كتيبته الـ ... ـخضر أمطره فيها تواليها

فظللته بما كانت تود هوى ... لو قابلتها بأشواق فتنهيها

فعندما حظيت بالقرب أمنها ... فشرفت بعطايا جل مهديها

فما يحل لدى صيد تناولها ... ولا ينال المنى بالنار مصليها

ولا تطير بأوراق الفرنج ولا ... يسير عنها بما فيه أمانيها

سمت بملك المعانى غير ذى دنس ... لا ترتضيهم ، ولو جزت نواصيها

وانظر لها كيف تأتى للخلائق من ... آل الرسول بحب كامن فيها

من المقام إلى دار السلام فلم ... يمض النهار بعزم فى دواعيها

وربما ضل عند الهند ملتقطا ... حبات فلفله وارتد مبطيها

فجاء فى يومه فى إثر سابقه ... حفظا لحق يد طابت أياديها

مناقب لرسول الله أيسرها ... لدى نبوته الغراء تكفيها

ومن إنشاء القاضى الفاضل فى وصف حمائم الرسائل :

سرحت لا تزال أجنحتها محملة من البطائق أجنحة ، وتجهز جيوش المقاصد والأقلام أسلحة ، وتحمل من الأخبار ما تحمله الضمائر، وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر، وتزوى لها الأرض حتى ترى ملك هذه الأمة ، وتقرب من السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همة ، وتكون مراكب للأغراض وكانت والأجنحة قلوعا، وتركب الجو بحرًا تصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا ، وتعلق الحاجات على أعجازها ، ولا تفوق الإرادات عن إنجازها ، ومن بلاغات البطائق استفادت ما هى مشهورة به من السجع، ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهى إليها دائمة الرجع . وقد سكنت البروج فهى أنجم ، وأعدت فى كنائنها فهى للحاجات أسهم، وكادت تكون ملائكة لأنها رسل ، فإذا نيطت بالرقاع، صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . وقد باعد الله بين أسفارها وقربها ، وجعلها طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها ، وقد أخذت عهود الأمانة فى رقابها أطواقا ، فأدتها من أذنابها أوراقا ، وصارت خوافى من وراء الخوافى ، وغطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافى ، ترغم أنف النوى بتقريب العهود، وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود؛ وهى أنبياء الطير لكثرة ما تأتى به من الأنباء، وخطباؤها لأنها تقوم على الأغصان مقام الخطباء .

وقال فى وصفها شيخ الكتاب ذو البلاغتين السديد أبو القاسم شيخ القاضى الفاضل :

وأما حمام الرسائل ؛ فهى من آيات الله المستنطقة الألسن بالتسبيح ، العاجز عن وصفها إعجاز تحمله من البطائق، وترد به مسرعة من الأخبار الواضحة الحقائق، وتعاليه فى الجو محلقا عند مطاره، وتهديه على الطريق التى عليها ليأمن من فوت الإدراك وأخطاره ، ونظره إلى المقصد الذى يسرح إليه من على، ووصوله إلى أقرب الساعات بما يصل به البريد فى أبعد الأيام من الخبر الجلى، ومجيئه معادلا لرءوس السفار مسامتا، وإيثاره بالمتجددات فكأنه ناطق وإن كان صامتا ، وكونه يمضى محمولا على ظهر المركوب، ويرجع عاملا على ظهره للمكتوب، ولا يعرج على تذكار الهديل ، ولا يسأم من الدأب فى الخدمة زائدا على التقدير، وفى تقدمه البشائر، يكون المعنى بقولهم : أيمن طائر؛ ولا غرو أن فارق رسل أهل الأرض وفاتهم وهو مرسل والعنان عنانه ، والجو ميدانه ، والجناح مركبه ، والرياح موكبه ، وابتداء الغاية شوطه، والشوق إلى أهله سوطه ؛ مع أمنه ما يحدث لمنتاب السفار، ومخبآت القفار، من مخاوف الطوارق وطوارق المخاوف، ومتلف الغوائل وغوائل المتالف، إلا ما يشذ من اعتراض خارج جارح، وانقضاض كاسب كاسر، فتكف سعادة الدولة تأميمه ، وتصد عنه تصميمه، لأنه أخذ جيشها من الطيرين اللذين يحدثان فى أعدائها ؛ هذا بالإنذار الجاعل كيدهم فى تضليل ، وذلك بما ترى رايتها المنصورة عليهم من تظليل .

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى :

ولما وقفت على ما أنشأه القاضى الفاضل، وعلى ما أنشأه الشيخ السديد أردت أن أجرب الخاطر، فأنشأت وأنا غير مخاطب أحدا بل مخاطر، وأين الثرى من الثريا، وما الحسن لكل أحد يتهيا، وعلى أن أجيب وما على أن أجيد، وما كل والد يدرك شأوه الوليد ، ولا كل كاتب عبد الرحيم ولا عبد الحميد ، فقلت :

وأما حمائم الرسائل فكم أغنت البرد عن جوب القفار، وكم قدت جيوبها على أسرى أسرار ؛ وكم أعارت السهام أجنحة فأحسنت بتلك العارية المطار، وكم قال جناحها لطالب النجاح : لا جناح ، وكم سرت فحمدت المساء إذا حمد غيرها من السارين الصباح ، وكم ساوقت الصبا والجنائب ففاقتهما ولم تحوج سلام المشتاقين إلى امتطاء كاهل الرياح .

كم حسن ملك كل منهما ملك ، وكم قال مسرحها لمجيئه بها : قرة عين لى ولك ، كم أجملت فى الهوى تقلبا ، وإذا غنت الحمائم على الغصون صمتت عن الهديل والهدير تأدبا ، كم دفعت شكا بيقينها ، ورفعت شكوى بتبيينها ، وكم أدت أمانة ولم تعلم أجنحتها بما فى شمالها بما فى يمينها .

كم التفت منها الساق بالساق، فأحسنت لربها المساق ، وكم أخذت عهود الأمانة فبدت أطواقا فى الأعناق، ويقال ما تضمنته من البطائق بعض ما تعلق منها فى الرياض من الأوراق ، تسبق اللمح ، وكم استفتح بها بشير إذا جاء بالفتح، تفوت الطرف السابق ، والطرف الرامى الرامق، وما تلت سورة البروج إلا وتلت سورة الطارق كم أنسى مطارها عدو السلكة والسليك ، وكم غنيت فى خدمة سلطانها عن الغناء وقال كل منهما لرفيقه : إليك عن الأيك .

ما أحوج تصديقهما فى رسالتهما إلى الإعزاز بثالث، وكم قيل فى كل منهما لمن سام هذا حام فى خدمة أبناء يافث، كما سرحا بإحسان، وكم طارا بأفق فاستحق أن يقال لهما: فرسا سحاب إذا قيل لأحدهما فرسا رهان، حاملة علم لمن هو أعلم به منها، يغنى السفار والسفارة فلا تحوجهم إلى الاستغناء عنها.

تغدو وتروح، وبالسر لا تبوح، فكم غنيت باجتماعها بإلفها عن أنها تنوح. كم سارت تحت أمر سلطانها أحسن السير، وكم أفهمت أن ملك سليمان إذ سخر له منها فى مهماته الطير، أسرع من السهام المفوقة، وكم من البطائق مخلقة وغير مخلقة، كم ضللت من كيد، وكم بدت فى مقصورة دونها مقصورة ابن دريد.

ومن إنشاء الأديب تقى الدين أبو بكر بن حجة فى ذلك:

سرح فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة، ولله طلب السبق فلم يرض بعرف البرق سرحا ولا استظل صفحته المصقولة؛ وكم جرى دونه النسيم فقصر وأمست أذياله بعرف السحب مبلولة. وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه المصدق، وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير: كتب يجاب وعلى يدى يخلق، يؤدى ماجاء على يده من الترسل فيهيج الأشواق، وما برحت الحمام تحسن الأداء فى الأوراق، وصحبناه على الهدى فقال: ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ [النجم: ٢] ومن روى عنه الحديث المسند فعن عكرمة قد روى، يطير مع الهوى لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح إذا دخل تحت جناحه؛ إن برز من مقفصه لم يبق للصرح الممرد قيمة، بل ينعزل بتدبيج أطراقه ويعلق عليه من العين تلك التميمة، ما سجن إلا صبر على السجن وضيقة الأطواق، ولهذا حمدت عاقبته على الإطلاق، ولا غنى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض، ولا أطلق من كبد الجو إلا كان سهما مريشا تبلغ به الأغراض. كم علا فصاد بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس، وأمسى عند الهبوط لعيون الهلال كالطمس؛ فهو الطائر الميمون والغاية السباقة، والأمين الذى إذا أودع أسرار الملوك حملها بطاقة؛ فهو من الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ما شاءت من حبات النجوم، والعجماء التى من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق المفهوم، والمقدمة والنتيجة للكتاب الحجلى فى منطق الطير، وهى من حملة الكتاب الذى إذا وصل القارئ منه إلى الفتح يتهلل لحبه الخير؛ إن يصدر البازى بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب، وإن سألت العقبان على بديع السجع أحجمت عن رد الجواب.

رعت النسور بقوة جيف الفلا

ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ما قدمت إلا وأرتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة، وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة. كم أهدت من مخلبها وهى غادية رائحة، وكم حنت إليها الجوارح وهى أدام الله إطلاقها عز جارحة، وكم أدارت من كؤوس السجع ما هو أرق من قهوة الإنشا، وأبهج على زهر المنثور من صبح الأعشى. وكم عامت بحور الفضاء ولم تحفل بموج الجبال، وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف من تلك الأنملة قلامة الهلال، وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكل كف خضيب، وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشقيق لأمر مريب، وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع، ولا برح تغريدها مطربا بين البادئ والراجع (حسن المحاضرة ٢ / ٣١٣-٣١٩).

وقد ذكر المقريزى عند الكلام على العلامة السلطانية حمام الرسائل فقال:

وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدى البريدية وتارة على أجنحة الحمام فتعود إليهم الأجوبة السلطانية وعليها العلامة فإذا ورد البريدى أحضره أمير جاندار وهو من أمراء الألوف والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل البريدى الأرض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأه على السلطان سرا فإن كان أحد من الأمراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمره وإن كان الخبر على أجنحة الحمام فإنه يكتب فى ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الأزرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفى كل مركز عدة خيول كما بيناه فى ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه إلى طائر

آخر حتى يسقط بقلعة الجبل فيحضره البراج ويقرأ كاتب السر البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر .

ويصف المقريزى أبراج حمام الرسائل التى كانت بقلعة الجبل أو قلعة صلاح الدين فيقول :

أبراج الحمام : كان بالقلعة أبراج برسم الحمام التى تحمل البطائق وبلغت عدتها على ما ذكره ابن عبد الظاهر فى كتاب تمائم الحمائم إلى آخر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لا تبرح فى الأبراج بالقلعة ما عدا طائفة منها فإنها فى برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبه الأمير فخر الدين عثمان ابن قزل أستادار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فإن جميع الفيوم كانت فى إقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد إليه من الفيوم ويبعثها من القاهرة إلى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام فى سائر نواحى المملكة مصراً وشاما ما بين أسوان إلى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها فى الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة إلى سائر الجهات .

وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الإهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الأموال ما لا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع ويبة فول فى كل يوم وكانت العادة أن لا تحمل البطاقة إلا فى جناح الطائر لأمور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم إنهم عملوا البطاقة فى الذنب وكانت العادة إذا بطق من قلعة الجبل إلى الإسكندرية فلا يسرح الطائر إلا من منية عقبة بالجيزة وهى أول المراكز وإذا سرح إلى الشرقية لا يطلق إلا من مسجد تبر خارج القاهرة وإذا سرح إلى دمياط لا يسرح إلا من ناحية بيسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم إلى هذه الأماكن من الجاندارية .

وكذلك كانت العادة فى كل مملكة يتوخى الأبعاد فى التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك إنها لا ترجع إلى ابراجها من قريب وكان يعمل فى الطيور السلطانية علائم وهى داغات فى أرجلها أو على مناقيرها ويسميها أرباب الملعوب الاصطلاح وكان الحمام إذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالطائرة حتى إن السلطان إذا كان يأكل وسقط الطائر لا يمهل حتى يفرغ من الأكل بل يحل البطاقة ويترك الأكل وهكذا إذا كان نائما لا يمهل بل ينبه .

قال ابن عبد الظاهر : وهذا الذى رأينا عليه ملوكنا وكذلك فى الموكب وفى لعب الأكرة لأنه بلمحة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم إما من واصل أو هارب وإما من متجدد فى الثغور قال وينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الأوائل لا يكتبون فى أولها بسملة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وأنا أورخها بالسنة ولا يكثر فى نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشو فى الألفاظ ولا يكتب إلا لب الكلام وزبدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر ورفيقه حتى إن تأخر الواحد ترقب حضوره أو تطلب ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل ويكتب آخرها حسبلة ولا تعنون إلا إذا كانت منقولة مثل أن تسرح إلى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها أحد وكل وال تصل إليه يكتب فى ظهرها أنها وصلت إليه ونقلها حتى تصل مختومة قال ومما شاهدته وتوليت أمره أنه فى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه أنه درجها إلى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تبطق فيه فقال براجوها قد أزف الوقت عليها فى القرنصة وجرى الحديث مع الأمير بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير وسرحت يوم أربعاء جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطائقهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت إلى الصبيبة فى ذلك اليوم بعينه وبطق بذلك فى ذلك اليوم بعينه إلى دمشق ووصل الخبر إلى دمشق فى يوم واحد وهذا مما أنا مصرفه وحاضره والمشير به قال مؤلفه رحمه الله : قد بطل الحمام من سائر المملكة إلا ما ينقل من قطيا إلى بلبيس ومن بلبيس إلى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شيء وكأنى بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (المواعظ والاعتبار ٢ / ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٩ ، ١١٠ ، عن صبح الأعشى للقلقشندى ١/١١٨، ١١٩، و ١٤/ ٣٧٦ وعن د. عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ١/ ٦٤ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٩ ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ . انظر أيضا تاريخ ووصف قلعة القاهرة ـ بول كازانوفا ـ ترجمة وتقديم د. أحمد دراج ، مراجعة د. جمال محرز / ٩٢ ، ٩٣) .

انظر : بطائق الحمام فى م ٧/ ١٩١ ، ١٩٢ .

*** حمام الزاجل :**

انظر : حمام الرسائل .

* **الحماما :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب . قال داود الأنطاكى : الحماما : باليونانية أموميا وزهرها هو اللوقاين وليست البزوانيا بل ذاك اسم للغاشرا وهذا النبات خشب مشتبك كالعناقيد ياقوتى ذهبى حريف حاد طيب الرائحة يتفرع من أصل واحد صلب المكسر جيد العطرية ينبت بأرمينية وطرسوس والكائن منه بالشام أخضر دقيق ومنه أبيض مشرب بصفرة سريع التفتت وكلاهما ردىء وينبت بنيسان له زهر إلى الحمرة كزهر الخيرى أو السادج وورق كالغاشرا وكلما اشتد خلصت حمرته ويؤخذ بآب بعد كمال بزره فإن أخذ قبل ذلك فسد ويعرف صحيحه بشبه الياقوت لونا وقوة العطرية والصلابة وقوة هذا النبات تبقى إلى سبع سنين وهو حار يابس فى الثالثة أو يبسه فى الثانية من أخلاط الترياق الكبير والأطياب الجيدة .

وهو يحلل الرياح والمغص ويفتح السدد وغلظ الكبد والطحال وسائر الأورام وأمراض المقعدة والرحم حمولا وشربا والنقرس طلاء ونطولا ودرهم منه مع نصف درهم زجاج مكلس يطلق البول ويفتت الحصى من يومه ويسكن الصداع وحده ولسع العقرب بالبادروج طلاء ويقع فى الأكحال وأخلاط الجاوى المصنوع وهو يضر المعدة ويصلحة الكرفس ويكسل ويجلب النوم ويصلحه الدارصينى وشربته إلى مثقال وبدله مثله أسارون ونصفه كمون أبيض (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢٦ - ١٢٨) .

وقد ذكره المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى قال المظفر الرسولى :

حماما : « ع » هى شجرة كأنها عنقود خشب ، . مشتبك بعضه ببعض ، وله زهر صغير مثل الدواء الذى يقال له الخيرى ، وله ورق شبيه بورق الفاشر، أو الفاشرشين ؛ وأجوده ما كان لونه شبيها بالذهب ، ولون خشبه إلى لون الياقوت ، وهو طيب الرائحة ، جدا ، وقوته شبيهة بقوة الوج، إلا أن الوج أكثر تجفيفا ، والحماما أكثر إنضاجا ، وقوته مسخنة قابضة مييسة ، ويجلب النوم ، ويسكن الصداع إذا ضمدت به الجبهة ، وينضج الأورام الحارة ، وينفع من لسعة العقرب إذا ضمد بها مع الباذ روج المكان الملسوع ، وخاصيتها النفع لطرد الرياح ، وتنقية المعدة ، وتقوية الكبد . وقوة الحماما فى الحرارة واليبوسة من الدرجة الثالثة ، وهى جيدة للسدد فى الكبد مع برد وبدل الحماما عند عدمها : وزنها من الأسارون ، وإن شئت وزنها من الوج ووزنها من الكمون الأبيض . « ج » هو شجرة كعنقود من خشب مشتبك، وله زهر أبيض يشبه الساذج فى اللون . وهو حار يابس فى الدرجة الثانية ، وقيل فى الثالثة ، وهو مرقق منضج ، فيه قبض ، وقدر ما يؤخذ منه إلى درهمين . « ف » هو شجرة صغيرة كعنقود من خشب ، فيها زهرة ، حار يابس فى الثانية ، ينفع من النقرس وأوجاع الأرحام والمقعدة . الشربة منه : ثلاثة دراهم .

(تذكرة أولى الألباب لدواد بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢٦ - ١٢٨ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ١٠٣) .

* **الحمامات :**

الحمام : (بتشديد الميم الأولى) : وهو مكان خاص يغتسل فيه يذكر ويؤنث ولكن التأنيث أكثر . فى المصباح : الحمام مثقل (أى مشدد) معروف والتأنيث أغلب فيقال هى الحمام وجمعها حمامات على القياس ويذكر فيقال : هو الحمام(الرسالة الرشادية / ٢١) .

وجاء فى اللسان : الجوهرى : الحمام مشدد واحد الحمامات المبنية ... قال ابن برى : وقد جاء الحمام مؤنثا فى بيت زعم الجوهرى أنه يصف حماما ، وهو قوله :

فإذا دخلت سمعت فيها رجة

لغط المعاول فى بيوت هداد

قال ابن سيده : والحمام الديماس، مشتق من الحميم، مذكر تذكره العرب، وهو أحد ما جاء من الأسماء على فعال، نحو القذاف والجبان، والجمع حمامات. قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء وإن كان مذكرا حين لم يُكسَّر، جعلوا ذلك عوضا من التكسير (اللسان ١٢/ ١٠٠٨) .

كانت الحمامات العامة من الأبنية المهمة فى العالم الإسلامى وكانت تنتشر فى جميع المدن، وذلك نظرًا لأهميتها فى التطهر والنظافة ، وكان يلاحظ فى بنائها أن تصمم بحيث تتيح للمستحم أن ينتقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو

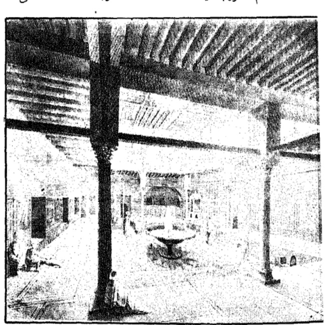
البارد حتى لا يصاب بأذى ... وكان يقسم الحمام إلى ثلاثة أقسام حسب درجة المياه وكان الحمام يسخن عن طريق إيقاد النار تحت أرضيته، وكان يشتمل على أنابيب الماء الساخن والبارد داخل الجدران. ومما يسترعى الانتباه أن الحمامات كانت من أقدم الآثار الإسلامية التى وصلتنا.

وشاع استخدام التصوير فى زخرفة الحمامات حتى اضطر الفقهاء إلى أن يلفتوا النظر إلى ما فى ذلك من حرمة، وأن يحثوا على إزالة صور الحمامات. من ذلك ما حث عليه الإمام أحمد بن حنبل بقوله « إن الإنسان إذا دخل الحمام ورأى صورة فينبغى أن يحكها فإن لم يقدر خرج ».

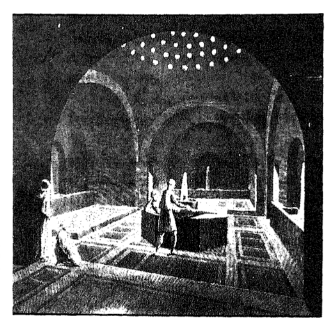
ومن الحمامات التى اشتملت على صورة ووصلتنا آثارها قصير عمره والحمام الفاطمى (مدخل إلى الآثار الإسلامية / ٢١٠، ٢١١، والفن الإسلامى / ١٢٤).

إن تعاليم الإسلام وكذلك مناخ منطقة الشرق الأوسط الحار قد استوجب وجود العديد من الحمامات العامة التى لا تزال بقاياها حتى الآن بالقاهرة. وخصصت حمامات للرجال وأخرى للسيدات أو حددت أيام خاصة للسيدات. وقد احتوت القصور والمساكن الخاصة على حمامات.

ولقد أنشئت الحمامات فى بداية العصر الإسلامى فأنشىء حمام عمرو بمدينة الفسطاط. كذلك وجدت الحمامات فى



حمام عمومى [الوسطانى]



حمام عمومى [برانى]

القصور الأموية مثل قصير عمره (٩٤ ـ ٩٧ هـ / ٧١٢ ـ ٧١٥م) وحمام الصرخ (١٠٧ ـ ١١١ هـ / ٧٢٥ ـ ٧٣٠م)، وقصر الحير الغربى (١١٠ ـ ١١١هـ / ٧٢٨ ـ ٧٢٩م)، وخربة المفجر (١٢٦ ـ ١٢٧ هـ / ٧٤٣ ـ ٧٤٤ م) (التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٦٢).

فالحمامات من الأبنية العامة التى أقيمت فى المدن الإسلامية منذ الأيام الأولى للفتح، لا لأنه دليل حضارة وترف وغنى فحسب، بل لحاجة ضرورية أوجبتها فريضة الاغتسال فى الإسلام على الرجال والنساء من دون تفريق. ولم يقتصر دور الحمام على الخدمة الوظيفية وحدها، بل تعداها إلى أبعد من ذلك بكثير، ليحتل مركزا رئيسيا على الأصعدة الدينية والاجتماعية والفنية والأدبية ... ولم تكن الحمامات أقل أهمية من المساجد والمكتبات والخانات والأسواق.

ومن أخبار الحمامات الأولى فى الإسلام: ثلاثة قامت فى البصرة، وحمام الفأر أقامه عمرو بن العاص فى الفسطاط، الحاضرة التى صار فيها عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ألف وست مئة وسبعون حماما. وراح عددها يزداد فى كل المدن إلى أن بلغ فى بغداد فى القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد، ستين ألفا بينما كان العدد فى نهاية القرن نفسه ستمئة فى قرطبة أرقام يصعب تصديقها ولكن يستخلص منها دلالة أكيدة على

الكثرة. وتجدر الإشارة إلى أن المبالغات لم تكن ترافق كل الروايات، فنحن نصدق عندما يقال لنا : أن دمشق كان فيها فى القرن السادس للهجرة، الثانى عشر للميلاد، اثنان وخمسون حماما، وفى عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م ستون، يعمل منها أربعون. وأن فاس كان فيها فى القرن العاشر للهجرة، السادس عشر للميلاد، أكثر من مئة مام، بقى منها ثلاثون العام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م .

لقد انتشرت الحمامات حيث انتشر الإسلام من المشرق إلى المغرب وعلى مدى كل العصور وكان عددها ينحسر أمام ازدياد قيام الحمامات الخاصة فى القصور والأبنية الفخمة ثم فى المتواضعة. ولعل المسلمين هم أول من ألحق الحمام ببناء السكن كما هى الحال فى حمامات قصير عمره وقصر الصرخ والاثنان فى بادية الأردن وقصر الحير الغربى كما سبق القول فى بادية الشام وقصر الزهراء.

(القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد) فى أسبانيا .

لقد عرفت الحمامات العامة مخططين اثنين من حيث الشكل: الأول بيزنطى طغت فيه القاعة الدافئة على ما سواها وكانت بثمانية أضلاع أو باثنى عشر. أما المخطط الثانى فهو طولى تصطف فيه قاعات مستطيلة تحتل فيه « الأولى » بدل «الدافئة »، مركز الصدارة وتميزت به العصور المبكرة . ولكن ابتداء من القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد أصبح الحمام العثمانى النموذج المحتذى، حاملا معه بعثا للإرث البيزنطى الأصيل ولكن بمسقط طولي وقد اكتفى فى أكثر الأحيان بقاعات ثلاث : « البرانى » و « الوسطانى » و«الجوانى» (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٣٨، ١٣٩، ١٤١) .

لقد أولى العلماء والأطباء المسلمون الحمام عناية كبيرة فأورده بعضهم ضمن مواد مؤلفاتهم كما فعل داود الأنطاكى فى كتابه « تذكرة أولى الألباب » (١/ ١٣٠ ـ ١٣٢) ، والإمام الغزالى فى « إحياء علوم الدين »، وابن سينا فى « دفع المضار الكلية للأبدان الإنسانية » (المقالة الثالثة : فى الحمام/ ٣٢ ـ ٣٩ ويأتى بيانها فيما بعد إن شاء الله تعالى) ، وأفرد له آخرون مؤلفات قيمة ، ومن هذه المؤلفات كتاب « النزهة الزهية » للشيخ الإمام عبد الرءوف المناوى، وقد ذكر منها محقق الكتاب الدكتور عبد الحميد صالح حمدان الأعمال التالية :

١ ـ الإلمام بآداب دخول الحمام ، للشيخ محمد بن السيد على حمزة أبى المحاسن الحسينى (المتوفى ٧٦٥هـ)، ألفه فى سنة ٧٥٣هـ ، على طريقة الفقهاء المحدثين وتوجد منه نسخة محفوظة فى مكتبة كوبريلى باستامبول، رقمها ١٢١٤ ، وقد كتبت فى سنة ٨١٠هـ .

٢ ـ القول التام فى آداب دخول الحمام ، تأليف الشيخ شهاب الدين بن العماد الشافعى الأفقهسى (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ) . وتوجد منه نسخة فى مكتبة البلدية بالإسكندرية، ورقمها ٣٨٢٢ ج، وأخرى فى مكتبة الفاتيكان ورقمها ١٤٢١، وثالثة فى مكتبة برلين ورقمها ٣٦٣٥ .

٣ ـ مقالة فى الحمام، وضعها الطبيب بدر الدين محمد ابن محمد القوصونى (المتوفى سنة ٩٣١ هـ) .

٤ ـ التحفة البكرية فى أحكام الاستحمام الكلية والجزئية، للشيخ داود بن عمر الأنطاكى (المتوفى ١٠٠٨ هـ)، وتوجد منه نسخة محفوظة فى المكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠٣٤ . وقد ذكرها إسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين (الجزء١، ص٣٦٢) وسماها « رسالة فى الحمام » .

وهذا الاهتمام بموضوع الحمامات إنما يرجع إلى الدور الكبير الذى قامت به الحمامات فى حياة الناس، وبروزها كعادة لها قواعدها وأحكامها وأنظمتها وتقاليدها المرعية، بوصفها المكمل والمتمم الطبيعى للجامع ، وارتباطها بالصلاة وبمفهوم التطهر لها (حدث فى حالات كثيرة أن اجتمع الجامع والحمام فى مبنيين متلاصقين، مثلما كان عليه الحال فى جامع سنان باشا ببولاق (القاهرة) الذى شيد عام ١٥٧١هـ) (النزهة الزهية / ٧ـ٩) .

وقد أدرجها القنوجى فى العلوم فقال عن علم الحمامات :

ويقال له علم الديماس. والحمام وضع صناعى مركب الكيفية للتدبير والاستفراغ فى الداخل والخارج. مفاد غايته جلب المنافع للبدن ودفع المضار عنه باعتبار حالة عناصر ذلك البدن فيتبعها صحة أو فساد. والحاجة باعثة إلى اتخاذه. وهذا العلم من فروع علم الطب، وفيه رسالة للسيوطى ورسالة للحكيم محمد أحسن الحاجى فورى نزيل بهوبال لطف الله فى الحال والمآل (فى هامش الأصل حاشية نصها :

« هذه الرسالة ضمنتها مطالب نافعة قلما توجد فى غيرها، وهى من أول من اتخذ الحمام ثم من اخترعه بعد الاندراس، ومن دخله من الصحابة، وما ورد فيه من الأحاديث، وما دلت عليه. وتكلمت فيها على هيئته ومنافعه ومضاره وما يجب

مراعـاته فى الـدخول فيه والخـروج عنه، ومـا قيل فى الحمام الجديـد والعتيق ومدده ومـا يتصل بذلك . وسميتهـا (تطهير الأدناس بالغسل فى ديمـاس) . حكيم محمد أحسن حاجى بورى متوسل الرئاسة سلمه الله) .

قال الإمام العلامة محمد بن على الشوكانى فى كتابه «وبل الغمـام » : إنهـا قـد وردت فى الحمـامات روايـات غـالبهـا الضعاف، فيها ما هو فى رتبة الحسن، وحاصل ما دلت عليه تحـريم دخـولـه على النسـاء مطلقـا، وعلى الـرجـال إلا فى المآزر؛ وقد استوفيت ذلك فى الرسالة المسماة (تفويق النبال إلى إرسال المقال) جعلتها جوابا لرسالة سماها مؤلفها «إرسال المقال إلى حل الإشكال » انتهى كـلامه رحمه الله تعالى (أبجد العلوم جـ١ ق١/ ٣٠٨، ٣٠٩) .

وكنا قد أوردنا مادة بعنوان « آداب الحمام » فى م١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٧ تناولت آداب الحمام وأحكامه الشرعية ، ومن ثم فإننا نركز هنا على الجوانب الآتية :

١ ـ الجانب الطبى من حيث منافع الحمام ومضاره .

٢ ـ البلاد التى توجد بهـا الحمامات على سبيل المثال لا الحصر، وتخطيطها وتصميمها المعمارى.

منافع الحمام ومضاره :

منافعه : يقول الإمام المناوى فى النزهة الزهية :

اعلم أن الحمـام متخـذ بأصل وضعـه للتنظيـف وإزالـة الوسـخ والشعث والدرن والعفونـات والقمل، ولدفـع أمراض كثيرة كالحميات والتخم والإعياء وأنواع الهيضة (وهى انطلاق البطن من جراء الحركة من المـواد الفاسدة غير المنهضمة إلى الانفصال بالقيىء أو الإسهال) وإنضاج النزلات . وكما أن من العـروق ما هـو بعيد الغـور أرق من الشعر، وكـان الدواء إنمـا يجذب الأقرب من المعدة فالأقرب، والدهن إنما يحلل ما فى الجلـد فقط ، وكانت الضـرورة قاضيـة باجتمـاع عفونـات فى الكمية لا يبلغهـا الدواء والدهن ، كـان اجتماعهـا على طول المدى يحدث أمراضا ضارة ، جعل الحمام أيضا لتحليل كل ما استقصى. ولهـذا أمروا بـه غب الدواء لمـا فيه من التنشيط والتجفيـف، وكـان البدن بعـده كالذى بـدأ فى الـوجود، وإذا خفف أو ثقل لم يضـر بخـلافـه من غيـره. قـال المسيحى : منافع الحمام كثيرة ونفعه لكل شخص بحسب مزاجه لموافقته لجميع الأمـزجـة الحارة والـرطبـة والباردة واليـابسـة، وجميع الأسنان والأزمان والبلدان المسكونة. كل ذلك إذا ما استعمل على ما ينبغى بحسب التدبير فيها . فالحمام يبرد البارد بالذات ويسخن بالماء الحار بالعـرض، ويرطب بهما وبالماء يجفف بالهواء الحار اليابس، ولذلك صار يحفظ الصحة، وتوضيحه أن الحمـام يشتمل على هـواء ومـاء حارين، والهـواء الحـار مسخن معتدل والماء الحار بما هو حار مسخن محلل، وبما هو ماء مبرد مرطب، لأن الماء وإن كـان حارا حرارته عرضية . فإذا زالت بـرد بـذاتـه، فلـذلك كـان الحمـام مسخنـا بهـوائه وبحـرارة مائه مبـردا بمـائه، وهو أيضـا مجفف بفـرط تحليل الحرارة ، ومـرطب يتشرب البـدن للماء. فلـذلك يحدث من الحمـام حـرارة ورطـوبة وبـرودة ويبوسـة ، فتارة تغلب الحـرارة وذلك إذا اشتد حر الهواء أو قل استعمـال الماء جدا، فلا يبرد تبـريـدا يتدارك تسخين الهـواء وتـارة تغلب البـرودة وذلك إذا ضعفت حرارة الماء والهواء أو أكثر استعمال الماء دون الهواء، وتـارة يغلب اليبس وذلك إذا كان التحليـل أكثر من التـرطيب كمـا لـو اشتـدت حـرارة الهـواء وأطيل المكث فيــه مع قلـة استعمـال المـــاء. فـالحمـام يستعمل للتـرطيب والتجفيف والتبـريد والتسخين. وقـد أشار إلـى ذلك جالينـوس بقولـه : الحمـام نـافع شتـاء وصيفا ولمـن مزاجـه حـار وبـارد ورطب ويابس. فالحمام علاج للبدن من الضدين إن وجد البدن حارا عـدله بتـرطيبـه وإن وجده بـاردا أدفأه بحـرارته. قـال ، أعنى جـالينوس ، وهـو يـوسع المسـام ويستفرغ الفضـول ويحلل الـريـاح ويلين البـدن ويحسـن اللـون وينفع من الاستسقـاء والـدق، ويبسط الأعضـاء المتشنجـة وينضج النـزلـة والبثـرة وينفع حمى يـوم وحمى الـدق والربع والحمـى البلغمية بعـد نضجهـــا. ووجع الجنب والصـدر وينضـج الـربـــو ويسمن المهزول ويهزل السميـن ويرقق الدم والفضول الغليظـة اللزجة بحرارته ويـرطب البدن اليابس الخشن برطـوبته، كل ذلك إذا استعمل على قانونه بقدر المعتبر. وإنما يسمن ويهزل لأنه إذا كان الـوارد من الغذاء أزيد مـن المتحلل سمن، وإن كان أقل من المتحلل هزل. فإن استوى الأمـران بقى البدن على حاله، فلا يسمن ولا يهـزل. فإذا استعمل الحمام علـى الخلو، ولم يأكل بعده سـريعا وأطيل المكث فيـه ، جفف كثيرا فلم يكن لما تحلل بدل يعتـد به فيهزله. لكن لا يظهـر ذلك الهزال فى الحمام ، لأن الجلد يـربو فيه ببلله قليـلا، فيخفى الهزال إلى أن يتحلل ما يشربه الجلد من الماء. ويعود إلى طبعه فيظهر الهـزال حينئـذ، وذلك بعـد الخـروج من الحمـام بسـاعـة أو ساعتين، إلا فى العين فإن الهزال يظهر فيها حالا لكونها ليس

لها جلد . وكلما طال المكث فى الحمام زاد الهزال . سيما إذا كان القعود فى البيت الثالث . ومتى استعمل الحمام على الامتلاء من الغذاء، وكان عقب تناوله ، أحدث سمنا لعدم استعداد الغذاء بسبب قصور هضمه لأن يتكون منه شحم فضلا عن اللحم لكنه يحدث السدد والعفونة وكثرة الفضول فى البدن . وإن كان بعد تناول الغذاء بساعات أحدث السمن الشحمى لا اللحمى لأن اللحم إنما يتكون من متين الدم ، وذلك لا يكون إلا من غذاء قد تم هضمه . ويحدث السدد أيضا لكن أقل من الأول وإذا استعمل الغذاء عقب الحمام كان مسمنا لسرعة انجذابه إلى الأعضاء بمصادفته تحلل الفضول ونقاء المجارى إن كان الغذاء بقدر صالح ، فإن كان قليلا أو كثيرا لم يسمن . قال بعضهم : والحمام يفيد إنضاج الأخلاط وجذبها إلى خارج (الأخلاط فى عرف الأقدمين هى الدم والبلغم والسوداء والصفراء . وقد أوردنا مادة بعنوان «الأخلاط الأربعة » فى م٣ / ١٩٦ ــ ٢٠٢ فارجع إليها فى موضعها) . وهو يسكن الأوجاع ويعدل لذع الأخلاط ويفش البخارات والرياح ، ويجلب النوم ويذهب الإعياء والتعب ، ويعقل البطن ويذهب الحكة والجرب، وينضج الزكام والنزلة ويرق الأخلاط ويلين العصب والرطوبات والأوتار، ويحلل القولنج ويسهل عسر البول . وقال بعض آخر: الحمام ملطف محلل، يستخرج العفونة ويرقق الجامد بحره، وينضج وينقى من نحو القروح والبثرات والدماميل، وينشط بما يزيله من العفونة ، ويذهب القمل ويريح البدن ويقطع الأعراق الفاسدة، ويجيد الهضم ويخفف الامتلاء لإعانته للحار الغريزى، ويجعل البدن كالمتجدد فى الأشياء ويسكن الحدة وينفع من السهر والسبات ونحو ذلك . قال المسبحى : وإذا استعمل الدواء وبقى بالبدن فضول لم ينقها، وجب استعمال الحمام بعده بثلاثة أيام أو أربعة لأن بقية الفضول فى نواحى الجلد التى عجز الدواء عن تنقيتها فيجذبه الحمام وينقيه ويغسله . قال فى الإرشاد : ومن التدبير العجيب للشقيقة (هى الصداع الشديد يصيب الرأس) أن يدخل صاحبها الحمام ويكب رأسه على البخار ويستعط بدهن فستق، فإنه يسكن الوجع حالا، قال المسبحى : والتعرق فى الحمام يذهب مذهب الرياضة فى ترقيق الفضول وتحليها لكنه يضعف الحرارة الغريزية فلا يقويها كالرياضة، وكما لا تستعمل الرياضة على الامتلاء الغذائى والخلطى لئلا تندفع هذه الأشياء إلى أقاصى البدن بتحريك الرياضة إياها من داخل ، ينبغى أن لا يدخل الحمام حارا لأن داخله يستنشق منه ما دام فيه ، فيرد على القلب هواء حار لا يصلح للترويح عن القلب فيضره ، وكذلك يدخل على البدن من طول المكث فيه الضعف والكرب وعظم النفس، سيما إن كان غير معتدل الحرارة ، فينبغى أن يكون الحمام بحيث يستعدل حرارته ويكون ماؤه أسخن من هوائه قليلا، ثم يكون اللبث فيه بقدر ما يستطاب إن كان البدن صحيحا ، فإنه قد تستطاب حرارة الحمام فى كثير من الأحوال المرضية وهو قد أخذ فى الإضرار انتهى .

غريبة : نقل محمد بن غالب فى تاريخه نزهة الأنس فى أهل الأندلس، فى ترجمة مروان بن عبد الملك الأشبيلى، أحد الأطباء الرحالين ، أنه كان له اليد الطولى فى الطب لكنه شدد فيه بأمور منها أنه منع من دخول الحمام بالكلية ، واعتقاده فيه أنه يعفن الأجساد ويفسد تركيب الأمزجة (اسم الكتاب الصحيح هو « فرحة الأنفس فى أهل الأندلس » لمحمد بن أيوب بن غالب ، نشر جزءا منه لطفى عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات ١/ ٢٧٢ ـ ٣١٠) وتبعه على ذلك ابن زهر فقال إنه ممنوع مطلقا لأنه موجب لتعفين الأخلاط وغير ذلك . وهذا رأى مهجور وقول من الزور قد خالفا فيه الأوائل والأواخر، وشهد بخطئه البادى والحاضر. وفضائل الحمام لا تنكر ومنافعه لا تحصى ولا تحصر، بل إذا استعمل على الترتيب الذى يجب والبدن الذى ينبغى، كان دواء فاضلا ورياضة نافعة لتفتيحه للمسام وتنقيته للفضول وتلطيفه لغليظ الكيموسيات (الحالة التى يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه) وغير ذلك مما هو مشاهد مجرب .

مضاره :

ثم يقول الإمام المناوى عن مضار الحمام :

قالوا إنه يرخى البدن لشدة ترطيبه ، ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ، وينقص الرطوبة الجوهرية ، ويفش الرطوبة الفضلية المحتاج إليها فى التغذية ، ويسقط القوة والشهوة إلى الطعام لصبه المرة إلى المعدة ...

ويحدر السدد على الامتلاء عند إفراط البلغم ، ويملأ التجاويف من البخار، ويسهل انصباب الفضلات إلى الأعضاء العصبية ، ويثير الحميات ويسخن القلب ويضعفه ويحدث الكرب حتى إنه ربما جلب الغشى، ويهيج القىء والغثيان والرعاف (الدم يخرج من الأنف) ويزيد فى ذلك ، ويرخى العضو العصبى ويضر من به حمى أو قروح أو شجج

(أى جـروح) أو ورم حار أو نـزف دم أو قىء ويـرعش ويسيل الخلط إلى المفاصل، ويوهن جميع القوى إن لم يصادف ما يسيلـه فيضعف القوتيـن ويملأ الفضـول بـالأخلاط . وهـذه المضار كلها سهلـة التدارك . وبالجملة فنفعـه أكثر من ضرره بأضعاف . ولهـذا قال بعض الأعيان أنـه موافق لـلأصحاء فى جميع الأسنـان وفى كل الأزمـان والبلـدان كمـا تقـدم . وأمـا مضرته لأصحاب الغشى والخفقان ونحو ذلك ، فتندفع بأمور منها : التعرض لريح الشمال وغير ذلك والحاصل أنه لا يضر إلا مع الجهل بـالتـدبيـر، فإذا استعمل على القـوانين بحسب المـزاج والسن والفصل والبلـد وغير ذلك ، كـان نـافعا جـدا وإنكار ذلك مكابرة (النزهة الزهية / ٦٤ـ٦٨) .

ويفـرد ابن سينا المقـالة الثـالثة من كتـابه « دفع المضـار الكلية للأبدان الإنسانية وتدارك أنواع الخطأ الواقع فى التدبير » لموضوع الحمام ومضاره وتدارك تلك المضار، وجاء فيها ما يلى :

فى مضار أن لا يكون هواء الحمام معتدلا:

تعديل هواء الحمام هو :

أما بـالجملة ، فإن يكون ليـس بشديد الحـرارة ولا ببارد، يتعذر فيه التعرق.

وأما بالتفصيل ، فإن يكون فيه أقله ثلاثة بيوت، وأن يكون البيت الأول فيه معتدلا، أعنى لا يحس فيـه بحر ولا برد، وإن يكـون البيت الثانى غيـر مكرب وإن يكـون البيت الثالث غيـر شادخ شاو ولا مانع للنفس المستقيم .

فالحمام الحـار جدا يسيل الأخلاط الجامـدة إلى أعماق الأعضاء، فيحدث :

ـ إما سودا وإما أوراما، ويصعدها إلى الدماغ فيحدث إما صداعا شديدا وإما سرساماً .

ـ وأمـا سيلان الرطوبـات إلى التجاويف الفارغـة فيحدث عنه صرع أو سكتة .

ـ إما صـرع، بأن كانت السـدة ناقصـة ، وإما سكتـة بأن كانت (السدة) تامة .

ـ وأمـا الحمام البـارد فإنه يحرك المـادة إلى التعرق حـركة ناقصة ، فيحـدث من ذلك آفات، وربما حـدث منه الجرب والحكة، وربما أحدث الزكام، وربما أحدث المغص.

تدارك، ضرر الحمام الحار:

ـ أما من المشروبـات، فبالمطفئات، مثل : رب التفاح ـ رب السفرجل ـ رب الحمـاض ـ شراب التمر الهنـدى ـ شراب النيشوق ـ شـراب الكدر ـ السكنجبين وغير ذلـك ، غير مبرد بالثلج .

ـ وأما من الأطلية : فصندل، وماء الكزبرة، والخل، على الكبد والقلب ـ وتوضع لخلخلة، من دهن الورد والخل، على الرأس، معتدلة الحر والبرد .

ـ وتتـرك الرجلان سـاعة فى ماء بـارد، ثم بعد قليل يصب منه شىء يسير على الكتفين . ثم بعد ساعة يمسح الرأس به، ثم يصب قليلا قليلا على البدن .

وينبغى أن يكون الماء البارد معتدلا، ليس بشديد البرد .

وينبغى أن لا يكون خـروج المستحم بغتة ، بعـد الحمام الحار، ثم يؤمر بالنوم على مراقد ناعمة معتدلة .

تدارك ضرر الحمام البارد:

أما تدارك الحمام البارد فإن يهيأ ماء سخين معتدل، مقدار مـا يتحملـه الطبع ، ويصب علـى الـرأس، قبل الخـروج من الحمام بسـاعة ، ويدام التـدليك والتمريخ والغمـز، والحيلة للتعـرق، ثم كما يخرج يديم صب المـاء الحار على الـرأس وحده ، ثم يتعمم بعمـامة معتدلـة فى الحر، وكبيـرة فى شدة البرد، ويخرج وينام .

فيمن أخطأ فـدخل الحمام دفعـة ، وخرج دفعـة ، هؤلاء يخاف عليهم :

(أ) فأما إن كان مزاجهم حارا:

ـ أمـا فى الدخول فأن يصيبهم انتشـار الحرارة الغريـزية، ويعقبة ضعف القلب والخفقان .

ـ وأمـا فى الخـروج فـأن يصيبهم نـوازل حـادة ، وسحج الأمعاء، وأوجاع المفاصل .

(ب) وأما من كان بارد المزاج فيخشى عليه :

ـ أما فى الدخول فالسكتة والفالج والخفقان .

ـ وأمـا فى الخروج : فـالجمود والشخـوص وسلس البول والرعشة .

علاج من دخل الحمام دفعة :

(أ) فمن هو حار المزاج :

ـ أن يتدرج فى خروجه إلى البيت الأول ـ ويرش تحت إبطه الأيسر ماء ورد بارد دفعة .

ـ وأن يؤخذ فى ثوب مبرد، ولا يمسه الماء البارد دفعة، ثم يعالج بما عولج به ا لمستضر بشدة الحر.

(ب) أما من كان بارد المزاج :

ـ فأن يعمل ذلك ، ثم يسقى شيئا من رب التفاح ، مع قليل من دواء المسك، وينوم .

علاج من خرج عنه دفعة :

ـ أما حار المزاج فأن يصب على رأسه ماء حار كثير ويكمد رأسه بخرق مسخنة وينوم .

ـ وأما بارد المزاج فأن يجلس فى بيت حار جدا، وينشق دهن الياسمين ، أو دهن السوسن، أو دهن النسرين، ويطلى الرأس بلخلخة السنبل والسعد ـ وتدلك الأعضاء ـ ويسقى متروديطوس أو ترياق الأربعة ـ ويطعم طعاما فيه ثوم ـ ويسقى من الشراب الصرف شيئا يسيرا وينوم .

فى الماء المالح فى الحمام :

ينفع من الجرب والحكة، إلا أنه يخلخل الجلد ثم يكثفه، وإذا لم يكن حكة أحدثها ، ويهزل البدن ، ويضر بالعين ، ويحدث النوازل والرمد، ويكدر الحواس .

فى الماء الشبى :

يكثف الجلد ويقبضه، وربما أحدث حمى يوم . والأبدان النحيفة ربما وقعت منه فى التشنج .

فى الماء الكبريتى والنفطى :

هذا كله يفسد مزاج جلد البدن ، ويهيئه للعفونة ، ويحدث النزلات وإذا طال فى هوائه المقام خيف منه الاستسقاء، وما يحدث عنه اليرقان .

فى الماء الحديدى :

فى الاغتسال فيه منافع كثيرة ، ولا يحدث منه كثير ضرر، فإن كان شىء فتكثيف الجلد .

فى تدارك ضرر الماء المالح :

الاغتسال بالماء البارد، والطين الطيب، ينفع منه، ثم بعده الاغتسال بالماء الحار العذب، ثم التدلك بدهن الورد الطيب الرائحة، بالرفق ، وتواتر الاغتسال بالماء العذب بعده .

فى استعمال الدلك والتمريخ والغسل فيه :

المعتدل البدن ، إذا دخل الحمام . فليقعد فى كل بيت ساعة ، ثم يصبر حتى يتندى بدنه ويكاد يعرق . فيصب الماء أولا على الكتفين وساير الأعضاء . ثم على الرأس، ثم يحلق الرأس، ثم يتغمز ويتدلك بالرفق . ويعتنى بالمفاصل . ولا يفعل فى ذلك شيئا مكربا ، إلا صاحب الربو ، لتتحلل أخلاط رئته ، أو شيئا مؤلما ، إلا صاحب الخام ليتحلل خامه فى مفاصله .

فى خطأ من أفرط فى التدلك :

من أفرط فى التدلك ، إن كان حار المزاج أو يابسه، عرض له سقوط قوة وهيجان مرار وربما كان سببا للحمى .

وإن كان ممتلئ البدن ، عرض منه حركة الأخلاط .

فى تدارك ذلك : أما القسم الأول فعلاجه التمرخ بدهن الورد، ودهن البنفسج وتناول الغذاء اللين المطفئ مثل الكشك والمج، وتناول الأشربة المطفئة، مثل السكنجبين والجلاب. ولمن أحدث ذلك فيه اعتقال الطبيعة شراب نيشوق .

فى تدارك ضرر الماء الشبى : هو الاغتسال بالماء الحار العذب بعده مرارة ، اغتسالا شديدا، ثم التدلك الشديد حتى يعرق، ثم الاغتسال بعده ، ثم التمرخ بدهن بابونج أو دهن الخيرى ، ثم النوم بعده .

فى تدارك ضرر الماء الكبريتى والنفطى : الاغتسال بالماء المعتدل البرد ثم الحار، ثم التعرق، ثم الاغتسال بالماء الفاتر، ثم التمسح بدهن ورد خام ، ثم النوم بعده .

فعل الماء البارد فى الحمام :

أما إن كان الحمام حار ففعل الماء البارد فيه مثل فعل الخروج عنه ، مغافصة وأشد. وعلاجه وأقوى (غفصه : أخذه على غرة) .

وأما إذا كان الحمام باردا أيضا ففعله فعل الهواء البارد، فإذا آذى كان علاجه ما قيل وفصل .

فعل الماء الحار فى الحمام :

هو فعل الهواء الحار الشديد فيه وأقوى، إلا أنه لقصر مدته يكون أقل تأثيرًا، ولأنه لا يرد على القلب فيكون أخف نكاية .

وعلاجة : شبيه بذلك العلاج ، مع تناول شراب التمرهندى، ولمن أحدث ذلك به إسهالا فشراب التفاح والسفرجل والحصرم .

في خطا من يصبر فيه :

يتبعه في المعتاد وجع المفاصل، والتمدد في العضلات، وربما يتبعه حمى يوم .

علاجه : الاغتسال بالماء الحار، والتدلك الرقيق بدهن بابونج ، والزيت الطري، وإن لم يسكن بذلك وجب أن يفصد على كل حال في اليوم الثاني من الحمام .

فيمن استعمل، قبل أو بعد الحمام، وحركات شاقة :

أما الحمام المعتدل فلا يضر كثير مضرة ، بمن أفرط في الحركة ، أو ازداد حركة بعد الحمام ، بل يضر الحمام إذا كان معتدلا، ولم يمكث فيه المستحم مقدار التعرق كثيرًا ، إنما إذا كان المكث فيه مقدار ما يستفاد من رطوبته ، كان نافعا لمن عرض له حركة شاقة .

ــ وإنما يتضرر بها من يطيل المكث في الحمام ، حتى يأخذ الحمام رطوبته فوق ما يعطيه . ومن وقع له هذا أدى إلى الدق، إذا اشتدت سخونة القلب، أو الاستسقاء إن تحلل الحار الغريزي وبرد مزاج الأحشاء .

تدارك ذلك : الاغتسال بالماء البارد ـ وصب الماء المفتر شتاء، والمبرد صيفا ــ وصب اللبن الحليب على الرأس ـ ودلك المفاصل بلعاب الخطمي ، مضروبا مع دهن البنفسج ــ وشرب الشراب الأبيض، مع مزاج وافر ــ وتحسي المرقة المتخذة من مدققة الطيور أو الحملان .

وإن ظهر برد في الأحشاء، وعلامته رداءة الهضم والنفخ والجشأ الحامض، فتداركه شربة من دواء الكركم ــ وتقطير دهن البنفسج في الأذن، لمن غلب عليه المرار، ودهن الخيري، لمن بردت أحشاؤه، نافع في هذه العلة .

ضرر المقام الكثير في الحمام :

يفعل فعل الحركة الشديدة ، والعلاج مثل ذلك .

ضرر الحمام على الطعام :

يوجب سددا في الكبد والعروق، لانجذاب المواد الغذائية ، الغير المنهضمة، إلى ظاهر البدن ، لسيلان الرطوبات إليه بالعرق. والسدد يتبعها الأمراض السدية ، مثل الأورام ، وامتناع الغذاء عن ظاهر البدن ، والإسهال الكائن بالأدوار، والحميات العفنية، إذ السدة أحد أسباب العفونة .

تدارك : استعمال سكنجبين بزوري ـ والاستفراغ الضعيف بايارج فيقرا ـ واستعمال الأغذية الخفيفة عدة أيام .

فيمن شرب في الحمام شيئا باردا . مثل الماء البارد والفقاع :

هذا خطر عظيم جدا . لأن الشيء البارد السيال، إذا حصل في المعدة في الحمام، وقد تفتحت المسام ، وتخلخلت المنافذ، هجم دفعة على الكبد والقلب فيبردهما تبريدًا شديدًا، وأنهك حرارتهما الغريزية، وأضعف جميع الأحشاء وهيأها للاستسقاء .

تدارك ذلك : تناول شيء يسير من الشراب الصرف بعد الحمام ــ أو شربة من دواء المسك أو دواء اللك أو دواء الكركم أو متروديطوس ـ أو تكميد الكبد والقلب بخرق حارة ـ أو تناول غذاء مبزر ـ وللكرنب خاصية في دفع هذا الضرر ـ ويفيد من البقول الراسن ـ ومن الأشربة شراب الجزر ، وشراب الافسنتين ، وشراب خنديقون .

ضرر دخول الحمام والبدن ممتلىء :

هذا أيضا خطر، لأنه يحدث منه عفونة في الأخلاط المحتبسة في البدن وحركتها وتحدث منه أورام في الأحشاء، مثل ذات الجنب، وذات الكبد، وذات الرئة . ويخاف منه آفات الدماغ وأورامه ، وأما الحميات فأقرب الأشياء إليه .

تدارك ذلك : إذا أعقب ذلك ثقلا وإعياء، أو مس قروحا وتمددا، فينبغي أن يبادر إلى الفصد ــ ويستخرج من الدم مقدارًا فإن زال بذلك وسكن وإلا استفرغ بشراب الفواكه ـ وتناول الأشربة المانعة عن العفونة . مثل رب السفرجل، ورب التفاح ، ورب الأجاص، وغير ذلك ــ ويطلى الكبد والقلب بالأطلية الموافقة، مثل ماء الكزبرة ، والخل وعنب الثعلب، مع قليل كافور وصندل.

(من مؤلفات ابن سينا الطبية / ٣٢ـ٣٩) .

ويجمل الإمام ابن الجوزي ذلك فيقول :

قد ذكرنا أنه يصلح بعد الرياضة، ومن دخله قبلها حرك فضول البدن ، وأحدث مرضا، ومن استحم بعد الأكل، ملأ الرأس فضولا، وأحدث سددا، ويتولد من إدامة ذلك الاستسقاء، ولا يصلح الحمام لضعيف القوة ، وينبغي دخوله والخروج منه بتدريج ، ولا يطيل المقام فيه ، وشرب الماء البارد فيه . والفقاع مخاطرة بالروح ، ولا يدخله من أكل هريسة أو شرب لبنا ... ومن غسل وجهه بالماء البارد بعد خروجه من الحمام ؛ بقيت طراوة وجهه (مختصر لقط المنافع / ٢٦) .

٢ ـ البلاد التى توجد بهـا الحمامات على سبيل المثال لا الحصر، وطرزها المعمارية :

انتشـرت هذه الحمـامـات وتعددت فى جميع الأمصـار. وذكر هلال الصـابى (المتوفى ٤٤٨ هـ) أن عـدد الحمامات فى بغـداد وصل فى زمـانـه إلى أكثـر من مـائة وعشـرين ألف حمام . وأورد على باشا مبارك فى خططه نقلا عن المسبحى، أن العزيز بـالله نزار هو أول من بنى الحمامات بالقـاهرة ، وأنه كـان فى مصر ألف ومـائة وسبعـون حمامـا . كما تنـاول ابن دقماق والمقـريزى عـدد الحمامـات التى كانت مـوجودة فى مصر على أيامهمـا . وتناول غيرهما موضـوع الحمامات التى كـانت موجـودة فى مصـر ، ومن بينهم أفليا جلبى التـركى زار القاهرة وذكر فى كتابه « سياحة نامة » أن عدد حماماتها وصل إلى ٥٥ حمـامـا . هذا وقـد انتشـرت الحمامـات كـذلك فى الأنـدلس، كمـا كثـرت وتعـددت بشكل كبيـر فى المغـرب العربى، وما زالت (النزهة الزهية / ٧ـ٩) .

١ ـ مصر ـ القاهرة .

وقد أحصى المقـريزى فى خططه الحمامـات التى كانت فى القاهرة فى زمانه ، وهى كما يلى :

حماما السيدة العمة .
حمام الساباط .
حمام لؤلؤ .
حمام الصنيمة .
حمام تتر.
حمام كرجى.
حمام كتيلة .
حمام ابن أبى الدم .
حمام الحصينية .
حمام الذهب .
حمام ابن قرقة .
حمام السلطان .
حمام خوند .
حمام ابن عبود .
حمام الصاحب .
حمام السلطان .
حماما طغريك .
حمام السوباشى .
حمام عجينة .
حمام درى .
حمام الرصاصى .
حمام الجيوشى .
حمام الرومى . سنقر الرومى .
حماما سويد .
حمام طغلق .
حمام ابن علكان .
حمام الصاحب .
حمام كتبغا الاسدى .
حمام ألتطمش خان .
حمام القاضى .
حمام الخراطين .
حمام الخشبية .
حمام الكويك .
حمام الجوينى .
حمام القفاصين .
حمام الصغيرة .
حمام الأعسر . سنقر الأعسر .
حمام الحسام .
حمام الصوفية .
حمام بهادر.
حمام الدود .
حمام ابن أبى الحوافر.
حمام قتال السبع .
حمام لؤلؤ .
لؤلؤ الحاجب (المواعظ والاعتبار ٢ / ٥٢٧) .

أما على بـاشا مبارك ، فيقول فى خططـه (جـ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩) فى مطلب عدد الحمامات :

ويظهـر ممـا كتبـه الفـرنسـاويـة فى خططهـم أن عـدد الحمامات التى تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على المائة ، والآن لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حماما ، فيكون مـا نقص منها منها نحو ستـة وأربعين حماما وبـالنسبة

لما بلغته المدينة من الاتساع وزيادة السكان، فهو قليل جدا، والصحة العمومية تطلب زيادتها ، فإنا لو نسبنا عدد الحمامات إلى جملة السكان ، لكان كل حمام يخص ألفين وستمائة نفس فى مبدأ القرن الثانى عشر، وفى وقتنا هذا ما يخص كل حمام سبعة آلاف نفس من تعداد البلد، وهذا كثير جدًا عما كان فى مبدأ هذا القرن، وإذا اعتبرت النسبة التى كانت حين ذاك بين عدد الحمامات والأهالى يكون اللازم نحو مائة وخمسين حماما .

وقد ذكر « المسبحى » فى تاريخه أن العزيز بالله نزار المعز لدين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة، وقال الشريف أسعد نقلا عن القاضى القضاعى إنه كان فى مصر يعنى الفسطاط ــ ألف ومائة وسبعون حماما . (أقول) : ولا يخلو ذلك من المبالغة .

وذكر ابن عبد الظاهر أن عدد الحمامات إلى آخر سنة خمس وسبعين وستمائة يقرب من ثمانين حماما .

وفى كتاب « قطف الأزهار » أن عدد الحمامات كان فى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف من الهجرة دون ذلك . والحمامات التى تكلم عليها المقريزى خمسة وأربعون حماما ، منها اثنا عشر، حدثت فى زمن الفاطميين، وستة أنشئت فى زمن الأيوبية ، وفى زمن السلاطين الجراكسة أنشئ اثنان وعشرون حماما ، فيكون مجموع ذلك أربعين حماما (أوردنا بيانها آنفا) وينتج أنه من ابتداء القرن التاسع ، إلى مبدأ القرن الثانى عشر استجد بمصر نحو ستين حماما .

وأغلب هذه الحمامات موقوف، وبإهمالها تخربت ، وتصرف فيها الملاك ، واستعوضت بمبان أخر، حتى آلت إلى العدد الذى قدمنا ذكره (الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ٢٣٨، ٢٣٩)

وقد أحصى على باشا مبارك الحمامات التى كانت بمدينة القاهرة فى زمانه فأورد منها فى الجزء الثانى (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣) ما يلى :

١ ـ حمام الأفندى بعطفة الأفندى من شارع المحكمة .
٢ ـ حمام الألفى بحارة الألفى من شارع السيوفية ... ...
٣ ـ حمام بابا بحارة حمام بابا من شارع حدرة الحناء .
٤ ـ حمام باب الوزير بشارع باب الوزير... ... ...
٥ ـ حمام بشتك المعروف الآن بحمام مصطفى
٦ ـ حمام كتخدا بشارع سويقة العزى
٧ ـ حمام البشرى بشارع البيومى
٨ ـ حمام الجبيلى بعطفة الجبيلى من شارع الكعكيين .
٩ ـ حمام الحلوجى بشارع الحلوجى
١٠ ـ حمام الخليفة بشارع الخليفة
١١ ـ حمام الدرب الأحمر بشارع الماردانى .
١٢ ـ حمام درب الحصر بشارع درب الحصر.
١٣ ـ حمام الدود بشارع السروجية .
١٤ ـ حمام السروجية بشارع السروجية .
١٥ـ حمام سعيد السعداء المعروف الآن بحمام الجمالية بشارع وكالة الصابون والجمالية .
١٦ ـ حمام السكرية بشارع السكرية
١٧ ـ حمام السلطان بشارع النحاسين ...
١٨ حمام سوق السلاح بشارع سوق السلاح .
١٩ ـ حمام السيوفى بشارع مرسينا
٢٠ ـ حمام الشعراوى بحارة الشعراوى من شارع الشعراوى .
٢١ ـ حمام الصليبة بشارع الصليبة
٢٢ ـ حمام الصنادقية بعطفة الحمام من شارع الصنادقية .
٢٣ ـ حمام العطارين بشارع العطارين .
٢٤ـ حمام العدوى بشارع الباب الأخضر.
٢٥ ـ حمام الغورى بعطفة الحمام من شارع الكعكيين .
٢٦ ـ حمام المصبغة بشارع درب لولية .
٢٧ ـ حمام المقاصيص بشارع الجوهرجية .
٢٨ ـ حمام النحاسين بشارع النحاسين .
٢٩ ـ حمام الهنود .

(الخطط التوفيقية ٢ / ٤١، ٤٢) .

ثم أورد فى الجزء الثالث ما يلى :

حمام أبى حلوة بشارع القنطرة الجديدة
حمام أمين أغا بشارع باب البحر
حمام البارودية بشارع باب الخلق
حمام البيسرى بشارع سوق السمك الجديد
حمام التلات المعروف أولا بحمام الصاحب بحارة مكسر الحطب من شارع اللبودية
الحمام الجديد بشارع باب البحر
حمام حارة اليهود الذى سماه المقريزى

حمام الكويك بشارع حارة اليهود القرايين

حمام الخراطين بشارع باب الشعرية الكبير

حمام الدرب الجديد بعطفة الحمام من شارع الدرب الجديد

حمام الذهبى بشارع البنهاوى.

حمام الرويعى ويعرف بحمام الجامع الأحمر بشارع درب رياش

حمام السبع قاعات بحارة السبع قاعات من شارع سوق السمك القديم.

حمام سنقر بشارع قنطرة سنقر

حمام الشرايبى بشارع الحمزاوى

حمام الطنبلى بشارع الطنبلى

حمام القربية بشارع القربية

حمام القزازية بدرب الأنصارى من شارع غيط العدة

حمام الكروغلى إمام بحارة عبد الباقى بيك من شارع قنطرة سنقر

حمام الكيخيا بشارع الكفاروة

حمام مرزوق بعطفة مرزوق من شارع سويقة اللالا

حمام مصطفى بيك بعطفة الحمام من شارع خليل طينة

حمام الملطيلى ويعرف أيضا بحمام الغمرى بشارع مرجوش

حمام المؤيد بحارة الحمام من شارع درب سعادة

حمام الناصرية بشارع الناصرية

(الخطط التوفيقية الجديدة ٣/ ٤٦، ٤٧).

وقد كان بالقاهرة فى القرن الثالث عشر ثمانون حماما وفى نهاية القرن الثامن عشر مائة حمام وفى عام ١٩٣٣ كان بالقاهرة سبعة وأربعين حماما فقط.

وطبقا لفهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة الصادر عام ١٩٥١ يوجد سبعة حمامات فقط - لأغلبها بقايا :

١ - حمام بشتاك

العصر المملوكى البحرى - ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م

(أثر رقم ٢٤٤)

٢ - الحمام المؤيدى

العصر المملوكى الجركسى - ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠م

(أثر رقم ٤١٠)

٣ - حمام إينال

العصر المملوكى الجركسى - ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م

(أثر رقم ٥٦٢)

٤ - حمام الملاطيلى

١١٩٤ هـ/ ١٧٨٠م

(أثر رقم ٥٩٢)

٥ - حمام السكرية

القرن الثانى عشر / القرن الثامن عشر

(أثر رقم ٥٩٦)

٦ - حمام الطمبلى

القرن الثانى عشر / القرن الثامن عشر

(أثر رقم ٥٦٤)

٧ - حمام العدوى

القرن الثالث عشر / القرن التاسع عشر

(أثر رقم ٥٦٧)

(التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٦٣، ٦٤).

ويذكر الشريف أسعد الجوانى أنه كان فى مصر الفسطاط ألف ومئة وسبعون حماما. ويذكر ابن عبد الظاهر أن عدد حمامات القاهرة حتى عام ١٣٠٠ كان يقارب الثمانين حماما ويذكر الرحاله pautx جملة حمامات يبلغ مجموعها حوالى ٤٧ حماما، وهذا فى عام ١٩٣٧م. أما الآن فى ١٩٨٤م فلا يوجد أكثر من ٢٠ حماما فى حالة سيئة تكاد تقترب من الانهيار بالرغم من احتوائها على كميات رائعة من الزخارف الرخامية والفسيفساء البديعة ... ومنها حمام بشتاك وحمام قلاوون، وحمام السلطان وحمام السكرية وحمام الملاطيلى وحمام الطمبلى وحمام العربى ... إلخ.

والمساقط الأفقية لهذه المبانى تتمتع بتصميم ممتاز وبمساحات واسعة بالرغم من واجهتها الصغيرة التى تكاد لا تلاحظ مع أنها تخفى وراءها مبنى فى غاية الروعة والفخامة.

وهذه الحمامات ما زالت مستعملة إلى الآن ولكنها فى حالة يرثى لها، وتحتاج إلى من يمد لها يد العون (« بشتاك والسور المفقود » / ٣٢).

ويصف إدوارد ويليام لين حمامات القاهرة وقت زيارته لها، التى بدأها سنة ١٨٢٥م فيقول :

« تضم القاهرة أكثر من مائة حمام تزداد أهميتها فى الشتاء، وهى مصدر متعة يسهل على الفقراء الظفر بها ، بل إن الأثرياء الذين يحوزون فى دورهم حمامات خاصة يطيب لهم هم أيضا التردد على هذه الحمامات العامة ، ففيها إلى جانب الحصول على نصيب من النظافة يتجاوز ما يتحقق فى الحمام الخاص متعة اللقاء مع كثير من المعارف والصحاب والترويح عن النفس . وما أن يدلف المرء إلى الحمام العام حتى يستقبله الخدم فى قاعة الاستقبال حيث يودع ملابسه ويعقد حول جسده بشكيرا ، ثم يقاد إلى دهليز يحتضنه ويغمره بوهج تتزايد حرارته كلما أمعن فيه حتى يصل إلى قاعة تتكثف فيها الأبخرة الساخنة المعطرة التى تنفذ إلى مسام جلده ، فيضطجع على بساط صوفى ويدنو منه صبى يدس كفه فى كيس من الصوف السميك الناعم الملمس، ينتظر قليلا حتى تكون الأبخرة قد ألانت البشرة كلها فيبدأ فى قرقعة مفاصل النزيل ثم يدلك جسده بالكيس الصوفى حتى لا يبقى بالبشرة أى أثر كان عالقا بها . ثم ينهض الرجل وقد لف جسده كله العرق الساخن، ويمضى إلى قاعة مجاورة تضم مصدرين للمياه الساخنة والباردة يغتسل فيهما بمفرده ، ويتحول بعدها إلى فناء به حوض ملىء بمياه شديدة السخونة يغطس فيها بضع لحظات، ينهض بعدها وقد لف جسده فى قميص يعود به إلى قاعة الاستقبال حيث يتناول فنجانا من القهوة يشد معه أنفاسا من الأرجيلة مسترخيا على الأريكة يقوم منها ليستقبل جسده نفثات من عطر فاغم ويأخذ فى ارتداء ثيابه المفعمة بأريج بخور أعواد شجر الصبر.

« والسائد تخصيص حمام للنساء وآخر للرجال يفصل بينها باب خاص، فإذا لم يكن هناك فى الحى غير حمام واحد خصصت بعض أوقاته للرجال والبعض الآخر للنساء، وفى هذه الحالة ينسدل على الحمام ستار معلنا أنه وقت النساء. والحمام العام للمرأة يعد مجتمعا مختلفا . ففيه تنزع الحجب التى ترتديها فى الطرقات لتحميها من عيون الرجال وفيه تستعرض أمام الأخريات ثيابها الثمينة وحليها النفيسة التى لا تملك أن تبرزها للرجال فتزهو بها هنا أمام رفيقاتها فى دل يرضى غرورها ، ويصبح اللقاء حفلا بهيجا يشبع فيه النساء ميلهن إلى الثرثرة والتهامس وتناقل الأخبار والتباهى بمقتنياتهن الجديدة . وتقدم عاملات الحمام للنساء خدمات فوق ما يلقاه الرجال كتصفيف الشعر ... والتزيين وما إلى ذلك» (مصر فى عيون الغرباء ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨) .

التصميم المعمارى للحمامات :

كانت واجهات الحمامات بدون فتحات وله باب يشابه أبواب المساجد - باب حمام بشتاك (قبل ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) ويغطى الحمام بقباب كروية بها فتحات صغيرة مغطاة بالزجاج الملون غير الشفاف . وكانت الحوائط من الحجر الجيرى ولها بالداخل سفل من الرخام . كذلك غطيت الأرضية بالرخام الملون. كما كانت حوائط الحمامات غنية بالزخارف التى نراها فى بقايا حمام السلطان المؤيد (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠م) .

وتتشابه طريقة التسخين فى هذه الحمامات بالطريقة التى استعملها الرومان فقد استخدم البخار الناتج من عملة الغليان فى التدفئة . إلا أن حمامات القاهرة لم توجد بها تدفئة بالأرضيات نظرًا لاعتدال درجة الحرارة فى الشتاء .

ويتكون المسقط من ثلاثة عناصر رئيسية . فبعد اجتياز الباب الذى أمامه عدة درجات، يصل الشخص عن طريق دهليز إلى العنصر الأول وهو المشلح [المسلخ] المغطى بقبة بها فتحات بالزجاج الملون . وهى غرفة غير مدفأة وبها فسقية بالمنتصف ومساطب من الحجر أو الرخام .

وفيها ينتظر الشخص قبل وبعد الحمام . وعادة ما يتجاذب المستحمون أطراف الحديث فيها وتقدم المشروبات والأرجيلة . كما زود الحمام بدورات للمياه . ويلحق بالمشلح غرفة لصاحب الحمام يقوم بمراقبة المبنى ويتولى توزيع الصابون والمناشف. ويلى هذه الغرفة غرفة أخرى مدفأة يفصلها عن الأولى دهليز، وبها مساطب يجلس عليها المستحم لكى يتعود على حرارة الحمام وخاصة بعد الخروج .

ويأتى بعد ذلك العنصر الثالث الرئيسى وهو بيت الحرارة ويماثله فى الحمام الرومانى الـ Caldarium والجزء الأوسط من هذه الصالة مغطى بفانوس (شخشيخة) . وبوسط الغرفة حوض مكسى بالرخام به ماء ساخن يحيط به أماكن للتدليك . وتغطى أرضية الصالة بالرخام والموزايك الرخام . ويلحق ببيت الحرارة خلوات بها مغاطس مملوءة بالماء الساخن ولا يوجد بالحمام العربى ما عرف عند الرومان بالحجرات ذات المياه الباردة والتى كانت تستعمل بعد الحمام الساخن .

أما بيت النار فهو عبارة عن فرن عليه قدور من النحاس مملوءة بالماء ويندفع الماء الساخن والهواء الساخن إلى

أماكن الاستحمام خلال مواسير من الرصاص . أما الدخان الناتج عن عملية الحريق فيسحب إلى الخارج . ويجلب الماء اللازم للحمام من بئر بجواره يرفع عن طريق ساقية (التراث الإسلامى المعمارى فى مصر / ٦٢ ، ٦٣) .

أما عن التصميم المعمارى للحمام الإسلامى فى بلاد الشام فقد ظل طرازا واحدا لم يتغير إلا فى التفاصيل والزخارف، فقد كان الحمام يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية غرفة لخلع الملابس تكبر وتصغر حسب الحاجة ، إذا كان الحمام خاصا أو عاما . ويلى مكان خلع الملابس غرفتان متصلتان ببعضهما ، الأولى دافئة والثانية حارة يتوسطها فسقية تخرج منها صنابير المياه الحارة . وكان سقف الحمام عادة مغطى بأقباء متقاطعة أو قباب ضحلة أما غرفة المياه الساخنة فتغطى عادة بقبة مرتفعة .

ومن أقدم الأمثلة للحمامات الإسلامية التى ما تزال باقية - كما سبق القول - قصير عمرا، الذى يرجع إلى العصر الأموى، وكذا حمام الصرح وهما حمامان للاستراحات الصحراوية التى كان يستخدمها الخلفاء والأمراء فى رياضة الصيد فى بادية الشام (نورد كلاً منهما فى موضعة إن شاء الله تعالى) وقد ورد وصف الكثير من الحمامات التى ترجع إلى العصر المملوكى فى الوثائق والوقفيات، مثل حمام الكرك المحروس الذى جاء وصف عمارته ومساحته وأقسامه المختلفة فى وثيقة السلطان شعبان : يشتمل الحمام على مسلخ بأربع قناطر حجارة ، وعليه قبة معقودة بالطوب الآجر، وبه إيوانان شرقى وغربى، وبهما مقصورتان معقودتان بالحجر والطين ، وفى وسطه فسقية برسم الماء البارد، وباب يتطرق منه إلى بيت السخن فى دهليز، وعن يمين الدهليز بيت البارد ويشتمل على قبة وحوض كبير ويتطرق من الدهليز المذكور إلى بيت وسطانى يشتمل على قبة وحوض فيه من جهة القبلة ويشتمل على قبة وحوضين ويتطرق منه إلى صدر مثمن يشتمل على قبة كبيرة مضلعة وبه مقصورتان قبلية وشمالية تشتمل كل واحدة منها على قبة وحوضين، وفى حائطه من جهة الشرق خزانة برسم الماء الساخن موضوع بها قدرتان نحاسيتان برسم تسخين الماء إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة . والحمام مبلط بحجر، وللحمام مستوقد، وهو قبة معقودة بالطين والحجر » (وثيقة السلطان شعبان رقم ٤٩ محكمة) عن عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار (الوثائق والعمائر فى العالم العربى / ٣٦ فى الحاشية ٤) (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٥٧ ، ١٥٨) .

٢ - دمشق :

كانت حمامات دمشق من المنشآت ذات النفع العام يرتادها أبناء دمشق والغرباء عنها على حد سواء .

وكان بعضها آنئذ محبوسا لجهة وقف (ذُرى أو خيرى) . وحسبنا هنا أن نستعرض مثالا على ذلك حمام فتحى أفندى القلانسى فى محلة الميدان بالشارع السلطانى الذى كان يستحم المرء فيه دون مقابل ويأكل قرصين من الصفيحة (الصفيحة هى أكلة دمشقية مكونة من رقيق العجين فوقه اللحم المفروم وقليل من اللبن ودبس الرمان والبصل المفروم والصنوبر والكزبرة الناعمة والعصفر والملح والفلفل يخبز ويؤكل . ثم انظر : سجل المحكمة الكبرى بدمشق رقم ٢٥٠/ ص٣٢) ثم حمام ساقة الذى كان متوليا عليه سنة ١٢١٠ هـ/ ١٧٩٥م الشيخ عبد الرحمن المرادى . وكانت دخولها تصرف فى وجوه مختلفة بحسب حجة واقفها ، فبعضها كان يذهب للصرف على المدارس أو المنشآت الدينية والبعض الآخر لمتولى أوقافها أو للقيمين على إدارتها وتشغيلها، وكذلك لترميمها بين الحين والآخر . ولم تكن على درجة واحدة من حيث فخامتها ورقيها وتجهيزها ، لهذا كانت ترتاد من فئات الشعب المختلفة، كما أنشىء العديد منها فى قصور أغنياء دمشق وأفراد الهيئة الحاكمة، ولم تكن حمامات دمشق داخل سورها فحسب بل أنشىء بعضها فى الأرياض المحيطة وفى قرى الغوطة .

ولقد ارتبط عدد الحمامات فى دمشق بعدد سكانها وتوسعها العمرانى لهذا ترى أن عدد تلك الحمامات قد تناقص مع الزمان بدءا من القرن الثامن وحتى الحادى عشر للهجرة ثم بدأ بعد ذلك يتزايد عما كان عليه فى القرن الحادى عشر. فالحسن بن أحمد الأربلى المتوفى ٧٤٦هـ يذكر أن مجموع حمامات دمشق داخل سورها كان / ٧٧ / حمامًا أما الحمامات التى تقع خارجها فمجملها / ٣٤ / حمامًا أما ابن كنان المتوفى ١٠٩٣ هـ فيذكر أن عدد حمامات دمشق فى عهده فكان / ٢١ / حمامًا بما فيها الحمامات التى تقع خارج الأسوار.

أما ما كان منها ضمن الأسوار فهى :

حمام النايب فى محلة باب توما باطن دمشق ثم حمام

منجك بمحلة القباقبية ثم حمام عيسى القاري ثم حمام بني أسامة بدخلة بني الصايغ ثم حمام لصيق البيمارستان النوري بالقرب من المدرسة الشامية من ناحية القبلة ثم حمام الأمير علي في محلة سوق القطن بزقاق المدرسة الخضيرية ثم حمام المسك في محلة طالع القبة أو حمام السلسلة .

ولقد أنشئت بعض الحمامات في هذه الفترة خارج الأسوار واستخدام ما كان منها قائما وسعي لترميم ما كان معطلا .

ثم حمام الناصري بالشاغور الجواني ثم حمام الخراب شرقي خان إسماعيل باشا العظم ثم حمام القيشاني بالقرب من سوق البريد ثم حمام الركاب بمحلة الشاغور الجواني ثم حمام سامي وحمام القاعة بمحلة القباقبية ثم حمام العتيق بمحلة الملك الظاهر ثم حمام البابين ويستقي ماءه من نهر بانياس ويقع في حي القيمرية ثم حمام الملكة وحمام السراجي وحمام الحاجب .

أما الحمامات التي كانت موجودة خارج أسوار دمشق في الأرياض المحيطة بها فهي : حمام الفواخير في صالحية دمشق ثم حمام القاشاني في سوق الجركسية من الصالحية ثم حمام القناطر في محلة القنوات ثم الحمام الجديد في محلة القنوات بزقاق التعديل ثم حمام الورد بسويقة ساروجة ثم حمام السنانية ثم حمام المحتسب بالدخلة النافذة بالقرب من خان لالا مصطفى باشا ثم حمام الزين بالسويقة المحروقة بدخلة المقدم ثم حمام القرماني بمحلة القلعة ظاهر دمشق ثم حمام التيروزي في محلة قبر السيدة عاتكة ثم حمام الحدادين في محلة الدرويشية ثم حمام الجديد بمحلة القماحين من الميدان وحمام فتحي القلانسي ثم حمام الحاجب بباب السريجة ثم حمام الخانجي ثم حمام السلسلة ثم حمام الجوزة في سويقة ساروجة وحمام أمونة بمحلة العمارة بالقرب من جبانة أبي الدحداح ثم حمام السكاكري .

ولا شك أنه قد غاب عنا بعض أسماء الحمامات التي كانت في دمشق كما أننا نلاحظ تزايد ما كان منها خارج الأسوار في هذه الفترة نظرا لتزايد الأحياء السكنية .

ومن جهة أخرى فقد اختلف نمط بناء كل حمام من حيث الزخرفة والمواد المستخدمة وطريقة بنائه والمساحة التي بني عليها إلا أن غالبها، تألف من ثلاث دوائر أساسية هي : البراني ـ والوسطاني ـ والجواني ، والبعض القليل منها كان مكونا من دائرتين : البراني والجواني . وأجمع السواح على تفضيل حمامات دمشق عن غيرها لما فيها من الإتقان ونظام الهندسة وغزارة المياه واتقان الخدمة والإكرام والاعتناء وبخس الأجرة للمغتسل وكان يدخل إلى الدائرة الخارجية منه (البراني) من باب الشارع أو الحارة . وعلى جانبي المدخل توجد غرفتان صغيرتان تليهما مصطبتان أو أكثر مرتفعتان عن أرضية البراني بمقدار يصعد إليهما بدرج خاص فيخلع عليها المغتسلون ثيابهم ويقدم لهم ما يلزم من البشاكير والمناشف وما شاكل ذلك .

حيث يوجد خزانات في جدار المصاطب، فيها عدد من البقج وكل بقجة فيها كسوتان مكونتان من منشفتين ، الأولى يلف الجسم فيها بين الصرة والأسفل، والثانية للف الجزء العلوي، من الجسم وهناك بشكير للرأس وكان الأغنياء من المغتسلين ، يضعون كسوة فوق البشاكير من الحرير .

أما النساء فكن يجلبن بقجاتهن من بيوتهن . وكانت مصاطب الحمام مكسوة بالسجاد والبسط . وفي داخلها نوفرة ماء تطوقها من جهاتها الثلاث مصاطب صغيرة أو مقاعد لجلوس المستحمين عليها . وفي وسط المصاطب الكبيرة توجد بركة ماء كبيرة بها فسقية ونافورة وغالبا ما تكون مزينة بتماثيل من الأسود الحجرية التي تخرج من أفواهها المياه لتصب في البركة . كما في حمام نور الدين الزنكي في البزورية .

ويزود الحمام بالقباقيب العديدة التي تستخدم من قبل المغتسلين وعمال الحمام وبه المرايا التي تعلق على الجدران . ولتأمين الإضاءة للحمام نهارا توجد به شبابيك علوية محكمة القفل من الزجاج .

ويرى من البراني أوجاف القهوة لإعدادها وتقديمها للزبائن . ولا يسمح بالتدخين إلا لمعلم الحمام .

أما الدائرة الثانية فتتكون من الوسطاني والجواني . وهي خاصة بالاستحمام ، بها منافع (دورات مياه) يوجد في كل منها أجران، وهذه الأجران من الرخام أو الحجارة تنصب فيها المياه من فتحتي أنبوبين، الأول حار والثاني بارد تتحكم فيها قطعتان من الخشب أما جدار البناء وأرضيته فغالبا من الرخام والسقف من حجارة العقد أو على شكل قباب بها فتحات توضع عليها قطع زجاجية للإضاءة ويطلق على هذه القطع اسم القماري .

هذان القسمان لا يوجد فيهما شبابيك ألبتة وذلك للحفاظ على حرارة الحمام الداخلية . وتستمد هذه الحمامات المياه

من الطوالع القريبة التى تتزود بدورها من الطالع الرئيسى وينتقل الماء بأنابيب فخارية إلى مرجل نارى وإلى صنابير المياه الباردة ودورات المياه والنوفرات فى داخل برك الماء ونسوق مثالا على ذلك (حمام نور الدين الشهيد) الذى كان يزود بالمياه من طالع البزورية ثم حمام العفيف وحمام المقدم وحمام الحاجب لكل واحد منها طالع ماء يزوده طالع رئيسى يأتيه الماء بدوره من نهر يزيد . أما حمام الورد والجورة فمن نهر تورا وحمام الملك الظاهر من نهر بانياس وحمام الملكة والقاضى والسروجى من نهر بانياس والقنوات وحمام فتحى وغيره من نهر الديرانى .

ويجمع معظم المؤرخين الذين أرخوا للحمامات فى دمشق على أن معظم حماماتها وأكثرها اتساعا ونظافة فى تلك الفترة من الزمن كان حمام الخياطين وحمام القيشانى وحمام الملكة وحمام النوفرة الذى يقع بالقرب من باب الجامع الأموى الشرقى ، وحمام المسك الذى يقع فى حارة النصارى من دمشق . وحمام الخراب وحمام الناصرى فى الشاغور وحمام البكرى وحمام القيمرية وحمام الشيخ فى باب توما . ثم حمام نور الدين الشهيد فى البزورية .

ولقد توارث العمل فى هذه الحمامات أفراد أسر معينة من دمشق حيث كان الوالد يعلّم ابنه الحرفة ، وهكذا ... وكان لهذه الحرفة شيخها شأنها شأن بقية الحِرف فى دمشق .

أما الطاقم الذى كان يعمل فى داخل الحمام فكان على الشكل التالى :

ـ المعلم وهو صاحب الحمام أو مستأجره الذى يقوم بتشغيل الحمام وتوزيع العمل على بقية عماله .

ـ والناطور : ويتعاطى كسوة الزبائن فى القسم الخارجى .

ـ والمصوبن : ومهمته تغسيل الزبائن بالصابون والليفة والدلك بالكيس الخاص بالحمام لإخراج الوسخ لمن أراد ثم القهوجى ويسقى القهوة للزبائن فى الحمام ، ثم :

ـ الأجير : ويكون واحدا أو أكثر ومهمته أخذ النعال وتقديمها لأصحابها .

ـ القميمى : ومهمته إيقاد النار فى الإقميم والإشراف عليه والحصول على الوقود والزبل ونشره ليجف كما يخرج الرماد من تحت الإقميم .

ـ الزّبال : ومهمته جلب روث الجمال والحمير والبقر فى الشليف على ظهر حمار من أماكن عدة كالخانات وغيرها ويعطيها للأقميمى ، ثم :

ـ التبع : وهو عامل أيضا يقدم للزبائن المناشف إذا كانوا من متوسطى الحال أو من الفقراء كما يعمل النورة المعروفة بالدواء .

وتطالعنا سجلات محاكم دمشق بالعديد من أدوات ومحتويات الحمامات مثل : محارم بغدادية ـ ومحارم مكاوية ـ ومأدبيات ـ وبقجات يمنية ـ وبسط وسجادات مختلفة الأحجام وحرامات محشوة خرق ومخدات محشوة خرق أيضا وسجادات كبيرة وثريات وصناديق كبيرة وقباقيب وأراكيل ودولات نحاس ومناصب وملاقط وقشط وكاسات ومجالف وأباطين وغيرها .

أما الصابون المستخدم فى الحمامات فكان من أنواع مختلفة منها البلدى والمغشوش والنابلسى والجعفرى والنوعان الأخيران جيدان واستخدام الفلاحون الفقراء نبات الشنان فى الحمام من أجل تنعيم الشعر والبدن وجلى الأوساخ عن أجسادهم .

وكان من الطبيعى ألا يسمح باستخدام الحمام بشكل مختلط بين الجنسين (الذكور والإناث) وحتى طاقم تشغيله كان يتبدل بحسب جنس الزبائن . فكان الحمام يفتح لاستقبال الذكور من الفجر إلى الظهر على حين يخصص من الظهر إلى المساء لاستقبال الإناث فيبدل طاقم تشغيله بالعنصر النسائى وكانت بعض الحمامات لا تستقبل سوى الرجال خاصة ما كان منها فى الأسواق والشوارع .

أما طاقم تشغيل الحمام النسائى فهو متألف من :

ـ المعلمة : وهى التى تقوم باستقبال الزبونات وتقبض منهن الأجرة وتكون فى حلة جميلة وزينتها كاملة ثم :

ـ الأسطة : وهى التى تقوم بتغسيل البدن والرأس للزبونة ومهمتها كما نرى مهمة المصوبن لدى الرجال ، ثم .

ـ البلاّنة : وهى التى تقوم بتدليك البدن بالكيس وتقوم بصبغ الأبيض الشايب من الشعر وتقوم أحيانا بحمل البقج للنساء الموسرات من بيوتهن إلى الحمام وبالعكس ثم :

ـ زقاقة البارد : وهى التى تأتى بالماء البارد وتضيفه إلى الماء الساخن حتى يصبح محتملا . ثم :

ـ الناطورة : ومهمتها حراسة ثياب النساء وتأتى بمناشفهن وتلف أبدانهن (مجتمع مدينة دمشق ١ / ١٢٢ ـ ١٢٩) .

٣ـ حلب :

أحصى ابن شداد عدد الحمامات الموجودة فى الدور بحلب قرابة مائتى حمام منها خمسون ملحقة فى القرن السابع الهجرى، فقال إنه يوجد بالدور والبساتين . كما عدد حمامات دمشق فى القرن السابع فوجد أنها تبلغ مائة واثنتين وعشرين حماما . وهذا العدد الضخم من الحمامات إنما يدل على تقدم حضارى يتجلى فى النظافة واتباع التعاليم الصحية (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٥٧) .

أما عن الحمامات فى حلب كما أحصاها ابن شداد فنكتفى هنا بذكر مواقعها وعدد الحمامات فى كل موقع و نحيلك إلى المصدر لتستكمل معلوماتك :

ما بباطن حلب من الحمامات : عددها ٦٩ .

حمامات الدور : عددها ٣١ .

الحمامات التى بظاهر حلب :

الحمامات التى بالحاضر : عددها ٢٨ .

الحمامات التى بالمقام : عددها ١١ .

الحمامات التى بالياروقية : عددها ٣ .

الحمامات التى فى خارج باب أنطاكية : عددها ٦ .

الحمامات التى بالحلبة : عددها ٤ .

الحمامات التى بالبساتين : ٢٤ .

الحمامات التى بخارج بابن الجنان : عددها ٧ .

الحمامات التى بالرمادة : عددها ١٠ .

وبدار فخر الدين الوالى حمام .

ثم يقول ابن شداد : وهذه الحمامات التى ذكرتها ، بحسب ما وصل إليه علمى ، وفارقت عليه بلدى، فى سنة سبع وخمسين وستمائة، وهى على هذه الكثرة كانت لا تكفى لمن بحلب . ولقد بلغنى أنها فى العصر الذى وضعت فيه هذا الكتاب دون العشرة . « إن فى ذلك لعبرة لمن يتفكر أو يخشى» ونص الآية : ﴿ إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ [النازعات : ٢٦] وتذكرة يتحقق بها القدرة على الفناء بعد الإنشاء (الأعلاق الخطيرة جـ ١ ق ١/ ٣١٣ـ٣٢٤) .

٤ ـ الأندلس :

أما عن الحمامات فى الأندلس فيصفها الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم على النحو التالى فيقول :

كثر بناء الحمامات فى المدن والقرى الأندلسية ، بحيث يمكننا القول بأن دور الحمام فى الأهمية المعمارية يأتى مباشرة بعد المسجد الجامع . وكانت للحمام أهمية عظمى فى الحياة الاجتماعية الأندلسية ، إذ كانت عادة الاستحمام من العادات المتأصلة بعمق فى الإسلام . والواقع أن الحمام هو المكان الذى يستشعر فيه المرء بهجة الحياة ، لأن الاستحمام يولد فى النفس إحساسا بالراحة ، ويحدث فيها شعورا بانتعاش بدنى وروحى .

وكان من أسباب تعلق أهل الأندلس بالاستحمام ـ بالإضافة إلى الشعور النفسى الذى يحدثه بخار الماء الساخن، وما يتبعه من تدليك ــ أن الحمام كان مركزا للاجتماعات المرحة ...

ثم إن النساء يجدن فى الذهاب إليه فرصة للتسرية عنهن وتغيير الجو ، والتمتع بحرية نسبية ... وكان الأمر كذلك بالنسبة للرجل حين يتجرد من ثيابه، ولا يضع على بدنه غير مئزر رقيق . وكثيرا ما كان شعراء الأندلس يذكرون الحمام فى أشعارهم ... من ذلك قول أحد الشعراء فى وصف حمام :

ومنزل أقوام إذا ما تقابلوا
تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربى إذ ينفس كربه
ويعظم أنسى إذ يقل أنيسه

وكثيرا ما قصده الشعراء الأندلسيون ، وتطارحوا فيه الشعر.

وكان للحمام ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ غرض دينى ، إذ أنه يطهر جسد المرء تطهيرا تاما . ولعل ذلك هو السبب الذى من أجله يغسل المسلمون جثث أمواتهم قبل مواراتها التراب، لأن جسم الإنسان معرض دائما لكل ما يفسد الطهارة . والماء يطهر الجسم ، ويزيل ما علق به . وفى ذلك يقول الشاعر الشهاب بن فضل الله :

وحمامكم كعبة للوفود
نحج إليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه
كتاب الطهارة ... باب المياه

وكانت الحمامات لهذا السبب تكثر بالقرب من المساجد

حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر قبل الدخول إلى المسجد للصلاة. وتدل الوثائق الخاصة بتوزيع دور أشبيلية على الفاتحين الأسبان، بعد استردادهم للمدينة، على أن حماما إسلاميا كان يقع بالقرب من سقايات المسجد الجامع. وما زلنا نرى اليوم آثار حمام بجوار المسجد الجامع بإشبيلية، قبالة مئذنته ولصق القصر الأسقفي.

وفي قرطبة تبقى حمامات بجوار المسجد الجامع: أحدهما في شارع يعرف بلاس كوميدياس، والآخر في شارع الحمام. ويتألف الحمام الأول من قاعة وسطى، بها عقود مفرطحة ومتجاورة تحملها عشرة أعمدة، وكانت تعلو هذه العقود قبوة لم يبق لها اليوم وجود بعد أن تحولت هذه القاعة إلى بهو.

ويذكر هرناندو البياسي، في القرن السادس عشر، أن بغرناطة حماما كان يقع بجوار المسجد الجامع الذى تحول إلى كاتدرائية غرناطة.

وكثرت الحمامات في المدن الأندلسية لدرجة أن عددها أصبح متقاربا مع عدد مساجدها. ويذكر ابن حيان أن عدد حمامات قرطبة بلغ أيام المنصور ابن أبي عامر تسعمائة حمام، وقيل سبعمائة. ويذكر بن عذارى المراكشي أن حمامات النساء وصلت إلى ثلثمائة حمام.

ولم تكن عادة الاستحمام في الأندلس استمرارا لما كان متبعا في أسبانيا قبل الفتح الإسلامي، فقد حمل الفاتحون معهم تقاليدهم، وغرسوها في أسبانيا. وانتشرت عادة الاستحمام في أسبانيا المسيحية بتأثير من أسبانيا الإسلامية. إلا أن عادة الاستحمام تلاشت من أسبانيا المسيحية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر في عصر الإمبراطور شارلكان والملك فيليب الثاني. وساعد على ذلك تعصب الكنيسة ضد هذه العادة الإسلامية وعداؤها الشديد لها. وانقرضت في طليطلة منذ عهد ألفونسو الحكيم، واقتصرت عند أهل طليطلة على المناسبات الهامة عندهم، فكانت الفتاة لا تستحم إلا يوم زفافها. وذكر فراى أرناندو دى طلبيرة، أسقف غرناطة، أن الملكة إيزابيلا الكاثوليكية اعترفت أمامه بأنها كانت لا تغسل قدميها إلا مرة واحدة في الشهر.

وكان دير يوستى، الذى اعتزل فيه الإمبراطور شارلكان، خاليا من الحمامات. وعندما جردت مخلفاته في هذا الدير عثر على أربع قطع من النسيج الهولندى، كان يستخدمها الإمبراطور العظيم لتجفيف قدميه عند غسلهما.

وكان الحمام الأندلسي يتألف عادة من مدخل يؤدى إلى ثلاث قاعات أو أربع رئيسية مقباة، تضاف إليها ملحقات الحمام من الموقد والمرحاض إلى آخره. وكانت هذه القاعات تتصل فيما بينها عن طريق فتحات أو أبواب، وكانت تتخذ جميعها شكلا مستطيلا، أو مربعا بخلاف الحمامات المصرية في العصر الإسلامي، إذ كانت تدور حول غرفة مركزية.

ويؤدى مدخل الحمام إلى أسطوان أو ردهة صغيره في شكل مرفق، يليه حجرة ضيقة مستطيلة تعلوها قبوة نصف أسطوانية بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين. ويفصل هاتين الخلوتين عن بقية القاعة عقدان يستندان فيما بينهما على عمود مركزى. وتعرف هذه القاعة باسم « البيت البارد » وكان المستحمون يخلعون فيها ثيابهم عند دخول الحمام، ويلبسونها عند خروجهم منه. وفي أركان الخلوتين مقاعد يستريح عليها المستحمون.

وفي بعض الحمامات المترفة كانت تسبق البيت البارد غرفة تعرف « ببيت المستراح »، يستريح فيها المستحمون قبل خروجهم من الحمام ومقابلتهم الهواء الخارجي. ويلى البيت البارد قاعة تعرف بالبيت الوسطانى، وهى أكثر اتساعا من القاعة السابقة، وتعد أهم أجزاء الحمام. ويتوسط هذه القاعة فراغ مركزى مربع تعلوه قبة، ويحيط به أربعة ممرات مقبية، تحملها عقود قائمة على أعمدة. وجميع هذه القبوات الجانبية، والقبة الوسطى، تتخللها فتحات نجمية الشكل تغلق بقطع زجاجية تسمى « مضاوى » لإدخال الضوء.

ويتبع هذه القاعة قاعة أخيرة تعرف « بالبيت الساخن » وهى غرفة ضيقة مستطيلة تشبه الغرفة الأولى، ولها نفس نظامها. وفي منتهى الغرفة موقد كبير يسمى بالقدر أو البرمة أو الفرنش وتخرج من القدر أنابيب الماء الساخن والبارد، وتدخل في الجدران لتصب في أحواض الخلوات.

ويلاحظ أن درجة الحرارة ترتفع في الحمام بالتدريج من البيت البارد إلى البيت الساخن، فإذا انتهى المستحم من

حمامه تعرض بالتدريج لهواء أقل حرارة من الهواء الداخلى الساخن حتى يصل إلى البيت البارد فيستريح فيه قليلا قبل أن يغادر الحمام .

وكانت أرضية الحمام تكسى عادة بالفسيفساء أو بلوحات الرخام ، وجدرانه تزين بلوحات الزليج ، أو تحلى بالرسوم الجميلة ...

وكان يعمل بالحمامات قومة ، منهم الحكاك والحجام، وكان لا يسمح لهم بالتجول داخل الحمام إلا بسراويل نظيفة بيضاء . وكان السقاءون يحملون الماء على ظهورهم من السقايات إلى الحمامات . وقد تصل المياه رأسا إلى الحمامات من قنوات فى جوف الأرض، تتفرع منها أنابيب إلى المبانى المختلفة كما حدث فى أشبيلية فى عهد أبى يعقوب يوسف (١١٧٢) .

ولقد تبقى فى أسبانيا عدد كبير من الحمامات الإسلامية ـ فى أشبيلية وبلنسية وميورقة وغرناطة وقرطبة وسرقسطة ومرسية وطليطلة وبسطة ـ ويرجع سبب بقاء كثير منها فى حالة جيدة إلى ضخامة جدرانها وصلابتها وإلى قدرة قبواتها على تحمل بخار الماء، ثم إلى وظيفتها النفعية ، وعدم وجود أية علاقة بينها وبين عمارة المساجد التى عمد الأسبان إلى محوها من أسبانيا . ولذلك فإن الحمامات هى أقل المنشآت الإسلامية تعرضا للتخريب والتدمير الذى لم تسلم منه بقية الآثار الأخرى .

حمامات طليطلة :

تبقى منها حمامان ، وقد أصبح هذان الحمامان اليوم مصارف للقاذورات ومخازن ، الأمر الذى أدى إلى سد فتحاتهما وتشويههما . وأحدهما يقع قريبا من البوثو أمارجو (البئر المرة) بطليطلة ، وكان يعرف فى القرن الثالث عشر باسم حمام يعيش، ويتألف من ثلاثة أروقة متوازية ، طول الواحد منها عشرة أمتار، تعلوها قبوات نصف أسطوانية . ويقع الحمام الثانى ـ وكان يعرف بحمام زيد ـ فى الحى القديم لليهود، ويتصل أسطوان المدخل فيه برواقين متوازيين فى حجم مماثل لأروقة الحمام السابق، تعلوهما قبوتان أسطوانيتان مزودتان بالمضاوى التقليدية .

حمام غرناطة :

أقامه باديس الصنهاجى، وكان يعرف فى العصر الإسلامى بحمام الجوز. وقد وصل إلينا هذا الحمام فى حالة جيدة للغاية . وباب الحمام يؤدى إلى بيت المستراح الذى تخلع فيه الثياب، وهو قاعة تعلوها قبوة نصف أسطوانية تتخللها مضاو مثمنة نجمية الشكل . ويتلو هذه القاعة البيت البارد، وهو قاعة طويلة فى نهايتها مخدعان يتقدمهما عقدان على شكل حدوة الفرس تحملها أعمدة ، ويلى هذه القاعة البيت الوسطانى ، وتحيط به ثلاثة ممرات ، فى كل ممر ثلاثة عقود على شكل حدوة الفرس قائمة على عمد، وتلتقى بهذه العقود عقود أخرى عمودية على جدران القاعة أقل من نصف دائرية . ويعلو الجزء الأوسط من القاعة قبوة مفرطحة . ويتبع هذه القاعة قاعة البيت الساخن التى تشبه القاعة الأولى . وينتهى الحمام بموقد وبعض الملحقات .

وجدران الحمام مبنية من ملاط شديد الصلابة ، أما العقود فمن الآجر.

حمام بلنسية :

هو أكمل هذه الحمامات جميعا ، ويسمى اليوم حمام الميرانتى ولقد تهدمت منه ردهة المدخل، وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطانى، وتعلو الفراغ المركزى بهذا البيت قبة مثمنة تقوم على جوفات مقوسة، وحول هذا الفراغ أربعة ممرات تطل على وسط القاعة بعقود على شكل حدوة الفرس، قائمة على عمد من الرخام الوردى بتيجانها الملساء، وتعلو هذه الممرات قبوات نصف أسطوانية تتخللها ، وتتخلل القبه الوسطى مضاو نجمية الشكل (« العمارة المدنية بالأندلس » / ١٣٩ـ١٤٣) .

ويفرد الإمام المناوى بابا فى كتابه « النزهة الزهية » لمتطلبات الحمام من حيث الهيئة والشكل والكيفية فارجع إليه إن شئت (ص ٥٧ ـ ٦٣) .

كما يسوق الإمام المناوى فى كتابه هذا نماذج مما قيل فى الحمام من شعر نتقى منها ما يلى :

قال ابن رشيق : (من الطويل)

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم
طلاب نعيم ، قد رضيت ببوسى
ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة
فأبكى ولا يدرى بذاك جليسى

ولما رأى بعضهم نفسه ممتدا بين يدى الدلاك، أنشد : (من المتقارب)

أأغتر إن مد فى العمر لى
وأرجو المتاب إلى قابل
وأغفل والموت لى طالب
حثيث كذئب الغضا القاتل
كأنى به فى غد هكذا
تحكم فيه يد الغاسل

ودخل أعرابى البصرة، فنزل على ابن عم له . فلما رأى البصرى شعث الأعرابى أراد أن ينظفه، فقال له فى يوم الجمعة : الناس يتطهرون فى هذا اليوم ويتنظفون ويلبسون أفخر الملابس يوم عيد . فتعال أدخلك الحمام لتنظف من قشف البادية وتتطهر للصلاة . فدخل معه الحمام ، فعندما وطئ الأعرابى أول بيت منه زلق، ووقع على وجهه وشج ، فرجع مرعوبا وأنشد : (من الطويل) .

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة
فأبت من الحمام غير مطهر
تزودت منه شجة فوق حاجبى
بغير جهاز بئس ما كان متجرى
تقول لى الأعراب لما رأيتنى
به لا تطأ تصرع كصرعة أعفر
وما تعرف الأعراب مشيا بأرضها
فكيف ببيت ذى رخام ومرمر

وقال محمد بن سكرة :

دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت إلى دارى حافيا وأنشدت : (من الوافر) .

إليك أذم حمام ابن موسى
وإن فاق المنى طيبا وعطرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى
ليحفى من يطيف به ويعرى
فلم أفقد به ثوبا ولكن
دخلت محمدا وخرجت بشرا

يريد بشر الحافى ، وكان من كبار الزهاد ولزم المشى حافيا فلقب به (النزهة الزهية / ٥٧ـ٦٣، ٩٤، ٩٦، ١٠١، ١٠٢) .

قالت المؤلفة : أوردنا له ترجمة تحت عنوان « بشر الحافى » فى م ٧ / ١٣٠، ١٣١ فانظرها فى موضعها إن شئت .

وكما درج عليه الثعالبى فى « اللطائف والظرائف » يسوق ما قيل فى مدح الشيء ثم ما قيل فى ذمه ، ومن ذلك ما جاء فى مدح الحمام :

قال بعض السلف : نعم البيت بيت الحمام ، ينقى الأقذار، ويذكر النار. وذكر الحمام عند الفضل الرقاشى فقال: نعم البيت بيت الحمام ، يذهب القشافة، ويعقب النظافة، ويجشىء التخمة ، ويطيب البشرة. وقلت فى المبهج : الحمام صيقل الأجسام ، ونظام النظافة ودافع آفة القشافة. ولم يمدح الحمام كما مدحه السرى الرفاء (ت٣٦٦هـ) حيث قال :

بيت بنته حكماء الورى
فهو إلى الحكمة منسوب
مجاور النار ولكنه
يجاور النار به الطيب
حر هو الروح لأجسامنا
والحر للأجسام تعذيب

ولبعضهم : وقد دعا صديقا إلى الحمام وأظنه للسرى الرفاء أيضا :

أسعيد هل لك فى زيارة منزل
تثنى عليه جوارح الزوار
بيت ترى الجدران فيه منابعا
وترى السماء كثيرة الأقمار

ولأبى طالب المأمونى رحمه الله :

أحق بيت من بيوت الورى
بصونه قدما وإيثاره
بيت إذا ما زاره زائر
وقد قضى أعظم أوطاره

وهـو إذا مـا جـاء مستنظفـا
مـروءة الإنسـان فـى داره
يـدخلـه المـولى بخـز كمـا
يـدخلـه العبـد بأطمـاره

قالت المؤلفة : يعبر هذا البيت الأخير عن ديمقراطية نظام الحمامات العامة فى الإسلام ، إذ يدخل الحمام السيد يرتدى لباسًا من حرير، كما يدخله العبد يرتدى الثوب الخلق البالى .

أما ما جاء فى ذم الحمام فأبلغ ما قيل فى ذمه قول ابن المعتز :

مـا نلت بـالحمـام حـرا ولا
يصلح فيـه غيـر تبـريـد مـاء
وجـدت بـالصيف بـه رعـدة
فكيف أرجـو عـرقـا فى الشتـاء

ولبعضهم :

وحمـام دخلنـاه لأمـر
حكى سقـرا وفيـه المجـرمـونـا
فيصطـرخـوا يقـولـوا أخـرجـونـا
فإن عـدنـا فإنـا ظـالمـونـا

قالت المؤلفة : لاحظ الاقتباس فى هذا البيت الأخير، فلفظ « فيصطـرخـوا » مقتبس من قـولـه تعـالى : ﴿ وهم يصطرخون فيها ... ﴾ [فـاطر : ٣٧] ، وبقية البيت مقتبس من قوله تعالى : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] وقد بسطنا القول فيه فى مادة « الاقتباس » فى م ٥ / ٤٧٥ ـ ٤٨٠ فانظرها فى موضعها إن شئت .

وللصنوبرى :

حمـامنـا ليس فيـه مـاء
وبـرده مـا لـه انقضـاء
مـا ينفـع القطن فيـه شيئـا
ولا اللبـابيـد والفـراء
تـرعـد فى الصيف فيـه بـردا
فصيف حمـامنـا شتـاء

فلـم نـرده لـدفـع داء
هـل يـدفـع الـداء وهـو داء

(اللطائف والظرائف / ٨٣ ـ ٨٦) .

وعن أحكام الحمام جاء ما يلى فى تيسير الوصول .

١ ـ عن عائشة رضى الله عنها : « أن رسول الله ﷺ : نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت : ثم رخص للرجال أن يدخلوه فى المآزر » .

٢ ـ وفى رواية : « أن عـائشة دخل عليهـا نسوة من نسـاء أهل الشام فقـالت : لعلكن من الكـورة التى يدخلن نسـاؤها الحمامات ؟ قلن : نعم . قـالت : أما أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب » أخرجه أبو داود والترمذى .

الكورة : اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة كالشام والعراق وفلسطين ونحو ذلك :

٣ ـ وعن ابن عمـرو بـن العـاص رضـى الله عنهمـا « أن رسـول الله ﷺ قال : ستفتح لكم أرض العجم ، وستجـدون فيها بيوتا يقـال لها الحمامات فلا يدخلهـا الرجال إلا بالأزر، وامنعوا منها النساء إلا مريضة أو نفساء » أخرجه أبو داود .

٤ ـ وعن جابر رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فلا يـدخل الحمام بغير إزار» ومن كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلتـه الحمام من غير عذر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » أخرجه الترمذى والنسائى (تيسير الوصول ٣ / ١٠١ ، ١٠٢) .

وقد ورد هذا الحديث الأخير فى الترغيب والترهيب بلفظ :

٥٨ ـ عن جـابر بن عبـد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : من كـان يؤمن بالله واليـوم الآخر فلا يـدخل الحمام إلا بمئـزر، ومن كان يـؤمن بالله واليـوم الآخر فـلا يُدخل الحمـام النساء . رواه النسـائى والترمذى وحسنه والحـاكم وصححه . [١٤٢/١، ١] .

(الترغيب والترهيب / ١٩) .

٢ ـ ذلك كـان عن الحمامـات العـامـة . أما حمـامـات البيوت : فيقول عنها الدكتور ثروت عكاشة :

على الرغم من أن بعض الأثريين يذهب إلى أن نظام المياه الجارية داخل البيوت لم يكن متوفرا حتى فى منازل الأثرياء، وأن السكان كانوا يتوجهون للاستحمام فى الحمامات العامة ، إلا أنه قد ثبت من الحفائر الحديثة بطلان هذا الرأى . يقينا كانت هناك الحمامات العامة وكانت تلعب دورا هاما فى الحياة الاجتماعية ، غير أن ذلك لم يحل دون وجود حمامات خاصة فى المنازل تستخدم فيها الغلايات لتسخين المياه والبخار لتدفئة جو الحمام . وكانت البيوت فى العادة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية : أولها جناح المعيشة العائلية . وثانيها جناح استقبال الرجال . وثالثها قسم الخدمة ويشمل المطابخ والمخازن وبئر المياه إلى غير ذلك (انظر «البيوت الإسلامية » فى م ٨ / ٢٧١ ـ ٢٨٦) .

ويستفاد من النص الذى أورده ابن دقماق أنه كانت بالدور حمامات خاصة ذكر أحد عشر حماما منها ، وقد أيدت حفائر الفسطاط على يد على بهجت وجود حمام بإحدى الدور، كما أسفرت حفائر هيئة الآثار فى المنطقة نفسها سنة ١٩٧٢ عن وجود حمام ملحق بأحد المنازل .

وكانت قنوات المياه الفخارية تتكون من أنابيب أسطوانية مختلفة المقاييس تلتصق إحداها بالأخرى بواسطة ملاط من الجير القصرمل (وهو الرماد المتخلف فى مواقد الحمامات)، وكان يتخلل الأنابيب المستقيمة التى تشكل القنوات الفخارية وصلات على شكل زاوية أو حرف T للتحويل أو التفريغ .

وقد تمخضت حفائر هيئة الآثار عن وجود شبكة كبيرة لمياه الشرب تم حتى الآن كشف خمسمائة متر منها متجهة نحو جامع عمرو بن العاص، ومعنى ذلك أنها كانت تأتى من النيل الذى لم يكن بعيدا عن الجامع عند إنشائه . كذلك كشف فى الأعوام الأخيرة عن شبكة أخرى لمياه الشرب كانت تأتى من عين الصيرة، كما اشتملت المنازل على قنوات لمياه الشرب وأخرى للصرف. وقد عثر بالفسطاط على شبكة ضخمة لصرف المياه تمثل نوعين مختلفين أحدهما مجرى منحوتة فى الصخر ومغطاة بقوالب صغيرة والثانية قنوات من الفخار .

وكان بحمامات القصور وبعض الدور مياه ساخنة وأخرى باردة مثلما كانت عليه الحال فى الحمامات العامة ... كما كان ببعضها أنابيب للتدفئة، ومن أمثلة ذلك ما وجد فى سراى المسافرخانة عند إصلاحها بمناسبة احتفالات ألفية القاهرة ، وما لا يزال موجودا بقصر الحمراء فى غرناطة بالأندلس .

وقد ثبت وجود حمامات بمنازل رشيد ومنزل زينب خاتون والسحيمى والمسافرخانة وقاعة عثمان كتخدا ومنزل السنارى، ونظرا لأن قصر بشتاك لم يبق منه سوى القاعة الكبيرة فلم يعثر به على حمام ، وليس من المستبعد أنه كان يضم حماما يتناسب مع عظمة القصر . (القيم الجمالية / ٩٥ ، ٩٨) .

(انظر مادة « بشتاك (قصر ـ) » فى م ٧ / ١٢١ ـ ١٢٨) .

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢١ ، ولسان العرب لابن منظور ٢ / ١٠٠٨ ، ومدخل إلى الآثار الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢١٠ ، ٢١١ ، والفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ١٢٤ ، والتراث الإسلامى المعمارى فى مصر ـ د. صالح لمعى مصطفى دار النهضة العربية . بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م / ٦٢ ، ٦٣ وموسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحيم غالب / ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، والنزهة الزهية فى أحكام الحمام الطبية والشرعية للشيخ عبد الرءوف المناوى ـ حققه وقدم له د. عبد الحميد صالح حمدان / ٧ ـ ٩ ، ٦٤ ـ ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ١ ق ١ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ومن مؤلفات ابن سينا الطبية ـ دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا / ٣٢ ـ ٣٩ ، ومختصر لقط المنافع للإمام ابن الجوزى / ٢٦ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٥٢٧ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢/ ٤١ ، ٤٢ و ٣/ ٤٦ ، ٤٧ ، و« بشتاك والسور المفقود » ـ المهندسة سهير صالح . مجلة عالم البناء العدد التاسع والأربعون ١٤٠٤ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٤ م / ٣٢ ، ومصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء ـ د. ثروت عكاشة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، ٢ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٥٧ ، ١٥٨ ، ومجتمع مدينة دمشق ـ د. يوسف جميل نعيسة ١ / ١٢٢ ـ ١٢٩ ، والأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبارة جـ ١ ق ١ / ٣١٣ ـ ٣٢٤ ، و «العمارة المدنية بالأندلس » د. عبد العزيز سالم . كتاب الشعب ٦٤ ، دائرة

معـارف الشعب ، مطـابع الشعب ١٩٥٩ / ١٣٩ ـ ١٤٣ ، واللطـائف والظرائف لأبى منصـور الثعالبى / ٨٣ ـ ٨٦ ، وتيسيـر الوصـول إلى جامع الأصـول لـلإمـام ابن الـديبع الشيبـانى ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، والتـرغيب والتـرهيب ، انتقـاء شهاب الـدين أحمـد بن على بن حجـر العسقـلانى ـ تصحيح وضبـط محمد المجـدوب / ١٩ ، والقيم الجماليـة فى العمـارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٩٥ ، ٩٨) .

*** الحمامات (علم .) :**

انظر : الحمامات .

*** حماة :**

حماة : من أشهر مدن سورية وأقدم مدن العالم ، لا تزال محتفظـة باسمهـا القديم . كـانت تدعى « ابيفـانا » فى أيـام انطيوخس أبيفاس ، أسسها أحد أولاد كنعان ، موقعها فى وادى العاصى ، كـانت تدعى مفتـاح شمالى فلسطين لأنهـا كانت متوسطة بين الفرات وفينيقية . بلـغ عدد سكانها عام ١٩٨١ ، ١٧٦,٦٤٠ نسمة .

قال عنها ياقوت :

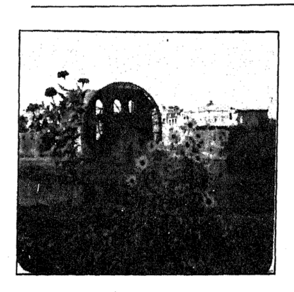
حمـاة : بالفتح ، بلفظ حمـاة المرأة ، وهى أم زوجهـا لا لغة فيـه غير هذه . وكل شىء من قبل الـزوج نحو الأب والأخ فهم الأحماء ، واحدهم حما . وفيه أربع لغات :

حما مثل قفـا ، وحمو مثل أبو ، وحمء ، سـاكنة الميم بعدها همزء ، وحم ، بغير همزة .

وحماة أيضا : عصبة الساق .

وحمـاة مـدينـة كبيرة عظيمـة كثيـرة الخيـرات ، رخيصـة الأسعـار ، واسعة الـرقعـة ، حفلـة الأسواق ، يحيـط بها سـور محكم ، وبظاهـر السور حـاضر كبير جـدا ، فيه أسـواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى ، عليه عدة نواعيـر تستقى الماء من العاصى فتسقى بسـاتينها وتصب إلى بركة جامعها ، ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لأنه منحط عن المـدينة ، ويسمـون المسـور السوق الأعلى ، وفى طـرف المـدينة قلعـة عظيمة عجيبـة فى حصنها وإتقـان عمارتهـا ، وحفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثر للملك المنصور محمد بن تقى الـدين عمر بن شـاهنشاه بن أيـوب ، وهى مدينـة قديمـة جاهلية ؛ ذكرها امرؤ القيس فى شعره .

إلا أنها لم تكن قديما مثل ما هى اليوم من العظم بسلطان مفرد ، بل كانت من عمل حمص ، قال أحمد بن الطيب فيما



نزا عير حماة

ذكره من البقاع التى شاهدها فى مسيره من بغداد مع المعتضد إلى الطواحين فقال بعد ذكره حمص :

وحمـاة قريـة عليها سـور حجـارة ، وفيها بنـاء بالحجـارة واسع . والعـاصى يجـرى أمـامهـا ويسقى بسـاتينهـا ويـدير نواعيرها . وكان قـوله هذا فى سنة ٢٧١ فسماهـا قرية ، وقال المنجمون : طول حماة اثنتان وستـون درجة وثلثان ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلثـان وربع ، وقال أحمد بن يحيى بن جابر : ولما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ فى سنة ١٧ خلف بها عبـادة بن الصامت ومضى نحـو حماة فتلقـاه أهلها مـذعنين فصـالحهم على الجـزيـة فـى رؤوسهم والخـراج على أرضهـم ومضى إلى شيزر . فكان حالها حال حماة ، وقال عبد الرحمن ابن المستخف يهجـو الملك المنصور محمد بن تقـى الدين صاحب حماة :

مـا كـان يصلح أن يكـون محمـد
بسـوى حمـاة . لقلـة فـى دينـه
قـد أشبهت منـه الصفـات : فهـرهـا
من جنسـه ، وقـرونهـا كقـرونـه

قرون حماة : قلتـان متقابلتان ، جبل يشرف عليهـا ونهرها العاصى ، وبين كل واحد من حمـاة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبـه يوم ، وبينها وبين شيزر نصف يـوم وبينها وبين

دمشق خمسة أيـام للقوافل ، وبينها وبين حلب أربعـة أيام ، وقد نسب إليها جماعة من العلماء منهم :

قاضى القضاة ببغداد أبو بكـر محمد بن المظفر بن بكران ابن عبد الصمد بن سلمان الحموى المعروف بالشامى ، وكان من صالحى القضاة ، تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وكـان لا يخاف فى الله لـومة لائم ، روى عن أبى القـاسم بن بشران وأبى طالب بن غيلان وغيرهما ، وروى عنه عبد الواحد ابـن المبارك وغيره ، ومولـده بحماة سنة ٤٠٠ ، ومات ببغداد فى شعبان سنة ٤٨٨ (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٧٢ - ٣٧٥ ومعجم البلدان ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١) .

وتعتبـر حماة مـن المدن الـداخليـة بسوريـا التى لا تـزال تحتفظ بمسجد هام يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجرى ، وهو جـامع أبى الفـداء المعروف باسـم جامع « الـدهشة » أو جـامع « الحبات » (هـو الملك المـؤيد إسمـاعيل أبو الفـدا صاحب حماه ، وصاحب كتاب « تقـويم البلدان » توفى سنة ٧٣٢ هـ) . ولا يزال الجـامع يحتفظ بـالكثير من فسيفسـائه الـذهبيـة والمتعـددة الألوان . كمـا لا يـزال يحتفظ بلـوحتـه التأسيسيـة التى جاء فيهـا : أمـر بعمل هـذا الجامع المبـارك السلطـان المؤيـد عمـاد الـدنيا والـدين إسمـاعيل بن الملك الأفضل نـور الدين بن الملك المظفـر تقى الدين محمـود بن الملك المنصـور ناصر الـدين محمد بن الملك المظفـر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٤٠) .

وقد ذكرها ابن جبير فى رحلته فقـال : مدينة حماة حماها الله تعالى :

مدينة شهيرة فى البلدان قديمة الصحبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء أقطارها مضمومـة وديارها مركومة لا يهش البصر إليهـا عند الإطـلال عليها كأنهـا تكن بهجتهـا وتخفيهـا فتجد حسنها كامنا فيها حتى إذا جست خلالها ونقرت ظلالها أبصرت بشـرقيها نهرا كبيـرا تتسع فى تدفقـه أساليبه ، وتتنـاظر بشطيه دواليبـه ، قد انتظمت طـرتيه بستـانين تنهدل أغصـانها عليـه وتلوح خضـرتها عـذارا ، فصفحتيه ينسـرب فى ظلالهـا وينساب على سمت اعتدالها وبأحـد شطيه المتصل بربضهـا مطـاهر منتظمـة بيوتـا عـدة يخترق المـاء أحد دواليبـه جميع نـواحيها فـلا يجد المغتسل أثـر أذى فيهـا وعلى شطه الثـانى المتصل بالمـدينة أسفل جامـع صغير قد فتح جـداره الشرقى عليه طيقانا تجتلى منها منظرا ترتاح النفس إليه ، وتقيد الأبصار لديه وبإزاء ممـر النهر بجوفى المدينة قلعـة حلبية الوضع وإن كانت دونها فى الحصـانة والمنع ، سرب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها فهى لا تخاف الصدى، ولا تتهيب مرام العدى .

وموضع هذه المدينة فى وهدة من الأرض عريضة مستطيلة كأنهـا خندق عميق ، يـرتفع لهـا جانبـان أحـدهما كـالجبل المطل ، والمدينة العليـا متصلة بصفح ذلك الجانب الجبلى والقلعة فى الجانب الآخـر فى ربوة منقطعة كبيرة مستـديرة قد تولى تحتها الزمان ، وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينـة السفلى تحت القلعة متصلة بالجـانب الذى يصب النهر عليـه وكلتا المـدينتين صغيرتان ، وسـور المدينـة العليا يمتـد على رأس جانبهـا العلى الجبلى ويطيف بهـا وللمدينـة السفلى سور يحدق بها من ثلاثـة جوانب لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتـاج إلى صور وعلى النهر جسر كبيـر معقود بضم الحجارة يتصل من المـدينة السفلى إلى ربضها وربضهـا كبير فيه الخانات والديار وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجته إلى أن يفرغ الدخول المدينة .

وأسواق المـدينة العليـا أحفل وأجمل من أسواق المـدينة السفلى هى الجامعة لجميع الصناعات والتجارات وموضوعها حسن التنظيم بـديع التـرتيب والتقسيم ولهـا جـامع أكبـر من الجامع الأسفل ولهـا ثلاث مدارس ومارستـان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير وبخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجرات الأعنـاب وفيه المزارع والمحارث وفى منظره انشراح للنفس وانفسـاح . والبساتين متصلة على شطى النهر وهو يسمى العاصى لأن ظاهره انحدار من سفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حمص وبمقـربـة منهـا فكـان مقـامنـا بحمـاة إلى عشى يـوم السبت المذكور ثم رحلنا منها وأسرينـا الليل كله وأجزنا فى نصفه هذا النهر العـاصى المذكـور على جسـر كبير معقود مـن الحجارة وعليه مدينة (رستن) التى خـربها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وآثـارها عظيمـة ويذكر الـروم القسطنطينيون أن بهـا أموالا جمة مكنـوزة والله أعلم بذلك فـوصلنا إلى مـدينة حمص مع

شروق الشمس من يوم الأحد الموفى عشرين لربيع (الأول) وهو أول يوليه فنزلنا بظاهرها بخان السبيل اهـ . (رحلة ابن جبير / ١٩٧، ١٩٨) .

أما الرحالة ابن بطوطة الذى زار حماة بعد زيارته لحمص فقد قال عنها : ثم سافرت منها (أى من مدينة حمص) إلى مدينة حماة ، إحدى أمهات الشام الرفيعة ، ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق، والجمال الفائق ، تحف بها البساتين والجنات ، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصى . ولها ربض سمى بالمنصورية أعظم من المدينة ، فيه الأسواق الحافلة ، والحمامات الحسان وبحماة الفواكه الكثيرة، ومنها المشمس اللوزى، إذا كسرت نواته وجدت فى داخلها لوزة حلوة . قال ابن جزى : وفى هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحال ، نور الدين أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى العمارى الغرناطى ، نسبة لعمار بن ياسر رضى الله عنه :

حمى الله من شطى حماة مناظرا
وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل
وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلومونني أن أعصى الصون والنهى
وأنى أطيع الكأس واللهو والقصفا
وأشدو لدى تلك النواعر شدوها
وأغلبها رقصا وأشبهها غرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها
تهيم بمرآها وتسألها العطفا

ولبعضهم فى نواعيرها ذاهبا مذهب التورية :

وناعورة رقت لعظم خطيئتى
وقد عاينت قصدى من المنزل القاصى
بكت رحمة لى ثم باحت بشجوها
وحسبك أن الخشب تبكى على العاصى

ولبعض المتأخرين فيها أيضا، من التورية :

يا سادة سكنوا حماة وحقكم
ما حلت عن تقوى وعن إخلاص
والطرف بعدكم إذا ذكر اللقا
يجرى المدامع طائعا كالعاصى

(مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٥٤) .

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ، السفر الثالث ، القسم الأول / ٣٧٢، ومعجم البلدان ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١، ورحلة ابن جبير / ١٩٧، ١٩٨ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٥٤) .

*** الحمد :**

يبدأ المصنفون مؤلفاتهم عادة بالبسملة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ثم يثنون بالحمدلة ﴿ الحمد لله ... ﴾ وذلك اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بقوله ﷺ : « إن الله عز وجل يحب أن يحمد » وأخرج الديلمى مرفوعا : « إن الله يحمد الحمد يُحمد به ليثيب حامده، وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا » (كفاية الأتقياء / ٦) وعن الترغيب فى حمد الله تعالى بعد الأكل جاء عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل طعاما ثم قال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة . غفر له ما تقدم من ذنبه » (الترغيب والترهيب / ٢٤٨) .

وأفضل المحامد أن يقول : الحمد لله حمدا يوافى نعمه ، ويكافئ مزيده، لما ورد أن الله لما أهبط آدم إلى الأرض قال : يا رب علمنى المكاسب ، وعلمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد ، فأوحى الله تعالى إليه أن قل ثلاثا عند كل صباح ومساء : « الحمد لله حمدا يوفى نعمه، ويكافىء مزيده » ولهذا لو حلف إنسان ليحمدن الله بمجامع المحامد فليقل هذا . قال بعض العارفين : الحمد لله ثمانية أحرف كأبواب الجنة فمن قالها عن صفاء القلب استحق أن يدخل الجنة من أيها شاء فيخير بينها إكراما ولا يختار إلا ما سبق فى علمه تعالى أن يدخل منه (كفاية الأتقياء / ٦) .

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حمد » :

حمد : الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر ، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ، ومما يقال منه وفيه بالتسخير فقد يمدح

الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون فى الثانى دون الأول والشكر لا يقال إلا فى مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا ، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا .

ويقال فلان محمود إذا حمد ، ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة ، ومحمد إذا وجد محمودا ، وقوله عز وجل : ﴿إنه حميد مجيد﴾ [هود : ٧٣] يصح أن يكون فى معنى المحمود وأن يكون فى معنى الحامد . وحماداك أن تفعل كذا أى غايتك المحمودة ، وقوله عز وجل : ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ [الصف : ٦] فأحمد إشارة إلى النبى ﷺ باسمه وفعله تنبيها أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود فى أخلاقه وأحواله ، وخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى ﷺ تنبيها أنه أحمد منه ومن الذين قبله ، وقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله ﴾ [الفتح : ٢٩] فمحمد ههنا وإن كان من وجه اسما له علما ، ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما مضى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ﴾ [مريم : ٧] أنه على معنى الحياة كما بين فى بابه (المفردات ١٣١) .

ويبسط صاحب كشاف اصطلاحات الفنون الكلام على الحمد : تعريفه وأحكامه فيقول :

الحمد بالفتح وسكون الميم فى اللغة هو الوصف بالجميل على الجميل الاختيارى على قصد التعظيم ونقيضه الذم وهذا أولى مما قيل هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل لأن الحمد لا يتحقق إلا بعد أمور ثلاثة الوصف بالجميل وهو المحمود به ، وكونه على الجميل الاختيارى أعنى المحمود عليه ، وكونه على قصد التعظيم . والتعريف الأول مشتمل على جميع هذه الأمور بخلاف التعريف الثانى فإنه لا يشتمل المحمود عليه إن جعل الباء صلة للوصف كما هو الظاهر أو المحمود به إن جعل الباء للسببية .

فإن قيل إذا وصف المنعم بالشجاعة ونحوها لأجل إنعامه كانت الشجاعة محمودا بها والإنعام محمودا عليه ، وأما إذا وصف الشجاع بالشجاعة لشجاعته لم يكن هناك محمود عليه مع أن هذا الوصف حمد قطعا ، قلت تلك الشجاعة من حيث إنها كان الوصف بها كانت محمودا بها ، ومن حيث قيامها بمحلها كانت محمودا عليها فهما متغايران هنا بالاعتبار ولذا يقال وصفته بالشجاعة لكونه شجاعا .

ثم الوصف يتبادر منه ذكر ما يدل على صفة الكمال فيكون قولا مخصوصا فصار مورد الحمد اللسان وحده ولما لم يقيد الوصف بكونه فى مقابلة النعمة ظهر أن الحمد قد يكون واقعا بإزاء النعمة وقد لا يكون وبقيد الجميل المحمود به يخرج الوصف على الجميل بما ليس بجميل وبقيد الجميل المحمود عليه يخرج الوصف على غير الجميل .

وفى قيد الاختيارى إشارة إلى أن الحمد أخص من المدح والبعض اعتبر قيد الاختيارى فى جميع المحمود به وهو غير مشهور فإنه يعم الاختيارى وغيره على الأظهر وعلى هذا قيل الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى من إنعام أو غيره والمدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقا يقال منحت اللؤلؤ على صفائها ولا يقال حمدتها على ذلك فالحمد يختص بالفاعل المختار دون المدح فإنه يقع على الحى وغيره وبالجملة فالممدوح عليه كالممدوح به لا يجب أن يكون اختياريا بخلاف المحمود عليه فإنه يجب كونه اختياريا .

ومنهم من منع صحة المدح على ما ليس اختياريا وجعل مثال اللؤلؤ مصنوعا وتوضيحه ما ذكره السيد السند فى حاشية إيساغوجى من أن من يقول بكون الجميل الاختيارى مأخوذا فى الحمد إنما يقول بكونه مأخوذا فيه بحسب العقل ولا فرق فيه بين الحمد والمدح صرح به صاحب الكشاف حيث قال وكل ذى لب إذا رجع إلى بصيرته لا يخفى عليه أن الإنسان لا يمدح بغير فعله وقد نفى الله تعالى على الذين أنزل فيهم ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ [آل عمران : ١٨٨] ثم سأل كيف ذلك وأن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجه وأجاب بأن الذى يسوغ ذلك أن حسن المنظر يشعر عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ثم نقل عن علماء البيان تخطية المادح على غير الاختيارى وجعله غلطا وهو مخالف للمعقول، وقصر المدح على الجميل الاختيارى وهذا صريح فى أن أخذ الاختيارى فى الحمد إنما هو بحسب العقل وإنه لا فرق فيه بين الحمد والمدح انتهى .

وأيضا صريح فى أن الحمد والمدح مترادفان وهذا هو الأشهر كما قيل وقيل ترادفهما باعتبار عدم اختصاصهما بالاختيارى فالحمد أيضا غير مختص بالاختيارى كالمدح واختاره السيد السند فى حاشية إيساغوجي واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ [الإسراء : ٧٩] بالحديث المأثور : وابعثه المقام المحمود الذى وعدته قال والحمل على الوصف المجازى وصفا له بوصف صاحبه كالكتاب الكريم والأسلوب الحكيم صرف عن الظاهر ثم معنى الجميل الاختيارى هو الصادر بالاختيار كما هو المشهور أو الصادر عن المختار وإن لم يكن مختارا فيه كما قال به بعض المتأخرين فعلى القول الثانى لانقض بصفات الله تعالى لأن صفاته تعالى صادرة عن المختار وهو ذاته تعالى أى مستندة إليه وإن لم تكن صادرة عنه بالاختيار وكذا على القول الأول بأن يراد بالاختيارى أعم من أن يكون اختياريا حقيقة أو بمنزلة الاختيارى والصفات المذكورة بمنزلة الأفعال الاختيارية لاستقلال الذات فيها وعدم احتياجه فيها إلى أمر خارج كما هو شأن الأفعال الاختيارية .

وفيه أن ذات الواجب تعالى يحتاج فى بعض الأفعال الاختيارية إلى خارج كأرزاق زيد مثلا فإنه يحتاج فيه إلى وجود زيد فالأولى أن يقال المراد بالاختيار المعنى الأعم المشترك بين القادر والموجب وهو كون الفاعل بحيث إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، فإنه متفق عليه بين المتكلمين والحكماء فى الواجب وغيره لا كونه بحيث يصح منه الفعل والترك لأنه مقابل للإيجاب هكذا يستفاد مما ذكر صاحب الأطول وأبو الفتح فى حاشية الحاشية الجلالية .

وبالقيد الأخير خرج الاستهزاء والسخرية إذ لا بد فى الحمد أن يكون ذلك الوصف على قصد التعظيم بأن لا يكون هناك قرينة صارفة عن ذلك القصد لأنه إذا عرى عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه أفعال الجوارح ونحوها لم يكن حمدا حقيقة بل كان من السخرية والاستهزاء لا يقال فقد اعتبر فى الحمد فعل الجنان والأركان أيضا لأنا نقول أن كل واحد منهما شرط لكون فعل اللسان حمدا لا ركن منه .

وفى أسرار الفاتحة المدح يكون قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعده وأيضا قد يكون منهيا كما قال عليه السلام « أحثوا التراب على وجوه المداحين » والحمد مأمور به مطلقا قال ﷺ من لم يحمد الناس لم يحمد الله انتهى . ولا يخفى ما فيه من المخالفة لما سبق عن عموم الحمد النعم الواصلة إلى الحامد وغيرها . ثم اعلم أن القول المخصوص الذى يحمدون به إنما يريدون به إنشاء الحمد وإيجاد الوصف لا الإخبار به فهو إنشاء لا خبر وليس ذلك القول حمدا بخصوصه بل لأنه دال على صفة الكمال ومظهر لها أى لها مدخل تام فى ذلك ومن ثم أى من أجل أن لدلالته على صفة الكمال وإظهاره لها مدخلا تاما فى كونه حمدا عبر بعض المحققين من الصوفية عن إظهار الصفات الكمالية بالحمد تعبيرا عن اللازم بالملزوم مجازا حيث قال حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل وهذا أقوى لأن الأفعال التى هى آثار السخاوة تدل عليها دلالة قطعية بخلاف دلالة الأقوال فإنها وضعية قد يتخلف عنها مدلولها ومن هذا القبيل حمد الله وثناؤه على ذاته وذلك أنه تعالى حين بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليه موائد كرمه التى لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله وأظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور فى العبارات مثل ذلك ومن ثمة قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » والإحصاء يمكن أن يكون بمعنى العلم أو العد على سبيل الاستقصاء وعلى كلا التقديرين الضمير المرفوع أعنى أنت مبتدأ والكاف زائدة وكلمة ما موصولة أو موصوفة واختيارها على كلمة من يأباها وأثنيت على نفسك صلتها أو صفتها كما فى قول على رضى الله عنه وكرم الله وجهه * **أنا الذى سمتنى أمى حيدرة** * وهذه الجملة خبر للمبتدأ والمجموع تعليل لعدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم ثناء عليه تعالى لأنه إذا أثنى على نفسه كان ثناء غير متناه فلا يعلم ولا يعد بل لا مناسبة لشئ من العلم والعد المذكورين إلا لله تعالى أو بمعنى القدرة والجملة استئنافية كأنه قيل من ثنى حق الثناء وتمامه ويكون كلمة أنت تأكيدا للضمير المجرور فى عليك وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية والمعنى أنه لا أقدر على ثناء عليك مثل الثناء الذى أثنيت به بحذف العائد إلى الموصول أو الموصوف أو مثل ثنائك بجعل ما مصدرية . ومقصوده عليه السلام من هذا

الكلام إظهار العجز عن مثل ثناء الله تعالى على ذاته وسلب المماثلة بين ثنائه قولا أو فعلا وبين ثنائه تعالى على ذاته .

اعلم أن الحمد فى العرف هو الشكر فى اللغة وهو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما قال بعض الصوفية لسان الحمد ثلاث : اللسان الإنسانى واللسان الروحانى واللسان الربانى .

أما اللسان الإنسانى فهو للعوام وشكره به التحدث لإنعام الله وإكرامه مع تصديق القلب بأداء الشكر .

وأما اللسان الروحانى فهو للخواص وهو ذكر القلب لطائف اصطناع الحق فى تربية الأحوال وتزكية الأفعال .

وأما اللسان الربانى فهو للعارفين وهو حركة السر لقصد شكر الحق جل جلاله بعد إدراكه لطائف المعارف وغرائب الكواشف بنعت المشاهدة والغيبة فى القربة واجتناء ثمرة الإنس وخوض الروح فى نحو القدس وذوق الأسرار بمباشرة الأنوار .

(كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٢٨٨ـ ٢٩٠) .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى ابن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ٦ ، والترغيب والترهيب ، انتقاء شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى ـ صححه وضبطه محمد المجدوب / ٢٤٨ ، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٣١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠) .

* **أبو الحمد أحمد موسى (ــــ هـ / ١٩١١ـ١٩٨٦ م) :**

من أعلام الأزهر الشريف . ترجم له الأستاذ على أحمد عبد المجيد فقال :

كان رجلا من رجال العلم والدين ، من رجال الأزهر العاملين عاش طول عمره بعيدا عن دائرة الأضواء، بعيدا عن وسائل الإعلام ؛ لم تكن له فى الصحف والمجلات مقالات كان يعمل فى صمت ، ولم يسع إلى منصب يجذبه سلطانه ، وينهنه منه ضياؤه، كان قانعا ، بما فيه راضيا بما أوتيه فضل الدرس والمحاضرة ، وآثر أن يبقى بين مريديه من طلاب العلم والمعرفة ينهلون من علمه وينتهجون منهجه عملا بقول رسول الله ﷺ : « سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره : من علم علما ، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له » .

ولد فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ أبو الحمد أحمد موسى ـ رحمه الله ـ فى قرية الخلافية (نجع الجبالى)، مركز جرجا ـ محافظة سوهاج فى ١٦/ ١١/ ١٩١١ وحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه وهو طفل صغير، ثم التحق بمعهد « جرجا » الدينى فمعهد، أسيوط بجامعة الأزهر ، وواصل تعليمه حتى نال شهادة العالمية (الدكتوراه) مع تخصص المادة سنة ١٩٤٧ عن رسالة : « عوارض الأهلية المكتسبة وأثرها فى الأحكام » ثم عين مدرسا بمعهد « سوهاج » ثم معهد « جرجا » ثم « كلية » الشريعة والقانون « بجامعة الأزهر » ثم أستاذاً مساعدا فأستاذا لمادة « الفقه المقارن » ثم رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات الإسلامية ـ جامعة الأزهر .

كان ـ رحمه الله ـ خير سفير لبلاده لأكثر من عشرين عاما فى الجامعات العربية ، أستاذا « بجامعة » الإمام محمد بن سعود بالرياض سنتى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ . ثم أستاذا « بجامعة دمشق » سنة ١٩٦٠ ثم أستاذا « بكلية الشريعة بعمان » ـ الأردن من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ ، وتخرج على يديه أول دفعة من هذه الكلية ، وأخيرا أستاذا « بجامعة الملك عبد العزيز » بمكة المكرمة من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٨٠ ، وحتى بعد بلوغه سن التقاعد سنة ١٩٧٦ ظل يعطى بلا كلل،



ويحاضر بلا ملل، كان صدى عمله يشيع الثناء عليه ، ورنين الثناء عليه نغم يشدنا إليه ، فهو موضع تقدير دائم ، أينما حل يذكر به غزير علمه ودماثة خلقه ؛ وإشراقة وجهه؛ وطرافة حديثه، وبرغم حله وترحاله، وكثافة عمله نجد له أكثر من مؤلف يدل جميعه على اهتمامه بطلابه وغرس علوم الدين الحنيف فيهم ومن هذه المؤلفات :

١ ـ « النظم الإسلامية » كتابان سنة ١٩٦٢ .

٢ ـ كتاب « الفقه الإسلامى » بالاشتراك مع الدكتور عبد الله محمد عبد النبى سنة ١٩٦٤ .

٣ ـ محاضرات فى الأحوال الشخصية : (الطلاق الوصية، الوقف ، الميراث ، الفقه المقارن) سنة ١٩٦٦ .

٤ ـ « أحكام الأحوال الشخصية » ١٩٧٠ .

٥ ـ شارك فى كتاب « الفقه الإسلامى » (تنظيم الأسرة) سنة ١٩٧١ .

٦ ـ شارك أيضا فى تأليف كتاب (الفقه الإسلامى) « نظام الإسلام فى العلاقات الدولية » سنة ١٩٧٢ .

٧ ـ كتاب « الجرائم والعقوبات فى الشريعة الإسلامة » بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمود العكازى والدكتور منصور أبو المعاطى سنة ١٩٧٥ .

٨ ـ محاضرات (فى مصطلح الحديث)، تاريخ تطور تدوين الحديث، التعريف بأهم الرواه من الصحابة، شرح العديد من أحاديث صحيح البخارى .

٩ ـ تفسير سور « ق » و « البقرة » و « التوبة » .

١٠ ـ « مقدمة فى الفقه الإسلامى » سنة ١٩٦٦ .

وكان رحمه الله ـ برًّا بالأزهر ، فقد أوصى بمكتبته الخاصة وهى تحوى أمهات الكتب لفرع جامعة الأزهر المزمع إنشاؤه بمدينة « جرجا » وهى أمانة فى عنق أبنائه بمنزله « بحدائق حلوان » .

قال عنه الكاتب الإسلامى الأستاذ السيد حسن قرون ـ رحمه الله ـ يتحدث عن شىء عن ملامح شخصيته بجريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ٣ / ٥ / ١٩٨٧ .

« ما زلت أراه ساعيا نحو مكانه فى الأزهر خطوه لمس، وكلامه همس، وإشراقه الإيمان ، تحبوه هالة على وجهه فهو من عباد الرحمن » .

ـ رحم الله ـ شيخنا الدكتور أبو الحمد أحمد موسى وأجزل ثوابه .

دفن ـ رحمه الله ـ فى بلدته « الخلافية » من أعمال (جرجا) (سوهاج) يوم الخميس الموافق ٢٤ / ٧ / ١٩٨٦ عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاما .

(« من أعلام الأزهر : فضيلة الأستاذ أبو الحمد أحمد موسى » ـ الأستاذ على أحمد عبد المجيد . مجلة الأزهر الجزء الرابع ، السنة الخامسة والستون ، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ـ اكتوبر ١٩٩٢ م/ ٥٥١، ٥٥٢) .

*** حمد الله الأماسى (-٩٢٦ هـ) :**

خطاط تركى

حمد الله مصطفى دده الأماسى المعروف بـ (ابن الشيخ) ظهر فى القرن العاشر، هاجر والده من بخارى إلى أماسيه وتوطن بها . ذكر أن حمد الله ولد سنة ٨٣٣ هـ .

سار على نهج الخطاط العراقى ياقوت المستعصمى ، ثم أخذه عن خير الدين المرعشى أحد تلاميذ عبد الله الصيرفى البغدادى فبرع فيه حتى فاق كتاب زمانه ، ولما تولى السلطان بايزيد السلطنة ، استقدمه إلى استانبول فى فترة سنة ٨٨٦ هـ واشتغل بالخط حتى تولى السلطنة السلطان ياووز سليم خان ثم جاء بعده السلطان سليمان القانونى وهو العصر العثمانى الذهبى .

إن الشيخ حمد الله من عظماء الخطاطين وضمن السلسلة الخطية المأخوذ عنهم ، خدمه الملوك ومسكوا الدواة بين يديه وأعطى من الشهرة والقبول ما لم يعط من قبله ولا من بعده لأحد بلغ من العمر (١١٠ سنوات) وأرخ رحيله بالحروف سنة ٩٢٦هـ .

كتب ابن الشيخ (٤٧) مصحفا بين كبير وصغير وكتب نحو ألف نسخة من سورة الأنعام والكهف وجزء عم كما كتب فى محراب جامع السلطان بايزيد، وعلى قبته وعلى الباب الأوسط .

بخطه مصحف شريف فى مديرية الآثار العامة فى بغداد، طبع له مصحف كتبه بخطه سنة ٨٩٧ هـ .

من تلاميذه ابنه مصطفى دده والسلطان بايزيد الثانى،

ويعتبر عبد الله الصيرفى البغدادى من أساتذته أيضا (نفائس الخط العربى / ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

ويعتبر حمد الله الأماسى أول من وضع القاعدة التركية فى الخط التى بدأ بتحسينها والتى وصل قمتها إجادة من بعده مصطفى الراقم. توفى رحمه الله سنة ٩٢٦ وقيل ٩٣٦ والله تعالى أعلم وبلغ من العمر ١١٠ سنوات ودفن باسكدار (الخط العربى / ٩٦) .

كان سابقا لعصره . فلم يكتب الخطاطون بعده أجمل من خطه ، ولوحاته محفوظة فى متحف الأوقاف الإسلامية باستانبول .

باع الحكومة العثمانية قسما من مقتنياته لكبار الخطاطين وهى محفوظة الآن فى متحف « طوب قابى » فى استانبول (كيف نعلم الخط العربى / ٤٠) .

(نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، والخط العربى : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ٩٦ ، وفيه أنه ولد ما بين سنة ٨٣٠ ـ ٨٤٠ ، وكيف نعلم الخط العربى ـ معروف زريق / ٤٠) .



٣٠٦ ـ لوحة كاملة بخط الثلث والنسخ (بقلم حمد الله الأماسى).

ملاحظة : الصورة المصاحبة هى نموذج من خط حمد الله الأماسى أخذت من كتاب نفائس الخط العربى ، ص ١٩٣ شكل ٣٠٦

* **الحمدانيون :**

تتطلب معرفة أحوال الدولة الحمدانية الرجوع إلى أيام الأتراك أصحاب وظيفة « أمير الأمراء » فى بغداد، واستبداد أولئك الأمراء بالسلطة من دون الخليفة العباسى . ذلك أن بعض القبائل العربية التى سكنت بادية الشام ووادى الفرات استغلت ضعف الخلافة العباسية واستقلت بالمدن والقلاع الواقعة فى أرضها ، ومن أمثلة ذلك ما قامت به قبيلة تغلب، إذ استطاعت بفضل أبناء زعيمها حمدان بن حمدون أن تؤسس دولة لها فى شمال العراق ، وأن تتخذ من مدينة الموصل عاصمة لها (٣١٧ـ٣٥٨ هـ/ ٩٢٩ـ٩٩١ م) .

وتعصبت هذه الدولة للعروبة ، وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية ، فجاء زعيمها الحسن بن عبد الله الحمدانى إلى بغداد ، ومعه أخوه ، لمناصرة الخليفة المتقى بالله (سنة ٢٣٠ هـ/ ٩٣١ م) وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمدانى بأن عينه فى وظيفة « أمير الأمراء » ومنحه لقب ناصر الدولة . ثم منح المتقى أخا ناصر الدولة الحمدانى لقب سيف الدولة . على أن الأتراك استطاعوا بزعامة قائدهم توزون أن يطردوا الحمدانيين من بغداد ، وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٣١ هـ/ ٩٤٢م .

وتطلع سيف الدولة بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلى شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٣هـ/ ٩٤٤ م إلى شمال الشام واستولى على حلب ، وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الأخشيدية ، صاحب السيادة إذ ذاك على مصر والشام . وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب حلب ، على حين أصبح البويهيون وقتئذ أصحاب الأمر فى بغداد وظلت الدولة الحمدانية وعاصمتها حلب قائمة فى شمال الشام حتى سنة ١٠٠٣ م (تاريخ العالم الإسلامى / ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

لقد كان الحمدانيون عربا من قبيلة تغلب كما سبق القول، فيهم كثير من صفات العرب السامية ، فكانوا يفهمون الشعر، ويدركون ما فيه من روعة وجمال ، وكان من قبيلتهم فى الجاهلية عمرو بن كلثوم أحد أصحاب المعلقات .

والحمدانيون جديرون بعطف التاريخ ، وأن تشيعهم الأقلام بكلمات - الإعجاب والثناء ، لأنهم في مدة قصيرة من الزمان أحيوا آداب العرب ، وأخلاق العرب ، التي محيت أو كادت تمحى في عصر غلبت فيه العجمة ، وسيطر فيه الأعاجم على دول الإسلام ، ذلك العصر الذي يقول فيه المتنبي :

بكل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم

(المفصل ٢ / ٤٦) .

وخلفت الدولة الحمدانية في حلب آثارا جليلة في تاريخ الحضارة الإسلامية ، وفي مجد المسلمين ، رغم قصر مدتها ويعزى الفضل في ذلك إلى مؤسسها سيف الدولة الحمداني ، فقد كان من أنصار العلم ، شغوفا بعقد المجالس الأدبية الزاخرة بالأدباء والشعراء ، ولذلك اجتذبت مجالسه المشهورين في تاريخ الحضارة الإسلامية أمثال المتنبي الشاعر ، والخطيب الفصيح ابن نباتة الذي ألهبت عظاته حماسة مستمعيها وبعثتهم إلى الاشتراك في الجهاد ضد الدولة البيزنطية (تاريخ العالم الإسلامي / ٢٨٩) .

(تاريخ العالم الإسلامي - د. إبراهيم أحمد العدوي / ٢٨٨ ، ٢٨٩ والمفصل في تاريخ الأدب العربي - أحمد الإسكندري وزملائه ٢ / ٤٦) .

انظر : سيف الدولة .

*** الحمدلة :**

انظر : الحمد .

*** حمدون (- بعد سنة ٢٠٠ هـ) :**

هو النحوي المغربي محمد بن إسماعيل ، نشأ بالقيروان ، وتلقى عن المهري ، ثم بلغ الغاية في النحو والغريب ، وهو أول من عرف بحفظ كتاب سيبويه ، وطبعي أن الكتاب كان في المغرب ، ولا يعرف على التعيين أول من جلبه ، ولحمدون كتب في النحو ، وتوفي بعد سنة ٢٠٠ هـ .

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٢٦) .

*** حمدون القصار (- ٢٧١ هـ) :**

أدرجه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في الطبقة الأولى للصوفية وقال عنه :

أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري ، شيخ أهل الملامة بنيسابور ، ومنه انتشر مذهب الملامة .

صحب سلم بن الحسن الباروسي ، وأبا تراب النخشبي ، وعليا النصراباذي . وكان عالما فقيها ، ويذهب مذهب الثوري ، وطريقته طريقة اختص هو بها ، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه ، كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل صاحبه عنه .

توفي حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور ، ودفن في مقبرة الحيرة .

وأسند الحديث عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه ، وعن علمه ما عمل فيه » .

قالت المؤلفة : أورده الإمام المناوي بخمسة ألفاظ مختلفة فارجع إليه إن شئت في « الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور » ٣ / ٩٧ ورقة أ ، ورقة ب .

ومن كلامه :

- سئل : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه ، أو خاف هلاك إنسان في بدعة ، يرجو أن ينجيه الله تعالى منها بعلمه .

- وقيل له : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا ، وقبول الخلق .

- أصل رفع الألفة من بين الإخوان حب الدنيا .

- وتكلموا بين يديه يوما في حفظ الأمانات فقال : قد تحملت من الأمانة ما لو اشتغلت به لشغلك عن كل أمانة بعدها .

- وقال رجل من أصحابه : كيف أعمل ؟ لا بد لي من معاملة هؤلاء الجند ، فماذا ترى لي ؟ فقال : إن كنت تعلم يقينا أنك خير منهم ، فلا تعاملهم .

- وسأله يوما أبو القاسم المنادي عن مسألة ، فقال له

حمدون : أرى فى سؤالك قوة وعزة نفس ، أتظن أنك بلغت بهذا السؤال الحال الذى تخبر عنه ؟ أين طريقة الضعف والفقر ، والتضرع والالتجاء؟ عندى أن من ظن نفسه خيرا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر .

ــ مذ علمت أن للسلطان فراسة فى الأشرار ما خرج السلطان من قلبى .

ـ إذا رأيت سكران فتمايل لئلا تنعى عليه ، فتبتلى بمثل ذلك .

ــ وقال له ابن منازل : أوصنى . فقال حمدون : إن استطعت ألا تغضب لشىء من الدنيا فافعل .

ـ من ضيع عهود الله عنده فهو لآداب شريعته أضيع ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

ــ استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون .

ـ وقال له رجل : أوصنى بوصيّة . فقال : إن استطعت أن تصبح مفوضا ـ لا مدبرا ـ فافعل .

ـ قعود المؤمن عن الكسب إلحاف فى المسألة .

ـ من أصبح وليس له هم إلا طلب قوت من حلال ، وهم ما جرى فى سابق العلم له أو عليه ، فإنه يتفرغ إلى كل شىء .

ـ من تحقق فى حال لا يخبر عنه .

ــ أوصيكم بشيئين : صحبة العلماء ، والاحتمال عن الجهال .

ـ من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل : إما فى الدنيا ، وإما فى الآخرة .

ــ من نظر فى سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

ـ كفايتك تساق إليك باليسر من غير تعب ، وإنما التعب فى طلب الفضول .

ـ من غفلة العبد أن يتفرغ من أمر ربه إلى سياسة نفسه .

ـ لا يجزع من المصيبة إلا من يتهم ربه .

ـ الكياسة تورث العجب .

ـ لا أحد أدون ممن يتزين لدار فانية ، ويتجمل لمن لا يملك ضره ونفعه .

ــ تهاون بالدنيا ، حتى لا يعظم فى عينيك أهلها ومن يملكها .

ـ جمال الفقير فى تواضعه ، فإذا تكبر بفقره فقد أربى على الأغنياء فى التكبر .

ـ لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك .

ـ من رأيت فيه خصلة من الخير فلا تفارقه ، فإنه يصيبك من بركاته .

ـ وسئل عن طريق الملامة ، فقال : خوف القدرية ورجاء المرجئة .

ـ من استطاع منكم ألا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٢٩ ـ ٣١) .

* الحمدويى :

الحمدويى : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وفى آخرها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى حمدويه وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وهم جماعة ، منهم أبو القاسم يحيى بن على بن محمد ابن حمدويه الحمدونى الكشميهنى ، من أهل قرية كشميهن، كان إماما فاضل مفتيا مناظرا صالحا ورعا متقيا ، تفقه على جماعة ، منهم أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى ، وسمع الحديث الكثير ، وأملى ، وكتبوا عنه ؛ سمع أباه أبا الحسن وأبا الهيثم محمد بن المكى الكشميهنى وأبا العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان السنجى وأبا سعد أحمد بن محمد بن أحمد المالينى وأبا محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الوراق بمرو وأبا على الحسن بن أبى بكر بن شاذان البزاز ببغداد وأبا بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبى بأصبهان وأبا الحسين عبد الله بن الحسين الكوفى بالكوفة وغيرهم ، روى لنا عنه أبو الفضل محمد بن أبى نصر المسعودى وأبو عبد الله محمد بن أبى ذر الجوبانى وأبو الحسن على بن أبى القاسم الصباغ وغيرهم ، وكانت ولادته فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وتوفى فى صفر سنة تسع وستين وأربعمائة، ودفن بقبور كران .

وأبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الحمدويى من أهل بنج ديه، كان فقيها ورعا حسن السيرة،

تفقه على والدى رحمه الله ، وسمع جامع أبى عيسى بيغشور من أبى سعيد محمد بن على بن أبى صالح القاضى عن الجراحى عن المحبوبى عنه ، وسمعت منه ذلك ، وسمع أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى وأبا أحمد الحسن بن أحمد بن يحيى الكاتب وأبا بكر عبد الغافر بن محمد الشيرويى وغيرهم ، وكانت ولادته بعد سنة سبعين وأربعمائة بمرست إحدى القرى الخمس . والخطيب أبو الحسن على ابن أحمد بن نصر بن محمد بن إبراهيم بن حمدويه بن قطن ابن فرزدق بن طرخان السلمى الحمدويى الأشتيخنى، نسب إلى جده الأعلى حمدويه ، وهو من أهل أشتيخن، وكان لقطن إخوة أحدهم عبد الرحمن السلمى معلم الحسن والحسين ؟ وهو بسغد ، ومحفوظ السلمى ، وهو ببلخ ، ومحمد ، وهو بخانقين فى العراق ـ ذكره أبو عبد الله بن منده الحافظ الأصبهانى فى تاريخه؛ وتوفى أبو الحسن الخطيب بأشتيخن غرة ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ؛ عاش مائة وثلاث عشرة سنة ؛ يروى عن أبى محمد عبد الملك بن عبد الرحمن الأسيرى سمع منه عمر بن محمد بن أحمد النسفى الحافظ .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٠ ، ٤٥١) .

*** أبو الحمراء :**

قال ابن عبد البر: أبو الحمراء . مولى النبى ﷺ . قيل اسمه هلال بن الحارث . ويقال هلال بن ظفر حديثه عن النبى ﷺ أنه كان يمر ببيت فاطمة وعلى رضى الله عنهما فيقول : « السلام عليكم أهل البيت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ » [الأحزاب : ٣٣] .

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣٣) .

*** حمدى عُبَيْد (١٣٠٧-١٣١٩هـ / ١٨٨٩-١٩٧١م) :**

حمدى عبيد (أبو أسامة) بن محمد حسن بن يوسف بن عبيد بن محمد سليمان (آغا) بن عبد الرحمن ، الأنصارى ، الخزرجى : من ذرية الصحابى المعروف أنس بن مالك رضى الله عنه ، فاضل ، مصلح ، من أهل دمشق مولدا ونشأة ووفاة قرأ على مشايخ دمشق ، وتميز بانكبابه على الدراسة والعلم والدين .

افتتح مع أخيه توفيق محلا للعقادة فى سوق الخياطين ثم بسوق الحمدية ، قبل أن ينضما معا (عقب الحرب العالمية الأولى) إلى أخيهما الأصغر أحمد عبيد ، مؤسس المكتبة العربية بدمشق (انظر ترجمته فى م ٢ / ٦٧٨ ـ ٦٨٣ من هذه الموسوعة) .

زار مصر وفلسطين والحجاز ونجد ، ودرس ، وخطب ، وأم فى بعض مساجد دمشق ، وله محاولات شعرية .

صنف : « المختار من الأدعية والأذكار » و « الأحاديث النبوية » فى الأخلاق والاجتماع والمدنية ، و« من تراث النبوة » فى العلم والحكمة والأخوة و « من عيون الأخبار » و « من صميم الحياة » و « إلى الحياة » و « خطب حمدى عبيد » و «كلمات حمدى عبيد » و « مقالات صغيرة » و « تفسير غريب القرآن » ، وجميعها مطبوعة منتشرة .

قال المرحوم أحمد عبيد قبر شقيقه حمدى عبيد :

هذا (عُبَيْدُك حمدى)
أتى يؤم رحابك
فلقه منك روحا
واجنبه رب عذابك
قد كان برا تقيا
يخشى ويرجو ثوابك

(أمين التراث العربى - زاهر أحمد عبيد / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦) .

*** حمراء الأسد (غزوة -):**

وكانت واقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة فلما كان من الغد يوم الأحد أمر رسول الله ﷺ بالخروج فى إثر العدو ، وعهد أن لا يخرج معه إلا من حضر المعركة ، فاستأذنه جابر بن عبد الله فى أن يفسح له فى الخروج معه ، ففعل وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام ممن استشهد يوم أحد فى المعركة .

فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والقرح وخرج

رسول الله ﷺ مُرهبا للعدو، حتى بلغ موضعا يدعى حمراء الأسد على رأس ثمانية أميال من المدينة ، فأقام به يوم الإثنين، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة . قال ابن إسحاق : وإنما خرج بهم رسول الله ﷺ مرهبا للعدو وليظنوا أن بهم قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

(وفى هذه الغزوة نزلت الآيتان الكريمتان : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾ ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾) [آل عمران : ١٧٢ ، ١٧٤] .

وكان معبد بن أبى معبد الخزاعى قد رأى خروج رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد ، ولقى أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء ، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ فى طلبهم ، ففت ذلك فى أعضاد قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة ، فكسرهم خروجه ﷺ ، فتمادوا إلى مكة .

وظفر رسول الله ﷺ فى خروجه بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية ، فأمر بضرب عنقه صبرا ، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان .

(انظر فى غزوة حمراء الأسد ابن هشام ٣ / ١٠٧ والواقدى ٣٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٤ والطبرى ٢ / ٥٣٤ وابن حزم ص ١٧٥ وابن سيد الناس ٢ / ٣٧ وابن كثير ٤ / ٤٨ والنويرى ١٧ / ١٢٦ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٣٦) .

(الدرر فى المغاوى والسير لابن عبد البر ـ تحقيق د . شوقى ضيف / ١٥٨ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

* **الحمراء (زاوية ـ) :**

انظر : الحمراء (مدرسة ـ) .

* **الحمراء (قصر ـ) :**

كان يوجد مقابل غرناطة على أحد تلالها قلعة بنى الأحمر وقصورهم الحصينة التى شكلت فى مجموعها مدينة «الحمراء» بدأ بناءها مؤسس الأندلس : محمد بن يوسف بن الأحمر الذى لقب نفسه « الغالب بالله » ثم عمل من خلفوه على توسيعها وتجميلها . وأشهر آثارها قصر الحمراء ، وهى الآثار الباقية حتى اليوم من أطلال غرناطة (تاريخ الفن / ٤٩) .

ويلخص الدكتور حسن الباشا خصائص قصر الحمراء فيقول :

يقوم قصر الحمراء على ربوة عالية تطل على مدينة غرناطة ويتألف تصميمها بصفة عامة من وحدات من العمائر مستقلة بعضها عن بعض ويتألف كل منها من فناء أوسط تحف به المبانى ، وكان المدخل الرئيسى فى الجانب الغربى .

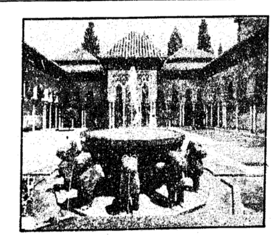
وبدأ تشييده أبو الحجاج يوسف الأول من بنى الأحمر (٧٣٣ هـ ـ ٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ ـ ١٣٤٥ م) ، وأتمه ابنه محمد الخامس الغنى بالله (٧٥٥ ـ ٧٩٣ هـ / ١٣٥٤ ـ ١٣٩١ م) وينسب إلى يوسف الأول السور الذى يحيط بمرتفع الحمراء بما فيه من أبراج وبوابته المعروفة باسم باب الشريعة (لأ نه يؤدى إلى مصلى العيدين) وباب العدل (وجد عليه صورة كف مفتوح يرمز إلى العدل وصورة مفتاح يرمز إلى مدخل الحمراء) وينسب إليه أيضا قصر البرطل (الظلة التى ترتكز على بائكة القصر الواقعة بين برج السيدات والمصلى الصغير) وبرج الأسيرة ، وبرج الشرفات ، وبرج مخدع الملكة ، وذلك فضلا عن قصر السلطان نفسه الذى يعتبر أجمل عمائره قاطبة ، ويتوسطه برج قمارش وبه قاعة السفراء؛ وبالقصر أيضا بهو البركة وبهو الريحان والحمامات السلطانية .

أما محمد الخامس فينسب إليه مبانى قصر السباع ومنها بهو السباع وفى جوانبه الأربعة بوائك أربع وتتوسطه نافورة أو فوارة تقوم على حوض تحته اثنا عشر تمثالا لأسود على هيئة دائرة .

ويتألف بهو السباع من مستطيل أبعاده ٢٨,٥ × ١٥,٧٠ مترا ، وعلى جانبيه القصيرين جوسقان مقبيان يرتكزان على أعمدة ، ويتقاطع محورا البهو ، وهما على شكل قناتين وحول البهو قاعات منها قاعة الملوك أو قصر العدل ، وقاعة بنى سراج وقاعة الأختين .

وتتميز عمارة الحمراء بالأعمدة الرشيقة والعقود المفصصة والقباب المقرنصة والأسطح الجمالونية والزخارف الجصية المزدحمة من نباتية وهندسية ممتزجة بالكتابات العربية الجميلة التى تشتمل فيما تشتمل على شعار بنى الأغلب ونصه « ولا غالب إلا الله » .

وتتداخل عمائر الحمراء مع الأشجار والأزهار والأفنية



منظر عام لبهو الاسود

والنافورات ومجاري المياه فتعطي منظرا من أبهى المناظر بحيث وصفت بحق بجنة الله على الأرض ، وهي توحي بأنها من عمل قوم مترفين أغرقوا أنفسهم في الاستمتاع بلذة الحياة الدنيا (مدخل إلى الآثار الإسلامية / ٢٢٩ ، ٢٣١) .

ويتكلم الدكتور ثروت عكاشة على قصر الحمراء ، ذلك الذي شيده الأمير محمد فيقول :

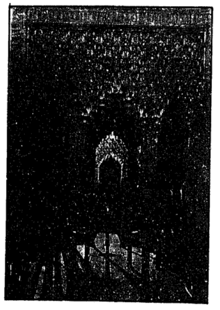
كانت غرناطة عاصمة الأمير محمد بن الأحمر عام ١٢٣٨م وقد ظلت محتفظة باستقلالها برغم تبعيتها لقشتالة في الوقت الذي منيت فيه الممالك الإسلامية المجاورة بالهزائم طوال مائتين وخمسين عاما . وقد شيد الأمير محمد قصره المنيف المعروف بالحمراء فوق القصبة التي تحتل تلا شديد الانحدار يطل على المدينة ، ظل العمل يجري فيه حتى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ .

وعلى الرغم من هدم بعض أجزائه من أجل تشييد قصر كارلوس الخامس على طراز عصر النهضة [الذي تهدم هو الآخر] فإن أطلال جناح المعيشة والمقر الملكي والثكنات والحظائر والمساجد والمدارس والحمامات والمقابر بجداول نهر دارو التي تتخلل هذه الأطلال ومنظر الجبال المكسوة بالجليد المشرفة عليها والتي يتوسطها حوض النهر الخصيب ، كل ذلك قد جعل من قصر الحمراء واحدا من أشهر القصور الملكية الإسلامية .

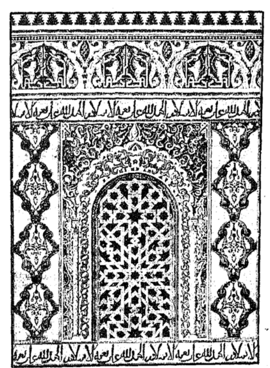
ولم يتم تشييد هذا القصر وفقا لتخطيط وضع مسبقا بل جاء نتيجة إضافات متتالية استمرت ما يقرب من مائتين وخمسين سنة ، كان القصر خلالها مستخدما غير مهجور . ويتكون القصر في تصميمه من أفنية يفضي أحدها إلى الآخر، يزداد كل منها عما يسبقه انزواء .

ويتصدر الفناء الخارجي الأول مسجد ، تعقبه قاعة الجلسات الرسمية في الفناء التالي ، ولعلهما كانا يمثلان الجزء العام من القصر ، يلي ذلك قاعة الاستقبال الخاصة وبهو الشرف وقاعة العرش ويمتد أمامها فناء الريحان الذي كان يملأ الجو بشذاه العطري ، وصوت خرير المياه الجارية ، وينسب هذا الفناء إلى يوسف الأول . يعقب ذلك جناح السكنى الملكي بحدائقه ومقاعده المطلة على الحدائق والحمامات ، ولكل منها صحنه الخاص . وتنتهي هذه المجموعة بصحن الأسود الذي شيده محمد الخامس (١٣٥٠ - ١٤٠٠) . وكان محرما حتى على أقرب المقربين إلى الملك .

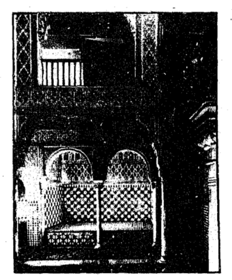
وتنبثق مبادئ تصميم قصر الحمراء المعمارية من منابع إسلامية أصيلة ، فمبانيه مفتوحة على الداخل ، تعزلها عن الخارج أسواره الصماء التي يخفف من صرامتها إضفاء الزمن



منظر يبدو فيه تناسق سواري بهو الأسود في الحمراء



شاسيل نافذة في قصور الحمراء



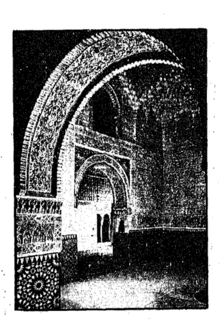
قاعة الاستراحة بالحمام في قصور الحمراء

لونه على صقل أسطحها . وهكذا لم يكن للقصر واجهة خارجية إذ تنفتح كافة عناصره المعمارية على صحون داخلية ذات نافورات وحدائق خضراء (القيم الجمالية / ٢١٨ ، ٢١٩) .

ويتناول الأستاذ وجدان على بن نايف قصر الحمراء باعتباره مجموعة من القصور وليس قصرا واحدا فيقول :

تشكل قصور الحمراء مدينة ملكية متكاملة ، بناها بنو نصر على مشارف تلة سبيكة المطلة على مدينة غرناطة ، وهى فى الأصل قلعة من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى أقيمت لأغراض دفاعية عسكرية .

وتتألف قصور الحمراء من مجموعة من القصور والأبراج والممرات والحدائق والقصبة وحمام ، ومقبرة ملكية تحيطها الأسوار الخارجية التى تخترقها الأبواب الكبيرة مثل باب الخمر، وباب القصبة ، وباب الشريعة الذى أقيم عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ويبلغ ارتفاعه أكثر من عشرين مترا وعرضه خمسة عشر مترا ، كما يتخلل السور العديد من الأبراج ، شيد بعضها لأغراض دفاعية : وهى برج السلاح ، وبرج فيلا ، وبرج الجرس الذى كان يدق جرسه ليعلن عن الوقت فى الليل وينظم مواقيت الرى فى النهار ، ويوم سقطت غرناطة رفع الإسبان أعلام ملوك الكاثوليك من فوقه ، وحتى اليوم جرت العادة أن تضرب النواقيس فى يوم ٢ كانون الثانى من كل سنة احتفاء بهذه الذكرى .



إحدى نوافذ شرفة قاعة الاختين في الحمراء

أما الأبراج التى لا تخدم أغراضا عسكرية فهى برج السيدات ، وبرج قمارش، وغيرها ، أقيمت من ناحية وادى الحدرة : وهو واد عميق الهوة ، ويصعب اجتيازه ، وكانت تستخدم هذه الأبراج لسكن الأمراء والأميرات والقادة وأفراد الحاشية ، ويبلغ عدد الأبراج والأبواب المحصنة ثلاثة وعشرين ، وبالرغم من أن مواد البناء فى قصور الحمراء هى مواد سريعة التلف ، كالطوب والخشب والصلصال، فإن معظم أجزائه ما زالت قائمة وبحالة معمارية ممتازة .

وقد اتبع فى تقسيمها نظام المدينة العسكرية داخل المدينة المدنية ، وتم بناؤها على عدة مراحل ، وتقسم إلى ثلاثة أقسام هى : القصبة فى الغرب، والقصور الملكية فى الوسط، والأحياء العامة فى الشرق ، كما أنها تتصل من الشرق بحدائق جنة العريف ، وهى منتزه فوق هضبة خارج أسوار الحمراء ، ويعود تاريخها إلى الثلث الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى .

وقد قام المعماريون باستغلال موقع الحمراء بين الغابات الكثيفة الممتدة على سفح سلسلة جبال سِيِّرا نيفادا المغطاة قممها بالثلوج ، والمناظر الطبيعية الخلابة التى تحيطها من كل الجهات ، فأدخلوا الطبيعة إلى المبانى عن طريق النوافذ الكبيرة ، والشرفات ، وبرك الماء الموصولة بالسواقى داخل الغرف وخارجها ، والباحات ، والجنان، والحدائق الغناء، مع الاحتفاظ بحجم طبيعى للغرف والقاعات بحيث تتناسب مع حجم الإنسان ومتطلباته دون مبالغة فى المساحات والارتفاعات .

واشتهرت الحمراء بساحاتها الخارجية الجميلة كساحة الآس أو باحة قمارش، وهى عبارة عن باحة فسيحة الأرجاء تتوسطها بركة كبيرة مستطيلة الشكل تمتد على جانبيها شجيرات الآس، وهو الريحان الشامى، وتعيش فيها ، بين زهور النيلوفر، الأسماك الذهبية الصغيرة ، وفى طرفيها فوارتان تصبان الماء، ويطل على الباحة من الشمال والجنوب رواقان محمولان على أقواس نصف دائرية ترتكز على سوارى رفيعة أنيقة ويميز هذه الساحة نقاء خطوطها وبساطة تقسيماتها وانعكاس صورة العمارة حولها فوق سطح ماء البركة كأنها مرآة من الفضة وهى ميزة مهمة فى الحديقة الإسلامية .

ويمضى المؤلف فيصف الأروقة والباحات والقاعات قائلا :

وللأروقة وظيفة مهمة فى تحويطها للباحة أو الصحن المكشوف للمبنى . فالصحن عبارة عن فجوة كبيرة مفتوحة على السماء، توزع حولها الغرف فتزودها بالضوء والهواء، ولكنها تعرضها أيضا للمطر والشمس والريح وتقلبات الطقس، لذا لزم حمايتها من العوامل الطبيعية بواسطة الأروقة التى هى بمثابة الميزان الذى يقنن ضوء الشمس وحرارته قبل دخولهما إلى الغرف، كما أنها تكسر من حدة الريح والمطر .

والباحة الثانية الجميلة فى الحمراء هى « باحة الأسُود » أو « صحن السباع » فأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى البركة التى تتوسطها ويحيطها اثنا عشر أسدًا من المرمر ، يخرج الماء من أفواهها ليصب فى أربعة جداول متقاطعة تنساب فى مجارى لتنتهى اثنتان منهما بفوارتين صغيرتين داخل القاعتين الواقعتين فى شمال وجنوب الصحن ، ترطبان وتملآن أرجاءها بنغم خرير المياه ، أما الجدولان الآخران فهما أقصر بكثير، وينتهيان بفوارتين فى صحن الأسود، هذا ويحيط بحافة الحوض شريط خطى نقش على الحجر لاثنى عشر بيتا من شعر ابن زمرك فى قصيدة له يمدح بها السلطان ويصف قصوره الملكية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تماثيل السباع قد نحتت بطريقة مؤسلبة بعيدة عن محاكاة الطبيعة ، ومن المعروف أن المجسمات التى تمثل الأشكال الآدمية والحيوانية كانت منتشرة فى الأندلس وبلاد المغرب قاطبة ، ولا سيما فى الحمامات وحول البرك والنوافير وأحواض المياه .

وتحيط بباحة الأسود أربعة أروقة ذات أعمدة من الرخام ، مفردة ومزدوجة ، تحمل أقواسا حدوية ومفصصة، كسيت بالزخرفة الجصية المعقدة التى امتازت بها قصور الحمراء، وقد جمعت هذه الأروقة ، فى توافق واتزان ، ما بين متانة البنيان وجمال الشكل ، وهو أسمى مبدأ يمكن أن يتوصل إليه فن العمارة ، وذلك بالتمويه عن الوظيفة الأساسية للأعمدة والأقواس، وتحويلها من عناصر معمارية بحتة إلى عناصر زخرفية عن طريق اتباع خطوات بسيطة : منها مثلا : التلاعب بفتحة القوس بالنسبة لتاج العمود ، ورفعها إلى ارتفاع أعلى

من المعتاد، فيبدو القوس وكأنه علق فى الهواء، ويضفى عليه صبغة من الأناقة والرشاقة ، و كساؤه بالجص المخرم مما يزيد من شفافيته ونعمومة مظهره .

ولحماية الأقواس من العوامل الجوية قام المعمار بإضافة مظلة بارزة مغطاة بنفس القرميد الذى كسى به سقوف الأروقة والحجرات .

وتوجد فى الحمراء عدة قاعات أهمها قاعة القارب، وقد صنع سقفها الأفقى من خشب الأرز المنقوش بالألوان ، وقاعة السفراء التى تمتاز بقبة من خشب الأرز المحفور، وقاعة بنى سراج التى اشتهرت بقبتها الرائعة على شكل نجمة مغطاة بالمقرنصات ، وقاعة الأختين ، وقاعة الملوك أو قاعة المحكمة ، وهى عبارة عن ممر طويل فسيح يفتح على صحن بواسطة ثلاثة أبواب، وتقسمه العقود المقرنصة إلى سبع حجرات ، وتمتاز هذه القاعة بالتصاوير الآدمية التى تغطى سقوف حجراتها ، وقد اختلف المؤرخون فى أصلها ونسبتها إلى الفن الأندلسى، كما اختلفوا فى نسبة الصور الموجودة فى سقف قاعة البرطال، وبغض النظر عمن قام بتصويرها فإن مشاهد الحياة اليومية فى هذه الرسوم تعتبر أثمن وأدق الوثائق البصرية لعادات أهل الأندلس فى القرن الرابع عشر وتقاليدهم ، مثل وضع العمامة والطيلسان ولبس العباءة وتسديل اللحية وحمل السيف ونوعه .

والجدير بالذكر أن النوافذ فى غرف القصر تقع على مقربة من الأرض لأن الأندلسيين ، مثل باقى العرب، كانوا يجلسون على الدواوين المنخفضة والمكسوة بألحفة من الحرير المطرز، وعلى السجاد المسمى بالقطيفة ، ويتكئون على المخدات الحريرية ، بينما توضع أمامهم موائد مستديرة يأكلون عليها ، وكون الشبابيك منخفضة العلو يمكنهم من مشاهدة المناظر الخارجية وهم جلوس فى أماكنهم .

ثم يتكلم المؤلف الأستاذ وجدان على بن نايف على الحمَّام ، وهو ما فاتنا إدراجه فى مادة « الحمامات » فيقول :

بالرغم من أن الحمامات العامة كانت معروفة زمن الرومان، فإن العرب اهتموا بها اهتماما خاصا ، وجعلوها من سمات المدينة الإسلامية التى لا يكاد يخلو منها حى ، وقد كتب عنها الرحالة والجغرافيون فى كتبهم ، وكانت تتخذ مرفقا مهما للحياة الاجتماعية ...

ويعد الحمام الملكى فى الحمراء بالغ الأهمية ، إذ يعطينا فكرة عن حمامات المدن الأندلسية التى يبدو، من كتب الأدب، أنها لم تكن أقل جمالا من حمام الحمراء، هذا ويقسم حمام القصر إلى أربعة أقسام هى : قاعة الاستراحة ، ثم القاعة الباردة ، فالقاعة الدافئة، وأخيرا القاعة الساخنة ، وتشكل كلها مستطيلا اتبع شكله منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى بناء معظم حمامات الأندلس، وأجمل ما فى حمام الحمراء هو الزخرفة الجصية الملونة ، والزخرفة الخزفية المتمثلة فى قطع الجليز أو الفسيفساء القاشانى الموجودة فى قاعة الاستراحة ، حيث يقوم المستحمون بخلع ثيابهم والاسترخاء قبل الدخول إلى القاعة الباردة(الأمويون . العباسيون . الأندلسيون / ١٩٤ـ٢٠١) .

وعن فن الزخرفة فى قصر الحمراء يقول الدكتور ثروت عكاشة :

ومن سمات العمارة الإسلامية الواضحة فى أبنية القصر استخدام العناصر الزخرفية الرقيقة فى تنظيمات هندسية كزخارف السجاد ، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية ، بل حتى بعض الأمثال من نظم الشعراء كابن زنبق تحيط بها الزخارف السخية من الجص الملون الذى يكسو الجدران و«العقصات» المذهبة التى تحلى الأسقف الخشبية والقباب، وبلاطات القاشانى الملون ذات النقوش الهندسية التى تغطى الأجزاء السفلى من الجدران . على أنا نجد من ناحية أخرى أن اختلاف البيئة اللطيفة فى الأندلس عن البيئة الصحراوية القاسية قد أثر فى بعض مبادئ عمارة القصر الملكى العربى إذ تحولت الإيوانات التى كانت مفتوحة على الصحن إلى شرفات معقودة مسقوفة من طابقين أو ثلاثة . كذلك تحول الصحن إلى ما يشبه الباسيو الإسبانى المشتق من الفناء الرومانى [أتريوم] أكثر من اشتقاقه من الصحن الإسلامى . ولم يعد الصحن فى فناء الأسود بؤرة التكوين المعمارى للمبانى المحيطة به ، بل بات مجرد فراغ تقع على جوانبه «المقاعد » والأروقة المفتوحة والشرفات فى تنسيق مستطيل الشكل .

ويكاد القصر يعبر بحجراته المطلة على الأفنية الداخلية وبأبراجه المنعزلة وبحدائقه المتوهجة على الحنين إلى الفردوس النابع من وجدان الإنسان العربى وكأنما هو تجسيد للموشح الأندلسى (القيم الجمالية ٢١٩ ، ٢٢٠) .

وعن فن الزخرفة فى هذا الأثر المبهر يقول أيضا الأستاذ وجدان على بن نايف :

وصل فن الرقش العربى فى قصور الحمراء ذروة الإتقان والكمال والجودة ، وأدخل الخط العربى على الأشكال الهندسية ذات الأطباق النجمية المتعددة الألوان ، والأشكال النباتية المتجددة والتى ظهرت لأول مرة ، كما طورت تيجان الأعمدة وأخذت طابعا مميزا لها ، وذلك بتبنى أشكال جديدة مثل المراوح النخلية وكوز الصنوبر ، نفّذت بطريقة مؤسلبة بسيطة وشبه هندسية تختلف على تلك التى نراها فى مدينة الزهراء ، كما دخلت على العمود زخارف محفورة على شكل أسطوانات متراكبة وضعت تحت التاج ، وتعد من خاصيات الحمراء الزخرفية .

والخط هو العنصر الثالث فى زخرف الحمراء بعد الأشكال الهندسية والنباتية أو الورقية ، وقد استعمل على الحيطان فى كتابات شعرية معظمها من نظم الشاعر ابن زمرك ، جاءت على شكل أشرطة تحيط بالجدران ، وأطر حول الطيقان والأقواس ، وداخل أشكال دائرية ومربعة وقعت ضمن الرقش الهندسى والنباتى ، وقد كتبت بالخطين الكوفى والنسخى المغربى ، وتم تكرار شعار بنى نصر « لا غالب إلا الله » فى كل غرف القصور .

وفى الحمراء أفضل مثال على تطور فن الرقش من الإطارات التى انتشرت فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، والتى تحتوى على القليل من التفاصيل إلى تغطية كل المساحات حسب مبدأ النفور من الفراغ ، وقد اهتم بنو نصر بالزخرف لدرجة أنهم لم يتركوا سطحا إلا وغطوه بطريقة أو بأخرى مستعملين كل المواد المتوفرة لديهم : مثل الخشب والجص والرخام والجليز .

أما المقرنص ، وهو تجويف على شكل خلية النحل يوضع عادة إما على الجدار أو فى السقف ، فأصله من إيران ، انتقل إلى العراق ثم مصر ، وانتشر فى المغرب والأندلس حيث تفنن المعماريون فى توزيعه الزخرفى واستعمالاته الجمالية ، ووصلوا قمة استغلال شكله ، وكان يستعمل فى بادىء الأمر لكساء الأقواس وأطراف القباب ، ثم امتد استعماله فيما بعد ليغطى الأسقف المسطحة وداخل القباب بحيث تبدو كخلية نحل متماسكة ، كما هو الحال فى برج الأميرات . وأصبح المقرنص أحد العوامل المهمة فى الزخرف والهندسة الإسلامية ، وبسبب تأثيره على انعكاس موجات الصوت فى الغرف كثر استعماله فى قاعات الطرب والغناء (الأمويون ، العباسيون ، الأندلسيون / ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

ويسوق الدكتور عكاشة هذه الملاحظة :

والملاحظ فى العمارة الإسلامية بصفة عامة أن كل خليفة أو ملك كان يؤثر تشييد قصره الشخصى ومسجده دون أن يعنى أن يكون مسكنا لمن يخلفه ، حتى إن بعض الخلفاء كان يهدم قصر سلفه ـ كما حدث فى القصرين الغربى والشرقي للمعز لدين الله الفاطمى حين هدمهما الأيوبيون ـ على حين لم يجرؤ سلطان مسلم قط على هدم بيت من بيوت الله ، ولذلك انصرفت معظم الجهود إلى زخرفة البناء أكثر من اتجاهها نحو تدعيمه . غير أننا على خلاف العادة نجد الإنشاء فى قصر الحمراء قد نال عناية تامة كتبت له الاستمرار دون أن يقلل ذلك من الاهتمام المفرط بالناحية الزخرفية . وتعتبر صفة الاستمرار هذه فى قصر الحمراء استثناء من القاعدة ، كما تذكرنا إنشاءاته القوية ومبانيه الراسخة بالقصور القوطية المحصنة ، حتى أن هذا الطابع ليتجلى واضحا بمجرد إلقاء النظرة الأولى على الصورة العامة لقصر الحمراء (القيم الجمالية / ٢٢٠) .

ويصف سيد أمير على المؤرخ الهندى الحمراء بقوله :

ومن الصعوبة بمكان أن توفى الآن هذا العمل الذى سمى بعمل الجن حقه من الوصف والإبداع إذ أن القلاع والحصون والقصور بفنها المعمارى الدقيق ، وأروقتها وأعمدتها الفخمة وقبابها وسقوفها ذات الزخرفة والنقوش البديعة لم تفقد شيئا من رونقها الأصلى إلى الآن ، وأبهاؤها الهوائية المشيدة ليمر منها النسيم المعطر بشذى الورد ، والبرك التى أحكم المهندسون تشييدها فأصبح انبثاق الماء فيها تابعا لإرادة الإنسان ، إن أراد رفعه ، وإن أراد أنزله من علو شاهق فى أشكال هندسية بديعة . كذلك كانت الأبنية المنقوشة بالأصباغ والمزدانة بالفسيفساء على أجمل صنع وأتم إتقان . فتعكس عليها الأضواء والألوان ، منها الذهبى والقرمزى ، والأزرق ، والأرجوانى ، ومختلف التماثيل ، وبهو السباع المشتمل على ١٢٨ عمودا فخما ، وأرصفتها البيضاء والزرقاء ، وتناسق الألوان القرمزية الذهبية ، وتماثيل السباع التى يجرى الماء من

أفواهها ، والبركة المرمرية ، وكل ذلك يحتاج إلى قلم فنان ليوفيه حقه من التصوير والإبداع اهـ (تاريخ الفن / ٤٩) .

قالت المؤلفة : لدى زيارتنا لهذا الأثر الإسلامى المبهر الفريد وجدناه كما وصف وأكثر ، وإن أصالة الحضارة الإسلامية التى يعكسها لتفسر لنا ما عرف بأدب بكاء الأندلس (انظر هذه المادة فى م ٣ / ٢٩٢ - ٢٩٨) .

وقد جاء فى كتاب المؤلف الإنجليزى الأستاذ جوزيف ماك كيت نقلا عن مكائيل سكوت ما يلى : « ومن حسن الحظ بقى قصر الحمراء الملكى ليرينا الجلالة والتأنق والإبداع فى فنون المغربيين ، وحتى هذه الدرة أصابها ما أصابها على يد الإسبانيين وكانت سائرة فى طريق الخراب لولا أن بقية أوربا وأمريكا أجبروهم على أن يقنو [؟] شيئا من الحياء . وحتى فى هذا اليوم يجد فيها الإنسان معنى هذا اللفظ « أرض عبقر » حين يخرج من دهليزها المظلم إلى عرصة الأسود ، فيرى سوارى المرمر الدقيقة كأغصان البان ، ويمتلئ بالنظر إلى سطور الأساطين المستقيمة ، وسقوفها المصبوغة بالألوان الزاهية إذا نظرت إليها خلتها زرابى فارسية مرقشة ، أو رياض أزهار بهيجة قد اشتبكت فيها أشجار الصناعة العجيبة . ولها طنوف مشرفة قد أفرغت فى قوالب بديعة يحار الواصف فى وصفها . وأما جدرانها ففيها من الترقيش العربى والتشجير والزخرف والأمثال والحكم المسطورة بأجمل شكل ، شىء يذهل العقول ، ويروع الناظرين ولكن ينبغى لنا أن نتصورها فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر حين كانت الثياب التى ترى فيها كلها من الحرير الخالص ، وحين كانت جدرانها تتلألأ بألوان اللازورد والأرجوان والذهب ، وحين كان الآس والأرج والورد ، ومباخر الفضة يحترق فيها عود الطيب تفعم جوها بالروائح الطيبة . وكانت على الجبل المجاور لها وسهوله الواسعة الأرجاء عشرات الألوف من القصور الفخام التى لا تقل جمالا وإبداعا فى الذوق عن الحمراء ، إلا أنها أقل تلألؤا بالذهب والفضة والجواهر . قال سكوت متلهفا : ماذا عوضنا الغازى الصليبى القشتالى الهمجى عن تلك القصور؟ وأى فائدة يجنيها النوع البشرى من وراء تخريبها ؟ » (مدنية المسلمين / ١٠٤ ، ١٠٥) .

(تاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعى / ٤٩ ، ومدخل إلى الآثار الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٢٩ ، ٢٣١ ، والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ٢١٨ - ٢٢٠ ، والأمويون . العباسيون . الأندلسيون - وجدان على بن نايف / ١٩٤ - ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ومدنية المسلمين فى إسبانيا للأستاذ جوزيف ماك كيب - ترجمه من الإنجليزية د. محمد تقى الدين الهلالى . مكتبة المعارف . الرباط . الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / ١٠٤ ، ١٠٥ ، انظر أيضا المساجد والقصور فى الأندلس - د. السيد عبد العزيز سالم . مؤسسة شباب الجامعة . إسكندرية ١٩٨٦ / ١٤٠ - ١٥٠ ، وأوراق أندلسية - ظ عبد العاطى محمد الورفلى ، وهو يحفل بالصور الرائعة ، التى تعد لوحات فنية ليس لها نظير) .

*** الحمراء (مدرسة -) :**

من مدارس القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام .

ذكرها مجير الدين وقال إنها بالقرب من الخانقاه الصلاحية ورد ذكرها عدة مرات فى سجلات محكمة القدس الشرعية .

وممن تولى مشيختها : سليمان جلبى الخلوتى المتوفى سنة ١٠٥٦ ، وخلفه فى المشيخة ولداه محمد جلبى وعلى جلبى .

- مصطفى بن أبى الوفا العلمى قرره القاضى فى وظيفة المشيخة بالمدرسة « الحمراء » الكائنة بحارة النصارى بالقرب من حمام البترك (البطرك) وقرر له السكن بها ، فى سنة ١٠٩٤ .

- وتلاه ابنه الشيخ عبد الغنى . تولى المشيخة سنة ١١٢٤ ، عوضا عن والده ، وسكن بالمدرسة .

ويقول العارف نقلا عن الشيخ سعد الدين العلمى مفتى القدس (سنة ١٩٥٦ م) أن هذه المدرسة كانت فى نفس الموقع الذى كانت تقوم عليه مدرسة فى العهد التركى فى حارة النصارى وهى واقعة فوق المسجد العمرى المطل على ساحة كنيسة القيامة من القبلة . وقد اتخذت مع الزمن مسكنا يسكنه جماعة من آل العلمى . وفى إحدى غرفها آثار محراب قديم .

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٢٩٠)

وقد أوردها المؤلف أيضا فى الزوايا تحت عنوان « الزاوية الحمراء » (ص ٣٦٦) وأضاف أنها منسوبة للفقراء الوفائية .

*** الحُمرة :**

الحمرة : علامة بالمداد الأحمر تلحق الزيادات على

الـروايـة فى كتب الحـديث : أمـا النقص فيهـا فيحـوق عليـه بالحمرة .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٢) .

* **حمزة الأصبهانى (٢٨٠ - ٣٦٠ هـ / ٨٩٣ - ٩٧٠ م) :**

مولده ووفاته :

ولـد أبـو عبد الله حمـزة بن الحسن بأصبهـان . من بـلاد فارس ، وعاش بها حياته ؛ فهو أصبهانى مولدا وموطنا .

وقد سكتت المصـادر العربيـة القديمـة عن تاريخ مـولده وتاريخ وفاته ، ولم تذكر عنهما شيئا ، بل أكثر من هذا أنها لم تذكر معلومات ذات قيمة عن حياته ، وكذلك فعلت المصادر الحديثة . ومن ثم فإن الـذين درسوا حياته ومكـانته العلمية ، من المستشرقين والعرب ، قد اعتمدوا كل الاعتماد على كتبه ، وما ورد بها من نصـوص وإشارات ، وهذا ما فعلتـه وأنا أحاول أن أجلو حياة هذا العالم الأديب الجليل .

والحق أن كتب حمزة غنية بالنصـوص التى ترسم كثيرا من ملامح حيـاته ، ولاسيما حياتـه العلمية . وفى كتابـه « تاريخ سنى ملـوك الأرض والأنبياء » نصـوص يمكن أن نتعرف منهـا على تاريخ مـولده وتاريخ وفاته ، على وجـه التقريب لا على وجه التحديـد ، وهو أنه ولد حـوالى سنة ٢٨٠ وأنه تـوفى عام ٣٥١ هـ .

وقـد عاش حمـزة أهم سنى حيـاتـه فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (نحو ٢٨٠ - ٣٥١ هـ) أى بعد أن نضج الفكـر العـربى والإسـلامى ، وبعـد أن وضعت أسس العلـوم والفنـون ، ودونت المدونـات الأصيلـة على أيدى الأئمـة من العلماء ، وأصبح فى متناول الباحثين المصادر الرئيسة فى كل علم وفن .

رحلاته إلى بغداد :

وقد رحل حمزة إلى بغداد عدة مـرات ، وأقام بها طويلا ، إذ كانت أهم المراكز العلمية فى العالم العربى ، بعد أن انتقل إليها النشاط الفكرى من البصرة والكوفة ، وحفلت بالكثير من العلماء والأدباء ، وأصبحت منارة يشع منها نور العلم والفكر ، وكعبة يقصـدها العلماء والطلاب من كل صـوب وأفق . فكان طبيعيًا أن يتـردد عليها حمزة لينهل من ينابيع علمهـا وأدبها ، شأن علمـاء عصـره من أصبهـان وغيرهـا الـذين حفل بهم تاريخها .

أمـا عن شيـوخـه فقـد أخـذ حمـزة عن كثيـر من الأئمـة المشاهير فى علوم اللغة والأدب والتاريخ والسنة ، وكان بعض هؤلاء العلمـاء مواطنا له بأصبهـان ، وكثير منهم من سـاكنى بغداد .

وقد ذكـر كل من السمعانى وأبـى نعيم فى ترجمتـه أسماء الـرجال الـذين كان حمـزة يروى عنهم ، وكـانوا من الحفـاظ ورجال السنة ، وهم :

١ - عبدان بن أحمد الأهوازى الجواليقى .

٢ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٣ - أبو عبد الله محمود بن محمد الواسطى .

٤ - أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبرى .

٥ - أبو عبد الله محمد بن نصير المدينى .

أمـا العلمـاء الـذين تلقى عليهم فى علـوم اللغـة والأدب والنحو والتاريخ والأنساب ، والذين ذكرهم بعبارات تدل على أنه كان على صلات شخصية بهم فكان يسألهم ، أو يتحدثون إليه ، أو يشهد مجالسهم ، فمنهم :

١ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد .

٢ - أبو بكر بن القاسم الأنبارى .

٣ - أبو عمر محمد بن عبد الـواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب .

٤ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن شقير النحوى .

٥ - أبـو بكـر الحسن بن على بن أحمـد المعـروف بـابن العلاف .

٦ - أبو الحسن على بن سليمان ، الأخفش الأصغر .

٧ - أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع .

٨ - أبـو الحسـن محمـد بن القـاسم التميمى النسـابـة الأصبهانى .

٩ - أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى .

١٠ - أبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب .

١١ - أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى .

مصنفاته :

فقـد ألف حمـزة فى ثـلاثـة من فنـون العلم ، هى اللغـة

والأدب والتاريخ ، وأجاد في كل ما ألف وأوفى على الغاية ، فقد خلف لنا أربعة عشر كتابا يعد بعضها من الأمهات والأصول، ومن أوثق المصادر التي اعتمد عليها من جاء بعده من العلماء وقد بحث حمزة في هذه الكتب موضوعات جديدة لم يسبق إليها، مثل : حدوث التصحيف، والموازنة بين العربية والفارسية ، وتاريخ أصبهان ، وفيما يلي أسماء هذه الكتب :

١ ـ التنبيه على حدوث التصحيف؛ وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة التيمورية (رقم ٨٩٦ أدب تيمور) كما توجد ثلاث نسخ أخرى منه بطهران ونسخة خامسة بدار الكتب الظاهرية بدمشق، وقد تعرض للرد على حمزة في هذا الكتاب أبو نصر إسحاق بن أحمد بن شيث بن نصر بن شيث البخاري (٤٠٥هـ) وصنف في ذلك كتابه « الرد على حمزة في حدوث التصحيف »» .

٢ ـ الخصائص أو الموازنة بين العربية والفارسية ؛ والموجود منه قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية ويظهر أن هذا الكتاب كان غريبا في بابه ، فريدا في موضوعه، ويدل على ذلك ما وصفه به القفطي حيث قال : « وهو كتاب جليل، دل على اطلاعه على اللغة وأصولها ، لم يأت أحد بمثله ، صنفه للملك عضد الدولة فنا خسرو بن بويه » .

٣ ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، وقد نشر في برلين سنة ١٨٤٠ ، وفي ليبزج سنة ١٨٤٤ مع ترجمة لاتينية له ، بتحقيق المستشرق الألماني جوتوالد، وأعيد طبع القسم العربي منه بمطبعة كاوياني ببرلين سنة ١٣٤٠هـ ، ونشره مولوي كبير الدين أحمد في كلكته سنة ١٨٦٦ ، ونشر مترجما إلى الإنجليزية في بومباي سنة ١٩٣٢ ، ثم أخيرا ببيروت سنة ١٩٦١ م .

٤ ـ تاريخ أصبهان؛ وهو كتاب مفقود، . وقد ذكره في ترجمة حمزة كل من ابن النديم والسمعاني وأبي نعيم والقفطي وحاجي خليفة ، كما أشار إليه حمزة في كتابه « تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء » ووصفه القفطي بقوله : « وله كتاب تاريخ أصبهان ، وهو من الكتب المفيدة العجيبة الوضع، الكثيرة الغرائب » (إنباه الرواة ١/ ٣٣٥، ٣٣٦) .

٥ ـ ديوان أبي نواس ؛ وقد طبع برواية حمزة في القاهرة بعناية إسكندر آصاف عام ١٨٩٨م ، وأعيد طبعه بالمطبعة الحميدية عام ١٣٢٢هـ، وهما طبعتان ناقصتان مختلتان، وقد نشر الجزء الأول منه محققا على خمس نسخ خطية المستشرق الألماني إيفالد فاغنر، وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٥٨ ، ومنه مصورات بجامعة الدولة العربية عن مخطوطتي مكتبتي الفاتح وكوبريلي أرقامها ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وقد ذكر كل من بروكلمان ومتفوخ وفاغنر عدة نسخ لرواية حمزة متفرقة في أنحاء العالم .

٦ ـ الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر؛ وقد ذكره ابن النديم وحاجي خليفة، ووصفه الأخير بقوله : « الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهاني، وهو مرتب على الحروف، أوله : الحمد لله حق حمده » ومنه نسخة خطية في برلين (برقم ١١٢٥) (قال الزركلي (٢ / ٢٧٧) : مخطوط ذكره عبيد عن مكتبة برلين ، نقل عنه الميداني في مجمع الأمثال ، وأبو الهلال العسكري في جمهرة الأمثال) .

٧ ـ التشبيهات ؛ لم يذكره إلا ابن النديم ، وهو من الكتب المفقودة .

٨ ـ التماثيل في تباشير السرور، وقد انفرد بذكره ابن النديم، وهو مفقود أيضا ، وهناك كتاب آخر يحمل هذا الاسم، من تأليف الخليفة الشاعر عبد الله بن المعتز، وهو نصوص شعرية في الخمر وشربها ، وقد طبع بالمطبعة العربية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م (قال الزركلي أن الكتاب المطبوع سمى « فصول التماثيل » ونسب إلى ابن المعتز) .

٩ ـ أنواع الدعاء؛ وذكره ابن النديم وحده .

١٠ ـ رسائل : ذكرها ابن النديم ضمن مصنفات حمزة ، ويبدو أنها مجموعة رسائل ومقالات في بعض الموضوعات الأدبية واللغوية ، وقد نقل البيروني في كتابه « الآثار الباقية » نصا طويلا يتضمن بعض الشعر الذى قيل في النيروز والمهرجان ، ونسبه إلى حمزة في « رسالته في الأشعار السائرة في النيروز والمهرجان » كما ذكر القسطلاني أن لحمزة رسالة بعنوان : « الرسالة المغربة عن شرف الإعراب » وعلى ذلك تكون هاتان الرسالتان من هذه « الرسائل » .

١١ ـ مضاحك الأشعار ؛ ولم يذكره أحد ممن ترجم له ، وإنما ذكره الثعالبي في « ثمار القلوب » ووصفه بأنه مرتب

على حروف الهجاء، ونقل عنه مقطوعات من الشعر فى وصف «حمار طياب» .

١٢ - ردود على علماء اللغة وعلى رواة الشعر والشعراء؛ وهو كتاب مفقود، وهذه الردود ليست لحمزة، وإنما هى لأبى على لغدة الأصبهانى، وقد قام حمزة بجمعها، يدل على ذلك ما صرح به حمزة من قوله فيما نقله عنه ياقوت فى ترجمة أبى على لغدة : « وله ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر والشعراء، قد جمعناها نحن فى كتاب، وأنفذناه إلى أبى إسحاق الزجاج، رحمه الله » .

١٣ - كتاب الفصول المختارة من كتب الجاحظ، ذكره العلامة المحقق عبد العزيز الميمنى، وذكر ما يدل على أنه يمتلك نسخة خطية منه .

١٤ - الدرة الفاخرة فى أمثال أفعل (ذكر الزركلى أنه يملك نسخة خطية منه) .

قالت المؤلفة : الكتاب مطبوع تحت عنوان « الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة » ط دار المعارف سنة ١٩٧١ بتحقيق الأستاذ عبد المجيد قطامش، والنسخة التى عندى هى الجزء الأول، الذى نقلنا بعضا من مقدمته هنا (الدرة الفاخرة ١ / ٧، ١١ - ١٤، ١٨، ٢٠، ٢١، والأعلام ٢ / ١٧٧) .

وقال الزركلى : للمستشرق أوجين متڤوخ كتاب « مؤلفات حمزة الأصفهانى » مطبوع باللغة الألمانية ونشر المستشرق جوتوالد كتاب « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » من تأليف حمزة ، وأعيد طبعه باسم « تاريخ ملوك الأرض » ولم يذكره مترجمو حمزة المتقدمون . وفى مخطوطات « المتحف الآسيوى » بالمدينة الروسية « لينينجراد » مخطوطة من تأليف حمزة تشتمل على مختارات من شعر أبى نواس أولها : «كتب حمزة بن الحسن الأصفهانى إلى بعض رؤساء بلده : سألت ، أطال الله عمرك ، أن أصرف لك عنايتى إلى عمل مجموع من شعر أبى نواس ... إلخ (الأعلام ٢ / ٢٧٧) .

ويعد حمزة من أعلام المصنفين ، ومن أبرز مؤلفى القرن الرابع الهجرى، وتمتاز مصنفاته ومؤلفاته بدقة المنهج وروعة التنظيم والتقسيم، كما تمتاز بالمقدمات الوافيةالتى يلقى كل منها أقوى الأضواء على موضوع الكتاب ، وفى كتبه : الدرة الفاخرة ، وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، والتنبيه على حدوث التصحيف ، وديوان أبى نواس، مقدمات وافية بارعة يمكن أن يعد كل منها بحثا قائما بذاته، ولعل أبرز خط فى تأليفه هو الاعتماد على الرواية والنقل عن أئمة العلم وأساطين اللغة ، يدعم بآرائهم آراءه، ويقوى بمذاهبهم المختلفة المسائل التى يتعرض لها فى كتبه .

وقد شهد ببراعته فى التصنيف من القدماء ابن النديم والقفطى ، أما ابن النديم فقال فى ترجمته : « وكان أديبا مصنفا » وأما القفطى فقال عنه : « الفاضل الكامل ، المصنف المطلع ، الكثير الروايات ، كان عالما فى كل فن ، وصنف فى ذلك وتصانيفه فى الأدب جميلة ، وفوائده الغامضة جمة » .

وقد استفاد من كتب حمزة ونقل عنها جماعة من مشاهير العلماء والمؤلفين ، مثل أبى هلال العسكرى ، وأبى الفضل الميدانى ، وأبى القاسم الزمخشرى، فقد نقل هؤلاء العلماء الثلاثة أمثال حمزة برمتها إلى كتبهم فى الأمثال ، مصرحين بذلك فى مقدمات هذه الكتب .

ومثل ياقوت الحموى الذى نقل كثيرا عن كتاب الموازنة فى معجمى الأدباء والبلدان ، وأبى منصور الثعالبى، وقد نقل عن حمزة فى ثمار القلوب، وأبى الريحان البيرونى الذى نقل عنه فى الآثار الباقية ، والصفدى الذى نقل عنه فى الغيث المسجم ، وعبد القادر البغدادى، وقد نقل عنه كثيرا فى خزانة الأدب، وغيرهم من العلماء .

وقد مالت كتب التراجم القديمة إلى اعتبار حمزة أديبا، إذ وصفه ابن النديم بأنه « كان أديبا مصنفا » ووصفه السمعانى بأنه « كان من فضلاء الأدباء » ووصفه أبو نعيم بقوله : « أبو عبد الله الأديب » وقال عنه القفطى : « وتصانيفه فى الأدب جميلة » .

أما المستشرقون الذين درسوا حياته وآثاره فقد مالوا إلى اعتباره مؤرخا ، وذلك لاشتهاره بينهم بكتابة « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » الذى قام بعضهم بنشره لأول مرة عام ١٨٤٠ م وقد كان ذلك سببا فى أن يعده بروكلمان من المؤرخين، وأن يترجم له فى القسم الخاص بالتاريخ من كتابه

وقد عده ياقوت لغويا ، حيث قال عنه : « وهو صاحب لغة ومعنى بها » .

والحق أن حمزة يجمع هذه الأوصاف الثلاثة ، فهو

أديب، لغوي، مؤرخ كما تشهد بذلك كتبه والموضوعات التي تناولتها .

و قد نوه بمكانة حمزة العلمية والأدبية بعض معاصريه ...

كما عده الثعالبي من ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء إلى إتقان العلماء، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة ، وقرنه بالصاحب بن عباد، والخوارزمي ، وأبي الفتح المراغي، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، وأحمد بن فارس القزويني (الدرة الفاخرة / ٢٢ ، ٢٣) .

ويوجد مخطوط كتاب الأمثال لحمزة الأصبهاني في المجمع العلمي العراقي وجاء بيانه كما يلي : مع ملاحظة أن أوله يطابق أول كتاب الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة » الذي سبق ذكره والذي يشمل ما جاء من الأمثال على قولهم : « هو أفعل من كذا » (نسختي ص ٥٥) وإليك بيان المخطوط :

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ... هذا كتاب أودعته فنا من الأمثال السائرة عن العرب، وهو أكثر ما يجري منها على لسان الفصحاء ... وقد سبق إلى تأليف ذلك جماعة من علماء اللغة ، وللأصمعي في ذلك كتاب خفيف الحجم مقدار عشر ورقات ، وللحياني أيضا كتاب يقرب من كتاب الأصمعي . وفي آخر كتاب أبي عبيد الله ضمنه بعض ما في كتاب الأصمعي وكتاب اللحياني . وتعقب هؤلاء محمد بن حبيب البصري فألف في ذلك كتابا نقل إليه ما في تلك الأصول وزاد عليهم زيادة كبيرة . إلا أن جل ما أودع كتابه من هذه الأمثال يبلغ عدده ثلثمائة وتسعين مثلا وقد أودعت ذلك كله هذا الكتاب وزدت عليه زيادة بلغت بعدد الأمثال ألفا ومائتي مثل ، سوى أمثال مولدة مزدوجة ، جمعتها في الباب التاسع والعشرين ، يبلغ عددها خمسمائة مثل ونيفا . فيبلغ عدد أمثال هذا الكتاب بها ألفا وثمانمائة مثل وكسرا ، وألفته على نظام حروف المعجم ليسهل تناول ما يراد منه على ملتمسه . وختمت الكتاب بنوادر من الكلام لم يصنف في مثلها كتاب » .

آخره : « تم الكتاب بعون الملك الوهاب . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

جاء في الورقة الأولى ، وبخط يختلف عن خط الكتاب :

يا مستعيرا كتابي بالله رد الأمانه

ورده عن قريب فالمطل عين الخيانه

كتاب الأمثال برسم خزانة من لا مثيل له غياث من أم له بما أمله . صاحب الكرسي والحضرة شيخ الشيوخ سيف القدرة ناصر دين الله وعامر ملكه البسيط قطب الوجود والحافظ البحر المحيط جمال الدنيا والدين الشيخ محمد نور الدين علي بن شهاب الدين أحمد بن جمال الدين محمد ابن الفرد الجامع والنور الساطع سني المناقب صاحب الراتب مولانا الشيخ الخشبيري . نفع الله بهم ، ولازال الحافظ في سعادة ... » .

وفي هامش الورقة بحرف دقيق : « من الله سبحانه وتعالى على عبده الفقير [الاسم ممسوح] الأستانة العلية حفظها وحجاها رب البرية آمين ١٥ رجب سنة ١٣١٥ » .

وفي هامش الورقة الأخيرة وبالقلم نفسه : « وكان الفراغ من تحريره وبالعناية الأزلية كمل وتم في عاشر شهر الله المحرم المنتظم في سلك شهور سنة سبع وتسعين وتسعمائة»

يلي ذلك عبارة أخرى : « قد نسخ هذا الكتاب برسم مولانا سيدي الشيخ البحر المحيط ... الشيخ محمد الخشبيري . بدار السلطنة أحمد آباد » .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية في خزانة كتب الحاج حمدي الأعظمي ببغداد برقم ٧٨-١٠٤٨ .

بخط النسخ

٦١ ق ، ٢٩ س (٣/ أدب - قصة)

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ٢ / ١٧٤-١٧٦) .

(الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني - حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش ١ / ٧ ، ١١ ، ١٢ - ١٤ ، ١٨ - ٢٣ مقدمة التحقيق، والأعلام للزركلي ٣٢ / ٧٧ وقد أدرجة تحت اسم « حمزة الأصفهاني » ، وإنباه الرواة للقفطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ومخطوطات المجمع العلمي العراقي - ميخائيل عواد ٢ / ١٧٤ - ١٧٦) .

له ترجمة في تلخيص ابن مكتوم / ٦٤ ، والفهرست لابن النديم / ١٣٩ ، وهدية العارفين للبغدادي ١ / ٣٣٦ وقد أدرجه تحت اسم «الأصبهاني » .

*** أبو حمزة البغدادى البزار (-٢٨٩ هـ):**

أدرجه الشيخ السلمى فى الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه:

هو أبو حمزة البغدادى البزار، صحب السرى بن المغلس السقطى، وبشرا الحافى.

كان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة، وكان ينتمى إلى حسن المسوحى وكان عالما بالقراءات.

وتكلم يوما فى جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات الجمعة الثانية، ومات قبل الجنيد.

وكان من رفقاء أبى تراب النخشبى فى أسفاره، وهو من أولاد عيسى بن أبان. وكان أحمد بن حنبل إذا جرى فى مجلسه شىء من كلام القوم يقول لأبى حمزة: « ما تقول فيها يا صوفى »؟

ودخل البصرة مرارا، توفى سنة تسع وثمانين ومائتين.

ومن كلامه:

من المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره.

خرجت من بلاد الروم فوقفت على راهب، فقلت له: عندك من خبر من قد مضى؟ قال: نعم! ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ [الشورى: ٧].

استراح من أسقط من قلبه محبة الدنيا، وإذا خلا القلب من محبة الدنيا دخله الزهد، وإذا دخله الزهد أورثه ذلك التوكل.

من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات: بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم مع زهد حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم.

وقال الجنيد: « وافى أبو حمزة من مكة وعليه وعثاء السفر، فسلمت عليه وشهيته، فقال: سكباج وعصيدة تخلينى بهما، فأخذت مكوك دقيق وعشرة أرطال لحم وباذنجان وخلا وعشرة أرطال دبس، وصنعنا له عصيدة وسكباجة، ووضعناها فى حير لنا، وأسبلت الستر، فدخل وأكله كله، فلما فرغ دخلت عليه، وقد أتى على كله، فقال لى: يا أبا القاسم! لا تعجب فهذا من مكة الأكلة الثالثة ».

(السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل، وربما جعل فيه زعفران، والمكوك: مكيال نصف رطل إلى ثمانى أواقى. والدبس: عسل التمر. والحير: البستان).

ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم، إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد.

حب الفقر شديد، ولا يصبر عليه إلا صديق.

إذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير فالزمه، وإياك أن تنظر إليه وتفتخر به، ولكن اشتغل بشكر من وفقك لذلك، فإن نظرك إليه يسقطك عن مقامك، واشتغالك بالشكر يوجب لك منه المزيد، لأن الله تعالى يقول ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [إبراهيم: ٧].

من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها، وهو الذى علمها بتعليم الله إياه، ومن علمها بالاستدلال فمرة يخطئ ومرة يصيب، ومن تبع فيه أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب إلى مقصده. ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ فى أحواله وأفعاله وأقواله.

إذا سلمت منك نفسك فقد أديت حقها، وإذا سلم منك الخلق فقد أديت حقوقهم.

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى/ ٧٠-٧١).

*** حمزة بن عبد المطلب (٥٤ ق هـ-٣ هـ / ٥٥٦-٦٢٥ م):**

من أوائل المهاجرين سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، عم رسول الله ﷺ، يقال له أسد الرحمن. وأسد رسول الله ﷺ وعمه وأخوه من الرضاعة كنيته أبو عمارة كنى بابن له يقال له عمارة من امرأة من بنى النجار. وقيل كنيته أبو يعلى كنى بابنه يعلى ولم يعقب وحمزة وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهى بنت عم آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ابن العوام رضى الله عنهم. وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين. وقيل بأربع وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، أسلم حمزة فى السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وبارز وأبلى فيها بلاء عظيما وقاتل بسيفين قال أبو الحسن المدائنى أول لواء عقده رسول الله

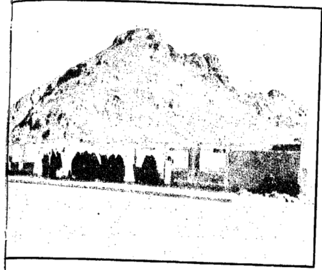
ﷺ لحمزة بن عبد المطلب حين بعثه فى سريه إلى سيف البحر بكسر السين من أرض جهينة وخالفه ابن إسحاق فقال أول لواء عقده لعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب . استشهد يوم أحد فى نصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل أحدا وثلاثين من الكفار ودفن عند أحد فى موضعه وقبره مشهور يزار ويتبرك به . وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضى الله عنهم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٨ ، ١٦٩) .

وقد قتله وحشى ، مولى جبير بن مطعم ، وكان طعمة بن عدى قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال جبير لوحشى : إن قتلت حمزة عم محمد فانت عتيق فخرج وحشى من الناس فرأى حمزة فى عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هدا، ما يقوم له شيء فدفع وحشى حربته فأصابت حمزة رضى الله عنه فقتلته .

وقد أسلم وحشى بعد هذا وذهب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ، فلما رآه طلب منه أن يحدثه كيف قتل حمزة، فلما حدثه بذلك قال رسول الله ﷺ : « ويحك ! غيب عنى وجهك، فلا أرينك » فكان وحشى يتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراه ، حتى قبض رسول الله .

ولما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرج وحشى معهم ، وأخذ حربته التى قتل بها حمزة فلما التقى الناس رأى مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف ، فتهيأ له ، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلاهما يريده ، فدفع وحشى حربته عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، وفى ذلك يقول وحشى: فربك أعلم أينا قتله فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلت شر الناس (السيرة النبوية ٣ / ٢١ ـ ٢٣) .

لما وقف رسول الله ﷺ على جثمان عمه حمزه بن عبد المطلب الذى استشهد فى معركة أحد ورأى ما به من تمثيل وتشويه قال : « لن أصاب بمثلك أبدًا » ما وقفت موقفا أغيظ لى من هذا ... رحمة الله عليه ... فإنك كنت ما علمتك فعولا للخيرات ... وصولا للرحم ... أماوالله لأمثلن بسبعين منهم مكانك ... وشاركه المسلمون فى هذا الوعيد ... فأنزل الله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين *واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ ... فعفا رسول الله ﷺ ـ وصبر ، ونهى عن المثلة ، وكفر عن يمينه ...



مقبرة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
ومن خلفها جانب من جبل أحد

قد تكرر نزول هذه الآيات فى هذه الوقعة وفى قصة العدنيين ، وعن أبى مسعود رضى الله عنه : ما رأينا رسول الله ﷺ ـ باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه ، وضعه فى القبلة ، ثم وقف على جنازته ، وانتحب حتى نشق ... أى شهق حتى بلغ به الغشى يقول : يا عم رسول الله ، وأسد الله وأسد رسول الله ... يا حمزة يا فاعل الخيرات ، يا حمزة يا كاشف الكربات ، يا حمزة يا مانع عن وجه رسول الله ... وقال ما قال بعد أن كف عن البكاء ... فهو ليس من الندب . المحرم ... وإنما هو من ذكر محاسن الميت ... وأمر رسول الله ﷺ الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة حتى لا تقع عينها عليه ... فدفعته فى صدره وهى تقول : ولم ؟ ... وقد بلغنى أنه مثّل بأخى ... وذلك فى الله ... فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك ... فقال الرسول ﷺ : خل سبيلها ... فجاءت واسترجعت ، واستغفرت له وهى تبكى ... والرسول يضع يده على صدرها خوفا على عقلها ... وقال : لولا أن تجزع صفية ونساؤنا لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع ... ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة : واحدا بعد واحد ... فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين

صـلاة ... وصلى على حمزة والشهـداء من غيـر غسل لهم ، ولم يصـح عنـد الشـافعي حـديث الصـلاة علـى قتلى أحد ... ولكنه صح عند غيره ومنهم الحنفية الذين احتجوا على الصـلاة على الشهيد بحـديث جـابـر وأورده في مراسيلـه عن عطـاء بن ربـاح أن النبي ﷺ صلـى على قتلى أحـد ، وقـد اعتضد هذا المرسل بمرفوع غيره فقد رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وقد ثبت أن عمرو بن العـاص صلى على مائة وثلاثين استشهـدوا في فتح فلسطيـن وكـان معـه تسعـة آلاف من المسلمين(« مشهد حمزة رضي الله عنه » / ٢٠٣).

قال ابن إسحاق :

« مـر رسـول الله ﷺ بدار بني عبـد الأشهل فسمع البكـاء والنواح على قتلاهم في معركـة أحد فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له » .

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يبكيـن على عم رسول الله ، ولكنه ﷺ لما سمع بكاءهن خـرج عليهن فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن . ثم نهى رسول الله عن النوح » .

وعن عبادة بن الصامت « أن رسـول الله ﷺ كان يأتي قبور الشهداء بأحـد على رأس كل حول فيقول : سـلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

قبر سيد الشهداء :

دفن ﷺ عمه حمزة على ربوة بحافة وادي قناة الشمالية في الشمال الغربي لجبل الرماة وفي جنوب جبل أحد . ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش .

وقـد بنت الحكـومـة السعـوديـة سـورا على منطقـة القبـر وجعلت لـه درجاأسمنتيـة ليسهل الصعـود للربـوة والقبر عنـد اتلزيارة كما جعلت له شباكا من حديد وبابا من جهة الجنوب على طـرف وادي قنـاة « ويسمى أيضا وادي سيـد الشهـداء ، ووادي سيدنا حمزة » .

قبور الشهداء

قال المـؤرخون : إن شهداء أحد سبعـون شهيدا منهم ٦٤ أنصاريا و (٦) من المهاجـرين . وقد دفن أكثرهم في الجهة الشمالية لقبر سيـد الشهداء وأحيطت قبورهم بسور من جميع الجهـات رحمهم الله ورضي عنهم وأرضـاهم (فصول من تـاريخ المـدينة المنـورة / ١٧٥ ، ١٧٦) من بينهم قبـر مصب بن عميـر وعبد الله بن جحش (المدينة المنورة / ١٢٥) .

وقد اعتـاد الحجاج زوار المـدينة زيـارة قبر سيـد الشهداء وشهداء أحد ليتذكروا الآخرة وليتذكروا معركة أحد الحاسمة وما بها من عظة وعبرة .

الطريق إلى قبور الشهداء :

يتجه الـزائر شمالا من المنـاخة حتى يصل ثنيـة الوداع ثم يترك الطريق اليسرى ويمسك طريق الإسفلت المسمى طريق سيدنا حمزة حتى يصل إلى وادي قناة فقبر سيد الشهداء فقبور شهداء أحـد . والمسافـة من المدينـة إلى قبور الشهـداء نحو ثلاثة كيلو مترات (فصول من تاريخ المدينة المنورة / ١٧٨) .

ومن شعره رضي الله عنه قوله رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه من قصيدة :

عشيـة صـاروا حـاشـدين وكلنـا
مـراجلـه من غيظ أصحـابـه تغلي

فلمـا تـراءينـا أنـاخـوا فعقَّلـوا
مطـايـا وعقلنـا مـدى غـرض النبل

وقلنـا لهم : حبـل الإلـه نصيـرنـا
ومـا لكـم إلا الضـلالـة من حبل

فثـار أبـو جهل هنـالك بـاغيـا
فخـاب ، ورد الله كيـد أبـي جهل

ومـا نحن و إلا فـي ثـلاثين راكبـا
وهم مـائتـان بعـد واحـدة فضل

(العمدة ١ / ٣٦) .

ومما جاء في رثاء حمـزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ما أورده صاحب اللسان في مادة « بكا » حيث يقول :

قال حسـان بن ثابت ، وزعـم ابن إسحاق إنه لعبـد الله بن رواحة ، وأنشده أبو زيد لكعب بن مالك في أبيات :

بكـت عيني وحـق لهـا بكـاهـا
ومـا يغنـي البكـاء ولا العـويل

على أسـد الإلـه غـداة قـالـوا :
أحمـزة ذاكـم الـرجـل القتيـل؟

أصيب المسلمون به جميعا
هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت
وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان
مخالطها نعيم لا يزول

قال ابن برى : وهذه من قصيدة ذكرها النحاس فى طبقات الشعراء ، قال : والصحيح أنها لكعب بن مالك (لسان العرب ٤ / ٣٣٧) .

لاحظ فى أول البيت الرابع قوله « أبا يعلى » لأنها ــ كما سبق القول ـ كنية حمزة رضى الله عنه .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦٨ ، ١٦٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ٢١ ـ ٢٣ ، و « مشهد حمزة رضى الله عنه » ـ د. محمد محمد الشرقاوى . مجلة الأزهر . الجزء الثانى ، السنة السادسة والخمسون . صفر ١٤٠٤ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٣ م / ٢٠٣ ، والمدينة المنورة وأول بلدية فى الإسلام ـ صدقة حسن خاشقجى ومحمد عبد الجليل النمر ، ١ / ١٢٥ ، وفصول من تاريخ المدينة المنورة ـ على حافظ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، والعمدة لابن رشيق ــ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٣٦ ، ولسان العرب لابن منظور ٤ / ٣٣٧ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧٨ وقد أدرجه تحت اسم «الحمزة» ، وأنس السارى والسارب لأبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى الشهير بالسراج الملقب بابن مليح ــ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ١٠٦ ، ١٠٧) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين مقبرة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وقد ظهر خلفها جبل أحد ، وقد أخذت من كتاب «المدينة المنورة» ١ / ١٢٧) .

*** حمزة بن عمرو الأسلمى (ـ ٦١ هـ) :**

قال عنه الإمام النووى : حمزة بن عمرو الأسلمى الصحابى رضى الله عنه مذكور فى المختصر والمهذب فى الصيام . هو أبو صالح وقيل أبو محمد حمزة بن عمرو بن عويمر بن الحرث بن الأعرج بن سعد بن رزاح براء مفتوحة ثم زاى وبالحاء المهملة بن عدى بن سهل وقيل سهم بن مازن ابن الحرث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة الأسلمى روى له عن رسول الله ﷺ تسعة أحاديث روى مسلم فى صحيحه حديثا . روت عنه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وابنه محمد وعروة بن الزبير وسليمان بن يسار وغيرهم . توفى سنة إحدى وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وقيل ابن ثمانين وكان يصوم الدهر ثبت هذا فى صحيح مسلم . أخبرنا أبو إسحاق الواسطى انبا الفراوى انبا الفارسى انبا الجلودى انبا ابن سفيان انبا أو ثنا مسلم ثنا أبو الربيع ثنا حماد ثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها « أن حمزة بن عمرو سأل النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى رجل أسرد الصوم أفأصوم فى السفر ؟ قال صم إن شئت وأفطر إن شئت » وروى البخارى فى تاريخه بإسناده عن محمد بن حمزة هذا عن أبيه قال « كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعى لتنير » وروى بإسناده « أن النبى ﷺ كناه أبا صالح » (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٩) .

وقال عنه صاحب الرياض المستطابة : وهو الذى بشر الصديق رضى الله عنه بفتح وقعة أجنادين (أوردناها فى م ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٨ تحت عنوان « أجنادين (موقعة ـ) » فانظرها فى موضعها إن شئت) .

أخرج له مسلم حديثا واحدا ، هو حديث الصوم فى السفر وخرج عنه أبو داود والنسائى ، عنه ابنه محمد وسليمان ابن يسار . وقد توفى سنة إحدى وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة (وقيل ابن ثمانين) والله أعلم (الرياض المستطابة / ٥٩) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٦٩ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٩) .

*** حمزة بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٥٧ هـ / ٨٨٨ ـ ٩٦٨ م) :**

حمزة بن محمد بن على بن العباس الكنانى المصرى ، أبو القاسم ، من حفاظ الحديث رحل إلى العراق فى طلبه . وكان ورعا كثير العبادة . له « البطاقة » مخطوط ، وهى أمالٍ فى الحديث (الأعلام ٢ / ٢٨٠) .

وجاء عنه فى « المحدثون فى مصر والأزهر » ما يلى :

ومن محدثى الديار المصرية الحافظ أبو القاسم الكنانى المصرى حمزة بن محمد بن على بن العباس .

أخذ العلم على كبار علماء عصره وأئمة زمانه فقد تتلمذ على عبد الرحمن النسائى وأبى يعلى الموصلى وعمران بن موسى بن حميد الطبيب . وطوف فى كثير من الأقطار طلبا للعلم .

قال عنه الذهبى أكثر التطواف وجمع وصنف وكما أخذ العلم فى رحلاته عن الشيوخ فقد كان يأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ أمثال ابن منده ، وأبى الحسن الدارقطنى .

قال عنه الحاكم : وحمزة المصرى على تقدمه فى معرفة الحديث كان أحد من يذكر بالزهد والورع والعبادة .

وقال عنه الحافظ عبد الغنى : كل شىء لحمزة فى سنة خمس . ولد سنة خمس وسبعين ومائتين ، وأول ما سمع منه سنة خمس وتسعين ، ورحل سنة خمس وثلاث مائة .

وقال عنه الصورى : كان حمزة ثبتا حافظا .

وقال عنه ابن زولاق : حدثنى حمزة الحافظ قال رحلت سنة خمس ودخلت حلب وقاضيها أبو عبد الله محمد فكتبت عنه فكان يقول : لو عرفتك بمصر لملأت ركابيك ذهبا فيقال إنه أعطاه مائتى دينار ترحل بها إلى العراق .

قال أبو عمر بن عبد البر : سمعت عبد الله بن محمد بن أسد سمعت حمزة الكنانى يقول خرجت حديثا واحدا عن النبى ﷺ من نحو مائتى طريق فداخلنى لذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك فرأيت يحيى بن معين فى المنام فقال :

يا أبا بكر خرجت حديثا من مائتى طريق فسكت عنى ساعة ثم قال :

أخشى أن يدخل هذه تحت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾

وقال ابن منده : سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول : كنت أكتب الحديث ولا أكتب « وسلّم » فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى : أما تختم الصلاة على فى كتابك .

وقال الذهبى : أنبأنى الخضر بن حمويه وطائفة عن القاسم بن عساكر أنا أبى أنا ابن الاكفانى أنا سهل بن بشر سمعت على بن عمر الحرانى سمعت حمزة بن محمد وجاءه غريب فقال : عساكر المعز قد وصلوا إلى الإسكندرية فقال : اللهم لا تحينى حتى ترينى الرايات الصفر فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام .

وهكذا عاش حياته الحافلة بخدمة السنة وبعبادة الله تعالى والقرب منه إلى أن توفى فى شهر ذى الحجة فى عام سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧ هـ (المحدثون فى مصر والأزهر / ١٦٨ ، ١٦٩) .

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى أصحاب الأجزاء الحديثية فقال : وجزء البطاقة من إملاء أبى القاسم حمزة بن محمد بن على بن العباس الكنانى المصرى الحافظ المتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، رواه عنه أبو الحسن على بن عمر بن محمد الحرانى المصرى الصواف المتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، ذكره فى حسن المحاضرة (الرسالة المستطرفة / ٦٧ ، ٦٨) .

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٨٠ ، والمحدثون فى مصر والأزهر - أ.د. الحسينى هاشم و أ.د. أحمد عمر هاشم / ١٦٨ ، ١٦٩ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٦٧ ، ٦٨) .

*** أبو حمزة الخراسانى:**

أورده الشيخ السلمى فى الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه :

هو أبو حمزة الخراسانى ، وكان أصله من نيسابور من محلة ملقاباذا ، صحب مشايخ بغداد ، وهو من أقران الجنيد ، سافر مع أبى تراب النخشبى ، وأبى سعيد الخراز ، وهو من أفتى المشايخ وأورعهم .

ومن كلامه :

- من نصح نفسه كرمت عليه ، ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه .

- وسئل عن الأنس فقال : ضيق الصدر عن معاشرة الخلق .

- من استشعر ذكر الموت حبب إليه كل باق ، وبُغض إليه كل فان .

- العارف يخاف زوال ما أعطى ، والخائف يخاف نزول ما وعد ، والعارف يدافع عيشه يوما ليوم ، ويأخذ عيشه يوما ليوم .

- وسئل عن الصوفى فقال : من صفى من كل درن ، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال .

- من استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولاه .

ـ وقال له رجل : أوصني . فقال : هيىء زادك للسفر الذى بين يديك ، فكأنى بك وأنت فى جملة الراحلين عن منزلك ، وهيىء لنفسك منزلا تنزل فيه إذا نزل أهل الصفوة منازلهم ، لئلا تبقى متحسرا .

ـ وقال لبعض أصحابه : خف سطوة العدل ، وارج رأفة الفضل ، ولا تأمن من مكره ، وإن أنزلك الجنان .

ـ من خصه الله تعالى بنظرة شفقة فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة ، وتزينه بالصدق ظاهرا وباطنا .

ـ وسئل : هل يتفرغ المحب إلى شىء سوى محبوبه ؟ فقال : لا ، لأنه بلاء دائم ، وسرور متقطع ، وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها . وأنشد .

يقاسى المقاسى شجوه دون غيره

وكل بلاء عند لاقيه أوجع

ـ وسمع بعض أصحابه وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجده وغلبة الحال عليه ، وإظهار سره فى مجلس فيه بعض الأضداد ، فقال : أقصر يا أخى ، فالواجد الغالب يسقط التمييز ، ويجعل الأماكن كلها مكانا واحدًا ، والأعيان عينا واحدة ، ولا لوم لمن غلب عليه وجده ، فاضطره إلى أن يبديه .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٧٩) .

*** حمزة الضرير (ــ ٧٦٤ هـ) :**

من المعيدين الحنابلة بالمدرسة المستنصرية .

كان معيدا للحنابلة عند الشيخ تقى الدين الزريرانى بالمستنصرية . وكان يحفظ القرآن . وقد لازمه جماعة من المقرئين ، والزهاد . قال ابن رجب : « ومن خواصه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن السقا ، مربى الطائفة والشيخ أحمد بن التماشكى المعيد وصنف كتابا فى الفقه وعرضه عليه . وولده محمد الفرضى . وشيخنا شهاب الدين أحمد بن محمد الشيرجى الزاهد ، أعاد بعده بالمستنصرية عند شمس الدين محمد بن سليمان النهرمارى المدرس بالمستنصرية إلى الآن ـ توفى سنة أربع وستين وسبعمائة . ودفن بمقبرة أحمد بن حنبل وذكر ابن رجب فى ترجمته أنه كان إمام التعبير . ويقرأ السورة من آخرها إلى أولها ... وقد لازمه محمد بن عبد الله المقرىء ، ومحمد بن داود وإبراهيم الكاتب . والشيخ على بن القطان الزاهد الحيرى . وحموه الصالح محمد الحظائرى . وكان هو بنفسه يصحب محمد بن القيمة بباب الأزج . وانتفع به .

(تاريخ علماء المستنصرية ـ د. ناجى معروف ١ / ١٥٢) .

*** حمزة فتح الله (١٢٦٦ - ١٣٣٦ هـ / ١٨٤٩ - ١٩١٨ م) :**

هو الشيخ الوقور ، اللغوى الحجة التقى حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية .

ولد رحمه الله بثغر الإسكندرية سنة ١٢٦٦هـ . (١٨٤٩م) ونشأ بها ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم فى سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن فى قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل وحفظ الغريب . ثم عاد إلى الإسكندرية واختير (فى منتصف العقد الثالث من عمره) محررا فى إحدى الصحف التونسية (الوسيط / ٣٣٩) (هى جريدة الرائد التونسى الرسمية ، الأعلام ٢ / ٢٨٠) فمكث هناك حوالى ثمانى سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فى زمن قيام الثورة العرابية (الوسيط / ٣٣٩) فحرر جريدة «البرهان» ثم جريدة « الاعتدال » (الأعلام ٢ / ٢٨٠) وبعد أن انتهت الثورة العرابية استخدم فى وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة متنقلا بين التفتيش والتدريس ، حتى كان فى سنة ١٩١٠م مفتشها الأول للغة العربية ، وفى غضون تلك المدة ندبته الحكومة مرتين لحضور مؤتمر المتعربين (مؤتمر المستشرقين فى فينا عاصمة النمسا ، ثم فى استوكهلم عاصمة السويد الأعلام ٢ / ٢٨٠) ممثلا لها لما لها فيه من الثقة ، ولما له من غزارة المادة ، وسعة الاطلاع .

قالت المؤلفة : ذكر الشيخ محمود عمر الباجورى رحمه الله ، فى ترجمته الذاتية التى أدرجها الشيخ عبد الله مصطفى المراغى فى كتابه « الفتح المبين » (ص ١٧١) أن أعضاء الوفد المصرى الذين عينتهم الحكومة لحضور مؤتمر المستشرقين هذا هم : الشيخ محمود عمر الباجورى صاحب الترجمة ، وعبد الله باشا فكرى ، وأمين بك فكرى ، والشيخ حمزة فتح الله اهـ .

وقد أحيل الشيخ حمزة فتح الله إلى المعاش سنة ١٣٣٠هـ .

واستمر مشتغلا بمدارسة العلم حتى بعد أن كف بصره ، ولم يثنه عن ذلك إلا مفاجأة الموت فى فبراير سنة ١٩١٨ م .

علمه وأعماله - كان الشيخ أكرم الله مثواه كثير القراءة فى كتب اللغة والأدب والحديث شديد الحفظ والذكر قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعرا أو مثلا أو قصة وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكها على سنن العربية الفصيحة ، وهو أملأ من شاهدناه ، باللغة والأدب والصرف .

عهد إليه بالتدريس فى دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين . كالجاحظ والمبرد والقالى والمرتضى، وأظهر ما كان ذلك فى مواهبه الفتحية .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية فى مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها ، فرأى المجال فسيحا لتخليصها من أدران العامية ، وأوضاع الدخيل ، وفساد التراكيب، وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك فى كتابة التلاميذ، ويتحفهم بمرادفه تارة ويرشدهم إلى المظان أخرى، فتنبه بذلك الغافل ، ودقق المتساهل، واتهموا أنفسهم فى كل كلمة ، وحاسبوها على كل جملة ، وعكفوا على مراجعة معجمات اللغة بعد أن طال هجرها ، ووقفوا عند نصوصها ناسجين على منوال الشيخ (من الوقوف عند السماع دون العمل بالقياس) بل تغالى بعض المفتونين منهم ، وتعدوا طورهم ؛ فجعلوا يقولون : لا توجد هذه الكلمة فى اللغة ، ولو وجدت فى شعر فحول الأدباء من أهل القرون الأولى ، ولعلهم لم يعرفوا من اللغة أكثر من طريقة الكشف فى معجماتها على ندرة المطبوع منها ، فلقى المؤلفون والأدباء وبلغاء الناس منهم بلاء عظيما وعنتا مقيتا .

أخلاقه : كان الشيخ حليما رحيما ، تقيا ورعا ، لا تأخذه فى الله لومة لائم صالحا مهذبا ، يميل إلى الصالحين من المعلمين ، ويحارب من يشاع عنهم التهاون بشعائر الدين وربها سعى فى فصلهم من عملهم ، يعمل ذلك ولا غاية له إلا إحاطة النشء بسياج من الفضيلة حتى لا يتسرب إليهم الزيغ فى زمن قد كثر فيه أنصار الرذيلة ، وقل طلاب الفضيلة .

وكان جزاه الله خيرا يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله قد خصهما بكل مزية ، وأن جميع ما يتجدد من أنواع المدنية الحديثة قد سبق إلى نوعه العرب ، وأن لاسمه مرادفا فى لغتهم، يعرف ذلك من خالطه أو قرأ مواهبه .

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته كتاب « المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية » مطبوع مجلدان و « باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام » ، ورسالة فى التوحيد هى « العقود الدرية فى العقائد التوحيدية » مطبوع ، وأخرى فى الخيل هى « هداية الفهم إلى بعض أنواع الوسم » مطبوع ، وهو رسالة فى وسم الإبل والخيل وغيرها عند العرب ، و« التحفة السنية فى التواريخ العربية » مطبوع ، وكتيب فى المفردات الأعجمية التى فى القرآن . وله شعر (الوسيط ٣٣٩-٣٤١، والأعلام ٢/ ٢٨٠)

(الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه - الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٣٣٩ - ٣٤١ ، والأعلام للزركلى ٢ / ٢٨٠، والفتح المبين فى طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٧١) .

*** حمزة القارئ (٨٠-١٥٦هـ / ٧٠٠-٧٧٣م):**

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الجد أبو عمارة الكوفى التيمى مولاهم وقيل من صميم العرب . الزيات أحد القراء السبعة .

ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم أخذ القراءة عرضا عن سليمان الأعمش وحمران ابن أعين وأبى إسحاق السبيعى ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليل وطلحة بن مصرف ومغيرة بن مقسم ومنصور وليث بن أبى سليم وجعفر بن محمد الصادق وقيل بل قرأ الحروف على الأعمش ولم يقرأ عليه جميع القرآن قالوا استفتح حمزة القرآن من حمران وعرض على الأعمش وأبى إسحاق وابن أبى ليلى وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود وكان ابن أبى ليلى يجود حرف على وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان يعتبر حروف معانى عبد الله ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان وهذا كان اختيار حمزة .

كان لا يأخذ أجرا على القرآن لأنه تمذهب بحديث التغليظ فى أخذ الأجرة عليه ، حمل إليه رجل من مشاهير الكوفة كان قد ختم عليه القرآن جملة دراهم فردها عليه وقال أنا لا آخذ أجرا على القرآن أرجو بذلك الفردوس .

وعرض عليه تلميذ له ماء في يوم حر فأبى وإليهما أشار الشاطبي بقوله من متورع وقال عنه الأعمش هذا حبر القرآن وقال سفيان الثوري غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وإليه أشار بالإمام وكان يتكلف الوحل بالشتاء والشمس بالصيف وإليه أشار بصبور وهو فيه أصحاب الترتيل وقيل ما رؤى قط إلا وهو يقرأ وقيل كان يختم كل شهر خمسا أو تسعا وعشرين ختمة وإليه أشار بمرتل وكان يصلى بعد الإقراء أربع ركعات ويصلي الظهر والعصر بين المغرب والعشاء ويقوم أكثر الليل .

قرأ على أبي عبد الله جعفر الصادق على أبيه أبي جعفر محمد الباقر على أبيه أبي الحسين على زين العابدين على أبيه أبي عبد الله الحسين على أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش . وعلى يحيى بن وثاب الأسدى على أبي شبل علقمه النخعي على عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ .

وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي على المنهال بن عمر على سعيد بن جبير على عبد الله بن عباس على أبي بن كعب وعلى حمران بن أعين على أبي الأسود على عثمان وعلى رضي الله عنهما .

(البحث والاستقراء / ٤٦ ـ ٤٨) .

وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة أبي عيسى سليم بن عيسى الحنفي الكوفي المتوفى سنة ١٨٨ ، ثمان وثمانين ومائة .

أما « خلف » فهو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزار . كان زاهدًا عابدا . روى عن سليم بن عيسى الحنفي عن حمزة وتوفى سنة ٢٢٩ تسع وعشرين ومائتين .

وأما « خلاد » فهو أبو عيسى خلاد بن خالد الأحول الصيرفي . روى عن سليم بن عيسى عن حمزة وكان أضبط أصحاب سليم وأجلهم عرفانا وتحقيقا . توفي بالكوفة سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين وفي ذلك يقول صاحب الشاطبية :

وحمزة ما أزكاه من متورع ... إماما صبورا للقران مرتلا

روى خلف عنه وخلاد الذي ... رواه سليم متقنا ومحصلا

(مناهل العرفان ١/ ٤٦٠ ، ٤٦١) .

ويقول صاحب طيبة النشر :

وحمزة عنه سليم فخلف ... منه وخلاد كلاهما اغترف

(الكوكب الدرى / ٣٧) .

قرأ عليه أيضا أي روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم وإبراهيم بن إسحاق بن راشد وإبراهيم بن طعمة وإبراهيم بن علي الأزرق وإسحاق بن يوسف الأزرق وإسرائيل بن يونس السبيعي وأشعث بن عطاف وبكر بن عبد الرحمن وجعفر بن محمد الخشكني وحجاج بن محمد والحسن ابن بنت الشمالي والحسن بن عيسى وحمزة بن القاسم الأحول وخالد ابن يزيد الطبيب ، وربيع بن زياد وسعيد بن أبي الجهم ومسلم الأبرش المجد وأبو الأحوص سلام بن سليم وسليمان ابن أيوب وسليمان بن يحيى الضبي وسليم بن منصور وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وشعيب بن حرب وزكريا بن يحيى ابن اليماني وصباح بن دينار وعائد بن أبي عائد أبو بشر الكوفي وعبد الرحمن بن أبي حماد وعبد الرحمن بن قلوقا وعبد الله بن صالح بن مسلم العجلي وعبيد الله بن موسى وعلي بن حمزة الكسائي أجلُّ أصحابه وعلي بن صالح بن حبي وأبو عثمان عمرو بن ميمون القناد وغالب بن فائد ومحمد بن حفص الحنفي ومحمد بن زكريا ومحمد بن عبد الرحمن النحوي ومحمد بن أبي عبد الهذلي ومحمد بن عيسى الراشي بن فضيل بن غزوان ومحمد بن الهيثم النخعي ومحمد ابن واصل المؤدب ومندل بن علي ومنذر بن الصباح ونعيم بن يحيى السعيدي ويحيى بن زياد الفراء ويحيى بن علي الخزار ويحيى بن المبارك اليزيدي ويوسف بن إسباط ومحمد بن مسلم العجلي كما ذكر أبو الحسن الخياط (البحث والاستقراء / ٤٦ ـ ٤٨ ، وغاية النهاية ١ / ٢٦٢) .

وإلى حمزة صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماما حجة ثقة مثبتا رضيا قيما بكتاب الله بصيرا بالفرائض عارفا بالعربية حافظا للحديث عابدا خاشعا زاهدا ورعا قانتا لله عديم النظير ، وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة قال عبد الله العجلي قال أبو حنيفه لحمزة شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما :

القرآن والفرائض وقال سفيان الثورى : غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وقال أيضا عنه : مـا قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر، وقال عبيد الله بن موسى : كان حمزة يقرىء القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلى أربع ركعات ثم يصلى ما بين الظهر إلى العصـر وما بين المغـرب والعشاء وكـان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول هذا جد القرآن .

وروى عنه أنـه كان يقـول لمن يفرط فى المـد والهمز : لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص وما كان فوق الجعودة فهـو قطط ومـا كان فوق القـراءة فليس بقـراءة ، قال يحيى بن معين سمعت محمـد بن فضيل يقول مـا أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة .

توفى سنة ست وخمسين ومائة على الصواب . والله أعلم .

قال الذهبى : وقبره بحلوان مشهـور ـ قال عبد الرحمن بن أبى حماد زرتـه مرتين (البحث والاستقـراء / ٤٩ وغـاية النهـايـة ١ / ٢٦٣) .

رمز حمزة : ف

منهج حمزة فى القراءة :

١ ـ يصل آخـر كل سـورة بـأول تـاليتهـا من غيـر بسملـة بينهما .

٢ ـ يضم الهاء وصلا ووقفا فى الألفاظ الثلاثة : عليهم ، إليهم، لديهم .

٣ ـ يسكن الهاء فى : ﴿ يؤده إليك ﴾ [آل عمران : ٧٥] ﴿ نولِّه ما تولى ونصله جهنم ﴾ [النساء : ١١٥] نؤته منها ، فألقه إليهم :

٤ ـ يقـرأ بالإشباع فى المـدين المتصل والمنفصل بمقدار ست حركات .

٥ ـ يقرأ بـالسكت على أل وشىء ويقـرأ من روايـة خلف بالسكت على الساكن المفصول نحو « عذاب أليم » .

٦ ـ يغيـر الهمز عنـد الوقـوف سواء كان فـى وسط الكلمة نحو يؤمنون، أم فى آخـرها نحو ينشىء على تفصيل فى ذلك فى كتب القراءات .

٧ ـ يدغم من روايـة خلف ذال إذ فى الدال والتـاء، ومن روايـة خلاد فى جميع حـروفهـا ما عـدا الجيم ، ويـدغم من الـروايتين دال قد فى جميع حـروفها ، وتـاء التأنيث فى جميع حروفها ، ويدغم لام هل فى الثاء نحو ﴿ هل ثوِّب الكفار ﴾ فى المطففيـن ، ولام بل فى السيـن فى ﴿ بل سوَّلت لكم ﴾ بيوسف، وفى التاء نحو ﴿ بل تأتيهم ﴾ ويدغم الباء المجزومة فى الفاء نحو ﴿ وإن تعجب فعجب ﴾ [الرعد : ٥] هذا من روايه خـلاد، ويدغم الذال فـى عذت، اتخذتم ، فنبـذتها ، والثاء فى التاء فى أورثتموها ، وفى لبثت كيف وقع .

٨ ـ يميل الألفات من ذوات الياء والألفـات المرسومة ياء فى المصـاحف نحـو الهـدى اشتـرى، النصـارى ، ويميل الألفات فى خـاب، خافوا ، طاب، ضـاقت ، وحاق، زاغ، جاء ، شاء ، ويقلل الألفـات الواقعة بين راءين ثانيتهـا متطرفة مكسورة نحو إن كتاب الأبرار، من الأشرار.

٩ ـ يسكن ياءات الإضافة فى ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا ﴾ بإبراهيم ﴿ يا عبـادى الذين أسـرفوا ﴾ بالزمـر ونحو ذلك وقد حصرها العلماء فى كتب القراءات .

١٠ ـ يثبت الياء الزائدة فى ﴿ أتمدونن بمال ﴾ فى النمل ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ بإبراهيم (البحث والاستقراء / ٨٧، ٨٨) .

وفيما يلى ما جاء من نظم فى منهج حمزة فى القراءة الذى أوردناه آنفا . قال الناظم :

وإن تسكنـن فـى مـــد منفصـل فـــلا
سكـوت على المـوصـول فى هـزءا ابـدلا

وفى أل أو المفصـول فـاسكت مـوسطـا
لشـىء بـــوار معـــه تـــوراة قلـــلا

وعن حمـــزة مـــا كـــان وسطـا بـــزائد
لـــدى سكت كـالمـــا أو كينأون سهـــلا

وكن آخـــذا أيضـــا بـــه عنـــه إن تكن
علـى هــاء تأنيث وقفت مميِّـــلا

ومنفصـل عـن مــــدٍّ أو عـن محـــرَّك
لـــدى سكت مـد الـوصل ليس مسهِّـلا

كـــذلك مع سكت علـى أل وشيئـــه
كـــذلك مـع تـــوسيط شىء تُقبِّــلا

وسكتـا بمفصـــول فمـوصـــول اوريـا
كـــذلك فـــاسكت فى الجميع وحصِّــلا

بفتح كإن تتلــو الإمـــالـــة مطلقـــا
ســـوى ألف أو إن تخصص مميّـــلا
لخمس وعشـــر مثل كـــره بشـــرطهـــا
ومع سكت مـــد الفصل لا ميل أعمـــلا
وعن خلف لا فتح بـــالسكت مطلقـــا
ولكن لـــذى التخصيص حتمـــا فميّـــلا
ومع تـــرك سكت عنـــد خـــلاد جـــوِّزن
لميل وأمـــا للـــرفيق فأهمـــلا
وسهِّل كمن أجـــر وحقق لحمـــزة
لمنفصل رسمـــا إذا الكل ميـــلا
يعـــذب من أدغم متى تسكتـــا بأل
مع السكت والتـــوسيط فى شىء احمـــلا
بإضجـــاع هـــا التأنيث تـــوراة ميـــلا
ومع سكت مـــد أو كجـــزءا فميِّـــلا
ومع سكت أل فـــامنع لـــوجـــه إمـــالـــة
بتقليلهـــا مفصـــول تحـــريك أهمـــلا
لتسهيلـــــه وامنع لإدغـــام بل طبع
بسكتك مـــدا ثم آلان مبـــدلا
بـــه خصصـــا مفصـــول مـــد مسهِّـــلا
ومع سكت مـــد الفصل أيضـــا فـأبـــدلا
وتـــرقيق فـــرق خصِّصن بفتح هـــا
وتحقيق همـــز للمحـــرك قـــد تـــلا
وقصـــر لـــلا وامنع مع السكت مطلقـــا
كمـــوصـــولـــه يسّ عنـــه مقلـــلا
ومع نقص نخلقكم فـــلا مـــاء ســـاكت
كسكت بفصل إن قـــرار يقلـــلا

(مختصر قواعد التحرير / ٣٦-٣٩) .

(البحث والاستقراء فى تراجم القراء - محمد الصادق قمحاوى / ٤٦ - ٤٩ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٦١ - ٢٦٣ ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن - فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١ ، والكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى - محمد الصادق قمحاوى / ٣٧ ، ومختصر قواعد التحرير لطيبة النشر - محمد بن محمد جابر المصرى / ٣٦ - ٣٩ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢ / ٢٧٧ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٣٤ ، ٣٥ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنظام النيسابورى - تحقيق إبراهيم على سالم / ١٨ ، والمدرسة القرآنية فى المغرب من الفتح الإسلامى إلى ابن عطية - عبد السلام أحمد الكنونى (بالجيم المغربية) ١ / ١٠٣ ، والتذكرة فى القراءات السبع لابن غلبون - تحقيق د. عبد الفتاح بحيرى إبراهيم ١ / ٤١) .

*** ابن حمزة المغربى :**

ابن حمزة المغربى، من علماء القرن العاشر للهجرة (أى السادس عشر للميلاد) . ، ومن الذين اشتغلوا بالرياضيات ، وبرعوا وألفوا فيها المؤلفات القيمة ، التى أفضت إلى تقدم بعض النظريات فى الأعداد .

و « ابن حمزة » من الذين مهدوا لاختراع . اللوغارتمات ، كما أن بحوثه فى المتواليات كانت الأساس الذى بنى عليه هذا الفرع من الرياضيات .

وهو جزائرى الأصل ، أقام مدة فى « استانبول »، حيث درس العلم ، ثم عاد فى أواخر القرن العاشر للهجرة إلى بلاد « الجزائر » ومنها توجه إلى « الحجاز » لأداء فريضة الحج .

ويظهر من مؤلفاته ، أنه استفاد من « ابن الهائم » و « ابن غازى» ومن مؤلفاته : « تحفة الأعداد فى الحساب » ألفه بمكة المكرمة ورتبه على مقدمة وأربع مقالات وخاتمة فى عصر السلطان « مراد خان بن سليم خان » (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك / ٤٧٠) .

انظر نموذجا لحل ابن حمزة لمسألة بعينها أوردناها فى مادة « تحفة الأعداد لذوى الرشد والسداد » فى م ٨ / ٦٠٥ - ٦٠٧ .

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٤٧٠ . انظر أيضا العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية - د. جلال شوقى ، د. على الرفاع ١ / ٢٩١ - ٢٩٤) .

*** الحمزى :**

قال السمعانى :

الحمزى : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وفى آخرها الزاى، هذه النسبة إلى شيئين : أحدهما إلى حمزة - وقيل هى

حمزى ــ وهى مدينة من بلاد المغرب، والمنتسب إليها أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن داود الحمزى المغربى من هذه البلدة ، كان فقيها صالحا ورد بغداد وسمع بها أبا نصر محمد بن محمد بن على الزينبى وبالبصرة أبا على على بن أحمد بن على التسترى وطبقتهما ، سمع منه رفيقنا أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الحافظ، وذكر لى بصنعاء أنه توفى ببغداد يوم الجمعة سابع شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وأما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأنبارى المقرى الضرير، يعرف بابن أبزون الحمزى ينسب إلى حمزة الزيات لأنه كان يقرأ بقراءته (انظر : حمزة القارىء) من أهل الأنبار، كان ضرير البصر مقرئا، روى عن بهلول بن إسحاق التنوخى وسعيد بن عبد الله الحدثانى ويموت بن المزرع البصرى وأبى عمر محمد بن أحمد الحليمى، روى عنه محمد بن عمر بن بكير النجار وأبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز وأبو الفرج بن سميكة البغدادى؛ وقال محمد بن العباس بن الفرات : ابن أبزون لم يكن فى الرواية بذاك ، كتبت عنه ، وكانت معه كتب طرية غير أصول، وكان مكفوفا، وأرجو أن لا يكون ممن يتهم بالكذب وقال أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس الحافظ: سنة أربع وستين وثلاثمائة توفى أبو عبد الله بن أبزون الأنبارى الضرير ، ولم يكن ممن يصلح للصحيح وأرجو أن لا يكون ممن يتعمد الكذب .

وأما الحمزية ففرقة من الخوارج ، وهم أصحاب رجل يقال له حمزة ، وكانوا مع الميمونية فى القول بالقدر وفى وجوب قتال السلطان ، وخالفوا الميمونية فى الأطفال فقالوا إن أطفال المشركين فى النار؛ وهم عند الميمونية فى الجنة ، وكل واحد من الفريقين يكفر الآخر .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٢ انظر أيضا اللباب لابن الأثير ــ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٢).

*** الحمزية:**

انظر : الحمزى .

*** الحُمْس:**

جاء فى اللسان فى مادة «حمس » : الأحمس : المتشدد على نفسه فى الدين ...

والحمس : قريش، لأنهم كانوا يتشددون فى دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون ، وقيل : كانوا لا يستظلون أيام منى، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون، ولا يسلئون السمن، ولا يلقطون الجُلة .

وفى حديث خيفان : أما بنو فلان فمُسك أحماس أى شجعان وفى حديث عرفة : هذا من الحمس، هم جمع الأحمس. وفى حديث عمر، رضى الله عنه ، ذكر الأحامس؛ هو جمع الأحمس الشجاع . أبو الهيثم : الحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس، وهم فهم وعدوان ابنا عمرو ابن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة، هؤلاء الحمس، سموا حمسا لأنهم تحمسوا فى دينهم ، أى تشددوا . قال : وكانت الحمس سكان الحرم ، وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات ، إنما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم ، وصارت بنو عامر من الحمس، وليسوا من ساكنى الحرم، لأن أمهم قرشية، وهى مجد بنت تيم بن مرة ، وخزاعة سميت خزاعة لأنهم كانوا من سكان الحرم فخزعوا عنه، أى أخرجوا؛ ويقال : إنهم من قريش انتقلوا بنسبهم إلى اليمن ، وهم من الحمس، وقال ابن الأعرابى فى قول عمرو :

* بتثليث ما ناصيت بعدى الأحامسا *

أراد قريشا؛ وقال غيره : أراد بالأحامس بنى عامر، لأن قريشا ولدتهم ؛ وقيل : أراد الشجعان من جميع الناس.

وأحماس العرب أمهاتهم من قريش، وكانوا يتشددون فى دينهم ، وكانوا شجعان العرب لا يطاقون .

والأحمس : الورع من الرجال الذى يتشدد فى دينه . والأحمس : الشديد الصلب فى الدين والقتال، وقد حمس، بالكسر، فهو حمس وأحمس بين الحمس ابن سيده: والحمس فى قيس أيضا، وكله من الشدة (لسان العرب ١٢ / ٩٩٥).

وقد جاء فى السيرة النبوية عن حديث الحمس ما يلى :

قريش تبتدع الحمس : قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش - لا أدرى أقبل الفيل أم بعده - ابتدعت رأى الحمس رأيا رأوه وأداروه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة، وولاة البيت ، وقطان مكة وساكنها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف

لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم - ﷺ - ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ، ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس.

والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم .

القبائل التى آمنت مع قريش بالحمس: وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة النحوى: أن بنى عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعمرو بن معد يكرب :

أعباس لو كانت شيارا جيادنا

بتثليث ما ناصيت بعدى الأحامسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار: الحسان . يعنى بالأحامس: بنى عامر بن صعصعة . وبعباس: عباس بن مرداس السلمى ، وكان أغار على بنى زبيد بتثليث . وهذا البيت فى قصيدة لعمرو .

وأنشدنى للقيط بن زرارة الدارمى فى يوم جبلة :

أجذم إليك إنها بنو عبس

المعشر الحلة فى القوم الحمس

لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة .

مازادته قريش فى الحمس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا فى ذلك أمورا لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغى للحمس أن يأتقطوا الأقط ، ولا يسلؤا السمن ، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا فى بيوت الأدم ما كانوا حرما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الحمس . فإن لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة

اللقى عند الحمس : فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الحمس، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسها هو ، ولا أحد غيره أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللقى، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مفرجا عليها، ثم تطوف فيه .

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره. فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه، فلا يقربه - وهو يحبه :

كفى حزنا كرى عليها كأنها

لقى بين أيدى الطائفين حريم

يقول : لا تمس.

الإسلام يبطل عادات الحمس : فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا - ﷺ - فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجه . ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ [البقرة : ١٩٩] يعنى قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت ، حين طافوا عراة ، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ [الأعراف : ٣١ ، ٣٢] فوضع الله تعالى أمر الحمس - وما كانت قريش ابتدعت منه - عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله ﷺ .

(قوله : ﴿ **وكلوا واشربوا** ﴾ إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس، ﴿ **وخذوا زينتكم** ﴾ : يعنى اللباس، ولا تتعروا ، ولذلك افتتح بقوله : ﴿ **يا بنى آدم** ﴾ بعد أن قص خبر آدم وزوجه . إذ يخصفان عليهما من ورق

الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة) .

الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن حزم ، عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له ، ﷺ تسليما كثيرا .

(حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير ابن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمس ، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون ؟ !) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٩٩٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٨٤ - ١٨٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . انظر أيضا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقى الفاسى - حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء ٢ / ٤١ - ٤٣) .

*** حمص :**

بالكسر ثم السكون والصاد المهملة . بلد مشهور فى سورية اسمها القديم أميسا . تقع على نهر العاصى فى منطقة خصبة ، تنتشر بها الحدائق والبساتين . وهى مدينة قديمة ولها تاريخ عريق . بلغ عدد سكانها عام ١٩٨١ : ٣٥٤٥٠٨ (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١/ ٣٧٥) .

قال الجوهرى وغيره : بلد يذكر ويؤنث ، هذا حمص ، وهذه حمص . قال السندوبى : حمص من أوسع مدن الشام بها نهر عظيم ولها قرى ؛ سميت بحمص بن صهر بن خميص ابن صاب بن مكنف من بنى عمليق ، افتتحها أبو عبيدة عامر ابن الجراح صلحا سنة ١٦ ست عشرة هجرية ، ثم نافقت ثم صولحت ، وقد نسب إليها خلق كثير من المحدثين (الرسالة الرشادية / ٢٠ ، ٢١) . وقال صاحب اللسان : وحمص كورة من كور الشام أهلها يمانيون . قال سيبويه : هى أعجمية ، ولذلك لم تنصرف (اللسان ١٢ / ٩٩٧) .

وفيما يلى ما ورد فى بعض مصنفات التراث الإسلامى عن حمص :

١ - ابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م) : وصفها كما كانت فى زمانه فقال عنها :

هى فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة فى بسيط من الأرض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه يكاد البصر يقف دون منتهاه أفيح أغبر لا ماء ولا شجر ولا ظل ولا ثمر فهى تشتكى ظمائها وتستقى على البعد ماءها فيجلب لها من نهيرها العاصى وهو منها بنحو مسافة الميل وعليه طرة بساتين تجتلى العين خضرتها وتستغرب نضرتها ومنبعه فى مغارة بسفح جبل فوقها بمرحلة بموضع يقابل (بعلبك) أعادها الله وهى عن يمين الطريق إلى دمشق وأهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم إياه وبعدهم فى ذلك أهل حلب فأحمد خلال هذه البلدة هوائها [هواؤها] الرطب ونسيمها الميمون تخفيفه وتجسيمه فإن الهواء النجدى فى الصحة شقيقه وقسيمه وبقبلى هذه المدينة قلعة حصينة منيعة عاصية غير مطيعة قد تميزت وانحازت بموضوعها عنها وبشرقيها جبانة فيها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه هو سيف الله المسلول ومعه قبر أبيه عبد الرحمن وقبر عبيد الله بن عمر رضى الله عنهم وأسوار هذه المدينة فى غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود وأبوابها أبواب حديد سامية الإشراف هائلة المنظر رائعة الإطلال والأناقة تكتنفها الأبراج المشيدة الحصينة وأما داخلها فما شئت من بادية شعثاء خلقة الأرجاء ملفقة البناء لا إشراق لآفاقها ولا رونق لأسواقها كاسدة لا عهد لها بنفاقها وما ظنك ببلد حصن الأكراد (انظره فى موضعه) منه على أميال يسيرة وهو معقل العدو فهو منه تترائى ناره ويحرق إذا يطير شراره ويتعهد إذا شاء كل يوم مغاره ... وبها مدرسة واحدة وتجد فى هذه البلدة عند إطلالك عليها من بعد فى بسيطها ومنظرها وهيئة موضوعها بعض شبه بمدينة إشبيلية من بلاد الأندلس يقع للحين فى نفسك خياله وبهذا الاسم سميت فى القديم وهى العلة التى أوجبت نزول الأعراب أهل حمص فيها حسبما يذكر وهذا التشبيه وإن لم يكن بذاته فله لمحة من إحدى جهاته فأقمنا بها يوم الأحد المذكور ويوم الإثنين بعده وهو الثانى ليوليه إلى أول الظهر ورحلنا منها (رحلة ابن جبير / ١٩٨ ، ١٩٩) .

٢ ـ ياقوت الحموى (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ / ١١٧٨ ـ ١٢٢٩م)

بسط الكلام عليها فقال :

بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة ، وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق ، يذكر ويؤنث ، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل : حمص بن مكنف العمليقى، وقال أهل الاشتقاق : حمص الجرح يحمص حموصا ، وانحمص ينحمص انحماصا إذا ذهب ورمه، وقال أبو عون فى زيجه : طول حمص إحدى وستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان ، وهى فى الإقليم الرابع ، وفى كتاب الملحمة : مدينة حمص طولها تسع وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، من الإقليم الرابع ، ارتفاعها ثمان وسبعون درجة ، تحت ثمانى درج من السرطان ، يقابلها مثلها من الجدى ، بيت ملكها مثلها من الحمل ، بيت عاقبتها مثلها من الميزان ، قال أهل السير ، حمص بناها اليونانيون ، وزيتون فلسطين من غرسهم .

وأما فتحها فذكر أبو المنذر عن أبى مخنف أن أبا عبيدة ابن الجراح لما فرغ من دمشق قدم أمامه خالد بن الوليد وملحان بن زيَّار الطائى ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجؤوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح ، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار ، وقال الواقدى وغيره : بينما المسلمون على أبواب دمشق إذ أقبلت خيل للعدو كثيفة فخرج إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهيا والثنية فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا حتى وافوا حمص وكانوا متخوفين لهرب هرقل عنهم فأعطوا ما بأيديهم وطلبوا الأمان ، فأمنهم المسلمون فأخرجوا لهم النُّزل فأقاموا على الأرنط ، وهو النهر المسمى بالعاصى وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندى ، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان ثم قدم حمص على طريق بعلبك فنزل بباب الرستن فصالحه أهل حمص على أن أمَّنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من قام منهم ، وقيل : بل السمط صالحهم فلما قدم أبو عبيدة أمضى الصلح . وإن السمط قسم حمص خططا بين المسلمين وسكنوها فى كل موضع جلا أهله أو ساحة متروكة ، وقال أبو مخنف : أول راية وافت للعرب حمص ونزلت حول مدينتها راية ميسرة بن مسروق العبسى ، وأول مولود ولد فى الإسلام بحمص أدهم بن محرز ...

وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فيه عمود فيه موضع إصبعه ، رآه بعضهم فى المنام ، وبها دار خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقبره فيما يقال ، وبعضهم يقول : إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح ، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى رضى الله عنه ، الذى فتح بلاد الجزيرة ، وفيه قبر زوجة خالد بن الوليد وقبر ابنه عبد الرحمن ، وقيل : بها قبر عبيد الله بن عمر ابن الخطاب ، والصحيح أن عبيد الله قتل بصفين فإن كانت نقلت جثته إلى حمص فالله أعلم .

ويقال : إن خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل من حمص ، وإن هذا الذى يزار بحمص إنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذى بنى القصر بحمص ، وآثار هذا القصر فى غربى الطريق باقية ، وبحمص قبر سفينة مولى رسول الله ﷺ واسم سفينة مهران ، وبها قبر قنبر مولى على بن

مسجد خالد بن الوليد في حمص

أبى طالب رضى الله عنه ويقال : إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه وقتل ميثما التمار بالكوفة، وبها قبور لأولاد جعفر بن أبى طالب، وهو جعفر الطيار، وبها مقام كعب الأحبار ومشهد لأبى الدرداء وأبى ذر، وبها قبر يونان والحارث بن عطيف الكندى وخالد الأزرق الغاضرى والحجاج بن عامر وكعب وغيرهم .

وينسب إليها جماعة من العلماء، ومن أعيانهم : محمد ابن عوف بن سفيان أبو جعفر الطائى الحمصى الحافظ، قال الإمام أبو القاسم الدمشقى: قدم دمشق فى سنة ٢١٧ وروى عن أبيه وعن محمد بن يوسف القبرَيانى وأحمد بن يونس وآدم ابن أبى إياس وأبى المغيرة الحمصى وعبد السلام بن عبد الحميد السكونى وعلى بن قادم وخلق كثير من هذه الطبقة، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرزايانى وأبو داود السجستانى وابنه أبو بكر وعبد الرحمن بن أبى حاتم ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو زرعة الدمشقى وخلق كثير من هذه الطبقة ، قال عبد الصمد بن سعيد القاضى : سمعت محمد بن عوف بن سفيان يقول : كنت ألعب فى الكنيسة بالكرة وأنا حدث فدخلت الكرة المسجد حتى وقعت بالقرب من المعافى بن عمران فدخلت لآخذها فقال لى : يا فتى ابن من أنت ؟ قلت: أنا ابن عوف ، قال : ابن سفيان : قلت : نعم ، فقال: أما إن أباك كان من إخواننا وكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم والذى يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك ، فصرت إلى أمى فأخبرتها فقالت : صدق يا بنى هو صديق لأبيك، فألبستنى ثوبا من ثيابه وإزارًا من أزره ثم جئت إلى المعافى بن عمران ومعى محبرة وورق فقال لى : اكتب حدثنا إسماعيل بن عبد ربه بن سليمان، قال : كتبت إلى أم الدرداء فى لوحى فيما تعلمنى: اطلبوا العلم صغارا تعلموه كبارا، قال: فإن لكل حاصد ما زرع خيرًا كان أو شرًّا، فكان أول حديث سمعته ، وذكر عند يحيى بن معين حديث من حديث الشام فرده وقال : ليس هو كذا ، قال : فقال له رجل فى الحلقة : يا أبا زكرياء إن ابن عوف يذكره كما ذكرناه . قال : فإن كان ابن عوف ذكره فإن ابن عوف أعرف بحديث بلده ، وذكر ابن عوف عند عبد الله بن أحمد بن حنبل فى سنة ٢٧٣ فقال : ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف، ذكر ابن قانع أنه توفى سنة ٢٦٩ وقال ابن المنادى: مات فى وسط سنة ٢٧٢ .

ومحمد بن عبيد الله بن الفضل يعرف بابن أبى الفضل أبو الحسن الكلاعى الحمصى . حدث عن مصيفى وجماعة كثيرة من طبقته ، وروى عنه القاضى أبو بكر الميانجى وأبو حاتم محمد بن حبان البستى وجماعة كثيرة من طبقتهما ، وكان من الزهاد ومات فى أول يوم رمضان سنة ٣٠٩، ومات ابنه أبو على الحسن لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة ٣٥١ (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٧٥ ــ ٣٨٢، ومعجم البلدان ٢/ ٣٠٢ـ ٣٠٤) .

وفى هذا المجال يقول شمس الدين الذهبى ، وشمس الدين السخاوى : وحمص نزلها خلق من الصحابة ، وانتشر بها الحديث زمن التابعين ، وإلى أيام حريز بن عثمان ، وشعيب بن أبى حمزة ، ثم إسماعيل بن عياش، وبقية ، و أبى المغيرة وأبى اليمان ، ثم أصحابهم . ثم تناقص ذلك فى المائة الرابعة وتلاشى ، ثم عدم بالكلية (الأمصار ذوات الآثار / ١٧٣ والإعلان بالتوبيخ / ٢٩٥) .

٣ ـ ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ ـ ١٣٧٧ م) . قال عن مدينة حمص :

وهى مدينة مليحة، أرجاؤها مؤنقة، وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع، وجامعها متميز بالحسن الجامع، وفى وسطه بركة ماء، وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم ، وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله، وعليه زاوية ومسجد، وعلى القبر كسوة سوداء(مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٥٣، ٥٤) .

ومن الكتب المؤلفة فى حمص ذكر الشمس السخاوى كتاب « حمص » لأحمد بن عيسى، و « من نزلها من الصحابة » لعبد الصمد بن سعيد، ولأبى بكر بن صدقة (الإعلان بالتوبيخ / ٢٦١) .

ومن المدارس القليلة ذات الإيوانين فى حمص المدرسة العصرونية ، التى تقع عند باب حمص على ضفة نهر العاصى قرب بستان الجبلى . أنشأ هذه المدرسة الأمير نجم التوتان بن باروق سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) ، وكانت مخصصة للحديث والقرآن . وفى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون جددها وعمَّر مسجدها وحبس عليها الكثير من الأوقاف محمد بن محمد بن أبى بكر الشافعى . وقد حرص الواقف على تسجيل

شرط الإقامة فى المدرسة منقوشا على بابها ، وهو أشبه ما يكون بالـلائحة الداخلية للمعاهد بمفهومنا الحالى ، ومن ثم فمن الفائدة نقله هنا ، فهو من أصدق الأدلة التى توضح حالة المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى القرن السابع الهجرى من الناحية الثقافية والاجتماعية . فقد جاء فى النص ما يلى :

أمر بعمل هـذه المدرسة المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن أبى بكر الشافعى خلا قبلها وما استثنى جعلها دار قرآن . ووقف عليها أوقافا كثيرة ليسكن فى هذه الديار من فقراء المسلمين الغرباء مقيمين بها ليلاً ونهاراً يتلون كتاب الله ، ويتذاكرونه بينهم ، ويدعون للواقف ولوالديه وللمسلمين بالنصر . وقرر بها شيخين يعلمون [يعلمان] الفتية القرآن الكريم ، وشرط أن يكون [تكون] مدة إقامة الفقير خمس سنين ، فإن ختم القرآن أو مضت المده المعينة فيكسى ثوبا أو جبة . جعلها الله خالصة لوجهه الكريم فى شوال سنة خمس عشرة وسبعمائة (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٤٥) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهـذه المادة تبين مسجد خالد بن الوليد شيده فى مدينة حمص السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٣ هـ ، ثم أعيد بناؤه فى عهد السلطان عبد الحميد سنة ١٣١٨ هـ ، ثم توالت عمليات الإصلاح (الوعى الإسلامى - السنة التاسعة العدد ٩٩ - غزة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ - ٣ إبريل ١٩٧٣م / ٣)

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان . السفر الثالث ، القسم الأول / ٣٧٥ هامش (١) للمحقق ، والرسالة الرشادية - محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠ ، ٢١ ، ولسان العرب ١٢ / ٩٩٧ ، ورحلة ابن جبير ط عبد الحميد أحمد حنفى / ١٩٨ ، ١٩٩ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٤ والأمصار ذوات الآثار لشمس الدين الذهبى - حققه وقدم له قاسم على سعد / ١٧٣ ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوى - حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنفال / ٢٦١ ، ٢٩٥ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٥٣ ، ٥٤ والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام - د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٥ انظر أيضا أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ١٣٧ ، والدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة - تقديم عبد الله محمد الدرويش / ٢٧٠ - ٢٧٤ ، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها ماجد اللحام / ٨٨ - ٩٠ والإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحورانى - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ١٤٨ - ١٥٤ ، والروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة ١ / ٢٣٧ - ٢٣١) .

* **الحِمَّص :**

ذكره صاحب اللسان بكسر الحاء وتشديد الميم وفتحها أو كسرها وقال : والحِمَّص والحِمِّص : حب القِدْر ، قال أبو حنيفة [الدينورى] : وهو من القطانى ، واحدته حمَّصة وحمِّصة ، ولم يعرف ابن الأعرابى كسر الميم فى الحِمِّص ، ولا حكى سيبويه فيه إلا الكسر فهما مختلفان . وقال أبو حنيفة : الحمص عربى وما أقل ما فى الكلام على بنائه من الأسماء ... وأهل البصرة اختاروا حِمِّصا [بكسر الميم] ، وأهل الكوفة اختاروا حمَّصا [بفتحها] وقال الجوهرى : الاختيار فتح الميم ، وقال المبرد بكسرها (لسان العرب ١٢ / ٩٩٦) .

وقد أورده المظفر الرسولى ورمز إلى مصادره بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

حمص « ع » هو جنس من الحبوب ، ينفخ ويلين البطن ، ويدر البول ، ويزيد فى اللبن ... ، ويدر أيضا الطمث . فأما الحمص الأسود فهو أكثر إدرارا من سائر الحمص ، وماؤه الذى يطبخ فيه يفتت الحصاة من الكلى . وقال : الحمص يدر البول ، ويولد النفخ ، ويحسن اللون ، ويدر الطمث ، ويعين فى إخراج الجنين ، ويولد اللبن ، وهو يغذو الرئة أكثر من سائر الأشياء ، وكذلك إذا كان فيها قروح يعمل مع دقيقه حسو باللبن الحليب ، ويعطى صاحب قروح الرئة ... وغذاؤه كاف ، ويحدث فى اللحم انتفاخا ، ويفعل فى البدن ما يفعله الخمير فى العجين ، والخل فى الأرض . وهو نافع لما يعرض فى الرأس والبدن كله من الحكة ، ... ورطبه أكثر توليدا

للفضول من يابسه، ويابسه يجلو النمش، وينفع من وجع الظهر، ونقيعه ينفع من وجع الضرس، وينفع من أورام اللثة الحارة، ودهنه ينفع من القوباء، وإذا طبخ مع اللحم أعان على نضجه، وإذا غسل به أثر الدم قلعه من الثوب. والحمص الأسود أكثر حرارة، وأقل رطوبة من الأبيض، ولذلك صارت مرارته أظهر على حلاوته وصار فعله في تفتيح سدد الكبد والطحال، وتفتيت الحصاة، وإخراج الدود وحب القرع من البطن، وإسقاط الأجنة، والنفع من الاستسقاء واليرقان العارض من سدد الكبد والمرارة، فيه أقوى وأظهر، وأما في زيادة اللبن وتحسين اللون وإدرار البول، فالأبيض أخص لذلك وأفضل، لعذوبته ولذاذته وكثرة غذائه. « ج » منه أبيض ومنه أحمر ومنه كرسني، ويكون بريا وبستانيا، والبري أحد وأمر، وأشد تسخينا، والأسود أقوى وأبلغ في أفعاله، وهو يسقط الأجنة، والأبيض حار رطب في الدرجة الأولى وقيل إنه يابس، وهو ملين، يجلو النمش، ويحسن اللون. « ف » حب معروف أبيض اللون، وأحمر، وأسود، وأجوده الأبيض الكبار. حار في الثانية، رطب في الأولى، ينفع وجع الظهر، ويصفي الصوت ...

والأسود منه خير من الأبيض. الشربة: بقدر الحاجة اهـ

وجاء في هامش (١) ما يلي:

مضرته: يقرح الكلى، ويولد نفخا ورياحا، ويسقط الأجنة. دفع ضرره: أن يجرش ويطبخ بالشبث والكمون والزيت والدارصيني، ويشرب مرقه، ولا يؤكل جرمه، فإنه إذا فعل به كذلك نفع الشيوخ من الأمراض الباردة، ومن أحب أكل جرمه، فليأكله بالملح الكثير والمري، وإن دفع إلى أكل نيئه أكل بالأمراق الدسمة، وإن دفع إلى أكل المقلي منه، فليأكله سخنا كما قلي، ليسرع انحداره، وإن دفع إلى أكل المشوي منه فليرش عليه الماء والملح، حسو الحمص المعمول من دقيقه نافع من علل الصدر والرئة، ومن السعال. ضرره: يولد نفخا. دفع ضرره أن يطبخ في اللبن الحليب ودهن اللوز. اهـ (المعتمد في الأدوية المفردة ١ / ١٠٣ - ١٠٥).

قال الإمام ابن الجوزي: إذا نقع في الخل، وأكل منه على الريق، وصبر عليه نصف يوم، قتل الدود (مختصر لقط المنافع / ٤٢).

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي عن كيفية زرعه وعن بعض خواصه: وأما الحمص فأنواع: أبيض وأحمر وأسود. وإن أردت أن يكبر الحمص ويجود فانقعه قبل أن تزرعه بيوم في ماء ساخن قليل الحرارة حتى ينبت، ثم ازرعه في أرض ندية، وتوافقه الأرض السبخة، فيخرج نباته قويا جدًّا. والحمص الأبيض يورث أكله السرور وسكون النفس، وإذا جعل معه عند طبخه خردل فإنه ينهري إنضاجًا وزرع الحمص مع قشوره أجود. ومن خواصه أنه إذا سحق وخلط بالصابون أو بالملح وغسل به ثوب فيه أثر دم أزاله. والحمص بطيء الهضم جدا، وإصلاحه تكثير ملحه (علم الفلاحة / ١١٥).

وعن إفلاح الحمص جاء ما يلي لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري: الحمص من المنابت المالحة التي تجتذب ملوحة الأرض إليها. ووقت زرعه من أول كانون الآخر إلى آخر شباط (أي من أول يناير إلى آخر فبراير) وربما زرع في أول تموز (يولية) فيكون ضعيفا، ويوافقه من الأرضين الأرض المالحة والنزة. وإذا أريد أن يكون حمله كثيرا فلينقع قبل الزرع بيومين في ماء فاتر حتى يبتل قليلا ثم يزرع في الأرض بنداوته. وقيل متى زرع في أرض سبخة مالحة خرج نباته قويا متوافرا، ومتى أريد مبكرا فليزرع في أول تشرين الأول (أكتوبر)، وإن زرع مع قشوره كان أجود وأنبل (مفتاح الراحة / ١٢٨، ١٢٩).

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٩٩٦، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا، ١ / ١٠٣ - ١٠٥، ومختصر لقط المنافع للإمام ابن الجوزي / ٤٢، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي / ١١٥، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية و د. إحسان صدقي العمد / ١٢٨، ١٢٩).

*** حمص (موقعة.):**

تتناول المصادر التاريخية التي بين أيدينا عددا من المعارك التي دارت في مدينة حمص نورد منها ما يلي وفقا للترتيب الزمني:

١ - حمص ١٥ هـ: وهي من الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ، وقد ذكر ابن حزم أن فتح حمص كان بعد دمشق بأربعة أشهر، من سنة أربع عشرة من الهجرة (الفتوحات الإسلامية / ٧).

أما ابن كثير فقد أدرج هذه الموقعة فى أحداث سنة ١٥ هـ وقال عنها ما يلى :

لما وصل أبو عبيدة فى اتباعه الروم المنهزمين إلى حمص، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصارا شديدا، وذلك فى زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد، وصبر الصحابة صبرا عظيما ، بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهى فى الخف، والصحابة ليس فى أرجلهم شيء سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضا . ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب؟ .

فيقال : إن الصحابة كبروا فى بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفطرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق، على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضى، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر. وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشا كثيفا يكون بها مع جماعة من الأمراء، منهم : بلال، والمقداد. وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده (البداية والنهاية م ٤ / ٧٠، ٧١) .

ويتناول الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى وقعة حمص الأولى هذه بمنظور عسكرى حديث ويبين الاستراتيجية العسكرية للمسلمين ، تلك الاستراتيجية التى قادت فى النهاية إلى النصر المبين قال سيادته تحت عنوان فتح حمص سنة ١٥ هـ :

استخلف أبو عبيدة على بعلبك رافع بن عبد الله . ونظم جيشه للمسير وتوجه إلى حمص وعندما وصل قريبا من حمص توقف فيها ووضع ميسرة بن مسرور العبسى ومعه خمسة آلاف فارس وعندما شعر أن ميسرة قد وصل أيضا ، وجه بعد ذاك عمرو بن معد يكرب الزبيدى ولحق به بقية الجيش. وصل أبو عبيدة إلى حمص فأرسل رسالة إلى حاكمها يدعوه بالعودة إلى السلم والالتزام بنصوص الاتفاقية وعندما عرف أن حاكم حمص مصمم على القتال قسم قواته إلى المجاميع التالية .

١ - المجموعة الأولى بقيادة المسيب بن نجيه الغزارى للتمركز عند باب الجبل .

٢ - المجموعة الثانية بقيادة المرقال بن هشام بن عقبة بن أبى وقاص للتمركز عند باب الرستن .

٣ - المجموعة الثالثة بقيادته فنزل على باب الشام .

٤ - المجموعة الرابعة بقيادة خالد بن الوليد عند باب العصر .

كان حاكم حمص قد حصن مدينته واستعد للقتال وحفظ كميات من الأغذية للحصار وأخذ ينتظر قوات الدعم معتقدا بأن المسلمين لا يقاومون فى الأجواء الباردة .

عندما علم الخليفة عمر رضى الله عنه بحصار حمص واحتمال قيام العرب المتنصرة من غسان ولخم بدعمهم للروم أصدر أوامره إلى سعد بن أبى وقاص بتوجيه قوة إلى هيت وقرقباء لفتحها .

اشتد أمد الحصار ولذا وضع أبو عبيدة مخططه للهجوم الكبير وتظاهر بالانسحاب تاركا المواشى والغنائم فى المؤخرة وعندما ابتعد عن المدينة انطلق جيش حمص لمطاردة جيش أبى عبيدة وأسرع الفرسان المسلمون لتطويق جيش حمص ومنعه من العودة إلى المدينة وتمزقت المقاومة بعد معركة حاسمة تحققت خلال المباغتة بالأسلوب .

المبادىء والدروس :

١ - الحشد :

وهو يعنى جمع أكبر قوة ممكنة فى مواجهة العدو ولقد كان التفوق العددى فى جانب الروم وكان التفوق المعنوى يعوض المسلمين هذا التفوق وهذا لا يعنى أنهم أهملوا هذا الجانب بل أعطوه أهمية بالغة فعندما شعر خليفة المسلمين الصديق رضى الله عنه أن الفرق الإسلامية التى وجهها إلى

الشام لا تتناسب مع عدد أعدائهم جمع الرجال واستنفر الناس وأرسل الإمدادات وسير جيش خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لإنقاذ الموقف .

٢ - الاقتصاد بالجهد :

صدرت الأوامر إلى القائد عمرو بن العاص بالتوجه إلى أجنادين وقد لاحظ فى الوقت نفسه وهو رجل حرب وله خبرته بأن أرطبون قد وضع قوات فى إيلياء والرملة وكانت هذه مقاومات إعاقة وشوكة لجيش الإسلام فكان لا بد أن يتصرف بحكمة ليبغى الهدف الرئيسى فلذلك وجه قوتين صغيرتين أفرزهما من جيشه وجعل قيادة الأولى لعلقمة بن حكيم وقيادة الثانية لأبى أيوب المالكى لمواجهة ومشاغلة هاتين القوتين المعاديتين وبذلك تفرقت القوة الرئيسية للهدف الأساسى وبذلك تحقق مبدأ الاقتصاد بالجهد .

خلال الهجوم على دمشق وضع القائد أبو عبيدة بن الجراح خطته طبقا للأوامر الصادرة من الخليفة الفاروق عمربن الخطاب رضى الله عنه التى جاءت بكتاب الخليفة لأبى عبيدة أما بعد فابدؤا بدمشق فانهدوا لها فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم فى نحورهم ...» .

فكانت قوة الهجوم الرئيسية موجهة لفتح دمشق ولكن فى الوقت ذاته أدرك المسلمون بأن للعدو قوات تهددهم فى فحل وخشى أن تبادر هذه القوات إلى مشاركة قوة دمشق فى القتال ومعاونتها ولكى يتم فتح دمشق ويحقق مبدأ الاقتصاد بالجهد فقد صدرت الأوامر لتخصيص قوة لمواجهة قوات الروم فى فحل وتوجهت القوة الرئيسية دمشق وبذلك نجحت الخطة .

٣ - المباغتة :

لقد نظم القائد خالد بن الوليد جيشه للدخول فى معركة «أجنادين » (انظرها فى م ٢ / ٤٥٤ - ٤٥٨) وأمر عمرو بن العاص بتنفيذ خطة بالغة الروعة محققا بها مباغتة الروم حيث دخل جيش عمرو بن العاص المعركة حسب تنفيذ الخطة بدون جيش خالد بن الوليد واشتبك عمرو بن العاص مع جيش سرجيوس (تذارق) وتظاهر بأنه وحيد فى الميدان وبذلك ظن قائد الجيش الرومى بأنه حصل على مراده وهو الانفراد بجيش عمرو بن العاص البالغ تعداده سبعة آلاف مجاهد وجيشه تسعون ألفا وماذا عسى أن يفعل عمرو بن العاص مع هذا الجيش ؟ ودارت رحى المعركة بكل شراستها وفجأة تظهر فى الميدان قوات خالد بن الوليد وتدخل المعركة وبذلك حقق المسلمون المباغتة وهزم الروم شر هزيمة .

كما أن تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام سالكا طريق الصحراء القاحلة متجنبا المقاومات أتى الروم من مأمنهم باعتبار أن الصحراء لا يمكن اجتيازها إلاأن المسلمين سلكوها وباغتوا الروم بما لم يحتسبوا وهذا دليل ساطع على اهتمام المسلمين فى تطبيق مبدأ المباغتة وهناك أدلة كثيرة لتحقيق مبدأ المباغتة منها الحركة الإفراجية التى قام بها خالد ابن الوليد لفصل فرسان الروم عن المشاة التى تعتبر من روائع التاريخ العسكرى الإسلامى والحديث فى تنفيذ المخادعة والمباغتة وإيقاع العدو فى موقف ليس بصالحه وبأثرها تمت هزيمة الروم وإبادتهم على بكرة أبيهم . وتظاهر المسلمون بالانسحاب عن حمص وتركوا الشئون الإدارية خلفهم بهدف إغراء العدو لمطاردتهم وعندما نجح مخططهم قاموا بهجوم مباغت وفق أسلوب منظم تمكنوا به من تطويق خصمهم وإرغامه على الاستسلام وكذلك حفروا الحفر فى حصار اللاذقية وانطلقوا منها بإغارة مباغتة .

٤ - المرونة :

المرونة تعنى القدرة على الحركة والمناورة والانتقال والمسلمون يمتازون بهذه الصفة لأسباب عديدة منها أنهم عاشوا فى الصحراء التى تطلب تحركا دائما وطبيعة حياتهم تؤهلهم لخفة الحركة وسرعة الانتقال ولقلة الذيل الإدارى لدى المسلمين . ويعد تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام نموذجا رائعا لتطبيق مبدأ المرونة للحركة فى عمليات فتح الشام فقد سار فى الصحراء التى لا ماء فيها ولا كلأ قطع المسافة الطويلة فى خمسة أيام . كما أن تحرك الفرق الإسلامية وتجمعها فى أجنادين قبل وصول جيش الروم إلى جيش عمرو بن العاص وإنقاذه ودخولها المعركة بأجمعها دليل على سرعة الحركة والمرونة العالية . وهناك دليل آخر على المرونة وتنقل جيوش المسلمين فقد استطاع المسلمون فتح المدن والانتقال السريع لفتح المناطق الأخرى فلو درسنا التوقيت الزمنى لعمليات الفتح الإسلامى لوجدنا أن حركتهم

وسرعة تنقلهم وفتحهم البلدان لتذهل الدارس فكانت محاور تقدمهم من دمشق إلى بعلبك فحمص، شيزر، حماة، ثم حمص وبعد ذلك بعلبك، حمص، حماة، حلب، أنطاكية، جبلة، بانياس، طرطوس، ثم العودة إلى حمص، حلب الجزيرة، ما وراء الدروب محور العمليات الأول، دمشق بيسان، أجنادين إيلياء محور العمليات الثانى وهذه التحركات تمت خلال عام واحد هو (١٥ هـ) وتمت تصفية المقاومات .

٥ - العمل التعرضى والاحتفاظ بالمبادأة :

العمل التعرضى كما هو معروف يعنى الهجوم وهو خير وسيلة للدفاع ويؤدى إلى كسب السيطرة ويمنح حرية العمل ويلزم العدو باتخاذ خطة الدفاع ويرفع الروح المعنوية فى الوقت الذى يضعف روح الخصم ولم تغب أهمية العمل التعرضى عند المسلمين فى عمليات فتح الشام كما كان اهتمامهم به من قبل حيث إن أغلب الفتوحات الإسلامية امتازت بالعمل التعرضى وهم المهاجمون وفى أرض الخصم وتقدم المسلمون من موقع لآخر من اليرموك، إلى فحل، إلى حمص، وجعلوا عدوهم يتخذ مواضع دفاعية خوفا من هجوم المسلمين المدمر لقوات الكفر وحاصروهم داخل حصونهم أشهرا عديدة ولم تكن لدى أعداء الإسلام الجرأة على مهاجمة المسلمين، وفى الوقت ذاته كان المسلمون هم الذين يفرضون على العدو إرادتهم ويرفضون إرادة العدو فى فرض مكان المعركة، ويمتنعون عن زج قواتهم قبل إعداد الظروف المناسبة واستكمال كافة الاستحضارات وذلك لتحقيق النصر، ففى معركة أجنادين وغيرها كان المسلمون هم الذين فرضوا على العدو اختيار المكان وبذلك كانت المبادأة فى قبضة المسلمين دائما .

٦ - المعنويات :

امتاز المسلمون بالمعنويات العالية بدليل أن التفوق العددى بجانب الروم الألوف المؤلفة التى لا تقل عن نصف مليون جندى مزودين بأحسن الأسلحة وبينما المسلمون ألوف قليلة لا يزيد على أكثر تقدير على أربعين ألفا ولكن ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

واستعاض المسلمون عن هذا التفوق العددى بالمعنويات العالية النابعة من عقيدة الإسلام والتزامهم بمنهج القرآن ودوامهم على تلاوة القرآن التى ملئت قلب المسلم بأنه فى قتاله يريد أن ينال إحدى الحسنيين الاستشهاد الذى يقتضيه الخلود فى الجنة وإما النصر الذى نتائجه عز الدنيا ورضوان الله فى الآخرة .

وقد استطاع المسلمون التأثير على معنويات الروم باستهدافهم العناصر القيادية للروم لجعل الرعب فى قلوبهم فاستطاع ضرار بن الأزور يوم أجنادين من قتل حاكم طبريا وقتل اصطفان حاكم عمان وأخذ ينادى بأعلى صوته أنا الموت الأصفر أنا ضرار بن الأزور أنا الموت المسلط عليكم كما وإن الخطة التى وضعها قادة المسلمين بوضع النساء خلف الجيش وجندوهن لرد المتخلفين من المعركة خطة لها مردودها وتأثيرها على الروح المعنوية للمقاتل المسلم وهذا ما حدث فى أكثر معارك فتح الشام وفى الأخص المعركة الحاسمة « اليرموك » .

٧ - القاعدة الأمينة :

انتهت المرحلة الأولى من عمليات فتح الشام بسقوط دمشق وبهذه العملية تمكن المسلمون من إنشاء القاعدة الأمينة للانطلاق منها لمتابعة فتح الأقاليم والاستناد إلى القاعدة الأمينة دمشق التى لا خطر منها ولا خوف من عزلها وأصبحت بذلك الحامية مقر القيادة المتقدم الذى كان الخليفة الفاروق رضى الله عنه يتوجه إليه كلما تطلب الأمر لمعالجة المواقف العصيبة ويكون فى الوقت نفسه على مقربة من مسرح العمليات .

٨ - الاستطلاع واستخبارات المعركة :

اهتم المسلمون بالاستطلاع الدقيق حتى إن القاده كانوا يقومون بالاستطلاع بأنفسهم واهتموا بجلب أدق المعلومات عن العدو ونواياه وطبيعة الأرض وقوة العدو عن طريق الأرصاد وبذلك كان المسلمون يعرفون كل تحركات العدو فقد عرف القادة المسلمون نوايا العدو قبل تنفيذها بضرب الفرق الإسلامية كل على انفراد وعلى ضوء المعلومات تمكن المسلمون تجميع الفرق الإسلامية وخوض المعركة مجتمعين وعدم إعطاء فرصة للعدو لتنفيذ مخططاته .

وقد استطاع خالد بن الوليد الحصول على المعلومات

الكـاملة عن الكمين وموقعه وعـدد قـوته الـذى وضعه قـائد الجيش الرومى لقتل خالد بن الوليـد عند بدء المفاوضات فى معـركة أجنـادين فأرسل خالـد بن الـوليد فى الليل عشـرة من أشجع فرسانه وتمكنوا من قتل أفراد الكمين (العمليات التعرضية / ١٩٥ـ ٢٠١) .

٢ ـ حمص٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م :

جرت على شـواطىء بحيرة حمص وقعة عظيمـة أشعلتها جيوش الخوارزمية بقيادة ملكهم « بركات خان » الـذين عاثوا فى المنطقـة فسـادا لا يتقنون إلا فـن القتال وسفك الـدمـاء ، وجاؤوا لتأييد الصالح أيـوب على الصالح إسماعيل لطرده من دمشق . فلما تم لهم ذلك انضموا ثانية للصالح إسماعيل فى بعلبك ضد الصالح أيوب وعادوا إلى دمشق لحصارها وفتحها ثـانيـة . فتحالف الصـالح أيـوب مع صـاحب مصـر الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، فجمع هذا الجيوش من حلفـائه وقرر استخـلاص دمشق من الخـوارزميين . ولكن هؤلاء خرجـوا إليه ، والتقى الطرفان عنـد بحيرة حمص . وكان يومـا مشهودا قتل فيه عـدد كبير من الخـوارزمية وفيهم الملك بركات خان . وجىء برأسه على رمح . وتفرق شملهم وبذلك تـوفـرت الفـرص للصـالـح أيـوب أن يستحـوذ على دمشق . ودخلهـا فى أبهـة عظيمـة وانتهى بعـد هـذه المعـركـة خطـر الخوارزمية (معجم المعارك الحربية / ١٣٠) .

٣ ـ حمص ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م :

إحدى المعـارك التى خاضهـا المسلمون مع التتـار الذين كانـوا يستغلون الفرصـة كلما شعـروا بتفرق كلمة حكـام وأمراء بلاد الشـام ، فيداهمون المـدن والبلاد ، ويكثـرون فيها القتل والنهب . ، وهذا مـا حدث فى رجب من عـام ٦٨٠ هـ حيث أقبلت التتار من العراق بقيادة زعيمهم « منكوتمر بن هولاكو » ووصلوا حماة فأحـرقوا بستان الملك وقصره ، وتقدمـوا باتجاه الرستن حيث كـان جند المسلمين بقيادة السلطـان المنصور قلاوون تخيم مـا بين حمص والرستن . فـاقتتل الطرفـان قتالا عظيما . وانتصر التتار أول النهـار تدعمهم قوات من الكرج ، وألحقـوا الهـزيمـة بميسرة الممـاليك . فـاضطـربت جيـوش المسلمين وانهـزم كثيـر منهم والتتـار فى آثـارهم حتى بحيـرة حمص وقتلوا الكثير منهم . ولكن ثبـات السلطان فى المعركة جعل كثيـرا من الأمـراء يرتـدون إليـه و يحملـون معه حمـلات صـادقـة على جيوش التتـار وانضمت إليهم قـوات من عـرب الباديـة . وتفانى كل من الطرفين فى المعركـة وقتل خلق كثير وجـرح (منكوتمـر) نفسه وسقط عـن جواده . فـدب الذعـر والخوف فـى صفوف التتار . ولم يقبـل مساء اليوم نفسـه حتى انهزمـوا . ولحق بهم المسلمون يقتلون من يدركـونه منهم وتم النصـر للمسلمين . وقـد استشهـد عـــدد كبيـر من سـادات الأمراء ، بينما مـات خلق كثير من التتار غرقـا فى الفرات أثناء الهزيمة . وكـان وقع هذه المعركة أليمـا على ملك التتار الذى أرسل إلى السلطان قلاوون يطلب المصالحة فأجابه إلى ذلك (معجم المعارك الحربية / ١٣١ ، ١٣٢) .

ومما جاء عن هذه المعركة أيضا أنه :

وفى عشية اللقاء فى يوم الأربعاء ١٣ رجب خرج الناس فى دمشق إلى الجـامع الأموى ، وتضـرعـوا إلى الله تعالى ، طلبـا للنصر ، وقد حملـوا مصحف عثمان بن عفان على رؤوسهـم ، وتبعهم الخطباء والـوعاظ والقراء والمـؤذنون إلى المصلى فى قصـر حجـاج ، وكـذلك فعل أهـل الشـام ومصـر فى جميع مدنهم .

الواقعة ٢٤ رجب سنة ٦٨٠ ـ تشرين أول ـ أكتوبر ١٢٨١ م

وفى صبـاح يـوم الخميس ٢٤ رجب سنـة ٦٨٠ هــــ ٣٠ تشـرين الأول ، أكتـوبـر ١٢٨١م ، كـان اللقـاء فى الأرض الممتـدة بين ضـريح خـالـد بن الـوليـد فى حمص ، وبين الرستن ...

حين ألحق التتار الهـزيمة بميسرة المسلمين لاذ جنـودها بالفرار بينمـا ثبت الملك المنصور فى القلب ثباتـا رائعا . وقد وصل بعض الهـاربين إلى دمشق وغـزة وأشاعـوا الهزيمـة فى القاهرة وذلك قبل أن يأتى بريد النصر .

أمـا القاهـرة ، فقد استمـر أهلها يـدعون فى الصلـوات ، ويقـرؤون صحيح البخـارى ، والقـرآن الكـريم ، وهى عـادة انتشرت عنـدهم يلجؤون إليهـا فى الشدائد ، وقـد تجمعوا فى المشهـد الحسينى ، وكثر بكـاؤهم ونحيبهم ، واشتـد هلعهم عندمـا أرسل المنهزمون الـذين وصلوا إلى « قاقـون » (إحدى المنازل بين دمشق والقـاهرة فى عصر المماليك) رسـالة على جناح الطائر ، يخبرون فيها بالهزيمة ، فما وسع نائب السلطان

الملك الصالح على بن قلاوون إلا تجريد حملة عسكرية ، لرد المنهزمين إلى الملك المنصور ، ومنعهم من دخول القاهرة .

ولم تمض غير ساعات من يوم الخميس ٢١ رجب حتى وصلت الطيور المعطرة ، تحمل الرسائل المعطرة بالنصر المبين ، ثم تبعها البريد ، فدقت البشائر ، وزينت القاهرة والقلعة وسائر أنحاء مصر ، وكتب الملك الصالح إلى والده يشفع فى المنهزمين وسأل العفو عنهم ، فأجيب إلى سؤله .

وقد أظهر السلطان المنصور أخلاقا عالية ، وحكمة بالغة ، بعيدة النظر ، عقب المعركة ، كما كان شأنه قبلها أيضا ، فقد اتفق أن وقع فى الأسر ، أحد المغول ، الذى كان يحمل المحفظة الخاصة لمنكوتمر ، (حامل الحرمدان) كما كان يسمى ، فوجدوا معه ، كتبا من الأمراء من أمثال سنقر الأشقر وأيتمش السعدى ، وغيرهما ، تحض المغول على التوجه إلى بلاد الشام ، فأمر السلطان بحرق الكتب قبل الاطلاع عليها ، واستمر فى إكرامه لسنقر الأشقر ورده إلى قلاعه معززا مكرما .

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ٢٢ رجب ، فخرج الناس لاستقباله ، ودخل معه جماعة من أسرى المغول بأيديهم رماح ، عليها رؤوس القتلى ، ودخل معه عدد كبير من الأمراء ...

وفى يوم الأحد الثانى من شعبان ــ ١٦ تشرين الثانى ، غادر دمشق إلى القاهرة ، السلطان قلاوون ، وأمر النواب بتجهيز الزينة ، ودخل القاهرة يوم ٢٢ شعبان وأمامه المغول أسرى وقتلى ، وكان يوما مشهودا فى تاريخ مصر والقاهرة (معارك المغول الكبرى فى بلاد الشام / ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥) .

أما ما قيل فى هذه الوقعة من الأشعار فنسوق لك منها ما يلى مما أورده صاحب عقد الجمان :

قال القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر ، كاتب السر المنصور ، وناظر ديوان الإنشاء المعمور يذكر الواقعة بقصيدة جامعة لأحوالها ، وهى :

الله أعطاك لا زيد ولا عمرو
هذا العطاء وهذا الفتح والنصر
هذا المقام الذى لو لم تحل به
لم يبق والله لا شام ولا مصر
من ذا الذى يلقى ذا العدو وكذا
أو يدَّرع لامة ما لامها الصبر
يا أيها الملك المنصور قد كسرت
جنودك المغل كسرا ما له جبر
واستأصلوا شأفة الأعداء وانتصروا
لما ثبت وزال الخوف والذعر
يا عزمة ما رأى الراؤون مشبهها
ووقفة سار فى الدنيا لها ذكر
لما بغى جيش أبغا فى تجاسره
ولن يمد له إلا القنا جسر
واستجمع المغل والتكفور واتفقوا
مع الفرنج ومن أردى به الكفر
جاءت ثمانون ألفا من بعوثهم
لأرض حمص فكان البعث والنشر
وافى الخميس فى يوم الخميس ضحى
وامتدت الحرب حتى أذّن العصر
والسيف يركع والأعلام رافعة
والروس تسجد لا عجب ولا كبر
والخيل لا تغتدى إلا على جثث
والسهل من أرؤس القتلى به وعر
والبيض تغمد فى الأجفان من مهج
والسمر ناهيك يا ما تفعل السمر
فجاء فى رجب عيدان من عجب
للسيف والرمح وهذا الفطر والنحر
فكان أسلمهم من أسلموه لأن
يقوده القيد أو يسرى به الأسر
وراح فارسهم تروح راجلهم
تنتابه الوحش أو ينبو به القفر
فما وعى منهم واع رعيته
ولا ارعوى لهم من روعة فكر
وكان يوم الخميس النصف من رجب
عام الثمانين هذا الفتح والنصر

وعــاد سلطـــاننــا المنصـــور منتصـــرا
فـــالحمـــد لله ثم الحمـــد والشكـــر

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أحمد الكنانية ، وكان مفلقا فى الفنون الأدبية والشعرية بذكر هذه النصرة المنصورية :

هى النعمـــة الكبـرى هى النصـــرة العظمى
هى اللفـظ والمعنى هـى البشـــر والبشـــرى
هـى المطلـب الأسنـى هى المنحــــــة التـى
لقـــد شـــرفت قـــدرا وقـــد عظمت ذكـــرا
هى الـــوقعـــة الصمـــاء والحطمـــة التى
بهـــا انكســـر الفكـــر الـــذى لم يجـــد جبـــرا
هى الفتـك بـــالأعـــداء والظفـــر الـــذى
شفى القلـب من أبغـــا وقـــد أثلـج الصـــدرا
وأمكن مـن صمغـــار حـــد سيـــوفنـــا
فخـــر إلـى الأذقـــان لا ســـاجـــدا شكـــرا
ونكس أعـــلامـــا وفـل كنـــانيـــا
لمنكـوتمـر كـالأسـد فـى الحـرب بل أضـرا
فلمـــا رأوه قـــد تقطـــر قـــاتلـــوا
عليـــه قتـــالا قطع البيض والسمـــرا
فلمـــا نجـــا منهـــا وركب طـــرفـــه
تـــولى وخلـى الابن والأب والصهـــرا
وراح ثخينـــا بـــالجـــراح مصبـــرا
يئن ويشكـــو من مضـــاضـــاتهـــا ضـــرا
فللــــه منـــا الحمـــد والشكـــر دائمـــا
فقـــد أصّـل الإســـلام واستأصـل الكفـــرا
فقـل لـــرؤوس المغل إن قـــالونـــا
هـــو السيـف ضـــرابـــا لأعنـــاقكم قهـــرا
هـــو الملك المنصـــور والله خـــاذل
لأعـــدائه خـــذلانـــا ونـــاصـــره نصـــرا
هـــو المقـــدم الكـــرار فى حـــومـــة الـــوغى
إذا حجـم الأبطـــال وامتـــلأ واذعـــرا
هـــو الأســـد العـــادى على أنفس العـــدى
هـــو القمـــر الهـــادى إذا أظلـم المســـرا
هـــو القـــائد الجيش العـــرمـــرم خلفـــه
إلى القســـان فى مـــوغـــان يطلبـــه جهـــرا
عســـاكـــر مـلء الأرض من كل وجهـــة
تجمعن حتـى فـــات العـــد والحصـــرا
تخيـل رائيهـــا القيـــامـــة مثلت
لعينيـــه فى دنيـــاه والعـــرض والحشـــرا
فلم ينـج منهـــا الـــوحش عنـــد إثـــارة
ولا الطيـــر فـى جـــو السمـــاء إذا مـــرا
فقـل للتتـــار العـــادمين عقـــولهم
نسيتم سيـــوف التـــرك تضـــر بكم هبـــرا
وكـم كســـروكـم مـــرة بعـــد مـــرة
فمـا حصـروا القتلى ولا استـوعبـوا الأسـرا
وقـــد زاركـم أبغـــاء من بعـــد قتلكم
فأجـــرى عليكـم من مـــدامعـــه جمـــرا
وأكبـــر مـــرأى هـــالـــه بسمـــاعـــه
ففـــر إلـى تـــوريـــز يجعلهـــا ظهـــرا
ولـــو حل فى غمـــدان يبغى تحصنـــا
لمـــا استطـــاع أن يقيم فيـــه ولا فـــرا
وأنتم بسيف الـــديـن أخبـــر فـى الـــوغـــا
فـــذلك همـــام قـــد أحطتم بـــه خبـــرا
ولم يخفكـم حمـــلاتـــه ولطـــالمـــا
أذاقكـم المـــران من طعنـــه المـــرا
أأنسيتم فـى عين جـــالـــوت مـــا جـــرى
وفى العيـن قـــد أجـــرى دمـــاءكم نهـــرا
أمـــا كـــان فى يـــوم الفـــرات إليكم
مقـــدمـــة الجيش الـــذى عبـــر البحـــرا

(عقد الجمان ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) .

(الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ لابن حزم الأندلسي / ٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ط دار الغد العربى م ٤ / ٧٠ ، ٧١ ، والعمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ـ الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى / ١٩٥ ـ ٢٠١ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٣٠ ـ ١٣٢ ، ومعارك المغول الكبرى فى بلاد الشام ـ أكرم حسن العلبى دار المأمون

للتراث . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م / ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، وعقد الجمان لبدر الدين العينى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٢ / ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، انظر أيضا من كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها ماجد اللحام / ٨٨ـ٩٨) .

* **الحِمْصى :**

الحمصى : حمص بكسر الحاء وسكون الميم والصاد غير المنقوطة بلدة من بلاد الشام ، أقمت بها أربعة أيام، وكتبت بها عن جماعة ، وبها قبر خالد بن الوليد سيف الله رضى الله عنه وسميت حمص وحلب بحمص وحلب ابنى مهر بن حيص بن حاب بن مكنف من بنى عمليق لأنهما بنيا البلدين فنسبا إليهما ، والمحدثون من هذه البلدة عالم لا يحصون ، فمنهم أبو عبد الله محمد بن المصفى بن بهلول الحمصى، يروى عن سفيان بن عيينة وجماعة ، ذكر ابن فضيل يقول عادلت محمد بن مصفى من حمص إلى مكة سنة ست وأربعين ـــ يعنى ومائتين ـــ فاعتل بالجحفة ودخل مكة وهو لما به ، ومات بمنى فدخل أصحاب الحديث عليه وهو فى النزع فقرأوا عليه حديث ابن جريج عن مالك وحديث ابن حرب عن عبيد الله بن عمر فما عقل ما قرئ عليه . وقال محمد بن عوف الحمصى رأيت محمد بن المصفى فى النوم وكان مات بمكة فقلت : أبا عبد الله أليس قد مت ؟ إلى ما صرت ؟ قال : إلى خير ، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين . فقلت يا أبا عبد الله صاحب سنة فى الدنيا وصاحب سنة فى الآخرة ؟ قال فتبسم .

وأبو بشر شعيب بن أبى حمزة الحمصى مولى بنى أمية ، من أهل حمص، واسم أبى حمزة دينار، يروى عن الزهرى ونافع روى عنه الوليد بن مسلم وعثمان بن سعيد القرشى، مات سنة اثنتين وستين ومائة .

وأبو اليمان الحكم بن نافع الحمصى، يروى عن شعيب ابن أبى حمزة ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخارى .

وأما معاوية بن صالح الحمصى المحدث المعروف كنت أظن أنه من حمص نزل بلاد الأندلس، حتى قال لى صاحبنا أبو محمد عبد الله بن عيسى بن أبى حبيب الإشبيلى (الحافظ) إن عبد الله بن معاوية الحمصى من حمص الشام البلد المعروف ، ونزل حمص الأندلس وبها مات ، ثم قال يقال لمدينة إشبيلية بالأندلس مدينة حمص، وسكن عبد الله ابن معاوية حمص الأندلس من حمص الشام ، وتوفى بإشبيلية التى يقال لها حمص وقبره معروف بالخولانية ، وهى محلة بإشبيلية معروفة ... (فى اللباب « معاوية بن صالح الحمصى كان من حمص الشام وانتقل إلى الأندلس فنزل حمص الأندلس وهى مدينة إشبيلية ... وتوفى بإشبيلية » كذا قال وليس هذا فى أصله كما ترى ثم قال « إلا أن هذه النسبة لا تطلق إلا على حمص الشام » وراجع التعليق على الإكمال ٣ / ٢٢ و ٢٣) .

وأبو هاشم عبد الغافر بن سلامة بن أحمد بن عبد الغافر ابن سلامة بن أزهر الحضرمى الحمصى من أهل حمص، كان جوالا، حدث فى عدة مواضع عن يحيى بن عثمان الحمصى وكثير بن عبيد الحذاء، ومحمد بن عوف الطائى ومزداد بن جميل البهرانى وغيرهم ، روى عنه أبو الحسن على ابن عمر الدارقطنى وأبو حفص بن شاهين وأبو الحسين بن حمة الخلال ومحمد بن عبد الله بن جامع الدهان ويوسف بن عمر القواس والقاضى أبو عمر الهاشمى البصرى وهو آخر من روى عنه فى الدنيا كلها ، وكان ثقة ، ومات بالبصرة فى سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعانى ـــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٣، ٢٦٤، انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٣) .

* **الحِمّصى :**

قال السمعانى :

الحِمّصى : بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم المكسورة وفى آخرها الصاد المهملة ، هذه النسبة إلى الحِمّص وهو من الحبوب، والمشهور بها إبراهيم بن الحجاج بن منير الحمصى، هذا الرجل كان يقلى الحمص ويبيعه ـ هكذا ذكره أبو سعيد بن يونس الصدفى صاحب كتاب تاريخ المصريين، قال وكان يعرف بالقلاء، سمع من أبيه وغيره ، وكان ثقة مرضيا .

وعبد الله بن منير الحمصى، مصرى ذكره ابن يونس أيضا قال وكان يسكن دار الحمص التى فى المربعة فنسب إليها

وهو مولى بعض موالى أبى عثيم مولى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، كان هو وأخوه حجاج موثقين عند القضاة ، وقد حدثا جميعا ، ويقال إنهما موليا الأصبحيين ، توفى حجاج بعد سنة سبعين ومائتين .

وأبو الحسن على بن عمر بن محمد الحرانى الصواف الحمصى وإنما قيل له الحمصى لأنه يعرف بابن حمصة ، وكان من ثقات المصريين ، يروى عن أبى القاسم حمزة بن محمد بن على بن محمد بن العباس الكنانى الحافظ ، روى عنه أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن على التاجر الشيحى وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبى وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم الرازى نزيل الإسكندرية ؛ قال عبد العزيز النخشبى : ابن حمصة سمع حمزة بن محمد بن على الكنانى سنة سبع وخمسين سمعته يقول سمعت منه المجالس السبعة التى أملاها إلا أنها ضاعت وبقى معى مجلس واحد ، سمعناه منه ، وكانت وفاته فى حدود سنة أربعين وأربعمائة .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٦٤ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١ / ٤٥٣) .

*** ابن الحمصى (٧٧٧ ـ ٨٦١ هـ / ١٣٧٦ ـ ١٤٥٧ م) :**

من شيوخ المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف أعاده الله ديار إسلام ، وهو قاضى القضاة شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن محمد القرشى المخزومى ، الحمصى ، القاهرى ، الشافعى ، المعروف بابن الحمصى :

وقد تولى ابن الحمصى مشيخة الصلاحية بين سنتى ٨٥٤هـ و٨٥٦ هـ ، بدلا من جمال الدين بن جماعة .

من الواضح أن ابن الحمصى ولى مشيخة الصلاحية فى أخريات حياته بعد أن بلغ من العلم مبلغا كبيرا . وكان ابن الحمصى قد تلقى العلم ببلده ، فقرأ القرآن بقراءة عاصم ، وحفظ عددا من الكتب فى الفقه ، والحديث ، والعربية ، مثل : المنهاج ، والإلمام فى أحاديث الأحكام ، وألفية ابن مالك ، ثم درس الفقه ، وقرأ المنهاج (الضوء اللامع ٦ / ١٤٠) .

توجه ابن الحمصى إلى دمشق ، طالبا العلم ، ودرس فيها الفقه ، والأصول ، والعربية ، على عدد من أشهر العلماء ، ثم توجه إلى بعلبك ، وسمع فيها صحيح مسلم ، ثم توجه إلى حماة ، ودرس فيها النحو على عدد من علماء العربية . وفى سنة ٨٠٤هـ ، توجه إلى القاهرة ، ودرس فيها الفقه والحديث ولازم عددا من أشهر العلماء فيها من أمثال سراج الدين البلقينى ، ثم لازم ولده جلال الدين البلقينى المتوفى سنة ٨٢٤ هـ ، وأخذ الحديث عن زين الدين العراقى ، وقرأ عليه ألفيته فى الحديث ، وحصل على الإجازة منه . واستمر ابن الحمصى يتلقى العلم بالقاهرة حتى سنة ٨٠٧ هـ . وفيها عاد إلى الشام ، وقطنها مدة ، واشتغل بالقضاء نيابة ، ثم ولى قضاء طرابلس استقلالا . وعاد ابن الحمصى إلى القاهرة ثانية ، ونزل بمدرسة البلقينى ، ودرس فيها بعد حصوله على الإذن بالإفتاء والتدريس من البلقينى ، والإجازة من ابن حجر العسقلانى أيضا . وفى سنة ٨٢٣ هـ ، توجه إلى مكة ، وجاور فيها ، والتقى فيها بابن الجزرى ، وسمع عليه . ثم توجه إلى اليمن ، وفيها تلقى عليه طالبو العلم . وكتب هناك ردا على كتاب « الفصوص » لابن عربى ، وجاء رده فى قصيدة تقع فى مائة وأربعين بيتا ، ثم عاد إلى القاهرة ، وتردد بينها وبين الشام ، وفى سنة ٨٢٥ هـ اشتغل بالقضاء نيابة فى أسيوط ، وعمر فيها جامعا ، وأخذ عنه طالبو العلم فيها . ثم ولى القضاء ثانية مرة فى طرابلس ، وأخرى فى دمشق ، وكان قد تولاه فى دمشق سنة ٨٣٨ هـ (الضوء اللامع ٦ / ١٤٠ ، ١٤١) .

وبعد هذا كله ، تولى التدريس بالصلاحية ، وكان عالما ذا خبرة بالتدريس ، كما كان صاحب نظم ونثر ، فقد تقدم ذكر قصيدته فى الرد على ابن عربى ، وله قصيدة أخرى ينكر فيها تكفير ابن تيمية ، على بعض من كفره (انظر أنباء الغمز ٣ / ٤٩١ ، والضوء اللامع ٦ / ١٤١) وله قصيدة ثالثة نظمها فى مناسبة زواج . وذكر السخاوى أنه كان « يملى لنفسه تصانيف كثيرة » ولكنه لم يقف على شىء منها (الضوء اللامع ٦ / ١٤١) .

ولا شك أنه درّس بالصلاحية الفقه ، والحديث ، والأصول ، والعربية ، فقد درّسها ، وحصل على إجازات فيها كما تقدم ، ولعله عنى بموضوعات أخرى حول ابن تيمية وغيره .

وذكر السخاوى أن ابن الحمصى درس بمصر ، بعد تدريسه بالصلاحية فى بيت المقدس ، فقد تولى الصلاحية القاهرية تدريسا ونظرا (الضوء اللامع ٦ / ١٤١) .

ويبدو أنه عاد إلى بيت المقدس، فقد ذكر السخاوى أنه توفى فيه سنة ٨٦١ هـ (الضوء اللامع ٦ / ١٤١، الأنس الجليل ٢ / ١١٤) (المدارس فى بيت المقدس ١ / ٢٥٥ـ٢٥٧) .

وقد ذكر الزركلى أن قصيدة ابن الحمصى فى إنكار تكفير ابن تيمية هى قصيدة تائية تزيد على مائة بيت، وهى فى إنكار تكفير العلاء البخارى لابن تيمية (الأعلام ٥ / ٦٨) .

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١/ ٢٥٥ـ٢٥٧، والأعلام للزركلى ٥ / ٦٨) .

*** الحَمْل :**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حَمْل » :

حمل : الحمل معنى واحد اعتبر فى أشياء كثيرة فسوى بين لفظه فى فعل وفرق بين كثير منها فى مصادرها فقيل فى الأثقال المحمولة فى الظاهر كالشىء المحمول على الظهر حِمْل، وفى الأثقال المحمولة فى الباطن حَمْل كالولد فى البطن والماء فى السحاب والثمرة فى الشجرة تشبيها بحمل المرأة قال تعالى : ﴿ **وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء** ﴾ [فاطر : ١٨] يقال حملت الثقل والرسالة والوزر حملا قال الله تعالى : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم** ﴾ [العنكبوت : ١٣] وقال تعالى : ﴿ **وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء** ﴾ [العنكبوت : ١٢] وقال تعالى : ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه** ﴾ [التوبة : ٩٢] وقال عز وجل : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة** ﴾ [النحل : ٢٥] وقوله عز وجل : ﴿ **مثل الذين حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار** ﴾ [الجمعة : ٥] أى كلفوا أن يتحملوها أى يقوموا بحقها فلم يحملوها ويقال حمَّلته كذا فتحمله وحملت عليه كذا فتحمله واحتمله وحمله ، وقال تعالى : ﴿ **فاحتمل السيل زبدا رابيا** ﴾ [الرعد : ١٧] ﴿ **حملناكم فى الجارية** ﴾ [الحاقة : ١١] وقوله تعالى : ﴿ **فإن تولوا فإنما عليه ما حُمل وعليكم ما حملتم** ﴾ [النور : ٥٤] وقال تعالى : ﴿ **ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقال عز وجل : ﴿ **وحملناه على ذات ألواح ودسر** ﴾ [القمر : ١٣] ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا** ﴾ [الإسراء : ٣] ﴿ **وحملت الأرض والجبال** ﴾ [الحاقة : ١٤] .

وحَملت المرأة حبلت وكذا حملت الشجرة ، يقال حمل وأحمال ، قال عز وجل ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ [الطلاق : ٤] ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ [فصلت : ٤٧] ﴿ **حملت حملا خفيفا فمرت به** ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ﴿ **حملته أمة كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ [الأحقاف : ١٥] والأصل فى ذلك الحمل على الظهر فاستعير للحَبَل بدلالة قولهم وسقت الناقة إذا حملت وأصل الوسق الحمل المحمول على ظهر البعير، وقيل المحمولة لما يحمل عليه كالقتوبة والركوبة ، والحمولة لما يحمل والحمل للمحمول وخص الضأن الصغير بذلك لكونه محمولا لعجزه أو لقربه من حمل أمه إياه ، وجمعه أحمال وحملان وبها شبِّه السحاب فقال عز وجل ﴿ **فالحاملات وقرا** ﴾ [الذاريات : ٢] والحميل السحاب الكثير الماء لكونه حاملا للماء، والحميل ما يحمله السيل والغريب تشبيها بالسيل والولد فى البطن ، والحميل الكفيل لكونه حاملا للحق مع من عليه الحق، وميراث الحميل لمن لا يتحقق نسبه وحمالة الحطب كناية عن النمام ، وقيل فلان يحمل الحطب الرطب أى ينم (المفردات فى غريب القرآن / ١٣١، ١٣٢) .

ونتناول « الحمل » فيما يلى من حيث أنه :

١ ـ حمل الشىء كأن يحمل الشىء على ظهره ... إلخ

٢ ـ الحمل بمعنى ما يحمل فى البطن من الولد، وما يتصل به من أحكام الطلاق والعدة والميراث .

١ ـ الحمل بمعنى حمل الشىء : أفرد الثعالبى فصلا فى أشكال الحمل جاء فيه ما يلى : عن أبى عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابى وعن ابن نصر عن الأصمعى : الحفنة بالكف . الحثية بالكفين . الضبثة ما يحمل بين الكفين . الحال ما حملته على ظهرك . الثياب ما لففت عليه حجزة سراويلك من خلف . الضغمة ما حملته تحت إبطك . الكارة ما حملته على رأسك وجعلت يديك عليه لئلا يقع (فقه اللغة / ١٢٣) .

٢ ـ الحمل بمعنى ما يحمل فى البطن من الولد وأحكامه من حيث الميراث ومن حيث مدة الحمل، وهو ما يوضحه فضيلة الشيخ السيد سابق كما يلى :

حكمه فى الميراث :

الحمل إما أن ينفصل عن أمه وإما أن يبقى فى بطنها ، وهو فى كل من الأمرين له أحكام نذكرها فيما يلى :

الحمل إذا انفصل عن أمه :

إذا انفصل الحمل عن أمه ، فإما أن ينفصل حيا أو ينفصل ميتا ؛ وإن انفصل ميتا ، فإما أن يكون انفصاله بغير جناية ولا اعتداء على أمه أو بسبب الجناية عليها ، فإن انفصل كله حيا ورث من غيره وورثه غيره لما روى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« إذا استهل المولود ورِّث » .

الاستهلال رفع الصوت ؛ والمراد إذا ظهرت حياة المولود ورث .

وعلامة الحياة صوت أو تنفس أو عطاس ونحو ذلك .

وهذا رأى الثورى والأوزاعى والشافعى وأصحاب أبى حنيفة .

وإن انفصل ميتا بغير جناية على أمه فإنه لا يرث ولا يورث اتفاقا .

وإن انفصل ميتا بسبب الجناية على أمه فإنه فى هذه الحال يرث ويورث عند الأحناف .

وقالت الشافعية والحنابلة ومالك . لا يرث شيئا ويملك الغرة فقط ضرورة ولا يورث عنه سواها ويرثها كل من يتصور إرثه منه .

وهب الليث بن سعد وربيعة بن عبد الرحمن إلى أن الجنين إذا انفصل ميتا بجناية على أمه لا يرث ولا يورث . وإنما تملك أمه الغرة وتختص بها لأن الجناية على جزء منها وهو الجنين ، ومتى كانت الجناية عليها وحدها كان الجزاء لها وحدها . وقد أخذ القانون بهذا .

الحمل فى بطن أمه :

١ ـ الحمل الذى يبقى فى بطن أمه لا يوقف له شىء من التركة متى كان غير وارث أو كان محجوبا بغيره على جميع الاعتبارات .

فإذا مات شخص وترك زوجة وأبا وأما حاملا من غير أبيه . فإن الحمل فى هذه الصورة لا ميراث له لأنه لا يخرج عن كونه أخا أو أختا لأم . والإخوة لأم لا يرثون مع الأصل الوارث وهو هنا الأب .

٢ ـ وتوقف التركة كلها إلى أن يولد الحمل إذا كان وارثا ولم يكن معه وارث أصلا أو كان معه وارث محجوب به باتفاق الفقهاء .

وتوقف كذلك إذا وجد معه ورثة غير محجوبين به ورضوا جميعا صراحة أو ضمنا بعدم قسمتها بأن سكتوا أو لم يطالبوا بها

٣ ـ كل وارث لا يتغير فرضه بتغير الحمل يعطى له نصيبه كاملا ويوقف الباقى .

كما إذا ترك الميت جدة وامرأة حاملا فإنه يعطى للجدة السدس لأن فرضها لا يتغير سواء ولد الحمل ذكرا أم أنثى .

٤ ـ الوارث الذى يسقط فى إحدى حالتى الحمل ولا يسقط فى الأخرى لا يعطى شيئا للشك فى استحقاقه ؛ فمن مات وترك زوجة حاملا وأخا فلا شىء للأخ لجواز كون الحمل ذكرا . وهذا مذهب الجمهور .

٥ ـ من يختلف نصيبه من أصحاب الفروض باختلاف ذكورة الحمل وأنوثته يعطى أقل النصيبين ويوقف للحمل أوفر النصيبين . فإن ولد الحمل حيا وكان يستحق النصيب الأوفر أخذه وإن لم يكن يستحقه بل يستحق النصيب الأقل أخذه ورد الباقى إلى الورثة ؛ وإن نزل ميتا لم يستحق شيئا ووزعت التركة كلها على الورثة دون اعتبار للحمل .

أقل مدة الحمل وأكثرها :

وأقل مدة يتكون فيها الجنين ويولد حيا ستة أشهر لقول الله سبحانه :

﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

مع قوله تعالى : **﴿ وفصاله فى عامين ﴾** [لقمان : ١٤]

فإذا كان الفصال عامين لم يبق إلا ستة أشهر للحمل .

وإلى هذا ذهب الجمهور من الفقهاء .

وقال الكمال بن الهمام من أئمة الأحناف . إن العادة المستمرة كون الحمل أكثر من ستة أشهر وربما يمضى دهور ولم يسمع فيها بولادة لستة أشهر .

وفى قول لبعض الحنابلة : أقل مدة الحمل تسعة أشهر .

وقد خالف القانون قول جماهير العلماء وأخذ بقول بعض الحنابلة وبما قال به الأطباء الشرعيون : وهو أن أقل مدة الحمل تسعة أشهر هلالية (أى ٢٧٠ يوما) لأن هذا يتفق والكثير الغالب .

وكما اختلفوا فى أقل مدة الحمل فقد اختلفوا فى أكثرها ؛ فمنهم من قال : إنها سنتان (وهذا رأى الأحناف) ومنهم من قال تسعة أشهر ومنهم من قال : سنة هلالية (٣٥٤ يوما) .

وأخذ القانون بما ارتآه الطب الشرعى .

فذكر أن أكثر مدة الحمل سنة شمسية ٣٦٥ يوما ، واعتبر ذلك فى ثبوت النسب والإرث والوقف والوصية (وهذا رأى محمد بن الحكم أحد فقهاء المذهب المالكى) .

أما القانون فقد أخذ برأى أبى يوسف الذى عليه الفتوى فى مذهب الحنفى فى أن الحمل يوقت لـه أوفر النصيبين وأخذ برأى الأئمة الثلاثة فى اشتراط ولادته كله حيا فى استحقاقه الميراث .

وأخذ برأى محمد بن الحكم فى أنه لا يرث إلا إذ ولد لسنة من تاريخ الوفاة أو الفرقة بين أبيه وأمه .

فجاء فى المواد ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ما يلى :

المادة ٤٢ ـ يوقف للحمل من تركة المتوفى أوفر النصيبين على تقدير أنه ذكر أو أنثى .

المادة ٤٣ ـ إذا توفى الرجل عن زوجته أو عن معتدته فلا يرثه حملها إلا إذا ولد حيا لخمسة وستين وثلثمائة يوم على الأكثر من تاريخ الوفاة أو الفرقة ، ولا يرث الحمل غير أبيه إلا فى الحالتين الآتيتين :

١ ـ أن يولد حيا لخمسة وستين وثلثمائة يوم على الأكثر من تاريخ الموت أو الفرقة إن كانت أمه معتدة موت أو فرقة ، ومات المورث أثناء العدة .

٢ ـ أن يولد حيا لسبعين ومائتى يوم على الأكثر من تاريخ وفاة المورث إن كان من زوجية قائمة وقت الوفاه .

المادة ٤٤ ـ إذا نقص الموقوف للحمل عما يستحقه يرجع بالباقى على من دخلت الزيادة فى نصيبه من الورثة ، وإذا زاد الموقوف للحمل عما يستحقه رد الزائد على من يستحقه من الورثة (فقه السنة م ٣ جـ١٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٨) .

ومما جاء من نظم عن الحمل والحامل فى تقسيم التركة ما ورد فى منظومة « خلاصة الفرائض » لعبد الملك الفتنى ، وهى فى مذهب أبى حنيفة : قال الناظم :

أقل مدة لحمل نصف عام
ومنتهاها سنتان بالتمام
إن لم تقر بانقضاء العدةْ
وولدت قبل تمام المدةْ
منه فورثه وإن من غيره
بعد الأقل لم ينل من خيره
إلا التى تعتد للطلاق إن
بالانقضاء ما أقرب فاستبن
وعند قسم تركة فليعتبر
أفضل مولوديه أنثى أو ذكر
فإن يكن يحرم لو يذكر
أو عكسه فوارثا مقدر
وكفل القاضى ذوى الإرث إذا
يخاف نقصانا وبالأكثر ذا
إن يخرج الأكثر حيا وعلم
بأثر ذاك فبالإرث حكم
فصدر ذى استقامة برأسه
بدا اعتبر وسرة فى عكسه
إن بجنايـة خروج الميت
ورثه لا بنفسه من علة
واعمل بتصحيحين إذ تقدر
ذكورة أنوثة وتنظر
بينهما فى الوفق والتباين
فاضرب وتصحيحهما من كائن
فمن يكن نصيبه فى الأول
فاضربه فى الثانى أو الوفق الجلى
واعكس لمن له بثانى الأصلين
وأعط وارثا أقل السطحين
وإن به قد يحرم الوراث
فى حالة فليوقف الميراث
وامنحه الوضع ما استحقا
واقسم عليهم إن يزد ما أبقى

(خلاصة الفرائض / ٧٢ ، ٧٣) .

ومما يدخل فى مجال الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ما قرره بالنسبة لمدة الحمل باعتبار أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهو ما أورده الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز فى كتابهما « مع الطب فى القرآن الكريم » نقلا عن مصدرين هما : أبحاث الدكتور محمود ناظم النسيمى ، و«مدة الحمل من الناحية الطبية والفقهية والقانونية » ، رسالة جامعية بإشراف الدكتور عبد الرزاق حمامى . يقول المؤلفان :

سبق القرآن الطب بتقريره أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **حملته أمه كرها وضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وفصاله فى عامين** ﴾ [لقمان : ١٤] .

فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة وهى حولين أى (٢٤) أربع وعشرون شهرا من (٣٠) ثلاثين شهرا ، التى هى مدة الحمل والإرضاع ، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل . وهى أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حيا إذا ولد بتمامها .

وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم ، إذ روى أن رجلا تزوج امرأة فولدت لستة أشهر، فهمَّ عثمان بن عفان رضى الله عنه بتطبيق حد الزنى عليها ظنا منه أن بداية حملها قبل الزواج : فقال ابن عباس رضى الله عنه : أما أنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ، قال الله ﴿ **وحمله وفصله ثلاثون شهرا**﴾ وقال ﴿ **وفصله فى عامين** ﴾ فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر فبرئت المرأة .

وقد قرر الطب أن أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى بعدها الجنين حيا إذا ولد بتمامها هى ستة أشهر، فالولادة قبلها تسمى إسقاطا والجنين فيها غير قابل للبقاء حيا ، والولادة بعدها وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر أو (٢٧٠) مئتين وسبعين يوما تسمى خداجا ، أو ولادة مبكرة، والخديج قابل للبقاء حيا لكن الطب يوصى بعناية خاصة به .

وهذه المدة هى المعتبرة قانونيا فى محاكم معظم الدول العالمية . ويقول الدكتور زياد درويش بتحديد قانون الأحوال الشخصية فى المادة (١٢٨) « وإن أقل مدة للحمل (١٨٠) مئة وثمانون يوما وأكثرها سنة شمسية واحدة » (مع الطب فى القرآن الكريم / ٢٥ ، ٢٦) .

ويتناول ابن سينا فى رسالته الألواحية (انظر ثبت المراجع) كل ما يتعلق بالحمل بمعنى « الحبل » وهو اللفظ الذى يستخدمه ، من حيث الأدوية التى تعين عليه ، والأدوية التى تفسد الخلقة وتمنع من الحبل، والأدوية التى تسهل بها الولادة ، والأدوية التى تدر اللبن وتفرزه، وتلك التى تقلله وتقطعه ... إلخ وذلك فى الألواح ٨٠ ـ ٨٨ فانظره فى موضعه إن شئت .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١٢٣ ، وفقه السنة ـ الشيخ السيد سابق م ٣ جـ ١٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٨ ، وخلاصة الفرائض لعبد الملك الفتنى، المطبوع فى مجموع مهمات المتون / ٧٢ ، ٧٣ ، ومع الطب فى القرآن الكريم ــ د. عبد الحميد دياب ، ود. أحمد قرقوز ، تقديم د. محمود ناظم نسيمى . مؤسسة علوم القرآن . دمشق بيروت . الطبعة السابعة ١٤٠٤ هــ ـ ١٩٨٤ م/ ٢٥ ، ٢٦ ــ انظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٥٣ ــ ٣٥٦ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٩١ ، والرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن سينا ـ تحقيق وتعليق د. محمد سويسى / ٨٧ ـ ٩١ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٠٢) .

*** الحملاوى / ١٢٧٣ـ ١٣٥١ هـ / ١٨٥٦ـ ١٩٣٢ م) :**

كتب تلميذه الوفى الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة يتحدث عنه ، قال : هو الأستاذ اللغوى الثقة الحافظ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوى نسبة إلى « أمنية حمل » من قرى بلبيس « شرقية » ، وهو عربى الأرومة ينمى إلى الدوحة العلوية الكريمة ، كما صرح بذلك فى كثير من قصائده فى ديوانه ...

وقد ذكر على مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية) ٩/ ٧٧ ... أنه ولد سنة ١٢٧٣هــ سنة ١٨٥٦م ، وتربى فى حجر والده وقرأ وتلقى كثيرا من العلوم الشرعية والأدبية عن أفاضل عصره، ثم دخل (مدرسة دار العلوم) وتلقى الفنون المقرر قراءتها بها ، ونال الشيخ إجازة التدريس من دار العلوم عام ١٣٠٦ هــ ـ ١٨٨٨ م .

وبعد مُدَيْدة أعلنت دار العلوم بحاجتها إلى مدرس للعلوم العربية ، وعقدت لذلك امتحان مسابقة كان الشيخ من أوائل المبرزين فيه فنقل إلى دار العلوم ، وعمل بمدارس

الحكومة ، وقد ترك الأستاذ التدريس بمدارس الحكومة مؤثرا الاشتغال بالمحاماة فى المحاكم الشرعية ، وفى أثناء ذلك أقبل على التحضير لنيل شهادة العالمية من الأزهر فنال بغيته وكان أول من جمع بين العالمية وإجازة التدريس من الأزهر إلى جانب إجازة التدريس من دار العلوم .

وعلى أثر ذلك عهدت إليه الجامعة الأزهرية تدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لطلابها .

وفى سنة ١٩٠٢ أضيفت إليه مع ذلك نظارة مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر، وهى مدرسة حديثة كان يعلم بها القرآن والتجويد ثم العلوم الدينية والعربية والعلوم الحديثة على نحو ما يجرى فى بعض أقسام الأزهر التى نظمت حينئذ تنظيما حديثا ، وكان المنتهون منها يلحقون لإتمام دراساتهم بمدرسة القضاء الشرعى أو الأزهر أو دار العلوم .

وقد قضى المترجم عنه فى نظارة هذه المدرسة خمسا وعشرين سنة انتفع به فيها طلاب كثير كان يمدهم بمعارفه المتفننة الواسعة ويتعهدهم بالتربية الإسلامية والقومية القوية ويزودهم بنصائحه وتجاربه الكثيرة إلى أن علت سنه فآثر الراحة وترك العمل عام ١٩٢٨ ، ثم أدركته الوفاة فى الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٥١ ـ الموافق للسادس والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م ...

وقد كسب الشيخ معارفه العلمية فى بيئتين :

الأولى : الأزهر، حيث درس علوم الدين من تفسير وحديث وعقائد وفقه على مذهب الإمام الشافعى الذى خالط حبه شغاف قلبه وتمكن من نفسه ودرس العلوم اللسانية من نحو وصرف وعروض وبلاغة ووضع إلخ ... على شيوخ عصره وأحرز من كل ذلك قسطا موفورا دل عليه تمكنه منها فى كتبه ودروسه وإحرازه درجة العالمية بعد تركه خدمة الحكومة .

والثانية : دار العلوم التى أنشأها على مبارك باشا وزير المعارف المصرية لتخريج معلمين يحسنون تعليم اللغة العربية والدين لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، وكان طلابها حينئذ ينتخبون بامتحان مسابقة من صفوة الطلاب الأزهريين الذين أنهوا دراساتهم أو كادوا ينتهون منها ، وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والعربية ، وكانت عناية المدرسين بها تجمع بين المحاضرة والتطبيق العملى ، وكان بين



المرحوم الشيخ احمد الحملاوى

أساتذتها نخبة من علماء الأزهر أمثال الشيخ حسين المرصفى، والشيخ حسن الطويل والشيخ محمد عبده ، والشيخ سليمان العبد وأضرابهم من الفحول، وكان الجمع فى دار العلوم بين العلوم الإسلامية والعربية القديمة وبين العلوم المدرسية الحديثة (كما يسمونها) ثم بين المنهجين النظرى والتطبيقى ... ما أفاد مدارس وزارة المعارف بالثمرات التى وصلت ماضى الأمة العربية بحاضرها ، فكانت العوامل فى النهضة الأدبية والعلمية التى ظهرت بواكيرها فى وادى النيل منذ بدء القرن التاسع عشر .

كان ـ رحمه الله ـ ضليعا فى علوم العربية نحوها وصرفها ولغتها ، وعروضها وبلاغتها وأدبها ، وكان يروى من ذلك كله ويحفظ الشيء الكثير مع حسن اعتناء بفهم ما يحفظ ، وجودة نقد لما يروى ، وبراعة استخراج للعبرة والفائدة ، وكان النحو والصرف واللغة والشعر الميدان المحبب إليه يجول فيها فيَمتع ، ويتتبع أقوال الأوائل والأواخر، فلا يكتفى ولا يشبع وكان معجبا بابن هشام الأنصارى من النحاة المصريين (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ) وبما جمع شرحه لألفية ابن مالك الموسوم (بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) من مادة غزيرة فحفظ مسائله وجعل أساس دراساته النحوية والصرفية وتحقيقاته اللغوية التى كان ينشرها بين يدى تلاميذه فى دروسه

ومحاضراته ، ومنه التقط أغلى درره التى ألف منها أهم كتبه :

« شذا العرف فى فن الصرف » مع ما أضاف إليه من شذرات أخرى من « مفصل » الزمخشرى ومن « شافية » ابن الحاجب وشرحها (لرضى الدين الاستراباذى) وغيره من محققى الأعاجم المتأخرين الذين عنوا بالدراسات الصرفية وأشبعوها تأليفا وتوضيحا وتصنيفا .

أسبغ الشيخ على هذه المادة التى أحسن اختيارها من كتب العلماء كثيرا من ذوقه وخبرته بأساليب التعليم والتصنيف فتصرف فيها توضيحا وتهذيبا وتنسيقا وتبويبا حتى جاء هذا الكتاب محكم الطريقة ، واضح الأسلوب ، جامعا للعناصر الضرورية التى لا بد منها لدارسى اللغة وفنونها ممثلا ما وصلت إليه الثقافة اللغوية فى مدارس البصرة والكوفة وبغداد والفسطاط والأندلس، ثم ما انتهت إليه أخيرا على يد (ابن مالك) و (أبى حيان) ، وتلاميذهما من رجال المدرسة النحوية الأخيرة التى لا تزال آثارها قوية باقية .

وإجمال القول : أن كتاب « شذا العرف فى فن الصرف » من أنفع الكتب لطلاب الدراسات الصرفية ...

أما سائر معارف الشيخ من اللغة والعروض والأدب العربى شعره ونثره والتاريخ والجغرافيا والرياضيات ، فقد كان محيطا بها إحاطة قلما اتفقت لرجال المدرسة القديمة التى عاصرته ، وكان - رحمه الله - معنيا بتتبع ما يطبع من الكتب الحديثة التى يؤلفها رجال عصره من أمثال : (حفنى بك ناصف) و(محمد بك دياب) ، ونظرائهما من رجال المعارف، وكان ينقدها ويساجل أصحابها فى مآخذها ، كما كان مشغوفا بقراءة ما ينشر أو يحقق من الكتب القديمة ويستفيد منها فوائد لا تلبث أن تصبح موضوع حديثه مع تلاميذه .

حدث مرة أنه علم بنشر كتاب (الهمع) للسيوطى لأول مرة سنة ١٣٢٧ - ١٩٠٩ . فبعث فى شراء نسخة منه ثم جاء فى ثانى يوم يقول لطلابه قرأت أمس فى كتاب (الهمع) للسيوطى أن من اللغات فى لفظة اللائى من الأسماء الموصولة (اللا) بالقصر التى شاعت بين العامة فينطقها بعضهم باللام المشددة مفتوحة ، وبعضهم بكسرها (قلب الألف ياء اللى) وكنا نظنها عامية فإذا هى من صميم اللغة فى بعض أحوالها

كان أستاذنا الشيخ الحملاوى شاعرا مكثرا من الشعر يقوله فى المناسبات العامة والخاصة ، ويقوله فيما يعرض لحياته الخاصة من شئون ، وما يتطلع إليه من آمال، وما يضطرم فى نفسه من آلام، وأشعاره تنبىء عن صفاء روحه وقوة نفسه واستمساكه بآداب الدين وفضائله حتى لقبه بعضهم : «الشاعر الصوفى» .

له أشعار فى الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة وقد ملك عليه نفسه وحسه حب النبى - ﷺ - فقال فى مدحه قصائد كثيرة مطولة بلغ بعضها المئتين عارض فى أكثرها القدماء من أمثال : كعب بن زهير والبوصيرى، وله فى آل بيت النبى - ﷺ - وخاصة أبناء فاطمة - رضى الله عنها - الذين يتصل نسبه بنسبهم شعر كثير .

أما علماء الإسلام فقد خص الإمام الشافعى بنصيب موفور من مدائحه ، وكان يحضر مولده فى كل عام يبتدئ الاحتفال بقصيدة ويختمه بأخرى، ومدح (أبا البركات الدردير) من علماء المالكية المتأخرين بقصائد كثيرة فى مولده ومدح ورثى كثيرا من رجال عصره كالزعيم مصطفى كامل باشا - رحمه الله - وكصديقه فقيد المعارف الأستاذ حسن توفيق العدل ومرثيتاه فيهما من محاسن شعره ...

قال يمدح، ويوازن بين الشافعى وبين الجاه والمال فى مطلع قصيدة يمدح فيها الإمام عند بدء الاحتفال بمولده سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م :

الفخر بالعلم لا بالجاه والمال
والمجد بالجَدِّ لا بالجدِّ والخال

كم من مليء وضيء الوجه تحسبه
للعلم خلا ولكن فكره خالى

فى المال والجاه أسباب الغرور ومن
يعتز بالأهل كالمعتز بالآل

تلك الأمور سحابات تغيرها
حوادث الدهر من حال إلى حال

ولكن العلم لا ينفك صاحبه
معظم القدر فى حلٍّ وترحال

أفق السماكين بل أعلاه مقعده
فى كل حال تراه ناعم البال

إن عـاش عـاش أجلَّ النـاس منـزلـة
أو مـات مـات بإعظـام وإجـلال

وقـال فى رثـاء الـزعيم مصطفى كـامل باشـا وقـد نشـرت بصحيفـة اللـواء فى ٢٢ مـن صفـر ١٣٢٦ / ٢٥ مـن مـارس ١٩٠٨ م :

يـا أيهـا المنطيق مـالك سـاكتـا
حتى متى هـذا السكـوت أمـا كفى
قـم وارق منبـرك الـذى عـودتـه
حسن الخطـابـة فـالنفـوس على شفـا
واصـدع بـأمـرك يـا همـام فكلنـا
مـرضـى وأنت لنـا من المـرض الشفـا

ومنها على لسان الزعيم ناصحا بنى وطنه :

قـد كنتُ فـردا فحجَجْتُ مـن
فى الحكم جـار على البـلاد وأجحفـا
واليـوم كلكم رجـال فـاقتفـوا
أثـرى وجـدوا فـالهمـام مـن اقتفى
إن مـات منكـم مصطفى فجميعكم
من بعـد مـوتى يـا أفـاضـل مصطفى
ثقـوا بمـولاكـم ولا تتفـرقـوا
إن التفـرق كـم أذل وأضعفـا

ومن رثائه لصديقه المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل :

مـاذا جـرى حتى تـركـت أحبـة
حفظـوك فى سـر الفـؤاد وفى العلن
كـانت لمنعـاك البيـوت مـآتمـا
والنـاس قـد ضجـوا ومـدمعهـم هتن
نبكى شمـائلك التى فـاقت على
من فى الحـواضـر والبـوادى قـد قطن

تلاميذ الشيخ :

أما تلاميـذ الشيخ الذين أخذوا عنه فـى دار العلوم فكثير، من أشهرهم الأساتذة : الشيخ عبد العزيز جاويش وهو أزهرى درعمى، ومحمد عاطف بركات . والشيوخ : محمد الخضرى بك ،ومهدى زيكو ، وأحمـد الأسكندرى، وحسن منصور ، ومحمد مهدى خليل .

وممن تلقوا العلم عليه فى مـدرسة المرحوم عثمـان ماهر باشا الأسـاتذة حسن مأمون رئيس المحكمة الشـرعية العليا ، ثم الإمـام الأكبـر الأسبق، وعبـد الله عفيفى ، وأمين الخـولى وأحمد زكى صفـوت ، وحسن محمد زهران المحـامى ، وطه أبو بكر، ومهدى علام ، ومصطفى السقا .

وصفوة القول أن أستاذنا العـلامة الشيخ أحمد الحملاوى هو أحـد أركان النهضة اللغـوية فى العصر الحـديث بما ألف من كتب وبمـا تخرج علـى يديـه من رجـال القضاء الشـرعى والمحامـاة وأساتذة اللغة العربية ، وكلهم ممن شغلوا مكـانا فسيحا فى حيـاة مصر العلميـة والأدبية فى معـاهدهـا الكبرى وجامعاتها القديمة والحديثة .

وقـد أفضنا فى الحـديث عن كتابـه « شذا العـرف فى فن الصـرف » الذى كـان يـدرَّس فى السنتين الـرابعـة والخامسـة الثانويتين بالمعاهد الأزهرية فلا بد أن نتكلم عن كتابه : « زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع » الـذى كانت ألفاظه سهلة عـذبـة ، اشتمل على غـرر البيـان ودرره وملح الأدب ونـوادره والتصـرف فى فنون القـول : من تقريـر إلى تعجب إلى تهكم إلى نفى لكى يكسب ألفاظه جدة ولئـلا يذهب نشاط السامع سدى .

ومن مؤلفـاته « مورد الصفـا فى سيرة المصطفى - ﷺ - » مطبعـة مصطفى البـابى الحلبى، و « فوائد التأييـد فى عقـائد التوحيد » . وهو رسـالـة صغيرة طبعت بمطبعة مصطفى البابى الحلبى أيضا .

وله ديوان شعر من جزءين . مطبوع .

(« العلامـة الكبير الشيخ أحمد الحمـلاوى » - الأستاذ محمـود عبد الـرازق عقباوى . مجلـة الأزهر الجـزء التـاسع، السنة الثـالثة والستـون ، رمضان ١٤١١ هـ - مارس - إبريل ١٩٩١ م / ١٠٥٤ - ١٠٥٩ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ١/ ٢٥١ وما جاء بهامش ٢ من مراجع) .

* حملة العلم :

عن حملة العلم مـا رواه أبو نعيم وغيـره عن كميل بن زياد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قـال : النّاس ثلاثة ، عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صـايح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ... ثم ذكر كـلاما فى فضل العلم إلى أن

قال : هـا إن ههنا لعلمـا جما ــ وأشار بيـده إلى صدره ــ لو أصبت له حملة ، بلى أصيب لقنا [وهـو العاقل الذكى] غير مأمـون عليه مستعملا آلـة الديـن للدنيا ، ومستظهـرا بنعم الله على عباده وبحججـه على أوليائه ، أو منقـادا لحملة الحق لا بصيرة فى أحنائه ، ينقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة أو منهـوما بـاللـذة سلس القياد للشهـوة ، أو مغـرما بـالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين فى شىء أقرب شىء شبها بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمـورا لئلا تبطل حجج الله وبينـاتـه . وكم ذا وأين أولئك ؟ والله الأقلـون عددا والأعظمـون عند الله قـدرا ، يحفظ الله بهم حججه وبينـاته حتى يودعـوها نظـراءهم ويزرعوهـا فى قلوب أشباههم . هجم بهم العلـم على حقيقة البصيرة ، وبـاشروا روح اليقين ، واستـلانوا مـا استـوعره المتـرفـون ، وأنسوا بمـا استـوحش منه الجـاهلـون ، وصحبوا الـدنيـا بأبدان أرواحهـا متعلقة بالمحل الأعلى . أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه ، آه ... آه شوقا إلى رؤيتهم انصرف إذا شئت !

فقسم أمير المـؤمنين رضى الله عنه حملة العلم إلى ثـلاثة أقسام ، قسم هم أهل الشبهات وهم من لا بصيرة له من حملة العلم ينقـدح الشك فى قلبـه بأول عـارض من شبهـة فتأخـذه الشبهة فيقع فى الحيرة والشكوك ، ويخرج من ذلك إلى البدع والضـلالات . وقسم هم أهل الشهـوات ، وحظهم نـوعـان : أحدهما من يطلب الدنيا بنفس العلم فيجعل العلم آلة لكسب الدنيا ، والثـانى من همه جمع الدنيا واكتنازهـا وادخارها ... وكل هـؤلاء ليسوا من رعـاة الدين وإنمـا هم كالأنعـام . ولهذا شبه الله تعـالى من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمـار الذى يحمل أسفـارا ، وشبه عـالم السـوء الذى انسلخ من آيـات الله وأخلـد إلى الأرض واتبع هـواه بـالكلب ، والكلب والحمـار أخس الأنعام وأضـل سبيلا ! والقسم الثالث مـن حملة العلم هم أهله وحملته ورعـاته والقائمون بحجج الله وبينـاته . وذكر أنهم الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا ، إشارة إلى قلة هذا القسم وغربته من حملة العلم !

وقد قسم الحسن البصـرى (انظر ترجمتـه) رضى الله عنه حملـة القـرآن إلى قريب مـن هذا التقسيم الـذى قسمـه على رضى الله عنه لحملة العلم ... قال الحسن : قراء القرآن ثلاثة أصناف . صنف اتخذوه بضاعة فيتـأكلون به ، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدوا به لطلب الولايـة . كثر هذا الضرب من حملـة القرآن لا كثَّرهم الله ، وضرب عمدوا إلى دواء القرآن فـوضعوه على داء قلوبهم فـركدوا بـه فى محـاريبهم وحنـوا به فى بـرانسهم واستشعـروا الخوف ، وارتدوا الحـزن . فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ، والله لهؤلاء الضرب فى حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن ! فأخبر أن هذا القسم ــ وهم قراء القـرآن ـ جعلـوه دواء لقلـوبهم فأثار لهم الخـوف والحزن [وهم] أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن !

ووصف أمير المؤمنين رضى الله عنـه هذا القسم من حملة العلم بصفـات ، منهـا أنـه هجم بهـم العلم على حقيقـة البصيرة ... ومعنى ذلك أن العلم دلهـم على المقصود الأعظم وهو معـرفة الله فخـافوه وأحبوه حتى سهل ذلـك عليهم كل ما تعسر على غيرهم ، فلم يصل إلى ما وصلو إليه ممن وقف مع الدنيـا وزينتها وزهـرتها واغتـر بها ولـم يباشـر قلبه معـرفة الله وعظمته وإجلالـه ، فاستلانوا مـا استوعر منه المتـرفون . فإن المتـرف الواقع مع شهـوات الدنيـا ولذاتهـا يصعب عليه تـرك لذاتها وشهواتهـا لأنه لا عرض عنده من لذات الـدنيا إذا تركها فهو لا يصبر على تركها . فهؤلاء فى قلوبهم العوض الأكبر بما وصلوا إليه من لذة معرفة الله ومحبته وإجلاله كما كان الحسن يقول : إذا أحباء الله هم الذين ورثوا طيب الحياة وذاقوا نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوا من لذة حبه فى قلـوبهم ، من كلام يطـول ذكره هنـا فى هذا المعنى . وإنمـا أنس هـؤلاء بما استـوحش منـه الجاهلـون لأن الجاهلين بـالله يستوحشـون من ترك الدنيـا وشهواتهـا لأنهم لا يعرفون سـواها فهى أنسهم . وهـؤلاء يستـوحشون من ذلك ويستـأنسون بـالله وبذكره ، ومعرفته ، ومحبته ، وتلاوة كتابه ... والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يجدون الأنس به !

(كشف الكـربة لـلإمام الحـافظ ابن رجب الحنبلى ـ تحقيق محمـد أحمد عبد العزيز . المكتبة القيمة . القاهرة ١٩٨٧ / ٢٣ ـ ٢٥) .

* **حملة القرآن :**

قال الإمـام عياض رضى الله عنه : « حامل القـرآن حامل

رايـة الإسـلام لا ينبغى لـه أن يلهـو، ولا يستهـزىء مع من يستهزىء ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمـون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يتحدثون » .

وقـد أشـار ابن بـرى فى أرجـوزتـه إلى هـذه الفضـائل والأحاديث بقوله وهى نموذج من ثقـافته الإسلامية الواسعة فى الحديث النبوى :

وبعـــد فـــاعلم أن علم القـــرآن
أجمـل مـــا بـــه تحلى الإنســـان
وخيـــر مـــا علمـــه وعلمـــه
واستعمـل الفكـــر لـــه وفهمـــه
وجـــاء فى الحـــديث أن المهـــرة
فى علمـــه مع الكـــرام البـــررة
وجـــاء عن نبينـــا الأواه
حملـــة القـــرآن أهـل الله
لأنـــه كـــلامـــه المـــرفع
وجـــاء فيـــه شـــافع مشفـع
وقـــد أتت فى فضلـــه آثـــار
ليست تفى بحملـــه أسفـــار

(« نظرت على القراء الذين اعتمدهم على بن برى التازى فى أرجوزته » ـ الأستاذ محمـد بن أحمد الأمرانى مجلة الإحياء والتى تصـدرهـا رابطة علمـاء المغـرب جـ ٦ م ٢ . محـرم ـ جمادى الثـانية ١٤٠٧ هـ / نـوفمبر ـ إبريل ١٩٨٧م / ٦٧ ، ٦٨) .



١٠١ ـ «إشراف أمتي حملة القرآن» كوفي حديث مزهر بقلم المؤلف سنة ١٣٩٣ هجرية .

ملاحظة الصورة المصاحبـة لهذه المادة أخذت من كتاب نفائس الخط العـربى ـ حسن قـاسم حبش ، شكل ١٠١ ص ٩١ ، وهى بخط كوفى حديث مزهر بقلم المؤلف سنة ١٣٩٣ هجرية .

* **الحَمْلى :**

قال السمعانى :

الحملى : بفتح الحاء المهملـة والميم وبعدهمـا اللام ، هذه النسبـة إلى حمل وهم بطون من العـرب ، منهم حمل بن عقيدة بن وهب بن الحارث بن لؤى، قال ابن حبيب : فى بنى الحارث بن لـؤى حمل بن عقيدة . وقـال الدارقطنى : حمل ابن عقيدة قبيلة .

وحمل بن خـالد بن عمـرو بن معـاويـة فى بنى عامـر بن صعصعة ، ومنهم موءلة بن كثيف بن حمل بن خالد بن عمرو ابن معـاوية وهـو الضباب بن كـلاب بن ربيعـة بن عامـر بن صعصعة الحملى ، أدرك رسـول الله ﷺ، روى عنه ابنـه عبد العزيز بن موءلة أنـه أتى رسول الله ﷺ فأسلم وهو ابن عشرين سنـة ومسح يمين رسـول الله ﷺ وحبـس إبلـه على رسـول الله فصـدق إبله قلـوصا بنت لبـون ، ثم صحب أبـا هريـرة بعـد رسـول الله ﷺ، وعاش فى الإسـلام مـائة سنة وكـان يسمى ذا اللسانين من فصاحته . وابنته ظمياء بنت عبد العزيز بن موءلة ابن كثيف الحملى، حدثت عن أبيها روى عنها الزبير بن بكار قاضى مكة وغيره .

وأبو عبـد الله ضمرة بن ربيعـة الفلسطينى الرملى الحملى مولى على بن أبى حملـة فقيل له الحملى نسبـة إليه وعلى بن أبى حملـة مولى آل عتبـة بن ربيعة ، يـروى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى والأوزاعى ورجاء بن أبى سلمة وإبراهيم بن أبى عبلـة وابن شـوذب، روى عنـه الحكم بن مـوسى وهـارون بن معروف ونعيم بن حماد وبكير بن محمد بن أسماء ومهدى بن جعفـر وسعيـد بن أسـد، قـال ابن أبى حـاتم سألت أبى عن ضمرة بن ربيعة فقال : من الثقـات المأمونين، رجل صالح، صالح الحـديث ، لم يكن بـالشام رجل يشبهه ؛ فقلـت أيما أحب إليك ضمرة أو بقية ؟ قال : ضمرة أحب إلينا .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٦ انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٤، ٤٥٥) .

*** الحملى (محمد) (- ٨٨٧ هـ) :**

من مواليد بلبيس الذين ذكرهم على باشا مبارك . قال نقلا عن الشمس السخاوى فى الضوء اللامع (م ٥ جـ ٩) : قال : وولد بها أيضا الشيخ محمد بن محمد الحملى البلبيسى القاهرى الشافعى ، وبعد أن حفظ القرآن حفظ العمدة والتبريزى والجرجانية وربع المنهاج على فقيه بلده البرهان الفاقوسى ، وخطب أشهرا بجامع بلده ثم صحب الشيخ الغمرى وتلقن منه ، ولقى ابن رسلان وتهذب بهديه ، وأخذ عن الشهاب الزواوى وآخرين ، وسافر إلى مكة والمدينة وبيت المقدس والخليل والمحلة ، وتكسب بالنساخة ، وقيد على البخارى والشفاء من الحواشى النافعة ما يدل على فضله واختصر تفسير البيضاوى مع زيادات ، وكتب على المنهاج إلى الزكاة ، وامتدح النبى ﷺ بقصيدة ، وكان فاضلا ديّنا جيد الفهم ، بديع التصور، صحيح العقيدة ، خبيرا بالأمور متين التحرى والعفة ، حسن العشرة ، نير الهيئة ، مات فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وثمانمائة . ودفن بجوار أبيه بتربة سعيد السعداء . رحمه الله تعالى . انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد أحمد صلاح زكريا ٩ / ٢٠١، ٢٠٢) .

*** حمودة باشا (جامع -) :**

من جوامع الخطبة فى تونس كتب عنه الشيخ محمد بن الخوجة كما كان فى زمانه فقال :

خطبة هذا الجامع هى الثالثة عشرة فى سلسلة جوامع الخطبة بتونس ، وإمامه الأول فى هذا الزمان صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفى .

هذا الجامع بناه الباى محمد ويدعى حمودة باشا بن مراد باى الأول (١٦٣١ - ١٦٦١) وهو نفسه مؤسس ضريح الصحابى سيدنا أبى زمعة البلوى بالقيروان ، وكم له غير ذلك من المآثر الحسان ، بتونس وبغيرها من البلدان ، وجامعه هذا ملاصق لزاوية ولى الله الشيخ أحمد بن عروس (الزاوية العروسية من حسنات السلطان محمد المنتصر الحفصى وكانت وفاة الولى سيدى أحمد بن عروس فى سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م عن نحو تسعين سنة وكان من أجمل خلق الله ومن أكابر الصالحين ، جاب البلاد فى الطول والعرض ، دخل لبلاد المغرب والتحق بمدينة سبتة مسقط رأس عياض ، وفيه يقول فى جملة شعر ملحون له :

جميع البلاد شولت
حتى لسبتة الحصينه
أنا مثل بنزرت ما ريت
الصواد فى وسط المدينه

قال فى رسالة الخطباء والأيمة [والأئمة] الحنفية للشيخ محمد بيرم الرابع إن أول جمعة أقيمت بهذا الجامع كانت فى شهر رمضان سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م (يستفاد من بعض الوثائق التاريخية المحفوظة بالخزنة العامة بالدولة التونسية أن التحابيس التى وقفها حمودة باشا على جامعه صدرت منه فى موفى جمادى الأولى عام ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧ م بشهادة الفقيهين الشيخ أبى العباس أحمد لفلوف ، والشيخ أبى عبد الله محمد الأنصارى ، شهر الرصاع) وكان أول خطيب به المفتى الشيخ محمد الأزهرى (هو أبو عبد الله محمد بن



جامع حمودة باشا

مصطفى الأزهرى ـ أصله من طرابلس وهاجر إلى مصر لطلب العلم بجامع الأزهر الشريف فنسب إليه ثم قدم إلى تونس فى عهد الأمير حمودة باشا المرادى الذى بالغ فى إكرامه . وتوفى سنة ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧ م) .

وهذا الجامع من الأبنية الزاهية الناطقة بحسن النية ، ولا خوف فى كون مؤسسه هو مفخرة الدولة المرادية بشهادة التاريخ، وهو محط أفراح أهل تونس، لأنهم يتبركون بعقد أنكحتهم فيه ، ولأنه يكثر به عدد المصلين لكونه مركزا وسطا بين أسواق المدينة ، ولو أتيح لعرصاته النطق لأفادتنا بأنها شاهدت أغلب عقود أهل تونس ، وأبقت النزر اليسير منها لعموم الزوايا والجوامع الأخرى بالحاضرة . وقد اشتمل صحن هذا الجامع على تربة صاحبه وبها جوار قبره قبر حفيده الباشا محمد بن مراد باى الثانى مؤسس جامع سيدى محرز، وهذه المقبرة ذات القبة الخضراء الجميلة ، والواجهة المرمرية البديعة، معتبرة فى جملة الأبنية التاريخية فى برنامج الآثار العربية بإدارة الأنطكخانة . (انظر صورة الضريح فى مادة «تونس» فى م ١١ / ١٤٧) .

وقد امتاز هذا الجامع عن بقية الجوامع الحنفية بإمامين ، أول وثان ، ولايتهما بالأمر العلى، وفقا لنص الواقف ، وإمامه الثانى لهذا الزمان هو العلامة الفهامة المدرس الشيخ الشاذلى ابن القاضى ، ورث الخطة عن أسلافه الأعلام أيمة الجامع من قبله . وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث فى ١٧ رمضان ، وهو من الأختام الثمانية التى يحضرها المولى الأمير أطال الله عمره .

(تاريخ معالم التوحيد لمحمد بن الخوجة ـ تحقيق الجيلانى بن الحاج يحيى وحمادى الساحلى/ ١٨١، ١٨٢) :

* **الحموى:**

قال السمعانى :

الحموى : هذه النسبة إلى حماة، بلدة مليحة من بلاد الشام بين حلب وحمص، أقمت بها يومين ، وقاضى القضاة أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران بن عبد الصمد بن سلمان الحموى المعروف بالشامى قاضى القضاة ببغداد، كان منها ، ولد بحماة سنة أربعمائة ، ومات ببغداد فى شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى، وكان لا يخاف فى الله لومة لائم، جرت أموره فى قضاياه وأحكامه على أحسن ... سمع الحديث من أبى القاسم بن بشران وأبى طالب بن غيلان وأبى عمرو بن دوست العلاف وغيرهم ، روى لنا عنه كثير بن سعيد بمكة وعبد الوهاب بن المبارك ببغداد وغيرهما .

وخالد بن عمرو السلفى الحموى ، كان يسكن حماة ، يروى عن بقية بن الوليد ومحمد بن حرب ومروان بن معاوية الفزارى ويحيى بن سليم الطائفى وغيرهم ، ذكره أبو محمد ابن أبى حاتم الرازى ـ قال : خالد بن عمرو السلفى ، كان ينزل حماة على مسيرة يومين من حمص، سمع منه أبى فى الرحلة الأولى .

ومحمد بن نعيم الجرمى الحموى نزيل حماة يروى عن أبى اليمان الحكم بن نافع وأحمد بن شبويه المروزى، قال ابن أبى حاتم : محمد بن نعيم سكن حماة على مرحلة من سلمية ، شامى، كتب عنه أبى .

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٧ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) .

انظر : ياقوت الحموى .

* **الحَمُّويى :**

قال السمعانى :

الحمويى : هذه النسبة إلى الجد، والمشهور بهذه النسبة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى الحمويى نزيل فوشنج وهراة ، كان رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسمع بفربر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى رواية الصحيح، وبسمرقند أبا عمر العباس بن عمر السمرقندى راوى الدارمى وبخرشكت أبا إسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشى راوى عبد بن حميد وغيرهم ، سمع منه أبو بكر محمد بن أبى الهيثم الترابى المروزى وأبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الداودى الفوشنجى وغيرهما ، وتوفى فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

والإمام أبو عبد الله محمد بن حمويه الجوينى، أولاده يكتبون لأنفسهم : الحمويى ـ أيضا ، ينتسبون إلى جدهم ، وأبو عبد الله أدركته حيا وكان بجوين، وكنت على عزم أن أخرج إليه فتوفى وأنا بنيسابور (فى سنة ثلاثين وخمسمائة) .

وابنه أبو الحسن على بن محمد الحمويي، روى لنا عن عمر ابن أبى الحسن الرواسى الحافظ، ومات فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بنيسابور وحمل إلى جوين فدفن بها .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٦٨، واللباب لابن الأثير ، ١ / ٤٥٦) .

*** ابن حَمُّوَيه (عبد الله) (٥٧٢ - ٦٤٢ هـ / ١١٧٧ - ١٢٤٤ م) :**

عبد الله بن عمر بن على بن محمد، ابن حمويه الجوينى السرخسى ويسمى بعبد السلام ، أبو محمد، تاج الدين ، مؤرخ باحث، خراسانى الأصل . كان شيخ الشيوخ بدمشق. ومولده ووفاته فيها . زار المغرب سنة ٥٩٣ هـ ، واتصل بملك مراكش (المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) فأقام إلى سنة ٦٠٠ هـ ، وعاد إلى دمشق مارا بمصر. من كتبه «المسالك والممالك » و « السياسة الملوكية » مخطوط فى استانبول ، و « المؤنس فى أصول الأشياء » ثمانى مجلدات ، و « عطف الذيل » فى التاريخ ، و « الأصالى » و « رحلة إلى المغرب » نقل المقرى عنها . وله مقاطيع شعر جيدة.

(الأعلام للزركلى ٤ / ١١٠) .

*** ابن حَمُّوَيه (محمد) (٤٤٩ - ٥٣٠ هـ / ١٠٥٧ - ١١٣٥ م) :**

محمد بن حمويه بن محمد بن حمويه الجوينى، أبو عبد الله ، شيخ الصوفية فى خراسان ، قرأ الفقه والأصوليين على إمام الحرمين ، ثم انقطع إلى العبادة. وكان الملوك يزورونه، ولا يغشى أبوابهم ولا يقبل صلاتهم ولا يأكل من الأوقاف، له قطعة أرض يزرعها خادم له ، وصنف « لطائف الأذهان فى تفسير القرآن » و « سلوة الطالبين فى سير سيد المرسلين » و«أربعين حديثا » وكتابا فى « علم الصوفية » وغير ذلك .

(الأعلام ٦ / ١١٠) .

*** ابن حمويه (معين الدين) (٥٨٨ - ٦٤٣ هـ) :**

قال عنه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى فى منظومته « تحفة ذوى الألباب » :

كـذا معين الـدين ابن الشيخ قـد
قـام بأمـر الفتح فيهـا وقعـد
ونـاب فيهـا للمليك الصـالح
أيـوب من بعـد البـلاء الطـالح

الصاحب معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه هو الذى فتح دمشق للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وأخذها من الملك الصالح إسماعيل ابن عم أيوب . وقاسى الناس تلك المدة من أنواع البلاء والغلاء والحصر أهوالاً عظيمة، وشدائد زائدة ... ولما فتحها معين الدين ابن الشيخ أقام بها نائبا للصالح أيوب . وكان الفتح فى جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، فلما كان فى ليلة الأحد ثانى عشرين شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، توفى معين الدين المذكور، ودفن بجبل الصالحية عند أخيه عماد الدين عمر. وكان مولد معين الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (جبل الصالحية هو جبل قاسيون المطل على دمشق، وترجع تسميته بجبل الصالحية إلى عام ٥٥٤ هـ لنزول بنى قدامة المقادسة فى سفحه، واشتهارهم بالصالحين، (تحفة ذوى الألباب ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠) .

وقد ذكره المقريزى فى خططه من بين أولاد شيخ الشيوخ فقال عنه : وأما معين الدين حسن فإنه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر، وبعثه الملك الكامل فى الرسالة عنه إلى بغداد، ثم أقامه نائب الوزارة إلى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وجهزه على العساكر فى هيئة الملوك إلى دمشق ، فقاتل الصالح إسماعيل ابن العادل حتى ملكها ومات بها فى ثانى عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ثم يضيف المقريزى قوله : وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ فى كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه أخبارهم والله تعالى أعلم اهـ (المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٤) .

(تحفة ذوى الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - حققته إحسان بنت سعيد خلوصى وزهير حميدان الصمصام. وزارة الثقافة . إحياء التراث العربى (٨٦) منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية . دمشق ١٩٩٢ ، ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٣٤) .

*** الحِمَى و الأرفاق :**

١ - تعريفه : الحمى هو الأرض الموات تحمى من الرعى فيها ليكثر عشبها فترعاها بهائم خاصة .

٢ - حكمه : لا يجوز لأحد أن يحمى من الأراضى العامة للمسلمين ذراعا فأكثر إلا الإمام إذا كان ذلك لمصلحة

المسلمين ، وذلك لقوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » (البخارى) فقد أفاد الحديث أنه ليس لأحد أن يحمى إلا الله ورسوله أو خليفتهما ، وهو الإمام كما يفيد أن الإمام لا يحمى لغير المصلحة العامة ، لأن ما كان لله ورسوله ينفق دائما فى المصالح العامة ، كالخمس من الغنائم والفئ وخمس الركاز ونحوها . فقد حمى رسول الله ﷺ النقيع لإبل وخيل الجهاد (البخارى) كما حمى عمر رضى الله عنه أرضا ، وقيل له فى ذلك ، فقال : « المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله ، والله ... لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر » (البخارى بلفظ آخر) .

٣ ـ أحكامه ، للحمى أحكام هى :

١ ـ لا يحمى إلا خليفة المسلمين وإمامهم لقوله ﷺ : «لا حمى إلا لله ولرسوله » .

٢ ـ لا يحمى من الأرض إلا الموات التى ليست ملكا لأحد .

٣ ـ لا يحمى الخليفة لخاصة نفسه ، بل لمصالح المسلمين العامة .

٤ ـ يلحق بالقياس ما تحميه الدولة من بعض الجبال لتنمية الأشجار فى الغابات ، فينظر فى ذلك ، فإذا كان يحقق مصلحة راجحة للمسلمين أقرت الحكومة على ذلك ، وإذا بان أنه أضر بالمسلمين ولم يحقق لهم فائدة راجحة ، فلا تقر عليه إذ لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ (منهاج المسلم / ٤٠٨ ، ٤٠٩) .

وجاء فى اللسان : الليث : الحمى موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه ، فى تفسير قوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ورسوله » قال : كان الشريف من العرب فى الجاهلية إذا نزل بيتا فى عشيرته استعوى كلبا فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وكان شريك القوم فى سائر المراتع حوله ، قال : فنهى النبى ﷺ أن يحمى على الناس حمى كما كانوا فى الجاهلية يفعلون ، قال : وقوله « إلا لله ولرسوله » يقول : إلا ما يحمى لخيل المسلمين وركابهم التى ترصد للجهاد ويحمل عليها فى سبيل الله ، وإبل الزكاة ، كما حمى عمر النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة فى سبيل الله (لسان العرب ١٢ / ١٠١٤) .

وقد أفرد الإمام الماوردى الباب السادس عشر من كتابه «الأحكام السلطانية » للكلام على الحمى والأرفاق ، مما ننقله لك فيما يلى . قال رحمه الله :

وحمى الموات هو المنع من إحيائه أملاكا ليكون مستبقى الإباحة لنبت الكلأ ورعى المواشى .

« قد حمى رسول الله ﷺ بالمدينة وصعد جبلا بالبقيع » قال أبو عبيد : هو النقيع بالنون . وقال : « هذا حماى وأشار بيده إلى القاع » .

وهو قدر ميل فى ستة أميال حماه لخيل المسلمين من الأنصار والمهاجرين فأما حمى الأئمة من بعده فإن حموا به جميع الموات أو أكثره لم يجز ، وأن حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يجز » .

وأن حموه لكافة المسلمين أو للفقراء والمساكين ففى جوازه قولان :

أحدهما لا يجوز ويكون الحمى خاصا لرسول الله ﷺ لرواية الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ حين حمى البقيع قال : « لا حمى إلا لله ولرسوله » .

والقول الثانى : أن حمى الأئمة بعده جائز كجوازه له ، لأنه كان يفعل ذلك لصلاح المسلمين لا لنفسه فكذلك من قام مقامه فى مصالحهم . قد حمى أبو بكر رضى الله عنه بالربذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامة . وحمى عمر رضى الله عنه من الشرف مثل ما حماه أبو بكر من الربذة وولى عليه مولى له يقال له هنى وقال : يا هنى ضم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة ، وأدخل رب الصُّرَيْمة ورب الغُنَيمة ، وإياك ونعم ابن عفان وابن عوف فإنهما أن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى نخل وزرع ، وإن رب الصُّرَيْمة ورب الغُنَيْمة يأتينى بعياله فيقول يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا ؟ لا أبا لك فالكلأ أهون على من الدينار والدرهم ، والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا .

فأما قول رسول ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » :

فمعناه لا حمى إلا على مثل ما حماه الله ورسوله للفقراء والمساكين ولمصالح كافة المسلمين ، لا على مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية من تفرد العزيز منهم بالحمى لنفسه ، كالذى كان يفعله كليب بن وائل ، فإنه كان يوافى بكلب على نشاز من الأرض ثم يستعديه ويحمى ما انتهى إليه عواؤه من كل الجهات ، ويشارك الناس فيما عداه حتى كان

ذلك سبب قتلـه، وفيـه يقـول العبـاس بن مـرداس (من الطويل) :

كمـــا كـــان يبغيهـــا كليب بظلمــه

من العـــز حتى طـــاح وهـــو قتيلهـــا

على وائل إذ يتـــرك الكلب نـــابحـــا

وإذ يمنـع الإقنـــاء منهـــا حلـــولهـــا

وإذا جرى على الأرض حكم الحمى استبقاء لمواتها سابلا ومنعا من إحيائها ملكا روعى حكم المحمى، فإن كان للكافة تساوى فيـه جميعهم من غنى وفقير ومسلـم وذمى فى رعى كلئهم بخيلهم وماشيتهم ، فإن خص به المسلمون اشترك فيه أغنياؤهم وفقراؤهم ومنع منهم أهل الذمـة ، وإن خص بـه الفقراء والمساكين منع منه الأغنيـاء وأهل الذمـة ولا يجوز أن يخص به الأغنياء دون الفقـراء ولا أهل الذمة دون المسلمين ، وإن خص به نعم الصدقة أو خيل المجاهدين لم يشركهم فيه غيرهم ثم يكـون الحمى جاريـا على ما استقر عليـه من عموم وخصوص، فلو اتسع الحمى المخصوص لعموم الناس جاز أن يشتـركـوا فيـه لارتفاع الضـرر عمن خص بـه ، ولـو ضـاق الحمى العام عن جميع الناس لم يجز أن يختص به أغنياؤهم وفى جـواز اختصاص فقرائهـم به وجهان. وإذا استقـر حكم الحمى على أرض فأقـدم عليهـا من أحياها ونقض حمـاهـا روعى الحمى، فإن كان ممـا حماه رسـول الله ﷺ كان الحمى ثابتا والإحياء باطلا والمتعـرض لإحيائه مردودا مزجورا لا سيما إذا كان سبـب الحمى باقيـا ، لأنه لا يجوز أن يعـارض حكم رسول الله ﷺ نقض ولا إبطال .

وإن كان من حمى الأئمة بعـده ففى إقرار إحيائه قولان : أحدهما لا يقر ويجرى عليه حكم الحمى كالذى حماه رسول الله ﷺ لأنه حكم نفذ بحق، والقول الثانى يقر الإحياء ويكون حكمـه أثبت من الحمى لتصـريح رسول الله ﷺ بقـولـه « من أحيا مـواتا فهى له » . ولا يجـوز لأحد من الـولاة أن يأخذ من أرباب المواشى عوضا عن مـراعى موات أو حمى لقول رسول الله ﷺ : « المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء والنار والكلأ»

فصل : وأمـا الأرفاق فهـو أرفاق النـاس بمقاعـد الأسواق وأفنية الشـوارع وحريـم الأمصار ومنازل الأسفـار فيقسم ثـلاثة أقسـام : قسم يختص الارتفـاق فيـه بالصحـرى والفلـوات. وقسم يختص الارتفـاق فيـه بأفنيـة الأمـلاك ، وقسم يختص بالشوارع والطرق .

فأمـا القسم الأول وهو مـا اختص بـالصحارى والفلـوات فكمنازل الأسفـار وحلول المياه وذلـك ضربان : أحـدهما أن يكـون لاجتياز السابلـة واستـراحة المسـافـرين فيـه فلا نظر للسلطان فيه لبعده عنده وضرورة السابلة إليه ، والذى يختص السلطان له من ذلك إصلاح عورتـه وحفظ مياهه والتخلية بين الناس وبين نزولـه ويكون السابق إلى المنزل أحق بحلـوله فيه من المسبوق حتى يرتحل عنه لقول النبى ﷺ : « مِنى مناخ من سبق إليها » .

فإن وردوه على سـواء وتنازعوا فيـه نظر فى التعـديل بينهم مما يزيل تنازعهم وكذلك البـادية إذا انتجعوا أرضا طلبا للكلأ وارتفاقا بـالمرعى وانتقالا من أرض إلى أخرى كانوا فيمـا نزلوه وارتحلوا عنه كالسابلة لا اعتراض عليهم فى تنقلهم ورعيهم .

والضـرب الثـانى أن يقصـدوا بنزول الأرض الإقـامـة فيهـا والاستيطـان لها ، فللسلطـان فى نـزولها بهـا نظـر يراعى فيـه الأصلح ، فإن كـان مضـرا بـالسـابلة منعـوا منهـا قبل النـزول وبعده، وإن لم يضر بالسابلة راعى الأصلح فى نزولهم فيها أو منعهم منهـا ونقل غيـرهم إليهـا ، كما فعل عمـر حين مصـر البصـرة والكـوفـة نقل إلى كـل واحـد من المِصْـرَيْن من رأى المصلحة فيه لئلا يجتمع فيه المسافرون فيكون سببا لانتشار الفتنة وسفك الـدماء، وكما يفعل فى إقطاع المـوات ما يرى، فإن لم يستأذنوه حتى نزلوه لم يمنعهم منه كما لا يمنع من أحيا مواتا بغير إذنه ودبرهم بما يراه صلاحا لهم ونهاهم عن إحداث زيادة من بعد إلا عن إذنه . روى كثيـر بن عبد الله عن أبيه عن جده قـال : قدمنا مع عمـر بن الخطاب فى عمرتـه سنة سبع عشرة فكلمه أهل المياه فى الطريق أن يبنـوا بيوتا فيما بين مكة والمدينـة لم تكن قبل ذلك ، فأذن لهم واشترط عليهم أن ابن السبيل أحق بالماء والظل .

وأما القسم الثـانى وهو ما يختص بأفنية الـدور والأملاك، فإن كان مضرا بأربابها منع المرتفقون منها إلا أن يأذنوا بدخول الضرر عليهم فيمكنـوا . وإن كان غيـر مضر بهم ففى إبـاحة ارتفاقهم به من غير إذنهم قولان : أحدهما أن لهم الارتفاق بها وإن لم يأذن أربـابهـا ؛ لأن الحـريم مـرفق إذا وصل أهلـه إلى

حقهم منه ساواهم الناس فيما عداه. والقول الثانى أنه لا يجوز الارتفاق بحريمهم إلا عن إذنهم لأنه تبع لأملاكهم فكانوا به أحق وبالتصرف فيه أخص ، فأما حريم الجوامع والمساجد، فإن كان الارتفاق بـه مضرا بأهل المساجد والجوامع منعوا منه ولم يجز للسلطان أن يأذن لهم فيه لأن المصلين به أحق، وإن لم يكن مضرا أجاز ارتفاقهم بحريمها . ويعتبر فيه إذن السلطان لهم على وجهين من القولين فى حريم الأملاك .

وأما القسم الثالث : وهو ما اختص بأفنية الشوارع والطرق فهو موقوف على نظر السلطان . وفى نظره وجهان : أحدهما أن نظره فيه مقصور على كفهم عن التعدى ومنعهم من الإضرار والإصلاح بينهم عند التشاجر، وليس له أن يقيم جالسا ولا أن يقدم مؤخرا ويكون السابق إلى المكان أحق به من المسبوق. والوجه الثانى أن نظره فيه نظر مجتهد فيما يراه صلاحا فى إجلاس من يجلسه ومنع من يمنعه وتقديم من يقدمه كما يجتهد فى أموال بيت المال وإقطاع الموات ولا يجعل السابق أحق وليس له على الوجهين أن يأخذ منهم على الجلوس أجرا. وإذا تركهم على التراضى كان السابق منهما إلى المكان أحق به من المسبوق، فإذا انصرف عنه كان هو وغيره من الغد فيه سواء يراعى فيه السابق إليه . وقال مالك إذا عرف أحدهم بمكان وصار به مشهورا كان أحق به من غيره قطعا للتنازع وحسما للتشاجر، واعتبار هذا وإن كان له فى المصلحة وجه يخرجه عن حكم الإباحة إلى حكم الملك .

فصل : وأما جلوس العلماء والفقهاء فى الجوامع والمساجد والتصدى للتدريس والفتيا فعلى كل واحد منهم زاجر من نفسه أن لا يتصدى لما ليس له بأهل فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد، وقد جاء الأثر بأن « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على جراثيم جهنم » .

والسلطان فيهم من النظر ما يوجبه الاختيار من إقراره أو إنكاره، فإذا أراد من هو لذلك أهل أن يترتب فى أحد المساجد لتدريس أو فتيا نظر حال المسجد، فإن كان من مساجد المحال التى لا يترتب الأئمة فيها من جهة السلطان لم يلزم من ترتب فيه للتدريس والفتيا استئذان السلطان فى جلوسه كما لا يلزم أن يستأذن فيه من ترتبه للإمامة، وإن كان من الجوامع وكبار المساجد التى ترتب الأئمة فيها بتقليد السلطان روعى فى ذلك عرف البلد وعادته فى جلوس أمثاله، فإن كان للسلطان فى جلوس مثله نظر لم يكن له أن يترتب للجلوس فيه إلا عن إذنه كما لا يترتب للإمامة فيه إلا عن إذنه لئلا يفتات عليه فى ولايته ، وإن لم يكن للسلطان فى مثله نظر معهود لم يلزم استئذانه للترتيب فيه وصار كغيره من المساجد، وإذا ارتسم بموضع من جامع أو مسجد فقد جعله مالك أحق بالموضع إذا عرف به. والذى عليه جمهور الفقهاء أن هذا يستعمل فى عرف الاستحسان وليس بحق مشروع. وإذا قام عنه زال حقه منه وكان السابق إليه أحق لقول الله تعالى: ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [الحج : ٢٥] .

ويمنع الناس فى الجوامع والمساجد من استطراق حلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتها . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا حمى إلا فى ثلاث : ثلة البئر، وطول الفرس ، وحلقة القوم . فأما ثلة البئر فهو منتهى حريمها . وأما طول الفرس فهو ما دار فيه بمقوده إذا كان مربوطا ، وأما حلقة القوم فهو استدارتهم فى الجلوس للتشاور والحديث » .

وإذا تنازع أهل المذاهب المختلفة فيما يسوغ فيه الاجتهاد لم يعترض عليهم فيه إلا أن يحدث بينهم تنافرا فيكفوا عنه ، وإن حدث منازع ارتكب مالا يسوغ فيه الاجتهاد كف عنه ومنع منه ، فإن أقام عليه وتظاهر باستغواء من يدعو إليه لزم السلطان أن يحسم بزواجر السلطنة ظهور بدعته ويوضح بدلائل الشرع فساد مقالته ، فإن لكل بدعة مستمعا ، ولكل مستغو متبعا ، وإذا تظاهر بالصلاح من استبطن ما سواه ترك ، وإذا تظاهر بالعلم عن عرى منه هتك لأن الداعى إلى صلاح ليس فيه مصلح والداعى إلى علم ليس فيه مضل (الأحكام السلطانية/ ١٦٠-١٦٣) .

(منهاج المسلم- أبو بكر جابر الجزائرى/ ٤٠٨، ٤٠٩، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١٤ ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لعلى بن محمد حبيب البصرى الماوردى/ ١٦٠-١٦٣) .

انظر مادة إحياء الموات فى م ٣/ ١٨-٢٢ .

*** الحميات :**

الحمى : ارتفاع درجة حرارة الجسم عن معدلها الطبيعى، ويتراوح هذا المعدل فى غالبية الناس بين ٣٦ و ٣٦,٥ م صباحا ،و ٣٧ م مساء. والحمى لازمة طبيعية، وعرض مرضى يصاحب الأمراض المعدية . وهى إجراء دفاعى

وقائى، يتخذه الجسم لمواجهة ما يغزوه من الجراثيم ، التى لا تلائمها درجة الحرارة العالية . وأحيانا ترتفع درجة الحرارة فى أمراض غير معدية ، كالتهاب حوض الكلى ، والتسنين فى الأطفال، والنزلات المعوية ، و « الخراريج » (الموسوعة الثقافية / ٤١٣) .

ونذكر فيما يلى الحميات كما كان يفهمها الأطباء العرب فى الماضى، تاركين للقارىء أمر مقارنتها بمعلوماتنا عنها فى الوقت الحاضر وهى التى سقناها آنفا . (اقرأ عن الحميات فى الفصول للرازى / ٨٤ ـ ٩٠ ، والحاوى للرازى ١٤ / ١٦٩ ، الملكى لعلى بن عباس المجوسى ١ / ٢٩٣ ـ ٣٠١ ، والمختارات لابن هبل ٣ / ٢٥٣ ـ ٢٩٠) .

يقول الدكتور كمال السامرائى عن الطب الإسلامى فى علاج للحمى :

حالات الحمى شائعة قديما وحديثا . وكانت تعتبر من الحالات المرضية العابرة غير الخطيرة، إلا فى وقعات معينة، وقد اعتبر العرب الحمى عرضا فى أكثر الحالات وأن لها أسبابا كثيرة يرجعون أكثرها إلى فساد الأخلاط أو قلة نضجها أو زيادة انطباخها، أو إلى تغييرات فى أورام البدن .

ويكون تشخيص الحمى بلمس جلد العليل، أو بالاعتماد على شكواه منها . وقد لا يكون فى هذه الحالة الأخيرة وجود لها فى المريض . ولما لوحظ تناوب الحمى سميت بحسب ذلك حمى يوم ، أو حمى ربع . كما وصفت أنواع أخرى منها كالحمى المطبقة ، والمحرقة ، والنافض، وحمى الدق، وعرفت الفروق السريرية فيما بينها ، وصفات النبض والبول فى تلك الأنواع ، والأعراض التى يشكو منها المريض كالثقل العام فى البدن، وثقل الرأس، والنخس فى سطح الجسم ، والتثاؤب المتكرر، واضطراب النوم وفقدان الشهية . واعتبر الأطباء الحميات التى تظهر فى الليل أقل خطورة من التى تظهر فى النهار. وفسروا النافض من الحمى من كثرة الأخلاط الرديئة فى المُرَّتين (السوداء والصفراء) وحدتها وسرعة حركتها، ودقة الحس عند المريض من ملامسة الماء البارد .

ولأن طبيعة الحميات لم تكن معروفة فقد عولجت حالاتها على مبدأ « الراحة ترياق العلل » إلا أن الأطباء اختلفوا فى أمر تغذية المريض ، فأوصى بعضهم بالحِمْية، وقال آخرون بضرورة التغذية على الأقل بالبقول اللينة . ونصحوا بشرب الماء باردا، وتناول ماء الشعير وماء العسل ، وماء الرمان المز ولا تتبع هذه الطريقة من العلاج فى حالات الحميات المسببة عن الأورام البلغمية والدموية وفى حالة الدبيلات كما استعمل الفصد والمسهلات فى بعض الحميات الأخرى . وكانت العرب منذ قديم الزمان يبلون أجسامهم إذا سخنت بالماء البارد. وأكد النبى ﷺ على فائدة هذه العملية حين قال : «الحمى من نار جهنم فأطفئوها بالماء (مختصر تاريخ الطب العربى / ٢٧٣، ٢٧٤) .

قالت المؤلفة : أخرج الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (١ / ١٥٧) حديثا بلفظ « الحمى كير من جهنم ، فنحوها عنكم بالماء البارد » من رواية ابن ماجه عن أبى هريرة .

كما أخرج حديثا بلفظ « الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء » من رواية أحمد فى مسنده والبخارى عن ابن عباس ، وعن أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن عائشة، ولأحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن رافع بن خديج وللبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أسماء بنت أبى بكر وقال عنه حديث صحيح .

وقد تكلم ابن رشد على أنواع الحميات المختلفة وأعراضها وهى حمى يوم، الحميات العفونية ، حمى الصفراء، الحمى البلغمية ، حمى الربع ، الحمى الدموية ، وحمى الدق ، وذلك فى كتابه الموسوم بالكليات فى الطب / ١٨٢ ـ ١٨٧ فارجع إليه إن شئت .

كذلك أفرد صاحب تسهيل المنافع بابا فى الحميات ننقله لك فيما يلى، وهو ينقل عن كتاب الرحمة للحكيم المقرى :

قال صاحب كتاب الرحمة : اعلم أن الحميات كثيرة لكن نذكر منها أعظمها خطرا وهى التى تختلف باختلاف زيادة الأخلاط الأربعة فتنقسم إلى أربعة أقسام الأول : حمى الغب وهى التى تغيب يوما وتنوب يوما ، سببها زيادة خلط صفراوى . العلاج شرب ماء الليم والسكر على الريق ثلاثة أيام ويتقيأ والغذاء سويق ذرة وخمير حنطة ومرق فروج فإن

انقطعت إلى ثلاثة أيام وإلا فليسهل بمسهل الصفراء فإنه يقطعها مع استعمال ما ذكرنا والله الشافي .

الثاني : حمى النائبة وهى التى تنوب كل يوم ، سببها خلط دموى . العلاج : الخل كل يوم وأكل المزورات واجتناب ما عدا ذلك يستعمل ذلك ثلاثة أيام فإن برأ وإلا فليحتجم فإنه يبرأ إن شاء الله تعالى .

الثالث : الحمى المطبقة وهى التى تكون فى داخل الجوف ويكون ظاهر البدن هادئا مترضخا بسخونة قليلة وربما كان باردا البتة مع الطبخ الكامل والثقل إلى سبعة أيام فى الغالب ثم يثور بحرارة كالنار تطبخ البدن جميعه وهو البحران الذى يسمى المسبع فإذا ثارت تلك الحرارة طبخت جميع البدن حتى يسخن الدماغ بسخونة مفرطة فيتغير العقل ويصيب المريض غشوة وهذيان بكلام لا يشعر به ثم ينقع العرق العظيم ويسكن بعد ذلك فإما إلى السلامة وإما إلى الهلاك وهى أعظم الحميات خطرا ، وسببها خلط بلغمى العلاج : إذا حدث ابتداؤه أن يتقيأ كل يوم بالخل والعسل ويستعمل سويق الذرة مع السكر غذاء فإن احتاج إلى زيادة كان خمير لباب الحنطة ومرق الفراريج فإن هذا نافع جيد مجرب .

الرابع : حمى الربع وهى التى تغيب يومين وتنوب يوما وتبتدىء بسخونة لينة ثم تزداد قليلا قليلا حتى تشتد الحرارة وتعظم وتكون لها وقع فى البدن كوقع الإبر ثم يحدث العرق بعد ذلك وهى مزمنة لا تكاد تنقطع إلا أنها أسلم خطرا من الحمى المطبقة ، وسبب حمى الربع خلط سوداوى بارد يابس كامن فى الجوف .

العلاج : أن يحلب لبن بقر على سمن منقص وعسل منزوع الرغوة ويشرب من تحت الضرع ويجتنب كل شىء سوى ذلك وإذا ابتدأت الحمى فليشرب ماء حارا ساخنا قد أعد لذلك فإن هذا التدبير يقطع هذه الحمى سريعا ولا شىء غيره أحسن منه وهذا نافع صحيح مجرب . وقيل إن صاحب الثليث (هى حمى الربع) إذا شرب السليط عصيرا من المعصرة على الريق ثلاثة أيام كل يوم ثلاث أواق قطع عنه حمى الربع اهـ . قلت وقوله فى أول الحميات حمى الغب بكسر الغين المعجمة وهى المعروفة عند العوام بالورد بكسر الواو وهو يوم الحمى كما قاله فى الديوان والحمى المطبقة وهى بفتح الباء وكسرها وهى الملازمة الشديدة التى لا تبرح ، وحمى الربع هى المسماة عند العوام بالثليث والربع بكسر الراء وإسكان الباء وهى غير مخوفة عند العلماء لأن المحموم يأخذ قوة فى يومى الاقلاع ، والله سبحانه أعلم .

ثم يتكلم على أنواع الحميات فيقول :

قال شيخنا : وجملتها ثمانية عشر نوعا منها أربعة ناشئة من الأخلاط وهى الدم والصفراء والبلغم والسوداء أما الدموية فهى التى لا تزيد ولا تنقص حتى تنقضى ؛ وعلاجها فتح العروق فهو علاج عظيم لحميات الدم إن ساعدتك القوة ثم تنقص الطبيعة بالإسهال وقد يعالجون بالقىء ليستفرغ المرار وأما الصفراوى فهى حمى الغب المعروفة بالورد إذا لم يخالطها شىء غير الصفراء وأطول نوبتها اثنتا عشرة ساعة وفترتها ست وثلاثون ساعة وتدور سبعة أدوار . ومن أدويتها وقد جربتها لها أعنى حمى الورد شرب ماء سبع حبات ليم كبار صفر بسكر للرجل الكبير وأما الصغير فقدر له ولكل شخص ما تحتمل قوته ويكون شربه لذلك قبل النوبة فما وجدته يحتاج إلى الإعادة أعد له . وأخبرنى من أثق به أنه شرب يوم النوبة على الريق ماء سبع حبات ليم بغير سكر فبرأ ولم يعاوده . قلت وهو من أدويته ، وأبلغ من جميع الأدوية لحمى الورد وقد جربته فوجدت نفعه قويا فينبغى الاعتماد عليه وهو صحيح مجرب ، والله أعلم . وجربنا شرب الرائب على الريق يوم النوبة والتقيؤ بعد ساعة واستدبار الشمس فوجدناه نافعا فى مرة واحدة ؛ ومن أدويتها شرب نقيع تمرهندى أعنى الحمر من غير مرس ويضاف إليه القند وإن كان فى الأصل بارد الطبع وخشى من برودة الحمر فليشرب من الهليلج الأصفر ثلاث فقال مع مثلها سكر أو يشرب بعد ذلك ماء حارا فإنه نافع فى الحمى الصفراوية . قلت : ولا يخلو هذا من نظر فإن شرب القند والحمر مما يسهل الطبيعة وكذا الهليلج مع السكر ولا شك أن الإسهال مضر لمن كان قد ضعفت قوته بالمرض فليتأمل هذا الكلام .

وأما حمى البلغم فهى النائبة فى كل يوم وإنما تكون من البلغم إذا عفن بحرارة خارجة عن الطبيعة ؛ وعلاجه بما يلطف ويقطع وكل ما يدر البول ويجب أن يعتنى فى هذه

الحمى بأمر البطن خصوصا فم المعدة فلا يتهاون بها فإنها تطول ويئول أمر صاحبها إلى التلف . وعلاجها بعد ثلاثة أيام بعد انتهائها وينبغى أن يمنع شرب الماء البارد ويسقى الماء الحار ففيه نفع له وبه تنقطع هذه الحمى إن شاء الله تعالى فإن عرض من كثرته إجحاف بالقوة فيعتنى بالأدوية التى تمنع القيء وليحذر من الغليظ وليجعل غذاءه فى الابتداء من اللطيف والغليظ وأعطه منه قدرا صالحا وفى الانتهاء شيئا يسيرا إلا أن تضعف القوة فيجب حينئذ أن يضيف إلى استعمال تقليل الغذاء بكثرة المزورات من غير إضرار بالعليل والواجب أن لا يعطى العليل شيئا من الغذاء إلا بعد إقلاع الحمى أو قبل نوبتها بثلاث ساعات وذلك لأن الحمى إذا حدثت وفى المعدة طعام قويت وزادت جدا وذلك من ضعف القوة من فساد مزاج الحمى وبذلك تضعف عن تغيير الغذاء وهضمه وإذا لم يتغير وينهضم صار مادة وقوة للحمى، انظر إلى هذه الفائدة وتأملها وتحفظها فهى أصل فى تهوين الحمى . ومما يذهب البرد العارض فى هذه الحمى أن يمرخ البدن بدهن القسط .

وأما حمى الربع السوداوية وقد يتقدمها حميات مختلفة على الأمر الأكبر وذلك أن المرة السوداء تتولد من أخلاط أخر أعنى خلط الدم والمرة الصفراء والبلغم إذا احترقت وإنما سميت حمى الربع لأنها تأتى فى كل أربعة أيام مرة ومقدار نوبتها أربع وعشرون ساعة وذهابها ثمانية وأربعون ساعة وقد تبتدئ هذه الحمى فى الفرد من غير أن يتقدمها حميات مختلطة على الأمر ونوبتها أربع وعشرون وبمخالطة الصفراء تقصر وبالبلغم تطول وهى إن حدثت فى الشتاء طال مكثها وفى الصيف قل مكثها وعلاجها أكل التمر المكى ثلاثة أيام على الريق حتى يشبع ويستجزى به عن الغذاء ويأكل عوضه زبيبا رازقيا وإن شاء استعمل على الريق أكثر من ملء الكوز ويكون رازقيا ويقف إلى وقت الغذاء ويأكل فطير بر ولبنا وقندا ويأكل من الزبيب شيئا عند النوم وإن استجزى بالزبيب الرازقى عن غيره من المأكل مدة مديدة كلما جاع أكل منه أو يأكل اليسير من الطعام إن لم يقدر على تركه بالكلية فلا بأس به فهو أبلغ وأنفع إن شاء الله تعالى ومرق الكبش أولى فى الإدام من اللبن وشرب السليط الحار والاستمشاء به جيد ويستعمله مرارا على الاعتماد على الغذاء الموافق وهو الحار الرطب كلحم الكبش والتمر وفطير البر، والله سبحانه وتعالى أعلم . وشرب مرق الدجر نافع من حمى الثلث وهو فى يوم الوجع أنفع والله أعلم

ولحمى الربع يؤخذ مر وسذاب وفلفل وحلتيت أجزاء سواء يدق الجميع ويعجن بعسل ويستعمل منه مقدار حبة النبق كل يوم للرجل الكامل البارد المزاج ، فإن لم يكن كذلك فليستعمل دون ذلك القدر ويأكل كل حار رطب كلحم الكبش والدجاج وفطير البر وفطير الذرة إن كانت غذاءه والتمر

ولحمى الربع السوداوية وهى التى تنوب يوما وتترك يومين وهى من الأمراض المزمنة تبتدئ بنافض لين ثم يقوى فينبغى لصاحبها ترك الغذاء يوم النوبة بالعشى ويتغذى بكرة بما يصلح لهذا الوجع ويحذر الاغتسال بالماء البارد ويترك التعب الشديد ونوم النهار .

ولحمى الورد مجرب شرب ثلاث جرع من خل حاذق مدة أربعة أيام أو ستة أيام على الريق، وأفضل الدواء لصاحب الورد كل بارد دسم ، وشر الأشياء له الحار اليابس لأنها حارة يابسة ، وسمن البقر صالح له وأحسن شيء يعالج به الماء البارد، والله أعلم .

فصل فى الحمى : وهى على أضرب : منها غمية ومنها همية ومنها فكرية ومنها غضبية ومنها فرحية ومنها تعبية ومنها استفراغية وهو الخلو من الطعام ومنها عطشية وهى التى تحدث مع العطش وذكر جالينوس أن الحمى أعظم الأمراض خطرا وهى بريد الموت أى أكثر أسباب ذلك لأنها تشمل ظاهر البدن وباطنه ، والبريد هو الرسول . قلت وفى اللقط وحمى الدق : تحدث من كل ما يجفف البدن تجفيفا مفرطا مع إسخانه إياه كالغم والهم والسكر وحمى العب : هى التى تأتى يوما وتنقطع يوما تكون من المرة الصفراء والتى تأتى يوما وتنقطع يومين من عفونة السوداء والتى تأتى كل يوم من البلغم وعفونته . قلت ودواؤها العام إذا كانت طبيعة المحموم يابسة فلا تغذه أصلا ما لم يخرج الثفل فإنه إذا تغذى اشتغلت الطبيعة عن الدفع أى دفع ما فى البطن واستحكم المرض وطال ولا يصلح للمحموم شرب الماء البارد، وقد روى عن رسول الله ﷺ إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء .

قالت المؤلفة : خرجنا هذا الحديث آنفا واختلف الناس

فى ذلك فقال قوم : هذه كانت عادة العرب وقد ثبت أن العادة كالطبيعة وقد كانت بلادهم شديدة الحرارة ، وجاء فى الحديث أن المراد به ماء زمزم فيكون إذن للتبرك فروى الشيخ رضى الله عنه بإسناده قال : إن أبا حمزة كان يجلس إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال وكنت أدفع عند ازدحام الناس فاحتبست عنه فقال ما حبسك ؟ قلت الحمى قال إن رسول الله ﷺ قال « إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء من زمزم » وقد ذكر فى هذا التبرد بالماء للمحموم أربعه أوجه :

الأول الاغتسال وهو ظاهر الحديث ، وروى الشيخ بإسناده عن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال : الحمى قطعة من النار وكان النبى ﷺ إذا حم دعا بقربة من الماء فأفرغها على رأسه فاغتسل .

والثانى استقبال جرية الماء فى النهر ، وروى الشيخ بإسناده عن ثوبان أن النبى ﷺ قال : إذا أصابت أحدكم الحمى فإنما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالماء البارد ويستقبل نهرًا جاريا فيستقبل جرية الماء فيقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اشف عبدك وصدق رسولك وذلك بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس فينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فإن لم يبرأ فثلاث فخمس وإن لم يبرأ فى خمس فسبع فإن لم يبرأ فى سبع فإنها لا تكاد تجاوز السبع بإذن الله تعالى .

وفيه سعيد وهو مجهول .

والثالث : أن يعلق السقاء ويضطجع تحته فيقطر عليه ، وروى الشيخ بإسناده عن عبيدة بن حذيفة عن عمته قالت رأيت رسول الله ﷺ قد وعك وعكا شديدا فأمر بسقاء فعلق فجعل يقطر عليه .

والرابع أن يصب الماء بين ظهر المحموم وجنبه ، وروى الشيخ بإسناده عن أسماء كانت إذا أتت المرأة قد حمت أخذت قربة فصبتها بينها وبين جنبها وقالت : إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نبردها بالماء ومتى أبرد عرق المحموم فليترك ما لم يتجاوز الحد فإن مسحه يضره .

قال المقرى : النافض هو أن يغشى الإنسان رعدة ورعشة وبرد شديد فى قلبه فينتفض سائر بدنه انتفاضا عظيما ثم يحدث بعد ذلك سخونة فى بدنه ويشتد عليه حتى يخرج العرق ثم يبرد ويسكن وهى تنوب كل يوم سببها زيادة خلط دموى يجتمع بخلط بلغمى على الرئة . العلاج : أن يتقيأ بالخل والعسل كل يوم على الريق ثلاثة أيام ثم يستعمل الشراب العسلى بعد القيء ، والغذاء خَمير نقى البر ومرق الكبش واللحم المعمول بالكوامخ الحارة الحريفة فإنه نافع جيد والله أعلم .

(تسهيل المنافع / ١٧٨ ـ ١٨١) .

ونسوق لك فيما يلى ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة عن الحمى فى كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها ، وعن الأمراض التى تشفيها :

الحديث السادس

من باب الحمى

« حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن علقمة بن مرثد عن حفص بن عبيد الله عن أبى هريرة قال ذكرت الحمى عند النبى ﷺ فسبها رجل . فقال النبى ﷺ ، لا تسبها ، فإنها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد » .

الحديث السابع

من باب الحمى أيضا ، وفيه زيادة فابردوها بالماء وشرحهما معا .

« حدثنا أبو بكر عن ابن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى ﷺ قال : الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قال الشيخ : الحمى حرارة غريبة تضر بالفعل لا تكون إلا فى مادة أولا ، ثم منها تسخن سائر الأعضاء فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم ، لأنها تزول فى الغالب فى يوم ، ونهايتها ثلاثة أيام . وإن كان مبدأ تعلقها أخلاطا سميت عفنة ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية سميت حمى دق وقد بسطنا القول فى ذلك فى كتابنا الكبير فى الحميات ، واختصرناه فى كتاب ثان وثالث ، وكثيرا ما تكون حمى يوم وحمى العفن سببا لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها ، وسببا لتفتيح سدد لم تكن تصل إليها الأدوية .

وأما الرمد الحديث والمتقادم فإنها تبرئه برءا عجيبا وقد قلنا إنها تنضج الفضول الغليظة المحتبسة ، وتفتح السدد

الغامضة فيلزم من ذلك أنها تبرئ من جميع الأمراض التابعة لذينك مع كثرتها ، وإن هذين السببين يكون عنهما جل الأمراض ، وهى تبرء من الفالج واللقوة إذا عرضت بعدهما . وقد علمنا ذلك « بقراط » فى فصوله وشرحه جالنوس وأوضحناه فى شرحنا لكتاب الفصول ، وكذلك تفعل الحمى بالتشنج الامتلائى .

وأما الربع فما أكثر الأمراض الصعبة التى تبرىء منها ، ولا سيما الصرع والنقرس والدوالى وأوجاع المفاصل ، والجرب والحكة والبثور من التشنج ثم إن الحمى تتبعها حمية عن الأغذية الردية ، وتناول الأدوية النافعة والأغذية اللطيفة . وفى ذلك كله إعانة على تنقية البدن ونفى أخباثه وفضوله وتصفيته من أدرانه وعيوبه ، فتفعل فيه كما تفعل النار فى الحديد ، ففضول البدن كخبث الحديد ، والذى صرح به فى الحديث أنها تنفى الذنوب لأنها كفارة السيئات والخطايا ، والكفارة تمحو المكفر عنه فحينئذ يكون قد شبه المعقول بالمحسوس ، والمريض يتذكر العقبى ويندم على ما مضى ، ويستغفر من الخطايا فيكون كمن لا ذنب له بمنزلة الملائكة .

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا دخلت على المريض فمره يدعو لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة ، وأما قوله ﷺ إن شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء ، فإن هذا الحديث قد تخلص بلفظ شدة عن طعن الطاعنين ، لأن فى الحديث الآخر أن الحمى من فيح جهنم ، ولعمرى ليس كل حمى يجوز أن تبرد بالماء بل الحميات المحرقة التى ليس لها ورم فى بعض الأحشاء ، وقوة المريض مستظفرة ، والصفراء والدم فى غليانهما وقد أخذ فى النضج . فجالينوس يسقى الماء البارد فى هذه الحميات عند تظافر الشرائط والأسباب حتى يحضر المريض فحينئذ تنطفى حماه فى الوقت وتبرأ على المكان وكثيرا ما تعرض هذه الحميات التى يوافقها الماء البارد فى أرض العرب وفى كل بلد حار يابس ، وكثيرا ما يستعمل الاغتسال فى حميات يوم ، فيكون ذلك سبب الشفاء ولا سيما الاستحصافية ، ولجالينوس فى ذلك حكايات كثيرة وشروح واسعة ومناظرات مع أطباء زمانه ، فإنه بلج عليهم بحجته وهزىء من الأطباء حين كان يحتم على المريض ويغذيه ويأمره بالخروج إلى صناعته ويأتى الأطباء إليه فلا يجدونه فى منزله فيستحيون من تقصيرهم ومن خطئهم على المريض .

(كتاب الأربعين الطبية / ٩٥ ـ ٩٨) .

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين السعيد / ٤١٣ ، ومختصر تأريخ الطب العربى ـ د. كمال السامرائى ٢ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، وتسهيل المنافع فى الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر الأزرق / ١٧٨ ـ ١٨١ ، انظر أيضا الكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبى. مراجعة د. أبى شادى الروبى ، تقديم د. إبراهيم بيومى مدكور / ١٨٢ ـ ١٨٧ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٨١ ـ ٣٨٣ ، وكتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها. عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالى ـ تحقيق عبد الله كنون . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية م ١٨ جـ ١ ربيع الثانى ١٣٩٢هـ ـ مايو ١٩٧٢م / ٩٥ ـ ٩٨ ، انظر أيضا كتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام فى الفروق بين الأمراض لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ـ تقديم وتحقيق وشرح د. سلمان قطاية / ٢٣٥ ـ ٢٤٠ ، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى ، المطبوع بذيل كتاب تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه / ١٦٦ ـ ١٧١) .

*** ابن حميد (ـ ٥٨٦ هـ / ـ ١١٩٠ م) :**

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد الأنصارى . من أهل مرسية إمام جامعها ، الإمام النحوى ، أقرأ سيبويه وأخذه الناس عنه ، روى عن الجلة ، شرح إيضاح الفارسى ، وجُمل الزجاجى ، روى عنه الجم الغفير ، توفى سنة ست وثمانين وخمسمائة .

ترجمته فى أخبار غرناطة ، والأعلام ٦ / ٣٠٠ وبغية الوعاة ١ / ٦٨ ـ ٦٩ وكشف الظنون / ٢١٢ ، ٦٠٣ وهدية العارفين ٢ / ١٠٢ وهو بلنسى الأصل .

ذكر السيوطى أنه توفى سنة ٥٨٩ ونقل عن ابن الخطيب أنه توفى فى سنة ٥٨٧ .

(إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٣٠٣ وهامش المحقق) .

*** الحميد جل جلاله :**

الاسم السابع والخمسون من أسماء الله الحسنى . قال الإمام أبو حامد الغزالى فى تفسيره : الحميد هو المحمود المثنى عليه ...

والله تعالى هو الحميد ، بحمده لنفسه أزلا، وبحمد عباده له أبداً .

ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا إلى ذكر الذاكرين له ؛ فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال .

تنبيه : الحميد من العباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله كلها من غير مشوبة ... وذاك هو محمد ﷺ، ومن يقرب منه من الأنبياء، ومن عداهم من الأولياء والعلماء . وكل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله .

وإذا كان لا يخلو أحد عن مذمة ونقص وإن كثرت محامده ـ فالحميد المطلق هو الله تعالى .

(المقصد الأسنى / ١١٥) .

وقال فى تفسير ذلك الاسم الإمام فخر الدين الرازى :

قال تعالى : ﴿ ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ : ٦] وقال تعالى : ﴿ إنه حميد مجيد ﴾ [هود : ٧٣] .

واعلم أنه فعيل إما بمعنى فاعل، فإنه تعالى حامد لم يزل بثنائه على نفسه ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] وبثنائه على المؤمنين الذين سيوجدون .

وإما بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، أى محمود بحمده لنفسه؛ وبحمد عباده له؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ [البقرة : ٣٠] ومنهم من قال : الحميد، معناه المستحق للحمد والثناء .

حظ العبد من هذا الاسم : وأما العبد إنما يكون حميدا إذا سلمت عقائده عن الشبهات، وأعماله عن الشهوات؛ وكل من كان فى هذا المقام أكمل كان فى كونه حميدا أكمل .

وأما المشايخ فقالوا : الحميد الذى يوفقك للخيرات ، ويحمدك عليها ، ويمحو عنك السيئات ، ولا يخجلك بذكرها .

واعلم أن العامة يحمدونه على إيصال اللذات الجسمانية، والخواص يحمدونه على إيصال اللذات الروحانية ، والمقربون يحمدونه لأنه هو لا لشىء غيره (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٩٩، ٣٠٠) .

والحميد : معناه الإله المستحق والحمد هو ذكر أوصاف الجلال والكمال، والله سبحانه وتعالى قد حمد نفسه من قبل أن يحمده خلقه تنبيها لهم لأن يسبحوا بحمده على ما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة فإنه خلقهم وتابع آلاءه عليهم حتى فاقت العد والحصر.

فقال الله جل جلاله : ﴿ له ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد ﴾ [الحج : ٦٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ﴾ [الشورى : ٢٨] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١].

وقد اقترن اسم « الحميد جل جلاله » باسمه الغنى وباسمه الولى وباسمه العزيز، تنبيها لعباده بأنه المنعم المتفضل على عباده، وأنه هو وليهم ومدبر أمرهم ، وهو العزيز القادر عليهم بأن يعزهم أو يذلهم .

وقد استفتح الله سبحانه خمس سور من كتابه الكريم بالحمد لله . بفاتحة الكتاب، والأنعام ، والكهف، وسبأ، وفاطر. وذلك تنبيها لعباده على عظم آلائه ومننه عليهم .

وقد وصف الله نفسه بأنه غنى حميد، وأنه حميد مجيد، وأنه حكيم حميد : فقال الله جل جلاله : ﴿ واعلموا أن الله غنى حميد ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ [هود: ٧٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] .

وفى هذه الآيات الكريمة يأمر الله عباده بأن ينفقوا من طيبات ما كسبوا لأنه هو المنعم عليهم وهو الذى يهب لهم الذرية وهو الذى يخرجهم من الظلمات إلى النور.

فنعم الله متوالية على خلقه : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

ولذا استحق الله سبحانه الحمد والثناء فسبحت بحمده الملائكة وسبح الرعد بحمده . وإن من شىء إلا يسبح بحمده .

فقال الله جل جلاله : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ﴾ [غافر : ٧] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ [الرعد : ١٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يسبح بحمد ربه :

فقال الله جل جلاله : ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فاستكثروا يا عباد الله من قراءة فاتحة الكتاب فإنها سورة الحمد والشكر والمجد والثناء، وفيها للعبد ما سأل :

وقال الرسول ﷺ : « ما أنعم الله على عبده نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة وإن عظمت» رواه الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه .

وقال الرسول ﷺ : « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك الضر والسقم قل : توكلت على الحى الذى لا يموت ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » رواه ابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فقولوا يا عباد الله : ﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٨] فهى آية جامعة .

وقولوا : ﴿ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الجاثية : ٣٦، ٣٧] .

وحظ العبد من اسم ربه : (الحميد جل جلاله) أن يتخلق ذاكره بحميد الصفات فى الأقوال والأفعال .

وقالوا : من داوم على ذكره أغناه الله غنى لا حصر له .

وقالوا من ذكره تسعا وتسعين مرة بعد صلاة الصبح ونفث فى يديه ومسح بهما وجهه أعزه الله ونصره وجعل وجهه نيرا، ومن تلاه ستا وستين بعد المغرب والصبح صار محمود الفعال واكتسب المحامد فى أفعاله وأقواله ، ومن تلاه مائة مرة إثر كل فريضة صار من الصالحين ، ومن كتبه بعد فاتحة الكتاب وسقاه لأى مريض شفاه الله . والله أعلم (ولله الأسماء الحسنى / ١٥٢_١٥٥) .

وإليك الآيات التى ورد بها لفظ « الحميد » جل جلاله : البقرة : ٢٦٧، وهود : ٧٣، وإبراهيم : ١، ٨ ، والحج : ٢٤، و٦٤، ولقمان : ١٢، ٢٦، وسبأ: ٦، وفاطر: ١٥، وفصلت: ٤٢، والشورى: ٢٨، والحديد : ٢٤، والممتحنة: ٦، والتغابن : ٦، والبروج : ٨، والنساء: ١٣١ (المعجم المفهرس / ٢٧٧) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١١٥ ، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٩٩ ، ٣٠٠، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدى محمود على / ١٥٢ ـ ١٥٥ ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقى . دار الحديث . القاهرة . الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ-١٩٩١م/ ٢٧٧) .

انظر « أسماء الله الحسنى » فى م ٤ / ٤٧١ - ٤٨٠ .

*** حميدة (- نحو ١٠٨٧ هـ / - نحو ١٦٧٦ م) :**

قال عنها الزركلى :

حميدة بنت محمد شريف بن شمس الدين محمد الرويدشتى الأصفهانى : فاضلة ، لها حواش وتدقيقات على بعض كتب الحديث. من أهل « رويدشت » من نواحى أصفهان . قال صاحب رياض العلماء : رأيت نسخة من كتاب « الاستبصار » للشيخ الطوسى، عليها « حواشى حميدة» وأظنها بخطها ، حسنة الفوائد . وكانت لها معرفة بتراجم رجال الحديث .

(الأعلام ٢ / ٢٨٤ عن أعيان الشيعة ٢٨ / ٢٠٤، والذريعة ٢ / ١٥و٦ / ١٨) .

*** الحَميدى :**

قال السمعانى :

الحَمِيدى : بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وسكون الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها فى آخرها دال مهملة ، وبهذه النسبة إسحاق بن تكينك الحميدى مولى الأمير الحميد السامانى، سمع الحديث من أبى إسحاق إبراهيم بن محمد ابن سلم الشكانى وأبى نصر أحمد بن المراجلى البخاريين وغيرهما ، حدث باليسير، ذكره ــ البصيرى فى كتاب المضاهات .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٨ انظر أيضا اللباب لابن الأثير ــ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٦) .

* **الحُمَيْدى :**

قال السمعانى :

الحُمَيْدى : بضم الحاء المهملة وفتح الميم ، وسكون الياء المنقوطة وفى آخره دال مهملة ، هذه النسبة إلى حميد ، وسمعت أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان مذاكرة وحكى مناظرة جرت بينه وبين أبى نصر أحمد بن عمر الغازى الحافظ فى مجلس غاص بأهله ، قال فقلت له عمن روى البخارى الحديث الأول فى الصحيح؟ فقال : عن الحميدى، قلت لم قيل له الحميدى؟ فسكت ولم يجب . فانفضت الحلقة على هذا ، فسألت شيخى وأستاذى إسماعيل الحافظ عن هذه النسبة ، فقال : الحميدى الذى يجىء ذكره وهو أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى منسوب إلى الحميدات (هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى . وحميد بن زهير بن الحارث يقال لولده « الحميدات » وإليه ينسب الحميدى، وتأتى ترجمته بعد هذه المادة إن شاء الله تعالى) والحميدات هى القبيلة التى قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إن ابن الزبير آثر الحميدات والأسامات والتويتات ــ يعنى فضلهم على غيرهم من سائر القبائل مع قلتهم وكثرة غيرهم . قال الشيخ وهذا الجمع ـ يعنى بالألف والتاء ـ يقتضى القلة ، قيل لما قال الشاعر : (لنا الجفنات الغر) فقيل هلا قال : لنا الجفان ـ يعنى الجفنات جمع القلة ، وعيب عليه ذلك . قال أبو محمد القتبى فى كتاب غريب الحديث فى حديث ابن عباس أنه قال : لما بايع الناس عبد الله بن الزبير قلت أين المذهب عن ابن الزبير؟ أبوه حوارى رسول الله ﷺ، وجدته عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وعمته خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ، وخالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وجده صديق رسول الله ﷺ أبو بكر، وأمه ذات النطاقين ، فشددت على عضده، ثم آثر علىَّ الحميدات والتويتات والأسامات فبأوت بنفسى ولم أرض بالهوان ، إن ابن أبى العاص مشى اليقدمية ــ ويقال القدمية ــ وإن ابن الزبير مشى القهقرى . قال القتيبى قوله مشى اليقدمية ـ أى يقدم بهمته وأفعاله ، يقال مشى فلان اليقدمية والقدمية . وإن ابن الزبير مشى القهقرى أى نكس على عقبيه وتأخر عما تقدم له الآخر. وقوله فبأوت بنفسى أى رفعتها وعظمتها وأصل البأو التعظم والكبر. وأما قوله آثر على الحميدات والتويتات والأسامات فإنه أراد آثر قوما من بنى أسد (بن عبد العزى من قرابته ، وكأنه حقرهم وصغرهم ، قال الأصمعى الحميديون من بنى أسد) من قريش؛ قال عبد الله بن الزبير الحميدى فى هذا المعنى :

مشى ابن الزبير القهقرى وتقدمت
أمية حتى أحرزوا القصبات

ويريد السبق . فالمنتسب إليه أبو بكر عبد الله بن الزبير ابن عيسى الحميدى القرشى، من أهل مكة ، يروى عن فضيل بن عياض ، وجالس سفيان بن عيينة عشرين سنة، روى عنه محمد بن إسماعيل البخارى وبشر بن موسى الأسدى؛ قال أبو حاتم بن حبان البستى : مات أبو بكر الحميدى، بمكة سنة تسع عشرة ومائتين ، وكان صاحب سُنة وفضل ودين .

وأما أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الحميدى المغربى الأندلسى فهو أحد حفاظ عصره صنف التصانيف وجمع الجموع ، نسب إلى جده الأعلى، سمع بالأندلس أبا محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى الحافظ، وبمصر أبا محمد عبد العزيز بن الحسن الضراب، وبدمشق أبا بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب وأبا محمد عبد العزيز بن أحمد الكتانى وأبا الحسن عبد الدائم بن الحسن الهلالى، وبواسط أبا تمام على بن

محمد بن الحسن الواسطى القاضى ، وببغداد أبا الغنائم محمد بن على بن على بن الدجاجى وجماعة كثيرة، روى لنا عنه جماعة من الشيوخ بالعراق، وكانت وفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وأوقف كتبه بها ، وسمع مشايخنا بقراءته الكثير. قال ابن ماكولا: وصديقنا أبو عبد الله محمد بن أبى نصر عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الحميدى، أندلسى من أهل الخير والفضل ، سمع ببلده الكثير وسمع بمصر أصحاب ابن المهندس والأدمى وابن أبى غالب وابن الرحيل ، وبمكة أصحاب ابن فراس وغيره وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وابن أبى الحديد وابن أخى تبوك، وورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطنى وابن شاهين وابن حبابة وابن عبدان وعلى بن عمر الحربى وطبقتهم ، وصنف تاريخا لأهل الأندلس، ولم أر مثله فى نزاهته وعفته وورعه وتشاغله بالعلم، والله يزيدنا وإياه من كل خير بمنه ورحمته (الأنساب ٢ / ٢٦٨-٢٧٠) .

وكان مشهورا ، بالنباهة والمعرفة والإتقان والورع، وله مؤلفات كثيرة منها « الجمع بين الصحيحين » و « جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس » (إنباه الرواة ١ / ٩٤) .

ولابن الأثير فى اللباب ثلاثة استدراكات على السمعانى إذ يقول :

فإنه نسب جعفر بن عبيد الله بن عثمان بن حميد القرشى المخزومى الحميدى، روى عن عمر بن عبد الله بن عروة، روى عنه أبو داود الطيالسى وغيره. وفاته أيضا عبد الله بن محمد بن أحمد الحميدى يعرف بالقلانسى الصوفى شيرازى الأصل، روى عن الطبرانى. وفاته أبو سعد أحمد بن محمد ابن العباسى الحميدى، روى عن الحاكم ، روى عنه الحسين ابن مسعود الفراء اهـ (اللباب ١ / ٤٥٧) .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٨ - ٢٧٠ ، وإنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٩٤ هامش ٢ للمحقق، واللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

*** الحميدى أبو بكر (-٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) :**

عبد الله بن الزبير الحميدى الأسدى ، أبو بكر ، أحد الأئمة فى الحديث . من أهل مكة رحل منها مع الإمام الشافعى إلى مصر، ولزمه إلى أن مات ، فعاد إلى مكة يفتى بها . وهو شيخ البخارى ورئيس أصحاب ابن عيينة . روى عنه البخارى ٧٥ حديثا، وذكره مسلم فى مقدمة كتابه . توفى بمكة . وله « مسند » طبع الجزء الأول منه فى الهند (الأعلام ٤ / ٨٧) .

أورده ابن عبد البر فى « الانتقاء » فى باب « من أخذ عن الشافعى علمه وكتب كتبه وتفقه له وخالفه فى بعض قوله » ، وذكر أن الحميدى ممن أخذ عن الشافعى من أهل مكة ، ثم قال أبو بكر الحميدى : وكان صاحبه عند سفيان بن عيينة وهو عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميدى بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى الأسدى، وكان من الفقهاء المحدثين النبلاء الثقات والحفاظ المأمونين . أخذ عن ابن عيينة وهو صاحبه والمتحقق به وعنده عن وكيع وأبى معاوية والناس . كان أحمد بن حنبل يعظمه ويفضله على أصحاب ابن عيينة . وسئل أحمد بن حنبل : من أثبت فى ابن عيينة : على بن المدينى أو الحميدى؟ فقال : الحميدى صاحب الرجل وأعلم الناس بحديث ابن عيينة وأثبتهم فيه . توفى الحميدى فى ربيع الأول سنة تسع عشرة ومائتين (الانتقاء / ١٠٤) .

وقد ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب المسانيد فقال : ومسند أبى بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى القرشى الأسدى المكى من كبار أصحاب ابن عيينة الحافظ الثقة المتوفى بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وقيل بعدها ، وهو من مشايخ البخارى، قال الحاكم : كان البخارى إذا وجد الحديث عن الحميدى لا يعدوه إلى غيره، وهو غير الحميدى الجامع بين الصحيحين ومسنده أحد عشر جزءا (الرسالة المستطرفة / ٥٠ ، ٥١) .

(الأعلام للزركلى ٤ / ٨٧ ، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر / ١٠٤ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٥٠ ، ٥١) .

*** الحُميدى (أبو عبد الله) (٤٢٠-٤٨٨ هـ / ١٠٢٩-١٠٩٥ م):**

هو محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدى الميورقى الحميدى المتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ببغداد مؤرخ محدث فقيه روى بالأندلس عن جماعة منهم

ابن عبد البر وعلى بن أحمد وأبو العباس العذرى . وروى عن آخرين بمصر وبغداد لـه كتاب الجمع بين الصحيحين، وجذوة المقتبس فى تاريخ الأندلس (ملء العيبة ٢ / ١٢٩) .

وهو إمام كبير عالم مشهور، سمع ببلده ، وسمع بمصر أصحاب المهندس، وسمع بمكة أصحاب ابن خواص وغيرهم ، وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وغيرهم ، وورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطنى وغيرهم .

قال الأمير ابن ماكولا، لم أر مثله فى نزاهته وعفته وورعه (مفتاح السعادة ٢ / ١٢٤) .

(ملء العيبة لابن رشيد ــ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب الخوجة مفتى الديار التونسية ٢ / ١٢٩ هامش ٩٢ للمحقق ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ١٢٤) .

* **الحميدى (تاج الدين) (- ٩٧٣ هـ) :**

هو إبراهيم بن عبد الله بن موسى تاج الدين الحميدى، من علماء الحنفية .

كان من فضلاء الديار الرومية، وصار ملازما من المولى صارى كرز، وأخذ عن المولى العلامة شيخ محمد بن إلياس، مفتى الديار الرومية ، والسيد الشريف محمد المشهور بمعلوم أمير، وصار مدرسا بمدارس متعددة ، منها إحدى الثمان ، وأيا صوفية ، وسليمية اصطنبول، ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان ، عليه الرحمة والرضوان، بمدينة أماسيه، ومفتيا بولايتها ، ثم فرغ عن ذلك كله ، وجعل له ثمانون درهما عثمانيا بطريق التقاعد . ومات بقسطنطينية فى شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، رحمه الله تعالى . ومن مؤلفاته « حاشية على صدر الشريعة » لم تكمل، وهى من كتاب الحج إلى آخره .

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين الغزى - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ١ / ٢٣٤) .

* **حميدية الزمان فى أفضلية الرسول الأعظم بنص القرآن :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٩١٦٧ .

المؤلف : محمد عارف بن أحمد بن سعيد الحسينى الدمشقى الشهير بابن المنير المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ .

أولها : الحمد لله الذى فضل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض بصريح محكم لا ينقض وجعل أفضلهم سيدنا محمد، أما بعد : فيقول محمد عارف ابن الشيخ أحمد المنير الحسينى الدمشقى : قد سئلت مرارا، تارة استفادة، وتارة استفسارا، تعنتا واستكبارا عن دليل أفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن ...

آخرها : وفى نسخة أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر، وروى الدارمى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أنا قائد المرسلين ولا فخر وخاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر. هذا آخر ما أراد الله جمعه فى هذه الرسالة فى بيان أفضلية سيدنا محمد صاحب الرسالة على جميع المرسلين والنبيين بنص من القرآن المبين عليهم وعلى آلهم الكرام أفضل صلاة وأتم سلام وقد كان ذلك فى يوم الجمعة العاشر صفر الخير المبارك سنة عشر بعد الثلاث مائة وألف سنة ١٣١٠ هـ .

أوصاف المخطوط : النسخة هى مسودة المؤلف عليها شطب وزيادات بين السطور وعلى الهوامش، كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود على ورق رقيق ، وقد قسم الموضوع إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، وقد قدم الرسالة هدية إلى السلطان عبد الحميد الثانى .

توجد هذه الرسالة فى مجموع يضم عددا من الرسائل للمؤلف نفسه ، منها الحصون المنيعة فى براءة السيدة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة ، وأقرب القرب فى تفريج الكرب .

ق	م	س
١٧ (٥٣ - ٦٩)	٢٠ × ١٥	١٧

وتوجد نسخة ثانية :

الرقم : ٨٦١٤ .

أوصاف المخطوط : نسخة مشابهة للنسخة السابقة تختلف عنها فى بعض المواضع وقد قسمت إلى قسمين وضع فى وسطها كتاب آخر ، مع هذه النسخة نبذة فيما ورد من الآيات والأحاديث فى فضل الشام وجامعها .

كتبت بخط معتاد على الهوامش وبين السطور الكثير من الشروح والزيادات كالنسخة السابقة فى آخرها تقريظات من عدد من علماء دمشق لهذه الرسالة منهم : محمد المنينى العثمانى مفتى دمشق ، والسيد محمد مكى ومحمد فيض الله رئيس محكمة الحقوق بمركز ولاية سورية ونقيب أشراف سورية السيد أحمد العجلانى والشيخ بكرى بن حامد العطار وأحمد بن محيى الدين الجزائرى وعبد الرحمن بن حسن العطار وتوفيق أفندى زاده وسيد إبراهيم جلال الدين ثم مجموعة من القصائد فى تقريظها ، أولها قصيدة لمحمد سليم بن راغب بن حسن تقى الدين الحصنى الحسينى سنة ١٣١٤ هـ وقصائد أخرى لعبد القادر الحمصى وحبيب زكريا وحسن حلمى وغيرهم المخطوط مفروط الأوراق وبعضها ممزق

٥٣ (١ـ٩ ، ١٨ ق ـ ٦٠) ١٩،٥ م × ١٢ ١٨ ـ ٢٣ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١٠٨ ـ ١١٠) .

*** حمير :**

إحدى دول اليمن قديما . والحميريون فرع من السبئية ، وقد أنشأوا مملكة كانت عاصمتها « ظفار » واستمرت دولتهم ـ على ما يرجح ـ من أواخر القرن الثانى قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس الميلادى . وقد امتازت هذه الدولة بالفتوح ومحاربتها للفرس والحبشة ، وقد تضاربت أقوال المؤرخين فى أسماء ملوكهم وعددهم ومدة حكمهم ، وبالغ مؤرخو العرب فى فتوحهم وحروبهم مبالغة لا يؤيدها ما ورد فى تواريخ الأمم المعاصرة لهم .

ويقسم المؤرخون عادة هذه الدولة إلى طبقتين ، الطبقة الأولى وينتهى حكمها فى أواخر القرن الثالث الميلادى ، والطبقة الثانية مدت سلطانها على الشحر وحضرموت ، وهذه الطبقة الأخيرة تسمى فى كتب العرب بالتبابعة ـ جمع تبَّع وكان آخر ملوكهم « ذو نواس » .

ويذكر مؤرخو العرب أن ذا نواس كان يهوديا متعصبا لليهودية ، وكانت النصرانية قد فشت فى جزيرة العرب ، وكان لها مراكز فى اليمن منها نجران ، فاضطهدهم ذو نواس وعرض عليهم اليهودية فأبوا فأحرقهم ، فغزا الحبشة اليمن انتصارا للنصرانية ، وكسر ذا نواس وقومه ، وملك الحبشة اليمن وهدموا حصونها . وكان ذلك حول سنة ٥٢٥م ، وقد تسمى العرب كل دول اليمن ـ من سبئيين وغيرهم ـ الحميريين ، كما تسمى لغات اليمنيين على اختلافها الحميرية . وسبب ذلك أن فرع حمير كان هو الفرع القوى الذائع الصيت قبيل الإسلام .

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ١ / ١٨ ، ١٩ . انظر أيضا القبائل العربية وسلائلها فى بلادنا فلسطين ـ مصطفى مراد الدباغ فلسطينيات (١) . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٦ / ٤٠ ـ ٧١ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٠) .

انظر : حمير سبأ .

*** حمير بن سبأ (..هـ/..م) :**

قال عنه الزركلى :

حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : جد جاهلى قديم ، كان ملك اليمن ، وإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وأقيالها) وكان شجاعا مظفرا ، يقول مؤرخو العرب إنه حكم بعد أبيه سبأ ، وعاصمة ملكه صنعاء ، وإنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزاته الصين . واتخذ تاجا من الذهب فكان أول من تتوج به ، ويذكرون من وقائعه قتاله لقبائل ثمود ، وكان مقامها فى اليمن ، ففرقها فارتحلت إلى الحجاز ، وأنه عاش خمسين سنة بعد أبيه ، وولد له خمسة أولاد : مالك وعامر وعمرو ، وسعد ووائل . ومن بطون حمير : السكاسك (وقيل : هم من كندة) والشعبيون وبنو الريان وقضاعة وعبد شمس . ومن ملوك الحميريين : التبابعة والأذواء والأقيال . ويرى بعضهم أنه اسمه « العرنجج » (فى اللغة : اعرنجج فى الأمر : إذا جد فيه) وأنه لقب بحمير لكثرة لبسه الثياب الحمر . وكان يكتب بالمسند على جميع سلاحه ، وفى الجبال التى يمر بها ، قال صاحب التيجان : ثم حوله إلى الخط «الحميرى» المنسوب إليه . ولما حان موته قال لبنيه : إنى لأجد ثقل الثرى وغم الضريح فاجعلوا لى نفقا فى هذا الجبل ـ جبل عيفر ـ وأجلسونى فيه ؛ ففعلوا به ذلك ؛ فهو ـ على رواية وهب بن منبه ـ أول من جعل فى مغارة . وقد وضعت معه فى تلك المغارة أدراعه ، أنفة من أن

يلبسها بعده غيره . وكان لبنى حمير فى الجاهلية صنم اسمه « نَسْر » منصوب بنجران ، و آخر اسمه « رئام » بصنعاء . وفى طرفة الأصحاب (المقول إنه من تأليف الأشرف الرسولى) سلسلة ملوك حمير ، كما كانت معروفة فى عصر الأشرف ، نوجزها بما يأتى ، قال : ملك بعد حمير ابنه الهميسع ، فابن هذا أيمن ، فابنه زهير، فابنه عريب، فابنه جيدان ، فأخوه قطن بن عريب، فالغوث بن جيدان ، فابنه وائل، فابنه عبد شمس فابنه الصوار، فابنه ذو يقدم ، فذو أبين ، فالملطاط (وهو فى لغتهم العالى) فابنه شدر، فابنه وتار (ومن اسمه سميت وتارة) وانتقل الملك إلى تبع بن يزيد (أو زيد ، أو ذى يزن) من همدان ، ثم عاد الملك إلى حمير، فملك الحارث الرائش (وهو من أحفاد الصوار) وكان يدعى ملك الأملاك ، فابنه أبرهة ذو المنار، فابنه العبد ذو الأذعار، فابنه إفريقيس (ويزعمون أنه الذى ابتنى إفريقية فى الغرب !) ثم ملك الهدهاد بن شرحبيل (أبو بلقيس) وملكت بعده بلقيس ، فسليمان بن داود (النبى) فناشر النعم (أو ياسر ينعم) فابنه شمر يرعش ، فتبع الأقرن (وقيل : هو ذو القرنين المذكور فى القرآن) فابنه الرائد (ويسمى تبعا الأكبر) فابنه ملكيكرب فابنه أسعد الكامل (ويقال له : تبع الأوسط، وكان يسمى ذا تبان) فابنه حسان (الذى غزا طمسا وجديسا باليمامة فأفناهم) ومات قتيلا ، ثم تولى الملك خاله ذو رعين (ويقال : كان نبيا أو صالحا ، وكان فى أيام عيسى، عليه السلام) وملك بعده عمرو بن حسان (الذى عقد الحلف بين ربيعة وقحطان) وانتقل الملك إلى المقاول ، فملك منهم ذو شناتر، وقتله ذو نواس (صاحب الأخدود المذكور فى القرآن) وتولى بعده، فقاتلته الحبشة انتقاما منه لقتله نصارى نجران ، فانتصر عليهم ذو ثعلبان . وصار الملك إلى الحبشة ، فقاتلهم النعمان بن عفير ذو يزن (أبو سيف بن ذى يزن) فقتلوه وعاد الملك إلى سيف بن ذى يزن (وهو الذى وفد عليه عبد المطلب) .

قال الهمدانى : وكانت مدة ملك حمير ٢٠٨١ سنة . قلت : لم يصل التنقيب عن الآثار حتى الآن إلى التاريخ الصحيح لقيام الدولة الحميرية ، والمشتغلون بهذا العلم واقفون عند رأى إدورد جلازر بأن قيامها كان سنة ١١٥ قبل الميلاد .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ وما جاء بهامش ١ من مصادر) .

* **الحِميَرى :**

الحميرى : بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها وكسر الراء المهملة ، هذه النسبة إلى حمير وهى من أصول القبائل، نزلت أقصى اليمن ، قال الدارقطنى حمير القبيل الذى ينسب إليه الحميريون من اليمن ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « أن هذا لأمر كان فى حمير فنزعه الله منهم وصيره فى قريش » والمثل المعروف من دخل ظفار حَمَّر — يعنى من دخل بلدة ظفار تكلم بالحميرية ، و أصل هذا المثل ما سمعت أبا الفضل جعفر بن الحسن الكثيرى ببخارا مذاكرة يقول دخل بعض الأعراب على ملك من ملوك ظفار وهى بلدة من بلاد حمير باليمن فقال الملك للداخل ثب ! فقفز قفزة، فقال له مرة أخرى ثب ! فقفز، فعجب الملك وقال ما هذا ؟ فقال ثب بلغة العرب هذا، وبلغة حمير ثب — يعنى اقعد ؛ فقال الملك أما علمت أن من دخل ظفار حمر. والمشهور بالنسبة إلى هذه القبيلة أبو إسحاق بن كعب بن ماتع الحميرى وهو الذى يقال له كعب الأحبار، يروى عن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وكان قد قرأ الكتب ، روى عنه الناس، سكن الشام ، مات سنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد قيل، ومات سنة اثنتين وثلاثين ، وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين، أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه .

وعبيد الله بن حميد بن عبد الرحمن الحميرى ، من أهل البصرة ، يروى عن الشعبى ، روى عنه هشام الدستوائى وأبان ابن يزيد العطار. وأبو الحسن على بن محمد بن هارون بن زياد الحميرى الكوفى من أهل الكوفة فقيه سديد نبيل حدث عن أبى كريب محمد بن العلاء الهمدانى، وهو آخر من روى عنه فى الدنيا ، روى عنه أبو بكر محمد بن إسماعيل الوراق وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الجعفى الهروانى وغيرهما ، وكان ولى قضاء الكوفة وذهبت عامة كتبه وكان يحفظ حديثه ، وكان ثقة حسن المذهب، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وتوفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بالكوفة .

ويعقوب بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد بن منصور

ابن عبد الله بن شهر بن شرحبيل الحميرى من أهل بغداد، وحدث عن شبابة بن سوار ويونس بن محمد المؤدب، روى عنه أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، ومات سنة ثلاث وستين ومائتين .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٠ ، ٢٧١ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٧ ، ٤٥٨) .

*** الحميم :**

الحميم : الماء البالغ نهاية الحرارة (كلمات القرآن / ٢٩٦) .

الحميم : الماء الحار، والحميم القريب فى النسب .

وهو فى القرآن على هذين الوجهين :

فمن الأول : فى الحج ﴿ يصب من فوق رءوسهم الحميم﴾ [الحج : ١٩] وفى الصافات ﴿ لشوبا من حميم﴾ [الصافات : ٦٧] وفى سورة محمد ﷺ ﴿وسقوا ماءً حميمًا﴾ [محمد : ١٥] وفى سورة الرحمن ﴿وبين حميم آن﴾ [الرحمن : ٤٤] .

ومن الثانى : فى الشعراء ﴿ولا صديق حميم﴾ [الشعراء : ١٠١] ، وفى السجدة ﴿كأنه ولى حميم﴾ [السجدة : ٢٤] وفى سأل سائل ﴿حميم حميما﴾ [المعارج : ١٠] .

(كلمات القرآن تفسير وبيان ـ فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٢٩٦ ، ومنتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ، تحقيق ودراسة الشيخ محمد السيد الصفطاوى والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩١ ، انظر أيضا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى / ٢٧٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٠٨) .

*** الحمية :**

الحمية : الإقلال من الطعام ونحوه مما يضر (المعجم الوسيط ١ / ٢٠١).

وبسط ابن عبد ربه الكلام فى الحمية وما قيل فيها فقال : والأكلة كلهم يعيبون الحمية ، ويقولون : الحمية إحدى العلتين .

وقالوا : من احتمى فهو على يقين من المكروه وهو فى شك من العافية !

وقالوا : الحمية للصحيح ضارة وللعليل نافعة ...

قيل لبقراط : مالك تقل الأكل جدا ؟ قال : إنى إنما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل !

وأجمعت الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام .

وقالوا : احذروا إدخال اللحم على اللحم ؛ فإنه ربما قتل السباع فى القفر.

وأكثر العلل كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

والحمية مأخوذة عن النبى ﷺ: رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد، فقال : « أتأكل تمرا وأنت أرمد ؟ » .

ودخل عَلَى عَلِيٍّ رضى الله عنه وهو عليل ، وبيده عنقود عنب، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

وقيل للحرث بن كلدة طبيب العرب : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأزم . يريد قلة الأكل، ومنه قيل للحمية : الأزمة ، وللكثير أزمات .

وقيل : لآخر: ما أفضل الدواء ؟ قال : أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه .

أبو الأشهب عن أبى الحسن قال : قيل لسمرة بن جندب: إن ابنك إذا أكل طعاما كظه حتى كاد أن يقتله . قال: لو مات ما صليت عليه !

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء، فقال : ما فى فضل يا أمير المؤمنين . قال : لا خير فى الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندى مستزاد، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التى استقبحها أمير المؤمنين ...

وقال الجاحظ : كان أبو عثمان الثورى يجلس ابنه معه ويقول له : إياك يا بنى ونهم الصبيان ، وأخلاق النوائح ، ونهش الأعراب؛ وكل مما يليك ، واعلم أنه إذا كان فى الطعام لقمة كريمة ، أو مضغة شهية ، أو شيء مستطرف، فإنما ذلك للشيخ المعظم ، أو للصبى المدلل، ولست بواحد منهما ، وقد قالوا مدمن اللحم كمدمن الخمر .

أى بنى ، عوِّد نفسك الأثرة، ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البراذين ، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجمال ؛ فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكظة ؛ وسرف البطنة ؛ فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى ؛ واعلم أن الشبع داعية إلى البشم ، والبشم داعية إلى السقم ، والسقم داعية الموت ؛ ومن مات هذه الميته فقد مات ميتة لئيمة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره .

أى بنى ، والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة ، ولا خشع لله ذو بطنة ، والصوم مصحة ، والوجبات عيش الصالحين .

أى بنى لأمر ما طالت أعمار الهند ، وصحت أبدان العرب، ولله در الحرث بن كلدة إذ زعم أن الدواء هو الأزم، فالداء كله من فضول الطعام ؛ فكيف لا ترغب فى شىء يجمع لك صحة البدن، وذكاء الذهن، وصلاح الدين والدنيا، والقرب من عيش الملائكة !

أى بنى ، لم صار الضب أطول عمرا إلا لأنه يتبلغ بالنسيم؟ ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وجاء، إلا لأنه جعله حجابا دون الشهوات ؟ فافهم تأديب الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام : فإنه لم يقصد به إلا إلى مثلك .

أى بنى، قد بلغت تسعين عاما ما نغض لى سن، ولا انتشر لى عصب ، ولا عرفت ذنين أنف ، ولا سيلان عين ، ولا سلس بول، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد؛ فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك (العقد الفريد ٨ / ١٦ ـ ١٩) .

قال صاحب تسهيل المنافع :

اعلم أن الإفراط فى الحمية يؤذى خصوصا من ليس فى بدنه أخلاط رديئة لأنه إذا زالت الحمية أخذت النفس من الرطوبة التى فى البدن وهى الرطوبة الأصلية فيعود المرض سلا ودقا لإفراط الحمية كتناول الأغذية بالإفراط، روى الشيخ بإسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت مرضت مرضا شديدا فحمانى كل شىء حتى الماء فعطشت عطشا شديدا ليلا فحبوت على يدى ورجلى ثم أتيت إلى إداوة معلقة فشربت وأنا نائمة ثم رجعت فما زلت أعرف الصحة منها فلا تحرموا مرضاكم شيئا (تسهيل المنافع / ٧) .

وننقل لك فيما يلى ما جاء عن الحمية فى كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها :

الحديث الثامن

من باب الحمية

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله ابن أبى صعصعة ح (هذه الحاء إشارة إلى تحويل السند، وهى تكتب عادة إذا كان للحديث إسنادان فأكثر، قال العراقى فى ألفية الاصطلاح :

وكتبوا عند انتقال من سند
لغيره ح وانطقن بها وقد
رأى الرهاوى بأن لا تقرأ
وأنها من حائل وقد رأى
بعض أولى الغرب بأن يقولا
مكانها الحديث قط وقيلا
بل حاء تحويل وقال قد كتب
مكانها صح فحا منها انتخب

(وقد أوردناها مادة مستقلة فى م ١٢ / ٥٩٤) .

وحدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عامر وأبو داود قالا : حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن عن يعقوب ابن أبى يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت (دخل علينا رسول الله ﷺ ومعه على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى ناقه من مرض، ولنا دوال معلقة وكان النبى ﷺ يأكل منها ، فتناول على ليأكل منها فقال النبى ﷺ يا على إنك ناقه مرض، قالت فصنعت للنبى ﷺ سلقا وشعيرا فقال لعلى : من هذا فأصب فإنه أنفع لك) قال الشيخ فى هذا الحديث الأمر بالحمية ، وأن الناقه ينبغى له أن يحتفظ على نفسه ولا يمرجها مرج الأصحاء .

(الناقة : القريب العهد بالمرض. والدوالى : جمع دالية : وهى العذق من البسر يعلق فإذا أرطب أكل، وكلام

الشارح يفهم منه أن المراد بها دوالى العنب، ولكن ما ذكرنا هو الذى فسر به الحديث . والحمية هى من حميت المريض الطعام إذا منعته منه) .

والناقه هو الذى خلص من المرض وهو متحرك إلى الصحة الوثيقة ولم تحصل له بعد صحة تامة وأعضاؤه ضعيفة وكذلك هضومه وأفعال أعضائه فهى سهلة القبول للآفات ، وبهذا ونحوه تثبت الحالة الوسطى الثالثة التى هى لا صحة ولا مرض التى أثبتها جالينوس وأنكرها جماعة من المتأخرين وقد بينا ذلك فى كتاب لنا مفرد لهذا خصصناه بالكلام على حد الطب .

والعنب وأكثر الفواكه مما ينبغى أن يحتمى عنه الناقه لقلة غذائها وكثرة فضلاتها وشدة مجاهدة القوى لها ، وأيضا فإن الناقه مفتقر إلى ما يزيد فى جواهر أعضائه . ويكون مع ذلك سريع النفوذ، سريع الإحالة لفعل الطبيعة بطىء الاستحالة إلى الفساد كالسلق والشعير مطبوخين .

الحديث التاسع

من باب الحمية

« حدثنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا المبارك، حدثنا عبد الحميد بن صيفى من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال : قدمت على النبى ﷺ وهو يأكل التمر فجلست معه وبين يديه خبز وتمر فقال النبى ﷺ : ادن ، فكل فأخذت آكل من التمر فقال النبى ﷺ أتأكل تمرا وبك رمد ؟ قال : قلت يا رسول الله إنى أمضغ من ناحية أخرى، فتبسم رسول الله ﷺ » قال الشيخ : هذا الحديث فيه ثلاث فوائد . الأولى : الأمر بالحمية والنهى عن التخليط، الثانية . إن الرمد يضر به التمر ، فالأولى حكم شرعى ، والثانية حكم طبى ، لأن التمر يسخن الدم ويعكره ويعين على عفنه واشتغاله والرمد ورم حار فالتمر يضره . وأما الفائدة الثالثة فاستجازة سماع المزاح وقبوله ، وفيه فائدة أخرى لطيفة، وأنه عليه السلام لم ينهه عن التمر حتما وإنما استفهمه استفهام منكر، ولما أكل لم يكفه .

وفى الحديث السابق صرح لعلى رضى الله عنه بالنهى عن أكل العنب لما كان ناقها ، لأن الناقه ضعيف الهضم فى جميع جسده . وأما الأرمد فهو مئوف عضو واحد، وسائر أعضائه سالمة وهضمه قوى، والهضم يجود تصرفه فى الغذاء وإن كان رديئا ، فلا يضر الأرمد التخليط مقدار ما يضر الناقه ولا سيما إن كان الرمد فى انحطاطه ، أو كان من مادة باردة ، فالتمر حينئذ لا تعظم مضرته ولا يضر .

الحديث العاشر

من باب لا تكرهوا المريض على الطعام

« حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا بكر بن يونس ابن بكير عن موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

قال الشيخ : ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية ، وما أجداها للأطباء، وذلك أن المريض إذا عاف الطعام والشراب، فذاك لاشتغال طبيعته بمجاهدة مادة المرض، أو سقوط شهوته لموت الحرارة الغريزية أو نقصانها ، وكيف ما كان الأمر فلا يجوز حينئذ إعطاؤه الغذاء فى هذا المحال .

واعلم أن الجوع إنما هو طلب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهى الجذب إلى المعدة . فإذا وقع بالجاذبة آفة من عائق أو موت حسى، لم يكن جوع [جوعا] أو لم يكن إحساس لفقد طلب الأعضاء إلى الغذاء فى هذا الحال . فإعطاؤه الطعام فى هذه الحالة زيادة للبلية ، وتعجيل للنازلة المتوقعة، لكن قد تقع فى النادر مواضع ينبغى أن يجبر المريض فيها على الطعام والشراب، فإن بعض من تحدث فيه حمى محرقة ومعها اختلاط العقل ، يجوز أن يجبر على الماء خاصة ، وذلك أنه تكون به حاجة شديدة إلى الماء وليس له عقل حاضر حتى يطلبه ، وأيضا فقد يكون بالمريض شهوة نائمة فتنبه وتوقظ شهوته باليسير من الطعام ، وحينئذ يختار له من الطعام ما له لذة وبنة .

الحديث الحادى عشر

من باب المريض يشتهى الشىء وفيه معنى العيادة للمريض

« حدثنا الحسن بن على الخلال، حدثنا صفوان بن سمرة، حدثنا أبو مكين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ عاد رجلا فقال : ما تشتهى ؟ قال أشتهى خبز بر، فقال عليه السلام ، من كان عنده خبز بر فليبعث إلى أخيه ،

ثـم قـال عليـه السـلام إذا اشتهـى مـريض أحـدكم شيئـا فليطعمـه .

قال الشيخ : هذا الحـديث فيه حكمة طبية فـاضلة تشهد لقانون شريف ذكره « بقراط » فى عدة مواضع وعدة عبارات . وعظمه من بعـده وشرحوه وذيلوه وقـد ذكرنا طـرفا من ذلك فى رسالـة لنا شـريفة المـأخذ . لقبنـاها « بـالمقالات » وعـرضنا بضـرب منهـا فى المقـالـة الملقبة « بشفـاء الضـد بـالضـد » ولخصناه فى شرحنا لكتاب « فصـول بقراط » وذكرنا جملة فى كتاب الفصول لنا ببلغة الحكيم ، وهو سبع مقالات أيضا .

والـذى يـلائم هذا المـوضع فى معنى هـذا الحـديث أن المريض إذا تنـاول ما يشتهيه وإن كان أضر قليـلا ، كان أنفع وأقل ضررا مما لا يشتهيه وإن كان نافعا . ولا سيما إذا كان ما يشتهيه غذاء . وقال بقراط : ما كان فى الطعام والشراب أخس قليلا إلا أنه ألذ، فينبغى أن يختار على ما هو الأفضل ، وذلك أن الملذوذ المشتهى تقبل القـوة المغيره عليه بعنـاية وتشتمل عليه بحفاوة. وأيضا فإن المشتهى كثيرا ما يكون به الشفاء أو يكون عنده ولا سيما إن انبعث النفس إليه بصدق شهوة وصحة قوة ، ولا سيمـا إن كان مـلائما كـالخبز والكعك، فكـلاهما جاء فى الحديث ، ولا سيما إن كانت صناعة الطب لا تنكره .

وطـالمـا رأيت وسمعت مـرضى يشتهـون أشيـاء ينكـرهـا الطبيب فيتنـاولونهـا على رغمـه فيعقبها الشفـاء ، فإذا فحص الطبيب عن علة ذلك ألفـاها صحيحة مطابقـة ، وما ذلك إلا لعجـز البشـر عن اقتنـاء كل مـا فى طبيعـة الأشيـاء ، فينبغى للطبيب الكيس أن يجعل شهوة المريض من جملة أدلته على طبيعته ، ومما يهتـدى به إلى طريق علله ، فسبحـان المستأثر بالغيب(كتاب الأربعين الطبية / ٩٨ ـ ١٠٣) .

(المعجم الوسيط ١ / ٢٠١ ، والعقـد الفريد لابن عبد ربـه ـ بتحقيق محمـد سعيـد العريـان ٨ / ١٦ ـ ١٩ وتسهيل المنـافع لابن الأزرق / ٧ ، وكتـاب الأربعين الطبية المستخـرجـة من سنن ابن مـاجـه وشرحهـا عمل تلميذه الشيخ محمـد بن يوسف البـرزالى ـ تحقيق عبد الله كنـون ، مجلة معهد المخطوطات العـربية ، جامعة الدول العربية م ١٨ جـ ١ ربيع الثانى ١٣٩٢ ـ مايو ١٩٧٢ م / ٩٨ ـ ١٠٣ . انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١٤).

*** ابن حِنّا :**

انظر : تاج الدين ابن حِنّا فى م ٨ / ٣١٥ .

*** الحِنّاء :**

الحِنّاء : بالكسر والمد والتشديـد معروف وهو الذى أعده الناس للخضاب وقال السمعـانى نبت يخضبون به الأطراف .

قـال ابن دريـد وابن ولاد : هو جمـع لحناءة بـالهـاء ... إلخ (معجم أسماء النباتات / ٤٧) .

وقـد أورده المظفـر الـرسـولـى فى « المعتمـد » نقـلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطـار صاحب « الجامع لقـوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جـزلـة صـاحب « منهاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

حناء : « ع » الحناء شجرة كبيـرة مثل شجر السدر، وزهره الفاغيـة وكل نور طيب الرائحـة يقال له الفـاغية ، لكن خص بهذا الاسم نـور الحناء، وهى ذكيـة الرائحـة ، تجتنى وتربب بماء الدهن الذى يقال له دهن الحناء، فيقال له دهن المغفو، وورق شجرة الحنـاء شبيه بورق الـزيتون ، وفيها وفى قضبـانها قوة مركبة مـن جوهر مائى باعتدال، وجوهـر بارد أرضى، فقد يطبخ الـورق ويصب ماء طبيخه علـى الموضع الـذى يحترق بـالنـار، ويستعمل أيضـا فى مـداواة الأورام الملتهبـة ، وفى مـداواة الحمرة ، وفى القـلاع والحمق الـذى يعرض فى أفـواه الصبيان . وقـال : ورقه قابض، إذا مضغ أبرأ القـلاع والقروح التى تكون فى الفم ، التى تسمى الحمى، وإذا تضمد به نفع من الأورام الحارة ، وزهـره إذا سحق وضمدت بـه الجبهة مع خل، سكن الصداع ، والمسوح الذى يعمل منه مسخن ملين للأعصاب ، ويصلح للأشياء المسخنة التى تقع فى الأخلاط الطبيـة الرائحـة . وقال : قـوة الحناء من البـرودة فى الدرجـة الأولى ، ومن اليبـوسة فى الـدرجة الثـانية ، وبعضهم لمـا رآه يخضب ويحمر ذكر أنه حـار، وهو يفعل فى الجراحات (فى الطب النبـوى ص ٧٠ : « الخـراجـات ») مثل مـا يفعل دم الأخـوين . (هـو صمغـة مجلوبـة من الهنـد تسمى الشبـان وبالعـربية الأيدع ... عـن ابن الحشا) وإذا دق، ووضع على الورم الحار الرخو نفع منه ، وينفع من تعقق الأظفار إذا شرب من ورقه منقوعا عشرة دراهـم ، وإن ألزمت الأظفار الطلاء بها

معجونـا حسنها ونفعها ، وإن نقع ورق الحناء بمـاء عذب ، وشـرب من صفـوه فى كل يـوم عشـرون درهمـا ، مـدة سبعـة وثلاثين يوما فى أول الجذام ، ويتغـذى عليه بلحوم الخرفان ، وقف جـذامه وإذا بـدأ الجـدرى يخرج بصبى خضب أسـافل رجليـه بحناء معجـون بماء ، فإنـه يـؤمن على عينيه أن يخـرج فيهما شىء مـن الجدرى ، وهذا صحيح مجـرب . وإن طلى الحناء على مـوضع من البدن فيـه قشف ويبس أزالهما ، وإن تضمد به مسحوقا معجونا جباه الصبيان وأصداغهم ، منع من انصبـاب المـواد إلى أعينهم . ونـور الحنـاء إذا جعل فى طى الثياب الصوف ، منع منها السوس وطيبها .

« ج » الحناء : يسمى إرقـان . وأجوده الأخضـر المطحون من ساعته ، وهو حار باعتدال ، وقيل : معتدل الحر والبرد ، وقيل : بـارد فى الدرجـة الأولى ، يابس فى الـدرجة الثـانية ، وطبيخه نافع من الأورام الحارة ، وحـرق النار ، وهو نافع لكسر العظام ، وقـروح الفم ، ويدخل فى مراهم الخنـاق ، وشرب نصف مثقـال منـه ينفع من القـولنج ، ومن خـواصـه أنـه إذا خضبت به الرجل أصبح البول أحمر كبول المحموم .

« ف » بارد فى الأولى يـابس فى الثانيـة ، نافع من الأورام البلغمية والسوداوية والقولنج ، وينفع من الشقاق العارض فى البدن والبثور ، ودهنه نافع من الصرع والسدر ، لاسيما مع النبيذ الصرف ، ويقوى الأعصاب ، وينشف رطـوبتها ، ويكثر فيها اللحم إذا خضبت بـه من خـارج ، وإذا دق وضمد بـه الـورم الحار نفعـه ، وسكن وجعه فى الـوقت . الشربـة منه : درهم (المعتمد فى الأدوية المفردة ١ / ١١٢ ، ١١٣) .

والطب النبوى لابن قيم الجوزية / ٦٦ ـ ٧٠ ، وكتاب الأربعين الطبية / ١٢٠) .

وقال عنه ابن النفيس :

حنـاء : بـارد يابـس فى الثانيـة ، وقيل حـار ، فيـه تحليل وقبض وتجفيف ، يفتح أفواه العـروق ، نافع من الأورام الحارة والبلغم . وفـاغيتـه نـافعة لأوجـاع العصب والفـالج والتمـدد (الفاغيـة : نور الحنـاء) ودهنه يحلل الإعيـاء ويلين العصب (الموجز فى الطب / ٩٦) .

وقد ذكـر « الحناء » الإمـام ابن قيم الجوزيـة فى فصل فى هديه ﷺ فـى علاج الصداع والشقيقة فقال : روى ابـن ماجه فى سننه ، حديثا فى صحته نظر ، هو : « أن النبى ﷺ كان إذا صدع : غلف رأسـه بالحنـاء ، ويقول : إنه نـافع بإذن الله من الصداع » .

وقد روى البخارى فى تاريخه ، وأبو داود فى السنن : «أن رسول الله ﷺ ، مـا شكا إليه أحـد وجعا فى رأسـه ، إلا قال : احتجم ، ولا شكا إليه وجعا فى رجليه ، إلا قال له : اختضب بالحناء » (الطب النبوى لابن قيم الجوزية / ٦٦ ، ٦٩) .

وفى الترمذى عن سلمى أم رافع خـادمة النبى ﷺ قالت : « كـان لا يصيب النبى ﷺ قـرحـة ولا شـوكـة إلا وضع عليهـا الحناء» . فإن القـرحة عـلاجها بما يجفف عنهـا الرطـوبة كى تتمكن القـوة من إنبـات اللحم فيهـا ، والحنـاء تفعل ذلك ، لتجفيـف تلك الـرطـوبـة الفضليـة التى تمنع نبـات اللحم فى القرحة . وأمـا الشوكة فإن فى الحناء قوة محللـة ترخى العضو فتعين على خروج الشوكة (الطب النبوى للذهبى / ٨٣) .

وفى كتاب الأربعين الطبية جاء ما يلى : الحديث السابع والعشرون . من باب الحناء :

« حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، نا زيد بن الحباب ، نا فائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع ، مولى عبيد الله ، حدثنى سلمى أم رافع مولاة رسول الله ﷺ قالت : كان لا يصيب النبى ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء قال الشيخ : الحناء مركب من جـوهر نارى نـافذ صابغ حـار باعتدال ومن جـوهر أرضى بـارد قابض يجفف بـلا أذى ويـردع ويحلل وينفع من حـرق النـار إذا صب طبيخـه على المـوضع ، من خـاصيتـه التبريـد والترطيب ، والتليين ، وفيـه قوة مـوافقة للعصب ، إذا ضمد به سكن أوجاعه ، وفيه قبض يشد الأعضاء ، وإذا عجن بالسمن وضمـد به الجرب المتقرح المـزمن أبرأه وينفع الأورام الحارة ضمادا ، ومن قروح الفم ومن القلاع فى أفواه الصبيان ، وإذا خلط بشمع ودهن ورد وضمـد به نفع من أوجـاع الجنب والـوهـن . وينفع الحنـاء من الجـراحـات الطـريـة نفع دم الأخوين . وإذا خلط بقيروطى (وهو مـا يطلى به من غير نار) وضمـدت بـه العظـام المكسـورة جبـرهـا ونفع مـن أوجـاع العصب ، وهو ينبت الشعر ويقويـه ويحسنه ويقوى الرأس . ولونه قانىء محبوب يهيج قـوة المحبة ، وفيه رائحة عطرية مع قبض (كتاب الأربعين الطبية / ١١٩ ، ١٢٠) .

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٤٧ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه . مصطفى السقا ١ / ١١٢ ، ١١٣ ، والطب النبوى لابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات الطبية الأستاذ عبد الغنى عبد الخالق . وضع التعاليق الطبيه د. عادل الأزهرى وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٦٦ ، ٦٩ ، والموجز فى الطب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوى . مراجعة د. أحمد عمار / ٩٦ ، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٣ ، وكتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها . عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالى ـ تحقيق عبد الله كنون . مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية م ١٨ جـ ١ ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م / ١١٩ ، ١٢٠) .

*** الحنّائى :**

قال السمعانى :

الحنائى : بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة وفى آخرها الياء آخر الحروف ، هذه النسبة إلى بيع الحناء وهو نبت يخضبون به الأطراف ، والمشهور بهذه النسبة أبو الحسن هارون بن مسلم بن هرمز البصرى ، قال أبو حاتم بن حبان : هو صاحب الحناء يروى عن أبان بن يزيد العطار والبصريين ، روى عنه قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانى وغيرهما .

وأبو موسى هارون بن زياد بن بشير الحنائى من أهل المصيصة ، يروى عن الحارث بن عمير عن حميد ، روى عنه محمد بن القاسم الدقاق بالمصيصة وغيره .

وأبو الحسن جابر بن ياسين محمويه الحنائى من أهل المحنة بغداد ، شيخ ثقة كان يبيع الحناء ، وكان عطارا ، سمع أبا طاهر المخلص سمع منه أبو بكر الخطيب وجدى وجماعة سواهما ، حدثنى عنه أبو الفضل بن الأرموى وأبو بكر الأنصارى وأبو منصور بن زريق وأبو سعد بن الزوزن بن السلال ببغداد ، توفى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الحنائى من أهل دمشق ، توفى فى حدود سنة خمسين وأربعمائة ، يروى عن عبد الوهاب بن الحسن الكلابى وأبى بكر بن أبى الحديد السلمى ، قال ابن ماكولا : كتبت عنه وكان ثقة . قلت روى لى عنه الفضل بن عمر بن ليلى النسوى بمرو.

وولده محمد بن البخترى الحنائى حدثنى عنه أصحابنا بدمشق والعراق .

ومن القدماء أيضا يحيى بن محمد بن محمد بن البخترى الحنائى ، يروى عن هدبة بن خالد وعبيد الله بن معاذ .

وإبراهيم بن على الحنائى ، حدث عن أبى مسلم الكجى وغيره ، سمع منه عبد الغنى بن سعيد .

وأبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن الحجاج البغدادى الحنائى ، سمع أبا على الصفار وأبا عمرو ابن السماك وأبا بكر النجاد وجعفر بن محمد الخلدى وأبا جعفر بن البخترى الرزاز وغيرهم ، روى عنه أبو بكر الخطيب وأبو عبد الله بن طلحة النعالى ، وأثنى عليه الخطيب فقال : كان ثقة مأمونا زاهدا ملازما لبيته . وحكى عنه أنه قال ما لمس كفى كف امرأة قط إلا والدتى . وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة .

وأبو العباس محمد بن أحمد الحسن بن بابويه الحنائى ، حدث بكتاب الرهبان عن أبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا القرشى ، روى عنه على بن محمد بن إبراهيم بن علويه الجوهرى .

وأبو العباس محمد بن سفيان بن عنويه الحنائى ، ويعرف بحبشون من أهل بغداد ، حدث عن أبى يحيى محمد بن عبد الرحيم البزاز وعلى بن شعيب السمسار والحسن بن عرفة وأبى يحيى محمد بن سعيد العطار ومحمد بن عمرو بن حنان الحمصى وأبى عتبة أحمد بن الفرج الحجازى ، روى عنه عبد الله بن إبراهيم الزبيبى وعبيد الله بن العباس الشطوى وعلى بن محمد بن لؤلؤ الرواق .

وأبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هلال الضبى الحنائى ، نزل دمشق ، وكان ثقة صدوقا ، حدث عن الحسين ابن يحيى بن عياش القطان ويعقوب بن عبد الرحمن الدعاء وإسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار ومحمد بن عمرو الرزاز وأبى الحسين بن الأشنانى وأبى عمرو بن السماك وعبد الصمد بن على الطسى روى عنه أبو على الحسن بن على بن إبراهيم المقرى وأبو القاسم الحنائى وغيرهم ، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعمائة .

(الأنساب للسمعاني ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٧٦، ٢٧٧) .

* **الحنابلة (جامع ـ) :**

ما زال جامع الحنابلة في بعلبك يحتفظ بنص أثري نقش على بابه يثبت أنه جدد في عصر المنصور قلاوون جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المكان المبارك في أيام مولانا السلطان الأعظم شاهنشاه المعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم والترك والديلم، الملك المنصور سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين ، ملك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين، أبي المعالي قلاوون قسيم أمير المؤمنين ، أيد الله سلطانه وشد أزره ببقاء ولده وولي عهده، مولانا السلطان الملك الصالح علاء الدين ، وأدام نصرهما ، وجعل البسيطة ملكهما بتولي الأمير نجم الدين حسب نائب قلعة جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة والحمد لله وحده .

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٣٩) .

* **الحناط :**

قال السمعاني :

الحناط : بفتح الحاء المهملة (والنون) وفي آخرها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى بيع الحنطة ، والمشهور بها أبو شهاب موسى بن نافع الهذلي الحناط وقد قيل اسمه عبد ربه ابن نافع ، وقيل هما اثنان ، من أهل الكوفة ، يروي عن سعيد ابن جبير وعطاء روى عنه أبو الربيع الزهراني وأهل العراق .

وأبو شهاب الحناط المدائني . أصله كوفي ، سمع محمد ابن سوقة وأبا إسحاق الشيباني والحسن بن عمرو الفقيمي وإسماعيل بن خالد وسليمان الأعمش ويونس بن عبيد وداود ابن أبي هند وعاصم الأحول ومحمد بن أبي ليلى وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، روى عنه زافر بن سليمان وأبو داود الطيالسي والحسن بن موسى الأشيب وأبو نعيم الفضل ابن دكين وأحمد بن يونس وداود بن عمرو الضبي ، قال يحيى ابن سعيد : لم يكن أبو شهاب الحناط بالحافظ . ولم يرض يحيى أمره . وقال في موضع آخر هو ثقة (القائل هو يحيى بن معين) ومات بالموصل سنة إحدى وسبعين ــ أو اثنتين وسبعين ـ ومائة ؛ وقيل إنه مات ببلده . وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : موسى بن نافع أبو شهاب الحناط الأسدي الكوفي في الأكبر، وليس بأبي شهاب الأصغر عبد ربه بن نافع . روى عن عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد، روى عنه يحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس ومحمد بن عبيد وأبو نعيم ، قال علي بن المديني سألت يحيى بن سعيد عن موسى بن نافع فقال : أفسدوه علينا . وأثنى أبو نعيم على موسى بن نافع خيرا، وقال أحمد بن حنبل : موسى بن نافع الحناط منكر الحديث .

وأبو بكر بن عياش الكوفي الحناط من علماء الكوفة وقرائها . وكان مولى لبني أسد مولى كاهلة يبيع الحنطة بالكوفة ، وأبو داود الطيالسي كذا كان ينسبه ويقول: أبو بكر ابن عياش الحناط، وكان مولده سنة خمس أو ست وتسعين، ووفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وكان شريك يقول : رأيت أبا بكر بن عياش عند أبي إسحاق السبيعي يأمر وينهى كأنه رب بيت .

ومن المتأخرين أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن الشافعي المكي الحناط، كان يبيع الحنطة بمكة، وكان ثقة عالي السند، يروي عن أبي الحسن أحمد بن إبراهيم ابن فراس وأبي القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلاني وغيرهما، سمع منه جدي الإمام أبو المظفر السمعاني ، وروى لي عنه أبو العباس المكي الهاشمي بأصبهان ، وأبو المظفر بن القشيري بنيسابور وتوفي بعد سنة سبعين وأربعمائة بمكة؛ سمعت محمد بن أحمد الميهني بمرو يقول سمعت جدك الإمام أبا المظفر السمعاني يقول: كان شيخي أبو علي الشافعي بمكة يبيع الحنطة .

والحسن بن سهل الحناط ، روى عنه مطين .

وأبو ثمامة الحناط، يروي عن كعب بن عجرة .

وأبو بكر فطرين بن خليفة الحناط .

وسعيد بن محمد الحناط .

ومن المتقدمين أبو إسحاق إسماعيل بن أبان الغنوي الحناط من أهل الكوفة ، يروي عن هشام بن عروة وإسماعيل ابن أبي خالد والثوري ، وكان يضع الحديث على الثقات ،

وهو صاحب حديث : السابع من ولد العباس يلبس الخضرة، وكان أحمد بن حنبل شديد الحمل عليه .

ومحمد بن مغفور الحناط كوفي .

وأبو عبد الله محمد بن سليمان سليمان الرعيني البصير، يعرف بابن الحناط، حسن المكان من الأدب والشعر والبلاغة وكان يناوئ ابن شهيد وله معه أخبار مشهورة ومناقضات معروفة كان حيا قبل سنة ثلاثين وأربعمائة .

ومحمد بن عبد الله بن المبارك الحناط النيسابوري والد أبي الطيب ، سمع إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع وعبد الله ابن مسلم الدمشقي وأيوب بن الحسن ، حدث عنه ابنه أبو الطيب محمد قال ابن ماكولا قرأت على ابن المذهب في إسناد حدثكم محمد بن أحمد بن محمد الحناط فقال : الحناط وهو ابن رزق ولم أسمع من حناط شيئا .

وأبو محمد بن محمد بن محمد الحناط شيخ صالح مستور من أهل مرو، وكان يأوي إلى مدرستنا ويقعد أكثر النهار فيها ، وجدت سماعه من الأديب كامكار بن عبد الرزاق المحتاجي، وقرأت عليه أوراقا يسيرة ، وما قرأ عليه أحد الحديث قبلي ولا بعدي، وتوفي سنة نيف وثلاثين وخمسمائة .

وأبو أحمد حامد بن محمد بن عبد الله الحناط، من أهل نيسابور، سمع أبا العباس الحسن بن سفيان النسوي والحسين ابن محمد بن زياد القباني وغيرهما ، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وقال حدث حامد بن محمد الحناط عن القباني بالمصنفات وتوفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وأبو الحسين عبد الملك بن أحمد بن نصر بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن الحناط ، ويقال الدقاق، من أهل بغداد، سمع يعقوب بن إبراهيم الدورقي ومحمد بن الوليد البسري وحميد بن الربيع ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وزهير بن محمد بن قمير وسلم بن جنادة ومحمود بن خداش ويونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان وغيرهم ، روى عنه إسماعيل بن علي الخطبي وأبو القاسم بن النخاس وأبو حفص بن شاهين ويوسف بن عمر القواس وكان ثقة ، ومات في رجب سنة ثماني عشرة وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٥ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٩) .

* **الحناطي :**

قال السمعاني :

الحناطي : بفتح الحاء المهملة والنون المشددة وفي آخرها الطاء المهملة ، هذه النسبة لجماعة من أهل طبرستان : لعله كان بعض أجداده يبيع الحنطة ، منهم أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن الحسن الطبري، يعرف بالحناطي ، قدم بغداد وحدث بها عن عبد الله بن عدي وأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجانيين ونحوهما ، روى عنه أبو منصور محمد بن أحمد بن شعيب الروياني والقاضي أبو الطيب الطاهر بن عبد الله الطبري وغيرهما .

وأبو الحسن محمد بن الحسين الجرجاني الحناطي الوراق، من أهل جرجان، ورد خراسان وأقام بها ، كان صاحب عجائب، وكان يحفظ، حدث عن أبي نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني وأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأقرانهم من مشايخ الدنيا ـ هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في التاريخ وقال توفي آخر ذلك بمرو سنة سبع وأربعين وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٢٧٥ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٥٩) .

* **الحنبلي :**

قال السمعاني :

الحنبلي : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها اللام ، هذه النسبة لجماعة كثيرة من العلماء في كل فن ممن ينتحل مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي إمام المحدثين والناصر للدين والمناضل عن السنة والصابر في المحنة ، مروزي الأصل ، قدمت أمه بغداد وهي حامل به فولدته ونشأ بها وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة فكتب عن علماء عصره ، وكان من يتعلم منه يفتخر به ويحترمه لورعه وصيانته ، وشيوخه أكثر من أن تذكر، وأصحابه فيهم كثرة وشهرة ، ولعل ببغداد ونواحيها والجزيرة من أصحابه من لا يدخل تحت الحصر والعدد، كان بعض

الأئمة يقول : لولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان علينا عارا إلى يوم القيامة إن قوما سبكوا فلم يخرج منهم أحد . وقيل : رجلان ما لهما ثالث أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقت الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة : وقال قائلهم فيه :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة
وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصا
فاعلم بأن ستوره ستهتك

ولد سنة أربع وستين ومائة وضرب بالسياط فى الله فقام مقام الصديقين فى العشر الأواخر من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين ، ومات فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان ابن سبع وسبعين سنة ، وحرز من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا ، وكان دفنه يوم الجمعة ولم ير للمسلمين جمع أكثر ممن حضر جنازته ، قيل اجتمع فى جنازة فى بنى إسرائيل مثل ذلك ... ومناقبه أكثر من أن تحصى . وصنف فيها الكتب .

واشتهر بهذه النسبة جماعة ، منهم أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبرى الحنبلى ، من أهل عكبرا ، صنف التصانيف ، وكان فاضلا زاهدا ، حدث عن أبى القاسم البغوى وأبى بكر بن أبى داود ، روى عنه أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البرمكى وغيرهما ، زرت قبره بعبكرا .

وأحمد بن هارون الحنبلى الخلال ، حدث عنه أبو سعيد ابن عبدويه .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٦٠) .

* **ابن الحنبلى (إبراهيم بن يوسف) (٨٧٧ - ٩٥٩ هـ):**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثانية من المائة العاشرة وقال عنه :

إبراهيم بن يوسف بن الحنبلى : إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الشيخ برهان الدين بن قاضى القضاة ابن المحاسن ابن قاضى القضاة زين الدين الحلبى الحنفى الشهير بابن الحنبلى المؤرخ المشهور وسبط قاضى القضاة أثير الدين بن الشحنة . قال ولده در الحبب : ولد بحلب سنة سبع وسبعين وثمانمئة فاشتغل بها فى الصرف والنحو والعروض والمنطق على العلاء بن الدمشقى المجاور بجامع المهمندار وعلى الفخر عثمان الكردى والبرهان القرصلى والزين بن فخر النساء وجود الخط على الشيخ أحمد أخى الفخر المذكور وألم بوضع الأوفاق العددية ، وتعلق بأذيال القواعد الرملية ، والفوائد الجفرية وأجاز له البرهان الرهاوى رواية الحديث المسلسل بالأولية ، بعد أن أسمعه منه بشرطه وجميع ما يجوز له وعنه روايته ثم ذكر أنه استجيز له باستدعاء والده جماعة كثيرون من المصريين كالمحب بن الشحنة والسرى عبد البر ابن الشحنة والقاضى زكريا والجمال إبراهيم القلقشندى والقطب الخيضرى والحافظ عثمان الديمى والجمال يوسف ابن شاهين وأنه سمع على البرهان بن أبى شريف ما اختصره من رسالة القشيرى وأنه لبس الخرقة القادرية من الشيخ عبد الرزاق الكيلانى الحموى قال ثم لبستها أنا من يده ...

وذكر من تأليفه كتابه المسمى ثمرات البستان ، وزهرات الأغصان ، والسلسل الرائق ، المنتخب من الفائق ، وكتابا انتخبه فى آداب الرئاسة سماه مصابيح أرباب الرياسة ، ومفاتيح أبواب الكياسة ، وغير ذلك وأنه توفى فى ليلة الأحد حادى عشر ذى القعدة سنة تسع بتقديم التاء وخمسين وتسعمائة وصلى هو عليه . قال ومن شعر والدى ما كتب به إلى وهو غائب عن حلب فى طاعون سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة :

سلم بنى النفس والولدا
لله لا تشرك به أحدا
والجأ إليه فى الأمور عسى
تعطى بذاك الأمن والرشدا
من كان بالرحمن محتسبا
ولركن قول الله مستندا
لم يخش من هَمٍّ ولا نكد
كلا ولا من حاسد حسدا
فكن الرضى بما يريد وكن
متمسكا بجنابه أبدا

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى - حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ٢ / ٨١ ، ٨٢) .

*** الحنبلى (مجير الدين) (٨٦٠ - ٩٢٨ هـ / ١٤٥٦ - ١٥٢٢ م) :**

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمى الحنبلى ، أبو اليمن ، مجير الدين ، مؤرخ باحث . من أهل القدس . نسبته إلى على بن عليم المقدسى . كان قاضى قضاة القدس ، ومولده ووفاته فيها . له « الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل » مطبوع مجلدان ، و « المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد » ، و « فتح الرحمن فى تفسير القرآن » مخطوط فى شستر بتى (٣١٦٠) مجلدان .

(الأعلام ٣ / ٣٣١ وما جاء فى هامش ١ من مراجع) .

*** الحنبلى (محمد بن إبراهيم) (٩٧١ هـ / ١٥٣٥ م) :**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الثالثة من المائة العاشرة وقال عنه :

محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلى : محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العلامة ، المحقق المدقق الفهامة ، أبو عبد الله رضى الدين المعروف بابن الحنبلى الحنفى أخذ عن الحناجرى والبرهان وعن أبيه وآخرين وقد استوفى مشايخه فى تاريخه وحج سنة أربع وخمسين وتسعمئة ودخل دمشق وكان بارعا مفننا انتفع عليه جماعة من الأفاضل كشيخنا شيخ الإسلام محمود البيلونى وشيخ الإسلام بدمشق شمس الدين بن المنقار والعلامة البارع المحقق سيدى أحمد بن المنلا واجتمع به شيخنا شيخ الإسلام القاضى محب الدين وأخذ عنه وأخبرنى عنه أنه كان إذا عرض له آية يستشهد بها فى تصانيفه جاء إلى تلميذه الشيخ محمود البيلونى وقد فضل فى حياته وكان يحفظ القرآن العظيم فيجىء ابن الحنبلى إلى محل درسه بمدرسته بحلب ويسأله عن الآية فيكتبها من حفظه وله مؤلفات فى عدة فنون منها حاشية على شرح تصريف العزى للتفتازانى وشرح على النزهة فى الحساب والكنز المظهر ، فى حل المضمر ، ومخايل الملاحة فى مسائل الفلاحة (فى الفتح المبين : فى مسائل المساحة) وسرح المقلتين فى مسح القبلتين (فى الفتح المبين : وشرح المقلتين فى مساحة القلتين) وكنز من حاجى وعمّى ، فى الأحاجى والمعمّى ، ودر الحبب ف تاريخ حلب ، وله فى الأصول أنوار الحلك على شرح المنار لابن ملك ، ونظم الشعر إلا أن شعره ليس بجيد لا يخفى ما فيه من التكلف على من له أدنى ذوق .

توفى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ودفن بمقابر الصالحين بالقرب من قبر الشيخ الزاهد محمد الخاتونى بين قبريهما نحو عشرة أذرع وورد الخبر بموته إلى دمشق فى آخر جمادى المذكور.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ٣ / ٤٢ ، ٤٣ . انظر أيضا الفتح المبين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ٧٩) .

*** الحنبلى (المذهب) :**

مؤسسه الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى(٢٤١ هـ) ولد ببغداد ونشأ بها ورحل إلى المدن الأخرى لطلب العلم ، وتفقه على الشافعى حين قدم بغداد ، وصار مجتهدا مستقلا ، واهتم بجمع السنة ، وحفظها حتى صار إمام المحدثين فى عصره (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٧٠) (أفردنا للإمام مادة مستفيضة فى م ١٢ / ٦٤١ - ٦٥٠ فانظرها فى مضعها) .

وكان الإمام من خواص أصحاب الشافعى بالعراق ، أخذ عنه الفقه ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعى إلى مصر ، ثم استقل بمذهب خاص ، وكان رحمه الله ينكر وقوع الإجماع بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم .

نشأ هذا المذهب ببغداد وانتشر بالعراق ، ولم يخرج منه إلى غيره إلا فى القرن الرابع ، وكانت له فى ذلك القرن الغلبة ببغداد وبلاد نجد .

وقد تأخر ظهوره بمصر ظهورا بينا إلى القرن السابع (الدين الإسلامى ٢ / ٨٨) .

يقول الدكتور محمد الزحيلى :

وأصول مذهبه قريبة من مبدأ الشافعى ، فيعتمد على الاجتهاد والاستنباط عن القرآن والسنة والإجماع وفتوى الصحابى والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة وسد الذرائع ، ولم يؤلف الإمام أحمد كتابا فى الفقه ، وإنما أخذ أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته لكنه صنف فى الحديث كتابه الكبير « المسند » .

ومن أشهر تلامذته صالح بن أحمد بن حنبل (٢٦٦ هـ) وهو أكبر أولاد الإمام أحمد وعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) الذى نقل الحديث عن أبيه . وعنى صالح بنقل فقه أبيه ومسائله ، وأبو بكر الأثرم ، أحمد بن محمد بن هانئ (٢٧٣هـ) وأبو بكر المروذى ، أحمد بن محمد بن الحجاج (٢٧٤هـ) وإبراهيم بن إسحاق الحربى (٢٨٥هـ) .

ومن أشهر وأهم كتب الفقه الحنبلى مختصر الخرقى الذى شرحه العلامة موفق الدين بن قدامة فى « المغنى » . ومنها كشاف القناع للبهوتى ، وشرح منتهى الإرادات للبهوتى ، والمحرر فى الفقه لعبد السلام بن تيمية ، والإنصاف للمرداوى ، والفروع لابن مفلح ، والمقنع لابن قدامة ، والروض المربع للحجاوى .

وينتشر المذهب الحنبلى فى بعض القرى بسورية ، وكان له نشاط ومجد قديما فى صالحية دمشق ، وفى القدس الشريف ، وكثير من ريف فلسطين ، وله مدارسه الكثيرة فى دمشق ، لكن مخطوطاته قليلة لا تتناسب مع نشاط علمائه ومدارسه ولعل كثيرا منها قد احترق .

وتبلغ مخطوطات الفقه الحنبلى فى الظاهرية التى انتقلت إلى مكتبة الأسد حوالى مائة مخطوطة ، ذكر منها ٩٣ مخطوطة بشكل متتابع فى الفهرس الخطى العام للظاهرية ، منها مسائل أحمد بن حنبل والمسائل الفقهية لتقى الدين بن تيمية ، وشرح المقنع للتنوخى والمفردات للبهوتى ، ودليل الطالب لمرعى بن يوسف ، والمستوعب للسامرى ، والدرة اليتيمة للصرصرى ، والكافى لابن قدامة ، كما ذكرت بعض كتب الفقه الحنبلى فى غير موضعها مثل كتاب « الإفصاح » لابن حبيرة الذى سجل فى الفقه الحنفى برقم عام ١٥٩٣ - ٢٥٩٤ . ويضاف إليها عدة رسائل جاءت فى مجاميع ، وصنفت فى فهرس مخطوطات الظاهرية - مجاميع (١ / ٤٥٦ ، ٢ / ٤٠٧) كما يضاف إلى ذلك مخطوطات الفقه الحنبلى فى المكتبة الأحمدية بحلب والتى نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق .

(مرجع العلوم الإسلامية / ٣٧٠) .

وعن منزلة السنة ومكانتها من قلب ابن حنبل يقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم :

لقد قرر أحمد بن حنبل فى كلام كثير مأثور عنه أن طلب علم الكتاب يكون عن طريق السنة وأن طلب الدين يكون عن طريق السنة وأن السبيل المعبد لطلب فقه الإسلام وشرائعه يكون عن طريق السنة وأن الذين يقتصرون على الكتاب وحده من غير الاستعانة بالسنة فى بيانه وتعرف شرائعه يضلون سواء السبيل ولا يهتدون إلى الحق وذلك لأمور كثيرة منها :

١ - أن نصوص القرآن الكريم واردة فى وجوب طاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وليست طاعته إلا باتباع سنته .

٢ - أن الاحتكام إلى الرسول ﷺ فى حياته وإلى المروى عنه بعد وفاته أمر ثابت فى الدين ، فقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥]

٣ - أن الأحكام الإسلامية الكثيرة التى أجمع المسلمون عليها مأخوذة من السنة فأحكام الصلاة وشروطها وأركانها وأحكام الزكاة ونصابها فى الأموال والزروع والتجارة ، والتحريم بالرضاع وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وتفصيل مقادير الديات وبيان أحكام السلم والحرب والمعاهدات والمهادنات وغير ذلك جاءت به السنة موضحة ومفصلة لما أجمل فى الكتاب الكريم .

وهناك من الدلالة أحاديث صحيحة تثبت وجوب الأخذ بالسنة وعدم الاقتصار على الكتاب فقد روى أنه ﷺ قال : «يوشك أحدكم أن يقول : هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا من بلغه عنى حديث فكذب به فقد كذب ثلاثة : الله ورسوله والذى حدث به » .

لهذا كله اتجه الإمام ابن حنبل فى طلب الدين إلى السنة ومنها طلب علم الكتاب وسائر علوم الدين وفقه الإسلام وشرائعه وما كان يرضى عنها بديلا والتزم بها طول حياته يدرسها ويخططها ويحفظها ويطبقها على نفسه قولا وعملا واقتداء برسول الله ﷺ فى كل ما جل ودق من الأمور ويكاد يكون مذهبه قائما على السنة وما يتصل بها من استنباط وتخريج .

والحق أن الإمام أحمد بعد محنته التى أشرنا إليها وماتحمله فى سبيلها قد ذاع اسمه فى كل مكان وفى كل البقاع الإسلامية مقرونا بعلوم الدين كلها سواء ما كان يتصل

بالعقيدة أم بـالحديث والفقه ، وقد عمر بعـد المحنة أكثر من عشرين سنة فاعتبره الناس إمامهم يرجعون إليه فى الأمور التى يبتلون بها ويريدون أن يعرفـوا حكمها ، ولقد أفتى كثيرا وصار بعد المحنة المرجع المعتمد لكل من يريد الإفتاء .

قالت المؤلفـة : المحنة التى يشير إليها المـؤلف هنا هى تلك التى تعـرض لها الإمام أحمـد بسبب رفضه القـول بخلق القرآن ، وقد فصلنا القول فى هذه المحنة فى مادة « أحمد بن حنبل » تحت عنـوان فـرعى هـو « قضيـة المحنـة » فى م ٢ / ٦٤٦ ـ ٦٤٨ فارجع إليها إن شئت .

انتشار مذهب ابن حنبل :

ضعف انتشار المذهب بسبب عنف معتقديه من الدهماء واستنكار الناس لتعصبهم ، كذلك كان من الأسباب فى عدم انتشـار المذهـب الحنبلى أن البلاد الإسـلاميـة عنـدما أخـذ مذهب ابن حنبل يعـرف وينمو كان المـذهـب الحنفى سائدا فى العراق والمذهب الشافعى سائدا فى الحجاز والشام ومصر وكان المـذهـب المالكـى سائدا فى بـلاد المغرب ، وقـد جاء الإمـام أحمـد بن حنبل بعد هـؤلاء الأئمـة فجـاء مذهبـه بعـد مذاهبهم . ولم يكن فى معتنقيه من القوة ما يؤيد مذهبهم لأن أحـوال معتنقيه كـانت تنفر النـاس والـدولـة من تشـددهم ، وصـارت جمهرة النـاس لا يقبلـون عليـه ، ولكن الله سبحانـه وتعالى قـد عوضه عن قلة الأتبـاع وكثرتهم وتمسكهم به لـدقة أحكامـه فى إقـامة الحـدود والقصاص والمعـاملات المـالية فالـربا حرام فى شتى أنـواعه بـالقليل والكثير من غير محـاولة لتحليله وتسويفـه ، وقد انتشر فى بلاد العـرب بعد أن أعيد آل سعود نجد ثم انتقل إلى سائر أنحاء الجزيرة على يد السلطان عبد العزيـز آل سعود وصار لهم شرف سـدانة البيت الحرام ، وقد كان للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢ م) أثـره الواضح فى نشر هذا المـذهـب لأنه كان يتبع مـذهب ابن تيمية الـذى كان يمنع التوسل والـوسيلة ويمنع التقرب بـالموتى ولو كانـوا صالحين (انظر تـرجمة ابن تيميـة تحت عنـوان « ابن تيميـة (تقى الـدين) » فى م١١ / ٢٠٥ ـ ٢٣٠) .

وقد أصبحت المملكـة العربية السعوديـة بفضل تمسكها بالمـذهب الحنبلى على يد شيخهـا الحنبلى المصلح محمد ابن عبـد الوهـاب من أفضل بـلاد المسلمين تمسكـا بالشـرع الشـريف وعملا بأحكـامه وأكثرها تمتعـا بالأمن والسـلام فى ربوعها .

ومما يرى عن تشـدد الحنابلة عندمـا عظم شأنهم وقويت شوكتهم أنهم كـانوا يهاجمـون بيوت الدعارة فإن وجـدوا نبيذا أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء وإذا اشتبهوا فى سلوك إنسان راقبوه لكشف عوراتـه ومعاقبته وغير ذلك من الأعمال المستوجبة للعقاب والتحـريم وهم حتى يومنا هذا ما زالـوا يحاربـون التـدخين ويعتبرونـه من الخبـائث التى يجب الامتنـاع عنهـا وأن مـا يقع فيهـا مـن الجـرائم التى تستـوجب الحدود فإنها غالبا من عمل الأغراب النازحين إليها وأكثروا فيها الفساد وتعمل الحكومة على طردهم بعد توقيع الجزاء عليهم .

والحنابلة فى مصر قليلون ولم يسمع بخبرهم إلا فى القرن السابع وما بعـده والإمام أحمد بن حنبل كان فـى القرن الثالث (أئمة المذاهب الأربعة / ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤) .

وربع أهل السنة بالشام حنابلة .

ويجىء فى فلسطين ثانيا بعد الشافعى .

ويقل فى العراق ويكثر فى الحجاز كالشافعى .

وأهل نجد جميعهم حنابلة (الدين الإسلامى ٢ / ٨٨) .

(مـرجع العلـوم الإسـلامية ـــ د. محمـد الـزحيلى / ٣٧٠ ، والـدين الإسلامى ـ الشيخ حسن منصور والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عنـانى ٢ / ٨٨ ، وأئمـة المـذاهـب الأربعة ـــ محمـد إسمـاعيل إبـراهيم . دار الفكـر العـربى . القـاهـرة ١٩٧٨ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤) .

* الحنبلية الشريفة (المدرسة -) (٥٣٠ هـ) :

من مدارس الحنابلة بدمشق . بناها شرف الإسلام ، الإمام عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلى ، شيخ الحنابلة بالشام ، كان والده عـالما فاضلا ، هاجر من القـدس ، ونشر المذهب الحنبلى فى الشام ، قبل هجرة بنى قدامة بزمن .

وكـان شـرف الإسـلام ، على الطـريقة المـرضيـة ، وافـر العلم ، حسن الوعظ ، قـوى الدين ، مترفعـا عن الدنايـا ، وله تصانيف كثيرة ، توفى سنة ٥٣٦ هـــ ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بمقابر الشهداء فى الباب الصغير .

يقـول الأستـاذ أكرم العُلبى : وقـد زعم ابن شـداد أن هـذه

المدرسة تنسب إلى سيف الإسلام أخى صلاح الدين ، ولا صحة لزعمه هذا ، فقد ذكر ابن رجب الحنبلى قصة بنائها بوضوح ، فقال إنه لما شرع شرف الدين فى بناء المدرسة ، طلع بعض متعصبى الشافعية إلى زمرد خاتون ، أم شمس الملوك ، وكان حكمها نافذا فى البلد ، فقالوا لها : هذا ابن الحنبلى يبنى مدرسة للحنابلة ، وهذا البلد عامته شافعية وتصير الفتن ، وبناؤها مفسدة وضرر كبير ، فأمرت الشيخ بالتوقف فتوقف .

وفى الليل بنى مسجدا على ضوء المشاعل ، وتابع العمل فيه نهارا ، فأسقط فى يد الخاتون ومن حرضها ، وخافت من مغبة هدم المسجد ، وبعد ذلك تم البناء (الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلى ط المعهد الفرنسى بدمشق / ٣٣٧ ـ ٣٣٩) .

وتقع المدرسة شمالى الرواحية ، وجنوب المقدمية ، بينهما ، وهى اليوم فى تقاطع العمارة الجوانية ، شرقى حمام السلسلة ، ولا تزال آثارها هناك فى حارة ضيقة ومغلقة مقابل «فرن الغزى» تماما .

وقد قدرنا تاريخ بنائها سنة ٥٣٠ هـ ، لأن الخاتون زمرد ، لم تكن تتمتع بالسلطة فى عهد ابنها شمس الملوك الذى قتلته سنة ٥٢٩ هـ ، والله أعلم .

وكانت المدرسة فى حدود سنة ١٣٢٨ هـ تحتوى على ست غرف أرضية بدون طلاب ، وذكرت اللجنة التى زارتها أنها « مهمة جدا » لكنها تحتاج إلى ترميم ...

والجدير بالذكر أن هذه المدرسة تُعد أول مدرسة للحنابلة فى دمشق ، ومن المدارس الأولى التى شهدتها المدينة ، بعد الصادرية ، والأمينية ، والبلخية ، والمعينية .

(خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبى / ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

*** الحنبلية (المدرسة ـ) (٧٨١ هـ) :**

من مدارس الحنابلة بالقدس الشريف أعاده الله ديار إسلام .

تقع المدرسة الحنبلية بباب الحديد على بعد أمتار قليلة غربى المدرستين الجوهرية والمزهرية . وواقفها هو الأمير بيدمر نائب الشام . وتم بناؤها فى شهر شوال سنة ٧٨١ . وقد تولى الأمير بيدر ـ واسمه الكامل هو سيف الدين بيدمر الخوارزمى ـ عدة مناصب هامة فى دولة المماليك . ففى سنة ٦٧٠ تولى منصب حجوبية الحجاب بدمشق . وفى السنة نفسها نقل إلى حلب نائبا لها . وفى سنة ٧٦١ ولى نيابة دمشق . وفى السنة التالية قاد جماعة من الأمراء فى حركة تمرد ضد السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجى ، الذى عينه يلبغا الناصرى سلطانا بعد أن قتل السلطان السابق الملك الناصر ، فسارت العساكر السلطانية إلى دمشق وقمعت التمرد وعزلت بيدمر . وفى سنة ٧٦٣ أفرج السلطان المنصور صلاح الدين عنه وولاه صفد ونجد بيدمر نائبا لدمشق مرة أخرى فى سنة ٧٧٧ فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين . وفى أثناء ولايته الثانية هذه على دمشق قام ببناء مدرسته « الحنبلية » فى باب الحديد ببيت المقدس . والمدرسة الحنبلية هى ثانية مدارس الحنابلة فى القدس . أما الأولى فهى المدرسة الوجيهية .

وممن تولى التدريس فى المدرسة الحنبلية الشيخ برهان الدين أبو الصفا إبراهيم بن على بن أبى الوفا الأسعردى الشافعى الصوفى الزاهد ولد بأسعرد سنة ٨٠٥ أو ٨٠٦ ونشأ بها واشتغل على علمائها ورحل إلى تبريز ثم قدم إلى القدس فاستوطنها وقرره الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧) فى المدرسة الحنبلية أقام بالقدس دهرا طويلا وتزوج ورزق الأولاد ثم استوطن دمشق وتوفى بها سنة ٨٨٧ .

وممن تولى التدريس بها فى سنة ١٢٤٢ / ١٢٤٣ ، إسماعيل أفندى السرورى . تولى ثلث وظيفة التدريس والمشيخة والتولية على المدرسة الحنبلية .

والغالب أن المدرسة فى هذا الوقت كانت فى حالة اضمحلال وأن هذه الوظيفة كانت شكلية فحسب .

والمدرسة الحنبلية ما زالت معمورة وهى معروفة بدار قطينة إذ يسكنها جماعة من آل قطينة وقد اشتراها الشيخ على الطزيز سنة ١٩٥٤ .

(معاهد العلم فى بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلى / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والمدارس فى بيت المقدس ـ د : عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ٨٩ ، ٩٠) .

*** الحنث فى يمين الطلاق :**

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فى من حلف بالطلاق على أمر من الأمور ثم حنث فى يمينه ، هل يقع به الطلاق أم لا ؟ فأجاب :

فى هذه المسألة نزاع بين السلف والخلف على ثلاثة أقوال : أحدها أنه يقع به الطلاق إذ حنث فى يمينه ، وهذا هو المشهور عند أكثر الفقهاء المتأخرين ، حتى اعتقد طائفة منهم أن ذلك إجماع . ولهذا لم يذكر عامتهم عليه حجة ،

وحجتهم عليه ضعيفة جدا وهى أنه التزم أمرا عند وجوب شرط، فلزمه ما التزمه وهذا منقوض بصور كثيرة، وبعضها مجمع عليه، كنذر الطلاق والمعصية والمباح وكالتزام الكفر على وجه اليمين، مع أنه ليس له أصلا يقاس به، إلا وبينهما فرق مؤثر فى الشرع، ولا دل عليه عموم نص ولا إجماع، لكن لما كان موجب العقد لزوم ما التزمه، صار يظن فى بادئ الرأى أن هذا عقد لازم، وهذا يوافق ما كانوا عليه فى أول الإسلام، قبل أن ينزل الله كفارة اليمين موجبة ومحرمة، كما يقال إنه كان شرع من قبلنا.

لكن نسخ هذا شرع محمد ﷺ، وفرض للمسلمين تحلة أيمانهم وجعل لهم أن يحلوا عقد اليمين بما فرضه من الكفارة، وأما إذا لم يحنث فى يمينه فلا يقع به الطلاق بلا ريب إلا على قول ضعيف، روى عن شريح، ويذكر رواية عن أحمد فيما إذا قدم الطلاق وإذا قيل يقع به الطلاق، فإن نوى باليمين الثانية توكيد الأولى لا إنشاء يمين أخرى، لم يقع به إلا طلقة واحدة، وإن أطلق وقع به ثلاث، وقيل لا يقع به ثلاث، وقيل لا يقع به إلا واحدة، والقول الثانى، أنه لا يقع به طلاق. ولا يلزمه كفارة وهذا مذهب داود وأصحابه وطوائف من الشيعة، ويذكر ما يدل عليه عن طائفة من السلف. بل هو مأثور عن طائفة صريحا كأبى جعفر الباقر رواية جعفر بن محمد. وأصل هؤلاء أن الحلف بالطلاق والعتاق والظهار والحرام والنذر، لغو كالحلف بالمخلوقات. ويفتى به فى اليمين، التى يحلف بها التزام الطلاق، طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعى، كالقفال وصاحب التتمة. وينقل عن أبى حنيفة نصا [نصٌّ] بناء على أن قول القائل الطلاق يلزمنى، أو لازم لى. ونحو ذلك صيغة نذر لا صيغة إيقاع كقوله لله على أن أطلق، ومن نذر أن يطلق لم يلزمه طلاق بلا نزاع ولكن فى لزومه الكفارة له قولان.

أحدهما: يلزمه وهو المنصوص عن أحمد بن حنبل، وهو المحكى عن أبى حنيفة إما مطلقا وإما إذا قصد به اليمين

والثانى: لا وهو قول طائفة من الخراسانيين من أصحاب الشافعى، كالقفال والبغوى وغيرهما. فمن جعل هذا نذرا ولم يوجب الكفارة فى نذر الطلاق، يفتى بأنه لا شيء عليه، كما أفتى بذلك طائفة من أصحاب الشافعى وغيرهم ومن قال عليه كفارة لزمه على قوله كفارة يمين. كما يفتى بذلك طائفة من الحنفية والشافعية وأما الحنفية فبنوا على أصله، فى أن من حلف بنذر المعاصى والمباحات فعليه كفارة يمين، وكذلك يقول ذلك من يقوله، من أصحاب الشافعى لتفريقه بين أن يقول علىَّ نذر فلا يلزمه شيء، وبين أن يقول إن فعلته فعلىَّ نذر، فعليه كفارة يمين. ففرق هؤلاء بين نذر الطلاق وبين الحلف بنذر الطلاق. وأحمد عنده على ظاهر مذهبه المنصوص عنه، أن نذر الطلاق فيه كفارة يمين، والحلف بنذره عليه فيه كفارة يمين. وقد وافقه على ذلك من وافقه من الخراسانيين، من أصحاب الشافعى وجعله الرافعى والنواوى وغيرهما هو المرجح فى مذهب الشافعى، وذكروا ذلك فى نذر جميع المباحات لكن قوله الطلاق لى لازم فيه صيغة إيقاع فى مذهب أحمد. فإن نوى بذلك النذر ففيه كفارة يمين عنده.

والقول الثالث: وهو أصح الأقوال، وهو الذى يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار أن هذه يمين من أيمان المسلمين، فيجرى فيها ما يجرى فى أيمان المسلمين. وهو الكفارة عند الحنث، إلا أن يختار الحالف إيقاع الطلاق، فله أن يوقعه ولا كفارة، وهذا قول طائفة من السلف والخلف، كطاوس وغيره، وبه يفتى كثير من المالكية وغيرهم، حتى يقال إن فى كثير من بلاد المغرب من يفتى بذلك من أئمة المالكية، وهو مقتضى نصوص أحمد بن حنبل وأصول فى غير موضع وعلى هذا القول فإذا كرر اليمين المكفرة مرتين أو ثلاثا على فعل واحد فهل عليه كفارة واحدة أو كفارات، فيه قولان للعلماء: وهما روايتان عن أحمد، أشهرهما عنه تجزيه كفارة واحدة وهذه الأقوال الثلاثة حكاها ابن حزم وغيره فى الحلف بالطلاق كما حكوها فى الحلف بالعتق والنذر وغيرهما.

فإذا قال إن فعلت كذا فعبيدى أحرار، ففيها الأقوال الثلاثة، لكن هنا لم يقل أحد من أصحاب أبى حنيفة والشافعى، أنه لا يلزمه العتق، كما قالوا ذلك فى الطلاق فيصح نذره بخلاف الطلاق، والمنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ، إنه يجزئه كفارة يمين، كما ثبت ذلك عن ابن عمر وحفصة وزينب. وورووه أيضا عن عائشة وأم سلمة وابن عباس وأبى هريرة، وهو قول أكابر التابعين، كطاوس وعطاء وغيرهما، ولم يثبت عن صحابى ما يخالف ذلك، لا فى الحلف بالطلاق ولا فى الحلف بالعتاق، بل إذا قال الصحابة أن الحالف بالعتق لا يلزمه العتق، فالحالف بالطلاق أولى عندهم، وهذا كالحلف بالنذر، مثل أن يقول إن فعلت كذا فعلى الحج، أو صوم سنة، أو ثلث مالى صدقة فإن هذا يمين تجزئ فيه الكفارة عند أصحاب رسول الله ﷺ. مثل عمر

وابن عباس وعائشة وابن عمر. وهو قول جماهير التابعين كطاوس وعطاء وأبى الشعثاء وعكرمة والحسن وغيرهم ، وهو مذهب الشافعى المنصوص عنه ومذهب أحمد بلا نزاع عنه ، وهو إحدى الروايتين عن أبى حنيفة اختارها محمد بن الحسن وهو قول طائفة من أصحاب مالك ، كابن وهب وابن أبى الغمر ، وأفتى ابن القاسم ابنه بذلك .

والمعروف عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أنه لا فرق بين أن يحلف بالطلاق أو العتاق، أو النذر ، إما أن تجزئه الكفارة فى كل يمين ، وإما أن لا شىء عليه ، وإما أن يلزمه كما حلف به ، بل إذا كان قوله ، إن فعلت كذا فعلى أن أعتق رقبة ، وقصد به اليمين ، لا يلزمه العتق بل يجزئه كفارة يمين ، ولو قاله على وجه النذر لزمه بالاتفاق ، فقوله فعبدى حر أولى أن لا يلزمه ، لأن قصد اليمين إذا منع أن يلزمه الوجوب فى الإعتاق والعتق فلأن يمنع لزوم العتق وحده أولى .

وأيضا فإن ثبوت الحقوق فى الذمم أوسع نفوذا ، فإن الصبى والمجنون والعبد قد تثبت الحقوق فى ذممهم . مع أنه لا يصح تصرفهم ، فإذا كان قصد اليمين مع ثبوت العتق المعلق فى الذمة فلأن يُمنع وقوعه أولى وأحرى ، وإذا كان العتق الذى يلزمه بالنذر، لا يلزمه إذا قصد به اليمين ، فالطلاق الذى لا يلزم بالنذر أولى ، إذ لا يلزم إذا قصد به اليمين ، فإن التعليق إنما يلزم فيه الجزاء ، إذا قصد وجوب الجزاء عند وجوب الشرط ، كقوله إن أبرأتينى من صداقك فأنت طالق . وإن شفا الله مريضى فثلث مالى صدقة ، وأما إذا كان يكره وقوع الجزاء وإن وجد الشرط ، وإنما التزمه ليخص نفسه ، أو يمنعها أو يخص غيره أو يمنعه ، فهذا مخالف لقوله ، إن فعلت كذا فأنا يهودى أو نصرانى ، ومالى صدقة وعبيدى أحرار. ونسائى طوالق، وعلى عشر حجج وصوم ، فهذا حالف باتفاق الصحابة والفقهاء وسائر الطوائف وقد قال تعالى ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ وقال الله ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ﴾ وثبت عن النبى ﷺ من غير وجه فى الصحيح قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ، فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » وهذا يتناول جميع المسلمين لفظا ومعنى . ولم يخصه نص ولا إجماع ولا قياس .

بل الأدلة الشرعية تحقق عمومه ؛ واليمين فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نوعان ، نوع محترم منعقد مكفر، كالحلف بالله ، ونوع غير محترم ، ولا منعقد ولا مكفر وهو الحلف بالمخلوقات ، فإن كانت هذه اليمين من أيمان المسلمين ، ففيها الكفارة ، وهى من النوع الأول ، وإن لم تكن من أيمان المسلمين، فهو من الثانى .

وأما إثبات يمين منعقدة غير مكفرة ، فهذا لا أصل له فى الكتاب والسنة . وتقسيم إيمان المسلمين إلى يمين مكفرة وغير مكفرة كتقسيم الشراب المسكر إلى خمر وغير خمر، وتقسيم السفر إلى طويل وقصير وتقسيم المسير إلى محرم وغير محرم ، بل الأصول تقتضى خلاف ذلك ، وبسط الكلام له موضع آخر ، لكن هذا القول الثالث ، وهو القول بثبوت الكفارة فى جميع أيمان المسلمين، هو القول الذى تقوم عليه الأدلة الشرعية التى لا تتناقض، وهو المأثور عن أصحاب رسول الله ﷺ ، وأكابر التابعين ، إما فى جميع الأيمان وإما فى بعضها ، وتعليل ذلك بأنه يمين، والتعليل بذلك يقتضى ثبوت الحكم فى جميع أيمان المسلمين .

والصيغ ثلاثة : صيغة تنجيز ، كقوله أنت طالق فهذه ليست يمينا ولا كفارة فى هذا باتفاق المسليمن (والثانى) صيغة قسم ، كما إذا قال الطلاق يلزمنى لأفعلن كذا فهذه يمين . باتفاق أهل اللغة والفقهاء . والثالث صيغة تعليق ، فهذه إن قصد بها اليمين ، فحكمها حكم الثانى ، باتفاق العلماء ، وأما إن قصد وقوع الطلاق عند الشرط ، مثل أن يختار طلاقها إذا أعطته العوض، فيقول إن أعطيتنى كذا فأنت طالق، ويختار طلاقها، إذا أتت كبيرة فيقول ، أنت طالق، إن زنيت أو سرقت . وقصده الإيقاع عند الصفة ، لا الحلف، فهذا يقع به الطلاق باتفاق السلف، فإن الطلاق المعلق بالصفة روى وقوع الطلاق فيه عن غير واحد من الصحابة ، كعلى وابن مسعود وأبى ذر وابن عمر ومعاوية وكثير من التابعين ومن بعدهم ، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد، وما علمت أحدا نقل عن أحد من السلف أن الطلاق بالصفة لا يقع ، وإنما علم النزاع فيه عن بعض الشيعة ، وعن ابن حزم من الظاهرية .

وهؤلاء الشيعة بلغتهم فتاوى عن بعض فقهاء أهل البيت . فيمن قصده الحلف ، فظنوا أن كل تعليق كذلك ، كما أن طائفة من الجمهور بلغتهم فتاوى عن بعض الصحابة والتابعين ، فيمن علق الطلاق، بصفة أنه يقع عندها . فظنوا أن ذلك يمين، وجعلوا كل تعليق يمينا كمن قصده اليمين ، ولم يفرقوا بين التعليق الذى يقصد به اليمين ، والذى يقصد به

الإيقـاع ، كما لم يفـرق أولئك بينهمـا فى نفس الطلاق . ومـا علمت أحدا من الصحابة أفتى فى اليمين بلزوم الطلاق ، كما لم أعلم أحدا منهم أفتى فى التعليق الـذى يقصد به اليمين ، وهـو المعـروف عن جمهـور السلف ، حتى قـال بـه داود وأصحابه ، ففـرقوا بين تعليق الطلاق الذى يقصـد به اليمين ، والـذى يقصد بـه الإيقاع ، كمـا فرقـوا بينهما فى تعليق النـذر وغيره ، والفرق بينهمـا ظاهر ، فإن الحالف يكـره وقوع الجزاء ، وإن وجدت الصفة ، كقول المسلم إن فعلـت كذا فأنا يهودى أو نصرانى ، فهو يكره الكفر ، وإن وجـدت الصفة وإنما التزمه لئلا يلزم ، وليمتنع به من الشرط لا القصد وجوده عند الصفة ، وهكذا الحـالف بالإسـلام : لو قـال الذمى إن فعلت كـذا فأنا مسلم ، والحالف بالنذر والحـرام والظهار والطلاق والعتاق .

إذا قـال إن فعلت كـذا فعلى الحج وعبيـدى أحرار . ونسائى طوالق ومالى صدقة ، فهو يكره هذه اللوازم ، وإن وجد الشرط وإنمـا علقها ليمنع نفسـه من الشـرط ، لا القصد وقعهـا وإذا وجد الشرط فالتعليق الذى يقصد به الإيقاع من باب الإيقاع ، والذى يقصد به اليمين من باب اليمين .

وقد بين الله فى كتابه أحكـام الأيمان . وإذا قال إن سرقت أو إن زنيت فأنت طالق فهذا قد يقصد به اليمين وهو أن يكون مقامها مع هـذا الفعل ، أحب إليه من طلاقها ، وإنما قصده زجرها وتخويفها ، لئـلا تفعل . فهذا حالف لا يقع به الطلاق وقد يكون قصده إيقاع الطلاق ، وهو أن يكون فراقها أحب إليه من المقـام معها مع ذلـك الفعل ، فيختار إذا فعلته أن تطلق منه ، فهذا يقع به الطلاق والله أعلم .

(الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٣ / ٩ ـ ٣٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

استـدراك

وقعت بعض الأخطاء فى المجلد ١٤ رجاء التفضل بتصحيحها

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٤٢٥	٢		رأس الصفحة : مصنافتهم	مصنفاتهم
	٢	٦	عناون فرعى بنط أبيض	
٤٢٩	١		وضع عنوان كل من الصورتين	
٤٣٠	١		خطأ موضع الآخر	
٤٣٤	٢	٣	د . ن	د . ت (أى بدون تاريخ)
٤٤٠	١		رأس الصفحة حمل ألفاظ ...	حل ألفاظ ...
	١	٧	حمل ألفاظ ...	حل ألفاظ ...
٤٤٢	١		رأس الصفحة : حل زريج ...	حل زيج ... (بدون راء)
	١	١	حل زريج ...	حل زيج ...
٤٧٤	٢	٢٩	يقسم الأستاذ	تُقَسَّم

تم بحمد الله وحسن توفيقه
المجـلد الرابع عشر
من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية
ويليه إن شاء الله تعالى
المجـلد الخامس عشر
وأوله مادة:
ابن حنزابة (٣٠٨ ـ ٣٩١ هـ) :
أعان الله على إتمامه



Bibliotheca Alexandrina
0225186